كتاب من شرح كشفا
لشمس الدين الايجي
عرب ٣١





كتاب شرح الشفا
في تعريف حقوق المصطفى





بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نحمدك يا من شرح صدورنا بعلامات شفا لمرضى الاذهان من اسبابها دوا • ولعطشى الافهام من مشارعها دوا • موردة من آياته ما هو اقوى امتزاجا بالافهام • وابعد انتزاجا عن الاوهام • منبهة على ادراك رموزه الخفية موقظة لنيل كنوزه الجلية • كاشفة عن مخزون استارها • واصفة من مكنون درر اسرارها • ناظرا بعضها الى بعض في نظم فوائده متناصرة • آخذا بعضها بيد بعض في جمع فوائده متخاصرة • مع تسهيل ما وعر من موارده • وتذليل ما جمح من شوارده • وتحرير ينزاح به عن دقايقه شبهة الارتياب • وتعريف تزاح في تصوير حقايقه الالباب • وتهذيب يهتز لتلاوته اعطاف الاسماع • وترقص لورود ه ارداف الطباع • بتراكيب رشيقة ينشرح بها الخاطر • واساليب انيقة ينفتح لها الناظر • وان انسب تشريف حقوق المصطفى صلى الله عليه • وعلى من آمن به وانتمى اليه • لكتاب عزيز لا تهتدي الى حسن نابغه الافكار • ولا تهب حوالي تصيفه رياح الانظار • قد يغنى صيد في الهمة الى فتح كنوزه • ومنح الانام ببيان خفي رموزه • وابراز عوامض تنحدر وضوحا • واحراز نفايس تميس ضحكا • وايراد نتاج ابرزتها امهات الانظار • وسوانح اسرار ميزتها عوامل الافكار • وبوارح استار تبهرها الالباب لقوارح • وسوارح نكت تملا القرايح هذا مع ما الزمان عليه من تنافر الاحوال • وتراكم الاهوال • وفرط الازدرا بالعلما والاعتدا • والجاهلون لاهل العلم اعدا • على ان بطوارق النوائب مهين • وبوارق النوائب لا اكاد ابين • وتوارد كرب اغرقت بالقلب قلقا • وتواتر نوب اورثت بالكبد حرقا • وتراحم منايا اورثت الذهن فتورا • وتراجم رزايا اعقبت الفهم قصورا • لا للعزم من نصير • ولا في الحزم من تدبير فيا له من دهر لا بقيا له على ذي فضيلة • ولا نعمى الا على ذي نقيصة ورذيلة فلقد سطى في تحاشيد بمزدحم النكبات • واساني بكديراته بمعترك البليات • فاعتورني الهموم متفشا بلا وغير متفشا به فادرعت له اجمالا لا طويلا • وصبرت عليه صبرا جميلا صارفا عنان الهمة لنشر محاسن عباراته • وبث محاسن اشاراته • موثرا لما هو اوفق بالمقاصد • واوثق بالمرام • وكانت معاقد اكثاره يافتر عنها الفهم بصايب ذكائه وثاقب اشرافه • ولوادر من انفق من عمره في بيان لطائفها اوانه • ولا صرف في تبيان سرائرها ازمنة وكنت ادلو بايتل سابقا اكون وراه مصليا • وفي حلبة رهانه مجليا • اذ لم ارني له كفوا بلا مرا • والفهم لقصوره يقدم رجلا ويوخر اخرى • لكن الله في اسبوا بف لطفه • ودوام عطفه فشرعت لوارديه من عباب معانيه مسرعا مهديا • ولوايد بجمي خاب منايده طالما سويا • واوردت ما تمتار من حقايقه الاذهان • وبمثان من دقايقه المرام • واذعنت

مما لم

مما لم تسمح به فالا انبادر بالانكار • وتامل لعلك تونس من جانبها لتامل جذوة نار • تيضي فهمك بانها آيات بينات لقوم يؤمنون • وما يعقلها الا العالمون • ومن كان في ريب مما اوردناه من بدايع اللطائف • وروائع العوارف • فليات بحديث مثله ان كان • ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء • والله اسال هداية للمرام • وعصمة يوم تزل الاقدام

بسم الله في كل مقام يبدى به متعلق بفعل نحوي بعينه فعل حتى يحسب المقام اذ هو الذي يتلوه في الوجود وتقديره موخرا اولى لاقتضا المقام اختصاصه بتقديم اسمه تعالى لانه اول في الوجود وادخل في التعظيم وادل على اختصاصه باي مقام يبدى به ه بجعله من بين الاسماء منفردا به لا يشاركه غيره منها فيه كاسم اللات والعزى فهو المقصور قصر صفة على موصوفها قصرا افرادا قطعا لشركتها اذ كان مشركوها يبدو باسمائها بمجرد الاهتمام ولا يرد اقرا باسم ربك لكونه مقام امر يجعل الفعل شروع باسم الله فتقديمه اعني فعل الامر بايجاد القراة هنا اهم لكونها اول سورة نزلت على ان في الكشاف فان معناه اقرا مفتتحا باسم ربك اي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرا فوجوب الابتدا بذكر الله لا بغيره حاصل وان قدم عليه فعل الامر اعني اقرا او يكون معناه مفتتحا باسم الله اقرا وكفى به شاهدا بان البسملة مامور بها في ابتدا كل قراة اذ هو امر بايجاد القراة مطلقا بدون تعلقه بمقرو دون مقرو فيكون مامورا بها في ابتداء هذه السورة ايضا هذا وما ذكر من وجوب تقديم الاسم انما هو عند عدم الداعي الى رعاية الاصل الذي هو تقديم العامل وكسرت الباء وان كان من حق الحروف المفردة الفتح للزومها الحرفية والجر ولتناسب حركتها عملها وحذفت الفها دون باسم ربك لكثرة الاستعمال وعوض عنها تطويل الباء كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على مظهر فرقا بينهما وبين لام الابتدا وقد وقعت التسمية قيدا للابتدا لا غير اي متلبسا ومتبركا باسم الله ابتدات والله اصله الاله من اسما الاجناس حذفت همزته وعوض عنها اللام وكان بلا حذفها قد وضع لكل معبود بحق او باطل ثم غلب على مفهوم كل هو المعبود بحق وهو بحذفها علم خاص لذات معين هو المعبود بالحق انه لم يستعمل في غيره تعالى ومن ثم كان لا اله الا الله كلمة توحيد اي لا معبود بحق الا ذلك الواحد الحق فهو من الاعلام الخاصة من حيث انه لم يستعمل به غيره ومن الاعلام الغالبة من حيث ان اصله الاله فالخصوص مما عرض له من حيث استعماله فيه دون غيره والا فمقتضى القياس صحة اطلاقه على المعبود بحق مطلقا كاصله الا انه كما مر لم يطلق الا على الواحد الحق ولم يستعمل بمعنى المفهوم الكلي فهو علم خاص من حيث الاستعمال وغالب من حيث الاستدلال فعلميته انتهت الى حد الاختصاص فخص بالمعبود الحق وغلبة اصله لم تنته اليه فمفهومه عام غلب على المعبود بحق

مطلقا كأصله الا انه كما مر لم يطلق الا على الواحد الحق ولم يختص به وقد اشار في
الكشاف الى كون غلبته الى حد العلمية وغلبة اصله لا الى احدها بتعريف الحق

(بالحذف)

وتنكيره بقوله واما الله فبالحذف مختص بالمعبود بالحق والإله غلب على المعبود
بحق لحكمه بالاختصاص انما هو عليه بالحذف في مقابلة اصله بلا حذف ودلالة
لقوله مختص بالمعبود بالحق على انه من الاعلام الخاصة بمعنى انه ليس من الاعلام
الغالبة يشهد به قوله في سورة ابرهيم ان لفظ الله اجري مجرى الاسماء الاعلام
لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي يحق له العبادة فكونه ماخوذا منه مشتقا من
الاله وغيره لا ينافي كونه علما ولا يقتضي كونه صفة اذ لم يوضع له تعالى بدون
ملاحظة خصوصية الذات فهو صفة كالمعبود ومن ثم قالوا الصفة ما دل
على معنى ذات باعتبار معنى هو المقصود او ما دل على ذات مبهم ومعنى معين
مع وجوب ذكر الموصوف معه لفظا او تقديرا لتعرف الذات وان وضع له
بدون ملاحظة ما فيه من المعاني كرجل وفرس ومع ملاحظة بعضها كالكتاب
للمكتوب والنبات للجسم النابت واسماء الزمان والمكان والالة فهو اسم وان
استدل على ان المقصود هو الذات والمعنى بان الاول يوصف ولا يوصف
به والثاني بعكسه فهو ايضا اسم كالاله فهو من قبيل الاول اذ قد ثبت
استعماله لاله واحد ولم يثبت شيء له **الرحمن** خاص لفظا ان لم يسم به غيره
تعالى وما شذ فلا يعتد به عام معنى اذ كان صفة بمعنى كثير الرحمة ثم غلب
على البالغ في الرحمة والانعام بجلائل النعم في الدنيا والاخرة فهو لوقوعه
صفة لا موصوفا ولكونه باعتبار المعنى دون الذات من الصفات الغالبة اذ

(تامات)

معنى الغلبة ان لا يكون الاسم عاما فيعرض له بحسب الاستعمال خصوص اما الى
حد العلمية فيصير علما كالنجم للثريا والصعق للكوكب لتعدد استعماله في غيرهما
ولا الى احدها فيصير اسما غالبا كالذات وصفة غالبة كالرحمن **الرحيم** عام لفظا
اذ قد يسمى به غير الله خاص معنى انه لا يرحم يوم القيامة الا المؤمنين اي ذوي
الرحمة ومن ثم كان الرحمن ابلغ منه لكون معناه كثير الرحمة جدا لان
زيادة البناء تفيد زيادة المعنى لانه قد يوخذ كما مر باعتبار الكمية فقال يا رحمن
الدنيا لانه يعم المومن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المومن او باعتبار الكيفية
فيقال يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام ه
والدنيوية جليلة وحقيرة ولا ينقض بحذر الابلغ منه حاذر لكونه اكثريا او لكونه
فيما اذا كان اللفظان المتلاقيان اشتقاقا متحدي النوع في المعنى كغرث وغرثان
وصد وصديان لا لحذر وحاذر لاختلافهما نوعا فيه ومنع صرفه انما هو بالرجوع
الى اصله وهو الحاقه باخواته فانها غير منصرفة اذ الاصل فعلان صفة من فعل

بالكسر

بالكسر هو عدم الصرف وان اجمل كان الاصل في مطلق الاسم الصرف
وليس منعه مع كون شرطه الذي هو وجود فعلى منتفيا باختصاصه بالله
شرط اختصاصه صرفه الذي هو وجود فعلانة كذلك منتف به فلا عبرة
بالغاء الشرط بهذا الاختصاص العارض لان معنى الاشتراط انه اذا اطلق
على مونث فان كان فعلى ففعلان غير منصرف او فعلانة فمنصرف وهنا لم
يطلق اصلا فلم يعلم ان مونثه فعلى ليمنع او فعلانة ليصرف فانتفى شرط المنع

(ق ه)

اعني وجود رحمى وشرط الصرف اعني وجود رحمانة لم يعتبرا فرجع الى الاصل الحاقا
له باخواته فيل وقد يقال لو اعتبرا لزم اجتماع الصرف وعدمه اذ الاعمال اولى
من الاهمال وكلاهما صفة مشبهة من رحم بجعله لازما بنقله الى باب فعل بضم
ثانيه اذ لا يشتق منه متعديا ذلك والرحمة عطف اي تعطف وشفقة وميل
روحاني لا جسماني وكلاهما تعالى في حقه محال فهي مجاز اما عن نفس الانعام فتكون
صفة فعل او عن ارادته فتكون صفة ذات واما تمثيل للغائب اعني تمكنه تعالى
من الانعام بالشاهد اعني تمكن الملك من ملكه فتفرض حالة له تعالى على سبيل التمكن
منه بحالة ملك عطف على رعيته ورق لهم فغمرهم معروفه فاطلقت عليه تعالى واريد

(غايتها)

غايتها التي هي فعل او ارادة لا مبدؤها الذي هو انفعال فهو استعارة تمثيلية
هنا وقد حصل الحمد قيدا لابتداء الا انه لبيان حال منه كما حصل التسمية كذلك
فكأنه قال ابتدأت ملتبسا ومتبركا بسم الله و**الحمد لله** تسوية بينهما
في الوجود والابتداء بهما رعاية للمناسبة بينهما فقد ورد كل امر ذي بال

(تبدأ)

لا يبدأ فيه بسم الله فهو ابتر وفي رواية بحمد الله فهو اجذم وقدمها عليه علا
بالكتاب وبالاجماع فوقع الابتداء بها حقيقة وبه بالنسبة الى ما بعده اذ الا
امر عرفي يعتبر ممتدا من الاخذ في التاليف الى الشروع في المقصود فلا

(بهما)

تعارض بين خبريهما واصله النصب لانه من مصادر شاع استعمالها
منصوبة باضمار افعالها وعدل الى رفعه كما في سلام عليكم للدلالة على دوام
وثباتها فالنائب عن الفعل انما هو المصدر النكرة ولامه كما في الكشاف
للاشارة الى معنى الحمد وتعيين ماهيته واللام انما تفيد التعريف اي التعيين
والاشارة فلا احاطة ولا شمول بمعنى الاستغراق وقد يفيده المصدر المعرف
الواقع موقع النائب عنه بان يكون تعريفه لها لزيادة معنى والاستغراق
لشهادة ما في الكشاف من انها للاشارة الى الجنس مع خلو الفعل عن ذلك
يكون لها للتعريف اي التعيين والاشارة لا ثاني القصد بها الى تلك الزيادة
ثم هي ان اشير بها الى نفس المسمى فلام الجنس او الى حصة منه فلام العهد ومثله
علم الشخص والاول ان قصد به الماهية من حيث هي كالانسان حيوان ناطق

والرجل خير من المراة فلام الحقيقة والطبيعة ومثله علم الجنس كاسامة او الماهية من حيث وجودها في ضمن الافراد فان وجدت قرينة البعضية كما في واخاف ان ياكله الذئب فلام العهد الذهني ومثله النكرة في الاثبات فدوها والمجرد عنها بالنظر الى القرينة سواء ومن ثم قالوا ان المعنى كالنكرة اما بالنظر الى مدلول اللفظ فلا استواء لما في المعرف من اعتبار الاشارة والحضور ذهنا بخلاف المنكر ولا يلزم من عدم اعتبار ذلك فيه خلوه عنه وان لم توجد قرينة البعضية ففي المقام الخطابي يحمل على الاستغراق حذرا من ترجيح احد متساويين بلا مرجح ومثله لفظة كل مضافة الى النكرة وفي الاستدلالي يحمل على الاقل لانه المتيقن وهو لغة الوصف بالجميل الاختياري ذاتا او بواسطة ليدخل وصفه تعالى بصفاته فان ذاتها اختيارية وهو من شعب المدح اذ قد لا يكون بالاختياري تقول مدحته على صباحة خده ورشاقة قده ولا تقول حمدته فهو اعم منه والوصف انما يكون باللسان فمورده خاص ثم ان كان بازاء نعمة او غيرها فمتعلقه عام والشكر عكسه اذ هو لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر فعلا او قولا او نية بان يذيب جوارحه في طاعته او يثني عليه بلسانه او يعتقد انه ذو النعمة فهو اعم منها من حيث مورده واخص من حيث متعلقه وربما اجتمعا في ثناء باللسان بازاء نعمة والحمد عرفا فعل يشعر بتعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره والشكر عرفا صرف العبد جميع ما انعم الله عليه من سمع وبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله فبينهما عرفا عموم وخصوص مطلق كما بين الشكر لغة وعرفا وكما بينه عرفا والحمد لغة وبين حمديهما عموم وخصوص من وجه **المنفرد باسماء الاسماء** من السمو اي العلو لانه تنويه ورفعة للمسمى وشعار له اي الذي استاثر وانفرد باسماء الاعلا المنزه عن ان يسمى به غيره ولا يشاركه فيه كما انفرد في الهيته باتصافه بصفات لم يشاركه فيها غيره واستحق ان يكون منفردا وتسمى خواص الهيته كالايجاد من العدم وتدبير العالم والغنى المطلق فهو تعالى متصف بانه فرد بدون موجب ومؤثر هذا ويحتمل ان يريد باسماء الاسماء لفظ الله فقط لدلالته على ذاته تعالى بدون اعتبار معنى زائد ثم به او اسم الاعظم ان كان هو الحي القيوم او ذو الجلال والاكرام او الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت فانه اشرف اسمائه وارفعها او جميع اسمائه المختصة به تعالى علما افادته اضافته المفرد من العموم لدلالتها على اشرف المعاني وهو تعالى متصف بها ومسمى بالاسماء حقيقة وفي اطلاق واطلاق المنفرد عليه تعالى مع كون اسمائه توقيفية وعدم ورود سمع به وان ورد اصله اعني الفرد جار على قول القاضي والامام بجواز اطلاق لفظ ما يصح وصفه

اسمه تعالى الاعظم

تعالى به وان لم يرد به سمع ولم يوهم نقصا وتوقف الامام كالغزالي بخلاف الاشعري فان في وضع ما لم يرد به توقيف له تعالى نوع تصرف ولا كذلك وصفه تعالى بما معناه ثابت له وفي نسخة المتفرد بالفاء فوقية وراء مشددة اي المتوحد يجري فيه ما ذكر في المنفرد ولا صرح بجمعهما في المعنى اورده رعاية للمقام اذ هو مقام يحسن فيه الاطناب ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لمن قال بحضرته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بئس الخطيب انت حيث اوجز في مقام الاطناب بجمعهما ثانيا في ضمير واحد وكان اللائق ابرازهما كالاول لاقتضاء المقام ذلك اي الذي تفرد **بالملك** يشهد له تقديم الظرف في له الملك وله الحمد لافادته باختصاصه تعالى بهما لانه المبدي لكل شيء والقائم به ومنه اصول النعم وفروعها فالملك في الحقيقة له وكذا الحمد واما ملك غيره فتسليط منه تعالى واسترعاء له واما حمد غيره فباذنه لجري نعمته تعالى على يده فهو المستحق فيه حقيقة بالاستيلاء **الاعز** من عز اذا غلب اي الاقوى البالغ في العزة والمنع ما لا يدرك ولا يرام لقوة سلطانه ونفاذ حكمه بواضح برهانه اذ هو القاهر فوق عباده اي الغالب المقتدر الذي لا يغلب على ملكه **الاحمى** من حماه اي منعه ودفع عنه فهو حمى اي محظور لا يقرب اي الامنع الذي لا يعتري سرادق عزه تغلب فهو منيع لا تستباح وحصين لا يرتاح وفي الحديث لا حمى الا لله ولرسوله ومن ثم منع الشافعي ان يحمي احد لنفسه سواه صلى الله عليه وسلم **الذي ليس دونه** اي ليس قريب منه **منتهى** ينتهي اليه من اراد منه قربا اي ليس في جهة وحيز ومسافة وامتداد ولو كان سبحانه في جهة ومسافة لكان بالضرورة للقرب منه منتهى لكن ليس له تعالى منه منتهى فليس في جهة فهو من قبيل نفي الملزوم بنفي لازمه فدون هنا متضمنة لمعنى القرب **ولا وراءه مرمى** مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم ليس وراء الله مرمى فاليه انتهت العقول ووقفت فليس وراء معرفته والايمان به غاية يكون مطمح بصر احد او مطمح نظره فاستعار الغاية الرؤية اسم المرمى الذي هو في الاصل منتهى السهم من الغرض استعارة تحقيقية بجامع ان كلا منهما منتهى ويوخذ منه تشبيه البصر بالسهم لذلك بجامع ان كلا ينفذ الى غاية **الظا** بوجوده لكثرة دلائله واياته المبثوثة في الافاق والانفس مما تدركه البصائر والابصار وتشاهد منه اسرارا تنطق بها نطاق الاظهار المرشدة الى ان من كان هذا من اياته ودلائله اعلى اتصافه بكمالاته تجدر ان يكون جامعا لجهات الظهور لا يعتريه غير خفاء او انه تعالى ظاهر ظهورا معنويا يعرفه كل احد بصفاته وتصرفه في مصنوعاته الشاهدة بانها حادثة وكل حادث لا بد له من محدث في نفسه ظاهر **لا تخيلا** بالقوة الخيالية الحافظة لما يرتسم في الحس المشترك من صور

المحسوسات ولا وهمًا بالقوة الوهمية المدركة للجزئيات وصفه عن ان يتول
توهما ليطابق تخيلا مراعاة للفواصل او ردهما على طريقة الاحتراس البديعي دفعا
لما عسى يتوهم من كونه تعالى ظاهرا انه يدرك بهما تعالى مع كونه ظاهرا لا يتخيل ولا
يتوهم الباطن حقيقة ذاته لاستحالة ادراكها تقدسا تمييز او تعليل لكونه باطنا
اي تنزها وبعدا عن ان يكتنه حقيقة ذاته فهم او يدركها وهم اذ الادراك هو
الاحاطة بجوانب المرئي وحدوده وذلك تعالى عليه محال وان كان مرئيا في الاخرة
لكن بلا احاطة ومقابلة اذ لا يحاط به علما تعاليا وتقدسا لا عدما بضم اوله
وسكون ثانيه لغة في العدم وذا احترازا عما عسى يتوهم من ان كونه باطنا
يقتضي عدمه او عدم العلم به اذ قد ثبت بالبرهان القاطع قدمه فامتنع عدمه
هذا ونفي الاحاطة بحقيقته تعالى لا يقتضي نفي العلم به وقد وهم من زعم انه تعالى
لو ظهر للعيون لزم محذورات كثيرة تعالى عنها كالمقابلة والتحيز وانطباع الجرم
الكبير في الجرم الصغير مما هو من شروط الرؤية ولواحق الاجسام فضلا عن
كونه من تمسكات المعتزلة في منعهم رؤيته تعالى في الاخرة ومن انه لا مانع من ان
يرى سبحانه لا في حيز ومقابلة ولا يتاثر بحاسة اذ الرؤية عندنا امر يخلقه الله
في الحي غير مشروط بضوء ومقابلة ونحوهما مما يشترطه فيها المعتزلة كالفلاسفة
وقد راعى هنا جانب الطباق بين لفظي الظاهر والباطن تزيينا للكلام وسع كل
شيء رحمة وعلما تمييزان محولان عن كونهما فاعلين للاغراق في وصفه تعالى بالرحمة
والعلم مع المبالغة في عمومهما كثيرا ما يحول عن المفعول كما في وفجرنا الارض عيونا
اي فجرنا عيونها فحول عنه مبالغة وتمثيلا لكثرة عيونها فكانها كلها عيون
وقدم الرحمة لانها المقصود بالذات اي وسعت رحمته وعلمه كل شيء على
حسب حاله بمعنى عماه وشملاه اذ لا تناهيان تعلقا بمعنى ثبات لا تناهي
في تعلقهما بالفعل ولا ذاتا بمعنى سلب التناهي عنهما وقد شبههما بمكان رحب
على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لهما السعة تخييلا او شبه شمولهما كل شيء
بسعة الظرف لمظروفه متمكنا فيه ثم اشتق منها وسع كما شبه تمكن المصلوب
بالجذع في ولاصلبنكم في جذوع النخل بتمكن المظروف بالظرف فاستعير له في
الظرفية فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل والحرف تبعية وهذا
وارد على وتيرة الاقتباس من قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وهو
ان يضمن الكلام شيئا من القران او الحديث على وجه لا يكون فيه اشعار بانه
منه واسبغ على اوليائه اي اتم لهم نعما وافية لتكون وصلة للفوز في الدنيا
بتزكية انفسهم عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق المرضية وتزيين ابدانهم بالهيات
المطبوعة والحلى الحسنة وفي الاخرة بمغفرة ما فرط والرضى والتبوء مع الملا الاعلى

هذا

هذا هو المراد هنا وما عدا ذلك كنفخ الروح واشراقه بالعقل مع الفهم والفكر
والنطق وكخلق البدن وقواه مع ما يعرض له من كمال وصحة فالمؤمن والكافر
فيه سواء والنعم جمع نعمة بمعنى انعام لانه ابلغ في الوصف من النعمة والانعام
ايصالها وهي في الاصل حالة يستلذ بها الانسان فاطلقت على ما يلتذ به
من نعمة عما بضم اوله وتشديد ثانيه جمع عميمة بمعنى عامة اي شاملة تامة
بالهداية والتوفيق في تصدير هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ما
قبلها مع ان اجراء الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعر بينها بالجمع تلويح بزيادة
جمعية وارتباط وهو معنى المعية فيعتبران بالنسبة الى المتعلق اعني اولياءه
وانه يسبغ عليهم نعمه المعية صونا للكلمة عن الالغاء اذ مجرد كونه مسبغا حاصل
من مجرد الاجراء او بنوع مغايرة زائدة على مجرد التعاقب ليست في الموصوف
فيعتبر في التعلق اي هو تعالى سابغ نعمه على من يشاء من اوليائه وبعث فيهم اي ارسل
في المؤمنين اذ هم المراد بالاولياء فيما مر بشهادة لقد من الله على المؤمنين اذ
بعث فيهم رسولا من انفسهم اي منهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه وليسهل
اخذ ما يجب عليهم عنه ويكونوا واقفين في احواله في الصدق والامانة
وذلك اقرب لهم الى تصديقه ومفتخرين به لكونه منهم انفسهم بفتح الفاء
منصوب بصفة رسولا اي اشرفهم وفصل بينهما بما قبله لتردد الصفات
متناسقة معطوفا بعضها على بعض على نهج واحد ويجوز رفعه على انه خبر
مبتدا محذوف واي هو انفسهم من نفس بالضم صار مرغوبا فيه لشرفه
وفضله وفي الحديث اي الرقاب افضل قال انفسها عند الله فهو صلى الله عليه
وسلم اشرف بني هاشم اشرف قريش اشرف بني كنانة اشرف بني اسماعيل
اشرف العرب اشرف الناس عربا وعجما بضم اولهما وسكون ثانيهما لغة
في العرب والعجم وهما حالان لا من ضمير انفسهم قررا بيانا لنوعي
المنفوسين وازكاهم اي اطهرهم ومنمى بفتح الميم وسكون النون اي نموه
وفي مزيل الخفا انه مصدر بمعنى النمو اي الزيادة وليس مرادا هنا اذ المراد
بهما مكة فان للامكنة مدخلا في شرف الاخلاق وطهارتها وكرم الاوصاف
وسماتها وحسن الافعال ونجابتها وهي ازكى البلاد واكرمها عند الله
واحبها الى الله والى رسوله بشهادة حديث ما اطيبك من بلد واحبك الي
انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله وهما تمييزان محولان عن كونهما فاعلين
اي محتده ومنماه ازكى وارجحهم عقلا وحلما تمييزان محولان عن اصلهما مبالغة في
وصفه صلى الله عليه وسلم بالعقل والحلم وهو ملكة تحمل على الصفح عن
العثرات والعفو عن الزلات وقد فسر بالاناة وفي قوله صلى الله عليه وسلم

لاشج عبد القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة اشعارا
بتغايرهما **واوفرهم علما** اي ازيدهم يقينا بمعلوماته لمشاهدته اياها
بحيث لا يغيب عنه منها شيء وهذا يسمى عقلا مستفادا من العقل المفيض
للمعلومات على النفس في عالمنا هذا واللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم
ان يفسر بان تصير النفس مشاهدة لجميعها دفعة واحدة مستمرة لا
يغيب عنها شيء منها لصفاء باطنه وتجرده عن جلباب البدن وعلايقه ٥
وهذا هو الغاية القصوى في الكمال العلمية لانه تعالى كمله صلى الله عليه
وسلم وبرأه عن العلائق البشرية واطلعه على اسرار الملكوت واما غيره
فهو انما يرتقي من الضروريات الى استحضار النظريات متى اراد بلا تجشم كسب
جديد بعد اكتسابه منها ويسمى عقلا بالفعل لان النظريات وان كانت خزينة
بالقوة فهي قريبة من الفعل جدا فكانها حاصلة لها بالفعل **واوفرهم فهما**
اي ادراكا لما خصه الله به من كرم الذكي وشرف الفطنة **ومن ثم** كان صلى الله عليه
وسلم **اقواهم يقينا وعزما** بصميم راي وقوة ثبات على شدايد الامور وبما
مما يقتضيه حمل اعباء النبوة وتلقي الوحي وتبليغه اياه ودعوى الخلق الى الحق
مع تثبيته بالعصمة وتاييده بالحكمة ويقينا وعزما كعلما وفهما وردت
تمييزة للنسبة فيما قبلها **واشدهم** اي اقواهم **لهم رافة ورحما** بضم
الراء اي رحمة وعطفا اي ميلا ورحا تسبب عنه الانعام وقد كان
صلى الله عليه وسلم من الرحمة بقومه في مجاهدته لنفسه ومبالغته في ان يومنوا
كلهم حدرا من توليهم عن الايمان حتى عتبه الله بقوله فلعلك باخع نفسك الا
يكونوا مؤمنين اي اشفق عليها ان تقتلها حسرة وحزنا خيفة ان لا يومنوا
فشبهه لما ياخذه من الوجد لعدم ايمانهم على طريقة الاستعارة المكنية
من فارقته احبته وبادت عنه اعزته فهو يتحسر عليهم وجدا وبخعا ان
لا يكونوا بقربه ويهتدون بهديه واثبت له البخع تخييلا وتقدم الابلغ من
مميزي نسبة اشد اذ هو اشد الرحمة محافظة على الفواصل **زكاه روحا**
وجسما مميزان محولان عن كونهما مفعولين اي طهر روحه وجسمه وفي الصحيح
ان جبريل شق قلبه وغسله بماء زمزم واخرج منه علقة سوداء وقال هذا
حظ الشيطان منك فكانها والله اعلم محل قبول وسوسته وفي غسله كما قال
البلقيني بماء زمزم دون ماء الجنة اشعار بانه افضل منه ولك ان تقول ماء
الجنة افضل لقوله صلى الله عليه وسلم لقاب قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا
وما فيها وانما غسل به دون مائها لكونه قد الفه ونشا عليه حرم اسماعيل عليه
السلام اذ هو اوله ما نبع بمكة لاجله وايراد هذه الفقرة بلا عاطف دون ما قبلها

بكال

بكمال انقطاع بينهما لاختلافهما ثبوتا وسلبا اذ ما قبلها مؤذن بصفات
ثبوتية له صلى الله عليه وسلم وهذه منزهة له عما لا يليق بجنابه **وحاشاه عيبا**
ووصما اي هو منزه عنهما اذ المحاشاة التنزيه ونصبهما بنزع الخافض او على
التمييز والوصم العيب والعار فعطفه عليه عطف تفسير كما في فالفى قولها
كذبا ومينا اي كررتا للتوكيد مع ان المقام مقام تنزيه ومدح **واتاه** بالمد اي
اعطاه **حكمة** اي نبوة او تحقيق العلم بالمعلومات كما هي واتقان العمل بالامور على
ما ينبغي واطلاقها على الشرايع وكل كلام وافق الحق اي الثابت في نفسه لاشتمالها
عليها **وحكما** لفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل بحيث يعتمده كل احد ولا يلتبس
عليه **وفتح به** صلى الله عليه وسلم **اعينا عميا** لا تبصر بنور هدايته ولا يستضيء
بضيائه بتوفيق لتنبيهم به سطوع الحجج والآيات فعرفوا ان دينه هو الحق وقوله هو
الصدق فاستجابوا له ودخلوا في دينه فوجا **وفتح به قلوبا غلفا** كالاغشية
غلافا فلا تعي رشادا ولا يصل اليها هدى مستعار من الاغلف وهو من لم يختتن
وفتح به اذانا صما كانها ثقلا لا تسمع مع انه لا عمى ولا غلف ولا صمم فاطلاق
ذلك عليها مع كونها سليمة مجاز علاقته المشابهة تشبيها لها باعين وقلوب
واذن مسا عرها على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها العمى والغلف
والصمم تخييلا فجاءهم بواضح الآيات وباهر المعجزات فانجلت ابصارهم ووعت
قلوبهم وقبلت اسماعهم **فامن به** اي صدقه فيما جاء به **وعزره** بزاي فراء اي
عظمه ووقره او منعه من عدوه اذ اصل العزر المنع ومنه التعزير لانه كالحد
يمنع من معاودة القبيح **ونصره** اي اعانه على اعدائه **من جعل الله له في مغنم**
السعادة من اضافة المشبه الى المشبه به كما في لجين الماء من التشبيه المؤكد اي جعل له في السعادة
التي هي الجنة في نفسها وحصول الفوز بها كالمغنم اي الغنيمة **قسما** اي نصيبا
نفيسا **وكذب به** اي كفر به بشهادة الباء وذكره في مقابلة آمن به وان كان
نوعا من الكفر الذي هو عدم الايمان عما من شانه لانه اعم منه لشموله الكفر الخالي
عن التصديق والتكذيب ممن جاء في حقه فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون ومن ثم عرفه الباقلاني بالجحد مريدا بالجحد في شيء مما علم قطعا انه
من احكامه وهو احسن من تعريفه بعدم تصديقه او تكذيبه لشمول الكفر
بالله بدون توسط نبي ككفر ابليس **وصدف** اي اعرض **عن آياته** التي جاءت
من كتب الله عليه الشقاوة **حتما** اي
شاهد له بالرسالة واعظمها القرآن
واجبا كاينا وهو في الاصل مصدر حتم الامر بمعنى وجب ثم استعمل بمعنى محتوم وقد
اعاد ضمير عليه حتما وضمير له فيما مر على لفظ من كما في ومنهم من ينظر اليك وقد
يعود على معناه كما في ومنهم من يستمعون اليك **ومن كان في هذه** الدنيا **اعمى** البصيرة

لا يهتدي الى رشد **فهو في الآخرة اعمى** واضل سبيلا لا يرى طريق النجاة وقد
ضمن كلامه هذه الآية اقتباسا من غير استعداد لها من القرآن اذ هو شرطه و
وشبه فيها من ليس فيه في الدنيا فلاح ولا ينهج في الآخرة طريق نجاح على طريق
الاستعارة المكنية بمن لا يبصر لعشا دخاسته بصره شبيها له بالعمى تخييلا وشبه
فيها على طريق التمثيل حالة البصر بحال شي خلق للانتفاع به مع المنع منه بفساد
نجاسته ثم استعمل اللفظ الدال على المشبه به في المشبه بجامع عدم الانتفاع
بما خلق له بناء على مانع عارض يلزمه فهو امر عقلي مركب من امور على ما هو شان
التمثيل قيل والثاني اشعر تفضيل من عمي كاجهل وابله يشهد له عطف واضل سبيلا
عليه ومن ثم لم يمله ابو عمرو لان تمامه استعمالا بمن فصار بالفه في حكم
المتوسطة فلم تقبل امالة بخلاف الاول فان الفه وقعت طرفا فقبلتها فعلى هذا
قد شبه فيها عدم اجتلاء البصر الآيات والادلة بعدم البصر عماه من شانه
بجامع الاشتمال على انتفاء القبول لما نع ثم استعمل لفظ المشبه به في المشبه و
واشتق منه اسم التفضيل اعني اعمى فتكون الاستعارة فيه تبعية وفي عدم
البصر اصلية **صلى الله عليه** هو كالحمد لله جملة خبرية لفظا انشائية معنى
او خبرية لفظا ومعنى نشئ بهما الصلاة والحمد وردت هنا بصيغة
الماضي رجاء تحقق حصول المسئول اعني الرحمة عليه المامور بها في يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه وسلموا اي ادعوا له بها ولما كان اجل ما يتصف به
من النعم دين الاسلام وكان بواسطته صلى الله عليه وسلم جعل الدعاء له
تلو الثناء على الله ولم يعطف هذه الجملة الدعائية على ما قبلها لانقطاع بينهما
باختلافهما ثناء ودعاء ولا يعزب عنك ان الآية حاكمة بوجوب الصلاة
والسلام عليه كلما ذكر واستوضح حديث من ذكرت عنده فلم يصل علي
فدخل النار فابعده الله وحديث رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي
بجره مشعرا به وبه قال الحليمي من الشافعية والطحاوي من الحنفية واللخمي
من المالكية وابن بطة من الحنابلة **صلاة تنمو** اي تزيد متضاعفة اذ النماء
الزيادة وهي هنا مجاز عنها في اقطار الجسم على تناسب طبيعي ومراده بذلك
تكريرها تكثيرا لها عليه وفي نسخة تنمي وهي اللغة الكثيرة قال الجوهري نمى المال
ينمي وربما قالوا ينمو وعن الكسائي لم اسمعه بالواو الا من اخوين من بني سليم
ثم سالت بني سليم فلم يعرفوه **وتنمي** اي ترفع الى الله فيضاعفها اضعافا كثيرة
اذ هي مما يرفع الى الله من الكلم الطيب **وعلى آله وسلم تسليما** هم مؤمنوا بني
هاشم والمطلب ابني عبد مناف نبه به على قسمه صلى الله عليه وسلم بينهم
سهم ذوي القربى اعني خمس الخمس دون بني عميهم عبد شمس ونوفل فقال

له

له عثمان بن عفان وجبير بن مطعم لم خصصتهم به دوننا فقال نحن
وبنو المطلب شيء واحد لم تفترق جاهلية ولا اسلاما واصل آل اهل ابدلت الهاء
همزة والهمزة الفا واختص استعماله بذي الشرف والخطر واضافته الى
المضمر كما هنا جائزة وقيل هم كل مؤمن تقي وفي نسخة وصحبه فيكون من عطف العام
على الخاص لتشمل الصلاة باقيهم وعلى الثاني العطف لزيادة الشرف والفضل
اما بعد ظرف زماني غاي قطع عن مضاف اليه منوي فبني على الضم وعامله
اما لنيابتها عن فعل الشرط والاصل مهما يكن من شيء بعد ما ذكر فوقعت اما موقع
اسم هو مبتدا اعني مهما وفعل هو شرط اعني يكن متعلقا باعم الالفاظ وهو
شيء وتضمنت معناهما فلتضمنها معنى الابتداء لزمها لصوق الاسم اللازم
للمبتدا ولتضمنها معنى الشرط لزمتها الفاء اللازمة له غالبا اقامة للازم
اعني الاسم والفاء مقام ملزومه اعني مهما ويكن وابقاء لاثره في الجملة ولهذا
مزيد بيان ذكرته في شرح المنفرجة واصل مهما ما الشرطية وما المزيدة
لتاكيد الجزاء في نحو متى واينما فما ندهبن بك فقلبت الفها هاء استثقالا
للتكرير وبعد يؤتى بها للانتقال من اسلوب الى آخر ويسمى اقتضابا ومنه هنا
ذكروا ان للطاغين لشر مآب وقد يذكر الجنس كهذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب
ومثله التخلص الى المدح واحسنه ما كان في بيت واحد والمتنبي ابو عذره
ومنه قوله في سيف الدولة بن حمدان •
• نودعهم والبين فينا كانه • قنا ابن ابي الهيجاء في قلب فيلق •
ولي من بديعية مدحته لها صلى الله عليه وسلم بها ضمنتها انواع البديع نوريا
باسمائها • راعي النظير طوى لنشر الفلا عجلا • بغى التخلص للمختار ذي الكرم •
اشرق الله قلبي وقلبك بنور اليقين اي شرحه وملأه باليقين الذي
هو لوضوحه وخلوصه من شوائب الاوهام وبه استيفاء المعارف وتحقق
اللطائف كالنور الثاقب لظلمة الجهل لقوة تلالؤه فهو من التشبيه المؤكد
او شبهه بمصباح مضيء استعارة مكنية ثم اثبت له النور تخييلا **ولطف**
وبك اي وفقنا وعصمنا بخلق قدرة الطاعة فينا او رفق بنا وهو من اسمائه
اللطيف اي الرفيق في افعاله والعالم بدقائق المصالح وايصالها لمن اراد من
لطف بالفتح اي دق واما بالضم فمعناه دق وصغر **بما لطف به لاوليائه**
المتقين جمع متق من وقاه اي حفظه فاتقى اصله اوتقى قلبت واوه ياء لكسر
ما قبلها ثم ابدلت تاء وادغمت في التاء والوقي به قرطا الصيانة وهو شرعا من
يقي نفسه من العذاب ببراءته من الشرك والزمهم كلمة التقوى اي وتجنبه كل ما يوجبه
من فعل او ترك ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات او بنتن هم عما

يشغل سترة عن الحق وتجلد له تجنبا وهو التقى الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله
حق تقاته وقد يعدى لطف اولا باللام كما في ان ربي لطيف لما يشاء وتارة بالباء كما
في الله لطيف بعباده **الذين شرفهم بنزل** حضيرة **قدسه** وهي الجنة اذ يقال
لها حضيرة القدس لنزاهتها عن كدورات الدنيا وثانيا لاضافتها تشريفه
ويجوز ان يريد به ما هيئ لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل اهل الجنة
زيادة كبد الحوت واما هو في ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون
تلويحا بان ما يتمنونه بدعائهم بالنسبة الى ما يعطونه مما لا يخطر ببالهم كالنزل
للضيف **واوحشهم** اي جعلهم ذوي وحشة غير آنسين باحد **من الخليقة** فعيلة
من الخلق بمعنى مخلوقة وآنسهم **بانسه** في امن حريمه وحرز عزه وظل كنفه فهم به
آنسون ومن غيره آيسون **وخصهم من معرفته** بصفاته لامتناع معرفة كنه ذاته
وخصهم من مشاهدة عجائب ملكوته من الملك وتاؤه للمبالغة **وآثار قدرته**
المشاهدة بآثارها في معرض الاتقان محكمة كتصوير الاجنة في الارحام كيف شاء
واخراجها من منافذ ضيقة وخلق السموات ورفعها بغير عمد ووضع كواكبها مختلفة
اشكالا واوضاعا وحركات مما يشهد بكمال قدرته ونفاذ امره وتفرده بالالهية **ما**
ملا قلوبهم حبرة اي سرورا ظهر حبره اي اثره على وجوههم فكساها بهاء وجمالا
وفي الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره بكسرهما وقد يفتحان
اي بهاؤه وجماله قال تعالى فهم في روضة يحبرون اي يسرون وينعمون بانواع المسار
وولّه عقولهم تدبرها وتفكرها **في عظمته حيرة** بان جعل عقولهم ذوات تحير
ودهش مما ادهشها من هيبة جلاله وبهاء جماله وحبرة وحيرة تجنيس تصحيف
فجعلوا همهم به واحدا في تمييز حقوق الهيبة ووظائف عبوديته لا يشغلهم عنه
مال ولا بنون **ولم يروا** اي يعتقدوا ان **في الدارين** الدنيا والاخرة **غيره** يلجأ اليه
ويعول في الملمات عليه **فهم بمشاهدة** آثار قدرته المشاهدة باتصافه بصفات
كماله في ذاته وصفاته وافعاله **وجلاله** اي عظمته **يتنعمون** ويتلذذون فعلى ما
قدرنا تكون المشاهدة بصرية ويجوز ان تكون قلبية فهم بدركهما يتبهجون **وبين**
آثار قدرته علويات وسفليات متقنة ملجئة بانه تعالى غني مطلقا **وبين عجائب**
عظمته من واجبيته وكبريائه ووجوب وقوة سلطانه ونفاذ تصرفه **يترددون**
متحيرين فيها اذ التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المطمئن او يترددون المفكر
فيها وان عجزوا عن ادراك حقيقتها **وبالانقطاع اليه والتوكل عليه يتعززون**
اما من عز يعز بالكسر اذا صار عزيزا ضد الذليل لعزا وبعز بالفتح اذا اشتد
وقوي ومن اسمائه العزيز اي القوي الغالب وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم
لعائشة هل تدرين لم رفع قومك باب الكعبة قالت لا قال تعززا ان لا يدخلها الا

من ارادوا اي تكبرا وتشددا على الناس فهم به تعالى اعزة لا يحتاجون لغيره **فخير**
حال من ضمير يتعززون اي ناطقين **بتصادق قوله** اي بقوله الصادق **قل الله**
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون مقتبس من قوله تعالى لزاما لليهود او لقريش
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى الى
قل الله اي قل انزله الله ثم اتركهم في اباطيلهم **يلعبون** حال من ضمير ذرهم او
من ضمير خوضهم اراد به هنا انه لا احد يانسون به وينقطعون اليه ويعتمدون
عليه سواه وتشبيه لنا وضهم في اكاذيبهم في الآية بالخوض في الماء استعارة
تحقيقية قرنت بما يلائم المشبه وهو اللعب تجريدا واليه وعليه جار مصابيح
لتقاربهما فيما المختلفين مخرجا ثم الاختلاف اما في الاول كما هنا وفي طامس
ودامس او الوسط كينهون وينأون او الاخر كالخيل بنواصيها الخير **فانك**
جواب لما وما قبلها اعتراض للتنبيه على اولياء الله وعلى ما منحهم من كريم فضله و
ومزيد بره وحق هدايته ولله دره ولمن سأله تاليف هذا الكتاب قوله **كررت**
على السؤال في تأليف **مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى** اي المختار
المستصفى من الصفوة اي خالصة الشيء وهو صلى الله عليه وسلم صفوة الله من
خلقه نسبا ذاتا ففي حديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى
قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفي
الترمذي ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم
فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيرهم
نفسا وخيرهم بيتا **ويتضمن** بيان **ما يجب له** صلى الله عليه وسلم **من توقير** اي
تعظيم **واكرام** ويتضمن بيان **ما حكم من لم يوف واجب تعظيم ذلك القدر**
اي واجب ذلك القدر التعظيم فالاضافة بيانية **او ما حكم من قصر في حق**
منصبه الشريف وقدره المنيف **قلامة ظفر** مثل يضرب للشيء الحقير يقال
هو احقر من قلامة وهي ما يسقط من الظفر وهذا وان شمله ما قبله فقد ورد
مبالغة في الحث على اجتناب التقصير في حقه صلى الله عليه وسلم ولو اقل ما يكون **وان**
اجمع لذلك ما لاسلافنا وائمتنا في ذلك من مقال تخصيص بعد تعميم فزمانه
فيه اما من مقال اسلافه المالكية وائمته الاعلام منهم او اسلافه مطلقا
وائمته المالكية **وابينه** اي المقال **بتنزيل صور** ايضاحا للمعنى وايصالا له الى الذهن
بمعرضها **ونضرب امثالها** لكشف المعنى الممثل له برفع الحجاب عنه وابرازه
في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويوافقه عليه اذ
المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة الوهم له اذ من طبعه الميل الى
الحس وحب المحاكاة **اعلم** خطاب لكل من يتأتى توجيهه اليه سد مسد مفعو

مقتبس من قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مع ما منحه من جزيل المكارم وجميل الكرائم
يشهد له بما وصفته به خديجة من اصول المكارم مما نبّه الله به انك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق **وما بان** اي ظهر
الله به ويتخذ دينا **من حقه** صلى الله عليه وسلم **الذي هو ادى الحقوق بيستيقن**
متعلق بتعريف وعلة لحمد وفاي عرفت قدره ليستيقن **الذين اوتوا الكتاب** نبوته
وما اعطي مما لا يخطر ببال **ويزداد** بذلك **الذين امنوا ايمانا** اي ومن اجل **ما اخذ الله**
من الميثاق **على الذين اوتوا الكتاب** وهم العلماء **ليبيننه للناس ولا يكتمونه** اقتباس حسن
اورده في كلامه من غير اشعار بانه قران وكفى به شاهدا على ايجاب بيان الحق على العلماء
ولا يكتمون منه شيئا مع ما اسنده ابي داود وحسنه الترمذي وصححه الحاكم **من سئل
علما فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة** والمراد العلم الشرعي يشهد له حديث ابن
ماجة من كتم علما مما ينفع الله به الناس في الدين الجمه الله بلجام من نار لكن ظاهرهما
عام في كل علم شرعيا او غيره يشهد له وروده علم نكرة في حيز شرط وخصه كثيرون كالحليمي
بالشرعي كعلم العقائد الحقة والحديث والقرآن والفقه واصوله ومقدماته كالبيان
والنحو لا الفلسفي كالالهي والرياضي والمنطق الا ان يراد بمعرفته الرد على اصحابه
ودفع شبههم وشرهم عن الشريعة وقد عد المنطق من الشرعي لكونه من مواد
الاصول وكون الاحكام الشرعية لا بد من اثباتها او نفيها تصورا او تصديقا ولا
كافل لبيان التصور والتصديق غيره فوجب كونه شرعيا اذ المراد بالشرعي ما اخذ
من الشرع او توقف هو عليه توقف وجود كعلم الكلام او كمال كعلم النحو والمنطق
والحديثان يؤذنان بالحث على تعلم العلم وتعليمه والارشاد به وتحريم كتمه هذا وقد شبه
فيهما ما جعل من النار في فم الكاتم تشبيها بليغا يشهد له بيان كونه من نار وهو الذي
اخرجه من باب الاستعارة والنمري في سنده اوله ما بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر
ميمه هو ابو قبيلة وانما فتحت في النسبة تفاديا من توالي كسرتين مع ياء النسبة فيما فاؤه
مفتوحة او مضمومة او مكسورة كنمر ودئل وابل فيقال نمري ودؤلي وابلي بفتح الميم
والواو والباء **فبادرت** من المبادرة وهي الاسراع والفاء سببية اي بسبب ما رجو
وما اخذ الله من الميثاق على العلماء وحديث من كتم علما انبأ اي اسرعت **الى بيان نكت**
جمع نكتة بمثناة فوقية وهي نقطة بياض في سواد او عكسه استعير للطائف الكلام
ودقائقه مما يفتقر في فهمه الى امعان نظر واتعاب قريحة من نكت بالارض اثر
فيها **مستغرق** وفي نسخة سافرا اي كاشفة **عن وجه الغرض** المقصود بيانه من
التعريف بقدره صلى الله عليه وسلم وما يجب له ويجوز ويمتنع والغرض في الاصل
مرمى السهم استعير اسمه للمقصود المشبه هو به استعارة تحقيقية رشحها
بالوجه الذي هو صفحة الغرض تزيينا واسناد الاسفار الى النكت مجاز عقلي

واداته **ايك حملتني من ذلك** الذي سألتنيه **امرا امرا** اي عظيما بيانا في
وارهقتني فيما ندبتني اليه اي اغشيتني فيما دعوتني له **عسرا** من
عسيرا لامراده التات وتعسرا لاتيان به **وارقيتني** اي اصعدتني **بما كلفتني**
مرتقا صعبا ملأ قلبي رعبا اي خوفا وفزعا **فان** ما ندبتني اليه انما عسر لان
الكلام في ذلك يستدعي تقرير اصول ينبني عليها ما يجب له صلى الله عليه وسلم
ويجوز ويمتنع **ويستدعي تحرير فصول** لبيان ذلك وفي تقرير وتحرير واصول وفصول
جناس لاحق **ويستدعي الكشف عن غوامض ودقائق** من غمض الامر ودق اي خفي
ولطف استعير لما يفتقر من المعاني الى اعمال فكر وعطف دقائق على ما هو اشد
منه غموضا **من علم الحقائق** بيانا لما قبله **وها هنا** اي فيما قصد سلوكه جمع ما طلب
منه مما يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مطامح نظر نازحة ومطارح نظر
فاسحة تضل فيها الاذهان ما لم تهتد في الاستكشاف عنه بنور بصيرة وفهم
ونفس يقظى وخاطر مستطيع معوان وفيهم متساويع فيها ومن ثم شبهها
بمفاوز واسعة جدا لا علم فيها ومداحض فاستعار لها اسم المهامه والمجاهل
والمداحض استعارة تحقيقية رشحها بالحرج والضلال والزلل تزيينا للمجاز وتناسيا
للتشبيه فضاهى البلاغة بقوله **مهامه** جمع مهمه اي مفاوز **فيح** اي واسعة **تحار فيها**
الافهام لاكتساب ما اضافت اليه قلبه واثمرت اعاليه تعريف حقوقه كما تحار فيها
بحسو سمة **القطا** اذا سلكتها جمع قطاة طائر معروف سمي بصوته يضرب به المثل
في الهداية لمعرفته في المجاهل مظان الماء فاذا رآه قال قطا قطا فتعرف العرب قرب الماء
وتقصر فيها الخطا من الاعياء لاتساعها مع فقد ما يهتدى به فيها الى المقصود
و فيه **مجاهل** جمع مجهل اي مفازة لا علم فيها **تضل** اي تضيع **بها الاحلام** اي العقول
ان لم تهتد بعلم علم من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد اي بعلم
كالعلم **ونظر سديد** يدرك السداد اي الصواب **وفيه مداحض** جمع مدحضة
اي مزلقة وفي حديث الصراط انه مدحضة مزلة **تزل فيها الاقدام ان لم تعتمد على
توفيق من الله وتأييد** واعانة على نيل المراد ولقد افرط في وصف ما سلكه لعرضه
ان فيه مهامه ومجاهل ومداحض تعسر فيها اقتحام مظان تشوا هرم واثبت ضر
تسوا ردوه **لكني** اصله لكن انا حذفت همزته في عتقوا لنونان ولم يفترق فكان
الادغام بكسر تا قبل الالف فقلبت بالحي به استدراكا لدفع ما توهم من افراطه
في الوصف انه لا يأتي بالمسؤول اي قد اجبتك **لما رجونه لي ولك** من ذي النعوت
في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب عطف خاص على عام وهن بيانية وفي
سببية جعل مدخولها لكونهما سببين لما رجاه له ولسائله كانهما ظرفان لهما
بتعريف اي بسبب تعريف **قدره الجسيم** من جسم الرجل اي عظم **وخلقه العظيم**

وفي المفتاح ان مثل هذا استعارة مكنية تشبيهاً للنكت بالفاعل الحقيقي بقرينة نسبة الاسفار اليها لدلالتها عليه كما اسندت الهداية التي هي خلق الاهتداء الى القرآن وذلك لانكار المجاز العقلي موديا حال من ضمير بادرت من ذلك الحق المفترض له صلى الله عليه وسلم علينا اختلستها استلبتها واخطفتها على استعجال لما المرء بصدده علة لاختلاس النكت مستعجلا واراد بالمرء نفسه بقرينة المقام من شغل البدن والبال بالبناء للمفعول اي بسبب ما الزمه كالطوق في عنقه من مقالبد المحنة جمع مقليد ومقلاد من قلده فتقلد وهو من اضافة المشبه الى المشبه من التشبيه المؤكد اي من المحنة التي هي لتعلقها بالمرء واعتوارها عليه كالمقاليد في عنقه كالطوق وفي البخاري من ظلم قيد شبر طوقه الله من سبع ارضين التي ابتلي بها فكادت تشغل عن كل فرض ونفل بتراكم غموماً او رنت القلب قلقاً وتزاحم هموم اوغرت الكبد حرقاً وكادت ترد بعد حسن التقويم اي بعد اعتدال الحال وخلو البال الى اسفل سفل بضم اوله وكسره ولو اراد الله بعبد خيراً لجعل شغله وهمه كله في فعل ما مورده وترك منهي عن ما يحمد غدا محله او جعل شغله وهمه ترك ما يذم محله غداً فيحلظ بحمد ويذم رفع لنيابته عن فاعلهما بحذف مفعوله اي يجعل الله شغل العبد الذي اراد خيره فعل ما يحمد الله فاعله غداً في محله او جعل شغله ترك ما يذم او ما قال الظاهر موفق بان من شغله الله بما يذم محله غدا يكون قد اراد خيره وليس مراداً فضلاً عنه الى تركه ويجوز ان يكون محله هو المفعول به القائم مقام الفاعل اريد به العبد اذ هو المحل المحمود عليه فعلاً وتركاً لصدوره عنه وفي نسخة ولا يذم محله وهو غني عن البيان فليس شعري اي في محل ما يحمد او يذم حضرة النعيم او عذاب الجحيم اعاذنا الله منه و تكان علي عبد بخويصته عطف على الجعل اي وللزم اصلاح نفسه او الامر الذي يختص به وحفظها والجار والمجرور اسم للزوم ومن ثم كان بخويصته في محل نصب والباء مزيدة وفي نسخة بخويصة نفسه وفي تصغيرها ارشاد الى تحقيرها اصلاحها واشتغالها فيما يقربها الى الله زلفى واستقامة منهجه هو وما بعده معطوف على بخويصة اي وللزوم خلاص وجه ركابها مما يوذيها وعلى صالح يستزيده وعلم نافع يفيده غيره تعليماً وافتاء وارشاداً او يستفيده من غيره جبر الله صدع قلوبنا اي كسرها مما اعتراها من طوارق محن وبوارق اخر وهذه جملة خبرية لفظاً دعائية معنى وخبرية لفظاً ومعنى انشاها الدعاء من ثم فصلها عما قبلها وشبه فيها القلوب بالاناء صدع استعارة مكنية واثبات لها الصدع تخييلاً وغفر عظيم ذنوبنا اي ذنوبنا العظيمة اي كبائرها اللهم وصغائرها وجعل جميع استعدادنا اي نعده ونتخذه عدة من معادنا الجسماني الذي هو رجوعنا الى الحياة بالارواح الى ابداننا موجودة بعد عدمها

اوجموعه

اختلستها

بما طوقه دم

الكلام على المعاد الروحاني

انظر احكام الغزالي وجوابه

واح

طبيب المريض

اوجموعه بعد تفرق واجزائها هذا واما المعاد الروحاني المحض على ما يراه الفلاسفة فهو رجوع الارواح الى ما كانت عليه من التجرد والمتبرأ من ظلمات تعلقها بابدانها منفصلة بعالم المجردات ملتذة بكمالها بفضائلها مبتهجة بادراكها باقية ابداً ومتالمة بنقصانها برذائلها بميلها الى شهواتها لما عظيما مشتاقة الى مشتهياتها اشتياق عاشق مهجور له رجاء الى الوصول لكن ذلك يؤول على التدريج بطول عهدها الا انها اجترحتها بركوبها اليه فينقطع بالمهانة لعقوبة الفاسق عندنا واما الابله التي يغلب عليها سلامة الصدر وقلة الاهتمام بامور الدنيا فلا تالم فيها لانتفاء اشتياقها الى الكمالات لعدم شعورها بها لغيرالمكلف عندنا هذا والغزالي وان قال بالمعاد الروحاني مبالغا في تحقيقه وبيان ثواب الارواح وعقابها لا ينكر المعاد الجسماني لتصحيحه به في مواضع من الاحياء وغيره لا تغتر بما افترى عليه من انكاره له وجعل تو فرد واعينا اي كثرة بواعثنا فيما يكون سببا نجحنا ويقربنا اليه زلفى اسم مصدر اي ازدلافا ودنوا وفيما يكون سببا لحظنا اي بفضلنا وبجعلنا ذوي حظوة ومنزلة عنده واصله المراة تصلف عند زوجها ولما نويت اي عزمت واردت تقريبه اي ما سهل جمعه الى الافهام وتسهيله عليها وتدرجت بالراء مشددة اي رتبت تبويبه اولا فاولا كل باب في مرتبته على التدريج ابهج ترتيب وانق تقريب ومهدت اي وطيت وسويت وبينت تاصيله باوثق واحكم وخلصت تفصيله اقساما وابوابا ومسايل وغيرها من شوائب الاشكال وغياهب الاحتمال بافصح عبارة واوضح اشارة بحيث تسبق الى الفهم معانيها الفاظها وانتحيت اي قصدت حصره وتحصيله في اقسامه وابوابه وفصوله ترجمته جواب لما من الترجمة استعير للتلفظ بمعنى رمت تشبيها للفظ بالرجم ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية اي سميته بالكلمات المنتظمة مما تلفظت به من الحروف وهي الشفا بتعريف حقوق المصطفى وقصد الشفا لينا سب قرينه اذ يجوز للكاتب ما يجوز للشاعر وهو من شفا الطبيب للمريض شبه به ما يترتب على تعريف حقوقه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بها لانها تشفي من الجهل واخرجه من باب الاستعارة الى باب التشبيه بقوله بتعريف حقوق المصطفى ويجوز ان تكون استعارة تحقيقية قرنها بما يلايم المشبه تجريدا او تاصيل وتفصيل وتحصيل من جناس اللاحق وحصرت الكلام فيه اي في الشفا في اقسام اربعة حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته لعدم صدق اسم الكل على كل واحد منها ونوجه الكلام من التوجه بمعنى صار على جهة واحدة ونسق واحد لا اختلاف اي بمعنى انتصى واسند الى الكلام مجازا عقليا اي تم الكلام فيه اي في القسم الاول في ربعة ابواب من

ومن جمع باب وتيقا لابوبة للمشاكلة اي اذا وقع في صحبة مشاكل كالوية وابنية واخبية
واظهار عظيم قدره لديه لغة في لدن بمنزلة عند يختص بالحضرة فعند اعم منه في لتعالي
والفاسيد هنا لدا الباب قلبت الفه يا للاتصال له بالضمير كالف على متصلا بضمير في ك
تعالى ان لدينا انكالا ان علينا جمعه وقد تعزى به ذو الرمة في قوله
فدع عنك الصبى ولديك هما • توقش في فوادك واختبالا •
في تكميله تعالى له صلى الله عليه وسلم المحاسن جمع حسن على غير قياس وكانه جمع محسن
خلقا بفتح اوله وسكون ثانيه وخلقا بضمها ويجوز اسكان ثانيه اي في جمعه له محاسن
خلقه وخلقه لا انها كانت ناقصة فكملها له لانه صلى الله عليه وسلم كان منها بمحل الاسنى
مع ما مدحه الله به بانه على خلق عظيم وقد سئلت عايشة عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن
يأتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى لرضاه ويسخط بسخطه ومع ما آتاه الله من جامع الجمع والاعلاء
الامر فكان صلى الله عليه وسلم يعفو عمن ظلمه ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعين على نوايب
الحق بطلاقة وجه وسماحة نفس وكف اذى وبذل ندى وغير ذلك مما اوتيه من مكارم
الاخلاق وكرايم الشيم وقرانه بين البعيرين جمعهما في قرن اي حبل استعارة هنا
للجمع اي وجمعه جميع الفضايل الدينية والدنيوية فيه صلى الله عليه وسلم
نسقا متناسبا بعضها بعضا مستوية في حالها كجواهر منتظمة في نظام واحد
فتشبيه الفضايل بها استعارة مكنية واثبات النسق لها تخييل وهذا القسم
اي الثالث اكرمنا الله جملة اعتراضية بين المبتدأ وخبره وردت دعاء لمن خوطب
كما في • ان الثمانين وبلغتها • قد احوجت سمعي الى ترجمان •
وقد يرد الاعتراض للتنزيه في نحو ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون
او للتنبيه في مثل • واعلم فعلم المرء ينفعه • ان سوف ياتي كلما قدرا •
هو سر الكتاب خبر المبتدأ من سر النسب اي محضه وافضله يقال هو
في سر قومه اي في اوسطهم استعيرا سمه هنا لسر الكتاب بمعنى احسنه
واشرفه اذ هو المقصود بالذات ولباب اي خالص ثمرة هذه الابواب
اي ابواب هذا القسم وانما كان سره اشرفه اذ هو الكافل ببيان ما يمتنع
في حقه صلى الله عليه وسلم ويجوز وما يصح ان يضاف اليه من الامور البشرية
وافصاحه بتعظيم الله له وثنائه عليه وتكميله له محاسن خلقه وخلقه وما
ورد مخبرا بعظيم قدره ورفيع منزلته عند ربه وما شرفه به من خصائص
وكرامات وسوابق لطف وآيات وتثبيته بالعصمة وتاييده بالحكمة وما يجب
علينا من حقوقه والايمان به ومحبته وطاعته ومناصحته ولزوم توقيره وغير
ذلك مما يقتضي بحاله من كل وجه ومن كان هذا شانه فجدير ان يوفي المبالغ التوقير
والتكريم فهو المقصود بالذات وغيره بالعرض لانه الباعث على تاليفه وبما

لدي

قوله لا انها كانت ناقصة الخ ليس هذا مما يتوهم ايراده حتى يحتاج الى الاحتراز عنه وانما الكلام على معنى اظهار كماله تعالى له بجعل الكتبية والسنة سر واظهار عظيم قدره بسبب كماله تعالى له المحاسن ويشهد له المقام

تزفرن

قوله

قوله مما ذكر هو له لا لغيره من الاقسام كالقواعد جمع قاعدة وهي اصطلاحا قانون
مشتمل بالقوة على جزئيات موضوعه تعرف احكام جزئياتها منه وتفصيلا مقدمة
كلية تصلح كبرى لصغرى عند الاستدلال بالشكل الاول او مقدمتا في قياس
استثنائي لاخراج الجزئيات وتسمى فروعا واخراجها من القوة الى الفعل تفريعا
بان يجعل في الشكل موضوع القانون الذي هو مثلا كل من اظهر معجزة دعواه
الرسالة مخصوصا دون محمولا على جزئيه ويجعل صغرى فيقال محمد اظهر معجزة دعواه
الرسالة وكل من اظهر معجزها صادق ينتج محمد صادق وفي القياس يجعل الكبرى
مقدما في نحو كلما كانت دعوى الرسالة ثابتة فما قبله له كالقواعد والتمهيدات
والدلائل على ما نورده في حقه مما يجب ويستحب ويباح ويحرم وغير ذلك
من البينات اي الواضحة التي لم يطمثها اشكال ولم يفترعها احتمال وهو
اي القسم الثالث المنجز اي الموفي من غرض هذا التاليف وعد مما يليق
بكرم قدره الشريف وعظيم جنابه المنيف مع ما اضيف الى ذلك من مسخ
الهمة خارجة عن طوق البشر وعند التقصي بقاف وصاد مهملة اي التتبع
الى بلوغ الغرض المقصود القاصي اي البعيد الموعد به بفتح ميمه وكسر عينه
اي ما وعد به ونسبة الحكم والانجاز والوعد وكذا الموعد في القسم مجاز عقلي
اي لاجل ما وعدنا به وعند التقصي بفا وصاد مهملة اي التخلص عن عهدته
بايراد ما التزمه مما هو مقصود بالذات وما يتبعه من ملايم ومناسب وبين
التقصي والتفصي جناس لاحق يشرق بفتح اوله وثالثه اي يشجى ويغص يفقدو يضيق
بالتخلص عن عهدته به صدر العدو اللعين حسدا منه كما يضيق من شرق
بريقه عند الموت وفي الحديث يؤخرون الصلاة الى شرق الموتى اي الى ان
يبقى من الوقت مقدار ما يبقى من حياة من شرق بريقه عند الموت والكلعين
ان اراد به ابليس فلامه عهدية او مع غيره فجنسية واسناد الشرق الى الصدر
مجاز عقلي ويشرق من اشرقت الشمس اي اضاءت لا من شرقت اي طلعت كذا
في الصحاح وقول المصنف في مشارقه شرقت واشرقت اي اضاءت تخالفه
اي يضيء ويتلالا قلب المومن ويستنير باليقين اي العلم بما ادا انبتت الفهم
في جمعه وترصيفه واتعبت الفكر في تاليفه ليتمايز من معرفة ما اوتيه صلى الله
عليه وسلم كل رايد ويروي من مشارعه كل وارد وتشبيه اليقين بالنور استعارة
بالكناية واثبات الاشراق له تخييل وفي يشرق ويشرق جناس التحريف وتملا
انواره اي اليقين الهادي للتي هي اقوم جوانح صدره اي الاضلاع التي تحت الترايب
مما يلي الصدر واحدها جانحة والترايب عظام الصدر ما بين الترقوة الى الثندوة
واحدها تريبة ويقدر بفتح اوله وضم ثالثه العاقل النبي حق قدره اي يعظمه حق

تعريف القاعدة

لعل طور

نعظيمه ونعرفه حق معرفته وهيهات لا يقدر عاقل حق قدره
اذ مبلغ العلم فيه انه بشر وانه خير خلق الله كلهم
ويخفى عنه ما وراء ذلك **ويتشبث به القول** اي يتعلق القول بالباب لاول من
التعلق بشيء حتى تشبيها للباب به استعارة مكنية واثبت لها التشبث تخييلا
واسند الى القول مجازا عقليا او استعيرا ولا لفظ التشبث للحسي للملايمة والمناسبة
هنا تشبيها لها به بجامع الوجود ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية **في العصمة** هي عندنا على ما حكم به اصحابنا من استناد الحوادث
ابتداء الى الله ان لا يخلق في معصوم ذنبا وعند الفلاسفة على ما ذهبوا اليه من
قولهم بالايجاب واعتبار استعداد القابل ملكة نفسانية تمنع من الفجور ويحصل
بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات فانه الزاجر عن المعصية والداعي الى
الطاعة وتتاكد وترسخ بتتابع الوحي الى الانبياء بالاوامر والنواهي اذ الصفات
النفسانية تكون في ابتداء حصولها احوالا اي غير راسخة ثم تصير ملكات راسخة
في محالها على التدريج وقيل هي خالصة يمتنع بسببها صدور ذنب عنه وكذب
بانه لو كان صدوره عنه ممتنعا لما استحق بتركه مدحا اذ لا مدح ولا ثواب
بترك ممتنع لانه غير مقدور ولا داخل تحت نطاق الاختيار وبانعقاد الاجماع
على انه مكلف بتركه مثاب به اذ لا تكليف بترك ممتنع ولا ثواب واما هي في
قوله تعالى والله يعصمك من الناس بمعنى الحفظ والحراسة وربما شملها الحد
عندنا اذ هي عبارة عن ان لا يخلق الله فيه قتلا **وفيه** اي في الباب الاول **ستة
عشر فصلا** تمييز للنسبة العددية جعل الباب الذي هو عبارة عن مجموع
الفصول ظرفا لجميعها توسعا فالظرفية هنا مجازية ثم قد يجوز ان يكون قد
شبه الباب بالظرف بجامع الحصول فيهما فتكون استعارة مكنية ثم اثبت له ما
هو من خواص الظرف وهو في تخييلا او شبه استقرار الفصول فيه باستقرار
المظروف بالظرف ثم اثبت له في تخييلا ومنه لاصلبنكم في جذوع النخل ولهذا
التركيب نظائر سابقة ولاحقة يجري فيها ما قلناه هنا **وما يجوز طروه عليه**
من طرأ بهمز اخره ويجوز ابدالها واوا وادغامها في الواو قبلها اي حدوثه
له **من الاعراض البشرية** من مرض ونسيان وسهو ونحوها **في تصرف وجوه
الاحكام** جمع حكم وهو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف وقوله وقد يقع صفة
لهما من غير اطلاق المصدر اعني الحكم على المفعول به اعني المحكوم عليه اي في
الحمل لهذا الفعل والقول مباح او واجب او مندوب وحرام او مكروه فاطلاق
الحكم عليه تسامح وليس لمتعلقه من فعل او قول منه تحقق حقيقه لوجوب قيام
الصفة الحقيقية بموصوفها لانه حال الامرية معدوم واراد بوجوهها انواعها

الكلام في العصمة

خاصة ن

المخلفة

المختلفة من ايجاب وتحريم ونحوهما واسند التصرف اليها مجازا عقليا لقيامها
مقام المسند اليه وبتصرفها حكمها **على من تنقصه او سبه** او غيره من الانبياء
بعظيم نكال واليم عذاب هذا وتشبيه الوجوه بمن له تصرف استعارة
مكنية واثبات التصرف لها استعارة تخييلية وذكر الوجوه ايهام او تشبيه
الاحكام بذوي وجوه استعارة مكنية واثبات الوجوه لها استعارة
تخييلية وذكر التصرف ترشيح وعلى حالة متعلقة بالاحكام اي في بيان ما
يستحقه من انواعها من نسب اليه من لا يليق به مما وردت به الادلة كوجوب
قتل او ضرب او تعزير او حبس **من تعريض ونص** بيان لما قبله والتعريض
لفظ استعمل في معنى دل على معنى اخر لم يوضع له وكانه امالة الكلام
الى عرض اي جانب يدل على مقصوده ويسمى تلويحا اذ منه يلوح ما يريد
مثل ان يذكر المجيء للتسليم بلفظه ليدل على طلب العطا فالتسليم مقصود
وطلب العطا عرض وقد اميل الكلام اليه من عرض اي جانب فحينئذ
لا سلم عليك كناية وتعريض ومنه اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
فانه تعريض تكذيبه صلى الله عليه وسلم حين قال لما لك بن الصيف
اليهودي اتجد في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت
الحبر السمين فغضب وقال ذلك والنص ما دل صريحا على معناه **ونمايها**
اي فصول الباب الثالث من القسم الرابع **ينجز الكتاب** اي يتم وينقضي **وتلوح**
اي تلمع الخمسة فصول في الباب الثالث الذي ختم به الكتاب **في غرة الايمان** هي في
الاصل بياض فوق قدر الدرهم في جبهة الفرس استعير لكل واضح معروف شبه
الايمان بالفرس استعارة بالكناية مثبتا له الغرة تخييلا بعد ان جعل كتابه كا
لمعة منيرة اي مضيئة في غرته تشبيها بليغا **وتلوح في تاج التراجم** هي الاقسام
الاربعة وابوابها وفصولها والتاج الاكليل شبه عصابة كانت الاعاجم تجعله
على رؤوسها مرصعا بالجواهر كالعمامة للعرب ومن ثم قيل العمائم تيجان العرب
شبه التراجم التراجم بذوي تيجان استعارة مكنية واثبت لها التاج تخييلا بعد
ان جعلها كانها **درة خطيرة** ذات خطر اي عظم ونفاسة تلوح في تاجها تشبيها بليغا
تزيح اي تزيل وتذهب **لبس** اي اشتباه من التبس بغيره اي اشتبه وفصل هذه عما
قبلها لشبه انقطاع بينهما اذ تلك موذن بوصف وجود حسي وهذه بوصف
مدحي معنوي **وتوضح كل تخمين وحدس** اذ تبين كل قول قيل بظن وتكشفه الكشا
تاما بازالة قناع الحدس اي الظن عنه اذا التخمين القول بالحدس **وتشفي صدور
قوم مومنين** بما تورث من سب الله او رسله او ملائكته او كتبه من مثالب
اذى وتذيقه من وبال ردى وعبر بالصدور عن القلوب لكونها محالها وتعبا

الكلام على التعريض

اي جانب

نه

ق

بلفظ الآية المقتبس منها واسناد تبرح وتوضح وتشفي للفصول مجاز عقلي القسم الأول
في تعظيم العلي الأعلى رفعة ورتبة لا حسًّا اذ هو العالي عن ذلك فوق عباده تمثيلاً وتصويرًا
للحالي وإيرادها في معرض المحسوسات تشبيهًا للحالة المعنوية بالحالة الحسية فهو
استعارة تمثيلية وترتب بالعلو والفوقية ترشيحًا وجعل التقسيم ظرفًا للقسم توسعًا
يشبه ان يكون من القلب وهو كما في المفتاح شعبة من البلاغة تشهدها دقة وكرم تربة
اهتكا ها فحاتها باسنا فا هتكا ها في احد القولين وقيس عليه نظائره سابقًا ولاحقًا
اي القسم الاول الذي يذكر فيه تعظيم العلي الاعلى أذ كلمة في على تشبيه ملابسة ما بين
اللفظ ومعناه بملابسة في للظرف بما لها هذه المسألة في كتاب كذا في علم كذا وهذه الآية
في تحريم الخمر وهذه القصيدة في مدح فلان لقدر المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا
وأنه الكريم وفي قانه القديم وفعلا من معجزات باهرة وآيات ظاهرة ونصبها
بنزع الخافض لا يخفى على من مارس اي عالج وعانا شيئًا قليلا كما تقريبه السياق من العلم
أو خص مبنيًا للمفعول ترك فاعله للعلم به اي خصه الله بادنى لمحة من فهم من لمح
البصر اي رجع الطرف من اعلا الحد قد الى اسفلها تشبيهًا للمحة به ومن فهم بيان
لكونها منه وبه خرج من باب الاستعارة الى كونه تشبيهًا بليغًا كما في حتى يتبين لكم
الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من بياض الفجر مع ما يمتد
معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود وصرفه بقوله من الفجر عن كونه استعارة
الى كونه تشبيهًا بليغًا بتعظيم الله متعلق بخفا والبا بمعنى في اي لا خفا في تعظيمه تعالى
قدر نبينا صلى الله عليه وسلم وخصوصه اياه بعد تكميله بما نوع الانسان وهي
القوة النطقية كما لا اولا بفضايل ومحاسن ومناقب خصه تعالى بها لا يتصف بها غيره
وتسمى كمالا ثانيًا مما يتفاضل به افراد الانسان بعضها على بعض من الكمالات الثانية
واسم لها الكمالات العلمية التي اسناها معرفته تعالى لا تنضبط لزمام اي لا تخصى
كثرة لضابط تدخل تحته بعد وخص استعير من زمام البعير وهو خيط يجعل في
برة وهي حلقة تجعل في انفه وتنويهه من نوهت باسمه رفعت ذكره اي
رفعه الله من عظيم قدره اي قدره العظيم ومن نابذه بما تكل اي تعيا وتعجز
عنه الالسنة والاقلام اسند الكلال اليهما مجازًا عقليًا تنزيلا لهما منزلة
الفاعل حقيقة فمنها ما صرح به اي نص عليه في كتابه ونبه عليه اي بما صرح
به في كتابه على جليل نصابه اي منصبه الجليل واثنى به اي بما صرح به في
كتابه عليه من ذكر اوصافه الجميلة واخلاقه الجليلة جمع خلق وهو
السجية وادابه اذ هو الذي ادبه فاحسن تاديبه وحض العباد اي
حثهم وحرضهم وحملهم على التزامه اي التزام ما صرح به في كتابه من
تعزيره وتوقيره والاذعان لاوامره ونواهيه امتثالا واجتنابا عملا

بمثل

بمثل فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب
اليم او التزامه صلى الله عليه وسلم واتباعه فيما جاء به من الدين وعلى كل
فقوله وتقلد ايجابه من عطف بعض افراد العام عليه تنويهًا بفضله واعتنا
عنها بما له من اوصاف شريفة حتى كأنه لم يشمله لفظه ولم يعرف حكمه منه
تنزيلا للتغاير في الصفة منزلة التغاير في الذات كما في حافظوا على الصلوات
والوسطى اي الفضلى من قولهم للأفضل اوسط شبه الايجاب لالزامه المكلف
ما فيه كلفه من واجب فعلا وتركا بشيء يجعل في العنق استعارة مكنية مثبتًا لها
التقلد تخييلا اي حثهم على التزام ما اوجبه صلى الله عليه وسلم لان ايجابه من
ايجابه وهذا الحديث جاء في تفصيله فكان اي الله جل جلاله اي عظمت عظمته
اذ جلال الله عظمته هو الذي تفضل واولى اي انعم ثم طهر من عبادة الاصنام
والتباعد عما يورث الاثام وزكى مبالغة في التطهير وزيادة فيه لشرفه صلى
الله عليه وسلم واثنى من عطف شامل لما عطف عليه اذ كل ثنا مدح ولا عكس
لان الثنا في الاصل يكون على جميل اختياري من نعمة او غيرها والمدح يكون عليه
مطلقًا تقول اثنيت على علمه وكرمه ومدحته ولا تقول اثنيت على صباحة
وجهه ورشاقة قده بل مدحته وهما باعتبار غايتهما كما سيأتي فله الفضل
على ما منحه به من صفات شاهرة برفعة قدره وسمو محله بدا وعودا نصبا
بنزع الخافض اي في بدئه وعوده بتفضلاته تعالى عليه قال مالك بن نويرة
جزينا بني شيبان امس بقرضهم وعدنا بمثل البدء والعود احمد
ويقال رجع عوده على بدئه اذا رجع في طريق جاء منه وله على ذلك الحمد في الاولى
واخرى من قوله تعالى له الحمد في الاولى والآخرة ونصبهما بنزع الخافض
اي في الدنيا والآخرة ويجوز ان يكونا اسمي تفضيل اي وله اولى الحمد
واخراه وقول بعضهم ان اسما التفضيل لا تستعمل الا مضافة او موصولة بمن
او معرفة باللام يكذبه قوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى وكانوا هم اظلم
واطغى ونحو ذلك مما يوذن بجواز استعمالها بدون ما ذكر اختصارًا او لتذهب النفس
كل مذهب ممكن ومنها اي ومما خصه تعالى به ما ابرزه للعيان اي اخرجه
للمعاينة والمشاهدة من خلقه بيانه على اتم وجوه الكمال والجلال
في ذاته وصفاته وافعاله واداه بالوجوه انواع الكمالات من تناسب اعضائه
واعتدال قامته وحسن طلعته وبهاء هيئته وفصاحته وحسن هديه ودله
وسمته وسكينته ووقاره مع بشاشة وجهه وطلاقته وغيره مما اورده
رواة شمائله عن ابن ابي هالة وغيره وياتي في هذا ما مر من التشبيه في قوله تصرف
وجوه الاحكام الجميلة الحسنة البالغة في الحسن الحميدة فعيلة بمعنى مفعوله

اي محموده الكريمة الشريفة المرضية مما يذهب اليه من افعال عميمة البر
واقوال كثيرة النفع وثنا بيده اي عانته بالمعجزات جمع معجزة من خوارق العادات
مقرونة بالتحدي مع عدم المعارضة مما يصدق الله به انبياءه في دعوى
النبوة سمي معجزة لاعجازها عن الاتيان بمثلها وتسمى ايضا اية اي علامة
دالة على تصديق الله له الباهرة اي الغالبة من بهر القمر اضاء حتى غلب ضوءه
ضوء الكواكب هذا وما ذكر سابقا ولاحقا وان اذن بتكرار فحسن لكونه
مقام مدح يذم فيه الايجاز ويحمد الاطناب سيما في مقام الاجوبة ومن
ثم قال موسى جوابا لقوله وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكأ
عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى وكان يكفيه ان يقول عصا
قراءة نصب بنزع الخافض او تمييزا او حالا اي حدثنا بقراءة او من جهة قراءة
او حال قراءة مني عليه لا بقراءته ولا بقراءة غيره ولا باجازة وهذا على مذهب
من لم يرى بين حدثنا واخبرنا فرقا كالبخاري فقيدها بكونها منه عليه اخراجا
لما ذكر ويسمى احتراسا بديعا كما في تخرج بيضاء من غير سوء اتي مبني للمفعول
اي جاء جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون
البغل يضع حافره عند منتهى طرفه سمي براقا لسرعة سيره تشبيها [illegible] يضع
حافره عند منتهى طرفه او لشدة صفائه او لكونه ابيض وعن المصنف
لكونه ذا لونين من قولهم شاة برقاء اذا كان في خلال بياضها طاقات سواد
وفي الاحتفال لان وجهه كوجه الانسان وجسمه كجسد الفرس وقوائمه
كقوائم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى فاستصعب عليه
اما لبعد عهده بالانبياء لطول الفترة بينه وبين عيسى او لانه لم يركبه
اذ لم يركبه احد قبله ويرده ما يلوح به قول جبريل له: امحمد تفعل هذا فما
ركبك احد اكرم على الله منه وفي رواية فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي
مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمنا انه كذلك وانه صاحب الشفاعة
واني احب ان اكون في شفاعته فقال انت في شفاعتي وركوبهم له وان لم يكن
لازما من نفيهما ركوب الافضل منه فيوتيه اثبت بدابة هي اشبه الدواب
بالبغل وهو البراق الذي كانت الانبياء تركبه وفيه ثم اتيت المسجد الاقصى
فاوثقته بالحلقة التي كانت الانبياء توثقه بها وروى مغلطاي ان ابرهيم
كان يزورها حج كل يوم من الشام على البراق لشغفه بها وقلة صبره عنها
فارفض عرقا تمييز محول عن كونه فاعلا اي سال عرقه وجرى لما غشيه
من الهيبة والخشية ولا يخفى مناسبة ما اسنده هنا من طريق الترمذي
للمقام لانه صاحبه باكرميته عند الله كالرواية الثانية الباب الاول من

في خطاب الاجوبة

قوله اي سال عرقه وجرى [illegible] ظاهره ان صيغة ارفض
[illegible] لكن في الفائق [illegible] اي التوبة ارفض
[illegible] اي سال [illegible] في الاستقبال ارفض
[illegible] ارفض الشيء وترفض تفرق انتهى وفي المشارق
للقاضي عياض قوله ارفض معناه [illegible] والحر [illegible]
وفي الحرض ارفض عليهم اي سيل وارفض الدمع اي سال
انتهى [illegible] العرق لغة فما جرى منه فهو كثير

القسم

القسم الاول في ثناء الله عليه الثناء هنا باعتبار ذاته فهو اتمام انعام بانواعه من
تكريم وتشريف وتعظيم فيرجع الى صفات الافعال واما ارادة ذلك فيرجع
الى صفات الذات والا فهو في الاصل اما بمعنى الحمد او الشكر او المدح او عام
فيها وبورود ذلك كله الجوارح وهو في حقه محال فيكون مجازا مرسلا لكون العلاقة
غير المشابهة وفي اظهار عظيم قدره لديه اي عنده في اللوح المحفوظ لتعلم
الملائكة زيادة شرفه وتميزه على غيره اذ هي المرادة هنا فليلتئم مع توقيره
وتعظيمه اعلم خطاب لكل من يتاتى توجه الخطاب اليه ولم يرد به مخاطبا
معينا ويجوز ان يكون اراد به من سأله تاليف هذا الكتاب ان في كتاب الله
العزيز اي المنيع الذي لا يتاتى ابطاله وتحريفه مع كثرة نفعه وعدم نظيره ايات
كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى اي بذكره الجميل اي الحسن ولذا قالت الخنساء
ترثي اخاها صخرا

اذا قبح البكاء على قتيل . رايت بكاءك الحسن الجميلا

واسناد الافصاح الى الايات مجاز عقلي وعد محاسنه وتعظيم امره اي شانه
وحاله ذاتا وصفة وفعلا اذ قد جمع له علو الحال ونباهة الشان وتنويه
اي رفعه قدره يقال نوه باسمه اي رفع ذكره واعتمدنا على ما ظهر معناه اي من
منطوقه وعلى ما بان فحواه ولحنه اي مفهومه مما يلوح خلال تراكيبها يقال عرفت
ذلك من فحوى كلامه وانه ليعني ويلحن بكلامه اي يميله ويزيله عن جهته الى تورية
او تعريض ليفهمه مخاطبه دون غيره قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول الفصل
الاول اصله ان يوصل بين ما ذهو لغة الحجز وكثيرا ما يجري مجرى الابواب
فيوصل بفي كما قال هنا فيما جاء في كتابه العزيز من ذلك اي من الايات مجيء
المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول بدأ بهذه
الاية لاشتمالها على ابلغ تعظيم واشرف تكريم لجمعه له فيها اسمين من اسمائه
مع ما تضمنته من رافته ورحمته بقومه وحرصه على ان يومنوا كلهم ولان
يتخلف منهم احد بشبها دته لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين من
انفسكم اي من جنسكم ونسبكم عربي قرشي مثلكم عزيز عليه ما عنتم
اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه حذر وقوعكم في العذاب
حريص عليكم ان تومنوا كلكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم روف رحيم
قدم الروف لكونه ابلغ اذ الرافة اشد الرحمة وقرا بعضهم من انفسكم
بفتح الفاء اي اشرفكم واطيبكم عنصرا هو ابن عباس وفاطمة وعائشة والضحاك
وابي العالية وابن قسيط وفي المستدرك عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قراها كذلك وقرا الجمهور بالضم قال اي المصنف اعلم الله بفتح اوله ماضيا

المؤمنين والعرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه
لهذا الخطاب انه بعث ثاني مفعولي علم فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه
حليته ونعته في الكتابين ويتحققون مكانته بكرم نفس وشرف حسب
وكفرهم به انما كان عنادا مع تحققه لهم بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة شاهدة
بانه رسول الله وكانوا يعلمون بصدقه اذ لم يتهم بكذب قط ويعلمون امانته اذ كان
يدعى قبل ارساله بالامين فلا يتهمونه الفارسية او فصيحة اي فبسبب انه
منهم ومعرفتهم ذلك فيه او فاذا كان الامر كما ذكر فجدير ان لا يتهمونه
بالكذب في دعواه الرسالة ولا يتهمونه في ترك النصيحة لهم فيما ينفعهم
في دنياهم واخراهم لكونه منهم اذ هو نفي للتهمة وفيه تعريض ذما وتوبيخا لمن
كذبه مع معرفته ذلك لقبح تكذيب من علم صدقه وامانته مع مشاهدتهم
ما اتى به من معجزات خارجة عن طوق البشر ففي كونه صلى الله عليه وسلم ممن يعجز
عن الاتيان بها مع اتيانه بها تحريض في تصديقه وحث على المسارعة الى
اتباعه اذ ما يأتي به من هو منهم مع عجزهم شاهد صدق بصحة دعواه لكن
الحسد والانفة سلكا بهم اودية العناد كما يشهد له قول ابي جهل للعباس اذ هشتم
بابني عبد المطلب بالنبوة والسدانة والسقاية فما يبقى لقريش هذا وصنيع
المصنف ان المواجه به هم العرب ويجوز ان يكون جميع الناس لان النوع الى
النوع أميل ولما يأتي به اقبل فاذا جاءهم بما يعجزهم عن معارضته علموا انه ليس مما
يقدر عليه البشر فيؤمنوا ولو كان ملكا لما علموا ذلك بل ربما اعتقدوا انه في
وسعه ولما قدر احد منهم ان يسمع تبليغه لضعف القوى البشرية عن سماعه
ومشاهدته ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي امر هلاكهم اذ بمجرد مشاهدته في
صورته تزهق ارواحهم ويزكيها ان رجلا سمع يوم بدر ملكا يقول لفرسه اقدم
حيزوم فسقط ميتا فكونه بشرا منهم ارفق بهم وانه عطف على انه بعث وهو
مؤذن بان بعثته لم يكن في العرب بمجرد كونه من انفسهم بل كونه ما فيهم قبيلة
الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة والمستثنى صفة قبيلة
والاصل عدم دخول الواو عليها كما في وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
لكن لما شابهت الحال صورة دخلتها لتوكد لصوقها بموصوفها كما في وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ويجوز ان تكون حالا من قبيلة لكونها
في حكم الموصوف كانه قال لم يكن في العرب قبيلة من القبائل وفي نسخة
وهو اي ما ذكر من انه ليس فيهم قبيلة الا لها عليه ولادة او قرابة عند ابن
عباس يعني قوله الا المودة في القربى كما رواه البخاري عنه لم يكن بطن من
قريش الا له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة

يبقى لسائر قريش

والطبراني

والطبراني نحوه عنه وقال به كثير من المفسرين اراد صلى الله عليه وسلم به
استعطافهم ليكفوا شرهم واذاهم عنه حتى يبلغهم وغيرهم ما ارسل
به ثم نسخ باية الجهاد وكونه علة ثانية لنفي اتهامه بكذب وغيره فهو معطوف
على كونه منهم ومن اشرفهم نسبا وحسبا وارفعهم محلا وقدرا وافضلهم
مجدا وكرما على قراءة الفتح من النفاسة بمعنى الاكرمية وهذه اي ما ذكر من انه
اشرف واكرم وافضل نهاية المدح وانث اسم الاشارة باعتبار ما بعده
ثم وصفه بعد اي بعد مدحه بما ذكر باوصاف حميدة مبالغة من الحمد
اي محمود بها كثيرا واثنى عليه بمحامد جمع محمدة بمعنى الحمد كثيرة من اي
بسبب او لاجل ما يأخذ من شفقته ورقة قلبه وحرصه على هدايتهم
ورشدهم الى طرق النجاح ليفوزوا بالفلاح وحرصه على اسلامهم اي
انقيادهم واذعانهم لما جاء به وشدة عطف على حرصه اي ومن شدة
سعيه في ازالة ما يعنتهم بضم اوله وسكون ثانيه مخففا من اعنته اي اوقعه
في العنت ويضربهم ويكسبهم التوبيخ والذم في دنياهم والعذاب والبوار
الخزي والنار في اخراهم لكراهيته ذلك لهم وعزته اي شدة ما يعنتهم ومشقته
عليه صلى الله عليه وسلم حذرا منه عليهم من وقوعهم في مكروه يؤذيهم ورأفته
ورحمته بمؤمنيهم اذ كانت شفقته بهم الى ما لا يدركها فهم ولا
يتخيلها وهم قال بعضهم اعطاه اسمين من اسمائه رءوف من الرأفة
وهي اشد الرحمة وقد ورد على فعول كما قال كعب بن مالك الانصاري نطيع
نبينا ونطيع ربا • هو الرحمن كان بنا رءوفا •
وعلى فعل كما قال جرير •
نرى للمسلمين عليه حقا • كفعل الوالد الرؤف الرحيم •
رحيم اي رفيق متعطف ورحموت مبالغة من الرحمة يقال
رهبوت خير من رحموت اي لان ترهب خير من ان ترحم ومثله اي
مثل لقد جاءكم رسول من انفسكم مما جاء مجيء المدح والثناء لقد من الله على
المؤمنين اي انعم على من آمن به وتخصيصهم مع عموم نعمته نعمته لزيادة
انتفاعهم بها اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم ففي كونه نعمة
ممتنا بها عليهم من فخامة امره ورفعة قدره وعظم محله ما لا مزيد عليه ه
وقوله هو الذي بعث في الاميين من العرب وان كانت بعثته عامة لانه
منهم واكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون بشهادة حديث انا امة امية لا نحسب
ولا نكتب قيل هي نسبة الى الام اما بمعنى انهم على الحالة التي كانوا عليها في بطون
امهاتهم او الى ام القرى مكة رسولا منهم اي اميا مثلهم يتلوا عليهم اياته مع

لعله نعمة

كونه اميًّا لا يقرا ولا يكتب ويزكيهم من خبائث العقايد والاعمال ويعلمهم
الكتاب اى القران والحكمة اي الشريعة او متعا لما الدين والمنقول والمعقول
وقوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متعلق بما قبله اى ولاتم نعمتي عليكم في الدنيا
بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بارسال رسول فاذكروني
بالطاعة اذكركم بالثواب يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم اي يحملكم على ما ت
تصيرون به ازكيا وروي عن علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم
كما رواه ابن ابي عمر العدني في مسنده في قوله من انفسكم قال نسبا وصهرا
وحسبا اى شرفا وكرما مما يعد من مفاخر الاباء ليس في ابائي من لدن ادم
سفاح كلها نكاح اى تزوج قال الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة
ام فما وجدت فيهن سفاحة ولا شيا مما كان عليه الجاهلية يشهد له حديث
ابن عدي والطبراني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح وما ذكره الزبير بن
بكار وغيره من ان كنانة تزوج زوجة والد خزيمة بعد موته وهي برة بنت اد
بن طابخة فولدت له النضر مردود بما ذكره الجاحظ من ان النضر ليس منها
بل من بنت اختها برة بنت مر بن اد ومن ثم اشتبه ذلك على الناس وعلى تقدير
صحته فقد كان ذلك مباحا قبل الاسلام يشهد له الا ما قد سلف هذا ومقتضى
التاريخ قاض باستحالة ان يكون بينهما خمسمائة ام اذ بينه صلى الله عليه وسلم
وبين عدنان احد وعشرون ابا فيكون بينه صلى الله عليه وسلم وبين ادم ستة
واربعون ابا او سبع واربعين اما فمن هنا وما ذكره الكلبي بقا وتكثير الا ان
يكون قد عد امهاته وامهات اعمامه وامهات اعمام ابائه الى ادم وعن ابن عباس
في قوله وتقلبك في الساجدين قال كما رواه ابن سعد والبزار وابو نعيم في دلائله
بسند صحيح من نبي الى نبي حتى اخرجتك نبيا اى في الجملة اذ ظاهر هذا انه لم يعتبر
من تخلل من ابائه بين الانبياء ممن لم يكن نبيا كمن بين شيث الى نوح الى هود الى ابرهيم والا
فاكثرهم من ادم الى ابرهيم الى اسمعيل انه لم يكن نبيا وروي عنه ان المراد بالساجدين
المصلون اي الذي يراك حين تقوم الى التهجد وحدك وحين تقلبك فيهم
اذا اممتهم اي تصرفك فيهم بالركوع والسجود والقيام والقعود ولعله
فسر الاية بهما او تردد في تصفح احوال المتهجدين اذ قد ورد انه صلى الله عليه
وسلم لما نسخ فرض قيام الليل طاف ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا
على كثرة عباداتهم فوجدها كبيوت النحل لما سمعه من ذكر الله وتلاوة كتابه او تقلب
بصرك فيمن خلفك من المصلين يشهد له هل ترون قبلتي ها هنا فوالله ما يخفى
على سجودكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري وقال جعفر الصادق بن محمد
الباقر علم الله عجز خلقه عن معرفة ما يطلبه منهم من طاعته فعلا وتركا اذ ما

خلق الانس والجن الا ليعبدوه فعرفهم عجزهم عن معرفته بدون رسول بينهم
ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو اي الخالص من خدمته الا بارسال
رسول يرشدهم اليه فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم بشرا مثلهم في اوتيه ب
الصورة البشرية ويفارقهم بما اوتيه من الصفات الملكية يشهد له حديث
الوصال اني لست كهيئتكم البسه الله من نعته اي من صفته الرافة والرحمة
اي خلقهما الله تعالى فيه فصار رؤوفا رحيما شبه اولا الباسهما اياه بخلقهما
فيه وادخله في جنسه ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية
ثم سرت الى الفعل تبعا مشبها النعت باعتبار غايته بثوب استعارة مكنية
مثبتا له اللبس تخييلا واخرجه صلى الله عليه وسلم الى الخلق بشيرا اي رسولا
صادقا وجعل سفرا كفقه وفقها وجعل طاعته اي مثلها في وجوب
انقيادهم واذعانهم له امتثالا وجعل موافقته فلا يجوز مخالفته في شيء منه
فليحذر الذين يخالفون عن امره ومثل ما ذكر من التركيب خليق باطلاق اسم
التشبيه عليه نظرا الى ان المشبه به معرفة بحسن دخولها دانه عليه والى
ظاهر جعل المشبه نفس المشبه به وفردا من افراد حقيقته يصلح له لفظه
كما يصلح لافراده لفظ حقيقته وليس استعارة لان مبناها
على طي ذكر احد طرفيه ومن ثم تراهم يتناسون التشبيه فاذا طوي
ذكر احدهما امكن تناسيه وقد يتناسى مع ذكرهما كما في قوله

هي الشمس مسكنها في السما * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود * ولن تستطيع اليك النزولا

حيث استعار الصعود للعلو الرتبي وبنى عليه ما يبنى على العلو المكاني
من الحاجة الى السلم فليس المراد ذكر احدهما ان يكون الكلام خلوا عنه
بل ان لا يذكر مع الاخر بطريق ينبئ عن التشبيه ومن ثم اطلقوا على ان القمر
في لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على القمر استعارة فقال من يطع
الرسول فقد اطاع الله لانه مبلغ والله هو الامر فكانت طاعته في
اوامره ونواهيه طاعة الله روي انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني فقد احب
الله ومن عصاني فقد عصى الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى
عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذ النصارى عيسى فنزلت وقال وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين اطلاقا لاسم الحال على محله مبالغة في
كونه ذا الرحمة الذي هو سبب لاسعادهم واصلاح معاشهم ومعادهم
ولكفرتهم امنا من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال والعالمين جمع عالم جمع
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وبالياء والنون تغليبا لعقلائهم والعالم

والدعون

مشتق من العلم وهو اسم لما يعلم به كالخاتم لما يختم به غلب في كل جنس
يعلم به الخالق اي علم يستدل به عليه اذ هو لامكانه وافتقاره الى موجد
واجب لذاته يدل على وجوده فيقال عالم الانس وعالم الملك وعالم الجن
وكذا عالم الحيوان وعالم الافلاك وعالم النبات وقيل هو اسم لذوي العلم
من انس وملائكة وجن وليس لمجموع ما سوى الله بحيث لا يكون له افراد بل اجزاء
فيمتنع جمعه قال ابو بكر بن طاهر بن مفوز بن احمد بن مفوز المعافري الشاطبي
زين الله محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة وحلاه بسجايا رحمة
ومزايا كريمة من شفقة ورقة وصلة رحم وحمل كل واكتساب معدم واعانة
على نوائب الحق مما منشأ ها الرحمة من اصول مكارم الاخلاق وزينة الرحمة
اما على طريقة التشبيه المؤكد باضافة المشبه به الى المشبه اي زينه بالرحمة
التي هي لصدور آثارها كالزينة كلجين الماء في نحو

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الاصيل على لجين الماء

اي ماء كالفضة في بياضه وصفائه او على طريقة الاستعارة بان شبه
الرحمة لاتصافه بها بالة الزينة استعارة مكنية مثبتا لها الزينة تخييلا
او شبه زينتها بزينة عروس تزينت بانواع الزين ثم اشتق منه زين فجرت
الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية فكان كونه موصوفا بالرحمة
رحمة لشبهها دة تزينه بها وجميع شمايله جمع شمال على غير قياس اي اخلاقه
الحميدة لشبهها دة قول جرير

الم تعلما ان الملامة نفعها ... قليل وما لومي اخي من شماليا

فهي ملكات وكيفيات نفسية وكانه جمع شمايل له لكماله وجمايل كالحراير
تكاد يداه تسلمان رداءه ... من الجود لما استعطفته الشمايل

وصفاته رحمة على الخلق وفي تعدية الرحمة بعلى تلويح باستعلائها
كانها مرتفعة عليهم كالظلة فمن اصابه شيء منها والظله باذعانه له
وانقياده اليه فهو الناجي في الدارين من كل مكروه ابتداء وما لا والواصل
الى كل محبوب ابتداء وما لا والكلية مأولة بهما فيها الا ترى ان الله يقول وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين اي ذا رحمة لم تسميته للمحل باسم الحال فيه
ولامتناع المعنى الحقيقي صار مجازا مرسلا وتمثيلا وتصويرا للصور المعنوية
بالصور الحسية مبالغة في جعله رحمة لشدة شفقته وقوة رفقه بهم فكانت
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الحارث بن ابي
اسامة في مسنده والبزار باسناد صحيح حياتي خير لكم ومماتي خير لكم لشهادة
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي حيا وميتا وكما قال صلى الله عليه وسلم

فيما

فيما رواه مسلم اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
فعلا بمعنى فاعل اي متقدما وسابقا اي فجعله لها اجرا تتقدمها حتى ترد عليه ومثله
حديث انا فرطكم على الحوض لكن الفرط في الاصل هو الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم
الارسان والدلاء ويملا الحياض ويستقي لهم وقال ابو الليث امام الهدى السمرقندي
بسكون الراء الحنفي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن
رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتاخير
العذاب عنه حتى يموت قال ابن عباس فيما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم في
تفسيريهما والطبراني والبيهقي في دلائله هو رحمة للمؤمنين وللكافرين
اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شيء اشارة الى ما وجه في
الذهن اذ الرحمة بمعنى يوصله الله فيمن يشاء من خلقه وفيها نفا وثبوت قال
اي جبريل نعم كنت اخشى العاقبة اي سوء خاتمتها فامنت لثناء الله علي
بقوله ذي قوة اي صاحب قوة شديدة كما في قوله شديد القوى اي ملك
شديد قواه وجبريل فقد ورد انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها
وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين عند ذي العرش مكين اي عند الله ذي
مكانة مطاع في الملائكة تطيعه ثم امين على الوحي وهذا المحكي لم اعرف
من رواه وروي عن جعفر بن محمد في قوله فسلام لك من اصحاب اليمين
اي بك انما وقعت سلامتهم اي بسببك يا محمد انما وقعت سلامة اصحاب
اليمين من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم اي اكرام الله اياه فوضع
الظاهر موضع المضمر ومن على هذا زائدة ويجوز ان يكون بمعنى لام التعدية
اي بسببك وقع السلام من اجل اكرام الله تعالى اياك وما قاله تكلف بعيد
ومعنى الاية فسلام لك من اصحاب اليمين يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب
اليمين اي يقال له سلام لك اي سلم لك انك منهم او يا محمد انك لا ترى
فيهم الا ما تحب من سلامتهم من العذاب وان كان منهم من يقول يوم
القيامة سلام عليك وقال تعالى الله نور السموات والارض اي منور
وفي نسخة فانه تعالى نورهما بالكواكب وبما افاض عليهما من الانوار او
بالملائكة والانبياء اذ النور في الاصل كيفية تدركها الباصرة وبواسطتها
تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفايضة من النيرين على الاجرام الكثيفة
المحاذية لهما يستحيل اطلاقه عليه تعالى الا بتقدير مضاف او بكونه مجازا
مرسلا من اطلاق اسم المسبب على سببه المفيض له على الباصرة لتدرك به
غيره قال كعب الاحبار وسعيد بن جبير المراد بالنور الثاني هنا اي في

هذه الآية من قوله مثل نوره هو محمد صلى الله عليه وسلم فضمير لله تعالى اي
مثل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مثل نوره اي نور محمد ان كان قولهما فهو
مناقض لما قبله الا ان يقال الاضافة بيانية اي مثل محمد الذي هو نور وهو بعيد
او لغيرهما فلا تناقض وقال سهل بن عبد الله التستري احد اعلام الصوفية
تبعا لابن عباس المعنى الله هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون
واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى اضاءتا به او
لاشتمالهما على انوار حسية وعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما
وعلى ما تعلق بهما وعلى مدلولهما ثم قال مثل نور محمد اي صفة نوره العجيبة
الشان في الاضاءة اذ كان مستودعا في الاصلاب يتداوله الامهات والآباء
وقد جمع الله تعالى له شرف الذات بتحليتها بجميع صفات الكمال وشرف النسب
فلم يكن من آبائه من آدم وحوى الى عبد الله وآمنه الا من هو مختار بشهادة
حديث لما خلق الله تعالى آدم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح
في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني من
الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى ان اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا
على سفاح قط ومن ثم قال عمه العباس

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم	اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من	خندف علياء دونها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الـ	ارض واضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي	نور الهدى والرشاد نخترق

وخندف لقب ليلى امرأة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فنوره
صلى الله عليه وسلم في كل صلب نقل اليه كمشكاة صفتها كذا اي كصفة
كوة غير نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح اي سراج ضخم ثاقب كانه
يثقب الجو بضوئه امتلأت منه واراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره
كانه اي صدره كوكب دري اي مضيء يتلألأ نورا لما فيه من الايمان والحكمة
التي هي كمال العلم واتقان العمل توقد من شجرة مباركة اي من نور ابرهيم
اذ هو اصل النبوة صلى الله عليه وسلم فالمعنى على هذا مثل قلبه المشبه
بالمصباح في صدره المشبه بالزجاجة متوقدا من نور ابرهيم كانه كوكب دري
يتلألأ لاكالزهرة في صفائه كنور مشكاة فيها مصباح في قنديل من زجاج صاف

كانه

كانه كوكب مشرق لصفائه وضرب المثل بالشجرة المباركة فجعل ابرهيم لكونه
معدن عوارف الخيرات والمنافع ومقتبس شرائف انوار الشرائع الذين
هم الانبياء او غالبهم من ذريته شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة
لكثرة نفع زيتونها اذ هو فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف نفعه كثير
فايض على كل احد وقوله يكاد زيتها يضيء اي تكاد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
المقتبسة من شجرة النبوة تبين للناس لما ظهر لهم من العلامات الشاهدة
قبل كلامه ودعواه الرسالة هذا الزيت وهذا تأويل حسن لولا ما فيه من
التكلف ونبوة عن ظاهر الاية فان معناها مثل نوره اي صفته العجيبة الشأن
اضاءة واضافته الى ضميره تعالى شاهد صدق في اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره
كمشكاة اي كصفة مشكاة فيها مصباح ثاقب نوره المصباح في زجاجة
الزجاجة كانها كوكب دري توقد ذلك المصباح من شجرة مباركة زيتونة
اي ابتداء ثبوته من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفي
ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشانها لا شرقية
ولا غربية يقع عليها الشمس وقتا بعد وقت بل بحيث يقع عليها جميع النهار
بان تكون مرتفعة او بصحراء فان زيتونها يكون انضج وزيتها اصفى او لا
نابتة في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها وهو الشام اذ زيتونها اجود
الزيتون او لا في مقناة تغيب عنها دائما فتترك زيتونها نيا ولا في مضحاة
تشرق عليها دائما وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير
فيهما في مضحاة يكاد زيتها يضيء بنفسه ولو لم تمسسه نار لشدة
تلألؤه وفرط بريقه نور على نور اي هذا النور الذي شبه به الحق متضاعف
تناصر فيه تضاعفه بزيادة صفاء الزيت وزهرة القنديل واناره نور
المصباح وضبط المشكاة لاشعته حتى لم يبق مما هو عون على تقويته شيء يهدي
الله لنوره الثاقب المشبه بالحق اي نور الاصابة الحق من يشاء بالهام او
نظر في الدليل ويضرب الله الامثال للناس تقريبا لافهامهم ليعتبروا
فيؤمنوا والله بكل شيء محسوسا او معقولا ظاهرا او خفيا عليم فيبين
كل شيء مما يمكن ان يتعلم به ويبقى فيها احيانا لانت بعيدة اكتفوا فيها بادنى مناسبة
اعرضت عنها وقد سماه صلى الله عليه وسلم الله تعالى نورا وسراجا منيرا
فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين لوضوح اعجازه وكشفه ظلمات
الشك والشرك وابانته ما خفي علينا فجعله صلى الله عليه وسلم نورا مشبها
له به مجازا مع ان كلا يهتدى به وان كان صلى الله عليه وسلم اقوى هداية واكثر
نورا ونفعا استعارة تحقيقية قرينتها هدايته امانة شيئا او تجربتا وهو اولى

لان هدايته صلى الله عليه وسلم اقوى هذا ان كان الضمير في يهدي به الله
له صلى الله عليه وسلم اما ان كان للقرآن وهو الظاهر فهو المشبه بالنور
وعطفه تفسيري اي قد جاءكم نور وهو كتاب مبين ويجوز ان يكون
استعارة تحقيقية مجردة لاقترانه بكونه يهدي به الله من اتبع منهم
رضوانه اي رضاه بالايمان اذ لا يحسن دخول اداة التشبيه عليه وان يكون
تشبيها بليغا وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا وما بعده احوال
مقدرة وردت محرزة بحيازته جميع جهات الشرف والمدح اي مقدرا
ان تشهد على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ومبشرا للمؤمنين
ونذيرا للكافرين وداعيا الى الله اي الى دينه وما يجب الايمان به من توحيده
وصفاته باذنه اي بتيسيره وقيدا لدعوته بذلك ايذانا بصعوبتها لا تسهل
الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا وهاجا اوضح بانارته للحق سبيلا حتى
رايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فتشبيهه بالسراج استعارة تحقيقية
رشحها بمرادف المشبه به بصيغة مبالغة تلويحا بقوة انارته وتقويته
ظلمات الضلال بضوئه ومن هذا اي من ما جاء بالمدح والثنا كونه نورا وسراجا
منيرا جامع كشف ظلمات العماية عن نور بصيرته قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك استفهام افاد انكار نفي الشرح مبالغة في اثباته اذ انكار النفي نفي له
ونفي النفي اثبات اي شرحناه لك ومن ثم عطف عليه ما بعده رعاية للمعنى
ومعنى شرح وسع اي الم نوسعه بما اودعناه من الحكم وازلنا عنه ضيق
العمى والجهالة او الم نوسعه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق قال ابن عباس
كما رواه ابن ابي حاتم عن عكرمة وابن مردويه وابن المنذر في تفسيرها عن ابن
عباس شرحه بالاسلام لانه امر حق فيفسح له ويسر بمخالطته بشاشته اياه كمن
بشر اي تهلل وجهه فرحا وسرورا افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه وقال سهل هو ابن عبد الله التستري شرحه بنور الرسالة التي هي لوضوح
تباشيرها وظهورها حقيقة كالنور تشبيها مؤكدا باضافة المشبه به الى
المشبه او المشبهة لكونها مشرق الهداية بذي نور استعارة مكنية خيل
لها بالنور وقال الحسن بن ابي الحسن البصري ملاه حكما وعلما وهذا وغيره
مما ذكرنا نفا ولاحقا كيفيات نفسانية واعراض لا تقوم بنفسها بل تحتاج الى محل
يقومها فهي قائمة به صلى الله عليه وسلم متعلقة بمعلوماتها مشاهدا لها دفعة
واحدة دائما لا يغيب عنه منها شيء وهذا كما مر هو الغاية القصوى في الكمالات
العلمية وقيل معناه اي معنى الم نشرح لك صدرك الم نطهر قلبك من قبول
الوسوسة حتى لا يقبل الوسواس يشهد له حديث البخاري ان جبريل اخرج من قلبه

قوله عن عكرمة ونقل عن الدر المنثور ان ابن ابي حاتم رواه عن ابن عباس

صلى الله عليه وسلم علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك ووضعنا عنك
وزرك اي عبأك الثقيل الذي انقض ظهرك من انقض الحمل ظهره اي اثقله
واصله صوت الرحل من ثقل الحمل قيل ما سلف من ذنبك وما ثقل عليك من فرطاتك
يعني ما سلف منه مما كان قبل النبوة مما ليس بذنب حقيقة كترك الافضل اذ
الانبياء يعاتبون بمثله ومما رواه البخاري ان عمه العباس قال له وهو ينقل الحجارة لبناء
الكعبة لو جعلت ثوبك على عاتقك يقيك الحجارة ففعل فخر مغشيا عليه فما رئي
بعد عريانا وقيل اراد اي الله تعالى به ثقل ايام الجاهلية لعدم علمه بالحكمة والاحكام
قبل الوحي يشهد له وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان اي قبله وهو دليل على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن قبله متعبدا بشرع
وقيل اراد ما انقض ظهره من الرسالة اذ قد تحمل بها من المشقة بما راى من
ضلال قومه وعجزه عن ارشادهم باصرارهم على الكفر عنادا وتجاوزهم في اذايته
وتنكبهم عن الحق حتى دعاهم اليه ما لا مزيد عليه حتى بلغها حكاه ابو الحسن علي
بن حبيب الماوردي الشافعي وابو عبد الرحمن السلمي احد اعلام الصوفية ن
وقيل عصمناك اي حفظناك من كل ما يوهمك فلم نخلقه فيك ولولا ذلك اي
حفظنا اياك لاثقلت الذنوب ظهرك حكاه ابو الليث السمرقندي
ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم وغيره رفعه بالنبوة واعظم لها رفعا
له ان خاطبه بالالقاب كيا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر
الامي وصلى عليه في ملائكته وامرنا بالصلاة عليه مما افادنا عظيم قدره عند
ربه وقيل رفعه اذا ذكرت ذكرت معي واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في قول
لا اله الا الله محمد رسول الله وفي ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله احق
ان يرضوه وقيل في الاذان والاقامة والتشهد وذكره فيها وغيرها مما
قيل ايضاح افاده للمبالغة قال القاضي هذا اي ما افاده انكار نفي الشرح من
اثبات الشرح ووضع الوزر ورفع الذكر تقرير من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه
وسلم على عظيم نعمه اي نعمه العظيمة حال كونها لديه واثبات منه تعالى له صلى
الله عليه وسلم يشهد له المبالغة في اثبات ما انكر بالهمزة نفيه وما عطف
عليه له صلى الله عليه وسلم ووضع الظاهر موضع المضمر لشمول غير ما ذكر
من النعم وصحة وصفها معه بالعظم هذا ويجوز ان يريد بتقرير له حمله
على الاقرار بما دخله النفي وهو الشرح مع غيره مما انضم عليه من جميل الكرم
وجزيل النعم لا بالنفي اعني لم نشرح اذ التقرير لا يجب ان يكون بالحكم الذي
دخلته الهمزة بل بما يعرفه المخاطب من ذلك الحكم اثباتا كما مرا ونفيا كما في أانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فان الهمزة فيه للتقرير بعيسى صلى

البني ا

الله عليه وسلم بما يعرفه من هذا الحكم لابانة قدر ذلك والاول اوجه ونبه
بما افاده قوله على شريف منزلته من استعلائه واستقراره وثباته صلى الله عليه
وسلم على منزلته الشريفة عنده تعالى المشبهة على طريقة الاستعارة المكنية
بمرتفع كريم عال حسي تخييلها بالاستعلاء المفاد بحرفه مقدرا وكرامته عليه صلى
الله عليه وسلم بان شرح قلبه للايمان اذعانا وانقيادا وقبولا للحق والهداية
وهي هنا من هداه بمعنى خلقها فيه اي شرحه لقبولها ووسعه لوعي العلم بما يوحي
اليه من الاحكام وبذاته تعالى وصفاته وغير ذلك وحمل الحكمة مما وافق الحق
ورفع عنه صلى الله عليه وسلم ثقل امور الجاهلية من عبادة اصنام وغيرها
وتعدد واد مما ليس بمرضي عند الله فلم تقترب منها شيئا لعصمته صلى الله عليه
وسلم وبغضه اما مصدر مضاف لفاعله مجرور بعطفه على وعي العلم اي وبغضه
لكرامته لسيرها اي ما اوثر عنها فلم يلتفت اليها لاشتغاله بما حبب اليه من
الخلاء يتحنث اي يتعبد به فيه وكان تعبده التفكر وما كانت عليه مما
لا يليق بجنابه الشريف وتقدم المنيف وفعل ماض واللام بمعنى في اي كرهه
فيها بظهور دينه اي منحه ذلك مع ظهوره ولاجل ظهوره في المستقبل او بسبب
ظهوره فيه على الدين كله اي على كل دين وحط عنه عهدة اعبا جمع عبء بكسر
اوله اي ثقل الرسالة والنبوة لتبليغه مصدر مضاف لفاعله ولامه
تعليلية متعلقة بحط اي ازال عنه ذلك ليسهل تبليغه للناس ما نزل اليهم
متلوا كان او غيره من امر ونهي ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى
وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم والتبليغ هنا كالتبيين في
الاية اعم من ان يكون نصا على المقصود او ارشادا على ما يدل عليه كالقياس
ودليل العقل وتنويهه عطف على تقريره يعني ان مما افادته الهمزة وما
بعدها شهود صدق بعظيم مكانه وجليل رتبته ورفعة ذكره يعني
انه صلى الله عليه وسلم عند الله بمكان عظيم ورتبة جليلة وذكره رفيع
وتكرير هذا وامثاله تصريحا وتلويحا لكونه في مقام يحسن فيه الاطناب
وقرانه مع اسمه اسمه عطف على تنويهه من قرنته بآخر اذا جعلته
مصاحبه في سمه تعالى مصاحبا لاسمه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر قال
قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والاخرة في مواطن كثيرة فليس خطيب ولا
متشهد ولا صاحب صلاة ولا غيرهم الا يقولوا اشهد ان مخففة
من الثقيلة اي انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو سعيد
الخدري كما في صحيح ابن حبان ومسند ابي يعلى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول تدري مستفهم عنه حذفت همزته

لعله يقترف

تخفيفا لكثرة وقوعها في الاستفهام اي اتدري كيف رفعت سماك اي على اي حال
رفعته اذ كيف اسم مبهم يستفهم به عن الحال قلت الله ورسوله اعلم اراد بالرسول
هنا جبريل لانه رسول الله اليه قال اي الله تعالى اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عطا
يعني رفعنا لك ذكرك جعلت تمام الايمان بذكرك معي فلا يصح ولا يعتد به شرعا
ما لم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقيته وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى الله عليه وسلم
بناء على اشتراط التلفظ بهما في صحته من قادر عليه قال الجمهور والحق ان اشتراطه
مع اطهاره انما هو لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا من عصمة دمه وماله وتزوج
مسلمة والصلاة خلفه وعليه ودفنه في مقابرنا ونحو ذلك لشهادة انه صلى الله
عليه وسلم رتب فيما ورد عنه على التلفظ بهما الكف عن الدم والمال لا النجاة في
الاخرة فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله وكان تاركا للافضل
وقال ابن عطاء الله ايضا جعلتك ذكرا من ذكري مبالغة في جعله بعضا منه من
حيث انه لما كان في غالب مواطن الخير لا يذكر الا مقرونا بذكره جعله كأنه بعضه مبالغة
في التشبيه ومن ثم قال ومن ذكرك ذكرني واعظم برفع في غاية الجلال ونهاية
الكمال قال جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية
من حيث ان الرسالة تستدعي ارسال رسول بقضية دليلي العقل والنقل بانه
ذو الربوبية واشار بعضهم كالماوردي بذلك الى الشفاعة يعني رفع الله
ذكره صلى الله عليه وسلم في الموقف بين الاشهاد باشتهاره بانه صاحب الشفاعة
والمقام المحمود ومن ذكره صلى الله عليه وسلم معه تعالى اي مع ذكر الله ان
قرن طاعته صلى الله عليه وسلم بطاعته تعالى واسمه باسمه الاعلى اي صاحب
بينهما اذ القران كما مر المصاحبة فقال اطيعوا الله والرسول وامنوا بالله
ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة بجهة جامعة بين الجملتين هي شرط
للعطف بها وهي هنا اتحاد المسند وقد شركت بينهما هنا في الطاعة لهما
والايمان بهما ولا يجوز جمع هذا الكلام في حق احد غيره صلى الله عليه وسلم
اذ هو الحقيق بذلك لما منحه من عظيم قدره وشريف فخره وكان ينبغي له ان اراد
ان هذا النظم لم يرد به التنزيل في حق غيره ان يعبر به بدل لا يجوز وان اراد جمعه
لغيره مثله فممنوع لشهادة ان استكرهي ولوالديك ومن كان عدوا لله وملائكته
وكتبه ورسله وجبريل وميكال وكل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله وقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ونحو ذلك
وحديث حذيفة اسنده المصنف هنا من طريق ابي داود ورواه النسائي وابن
ابي شيبة لا يقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان فهي اكده بالنون الثقيلة مبالغة
في تأكيد النهي عن التشريك في الحكم بين الله وبين غيره صلى الله عليه وسلم في مقام

العطف بواو المشتركة هنا بينهما لجهة اتحاد المسند اورده مؤيدا لما منعه من التشريك لفا في غير حقه صلى الله عليه وسلم ولكن يجوز له ان يقول ما شاء الله ثم شاء فلان لافادة ثم معنى محصلا مغايرا للتشريك والجمعية هو التراخي وهو هنا المقصود بالذات دون ما هذا وذلك ان يقول ليس في الحديث دلالة على ما زعمه من المنع لانه انما ورد مؤذنا بان مشية العبد لما كانت مرتبة على مشية الله لا توجد الا بعدها فاذا شاءها الله له شاءها العبد نبها ثم صلى الله عليه وسلم ادبا عن العطف بالواو الجمع دفعا لتوهم حصولهما معا ومن ثم في الخطابي ارشدهم صلى الله عليه وسلم الى الادب في تقديم مشية الله على مشية من سواه واختارها ان تكون في تقديمها مقترنة بثم التي للنسق اي الترتيب والتراخي خلاف الواو التي للاشتراك فانه تمنع ارادها عاطفة فيما يصدر مرتبا ومثله اي مثل الحديث المتقدم في النهي الحديث الاخر اذ هو في ذلك عن التشريك بواو العطف في غير حقه صلى الله عليه وسلم في هذا عن الجمع بينهما في ضمير واحد فيما رواه مسلم ان خطيبا قيل هو ثابت بن قيس بن شماس خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما في وقف المصنف عليه اشعار بخلاف هل وقف الخطيب عليه ام لا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت ايضاح بعد ابهام قال ابو سليمان يعني الخطابي كره منه اي من الخطيب الجمع بين الاسمين حرف الكناية اي لفظها الاطلاق للبعض على الكل اي بضميرهما واراد بالكناية هنا اللغوية لا البيانية التي هي ذكر لازم ملزوم ومنه مع جواز ارادته للازم لما فيه اي في الجمع بينهما من التسوية وذهب غيره اي غير الخطابي الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما ولم يصله بشيء قول ابي سليمان الخطابي كره منه الجمع بينهما بضمير واحد لما فيه من التسوية اصح لما روي في الحديث الصحيح انه اي الخطيب لم يقف عليه بل وصله اذ قال ومن يعصهما فقد غوى اي جهل ولم يذكر في هذا الحديث الوقوف على يعصهما وان تعجب فعجب قولهم ذلك مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وقوله للانصاري فان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم وقوله في تشهده في حديث ابي داود ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا مما جمع صلى الله عليه وسلم فيه بين اسمه واسم ربه في ضمير واحد وهي شهود صدق برد ما قالوا ومن ثم كان الصواب كما قال النووي ان سبب النهي ان الخطبة شانها الايضاح لابتنائها على مواعظ وزواجر وتذكير بايام الله فلا يليق بها رمز وتعقيد ولهذا كانت كراهته صلى الله عليه وسلم كراهة ارشاد بتركه الاولى

وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني والبيان في قوله تعالى ان الله وملائكته الاكثر على النصب عطفا على اسم ان يصلون على النبي هل جملة يصلون راجعة على الله والملائكة معا وخبر عنهم مشتركة بينهم في ضمير واحد ام لا تكون كذلك بل راجعة الى الملائكة فقط لتغاير الصلاتين وخبر عنهم غير مشتركة دالة على خبر محذوف لدلالة فاجازه اي اجاز جملة يصلون الى الله وملائكته بعضهم ولم ير التشريك مانعا اذ لا محذور فيه ونهي الخطيب انما كان لتركه الاولى الذي هو كما مر شان الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز ومنعه اي منع رجوعها اليهم آخرون لعلة التشريك بينهم في ضمير واحد وخصوا الضمير في يصلون بالملائكة وقدروا الآية هكذا ان الله يصلي والملائكة يصلون فجعلوا الخبر الثاني دليلا على خبر الاول كما في نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ولم يجعلوا يصلون خبرا عن الاول مع كونه اقيس من حيث جعل السابق قرينة للاحقه كما في قوله وقيار بها لغريب لبعد فصل الواو اياهم عن ذلك لصراحتها في الجمعية وقراءة ابن عباس ورويت عن ابي عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا على محل اسم ان او مبتدا خبره محذوف وهو مذهب البصريين وعورض بقولهم اذا اختلف مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وان كان لفظهما واحدا وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه قال ولم ادر من رواه من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته تقدم معناه وقد قال الله الظاهر انه ليس من قول عمر وعطفه عليه لقربه منه معنى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله المحبة ميل نفسي الى ما فيه كمال يحملها على ما يقرب اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل كمال في نفسه او غيره انما هو من الله وبه واليه لم يكن حبه الا لله وفيه وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله وتكونها بالارادات انسب منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم في الدنيا وحسن ثوابهم في الآخرة وعبر عنها بالمحبة على طريقة الاستعارة التحقيقية تستعير اسمها لها او المشاكلة لوقوعها في صحبة محبتهم وروي عن جماعة كابن المنذر عن مجاهد وقتادة انه لما نزلت هذه الآية قل ان كنتم تحبون الله قالوا اي عبد الله بن ابي وشيعته ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا اي رحمة وعطفا ومرادهم على وجه الانكار والاستهزاء يريد ان نتخذه منسكا اي متعبدا نعبده ونتمسح ونتبرك به ونتقرب به الى الله قال ابن الاثير ومنه قول ورقة وقد مر ببلال وهو يعذب في الله والله ان قتلتموه لاتخذنه حنانا اي لاتخذن قبره منسكا اعظمه كما اتخذت النصارى عيسى حنانا اذا فضيلتهم تغاليهم فيه الى ان عقد وانه

ان الله بل اعتقد واكبر من ذلك جهلاً وكفراً وقد ذكرناه في شرح كتابنا مقاصد فانزل الله قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته تعظيماً لقدره وتشريفاً لامره وَرَغماً بفتح الراء وسكون المعجمة اي غيظاً لمن زعم ان الله نفعه المتعقد بالرغام وفي حديث عائشة في الخضاب اسلتيه وارغميه من سلت المراة خضابها عن يدها اي القت عنها العصم اي بقيته وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب وفاتحته فهو من اضافة الكل الشيء الى كله اذ فاتحة كل شيء اوله فاضافته اليه سيما المجموع الشخصي المفتتح بالتحميد المختتم بالاستعاذة بمعنى اللام دون من كما في خاتم حديد مما هو منهور كلي يصدق على بعضه وانما كانت امه لاشتمالها على كليات معانيه من ثنا على الله وتعبد بالامر في اياك نعبد اي في جميع ما امرتنا به وبالنهي في اياك نستعين اي في اجتناب كل ما نهيتنا عنه ووعد في انعمت ووعيد في غير المغضوب وانما كانت ثلاثة اصول مقاصده لان الغرض الاصلي منه الارشاد الى المعارف الالهية ومعرفة المبدأ والمعاد ليشتغلوا بما ينتفعون به فيه ولا بد لذلك الاشتغال من باعث هو الوعد وكذلك الاجتناب من زاجر هو الوعيد ليشتغلوا بما يقرب ويجتنبوا ما يبعد ولا يرد ان كثيراً من السور كذلك لانها فاتحة وسابقة السور قد قصر مضمونها على ما ذكرنا على وجه اجمالي اذ اولها ثنا واوسطها تعبد وآخرها وعد ووعيد ثم فصل ذلك في سائر السور فاحق بها ان تسمى ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية هو ابو رفيع بن مهران الرياحي براء ثم ياء من تحت البصري او زياد البراء بالتشديد ذنا البصري والحسن ابن ابي الحسن البصري الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه لشبهها ذنا حديث خير القرون قرني اي اهل زمانه وحديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم فكلم خيار فالاضافة بيانية ودونكما شفقة عن وصافهم للفتنة لا للاحتراز اي واهل بيته واصحابه الخيار لحيازتهم جامع المكارم وشرايف الكرايم حكاه عنهما اي عن ابي العالية والحسن ابو الحسن الماوردي الشافعي ورواه في المستدرك عن ابي العالية وصححه وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث السمرقندي مثله اي مثل قول مكي لا ويا له عن ابي العالية في تفسير قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم انه رسول الله وصاحباه قال ابو الليث فبلغ ذلك اي ما قاله ابو العالية الحسن من عاصم فقال صدق والله ونصح فطلب الهداية على هذا لاجل ان يومنوا به صلى الله عليه وسلم اذ به الفوز في المبدا والمعاد كما ان الصراط في الاصل الجادة ن

بسلوكه

وهو الاستفاء منه شيئاً وثناسباً للتشبيه وقضاء لحق البلاغة وابدل منه م

بسلوكه يحصل الفوز بالمطلوب ومن ثم شبه صلى الله عليه وسلم به فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية لتحقق معناها حساً وقرنت بما يلايم المستعار منه صراط الذين انعمت عليهم بدل كل توكيداً لما فيه من التكرار وتوضيحاً لما فيه من البيان بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال تنصيصاً على ان طريق المومنين المنعم عليهم هو الذي تشهد عليهم له بالاستقامة على ابلغ وجه واكمله فكان من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم هو طريق المؤمنين وعن بعضهم في تفسير فقد استمسك اي تمسك بالعروة الوثقى انه المسمى بها في الوثاقة هو محمد صلى الله عليه وسلم اذ من وثق به نجا ومن اتبعه اهتدى شبه صلى الله عليه وسلم بها من حيث انه مأمون الانقطاع والثبات على دعوى الخلق الى الحق بعروة وثيقة من حبل محكم مأمون قطعه فاستعير له اسمها استعارة تحقيقية وذكر التمسك ترشيحاً للمجاز وشبه الثبات على الايمان به وعلى دينه الحق بالتمسك بها بجامع الوثاقة والامن من القطع ثم اشتق منه استمسك فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية وكذلك على القول بانها الاسلام الذي هو اذعان وقبول وانقياد لما علم مجيئه به من الدين ضرورة او انها ذات التوحيد التي بها النجاة في الدارين وقال سهل بن عبد الله في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال اي سهل بن عبد الله التستري هي نعمة محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى انعامه علينا اذ انعامه اصل النعم لصدورها عنه فاضة علينا لا نحصي عدد انواعها اجمالاً فضلاً عن عد افرادها تفصيلاً وجعل النعمة هنا بمعنى الانعام لان وصفه تعالى به ابلغ منها لكونه من صفات الافعال التي هي اسماؤه تعالى المشتقة منها قديمة من حيث رجوعها الى القدرة لا الفعل فالمنعم مثلا من شانه الانعام اي هو الذي بالصفة التي بها يكون الانعام وهي القدرة ولهذا مزيد بيان في شرح كتابنا مقاصد المقاصد وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اي جاء بالحق وآمن به هو ومن تبعه لشبهها ذه اولئك هم المتقون اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق وصدق به هو النبي صلى الله عليه وسلم اراد اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه ومن تبعه في ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة وقال غيرهم الذي صدق به هم المومنون وقيل ابو بكر وقيل علي وذلك يقتضي اضمار الذي مع وجود صلته وهو لا يجوز الفصل الثاني في انه النبي انا ارسلناك تقدم مع بيانه وبيان ما لاجله ذكر من تسميته بذلك وذكر هنا تلويحاً بانه صلى الله عليه وسلم جمع الله له ضروباً اي اصنافاً من رتب الاثرة بضم اوله

اي

وكسر مع سكون ثانيه وبفتحهما من اثره بكذا خصه به ومنه استأثر الله بكذا
انفرد به وجمع له جملة من اوصاف المدحة بكسر اوله اي الثنا الحسن وهذا
حديث اجمالي فصله بقوله فجعله شاهدا على امته لنفسه اي وقت تحمل
الشهادة او وقت ادائها اذ لا يكون شاهدا عليهم وقت الارسال فهي على ما مر حال
مقدرة بابلاغهم مصدر مضاف الى مفعوله الاول اي بسبب بلاغه اياهم
الرسالة مفعوله الثاني وهي اي شهادته عليهم لنفسه من خصائصه لقبولها منه
وقت ادائها به ولا يطلب بينة بخلاف غيره من الانبيا اذا جحدت اممهم
تبليغهم اياهم فيشهدوا لانفسهم به فان الله يطالبهم بالبينة وهو اعلم فيشهد
لهم به فيقول اممهم لنا من عرفتم ذلك فيقولوا اخبرنا الله في كتابه قصصنا لا انبئنا
عنا فيزكينا بشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا وكفاك شاهدا كما يكون الاجماع حجة لان الله تعالى وصفنا
فيها بالعدالة والعدل هو الخليق بالشهادة وقبولها فاذا شهدوا واجمعوا على شي
وجب قبوله هذا ولا يعترض ما رد قول المصنف وهي من خصائصه بان كل نبي يشهد
على امته لنفسه تشبثا بقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وهم انبياؤهم
لانا لا نعرف طلب البينة منهم على ذلك دونه ومبشرا لاهل طاعته بما يسرهم
كالجنة ونذيرا لاهل معصيته بما يسوءهم كالنار وداعيا الى الله باذنه لم
يرد حقيقة الاذن لفهمه من ارساله داعيا بل استعير للتسهيل والتيسير اذ باذن
المالك يسهل الدخول لملكه فالدعا الى توحيده وعبادته صعب لا يستطاع الا
اذا سهله الله ويسره وسراجا منيرا تجلى به ظلمات الشرك ويهتدى به للحق
كما يجلى ظلام الليل بسراج منير ويهتدى به وامد الله بنور نبوته نور البصائر
كما يمد بنور السراج نور الابصار وفي وصفه بالانارة اشعار بان من السراج ما لا
انارة له لقلة زيته ودقة فتيلته قال اي عطاء بن يسار لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص
بالياء كما قاله النووي تبعا للاكثر وقال ابن الصلاح انه كثر في الوصل جريا على الجادة (قال وقد ن)
والمشهور حذفها فقال فيستشكل على من لم يتوغل في العربية وربما انكره ولا وجه لانكاره
فانه لغة بعض العرب قلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبر مما يتعدى بعن اذا لم يكن بمعنى العلم فتعديته به هنا دون الباء نظرا للفظه قال
اي عبد الله بن عمرو اجل حرف ايجاب وتصديق كما قال ابن الحاجب للخبر اي للمتكلم بخبر
كقام زيد او طلب كما هنا وجوابها اجل والله قسم وذكره تاكيدا لليهود اذ زعموا انه صلى
الله عليه وسلم ليس موصوفا في التوراة ومؤذنا بجوازه في الامر المهم انه لموصوف (المهم ك)
في التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا حال مقدرة
من الكاف او من الفاعل اي مقدرا او مقدرين شهادتك على من بعثت اليهم وعلى

تكذيبهم

اي

تكذيبهم وتصديق تبعهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم ومبشرا ونذيرا وحرزا اي
حفظا بمعنى حافظا الا ان الوصف بالمصدر ابلغ لافادته جعل نفس الذات هي الحفظ
والحرز مبالغة في تشبيهه به وتناسيا له فضائل البلاغة للاميين يمنعهم لهدايته
اياهم من كل مكروه هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية والامي من لا يحسن
الكتابة نسبة الى امة العرب اذ كانوا لا يحسنونها غالبا او الى الام كانه مثل ما
ولدته امه وخصوا بكونه حرزا لهم مع كونه حرزا لمن تبعه ايضا تشريفا لهم انت
عبدي ورسولي اضافة تشريف وكان صلى الله عليه وسلم احب اسمائه اليه عبد
الله تواضعا ونذ للاكل محمد رسول الله وانه لما قام عبد الله سميتك المتوكل اي على الله
تعالى وكفى به مفوضا اليه اذ من توكل عليه كفاه ليس بفظ ولا غليظ التفات
من الخطاب الى الغيبة تفننا في الكلام وتصرفا فيه بما يورثه حسنا وتنبيها (لا)
للاسماع وتنشيطا للسامع وايقاظا للاصغا اليه اي ليس جافيا ولا قاسي
القلب شديد القول ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا
سخاب بسين مهملة وخا معجمة مشددة وذا مبالغة من السخب وهو رفع (في م)
الصوت لغة في الصخب بالصاد اي ولا كثير رفعه بل ولا قليله اذ المراد
نفيه مطلقا في الاسواق ونحوها وخصها بالذكر لانها محل كثرة اجتماع
الناس فيها من عاكف وباد الذين لا يبلغهم الصوت عادة الا بتقوية رفعه
ولا يدفع بالسيئة منه السيئة الواصلة اليه من غيره ولكن يدفعها بالتي
هي احسن فكان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم ويتجاوز عن الذنب ولا يؤنبا (خذ) (بالبرزخ)
نه اذ كان بالحلم مشتملا وبالستر متسما ولن يقبضه الله اي يميته حتى
يقيم به الملة العوجا اي ملة ابراهيم المامور هو باتباعها في قوله ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابراهيم ووصفها بالعوج مع كونها مستقيمة لان العرب
عوجتها بتغييرها مايلة عن الاستقامة متنافية في المعنى منحرفة عن
الحق وهذه في المعاني كالعوج في الاعيان بان يقولوا لا اله الا الله اذ بها
استقامة كل شي وهي منجم النجاة ومنبع الحسنات ويفتح بها اعينا
عميا واذانا صما المعنى فيهما على المجاز الذي علاقته المشابهة للمجوز
كونه استعارة او تمثيلا اذ لا عمى ولا صمم لكنهم لما لم ينظروا ويتبصروا
ولم يسمعوا ويعوا جعلوا كانما عميت اعينهم عن اجتلا ادلة الحق وصمت
اذانهم عن استماعه ثم به صلى الله عليه وسلم من عليهم بفتحها كناية عن
هدايتهم الى قبوله ولا ينافي هذا قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم لتهيئتها دة تقديم المسند اليه وايلائه حرف النفي بان الله هو المختص
بخلق الهداية فيهم وهو صلى الله عليه وسلم انما يهديهم باذن الله وتيسيره.

ويكشف به قلوبا غلفا اي عنها خلاف ما كانت فيها مغطاة بها خلقة لا يصل
اليها حق ولا تفقه حتى يمن بكشفها عنها فوجه كونه استعارة ان يشبه عدم اجتلاء
اعينهم للايات وادلة الحق وعدم نفوذه به في الاذان والقلوب بالعمى
والصمم والغلف والجامع الاشتمال على انتفاء القبول لمانع فتكون الاستعارة
في عميا وصما وغلفا اصلية وفي يفتح ويكشف تبعية ووجه كونه تمثيلا وهو ما يكون
وجه الشبه فيه منتزعا من عدة امور ان يشبه حال الاعين والاذان والقلوب
بحال اشيا مخلوقة للانتفاع بها مع المنع منه بطريق العمى والصمم والغلف ثم
استعمل اسم المشبه به في المشبه والجامع عدم الانتفاع بما خلق للانتفاع لمانع
عارض لازم له مع التكليف بالانتفاع فهو كما ترى امر عقلي مركب من عدة امور
وذكر مثله كما في البخاري تعليقا عن عبد الله بن سلام واسنده الدارمي وذكر
مثله ايضا عن كعب الاحبار فيما رواه الدارمي من طريق ابي واقد الليثي الصحابي عن
ابن سلام وفي بعض طرقه عن ابن اسحق كما رواه ابن ابي حاتم في تفسير سورة الفتح
عن وهب بن منبه ولا صخب ابلغ من صلحا اي ولا كثير الصخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش وهو في الاصل كل سوء جاوز الحد في الاقوال والاحوال
والامور والافعال ونفي تزينه به عنه مع كونه لا يراه زينة انما هو باعتبار
كون اهله يرونه زينة وفخرا لشبهه ذلك افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وزين
لهم الشيطان اعمالهم ولا قوال مبالغة من القول للخنا من عطف الخاص على
العام اذ هو الفحش في القول وقد تفاحش وفحش بالضم فحشا اسدده
قطعه عما قبله لكمال الانقطاع بينهما لانه حكاية عن صفات سلبية وهذا
عن صفات الهية ثبوتية لكل جميل اي وفقه لكل حسن من القول والعمل
يقال رجل مسدد اذا كان يعمل بالسداد اي الصواب والقصد واهب
له كل خلق كريم صفة لكل ما يحمد ويرضى اي كل خلق محمود مرضي فيما يتعلق
به من المنافع فهو صلى الله عليه وسلم عام النفع كثير بشبهه ذه دلالة كل
على الاحاطة بجميع الاخلاق الكريمة وجمع له محاسن الناس بخلق كريم يليق
به واجعل السكينة اي الطمانينة والوقار لباسه شبهها به بجامع كونه
وصفا قائما به بالباس فهو تشبيه معقول بمحسوس واجعل البر اسم لكل
فعل مرضي شعاره اي علامة كونه محمودا لسيرته واصل الشعار ما ولي الجسد
من الثياب وفي الحديث الانصار شعاري والناس دثاري والدثار ما
فوق الشعار من الثياب فتشبيه بجامع كونه وصفا قائما به بالشعار كذلك ه
واجعل التقوى ضميره اي سيرته فهي امر معنوي لا يعرف الا بظهور اثاره وقد
زين باطنه صلى الله عليه وسلم به كما زين ظاهره بانواع المحاسن والحكمة

ثم استعمل اسم المشبه به في المشبه واشتق من الفتح والكشف المجازين صيغة المضارع ع

او مثل ما ذكره عبد الله بن عمرو بن العاص لعطاء ابن يسار صح صح

علمية

علمية وعملية معقوله اي ما يعقله ليضع الامور في محالها على قانون الحق
ويبلغها على منهاج الصدق وهي تحقيق العلم النافع واتقان العمل فالاولى هي
العلم بالاشيا كما هي اي على الوجه الذي هي عليه في نفس الامر بقدر الطاقة
البشرية وتسمى حكمة نظرية والثانية هي القيام بالامور على ما ينبغي على طريقة
العدل وتسمى حكمة عملية وبهما كمال النفس بترقيها في مراتب قوتيها العاقلة
والعاملة المبينة في كتابنا مقاصد المقاصد وشرحه وناهيك بهما الا المؤيد
بالحكمة المثبت بالعصمة واجعل الصدق والوفا طبيعته وقد طبع عليهما
وجبل فكان منهما بغاية لم يدع فيها شاوا لمستبق ولا مرقى لمستنتم واجعل
العفو وهو عدم المواخذة بالذنب والمعروف وهو جامع مكارم الافعال خلقه
المامور به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين اي عامل الناس
بالعفو وامرهم بجميل الافعال واغض عما يسوءك منهم وهذه اجمع اية لمكارم
الاخلاق له ومن ثم استعظم خلقه في قوله انك لعلى خلق عظيم لفرط احتماله الممادة
من قومه ومخالقته ومداراته لهم وقالت عائشة كان خلقه صلى الله عليه وسلم
القران اي ما فيه من مكارم الاخلاق فكان لا يواخذ بذنب ويقبل من المحسن
ويتجاوز عن المسي ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويعفو عمن ظلمه مما منحه
من الاوصاف الحميدة ومكارم الاخلاق المجيدة واجعل العدل سيرته اي طريقته
ليوتسى به اي تقتدي ذووا الموتسي به اي المقتدي به قال تعالى لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة اي هو في نفسه اسوة حسنة اي له خصلة حسنة من
حقها ان يوتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه واجعل الحق شريعته ناسخة جميع
الشرايع والشريعة في الاصل طريقة الما شبه بها ما شرعه لنا من الدين وبينه
لانه طريق الى ما هو سبب للحياة الابدية وجعله الحق بطريق الحصر المفاد بتعريف
الجزئين مع ان الشرايع قبله كانت ايضا الحق لبقائه دايما لا يعتريه نسخ وابطال
الى فنا الدنيا بخلاف شرايعهم فقد عراها النسخ فابطلها وزال احكامها ورفعها
واجعل الهدى امامه فهو بكونه مهتديا به موردا له مشارع الحق خلفه فيه
كالامام له فيه يقتدي والى القصد يهتدي واجعل الاسلام ملته اي دينه
قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام اي لا دين مرضي سوى الاسلام وهو التوحيد
واجعل احمد اسمه علم منقول من اسم تفضيل مشتق من الحمد تلويحا بانه احمد
الناس لربه اهدي به بعد الضلالة فصله عما قبله لشبه انقطاع بينهما لان ذلك
مزايا بخصوصه قاصرة عليه وهذه مزايا جارية على يديه الى غيره اي ادل به الخلق
على الحق او الملة او الدين مع نصب الحجة وايضاح المحجة او اخلق بهم الاهتداء لاتباع

ذلك على لسانه لان الهدي المضاف اليه تعالى يكون بمعنى الدلالة وبمعنى التوفيق
في انهام المحذوف من الفخامة ما لا يوجد مع ايضاحه لانه اوقع في النفس
بأحتماله امورا جمة لتذهب النفس كل مذهب ممكن وقد طابق بين الهدى
والضلال واعلم بهمزة مضمومة ولام مشددة به بعد ابجها له من اذن
تغليبه ممن انسم لها وارفع بعد الخالة بخاء معجمة مفتوحة من اريد رفع قدره
وظهور ذكره ممن هو خامل انها به ساقط الذكر واسمي به بعد النكرة اي
اعرف به من هو في حكم النكرة غير معروف ولا يشهر موصوف واكثر
به بعد القلة بالدخول في الاسلام بتتابع الناس في دينه افواجا واغنى
به بعد العيلة اي الفقر مما فتح عليه وعلى اصحابه من الغنائم واجمع به بعد الفرقة
ممن كان في جاهليته ابى الوداد تابيا في قطيعته عن الحسد كالاوس والخزرج
اذ كانا لاب وام فتعاديا وطالت بينهما الحروب الى ان اطفاها بالاسلام
وقد قال لهم الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي تجمع شملهم والم شعثهم واولف
به بين قلوب مختلفة تنافر بعضها عن بعض متدابرين لا يتالفون واولف بين
اهوا متشتتة في الاحوال متعاندة في الاقوال وامم متفرقة في الاديان تجعلهم
امة واحدة في دين واحد ولا يذهب عنك ان الحذف فيما ذكر وامثاله لا تجد ذوق
البلاغة الذي تجده معه مع الذكر لما في الحذف من فخامة تفقد معه واجعل
امته خير امة اخرجت للناس بشهادة كنتم خير امة اي وجدتم خير امة او كنتم
في علم الله خير امة او كنتم في الامم قبلكم مذكورين موصوفين بكونكم خير امة
اخرجت للناس اي اظهرت وخير تنتهي تجربته بنيتهم وكماله وبما وصفوا به
مما استونف مبينا لكونهم خير امة من قوله تامرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتومنون بالله وهو متضمن للايمان بكل ما يجب الايمان به وانما
اخر وكان حقه ان يتقدم لانه قصد بذكره كونهم امروا ونهوا ايمانا به واظهارا
لدينه وكفال بهذه الاية شاهدا بكون الاجماع حجة لحكمها بانهم امرون
بكل معروف ناهون عن كل منكر بشهادة لام الاستغراق وفي حديث اخر
رواه الدارمي عن كعب موقوفا والطبراني وابو نعيم في دلائله عن ابن مسعود
اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد اضافة
تشريف وتعظيم واحمد عطف بيان ومثله اقسم بالله ابو حفص عمر المختار
اصله مختير اعل بتقلب يائه الفا لانفتاح ما قبلها اي المصطفى مولده اي مكان
ولادته بمكة ومهاجره اي مكان هجرته بالمدينة او قال طيبة امته من حيث
المجموع هم الحامدون اي الكثيرون الحمد لا غيرهم بشهادة تعريف الجزءين اذ هو

من

من طرق الحصر ومثله ذلك الحق وقوله الصدق لله على كل حال من احوالهم من قيام
وقعود واضطجاع وفي سراء وضراء وهذا من اسنى غاية المدح لهذه الامة وقوله
تعالى اورد هذه الايات تصديقا لفظا او معنى لما جاءت به هذه الاحاديث
من كونه صلى الله عليه وسلم مذكورا هو وامته في التوراة اسما وصفة منها الذ .. ن
من بني اسرائيل يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه اي يجد من يتبعه منهم
بصفته مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم خبر المبتدا اعني الذين
يتبعون بالمعروف وينهاهم عن المنكر كعبادة الاصنام وقطيعة الرحم ويحل
لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم وكل ذي ظفر ويحرم عليهم الخبائث اي ما
خبث كالاكل الميتة والدم ولحم الخنزير وحكما كالربا والرشوة ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التي كانت عليهم كتعين القصاص في العمد والخطاء
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واحراق الغنائم وظهور الذنوب
على ابواب فاعلها شبهت بالاغلال للزومها لهم لزوم الغل للعنق والاصر في
الاصل الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحراك لثقله فالذين امنوا به وعزروه روع
ونصروه اي عظموه ومنعوه من عدوه اذ اصل العزر المنع ومنه التعزير لانه
يمنع من العود الى القبيح واتبعوا النور الذي انزل معه اي اتبعوا القران مع اتباع
النبي والعمل بسنته اولئك هم المفلحون اي الفائزون بالرحمة الابدية ومنها
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم كل رسول ارسل الى قومه خاصة ونبينا الم
ارسل كافة الانس والجن جميعا حال من الكاف وامره بتبليغ ما ذكر حتى لا يتوهم
لاحد من بعده ذلك الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان فصل بينهما
بمتعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوبا او مرفوعا او مبتدا
خبره لا اله الا هو وعلى الوجه الاول هو بيان للجملة قبله اذ من ملك العالم كان
هو الاله ولي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالهية اذ لا يقدر على الاحيا
والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما
انزل عليه وعلى غيره من الرسل من كتبه ووحيه ولم يقل بالله وبي ملتفتا من التكلم
الى الغيبة لتجري هذه الصفات الامرة بالايمان به والاتباع له ولما في الالتفات
من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الموصوف
بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان اظهارا للنصفة وتحاميا
عن العصبية لنفسه واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الايمان والاتباع عد
~~هو هذا الموصوف~~ تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه لم ينفك عن ربقة
الضلالة ومنها فبما رحمة اي فبرحمة من الله لنت لهم وما مزيدة للتاكيد
وللدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهي ربطه على جاشه وتوفيقه

للرفق بهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك جواب لو اي لتفرقوا عنك فامتناعه لامتناع كونه فظا غليظا كما هو شان لو فالشرطية في الاية نتج فيها استثناء نقيض التالي لزوم نقيض مقدمه اي لم ينفضوا من حوله فلم يكن فظا غليظا فانتفا كونه فظا غليظا اللازم لانتفا الانفضاض ثابت بابطال الانفضاض المرتب على كونه فظا غليظا بطريق قياس الخلف اذ هو ما قصد به اثبات مطلوب بابطال نقيضه قال السمرقندي ذكرهم الله منته الموذن بها قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وهي انه جعل رسوله رحيما بالمومنين لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن لم يتفرقوا فهو ليس بفظ بل جعله الله سمحا بفتح اوله وسكون ثانيه اي جوادا سهلا طلقا بسكون لامه اي متهلل الوجه منبسطه برا اي بارا محسنا لطيفا اي رفيقا بامته شفيقا في دعوته فاعف عنهم بعد من موا خذتهم فيما فرط منهم مما اختص بك واستغفر لهم فيما اختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر اي امر الحرب او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لاقدارهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت على ما اطمانت عليه نفسك بعد الشورى فتوكل على الله في امضا امرك على الاصلح لك اذ لا يعلمه الا الله ان الله يحب المتوكلين فيهديهم الى الصلاح وينصرهم بالنجاح ومنها وكذلك اسم اشارة مجرور بكاف التشبيه والاتيان بكاف الخطاب لبيان كون المشار اليه بعيدا وهو ما فهم من الاية قبلها اي وكما جعلناكم مهتدين الى صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اي خيارا او عدولا فهو وصف باسم ما هو بين اطراف تنسب لبعضها باقرب من بعض اذ هو في الاصل اسم لمكان تستوي اليه المساحة من كل جانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين افراط وتفريط كالشجاعة بين التهور والجبن والكرم بين الاسراف والبخل ثم اطلق على من اتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لتكونوا علة للجعل اي لاجل ان تكونوا شهداء على الناس قبلكم وبعدكم ومعاصريكم ويكون الرسول عليكم شهيدا اي مزكيا لكم وجيء بحرف الاستعلاء تلويحا بان الرسول كالرقيب والمهيمن على امته كقوله تعالى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقدمت الصلة لاختصاصهم بتزكيته لهم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ انبيائهم فيطلب الله منهم بينة عليه مع علمه به اقامة للحجة على المنكرين فيوتى بامة محمد فيشهدون لهم فيزكيهم وهذا غاية الشرف والنكال كما قال ابو الحسن القابسي ان الله فضل نبينا صلى الله عليه وسلم

الصلاح حو

وفضل امته بهذه الاية وفيها بشهادته قوله وفي قوله اي وابان فضله وفضلهم في الاية الاخرى هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا اي سماكم الله في هذا القران المسلمين كما سماكم به من قبل في كتبه المتقدمة ليكون الرسول متعلق بسماكم شهيدا عليكم يوم القيامة انه بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ رسلهم اياهم وكذلك اي وكالاتيه ذلك فيما ذكر الاية في قوله فكيف اسم مبهم غير متمكن يستفهم به عن حال الشيء اي كيف حال هولاء الكفرة اذا جئنا من كل امة بشهيد هو نبيهم يشهد عليهم بقبح عقائدهم واعمالهم وجئنا بك على هولاء اي على امتك شهيدا على من امن منهم بايمانه وعلى من كفر بكفره وعلى من نافق بنفاقه وقوله وسطا اي كما مر عدلا خيارا ومعنى هذه الاية اي وكذلك جعلناكم على نحو ما ذكرنا وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم خيارا عدولا لتشهدوا للانبيا على اممهم يوم القيامة اذا انكروا تبليغهم اياهم رسالة ربهم ويشهد لكم الرسول بالصدق تزكية لكم واكرم بفضله ذو وهي شهود للانبيا على اممهم عند ربهم ومزكيهم سيد ولد ادم ما اعظمها فقد قيل كما رواه البخاري وتقدم ان الله اذا سال الانبيا هل بلغتم اممكم ما ارسلتم به اليهم فيقولون نعم فتقول اممهم ما جانا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله عليه وسلم للانبيا ويزكيهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على من خالفكم يتخبط في ظلمات الاوهام ويتلفع بشبهات الاسقام والرسول صلى الله عليه وسلم حجة عليكم فيما اتى به فتموه وقال تعالى مما اكرمه واثنى عليه وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق اي سابقة رحمة ومنزلة رفيعة ببركة نبيهم صلى الله عليه وسلم اذ لم ينالوه الا باتباعهم اياه عند ربهم وسميت قدما من حيث ان بها السبق كما سميت اليد نعمة من حيث ان بها العطا وفي اضافته الى الصدق تلويح بزيادة فضل هو كونه من السوابق العظيمة هذا ومعنى ما ذكره المصنف من الاقوال عن من ذكر ان القدم الصدق لهم عند ربهم هو محمد صلى الله عليه وسلم كالغيث في جنته وافاك رتقه وان ترحلت عنه يحثك الطلب الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه موردا الملاطفة تقدم له نظاير والمراد بذكره ما خوطب به صلى الله عليه وسلم من تنزيله على وجه الشفقة والرفق به والمبرة اي الاكرام والتوقير له واسناد الورود الى ما خوطب مجاز عقلي وتشبيه الملاطفة والمبرة تشريفه المال بجامع الاتفاق استعارة مكنية واثبات الورود لها استعارة تخييلية من ذلك اي مما خوطب به على ذلك الوجه الحسن قوله تعالى عفا الله عنك عتاب على وجه الملاطفة والاكرام ورد كناية عن مواخذته بالاذن لانا لعفو يرادفها لم اذنت لهم

موردا الملاطفة

بيان لما كنى عنه بالعفو وبالمعاتبة عليه اي لاي شيء اذنت للمنافقين في
التخلف عن غزوة تبوك حين استاذنوك واعتلوا باكاذيبهم وهلا
تانيت حتى تبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وكفى بهذا دليلا
على جواز الاجتهاد للانبياء وانما عوتب لتركه الافضل وسلم يعاتب عليه
اذ حسنات الابرار سيئات المقربين وقال ابو محمد مكي هذا اي عفا الله
عنك افتتاح كلام اي على طريقة مجاري العادات في مقام التعظيم والتبجيل
في مخاطبة الكرام رفعا لشانهم توقيرا لهم وتكريما وان لم يكن تقدم ذنب فهو
بمنزلة اصلحك الله ما صنعت في حاجتي واعزك الله هل تسرني بزيارتك
لي وفي الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر الله له حين
سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت
ان يخرجوني وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره بالذنب ولا
ذنب اذ يقع العتاب بلطف دون ذنب استيناسا ورفعا للهيبة في الخطاب
كما يقع بين الاحبة بملاطفة ومؤانسة ايتلافا واستجلابا للمودة وعن
بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم القلب من جميع افات القلوب
خاشعا مخلصا لله لم اذنت لهم فبداه بالعفو عما لحقه من اذنه لهم من غير
ان يامره الله به رفقا وشفقة وابقاء عليه وقيل لم يفعل شيئا لم يؤمر به
غير هذا واخذ فدا اسارى بدر ولو بداه بقوله لم اذنت لهم خيف عليه
ان ينشق قلبه وينصدع من هيبة هذا الكلام وعظمته وتاثير
وقعه في القلوب لكن الله برحمته وشفقته ورأفته اخبره متبديا
بالعفو حتى سكن قلبه وسلم من الدهشة له ثم قال له لم اذنت لهم
بالتخلف عن غزوة تبوك حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب
وهذا اي ابتداؤه صلى الله عليه وسلم بالعفو من عظيم منزلته وكريم
مأثرته عند الله ما لا يخفى على ذي لب اي عقل سليم من شوائب الوهم
ومن اكرامه اياه وبره ما من جوامع الكلم لدلالتها مع قلتها على معان كثيرة اي
اكرمه وبره بانواع المكارم والمبرات بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر بحيث ينقطع في توجه النفس الى معرفة غاية شيء دون
معرفة غايته نياط القلب فاعظم بغاية تنقطع في معرفة غايته هي دونه
معرفتها عروق القلب المعلق به من الوتين فيموت صاحبه ونياط بكسر اوله
وتخفيف ثانيه اعل بقلب واوه ياء لكسر ما قبلها وبقي المناط قال نفطويه
بكسر اوله افصح من فتحه وهو وامثاله عند النحاة بواو مفتوحة كما قبلها
ساكن ما بعدها كما بالفارسية واوه ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها

ثم ها والتاء خطا وعليه اهل الحديث نفادا من وقوع ويه اخر الكلام ذ
تابع الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه من ذلك
اي هو منزه من ان يعاتب او ينسب اليه ذنب بل كان مخيرا بين اذنه لهم وعدمه
اذ لم يتقدم نهي فلما ان اذن اعلمه الله بما اضمروه مما هو من دابهم ودينهم
انه ان لم ياذن لهم لقعدوا لنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن لهم معنى
هنا ليس بمعنى غفر بل بمعنى لم يلزمك ذنب كما في حديث عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق اي لم يوجبها عليكم ولا يقول العفو لا يكون الا عن ذنب الا من
لم يعرف اساليب كلام العرب تجب على المسلم المجاهد نفسه بالصبر على مضض
الطاعات وكفها عن الشهوات الرايض قلبت واوه ياء مناسبة لكسرها
من رضت الدابة جعلتها طوع ارادتي بزمام الشريعة خلقه تبدريبه وتمرينه
بما شرعه لنا سلنا وبينه من الاحكام فانقاد باوامرها ونكب عن نواهيها
واراد بالزمام الاحكام الشرعية التي هي عبارة عن الشريعة فاستعار اسمه لها
استعارة تحقيقية بجامع ان كلا منهما يمنع من مجاوزة الحد ثم شبه الخلق بدابة
صعبة ريضت به استعارة مكنية قرينتها تلك التحقيقية وهذا مفيد لقولهم
ان قرينتها تخييلية بالغالبية لشبهها د: الذين ينقضون عهد الله ان يتادب
فاعلم باداب القران مصدر بمعنى المفعول اي بما يتادب به منه في قوله
وفعله ومعاطاته فيتسم بالعدل والصدق ويتصف بالبر والخير
ويأخذ العفو ويامر بالمعروف ويعرض عن الجاهلين ويقول للناس حسنا
مما فيه تخلق وارشاد ويوتي كل ذي فضل فضله ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى اي وغيرهم وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ومحاوراته مهملة
جمع محاورة اي مراجعة من حار اذا رجع فيدب بها الانصاف ويتجنب
الاعتساف ولا يكن كمن قال لاخيه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا
مفتخرا بذلك متعززا به كافرا لنعمة ربه معرضا نفسه لسخطه مستوليا
عليه حرصه متماديا في غفلته تاركا نظره في عاقبة امره ولعمري ان اكثر الاغنياء
يلهجوا بنحوه فالسنة احوالهم انطق بذلك فهو عنصر بضم اوله وقد تفتح ثانيه وجوز وا
فتحه اي القران اصل المعارف الحقيقية علمية وعملية في الدلالة عليها
وفهمها منه كما تركبت منه وفي وصفها بكونها حقيقية تنبيه على ان المقصود
به بيان انها في نفس الامر كذلك لا للاحتراز وروضة الادب هي في
الاصل ارض ذات مياه وازهار فهي اطيب بقعة وانزهها شبه بها بجامع
الانتفاع بجموم منافع ادابه الدينية والدنيوية وعمومها وتنوعها
جبرا من المشبه بها خرج من باب الاستعارة الى باب التشبيه وقلبناما

عطف على بنادب امر من التامل ولينظر مستبينا هذه الملاطفة العجيبة الكاينة في السؤال من رب الارباب اي مالك المالوك تنبيها لجهة كونها عجيبة وما هي الا انه تعالى غني بذاته عما سواه فاختصاصه تعالى من شا بتقريبه سيما من صار بحيث كان قاب قوسين او ادنى امر عجيب يعجز عن ادراكه والى ذلك اشار المصنف بقوله المنعم على الكل المستغني عن الجميع واطلق الانعام والاستغنا ليعم كل انعام واستغنا فالعموم مستفاد من الاطلاق مع عدم قرينة التقييد وامتناع الترجيح بلا مرجح اذ حذف المفعول يفيد التعميم كما في والله يدعوا الى دار السلام اي جميع عباده ويثير بجزم عطف على مدخول لام الامر اي يتعرف ويتفحص وتجوز رفعه عطفا عليهما تشبها به لنسخة اخرى مرفوعه هي ويستثير من اثارة انزعجه وانهضه وهنا بمعنى يبحث ويستخرج ما فيها اي في الملاطفة العجيبة من الفوايد بيان لما كنحو ما مر سيما ان تامله او زدك محبة التعجب من صنيعه تعالى به صلى الله عليه وسلم ولكون الملاطفة سببا دالا على الفوايد جعلها ظرفا لما تكون منبعها ولينا مل اي ويبين في هذا المقام الشريف كيف ابتدا بالاكرام للطيف قبل العتب وانس بالعفو قبل ذكر الذنب بانس وبطمين على تقدير ان كان ثم ذنب وقد قدمنا ان لا ذنب من حسنات عفا الله عنك بل هو عند ترك الاولى بل في مقام التعظيم والتبجيل هذا مع مراعاته تعالى معه تقديم العفو وذكر الاذن المنبى عن علو الرتبة ونفاذ التصرف وقوته وايراد الكلام في صورة الاستفهام وقال تعالى ولولا ان ثبتناك اي تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم اي تقاربت ان تميل الى اتباعهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن تداركتك عصمتنا عن الركون الى نهجم شيئا اي ركونا قليلا وهذا حاكم عدل بانه صلى الله عليه وسلم لم يهم باجابتهم مع قوة الداعي اليها بان العصمة بتوفيق الله وحفظه قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبيا صلواته وسلامه عليهم عتاب رافة ورحمة لطفا لهم ورفقا بعد الزلات مما ليس لها حقيقة لعصمتهم كما سياتي وقد اجبنا عنها في شرح كتابنا مقاصد المقاصد وعاتب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه اي الذنب وليس هذا بعتاب بل ايقاظ له وتنبيه على انه تعالى ثبته بالعصمة ليكون بذلك اي بعتابه اشد انتهاء عن ان لركون الى اتباعهم ويكون بذلك اشد محافظة لشرايط المحبة من انقياده واذعانه لطاعة ربه اذ المحب لمن يحب مطيع وهذه اي عتابه قبل وقوع الذنب وان اسم الاشارة باعتبار ما بعده هو غاية العناية منه تعالى به صلى الله عليه وسلم ثم انظر اما من كلام المصنف او من تتمة كلام ذلك البعض سلقته من الغيبة الى الخطاب ايقاظا للامور

رضا

وحاله على التامل كيف بدا باثباته وبما لوح به من سلامته قبل ذكر ما عاتبه من قرب ميله اليهم وخفضنا ان تركن اليه اي الى ما عاتبه عليه من القرب وفي اثنا عتبه براته منه فكانه لا قاذه اياها طرفها وفي طي تخويفه اي تخويفه المطوي فيما ذكر اذ لم يفهم منه تصريحا تامينه واكرامه فكانهما معا كان في باطنه مطويا بهما هنا وقفنا علنا لكان لا عتب ولا ذنب بل بمجرد تنبيه بالعصمة حذرا من ركونه اليهم ورحمة له وشفقة عليه ومن تمرن المصنف ومثله اي مثل ولولا ان ثبتناك في الشفقة والرحمة لتقويتنا وتسليته لحزنه قد نعلم انه هو ضمير الشان ومعنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قد يهلك المال نايله ليحزنك الذي يقولون كساحر كذاب فانهم لا يكذبونك في الحقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون قال علي كما رواه الترمذي وصححه الحاكم قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فنزلت وحديث جبريل اعني يعلمون انك الصادق هنا اورده بصيغة روى ولم اعرف من رواه ففي هذه الاية منزع بفتح ميمه وزايه مصدر ميمي بمعنى مفعول اي منتزع لطيف الماخذ مستعار من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة اي دقيق الادراك من تسليته صلى الله عليه وسلم بيان للمنزع ومن اللطافة مصدر بمعنى التلطف اي منزع هو تسليته وتلطف له في القول بان قرر عنده ما اثلج صدره واطمأنت به نفسه انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له موكدا له بان والجملة الاسمية معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد ورد ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يوم بدر ليس هنا غيري وغيرك اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فقال انه والله لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللوا والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لساير قريش وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع اي الله تعالى بهذا التقرير ارتماض نفسه براء ساكنة ثم مثناة فوق مكسورة وضاد معجمة مصدر ارتمض من الرمضا اي شدة الحر شبه بها ما اشتد عليه واقلقه من وهج باطنه بسمة الكذب اي بسبب وصفهم اياه به ثم جعلهم اي الله تعالى الملام لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين كاذبين تشبها دونه لما قال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم يجحدون باياته ويكذبونه فوضع المظهر موضع المضمر تلويحا بانهم ظلموا بجحدهم وجحدوا لتمرنهم على الظلم والبا لتضمين الجحد معنى التكذيب فحاشاه من الوصم اي نزهه الله من العيب وطوقهم

بالمعاندة اي بسببها بتكذيب الآيات متعلق بالمعاندة حقيقة الظلم
ثاني مفعول لطوق جعل حقيقته لاتصالهم به وتماديهم فيه كالطوق في
اعناقهم فاستعار اسمه لها مشبهها لها به استعارة مكنية مثبتاً لها التطوق
تخييلاً فجحدهم مع علمهم بذا انما كان حسداً وعناداً اذ الجحد انما يكون ممن علم
الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها اي كذبوا بها دلالتها واستيقنتها باضمار
قد بعد الواو لانه للحال اي جحدوا بالسنتهم مستيقنة لها انفسهم وضمائرهم
ظلماً واي ظلم افحش من ظلم من تيقن انها آيات من عند الله ثم سماها سحراً بيّناً
تكبراً وعلواً اي ترفعاً عن الايمان ونصباً على العلة لجحدها هذا ودعواه ان الجحد
لا يكون الا ممن علم بعيد فقد يكون ممن جهل ثم عزاه تبدا اي صبره وحمله
عليه وانسه فانس واطمأن بما ذكره عمن قبله من الانبياء ووعده النصر بقوله
ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وهو موذن
بان قوله فانهم لا يكذبونك ليس نفياً لتكذيبه بل هو كقولك وقد اهين
غلامك لم يهينوك وانما اهانوني فصبروا اي حبسوا انفسهم على ما
كذبوا واوذوا اي على تكذيبهم وايذائهم فاصبر متأسياً بهم حتى اتاهم
نصرنا فيه تلويح بوعد النصر لمن صبر ولا مبدل لكلمات الله اي مواعيده
مثل قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
انا لننصر رسلنا فمن قرأ فانهم لا يكذبونك بالتخفيف وهو نافع والكسائي
فمعناه لا يجدونك كاذباً من اكذبه اذا وجده كاذباً وقال الفراء والكسائي
لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك بشبهة فضلاً عن حجة ولا
يثبتونه ومن قرأ بالتشديد وهو الباقون فمعناه لا ينسبونك الى الكذب
وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه التي خص بها دون غيره
وتراسه اي احسانه اليه اذا ارادته ان الله خاطب جميع انبيائه صلوات الله
وسلامه عليهم باسمائهم فقال يا آدم انبئهم باسمائهم يا نوح اهبط
بسلام منا وبركات عليك يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا يا داود انا جعلناك خليفة
في الارض يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي يا يحيى خذ الكتاب بقوة يا زكريا
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وهذا شرف لهم مع ما خصوا به من شريف المناقب
ولطيف المواهب ولم يخاطبه هو صلى الله عليه وسلم الا بالقابه مما خص به في
الندا او دل على مبالغة في تعظيمه ورفعة منزلته عند ربه مثل يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال يا ايها المز
مل قم الليل الا قليلاً يا ايها المدثر قم فانذر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم قدره
اي بجده العظيم كقوله تعالى لعمرك مبتدا خبره محذوف اي لعمرك يا محمد قسمي

مستيقنة

انهم

30

انهم اي قوم لوط لفي سكرتهم الناشئة عن تجاوزهم اتباع عوها ومساوي
استكروها المشبهة بما هم فيه من غفلة وشدة ظلمة وغواية وعدم
تمييز بين خطأ لهم وصواب ما اشير به عليهم الى البنات استعارة تحقيقية
مقرونة بما يلائم المشبه به وهو العمه المفاد بقوله يعمهون ترشيحاً للمجاز
اي يتحيرون فكيف يصغون لقولك وينجع فيهم نصحك واضيفت اليهم تلويحاً
لخسة انفسهم ودناءة همتهم ولامة طباعهم وخبث ضمائرهم ونسبته
تمكنهم منها بانهماكهم فيها ولزومها لهم بتمكن المظروف بظرفه واثبت
له في الظرفية نوعاً للاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعية اتفق
اهل التفسير في هذا اي في لعمرك انه قسم من الله بمدة حياة محمد صلى
الله عليه وسلم تعظيماً له اذ لم يقسم بحياة احد غيره وعن الطبري ان
ضمير يعمهون لقريش والجملة اعتراض بين الاخبار بقبائح قوم لوط وبين الاخبار
بهلاكهم تنبيهاً على ان من كان هذا دأبه جدير ان لا ينفعه تأديب ولا يؤثر
فيه تأنيب وتنفيراً للسامع من هذه القبائح الموجبة للفضائح ودعوى
المصنف الاتفاق على ذلك دعوى بينها غير مقبولة لقول جمع منهم انه
قسم بمدة حياة لوط اي قالت الملائكة له ذلك بشهادة سوق قصته
واصله اي لعمرك بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال بل
هو لغتان وخص القسم بالفتح تخفيفاً لكثرة دوره على السنتهم ولامه
للابتداء وقد يستعمل بدونه فينتصب نصب المصدر كما في عمرك الله كيف
يجتمعان ومعناه كما رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس وبقائك يا محمد وقيل
وعيشك رواه ابن ابي طلحة عنه ايضاً وعزي الى الاخفش وقيل وحياتك
وكلها بمعنى واحد وذكرها لاختلافها لفظاً وهذه أنث اسم الاشارة
نظراً الى ما بعده اي وقسمه تعالى بما ذكر نهاية التعظيم وغاية البر
والتشريف له صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في
دلائله وابو نعيم وابو يعلى ما خلق الله وما ذرأ من الذرء وهو الخلق
وفي الحديث ذرء النار اي الذين خلقوا لها وما برأ اي خلق وفي الحديث نعوذ
بالذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ ان
نفساً اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعنا الله بمعنى علمت
اطلاقاً للسبب على مسببه اذ السماع قد يفيد العلم اي ما علمته اقسم بحياة
احد غيره واحد عام مقيد له كما قال ابو علي وغيره بحسب وضعه له لكونه يجا
في الصحاح اسماً لمن يصلح ان يخاطب واصله وحد بمعنى الواحد ثم وضع له مستويا
فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث فليس كاحد من الناس مثلاً

[illegible]

[illegible]

ليس معناه كامرأة منهن بل معناه لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي اذا
استقصيت النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة تساويكن في الفضل
ان اتقيتن واستعماله اي احد مع كل وفي كلام غير موجب كما هنا وقال ابو الجوزاء
ما اقسم الله بحياة احد غير محمد لانه اكرم البرية عنده فعيلة بمعنى مفعولة
نقلت من الوصفية الى الاسمية فثبتت الهاء ثم هي ان اخذت من البرى وهو التراب
فلا همز او من برأ فالهمز والافصح تركه تخفيفا وقال تعالى يس الله اعلم بما
اراد به وتسمى المعممة لانها تعم صاحبها خير الدارين لا تدفعها عنه كل شيء
والقاضية لقضائها له جميع حاجاته والقرآن الحكيم عطف على يس ان جعل مقسما
به والا فواو للقسم واسند اليه الحكمة اما بمعنى انه ذو الحكمة او ناطق بها او
انه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين جواب القسم مؤكدا
بان واللام واسمية الجملة ردا على من قال له لست مرسلا على صراط مستقيم
اي لمن الذين سلكوا على الاستقامة في الامور والتوحيد وهو خبر بعد خبر او حال
من المستكن في المجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه
لمن المرسلين التزاما هذا وقد اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى
ابو محمد مكي انه روي كما في دلائل ابي نعيم وتفسير ابن مردويه من طريق ابي يحيى
التيمي قال وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها
اسمين طه ويس واياه عنى الشريف الحميدي في شعره

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة * على المودة الا آل ياسينا

اي الا آل محمد صلى الله عليه وسلم فهما اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن جعفر بن محمد انه اراد بقوله يس يا سيد مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم
~~[illegible]~~ لسيد اكتفاء ببعض الكلمة لدلالته على باقيها وقد كثر ذلك
في كلام العرب وعن سيبويه كان منهم من يقول لصاحبه الا تا اي الا تفعل فيقول
بلى فا اي بلى فافعل وقال

كانت منا ها بارض لا يبلغها * لصاحب الهم الا الناقة الاجد

اراد منايا ها جمع منية والاجد القوية ولا يقال للبعير الاجد

وقال علقمة بن عبدة

وكان ابريقهم ظبي على شرف * مفدم بسبا الكتان ملثوم

واراد بسبائب الكتان جمع سبيبة اي شقة رقيقة منه وقال لبيد

درس المنا بمتالع فابان * فتقادمت في الحبس فالسوبان

اراد درس المنازل ومتالع وابان اسما جبلين والحبس اسم موضع وسببا اصله

عند

عند البصرية سيود اعل بقلب الواو ياء ثم ادغمت في الياء لاجتماعهما مع سكون
احداهما وعن ابن عباس ايضا ان معنى يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم
رواه ابن ابي حاتم وفي الكشاف عن ابن عباس انها لغة طي فان صح فوجهه ان اصله يا انيسين
فكثر النداء به فاقتصر على بعضه وعن الحسن وسعيد بن جبير ومقاتل انها لغة
حبشية اي هم يسمون الانسان ايس وقال اي ابن عباس كما رواه ابن جرير هو قسم
من الطلاق المصدر على المقسم به وهو اي يس اسم من اسماء الله تعالى رواه ابن ابي
طلحة عنه ايضا وقال ابن الحنفية محمد بن علي بن ابي طالب امه من بني حنيفة يس يا محمد
رواه البيهقي في دلائله وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء والارض
بالفي عام واستشكل بانه كلام الله وهو قديم لا يوصف بقبلية ولا بعدية
واجيب بان المراد به اثباته في ام الكتاب اي اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو
مكتوب فيه يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال اي الله والقرآن الحكيم انك لمن
المرسلين فان قرر انه من اسمائه وصح القول فيه انه قسم كان فيه من التعظيم
ما تقدم اذ هو نهاية الشرف والتكريم وغاية البر والتعظيم ويؤكد فيه
القسم جعل يس لكونه مقسما ظرفا للقسم توسعا اي ويؤكد كونه قسما عطف
القسم الآخر عليه وهو والقرآن الحكيم وان كان يعني يس بمعنى النداء اي المناد
فقد جاء قسم آخر ذكر بعده لتحقق رسالته وتكذيب من انكرها وليتحقق
الشهادة بهدايته مصدر مضاف اما الى الفاعل اي بهدايته اسبابا ه او الى المفعو
ل اي بهداية من ارسل اليهم اي دعوتهم الى الاسلام واياكان من اسمائه اذ بمعنى
النداء فقد اقسم تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين
بوحيه مصدر بمعنى الموحى اي هو مرسل الى عباده بما اوحي اليه على صراط مستقيم
من اسمائه اي هو من الثابتين على طريق ثابت لا اعوجاج فيه ولا عدول
عن الحق اذ هي اوسط الشرائع واكرمها واعدلها واعظمها قال النقاش لم يقسم
الله لاحد من انبيائه با شيء من اسمائه على الرسالة انها ثابتة بسبب انكارهم
اياها قسما مؤكدا في كتابه الا له لشدة انكارهم لها وفيه اي في تخصيصه بالقسم
في كتابه دون غيره من الانبياء من تعظيمه وتمجيده اي تكريمه وتشريفه على تاويل
من قال انه اي يس يا سيد ما فيه من مبالغة الوجازة اي فيه ما سمعته ولا
يعلم كنهها الا الله وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم اورده عاضدا
لقول من قال ان معناه يا سيد واكثر رواياته كما في مسلم والترمذي انا سيد ولد آدم
يوم القيامة اشار والله اعلم الى ان جميع الخلائق يلجؤون اليه ذلك اليوم وانه لا منازع
له في سيادته وتشرفه فيه كما لا منازع لله في ملكه فيه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وان نازعهما فيهما في الدنيا زعماء الكفر تكبرا وعتوا كبيرا ويؤخذ منه جواز التحدث

بالنعم حيث لا فخر ولا عجب وقد يقال التحدث بها من خصائصه الواجبة عليه
بوجوب تبليغه ما يجب أن يتلقوه أمته في حقه وقوله تعالى لا أقسم بهذا البلد
وأنت حل بهذا البلد قيل لا نافية للقسم أي لا أقسم به إذا لم تكن فيه
بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة وقد كثر إدخالها على فعل القسم
توكيدا للقسم كما في لئلا يعلم أهل الكتاب أي أقسم به وأنت به يا محمد فعلى ما
حكاه مكي باطنا نافية لا أقسم به وأنت لست حالا لأنه بعد خروجك منه أو لا
أقسم به وأنت به على عظيم حرمتك أي حلال يستحل التعرض لك بالأذى
والإخراج كما يستحل التعرض للصيد في غيره وعلى الثاني وهو كونها زائدة
أقسم به وأنت به حل أي حلال لك ما فعلت فيه وتريد أن تفعله فيه ساعة من
نهار فهو وعد بما أحله له فيه يوم فتح مكة كقتل ابن خطل متعلقا بأستار
الكعبة ومقيس بن صبابة وأمن من دخل دار أبي سفيان مما فعله فيه بعد
حله على التفسيرين أي تفسيري كونها نافية وزائدة وقد أحلها له يومه
يشهد له حديث إن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض لم تحل لأحد قبلي
ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم
كحرمتها بالأمس وقيل لا ألف زائدة لعدمها في الإمام أي لأقسم وقرئ به
ولأنه لا تدخل على حال من مبتدأ وخبر هي أنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع
فتحة اللام فظهرت الألف أي يحلف الله بهذا البلد الذي شرفته بمكانك
أي بكونك أي بإقامتك حيا وبركتك ميتا يعني المدينة إظهارا لمزيد فضله
وتلويحا بأن شرف المكان بشرف أهله وهو غريب ولعل قائله ممن قال
السورة مدنية والأول من قولي البلد أهي مكة أم المدينة أصح لأن السورة
مكية لنزولها فيها وما بعده يصح مبتدأ وخبرا أي والذي بعد القسم أعني
وأنت حل بهذا البلد في كونه حالا بما أشعر به تبعيته مع كونه زائدة ونحوه أي نحو القول
الحاكم بأن البلد مكة قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا البلد الأمين
أي المأمون فيه أو الأمين من أمن الرجل أمانة فهو أمين بأمن من دخله ومن
تحرم قال أي ابن عطاء آمنها الله بمقامه فيها وكونه بها فإن كونه أي وجوده أمان
حيث كان ثم قال أي الله تعالى ووالد عطف على هذا البلد أي ولا أقسم
بوالد هو آدم أو إبراهيم عليهما السلام وما ولد من بني آدم كما هو مجاهد فهو
عام في جميع ولده ومن قال هو إبراهيم وما ولده فهي اعتراض بين المبتدأ والخبر
للتبرك وأنث الضمير باعتبار خبره وهو قوله إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فهو
المراد بقوله وما ولد فتضمن السورة القسم به صلى الله عليه وسلم في موضعين
من حيث كونه ولدا لإبراهيم وكونه والدا لشيئها دونه ما في الكشاف ونقله ابن

الجوزي

الجوزي عن أبي عمران الجوني أنه صلى الله عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره
القرطبي بقوله صلى الله عليه وسلم إنما أنا لكم بمنزلة الوالد ونكره في الآية
مبهما تعظيما لكماله وآثر ما على من لمعنى التعجب أي بأي شيء أقسم أي بوالد عظيم
حاز جانب الشرف والكمال وبمولود عظيم الشأن والجلال وخص بكونه المشار إليه
على القول بأن الوالد إبراهيم لأنه المجاب به دعوته حال بنائه البيت أن يبعث من
الأمة المسلمة فيهم ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا أمي وقوله تعالى الم ذلك الكتاب إشارة إلى الم إن جعل طائفة من
الحروف أو اسما للسورة أو للقرآن نزل لاله منزلة المحسوس لبعد درجته
ورفعة محله مبالغة في وصفه بنفي الريب عنه وكونه هدى أو لأنه لما تكلم به
وانقضى أو وصل إلى المرسل إليه صار متباعدا أشير إليه بما يشار به إلى البعيد
قال ابن عباس فيما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم هذه الحروف أي في أوائل السور
أقسام جمع قسم بمعنى مقسم به أقسم الله بها فهي إما منصوبة بحذف حرف
القسم وإيصال فعله إليه كما في الله لأفعلن أي ألزمت الله أي اليمين به أو
مجرورة بإضماره والفتح في موضع الجر فيما لا ينصرف منها كص وق لأنه
علم للسورة وعنه أي ابن عباس أن معنى الم أنا الله أعلم وعنه الألف الله
واللام لطفه والميم ملكه وعنه الر وحم ون ومجموعها الرحمن وعن
غيره فيها أي عن غير ابن عباس في معنى هذه الحروف فقيل هي أسماء الله يشهد له دة
قول علي يا كهيعص يا حم عسق ولعله أراد يا منزلهما وقيل أسماء القرآن
يشهد له الإخبار عنها به وبالكتاب وقيل الألف من أقصى الحلق وهو
مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة
وهي آخرها جمع بينها تلويحا بأن العبد ينبغي أن يكون أول كلامه
ووسطه وآخره ذكر الله وقيل هي مما استأثر الله بعلمه وروي عن الخلفاء
الأربعة وغيرهم ما يقرب منه قيل ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله
ورسوله ورموز لم يرد بها إفهام غيره إذ يبعد أن يخاطبه بما لا يفيد
وقال سهل بن عبد الله التستري روي عن ابن عباس الألف هو الله
واللام جبريل والميم محمد صلى الله عليه وسلم وحكى هذا القول
السمرقندي ولم ينسبه إلى سهل وجعل معناه الله أنزل
جبريل على محمد بهذا القرآن الذي لا ريب فيه من حيث إنه لوضوح
شأنه وسطوع برهانه لا يرتاب عاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا
بالغا حد الإعجاز لا من حيث إنه لا يرتاب فيه أحد لكثرة المرتابين فيه
يشهد له وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله

قوله لا أقسم بهذا [illegible] فيه [illegible] التعبير
[illegible] نافية [illegible] إلى معنى [illegible]
ومقتضى كونها [illegible] والتعرض [illegible]
[illegible]

لا أقسم يعني بلا النفي ن

قوله أي يحلف [illegible] العظمة [illegible]
بها جل جلاله [illegible] الذي شرفته
[illegible] به [illegible]
التعظيم له صلى الله عليه وسلم

قوله لأن السورة مكية قال الزمخشري
[illegible]
[illegible]
في قوله بهذا البلد [illegible]
محل النزول

قوله [illegible] الأول [illegible]
[illegible]

فانه لم ينفعه عنهم بل عز تحصو بما نزله وهو ان يبذلوا قواهم في معارضة سورة
منه غاية جهدهم فاذا عجزوا تيقنوا انه لا شبهة فيه ولا ريبة **وعلى الوجه
الاول** الذي رواه ابن عباس **يحتمل القسم ان هذا الكتاب** يعني القران كله على
القول بان المقسم به اسمه **حق لا ريب فيه** لما اشتمل عليه مما يقضي بانه
مما يجب ان لا يرتاب فيه **ثم فيه** اي في القسم او الكتاب **من فضيلة قران اسمه
باسمها** اما من اضافة المصدر للاسم اسماء او اسم تنبيه **نحو ما تقدم من قول
ابن عطا في قوله تعالى ق والقران المجيد قسم** اي الله تعالى **بقوة قلب
حبيبه صلى الله عليه وسلم** التي هو من حروفها اكتفاء به عنها وهي **من
حيث** انه صلى الله عليه وسلم **حمل الخطاب** من ربه **والمشاهدة** له ليلة الاسرى
اذ قد رآه وكلمه او من جبريل ومشاهدة تلك الاعباء الشاقة من امر ونهي
وغيرهما من ما هي مضادة للطبع منافية للنفس تحملها وحملها امته
ولم يؤثر ذلك فيه اي لم يعتره بسببه جزع ولم تغشه هلع **لعلو حاله**
وثبات جنانه وقوة نفسه كالثبت في عزيمته **وقيل هو اي ق اسم القران
وقيل هو اسم الله** فيصرف عليهما لقصد تمام ما يمنع صرفه ويجر باضمار حرف
القسم وقرئ بالجر والتنوين **وقيل جبل محيط بالارض** من زمردة خضرا منها
خضرة البحر **وقيل غير هذا** كالقول بانه من بعض اسمائه تعالى كالقادر
والقاهر والقريب وهو امر بالوقوف عندنا وامره او هو اعلام بتمهير
الكفرة او بالنقض امر رسانه صلى الله عليه وسلم او تنبيه على قيام الوجوب
الموتى من قبورهم مما اكتفى به عن ذكر ما بني والقران المجيد واتم التفسير
ان جعل ق اسما لحرفا وذكر للتحدي اي هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه
الحروف او للرمز بكلام كقف يا محمد عند امرنا ونهينا او اسما للسورة خاد
خبر مبتدا محذوف اي هذا في هذه السورة التي اعجزت البلغاء ولفظ الامر
واما للعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في معنى ق
من الدلالة على التحدي او الامر وانه لمعجز او الواجب لعلية والمجد والمجد
والشرف على غيره من الكتب ولانه كلام المجيد ولان من علم معانيه وعمل
باحكامه مجد **وقول جعفر بن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى
الله عليه وسلم وقول** اي جعفر بن محمد **والنجم قلب محمد هوى انشرح** اي
انسع وانفسح بما افيض عليه **من الانوار** العلمية والحكم النبوية ورتب
الهداية ورونق التوفيق اقسم به مشبها لما منحه من اشراق نور الجلالة
ورونق الكمال بالنجم او الثريا او الزهرة او غيرهما من النجوم مرادا بالهوى
الذي هو النزول للغروب او لانشقاق رونق القيامة الانشراح مشبها

به فاستعير له اسمه ثم اشتق منه الشرح فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية **وقال** اي جعفر بن محمد هوى **انقطع** صلى الله عليه
وسلم **عن غير الله** من الثقلين فكان معهم بظاهره لدعوتهم وتعليمهم
احكام شريعته مشتغلا بجناب هذا وتفسير الهوى بالانشراح تحكم وتبصر في
في اللغة والمشهور عنه انه انما فسر هنا بالنزول ليلة الاسراء وهو
المناسب لاستعمالها وهذه الآية مزيد بيان باني **وقال ابن عطا في قوله
تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد** فهو على هذا المقسم به والفجر
بمعنى مفجر الماء استعير اسمه له صلى الله عليه وسلم تشبيها له به **لان منه تفجر
الايمان** المشبه بالماء على سبيل الاستعارة المكنية ثم خيل له بالتفجر وهو تفسير
غريب بعيد والذي قاله المفسرون انه الصبح اقسم به تشبيها ذاته والصبح
اذا تنفس او المشار اليه بقوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر او بصلاته والليالي العشر عشر ذي الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر
عرفة او النحر او العشر الاول من المحرم او الاواخر من رمضان ونكرت لزيادة
فضلها **الفصل الخامس في** ذكر ما ورد به القران في **قسمه تعالى جده** بفتح
اوله مقتبس من قوله وانه تعالى جد ربنا او عظمته وجلاله وفي الحديث
كان الرجل منا اذا قرا البقرة وال عمران جد بنا اي عظم في انفسنا اي عظم
وجل وعن انس والحسن غنا في يسيرها ذهب حديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد
اي لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه ايمانه وطاعته مستعار من
الجد الذي هو البخت وصفه تعالى بالغنا المطلق مما لا يليق به لعظمته ولغناه
له صلى الله عليه وسلم مما هو لائق بالغرض هنا **ليتحقق مكانته عنده**
ويظهر شرفه وبدا بسورة الضحى لما تضمنته من كريم خطابه له وعميم نعمه عليه
تشريفا له وتكريما **فقال جل اسمه والضحى** اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد
بقوله ضحاها او بوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى
وانزل السحرة فيه سجدا لتشبيهها ذاته وان يحشر الناس ضحى وبالليل ركله تشبيها ذاته
ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا او مقابلة **والليل اذا سجى** اي ركد
ظلامه او سكن اهله من سجى البحر اي سكنت امواجه وقدم الليل في السورة
قبلها لانه الاصل والضحى هنا لشرفه وقوله **السورة** منصوب بفعل محذوف
كاعني والسورة طائفة من القران مترجمة اقلها ثلاث آيات ثم هي ان
كانت واوها اصلية فمنقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة مستقلة
محرزة على حدة او محتوية على انواع من العلم كاحتواء سور المدينة على ما فيها او من
السورة التي هي الرتبة لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ من

قوله تحكم وتصرف الخ في بحر العباب تحكم ... العرب ... جعفر الصادق ... ولده ... النصح ... السيب ... وقال ... الصحيح ... على الاحتجاج بتزلزل ... وغيرها ... الانشراح ... فاقلت بجانبه ... قلت هناك ...

سورة الى اخرى وليها من السطولا وفصل دفعة وسورة وتوابا وان كانت مبدلة
من همزة لكونها قطعة وطايفة من القران فمن السورة التي هي بقية الشي اختلف
في سبب نزول هذه السورة اي سورة والضحى فقيل كان ترك النبي صلى
الله عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام
ويشهد له ما رواه البخاري اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين
او ثلاثا فقالت له امراة اني لارجو ان يكون شيطانك تركك لما رايت
من عدم قيامك فانزل الله والضحى وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبي انه صلى
الله عليه وسلم اصيب في اصبعه فدميت فقال .
. هل انت الا اصبع دميت . وفي سبيل الله ما لقيت .
فمكث ليلتين او ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له ام جميل امراة ابي لهب ما
ارى شيطانك الا قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاثا فنزلت
وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول رواية
الحاكم انها امراة ابي لهب ولعلهما قالتا له ذلك وقيل تكلم المشركون عند
فترة الوحي وكانت سنتين ونصف وقيل كان ذلك بضع عشرة يوما
فنزلت السورة اي والضحى ويدل عليه حديث مسلم والترمذي ابطا جبريل
عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله سبحانه
ما ودعك ربك وما قلى تضمنت هذه السورة يعني سورة والضحى من كرامات
الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ومن مزيدة او للتبعيض اي تضمنت اشيا عظيما
اكرمه الله به وتنويهه به من نوه بالشي اي رفعه ونوهت باسمه اي رفعت ذكره
وتعظيمه اياه بما خصه به ستة وجوه جمع كثرة في موضع جمع قلة توسعا
وقد يكثر استعمال احدهما فيؤثر استعماله في الاخر كفلوس جمع فلس او يؤثر
على افلس لقلة استعماله الوجه الاول القسم له صلى الله عليه وسلم عما اخبره
به في هذه السورة من ما دل على كريم كماله وعظيم حاله تمييز بيان لما اقسم له
على نفيه بقوله والضحى والليل اذا سجى مما يحتمل في هذا المقام واختار هنا
لكن الظاهر انه تعالى اقسم بما مر تنبيها منه تعالى على شرفه وهذا اي القسم
له على ذلك من اعظم درجات المبرة من البر وهو اسم للخير ولكل فعل مرضي
اذ قد اوتي صلى الله عليه وسلم ما لم يؤته احد من مراتب متباعدة ودعوة عامة
وحجج متظاهرة وايات متكاثرة ومعجزات مستمرة باهرة وبينات متعاقبة
تبقى قبل الدهر وفضائل علمية وعملية نعوتا لحصرها وقد شبهها المتن لكونها
ارفع بدرج درجات في غايتها لذ نفعه على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبتها لها
تخييلا الوجه الثاني بيان مكانته عنده اشارة الى اعتنائه صلى الله عليه وسلم

وحظوته

وحظوته لديه بظا معجمة وحا مهملة مثلثة لانه على وزن فعلة ولا مدخل و
بعدها تاتا نيث من حظي عنده اذا كان ذا منزلة واحظاه على فلان اي فضله
عليه بقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك وما قطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة في الودع
اي الترك اذ من ودعك فقد بالغ في تركك وفي الحديث غير مودع ربنا
اي غير تارك طاعته ولا مفارقها وقرا عروة وابنه هشام ودعك مخففا
مع استغناء العرب عنه بترك فلم تنطق به ماضيا وقد جاء في الحديث شر
الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وفي الشعر من نحو قوله
. فكان ما قدموا لانفسهم . اعظم نفعا من الذي ودعوا .
وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك وحذف مفعوله ومفعول
فاوى فاغنى فهدى اكتفا بذكره سابقا كما حذف من الذاكرات في والذاكرين
الله والذاكرات اي والذاكراته ومراعاة الفواصل الوجه الثالث قوله عز وجل
وللاخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق اي ما لك في مرجعك اي ما تؤول
اليه فيها باقيا خالصا من الشوائب مما اعد لك من كرائم الانعام اذا صرت عند
الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا المؤذن بنفي التوديع والقلى من
مواصلتك فيها بالوحي والكرامة وكونك حبيبه ونصرك على اعدائك وغير ذلك
من الانعامات وهذا معنى ما قال سهل اي ما ادخرته لك من الشفاعة والمقام
المحمود فظاهر في انه مقام الشفاعة الذي يحمده فيه الاولون والاخرون وبه
قال الاكثرون لشهادة حديث هو المقام الذي اشفع لامتي ويجوز ان يريد به كما هو
ظاهر الاية كل مقام يتضمن كرامة او مقام الحمد خير لك مما اعطيتك في الدنيا
من كمال النفس ونفاذ الامر او لنهاية امرك خير من بدايته فتصاعدك في مدارج
الرفعة ومعارج الكمال الوجه الرابع قوله ولسوف خبر مبتدا محذوف
دخله بعد حذفه لام الابتدا لتاكيد مضمون الجملة اي ولانت سوف يعطيك
ربك فترضى ما تقربه عينا لا للقسم اذ لامه لا تدخل المضارع الا مع نون التوكيد
وجمع بين حرفي التاكيد والتاخير تلويحا بان العطا كائن لا محالة وهذه الاية
ولسوف جامعة لما اعطيه وما وعد من وجوه الكرامة وانواع السعادة
وشتات الانعام في الدارين مما لا يعلم كنهه سواه فغني الفاعيه من التفخيم
والتعميم لتذهب النفس كل مذهب ممكن مما لا يكون في بيانه والزيادة
بالجر عطف على وجوه اي وجامعة للزيادة على ما اعطاه في الدنيا ووعد
في الاخرة وتشبيه الكرامة بصور حسنة استعارة مكنية واثبات الوجوه
لها استعارة تخييلية وجمعها لاختلاف انواع الكرامة قال ابن اسحق في
سيرته يرضيه بالفلج هو على ما في الصحاح بفتح الفا واللام وبالجيم والاسم

بضم الفا وسكون اللام اي الفوز والظفر باعدائه في الدنيا كيوم بدر وقريظة
والنضير وفتح مكة والثواب في الآخرة مما اخفي له من قرة اعين وقيل يعطيه
الحوض وفسر تبعا للعطا بالخير الكثير المفرط كثرة لما في البخاري ومسلم بينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم اغفا اغفاءة ثم رفع راسه فقال نزلت علي آنفا سورة
فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو
الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترده
امتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السما قيل وانما يصح التمسك به اذا جعل قوله هو
حوض عايدا الى النهر وانما هو انه خبر عن الخير الكثير فهو الحوض نفسه وفي رواية
الاخرى الكوثر نهر في الجنة عليه حوضي اي يمده فماؤه منه اشد بياضا من اللبن
واحلى من العسل فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من ورق
ونهر بغين معجمة مضمومة فنون فوقية معناه يجري جريا متتابعا له صوت
ويعطيه الشفاعة يحتمل ان يريد بها هنا العظمى لفصل القضا بين اهل الموقف اذا
فزعوا اليه بعد الانبيا ويحتمل ان تكون اللام للاستغراق جميع شفاعاته وستمنحها
وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب قال ليس آية
في القران ارجى منها يعني ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا يرضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار رواه عنه ابو نعيم في الحلية موقوفا
والديلمي في مسند الفردوس مرفوعا وروي انه لما نزلت قال اذا لا ارضى ان يكون
واحد من امتي في النار وهذا ان صح يشكل بما ورد متواترا بدخول بعض عصاتهم
فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز الدعا لجميع المومنين بمغفرة
جميع ذنوبهم اذ لا بد من دخول بعض منهم فيها ويعارضه دب اغفر لي
ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا وللمومنين والمومنات الوجه انما هو با عدد
الله عليه من نعمه جمع نعمة بمعنى انعام وقربه من آلائه اي نعمائه واحدها الا ال
بالفتح وقد يكسر ويكتب بالبا كمعي ومعا وذكره وان كان بمعنى نعمائه تفننا
ونا كيدا لعدها وتعريفها فيه بكسر اوله وفتح ثانيه اي له وعنيه كونه وقوع
في مقام يحسن فيه الامتنان بها وتعديدها في بقية السورة من الم يجدك
يتيما الى فاما اليتيم تلويحا بانه تعالى كما احسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا كما
عدو قرر مورد اله على خلاف ترتيبها في السورة كما اشار اليه بقوله من هدايته
مصدر مضاف لفاعله اي من هداية الله اياه الى ما هداه له من تعليمه بالوحي
القران والاحكام التي يعبر بها وكلفه بتبليغها او ارشاده الى ما يميز به
عن قومه ورفضه ما لا يليق بجنابه الشريف والى الطريق اذ قد ضل في شعاب
مكة صغيرا فرده ورقة الى جده ومن شانيه لما عد وقرر وعطف على

حزب المحدر

يعتمر

هل يجوز الدعا لجميع المومنين بالمغفرة

مدخولها قوله او هدايته الناس به على اختلاف التفاسير في يهدي فهو اما
بمعنى هداه الله او بمعنى هدى به الناس ولاماله عطف على مدخولها ان
ايضا اي ومن انه وجده بمعنى علمه فقيرا فاغناه بما آتاه وارضاه به من الرزق
او بما جعله في قلبه من القناعة والغنى او غنى النفس لشهادة حديث ليس
الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس وحديث القناعة مال لا ينفد وقد
رفعه الله عن رتبة الغنى بكثرة المال اذ قد خيره بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا
عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فكان غناه بما اعطاه ونفعه به ومن انه
وجده يتيما مات ابوه قبل ولادته فاواه الى عمه فجذب بفتح اوله وكسر ثانيه
اي رقه ورحمه وعطف عليه عمه ابو طالب واسمه عبد مناف واواه اليه
واحسن تربيته وقيل آواه الله ملحوظا بعين عنايته محفوظا في كنف رعايته بمراى
منه ومسمع وقيل يتيما لا مثال لك بما تلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة
عصما اي محفوظة ممنوعة معصومة عن ان يكون لها نظير وفي الكشاف انه من بدع
التفاسير ومعناه الم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك الله واما
جعله بدعة لنبوه عن معنى الآية وصرفها عنه بلا داع شرعي ويجدك ووجدك
في موضعه من الوجود اما بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثوان له او
المصادفة فاحوال وقيل المعنى الم يجدك والناس في ضلال فهدى بك
ضالا او وجدك فيهم عيلة فاغنى بك عائلا ووجدك وفيهم ايتام فآوى
بك يتيما والحق ان هذا الحاق ببدع التفاسير لصرفه الآيات عن معناها
بلا دليل شرعي وذكره صلى الله عليه وسلم ربه تذكيرا امتنانا لا لانسانا
لقصد المن جمع منة اي عطية واحسان وانه اي انسانا او هو صلى الله
عليه وسلم على المعلوم من التفسير لتفصيله ربه تعالى هذا وما تقدم
ضميرانه حال منه اي انه حال استغلاله به على ما علم من تفسير الآيات
مراعى بعين العناية في حال صغره وعيلته ويتمه تشبيه للمعلوم منه
ثم بقع حاله قد نسمه فصانه حيث لم يخف ان ربه لم يهمله في وقت منه
ويجوز ان يكون ضميرانه له تعالى وعلى المصاحبة كمع كما في واتى المال على
حبه اي وانه تعالى مع ما علمناه من تفسيرها لم يتركه فيما ذكر ولا قبل معرفته
صلى الله عليه وسلم به تعالى وهذا من عطف عام الاوقات على ما شملته
القبلية وغيره ولا ودعه ولا قلاه اي ما تركه ولا ابغضه كل ذلك
تجاوز عن تربيته الحسنة بما يصلحه في جميع احواله واذا كان هذا حاله
الكريم قبل بعثته ومعرفته ربه فكيف حاله بعد اختصاصه بالكرامات
السنية واصطفائه اي بعد ارساله واعلامه انه تعالى اصطفاه على جميع

اي لا نظير له

وآدم م

العالمين بكرامته ومنزلته عنده والا فقد كان اصطفاه في الازل بقوله كنت
نبيا بين الما والطين وفي رواية وآدم منجدل في طينته اي وآدم مراد ايجاده منهما
في وقته فلا ينبغي ولا تجوّز حذرا من توهم كونه من غيرهما والظرفية مجازية
والا لزم فساده تقييد الكونية بالحال الوجه السادس ان مما انعم الله عليه ارشاده
الى الاقتدا به تعالى في الرفق ومكارم الاخلاق كما كان له فانه كان يتيما فآواه وضالا
فهداه وعايلا فاغناه فنهاه بقوله فاما اليتيم فلا تقهر واما السايل فلا
تنهر اي مهما يكن من شي فلا تنس نعمتي عليك فلا تقهر يتيما بل تعطف
عليه وآوه كما عطفت عليك وآويتك ولا تنهر سايلا بل تلطف به وبره
بمعروف كما لطفت بك وبررتك بمعروف وفي وقدّم مفعولاهما لتضمن
اما معنى الشرط اللازم له الفا ع لما المانع من تقديم فعله مفعولا الالتزام
فاصلا بين الفا واما القايمة مقام فعله حذرا من دخول فعل على فعل وبين
تقهر وتنهر جناس لاحق ومنه امره باظهار نعمته عليه مصدر مضاف
الى الفاعل في جميع ما انعم به عليه اذ اضافة المفرد تفيد العموم وشكرها [illegible]
به عطف تفسيري اذ اظهارها شكرها بنشره واشادة ذكره مصدر
اشاد بذكره اي رفع من قدره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان
من شكر النعمة التحدث بها لحديث التحدث بالنعمة شكر ومن التحدث
بها اظهارها في الملبس والمركب ونحوهما لحديث اذا انعم الله على عبد احب
ان يرى اثر نعمته عليه وهذا اي امره باظهارها خاص له صلى الله عليه
وسلم عام لامته لانه اما منهم فامره كامرهم ولانه المامور والحكم
يعمهم لاستوائه واياهم فيه وقال تعالى حال لازمة من ضمير قال اي
متعاليا عما لا يليق بجنابه الكريم والنجم اذا هوى الى لقد راى من آيات
ربه الكبرى اختلف المفسرون في النجم اختلافا مصحوبا باقوال ومعنى
عن آن ولم معروفة منها النجم على ظاهره فالمراد به اما جنس النجوم كما في قوله
احسن النجم في السما الثريا والثريا في الارض زين النسا او هو الثريا لغلبته
عليها او هو الزهرة لانهم كانوا يعبدونها فنبههم على انتقالها او الذي
يرجم به لهويه غروبه او انتشاره يوم القيامة او انقضاضه وطلوعه اذ
يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد ومنها
انه هو القرآن لانه نزل حصصا موزعة دفعات من نجم الدية اداها حصصا
ومنه نجوم الدية لحصصها المؤداة واصله من النجم للكوكب الطالع لان النجوم
معالم للاوقات وعن جعفر بن محمد انه اي النجم المقسم به محمد عليه الصلاة
والسلام وكثيرا ما يذكر المصنف السلام بدون صلاة مع كون افراد احدهما

تمام م

حصصا

عن

عن الآخر مكروه هنا قوله اي جعفر قلب محمد صلى الله عليه وسلم ففي قسمه
به من التعظيم ما لا يخفى وقد مر في قوله والسما والطارق اي البادي
ليلا واصله لسالك الطريق خص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل في البادي فيه وما
ادراك ما الطارق النجم الثاقب اي المضي كانه يثقب الظلام بضوئه
فينفذ فيه ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم غير انه اولا [illegible] بوصف
عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشانه وتشبيها له به بجامع ان كلا يهتدى به
لكنه صلى الله عليه وسلم اعظم من هدى به واكرم من به يقتدى فكم به
ظلام كفر انجلى ونضيد ونور دينه دجنة الردى وقد تضمنت هذه الآيات
من اولها الى لقد راى من آيات ربه الكبرى من فضله وشرفه العد بكسر
مهملته اي الكثير الذي لا تنقطع مادته ومنه ما عدّ اي دائم لا انقطاع
له ما نكرة موصوفة محلها نصب بتضمنت وردت مجرورة بالتعظيم والتكثير
اي بلغ فضله وشرفه عظما وكثرة الى حد يقف في احصائه دونه اي دون
كل منهما العد بفتح مهملته فعظم بفضل وشرف يعجز عن احصائها دونهما
العد ما اجله واكثره هنا ولما نسبوه الى الضلال والغي وانما ينطق عن
هواه ورايه اقسم جل اسمه تكذيبا لهم على هدايه المصطفى تبرئة لساحته
عن الضلال فلم يعدل عن القصد واقسم على تنزيهه عن الهوى فيما اخبر به
عن الحق اذ لم ينطق عن هواه ورايه واقسم على [illegible] فيما تلى من
القرآن الكريم واقسم على انه وحي يوحى وصله اليه عن الله جبريل وهو
اي جبريل الشديد بها القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي
شديد قواه اذ هو الذي سطت في ابداء الخوارق منها انه اقتلع قرى قوم لوط
ورفعها الى السما ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ثم بعد قسمه
وبرائة جنابه اخبر عن فضله بقصة الاسرا اذ قد منحه في تلك الليلة
من شرف الكرامة ورفع المكانة ما لا يعلمه غيره واخبر عن انتهائه الى سدرة
المنتهى بقوله ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وهي في الاكثر شجرة
نبق في السما السابعة عن يمين العرش ينتهي اليها علم المقادير واستعير اسمها
لها لتشبيهها بها لاجتماعهم في ظلها واخبر عن تصديق بصره فيما راى بقوله
ما كذب الفواد ما راى اي ببصره من صورة جبريل او الله تعالى اي ما كذب
بصره فيما حكاه له لان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم بالبصر
او ما قال فواده لما رآه لم اعرفك ولو قال له لكذب لانه عرفه بفواده كما رآه
بصره يقينا لا تخيلا اذ قد سئل هل رايت ربك قال رايته بفوادي واخبر
انه راى من آيات ربه الكبرى بقوله تعالى لقد راى من آيات ربه الكبرى

والله لقد رأى ليلة الاسرى الكبرى من آيات ربه وعجائبه الملكية والملكوتية
او الكبرى صفة للايات والمفعول محذوف اي شيئا منها او من مزيدة وقد
نبه على مثل هذا اي رويته من آيات ربه في سورة الاسرا بقوله لنريه من آياتنا
ولما كان ما كاشفه اي باداه عليه الصلاة والسلام برويته بمعنى اطلع عليه وراه
ابتدا لا بمعنى رفع غطاه وان زعم لعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال رفع
غطا ما هنالك من ذلك الجبروت فعلوت مبالغة من الجبر اي القهر كالعظموت
من العظمة والمراد ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد ببصر وشاهده
من عجائب الملكوت مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة لا تحيط حتى
كان به العبارة لقصور الافهام عن احصائه ادراكا ولا تستقل بحمل سماع ن
ادناه اي اقله العقول لعجزها عن حمله فضلا عن حمل اكثره رمز عن جوانبها اي
رمز الله عنه اي عن ما كاشفه صلى الله عليه وسلم واطلع عليه بالايما متعلق
برمز والكناية عطف على الايما وكلاهما اسما لمعنى واحد هو هنا ترك التصريح بشهادة
قوله الدالة على التعظيم لعدم استقلال العقول بسماع ادناه وقد تتفاوت
بالاعتبار جلا وخفا اي رمز اوما وكنا عنه بما تعظيما له وتعظيما فقال فاوحى
اي جبريل او الله الى عبده صلى الله عليه وسلم ما اوحى اي شيئا عظيما لا يعلم كنهه
سواه فعبر بها لما فيها من التفخيم ما ليس في ايضاحه وهذا النوع اي الرمز بالايما
والكناية من الكلام اي من انواعه يسميه اهل النقد والبلاغة العارفون بجيد
الكلام وبهرجه تشبيها لهم بصيارف ذهب وفضة يميزون الجيد عن
البهرج استعارة تحقيقية مجردة بالوحي والاشارة هما هنا لعدم التراد
بالموحى به اسمان لمعنى او اخذ ماصدقاته كالكتابة والرسالة والالهام والكلام
الخفي وتد تتفاوت وضوحا وخفا وهو اي النوع المسمى بهما ابلغ ابواب
الايجاز من حيث انه من جوامع الكلم ليسير مع قلته الى معان كثيرة مبهمة يذهب
فيها الفكر كل مذهب ممكن متصرفا فيه هذا ولا يعزب عنك ان كل كلام اما ناقص
عن معناه او مساو له او زايد عليه ايجازا ومساواة واطنابا واعلاها الاول من
حيث ان المعاني هي المقصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك
كالقرب في الطريق فكان راحة بالسلوك ويليه المساواة في الاستحسان ان
لا تفاوت له في القرب واكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب
كالطريق البعيد فتراه مرفوضا غالبا وانت خبير ان لكل منها في الخطاب مقاما يستعمل
فيه بحسب افهام المخاطبين فيخاطب كل بما يناسبه من لطائف العبارات ودقائق
المعاني ما لا يناسب الثاني وقال تعالى لقد رأى اي ابصر من آيات ربه الكبرى
الدالة على عظمة جلاله انحسرت الافهام اي عييت وكلت عن تفصيل ما اوحى

اليه

اليه انه لا يحيط به حد ولا يحصيه عد وتاهت الاحلام اي ذهبت متحيرة في تعيين
تلك الآيات الكبرى فلم تهتد الى معرفة شيء منها لكثرتها على القول بعدم
زيادة من او لسعة الملكوت على القول بزيادتها قال المصنف اشتملت هذه
الآيات على اعلام الله مصدر مضاف الى فاعله اي اخباره بتزكية جملته اي
بتطهير ذاته عليه الصلاة والسلام وعصمتها اي حفظها من الآفات في
هذا المسرى اي مكان السرى او هو مصدر ميمي بمعنى السرى فزكى فواده
اي قلبه ولسانه وجوارحه اي اعضاءه التي يكتسب بها فزكى قلبه بقوله ما
ينطق عن الهوى اي ما يصدر نطقه عن هواه ورأيه وقد يحتج به من لا
يجوز له الاجتهاد وانه بما لا يرضى وزكى بصره بقوله ما زاغ البصر اي
ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى اي وما تجاوزه بل وقع عليه
وقوعا مستيقنا او ما عدل عن رؤيته ما امر برويته من العجائب وقال
تعالى فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما
عدا النيرين من السيارات وبين تم وصفها بقوله الجوار الكنس اي
السيارات تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اي دخل كناسه اي بيته
لا اقسم اي اقسم على القول بزيادة لا انه اي القرآن لقول رسول قاله عن رب
كريم عنه من سله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي اي ما اوحي اليه من
الحق الى الخلق مكين اي متمكن المنزلة والجاه ولكونها لمكانة على حسبها لا لمكان
قال عند ذي العرش تلويحا بعظم مكانته ومنزلته من ربه رفيع المحل
عنده مطاع ثم اي في السما اذ قد بلغ فيها ليلة الاسرا فاطاعوه اجمع امين
على ما اوحي اليه ولم يخل وصله بما قبله وما بعده قال علي بن عيسى الرماني
وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم ما ذكرها من الاوصاف
تعدد اي بعد ذكره على هذا القول له صلى الله عليه وسلم وقال غيره اي غير
علي بن عيسى وهم الاكثرون هو اي الرسول الكريم جبريل فترجع الاوصاف
اليه وما صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون تكذيب للكفرة فيما افتروه
عليه اذ قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وقد تمسك به من ذكر
عن الحق وفضل جبريل عليه لعد فضائله واقتصاره على نفي الجنون عنه صلى
الله عليه وسلم وضعف بان المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى
على الله كذبا ام به جنة لا عد فضلها والموازنة بينهما ولقد رآه يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم قيل عن ابن مسعود وغيره رأى ربه وقد مه لانه اوفق
بغرضه وقيل رأى جبريل في صورته التي خلق عليها وما هو صلى الله عليه وسلم
على ما يخبر به مما اوحي اليه وغيره من الغيب بظنين اي بمتهم من الظنة

ما كذب الفؤاد ما رأى بل صدقه
محققا له او ما نفر عن التأمل
والا لكان ... لسانه يقول له ...

قاله

النبي دعي للابلد فاطاعوه

ف

فجميع

اي النميمة ومن قرأ بالضاد فمعناه ما هو ببخيل من الضن وهو البخل بالـ[illegible]
الى الله تعالى والتذكير بحكمه مصدرا مضافا الى فاعله اذا اضافته الى المفرد
تفيده اي ولا يبخل بتذكيرهم باحكام الله وبعلمه يحتمل عود ضميره الى الحكم اي
ولا يبخل بتعليم كونه واجبا او مندوبا او مكروها او مباحا لهم ويحتمل عوده الى النبي
صلى الله عليه وسلم اي ولا يبخل ان يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم منه شيئا ورجح ابو
عبيد قراءة الظاء المشالة لانه لم ينسبه احد الى البخل بما ذكر بل اتهم وكذب فجرده
عليهم بالآية بما زعموا وهذه اشارة الى ما دل عليه قوله وما هو على الغيب
بظنين من انه ليس بمتهم ولا ببخيل على قراءتي الظاء والضاد وانث اسم الاشارة
نظرا الى انه صفة وقوله تعالى ن اسم للحرف او للحوت اريد به الجنس او الحوت
الذي عليه الارض او للدواة فان بعض الحيتان يخرج منه اسود اسود من الحبر
يكتب به ونصبه الاول سكونه وكتبه بصورته مسماه والقلم هو ما كتب به
اللوح المحفوظ او ما يكتب به اقسم الله تعالى بما اقسم به مما لا يعلمه غيره الا
ما ذكر او غيره من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى اي تبعيده عما لا يليق
بجنابه الكريم ما غمصه بمعجمة ومهملة بينهما ميم اي عابه واحتقره الكفرة
به وكذا سحره له فقالوا هذا ساحر كذاب والنسبة وبسط له امله
صلى الله عليه وسلم بقوله مخاطبا حال من ضمير ما قبله خطابه مفعوله
ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم ومقول القول وبنعمة ربك حال
من اسم ما ورد اعتراضا بين اسمها وخبرها اعني بمجنون للامتنان اي ما انت
بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والعامل فيه معنى النفي ردا لقولهم
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وهذه اي ما آنسه وبسط امله
به وانث اسم الاشارة نظرا الى لفظ المبرة في قوله نهاية المبرة في المخاطبة
واعلاء درجات الادب في المحاورة ثم بعد ان نزهه وبرأه مما نسبوه اليه
اعلمه بما له عنده من نعيم دائم ابد الآباد وثواب غير منقطع لا يأخذه
اي لا يضبطه ولا يحيط به العد ولا يمتن به اي ولا يعد عليه فقال وان لك
على احتمالك اذاهم لاجرا غير ممنون اي غير منقطع او غير ممنون به عليك
فانه يعطيك بلا واسطة ثم اثنى عليه بما منحه اي اعطاه من هدايته
وهداه اليه واكد ذلك الذي يدل على ما منحه به تتميما للتمجيد من المجد وهو
الكرم اي تتميما لنسبته اليه بنوعي التأكيد ان واللام مع اسمية الجملة فقال
وانك لعلى خلق عظيم استعظمه لفرط احتماله اذى قومه ومبالغتهم
فيه فكان يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون يرحم الله اخي موسى
لقد اوذي اكثر من هذا فصبر ثم قيل عن عائشة انها سئلت عن خلقه

[illegible] (marginal note)

فقالت خلقه القرآن اي ما فيه من جامع مكارم الاخلاق ومن ثم قيل هو
ما امره الله به بقوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل
عن ابن عباس انه الاسلام اي التوحيد والانقياد لامر الله وقيل عن الماوردي
انه الطبع الكريم ومن ثم كان يخالق الناس بمكارم اخلاقه فكان مع الخلق
بجسمه مباينا لهم بقلبه وقال الواسطي اثنى الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم
بحسن قبوله اي بقبوله الحسن لما اسداه اليه اي انعم به عليه من نعم بيان
لما اسداه اليه وفضله بذلك على غيره من خلقه لانه جبله اي طبعه على
ذلك الخلق فسبحان اسم للتسبيح اي التنزيه وقد جعل علما له فيقطع عن
الاضافة ويمنع من الصرف ونصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام
للتنزيه عن السوء وقد يتعجب به فيؤتى بمن كما في قول الاعشى
اقول لما جاءني فخره ۞ سبحان من علقمة الفاخر ۞
اي العجب منه اذ يفخر اللطيف اي ذي اللطف والرفق والرأفة
الكريم المحسن الذي عم بره ونطقه الجواد بتخفيف جيمه اي كثير الجود
وفي حديث رواه الترمذي في جامعه والبيهقي في الاسماء والصفات
عن ربنا تعالى انه قال وذلك اني جواد ماجد المجيد ذي المجد والكرم الذي
يسر للخير وهدى اليه اي دل عليه اي خلق الاهتداء فيمن اراد هدايته
له ثم اثنى على فاعله اي فاعل الخير وجازاه عليه بنحو قوله وما تفعلوا
من خير يوف اليكم ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر
لكم والله غفور رحيم سبحانه ما اغمر نواله واوسع افضاله تعجب من
حاله تعالى في اتصافه بما يقتضي اضافة الآية وفصله عما قبله لانه
بدل منه لكونه عجيبا وافيا بتأدية ما افاده وصفه تعالى بما ذكر قبل
لانفصاحه بعموم نعمه وعموم كرمه وما تامة مرفوعة بالابتداء
وسوغه ما افاده تنكيرها كتنكير شر اهر ذا ناب وخبرها ما بعدها
او استفهامية خبرها ما بعدها او موصولة صلتها ما بعدها وخبرها محذوف
وقد شبه نواله تعالى اي اعطاءه لكثرته على طريقة الاستعارة المكنية
بماء غمر واثبت له الغمرية تخييلا او شبه كثرته بغمر الماء ثم اشتق منه
اسم التفضيل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسمه تبعية
وما عطف عليه كذلك ثم سلاه عن قولهم اي ازال عنه ما حزنه من الغم
وكربه من الحصر بعد هذا متعلق بسلاه اي بعد ما قالوه بما وعدهم وعيدهم
بيان لما وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون اي
ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة وبأيكم الجنون على ان المفتون مصدر

وبلطفه بهم وارفاقه
وقيل عن الجنيد انما كان خلقك عظيما لانك لم يسرك همة الا الله

والله شكور حليم

الهرب

هو الفتنة أو بأيكم المفتون الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين
أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن
أي بالمجانين على الحقيقة وهم من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين
بحيازتهم كمال العقل ثم بعد أن مدحه وسلاه متوعدا إياهم عطف
أي النفت وكر سبحانه وله المثل الأعلى بعد مدحه صلى الله عليه وسلم
على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه جمع معيبة من العيب
أي القبيح متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه أحوال من ضمير عطف
وردف مؤذنة بأنه تعالى لم يكل ذلك إلى أحد بل تولاه بنفسه تعظيما ونصرة
له صلى الله عليه وسلم فذكر بضع عشرة خصلة أي صفة قبيحة والبضع
بفتحه وكسره له ما بين الثلاث إلى التسع من خصال الذم فيه أي في
عدوه بقوله فلا تطع المكذبين تهييج لتصميمه على معاصاتهم ودوا
لو تدهن أي لو تلين فتدع نهيهم عن الشرك وتوافقهم أحيانا
فيه ولا تطع كل حلاف كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن اعتاد
الحلف مهين أي حقير من المهانة وهي الحقارة هماز عياب مغتاب
مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير أي كثير المنع
عنه معتد متجاوز في الظلم أثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله إذا
قاده بعنف وغلظة بعد ذلك أي بعد ما عد من مثالبه زنيم أي دعي
كالوليد بن المغيرة ادعاه بعد ثماني عشرة سنة من مولده أن كان ذا مال
وبنين علة لما بعده إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي ولأجل ذلك
حين تليت عليه لأجل كونه متمولا متعززا ببنيه من فرط غروره والعامل
فيه ما دل عليه قال من معنى التكذيب لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله
أي لا تطع من هذا مثالبه لأجل كونه ذا مال وبنين ثم ختم ذلك أي
ما ذكر من مثالب ذلك الشقي بالوعيد الصادق بتمام شقائه وحانة
بواره أي هلاكه بقوله سنسمه على الخرطوم أي سنكويه على أنفه إهانة
له وخص الأنف لأن السمة عليه أشنع وقد أصاب الوليد جراحة يوم بدر
فبقيت سمة عليه فكانت نصرة الله له على عدوه أتم من نصرته صلى
الله عليه وسلم لنفسه ورده تعالى على عدوه ما افتراه عليه ورماه به
من جنون وغيره أبلغ من رده صلى الله عليه وسلم وأثبت في ديوان مجده
أي كرمه وشرفه وأصل ديوان دوان قلبت أولى واويه ياء لكسر ما قبلها شبه
مجده لكثرته وصفاته بما يضبط في ديوان استعارة مكنية وأثبت
له الديوان تخييلا الفصل السادس في ذكر ما ورد من قوله تعالى في

قوله

قوله الكريم في جهته أي في حقه صلى الله عليه وسلم موردا للشفقة والإكرام
جعلهما موردا كالماء لعموم نفعهما سيما من أكرم بما لم يكرم به غيره طه
مبتدأ إن جعل اسما للسورة أو للقرآن ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى خبره
ووضع القرآن فيه موضع العائد وجواب إن جعل قسما به أو سيتنا فإن
كان جملة فعلية أو اسمية بإضمار مبتدأ ثم قيل طه اسم من أسمائه عليه
الصلاة والسلام لحديث تقدم مر عند ذي عشرة أسماء ذكر منها طه وقيل
هو اسم لله تعالى قاله ابن عباس وقيل معناه يا رجل في لغة عك ولعل أصله
يا هذا قلبوا الياء طاء واقتصروا على ها وقيل معناه يا إنسان قلبوا وأتوا بهاء
السكت وقيل هي حروف مقطعة لمعان كما قال الواسطي أراد بالطاء افتتاح خ
يا طاهر وبالهاء افتتاح يا هادي وقيل هو أمر من الوطء بأن يطأ الأرض
بقدميه فإنه كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه وأصله طأ قلبت همزته
هاء أو طا قلبت همزته ألفا والهاء كناية عن الأرض وأورد عليه كتابتهما
على صورة الحرف وكذا على تفسيره بيا رجل وقد يجاب بأنه اكتفي بشطر الكلمتين
وعبر عنهما باسمهما أي اعتمد على الأرض بقدميك ولا تتعب نفسك
بالاعتماد على قدم واحدة وهو أي النهي عن إتعابه نفسه الذي لوح
به النفي الذي أفاده قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي لتتعب بفرط
تأسفك على كفر قومك أو بكثرة رياضتك وتهجدك وقيامك على ساق
وقد نزلت الآية أي أول سورة طه ردا أو تكذيبا لمن قال له وقد رأى كثرة
عبادته كأبي جهل إنك شقيت بتركك ديننا وأنزل عليك القرآن لتشقى
أو نزلت فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب
وقيام الليل وقد أسنده هنا من تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن أنس
مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى
فأنزل الله طه يعني طإ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ورواه
فقامه ن ابن مردويه موصولا عن علي بلفظ لما نزل يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا قامه
كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فهبط عليه جبريل
فقال طه أي طإ الأرض بقدميك ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وكثيرا
ما يعبر بالشقاء عن التعب كأشقى من رائض مهر وسيد القوم أشقاهم
وعدل إليه إشعارا بأنه أنزل عليه ليسعد ولا خفاء بما في هذا الباء بمعنى في
عدل به حذرا لتكرار أي فيما في الآية والحديث من الإكرام وحسن المعاملة
له صلى الله عليه وسلم وإن جعلنا طه من أسمائه عليه الصلاة والسلام كما
قيل وتقدم أو جعلت قسما أقسم الله به لحق هذا الفصل بما أي بالفصل قبله

طيته

لاتيانه بما اقسم به تعالى لحقيقها لكانه تدعه وبما افاده نهايته المبرة في مجا
واعلاء درجات الاداب في محاوراته ومثل هذا اي كون نطحه من اسمائه صلى
الله عليه وسلم ومقسما به او هما وما قبلهما من نمط التشفقه والمبرة
لمناسبة بينهما اذ النمط في الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث
خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالي ويرجع اليهم العالي قوله تعالى
فلعلك لفرط اعراضهم وتباعدهم عن الايمان باخع نفسك على آثارهم ان
لم يؤمنوا بهذا الحديث المجيد دائرا له اسفا اي قاتل نفسك لذلك
اي لعدم ايمانهم غضبا وغيظا او جزعا شبهه صلى الله عليه وسلم لما
تداخله من الوجد اسفا على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارقه احبته
فذهبت نفسه حسرات على آثارهم باخع وجدا عليهم متلهفا على فراقهم
ومثله اي مثل فلعلك باخع نفسك مما ورد موردا للشفقة والاكرام من
نشبه ذلك لعل اذ هي للاشفاق قوله تعالى لعلك باخع نفسك وقرئ بالاضافة
اي اشفق على نفسك ان تقتلها ان لا يكونوا مؤمنين اي لئلا يؤمنوا
او خيفة ان لا يؤمنوا والبخع اصله ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن
الفقار وذلك اقصى حد الذبح ثم قال ان نشا ننزل عليهم من السماء آية اي
دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاصمة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين
عطف على الجزاء اعني ننزل اذ لو قيل انزلنا مكانه لصح واصله فظلوا لها منقادين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك على اصله او لما وصفت الاعناق بما
هو من صفات العقلاء اعني الخضوع جعلت كهم او اريد بها الرؤساء او الجماعات
من قولهم جاءني عنق من الناس لفوج منهم قوله تعالى فاصدع بما تؤمر اي
فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله
الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة وعائدها محذوف اي بما تؤمر به واعرض
عن المشركين اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين
بقمعهم واهلاكهم وروي انهم كانوا خمسة من اشراف قريش يبالغون في
ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال له جبريل امرت ان اكفيكهم
فاشار الى ساق الوليد بن المغيرة فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف
لاخذه تكبرا فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات والى اخمص العاص بن وائل
فدخل فيه شوكة فورمت رجله حتى صارت كالرحى ثم مات والى انف ابن
قيس عدي او الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو في
اصل شجرة فجعل ينطح براسه ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى
عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون

عاقبه

عاقبة امرهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون طعنا فيك وفي القران
وفي الله فسبح بحمد ربك اي فافزع اليه بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف
عنك غمك وتنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين
اي المصلين وكان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين اي الموت فانه لاحق كل حي مخلوق ومنه ايضا قوله تعالى ولقد
استهزئ برسل من قبلك تسلية له عما كان يرى من قومه ليتأسى بالانبيا
فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون اي فاحاط بهم الذي كانوا
يستهزئون به حيث هلكوا لاجله او نزل بهم وبال استهزائهم فان تسلية
الله تعالى بما ذكر من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك ويهون عليه ما يلقى
من المشركين من فرط الايذاء او اعلمه ان من تمادى اي استمر منهمكا على ذلك
حل به ما اي شيء عظيم حل بمن قبلهم من اعداء الانبياء ومثل هذه التسلية
بما ذكر قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي وان يكذبك
قومك فلا يهولنك تكذيبهم اياك فقد كذب الامم انبياءهم قبلك ومن
هذا قوله كذلك اي مثل تكذيب قومك لك وقولهم افترا عليك معلم مجنون
ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا افترا عليه ساحر او مجنون اتواصوا
به اي بقولهم ساحر او مجنون ورد على جهة التعجب من توارد نفوسهم عليه
تكذيبا لهم مع تباين ازمانهم اي اوصى بعضهم بعضا حتى قالوه جميعا بل هم
قوم طاغون اي متجاوزون الحد في العناد وهو اضراب عن ان التواصي جامعهم
لتباعد ازمانهم الى ان الجامع لهم عليه اشتراكهم في الطغيان الحامل عليه
عزاه اي حمله الله على الصبر بما اخبره عن الامم السالفة ومما لقي
لانبيائهم قبله ومحنتهم به وسلامتهم بذلك الذي اخبر به عنهم تسلية
له عن محنته صلى الله عليه وسلم بمثله من كما ذكر وانه صلى الله عليه وسلم
ليس اول من لقي ذلك من قومه ثم بعد ان سلاه طيب نفسه ورضاه وابان
اي اظهر عذره بقوله فتول عنهم اسفا فلا عليك بتركه معاجلتهم اي
اعرض عنهم بعد ما بذلت في الدعوة جهدك وافرغت بها وسعك في
ونصيحتك بما امرت بالاعتنا اياهم فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم اي
في اعراضك بعد ما كررت عليهم مبالغا في اذا ما بلغت والابلاغ ما حملت
من الاحكام واصل ملوم ملووم اعل اعلال مقول نقلت ضمة عينه الى فائه
ثم التقى ساكنان فحذفت احدى واويه ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك
فيه التفات من الخطاب الى الغيبة فانك باعيننا اي بمرأى منا اذا نكلؤك
ونبقيك في عنايتنا وما يلحقك من المشقة فلا تجزع فانك منا بمرأى ومسمع

بحيث نراك ونحفظك وجمع العين لجمع الضمير مبالغة في كثرة اسباب الحفظ
سئلاه بهذا الذي ذكر في اي كثيرة من هذا المعنى مثل ما يقال لك الا ما
قيل للرسل من قبلك ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا
حتى اتاهم نصرنا الفصل السابع في بيان ما ورد في كتابه العزيز من عظيم
قدره وتشريف منزلته مما يشهد بفضله على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
وحظوة رتبته كجامعه تضم وتكسر من حظي عنده مما مر فيه قوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين هو كما اختاره المصنف على ظاهره من اخذ الميثاق عليهم
عليهم بما ذكر او ميثاقهم الذي وثقوه على اممهم او ميثاق ذريتهم بني اسرايل على
حذف مضاف او ميثاق اهل الكتاب وسماهم نبيين تهكما اذ كانوا يقولون نحن
اولى بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب ومنا النبيون لما اتيتكم من كتاب وحكمة
اللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية او موصولة
صلتها ما بعدها اي الذي اتيتكموه ثم جاكم عطف على صلتها وعايدها محذوف
اي جاكم به رسول مصدق وقرا حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل
ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجي رسول مصدق لما معكم لتومنن به
ولتنصرنه قال اي الله للنبيين ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي
قبلتم عهدي سمي اصرا لانه يوصر اي يشد قالوا اقررنا قال فاشهدوا
اقراركم وانا معكم من الشاهدين توكيد عظيم مع ما اذنت به الاية من
اعلام الله انبياه بنبوته تنويها بعظيم شانه واظهارا لشرف قدره لعلمه تعالى
بانهم لا بد يكون زمانه واعلامنا فتغلب واو ياء لكسر ما قبلها قال القابسي
استخص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يوته غيره ابانه به اي
اظهره الله بما اتاه من الفضل وهو ما ذكره في الاية قال المفسرون اخذ الله
الميثاق بالوحي الى انبيائه فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته اي وذكر له
صفته كما في التوراة على ما مر واخذ عليه ان ادركه ليومنن به [illegible] قوله
صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لاجل اخذ الميثاق
بذلك وقيل اخذه عليه ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن
بعدهم وهكذا الى ان يبعث فيومنوا به وقوله ثم جاكم الخطاب لاهل الكتاب
المعاصرين محمدا صلى الله عليه وسلم هذا لا يصح على القول بانه تعالى اخذ
ميثاق النبيين بذلك اذ من قال له لا يجعل الخطاب بقوله ثم جاكم الا لهم وانما
يصح عند من قال الا لهم وانما يصح عند من قال لاخذ ميثاق معاصريه واضافته
في الاية للنبيين نظرا الى انهم هم الاخذون على اممهم وانهم ياخذونه على من
بعدهم وهكذا الى ان يبعث وسموا نبيين تهكما كما مر قال علي بن ابي طالب كما

رواه ابن جرير

رواه ابن جرير في تفسيره لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده نبيا بعد نبي الا اخذ عليه
العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليومنن به ولينصرنه وياخذ عطف على ما دخله
اللام ونون التوكيد مرادة كارادتها في لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر
قد رفعه اراد لا تهينن فحذفت لما استقبلها ساكن اي ولياخذن العهد بذلك
على قومه قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم تبليغ الرسالة والدعوة الى
الدين القيم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم تخصيص بعد
تعميم تلويحا ببيان فضلهم لانهم اولوا العزم ومشاهير ارباب الشرايع وقدم
نبينا تعظيما له وتكريما واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عظيما شانه او وكدا
باليمين وكرر لبيان وصفه تعظيما له وقوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم عليه ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم
بان امره في الوحي كنوح والنبيين من بعده وفي هذا وما بعده الى وكيلا تلويح بفضله
صلى الله عليه وسلم وروي عن عمر بعض خبر هنا ذكره الشاطبي كله في اقتباس الانوار
قال اي عمر في كلام يبكي به النبي بعد موته من بكيته مخففا ومشددا اي بكيت عليه
قال جرير يبكي عمر بن عبد العزيز

الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

فقال بابي انت متعلق بمقدر وانت بدل من ضميره المتصل ضمير منفصل
اي فديتك بابي وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك
اخر الانبيا وذكرك في اولهم اي في اول بعضهم بعد ذكرهم اجمالا فقال واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية تقدم الكلام عليها بابي انت
وامي اي فديتك بهما يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده اي عند الله
ان اهل النار يودون اي يتمنون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها
يعذبون يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلم يصبنا هذا العذاب
تمنوا حيث لم ينفعهم التمني قال قتادة كما رواه ابن ابي حاتم في تفسيره وابن لال في
مكارم الاخلاق وابو نعيم في دلايله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت
اول الانبيا في الخلق اي خلق روحه قبل ارواحهم او في عالم الذر او كتابته في
اللوح او ظهوره للملايكة واخرهم في البعث فلذلك اي فلاجل كونه اولهم
خلقا وقع ذكره مقدما في الاية السابقة هنا قبل نوح وغيره من اولي العزم
قال السمرقندي في هذا اي في وقوع ذكره مقدما تفضيل نبينا صلى الله عليه
وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم بعثا المعنى المراد من الاية هو انه اخذ
الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال لهم اعلموا انه لا اله غيري
وانا ربكم فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم ممن اشرك بي واني مرسل اليكم رسلا

يذكرونكم عهدي وميثاقي وينزل عليكم كتباً فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لا رب
لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب اجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر
اليهم آدم فرأى فيهم الغني والحسن وغيرهما فقال رب لو سويت بينهم
فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم
الى صلب آدم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه فذلك قوله تعالى واذ
اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج ذريته بعضاً من صلب بعض
على ما يتوالدون فاكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه واخرجوا من
ظهره واشهدهم على انفسهم اي اشهد بعضهم على بعض وقالوا الست بربكم
قالوا بلى شهدنا تخييل وتصوير للمعنى اي نصب لهم ادلة ربوبيته واودع
عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها فصاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا
بلى شهدنا فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل قوله تعالى تلك الرسل اشارة الى من ذكرت قصصهم في السورة
او الى كلهم واللام استغراقية فضلنا بعضهم على بعض ثم فصله بقوله منهم من كلم الله
بلا واسطة وهو موسى قيل ومحمد فكلم موسى ليلة الطير وفي الطور ومحمد ليلة
المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم
الله كما ان الله كلمه ومن ثم قيل كليم الله بمعنى مكالمه قال اهل التفسير اراد بقوله
ورفع بعضهم درجات محمداً صلى الله عليه وسلم اي رفعه على سائر الانبياء من وجوه
متعددة او بمراتب متباعدة اذ خص بالدعوة العامة لانه بعث الى الاحمر والاسود
اي العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على هؤلاء والادمة والسمرة على اولئك وقيل الجن
والانس بالحجج المتكاثرة والايات المتعاقبة تتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية
الفائتة للحصر واحلت له الغنائم ولم تحل لاحد قبله وظهرت على يديه المعجزات فبهرت
كل مضاد ومعاند وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد اعطي
محمد صلى الله عليه وسلم مثلها جنساً لا نوعاً كانشقاق القمر في مقابلة انفلاق
البحر لموسى وفي ابهام درجات تفخيم لشانه صلى الله عليه وسلم اذ هو العلم المعين
لهذا الوصف المستغني عن التعيين عن ابن الكلبي في قوله تعالى وان من
شيعته لابراهيم اي على دينه ومنهاجه اي طريقته الواضح في دينه من نهج
الامر اذا وضح واختاره الفراء وحكاه عنه مكي فكان الله اخبر ابراهيم بمحمد فامن
به وشايعه في دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظاً شايع قال تعالى حتى
توارت بالحجاب وانما جعل منها لتقدمه عليه خلقاً ونبوة الشاهد بها حديث كنت
اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث وحديث متى وجبت لك النبوة قال وآدم منجدل
في طينته وفي رواية وآدم بين الروح والجسد وقيل المراد به نوح فابراهيم ممن

منهم ن

شايعه في دينه لاتفاق شرعهما في الفروع او غالباً وكان بينهما الفان وستمائة
واربعون سنة ونبيان هود وصالح الفصل الثامن في اعلام الله خلقه بصلاته
عليه وولايته له بفتح الواو اذ هي هنا بمعنى الموالاة والنصرة ودفعه بالدال
مصدر مضاف الى فاعله ورفع الله العذاب بسببه صلى الله عليه وسلم قال
تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب سؤالهم انزال الحجارة او العذاب
الاليم وانت فيهم بيان لما كان موجباً لامهالهم واللام لتاكيد النفي والدلالة
على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم اي ما كنت بمكة اي مدة كونك فيها غير مستقيم
وقد جرت سنته تعالى لا يعذب قوماً عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم
ومن ثم كان العذاب اذا نزل بقوم امر نبيهم بالخروج بمن آمن وفيه تلويح بانهم
مرصدون بالعذاب اذا هاجر فلما خرج من مكة مهاجراً الى المدينة وبقي من فيها
من المومنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما بمعنى وما كان الله
معذبهم وفيهم من يستغفر من المومنين ممن تخلف عن رسول الله من المستغفرين
او بمعنى نفي الاستغفار اي لو كانوا ممن يومن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وعن
الحسن ان الاية منسوخة بقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله الاية وهذا اي ما ذكر
مما دل على امهالهم وارجا العذاب عنهم لاجل من فيها من المومنين مثل قوله تعالى
لو تزيلوا اي لو تفرقوا وتميز المومنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم
اي من اهل مكة عذاباً اليماً بالقتل والسبي ومثل قوله ولولا رجال مومنون ونسا
مومنات لم تعلموهم باعيانهم لاختلاطهم بمشركيها ان تطؤوهم بدل اشتمال من
رجال ونسا او من ضميرهم في تعلموهم اي ان تدوسوهم فتهلكوهم وفي الحديث آخر وطأة
وطئها الله بوج واد بالطائف فتصيبكم منهم معرة بغير علم من عره اذا غشيه بما
يكره اي فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم
وتعيير الكفار لكم به والاثم بتقصيركم في البحث عنهم بغير علم اي ان تطؤوهم غير عالمين
بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مومنين
ومومنات بين اظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم باهلاككم مكروه لما كف ايديهم عنكم
وايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته من يشاء علة لما دل عليه كف الايدي عنهم صون
لمن فيها من المومنين اي كان ذلك لاجل ان يدخل الله في توفيقه لزيادة الخير او
للاسلام من يشاء من مومنيهم او مشركيهم او منهما فلما هاجر المومنون من مكة
نزل وما لهم ان لا يعذبهم الله اي وما يمنع من تعذيبهم بعد ان فارقهم والمومنون
وكيف لا يعذبون وهذا اي ما ذكر مما دل عليه اي على ارجا العذاب عنهم وهو
فيهم من ابين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم عند ربه لكل احد ومن
ابين ما يظهر دراه اي دفعه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون

لعل غير مستقر

بمكة

من

اصحابه بعوده بين اظهرهم لانه بعث رحمة للعالمين فلما خلت مكة منهم عذبهم
الله بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين عليهم وغلبتهم اياهم
وحكمهم فيهم بسيوفهم حدا وصفحا قتلا وقطعا واسرا واورثهم ارضهم
اي منازعهم وديارهم بيوتا وحصونا ومعاقل واموالهم نقدا ومواشي واثاثا
روي انه صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال الم
انكم في منازلكم وقال له عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت
هذه لي طعمة وربما لوح هذا بان مكة فتحت عنوة وعليه اكثرهم وعند الشافعي
فتحت صلحا ومن ثم كان يجيز اجارة دورها وبيعها يشهد له حديث وهل
ترك لنا عقيل من رباع وقيل فتح اعلاها صلحا واسفلها عنوة وفي الاية اي آية
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ايضا قول آخر هو ان الضميرين
عايدان على الكفار فيحتمل ان يكون وهم يستغفرون في موضع الحال بتقدير
ان لو كان اي وما كان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار يعني كونهم
لو وقع منهم واختاره الطبري وان يكون اشارة الى من سبق في علم الله انه يومن منهم
او من ذريتهم اي وما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله ويومن
به واختاره الزجاج وان يكون اشارة الى قولهم في دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله
كما قال ابن عطية امانا لهم من عذاب الدنيا هذا وحديث انزل الله علي امانين
لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار اسنده هنا من طريق
الترمذي وفي سنده ابن مهاجر ضعيف ورواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس
موقوفا وابو الشيخ نحوه عن ابي هريرة ايضا موقوفا وقريب منه اي من هذا الحديث
في المعنى قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعث به سبب
لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار لزم
امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال قال عليه الصلاة والسلا[م]
انا امان لاصحابي وفي لفظ انا امنة لاصحابي رواه مسلم عن ابي موسى قال
صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشا — المغرب م
فخرج علينا فقال ما زلتم هنا قلنا نعم فقال احسنتم او اصبتم قال فرفع راسه
الى السما وكان كثيرا ما يرفعه اليها فقال النجوم امنة للسما فاذا ذهبت النجوم
اتى السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي ما يوعدون واصحابي
امنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي اتى امتي ما يوعدون اراد والله اعلم بذهاب النجوم
انتثارها يشهد له واذا الكواكب انتثرت وباتيان السما ما توعد انفطارها
وتبديلها المؤذن به اذا السما انفطرت يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات

وباتيا

وباتيان اصحابه ما يوعدون ما انذرهم به من الفتن والارتداد وباتيان امته
ما يوعدون ما اخبرهم به من ظهور البدع واختلاف الآراء والهرج وتخريب الكعبة
وغير ذلك مما وقع اكثره وبقي ما لا بد من وقوعه وبكونه امانا لاصحابه قيل من البدع
فلم يكن منهم من ارتكب بدعة يشهد له حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وقيل من الاختلاف والفتن وفيه ما فيه لكن يلزمنا الكف عما جرى بينهم لصدوره
عنهم اجتهادا بتاويلات صحيحة للمصيب اجران على اجتهاده واصابته وللمخطي اجر على
اجتهاده يشهد له حديث الشيخين ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران واذا
اجتهد فاخطا فله اجر قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم
لا غير يشهد له تعبيرهم في الجملة الصغرى ما عاش وما دامت سنته باقية بيد
كونه امانا اعظم بمدة حياته وتقاسنته فهو باق وامانا اعظم بهما فاذا اميتت
سننه بموت اهلها فتنظروا البلاء والفتن يشهد له حديث ان الله لا يقبض
العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ
الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا قال الله تعالى ان الله وملا — ئكته
يصلون على النبي تقدم الكلام عليه وقيل بان الله فضل نبيه صلى الله عليه
بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وامر بقوله يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما عباده بالصلاة عليه والتسليم بان يقولوا السلام عليك ايها النبي
او بالانقياد والاوامر وذلك يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة
كلما ذكر لحديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وحديث من
ذكرت عنده فلم يصل علي وحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل
النار فابعده الله ويجوز الصلاة منا على غير ملك ونبي تبعا ويكره استقلالا لا
لكونها في العرف شعارا لذكر الانبيا ومن ثم كره محمد عز وجل وان كان عزيزا
جليلا والصلاة مطلقا من الملائكة استغفار بسعيهم فيما يستدعي المغفرة
من شفاعة والهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة
يعم المومن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع خللا يتوقع عالم
الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمومن فالمراد به الشفاعة وحيث خص به
صلى الله عليه وسلم فالمراد به السعي فيما يليق بجنابه والصلاة منا بني ادم
دعا لحديث اذا دعي احدكم الى الطعام فليجب فان كان صائما فليصل اي
فليدع وان كان مفطرا فليطعم ومثله قول الاعشى

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا ... يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي ... نوما فان لجنب المرء مضطجعا

ومن الله رحمته مقرونة بتعظيم اي احسانا وارادته لاستحالة معناها

الذي هو العطف والحنو في حقه تعالى على ما مر قيل ومعنى صل ابلغ من معنى ارحم
لتضمنه معنى العطف ومن ثم عدي بعلى ولم يتعد بنفسه كرحم كذلك وقيل
يصلون يباركون من البركة وهي كثرة الخير اي يكاثرونه ويزايدونه عليه
وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم اصحابه الصلاة بين لفظ الصلاة
والبركة في حديث قد امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص انها ماخوذة
من كفاية الله وهدايته وتاييده وعصمته وصلاته عليه فزعم ان الكاف من
كاف اي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قال اليس الله بكاف عبده
استفهام انكار للنفي مبالغة في اثبات كفايته له ولانبيائه ان اريد بالعبد
الجنس وينصره قراءة حمزة والكسائي عباده والها هدايته قال ويهديك صراطا
مستقيما اي يدلك بلطفه الى دينه الحق والى تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرياسة والياء تاييده قال وايدك بنصره بالمظاهرة على اعدائك والعين عصمته قال والله يعصمك من الناس اي يحفظك منهم وهو وعد
وضمان من الله بعصمته من تعرض الاعادي له وازاحة لمعاذيره والصاد صلاته
عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي اي يعتنون باظهار شرفه
وتعظيم شانه وقال تعالى وان تظاهرا اي تتعاضدا بالتخفيف والخطاب
لعايشة وحفصة اي تتظاهرا عليه صلى الله عليه وسلم بما يسوءه فلن يعدم
من يظاهره فان الله هو مولاه اي وليه وناصره اي يتولاه بذاته وجبريل
بعينه وصالح المؤمنين اي من صلح منهم اتباعه وانصاره وقيل صالحهم هنا
الانبيا والملايكة بعد ذلك ظهير اي متظاهرون
له وخص جبريل تعظيما له واريد بالصالح الجنس ومن ثم عم بالاضافة
وبقوله بعد ذلك تعظيما لمظاهرتهم اذ هي من جملة ما نصره الله به واما
القول بانه الانبيا وقيل ابو بكر وقيل عمر وقيل علي فدعوى بلا بينة نعم ان صح
حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم ابو بكر وعمر كان بينة صدق
لكونهما المراد به الفصل التاسع في بيان ما تضمنته سورة الفتح من
كراماته صلى الله عليه وسلم مما آتاه مما يفوت الحصر قال تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات من فضله
والثنا عليه وكرم منزلته عند الله ونعمته لديه ما اي الذي يقصر الوصف عن الانتها اليه لقصوره عن الاحاطة به علما فابتدا جل جلاله
باعلامه مصدر مضاف لفاعله ومفعوله اي اعلام الله نبيه واعلامه

وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم

ووجه نظر للرحم

الرياسة

لعل كانا

بما قضاه له من القضاء المبين بقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا اي انا قضينا لك على
اهل مكة ان تدخلها من قابل عام الحديبية بظهوره وغلبته على عدوه وعلو
كلمته وشريعته بعد صده عنها وهو وعد بفتحها وعبر بالماضي
لتحققه او بما اتفق له بعد نزولها سنة ست كفتح خيبر وفدك او اخبار
عن صلح الحديبية وسمي صلحا لانه كان بعد ظهوره على عدوه حتى سالوه
الصلح بها وكان سببا لفتح مكة وبه تفرغ صلى الله عليه وسلم لساير العرب
فغزاهم وفتح بلادهم حتى دخل الناس في دين الله افواجا وظهر له في الحديبية
اية عظيمة هي انه نزح ماها حتى لم يبق بها قطرة فتمضمض ثم مجه فيها فدرت
ماء حتى رووا كلهم او فتحا للروم فانهم غلبوا فارس تلك السنة وعلم كونه
فتحا له صلى الله عليه وسلم من سورة الروم وانه عطف على باعلامه اي
وبانه صلى الله عليه وسلم مغفور له غير مواخذ تاكيد لما قبله لتضمنه
معناه بما كان ويكون بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما يقع مما يصح ان يعاتب عليه
كما في لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين لعلك باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا عبس وتولى ان جاءه الاعمى وهو علة للفتح من حيث انه مسبب
عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء دينه وازاحة الشرك وتكميل النفوس
الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من
ايدي الظلمة وقال بل الله يمن عليكم بالفتح او بالهداية الى الاسلام
سببا للمغفرة وكل من المنة والهداية والمغفرة من عنده لا اله غيره منة
حال او مفعول مطلق بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته
عليك بجمعه لك النبوة والملك وظهور دينك وفتح البلاد عليك وقيل
بخضوع من يتكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في
الدنيا اقوال ثلاثة ولها عموم الاية ولا مرجح فالاولى حملها على العموم فاعلمه
تمام نعمته عليه بخضوع متعلق بنعمته او بدل من تمام اذ الباء فيه بمعنى
من البيانية له ولما بعده اي من بعد خضوع متكبري عدوه له وفتح اهم
البلاد يعني مكة عليه واحبها له ورفع ذكره بما يثنى عليه كله من نصره
اياه على عدوه فهو منها تسليله هنا وانما كانت مكة اهم البلاد عليه فتحا
لانها كانت منبع الكفار والعرب تبع لهم ينتظرون بالاسلام ما يكون
منهم من ان اسلموا اسلموا وكان اهلها ينتظرون ما يكون من نبي الله صلى
الله عليه وسلم في نصره عليهم وفتحه لها فكانت بذلك اهم لتوقف اكثر
العرب على اسلامهم ومن ثم دخل الناس في دين الله افواجا بعد فتحها وكانت

احبها اليه يشهد له حديث والله انك لاحب ارض الله الي واحب ارض الله الى الله ولولا
ان اهلك اخرجوني ما خرجت وحديث ما اطيبك من بلد واحبك الي ولولا ان
قومي اخرجوني منك ما سكنت في غيرك وكفاك بهما شاهدا بفضل مكة على المدينة
وتامل حديث ورقة يظهر لك شدة حبه صلى الله عليه وسلم فانه اخبر بان قومه
يكذبونه فلم يهتم له ثم بانهم يوذونه فلم يتحرك له نفسه ثم بانهم يخرجونه
فاهتمت له وتحركت ثم قال او مخرجي هم بفتح الواو وتشديد الياء عطفا اما على
ما قبله وقدمت الهمزة على العاطف وان كان الاصل تقديمه لان الاستفهام
له صدر الكلام وخصت بذلك دون اخواتها من ادواته حيث لم تقدم نحو وكيف تكفرون
فانى توفكون فاين تذهبون لانها اصلها تقدمت تنبيها على اصالتها واما
على مقدر بعدها اي امعادي ومخرجي هم يشهد له ما في الكشاف من تقديره
بعدها في افلم يسيروا اي امكثوا ومخرجي كمصرخي جمع مخرج ومصرخ جمع سلامة
بواو ونون وياء اضافة لياء المتكلم حذفت نون الجمع فاجتمعت الواو والياء وسبقت
بالسكون فقلبت ياء وادغمت فيها وفتحت تخفيفا حذرا من اجتماع كسرتين
وياءين وكسر ما قبل المنقلبة على اصل التقاء الساكنين لان ياء المتكلم ساكنة في
الاصل وهو خبر مقدم وهم مبتدا مؤخر ولا يجوز عكسه اذ لا يجوز الاخبار عن
نكرة بمعرفة لان اضافته لفظية فانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال هذا ولك
ان تجعله مبتدا لانه صفة اعتمد استفهاما وهم فاعله سد مسد الخبر وان
كان ضميرا جريا به مجرى الظاهر لكونه منفصلا وانما اخره لان السوال عن
نفس اخراجه **وهدايته** بالجر عطفا على تمام وكذا ما بعده اي واعلمه بهدايته
الى الصراط المستقيم بقوله ويهديك صراطا مستقيما **المبلغ الى الجنة
والسعادة بنصره النصر العزيز** بقوله وينصرك الله نصرا عزيزا اي نصرا
يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة او نصرا فيه عز ومنعة **ومنته** اي
اعلمه بها **على امته المومنين بالسكينة التي جعلها في قلوبهم** بقوله هو الذي
انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اي انزل فيها الطمانينة
بثبات حيث تقلق النفوس وتزل الاقدام ويزدادوا ايقانا مع يقينهم
برسوخ العقيدة وطمانينة النفس عليها او انزل فيها السكون الى ما جاء صلى
الله عليه وسلم به ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر **ثم
وبشارتهم** اي واعلمه ببشارة امته **بما لهم عند ربهم وفوزهم العظيم** لانه
غاية ما يطلب **والعفو عنهم والستر لذنوبهم** بقوله ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله
فوزا عظيما علة لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من التدبير اي دبر

ما دبر

ما دبر من تسليط المومنين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة **وهلاك
عدوهم في الدنيا والاخرة وبعدهم عن رحمته وسوء منقلبهم** بمعنى انقلابهم
اي اعلمه ذلك بقوله ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم
جهنم وظنهم هو ان لا ينصر الله رسوله والمومنون عليهم دائرة ما ظنوه وتربصوه
بالمومنين لا يتجاوزهم وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم السين لغتان الا ان المفتوح
غلب في ان يضاف اليه ما يذم والمضموم جرى مجرى الشر ووضع الواو في لعنهم واعد
موضع الفاء مع ان الغضب سبب للعن وهو سبب للاعداد لاستقلال الكل بالوعيد
بدون اعتبار سببيته **ثم قال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** احوال مقدرة
[illegible] ببعض ما اوتيه **فعدد** بذلك **محاسنه وخصائصه من شهادته
على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم وقيل شاهدا** اي يشهد يوم القيامة
لهم بالتوحيد ومبشرا لهم اي يبشرهم **بالثواب** في دار النجاة **وقيل** يبشر هؤلاء
بالمغفرة ونذيرا اي ينذر **عدوه بالعذاب وقيل محذرا** اي يحذر امته **من الضلالات
ليومنوا بما تسمع به** صلى الله عليه وسلم **من سبقت لهم من الله الحسنى** اي المثوبة
الحسنى بالجنة لتشهاده ليومنوا بالله ورسوله **ويعزروه اي يقوموه وقيل ينصروه
على عدوه وقيل بالغوا في تعظيمه ويوقروه اي يعظموه وفي بعض
ويعززوه بزايين** من العز اي ويعززوه **والاكثر** من المفسرين **والاظهر** وفاقا لهم
ان هذا اي يعزروه ويوقروه انزل **في حق محمد صلى الله عليه وسلم** لانه اقرب ذكرا
ويرجح ضميرهما اليه وينصره قوله فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور
الذي انزل معه **ثم قال ويسبحوه** اي ينزهوه ويصلوا له بكرة واصيلا اي غدوة
وعشيا **فهذا** اي ضمير يسبحوه **راجع الى الله تعالى** وقيل الضماير الثلاثة لله
واريد بتعزيره تعالى تقوية دينه ورسوله ومن فرقها فقد ابعد والخطاب
في الاية على قراءة الافعال الاربعة بتاء بالياء له ولامته او لهم تنزيلا لخطابه منزلة
خطابهم **قال ابن عطاء جمع** بالبناء للمفعول وترك فاعله لانه لا يكون الا من الله
للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة يعني سورة الفتح **نعم مختلفة** من جهة
ذواتها **من** بيانه لا لوازم التابعة للفاعل بعدها **الفتح المبين وهو من اعلام
الاجابة** من الله له صلى الله عليه وسلم وقد سالها النصر في مواطن كثيرة **والمغفرة
وهي من اعلام المحبة** التي هي منه تعالى اما ارادة فعل لنزاهته عن الميل النفسي
وتمام النعمة وهي من اعلام الولاية له منه بالنصر والتاييد **فالمغفرة تبرية**
منه له **من العيوب وتمام النعمة ابلاغ** الله له **الى الدرجة الكاملة** التي لا درجة
فوقها **والهداية هي الدعوة الى المشاهدة** في مقعد صدق مقربا ترتب منزلة ودراية

لأقرب حماسة ومسافة وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه أي اصطفاه وخصه بذلك لأنه تشبيه كرامة
الحبيب عند محبه وإلا فالمحبة اصطفى ودلالتها من جهة القلب بخلاف الخلة فإنها
وتخلل النفس وخالطها وأقسم بحياته فقال لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون
أي وحياتك يا محمد وتقديره لعمرك قسمي وهي لغة في العمر بالضم خص به القسم
إيثارا للخفة لكثرة دوران القسم على ألسنتهم ونسخ به شرائع غيره بشهادة
وما أرسلناك إلا كافة للناس وقوله بعثت إلى الأحمر والأسود وعرج به إلى
المحل الأعلى فكان قاب قوسين أو أدنى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ
البصر وما طغى وتدلى عليك بيانه وبعثه إلى الأسود والأحمر اقتباس
من الحديث لا على وجه أنه منه تعالى كما تقدم وما أرسلناك إلا كافة للناس
أي إلا إرسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم
عن أن يخرج منها أحد منهم أو إلا جامعا لهم في الإبلاغ وهي حال من الكاف
والتاء للمبالغة كالتاء في علامة إذ الإشارة الذي يحققه قد بلغ الغاية في الوصف
الذي يدل عليه ولا يجوز جعلها حالا من الناس وأحل له ولأمته الغنائم
اقتباس من حديث أحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وفي رواية لنا الغنائم وجعله
شفيعا ومشفعا يوم القيامة في مقام محمود يحمده فيه كما روي عن ابن عباس
الأولون والآخرون وتشريفه على جميع الخلائق يسأل فيعطى ويشفع فيشفع
ليس أحد إلا تحت لوائه وسيتسع لهذا زيادة بيان وجعله سيد ولد آدم
اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وفي البخاري أنا
سيد الأولين والآخرين ولا فخر حال مؤكدة أي أقول هذا ولا فخر وقرن ذكره
بذكره ورضاه برضاه لشهادة والله ورسوله أحق أن يرضوه مع ما تقدم
وجعله أحد ركني التوحيد ظاهره أنه لا بد في إثباته من الإتيان بهما
وليس مراده حصوله بالأول بل مراده أنهما جعلا علما على التصديق به تعالى
وبما جاء صلى الله عليه وسلم به من الدين ثم قال إن الذين يبايعونك أي
يعقدون الميثاق معك على القتال إنما يبايعون الله لأنه المقصود بالبيعة
يعني بيعة الرضوان أي إنما يبايعون الله ببيعتهم إياك يد الله فوق
أيديهم حال أو استئناف مؤكد لما قبله على التخييل وهو أن يطلق اسم صورة حقيقية
على صورة وهمية مع قرينة مانعة من إرادة الحقيقة كأن تشبه المنية بسبع له أظفار
فاخترع الوهم في الاختراع لها ما هو من لوازمه من الأظفار ويصورها ثم يطلق عليها اسم
الأظفار الحقيقية ويثبتها للمنية كما في أظفار المنية نشبت بفلان وكذا اليد هنا فإنه
لما توهمت له تعالى أطلق عليها الوهم اسم الصورة الحقيقية في المبايع تمثيلا ثبتنا

لها

نحن الأولون الخ

لها الفوقية قال بل يد الله فوق أيديهم غير مريد حقيقتها لتعاليه سبحانه عن
الجوارح وصفات الأجسام ثم قيل المراد بيد الله قوة الله أي قوته في نصر رسوله صلى الله
عليه وسلم فوق قواهم فاستعمال اليد الموضوعة للجارحة فيها لكون أكثر ظهور سلطانها
في اليد وبها تكون الأفعال الدالة على القوة من أخذ ومنع وضرب وغير ذلك
فهو مجاز مرسل لكون علاقتها غير المشابهة وقيل المراد بها ثوابه المرتب على مبايعتهم
بإذعانهم وانقيادهم لله ورسوله وقيل منته أي نعمته عليهم ببيعتهم ضمنا
منعهم من العز في الدنيا والثواب في الآخرة فوق منتهم عليك بما بايعتهم لك على
أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم فاستعمالها فيهما لكونها بمنزلة العلة الفاعلية لهما
لصدورهما عنها وقيل المراد عقده بمعنى أنه تعالى هو الذي أوجد البيعة
وتمم عقدها فاستعار لإيجادها اسم اليد لكونه ناشئا عنها نحو من إطلاق
اسم السبب على المسبب كذا قيل وأنت خبير بأنه لا علاقة بين إيجاد عقدها
أو بين عقدها وبين اليد سوى أنه صدر عنها فالعلاقة بينهما هي السببية
فهو مجاز مرسل لا استعارة وإن زعم لانتفاء علاقة المشابهة التي هي شرطها ولك
أن تقول شبه عقدها بقبض اليد فيها ثم خيل بإثبات اليد له فعلى هذا يكون
استعارة مكنية قرينتها استعارة تخييلية قوله وتجنيس في الكلام لم يرد
به التجنيس الصناعي بل اللغوي بمعنى المناسبة لأن العقد إذا أطلق عليه
اسم اليد فإنما أريد التي بمعنى الجارحة فبينها وبين الأيدي في الآية
مناسبة وتأكيد العقد ببيعتهم إياه من حيث إن بيعتهم معه صلى الله
عليه وسلم كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التي تعلو أيديهم
هي يد الله تخييلا على ما مر وعظم بكسر أوله وفتح ثانيه عطف على ما
قبله أي وتأكيد لعظم شأن المبايع صلى الله عليه وسلم من حيث جعل
بيعتهم له بيعتهم لله تعالى كجعل طاعته طاعته كما مر وقد يكون من
هذا أي من قوله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله قوله تعالى فلم
تقتلوهم يعني قريشا بنصركم وتسليطكم عليهم ولكن الله قتلهم
بما إذ هو الخالق للقتل وهم المباشرون له وما رميت رميا يوصل التراب
إلى أعينهم ولم تقدر عليه إذ رميت يوم بدر وحنين وجوههم
صورة وأكفا بأخذ وأرشا لا ولكن الله رمى حقيقة وتبليغا وإصابة
فبلغ بنبيه تعالى منهم حبا لم يبلغه رميك من إيصاله التراب إلى أعينهم
جميعا فلم يبق منهم مشرك إلا اشتغل بعينيه فانهزموا وتمكنتم منهم
قتلا وأسرا وإن كان الأول يعني إن الذين يبايعونك من باب المجاز على ما مر
وهذا أي فلم تقتلوهم من باب الحقيقة لأن القاتل والرامي بالحقيقة كما مر

نزل

هو الله وهو خالق فعله اي فعل المباشر ورميه وقدرته ايجادا وابداعا وهو العامل
مباشرة واكتسابا ومن ثم اسند الفعل اليه حقيقة ايضا وهو اي الله مسببه
ولانه لضمير للشان لسريه في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حتى وصلت
في اعينهم حتى لم يبق منهم من لم تملا تلك الرمية عينيه ترابا وكذلك
قتل الملائكة لهم حقيقة وما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة ايضا بالنسبة
اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة
واكتسابا ولا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة
هذا ولم ينظر الى جهة كون فلم تقتلوهم الاية مثل ان الذين يبايعونك نعم
يجوز ان يكون من حيث ان اللفظ يطلق على معناه وعلى ما هو كاللازم له والمقصود
منه فهنا قد اطلق اولا على ما وضع له من نفي القتل والرمي مع صدوره
في قوله فلم تقتلوهم وما رميت اذ رميت ثم اطلق ثانيا على ما هو المقصود
منه من قذف الرعب في قلوبهم ومنفعة الرمي وتاثيره في قوله ولكن
الله قتلهم ولكن الله رمى فهو من اطلاق السبب الذي هو القتل والرمي على مسببه
الذي هو الرعب والمنفعة والتاثير وهذا مراده بقوله الخ اي انه فلم
تقتلوهم على المجاز العربي اي اللغوي اعني استعمال اللفظ في غير ما وضع له
لعلاقة بين المعنى المجازي والحقيقي هي هنا السببية وعلى مقابلة اللفظ بالمعنى ومناسبته
لما بينهما من العلاقة المذكورة باستعمال ما وضع للسبب من اللفظ في مسببه
اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله
القى في قلوبهم الرعب ورمى قلوبهم بالجزع اي ان منفعة القتل ومنفعة الرمي
كانت من الله فهو القاتل والرامي بالمعنى الذي هو ابتلاؤهم بالرعب وادخال التراب
في اعينهم حتى انهزموا وانتما القاتل والرامي بالاسم من حيث مباشرتهما الفعل
العاشر في ذكر ما اظهره الله في كتابه العزيز اي المنيع الذي لا يعتريه ساحة
عز ابطال وتحريف والكثير النفع العديم النظير من كرامته عليه ومكانته
عنده و في بيان ما خصه به من ذلك اي الذي اظهره من كرامته ومكانته
سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل متعلق بانتظم اي سوى ما اكرمه به فيه
على طريقة الاستعارة المكنية ذلك السوى تخيلات يتقوى به وما ذكره تسلط
نظمت فيه واثبت لها النظم تخييلا من ذلك الذي اكرمه به ولم ينتظم فيما
ذكر قبل ما نصه الله من قصة الاسرا في سورة سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وما نصه منه في سورة النجم وقد تقدم
الكلام عليه ومن ذلك ما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه اذ
كان قاب قوسين او ادنى ومشاهدته ما شاهد من العجائب كرؤيته الانبيا

وتمثيلهم

وتمثيلهم له ووقوفه على مقاماتهم ورؤيته ربه وذهابه وايابه في برهة
من الليل يسير ما لا يعلمه الا الله وقد تعجب قريش من ذلك واحالوه
ولا استحالة فيه بشهادة ما ثبت في الهندسة من ان ما بين طرفي قرص الشمس
ضعف ما بين طرفي الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل
يصل بموضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد حكم حكماء الكلام بان الاجسام
متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكر ان يخلق
مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله عليه وسلم او في البراق كيف وقد ورد انه
يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات ومن ذلك عصمته
من الناس بقوله والله يعصمك من الناس اي يحفظك من تعرض اعدائك لك ان
روى الترمذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال يا ايها الناس انصرفوا
فقد عصمني الله ولا تعارض ما بينها وبين ما في البخاري وغيره من شج وجهه وكسر
رباعيته يوم احد لخصوص العصمة بالقتل او المراد بعد وقعته وقوله اي ومنه
عصمته بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ذكر بعد الفتح سكر وبشر به بمكة قبل الهجرة
ليشكر نعمة ربه بخلاصه من مكرهم به اي واذكر اذ يمكرون بك في دار الندوة متشاورين
في امرك بحضرة عدو الله ابليس وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم فحضرت ولن تعدموا
مني رايا ونصحا ليثبتوك بوثاق وحبس اشارة الى قول ابي البختري ارى ان تحبسوه
وتسدوا بابه وتلقوا اليه من كوة طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس
الراي ياتيكم من قومه من يخلصه او يقتلوك اشارة الى قول ابي جهل ارى ان ناخذ
من كل بطن غلاما مع كل واحد سيفا يضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا
يقوى بنو هاشم على حرب قريش فاذا طلبوا عقلناه فقال ابليس صدق الفتى او يخرجوك
اشارة الى قول هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع
فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فتفرقوا على راي ابي جهل فاخبره جبريل
بذلك وقال له لا تنم الليلة في مكان نومك فامر عليا ان ينام فيه فخرج عليهم وقد
اجتمعوا عشاء لقتله واخذ كفا من تراب فنثره على رؤوسهم يقرا يس والقران الحكيم الى
قوله لا يبصرون وقوله اي ومنه عصمته بقوله الا تنصروه فقد نصره الله اي ان
لم تنصروه فقد نصره من نصره اذ اخرجه الذين كفروا وليس معه الا ابو بكر فحذف
الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصر من نصره
في ذلك الوقت فلن يخذله بعد واسند اليهم الاخراج لتسببهم باذن الله له صلى
الله عليه وسلم في الخروج عن همهم به فكانهم اخرجوه ثاني اثنين حال من ضمير
اخرجه اي احد اثنين ومنه ما دفع الله تعالى به عنه في هذه القصة اي
قصة مكرهم به وقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله لحفظ الله له من

فتستنصره من نصره

اذا هم ليلة عزموا على قتله بعد تحزبهم اي تجمعهم لهلكه بضم اوله وسكون ثانيه
اي هلاكه وبعد خلوصهم اي انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة غيرهم نجيا
مصدر او نعته وصفوا به جماعة في نجاء واصدقاء وجمعه انجية كندي واندية اي متناجين
في امره على اي صفة يؤذونه ليفوزوا بالنصر منه فطوقوا بالخيبة ومن الاخذ على
ابصارهم عند خروجه عليهم مع ابي بكر الى الغار ليلة راموا قتله كما مر ومن
ذهولهم عن طلبه في الغار مع ترددهم حوله فلم يهتدوا اليه والغار ثقب باعلا
ثور جبل عن يمين مكة مسيرة ساعة وما ظهر لهم في ذلك اذ خرج عليهم وهم ببابه
صلى الله عليه وسلم فلم يروه ونثر التراب على رؤوسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك
من الايات ونزول السكينة عليه اي امنه الذي تسكن عنده القلوب اي على النبي
صلى الله عليه وسلم او على ابي بكر وهو الحق لانه الذي كان منزعجا بشهادة قوله صلى الله
عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وقوله له ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفي مصحف حفصة
فانزل الله سكينته عليهما ومن قصة سراقة بن مالك حيث بفتح ثانيه وقد يسكن اي
على قدره وعدده ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة فانه
تبعهما حين توجها منه مهاجرين الى المدينة ليفتك بهما فرده الله خاسئا ثم اسلم
بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة الطائف ومنه قوله
تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك التفات من التكلم الى الغيبة ومقتضى
الظاهر فصل لنا اي قدم على الصلاة او على صلاة العيد خالصا لوجهه شكرا له
لانعامه فانها جامعة لانواع الشكر وانحر اي ضح بالبدن التي هي خيار اموال العرب
وتصدق على المحاويج ولا تدعهم ولا تمنعهم الماعون وهذه السورة كالمقابلة للتي
قبلها ان شانئك هو الابتر علمه صلى الله عليه وسلم في هذه السورة بما اي ببعض ما
اعطاه والا فقد اعطاه ما لا يحصى كثرة والكوثر حوضه بشهادة حديث مسلم
اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض
ترده امتي يوم القيامة وهذا انما يصلح شاهدا اذا كان قوله هو حوض بيانا لقوله
نهرا ما اذا كان بيانا لقوله خير كثير فلا وقيل نهر في الجنة بشهادة حديث الترمذي
رايت في الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبريل قال الكوثر الذي
اعطاكه الله وحديثه ايضا اعطاني الله الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي
وقيل الخير الكثير ولعل هذا هو الحق لانه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط فيها
ويؤيده خبر ابن عباس رضي الله عنهما في البخاري الكوثر هو الخير الكثير الذي اعطاه
الله له صلى الله عليه وسلم قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة
قال هو من الخير الكثير الذي اعطاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب
نزولها ان بعض سفهاء قريش وكعب بن الاشرف قال ان محمدا قد اصبح ابتر

قيل العدد منقطعا من الولد فاعطي عوضا عن مصيبته بانه الفاسر وجيء
باسم معنى الكثرة المفرطة المضادة لمعنى الابتر اعني القلة ردا لقوله مع انه
تضمنه جميع ما قيل فيه مما مر او الشفاعة او المعجزات الكثيرة او النبوة
او المعرفة اقوال وهي مع حسنها وافصاحها باثبات كرامة صلى الله عليه وسلم
بمعانيها لم اقف لها على دليل ثم اجاب اي الله تعالى عنه صلى الله عليه وسلم عدوه
ورد عليه قوله ان محمدا اصبح ابتر فقال ان شانئك هو الابتر اي ان عدوك
ومبغضك وقد قيل الابتر الحقير الذليل الذي لا ذكر له حسن ولا ثناء جميل
او المنفرد الوحيد الذي لا ولد له ولا عقب او الذي لا خير فيه واما هو صلى
الله عليه وسلم فذكره الحسن وعقبه واثار فضله باقية الى يوم القيامة
وله في الاخرة ما لا يدخل تحت وصف وقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال بكسر
الطاء جمع طولى فاما بضمها فمفرد كرجل طوال الاول البقرة وال
عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع براءة
لانها في حكم سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بتسمية والقران
العظيم ام القران لاشتمالها على كليات معانيه اذ اولها ثناء واوسطها
تعبد بالامر والنهي واخرها وعد ووعيد فكانها هو ولهذا مزيد بيان
تقدم وقيل السبع ام القران لحديث نادى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابي بن كعب وهو يصلي فلما فرغ لحقه فوضع يده صلى الله عليه وسلم على
يده ثم قال اني لارجو ان لا اخرج من المسجد حتى اعلمك سورة ما انزل في
التوراة والانجيل مثلها ثم قال كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة قال فقرات
الفاتحة فقال هي هذه السورة هي السبع المثاني وحديث البخاري ام القران
هي السبع المثاني والقران العظيم سائره اي باقي القران وقيل السبع
المثاني ما في القران من امر نحو اقيموا الصلاة وقوله اركعوا وافعلوا الخير
ونهي نحو ولا تقربوا الزنا او كراهة نحو ولا تيمموا الخبيث منه
تنفقون روي انهم كانوا يتصدقون بردي التمر فنزلت ولا تقصدوا
الردي تتصدقون به وبشرى للمؤمنين وانذار للكافرين وضرب
مثل نحو قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا
سلما لرجل هل يستويان مثلا واعداد نعم بفتح همزته جمع عد بمعنى
نعم معدودة واتيناك ثناء القران العظيم اي اعطيناك علم ما اشتمل
عليه مما ذكر من قصص ومواعظ وبلاغة واعجاز وثناء على الله تعالى بما
هو اهله وغير ذلك وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى اي تكرر في

كل ركعة اي صلاة تسمية للكل باسم جزئه او في كل ركعة باعتبار الركعة بعدها
وفي الفاتحة المثاني اي تكرر في قوماتنا للصلاة اي في كل قومة او في مجموع
القومات وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له
دون الانبياء وهذا لا يخص الفاتحة بل جميع السور كذلك وسمي القرآن
مثاني لان القصص تثنى اي تكرر فيه والمثاني جمع مثناه او مثنى من التثنية بمعنى
التكرير لما فيه ايضا من تكرير امثال ووعد ووعيد واخبار وغير ذلك او من
الثناء لما فيه من ثناء عليه تعالى بصفاته العظمى واسمائه الحسنى وقيل عن جعفر
بن محمد السبع المثاني هي انا اكرمنا بسبع كرامات الهدى هو وما
بعده بدل بعض من كل او خبر مبتدا محذوف اي هي الهدى والنبوة
والرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة فيجوز جرها
على البدلية ورفعها على الخبرية وهي سبع مقابلة لابواب جهنم السبعة فمن اكرم
بها امن منها وانزلنا اليك الذكر اي القرآن سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين
للناس اي الانس والجن كما في الصحاح ولعله بطريق التغليب ما نزل اليهم فيه
مما امروا به ونهوا عنه وتشابه عليهم والتبيين اعم من ان يكون بنص في المراد
او مرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل وقال تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين يكفهم بشره عن الظلم
والكفر وقد تقدم له تفصيل بيان وقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
امره ربه ان يعلمهم انه رسول الله اليهم جميعا حال من اليكم فهذه اي الاية من خصائصه
جمع خصيصة لم يشاركه فيها احد لورودها مشيرة باختصاصه بعموم
رسالته ومشعرة بان كل رسول بعث الى قومه خاصة لتشبهها ده وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه الذين هو منهم وبعث اليهم ليبين لهم ما امروا
به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر فخصهم بقومهم ارسالا ودعوة وانذارا
وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق مصدر بمعنى المخلوق كافة من الكف
لكفهم بدعوته عن ان يخرج منها احد منهم لاحاطتها لهم كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود اي العرب والعجم
كما مر مع اختلاف لغتهم فكان يخاطب كلا بلغته الا انه ولاها لغة قومه
لا لحصر اولى الناس بالدعوة والانذار اليه ومن ثم امر هو لا بانذار عشيرته
ثم دعى وانذر من دعاه وانذره بلغته ثم اصحابه دعوا وانذروا بما فهموا منه
صلى الله عليه وسلم وترجموه لهم وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
وازواجه امهاتهم جمع ام واصلها امهة لتشبها ده امهتي خذف والنساء لي
ومن ثم جمع على امهات ومنهم من خصه بالادميات والامات بالبهائم ن

وخذف

وخذف لقب ليلى امراة الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وكان الناس
على مقدمة سليمان لما غدا الى بلقيس قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من
انفسهم في جميع الامور اي بما انفذه فيهم من امر نفذ ماض عليهم
كما مضى حكم السيد على عبده اذ لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم
وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس فيجب عليهم ان يكون احب اليهم
من انفسهم وحكمه عليهم انفذ من حكمها او اتباع امره ونهيه دون امرها ونهيها
وشفقته عليهم اتم منها عليها روي انه صلى الله عليه وسلم ندب الى غزوة
تبوك فقال ناس نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وازواجه امهاتهم اي هن
في الحرمة كالامهات تنزيلا لهن منزلتهن حرم نكاحهن عليهم بعده صلى الله
عليه وسلم تكرمة له وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا ولانهن له ازواج في الاخرة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات
وامهات الرجال في الحرمة عليهم لحرمة امهاتهم عليهم وقد قرئ وهو
اب لهم اذ كل نبي اب لامته من حيث انه سبب حياتهم الابدية ومن ثم صاروا
اخوة في الدين من حيث انتسابهم الى اصل واحد هو الايمان الناشئ عنه صلى
الله عليه وسلم ولا يقرأ بها الان لمخالفته المصحف الامام الذي نسخه
عثمان وعليه الناس وقراءة ابن عباس قبل قوله وازواجه امهاتهم وفي رن
كعب بعده وقال وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم
من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما
فيما علمك وانعم عليك وقيل فضله العظيم النبوة اذ لا فضل اعظم منها
وقيل ما سبق له في الازل من صلات المكارم وهبات الكرائم واشار الوا سطي
الى انها اي هذه الاية اشارة الى احتمال الرؤية اي رؤيته ربه تعالى ليلة
الاسراء التي لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم بشهادة ولكن انظر الى الجبل
فان استقر مكانه فسوف تراني فانه استدراك اريد به بيان كونه لا يطيقها
مع ما افاده من جوازها بتعليقها على ممكن هو استقرار الجبل ضرورة ان المعلق
على الممكن ممكن الباب الثاني من القسم الاول في تكميل الله له صلى الله عليه
وسلم المحاسن جمع حسن على غير قياس خلقا وخلقا اي محاسن خلقه وخلقه
والثاني السجية والطبيعة وهو لصورة الانسان الباطنة التي هي نفسه
وصفاتها حسنة وقبيحة بمنزلة الاول لصورته الظاهرة واوصافها حسنه
وقبيحه والثواب والعقاب يترتبان على اوصاف الباطنة اكثر من ترتبهما
على اوصاف الظاهرة وقرانه عطف على تكميل وقد تقدم بيانه جميع الفضائل
الدينية نسبة الى دين الاسلام وهو توحيده تعالى وما يجب الايمان به

والدنيوية نسبة الى الدنيا والافصح فيها كنظايرها مما اخره الف زيدت
للتانيث رابعة اذا الحقها بالنسبة حذف الفها فيقال في دنيا دنيي يان
اولهما مكسور وفي حبلى حبلي وجوز جعلها كالفاصلة فيقلب واوا فيقال
دنيوي كما مر وفي اخرى اخروي كما جعل المنقلبة كالرابعة فيحذف فيقال في
موسى موسي ولذا موسوي على الاصل يكون بلا حذف وقلب فيقال دنياوي
وهي اضعفها اعلم خطاب لكل من يتاتى توجه الكلام اليه اولمن سال له تاليف
هذا الكتاب وجرد من نفسه من خاطبه حثا له على الاصغا الى ما يلقيه اليه
ايها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم
اعتراض بين الخطاب وما خوطب به وردتنا هدا تخصيص الخطاب بمن
جرى هو عليه ان خصال الجلال والكمال من الكيفيات النفسانية وغيرها
سواكانت النفسانية في النفس باعيانها ويسمى وجودا متاصلا ام بصورها
ويسمى وجودا غير متاصل كالكرم يتصف به الكريم وان لم يتصور وقد يتصوره
البخيل وان لم يتصف به والجلال العظمة وفي نسخ الجمال والاول اكثر وجودا
في النسخ المعتمدة ولا يعزب عنك ما نقل عن الاصمعي انه ينكر على من يصف به
احدا من البشر اذ لا يوصف به لغة الا الله وقد رد بقول هدبة بن خشرم
فلا ذا جلال هبنه لجلاله ۝ ولا ذا ضياع هن يتركن للفقد ۝
في البشر نوعان احدهما ضروري دنيوي اقتضته جبلته اي طبيعته التي
جبل عليها وصورته التي خلق عليها و اقتضته ايضا ضرورة الحياة الدنيا
مما ليس اختياريا ثم اقتضاؤهما له بمعنى ايجاده فيه بشهادة قوله بعد مثل
ما كان في جبلته من كمال و ثانيهما مكتسب ديني وهو ما يتوقف اكتسابه
على الشرع من الكمالات العلمية التي اعظمها معرفة الله تعالى مما يحمد فاعله
و يقرب الى الله زلفى اي قربة اسم مصدر ازدلف ثم هي اي خصال الجلال
على فنين ايضا اي نوعين منها ما يتخلص اي يمحض لاحد الوصفين الضروري
والمكتسب من غير اكتساب امتزاج وتداخل بحيث لا يصدق عليه اسم الاخر
ضروريا او كسبيا كاسبا في فاما الضروري المحض اي الذي لا يكون مكتسبا
فما ليس للمرء اختيار في حصوله ولا اكتساب له مثل ما كان في جبلته من
كمال خلقته وجمال صورته فيه جناس لاحق بين كمال وجمال وقوة عقله من
اضافة الصفة الى موصوفها اي عقل بمعنى تعقل هو قوة بها يبدا القلب مما
ينتهي اليه درك الحواس فيهتدي الى المبادي ويتمكن من ترتيبها فيتبدي
له المطلوب فيدركه بتامله اي التفاته وتوجهه اليه بتوفيق الله والهامه
اذ الافكار معدات للقلب اي الروح المسمى قوة عاقلة ونفسا ناطقة ويبصر

مثل الجلال لا يتصف به غير الله تعالى

خلقته صح

المطلوب انما هو بالالهام وتوفيق الملك العلام فحاصل معناه حصول شرايط
التوصل الى المطلوب وانكشاف الحجب عنه والتهدي الى الطريق يوصل اليه وقد
يقال هو قوة للنفس الناطقة بها تتهيا لاكتساب العلوم اذ الموجود ان كان
لاختيارنا في وجوده اثر فالعلم به يسمى نظريا والا فعليا ومن ثم حصل للنفس
قوتان علمية هي مبدا الادراك وباعتبار تاثرها عما فوقها هي مستكملة في
ذاتها محتاجة للنفس وتسمى عقلا نظريا وباعتبار تصرفها في الضروري لحصول
النظري كان للنفس اربع عقول هيولاني كاستعداد الطفل ثم بالملكة كاستعداد
الامي بادراك الضروري ليحصل به النظري ثم بالفعل كالقدرة بادراك النظري
على استحضاره متى اريد ثم مستفاد ان استحضره مشاهدا له وعليه ينتهي العمل
ويسمى عقلا عمليا وللنفس باعتبار تكميلها وللبدن اربع مراتب ما يهذب بها ظاهرا
ثم باطنا ثم ما تتحلى به من المعارف ثم تتجلى لها من جلال الله وجماله ولهذا مزيد
بيان وشرحنا به كتابنا مقاصد المقاصد وصحة فهمه من اضافة الصفة الى
موصوفها وهو قوة ادراكية لمعاني الاشيا وكثيرا ما يعبر عنه بالنفس الناطقة
وفصاحة لسانه اي طلاقته بتراكيب جارية على قانون العربية مع رعاية المطابقة
ووضوح الدلالة وقوة حواسه سمعا وبصرا وشما وذوقا ولمسا وهي قوى يدرك
بها ما جعلت له الا ان المرتسم في الباصرة هو صورة المحسوس في الخارج ومعنى
محسوسيته حصول صورته فيها لا نفسه كما ان المرتسم في الذهن هو صورة المعلوم
الخارجي ومعنى معلوميته حصول صورته فيه لا نفسه ولهاتيه هذه الحواس ارتسام
المحسوس في الحواس الباطنة والمشهور انها ايضا خمس ذكرناها في كتابنا مقاصد
المقاصد وقوة اعضائه واعتدال حركاته بسلامتها من الافة والحركة اما امر
موهوم هو حصولات متعاقبة منتسبة في احياز متلاصقة وهي متصل ممتد ومن ثم
لا توجد في الاعيان لفقد تمامها ما دام المتحرك لم يصل الى منتهى فاذا وصل انقطعت
وبطلت بل في الاذهان لان للمتحرك نسبة الى المكان الذي تركه والى الذي ادركه
فاذا ارتسم في الخيال صورة كونه في الاول ثم ارتسم فيه قبل زوالها صورة
كونه في الاول والثاني فقد اجتمعا فيه فيدركهما الذهن على انهما شي واحد واما امر
موجود محقق وهو الحصول في حيز بعد الحصول في اخر ثم لا بد له مما منه وهو المبدا
والية وهو المنتهى وفيه كالاين والوضع والكم والكيف وهو علته الفاعلية اعني المحرك
وله وهو علته المادية بمعنى المحل اعني المتحرك اذ لكونها عرضا لا بد لها من محل يقوم
به وشرف نسبه اذ في الغالب من تحلى به ربا بنفسه عن سفساف الامور
الى عاليها او ذميم الصفات الى معاليها وعزة قومه وكرم ارضه اي طيب
مكانه الذي نشا فيه واعتنا له ويلحق به اي بالضروري المحض ما تدعو ضرورة

حاجته اليه ما نكرة موصوفة بما بعدها وضمير للمرء وضمير اليه لما اي يلحق به شي
من الامور العادية تدعوا المرء شدة احتياج حاجته اليه من غذايه اما بفتح اوله
وبالدال المهملة فهو الطعام بعينه واما بكسره وبالذال المعجمة ما يتغذى به من طعام
وشراب وهو الاليق هنا اذ كل منهما تدعوا ضرورة الحياة اليه ونومه هو عرض
يحدث من استرخا اعصاب الدماغ برطوبات الابخرة المتصاعدة اليه بحيث
تقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس وملبسه ومسكنه ومنكحه اسما لما
يلبس ويسكن وينكح وماله وجاهه اي قدره ومنزلته وقد تلحق هذه الخصال
الاخروية اي التي تدعو ضرورة حاجته اليها بالخصال الاخروية اذا قصد بها التقوي
ومعونة البدن على سلوك طريقها اي طريق الخصال الاخروية وكانت تلك
الخصال الملحقة بها على حدود الضروره وداعية الحاجة من غير اسراف وزيادة
فوقها وكانت ايضا على قوانين الشريعة مما ابيح وجوز وهذا معنى قول الغزالي وغيره
وقد تصير العادات عبادات بالنية اذ الامور بمقاصدها واما الخصال
المكتسبة الاخروية فسايرها اي جميع الاخلاق العلية والاداب الشرعيه
نسبة الى الشرع مما جا به نبينا صلى الله عليه وسلم واستعمال السائر بمعنى جميع
كثير شايع وان كان بمعنى الباقي اكثر الشاهد له امر غيلان في حديث البخاري وقد
اسلم على عشر نسوة اختر اربعا وفارق سايرهن اي باقيهن من الدين اي الايمان
بما يجب تصديقه والطاعة في احكام الله والعلم بما للنفس وما عليها مما به نظام
المعاش والفوز بنجاة المعاد والحلم هو ملكة يقتدر بها على الصبر على الاذى
والصبر هو حبس النفس عند الجزع بمصيبة بان يتصور ما خلق لاجله ورجوعه
الى ربه ويذكر نعمته عليه فيرى ان ما ابقى له اضعاف ما استرده منه فيهون على
نفسه والمصيبة كل ما اصاب من مكروه بشهادة خبر انطفى سراج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كلما
يوذي المومن فهو له مصيبة وقال من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه والشكر اي الثنا على المنعم بما
اولاكه من معروف بان تصرف جميع ما انعم الله عليك من سمع وبصر وغيرهما
الى ما خلقت لاجله والعدل هو ملكة يقتدر بها على اجتناب ما لا يحل فعله
والزهد فيما عدا الضرورات من المباحات وقد يقال هو ترك الحرام ولا ريب
في وجوبه او ترك الشبهات والاشبه وجوبه لكونه ذريعة الى اجتناب الوقوع
في الحرام بشهادة حديث ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام واجتناب
الوقوع فيه واجب فالزهد مثله او ترك ما سوى الله مريدا به وجه الله وهو
زهد المقربين والتواضع اي الخضوع والتذلل ولين الجانب والعفو هو

الصفح

الصفح والتجاوز وعدم المواخذه والعفه هي قمع النفس عن تعاطي ما لا ينبغي
والجود صفة مدح بين طرفي افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا هي بذل ما
ينبغي والشجاعه محمدة بين طرفي افراط يسمى تهورا واقداما على ما لا ينبغي
وتفريط يسمى جبنا وحذرا عما ينبغي هي استعمال قوة غضبية على ما ينبغي
فيما ينبغي والحيا هو انقباض عن القبيح حذرا من الذم بين طرفي افراط يسمى
وقاحة وجراة على القبايح وعدم المبالاة بها وتفريط يسمى خجلا وانحصارا
عن الفعل مطلقا فهو انكسار يعتري القوة بالجوانية فيردها عن افعالها والمروه
صفة مدح تحمل على التعاون والتعاضد مما يورث تالفا وتحابا الا قد تنفع
وقد تضر لعدم العلم بسلامة العاقبة والصمت مما يورث السلامه من
افات اللسان وفلتاته بشهادة حديث فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا
فقيل انواخذ بما نتكلم يا رسول الله فقال وهل يكب الناس في النار على وجوههم
الا حصايد السنتهم والتوده مما يورث الحفظ من الوقوع في ندامة الا
قال صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس ان فيك لخصلتين يحبهما الله
ورسوله الحلم والاناة ومن ثم قيل

° قد يدرك المتاني بعض حاجته ° وقد يكون مع المستعجل الزلل °

والوقار اي الحلم والرزانه والرحمه اي الرقة والتعطف على من مر وحسن
الادب والمعاشره واخواتها كالنجدة والمعونه والنصح والسخا وهي
اي هذه الملكات النفسانية المكتسبة التي جماعها بكسر اوله جمع تلك
الملكات بمعنى انه يصدق على كل جزئي جزئي من جزئياته كما يقال جماع
الخبا اخبية اي جمعه حسن الخلق وهو سجية حميدة تورث الاتصاف
بما ذكر من الملكات مع طلاقة وجه وانبعاث نفس وملاطفه اذ به
ايتلاف القلوب واتفاق الكلمة وانتظام الاحوال ومال الامر
وفي حديث وخالق الناس بخلق حسن تلويح بانه يمكن اكتسابه والا لما
صح الامر به ومثله حديث يا معاذ حسن خلقك مع الناس انكم لن تسعوا
الناس باموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن الخلق وحديث ان الله اختار
لكم الاسلام دينا فاكرموه بحسن الخلق والسخا وقد ورد خياركم احاسنكم
اخلاقا وورد اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا وورد ان العبد ليدرك بحسن
الخلق درجة الصايم القايم ولما نزل قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين قال له جبريل ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك
وتعطي من حرمك وقالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم
القران يامر بامره وينزجر بزاجره ويرضى لرضاه ويسخط لسخطه وبالجملة فحسن

الخلق خير كله وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو مخلوق مودع في الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس طبع عليه في اول خلقته ونشا عليه وبعضها لا يكون فيه فيكتسبها ويقتدي بغيره فيها فتصير له كالغريزة ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها في اصل الجبلة شعبة خلق عليها يرجع فيما يكتسبه اليها يجذب بطبعه الاولى اليها قال الشاعر

كل امرئ راجع يوما لشيمته ○ ان تخلق اخلاقا دونها الخلق ○

وتكون هذه الاخلاق دينيه على ما مر ويا اذا اريد بها وجه الله والدار الاخرة اما اذا اريد بها ذلك صارت مما يتقرب به فيثاب عليها ثواب القرب ولكنها اي الغريزيه وان لم يرد بها ذلك كلها محاسن وفضائل اي ملكات محموده يختص بد وقها لا يتجاوزهم الى غيرهم باتفاق اصحاب العقول السليمه وان اختلفوا في موجبها اي سبب حسنها وتفضيلها على غيرها او بعضها على بعض اهو ذاتي اقتضته ذواتها وطبايعها ام مخلوق لله في ذواتها قولان ثانيهما هو الحق لاستناد جميع الكاينات اليه تعالى ابتدا اذ هو الخالق وحده وهي ملكات محمودة مكملة للانسان تؤدي نفاوت النفوس بحسب الفطرة في الكمال باعتبار زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن اعدل كانت النفس الفايضة اكمل والى الخيرات اميل والكمال لاتها اقبل وعكسه عكسه ثم لا نزاع في انها من واجبات العقل لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مويدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع في ان العاقل قبل وروده او بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال ويحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب في الاخرة ام لا فعندنا لا اذ لا حكم له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده وعند المعتزلة نعم بنا على مسالة الحسن والقبح ولهذا فضل بيان رشحنا به شرح نظمنا درر القلايد وشرح كتابنا مقاصد المقاصد فصل في تعداد خصال محموده خصه بها صلى الله عليه وسلم وتذكر فيما بعده من الفصول مقتبسة من الكتاب والسنة اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه في الفصل السابق ووجدنا الواحد منا يشرف بضم الرا اي يصير شريفا رفيعا بواحدة منها او اثنتين ان اتفقتا له في كل عصر متعلق بيشرف او اتفقتا وفي نسخة او ان من عطف الخاص على العام اذ العصر الدهر اي الزمان والاوان زمن مخصوص كزمن الربيع والداعي له عطفه الخطابه في ان كل وقت لا يخلوا من احد يشرف بذلك ثم ما يشرف به اما ان يكون من نسب وجمال اي حسن او قوة اي مقولة بالاشتراك على ما يكون بالفعل كالشجاعة وعلى ما يكون بالشان كالانسان كاتب بالقوة اي من شانه ذلك وعلى ما في النفس من ابصار وادراك

وفكر

٥٢

وفكر وتمييز وغضب وعلى ما في الحديد ونحوه من صلابة وامتناع من التثني والكسر وعلى ما يتمكن به من مزاولة افعال شاقة لا اعتدال في الاعصاب بين افراط وتفريط من يبوسة ورطوبة وهي المراده هنا والقدرة اخص منها لاشتراط الاراده فيها اذ هي التمكن من الطرفين والقوة مع الاراده او سماحة اي جود وعطا والسماحة المساهلة حتى يعظم قدره غاية لوصفه بما ذكر اي يصير معظما مبجلا ويضرب باسمه الامثال مبالغة في تعظيمه بجعل اسمه مثلا يضرب به الامثال التي يضرب اي يوصف بها للبيان اذ المثل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ودفع الحجاب عنه وابرازه في معرض المحسوس وتقرر له بالوصف بذلك اي بما ذكر من الصفات في القلوب اثره بكسر همزته وضمها وسكون المثلثة وبفتحهما اي خلاصة مكرمه وعظمة ينفرد بهما وهو منذ عصور خوال اي دهور مواض عظامه رمم بوال بيان لرمم كابي حفص عمر ومنذ مبني على الضم يصلح كما في الصحاح ان يكون حرف جر فيجر ما بعده لكن لا يدخل الا على زمان كما هنا وان يكون اسما فيرفع ما بعده على التاريخ في مثل ما رايته منذ يوم الجمعة اي اول انقطاع رويته يومها وعلى التوقيت فلا يكون ما بعده الا نكرة في نحو ما رايته منذ سنة اي امد انقطاع رويته سنة وفيها هنا اي مدة بلاعظامه عصور خوال فما ظنك بعظيم القدر من اسنه ثم عمادها تحجا من عظيم قدره اذ قد اجتمعت فيه هذه الخصال الحميده والملكات النفيسه الى ما لا ياخذه عد اي احصا منها ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيله الا بتخصيص الكبير المتعال اي العظيم الشان المستعلي على كل شي بقدرته او الكبير عن نعت المخلوقين المتعالي عنه لمن نبايه لمن بعدها فضيلة النبوه هي كون النبي مبعوثا من الحق الى الخلق ثم ان كانت من النباوه اي الرفعه لتشرفه او من النبي بمعنى الطريق لكونه وسيلة الى الله فهي على الاصل بلا همز كالابوة او من النبا بمعنى الخبر لانبائه اي اخباره عن الله فعلى قلب همزتها واوا ثم الادغام كالمروة والرسالة هي كونه واسطة بين الله وبين عباده وقد سبقت معانيهما فيما مر والخلة هي صفا موده توجب الاختصاص وتخلل النفس وتخالطها والمحبه هي صفا موده تشوق شغاف القلب وتصل الى الفواد وسياتي لهما فضل بيان والاصطفا بالرسالة والخصايص الروحانيه والجسمانيه تشهد اي ان الله اصطفى من ولد اسمعيل كنانه واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم واصله اصتفا افتعال من الصفو اي الخلاصه اعل بقلب تايه طا لوقوعها بعد فا الافتعال صادا وكذا اذا كانت فاوه ضادا او ظا فانها تقلب طا ثم

نوح

..يجوز لك ان تظهرها مع فايه في افتعل من الصيد اصطاد ومن الضرب اضطرب
ومن الظلم اظطلم وان تدغمها في الفا فتقول اصّاد واضّرب واظّلم ولك
في الثالث خاصة ان تدغم الفا فيها فتقول اطّلم وزعم ابن السراج انها افصح لغاته
واما اذا كانت الفا طا لزم الادغام وجها واحدا فتقول في افتعل من الطرد اطّرد
والاسرى قد مر بيانه والرؤية يحتمل ان يريد بها رويته صلى الله عليه وسلم
لربه فيكون منه ذهابا الى ما هو اشهر القولين وهو غير المختار فيما ياتي
ويحتمل ان يريد بها رويته صلى الله عليه وسلم من ايات ربه الكبرى كما مر تشهد له
حديث البخاري راى رفرفا اخضر في الجنة قد سد الافق وحديث مسلم راى جبريل
في صورته له ستمائة جناح والقرب والدنو تشهد له ثم دنى فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى على القول بانه صلى الله عليه وسلم هو المراد لا جبريل والوحي
مصدر وحى واوحى ثلاثيا ورباعيا ومصدرا للثلاثي وفعل الرباعي
اكثر استعمالا وهو شرعا اعلام الله انبياءه الشيء بنحو كتاب وملك والهام
ويجوز ان يريد به الموحى والشفاعة يجوز ان يريد بها التي لفصل القضا حين يفزع
الناس من هول الموقف اليه بعد فزعهم الى الانبيا فيقول صلى الله عليه وسلم انا
لها فلامها عهد به وان يريد بها ما خص به من الشفاعات الخمس او الشفاعة
مطلقا فلامها استغراقية وسترى له مزيد بيان والوسيلة هي في الاصل ما
يتوصل ويتقرب به واراد بها هنا القرب من الله ومن المراجعة في الشفا عند الواسل
الراغب الى الله تعالى قال لبيد

.. ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم . بلى كل ذي دين الى الله واسل .

او هي منزلة في الجنة كما ورد به الحديث والفضيلة لعلها صفة خاصة خصه الله
بها او شاملة لجميع ما منحه الله به والدرجه واحدة الدرجات اي الطبقات من
المراتب الرفيعة والمقام المحمود لحديث حاتم يبعث الله الناس يوم القيامة
فاكون انا وامتي على تل فيكسوني ربي حلة خضرا فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك
المقام المحمود ويكنى به شاهدا بانه غير الشفاعة وقد يكون هو هي لاشعار قوله
فاقول ما شاء الله ان اقول في مراجعة ربي في الشفاعة بذلك وذلك هو المقام المحمود
فلا تعارض بينهما وسياتي القولان والبراق والمعراج ظاهر لعطفه مغايرته
للاسرا ويمكن ان يقال الاسرا من المسجد الحرام بجسده يقظة ليلة سبع وعشرين
من رجب وجزم به النووي في السير من الروضة وفي فتاويه من ربيع الاول
وفي شرحه لمسلم من ربيع الاخر الى المسجد الاقصى نصا والمعراج من الصخرة
الى السما استفاضة في الجنة او العرش او طرفا لعالم اخادا هنا ولا يعزب عنك
ان البراق قد ركبه الانبيا قبله كما ورد من طرق كثيرة وفي سيرة ابن هشام عن ابن

قوله والاسرى حكى الكمال الشيخ النووي ... البحر ... الانبيا له
قال والمعراج في ذلك الى حديث صحيح مسلم ما ذكره
وكذا الحلبي معتمد كلامه موافقة الشيخ النووي وهو
مقتضى ايراده بكريته

الزبير

السهيلي
الزبير ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يحج كل سنة على البراق وروي
انه احتمل هاجر عليه وسياتي عن حذيفة فما زايلا يعني نبينا وجبريل ظهر البراق
حتى رجعا وانهما كان رديفا للاخر فلجبريل لاحاديث وردت فيه بعضها
معضل وبعضها مرسل وبعضها محتمل لحديث ابن حبان ان جبريل حمله على
البراق رديفا له اذ الجملة الحالية تحتمل ان تكون منه صلى الله عليه وسلم فيكون ن ن
هو الرديف وان تكون من جبريل فيكون هو الرديف ويويد هذا قوله صلى
الله عليه وسلم لابي ذر وقد راه يمشي امام ابي بكر اتمشي امامه وهو خير منك
لصلاحه بان من كان خيرا يكون اماما والبعث الى الاحمر والاسود اي العرب
والعجم والصلاة بالانبيا ببيت المقدس عند الصخرة والشهادة بين الانبيا
والامم يوم القيامة كما مر وسيادة ولد ادم وتقدم حديثه مع حديث
انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر ولواء الحمد هو والله اعلم ما يكون لكونه في
مقامه المحمود بموقفه وفي الرياض النضرة انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه
فقال ثلاث شقق ما بين السما والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم
وفاتحة الكتاب وعلى الثانية لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة
ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين علي الرضى والبشارة
والنذارة تشهد له انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا والمكانة عند
ذي العرش والطاعة ثم والامانة تشهد له انه لقول رسول كريم ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين والمفسرون على ان الموصوف في الاية
هو جبريل وبها استدل من فضله على الانبيا اذ قد عدد فضايله واقتصر على
نفي الجنون عن نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون ورد
بان المقصود من تعداد ذا نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به
جنة لا تعداد فضلها والموازنة بينهما والهداية تشهد له ويهديك صراطا
مستقيما ورحمة للعالمين تشهد له وما ارسلناك الا رحمة للعالمين واعطا
الرضى يشهد له ولسوف يعطيك ربك فترضى والسول فعل بمعنى مفعول
اي المطلوب لانه افضل الخلق فهو بهما احق والكوثر تقدم بيانه واسماع القول
كما في حديث الشفاعة وقل يسمع واتمام النعمة تشهد له ويتم نعمته عليك
والعفو عما تقدم وما تاخر تشهد له ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر تشهد له الم نشرح
لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك
وعزة النصر تشهد له وينصرك الله نصرا عزيزا ونزول السكينة والتاييد
بالملايكة تشهد له فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها اي بملايكة

يوم بدر ويوم حنين والاحزاب وآتينا الكتاب والحكمة بشهادة وانزل عليك
الكتاب والحكمة والسبع المثاني بشهادة ولقد آتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم وتزكية امته بشهادة هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
يتلوا عليهم آياته ويزكيهم وشهادته يوم القيامة اذ تشهد الانبيا اذا انكرت
اممهم والدعا الى الله بشهادة قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة وداعيا
الى الله باذنه على ما مر اي بامره وصلاة الله وملائكته عليه بشهادة ان الله
وملائكته يصلون على النبي والحكم بين الناس بما اراه الله بشهادة انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ووضع الاصر والاغلال
عنهم بشهادة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم والقسم باسمه
في لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واجابة دعوته في مواطن كثيرة كبدر اذ قال
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم وتكليم
الجمادات بشهادة حديث البخاري اني لاعرف حجرا بمكة يسلم علي قيل هو الحجر الاسود
ومنه تسبيح الطعام والحصى وتكليم الحيوانات العجم كنطق الضب والظبي والجمل
واحيا الموتى اذ قد ورد انه صلى الله عليه وسلم قفل من غزاة فمات بعير بعض اصحابه
فدعا الله فاحياه حتى ركبه الى المدينة ثم مات واسماع الصم كامره صلى الله عليه
وسلم الحجارة ان تجتمع لقضا حاجته فتعاقدن حتى صرن ركاما ونبع الما من بين
اصابعه بشهادة قول جابر في البخاري فرايت الما ينبع من بين اصابعه وتكثير القليل
بشهادة حديث انس في قصة ابي طلحة والذي في البخاري فانه امر بما بقي منه فجي
بقليل منه فدعاه وبرك فيه فكثر حتى ملوا اكلوا وعمهم وانشقاق القمر من
معجزاته صلى الله عليه وسلم في انس سأله قريش آية فانشق مرتين وعن ابن
عباس انفلق فلقتين ذهبت فلقة وبقيت فلقة وعن ابن مسعود رايت حرا
عليه فلقتي القمر ورد الشمس في الخندق وصبيحة الاسرى وسيأتي
له مزيد بيان وقلب الاعيان من آياته صلى الله عليه وسلم في مثل حديث عكاشة
كان معه صلى الله عليه وسلم يوم بدر عصا فصارت سيفا صارما لا يصح
ذلك الا على يد نبي والله تعالى هو القادر كليه والنصر بالرعب بشهادة
حديث نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا
نصرت بالرعب واهلكت عاد بالدبور والاطلاع على الغيب بشهادة حديث
خروج الدجال والدابة وثلاث خسوفات وولاية العبيد والامرا ذلك
ولاينا في ولاية العبيد قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي
في الناس اثنان الائمة من قريش الناس تبع لقريش لانه لا ينتهم قد تكون
ناشية عن امام قرشي بشهادة حديث الحاكم الائمة من قريش ابرارها امراء

عكاسه ك

كذا
ابرارها

ابرارها وفجارها ولكل حق فآتوا كل ذي حق حقه وان امرت عليكم قريش عبدا
حبشيا مجدعا فاسمعوا واطيعوا وظل الغمام وتسبيح الحصا وابرا الالام
لاحاديث وردت في ذلك الى ما اي فضل عظيم كثير لا تحويه محتفل اي
منتهى تجمعه لكثرته تكاد تخرج عن طوق من يهتم لذلك ولا يحيط بعلمه
الا مانحه اي معطيه صلى الله عليه وسلم ذلك ولا يحيط بعلمه الا مفضله
على غيره به لا اله غيره الى ما اعد له فصله عما قبله لشبه انقطاع بينهما
لان تلك فضائل تشرف بها في الدنيا وهذا فواضل هيئت له في الدار الاخرة
من منازل الكرامة ودرجات القدس اي الجنة ومراتب السعادة
والمثوبة الحسنى مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
والزيادة التي تقف دونها العقول ولا ينتهي اليها ادراكا ولعله اراد بها
رؤية ربه وناهيك بها رؤية تحار في توجهها الى تخيل ما ما دون ادنيها الوهم
فما ظنك باد انيها فضلا عن عاليها فضل في جمل من اوصافه صلى الله
عليه وسلم ان قلت اكرمك الله اعتراض بين القول الشرطي ومقوله دعا
لمخاطبه بالاكرام تعظيما له لا خفا على القطع بالجملة فضلا عن القطع
بالتفصيل انه صلى الله عليه وسلم اعلا الناس قدرا واعظمهم محلا الاخير
ان يقال اعظمهم قدرا واعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر اليق والعلو
بالمحل اوفق واكملهم محاسن وفضلا المنصوبات كلها تمييزات للنسب فيما
قبلها حولت عن اصلها للاعراق في نعته صلى الله عليه وسلم بسمات الكمال
وصفات الكمال وقد ذهبت هذا مع ما بعده جملة حالية اعتراضية
بين مقول القول الشرطي وجزائه لطلبا لوقوف على اوصافه صلى الله عليه
وسلم مفصلة تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا اي حسنا تشوقني
الى ان اقف عليها اي على خصال الكمال من اوصافه صلى الله عليه وسلم
تفصيلا فعلم خطاب خاص وعام لمن يصلح توجهه اليه على ما مر نور
الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك اعتراض
دعائي بين فعل الامر ومعموله الساد مسد مفعوليه الذي هو انك اذا
نظرت الى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة في جبلة الخلقة وجدته
صلى الله عليه وسلم حائزا لجميعها ومحيطا بشتاتها اي متفرقات محاسنها
دون اي بلا خلاف بين نقلة الاخبار لذلك اي لحيازته جميع الخصال المذكورة
قد بلغ بعضها مبلغ القطع اما الصورة اي صورته صلى الله عليه وسلم
وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها مما لم يكن مكتسبا بل في جبلة الخلقة فقد
جاءت الآثار الصحيحة المشهورة الكثيرة بذلك من حديث من ذكرها من

الصحابة من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون اي نيرا وحسنا ادعج اي
شديد سواد الحدقة انجل اي ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين اشكل
اي في بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب فسره في مسلم بانه طويل
شق العين والشهلة بان لها حمرة في سوادهما اهدب الاشفار اي كثير
شعر حروف اجفان عينيه وطيب الله انفاسكم وهو الهدب ابلج اراد ابلج الوجه
اي مشرقه ولم يرد ابلج الحاجبين اي نقي ما بينهما لشهادة حديث ام معبد
في دلايل البيهقي وغيره انها وصفته بانه ابلج الوجه اقرن ازج اي دقيق شعر
الحاجبين طويلهما الى موخر العين مع تقوس اقنى اي مرتفع قصبة الانف
مع احديداب يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله عليه وسلم كان اشم الانف
اي مرتفع قصبته مع استوا اعلاه قال في الصحاح فان كان فيها احديداب
فهو القنى وقد يجمع بينهما بان اشتماعها كان يسيرا جدا فمن راه متاملا عرفه اشم
ومن لم يتامله ظنه اقنى افلج اي متباعد ما بين ثناياه مدور الوجه واسع الجبين
كث اللحية اي كثير شعرها بحيث تملا صدره مع قصر فيه وعدم انبساط سوا
البطن والصدر اي مستويهما تلويح باعتدالهما خلقا وبان خروجهما او احدهما
عن الاعتدال بروزا او تطامنا ليس بمحمود واسع الصدر حسا ومعنى اذ قد
وسع كل احد شفقة وحلما عظيم المنكبين مثنى منكب وهو مجمع عظم العضد
والكتف اي ضخمهما ضخم العظام اي غليظها عبل العضدين مثنى عضد وهو
الساعد من المرفق الى الكتف اي ضخمهما وعبل الاسافل اي الفخذين والساقين
وذلك كله مما يوذن بكمال قوته ويشهد لها شهادة حديث البخاري انه اعطي قوة
ثلاثين رجلا رحب الكفين اي واسعهما حسا ومعنى اذ قد وسع كل احد عطا
وفي ذلك اقول في نوع الترشيح من بديعية مدحته صلى الله عليه وسلم بما
ضمنتها انواع البديع مع اسمايها موريا بها

• عم الورى بيد سحا نيل سحبها • عطا ولم يخش الفقر من عدم •

ورحب القدمين اي واسعهما طولا وعرضا سايل الاطراف اي تام الاصابع
طويلها انور المتجرد بجيم فراء مشددة مفتوحة اسم مفعول اي كان ما يجرد
من ثيابه عن ثيابه اشرق انور دقيق المسربة بفتح ميمه وضم رائه اي دقيق
خط الشعر الذي بين صدره وسرته ربعة القد اي مربوع القامة رواه
البيهقي وابن ابي خيثمة في تاريخه ليس بالطويل البائن اي المفرط في الطول
ولا بالقصير المتردد اي المتناهي كان بعضه داخل في بعض قصرا ومع ذلك
اي ومع كونه ربعة فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله من خصي
بها صلى الله عليه وسلم تلويحا بانه لم يكن عند ربه افضل منه رجل الشعر بكسر

ضخمهما

البديعية للشارح

جيمه وفتحها اي بصفة بين الجعودة والسبوطة فالشعر الذي ذا مشط
تكسر يسيرا ليس بجعد ولا سبط اذا افتر ضاحكا اي اذا ابدا اسنانه حالة
ضحكه افتر عن مثل سنا البرق اي ضويه وعن مثل حب الغمام اي قطعاته او
برده شبه بياض ثغره في صفايه ونقايه بضوء البرق وما يطفوا على ثناياه من
ريقه بقطرات الغمام تشبيها بليغا اذا تكلم روي كالنور يخرج من ثناياه
لصفايها وشدة بياضها رواه الترمذي في شمايله والدارمي والبيهقي احسن
الناس عنقا لا اعتدال له ليس بمطهم اي لم يكن كما في الصحاح مدور الوجه مجتمعه
ولا بمكلثم اي ولا مجتمع لحم الوجه ولا كثير لحم خديه بل مسنون الوجه اي
فيه وفي انفه طول هذا ولا يختلج بالبال ان هذا مخالف لما مر من كونه
مدور الوجه الماخوذ من وصف علي له لان المراد تدويره هنا كونه مفرطا
في الاستدارة وليس بمحمود وهنالك بخلافه واياه اراد علي في وصفه له بهو
المحمود متماسك البدن اي ليس برهل ولا مسترخ ضرب اللحم اي خفيفه
قال البرا ابن عازب كما رواه البخاري ومسلم ما رايت من ذي لمة هي ما يكون
من شعر الراس مجاوز شحمة الاذن فان لم يجاوزها فوفرة فان بلغ المنكب
فجمة فهي فوق الوفرة ودون الجمة سميت لالمامها بالمنكبين في حلة حمرا
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهره انها ثوب واحد تشهد له
وصفها حمرا مع اتفاق اهل اللغة انها لا تطلق الا على ثوبين تشهد له حديث
وعليه حلة اتزر باحداهما وارتدى بالاخرى فلعله انحت بان وصفها
باعتبار لفظها لا باعتبار معناها وكفى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا
كراهة كالشافعي ومالك وقال ابو هريرة علم اضافه في جزء التابعي عن منصرف
تنزيلا له منزلة كلمة واحدة واجرى عليها احكام الاعلام ما رايت احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه
لحسنه وبها رونقه واذا ضحك لمن صفا ثغره ولون ثناياه يتلالا اي يضي
في الجدر جمع جدار وهو الحايط رواه احمد والترمذي وابن حبان وقال
جابر بن سمرة كما رواه الشيخان والحاكم انه قال له رجل كان وجهه صلى
الله عليه وسلم مثل السيف لا بل مثل الشمس والقمر تلويح بانه لا ينبغي ان
يشبه وجهه به بل بهما اما في استدارتهما فيكون قوله وكان اي وجهه مستديرا
بيانا له اولان وجهه اتم اشراقا وابهج رونقا من رونق السيف ولمعانه
فيكون شاملا استنارة وضيا ويكون قوله وكان مستديرا موذنا بزيادة دلت
على المعنى الاول وعلى كل فهو تشبيه بليغ وقالت ام معبد عاتكة بنت خالد من
روايته البيهقي في دلايله عن اخيها حبيش بن خالد عنها فيما وصفته به اجلى

قوله رحمه الله وقال اهل اللغة الى آخره اي لو كان
ازارا وردا او ثوب [illegible] ولا يكون [illegible]
[illegible] الحلة [illegible] لان كل [illegible]
[illegible] الذي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الناس اي انهم حسنا من بعيد واحلاه اي احلا الناس واحسنه فوحدت الضمير
حملا على لفظه او على الجنس كما في حديث خير نسا ركبن الابل صالح نسا قريش احناه
على ولد في صغره وارعاه على زوج في ذات يده اي احلا واحسن هذا الجنس ٥
واحنا وارعا هذا الجنس اذ الناس والنسا من اسما الاجناس وفي حديث ابن ابي
هالة الاتي يتلالوا اي يضي نور وجهه تلالا القمر ليلة البدر فالقمر ليلة
كماله وشرفه وقال علي في رواية الترمذي في جامعه وشمايله في اخر وصفه
له صلى الله عليه وسلم من راه بديهة اي مفاجاة كناية عن اول اللقا هابه
ومن خالطه معرفة اي وعرف ما كان عليه من خفض الجناح ولين الجانب ٥
وحسن العشرة ودوام البشر احبه يقول ناعته اي واصفه لم ار من الناس
احدا قبله ولا بعده مثله لكرم شمايله وشرف فضايله وعموم فواضله
وحسن خلقه وطلاقة وجهه والاحاديث في بسط صفته كثيرة مشهورة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا اي اوردنا على وجه الاختصار في وصفه
نكت اي لطايف ودقايق ما جا فيها اي في تلك الاحاديث واوردنا جملة مما
فيه الكفاية يجوز ان تكون ما ههنا بيانيه اي جملة هي الكفايه في وصفه
اي تبعيضيه اي جملة هي بعض ما فيه كفايه لكنه لكونه نكت لطايف وملح
دقايق صار له مزية على البعض الاخر وجتبا ما دونه هنا في القصد
الى المطلوب من وصفه صلى الله عليه وسلم وختمنا هذه الفصول الكاملة
بابراز ما اورده في وصفه بحديث جامع لذلك فصل من تلك الفصول
واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته اي برايته وتباعده عن
الاقذار جمع قذر بذال منجمه اي الاوساخ والادناس حسيه ومعنويه
ونزاهته عن عورات الجسد مما يعيبه ويشينه كنقص فيه وخلل في عضو
منه فكان صلى الله عليه وسلم قد خصه الله في ذلك بخصايص لم توجد في
غيره واني لغيره ذلك هيهات واين الثريا من يد المتناول ثم تممها اي تلك
الخصايص بنظافة الشرع من الاصار والاغلال التي كانت عليهم
مما الزموه لزوم الطوق للعنق على ما مر وخصال الفطرة اي الخلقة فان الله
خلق عباده قابلين للحق متمكنين من ادراكه غير نابين عنه حتى لو خلوا وما
خلقوا عليه لا خذبهم اليه كتبهاده حديث ان الله اخرج من ظهر ادم ذريته
كالذر واشهدهم على انفسهم بانه ربهم قالوا بلى فمعنى الفطره هنا دين
الاسلام اي خصال دينه العشر وحديث مسلم قص الشارب واعفا
اللحيه والسواك واستنشاق الما وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف
الابط وحلق العانه وانتقاص الما قال مصعب بن شيبة ونسيت

قوله الفطره ... الاسلام ... الخلقه ... الفطر ... الخلقه ... والتعبير ان ... الخلقه

العاشرة الا ان تكون المضمضه وروى ابو داود نحوه الا انه قال بدل انتقاص
انتضاح وفي رواية انتقاص بقاف وضاد معجمه وكلها كناية عن الاستنجا وقد كان صلى
الله عليه وسلم بني الدين على النظافة اي الطهارة وتباعد عن الادناس
ظاهره وباطنه وهذا الحديث وان قال العراقي في تخريج احاديث الاحيا لم اجده
هكذا فقد رواه الرافعي في تاريخه بسنده عن ابي هريرة بعض حديث مرفوعا
تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بني الاسلام على النظافه ولن يدخل الجنة
الا كل نظيف ونصه حديثا للترمذي ان الله نظيف يحب النظافة فتنظفوا
افنيتكم قال انس ما شممت بكسر ثانيه وقد يفتح عنبرا قط ولا مسكا
ولا شيا عطف عام على خاص اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه
وسلم اسنده هنا بطريق مسلم الى انس وتتمته ولا مسست قط
ديباجا ولا حريرا ولا شيا الين مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
رواية ولا شممت مسكة ولا عنبرة اطيب من رايحة النبي صلى الله عليه وسلم
وعن جابر بن سمرة فيما رواه مسلم صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي احدهم واحدا واحدا واما
انا فمسح خدي فوجدت ليده بردا اوريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا في مسلم
اوريحا بالف وكثيرا ما يوجد بدونها فلعله رواية فيه ولهذا رواه بلفظ انه صلى
الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها من
جونة عطار وفي ذلك هذا الحديث شاهد بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم
للصغير والكبير فقد وسع الناس رافة ورحمة وعمهم فضلا ونعمة والجونه كما في
الصحاح بالضم بلا همز وربما همزت وعن غيره همزتها اصليه وقد تخفف
وهي سفط مغشي بجلد يجعل فيه العطار طيبه وعن غيره اي غير جابر بن سمرة
مسها بطيب او لم يمسها يصافح صلى الله عليه وسلم المصافح له فيظل
ذلك المصافح له يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من
بين الصبيان بريحها ونام صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم في دار انس على
فراش امه ام سليم بنت ملحان فعرق فجات امه بقارورة تجمع فيها عرقه
فسالها عن ذلك اي من جمعها اياه المفاد من الفعل فقالت نجعله في
طيبنا وهو من اطيب الطيب الطيب وان اعدنا الضمير الى طيبنا
اذ بانضمامه اليه صار اطيبه وفي روايه نرجوا بركته لصبياننا نادا البخاري
في وصي انس ان يجعل منه في حنوطه وانما نام على فراشها لانها واختها ام حرام
بنت ملحان كما في ادالة المصنف خالتاه من الرضاعة وانكر فان صح ففي الحديث
جواز الخلوة بمن بينها وبينه محرمية والنوم عندهم لعصمته صلى الله عليه

وسلم وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر والدارمي والبيهقي
من طريق ابي الزبير عنه ايضا لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق
فيتبعه احد الا عرف انه سلكه وروى البزار وابو يعلى بسند جيد عن
انس قال كنا اذا مر في الطريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك
فيقال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق وروى المزني عن
جابر اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة فكان
ينم بكسر نونه من نمت الريح اي جلبت الرائحة على مسكا تمييز للنسبة في
ينم محولا عن كونه مفعولا اي يجلب علي رائحة وفي رواية ينم بضم مثلثة وقد
تكسر اي يسيل تشبيها له بنم دما الهدي اي سيلانه بسرعته وفي الحديث
افضل الحج العج والثج هذا وقد جمع بعضهم من ازدد فما النبي صلى الله عليه وسلم
فبلغ نيفا ولا بين ولم يذكر منهم جابرا وحكى بعض المعتنين باخباره
وشمائله هو البيهقي عن عائشة انه كان اذا اراد ان يتغوط انشقت الارض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت له رائحة طيبة وقال انه موضوع واسند
ابن سعد كانت الارض لوائدي في هذا اي في ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح
له رائحة طيبة خبرا عن عائشة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم انك تاتي
الخلا فلا يرى منك من اذى فقال اوما عطف على مقدر اي اجهلت وما
علمت ان الارض تبتلع ما خرج من الانبيا وروى الدارقطني في افراده
قالت قلت يا رسول الله اراك تدخل الخلا ثم يجي الذي يدخل بعدك
فما يرى لما منك اثرا فقال اما علمت ان الارض تبتلع ما خرج من الانبيا
وهذا الخبر الذي اسنده ابن سعد وان لم يكن مشهورا فقال ابن دحية
بعد ان اورده هذا سند ثابت قيل وهو اقوى ما في الباب وقال قوم من
اهل العلم بطهارة الحدثين منه صلى الله عليه وسلم عبر عنهما عن
المخارج استهجانا للتصريح باسمهما وهو قول بعض اصحاب الشافعي
كالبغوي لشهادة الاستشفا ببوله ودمه واحاديث ستر دعليك
حكاه اي القول بطهارتهما الامام ابو نصر عبد السيد بن محمد بن الصباغ
في شامله وقد حكى القولين عن العلما في ذلك اي في كونهما طاهرين ام نجسين
ابو بكر بن سابق في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع
لهم منه اي حكي تخريج ما لم يقع للمالكية على مذهبهم من الاقوال بطهارتهما
من تفاريع الشافعية اجلهم الله ائمة الاسلام فانهم في كل عصر قدم صدق
في استنباط الاحكام وتخريج الاقوال من قواعد الاحوال لدقة افهامهم
وجودة احلامهم لا مزقت لهم ايدي الالداد ولا رنقت لهم فهما ثو

الله امرمم

والتخريج

والتخريج في اصطلاحهم ان ينص الشافعي على حكمين مختلفين في صورتين متشابهتين
ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا بينهما فينقلوا نصه في كل صورة منهما الى الاخرى
لمسيس الاجتهاد كالاواني والقبلة اذ قد منع في الاولى العمل بتغير الاجتهاد
وجوزه في الثانية فنقلوا منعه في تلك الى هذه وتجويزه في هذه الى تلك فصار في
كل قولان منصوص ومخرج المنصوص في كل هو المخرج في الاخرى وشاهد هذا
القول بطهارة ما ذكر انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شي كريه ولم يكن منه
شي غير طيب ومنه اي ومن الشاهد بانه لم يكن منه شي يكره ولا غير طيب
حديث علي فيما رواه ابو داود في مراسيله وابن ماجه غسلت النبي صلى الله
عليه وسلم فذهبت مجاز عن اردت تشبيها للذهاب الى الورود بالارادة كما
الكلام بينهما غالبا ثم اشتق منه الفعل تجوزا للاستعارة في المصدر واصليه
وفي الفعل تبعيه انظر ما يكون اي يوجد من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت
حيا وميتا قال وسطعت اي ارتفعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط تاكيد
لنفي رؤية مثلها وكذلك مجيئا بانه من اعلام النبوة بعد موته اذ لم يخرج منه
ما يخرج من الموتى ولم يتغير باحد بعد مكثه قبل دفنه يومين وليلة لاشتغال
اصحابه بموته تعظيما له وتبعيدا للموت عن ان ينزل بساحته حتى قال العباس
لعلي ان ابن اخي قد مات لا شك وهو من بني ادم باشر كما باشرون فدعوا ان
ندفنه فوجدوه كما كان لم يتغير وبما حقق عنده موته الا انه راى قبله بيسير
ان القمر رفع من الارض باشطان قمصه عليه صلى الله عليه وسلم فقال هو
ابن اخيك وروى ابن بكر في سيرته ان ام سلمة وضعت يدها على صدره صلى الله
عليه وسلم فمكثت جمعا لا تاكل ولا تتوضا الا وجدت ريح المسك من يديها
ومثله اي مثل قول علي طبت حيا وميتا قال ابو بكر حين قبله بعد موته بعد تجليه
من السنح طبت حيا وميتا رواه البزار عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر في
البخاري والسنح بضم اوله وسكون ثانيه وقد يضم من منازل بني الحارث
بن الخزرج عن المدينة بنحو ميل ومنه اي من الشاهد بما ذكر ما رواه الطبراني
في اوسط معاجمه عن ابي سعيد الخدري شرب والده مالك بن سنان
دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه اي تجويزه صلى الله عليه وسلم ذلك
له وقوله لن تصيبه النار ورواه البيهقي عن عمر بن السائب ومنه اي من الشاهد
بما ذكر ما رواه الحاكم والبزار والبيهقي والطبراني وغيرهم شرب عبد الله بن
الزبير دم حجامته فقال له صلى الله عليه وسلم ويل للناس منك وويل لك منهم
ولم ينكره عليه وروى الزبير بن بكار انه لما ولدته امه رآه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هو هو فمنعته امه فامسكت عن رضاعه فقال ارضعيه ولو بما

عينيك كبش كبش بن ذياب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر
به صلى الله عليه وسلم من المغيبات إذ قد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين
بعد وفاة معاوية وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وحج بالناس سنة
ثمان سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعيد على المدينة نائبا لعبد الملك
بن مروان فكان يبعث البعوث إليه منها إلى مكة حتى أرسل له عبد الملك
الحجاج فابتدا حصاره غرة ذي الحجة سنة اثنين وسبعين وحج تلك السنة
الحجاج ووقف بعرفة عليه درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت في تلك
الحجة فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما ثم قتل بنصف جمادى الآخرة
سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنين وسبعين سنة وأيام وستعلم كيفية
قتله وروي نحو من هذا عنه صلى الله عليه وسلم في امرأة شربت بوله فقال
لها في رواية أبي علي لن تشتكي وجع بطنك أبدا وكهذا وما قبله من
الأحاديث شهود صدق في طهارة الخارج منه صلى الله عليه وسلم وعليه
كثير من أئمتنا الخراسانيين فإنه لم يأمر واحدا منهم أي ممن شربه بغسل
فم ولا نهاه عن عوده إلى شربه لكن المعتمد في المذهب أن الخارج منه صلى
الله عليه وسلم كغيره من غيره يشهد له ما رواه ابن عبد البر أن سالم بن ملك
الحجاج حجمه صلى الله عليه وسلم ثم ازدرد دمه فقال له أما علمت أن الدم
كله حرام وفي رواية لا تعد فإن الدم كله حرام قيل ولا يعرف له إسناد
وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ولصحته ألزم الدارقطني مسلما
والبخاري إخراجه في الصحيح من جامعيهما وإنما يتوجه هذا الإلزام عليهما
لو التزما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه واسم هذه المرأة بركة وقيل
هي أم أيمن الحبشية مولاته وحاضنته ورثها من أبيه ثم أعتقها لما تزوج
خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بني الحارث فولدت له أيمن وبه
كنيت ثم تزوجها بعد النبوة مولاه زيد بن حارثة فولدت له أسامة حبه
صلى الله عليه وسلم واختلف في نسبها أي في نسب بركة فقال ابن عبد
البر وغيره هي مولاته أم أيمن وأم أسامة بنت ثعلبة وقيل هي بركة بنت
يسار مولاة أبي سفيان وتزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج أم حبيبة
وبقيت على الإسلام خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها له النجاشي
وأصدقها عنه أربع مائة دينار أو أربع مائة أوقية ذهب ثم بعثها إليه مع
شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت تخدمها وتخدم النبي
صلى الله عليه وسلم قالت وكان له قدح من عيدان بعين مهملة مفتوحة جمع
عيدانة وهي النخلة الطويلة وعن الأصمعي إذا صار للنخلة جذع يتناول منه

قوله من عيدان بفتح العين
في كلامه ما ذكره الشارح
ويجوز كسر العين أيضا

فهي

فهي نضيد فإذا فاتتها الأيدي فجبار فإذا ارتفعت فرقلة وعند أهل
نجد عيدانة يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم
افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه أي عن بوله الذي كان في القدح
فقالت قمت وأنا عطشانة وأنا لا أعلم أنه بول فشربته الجملتان الاسميتان
في موضع الحال الأولى من ضمير قمت والثانية من ضمير شربته أي انتبهت
عطشة فشربته جاهلة أنه بول وقولها عطشانة كذا ورد وصوابه
عطشى لأنه مؤنث عطشان إلا أن يكون لغة وروى حديثها بكماله
ابن جريج عن حكيمة بنت أميمة بنت أبي صيفي عن أمها قالت كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل
فبال فيه ليلة ووضع تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فقال
لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه ما فعل البول الذي كان في هذا القدح
فقالت يا رسول الله شربته ورواية عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرت
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت
سريره فجاء فإذا هو ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم
أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة أين البول الذي كان في القدح قالت
شربته قال صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط حتى
ماتت ورواه أيضا غيره أي غير ابن جريج كأبي داود وابن حبان والحاكم عن أميمة
عن أمها وروى الحاكم والدارقطني عن أم أيمن قالت قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا
عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح قال يا أم أيمن قومي فأهريقي
ما في تلك الفخارة قلت قد والله شربته فضحك ثم قال أما والله إنه لا تيجعن
بطنك أبدا وهذا قاض بأنهما واقعتان وفعلتا قال ابن دحية لبركة أم
يوسف وبركة أم أيمن وينصره ما في الخصائص وصرح به البلقيني أنهما شربتاه
وكان صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو نعيم والطبراني في الأوسط قد
ولد مختونا مقطوع السرة وفي دلائل البيهقي بسند ضعيف عن ابن عباس عن
أبيه أنه ولد معذورا مسرورا من عذره أي ختنه وأما حديث الخطيب عن أنس
مرفوعا وصححه الضياء في المختارة من كرامتي على ربي أني ولدت مختونا ولم ير أحد
سوأتي فلا يعارضه حديث البخاري أن العباس قال له وهو ينقل الحجارة للكعبة
لو جعلت إزارك على عاتقك من الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء
ثم قام فقال إزاري إزاري فما رؤي بعد عريانا إذ ليس فيه ما يدل على أن أحدا
أبصر عورته انكشفت لجواز أن يكون سترها ببعض وجعل بعضا على عاتقه

قوله إلا أن يكون لغة ثبت كذلك في الصحاح لغة بني أسد وإن قال الجوهري عطشى
بهذا إعراب الشريع لا الكافية
لا تعرف به تتبع
لعله

سلمنا انكشافها لكن ليس فيه ما يدل على ان احدا ابصرها لاحتمال سقوطه او لـ
تعريه قبل ان يراها احد بشهادة قوله لم يطلع لى احد على عورة وزعم الحاكم تواتر
الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبي بقوله ما اعلم صحته فكيف يكون متواترا
وقيل ختن لما شق قلبه عند مرضعته حليمة وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع
له مادبة وسماه محمدا وعن كعب الاحبار ثلاثة عشر نبيا ولدوا مختونين ادم
وشيث وادريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان
ويحيى وعيسى ومحمد وعن ابن حبيب الهاشمي اربعة عشر اسقط ممن ذكر
ادريس وسام ويحيى وزاد هودا وصالحا وزكريا وحنظلة نبي اصحاب الرس
وروى كما في طبقات ابن سعد عن امه امنة قالت ولدته نظيفا ما به قذر
وروى الترمذي في شمائله وابن ماجه عن عائشة ما رايت فرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم قط تاكيد لنفي رويتها فرجه وروى البيهقي والبزار
عن علي اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم ان لا اي بان لا يغسله غيري
فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه علة لترك غسله لغير علي وتحذير
من اقدام غيره عليه وخصته بذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم بان له قدرة
على غض بصره وفي السيرة عن يونس بن بكير انه نودي وهو يغسله ان ارفع
طرفك الى السما وعن ابن اسحق لما اختلفوا هل يغسلونه في ثوبه ام لا نودوا ان
غسلوه في ثوبه وروى الشيخان عن ابن عباس انه قال بت عند خالتي ميمونة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فتوضا وضوا خفيفا فصنعت
مثله ثم قمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلى ثم نام حتى سمع غطيطه
بالبنا للمفعول غطيطه نايب الفاعل وهو صوت يخرجه النائم مع نفسه
فقام فصلى ولم يتوضا لانه صلى الله عليه وسلم كان محفوظا من ان يخامر
قلبه نوم وان خامر عينيه بشهادة حديث انا معشر الانبيا تنام اعيننا
ولا تنام قلوبنا وحديث لتنم عينك وليعقل قلبك وليع اذنك ومن
ثم كانت رويا الانبيا وحيا بشهادة يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك
ووضوه صلى الله عليه وسلم بعد نومه عن صلاة الصبح في الوادي يجوز
ان يكون عن نقض قبل النوم او بعده او عن مخامرته قلبه مع ندوره ليبين
لامته دفعه او تجديدا له فصل فيما خص به صلى الله عليه وسلم من زيادة قوة
ملكاته النفسانية ثم نبها ما اشار اليه بقوله واما وفور عقله اي زيادته
على عقل غيره وذكا لبه اي حدة عقله وقوة حواسه سمعا وبصرا وشما وذوقا
ولمسا مما به تجلب النفس العلوم الى ذاتها وفصاحة لسانه اذ كان من قوم
نشات فيهم الفصاحة ومنهم ارتضع الناس ثديها واعتدال حركاته

حسبه

حسبته وغير حسبه وحسن شمايله على مامر فلا مرية اي لا شك انه صلى الله عليه
وسلم كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره اي نظره امر بواطن الخلق
وظواهرهم الى ما تولا لشده عاقبتهم وسياسته من سوس مشددا مبنيا
للمفعول اذا ملك امر العامة والخاصة قال الحطيه

لقد سوست امر بنيك حتى ... تركتهم ادق من الطحين

مع عجيب شمايله وبديع سيره اي شمايله العجيبة وسيره البديعة التي لم ينلها غيره
فضلا عما افاضه اي ابداه وبينه تشبيها ببحر عذب زاخر عم نفعه تشبيها بليغا
من العلم نظريا وعمليا وقرره من الشرع بيان لما افاضه وقرره ولولا هما لكانا
استعارة ذلك كله دون تعلم سبق له من غيره ولا ممارسة تقدمت
منه لشي من ذلك ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر جواب الشرط اي لم يشك
في رجحان عقله صلى الله عليه وسلم على عقل غيره ولا في ثقوب فهمه ادراكا
للطايف العلوم ومهمات الامور ومليات الاحوال لاول وهلة بدون مهلة
وتروّ وكانه يثقبها بقوة فهمه كما يثقب النجم الظلام بقوة ضوئه وقوله
فضلا مصدر لفعل محذوف قد يقع متوسطا بين نفي واثبات لفظا هكذا
لا يملك زيد فضلا عن ان يكرمه او معنى كتقاصرت همته عن كذا فضلا
عن ان يترقاه اي لم يبلغه فضلا عن ان يترقاه اي لم يبلغه فضلا عن الترقي فهو
لاستبعاد وقوع الادنى اعني ما دخله النفي بمعنى عدم بعيدا عن الوقوع
واستحالة ما فوقه اعني ما دخله عن بمعنى عدم بمنزلة المحال الذي لا يمكن
وقوعه فما قبله هنا وان كان مثبتا فقد نزل منزلة المنفي استبعادا بمعنى
عدم وقوعه من غيره محالا اي لم ينل احد عقله بفضل فضلا عما افاضه وهذا
اي ما ذكر مما لا حاجة الى تقريره لتحققه حتى كاد لا يخفى على احد وتشهد لذلك
كله ما قد قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا من كتب الله المنزلة
وفي معارف ابن قتيبة قرات من كتب الله اثنين وسبعين كتابا فوجدت في
جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وميزان
لنسبة ارجح وافضل هنا ولا يقدح في كون رايه افضل رجوعه في بدر الى
راي الحباب بن المنذر اذ قال له وقد نزل صلى الله عليه وسلم ادنى من
مياه بدر ارايت منزلك هذا يا رسول الله امنزلا انزلكه الله لا نتجاوزه
ام هو الراي والمكيدة فقال بل هو الراي والمكيدة فقال الراي ان تاتي ادنى ما
من القوم فتنزله ثم نغور ما وراه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملاه ما ثم نقاتل
فنشرب ولا يشربون فقال لقد اشرت بالراي اذ رايه صلى الله عليه وسلم اولا كان
هو الراي من حيث ان بينه وبينهم رحما وراي الاتباع والشفقة عليهم وان

الية

لعله لم ينلها

بعيدا وان بدا استثنا ... بعده

لا يبعدوا من رحمته ولا يحرموا من الماء رجاء ان يفطنوا لذلك فيكفوا ويومنوا او
بعضهم ورجوعه للحباب كان لبيان جواز رجوع الافضل للمفضول ولا نقيصة في
ذلك وبعد ان عرض له ما اوجب حرمانهم واخذهم بلا شفقة عليهم وهذا
وعلته وهو تجنيبهم محاربين لله ورسوله لا لكون رايه كان افضل من رايه صلى
الله عليه وسلم وقد يقال لكان صلى الله عليه وسلم افضل رايا في الامور الدينية
مما شرعه بيانا واجتهادا واما الدنيوية فكان هو المصيب فيها غالبا وقد
يظهر الراي لغيره فيرجع اليه غير انف ويشهد له حديث البخاري انه صلى الله
عليه وسلم راى اهل المدينة يابرون النخل فقال لهم عنده فقالوا كنا نفعله فقال
لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوه فنفسد ذلك العام فذكروا ذلك له فقال
انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من
رايي فانما انا بشر اخطي واصيب وحاشاه من الخطا وفي رواية اخرى فوجدت
في جميعها اي جميع الاحد والاثنين وسبعين كتابا ان الله لم يعط جميع الناس
من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم
الا كحبة اي لم يعطهم جميعا منه شيا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة رمل بين
رمال الدنيا الى رمال الدنيا ويشهد له ايضا ما قال مجاهد فيما رواه عنه ابن
المنذر والبيهقي مرسلا لفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام
من فيه يجوز ان تكون جارحة
الى الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه
وان تكون موصولة ولذا ما ورد مثلها وبه اي وبما ذكر من انه يرى من خلفه كمن
بين يديه فسر مجاهد قوله تعالى وتقلبك في الساجدين اي تردد بدل بصرك
في من وراءك من المصلين وتصفح احوالهم وفي الموطا عن ابي هريرة عنه صلى
الله عليه وسلم اترون قبلتي ههنا فوالله لا يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم اني
لاراكم من وراء ظهري ونحوه اي نحو حديث الموطا في الصحيحين عن انس اتموا
الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من بعدي وربما قال من بعد ظهري اذا ركعتم
وسجدتم وعن عائشة مثله قالت ورؤيته صلى الله عليه وسلم مما اكرمه الله به
دون غيره زيادة زادها الله اياها في حجته على من كذبه وعلى صحة نبوته اذعن لعله زاده الله
من جملة معجزاته التي وردت شاهدة بصدقه وفي بعض الروايات لعبد الرزاق
والحاكم اني لانظر من ورائي كما انظر من بين يدي وفي رواية اخرى لمسلم اني
لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة
كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وفي رواية
كما يرى في النور قال ابن دحية في الايات البينات ضعفه ابن بشكوال وقال
البيهقي اسناده ضعيف كما رواه ايضا من حديث ابن عباس كان يرى بالليل في الظلمة

كما يرى بالنهار في الضوء وقال ليس بالقوي وقال ابن الجوزي لا يصح وقال
الذهبي فيه من جملة احاديث هي موضوعات وفي روضة الطيبي انه صلى الله عليه
وسلم لما تزوج ام سلمة دخل عليها في ظلمة فاصابت رجله زينب فبكت ثم في ليلة
اخرى دخل في ظلمة ايضا فقال انظروا ربائبكم لا امشي عليها والاخبار كثيرة صحيحة
في رؤيته صلى الله عليه وسلم الملائكة كخبر البخاري وغيره انه راى جبريل في
صورته له ستمائة جناح على كرسي بين السماء والارض قد سد الافق وفي ليلة الاسرا
وربما قيل امر فيهم ونهي وجاءت ايضا في رؤيته الشياطين كخبر البخاري ان عفريتا
تفلت علي البارحة في صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق فيها وجهي فامكنني
الله منه فذعته ثم اردت ان اربطه بسارية من سواري المسجد فذكرت دعوة
اخي سليمان وفي رواية لولا دعوة اخي سليمان لاصبح يلعب به ولدان المدينة وجاءت
في رفع النجاشي له لقب لملك الحبشة واسمه كما في البخاري اصحمة اي عطية بالعربي حتى صلى
عليه يوم مات في رجب سنة تسع من الهجرة اما حديث صلاته عليه فرواه الشيخان
وغيرهما وبه استدل الشافعي وانصاره على جواز الصلاة على الغائب واما حديث
رفعه له فظاهر ان المرفوع هو على نعشه حتى قيل انه احضر بين يديه وروحه في
كل فلم تمتنع الصلاة كما زعم الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب وطويت له الارض
حتى رآه هذا وجميع ما ذكر وان كان ممكنا وقوعه فدعوى بلا بينة اذ لم يشهد به
كتاب ولا سنة ومن ثم انكره ابن جرير لعدم وجوده في خبر ورواية عالم وانما الوا رد
في رواية ابي علي والبيهقي ان معاوية بن معاوية المزني رفع له وهو صلى الله عليه
وسلم بتبوك حتى صلى عليه هذا وقد ورد ان النجاشي لما بلغه وقعة بدر لبس مسحا
وقعد على التراب ثم ارسل الى من قبله من المسلمين فلما راوه قالوا ما هذا ايها الملك
فقال انا نجد في الانجيل ان الله اذا احدث لعبده نعمة وجب عليه ان يحدث له تواضعا
وانه احدث لنا ولكم نعمة عظيمة هي نصر الله نبيه محمدا على اعدائه ببدر فقال له بدر
كثيرا لا ازال كنت ارعى به غنما لسيدي وروى البيهقي ان سبب رجوع ملك ابيه
اليه انه لم يكن لابيه ولد غيره وكان لعمه اثنا عشر ولدا فقالت الحبشة لو قتلنا
الملك وملكنا اخاه اذ لا ولد له غير هذا الغلام ولاخيه اثنا عشر ولدا ان
يتوارثون ملكه فقتلوه وملكوا اخاه ونشا النجاشي مع عمه وغلب على عقله
لحذقه ونجابته فقالوا لقد غلب هذا الفتى على امر عمه وانا نخاف ان يملكه علينا
فيقتلنا بابيه فقالوا لعمه اما ان تقتله او تخرجه عنا فقال ويلكم قتلتم اباه واقتله
اليوم فباعوه بستمائة درهم فقذف به في سفينة ثم عشيه يوم هيج طلعت
سحابة فخرج عمه يستمطر فاصابته صاعقة فمات فذهبوا يولون ولده فاذا هو محمق
فمرجوا في امرهم فضاق بهم ذرعا فقالوا والله ان ملككم الذي لا يقيم امركم

غيره هو الذي يعتمره عدوهم فادركوه فجاوا به وتوجوه واجلسوه على سرير
ملكه فقال لهم الذي اشتراه اما ان تعطوني دراهمي او اكلمه فقالوا لا نعطيك
فقال لهم الملك ابتعث من قومك غلاما بستمائة درهم فاسلموه لي ثم ادركوني
فاخذوه مني ومنعوني دراهمي فقال اما ان تعطوه دراهمه او لتضعن غلامه يده
في يده فيذهب به فاعطوه فكان ذلك اول عدله هذا ولا يذهب عنك كنت ادعى
به عنما السيد يوذن بانه ذهب به الى بلاده واستخدمه ويوبخ وولد ثم زوجوا
في امرهم لا استدعا به طول مدته وان قولهم هو الذي يعتمره عدوهم يوذن
بانه لم يذهب به وروى ابو داود انه لا يزال يرى على قبره نور وجات ايضا
في رفع بيت المقدس له كما في الصحيحين حين وصفه لقريش فكذبوه في اخباره
انه اسري به اليه ثم الى ما شا الله ثم رجع الى مكة في ليلة وارتد كثير ممن اسلم
واخبروا ابا بكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق وانه ليخبرني ان الخبر ياتيه من
السما في ساعة واحدة من ليل او نهار فاصدقه وهو ابعد مما تعجبون منه ثم قال
يا نبي الله صفه لي فرفع له حتى نظر اليه فطفق يصفه له ويصدقه وفي مسلم لقد رايتني
في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة
ما كربت مثلها قط فرفعه الله لي فما سالوني عن شي منه الا انباتهم به وجات ايضا
في رفع الكعبة له حتى راها حين بنى مسجده بالمدينة ليجعل محرابه اليها ورواه الزبير
بن بكار في تاريخ المدينة عن ابن شهاب ونافع بن جبير بن مطعم مرسلا وهو عز والمعروف
ان جبريل هو الذي علمه بها واراه سمتها لا انها رفعت له حتى راها بشهادة ما في جامع
العتبية من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذي اقام له قبلة مسجده اي اراه
سمتها وبين له جهتها ولا عليك ان تقول كيف بين له جهتها ليجعل محرابه اليها قبل
نسخ توجهه الى بيت المقدس اذ قد كان حاله ثابتا بل وبعد فراغه منه يصلي اليه
نحو خمسة عشر او ستة عشر شهرا الا ان يقال لعله صلى الله عليه وسلم كان
يتوقع نسخه وتوجهه الى الكعبة بشهادة قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في
السما فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام بل قد توجب عينه
فيه قصوره واتفا واخبره جبريل بانه سيوجه اليها هذا واشكل منه خبر بعض
نسا الانصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجده قومه جبريل
الى الكعبة ويقيم له القبلة والصواب ان ذلك كان حين حولت القبلة بعد تاسيسه
مسجده بما ذكر وحكي عنه انه صلى الله عليه وسلم انه كان يرى في الثريا
احد عشر نجما وفي التعريف والاعلام انها اثنا عشر وكان يراها كلها ورد
بذلك حديث ثابت من طريق العباس وقال القرطبي لا تزيد على تسعة فيما
ذكروا وبالجملة فذلك لحدة بصره وقوة نظره وهذه الاخبار كلها محمولة على

روية

روية العين وهو ذكره نظرا الى ما بعد قول احمد بن حنبل وغيره فهي روية
عين حقيقة ورد الشرع بظاهرها فيجب القول به واغرب مختار بن محمود
شارح القدوري فقال كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط لا يحجب بصرها
الثياب وذهب بعضهم كالنووي في شرح مسلم الى ردها الى العلم فهي
روية علم اي خلق الله له في قفاه قوة ادراكية يدرك بها من وراه وذلك مما لا
ينكره عادة عقل وشرع اذ قد انخرقت له العادة كثيرا والظواهر تخالفه
اي وظواهر هذه الاخبار تخالف ما ذهب اليه البعض وفي مشارق الانوار عن
بعضهم انما هي بالتفاته يسيرا الى من وراه فكانه قال لا تخفى علي ركوعكم ولا
سجودكم فاني التفت في اثنا صلاتي التفاتا انظر ماذا تفعلون وابا لكان تسليم
به فيهما فانه تقتضي تركه خشوعه فيها مع انه كان بها على اكمل خشوع واتم
خضوع بشهادة حديث وجعلت قرة عيني في الصلاة وما تدرها اهل الزيغ
حتى قد روي انه لو كان يرى من خلفه لما قال للذي ركع دون الصف
فقال ابو بكرة انا يا رسول الله فقال زادك الله حرصا ولا تعد فلو كان يرى
من خلفه لما سال عنه قلنا الحديث بشهادة اخبار انه يرى من ورايه حاكم
بانه صلى الله عليه وسلم راى رجلا ركع قبل دخوله في الصف وعدم علمه من
هو اما لكثرة الصفوف او لبعده عنه او نحو ذلك وقال ابن عبد البر هذا فيدل
ان يمنحه الله بهذه الفضيلة فقد كانت خاصة به صلى الله عليه وسلم
تتزايد في كل وقت ولا احالة للعقل وعادة وشرع في ذلك اي في كونه
روية عين وهي من خواص الانبيا وخصالهم عليهم الصلاة والسلام وهذا
صنع في نفسهم كهو يرون من ورايهم كما يرون من بين ايديهم قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم فيما رواه الطبراني في الصغير وابو بكر بن يعقوب في الاخبار بفوايد
الاخبار لما تجلى الله لموسى اي ظهر له بلا كيف ولا يعزب عنك ان المتجلي له في
الاية انما هو الجبل لقد ترك لما تجلى الله للجبل لاجل سوال موسى ان يراه كان
يرى النملة على الصفا اي الصخر الملسا في الليلة الظلما عشرة فراسخ
بريدان ونصف لحدة بصره وقوة النور وتقوية الظلام وقال الماتريدي تبعا
للاشعري معنى تجليه للجبل هو انه خلق فيه حياة حتى راه وهو نص على ان رويته
ممكنة ويوذن بجهل منكريها ودعواهم ان موسى مع علمه بانه تعالى لا يرى انما
طلبها لقومه اذ قالوا ارنا الله جهرة تبكيتا لهم بمنعهم منها لكونه لو يعلم انهم
ينظرون اليك وكونه لم ينكر عليهم كما انكر عليهم اذ قالوا اجعل لنا الها فيهما
تنبيه صدق بانه لم يسال لهم وبان رويته تعالى جائزة ولا يبعد ان يختص
بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من المزايا التي لم يمنحها غيره كالروية

ولبس والاول الحكم كذا عممه الوصل برفع العيان في
من ساوى علما الغاربه والمكرمه الشريف الشلبي
محمد كاتبه الشيخ هذا التعقيب وقال من نقل هذا لا
يقال من قبل الراي بل الا من يرد محمد صحيح الاركان

والدنو والقرب **في هذا الباب** اي الثاني **بعد الاسرا والحظو** بضم اوله وكسر ثانيه
بما راى من ايات ربه الكبرى كما تقدم **وقد جاءت الاخبار** كخبر ابي داود والترمذي
مرسلا **بانه صرع ركانة** بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف **اشد
اهل وقته** قال الترمذي اسناده ليس بالقايم وقال البيهقي مرسل جيد وروي
باسناد موصول الا انه ضعيف والمطلب هذا هو عم عبد المطلب بن هاشم
بن عبد مناف وفي سيرة بن اسحق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال يا ركانة الا تتقي الله وتقبل ما ادعوك
اليه فقال لو اعلم ان ما تقول حق لاتبعتك فقال ارايت ان صرعتك تعلم ان
ما اقول حق قال نعم فلما بطش صلى الله عليه وسلم اضجعه لا يملك من امره شيا
ثم قال عد يا محمد فصرعه ايضا فقال يا محمد ان هذا لعجب اتصرعني فقال صلى
الله عليه وسلم واعجب من ذلك ان شيت ان اريك ان اتقيت الله واتبعت
امري قال ما هو قال ادعو لك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت
بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال لها ارجعي مكانك فرجع ركانة فقال
يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم اهل الارض فوالله ما رايت اسحر منه
ثم اخبرهم بما راى ثم من الله عليه فاسلم **وانه صارع ابا ركانة** لعله
عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف **في الجاهلية** اي قبل بعثته **وكان
شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك** اي في كل مرة **يصرعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم** وخبر انه صارع ابا جهل فصرعه فلم يصح بل لا اصل له
وقال ابو هريرة كما رواه الترمذي في شمايله والبيهقي في دلايله **ما رايت
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض
تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو صلى الله عليه وسلم غير مكترث**
اي غير مبال ولا متاثر يمشي هونا ورفقا ومع ذلك يسبق من ساه كرامة
خصه بها اذ قد اعطي قوة زايدة على قوى البشر يشهد له حديث البخاري
انه اعطي قوة ثلاثين رجلا وكان يطوف على نسايه في غسل واحد وكن
تسعا **وفي صفته** صلى الله عليه وسلم **ان ضحكه كان تبسما** يشهد له حديث
البخاري قالت عايشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا
قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم هذا وقد ورد في احاديث
كثيرة انه كان يضحك كحديث الذي جامع في رمضان وربما يجمع
بينهما بانه كان في اكثر احواله يتبسم وفي بعضها يضحك ضحكا
اعلى من التبسم ودون الذي تبدو فيه اللهوات وربما افرط لعجبه
فيضحك حتى تبدو نواجذه تلويحا بان مثله جايز وان الاقتصاد في الضحك

هو الذي ينبغي وعن عبد الرزاق سيل ابن عمر اكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يضحكون قال نعم وان الايمان في قلوبهم لاعظم من الجبال وفي رسول الله واصحابه
الاسوة الحسنة وانما يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك
فانها تميت القلب **واذا التفت التفت معا** وفي رواية جميعا اي بجميع بدنه
ينبغي ان يخص هذا بالتفاته وراه اما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه
واذا مشى مشى تقلعا اي يرفع رجله رفعا بقوة لا اختيالا لا تقارب الخطا لشدة
عزمه **كانما ينحط من صبب** بفتح المهملة وموحدتين اي كانما ينحدر من مرتفع
فصل في بيان اساليب كلامه صلى الله عليه وسلم **و**اختلافها باختلاف مخاطبيه مفردات
اما فصاحة اللسان اي طلاقته **وبلاغة القول** اي الكلام لاشتماله على مراعات
فصيحه مطابقتها لمقتضى الحال وقد راعى هنا اصطلاح علماء البيان بخص الفصاحة
باللسان لتعلقها بالمفرد والمركب ومما يوصفان بها كالمتكلم والبلاغة بالقول
اذ لا يكون الا كلاما ذا اسناد وهو دون المفرد يوصف بها كالمتكلم **وقد
كان صلى الله عليه وسلم من ذلك** اي من فصاحة اللسان وبلاغة القول
بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل اذ كان من اشرف قريش ارومة
واوسطهم جرثومة **سلامة طبع** نصب بنزع الخافض اي مع او بسهولة
جبلة وانقياد طبعه **وبراعة منزع** اي ومنزعا بارعا من برع الرجل
بفتح رايه وضمها اي فاق اقرانه والمنزع بفتح اوله وثالثه الماخذ ووصفه
بصفة ذيه للمبالغة ونسبتها اليه مجاز عقلي للملابسة بينهما
وايجاز مقطع اي ومقطعا موجزا من اوجز اتى بكلام قل لفظه وكثرت
معانيه والمقطع بفتح ميمه وطايه تمام الكلام **ونصاعة لفظ** اي ولفظا
ناصعا اي خالصا من شوايب الركة وضعف التاليف ووهن نسجه
جريه على قانون التراكيب العربية **وصحة معان** اي ومعان صحيحة لا تتطرق
الى الفاظها احتمال غير لايق **وقلة تكلف** فيما يورده من اساليب الكلام
وتراكيبه ولو قال وعدم تكلف لكان احسن والبق **اوتي جوامع الكلم**
كالمؤكد لما قبله او المبدل منه ومن ثم فصله عنه لان من جبلت طبيعته
على ما ذكر من الملكات فجدير ان يحوز جوامع الكلم جمع جامعة
للمعاني الكثيرة **وخص ببدايع الحكم** جمع حكمة وهي هنا كما قال العلم والعمل
العلم اي بالحكم البديعة من ابدع اذا اتى بشي بديع مخترع غير
مسبوق بمادة وزمان ويقابله التكوين لكونه مسبوقا بمادة والاحداث
لكونه مسبوقا بزمان **وعلم** اي وخص بمعرفة **السنة العرب فكان
يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها** اي يجاوبها **بلغتها ويباينها**

اي يعارضها في منزع اي ماخذ بالاغتها يقال هو يباريه اي يعارضه ويفعل
مثل فعله وهما يتباريان حتى حرف تكون جارة كالى في انتهاء الغاية
وعاطفة كالواو وقد تكون حرف ابتدا يستانف بها الكلام بعدها
كما هنا كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله من تامل حديثه وسيره جمع سيرة وفي نسخة وسيرة بيا موحدة اي
نظر في صناعة اساليبه وصياغة تراكيبه علم انه منح ذلك وحققه بازالة
ريب الايهام وازاحة غيهب الاوهام وليس فعل ماض للنفي واصله
بكسر ثانيه فسكن استثقالا ولم تقلب الفا لعدم تصرفه من حيث
استعماله بلفظ الماضي للحال والحكم بانه فعل وان لم يتصرف تصرف الافعال
قولهم لست لستما لستم كقولهم ضربت ضربتما ضربتم اي لم يكن كلامه
صلى الله عليه وسلم مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد كلامه مع ذي
المشعار بكسر ميم فمعجمة ساكنة فمهملة ومعجمة الهمداني بسكون ميم
ساكنة فمهملة نسبة الى همدان قبيلة من اليمن قدم عليه الصلاة والسلام
مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا وفد همدان ما
اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد وطهفة النهدي بكسر اوله وفتح
ثالثه في ال النهدي قدم عليه بعد فتح مكة وقطن بن حارثة كما قال ابن سعد
وغيره العليمي قدم عليه فسأله الدعاء لقومه في غيث السما في حديث فصيح
كثير الغريب رواه ابن شهاب عن عروة والاشعث بن قيس الكندي قدم
عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال الم تسلموا
قالوا بلى قال فما هذا الحرير فالقوه ثم ارتد بعد وفاته صلى الله
عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام جيء به الى ابي بكر اسيرا فعفا عنه فعلانه
فلم ينكرها ثم قال يا ابا بكر استبقني وزوجني اختك ففعل وجد ثم خرج فلم يلق
ذات اربع تولى الا عقرها ثم قال يا قوم اخرجوا وكلوا هذه وليمتي ولو كنت
في بلدي لاولمت كما يولم مثلي اجدوا على اي خذوا انما عقرت لكم ووائل بن
حجر الكندي كذا ولعله تاخير من تقدم اذ هي نسبة الاشعث ونسبة وائل
هي الحضرمي بشر صلى الله عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فدعا
له بالبركة ولولده ولولد ولده وولاه على اقيال حضرموت خرج يوما من
عند زياد بن ابيه بالكوفة واميرها المغيرة بن شعبة فراى غرابا ينعق فرجع
الى زياد فقال له هذا غراب ينعاك الى حجر فجاء اليه في يومه رسول معاويه
ان يسير الى البصرة والبا انفرد مسلم بروايته ستة احاديث عنه وغيرهم
اي وليس كلامه مع من ذكرنا ولا هو مع من ذكرنا هنا من اقيال حضر

موت بفتح همزته وسكون قافه وبا تحتية جمع قيل بفتح اوله وسكون ثانيه بلغة
حمير صغار الملوك دون الملك الاعظم من ملوك اليمن وفي الصحاح ان اصله
بتشديد الياء اي الذي ينفذ قوله وجمع ايضا على اقوال من جهة اقيال لم يجعل
واحده مشددا هذا وربما وقع في هذه الاسما وامثالها تصحيف من ناقلها
لقلة استعمال الالسنة لها وغرابتها وتوغلها في الاعرابية حتى ظهرت
عنجهية اربابها وعظمتهم وكبرهم وحمقهم وجهلهم وقد يقال

غش نجد فلن يضرك نول ٭ انما عيش من ترى بجدود
رب ذي اربة مقل من الما ٭ ل وذي عنجهية مجدود

وانظر كتابه الذي بعث به ذا المشعار بعد قدومه عليه على ما ذكر ابو
عبيد وغيرهما الى همدان بسم الله الرحمن الرحيم كتاب
من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارف ويام واهل جناب الهضب
وحقاف الرمل من همدان مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط
ومن اسلم من قومه ان لهم فراعها اي ما ارتفع من الارض من قولهم جبل
فارع اي عال وفلان فرع قومه اي علاهم ووهاطها بكسر اوله وطا
مهملة اي المواضع المطمئنة من الارض واحدها وهط وبه سمي الوهط كان
كرما لعمرو بن العاصي بالطائف او قرية كانت بها وعزازها بمهملة مفتوحة
فزاين اي ما صلب من الارض وخشن من قولهم تعزز لحم الناقة اي اشتد
وصلب وفي الحديث نهى عن البول في العزاز اي حذرا من الرشاش ياكلون
علافها جمع علف وهو ما تاكله الماشية ويرعون عفافها اي ما ليس
لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشيء اي خلص وصفا وفي الحديث اقطعهم
من ارض المدينة ما كان عفا لنا من دفئهم فصله عما قبله ملتفتا من الغيبة
الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذلك مما خصهم به من اراضيهم وما
خرج منها وهذا مما خص به نفسه او من معه من مواشيهم اي من ابلهم
وغنمهم ضانا ومعزا وما ينتفع به منها سميت دفئا لانه يتخذ منها ما
يستدفا به وصرامهم بمهملة مكسورة ورا ساكنة اي من ثمرتهم وعليهما
يجوز فتح الصاد ايضا لان الاسم عليها مصدر تقول صرمت النخل اي التمر
صراما بالكسر والفتح ما سلموا اي اعطوا لنا بالميثاق والامانة ولهم من
الصدقة الثلب بمثلثة مكسورة فلام ساكنة اي لهم مما وجب عليهم فيه
الزكاة من نعمهم الهرم من ذكور الابل الذي سقطت اسنانه بمعنى لا يوخذ
فيها والناب اي ولهم الهرمة من اناثها التي تعطل لنابها والفصيل اكثر ما
تطلق على اولاد الابل وقد يطلق على اولاد البقر اذ هو ما فصل عن اللبن

[illegible]

والفارض اي المسنة من الابل وقيل من البقر يشهد له قوله تعالى لا فارض ولا
بكر والداجن اي ما يالف البيوت ولا يرسل الى المرعى والكبش الحوري منسوب
الى الحور وهو جلود الضان وقيل ما دبغ من الجلود بغير قرظ وهو مما ورد على
اصله ولم يعل كما اعل ناب وعليهم فيها اي في نعمهم المدلول عليها بما ذكر او في
الصدقة الصالغ بمهملة ومعجمة بينهما الف فلام ويقال بالسين وهو
من البقر والغنم ما كمل ست سنين والقارح اي ما دخل من الخيل في خامس
سنة وفي القاموس هو من ذي الحافر بمنزلة البازل من الابل وانظر كما بدء صلى
الله عليه وسلم فيما رواه ابو نعيم في معرفة الصحابة والديلمي في مسند الفردوس
لنهد اللهم اصله يا الله حذف حرف الندا وعوض عنه الميم بارك لهم في محضها
بفتح اوله وبمهملة فمعجمة اي لبنها الخالص ومخضها بفتح اوله وبمعجمتين اي ما مخض
من لبنها واخذ زبده وهو مما سمي بالمصدر ويسمى مخيضا ايضا ومذقها بفتح
اوله فمعجمة ساكنة وهو مما سمي بالمصدر ايضا اي ما خلط من لبنها بما ويسمى مذيقا
ايضا وابعث راعيها اي ما لها لا لها رعيته في الدثر بمهملة مفتوحة فمثلثة ساكنة
اي المال الكثير وقيل اراد به الخصب والنبات وافجر له الثمد بمثلثة فميم مفتوحتين
اي اكثر له الماء القليل وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة فصله عما
قبله لكمال الانقطاع بينهما انشا وخبرا اي من واظب عليها لوقتها كان مسلما
ومومنا ايضا اذ ما لهما شرعا وان اختلفا مفهوما واحد هو الاذعان والانقياد
واعلا تمام نقلب واوه الفا ومن اتى الزكاة اعطاها مستحقيها اولا ما مر
عادل ليدفعها لهم وهو افضل كان محسنا اليهم ببذلها لهم ومن شهد
ان مخففة من الثقيلة اي انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله كان مخلصا
في ايمانه واقتصر على احد ركنيه لانهم كانوا عبدة اصنام فقصد به نفي الالهة
ما سوى الله مع اشتهاره عندهم بانه رسول الله واستغنا به منهم الايمان
به يشهد له تقدم كبرائهم عليه مومنين لكم يا بني نهد بفتح اوله وسكون ثانيه
قبيلة من اليمن ودائع الشرك جمع وديع من اعطيته ودعا اي عهدا وميثاقا
اي اقركم على العهود والمواثيق التي كنتم شرعا عهدتموها مصالحة ومهادنة
قبل الاسلام قيل ويحتمل ان يريد بها ما استودعوه من اموال الكفار الذين لم
يسلموا فاحله لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا عهد وشرط يشهد له رواية
لم يكن عهد ولا موعد ولم يذكرها هنا ووضائع الملك بكسر ميمه مع سكون
لامه جمع وضيعة وهي الوظيفة التي تلزم المسلمين في الملك من صدقة وزكاة
اي ولكم الوظائف التي تلزمهم لا نتجاوزها ولا نزيد عليكم فيها شيئا وقيل
والمعنى ولكم ما وظفه ملوككم في الجاهلية عليكم وما اشتار وانه دون غيرهم

من

من مغنم وغيره لا ناخذه منكم ولا تلطط بمثناة مضمومة فلام ساكنة فمهملتين
نهي لم يرد به واحدا معينا كما دواه القسطلاني بل لكل من يتاتى توجيهه اليه من اللط
واللط اذا منع في الزكاة اي لا تمنعها وربما قيل تلطى بابدال الاخير يا حذرا من
توالي ثلاث طاءات ثم اعل تعليلها الفا او نهي اتا ادبه المخاطبين كما دواه بعضهم
وكذا ولا تلحد وما بعده اي لا تظلم ولا تعدل عن الحق في الحياة ولا تثاقل
اي لا تتكاسل عن الصلوات بل واظب على ايقاعها في اوقاتها وكتب لهم في
الوظيفة الفريضة اي الهرمة المسنة اي هي لكم لا توخذ منكم في الزكاة
وفي رواية عليكم في الوظيفة الفريضة اي عليكم في كل نصاب ما فرض عليكم
والعارض اي ولكم المريضة التي عرض لها انه لا توخذ منكم في الزكاة من
قولهم بنو فلان اكالون للعوارض تعبيرا لهم اي انهم لا ياكلون الا ما عرض
له مرض حذر موته والفريش بفا وشين معجمة اي الحديثة العهد
بالنتاج كالنفسا من النسا وقيل ما لا يطيق من الابل حمل الاثقال وهذا
هو المعروف في فريش يشهد له ومن الانعام حمولة وفرشا نعم وروده يقال
فرش وفريش وقيل ما انبسط على الارض من نبات لا سيما قوله وذو العنان
الركوب اي الفرس الذلول لا يوخذ منكم فيها والفلو بفتح فايه مع ضم
لامه وتشديد واوه او بكسرها مع سكون لامه وتخفيف واوه سمي فلوا
لانه يفلى اي يفطم ويعتزل عن امه الضبيس بمعجمة فموحدة فمثناة تحت
فمهملة اي المهر الصعب العسر الاخلاق الذي لم يرض لا يوخذ منكم فيها وقيد
الصفة للغلبة لا للاحتراز اذ غالب احوال الخيل الصعوبة لا يمنع بنبني
لمفعوله كما بعده وفصله عما قبله لفقد مناسبة بينهما اذ هو خبر بمعنى
النهي سرحكم من سرحنا لما شدد مخففا وسرحت هي متعدي ولازم
يتعدى واذا رجعت قلت راحت وارحتها انا ومنه قوله تعالى ولكم فيها
جمال حين تريحون وحين تسرحون اي حين تردونها من مراعيها الى منازلكم
وحين تخرجونها اليه اي لا تمنع ماشيتكم السارحة من مرعى مباح ونحوه
ولا تعدل عنه ولا يعضد طلحكم هو شجر عظام من شجر العضاه ونفيه اي
ذو نظر له انوار طيبة الرائحة ولكون العرب يستحسنونه لخضرته
وحسن لونه نهى صلى الله عليه وسلم جبرا لخواطرهم عن قطعه بالقوه دعما
لهم بقا ما يحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو في الاية الموز
ورؤيا بالعين ولا يحبس دركم بمهملة مفتوحة اي لا تمنع ما تستكثر ذات
الدر اي اللبن من الخروج الى المرعى لتجمع بموضع تعد فيه للمصدق
لما فيه من الاضرار بها بعدم رعيها وفي رواية لا تحشر دركم اي للمصدق ليعدها

بل انما يعدها عند اصحابها ما لم تضمروا الرماق براء مكسورة اي النفاق
من رامقه رماقا اذا نظر اليه شزرا نظر العداوة او الضيق اي ما لم تضق
قلوبكم عن الحق من قولهم عيش رماق اي ضيق ورمق اي يمسك الروح والنفس
وتاكلوا الرباق جمع ربقة وهي في الاصل عروة في حبل يربط بها
ما يخيف ضياعه من البهم واراد بها هنا عهود الاسلام ومواثيقه فشبه ما يلزم
عنق المكلف من العهد بالربقة فاستعار لها اسمها استعارة تحقيقية تجريدية
وشبه نقضه بالاكل كذلك فان البهيمة اذا اكلت الربقة فقد خلصت
من الربط اي لم تنقضوا عهود الاسلام التي الزمها اعناقكم وتخلعوها من
يشهد له حديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فله
الوفا بالعهد اي بما عوهد عليه والذمة امانا وضمانا وحرمة وحقا ومن
ابى الانقياد والاذعان لما وجب عليه فعليه الربوة بكسر الراء اي الزيادة
في الفريضة الواجبة عليه عقوبة له ومثله حديث الشيخين بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الصدقة فقيل له قد منعها خالد وفلان وفلان
فقال اما خالد فانكم تظلمونه فانه قد احتبس ادرعه واعتده في سبيل الله
واما فلان فلا ينقم منا الا ان كان فقيرا فاغناه الله ورسوله واما فلان فانها
عليه ومثلها معها وفي رواية من اقر بالجزية فعليه الربوة اي من امتنع من الاسلام
هربا من الزكاة كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه من الزكاة ومن كتابه
لوائل بن حجر الذي رواه الطبراني في الصغير والخطابي في الغريب الى الاقيال
جمع قيل هم رؤسا الملك الاعظم ووزراؤه العباهلة جمع عبهل هم الملوك
الذين اقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه وكذا كل شي لا يمنع عما يريد ولا يوخذ على يده
فهو عبهل وقد عبهلت الابل اذا تركتها ترد متى شاءت وانما زيدت
التا لتاكيد الجمع لفظا كقشاعمة جمع قشعم والارواع جمع رائع اي الحسان الوجوه
والهيئات او الذين يروعون الناس اي يفزعونهم بجمالهم ومنظرهم هيبة
لهم وهذا الجمع كانصار واشهاد قليل في كلامهم جدا المشابيب جمع
مشبوب اي الرؤوس السادة الحسان المناظر لزهر الالوان كانما وجوههم
تلالا نورا وفيه اي في كتابه لوائل في التيعة بفوقية مكسورة وتحتية ساكنة
بعدهما مهملة اي في الاربعين من الغنم او في ادنى ما يجب فيه الزكاة كالاربعين
منها والخمس من الابل شاة لا مقورة الالياط جمع ليط وهو في
الاصل القشر اللازق بعود ونحوه اي لا مقورة الجلد لالتزاقه باللحم
من الهزال اي لا مسترخية الجلد لهزالها ولا ضناك بكسر المعجمة يستوي
فيه المذكر والمؤنث اي ولا كثيرة اللحم لكرمها وانطوا الثبجة مثلثة مفتوحة فوحدة

مكسورة وثبج كل شي وسطه اي اعطوا في الزكاة الشاة الوسطى التي ليست
رديئة ولا خيارا والحق بها التا لانتقالها من الاسمية الى الوصفية وفي السيوب
الخمس جمع سيب وهو الركاز قال ابو عبيد ولا اراه الا اخذ من معنى
العطية اذ السيب لغة العطا والركاز عطا من الله وقيل هي عروق الذهب
والفضة تنسب في الارض اي تكون فيها وتظهر وقال الزمخشري هي
المعدن والمال المدفون في الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن اصابه
ومن زنى مم بكر نكرة عامة لوقوعها في سياق الشرط واولها منونة وابدلت
فيه نون من ميما لكثرة استعمالهم ذلك اللفظ في مثل من ما نزلنا من ما اخرجنا
من ما كانا فيه سيما اذا كان بعدها با كما هنا ولو كان معرفة لقال بلغتهم
ومن زنى من امبكر كما قال ليس من امبر امصيام في امسفر ومن اما كانت
تبعيضية او بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطي ومترجمة عنه اي ومن
زنى من الابكار فاصقعوه بهمزة وصل ومهملتين بينهما قاف مفتوحة
فاصله الضرب على الراس وقيل ببطن الكف اي اضربوه مائة واستوفضوه
من استوفضت الابل اذا تفرقت في رعيها اي اطردوه او انفوه او غربوه عاما
ومن زنى مم ثيب يجري فيه ما مر في مم بكر اي ومن زنى من ذوي الا حصان
فضرجوه بالاضاميم جمع اضمامة لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات
من الناس اي ارجموه بالحجارة حتى يدموه وتضرجوه اي تلطخوه بدمايه ولا
توصيم في الدين اي ولا تواني ولا محاباة في اقامة الحدود وهو معنى ولا
تاخذكم بهما رافة في دين الله ولا غمة بمعجمة مضمومة فميم مشددة وفي
رواية ولا غمة بمهملة فميم مفتوحتين بعدها وفي رواية ولا غمد بمعجمة فميم
ساكنة فدال اي لا ستر ولا خفا ولا الباس في فرايض الله بل هي ظاهرة
بينة تلا لا تكون على علم يخفى وكل مسكر خمرا او غيره كثيرا او غيره حرام اي
شربه ووايل بن حجر يترفل بفا مشددة اي يتامر ويترايس على الاقيال
تشبيها لامرته بالثوب يرفل فيه اللابس به اي هو استعير لها ترفيله وهو اطالته — يجرها ذيلها ٢
واسباله فكانه يرفل فيها اي يجرها ذيله عليهم زهوا اين كلامه هذا من
ذكر من الاقيال وكتابه لهم من كتابه لانس في الصدقة الذي رواه ابو
داود والترمذي والدارقطني وصححه ولفظه كتبه له فدفعه ابو بكر بعده وكانه
صلى الله عليه وسلم له حين وجهه الى البحرين مصدقا فانه خال من جزالة الالفاظ
مالوفة وسلاسة تراكيب مانوسة وذاك مخل من غلاقة الالفاظ غريبة وقلاقة
اساليب في النطق غير سلسة لانه لما كان كلام هولا على هذا الحد غريبا غير مالوف
وكانت بلاغتهم على هذا النمط وحشيا غير مانوس وكان اكثر استعمالهم

هذه الالفاظ الغير ما لوفة ولاما نوسة استعملها معهم غير ما نوس جواب لما
ليبين للناس ما نزل اليهم مما امروا به ونهوا عنه وما تشابه عليهم بنص وارشاد
الى ما يدل على ذلك كالقياس ودليل العقل وليحدثهم بما يعلمون ليفهموه بحسبه
وكقوله في حديث عطية السعدي الذي رواه الحاكم وصححه البيهقي قدمنا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ما اغناك الله فلا تسأل الناس شيئا
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاه وان مال الله مسؤول
ومنطى قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وهو نص بان العليا
هي المعطية والسفلى هي المعطاة ومثله حديث مالك والشيخين وابي داود
والنسائي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المنبر وهو
يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا
هي المنفقة والسفلى هي السائلة قال ابو داود وقد اختلف على ايوب عن
نافع في هذا الحديث فقال عبد الوارث اليد العليا هي المنفقة وكذا قال عن
حماد بن زيد عن ايوب وقال اكثرهم عن حماد هي المتعففة قال الخطابي رواية
المتعففة اشبه واصح في المعنى لان ابن عمر ذكر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام
على سببه الذي خرج عليه وعلى ما يطابقه في معناه اولى وقد توهم بعضهم
ان معنى العليا هو كون يد المعطي مستعلية فوق يد الآخذ من علو الشيء
الى فوق وليس ذلك عندي بالوجه وانما هو من علا المجد والكرم يريد
التعفف عن المسألة والترفع عنها وفي غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم
ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية قال وما ارى هؤلاء الا قوما
استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة ولو جاز هذا لكان المولى من فوق
والمتصدق من تحت وقوله كما في دلائل ابي نعيم في حديث العامري مخاطبا له بلغته حين
سأله سل عنك اي سل عما شئت وهو لغة بني عامر واما كلامه المعتاد
اي المأنوس لاستعماله الجاري على الالسنة كثيرا وفصاحته المعلومة
المخرجة على قوانين العربية وجوامع كلمه لمعان كثيرة بالفاظ قليلة وحكمه المأثورة
عنه الدالة على كمال علمه واتقان عمله فقد الف الناس فيها الدواوين جمع ديوان
بكسر داله وقد تفتح وهو فارسي معرب واصله دوان عوضت احدى واويه
ياء بشهادة جمعه دواوين ولو كانت الياء اصلية لجمع دياوين واول من وضعه في
الاسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحفظ ما يتعلق بالناس وجمعت في الفاظها
المشتقة ومعانيها الانيقة الكتب ومنها اي من جوامع كلمه ما لا يوازي اي
لا يماثل ولا يقابل فصاحة تمييز النسبة يوازي ولا يباري اي لا يعارض

بلاغة تمييز لنسبة يباري كقوله فيما رواه ابو داود والنسائي المسلمون تتكافأ
اي تتساوى دماؤهم في العصمة والحرمة فكل مسلم شريفا او وضيعا
كبيرا او صغيرا حرا او عبدا في ذلك سواء وفي القصاص والدية لا فضل
فيهما لمسلم على مسلم فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم لم
بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية فخص منه العبد اذ لا يقتل فيه الحر
ويسعى بذمتهم اي بعهدهم وامانهم ادناهم كعبد وامرأة فاذا اعطى
احدهما امانا فليس لاحد منا اخفاره اي نقض امانه لشهادة حديث البخاري
ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله
والملائكة والناس وهو مثله عام لشهادة نصه فيها على الادنى ووقوع
مسلم في الثاني نكرة في سياق الشرط وقد احتج بعمومه من عبد على جميع الجيش
والنبي صلى الله عليه وسلم امان ام هانئ يوم الفتح مع حديث الترمذي
ان المرأة لتأخذ على القوم اي تجير على المسلمين ولابي داود وان كانت
المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز هنا ثم امان الآحاد ولو فاسقا ومحجورا عليه بسفه
وفقيرا ومريضا وشيخا هرما انما يجوز لكافر او كفرة محصورين كاهل
بلد او ناحية بحيث لا يمتنع الجهاد بابه وقال امام الحرمين او كفرة
محصورين كمائة وقال ولو امن مائة الف مائة الف فكل واحد لم يؤمن الا واحدا
لكن اذا ظهر الخلل رد الجميع قال الرافعي وهو ظاهر ان امنوهم دفعة
فان صدر مرتبا فينبغي صحة الاول فالاول الى ظهور الخلل واختاره النووي
ثم قال وهو مراد الامام وهم يد على من سواهم اي هم مع كثرتهم فقد جمعتهم
اخوة الاسلام وجعلتهم في وجوب الاتفاق بينهم تعاونا وتعاضدا
وتناصرا على من ناوأهم وعاداهم كيد واحدة لا يسعهم ان يخذل بعضهم
بعضا بل يجب ان ينصر كل اخاه قال تعالى انما المؤمنون اخوة فهو من باب
التشبيه وقوله فيما رواه ابن لال في مكارم الاخلاق الناس كاسنان
المشط تمثيلا وتشبيها كهي اي هم متساوون في اجراء الاحكام عليهم
وفيما رواه الشيخان المرء مع من احب في الجنة وفي كل موطن خير
او هي معية تسبيبية لمحبة بعضهم بعضا ان لا تخالفه فيما يرضي الله تعالى
ورسوله ومحبتنا لهما انقيادنا لاوامرهما واجتنابنا نواهيهما ومحبتهما
لنا توفيق الله لنا ورضاه عنا وارشاد رسوله لنا وفيه حث على المحبة في
الله وان الله يتفضل على من احب قوما ان يلحقه بهم في منازلهم وان لم يكن
له كاعمالهم وفيما رواه ابن عدي في كامله بسند ضعيف لا خير في صحبة من
لا يرى لك مثل ما ترى له كجاهل قدم المال وبذل الرشوة في وظيفة دينية

لنا حظا لم يمنعها أهلها العلماء وأعطاه بكافة لم تسوسه فتراس وتصدر
وتنكب عن أن يرى لأحد مثل ما يرى له وتشبه بالظلمة في بسطهم وملابسهم
ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا فما أبعده عن قوله تعالى تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا وفيما رواه الشيخان الناس
معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام
إذا فقهوا بضم القاف ومعدن كل شيء أصله أي أن أصولهم الشريفة تعقب
أمثالها ويسري كرم أعراقها إلى فروعها لكن لا يكون فيه خيار بمجرد ذلك
ومن ثم قيده بقوله إذا فقهوا أي مارسوا الفقه وتعاطوه فأرشد أنه لا خيار
فيه إلا بالفضل والتقوى فمن اتفق له ذلك مع أصل حميد شريف الأعراق
كملت فضيلته وربما تفضله غيره وفيما رواه ابن السمعاني في تاريخه بسنده
فيه من لا يعرف حاله ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه للملازمة كيف
رتبته وكتب عمر بن عبد العزيز إلى ولد وقد بلغه أنه اتخذ له خاتما من فضة
ممن ليس يمشي إلى من لا قيمة له أما بعد فإنه قد بلغني أنك اتخذت لك خاتما من
فضة فإذا وصلك كتابي فبعه واشتر به طعاما وأطعمه المساكين واتخذ لك خاتما
من حديد واكتب عليه رحم الله من عرف نفسه فاستراح وفيما رواه الأربعة
والحاكم المستشار مؤتمن على من استشير فيه استنطها رأيه وهو بالخيار بين
أن يشير بالصلاح وأن لا يشير به بشهادة رواية أحمد وهو بالخيار إن شاء تكلم
وإن شاء سكت فإن تكلم فليجتهد رأيه فما شاهد صدق بأن الإنسان في
ضمن بمجرد الاستشارة غير واجبة ما لم يتكلم أي لم يعزم المستشار على
الإشارة به فإذا عزم وجب أن يجتهد رأيه فإن أخطأ فلا غرم عليه هذا
وحديث أبي الهيثم بن التيهان أنه صلى الله عليه وسلم وهبه أحد عبدين
فقال اختر لي يا رسول الله فقال المستشار مؤتمن خذ هذا فإني رأيته
يصلي واستوص به معروفا وغيره مما ظاهره الوجوب فلاحيا محمول على
أنه صلى الله عليه وسلم عزم على أن يشير عليه فوجب بشهادة قوله في رواية
أحمد فإن تكلم أي عزم على التكلم فليجتهد رأيه وفيما رواه أبو الشيخ في
الثواب والديلمي رحم الله عبدا قال خيرا فغنم بسبب قوله الخير أو سكت
عما لا خير فيه فسلم بسبب سكوته عن ذلك وقوله فيما رواه الشيخان في كتابه
لهرقل أسلم بفتح همزته من الرباعي تسلم بفتح أوله من الثلاثي جواب الأمر
أو شرط مقدر مع أن يعرف إذ يجوز تقديره معها بعد كل كلام طلبي كالتمني
والاستفهام والأمر والنهي أي إن أسلمت وفيه تجنيس التحريف باختلاف
حركة اللام كحركة يا البرد والبرد في قوله جبة البرد جنة البرد وبه تلويح

بأنه ينبغي سلوك منهج البلاغة على أساليب الفصاحة ولمسلم وأسلم يؤتك جواب
الأمر أو شرط مقدر بعده وللبخاري في الجهاد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين
مرة لإيمانه بنبيه عيسى ومرة لإيمانه بنبيه صلى الله عليه وسلم وفيما رواه الترمذي
إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم جمع أحسن أخلاقا
الموطئون من التوطئة بمعنى لين الجانب أكنافا جمع كنف وجانب وأخلاقا
وأكنافا تمييز النسبة أحاسن وموطئون تحولا عن أصلها للإعزاز في وصفهم
بالأحسنية ولين الجانب أي أحبكم إلي وأقربكم مني يومئذ ذوو الأخلاق الأحاسن
والجوانب الموطئة الذين يألفون ويؤلفون لحسن أخلاقهم وسهولة طباعهم
ورقة قلوبهم ولين جوانبهم بحيث تمكن بأكنافهم من يألفهم لا يسومه بها ضيم
ولا يفزعه لوم زاد الطبراني في مكارم الأخلاق وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني
مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون أي المكثرون كلاما المتشدقون
قولا حتى تملأ أشداقهم به زاد الترمذي قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون
والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون ولا بأس في هذا ما يحبه
إذ المعجب بنفسه يدعوه إعجابه إلى أن يتكبر وقوله فيما رواه البيهقي في
شعبه أصيب رجل يوم أحد فقالت أمه يا بني لتهنك الشهادة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما
لا يعنيه بفتح أوله من عناه الأمر إذا تعلقت به عنايته وكان من غرضه
وإرادته بانبعاث هوى نفسه إليه مؤثرا له على ما يهمه من ما لم
ينقصه ويبخل بما لا ينقصه من أمر دينه ودنياه من أقوال وأفعال وتوسع
في الدنيا وطلب رياسة وحب محمدة وغير ذلك مما يجلب له شرا ولا يذهب
عنه ضرا بل قد يكون سببا لإعراض الله عنه بشهادة قول الحسن من
علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه وهذا الحديث
مما أعطيه من الجوامع ولم يسبق إليه وإن كان في صحف إبراهيم من حسب
كلامه من عمله يوشك أن يقل كلامه فيما لا يعنيه فإنه خاص بالكلام وفي
هذا المقام مزيد بيان ذكرته في شرح الأربعين فلم يصرفه مصادفة
ففيه حث على الاقتصاد في الكلام وعلى الصدقة والمواساة والإحسان
إلى ذوي الحاجات والاعتناء بمصالحهم والسعي في قضاء حوائجهم ولما أيضا
كالترمذي توفي رجل فقالوا أبشر بالجنة فقال أولا تدرون فلعله
قد تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه قال وهذا هو المحفوظ وبين
يعنيه وينقصه جناس التحريف لاختلاف حركة أولهما ولاحق لاختلاف في
المهملة والمعجمة مخرجا إذ تلك أقصى الحلق وهذه من أعلاه وقوله فيما رواه

لعل من علمه

الشيخان ذو الوجهين هو من يأتي كلا بما يحب من خير وشر لا يكون عند
الله وجيها اي لا يكون عنده ذا قدر ومنزلة ولا خفاء في ذم ما منه هذا فانه
قبيح مرغوب عنه دون ما كان مداراة واصلاحا بين الناس كأن يأتي كلا
بجميل معتذرا لكل عن الآخر فانه حسن مرغوب فيه قال تعالى او اصلاح بين
الناس ونهيه فيما رواه الشيخان عن قيل وقال اي عما يتحدث به في المجالس
كقيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على انهما فعلان ماضيان في كل منهما ضمير
ويجوز اعرابهما اجراء لهما مجرى الاسماء ولا ضمير فيهما وعن ابن عبيد انهما
مصدران تقول قلت قيلا وقالا وفيه ارشاد الى حفظ اللسان من
كثرة الكلام مما لا يجدي نفعا وقيل اراد النهي عن كثرته ابتداء وجوابا
وقيل عن حكاية اقوال الناس والبحث عما لا يعنيه وكثرة السؤال
عما بايدي الناس او عن اخبارهم او عن المتشابهات والتكلف في تخريجها
او عن شيء لم يصل الله عليه وسلم عما لم ينزل ولم يؤذن فيه لشهادة
وسكت اي الله عن اشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها واضاعة
المال بصرفه فيما نهى الله ورسوله عنه او باهماله وترك القيام عليه
وتنميته ونحو ذلك كدفع ما للسفيه له ومنع وهات اي منع ما يجب
اعطاؤه وطلب ما ليس له وعقوق اي عصيان الامهات جمع امهة
وخصهن لان عقوقهن اقبح من عقوق الآباء لانهن اكثر حنوا واعظم حقا
لشهادة من احق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله قال امك قال ثم من قال
امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك ووأد البنات بهمزة
ساكنة بعد واو مفتوحة اي دفنهن حيات انفة وغيرة ومنهم من وأد
تخفيفا لمؤنتهن وخشية الاملاق وقوله فيما رواه احمد والترمذي والحاكم
اتق الله حيثما كنت امر لراويه او لكل من يتوجه الامر اليه ليعم كل مأمور
وافراد الضمير باعتبار كل فرد اي اتقه بامتثال امره واجتناب نواهيه في كل
مكان واوان فانه معك اين كنت وما زال لشهادة حديث وتقواه متضمنة
لما دل عليه حديث ان الله كتب الاحسان على كل شيء ولما دل عليه حديث جبريل
من الايمان والاسلام والاحسان فاذا اتيت بما امرك به واجتنبت ما
نهاك عنه فقد اتيت بجميع احكام التكليف واتبع السيئة الصادرة منك
صغيرة او كبيرة على ما يشهد به ظاهر الحديث الحسنة اياها صلاة او صدقة
او استغفارا او تسبيحا تمحها مجزوم بحذف واوه جوابا للامر وجزاء لشرط
مقدر مع ان بعده اي ان تتبعها الحسنة تمحها لشهادة قوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات وحديث ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى المسجد

واصلاحا

من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ورفعه بها درجة وحط
عنه بها سيئة هذا ثم ظاهره ايضا محوها حقيقة بعد كتبها لانه المتبادر اللفظ
اذ الاصل الحقيقة ويجوز ان يكون محوها كناية عن ترك المؤاخذة فلا تمحى يوم
القيامة ثم ظاهره ايضا انها لا تمحو الا سيئة واحدة والتضعيف لا يمحو شيئا
من السيئات وليس مرادا بل هي تمحو عشر سيئات لشهادة حديث تكبرون دبر
كل صلاة عشرا وتحمدون عشرا وتسبحون عشرا فذلك مائة وخمسون باللسان
والف وخمسمائة في الميزان ثم قال وايكم يعمل في اليوم الواحد الفا وخمسمائة سيئة
فانه شاهد صدق بان التضعيف يمحوها وخص من عمومه السيئة المتعلقة
بالعبد كالغيبة فلا يمحوها الا الاستحلال مع بيان جهة المظلمة ان امكن والا
فقد قال الائمة ينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له وان يكثر من الحسنات لشهادة
حديث اذا اغتاب احدكم اخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وفي هذا المقام
مزيد فوائد ذكرته في شرح الاربعين النووية وخالق الناس اي عاشرهم وعاملهم
بما تحب ان يعاملوك به خلق حسن بطلاقة وجه وكف اذى اذ بذلك اجتماع
القلوب واتفاق الكلمة وانتظام الاحوال وذلك جماع الخير وملاك الامر والخلق الحسن
وان كان سجية جبلية طبع عليها الانسان ففي الحديث التلويح بانه يمكن اكتسابه والالماح
الامر به كما هنا وفي حديث يا معاذ حسن خلقك مع الناس ﷺ ما امر و فيما رواه ابن السمعاني
في تاريخه خير الامور اوساطها لانها ملكات محمودة كل منها بين طرفي افراط وتفريط
كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وقوله فيما رواه البخاري في
الادب المفرد والترمذي عن ابي هريرة احبب حبيبك هونا ما هو في الاصل السكينة
نصب على المصدر لان معناه اعني قليلا صفة لما اشتق منه احبب وما مزيدة
للتاكيد معنى القلة اي احببه حبا قليلا وعلى الظرف لانه من صفات الاحيان اي احببه
في حين قليل ولا تسرف في حبه فانه عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض
بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما اذ ربما انقلب ذلك بتغير
الاحوال بعضا فلا تكون قد اسرفت في حبه فتندم عليه اذا ابغضته او حبا فلا
تكون قد اسرفت في بغضه فتستحي منه اذا احببته وقوله فيما رواه الشيخان الظلم
ظلمات يوم القيامة على اصحابه فلا يهتدون بسببه يوم يسعى نور المؤمنين بين
ايديهم فحير بين ايديهم وعن ايمانهم الشدائد كما ابدت في آية قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر اي شدائدهما وان يراد بها الانكال والعقوبات ت نزدنا ر
وجعله نفسها تجعلها عليه مبالغة لكونه سببا لها ثم ظاهره عموم ظلم النفس وغيرها
لكن ذلك اقرب للمعقول من هذا اذ كان سببا على المشاحة وقوله فيما رواه الترمذي
وغيره اللهم حذف حرف النداء وعوض عنه الميم اني اسالك رحمة من عندك تهدي

اي تزلف بها قلبي اليك وتقربه لديك او توفيقا تثبته على الحق والا فقد كان صلى الله عليه
وسلم من الهدى على اتم حال واقوم بال وكفاك به شاهدا بان الهدى والاضلال من
الله وان ما ينعم به على عباده ولو في مقابلة طاعة محض فضل منه اذ لا دالة لا يثيب
عليها فان الثواب ليس حقا لازما عليه لم يصح تركه وترتبه عليها انما هو في مجاري العادات
من غير وجوب عليه وبهذا ظهر ان قوله من عندك ليس معناه رحمة لا في مقابلة طاعة
وان زعم الاشعار بان ما كان في مقابلتها ليس محض العندية وافضل بل ذلك لتشديد
تشريف وتعظيم وتنويه وتكريم وتجمع بها امري اي تجعل بها حالي وشاني مجتمعا
لا تشتت فيه وتلم مضارع لم تلا شابها شعثي اي تجمع بها ما تفرق من امري وترفع
بها شاهدي اي ظاهري بالاعمال الصالحة والهيئات المطبوعة والحلل الحسنة
او اراد بهما في الآخرة بالرضى والتبوء مع الملا الاعلى وفي الدنيا بالفوز والنصر
على الاعدا وتزكي بها عملي اي تزيد ثوابه وتنميه او تنزهه وتبعده عن شوائب الريا
وتلهمني بها رشدي الى ما يرضيك عني ويقربني اليك زلفى وترد بها الفتي
بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى مفعول اي الفتي او ما لوفي اي ما لتالفه
وتعصمني بها من كل سوء يصونني عنه وصفه عني اللهم اني اسالك الفوز في
القضا اي النجاة مما قدرته علي وامضيته في الازل واسالك نزل الشهدا بضم
النون والزاي وقد تسكن وهو في الاصل ما يعد للضيف بادرة ما للشهدا
من جزيل الثواب وجميل الماب وفائدته صلى الله عليه وسلم اذ هو منهم مع
ما منحه من فضائل لا تحصى وفواضل لا تستقصى واسالك عيش السعدا هنيئا
مرضيا في الدنيا والآخرة واسالك النصر على الاعدا بالقهر والغلبة هذا وكراهة
ابن عباس وغيره السجع في الدعا محمول على ما اذا تكلفه واشتغل به عن الخشوع
وصرف القلب عن فضل الى ما دونه الكافة عن الكافة اي جميع الرواة عن
جميعهم وعن سيبويه لا يجوز استعماله معرفا بل نكرة منصوبة على الحال كافة طيبة
مما لا اخلاف فانه صلى الله عليه وسلم نزل من ذلك اي مما ذكر مرقبة يعاف بعدها معنى
مرتبة تتابعها وقد وجدت نسخة لا يقاس بها اي تلك المرتبة غيره علته
فنزلها كلا فان الثريا من يد المتناول وحاز بها سبقا بفتح سينه وسكون بابه مصدر
سبق ونصبها ما جعل من المال رهنا في المسابقة لا يقدر مبني للمفعول هو قدره
النائب عن فاعله وقد جمعت تتابعت شاكنة منصبا للمفعول من كلماته من تبعضيته
او زايدة واثنا الضمير نظرا الى الكلمات التي لم يسبق اليها لاصابتها محز البلاغة
وموجب حسن الفصاحة ولا قدر احد ان ينزع اي يصب في قالبه عليها لبروزها
منه في ابريزنا كيسا نسقه • وتمييزا ساليب رشيقة • متناهية كالاوجالة •
متناسبة فخامته وسلالته • لا تهتدوا اليها رباح الافكار • ولا ترقى اليها نعام الافطار

وتصلح بها غائبتي اي باطني بالايمان والاخلاق الصفية والملكات المرضية ح

والقالب بفتح اللام اكثر من كسره مثال يعمل عليه الشي فيجي كهيئته كقوله يوم حنين في
رواية مسلم والبيهقي حمي الوطيس هو في الاصل التنور شبه به الحرب لاستعار
نارها وشدة وقدها فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا
وقرنها بالحمي ترشيحا للمجاز وفيما رواه البيهقي في شعب الايمان مات حتف انفه
اي بلا ضرب ولا قتل قال ابن عتيك راويه واتمنها تكلمة ما سمعتها من احد من العرب
قبله هذا ولا يلزم من كونه لم يسمعها من احد قبله اذ قد وردت في قول السموال •

• وما مات منا سيد حتف انفه • ولا طل منا حيث كان قتيل •

وقيل هي لعبد الملك الحارثي وفيما رواه البخاري وغيره لا يلدغ المومن من جحر مرتين
هو اما خبر معناه ان المومن الفطن هو المتيقظ الحافظ الذي لا يوتى من جهة الغفلة
فيخدع مرة بعد مرة وهو لا يشعر او نهي معناه لا يخدعن المومن ولا يوتى من جهة
الغفلة فيقع في مكروه وهو لا يعلم فليكن حذرا متيقظا في امر دنياه واخرته وسبب
الحديث ان ابا عزة الجمحي اسر ببدر فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا
يهجوه ولا يحرض عليه فغدر ثم اسر باحد فقال يا رسول الله غلبنا اقلني فقال لا عك
تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المومن لا يلدغ من جحر مرتين
ثم امر بضرب عنقه قيل وهذا السبب يضعف الثاني ويقوي انه صلى الله عليه
وسلم لما راى من نفسه ميلا الى الحلم والعفو عنه جرد منها مومنا متيقظا حازما وبهاه
عنها ناهيا اذ ليس من شيمة المومن الحازم الذي يغضب لله ويذب عن دينه ان
ينخدع لغادر مرة بعد اخرى فلينتقم من عدو الله ولا يعف عنه فان مقام
التجربة والغضب لله يابى الحلم والعفو ومن ثم قال ذو الرمة •

• ولا خير في حلم اذا لم تكن له • بوادر تحمي صفوه ان يكدرا •
• ولا خير في جهل اذا لم يكن له • حليم اذا ما اورد الامر اصدرا •

وقد شبه به جهة الغفلة بالجحر فاستعار لها اسمه استعارة تحقيقية ثم قرنها
بما يلايمه وهو اللدغ ترشيحا للمجاز وفيما رواه الديلمي السعيد من وعظ بغيره
اي من نصحته النواكبا للاحقه وذكرته عواقبها لا ينوا فاتعظ اي قبل الموعظة
والشقي من وعظ به غيره لانهماكه فيما يردبه معرضا عما ينجيه في اخواتها اي
اخوات هذه الكلمات الثلاث اي جمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانة
ويا خيل الله اركبي والحرب خدعة واياكم وخضرا الدمن مما يدرك الناظر يحتمل ان
يكون هو الفاعل ان جعل الادراك بمعنى التصور والعجب مفعوله وان يكون هو
المفعول والعجب فاعله ان جعل الادراك بمعنى اللحوق اي يلحقه العجب ان نظر في مضمنها
من المعاني البديعة ويذهب به اي بالناظر الفكر والاسم بدل من الضمير اي يذهب
به فكره ناظرا في اداني حكمها جمع حكمة فيتعجب بما يلاقيه فيها هذا شان آدابها فما الظن

باقي صيها وقد قال له اصحابه كما رواه البيهقي في شعب الايمان ما راينا الذي
هو افصح منك مبتدا وخبرهما صلة الموصول وعائد ضمير افصح فقال
وما يمنعني ان اكون افصح وان تروني وان لا تروا افصح مني وانما انزل
القران الذي هو في اعلا طبقات البلاغة بلساني لسان عربي مبين اي واضح
وقال مرة اخرى كما رواه اصحاب الغريب ولم يعرف له سند انا افصح العرب
بيد كما في مشارق الانوار لاجل او كما في المغني من اجل او كما في النهاية وغيرها
غير اني من قريش ونشات في بني سعد وللطبراني انا اعرب العرب
ولدت في قريش ونشات في بني سعد فاني ياتيني اللحن فجمع له بذلك قوة
عارضة اي جلادة صرامة كلام اهل البادية وجزالتها في صفاء الركاكة
ونصاعة اي خلوص الفاظ الحاضرة من شوائب الركة ورونق اي حسن كلامها
منضم ذلك الى التاييد الالهي الذي مدده اي زيادته المتوالية الوحي
الذي لا يحيط بعلمه بشري لقصور ادراكهم عنه وقالت ام معبد في وصفها
له حلو المنطق شبهت كلامه لحسن رونقه ورقته وعذوبته وسلاسته
على طريقة الاستعارة المكنية بذي حلاوة واثبتها له تخييلا فصل اي مفصح
بين بينه من خوطب به من غير التباس عليه بمراعاته فيه مظان
خواصه من وقف وفصل ووصل واستئناف وحذف ونحوها لا نزر
اي لا قليل يلوح بخلل ولا هذر بالشعر ممل كان منطقه اي منطوقه خرزات
نظمن لصفوه وكمال من محاسنها متتابعة متناسقة متشاكلة متوافقة ومن
ثم شبهته بخرزات منظومة تشبيها بليغا وكان صلى الله عليه وسلم
جهير الصوت لم تزل العرب تتمدح به وتذم ضآلة الصوت حسن النغمة
اي الصوت بكلام تقبله الاسماع وتالفه الطباع فصل واما شرف نسبه
اباء وامهات وشرف بلده مكة وشرف منشئه في بني سعد فلا احتاج الى اقامة
الدليل عليه فانه نخبة اي خيار بني هاشم سلالة قريش وصميمها اي خلاصتهم
سليل من خالصهم افضل العرب صفة لقريش واعزهم نفرا تمييز لنسبة اعز
اي قرابة من قبل اي من جهة ابيه وامه ومن اهل مكة اكرم بلاد الله على الله
وعلى عباده ولذلك بعوضه شاهدا بان المدينة من مفضولاتها الا ما حوى
بدنه الشريف هذا وعن المحب الطبري ان بيت خديجة بل المسجد الحرام
في الفضيلة ومما ورد هنا حديث البخاري مسندا وهو بعثت من خير قرون
بني ادم قرنا فقرنا اي من خير طبقاتهم كائنين طبقة بعد طبقة حتى كنت
من القرن الذي كنت منه اذ القرن اهل كل زمان من الاقتران لاقترانهم
في اعمارهم واحوالهم في زمان واحد قال

• اذا ذهب القرن الذي انت منهم • وخلفت في قرن فانت غريب •
وحتى هنا غاية لبعثت واراد به تقلبه في اصلاب ابائه ابا فابا حتى ظهر في
القرن الذي وجد فيه كما نقل له من ثابت بالكون ابن اسمعيل ثم من
النضر بن كنانة ثم من قريش بني النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
فالفاء في قوله فقرنا للترتيب في الفضل ترقيا من ابعد ابائه الى اقربهم فاقرب ٤٧م
كما في خذ الافضل فالافضل واعمل الاحسن فالاحسن ومنه والصافات
صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا فالصافات ذوات فضل والزاجرات
افضل والتاليات اكمل فضلا وقوله • • • • •
• كم من اب قد علا بابن ذرى شرف • كما علا برسول الله عدنان •
والكافل بذلك ما رواه البيهقي في دلائل النبوة والترمذي وحسنه
خلق الخلق انسا وملائكة وانسا وجنا فجعلني من خيرهم وهم الانس من
خير فرقهم بدل مما قبله ثم خير القبائل فجعلني من قبيلة من العرب وهم قريش
ثم خير البيوت اي البطون فجعلني من خير بيوتهم فانا بفضل الله علي
ولطفه في سابق علمه خيرهم نفسا اذ خلقني نبيا رسولا خاتما للرسل تميم
بي دائرة الرسالة اذ جعلني نقطتها وخيرهم بيتا اذ جئت من طيب الى
طيب الصلب عبد الله بالنكاح من اشرف القبائل والبطون والافخاذ
والفصائل فقوله ثم خير القبائل بعد قوله فجعلني من خيرهم اشارة الى الطبقات
الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ
والفصيلة فكل طبقة تجمع ما بعدها فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش
عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وما رواه مسلم والترمذي
واللفظ له ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل اذ هو
كان نبيا رسولا الى جرهم وعماليق الحجاز واصطفى من ولد اسمعيل
كنانة من ثابت واصطفى من كنانة قريشا من النضر واصطفى من قريش
بني هاشم من عبد المطلب واصطفاني من بني هاشم وما رواه محمد بن
جرير الطبري والطبراني في معجمه الكبير والاوسط ان الله اختار خلقه
اي تخيرهم منهم طائفة بعد طائفة فاختار وافضل الفعل بين المختار بقوله
فاختار منهم بني ادم لان البيان بعد الابهام اوقع في النفس لالتفاتها
اليه ثم اختار بني ادم اي منهم ثم بينه بقوله فاختار منهم العرب ثم
اختار العرب الجيل المعروف سواء اقام بالبادية ام بالحاضرة ولا واحد
له من لفظه والنسبة اليه اعرابي وعربي منهم ثم بينه بقوله فاختار منهم
قريشا هم ولد النضر بن كنانة سموا قريشا لان قصيا قرشهم اي جمعهم في

الجرم اذ كانوا متفرقين ثم اختار قريشا اي منهم ثم بينه بقوله فاختار منهم
بني هاشم ثم اختار بني هاشم اي منهم ثم بينه بقوله فاختارني منهم فلم ازل
خيارا من خيار ويجوز ان يكون اختار خلقه بمعنى تخيرهم فاختار منهم بني ادم وهكذا
الا حرف استفتاح وتنبيه على تحقيق ما بعده من احب العرب فبحبي اي فبسبب حبه
اياي احبهم ومن ابغضهم فببغضي اي فبسبب بغضه اياي ابغضهم اي انما
احبهم لانه احبني وانما ابغضهم لانه ابغضني فحق لذلك قول بعض المالكية من
سبهم وجب قتله وروى ابن ابي عمر العدني في مسنده عن ابن عباس ان قريشا
كانت نورا بين يدي الله مستعار مما بين اليدين المسامتين ليدي الانسان
تفخيما لشانهم وتنويها بانهم من الله بمكان يوجب اجلالهم قبل ان يخلق ادم بالفي
عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه اي بما يقوله من التسبيح او بسببه
فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه ظاهر الحديث انهم كانوا كلهم مؤمنا
وكافرا ولعله عام اريد به من كان منهم مؤمنا اذ لا تفخيم ولا اجلال لكافر واريد به من
تقدم في اصلابهم من ابائهم منهم لشمل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الى
الارض في صلب ادم الى قوله حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا من ادم وحوى
الى عبد الله وامنه على سفاح قط تاكيد لنفي التقا كل ابوين من ابائه على زنى في زمن
من الازمان وتشهد بصحة هذا الخبر شعر العباس المتقدم وسيأتي في مدحه
صلى الله عليه وسلم فصل واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فيما تقدم
فعلى ثلاثة اضرب اي اصناف وفي اكثر النسخ ثلاثة ضروب استعمالا لجمع الكثرة
مكان جمع القلة وكثيرا ما يقام كل منهما مقام الاخر كما في يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء ضرب الفضل في قلته اورده هنا وضرب الفضل في كثرته اورده في
فصل ثان وضرب تختلف الاحوال فيه اورده في فصل ثالث فاما اما اورده هنا
وهو ما التمدح والكمال في قلته اتفاق من العرب وغيرهم وفي قلته على كل حال
باصل الخلقة او المجاهدة عادة وشريعة كالغذا فقد مر كونه بمجمعين وبمجمعة
فهمله والنوم ولم تزل العرب والحكما تتمادح وتتفاخر بقلتها وتذم كثرتها
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم نعتجتين اي الافراط في الشهوة في
الطعام والحرص والشره نعتجتين اي غلبة الحرص وغلبة الشهوة عطف على
ما قبله فيكون مسبب خبرا ثانيا لان او مبتدا فيكون خبرا له وذم كدليل انما
لان كثرة بمعنى كثير وغلبة بمعنى غالب ولانه صفة لمحذوف اي امر مسبب لمضار
الدنيا مما يضر تعاطيه فيها ويترتب عليه مضار الاخرة جالب عطف على دليل
او على مسبب لادواء الجسد كالمرض وخثارة النفس اي ثقلها بالاطيب والنشاط
وامتلا الدماغ فمن رطوبة تنافخ متصاعدة تورث باسترخا اعصابها النوم

المغوث لجوز كثير وقلته عطف على كثرة الاكل او على ان واسمها اي تقليل الاكل
دليل على القناعة وملك النفس اي وعلى قدرتها وحكمها اي على المنع من ميلها
الى الشهوات وقمع الشهوة عطف على ما قبله فيكون مسبب خبرا ثانيا لقلته
او مبتدا خبره مسبب للصحة من الالام والاسقام وصفا الخاطر من الكدورات
المتولدة من كثرته بانهماك النفس في الملاذ وحدة الذهن اي ذكائه وهي شدة
قوة للنفس معدة لاكتساب الاراء كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة اي النذالة
والضعف وعدم الذكا عطف على ما قبله والفطنة عطف عليه ومسبب
خبرا ثانيا لان او وعدم الذكاء مبتدا خبره مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع
العمر لان النفس اذا توجهت الى معرفة ومزاولة عمل ولم تجد له الة من صدق
تخيل وصحة فكر وجودة حفظ لفقد اعتدال المزاج فترت عنه واعتادت
الكسل مع العجز واضاعة العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته عما
يجدي نفعا ويحيي ذكرا وموته بفقد مواتاة مزاجه وعدم غايته ميله
الى الراحة والهوينا واشتغاله بما لا يعني والشاهد على هذا اي على ان كثرة
الاكل والنوم يورثان ما ذكر ما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة منا ومن امثالنا
وينقل الينا متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكما السالفين كقول الحارث
بن كلدة افضل الدوا الازم اي قلة الاكل والنوم وقول بعض الحكماء خصلتان
كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان اياك وكثرة النوم فانه
يفقرك اذا احتاج الناس الى اعمالهم واشعار العرب واخبارها كقول الاعشى
من ابيات يرثي المنتشر بن وهب •
تكفيه حزة لحم ان الم بها • من الشواء ويروي شربه الغمر •
وقول قس بن ساعدة وقد قال له قيصر ما افضل الاكل قال ترك الاكل منه
قال فما افضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما افضل العقل
قال وقوف الانسان عند علمه وصح الحديث ابغضكم الى الله كل نؤوم اكول شروب
مما لا يخفى لاشتهار العلم به وكان صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين
اي الاكل والنوم بالاقل لما يورثه من الملكات الرضية والسمات المرضية وهذين
من هذين الفنين للتحقير كما في ماذا اراد الله بهذا مثلا وما هذه الحياة الدنيا تحقيرا
وتبعيدا لها عن ساحة التعظيم ومن ثم اكتفى باد في ما هو من لذاتها وهني
شهواتها هوانا وعدم مبالاة بها هذا الذي اخذ به منهما ما لا بد فيه من سيرته
بيان لما حال من ضمير لابد منه فيه لشهرته بتواتر وتواتر نقلته وهو الذي امر به
وحض عليه لما ينشا عنه من خفة القلب وصفا الصحة ونشاط البدن في
وانقاد الفرجة سيما بارتباط اي لا سيما الامر بالاخذ بالاقل والحض عليه مع

الخمتلنا ... لقسوة

مثل انعمكم الله

ارتباط احدهما بالاخر من حيث ان النفس اذا شبعت وكانت شهوتها تشوفت الى
الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فتنام كثيرا فتحسر كثيرا وتندم عند الموت
كثير القلة زادها لشهادة ما اسنده هنا من طريق الطبراني واللفظ له ورواه
النسائي والترمذي والحاكم وصححاه ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطنه لما به
من خوف كثير جعله اولا وعاء كالاوعية البيت تحقيرا له ونوه هنا لشانه ثم جعله
شر الاوعية لانها استعملت فيما هي له وهو انما خلق ليستقيم به الصلب بالطعام
فتلاوم يفضي الى فساد الدين والدنيا فيكون شرا منها حسب ابن ادم اي يكفيه
اكلات بضم الهمزة مع ضم الكاف وفتحها جمع اكلة بالضم لما يجعل في الفم واما
بالفتح فهي المرة من الاكل يقمن صلبه اي ظهره كتسمية للكل باسم جزءه اذ كل شيء
من الظهر فيه فقار فهو صلب كناية عن انه لا يتجاوز ما يحفظه من السقوط
ويتقوى به على طاعة ربه فان كان لا محالة عن التجاوز عما ذكر فثلث مبتدا اي
ثلث منه لطعامك التفات من الغيبة الى الخطاب اعتناء بشان ما ذكر وشد اليه وانه
الذي لا ينبغي لمن خوطب به ان يتجاوزه ولم يرد به مخاطبا معينا بل كل من يتاتى
توجيهه اليه وثلث لشرابك وثلث لنفسك ليحصل لك نوع صفا ورقة
وكسر شهوة واستيلاء على نفسك الامارة بالسوء وتيسر مواظبة على العبادة
وصحة بدنك وتخلص من قسوة قلبك وبلادة طبعك وتشوش خاطرك
وضياع عمرك بكثرة النوم ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل اذ
بهما مع ما يصعد منهما من كثرة البخار الى الدماغ يثقل القلب وتفتر
الفطنة ويكسل البدن قال سفيان الثوري تقللوا الطعام تملكوا سهر الليل
لما قد علمت وقد شبه القدرة على السهر بالملك ثم ادخله في جنسه بجامع التمكن
منه ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية
وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا
كثيرا لنقص العمر الذي هو انفس الجواهر وترك العبادة والصدقة من
فضل طعامك اذ ما يتصدق به خزانة فضل الله وما يوكل خزانة الكنف
وقد روي عن جمع كابي يعلى عنه صلى الله عليه وسلم ان احب الطعام الى الله
ما كان على ضفف بمعجمة وفاء مفتوحتين ثم اخرى اي كثرة الايدي وفيه
حث على ان الاولى ان لا ياكل احد وحده وعلى كرم النفس وسماحة الطبع والمواساة
في الطعام وان المقصود منه وان قل حصول الكفاية مع توقع بركة تعم الحاضرين
يشهد له حديث مسلم طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة
وطعام الاربعة يكفي الثمانية حملا للاكل على الاكتفاء بنصف الشبع وقال ابن راهويه
عن جرير تاويله شبع الواحد قوت الاثنين وهكذا وعن عائشة لم يمتلا جوف

النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط تمييز وتاكيد لنفي امتلائه شبعا في وقت
ما وهذا الحديث لا اعرف من رواه ولا يعارضه ما افهم شبعه في الجملة لحديث
مسلم عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر
حتى مضى لسبيله ورواية من خبز شعير يومين متواليين اذ قد جمع بينهما بان دلالة
المفهوم ضعيفة فليست بحجة وبان الامتلاء صفة زائدة على الشبع وفيها نظر
لان مفهوم الصفة حجة قوية والامتلاء مفيد بتمييزه اعني الشبع فليس زائدا
عليه ولا عليك ان تجمع بينهما بحمل حديثها الاول على ما كانت تعلمه منه دون ما لم
تعلمه اذ قد ورد انه شبع عند بعض اصحابه كحديث مسلم انه صلى الله عليه وسلم
اتى رجلا هو ابو الهيثم مالك بن التيهان من الانصار ومعه ابو بكر وعمر فقدم
لهم عذقا فيه بسر ورطب وتمر ثم ذبح لهم شاة فاكلوا منها وشربوا حتى شبعوا
ورووا ان انسا رآه محتفزا يفسم تمرا وهو ياكل منه اكلا ذريعا اي كثيرا وليس
ثم صدقة وفي رواية اكلا حثيثا اي مستعجلا وكان صلى الله عليه وسلم في اهله
لا يسالهم طعاما قط لعدم اهتمامه به والتفاته الا بما هو اهم منه ولا يتعرض
على قولها لا اسالهم طعاما انما يجد بث برمة فيما رواه الشيخان الم ار البرمة
فيها لحم اذ لعل سبب سواله ظنه اعتقادهم انه لا يحل له ولو بعد ان ملكته
فاراد بيان سنته اذ كانت ذات ملك المتصدق عليها الصدقة حل له اكلها هدية
ويؤكد ظنه جهلهم حله له بعد ملكها اياه انه رآهم ولم يقدموا اليه مع علمهم
انهم لا يستاثرون عليه به فصدق بتخفيف داله وتشديدها ويروى به
ظنه اي قصد وفي ظنه جهلهم ذلك لحين فانكاره واصل اليه الفعل وبجوز
تعديه بنفسه انه كما في صدق وعده او تحقق ظنه او وجده صادقا في
جهلهم ذلك وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا
هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلات المعدة طعاما وشرابا نامت
الفكرة مجاز عن غفلتها عما يهمها فشبه الغفلة عنه بالنوم بجامع فواته
لهما ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي
الفعل تبعية كما في لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وخرست
الحكمة هي عرفا كمال النفس باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكات
التامة على الافعال الفاضلة بقدر طاقتها فخرسها مجاز عن تركها
الاقتباس والاكتساب فشبه تركهما بالخرس كذلك فوقعت الاستعارة
في المصدر اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا وقعدت الاعضاء مجاز عن
فتورها عن العبادة بما يعتريها بالنوم من استرخاء اعصاب الدماغ برطوبات
البخور متصاعدة عن محالها اليه فشبه الفتور عنها بالقعود لذلك وفي صحيح

تعريف الحكمة

البخاري أمّا انا فلا اكل متكيا كثير من الناس يحسب ان المتكي هو المايل المعتمد على احد
شقيه وليس كما زعم بل هو المعتمد على الوطا الذي تحته اذ كل من استوى قاعدا على
وطا فهو متكي والاتكا هو التمكن على الوطا للاكل والتقعدد في الجلوس
كالتربع وشبهه على هيئته من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته
من الاوطية والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه بشره نفس
ولقمة شهوة والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز
متنصبا غير مطمين فكان يأكل رواه مسلم مقعيا اي ملصقا مقعده بالارض
ناصبا ساقيه ويقول كما رواه البزار عن ابن عمر بسند ضعيف وابو بكر الشافعي في
فوايده من حديث البرا انما انا عبد تواضعا منه وارشادا اليه اكل كما ياكل العبد
لا كما تاكل الملوك والمترفون زاد ابو سعيد وابو يعلى بسند حسن في عايشة واجلس
كما يجلس العبد لا يمد رجليه عند جليسه تكريما وتعظيما وارشادا له ان يكرم
من يجالسه ولا يعبا بترفع ذي الوجاهة والرعونة عن الافعال العادية تكبرا
وزاد الديلمي وابن ابي شيبة وابن عدي واشرب كما يشرب العبد وكذلك اي
ومثل كون اكله كان قليلا نومه كان قليلا ليصرف نفسه ووقته في طاعة
ربه تقربا اليه تشهد بذلك الاثار الصحيحة التي اغنت شهرتها كما مر عن
بيانها ولا عليك ان تقول هذا كان اكثرها لانه اذ قد ورد ما يوذن بانه كان
ينام كثيرا ومساويا لليقظة تقريبا لحديث النساي قال انس ما كنا نشا ان نرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل مصليا الا راينا ولا نشا ان نراه نايما
الا راينا وحديث ابي داود والترمذي والنساي قالت ام سلمة كان يصلي
ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ومع ذلك
اي مع كون نومه قليلا فقد قال كما رواه البخاري ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي فنومه كله يقظة ليعي الوحي اذا اوحي اليه فيه اذ رويا الانبيا وحي
تنبيها لذلك اني اري في المنام اني اذبحك وكان نومه صلى الله عليه وسلم
على جانبه الايمن استظهارا اي استعانة بذلك على قلة النوم لانه على
الجانب الايسر اهني لهدو القلب واطمينانه واهني لهدو ما يتعلق به من
الاعضا الباطنة حينيذ اي حين اذ ينام على الايسر لميلها الى الجانب الايسر
فيستدعي جزا شرط محذوف اي اذا كان النوم عليه اهدى لهدوه او
سببه اي بسبب ذلك فيستدعي ذلك الاستغراق فيه اي في النوم والطول
وان نام النايم على الايمن يعلق القلب وقلق غير مستقر ولا مطمين فاسرع
ذلك الافاقه ولم يغمره الاستغراق في النوم لوضع القلب ملاحظا لم
الاسفل الى الايسر لتتوفر الحرارة منه عليه فيعتدل الجسم اذ الجوارح كلها

مايلة الى الايمن لوضع الكبد فيه فصل والضرب الثاني مما تدعوا ضرورة الحياة
اليه وهو ما يتفق التمدح بين الناس بكثرته والتفخر بوفوره والتمييز
باثرته مما حاز صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفى وفاز بالنصيب الاصفى
كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا كما سياتي وعادة كالان
يكاد يخفى فانه اي النكاح دليل الكمال وصحة الذكورة ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة كالانجاد الى النكاح دليلا والتمادح به سيرة
ماضية لا نقيم على جحده دليلا واما التفاخر بكثرته والتمادح به في الشرع
فسنة ماثورة تشهد به حديث ابن عباس في البخاري افضل هذه الامة
اكثرها نسا حيث حث على النكاح والاكثار من النسا بقدر ما يباح فهو في
الظاهر اخبار بان من كانت النسا اكثر فهو افضل بوريابه مشيرا اليه صلى
الله عليه وسلم بعد جعله من الامة اذ من شرط اضافة اسم التفضيل ان
يكون الى بعضه وقد تزوج صلى الله عليه وسلم احدى عشرة توفي قبله ثنتان
خديجة وزينب بنت خزيمة والباقيات بعده وحديث ابن عمر في تفسير ابن مردويه
تناكحوا فاني مباه تعليل للامر بالتناكح لكثرة النسل اي مفاخر بكم الامم
السالفة وللطبراني في الاوسط تزوجوا فاني مكاثر بكم الامم اي غالبهم
بكم كثرة هذا والللاية موذنة باستحباب النكاح وفضيلة كثرة الاولاد اذ بها
حصول ما قصده صلى الله عليه وسلم من المباهاة والمغالبة وظهور فايدة الخلق
كالعبادة ونهي كما رواه الشيخان عن التبتل اي عن انقطاع الرجال عن النسا
وعكسه وترك النكاح ارتيادا لكثرة النسل ودوام الجهاد وكان التبتل
من شريعة النصارى فنهى عنه امته مع ما فيه من قمع الشهوة وغض
البصر الذين نبه عليهما بقوله فيما رواه الطبراني من كان ذا طول والشيخان
من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج
لتسببهما عما يترتب على التزوج من الوطي كما انهما يتسببان عن التبتل حتى لم
يره العلما اي لم يروا النكاح مما يقدح في الزهد قال سهل بن عبد الله
قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن وقال سفيان الثوري
ليس في النسا سرف والله انى مشتاق الى العرس وكان زهاد الصحابة كعلي
وابنه الحسن وابن عمر كثير الزوجات والسراري والنكاح قال عمر اني اتزوج المراة
وما لي فيها من ارب واطاوها وما لي فيها من شهوة فقيل له في ذلك فقال حتى
يخرج مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وسلم وكان لعلي اربع نسوة وتسع عشرة
وليدة غير من مات او طلق وكان ابنه الحسن اشد الناس حبا للنسا قيل انه ارخى
ستره على مايتين لانه كان مطلاقا وللخطب بنا المسبب للغزالي وخطبها

اخوه الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر شاور عليا فقال له اما الحسن فمطلاق
والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له وكره غير واحد من
العلما ان يلقي الله عزبا تفاديا من لقياه بغير اعفاف لنفسه بنكاح اذا العزب
من لا اهل له فان قلت كيف يكون النكاح وكثرته فضيلة وهذا يحيى بن زكريا
قد اثنى الله عليه بكونه حصورا مع قول كثير ان معناه هيوبا للنسا اولا ذكر له
فكيف يثني عليه بالعجز عما تعده فضيلة يتمدح بكثرتها شرعا وعادة وهذا
عيسى تبتل من النسا منقطعا الى ربه ومنه وتبتل اليه تبتيلا اي انفرد له بالطاعة
ولو كان النكاح مما يتمدح به كثرة كما قررته لنكح فاعلم ان ثنا الله عليه بكونه حصورا
ليس كما قالوا انه كان هيوبا من الهيبة اي جبانا عن النكاح اولا ذكر له فقد انكر
هذا حذاق المفسرين ونقاد العلما بانه نقيصة وعيب لا يليق بالانبيا لشرف
جنابهم ورتبهم وانما معناه اي معنى كونه حصورا انه معصوم من الذنوب
اي لا ياتيها فحصور بمعنى محصور كركوب بمعنى مركوب ومنه قوله كانه حصور
اي منع عنها فوصفه به على هذا متعلق بالذنوب لا بالنكاح وقيل هو الذي لا يقرب
النسا مع القدرة مانعا نفسه من الشهوات فهو اسم فاعل كضروب بمعنى
ضارب ووصفه به على هذا متعلق بالنكاح وقيل هو الذي ليست له شهوة في
النسا والجواب الثاني احسنها فقد بان لك من هذا الذي ذكرناه ان عدم القدرة
على النكاح نقص وعيب غير لايق وانما الفضل في كونها اي القدرة موجودة
قايمة بمحلها ثم قمعها مبتدا اي قمع القدرة عن النكاح مجاز عن قمع النفس للاسنة
بينهما اما بمجاهدة كعيسى او بكفاية من الله كيحيى فضيلة خبر المبتدا زايدة
على فضيلة القدرة على قمعها لكونها شاغلة في كثير من الاوقات عما يورث
منازل الابرار في دار القرار رحاطة اي مرغبة مميلة الى الدنيا ثم هي اي الفضيلة
الرابع في حق من قدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن طاعة
ربه امتثالا واجتنابا درجة عليا في غاية قصوى وهي درجة نبينا صلى الله عليه
وسلم الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك اي ما ذكر من كثرتهن
عبادة ثم علله بقوله لتحصينهن مصدر اضيف لمفعوله اي تحصينه اياهن وقيامه
بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل صرح انها اي كثرتهن ليست من
حظوظ دنياه هو صلى الله عليه وسلم وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال كما رواه
الحاكم والنسايي حبب الي من دنياكم النسا والطيب اضافها اليهم اشارة الى احتقارها
وتقلله منها وعدم مبالاته بها والتفاته اليها ومن ثم اورد الفعل مجهولا تلويحا بان حبه
لهما لم يكن من جبلته وطبيعته وانه كالمجبور عليه بحبه واستعماله لهما وهما من دنيا
غيره انما هو لاخرته للفوايد التي ذكرناها في التزوج وللقا الملايكة في الطيب

المفسرين

لحبتهما

لحبتهما اياه ولانه اي الطيب مما يحض ويعرض على الجماع ويعين عليه وعلى النسا
اي مقدماته كالقبلة والشهوة وكان حبه لهما اي النسا والطيب لاجل
غيره كما هاته بالكثرة ولقايه الملايكة مطيبا ولاجل قمع شهوته وان كان
قادرا على قمعها بمجاهدتها او بكفايته من الله وكان حبه الحقيقي المختص بذاته
في مشاهدة جبروت اي عظموت مولاه بمشاهدة ملكوته ومناجاته ولذلك
اي ولاجل حبه الحقيقي فيما ذكر ميز بين الحبين غيريا وذاتيا وفصل بين الحالين
تحبة ومناجاة فقال موردا الجملة معطوفة على ما قبلها تعظيما لشانها
وتفخيما لامرها لكونها محبوبة لذاتها وجعلت قرة عيني في الصلاة من القرة وهي
البرد لان دمعة الفرح باردة اي وبلغت فيها امنيتي فقرت عيني فلا استشرف
لغيره فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية الله له وامنه من فتنتهن وزاد عليهما
اذ لم يتزوجا فضيلة بالقيام بهن ولم يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه
بافراغه سحايب توفيق وتخايب تاييد وتوفيق وكان صلى الله عليه وسلم
ممن اقدر على القوة اي ممكن من اظهارها رقوته على وقوارادته اذا القدرة هي التمكن
من اظهار القوة وقوة الارادة وهي مختصة بالحيوان لاشتراط الشعور بها
والقوة اعم منها اذ تقال على ما في الحيوان وغيره كالفضة والنحاس والحديد
فاتاه صلى الله عليه وسلم عليها في هذا الذي منحه مما يتعلق بدنياه وخدمة
مولاه وكان ممن اعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح
لغيره من امته ثم حرم عليه التزوج على نسايه لما خيرهن بامر الله في حقه
مكافاة لهن ثم نسخ ليكون المنة له وقد اسند هنا من طريق النسايي وهو عند
البخاري كان يدور على نسايه اي يجامعهن في ساعة وهن احدى عشرة
وفي رواية وهن تسع ولا يذهب عنك انه صلى الله عليه وسلم لم يجتمع عنده احدى
عشرة في وقت واحد لوفاة خديجة قبل ان يتزوج غيرها ثم تزوج سودة
بنت زمعة ثم عايشة ثم حفصة ثم زينب بنت خزيمة فتوفيت بعد شهرين
او ثلاثة ثم ام سلمة ثم زينب بنت جحش ثم ام حبيبة زوجها له النجاشي
ثم جويرية ثم ميمونة ثم صفية فما اجتمع عنده الا ما في رواية الثانية
ولا عليك ان تجمع بينهما بان من روى احدى عشرة قد عد معهن مارية وريحانة
سريتاه تغليبا للمتصف بالزوجية على غير المتصف بها دون من روى تسعا
واما كان تقول كيف يدور عليهن في ساعة مع وجوب القسم عليه لهن الجواب
ان تكون حالة يتعددونها كقدوم من سفر وتمام نوباتهن او باذن ذات النوبة
ولا تغتر بقول ابن التين انما نعله لعدم وجوبه عليه لضعفه وقد يستانس لوجوبه
عليه بما رواه الترمذي عن عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعني قرة عيني

نفسي من نسائه فيعدل فيقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك
ولا املك قال انس تأييدا لقوله كان يدور عليهن في ساعة كنا نتحدث انه اعطي
قوة ثلاثين رجلا لصحة بدنه وكمال همته وعن طاوس وغيره قوة اربعين في
الجماع قيدها به مع وجودها فيه مطلقا لكونه سببا لظهورها لانها من الملكات
التي لا تظهر الا بتعلقها بفعل وهي كما مر اعلم من القدرة لاشتراط القصد فيها
وقالت سلمى مولاته في رواية ابن سعد وابي داود عنها عن زوجها ابي رافع عن رافع
ولدت منها طاف من الطواف والاطافه بمعنى الدوران فهو طائف ومطيف ومن
ثم ورد لاطيفن وهو هنا كناية عن الجماع على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة
قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب ورواية احمد ازكى واطيب واطهر
واخراها اشارة الى التطهير للظاهر والتزكيه والتطيب للباطن فاولاهما لازالة الاخلاق
الذميمة واخراهما للتحلي بالشيم الحميدة وتلويحا بان غسل الجنابة لا يجب على الفور
وان غسله من كل واحدة انما كان على وجه الاستحباب المؤذن به اطهر واطيب
وحديث مسلم فيما رواه الشيخان لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين
وفي رواية على سبعين وفي اخرى على تسعين ولمسلم على سبعين امراة كلهن يأتي
بغلام يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسي
فلم تأت واحدة منهن الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث اي لم يفته متمناه وكان له دركا لحاجته وانه
فعل ذلك على كمال قوته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس في اثبات
قليلها نفي كثيرها ثم اجتماعهن في عصمته اما من خصائصه كنبينا صلى الله عليه
وسلم او كان لا حصر لعدد في شريعته وانما هو في شريعتنا لضعف ابداننا
وقصر اعمارنا ويؤخذ من هذا جواز تعليق فعل عند الاخبار بصدوره بمشيئة
الله والقسم عليه كما هنا اذ اللام فيه موطئة له قال ابن عباس ورواه ابن جرير
في تفسيره موقوفا كان في ظهر سليمان صلى الله عليه وسلم ماء مائة رجل تمييز
لما ابهم من العدد وكان له ثلاثمائة امراة وثلاثمائة سرية وكان لداود
صلى الله عليه وسلم على زهده واكله حال منه اي زاهدا واكلا من عمل يده ن
شبهت حالته لتمكنه من الزهد واستقراره عليه وتمسكه به بحال من
اعتلى سببا وركبه تمثيلا وابرازا للمعقول في معرض المحسوس تسع وتسعون
امراة وتمت بزوجة اوريا مائة اما بتزوجه اياها بعد نزول اوريا له
عنها بسؤاله على ما كان عادة لهم في زمانه او بعقد ان خطبها اوريا فارسل
الله له ملكين اختبارا لتنبيهه حيث لم يكتف بزوجاته فلما تنبه استغفر
ربه وخر راكعا واناب اي رجع الى ذكر الله هذا غاية ما يقال في تشريف جنابه

لنزاهته

لنزاهته وبراءة ساحته مما نسبه اليه الحشوية وغيرهم من انه رآها فعشقها
ثم تحيل في تزوجها فولدت له سليمان وقد نبه على ذلك اي على انه كان لداود
ما ذكر في الكتاب العزيز بقوله ان هذا اخي في الدين او الصحبة له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان كنى بها عن المراة اذ الكناية والتمثيل
فيما يورد تعريضا ابلغ في المقصود ومن ثم سلكا بقصتهما المحجة التمثيل ان
والتعريض دون التصريح لكونه ابلغ في المعاتبة من حيث ان تأمله اذا اخذ به
الى الشعور بالمعرض به كان اوقع في نفسه واشد تمكنا من قلبه مع مراعاتهما حسن
الادب معه وتركهما مجاهرته بما عرضا به له وقد بالغ في تنصره وحزنه واستغفاره
اعظاما لما فرط منه نظرا الى ما له من كريم المناقب وعظيم المراتب وفي حديث
الطبراني في الاوسط بسند جيد عن انس فضلت على الناس باربع بالسخاء
اي الجود به صلى الله عليه وسلم كان اجود من الريح المرسلة والشجاعة
هي ما هو خلق غضبي بين افراط يسمى تهورا وتفريط يسمى جبنا فيما ينبغي
على ما ينبغي وكثرة الجماع لكمال قوته وتمام نجدته وقوة البطش فيما ينبغي على
ما ينبغي واما الجاه فهو ان استغرق صاحبه واخذه الى ما يضر باخرته فمذموم
لاستدعائه العلو في الارض والفساد المذمومين شرعا والا فمحمود
لا مطلقا بل عند العقلاء في محل نصب على الحال اي في حال كونه عند من
لا يأخذه الى ما يضر باخرته و في حال كونه عادة ولا عليك ان لا تجعله حالا
بل تعلقه بحال مقدرة دل عليها اسم المفعول اي جاريا عندهم في العادة
وقد رجا جاهه صلى الله عليه وسلم في الدنيا بالنبوة وفي الاخرة بلواء الحمد
والشفاعة بكون عظمه في القلوب وقد كان ذا عظم لعزه وكرمه ومهابته
لم يعزها عظم تشهد له اخبار من ابي جهل للاراشي بمن ابتاع له الذي اشتراها ابو
جهل منه ومطله فقالت قريش لابي جهل ما صنعت من انقياد ذلك لامر محمد ما رأينا مثلهم
مع فرط اذاك له وعداوتك اياه فقال ويحكم والله ما هو الا ان ضرب
بابي وسمعت صوته فملئت رعبا وقد مدح الله تعالى مدحا للجاه في صفة عيسى
صلى الله عليه وسلم وجيها اي عظيما في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة
لما يترتب عليه من التبسط اشرا وبطرا فهو مضر ببعض الناس لعقبى
ولاخرة اي في الاخرة التي هي عقبى اذ اللام في مثل هذا تفيد التأقيت
والتخصيص بالوقت فلذلك اي فلكون الجاه مضرا ببعضهم ذمه من ذمه
ومدح ضده ومن ثم ورد في الشرع مدح الخمول تشهد له قوله في
البراء بن مالك رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره
وقوله ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا

لم يعز فواو ورد فيه ذم العلو في الارض قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان
جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وصحح
رواته من حب الشرف والمال وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة
اي الحيا مقرونا بهيبته ووقار والمكانة اي التمكن في القلوب محبة وتبجيلا
والعظمة مهابة واجلالا قبل النبوة عند الجاهلية يشهد له ما مر عن
ابي جهل وما روي انه ساوم رجلا من بني زبيد ثلاثة ابعرة هي خيرة ابله فلما
ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فزاد حتى رضي فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع بالثالث
واعطى ثمنه ارامل بني عبد المطلب وابو جهل يخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال صلى الله
عليه وسلم له اياك ان تعود لمثل ما صنعت لهذا الاعرابي فترى مني ما تكره فقال
لا اعود يا محمد فقال له امية بن خلف ذللت في يد محمد فقال ان الذي رايتم مني
لما رايت معه لقد رايت رجالا عن يمينه وعن يساره يشرعون رماحهم الي لو
خالفته لكانت اياها اي لاتوا على وروي ايضا ما ذكر بعدها اي بعد النبوة
وهم يكذبونه حال من الجاهلية اي والحال انهم كانوا مكذبين له ويؤذون
اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية لما تمكن من هيبته وعظمته في
قلوبهم حتى اذا واجهوه اعظموا امره وقضوا حاجته ولعل هذا كان في بعض
الاوقات فقد كانوا كثيرا ما يكذبونه ويؤذونه في نفسه جهرة يشهد له وضع
سلا الجزور على ظهره وهو ساجد في الحجر وقول ابي جهل حين قال لعمه ابي طالب عند
موته قل لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله لا تطعه اترغب عن ملة عبد
المطلب وتكذيبهم اياه صبيحة الاسرا والاخبار في ذلك معروفة سياتي
بعضها ان شا الله تعالى وقد كان يبهت بنا المفعول صورة مع ذكر فاعله
كما في فبهت الذي كفر افصح من بنائه له اي يدهش ويتحير ويفرق اي يفزع من
رويته من لم يره لما القي عليه من الهيبة والعظمة في قلوبهم كما روي عن
قيلة بقاف مفتوحة ثم بالمثناة تحت انها لما راته ارتعدت من الفرق ورواه
ابي داود والترمذي في الشمايل عن عبد الله بن حسان عن جدته عنها انها رأته
في المسجد وهو قاعد القرفصا قالت فلما رايته المتخشع في الجلسة ارتعدت من
الفرق وزاد ابن سعد فقال يا مسكينة عليك السكينة اي الزمي الطمانينة
والوقار وفي حديث ابي مسعود عقبة ابن عمرو الذي رواه البيهقي عن قيس
عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم موصولا وصححه ان رجلا قام بين
يديه صلى الله عليه وسلم فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك نفزع

مني هذا فما اعظم قدره بالنبوة وتشريف منزله بالرسالة وانافة اي زيادة
مرتبته بالاصطفا والكرامة في الدنيا بذلك كله فامر هو مبلغ النهاية ليس فوقه غاية
ثم هو صلى الله عليه وسلم في الاخرة سيد ولد ادم مقتبس من حديث البخاري
انا سيد ولد ادم ولا فخر وهو لا يفيد سيادته على ادم منطوقا بل بالاولوية
والكمال فلذا فائدته منطوق حديثه ايضا انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر وعلى
معنى هذا الفضل الذي اشتمل عليه من اوصاف يتمدح بكثرتها ويفتخر بالتميز
بايثارها نظمنا هذا القسم يعني الاول باسره اي جميعه في سلك مدحه بصفات
شريفة وسمات منيفة فشبهها لكونها عبارة عنه من حيث جميعها لا بمجموعها
اذ هو ظرف له بتلالي منظومة على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها النظم
تخييلا فصل واما الضرب الثالث مما تدعو ضرورة الحياة اليه فهو ما ليست
الفضيلة في ذاتيه ومن ثم يختلف الحال لاجله في التمدح والتفاخر بسببه
والتفضيل من الناس لصاحبه لاجله ككثرة المال فانه لا تمدح ولا افتخار
به ولا تفضيل لاجله يشهد له ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة فصاحبه على
الجملة لا في كل حال معظم عند العامة لا لفضل وقلوبهم بل بعينه عنادا باعتقادهم
توصله به الى حاجاته وتمكين اغراضه عطف على توصله او على حاجاته بسببه
والا اي ولو لم يكن المال موصوفا بما ذكر لكان صاحبه معظما عند كل احد لكنه ليس
كذلك فليس معظما عند كل احد اذ ليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بيد
الصوم وصاحبه منفقا له في مهمات من اعتراه اي غشيه ودخله واملة
فضلا وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثنا الحسن والمنزلة
في القلوب كان بسبب ذلك فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا الوارد
فيهم تعس عبد الدرهم والدينار والخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا
انتقش ان اعطي رضي وان لم يعط سخط واذا صرفه في وجوه البر اي انواعه اذ
هو كل فعل مرضي فشبه باعتبارها بذي وجوه فاستعار لها اسمها استعارة
مكنية واثبت لها الوجوه تخييلا وانفقه في سبيل الخير الذي ينبغي ان يصرف به
وقصد بذلك الله والدار الاخرة كان فضيلة عند الكل اذ العامة والخاصة
ومتى كان صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه مما تقدم كصرفه في مهماته
او مهمات امله او اكتساب محمدة او حسن ثنا او محبة حريصا على جمعه عاد
كثره بضم اوله اي كثيره كالعدم لانه لم ينتفع به ولم يتوصل به الى غرض لكن
لا ماله وكان منقصة في صاحبه ولم تقف به على جدد السلامة اي طريقها
جمع جدة كسرة شبهها بارض صلبة لا يومن فيها العثار استعارة بالكناية ثم
اثبت لها الجدد استعارة تخييلية بل اخذ به حتى اوقعه في هوة رذيلة البخل

النهاية م
الدينار والدرهم
وسهمات م

أو في وهدة دناءة وخسة تشبيه تمكنه في الرذيلة التي هي كالهوة المسببة عن
بخله بتمكن المظروف من ظرفه ثم أثبت له ما هو من خواص الظرف أعني في واوقعه
في مذمة النذالة أي السفالة والخسة شبه تمكنه في المذمة المسببة عن
نذالته بتمكن المظروف من ظرفه كذلك فإذن الفا هنا مفصحة عن شرط مقدر
أي ومتى كان المال كما وصفنا كان لن تمدح بالمال وفضلته عند مفضله اسم
فاعل أي مفضل المال ليست لنفسه وذاته وإنما هو أي المدح أو المال بالتوصل
به إلى غيره وتصرفه في متصرفاته لجامعه إذا لم يضعه مواضعه كما هنا
ومهمات من أمله ولا وجهه وجوهه من أنواع البر وسبل الخيرات غير مليء
أي غير ثقة بالحقيقة وفي نفس الأمر ولا غني بالمعنى فكأنه فاقد غير واجد
إذ ماله لبخله كالمعدوم ولا ممتدح أي ولا ممدوح عند أحد من العقلاء الذين
ليست همتهم جمعه من أي وجه كان بل هو فقير أبدا غير واصل لخسته وبخله
إلى غرض من الأغراض إذ ما يدخر من المال الموصل لها أي الذي من شأنه أن
يوصل إلى الأغراض لم يتسلط عليه فأشبه خازن مال غيره ولا مال له فكأنه
ليس في يده منه شيء والمنفق مليء غني أي ثقة واجد غير فاقد بتحصيله فوائد
المال كصدقة وعتق وشرا وصلة رحم ونكاح وإن لم يبق في يده من المال
شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلفه أي تأمل ما بلغك من
طريقته وسجيته في المال تجده قد أوتي ما لم يؤت أحد مما فات الحصر وجاوز
العد فأعطي خزائن الأرض ومفاتيح البلاد كناية عن فتحها عليه وعلى أمته بعده
وحيازة أموالها إليهم واستخراج كنوزها وتلويح بالتوصل لها كما يتوصل بالمفاتيح
إلى ما أغلق عليه تشبيها ذه روايته وبينا أنا نائم أوتيت مفاتيح خزائن الأرض
فوضعت في يدي وأحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله تشهد له حديث مسلم
غزا نبي من الأنبياء فلما فتح الله جمع ما غنموه فأقبلت النار لتأكله فأبت أن
تطعمه فقال فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد
رجل بيده فقال فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك فبايعته فلصق بيد رجلين
أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتم فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب فأقبلت
النار فأكلته فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا
فطيبها لنا وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز سميت به لحجزها بين نجد والغور
واليمن وجميع جزيرة العرب وهي ما بين أقصى عدن أبين إلى ريف العراق طولا ومن
جدة وما والاها إلى أطراف الشام عرضا وما داني ذلك أي قارب جزيرة العرب
من الشام والعراق وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى
للملوك إلا بعضه وهادته جماعة من ملوك الآفاق بهدايا تقبلها منهم

راس بقر

وأكثرها كان بعد توجيه رسله إليهم يدعوهم إلى الإسلام كالنجاشي
وكان في هديته له خفان أسودان ساذجان فلبسهما ومسح عليهما والمقوقس
ملك مصر أهدى إليه مع حاطب بن أبي بلتعة جاريتين إحداهما أم إبراهيم القبطية
مارية وكسوة فاخرة وبغلة بيضاء زاد الواقدي وألف مثقال ذهبا وأعطى
حاطبا لنفسه مائة دينار وخمسة أثواب فتسرى صلى الله عليه وسلم بمارية
فولدت له إبراهيم ووهب الأخرى لحسان بن ثابت فولدت عبد الرحمن وذكر ابن
عبد البر أنهن ثلاث وأنه وهب ثالثة لأبي جهم بن حذيفة وفروة بن عمرو
الجذامي عامل قيصر كتب إليه أنه أسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله النبي
إني مقر بالإسلام مصدق به أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله
وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم والسلام عليك ثم ختمه وبعثه مع مسعود بن
سعد وبغلة بيضاء وفرسا وحمارا وثيابا فاخرة وقباء من سندس مخوصا
بالذهب فقبلها وأكرم رسوله ثم كتب له جوابه ولما بلغ هرقل إسلامه
حبسه ثم أرسل إليه أن ارجع عن دينك أعد لك إلى ملكك فقال لا أفارق
دين محمد أبدا أما إنك تعلم أنه رسول الله الذي بشر به عيسى بن مريم
ولكنك ضننت بملكك وأحببت بقاءه فقال صدق والإنجيل ولم يزل
محبوسا حتى مات وأكيدر دومة أهدى إليه كما رواه البخاري جبة سندس
فعجب الناس فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن
معاذ في الجنة خير من هذه وثمنها داء ولبس بملك رفاعة بن زيد الجذامي
وكان رئيسا وجيها في قومه قدم عليه في هدنة الحديبية مسلما فعقد له
على قومه وكتب لهم معه كتابا فأسلموا ثم رجع وأهدى إليه غلاما أسود يسمى
مدعما قتل بخيبر وعطارد بن حاجب بن زرارة أهدى إليه حلة فقبلها ثم قال
فيها كما في الموطأ وغيره إنما يلبس هذه من لا خلاق له وأتت إليه عمر وقد كساه
صلى الله عليه وسلم حلة أكسوتنيها وقد قلت في حلة عطارد ما قلت فقال
لم أكسكها لتلبسها فكساها عمر أخا له مشركا ورد هدية أخرى أهديت له كما
قال ابن إسحق قضيبا وبردا هنا وإنما قبل هدية المقوقس وراهب نجران مع
كفرهما تألفا لهما ورجاء لإسلامهما أو لكونهما من أهل الكتاب الذين أحلت لنا
ذبائحهم وأطعمتهم ومناكحتهم فلا ينافي رده عدم قبوله هدايا المشركين
وقوله إنا لا نقبل رفد المشركين إذ لم يكن رجا إسلامهم ولا تألفهم ولا كانوا
ذوي كتاب فما استأثر مما أهدوه بشيء منه ولا أمسك منه درهما
بل صرفه مصارفه من أنواع البر والخير وأغنى به غيره إذ كان يعطي عطاء من
ليس يخشى الفقر وقوى به المسلمين على مهماتهم ونصرا عدائهم وكفاك شاهدا

بذلك حديث الشيخين ما يسرني أن لي أحدا ذهبا تمييز لرفع الابهام عن أحد يبيت
عندي منه درهم الا دينارا بالنصب على الاستثناء من عام عبر عنه بالدر
وبالرفع على البدلية منه فكأنه قال ما يسرني يبيت عندي شيء منه الا دينار ارصد
لدين لبلوغه النهاية في الكرم وكمال محاسن الانفاق فيه والشيم ومنه تلويح
بما كان عليه من التقلل من الدنيا وملازمة الفاقة تشهد له حديث البخاري
انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي هو ابو الشحم
وفي لفظ لبعضهم ابو شحمة والمعروف الاول في نفقة عياله ثلاثين صاعا
وللترمذي والنسائي وللبزار اربعين وفي مصنف عبد الرزاق وسقا شعير
وهو يؤذن بجواز الشراء نسيئة والرهن بالدين وفي الحضر فتعليقه في القران
بالسفر خرج مخرج الغالب ليس لاشتراطه فيه وان زعمه الضحاك ومجاهد ارشاد
الى ان محل التوثيق به مقام التوثيق بالكتابة في السفر الذي هو مظنة الحاجة
فيه وجواز معاملة الكفار ان لم تتحقق حرمة ما معهم ورهن آلة الحرب عندهم
لا بيع مسلم لهم ولو رقيقا وما يستعينون به على تقويتهم ومصحف وعدوله
الى معاملته اما بيانا للجواز او لقلة الطعام هناك او لكون الصحابة لا يأخذون
منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا او حذرا من ان يضيق عليهم واقتصر
من نفقته وملبسه ومسكنه على ما موصولة او موصوفة اي على الذي او
شيء تدعوه ضرورته اليه وزهده عطف على الضمير المجرور بالى او على ضرورته
اي والى زهده او ويدعوه زهده فيما سواه اليه ذهابا الى الاقتصاد
المحمود اذ ما قل وكفى خير مما كثر والهى فالزيادة عليه لا ينبغي اذ لا خير فيها
ومن تحرق لذا المتنبي

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ه مخافة فقر فالذي جمع الفقر ه

فكان صلى الله عليه وسلم يلبس ما وجد ميسورا بلا كلفة فيلبس في الغالب
الشملة يشتمل بها والكساء الخشن زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من لا
خلاق له تفاخرا ويلبس البرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب اي المنسوجة بمثل خوص النخل منه او المكفوفة به وفي رواية
المزررة بالذهب اي التي لها ازرار منه او المطوقة به او التي زينت ازرارها به
ويرفع منها لمن لم يحضر كمخرمة ابن نوفل يشهد له حديث الشيخين عن ابنه المسور
قال ابي يا بني بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقبية فاذهب بنا
اليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال لي يا بني ادعه لي فاعظمت ذلك فقال يا بني
انه ليس بجبار فدعوته فخرج ومعه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال
يا مخرمة خبأت لك وجعل يريه محاسنه ثم اعطاه له ولمسلم فنظر اليه فقال

رضي مخرمة زاد البخاري وكان في خلق مخرمة شدة فكان يفعل ذلك ايثارا للغير
وتوقيا لما يتباهى به اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من
خصال الشرف والجلالة اي الكرم والعظمة وهي اي الملابس التي يباهي
ويتزين بها من سمات النساء وشعارهن والمحمود الممدوح منها نقاوة الثوب
هي بفتح النون النظافة وبضمها الخيار والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله
غير مسقط لمروءة ابناء جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين المكتنفين
للتوسط افراطا وتفريطا بان يكون بحيث لا يشهره بكونه اسرافيا مطغيا ولا
تقتيرا مزريا وغيره ما يعرف حالان من الثوب وردا منتهيا سقفين بلا حرف
نسق لجعلهما آخذا احدهما بيد الآخر متآخيين في كونهما في المعنى حكما عليه
ووصفا له وغاية الفخر فيه اي في ذلك المذموم في العادة عند الناس انما يعود
الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك اي ومثل الفخر بما ذكر التباهي
بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته مما لا يغني
عما يعني من امر الدين الذي هو اهم واغنى عن كل مهم هذا ومن ملك الارض وجبي
اليه مما فيها من كل زوج كريم فترك زهدا وتنزها كلاهما علة لترك ما ذكر
والزهد عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة في الآخرة ولا يتصور
ممن لا مال له ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز
اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت وكفاك حجة على انها اعلا المقامات
وافضلها ازهد في الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له فهو حائز لفضيلة
المالية وللتنعم واللذة بالاغراض الدنيوية ومالك للفخر في العادة عند
الناس بهذه الخصلة اي المالية ان كانت فضيلة بسبب ما مر والا فليست
فضيلة في نفسها زائد عليها في الفخر ومغرق في المدح اي زائد فيهما
على فضيلة المال باضرابه اي اعراضه عنها وزهده في فانيها وبذلها
في مظانها من زكاة وصلة رحم وجهة بر فضل واما الخصال المكتسبة
وتسمى اخلاقا وملكات نفسية فهي ما يكون تخلقا عن كسب من الاخلاق
الحميدة اي المحمودة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم
المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه من اتفقا للدرهم
وفضل اي بقي منه لنا اي بعث تعظيم المتصف بالواحد منها حال كونه
فضل فضلا عن تعظيم المتصف بالاكثر مما اجمع على حسنها واتى الشرع
على جميعها وامر بها لانها مكارم اخلاق ينبغي التخلق والاتصاف بها
ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة في حديث السمت الحسن والتودة
والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وحديث الهدي الصالح والسمت

الصالح والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزءا من النبوة وحديث ان الهدى
الصالح والسمت الصالح اي هذه الخصال منحها الله انبياءه فهي من شمائلهم
وفضائلهم وانه جزء من اجزائها فاقتدوا بهم فيها لا ان النبوة تتجزأ ولا
ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هي كرامة يخص الله بها من
يشاء وهذه الخصال جزء من خمسة وعشرين جزءا مما جاءت به النبوة ودعت
اليها الانبياء وتانيث اربع وخمس على معنى الخصال او القطعة مع ان الاجزاء
تجري مجرى الكل في التذكير والتانيث وهي اي الخصال المكتسبة هي المسماة
بحسن الخلق وهو اي حسن الخلق اعتدال قوى النفس واوصافها
اذ لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة اعتدالها عفة وغضبية
اعتدالها شجاعة ولكل طرفان فللحكمة طرف افراط هو الجربزة كاستعمال
الفكر فيما لا ينبغي وتفريط هو الغباوة كتعطيل الفكر عن اكتساب
العلوم وللعفة طرف افراط هو الفجور كالانهماك في اللذات وتفريط هو
الجمود كترك ما رخص شرعا وعقلا من اللذات وللشجاعة طرف افراط
هو التهور كالاقدام على ما لا ينبغي وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على
ما ينبغي فيما بينهما وهو التوسط فيها فضائل مجموعها اعتدال يسمى عدالة
وحسن خلق دون الميل الى منحرف اطرافها المائلة عن الاعتدال لانها كلها
رذائل تزري بصاحبها ثم الاعتدال المسمى حسن الخلق ان كان بغريزة من
الكيفيات النفسية راسخا بحيث يعسر زواله يسمى ملكة بعثت النفس
على افعال حميدة والتساب شيم شريفة فجمعها كان نبينا
صلى الله عليه وسلم على الانتها حال من ضمير كانت المشبهة لتمكنها
واستقرارها فيه خلقا له بمن اعتلى شيئا وذلك تمثيلا وتصوير المعقول
في صورة المحسوس اي كانت خلقه انتهى اي في حال كمالها وحال الاعتدال
غايتها وان عطف على كمالها فلامه بدل من الضمير اي وفي حال اعتدالها
حتى حرف ابتدا استونف به ما بعده اي اثنى الله عليه بذلك فقال وانك
لعلى خلق عظيم استعظمه لفرط احتماله ممضات الاذى من قومه ومخالقته
ومداراته لهم وقيل هو ما امره الله به بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين قالت عائشة وقد سالها سعد بن هشام عن خلقه صلى الله
عليه وسلم كان خلقه القران يجوز رفع احدهما اسما لكان ونصب الاخر خبرا
لها زاد البيهقي في دلايله كما هو يرضى لرضاه ما فعل امتثالا لامر واجبا
ومندوبا وكذا المباح وما ترك اجتنابا حراما ومكروها وخلاف الاولى ويسخط
لسخطه ما فعل انتهاكا لحرمته وما ترك اعراضا عن امر وقال صلى الله عليه

وشهويه ح

لك
وسلم في رواية احمد والبزار بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وروايته ما
في الموطا بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن
الاخلاق في شرح السنة ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن
الافعال اي الملكات النفسية المحمودة التي جمعها حسن الخلق المترتبة هي
عليه كالحلم والصبر والعطف والعفو والتواضع والعدل والجود والحيا
والتودد والرفق والصمت والرافة والصلة مما كادت تفوت الحصر فانها
من حيث هي اما انها كانت ناقصة فتممها بدينه وكتابه لاشتمالهما عليها
كما في خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين ان الله يامر بالعدل والاحسان ن
بعثت بالحنيفية السمحة او كانت تامة متفرقة في الانفس فبعث لجمعها بعد
تفرقها بشريعته اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فانه امره بالاقتدا بهم
في جميع اخلاقهم المرضية واتفاقهم المرضية فوجب ان يجتمع فيه كلها وفيما اتفقوا
عليه من التوحيد في اصول الدين دون الفروع فيها اذا نسخت لم تبق
هدى والى الاول يشير حديث مثلي ومثل الانبيا كمثل قصر احسن بنيانه
ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع
تلك اللبنة فكنت انا سددت موضع اللبنة ختم بي النبيون قال انس
فيما رواه الشيخان كان احسن الناس خلقا لحيازته جميع المحاسن
والمكارم وتكاملها فيه وكان صلى الله عليه وسلم فيما ذكره المحققون
مجبولا اي مخلوقا مطبوعا عليها في اصل خلقته واول فطرته اي فطره
الله عليها لم يحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية
ربانية منحه الله بها وهكذا لسائر الانبيا اذ كانت فيهم غرائز جبلوا
وطبعوا عليها في اصل خلقتهم واول فطرتهم لم تحصل لهم باكتساب ولا
رياضة بل بجود الهي وخصوصية ربانية واما غيرهم فيحصل لهم بعضه جبلة
وطبيعة لهم ومال اليه الطبراني وقيل مكتسبة لا جبلة وطبيعة وقيل
منها ما هو جبلة طبع عليه في اول خلقته وما هو مكتسب وقد يصير غريزة
وملكة قارة فيه على ما مر ويؤيده حديث اشج عبد القيس ان فيك خصلتين
يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله اشي من قبل نفسي او
جبلني الله عليه فقال بل جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين
يرضاهما الله ورسوله ومن طالع سيرهم الحميدة ومناقبهم الجميلة منذ صباهم همز
الى مبعثهم حقق ذلك وعرفه حق معرفته كما عرف من حال موسى وعيسى
ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وصلواته عليهم بل غرزت فيهم هذه
الاخلاق واودعوا العلم والحكمة اي الاصابة في القول والعمل في الفطرة

اي في اول الخلقة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي
يحيى النبوة او المعرفة واصابة الحق او العلم بكتاب الله اي التوراة في حال
صباه اذ قد روي انه نبي وفهمها وهو ابن ثلاث او سبع وقال معمر كما
رواه احمد في الزهد وابن ابي حاتم في تفسيره عنه والديلمي عن معاذ ولم
يسنده والحاكم في تاريخه عن ابن عباس بسند واه وكان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال ما للعب خلقت هذا والذي قاله معمر
كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح ومما ذكر هنا فغريب في الرواية عنه لشهادة
ما رواه ابن قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان
فنظر الى عبادته واجتهادهم ثم رجع الى ابويه فمر في طريقه بصبيان يلعبون فقالوا
هلم فلنلعب فقال اني لم اخلق للعب فذلك قوله واتيناه الحكم صبيا وقيل في
قوله تعالى ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى مؤمنا
به وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه فهو اول من آمن به
وسمي كلمة لوجوده بامره تعالى بلا اب فشابه المخترعات التي هي من عالم الامر وقيل كان
تفسير محمد بن جرير الطبري صدقه وهو في بطن امه حال من الضمير اي مؤمنا
بعيسى حال كونه في بطنها فكان تسلم يحيى وهي حامل به تقول لمريم اختها اذا دخلت
عليها وهي حامل بعيسى يا اسلمك الخير النساء وان ما في بطني لحي مولود واني لاجد
ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وكذلك نطقا وهو صبيان مرة حملت
منه الحمل وعليه الاكثر وعن ابن عباس حملته ووضعته في ساعة واحدة فتصدقه
به ايما كان وهو ابن ثلاث كما مر وقيل الكلمة من الله كتابه اي مصدقا بكتاب
من الله وهو خلاف الظاهر لتبشيرها دة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح عيسى بن مريم وفيه نص الله في قرآنه القديم على كلام عيسى لامه عند
ولادتها اياه بقوله لا تحزني على قراءة من فتح ميم من تحتها كابن كثير وابي عمرو وابي
بكر وعلى قول من قال ان المنادي عيسى كابي بن كعب وسعيد بن جبير والحسن
ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها وعن ابن عباس وعلقمة والضحاك
المنادي جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها ولا وجه لتخصيص القراءة الاولى
بالخلاف في المنادي مع دنوه في الثانية ايضا ونص على كلامه في مهده
فقال حكاية عنه اني عبد الله آتاني الكتاب اي الانجيل وجعلني نبيا في سابق
قضائه او تنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع كما في اتى امر الله وعن الحسن
اكمل الله عقله ونباه طفلا هذا وفي المستدرك عن ابي هريرة مرفوعا لم يتكلم في
المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون ولفظ
مسند احمد وابن ماشطة ابنة فرعون وفي تفسير سورة الانعام من البغوي

وابراهيم

وابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة
ورضيع المتقاعسة ورضيع التي قالت اللهم اجعل ابني مثل هذا وقال عز قائلا
ففهمناها سليمان اي الحكومة والفتيا اذ قد تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب
زرع رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستواء قيمتها وقيمة نقصه فقال سليمان
وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم
لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها واصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه
فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالاه اجتهادا والاول مثله قول ابي حنيفة
في العبد الجاني والثاني مثله قول الشافعي بالغرم للحيلولة في العبد المغصوب
اذا ابق اما في شرعنا فلا ضمان عند ابي حنيفة لشهادة حديث جرح العجماء
جبار اي هدر الا ان يكون معها حافظ او ارسلت عمدا واوجبه الشافعي ليلا
لانها جرت العادة في حفظ الدواب بالليل دون النهار لقوله صلى الله عليه
وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا فافسدته على اهل الاموال حفظها
بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل دون النهار وكفى به شاهدا
بان جرح العجماء انما يكون جبارا اذا اتلفت في وقت لا يجب حفظها فيه كالنهار
اما ما يجب حفظها فيه كالليل فجرحها ضامن وكلا من داود وسليمان آتينا
حكما وعلما اي نبوة ومعرفة بموجب الحكم وقد ذكر عن سليمان وهو صبي
اي في حال صباه يلعب مع الصبيان في قصة المرجومة وفي قصة الصبي
ما اقتدى به ابوه داود فيهما اما الاولى فروى ابن عساكر في تاريخه
الى ابن عباس ان امراة حسناء في بني اسرائيل راودها عن نفسها اربعة من اكابرهم
فامتنعت فاتفقوا ان يشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها
كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها فلما كان عشية يوم رجمها جلس
واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيا اربعة منهم بزي اولئك الاربعة
واخر بزي المراة وشهدوا عليها بانها مكنت من نفسها كلبا فسألهم متفرقين
عن لونه فقال احدهم اسود واخر احمر واخر اغبش واخر ابيض فامر بقتلهم
فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسألهم متفرقين عن لون
كلبها فاختلفوا فقتلهم واما الثانية فروى الشيخان عن ابي هريرة ان
بينما امراتان معهما فاخذ ذيب احدهما فتحاكما الى داود في
الاخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان فقال هاتوا السكين
اشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى
بينهما لها به لشهادة شفقتها عليه المفادة بقولها لا تشقه رحمك
الله ورضي الكبرى بشقه لتشاركها في المصيبة وحكى محمد بن

انظر قوله وهو صبي يلعب مع الصبيان الى [illegible]
ما له علقه [illegible]

جرير الطبري ان عمره كان يحيى وفي الملك اثني عشر عاما وكذلك اي ومثل ما
ذكر عن سليمان في صباه قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل
وذلك ان الله من عليه فاوحى الى امه ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في
اليم فاخذه عدوهما فرعون وحرم الله عليه المراضع ورجعه الى امه فلما
تم رضاعه اتت به امراة فرعون فادخلته عليه فاخذ بلحيته فغضب وامر
بقتله فقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
يكفله الى ان شب فكان من امره ما ذكر تعالى في تنزيله وقال المفسرون
في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هداه لوجود الصلاح
وحاز محاسن الاوصاف ومكارم الاخلاق وهاك شاهدا على انه رشد
مثله اضافته اليه صغيرا قبل بلوغه او قبل موسى وهارون وقيل محمد قاله
مجاهد وغيره وقال ابن عطا اي اصطفاه في سابق قضايه قبل ابداع خلقه
من العدم الى الوجود وقال بعضهم كالكواثي لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا
يامره عن الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
مبالغة في الامتثال وتنزيلا للمطلوب منه منزلة الحاصل بتحليه حاصلا
لتوفر الرغبات فيه والدواعي الى تحصيله فذلك رشده وقيل ان القاه ابرهيم
في النار ونجاته من نمرود وهو ابن ست عشرة سنه وفي عين المعاني عن ابن جريج
ست وعشرين اذا قسم ليكيدن اصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا وسلاما
وان ابتلا اسحق بالذبح وهو ابن سبع سنين او ثلاث عشرة وهذا على احد قولي
الذبيح من هو والمشهور انه اسماعيل لانه وهب له اثر الهجرة ولحديث انا ابن
الذبيحين اي اسماعيل وعبد الله اذ نذر عبد المطلب ان يسر الله له حفر زمزم
او بلغ بنوه عشرة ذبح احدهم ثم تمناه فاسهم فخرج على عبد الله ففداه
بماية من الابل ومن ثم سنت الدية ماية ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا
الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في فتنة ابن الزبير ولان بشارته باسحق
كانت مقرونة بانه يولد له يعقوب النافي للامر بذبحه مراهقا قيل وهذا هو
هو الصواب عند علما الصحابة والتابعين والقول بانه اسحق باطل وحسدا
من اليهود للعرب ان يكون ابا نبيهم هو الذبيح واما حديث سيل صلى الله عليه
وسلم اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرايل الله
بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله فالذي قاله صلى الله عليه وسلم ورواه التجاني
وغيره يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وذوايد مدرجة من الراوي وما
روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح وان اسند لا اذا ابن ابرهيم
بالكوكب والقمر والشمس كان نبي نفسه وكان وهو ابن خمسة عشر شهرا فحكاه

قوله والقول بانه اسحق باطل هذا مشكل فان الاكثر على انه اسحق ومن صنف له ... المسئلة والتعبير بباطل غير جيد

الله عنه والحق انه كان زمان مراهقته او اول بلوغه تنبيها لقومه على خطابهم بعبادة
الاصنام والشمس والقمر والكواكب وارشادا لهم الى الحق بطريق النظر والاستدلال
وتعريفا لهم ان النظر الصحيح موذن بان شيا منها ليس باله لقيام ما يدل على
حدوثها وان لها محدثا دبر طلوعها وسيرها وانتقالها بشهادة قوله يا قوم
اني بري مما تشركون اي من الاجرام المحدثة المحتاجة الى من يحدثها وقيل اوحى
الله الى يوسف وهو صبي او بالغ وعن الحسن وله سبع عشرة سنه عندما هم
اخوته بالقايه في الجب هو على ثلاث فراسخ من منزل ابيه بقوله واوحينا اليه
لتنبئنهم بامرهم هذا انا ناسا وانا له كل وحشة وبشارة بما يؤول امر
اليه اي لتخلصن ولتحدثن اخوتك بما فعلوا وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وكبريا سلطانك وبعد حالة عن ساحة افكارهم افهامهم بطول
عهدهم به المغير للهيات والاشكال وذلك اشارة الى ما قاله لهم حين دخلوا
عليه ممتارين فعرفهم وله منكرون وقيل وهم لا يشعرون متعلق باوحينا اي
انبئناه بالوحي وهم لا يشعرون بذلك وروى ابو نعيم في دلايله لما نشات اي
شببت وصرت شابا بغضت الي الاوثان اي كرهها الله اليه فكرهها
ومقتها اذ لم يكن فوقها احد يكرهها اليه غير الله وبغض الي الشعر وحظرته
اي منعه وصار بحيث لو اراد قرضه لم يتسهل عليه كما حظر الخط بحيث لو اراده
لم يهتد اليه نفاذا بامن الطعن فيه وفي تنزيله لو امكنه التوصل اليها ولتكون الحجة
اثبت والشبهة ادحض ولم اهم بشي مما كانت الجاهلية تفعله من المعازف
وغيرها مما نهى الله عنه الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد رواه البزار بسنده
صحيح عن علي بلفظ ما هممت بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك
يحول الله بيني وبين ما نهى الله عنه ثم ما هممت بعدهما بشي حتى اكرمني الله برسالته
ولفظ المستدرك في التوبة ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية الا مرتين من
الدهر فعصمني الله منهما قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلا مكة يرعى غنما
باعلا مكة يرعى غنما لاهله ابصر لي غنمي حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر
الصبيان فجيت دارا من دور مكة فسمعت غنا وصوت دفوف ومزامير
فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانه فلهوت بذلك الغنا وذلك الصوت
حتى غلبتني عيني فما ايقظني الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت
فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيني
فما ايقظني الا مس الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فقلت ما فعلت
شيا والله ما هممت بغيرهما بسو مما يعمله اهل الجاهلية حتى اكرمني الله بنبوته
فعبر تخلقون على تلك الملكات ثم تمكن الامر هذا وتزايد في اي تتابع نفحات الله

ذكره في المستدرك في القصة ... في الكتاب ... ما في المستدرك لكان اصح

معارف ولعمرا عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم مما ذ ديغتد فيض الهي
ووجود رباني حتى تصلوا الغاية التي ما وراها منتها للمستبق ولا مرقا لمستنم وبلغوا
باصطفا الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة والملكات الكريمة
النهاية التي ما فوقها نهاية دون ممارسة اي معالجة في ارتياد آونة ولا رياضة
في ازدياد ازمنة بها ذ ذه ما قال الله ولما بلغ اشده اي بلغ نهاية قوته
وتمام عقله من ثلاثين الى اربعين سنة واستوى اي استحكم شبابه وبلغ اربعين
سنة وهي سن بعث الانبيا آتيناه حكما اي نبوة وعلما بمصالح الدارين واعطاه
قبل نبوته علم الحكما وسمتهم نكان لا يقول ولا يفعل الا حقا وينكر عليهم وهو وفق
لنظر العصمة اذ نبوته كانت بعد هجرته هذا وقد نجد غيرهم اي غير الانبيا يطبع
مخلوقا على بعض هذه الاخلاق الشريفة دون بعضها ويولد عليها موجودة
فيه وجودا مناصلا فيسهل عليه بواسطة تخلقه واتصافه بها اكتساب تمامها
غايته نصبه بنزع الخافض اي تسهل بغايته من الله به كما نشاهد من خلقه بعض
الصبيان على حسن السمت اي حسن الطريقة والقصد في تحري الخير وتحليه
بحلية الصالحين وزيهم اذ السمت كما في الفائق اخذ النهج ولزوم المحجة او على الشهامة
اي الجلادة وذكا الفواد او على صدق اللسان او على السماحة اي الجود بانبعاث
النفس له وقليل ما هم كما نجد بعضهم اي بعض غير الانبيا يطبع ويولد على ضدها
من الاخلاق الرديه كما نشاهد من خلقه الصبيان على لامة الطبع ودناة الهمه
وكذب اللسان وخسة النفس وكثير ما هم فبالاكتساب يكمل ناقصها الذي
طبع عليه ذلك الغير وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها لمن لم يطبع على
شي منها او طبع على ضدها وكلهما يعتدل منحرفها عن الاستقامة اليها هذا
تقسيم اذ ذكر اولا من يطبع على بعضها ومن يطبع على ضدها ثم اضاف الى الاول
ان كماله بالاكتساب والى الثاني ان استجلاب معدومها وانحراف اعتدال منحرفها
بالرياضة والمجاهدة ومعنى الاستعلا في على بعضها وعلى ضدها تمثيل لتمكن كل مما طبع
واستقر عليه بحال من استعلا شيا وركبه وباختلاف هذين الحالين اي الجبلي
والكسبي تفاوت الناس فيها قلة وكثرة وتحصيلا وكل ميسر لما خلق له
بتصرفه تعالى له في افعاله على وفق ما قدره واجراه عليه مستندا الى سابق علمه بخلق
الصوارف والدواعي له وهذا مقتبس من حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما
من كان من اهل السعادة فيتيسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقا
فيتيسر لعمل اهل الشقاوة ولهذا اي ولتفاوت الناس فيها قد اختلف السلف فيها
هل هذا الخلق اي الحسن جبلة جبل عليه او مكتسبة فحكى محمد بن جرير الطبري
عن بعض السلف ان الخلق الحسن الذي هو جامعها جبلة وغريزة اي طبيعة

وخلق

وخلق في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن البصري وبه قال هو
اي ابن جرير والصواب ما اصلناه فيما مر منها ما هو جبلة غريزية وما هو كسبي
وكذلك شاهدها ما قد روى سعد بن ابي وقاص كما في مقدمة كامل ابن عدي
ومصنف ابن ابي شيبة عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم كل الخلال يطبع
عليها المومن الا الخيانة والكذب فلا يطبع عليهما بل قد يحصلان تطبعا
وتخلقا وقال عمر يعني ابن الخطاب في حديثه الذي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وسعيد
بن منصور والجراة كالجرعة الشجاعة والاقدام على الشي وبقال جره وتنكره
والجبن ضدها غرائز جمع غريزة اي طبيعة وقريحة يضعها الله حيث يشاء من
خلقه فلا يكتسبان فصل في بيان اصول هذه الاخلاق ضبطا والانسان
الى جميعها تلوحا وتحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها وانما اصل فروعها اي
افرادها من حيث انبعاثها من العقل وعنصر ينابيعها اي اصلها الذي
كانها تنبع منه اذ العنصر في الاصل ما ينشا عنه الشي فغاير بينهما تفننا
ونقطة دايرتها اي مركزها وقطبها الذي تدور هي عليه فانه هو
العقل الذي يكون ادراك النفس الانسانية باشراقه وافاضة نوره ومن
ثم كان نسبته اليها كنسبة الشمس الى الابصار وهو كما قال الحكما العقل
العاشر المسمى بالعقل الفعال الكامل من كل وجه الذي منه ينبعث العلم
والمعرفة تكامل القوى الجسمانية كالحركة والمدركة التي في مراكبه بمعنى
انها تستفيد العلوم ابتدا وبمعرفتها تظهر اثار الادراك وهي مسخرة وبمعونتها ه ع
مطيعة له بامرها بالاخذ والاعطا واستيفا اللذات والتحرك للادراكات
تقدر ما يري من المصلحة ولا استعلا لم العلم في الكليات والمعرفة في
الجزييات غايرتها والا فمدرك الكل هو النفس لكنها تدرك الكليات
كما مر وبالحواس تدرك الجزييات ويتفرع عن هذا اي عن كونه اصلا لما ذكر
من حيث انبعاثها عنه وفيضانها منه على النفس الانسانية اذ هو الذي
بعدها للادراك نحالها بالنسبة اليه كحال ابصارنا بالنسبة الى الشمس
فكما انه بافاضة نور الشمس النفس تدرك المحسوسات كذلك بافاضة نوره
تدرك المعقولات ثم بكثرة ما يفاض عليه من المبادي الفياض ينشا عنه جودة
الفطنة تتهيو قوة النفس لتصور ما يرد عليها من المعاني والاصابة
للاغراض ويتفرع عنه صدق الظن بكمال القوة الادراكية ويتفرع عنه
النظر للعواقب لتميز محمودها عن مذمومها مما يرغب فيه فيقدم
عليه او عنه فيحجم عنه ومصالح النفس عطف على العواقب اي والنظر لما
ينفعها وتحمد عاقبته مما لها دون ما عليها ويتفرع عنه مجاهدة النفس اي

تمنعها عن مايضرها وتذم عاقبته وينفرع عنه حسن السياسة للناس بقانون
العدل ولهجة الصدق ونهجة الحق والتدبير لامورهم معاشا ومعادا
وينفرع عنه اقتنا الفضايل اي المزايا الحسنة تتدرجها النفس الانسانية
الى كمالها في قوتها اذ كلما ازدادت علما كملت قوتها العلمية وكلما ازدادت تحصيلا
للملكات المحموده كملت قوتها العملية وبذلك يسهل اقتناوها وقد يتخال
ان لكل منهما اربع مراتب وتجنب الرذايل اي المزايا الرديئة لمخالفة الهوى
والميل الى منهج الهدى وقد اشرنا فيما تقدم من ايراد صفاته الشريفة
الى مكانه صلى الله عليه وسلم منه اي من العقل بمعنى انه هو الحايز له دون
ذا المالك امره لانه ورد على طريقة التجريد مبالغة لتمكنه منه وهو ان
ينتزع من امر ذي صفة امرا اخر مثله فيها مبالغة لكمالها فيه وهو هنا من
اي بلغ العقل من الكمال وعلوا لرتبة حدا صح معه ان ينتزع له صلى الله عليه
وسلم منه عقل اخر مثله فيها وقد يكون بالباء التجريدية داخلة على المنتزع منه
كما في لين سالت فلانا لتسالن به البحر بالغ في وصفه بالسماحة حتى انتزع
منه بحرا فيها وبالمعية في المنتزع كما في فلان تعدو به فرسه الى الوغى ن
مستليما اي تعدو به ومعه من نفسه مستعد للحرب بالغ في استعداده
للحرب حتى انتزع منه اخر مثله لابس لامة اي درع وبفي في المنتزع منه كما في
لهم فيها دار الخلد اي في جهنم التي هي دار الخلد انتزع منها دارا اخرى وجعلها
فيها معدة للكفار وتهويلا لامرها ومبالغة في اتصافها بالشدة بلا توسط
حرف كما في قوله

فلين بقيت لارحلن بغزوة ٭ تحوي الغنايم او يموت كريم

انتزع من نفسه كريما مبالغة في كرمه واشرنا فيما مر الى بلوغه منه
ومن العلم الغاية التي لم يبلغها ولم يصعد غاربها ولم يمتط ذروة سنامها
بشر سواه واذ جلالة فعله علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه منهما غاية
لم يبلغها احد اي من اجل ان جلالة محله من ذلك اي من العقل والعلم وما تفرع
متحقق لاريب فيه وهذا احد معاني اذ كما في ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم بعد
تمنيكم لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا اولن ينفعكم لاجله اشتراككم
في العذاب كما ينفع ذوي شدة معاونتهم جميعا في حمل اعبائها دون كل واحد
منهم وحده وذلك عند من تتبع اي من علم ما ذكر من هذه الصفات بطريق
تتبع مجاري احواله الجارية على سنن الحق ومنهج العدل واطراد سيرته
المرضية وفي اخلاقه الرضية وطالع جوامع كلامه الموجز لفظا الكثير
معنا اي علمها بطريق المطالعة وطالع حسن شمايله اي سيره البديعة اي

الحسنة

الحسنة التي لم يسبق اليها ولم يخطر طير رغبة احد فيها سواه عليها وحكمه
حديثه جمع حكمة وهي الاصابة في القول اي حديثه المصيب غرض الحق
وعلمه بما في التوراة والانجيل اي وعلم انه عالم بما فيهما وما في الكتب المنزلة
من احكام ومواعظ وغيرهما وعلمه حكم الحكما وسير الامم الخالية وايامها
وضرب الامثال لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة
المشاهد المحسوس وسياسات الانام اي القيام عليهم بما يصلحهم وتقرير
الشرايع اي بيان احكامها وتمهيدها وتاصيل الآداب النفيسة اي
تقريرها وتبيينها والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي علمها افاضة عليه
من المبدا الفياض مما اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة
اقتدوا به واتخذوا اشاراته لها ونحوها حجة كالعبارة مصدر عبر الرويا
يعبر اي ذكر عاقبتها واخر امرها ومثلها ولتيها اي ذكرت مالها ومرجعها
والطب مثلث الطا مصدر طب اي عالج ووصف الدوا وهو اصطلاحا
علم يعرف به احوال بدن الانسان والحساب مصدر حسب اي عد وهو
اصطلاحا علم يعرف به مقادير العدد والفرايض جمع فريضة من الفرض
بمعنى التقدير او من الحز بمعنى القطع وهو اصطلاحا علم يعرف به احوال المال
الموروث ومن يرثه كله او بعضه ومن لا يرثه من القرابة والنسب من
نسبت الرجل عزوته الى ابيه ورجل نسابة اي يبلغ العلم بالانساب وتاوه
كمي في علامه وغير ذلك مما منحه من العلوم دون تعليم له من بشر ولا
مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمايهم بل نبي لا ريب فيه امي نسبة
الى الام كما مر وفي الحديث انا امة امية لا نحسب ولا نكتب اي نحن على اصل
جبلتنا وولادة امهاتنا لم نتعلم حسابا ولا كتابا وقيل الامي من لا يكتب لا يعرف
بشي من ذلك اي من تعليم ومدارسة ومطالعة ونحوها مما ذكر حتى شرح الله
صدره اي وسعه ونوره بالايمان والعلم والحكمة وابان امره من كونه نبيا
بايات ظاهرة ومعجزات باهرة وعلمه ما لم يكن يعلم واقراه القران على لسان
جبريل فيها دة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه فاذا قراناه فـ
اتبع قرانه ثم ان علينا بيانه وعطفه على عام سا وله تلويح بفضله حتى كانه ليس
من افراده اذ القران مجمع كل علم يعلم ذلك اي ما بلغه من العقل والعلم دون تعليم
بالمطالعة في دلايل نبوته وسيره وشمايله والبحث عن حاله ضرورة اي بمجرد
التفات الذهن اليه ويعلم ذلك ايضا بالبرهان القاطع مما قام من الانهاصات
قبل بعثته والمعجزات بعدها على ثبوت نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص
وآحاد القضايا اذ لا نسرد ما نفيد بالنظر فيه ما يفيد بطريق الضرورة

به م
سبع

مجموعها ما لا يأخذ حصر يحصيه عددا ولا يحيط به حفظ جامع يضبطه علما وبحسب عقله كانت معارفه في نهاية لا ترام وغاية لا تسام وشرف لا يسام مرتقيا الى ما اسا ترما علمه الله واطلعه عليه من علم ما في الغيب مما سوف يكون في الشهادة وما كان فيها من الاعيان وما علمه من عجائب قدرته وعظيم ملكوته مما شاهده ليلة الاسرا وغيرها قال عز قائلا وعلمك ما لم تكن تعلم من الشرايع وخفيات الامور وضماير القلوب وكان فضل الله عليك عظيما فيما علمك وانعم عليك حارت العقول في تقدير فضله عليه فلم تدر كيف تهتدي فيه الى بيانه وخرسنا الالسن دون وصف يحيط بذلك اي عجزت عن ان تنطق بما تحصي مما من الله به عليه او تنتهي اليه.

فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة بضم الدال وفتحها اي القدرة والصبر على ما يكره فكان صلى الله عليه وسلم منها بمحل سام لا يرام وبين هذه الالقاب فرق يميز كلا عن الاخر فان الحلم حالة توقير وثبات في الامور وتصبر على الاذى لا يستفز صاحبه الغضب عند الاسباب المحركة للغضب ولا يحمله على انتقام وهو شعار العقلا والاحتمال حبس النفس عند ورود ما يعتريها من الالام والموذيات عليها وهذا من عطف العام على الخاص ومثلها اي المذكورات الصبر اي في كونه حالة ثبات وحبس ومعانيها متقاربة والظاهر ان الصبر لها كالجنس وهي له كالانواع واما العفو فهو ترك المواخذة والتجاوز عن الذنب واصله المحو والطمس وهو من ابنية المبالغة وهذا اي ما ذكر من الاخلاق الكريمة مما ادب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم فقال مما ادبه به خذ العفو اي المساهلة وترك المواخذة والبحث عن مدارج الاخلاق امره صلى الله عليه وسلم باخذ العفو وما سهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير طلبة ولا طلب مما يشق عليهم حذرا من ان ينفضوا من حوله وامر بالعرف اي المعروف وهو كل جميل يرضي عقلا وشرعا واعرض عما يصدر عن الجاهلين من معايب وما يجدي نفعا ولا تمارهم والاية ان نزلت امرا بمداراة الكفار فمنسوخة باية السيف ومكارم الاخلاق فمعناها لا تقابل جاهلا بسفه عليك هذا ولا تنس ما مر من ان ليس في القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها وروي عن تفسير محمد بن جرير وابن ابي حاتم وابي الشيخ ومكارم الاخلاق لابن ابي الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه لما نزلت هذه الاية يعني خذ العفو سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك

هذا وابيك الشرف والكرم وقال له حكاية عن وصية لقمان يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك من المحن المورثة للمنح سيما في امرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقال له فاصبر كما صبر اولوا العزم اي الثبات والجد من الرسل اصحاب الشرايع الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة من طعن فيها ومشاهيرهم نبينا ونوح وابرهيم وموسى وعيسى اوهم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه وابرهيم على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على فقد ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر ويونس على عدوه فرعون وقال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال له وليعفوا وليصفحوا اي ما فرط منهم بالاغماض عنهم الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم روى البخاري لما نزلت قال ابو بكر بلى احب ورجع الى مسطح نفقته التي قطعها عنه لخوضه مع اهل الافك فيما قالوا وقال له ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر لنفسه ان ذلك الصبر والغفران منه لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف في نحو السمن منوان بدرهم اي منه للعلم به وامره صلى الله عليه وسلم بالصبر فيما ذكر ونحوه مع كونه له جبلة وخلقا طلبا لدوامه عليه كما في يا ايها الذين امنوا اي دوموا على الايمان ولا خفا بما يوثر اي فيما يروى من حلمه واحتماله الاذى من قومه نشهد به قول ابي سفيان وقد قال له يا عم اما آن لك ان تسلم بابي انت وامي ما احلمك ولا خفا في انكم حليم قد عرفت منه زلة من الزلل بمعنى الخطا والذنب وحفظت عنه هفوة اي زلة فالعطف بينهما تفننا والكلية صادقة بغير الانبيا اما هم فاجتبا كثيرا لهم معصومون صغيرا وكبيرا من الزلات فهي في العصمة فهو لا تفاضل فيها بينهم وهو لا يزيد مع كثرة الاذى الواصل اليه منهم الا صبرا وعلى اسراف الجاهلين متجاوزا منه اليه الا حلما هذا وروى هنا بسنده الى مالك في موطايه كالشيخين وابي داود عن عايشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بني خير لمفعوله وحذف فاعله تعويلا على ظاهر القرينة وايذانا بعمومه اذ كان هو الله او غيره فالله ما جعل له الحرج في امرين جائزين الا اختار ايسرهما ارشادا لامته وابتنا لدينه على اليسر يريد الله بكم اليسر ان هذا الدين يسر كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جمعت عليهم اي على قريش الاخشبين نقاهم بقوله دعني انذر قومي رجا ان يوحد والله

او يخرج من اصلابهم من يوحد ما لم يكن اثما اطلاقا للسبب على مسببه مجازا مرسلا لعلاقة السببية اي ما لم يكن ايسرهما ما يترتب عليه اثم فلا يختار الله فيهما لكون احدهما اثما او فلا اختار ه والمخير غير الله ومن ثم قال لتناكيدا فان كان اثما كان ابعد الناس منه وفيه تلويح باستحباب الاخذ بالايسر والارفق ما لم يكن حراما او مكروها وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه اي ما بلغت به الكراهة حدا يورثه انتقاما من احد على مكروه اتاه من قبله الا ان تنتهك حرمة الله استثنا منقطع اي لكن اذا بالغ احد في خرق حرمة الله التي من اسبابها خرق حرمته صلى الله عليه وسلم لانه مما حرم الله فينتقم لله بها اي بسبب حرمة الله ممن ارتكبه لا بسبب حرمة نفسه ولسلم ما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله اي ما اصيب من احد باذي وعاقب به انتصارا لنفسه لكن اذا بالغ في خرق شيء من محارم الله التي من جملتها حرمته انتصر لله وعاقب له لا لنفسه فلم يكن انتقامه الا لله وان كان بانتهاك حرمة نفسه وفي هذا تلويح بالحث على الحلم والعفو واحتمال الاذى والانتقام لدين الله وكم ورد عنه ما يوذن بمكارم الاخلاق وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته بتخفيف الياء كسرها عتبة ابن ابي وقاص وشج وجهه شجه عبد الله بن شهاب الزهري كلاهما يوم احد شق ذلك اي كسر رباعيته وشج وجهه على اصحابه شديدا فقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا حذف مفعوله للتعميم وفي علته تعظيما وتفخيما للامر اي بعثني الله داعيا لمن يريد الله هدايته وكل احد اليه ورحمة لمن اخرجه من الكفر الى الايمان وللكافرين بتاخير العذاب في الدنيا عنهم او لا داعي الناس الى الله والى رحمته لا لابعدهم عنها اذ اللعن الابعاد عن رحمته اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون رواه البيهقي في شعب الايمان مرسلا ثم اخرج موصولا وهو في الصحيح حكاية عن نبي ضربه قومه زاد ابن هشام في سيرته ان اتبعه اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان ابن قميئة جرحه في وجنته قال يعقوب بن عاصم فكان يحف انفه ان سلط الله عليه تيسا فنطحه فقتله او فالقاه من شاهق فمات واما ابن شهاب فاسلم واما عتبة ففي تهذيب النووي ان ابن منده عده من الصحابة وانكره ابو نعيم ولم يذكر فيهم احد قبله الحديث قاض بانه لم يدع عليهم فيعارضه حديث عبد الرزاق في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم دعى على عتبة حين كسرها قلنا لا معارضة اذ لا يلزم من عدم دعائه على الجميع عدمه على البعض ولا من عدم المبالغة فيه عدم صدوره منه في بعض الاحيان فان قيل كيف دعى لهم بالهداية مع علمه ان بعضهم لا يومنون بنحو ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون قلنا يجوز ان يكون قبل النزول او هو عام اريد

[illegible]

به خاص اولان الهداية ممكنة في نفسها غير ممتنعة لذاتها بل لاخبار الله بعدم وقوعها ولا خلف فيه فيل طلب الدعا عليهم غير مخصص في اللعن فكيف يقول لم ابعث لعانا قلنا دعاؤه على الكفرة لعن لهم اذ هو البعد عن الرحمة مع ان النفي انما يتوجه لكثرة اللعن لا لاصله فكانه قال لم ابعث كثير الدعا عليهم وقد روى البخاري وغيره اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمر بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد وروي عن عمر ولم يعرف بابي انت وامي اي انت مفدى بهما وافديك بهما يا رسول الله لقد دعى نوح فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فعالا من الدور وربما يستعمل من الاسماء في العام اي احدا يدور في الارض ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا لكنا لم نطلب فلم تدع علينا فانتج رفع التالي رفع المقدم ولقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك بفتح الراء وتخفيف اليا فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حذف مفعوله ليذهب النفس كل مذهب ممكن انظر لم يرد به مخاطبا معنا بل كل من يتاتى منه ما في هذا القول اي قول عمر وما اشار فيه من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم ولم يتعرض لهم بسوء حتى عفى ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اهد قومي واغفر لقومي ثم اظهر الشفقة والرحمة بقوله لقومي بالضافة اليه ثم اعتذر عنهم بجهلهم اي بسببه فقال فانهم لا يعلمون كل ذلك لكونهم رحمه اذ ما من بيت منهم الا له فيه قرابة وان لم يكونوا له اولياء يشهد له حديث الشيخين ان ال ابي فلان ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المومنين ولكن لهم رحم ابلها ببلالها اي لا اولى من ليس صالحا وان كان قرابتي وانما احب الله لما يحق له على عباده واحب صالحي المومنين واوالبهم وارعى لذوي رحمي حقهم بصلة الرحم فيه على التبري ممن خالف وعلى تولي اهل الصلاح من قبل المكي عن الحكم بن ابي العاص والكتابة من بعض الرواة حذرا الفتنة شبه الرحم بارض اذا بلت حق بلالها اثمرت وظهر في ثمارها النضارة واذا تركت يبست ولم تثمر فكذا الرحم يقطعها تظهر العداوة وقد ورد بلوا ارحامكم اي صلوها ثم لما قال له الرجل هو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمي اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزد في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ صلى الله عليه وسلم نفسه

رباعية سن مقدمة

قوله ولقد وطئ ظهرك [illegible]

قوله [illegible]

وقد روى الشيخان

وذكرها بما قاله فقال ويحك نصب على المصدر ويضاف كما هنا ولا يضاف لوحاله وقد يرفع لوحه وويح له وفي الحديث ويح عمار تقتله الفئة الباغية وهي كويس كلمة ترحم تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فالجهالة رحمه مبينا له ما جهله من انه صلى الله عليه وسلم الحري الحليق بالعدل بقوله فمن يعدل ان لم اعدل شرط حذف جزابه لدلالة ما قبله عليه فاذا لم يكن احدا يعدل دون ان نعدل هو ذاهبا الى معنى يعدل غيري وانا اجور كلا خبت وخسرت بضم تايهما على التكلم وروي بفتحها على الخطاب اي حرمت كل خير وخسرته ان لم اعدل شرط جزابه ودل عليه ما قبله وذلك ان تسميه جزا توسعا اذ لا لبه عليه ورد على سبيل الفرض رشادا الى ان من لم يعدل فقد با بالخيبة والخسران وتلويحا بكمال اتصافه بالعدل والحلم والعفو وبراة ساحته من الغرض واسقاط ما وجب له عليه من قتله رعاية لايمانه الظاهر وصبرا على اذاه اذ كان قد استحق به النكال ومن ثم نهى من هو خالد بن الوليد او عمر وكلاهما اراد من اصحابه قتله وروي البيهقي لما تصدى له صلى الله عليه وسلم غورث بن الحارث ليفتك به اي جاءه على حين غفلة منه ليقتله ورسول الله صلى الله عليه وسلم من بوضع الطاهر بوضع المضمر اي وهو منتبذ في ناحية بعيد عن اصحابه تحت شجرة في ظلها وحده قايلا والناس قايلون في غزاة هي ذات الرقاع في رابع سنة من الهجرة فلم ينتبه صلى الله عليه وسلم من نومه الا وهو اي غورث قايم والسيف صلتا اي حال كونه مسلولا في يده فقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه وسلم الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال لغورث من يمنعك مني فقال كن خير اخذ فتركه وعفى عنه وكان ذلك سببا لاسلامه فجاء الى قومه فقال جيتكم من عند خير الناس غير منازع ولا مدافع ورواه الشيخان بدون سقوط السيف وقوله صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني وجواب غورث ومن عظيم خبره صلى الله عليه وسلم في العفو عفوه عن زينب بنت الحارث قال ابو داود هي اخت مرحب اليهودية التي سمته اي جعلت له السم في الشاة بعد اعترافها على الصحيح متعلق بعفوه لا باعترافها وان زعم اي عفوه عنها على الصحيح من الروايه بعد اعترافها رواه الشيخان بشهادة رواية ابي داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وفي شرف المصطفى قتلها وصلبها وجمع بينهما بانه عفى عنها لحق نفسه اذ كان لا ينتصر لها ثم قتلها قصاصا بمن مات من اصحابه باكله منها كبشر بن البرا اذ لم يزل معتلا به حتى مات بعد سنة ومن عظيم خبره في العفو انه لم يواخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد اعلم به اي بانه سحره واوحي اليه بشرح امره كما رواه احمد والنساي والبيهقي في دلايله سحر النبي صلى الله عليه

وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاء جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بير كذا وكذا فبعث فاخرجها فجاء بها فحلها فقام فكانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا راى في وجهه حتى مات ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته فضلا كما مر مصدر لفعل محذوف وقع هنا بين نفي واثبات لفظا لقصد استبعاد الادنى اعني ما دخله النفي بمعنى عدم بعيدا عن الوقوع واستحالة ما فوقه اعني ما دخله عن بمعنى عدم محالا اي انتفت معاقبته والذي فضل اي بقي منها هو عدم عتبه لهذا والسحر مزاولة نفوس خبيثة اقوالا وافعالا يترتب عليها امور خارقة للعادة وتعلمه للعمل به حرام وفعله كبيرة واعتقاد حله كفر ولتاثيره زيادة بيان تاتي وكذلك لم يواخذ كما رواه الشيخان عبد الله بن ابي راس من باطن النفاق وفي الفتنة ضمايرهم وفرخ الحسد والكذب ولم يواخذ اشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته من الجرايم قولا وفعلا كقوله تعالى حكاية عن متبعهم النفاق في ابن ابي يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله بل قال على المريسيع ما لبني المصطلق لمن اشار من اصحابه بقتل بعضهم بعد ان بلغه وقد هزم بني المصطلق وقال ابن ابي وقد لطم حليفا له جعال من فقرا المهاجرين مسا عرة لاجير لعمر ما صحبنا محمدا الا للتلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الاية ثم قال لقومه والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد ابن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره به الله فقال عمر يا رسول الله دعني اضرب عنقه قال لا اذن لك تحدث وفي رواية فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه في حكم العلة لترك قتله مع رعاية اسلامه الظاهري وروى الشيخان عن انس كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد اي شملة مخططة او كسا اسود مربع فيه صغر غليظ الحاشية فجذبه وفي نسخة فجذه بتوسط الالف في الاولى او متعلق به اعرابي جذبة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه على عادة اجلاف العرب يا محمد احمل لي على بعيري هاذين من مال الله الذي عندك زاد البيهقي فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال صلى الله عليه وسلم ويقاد منك اي يفعل بك يا اعرابي مثل ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه

وسلم ثم امرأة عمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر هذا وأبيك هو الحلم والتجاوز
من جاهل جلف غليظ جاف لكسر شوكة غضبه واشترى مراحمه للعفو
عنه كما يقوله لأنك لا تكافي بالسيئة السيئة وروى الشيخان قالت عائشة
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط تأكيد
لنفي انتصاره لنفسه حلما وكرما وصبرا على الأذى وامتثالا لأمر ربه بأخذ
العفو والأمر بالعرف والإعراض عن الجاهلين ما لم تكن المظلمة حرمة من محارم
الله ارتكبها أحد فينتصر وان كان هو المظلوم لله لا لنفسه وما ضرب بيده
شيئا قط شفقة ورحمة منه عليه الا ان جاهد في سبيل الله ببعض هند
إذا أصلت ممكنة على الظل سجدا لها ما تألم ن فما ضرب أحدا من أعدائه إلا
كان يحتف أنفه وعدا بالانتهاء [illegible] أبي بن خلف وقد خدشه بسهم واحد في
عنقه فجزع جزعا عظيما بالتشديد فقيل له ما هذا الجزع فقال والله لو بصق
محمد صلى علي لقتلني وبين احترازا عن ضرب غيره بأمر تأديبا أو تعزيرا أو حدا
ولا ضرب خادما ولا امرأة شفقة ورحمة لهم إذ كان منهما بمحل ما إليه
شيئا وللمستحق ولا مرتين لسنتهم وهذا الحديث مؤذن بغاية مدحه مبالغة في
تنزيهه وتبرئة ساحة جنابه عما لا يليق به وبجواز مدح الإنسان بما فيه من
صفات الكمال وروى أحمد والطبراني بسند صحيح انه جيء اليه برجل حزف
في عله وبني لمفعوله تكرمة لعلماء العلم بما فقيل تعاديا عن أن تكتم غيرنا
يؤذيه وتنبيها على ارادته به ذلك وإخبارا عنها بقرينة ما دل عليها منه
إذ هي أمر خفي لا يطلع عليه الا من جهته هذا أراد أن يقتلك فقال له
تأنيسا لنفسه وتسكينا لقلبه ليذهب عنه ما راعه مؤكدا له لن تراع لن تراع
أي لن تفزع بمكروه علما منه بأن قتله محال ومن تحقق له منزل لارادته قتله
منزلة عدمها لاستحالته ولو أردت ذلك لم تسلط علي لعصمة الله إياه من الناس
وروى البيهقي معضلا ووصله ابن حبان والطبراني وأبو نعيم بسند صحيح أنه صلى
الله عليه وسلم جاءه زيد بن سعنه بمهملتين فنون ادبا تحتيه وعن بجرتيه
الذهبي زيد بن سعنه بالنون أصح وأسند بفتح الهمزة بن سعيه بالياء أصح
قبل إسلامه يتقاضاه في موضع الحال متقاضيا دينا له عليه وجيء به
مضارعا بعد أن جاء ماضيا قصدا لاحضار صورة تقاضيه دينه لأن المضارع
مما يدل على الحال الحاضر الذي من شأنه أن يشاهد كأنه يبصر السامع إياها
ويطلب منه مشاهدتها تعجيبا من جرأته بسوء أدبه على أشرف موجود وأكرم
محمود غيره به تعالى بشهادته قوله فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه
وأغلظ أي قال له قولا غليظا ثم لم يكتف به حتى قال معنفا إنكم يا بني عبد المطلب

مطل

مطل جمع مطول كفعول بمعنى فاعل وهو اللبان بالدين فانتهره عمر وشدد له
في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم حال سفهه بجلاله حلمه وحسن
خلقه وجميل عفوه ومن ثم قال له أنا وهو كنا إلى غير هذا الذي صدر منك
منتهرا له به مغلظا له في القول أحوج يا عمر إذ كان الأولى بك أن تأمرني بحسن
القضاء لدينه وتأمره بحسن التقاضي مني ويؤخذ من هذا جواز ابتدائه إلا
بنفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم موكدا بلام القسم لقد بقي من أجله ثلاث
حذف تاء الحذف مميزه الذي هو أيام كما في من صام رمضان وأتبعه بست
من شوال فكأنما صام الدهر كله وأمر صلى الله عليه وسلم عمر يقضيه ماله ويزيده
عشرين صاعا لما روعه عمر به فكان ذلك أي حلمه وعفوه عنه بما صدر منه
في حقه صلى الله عليه وسلم من سوء الأدب قولا وفعلا سببا لإسلامه وكان
يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في محمد إلا اثنتين
لم أخبرهما أحدهما أنه يسبق حلمه جهله أي علمه اتصافه بالحلم على
اتصافه بالجهل برأه الله من ذلك وأتى بالمضارع احضارا للصورة كونه
شأنها حلمه جهله يصير للسامع إياها طالبا منه مشاهدتها تعجيبا من تلك
الصورة الحليمية والشيمة الرحيمة ولا تزيده شدة الجهل عليه من أحد
إلا حلما فاختبرته بهذا أي الذي صدر منه في حقه قولا وفعلا فوجدته كما
وصف فرجع إلى ذهنه الصائب وفكره الثاقب وخاطره اليقظان وفطنته
العجيبة التي كان ناظرا بنور عقله وعين بصيرته فاهتدى إلى الإسلام ن
وخالط بشاشة قلبه الإيمان إذ كان عالما من سلم من أحبار يهود وأجلهم
وأكثرهم مالا شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كثيرة توفي
قافلا من غزوة تبوك إلى المدينة والحديث المخبر عن وفور حلمه وحميد
صبره وجزيل عفوه عند المقدرة احتراس عن توهم كون عفوه عن عجز أكثر
من أن يأتي عليه للإحاطة به عن صفات من مبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير
خلق الله كلهم وحسبك أي كافيك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة منتهيين ومنضما ما ذكر مما لم يتواتر إلى ما بلغ تواترا مبلغ اليقين
من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد أي
مغالبتها أعداء الله في الصبر عليها إلى أن ظفره الله بهم بنصره عليهم وتأييده
وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم
جملتان حاليتان أي حكمه فيهم حال تيقنهم لما حل بهم من الجزع الفادح
والهلع الفاضح إذ هابه أباهم جميعا وحال إبادة جماعتهم فما زاد على أن
عفا أي تجاوز ولم يؤاخذهم وأصله المحو والطمس وصفح عنهم صفحا جميلا

مظلمة بفتح اللام وكسرها [illegible]
[illegible]

نسان
أي أجل دينه لا عمره

شأفتهم بالشين المعجمة [illegible] الأصل [illegible]
[illegible]

وقال تلويحا بلطفه لهم وشفقته عليهم مستمدا منهم بيان ما نجم في ضمايرهم
وسنح في خواطرهم مفوضا ذلك اليهم ما تقولون اي في فعلي بكم قالوا خيرا
استعطافا له عليهم وطلبا للرحمة لهم اذ هو اهل الرحمة والمغفرة اخ كريم
وابن اخ كريم فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب اي لا تانيب ولا عتب
عليكم اليوم الذي هو مظنة التثريب لما ظنكم بغيره من الايام يغفر الله لكم
ما فرط منكم اذهبوا فانتم الطلقا من الاسر قال ذلك يوم فتح مكة اخذا بعضادة
باب الكعبة رواه ابن سعد والنسايي وابن زنجويه وروى مسلم وابو داود والترمذي
والنسايي هبط ثمانون رجلا من التنعيم ادنى بقاع الحل من حرم مكة على
ثلاثة اميال او اربعة منها صلاة الصبح اي في وقتها ليقتلوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخذوا قهرا مغلوبا بالمهم فاعتقهم كرما وعفوا فنزلت
وهو الذي كف ايديهم اي كفار مكة وكف ايديكم عنهم ببطن مكة اي داخلها من
بعد ان اظفركم اي اظهركم عليهم فهزمتم وادخلهم بطنها وذكر المفسرون
ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في جماعة فهزمهم حتى ادخلهم
بطن مكة وقيل كان يوم فتح مكة وبه اخذ ابو حنيفة ان مكة فتحت عنوة وضعف
بان السورة نزلت قبله وقال لابي سفيان وقد سيق اليه جملة حالية
مع ما بعدها وردت اعتراضا بين القول ومقوله منصحة بحال صاحبها
اي جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله عليه وسلم وهو متوجه
لفتح مكة بعد ان حزب اليه الاحزاب يوم الخندق في شوال وذي القعدة
سنة اربع وخمس وبعد قتل عمه حمزة واصحابه ومثل بهم اسند اليه القتل
والمثلة مع ان قاتل عمه وحشي والممثل به زوجته هند بنت عتبة مجازا عقليا
اذ هو السبب كما اسند الذبح في يذبح ابناءهم لفرعون اذ كان السبب
الامر فعفي عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان مقول قوله صلى الله
عليه وسلم ترحما وتوجعا له اذ لم يرق من اوقد حاله وتعجبا من صنيعه به
صلى الله عليه وسلم قبل اسلامه الم يان لك من اني بان اي حان اناه اي الترجي
ووقت ان تعلم ان ذي تشهد انه لا اله الا الله فقال ابو سفيان متعجبا له
من سعته للناس حلما وكثرة صلته رحما وقربة عند كرمه كرما بابي انت
وامي ما احلمك على من جهل عليك واوصلك لرحمك واكرمك عند ربك وكان
صلى الله عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى مبنيان للنسبة
ابعد واسرع حولا عن كونهما هنا اسمي كان مبالغة في وصفه بهما اي كان
غضبه ابعد عنهم ورضاه اسرع اليهم لما منحه من مكارم الاخلاق

وهو قتل عمه حمزة عكس المجاز
كان القاتل له وحشي كما سبق
سببا من الجمع رسله واصحابه
اي بغضا لصحابه وكذا المجاز في
قوله ومثل بهم

فصل

فصل واما الجود والكرم والسخا والسماحة فنستملي عليك تعريفها ومعانيها
متقاربة وفرق بعضهم تخصيصا لها مطلقا وقيل هذا تختص بالمعاني وتشبيه بدها
بالاجسام ويجوز استعمال كل مكان الآخر مجازا بينها فجعل الكرم الانفاق
بطيب النفس فيما يعظم خطره اي قدره وسموه اي لايم خرتبه وهو ضد
النذالة اي السفالة واللامة وجعل السماحة التجافي اي الارتفاع والتنحي
عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة اي صعوبة
الخلق وجعل السخا سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو اي
الانفاق مع التجنب الجود وهو ضد التقتير اي التضييق نقيض الاسراف
في الانفاق فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي اي لا يقاوم ولا يقابل به احد
في هذه الاخلاق الكريمة من ازنته اي حاذيته واجاز غير الجوهري وازيته بقلب
همزته واوا ولا يباري اي لا يعارض وقد مر هذا اي مما ذكر وصفه كل من
عرفه معرفة مشاهدة ومعاينة وشهرة وتقديم المجرور على عامله لما افاد
التقوي دون الحصر اذ له غير ما ذكر صفات جمة تكاد تفوت الحصر وقد
اقام بينة صادقة على دعواه انه صلى الله عليه وسلم لا يوازي ولا يباري فيما
خص به بما اسنده هنا عن البخاري ومما رواه غيره ما سئل صلى الله عليه وسلم
شيئا فقال لا لان عطاياه كانت في نفسه كالغيث نجعته وافاق رفقه وان
نزلت عنه لج في الطلب وروى الشيخان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود
الناس بكل ما ينفع حذف للتعميم ولفوات احصايه كثرة لان من كان اكملهم شرفا
م وانقطهم قلبا والطفهم طبعا واعدلهم مزاجا واتمهم بهجة وانورهم بصيرة واسخاهم
نفسا واغزرهم عطا لجدير ان يكون اسخاهم صلة واتمهم بذلا واجود ما كان
في شهر رمضان لانه منبع الخير ومعدن الجود وقد يسبغ الله على عباده نعمه
فيه اتباعا لسنة ربه في الانعام عليهم مما احسن الله اليه ولانه كان يناجي جبريل
رسول الله اليه فيتقدم بين يدي نجواه صدقة وهذا وان نسخ وجوبه بقوله
ااشفقتم فقد بقي جوازه الذي كان في ضمن الوجوب من الاذن في الفعل
المفصل من الاذن في الترك الذي خلف المنع منه اذ لا قوام للجنس بدون فصل
واجود يجوز ان يكون اسم كان وما مصدرية وفي شهر رمضان حال سد
نه مسد خبرها اي حاصلا وان يكون اسمها ضمير الشان اي كان الشان الجود اكوا
حاصلا فيه وان يكون ضميره صلى الله عليه وسلم اسمها واجود مبتدا مضاف
الى المصدر المؤول وفي رمضان خبره والحال سد مسده والجملة خبرها ويجوز
نصبه غير مضاف خبرا لها وما مصدرية وقتية اي كان وقت كونه فيه اجود
من وقت كونه في غيره وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير بجميع انواعه من الريح

قال الله تعالى ... الرزق مردود الا على رحم الارض
... والا انتهى
... الصحاح ... الادب

المرسلة في عموم النفع والاسراع فيه مطلقا فلامه جنسيه او مقيد بالرحمة
بقرينة المقام فلامه عهديه وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته
شبه جوده في العباد بنشر الرياح قطر المطر في البلاد تشبيها بليغا وشتان
بينهما هذا وفي الحديث تخصيصان بعد تعميم نرفيا الافصاحه بانه اجود مطلقا
ثم في رمضان ثم عند لقا جبريل قال النووي وفيه الحث على الجود والزيادة في
رمضان وعند لقا الصالحين ومجالسة اهل الفضل وزيارتهم وتكريرها
ما لم يورث المزور كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة سيما في رمضان
ومدارسة القران وغيره من العلوم الشرعية وان القراءة افضل من التسبيح
والاذكار و روى مسلم عن انس ان رجلا هو صفوان بن امية سأله حذف
مفعوله اختصارا او لتذهب النفس كل مذهب فاعطاه غنما بين جبلين
لسعة جوده وسماحة نفسه ثم هذا الاعطا ان كان بعد اسلامه فهاك به
شاهدا بجواز اعطا مولفة المسلمين ولو من الزكاة دون مولفة الكافرين
لعز الاسلام عن التالف او قبله فلا يرد لحمله على انه كان اول الامر وقد ظهرت
ثمرته التي هي قوله لقومه اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى الفاقة لكرم
نفسه وشرف طبعه واعطى غير واحد من المولفة مائة من الابل كابي
سفيان بن حرب وابنيه ومع مائة كل واحد منهم اربعين اوقية وكحكيم بن
حزام والحارث بن هشام وروى مسلم انه اعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة
وهذه اشارة الى ما فهم مما قبله او الى مبهم يفسره ما بعدها اي كانت حالته
وشانه وسجيته ودينه قبل ان يبعث الى الناس كافة وقد قال له ورقة بن
نوفل بن اسد بن عبد العزى بن قصي انك لتحمل الكل بفتح اوله وتشديد اللام اي
الثقل وكلما يتكلف كالانفاق على العيال واليتيم والضعيف وتكسب هنا
بضم اوله المعدم بدون واو اي المحتاج تفيده المعارف والمال وتعينه على
تحصيلها والذي رواه مسلم كالبخاري انه من قول خديجة بزيادة اللام في جزان
والواو في مفعول تكسب ورد على هوازن سباياها وكانت ستة الاف
من النسا والذرية ورد عليهم من الاموال اربعة وعشرين الفا ابلا واكثر
من اربعين الفا غنما واربعة الاف اوقية فضة والاوقية اربعون درهما
قيل وقوم ذلك فبلغ الف الف وروى البخاري عن انس تعليقا انه اعطى العباس
عمه من الذهب ما لم يطق حمله وروى ابو الحسن بن الضحاك في شمائله عن
الحسن مرسلا انه صلى الله عليه وسلم حمل اليه تسعون الف درهم فوضعت
على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد احدا جاءه سائلا حتى فرغ منها غاية لعدم
رده سائلا وروى الترمذي في شمائله انه جاءه رجل فسأله فقال ما عندي

شي

شي ولكن ابتع علي بالموحدة ثم مثناة فوقية او بعكسه حذف مفعوله اي اشتر
او استلف ما تختار فاذا جاءنا من عند الله شي قضيناه هذا وابلغ استدراك
او رثا لما دخله الحزن عن احصا اوصافه الجميلة ونبذ على تعداده فاربكم
لا مرتقى اليه لمستنم اذ قد حمل نفسه كل الدين بصلاته وافر وهبات متواترة
ومن ثم قلت في نظم درر القلائد

ماذا اقول وقد فاضت منا فيكم • بحرا بعليا بروح الله مشمول

فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك جبرا لخاطر السائل ودفعا
لما اعتراه من توهم رجوعه خائبا وتنبيها لعمر ليأخذ به التامل الى ما ثمرته واثق
من ربه بالنجح في قضائه وان ذلك ليس تكلفا وان يكف فيما يتوقع عن مثل
قوله ذلك فقال له رجل من الانصار لا اعرفه وقيل هو بلال وهو مهاجري
وقد يجمع بينهما بانهما قالاه انفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا لا نصف
بيت من البسيط عري اخره القطع فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لذلك القول وعرف البشر في وجهه تهلله واشراق اساريره وقال
بهذا امرت حذف فاعله للعلم به اذ لم يكن احد يامره غير ربه ذكره ن فوته م
الترمذي في شمائله وذكر عن معوذ بن عفرا ابنة النبي صلى الله عليه
وسلم بقناع رطب بريد طبقا مما ياكل عليه واجر زغب جمع جرو بريد قثاء صغارا
عليها زغب اي وبر وفي الفائق بقناع جزع بالزاي وهو الرطب عند اهل المدينة
يلذ
لاجتزائهم به عن الطعام فاعطاني ملا كفه حليا وذهبا كذا هنا والذي
في مسند احمد وشمائل الترمذي بسند جيد عن ابنته الربيع مصغرا بنت معوذ قالت
بعثني ابي معوذ بن عفرا بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثا وكان صلى
الله عليه وسلم يحب القثا فاتيته بها وعنده حلية قد قدمت عليه من البحرين
فملا يده فاعطانيه وللترمذي عنها اتيته بقناع من رطب واجر زغب ه
فاعطاني ملا يده حليا او ذهبا هذا وابوها معوذ قتل ببدر ولم تعرف له
يلذ
رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال انس فيما رواه الترمذي كان صلى الله عليه
وسلم لا يدخر شيئا لغد لسماحة نفسه وبذل كفه وثقته بربه تعالى وعن
ابي هريرة ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فاستلف له نصف وسق
لا اعرف من رواه فجا الرجل اي رب الدين فلامه عهديه يتقاضاه
اي يطالبه بوفائه فاعطاه وسقا بفتح اوله وكسره ستين صاعا وقال
نصفه قضا اي وفا ونصفه نائل اي عطا هذا وابلغ الكرم فضل
واما الشجاعة والنجدة فستري ما تقربه عينا واصول الاخلاق النفس
ثلاث نطقية هي مبدا ادراك الحقائق والشوق الى النظر في العواقب لعل والتشوف

وتمييز المصالح من المفاسد واعتدال حركتها حكمة هي معرفة الامور على ما هي
عليه بقدر الطاقة البشرية وشهوية هي جذب المنافع ودفع المضار
اعتدال حركتها عفة وغضبية هي منبأ الاقدام على الاهوال والتسوف
الى التسلط والترفع اعتدال حركتها شجاعة كل منها بين طرفي افراط وتفريط
كما مر فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وملكة يصدر عنها انقيادها للعقل
المسمى نفسا ناطقة في اقدامها مترويه على ما ينبغي في زمن ينبغي وحال ينبغي
وقد مر تحقيق لهذا فيما مر مزيد بيان اغنى عن ذكره هنا والنجدة ثقة النفس
عند استرسالها الى الموت حيث تحمد فعلها دون خوف اي ثقتها بنفسها عند
طلبها الترسل اي التثبت والاستيناس والطاينة والسكون الى الموت
بلا خوف وكانه اخذ هذا من جدتيا بما مثلوا استرسل الى مسلم فعبده فهو
كذا اي استانس واطمان ووثق به وحديث غبن المسترسل ربا ومنشاوه
قوة النفس وشدتها وليست غير الشجاعة ففسر النجدة بما ينشا عنها وكان
صلى الله عليه وسلم منهما اي من الشجاعة والنجدة بالمكان اي بالمحل المنيف
الذي لا يجهل فيه لا شتهار به كعلم مفرد ولا يفتقر الى زيادة بيان قد حضر
المواقف الصعبة كبدر واحد وفر الكماة جمع كمي اي شجاع مكتم في سلاحه
اذ قد كمى نفسه اي سترها بدرعه وبيضته غير مرة وهو ثابت لا يبرح
ومقبل لا يتزحزح حالا ان الكلام بمعنى اي فروا عنه حال ثباته واقباله
وما شجاع نكرة منفية عمت كل من اتصف بالشجاعة الا وقد احصيت له فرة
بالرفع نائبة عن الفاعل وحفظت عنه جولة تحولا وسكون ثباته وهونات
الله على اي ذهاب وجي وفي الحديث فاجتالتهم الشياطين اي استخفتهم
فجالوا معهم في الضلال يقال جال واجتال اي ذهب وجا سواه فلم يصدر
عنه شيء من ذلك لكمال شجاعته ووفور همته وقد اسند هنا من طريق
البخاري الى ابي اسحق انه سمع البرا وساله رجل افررتم يوم حنين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اي نعم حذف استهجانا للتصريح به لكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر لقوة جنانه وشدة باسه واستحب
نهاية الفطانة يرشدك الى ان هذا الاستدراك لهم يدفع توهم فرار من
بعد فرارهم عنه ولا والله ما فر قط بل الاجماع قاض بتحريم اعتقاد
فراره ثم قال في رواية اخرى ان هوازن كانوا قوما رماة وانا لما لقيناهم حملنا
عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنايم واستقبلونا بالسهام فاما
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يفر لقد رايته على بغلته البيضا
وفي مسلم انها التي اهداها له فروة بن نعامة وابو سفين بن عبد الحارث

لعل والتسوف

وفر الابطال جمع بطل اي شجاع وغاير بينها من حيث الستر وعدمه او الثاني ابلغ اي ولوا عنه مدبرين

بن عبد المطلب آخذ وللبرقان والعباس آخذان بلجامها يكفانها عن اسراع التقدم الى
العدو وشفقة منهما عليه على ما يقتضيه الطبع البشري وان علما عصمته
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول جملة حالية وضع فيها مبتدا وهاتوضيح المضمر اي
وهو يقول انا النبي لا كذب ورد على زنة مشطور الرجز وليس بشعر وان كان نظيره
اذ لا يسمى شعرا ما لم يقصد بوزنه الشعر ومن رواه بفتح الباء ليخرج عن الوزن
فقد نسب افصح الخلق الى النطق بغير الفصيح اي انا النبي حقا لا فرار ولا اقيت
وزاد غيره اي غير البرا انا ابن عبد المطلب هذا قاض بان البرا لم يرو هذه
الزيادة والذي في الصحيحين انها من روايته وانتسب لجده لاشتهاره به لموت
ابيه قبل ولادته مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولا ينافي هذا نهيه عن الافتخار
بالاباء اذ لم يقله افتخارا بل تذكيرا لاصحابه بما اشتهر عن جده انه بشر به
منا ما ويقظة لتطمين نفوسهم وتقوي قلوبهم وذكر مسلم عن العباس
لما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين حال منهم فطفق بكسر
الفاء وفتحها اي جعل يركض بغلته نحو الكفار وانا آخذ بلجامها قدم المسند اليه
قصدا الى جعل الواو حالا لا اكفها ارادة مفعول لاجله الكف اذ هو علة الابدا
عليه اي منعها من اجل ان لا تسرع الى جهة العدو وابو سفيان بن الحارث
بن عبد المطلب آخذ بركابه ثم قال صلى الله عليه وسلم مستغيثا بالمسلمين
اي اقبلوا وقيل في حديث ابن ابي هالة كان صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا
ولا يغضب الا لله اعتراض بين اذا وجوابها احترس عن توهم شمول غضبه
لغير الله لم يقم لغضبه شيء يعارضه لكونه لله بما ذكر به ما ندب الى تركه
وروى الدارمي قال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد من النجدة وقد عرفتها
ولا اجود بمهملة ومعجمة من جود بجود اي اجمع وهو مما استعمل بلا اعلال اي
ما رايت اجود يا اجمع لامور لا يشذ عليه منها شيء متمكنا منها حسن السياق
لها منه صلى الله عليه وسلم ومثله حديث عايشة تصف عمر كان والله احوذيا
نسيج وحده اي متمكنا في اموره حسن السياق لها ولا ارضى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وروى احمد والنساي والطبراني والبيهقي قال انا كنا اذا
حمي الوطيس تنور مربا ويروى اذا اشتد الباس واحمرت الحدق بغضب
ذويها الحاصل لهم من نوران دم القلب وغليانه وفي الحديث الغضب جمرة
في قلب ابن ادم الم تر الى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه اتقينا برسول الله صلى
الله عليه وسلم اي اتخذناه لنا وقاية من العدو والفعل اتقى يتعلب واوه يا لكسر
ما قبلها تا وادغمت قال علي ولقد رايتني بضم تا التكلم اي رايت نفسي وغيري
يوم بدر ونحن نلوذ اي نستتر ونحتمي ونلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم

الحال م

الكفها

وفي الحديث اللهم بك اعوذ وبك الوذ وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس
يومئذ اي اشدهم مطلقا باسا وهذا من علي بيان صدق بكونه صلى الله عليه وسلم
اشجع الناس فسبحان المانح وفي حديث الشيخين لقد فزع هو في الاصل الخوف ثم استعير
للاستغاثة والنصر اي استغاث اهل المدينة ليلا فانطلق الناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا واستبرا الخبر اي تعرف حقيقته
وسببه على فرس حال من ضمير راجعا اي مستعليا عليها عري لا سرج عليها والسيف
متقلد به في عنقه وهو يقول اي قايلا لن تراعوا بمكروه يصيبكم وروى ابو
الشيخ في الاخلاق قال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتيبة بمثناة فوقية اي جماعة عظيمة من الجيش وفي حديث السقيفة عن انصار
الله وكتيبة الاسلام الا كان اول من يضرب فاوليته الضرب مقصورة عليه
لا تتخطاه الى غيره فهو من قصر الصفة على موصوفها والا لزم ان لا يجاوزها هو الى
غيرها لعدم انحصار صفاته في الضرب في الحرب فقط الا ان تخص الاولية بقتال الكتيبة
فتكون من قصر الموصوف على صفته وروى ابن سعد والبيهقي وعبد الرزاق مرسلا
والواقدي موصولا لما راه صلى الله عليه وسلم ابي بن خلف يوم احد وهو يقول
حال من ابي اي قايلا ابن محمد لا نجوت ان نجا دعى على نفسه فاجابه الله فاهلكه
وتحتية صلى الله عليه وسلم وكان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى
نفسه باعطاية الفدية عنها يوم بدر متعلق بافتدى وظرف لقوله عندي فرس
اعلفها كل يوم فرقا بفتح الفا والراء كيل يسع ثلاثة اصع كل صاع ثلاثة امداد
كل مد رطل وثلث من ذرة اقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا
اقتلك ان شا الله وقد نال هواه بصدق متمناه وقوله ان شا الله امتثالا لقول
ربه ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله وهذه جملة اعتراضية بين لما
وما دل على جوابها من افادة صدورها في بدر ورويته له في احد واوردهما بقوله
مضارعا بعد ان كان ماضيا ذهابا لاحضاره في ذهن السامع صورة قوله له ذلك
طالبا منه مشاهدتها وتعجيبا من تلك الصورة الكاذبة مع الجراة والوقاحة فلما
راه يوم احد شد على فرسه جواب لما الثانية دالا على جواب الاولى اي حمل مستعليا
عليها بقوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه اي حال بين ابي وبينه
صلى الله عليه وسلم رجال من المسلمين يصدونه فقال صلى الله عليه وسلم
هكذا خلوا طريقه اي تنحوا عنها ولا تحولوا بيني وبينه وتناول اي اخذ الحربة
من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا من الطيران اي تنحوا
عنه شبه التنحي بالتطاير مدخلا له في جنسه بجامع الانفصال بسرعة الا انه
في الطيران اقوى منه في التنحي ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر

اصلبه

ويأتي في [illegible]

اصلبه وفي الفعل نبعته فتطاير الشعر بفتح المعجمة وسكون المهملة اي كتطاير
ذباب احمر او ازرق يقع في الحيوان فيوذيه اذى شديدا وفي رواية ناوله كعب
بن مالك الحربة فلما اخذها انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعارير عن
ظهر البعير اذا انتفض فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه طعنة تدردى
اي سقط وفي نسخة تداد اي تدحرج وقيل مال منها عن فرسه مرارا لما غشيه
من شدة الالم ما غشيه وقيل كسر ضلعا من اضلاعه فرجع الى قريش يقول اي قايلا
قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك وفي نسخة عليك والجملة حالية من ضمير يقولون
فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك ان شا الله والله لو
بصق علي لقتلني فمات لسرفه في الكفر بسرف بفتح اوله وكسر ثانيه مكان على
ستة اميال من مكة في قفوله اي رجوعه من احد الى مكة وبالجملة فكان صلى الله عليه
وسلم اشجع الناس بشهادة يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين حيث كلفه صلى الله عليه
وسلم بجهادهم وان استعان باصحابه اذ هو الاصل ولم يتبع له مع ما ورد من ذوتا
بجلالة قوته من اتقايهم به اذا حمي الوطيس واعطايه قوة ثلاثين رجلا فصل واما
الحيا لغة من الحياة بالمد استحيا يستحيي واستحا يستحي واصل استحى استحيت
نقلت حركة يايه الاولى الى الحا فحذفت لالتقايها ساكنتين واما الاغضا لغة
فهو ارخا الجفن الى حيث يقارب الانطباق فكان صلى الله عليه وسلم منها بغاية
امد عن الوهم متباعد فالحيا رقة تعتري اي تغشى وجه الانسان من عراه
يعروه اذا غشيه عند ارادة فعل ما يتوقع كراهته فهي حالة وسطى بين الافراط
هو الوقاحة والجراة على القبايح والتفريط هو عدم المبالاة او هو انقباض يعتري القوة
الحيوانية فيردها الى ...... ويكون تركه خيرا من فعله واذا وصف به ربنا وله المثل
الاعلى كما ورد سنة وقرانا فالمراد به الترك اللازم للانقباض والاغضا التغافل
فل
عما يكره الانسان بطبيعته وتخرج ما يكره شرعا اذ هو الداعي الى النصح والتي
النصيحه وكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس حيا واكثرهم عن العورات
اغضا وحيا واغضا مميزا نسبة اشد واكثر حولا عن كونهما اسمي كان للاغراق
والمبالغة في وصفه بهما اي كان حياوه اشد واغضاوه اكثر من حيا واغضا
غيره واثر الحيا بالاشدية لكونه سببا للاغضا والسبب اقوى من مسببه
لكونه منشاه قال الله ان ذلكم اي مكثكم في بيته مستانسين لحديث بعضكم
بعضا كان يوذي النبي فيستحيي منكم اي من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق اي
لا يتركه اذ هو غاية الحيا يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حيا كما لم يتركه الله
ترك الحي فامركم بالخروج وكذلك به شاهد تاديبا للثقلا فاذا طعمتم فانتشروا
هذا وقد اسنده هنا من طريق البخاري شاهدا لما ذكر كان النبي صلى الله عليه وسلم

لعل بكسر اوله وفتح ثانيه

اشد حيا اي حياوه اشد من حيا العذرا هي التي لم تزل عذرتها اي جلدة بكارتها
في خدرها حال من العذرا افادت وصفه صلى الله عليه وسلم بكمال الحيا
اذ كونها فيه موذنا عادة بانها اشد حيا من غيرها وبذها به عادة بكمال لطافة
وكان اذا كره شيا عرفناه في وجهه اي عرفنا انه كرهه بتغير وجهه
من غير ان يتكلم به وكان لطيف البشرة لعلة لمعرفتهم كراهته للشي
بادني تغير في وجهه رقيق الظاهر اي لينا سهلا لا يشافه اي لا يكلم احدا
مواجهة بما يكره حيا وكرم نفس مفعول من اجلهما ترك المشافهة لما اودعه
من كمال الحيا ودونوا الرقه وناهيك بهذا مدحا للحيا ومن ثم قال صلى الله
عليه وسلم هو خير كله ولا ياتي الا بخير وجعله شعبة من الايمان وعن عايشة
فيما رواه ابو داود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن
احد ما نكره موصوفة اي شي يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا
استدراك افاد ان من شانه انه لا يشافه احدا معينا حيا منه بل يقول
منكرا عليه ذلك ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا اشارة الى ما انكره
بنهي عنه ولا يسمي فاعله تصريح بالنهي المفهوم من انكاره الفعل وبعد
التعيين المفهوم من نفي عايشة بال فلان تاكيدا لهما وروى انس كما في ابي داود
انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيا حتى قام وكان لا يواجه
احدا بما يكره عله لترك قوله شيا لترتبه عليه اذ ترتب الحكم على الوصف
مشعر بعليته له فلما خرج الرجل من عنده قال صلى الله عليه وسلم لو قلتم له
يغسل هذا الاثر الذي به فلو هنا للاسناد الى الفعل وحذف جوابها لتذهب
النفس كل مذهب ممكن وقالت عايشة في ما رواه الترمذي من الحديث
الحسن الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا اي ليس ذا الفحش في
كلامه ولا متفحشا اي ولا متكلفا ومتعمدا له ولا سخابا اي لا يرفع صوته
بكثرة الصياح بالاسواق لحسن خلقه وكرم نفسه وشرف طبعه ونفي ذلك عنه
اذ قد نفت عنه الفحش طبعا وتكلفا والسخب بما هو جدير بفرط اجتماع الناس
بحيث لا ينفذ فيها الصوت الا بالصياح وان كان المفهوم من المبالغة نفي كثرته
الذي لا يلزم منه نفيه لوروده في مقام لا يكون فيه مدحا الا بنفيه من اصله
ولا يجزي بالسيئة مثله السيئة التي اعترضته من غيره امتثالا للامر به بقوله
ادفع بالتي هي احسن اي بالحسنة فوضع احسن موضعها للمبالغة ولكن يعفو
ويصفح شفع عدم مجازاته بالسيئة السيئة بهذا الاستدراك دفعا لتوهم
لزوم الصفح لعدمها وروي عنه صلى الله عليه وسلم كما في الاحيا ولم يعرفه
العراقي انه كان من حيايه لا يثبت بصره في وجه احد ناظرا اليه لشدة حيا

منام

حوابه عملا ان يكون بهوما والعدد ثم قبالمكان الاعلى ويحمل على ماحمل ان يكون ميصف به

يعتريه من الحيا ومن المعلوم من احواله واقواله انه كان يكنى عما اضطره اي الجاه
الكلام اليه مما يكره استهجانا للتصريح به وتاسيا بربه في نحو او جا احد منكم من
الغايط فانوا حرثكم اني شيتم ومنه قول عايشة ما رايت منه ولا راى مني يريد
العورة وعن عايشة ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط تاكيد
لنفي دونها في جهه فضل واما حسن عشرته اي مخالطته واداله بجوز رفعه
عطفا على المضاف الاول وجره على المضاف اليه وكذا بسط خلقه مع اصناف
الخلق اي سعته لهم ووفور ليتوصل به الى انقيادهم اليه مذعنين ودخولهم
في دين الله افواجا شبه خلقه بذي سعة على جهة الاستعارة بالكناية ثم
اثبت له ما هو من خواص المشبه به اعني البسط تخييلا فبحيث انتشرت
اي كثرت واشتهرت به اي بما ذكر الاخبار الصحيحة كخبر الترمذي في شمايله
قال علي في وصفه بما منحه من الصفات الحميدة كان اجود الناس صدرا
اي قلبا اطلق عليه مجازا مرسلا علاقته المحليه وفي رواية اوسع الناس
صدرا الا يمل ولا يتضجر مما يرد عليه من احواله واخلاقهم افعالا واقوالا الا انهم
واصدق الناس لهجة اي لسانا من لهج به اذا ولع به ارادة به الكلام اطلاقا
لاسم الالة على ما تصدر عنها مجازا مرسلا ووضع المظهر موضع المضمر
لزيادة التمكين والينهم عريكة اي اسهلهم طبيعة سلسا هينا منقادا مطواعا
وقال به بينة صدق على ذلك ما اسنده هنا من طريق ابي داود عن قيس
بن سعد بن عباده زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان من عادته
يتعهد اصحابه وحسن العهد من الايمان فلما اراد الانصراف قرب له سعد
حمارا لتركبه قد وطا عليه بقطيفة اي كساء له خمل فركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحبه فقال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم اركب فابيت حيا منه وتعظيما له فقال اما ان تركب واما ان
تنصرف فانصرفت وفي رواية اركب امامي فصاحب الدابة احق بصدرها
علة للامر بركوبه امامه وارشادا الى ان الاحب تقديم صاحبها في الركوب
وفي رواية فصاحبها اولى بمقدمها ومن حديث هند بن ابي هالة كان صلى الله
عليه وسلم يولفهم اي بالتودد والتحابب ولا ينفرهم اي بالتباغض
والتنافر ويكرم كريم كل قوم من عطف الخاص على العام اذ هو نوع من
التالف ويوده بالذكر لفضله وليوتي كل ذي فضل فضله ويوليه اي يجعل
كريم كل قوم واليا عليهم ويحذر الناس اي يتحفظ ويستعد لهم اذ الحزم كما
قال صلى الله عليه وسلم سوء الظن ويحترس اي يتحفظ منهم من غير ان
يطوي عن احد بشره ولا خلقه اي لا يكف عن احد طلاقة وجهه ولا

عا

دل ... عطفا الخاص ... على العام ... لتبعيض ... الكريم

... الحزم ... على ...

خلقه كانت لهما الطي كناية عما شبهها به مما شأنه ان يطوى وفاتني ادخال
لا زائدة على تأكيدا لنفي ما في غير من معناه ويتفقد اصحابه بزيارتهم والسؤال
عنهم تكرمة لهم وتوددا اليهم ويعطي كل جلسائه نصيبه من التفاته
اليه ومحادثته وتعليمه بطلاقة وجه وبشاشة ونحو ذلك لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه لما يناله من انواع الاكرام وحذرا مما يفضي لو اكرم
بعضا دون بعض الى التحاسد والتباغض والتدابر وقد قال لا تحاسدوا
ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا من جالسه او قاربه لحاجة صابره اي انتظر
منتصبا حتى يكون هو المنصرف عنه غاية لتصبره اي الى ان ينصرف ذلك
المجالس له من تلقاء نفسه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها حيث تعذر او برده
بميسور من القول وعدا وغيره لمانع اقتضاه على طريقة منع الخلو اي لا يخلو حاله
عن احدهما اذا سئل قد وسع الناس بسطه جودا ورحمة وحلما ومغفرة
وسلما ووسعهم خلقه اي طبعه وسجيته كالمكان الرحب وحقيقته انه لصورة
الانسان الباطنة اي نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها كالخلق لصورته
الظاهرة واوصافها ومعانيها وقد مر لهذا مزيد بيان ومر قول عائشة كان
خلقه القرآن اي كان متمسكا بادابه واوامره ونواهيه وما فيه من مكارم ومحاسن
فصار لهم ابا حنوا ورحمة وشفقة وصاروا عنده في الحق سواء لعصمته من الاغراض
النفسية الحاملة على الهوى لهذا الذي ذكر وصفه ربيبه من خديجة هند
بن ابي هالة فقال وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر اي طلق الوجه متهلل الوجه
سهل الخلق بمعنى اللا صعبه باستقامة فطنته وصفاء خاطر وسلامة فطرته
وعقل وافر لين الجانب بمعنى اللا شديد بهم ليس بفظ بمعنى اللا سيء الخلق
واللا شرسه ولا غليظ بمعنى اللا جاف ولا صخاب وروي بالصاد كلاهما
بمعنى اللا صياح ولا فحاش في اقواله وافعاله والفحش كلما اشتد قبحه من الذنوب
والمعاصي ولا عياب على احد ما يفعله من مباح فان كان حراما او مكروها
نهى عنه من غير تعيين وتأنيب ولا مداح لاحد بما يؤدي الى اطراء وقد
قال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم هذا وانظر الى كل صيغة مبالغة
عراها نفي في مقام مدح كلها هنا تجد انفهم والذوق شاهد صدق بتوجهه
الى اصل الفعل وقلعه من سنخه وان كان الظاهر توجهه الى الزيادة عليه
فقط يتغافل عما لا يشتهي قولا او فعلا مما يترتب عليه اثم اذ لا يقر على
مثله ولا يؤيس منه اما بني لمفعوله وضمير منه له صلى الله عليه وسلم
اي والحال انه تغافل عنه لا ييأس احد منه صلى الله عليه وسلم بحيث
لا يؤدي تغافله الى كراهته او للفاعل والضمير لما تغافل عنه اي والحال انه

لا يؤيس من نفسه احدا وبما تغافل عنه احدا تبعا فله عنه بحيث لا يكون كذلك
وقد قال الله فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة فما مزيدة للتأكيد وقد
مر له فضل بيان اغنى عن اعادته فاعف عنهم اي اصفح عنهم ولا تواخذهم امره
بما يورث تألفهم وطواعيتهم له وانقيادهم اليه وشاورهم في الامر
فيه ايذان بجواز ميتا وردا لا كبرا لا اصغرا استعطافا وتطييبا له وقال ادفع
بالتي هي احسن السيئة اي اصفح عنها وقابلها بالحسنة التي هي احسن مطلقا
او بما يمكن ان تقابل به من الحسنات ما لم يؤد ذلك الى مداهنة في الدين
وانما اخرج مخرج الاستيناف مع كونه جوابا لمقدر نحو كيف اصنع لا بلغيته
من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على الافضلية وهذا من اكمل
تربيته بمكارم الاخلاق واحاسن الافعال وروى ابن سعد انه مرسلا كان
يجيب من دعاه تألفا له وجبرا لخاطره وليقتدي به غيره وروى البخاري
انه كان يقبل الهدية تفاديا من التباغض والتقاطع بالتحابب والتواصل
ولو كانت اي الهدية كراعا بضم اوله وهو ما دون الكعبة من ساق الانسان
وما فوق حوافر الخف والظلف والحافر من غيره ولو هنا كهي في مثل تصدق
ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس ولو خاتما من حديد
للتقليل ويكافي وللبخاري ويثيب عليها ليستن به غيره والمكافاة في
الاصل المماثلة وفعله صلى الله عليه وسلم كان يكافي باكثر لسببها دة ما مر
عن بنت معوذ بن عفراء وروى الشيخان قال انس خدمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين بعد الهجرة فما قال لي اف اي قبحا وتبا
متضجرا في اذ هو صوت المتضجر اذا رأى ما يكره قط تأكيد لنفي التأفيف
وقد مر لهذا مزيد بيان وروى ابو نعيم في دلائل النبوة بسند واه عن
عائشة ما كان احد احسن خلقا تمييز للنسبة احسن من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا دعاه احد من اهل بيته الا
قال لبيك لكمال ادبه وحسن تواضعه وقد قال ادبني ربي فاحسن تأديبي
ولبيك لم يستعمل الا بلفظ التثنية بمعنى التكرار اي اجابة بعد اجابة نصب
على المصدر بعامل محذوف وروى الشيخان عن جرير بن عبد الله البجلي انه
ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عنه منذ اسلمت ولا رآني الا
تبسم تعجبا من ذاته وانقياده للاسلام مع كونه سيدا مطاعا كبير القدر
عريض الجاه بديع الجمال وقد بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم له رداءه
اكراما له وكان صلى الله عليه وسلم يمازح اصحابه ويخالطهم ويحادثهم
تأنيسا لهم وتواضعا وجبرا لقلوبهم مع كمال البشر وطلاقة وجهه وبداعة

ما حجبني ٥

صبيانهم اي بما زحهم وقد قال لجابر وهلا بكرا تداعبها وتداعبك ويجلسهم
في حجره تالفا لهم وتطييبا لقلوب ابائهم ويجيب دعوة الحر والعبد والامة
والمسكين هذا وابلغ التواضع مع جلالة قدره ورفعة محله وسيادته
الاولين والاخرين ويعود المرضى ولو كانوا في اقصى المدينة ويقبل عذر
المعتذر وفي الحديث انه قبل عذر من تخلف عن غزوة تبوك ووكل سرائرهم
الى الله اذ كان من تمام المروة واخذا للعفو وتركا للمؤاخذة وروى ابو داود
والترمذي والبيهقي قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي ما جعل احد اذنه محاذية لفمه ليحادثه فينحي رأسه في حكم المستثنى
اي الا فيستمر ملقيا له اذنه حتى يكون الرجل ينحي رأسه غاية لتركه ينحي رأسه
فجعل اذنه كاللقمة لفمه فاستعار لها اسمها استعارة تحقيقية ثم قرنها بالتقم
ترشيحا للمجاز او تشبيه جعله اذنه محاذية لفمه باللقم مدخلا له في جنسه
ثم اشتق منه التقم فهو تبعية للاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت منه
الى الفعل تبعا وما اخذ احد بيده فيرسل يده من وضع الظاهر موضع
المضمر اي الا استمرت في يد آخذها حتى يرسلها الاخذ غاية لترك ارسالها
الى ان يرسلها هو ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له من جلسائه تواضعا منه
وتادبا وحسن معاشرة لهم ومن حديث ابن ابي هالة وكان يبدأ من لقيه
بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة مفاعلة من الصاق الكف بالكف
واقبال الوجه على الوجه عند اللقاء وروى ابو داود عن ابي ذر ما لقيته قط
الا صافحني اي الصق صفح كفه بكفي وروى الدارقطني في غرائب مالك
ووهاه لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه حياء منهم وتواضعا واكراما لهم
حتى يضيق كالعلة لتركه مدهما اي يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على
احد من جلسائه يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه تفصيله عما قبله
حذرا من توهم كونه مما قبله ويؤثره اي يقدمه على نفسه ويفرده بالجلوس
على الوسادة اي المخدة التي تحته اجلالا له وتكريما ويعزم اي يجد ويؤكد عليه في
الجلوس عليها ان ابى الجلوس عليها ويكني اصحابه من كنى يكني ويكنو اعرابا كذا
روي عنه لما في الكنى من اخفاء وجه التصريح وكذا مقلوبه تعوت تكني عدوه اذا اوصل
اليه مضارا من حيث لا يشعر ومنه تكاياتا لزمان لجراحاته الملمه تجنيه من
حيث لا يشعرون اي يجعل لاصحابه كنى كابي فلان وابن فلانه وام فلان ويدعى فلان
سميت كنى لما فيها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو مؤذن باستحباب
الكنى ولهذا زيادة بيان في شرح كتابنا مقاصد المقاصد ويدعوهم باحب
اسمائهم ولا ينبزهم بما يكرهون تكرمة لهم مفعول لاجله دعا وسما ابا هريرة

ولا يقطع على احد اي مع احد انه مع تحدث حديثه حتى يجوز غاية لترك قطعه حديثه اي
الى ان يخرج منه الى ما لا يليق فيقطعه بنهي عنه زجرا له او قيام اعراضا عنه
وهو مفيد لنهيه عنه اذ لا يقر على مثله ويروى كما في الاحياء انه كان
لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ
عاد الى صلاته قال العراقي لم اجد له اصلا وحديث عبد الله بن الحارث
هشام رواه احمد والترمذي بسند حسن وحديث انس بنحوه رواه
مسلم وفضل واما الشفقه اي الخوف وعن عبيدة بفتح عينه اتينا الحسن
فازدحمنا على مدرجة بيته فقال احسنوا ايها الموفون وما على البنا
شفقا ولكن عليكم اي وما اشفق عليه شفقا وانما اشفق عليكم والرأفة
والرحمة بجميع الخلق فدم الابلغهما تاسيا بكلام الله المجيد فقد قال
الله تعالى فيه صلى الله عليه وسلم مدحا له وتكريما لقد جاءكم رسول من
انفسكم عزيز عليه ما عنتم اي شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه
حريص عليكم ايمانا وصلاحا بالمؤمنين منكم ومن غيركم رءوف رحيم قدم
ابلغهما رعاية للفاصلة والمجرور لاختصاصهم برحمته في الدنيا والاخرة
وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اذ ما ارسل به سبب لاسعادهم
وصلاح معاشهم ومعادهم ان اتبعوه قال بعضهم فصله عما قبله
لاختلاف القائل قدما وحدوثا وصفات من فضله صلى الله عليه وسلم
اي مما فضله به على غيره ان اعطاه الله تعالى خلقه الرأفة والرحمة فيهما اسمين
اشتقا منهما وسماه بهما فقال بالمؤمنين رءوف رحيم وقد اسند
هنا من طريق مسلم الى ابن شهاب وفيه انه ذكر حنينا اي بستان غزوته
قال اي ابن شهاب فاعطى صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة
تالفا وشفقة عليه ورأفة به وابقاء له من النار اذ كان من ذوي رحمه
قال اي ابن شهاب ان صفوان قال والله لقد اعطاني ما اي شيئا كثيرا اعطاني
اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى انه لاحب الخلق الي لعلمه
انه دواء من داء الكفر ذلك لتتم اسلامه اذ الطبيب لما هو معالج
بما يناسب الداء وقد رأى ان داء المؤلفة حب المال والاحسان فداواهم
باكرم عطاء حتى عرفوا من نعمته الكفر نعمة الاسلام وروى ابو الشيخ
والبزار ان اعرابيا جاءه صلى الله عليه وسلم يطلب منه شيئا فاعطاه
ثم قال لا احسنت اليك استفهام تقرير اي حمله على الاقرار بانه احسن
اليه فقال لا ولا اجملت اي ولا اوصلتني جميلا قال ذلك جلافة وغلظة
ارهقت المسلمين غضبا عليه فقاموا اليه ليواخوه بما استحقه فاشار

غ

فه

قال الشيخ ... عنتم ... [illegible]

لعل من داء الكفر

لعله دواء

الظهران كفوا عند تشفقة عليه و رافة ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله
وارسل اليه وزاده ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله بسبب ما
احسنت الي به من اهل وعشيرة خيرا من تبعيضيه والجملة اعتراض
بين الفعل ومعموله ومحلها نصب على الاختصاص او على الحال اي اخصك من
بينهما او حال كونك منهما فقال له صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت
اي شيئا عظيما مستهجنا قبيحا قالت وفي نفس اصحابي من ذلك شي عظيم
اي في صدورهم عليك وقد وضع اسم الاشارة موضع المضمر بلوغا بحاله الى
سابق غير مشاهد بالبصر هو قوله القبيح مع كون الظاهر فيه الاضمار بعدله
الى اسمها الكامل العناية بتمييزه كانه يبصر سامعه ان هذا الحاضر المميز
المعين هو قوله العجيب قبيحا فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي حتى
يذهب بقولك ذلك لهم ما في صدورهم عليك قال نعم اي اقول لهم ذلك
فلما كان الغدا و العشي جا اي الاعرابي فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا
الاعرابي قال ما سمعتموه قال فزدناه فزعم انه رضي كذلك اسمعهم ايضا تقرير
اي حق ما قلت عنك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال صلى الله
عليه وسلم مثلي ومثل هذا المثل في الاصل النظير ثم استعمل في القول السائر
الممثل مضربه بمورده اي موضع ضربه بموضع وروده فالمورد هو الحالة الاصلية
ورد فيها الكلام كحالة المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة كحالة المستوقد
نارا ولا يضرب الا ما فيه غرابة زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في
النفس واقمع للخصم ويريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ثم استعير لما له
شان عجيب وفيه غرابة من حال او صفة او قصة نحو مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا ولله المثل الاعلى مثل الجنة التي وعد المتقون اي شبهي وشبهه العجيب
الشان مثل اي شبه رجل له ناقة شردت عليه اي نفرت وذهبت في الارض
وفي حديث خوات بن جبير انه صلى الله عليه وسلم قال له ما فعل شراد جملك تعريضا
له بقصة ذات النحيين في الجاهلية يعني لما قضى وطره منها شرد خوفا كذا
قاله الهروي والمروي عن خوات انه قال نزلت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبنني فاخرجت حلة من عيبتي
فلبستها وجلست اليهن فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبته فقلت
يا رسول الله جمل لي شرود وانا ابتغي له قيدا فمضى وتبعته فالقى الي رداه
ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضا ثم جا فقال يا ابا عبد الله ما فعل شراد جملك
ثم ارتحلنا فجعل كلما لحقني قال السلام عليك يا ابا عبد الله ما فعل شراد جملك
فتعجلت المدينة فتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك علي فتحينت خلو المسجد

ثم

ثم دخلته فطفقت اصلي فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت
رجا ان يذهب عني فقال طول يا ابا عبد الله ما شئت فلست ببارح حتى
تنصرف فقلت والله لاعتذرن اليه فانصرفت فقال السلام عليك يا ابا عبد
الله ما فعل شراد الجمل فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ
اسلمت فقال رحمك الله مرتين او ثلاثا ثم لم يعد فاتبعها الناس فلم يزيدوها
الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي اي اتركوني وهي فاني ارفق
بها منكم واشفق عليها واعلم بحالها منكم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها
من قمام الارض جمع قمامة وهي في الاصل الكناسة اريد بها هنا ما تحققه
من المرعى قبا كله شبهه بالكناسات لخسته فاستعار له اسمها فردها حتى
جات واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها اي استقر عليها
جالسا واني لو تركتكم حيث اي حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار عقوبة له باسائته عليه صلى الله عليه وسلم اذ ليس له ان يوذيه فكانت
ملاطفته صلى الله عليه وسلم وزيادته له سببا لتوبته ورضاه فهو ارفق
به واعلم بحاله منهم وروي من طريق ابي داود والترمذي عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئا مما
ينكر فعله من اهم كان في اي وقت كان وهذه النكرات وردت في حيز النفي
متوشحة بنهي فعمت جميع الاصحاب والاوقات والاشيا مكروهة او حراما
بشهادة المقام اذ لا يتعلق بمباح وما دونه نهي فاني احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر مما يوغره كغيبة او نميمة ويورثه غضبا وتكديرا ومن شفقته
على امته تخفيفه عنهم اعبا التكاليف وتسهيله عليهم وكراهته لهم اشيا
مخافة ان تفرض تلك الاشيا عليهم ومخافة مفعول من اجله التخفيف والتسهيل
والكراهة وهذا حديث اجمالي ورد لكل ما يأتي بعده جمعا وتقسيما كقوله صلى
الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك
مع كل وضو لكني لم امرهم به فلم اشق عليهم فسنتيته تقتضي التالي لزمه
نقيض مقدمه واخذ من الحديث استحبابه في كل حال الا للصائم بعد الزوال
وتاكده في مواطن كتغير الفم وعند الوضو والصلاة وقراة القران ونحو
صلاة الليل لعله ما رواه الشيخان في قيام الليل خذوا من العمل
ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم
اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر الله فيسب نفسه وما رواه في حديث
عبد الله بن عمرو بن العاصي ونهيهم مصدر مضاف لمفعوله اي ونهيه اياهم فيما
رواه عن الوصال في الصوم وكراهته لهم فيما رواه ابو داود وصححه الترمذي

دخول الكعبة ليلا بعثت منه اي حذرا من ان يوقعهم في العنت اي المشقة
والضرر واصل العنت انكسار العظم بعد جبره ثم استعير لكل مشقة
وضرر ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه ان صدر منه شي منه لهم رحمة
ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه كان يسمع بكا الصبي فيتجوز
اي يتعجل في صلاته رحمة لهم وحذرا من ذهاب خشوع من صلى معه من
والديه ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه عاديه وعاهدتي
فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة اي طهرة ورحمة
ترحمه بها وصلاة غطف تفسيري اذ هي منه تعالى رحمة وطهورا تطهره
به وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة اي مما اعاده لما فيه من الزيادة ومن
شفقته لما كذبه قومه كما رواه الشيخان اتاه جبريل فقال ان الله قد سمع اي علم
بلا جارحة اذ لا يعزب عن علمه مسموع قول قومك لك وما ردوا عليك من
تكذيب وغيره وقد امر ملك الجبال لتامره اي من اجل ان تامره بما شئت فيطيعك
فيهم فناداه ملك الجبال باسمه او بما استحق له اسما من النبوة او الرسالة وسلم
عليه وقال مرني بما شئت طلبا لتعجيل المامور به رغبة في طواعيته ان شئت
طبقت عليهم الاخشبين جبلان بمكة قيل هما قعيقعان وابو قبيس وعن ابن
ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فقال بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم
من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا تاكيد لما قبله وبل اضرابه عما خير
فيه من اطباقهما وعدمه وروى ابن المنكدر من التابعين تحديثه مرسلا اذ لا مجال
للاجتهاد فيه ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله امر السما والارض
ان تطيعك اي تطاعنك تمرهما بما شئت حذف مفعوله لتذهب النفس كل
مذهب ممكن فقال صلى الله عليه وسلم اوخر عن امتي العذاب لعل الله ان يتوب
عليهم رافة بهم ورحمة ولا منافاة بين هذا الحديث وما قبله وبين قوله وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم لعلمه تعالى منه صلى الله عليه وسلم ان لا يختار ما يهلكهم فلا
تعذيب وهو فيهم ولا في تخييره اظهار شرفه حلما او احتمالا وشفقة وعفوا
ومكانة هذا وتسليطه عليهم انما كان بعد الهجرة والاية مكية فلما هاجر
الى المدينة نزل وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام اي
عن ان يطوف به غيرهم اذ كانوا يقولون نحن اولياء البيت فنصد من نشاء
ونترك من نشاء فنزل وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون وبه مر قول
الحسن وما كان الله ليعذبهم الاية منسوخة باية وما لهم ان لا يعذبهم الله
فلا اشكال وقال ابن مسعود فيما رواه الشيخان كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتخولنا بالموعظة بالمعجمة اي يتعهدنا من قولهم فلان خايل مال
ا

فلان اي يصلحه ويقوم به وقال ابو عمرو الصواب بالمهملة اي يتحرى الحال التي
ينشطون للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا ورواه الاصمعي
ويتخوننا بالنون اي يتعهدنا مخافة السامة اي الملل والضجر علينا مفعول
لاجله التخول اشفاقا عليهم ورفقا بهم وحذرا من مللهم موعظته فيعنتا بموعظة
العنت فيهلكون فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفا اي القيام
بمقتضى الوعد وحسن العهد اي الحفاظ ورعاية الحرمة وصلة الرحم اي
الاحسان الى ذوي قرابته واصهاره والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية
لاحوالهم على ما مر فكان منه بما وسع الخلايق رافة وحلما ومرحمة وسلطان
لشهادة ما اسنده هنا من طريق ابي داود الى عبد الله بن ابي الحمسا بمهملتين
بينهما ميم ساكنة قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث
وبقيت له بقية اما من الثمن او المثمن فواعدته ان اتيه بها في مكانه الذي
صدر فيه البيع او غيره فنسيت ان اتيه بها ثم ذكرت بعد ثلاث لم يلحق بعد
الثاء حذف مميزه الذي هو ايام فجئته فاذا هو اي فاجاني كونه صلى الله
عليه وسلم في مكانه مكان الوعد فقال يا فتى لقد شققت علي انا ههنا منذ
ثلاث اي ايام انتظرك لتاتيني فكان صلى الله عليه وسلم هو الموفي بعهده
ويكفي الموفي به مدحا قول من علت كلمته والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وروى
البخاري في الادب المفرد عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية قال
اذهبوا بها الى فلانة لا اعرف من هي فانها كانت صديقة لخديجة
ظاهره العموم في الافعال والاوقات والازمان ولعله كان اكثريا وفيه
الحث على البر والصلة وحسن العهد وروى الشيخان عن عايشة ما غرت
على امراة ما غرت اي كغيرتي على خديجة لما كنت اسمعه صلى الله عليه وسلم
يذكرها علة لغيرتها وان بالكسر مخففة من الثقيلة مثل وان كانت لكبيرة
اي وانه كان ليذبح الشاة فيهديها الى خلايلها جمع خليلة اي صديقتها
واستاذنت عليه اي طلبت الاذن في الاتيان اليه اختها اي اخت خديجة
هالة بنت خويلد ام ابي العاصي بن الربيع زوج زينب بنته صلى الله عليه
وسلم فارتاح لها اي مال اليها بنشاط قلب وطلاقة خاطر وسهولة
وجهه وطمانينة نفس ودخلت عليه امراة فهش لها اي فرح وانبسط
وارتاح لها واحسن السؤال عنها اذ لم يعرفها اولا فلما خرجت قال انها
كانت تاتينا ايام خديجة سود رعاية فقد قامت بينة على عذرها
في الغيرة على خديجة ثم ذكرت ما انسها وسكن خاطرها اعني قوله صلى الله
عليه وسلم وان حسن العهد من الايمان ايذانا بان ذلك انما كان لحق الايمان

مقابل الوفا الغدر والنقض

اي بعد قوله بعثت ... قبل ان يبعث ... التي هي ... الطاعة ... قبل ان ... وبقيت له بقية ... وقوله بايعت ... كلام ... وكمن ... ومصطلح الفقه ... فقوله ... الثمن ... قرائب ...

... الوعد على زمان ... الزمان ... اللهم ... البيع ... فيحتمل ... ما ... صلى الله عليه وسلم ... والسلام ...

د وصفه صلى الله عليه وسلم لبعضهم فقال لكن لهم رحم ابلها ببلالها اي احسن
الى الاقربين من ذوي نسبه واصهاره وتعطف عليهم ويرفق بهم ويراعي
احوالهم وان بعدوا واساوا من غير ان يوثرهم اي يفضلهم ويفردهم
بشي على من هو افضل منهم ايضا فمنهم من ينزل لكل ذي فضل منزلته اذ
الفضل انما هو بالعلم والتقوى لا بمجرد شرف النسب اذ لا يفضل احاد
قريش واحاد بني هاشم وغيرهم على عالم من علما الدين يرفع الله الذين
امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكذلك
بحاكما باستحباب صلة الرحم وان كانوا مفضولين وتقديم الافضل على
الاقارب والبر والانصاف وروى الشيخان قال صلى الله عليه وسلم ان ال
ابي فلان هو كما مر ابو العاصي بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه
الراوي حذرا من ال بني امية اذ كانوا خلفا ليسوا لي باوليا حتى اوليهم انما
ولي الله وصالح المومنين غير ان لهم رحما اي قرابة سابلها ببلالها بفتح بايه
الثانية وكسرها جمع بلل اي انديها بمعنى اصلها في الدنيا ولا اغني عنهم من الله
شيا بصلتها اطلاق البلال على الصلة كاليبس على القطيعة لان بعض الاشيا
لما كان يختلط بالنداوة ويتفرق باليبس استعير البلل لمعنى الصلة واليبس
لمعنى القطيعة فشبه الرحم مفتقرة الى الصلة بارض عطشا محتاجة الى الغيث
على طريقة الاستعارة المكنيه واثبت لها البل تخييلا وفي الحديث بلوا ارحامكم
ولو بالسلام وقد روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم صلى بامامة ابنة ابنته
زينب بنت ابي العاص بن ربيعة بن عبد شمس يحملها على عاتقه في موضع الحال
من امامة او من ضميره صلى فاذا سجد وضعها واذا قام حملها بيان لكيفية صلاته
بها قال الخطابي واسناد وضعها وحملها في كل خفض ورفع منها اليه مجاز لانه يشغله
عن صلاته وانما كانت لعدد الفته وانست به فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها
فتبقى محموله الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد فعلت كذلك هذا وظاهر
قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها يأباه اذ لا قرينة صارفة الى المجاز وقال ابن
بطال كان في صلاة نافلة ونقله اشهب عن مالك ورده النووي بما رواه ابن
عيينة عن ابي قتادة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الناس وامامة
بنت ابي العاصي على عاتقه وبنصره رواية ابي عنه قال بينا نحن ننتظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم للصلاة الظهر او العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه
فقام في مصلاه وقمنا خلفه قال النووي وزعم بعض المالكية انه منسوخ
قال ابن دقيق العيد وروي عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ بتحريم العمل
في الصلاة بقوله صلى الله عليه وسلم ان في الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر

عند

عند قدوم راويه عبد الله بن مسعود من الحبشة وقدوم زينب بامامة
كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره عن مالك ان حملها كان لضرورة دعت
اليه اذ لم يكن من يتعهدها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد اشق واشغل
عليه من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به قال النووي هذه
كلها دعاوي مردوده لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث نص في
جواز ذلك صحيحا ليس فيه ما يخالف قواعد الشرع وما في جوفها من نجاسة
معفو عنه لكونه في معدته وثياب الاطفال واجسادهم على طهارتها
وادلة الشرع شاهدة بان هذه الافعال لا يبطلها هذا وانما فعل ذلك
تشريعا بيانا للجواز وقد افاد ان لمس المحارم لا ينقض وضوا والعمل اليسير
لا يبطل صلاة وكذا كثير من تفاصيله وروى البيهقي عن ابي قتادة وقد
وفد اي ورد وارسلا للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
بنفسه تواضعا منه وارشادا فقال اصحابه نكفيك اي خدمتهم
فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافيهم اي اجازيهم مثل
ما فعلوا معهم احسانا وروى ابن اسحق والبيهقي انه جي بالبناء لمفعوله
باخته من الرضاع الشيما بمعجمة ويقال بزيادة مثناه تحتيه بيان للاخت
في سبايا هوازن من بني سعد بن بكر وتعرفت له جملة حالية اعتراضيه
بين لما وجوابها بسط لها رداه اجلالا واكراما وحسن عهد ومكافاة لها اذ هي
التي كانت تربيه مع امها حليمه وقال مخيرا لها ان شيت فانت عندي مكرمه
محببه او متعتك مما تحسينا ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها
وقد قيل ان هي وابواها واخوها بسعادة الاسلام كذا قيل وروى ابو داود
بسند صحيح قال ابو الطفيل تصغير طفل عامر بن واثلة الكناني اخر من مات
من الصحابه رايت النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة يقسم لحما اذ اقبلت
امراة اذا ما ظرف لاقبالها مفاجية او بمعنى قد اي باية وانا غلام قد
اتيالها او مفاجاتها او قد اقبلت حتى دنت منه فبسط لها رداه فجلست
عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته صلة لها وادبا وتواضعا
وكفاك به حاكما بقبول الرواية في الصغر وروى ابو داود مرسلا عن عمرو بن
السايب انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما
فاقبل ابوه من الرضاعة هو الحارث بن عبد العزى فوضع له بعض ثوبه
فقعد عليه ثم اقبلت امه اي من الرضاعة الطيما حليمه اذ هي اشهر
مرضعاته فوضع لها شق ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل
اخوه من الرضاعه فقام فاجلسه بين يديه اجلالا لاهم وتكريما وارشادا

قوله اي كافيهم لا يمكن كل المكافاة الا بالمكافاة والمماثلة
وحقيقة المكافاة [illegible]
[illegible]
اولاد [illegible]
[illegible]
[illegible]
الله عليه وسلم [illegible]
وهذا الحديث [illegible]
[illegible] فتنبه

وقع النزاع في اسلام حليمه
[illegible] على اسلامها

وتكرّما لاقتفا سنته و روى ابن سعد عن الواقدي عن غير واحد من اهل العلم ومن طريق ابن الجزري عن الزهري مرسلا كان يبعث الى ثويبة مولاة عمه ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة وقال بهذا غاية في البر والصلة وحسن العهد وهذا وابيك ه الكرم فلما ماتت سال من بقي من قرابتها فقيل لا احد بقي منهم وفي الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سال عنها وعن ابنها مسروح فقيل ماتا وفي حديث خديجة الذي رواه الشيخان انها قالت له صلى الله عليه وسلم ابشر فوالله لا يخزيك الله من الخزي اي لا يهينك ولا يفضحك ولمسلم لا يحزنك من الحزن وقد ورد ماضيه ثلاثيا او رباعيا اقسمت على ما لاح لها منه من ملابس النجابة ونفائس الاصابة ومكارم السيادة وكرائم السعادة مما منحه من صفات الكمال بانه لا ينسام ضيما ولا يلام وهما ابدا انك لتصل الرحم علة لبشارتها اياه اي تحسن الى اقاربك بما امكن من مال وخدمة وزيارة وسلام ونحو ذلك من انواع الصلات والمبرات وتحمل الكل اي الثقل من كل ما يتكلف له كالعيال كما مر وتكسب المعدوم ان كان مما يتعدى الى مفعول واحد مثل كسب مالا فمرادها انك تصل الى كل معدوم وتناله فلا يتعذر عليك وان بعدا والى اثنين فمرادها انك تعطي الناس الشيء المعدوم وتصلهم به وهذا اولى اذ هو من باب الانعام والتفضل ولا انعام فيما يكسبه الانسان لنفسه بل فيما يوليه غيره فباب الحظ والسعادة في الاكتساب غير باب الانعام والتفضل وتقري الضيف بفتح التاء تقول قريته اقري بكسر اوله والقصر وبفتحه والمد وتعين على نوائب الحق احترازا عن نوائب الشر قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما ۝ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

والمعنى انك لا يصيبك مكروه ابدا لما اودعه من كريم الصفات وهو شاهد صدق بان نوائب الخير تورث السلامة من نوائب الشر والمكارم سبب لدفع المكاره ويجوز مدح الانسان في وجهه ما لم يكن بباطل او يؤدي اليه وعليه قصر حديث احثوا في وجوه المداحين التراب وبانه ينبغي تانيس من ادخل في نفسه خيفة وتبشيره باسباب السلامة وبجلالة خديجة وجزالة رايها اذ قد وصفته باصول المكارم للاجانب والمحارم

فضل واما تواضعه صلى الله عليه وسلم مصدر تواضع من باب التفاعل بزيادة التاء والالف وهو هضم النفس من المكانة المرضية الموروثة للمحبة من الله ومن خلقه على علو منصبه ورفعة رتبته تمثيل لتمكنه منها واستقراره عليها حال من علا اشبابا واقعد غاربه فكان اشد الناس تواضعا لشرف

قدره وكرم محله واعدمهم كبرا مبالغة في وصفه بعدم الكبر بصيغة منه اسم تفضيل والا فهو لا يصاغ الا من فعل وجودي اي بلغ من هذا الوصف الشيء مبلغا عظيما لا يشاركه فيه احد وتواضعا وكبرا تمييزا نسبة اشد واعدم محولا عن فاعلهما اسمي كان هنا للمبالغة في وصفه بهما لكونه خليقا بذلك وفي نسخة واقلهم كبرا والاولى اجود لافتقار الثانية الى حملها على نفيه من اصله لكونه في مقام مدح والا فالنفي في باب اسم التفضيل لا يتوجه الا الى الزيادة على اصله وحسبك مبتدا خبره الجملة بعده اي كافيك انه صلى الله عليه وسلم كما رواه احمد والبيهقي خير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا تباعدا عما هو من شان الملوك من التكبر والتكاثر والترفع عن الخدمة وذهابا الى ما هو من شان العبيد من التقلل في الدنيا وخدمة السيد والافتقار اليه فقال له اسرافيل فان الله قد اعطاك بما تواضعت اي بسبب تواضعك انك سيد ولد آدم جملة ان واسمها وخبرها محلها نصب لسدها مسد ثاني مفعولي اعطى يوم القيامة قيد سيادته به مع كونه سيدا مطلقا لظهورها فيه عيانا لكل احد ولا منازع وهو كقوله لمن الملك اليوم مع كون الملك له مطلقا لكن لما كان في الدنيا من يدعيه ويسنده الى نفسه مجازا قيد كونه له فيه لظهور انقطاع ذلك كله فيه وكمال به حاكما بافضليته على كل مخلوق منطوق واولويته وقفا على سنة تقلب واو ياء لكسر ما قبلها واول من تنشق عنه الارض للبعث فلا يتقدم لاحد عليه لعينا لاختصاصه به واما حديث فان الناس يصعقون اي يغشى عليهم غشية كالموت يوم القيامة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله فهذه الصعقة كما قال التوربشتي والمصنف صعقة فزع بعد البعث ويوم قوله يوم القيامة واول شافع يوم القيامة او في الجنة لرفع درجات الناس فيها تنبيه دل ظاهر حديث مسلم انا اول شفيع في الجنة وقد اقام شاهدا على تواضعه ما اسنده هنا من طريق ابي داود الى ابي امامة ورواه ابن ماجه عنه ايضا قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا حال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي متحاملا على عصى فقمنا له عقب خروجه علينا فقال عقب قيامنا له ناهيا لنا لا تقوموا كما تقوم اي كقيام الاعاجم يعظم بعضها بعضا حال مؤكدة لكون قيامهم انما كان للتعظيم والتفخيم فخرج القيام لاهل الخير والعلم احتراما واكراما لا ريا واعظاما

فانه مستحب بشرطه ذكره قوله صلى الله عليه وسلم للانصار حين اقبل سعد بن معاذ
قوموا لسيدكم وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد الحديث لما اعاده لكونه
هنا انسب مما تقدم وروى البخاري وغيره انه كان يركب الحمار ويردف خلفه من
اراد من اصحابه كالصديق وذي النورين والمرتضى ومعاوية وعبد الله
بن جعفر وزيد واسامة ومثنى حي وقيس وصفية وخولة ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد جبرا لقلوبهم ومحافظة على فعل
الخيرات وارشادا الى ان الله في كل خير جهة تحصيل وجهة ارشاد ومن حديث
هند بن ابي هالة كان يجلس بين يدي اصحابه مختلطا بهم لا يتخير مجلسا
يترفع عليهم فيه بل حيث ما انتهى به المجلس جلس تواضعا وارشادا
وفي حديث عمر من رواية البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني
اي لا تجاوزوا الحد في مدحي كما اطرت النصارى اي كاطراء النصارى المسيح عيسى
بن مريم حتى اخذ بهم اطراؤهم له الى ان زعموا انه ابن الله افتراء على الله قد ضلوا وما
كانوا مهتدين فالنهي انما توجه الى الاطراء المشابه لاطرائهم لا الى اصله اذ
المدح على الفعل الحسن والامر المحمود ترغيبا وتحريضا على التخلق بالخصال
الحميدة حسن بشرطه ذكره اقرانه خديجة على مدحها له واما حديث اذا رايتم
المداحين فاحثوا في وجوههم التراب فمحمول على المجازفين والكذب فيه
وروى مسلم عن انس ان امراة لعلها ام زفر قد وردت مرسلا انها كانت
صحابية وكان في عقلها شيء اي من جنون جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت له
ان لي اليك حاجة قال لها اجلسي يا ام فلان لم يعرفنا الراوي اسم ابنها فكنى
عنه في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك جواب شرط مقدر بعد الامر
اي ان تجلسي حتى اقضي حاجتك فجلست فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها علة
لجلوسه اليها تواضعا وملاطفة لها ويؤخذ منه استحباب الملاطفة بمن كان
به ذلك وروى ابو داود والبيهقي عن انس كان صلى الله عليه وسلم يركب
الحمار تواضعا وهضما لنفسه وتعليما وارشادا ويجيب دعوة العبد اي نداءه
اذ لا يملك شيئا يدعو اليه الا باذن سيده وكان يوم اي زمن غزوة بني قريظة
عقب غزوة الخندق على حمار مخطوم بحبل من ليف هو ورق النخل عليه اكاف
حال من ضمير مخطوم والاكاف بكسر الهمزة وضمها البردعة وتابعه بشدة
نونها والاصل وكاف اعل تبعه وان همزه وكان يدعى الى خبز الشعير
والاهالة بكسر الهمزة كل ما يؤتدم به من الادهان السنخة اي المتغيرة
الرائحة فيجيب من دعاه لذلك وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي قال
اي انس وحج صلى الله عليه وسلم على رحل حال من ضمير حج اي كور وهو

الى ذلك تو

للبعير

للبعير كالسرج للفرس رث اي خلق بال وعليه قطيفة اي كساء له خمل ما يساوي
اربعة دراهم لان الحج من اعظم شعائر التواضع والانتقال الى الله ومنع
النفس من الملابس بتجردها عنها متوجهة الى الموقف لتذكر الموقف
الحقيقي الذي هو العرض على الله وذلك من اكمل محاسن التشريع والتعليم
والارشاد والاخلاص بشرطه ذكره قوله اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة بل
خالصا لوجهك الكريم هذا مبتدا محذوف الخبر او اسم فعل امر وايا ما يورد
كلاما للانتقال من اسلوب الى اخر ويسمى اقتضابا والواو بعده للحال وقد يذكر
خبره كما في هذا ذكرى تامل ذا الصنيع الجليل والقصد الجميل يوم تناله حجا
من حجه صلى الله عليه وسلم على تلك الهيئة تواضعا واستكانة منه الى ربه في
والحال انه قد فتحت عليه الارض والقت له افلاذها من ذهب وغيره وروى
مسلم انه اهدى في حجه ذلك مائة بدنة تقربا الى الله وارشادا ليؤتسى به في
ذلك مما يليق بجنابه الكريم من انواع القربات والصدقات وروى ابن اسحق
والبيهقي عن عائشة والحاكم والبيهقي وابو يعلى عن انس لما فتحت عليه مكة
ودخلها بجيوش المسلمين طاطا على راحلته راسه حتى كاد يمس براسه فاد
غاية لطاطاته راسه تواضعا لله مفعول لاجله لطاطاه ومن تواضعه
قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني اي تفضيل مفاخرة والا فلا يتاتى في
نفيه عما في الواقع من كونه افضل بشرطه ذكره حديث البخاري انا سيد
الاولين والاخرين ولا فخر على يونس بن متى لم ار احدا من رواه بهذا اللفظ
والذي في البخاري لا يقولن احدكم اني خير من يونس بن متى وله من قال انا
خير من يونس بن متى فقد كذب وله ولمسلم ما ينبغي لعبد ان يقول اني خير
من يونس بن متى ولابي داود ما ينبغي لنبي ان يقول انا افضل من يونس بن متى
وروى الشيخان لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية بين انبياء الله اي تفضيل مفاخرة
والا فهو واقع بينهم وروى الشيخان وابو داود والنسائي استب
مسلم ويهودي فقال والذي اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم
وجهه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فسال المسلم عنه فاخبره فقال
لا تخيروني على موسى اي تخيير مفاضلة كما مر وروى الشيخان نحن احق بالشك
من ابرهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى قال له تواضعا وهضما لنفسه لا اعتراف
به من واحد منهما فكانه قال اذا لم اشك في احياء الله تعالى الموتى فابراهيم اولى بعدم
الشك فبينه لهما نفي الشك عنهما وذلك ان نجعله قياسا شرطيا هكذا لو شك
ابرهيم في احياء الله الموتى لكنت احق بالشك منه لكني لم اشك فلم يشك هو لاستحالة
الشك فيه على الانبيا فالشرطية نتيجتها من استثناء نقيض التالي نقيض المقدم

مركب م

منه

وقوله رب ارني كيف تحيي الموتى شاهد صدق بان سواله لم يكن من قبل الشك
بل من قبل دونه تلك الكيفية العجيبة الشاهدة بكمال قدرته الباهرة شوق
الى معرفتها مشاهدة كاشتياقنا الى رؤية الجنة مشاهدة ونعيمها وما اعد
الله فيها لعباده المومنين ولو لبثت ما لبث يوسف اي مدة لبثه في السجن
لاجبت الداعي مبادرة الى الخلاص والاستراحة منه ولما قال له ارجع الى
ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن قال ذلك تواضعا ورفعة
لشان يوسف وايثارا للاخبار بكمال فضيلته وتثبته وحسن نظره في
بيان نزاهته واظهار براءته وحمدا للصبر وتركا لاستعجاله وحزما منه مع
امتداد لبثه فيه وتنبيها على ان الانبيا وان كانوا من الله بمكان لا يرام قد
يشرطوا عليهم من الاحوال ما يطرا على غيرهم فلا يعد ذلك نقصا وروى
مسلم في المناقب وابو داود في السنة والترمذي والنساي في التفسير
انه صلى الله عليه وسلم قال للذي قال له يا خير البرية اي الخلق ذاك
ابراهيم صلى الله عليه وسلم احتراما لابوته وتعليما لامته ودفعا للكبر
عن نفسه وروى البخاري وغيره في صفته صلى الله عليه وسلم كان يكون
في مهنة اهله بفتح الميم وكسرها وفتح الهاء وسكونها معناه اعني
خدمة يفلي ثوبه من فلى تفلية اي يزيل قمله وكان لا يوذيه تكرمتا
له وتعظيما ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله اي يخرزها طاقا
على طاق من الخصف وهو الجمع والضم ومنه وطفقا يخصفان عليهما من
ورق الجنة اي يطبقان ورقة على ورقة على بدنهما ويخدم نفسه من عطف
العام على بعض افراده لبيانا وتأكيدا ويعلف ناضحه اي جمله الذي
يسقي عليه الما ويقم البيت اي يكنسه والقمامة الكناسة ويعقل
البعير اي يربط ركبته بالعقال يقع على الذكر والانثى ويأكل مع الخادم
الخادم يقع على الذكر والانثى لاجرائه مجرى اسما غير ماخوذة من
الافعال كحامض وعانق ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق
كل ذلك من عطف الخاص على العام تلويحا بانه كان يخدم نفسه احيانا
عموما واحيانا خصوصا وقد ثبت انه كان له خدم فتارة يخدم نفسه
وتارة بغيره وتارة بمشاركته وارشادا الى استحباب خدمة الانسان
نفسه وروى البخاري في الادب تعليقا ووصله ابن ماجه عن انس انه
هي المخففة من الثقيلة تدخل على الجملتين فان كانت فعلية كما هنا وجب
اهمالها مع كون الفعل ماضيا ناسخا في وان كانت لكنه كانت الامة
لامها للجنس الصادق ببعض الافراد والعهد الذهني التي يراد بها وجوداتها

في ضمن بعض افرادها بقرينة المقام كما في واخاف ان ياكله الذيب فالمعرف
فيها في المعنى بالنظر الى القرينة كالنكرة لا بالنظر الى مدلول اللفظ لما فيه من اعتبار
الاشارة والحضور ذهنا ولا يلزم من عدم اعتبارهما في النكرة خلوه عنهما
فلم يردا منه معينة من اما اهل المدينة لتاخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت
حتى تقضي حاجتها غاية لانطلاقها ودخل عليه رجل الحديث اعاده هنا
تنبيها على ما فيه من زيادة انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد هو
اللحم المملوح المجفف فعيل بمعنى مفعول وتلويحا بانه مفضول وما كول
المساكين وروى الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عن ابي هريرة انه
دخل السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل هو فارسي
معرب شابه من كلام العرب ما لا ينصرف معرفة ونكرة ويونث وهذا يوذن
بمشروعية دخول السوق والشرا منه وقال للوزان زن وارجح فوثب
الوزان الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده منه هنا
وكان بلغ وقد قلت فقد ورد انهم كانوا يتبركون به وباثاره وقد قال النووي
ان كان تقبيل يد الغير لجاه وغنى وثروة فمكروه او لزهد وصلاح وعلم فمستحب
فلم منعه من التبرك بتقبيل يده قلت لعل منعه انما كان لما ظهر له من ان
تقبيلها لاجل امره بالرجحان في الوزن وكان تواضعا وارشادا اليه والى انه
اللايق الاحب ولا يفوت من اراده ثم منعه منه ثواب قصده اذ هو كما
يترتب على الجوارح يترتب على اعمال القلوب بنيتها اذ انما الاعمال بالنيات
وقد يترتب على مقدمات الفعل كترتبه على مقدمات ما مور به امتنع فعله
كذبح ابراهيم ولده واخذ يده ليقبلها فمنعه ارشادا وتشريعا وقال هذا
تفعله الاعاجم بملوكها جمع اعجمي وهو في الاصل من في لسانه عجمة اريد به
هنا ابنا فارس ولست بملك انما انا رجل منكم غير متصف بصفات الملوك
التي من شانها التعاظم والتكبر بل متصف باني واحد منكم هذا مع ما قام بدوني
الاوصاف التي لم ينلها غيره ثم اخذ السراويل فذهبت اي ردت وقصدت
لاحمله فقال صلى الله عليه وسلم صاحب الشي احق بشيه ان يحمله هذا ارشاد
الى استحباب حمل الانسان متاعه لانه اعون على التواضع وانفى للكبر ولا يفوت
من اراد حمله عنه ثواب قصده كما مر فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم في
الامور وعلى قانون الحق ومنهاج الصدق واما امانته من الامن ضد الخوف فهو الذي
لا يخاف منه وعفته من عف عما لا يليق به وصدق لهجته اي لسانه من لهج
بالشي ولع به وفي حديث الترمذي ما اظلت الخضرا ولا اقلت الغبرا من ذي لهجة
اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبيه عيسى بن مريم فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس

واعدل الناس واعف الناس واصدق لهجة اي اعظمهم امانة واجراهم للامور على قانون الحق واصبرهم على النزاهة عما لا ينبغي واكثرهم صدقا والعدل في الاصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل لا بلغيته بجعل المسمى نفسه مبالغة قدم ما لقدا على الامانة لظهور اثره في رعية من يعدل وقدمها عليه في التقسيم لانها من صفات النفس والزم لها بتنا وفيه ما فيه اذ هو ايضا من صفاتها والزم لهم ولا خصوصية لاثره في الظهور لظهور اثرها كذلك منذ كان منذ في الاصل لابتدا الغاية ولم ترد هنا لابتدا لبيان ابتدا اتصافه بكونه آمن واعدل واعف واصدق واذا كان صلى الله عليه وسلم قد جبل عليه بل تبيان ظهوره من حين اعترف له بذلك محادوه اي معادوه ومنازعوه من المحادة مفاعلة من الحد كان كلا منهما تجاوز حده الى الاخر وفي حديث عبد الله بن سلام اللهم ما حادونا لما صدقنا الله ورسوله وعداه بكسر عينه مقصورا اي عادوه المتصفون بمعاداته وكان يسمى قبل نبوته الامين لظهور ملابسه الامانة عليه بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم وكثير منهم انه جبريل وعلى كل فهذا الوصف صادق عليه صلى الله عليه وسلم وان كان سياق النظم هنا انه لجبريل وروى احمد والحاكم وصححه والطبراني لما اختلفت قريش وتحازبت اي اجتمعت احزابا عندما بنا الكعبة فيمن يضع الحجر اي الاسود في موضعه حكموا اول داخل عليهم جوانبها فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم اي فاجابهم دخوله وذلك اي ما ذكر قبل ارساله واظهار نبوته فقالوا مقرين له بالامانة هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وروى ابن سعد عن الربيع بن خثيم كان يتحاكم بالبنا للمفعول اليه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة التمكن في ذهن السامع وتمييزه الكل تمييز في الجاهلية لاشتهاره عندهم بالعدل والانصاف قبل الاسلام وروى ابن ابي شيبة في مسنده قال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السما قدمها لعلوها واشتهاره فيها بالامانة عند الملا الاعلى بلا امترا امين في الارض في نفس الامر وعند من عرف حاله من اهلها لامنهم منه الخلف والكذب وكفى به دليلا على جواز مدح الانسان نفسه موكدا باليمين وقد اسندها من طريق الترمذي عن علي ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك اي لا ننسبك الى الكذب اذ انت فينا صادق ولكن نكذب بما جئت به جحدا منهم وعنادا مع علمهم بحقيته فانزل الله فانهم في الحقيقة لا يكذبونك ولكن الظالمين وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم وندا باستحكام الظلم وتمكنه فيهم فيهم بايات الله يجحدون اي يكذبون فتكذيبهم في الحقيقة راجع الى الله وروى

غير

غير اي غير الترمذي لا نكذبك وما انت فينا بمكذب تاكيد لنفيهم الكذب عنه اللازم منه صدقه فيهم كما في نفس الامر وقيل كما رواه ابن اسحق والبيهقي عن الزهري وابن جرير عن السدي والطبراني في الاوسط ان الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة الصحابي لقي ابا جهل يوم بدر اي زمن وقعته اطلاق لبعضه عليه مجازا مرسلا كالعين على الربيئة فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك تخبرني عن محمد اصادق ام كاذب استفهام حذفت همزته كما في بسبع رمين الجمر ام بثمان وهي هنا للتقرير لابي جهل اي حمله على الاقرار بما يعرفه من صدقه صلى الله عليه وسلم والجائه اليه فقال والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط اثبت له الصدق ولا موكدا له بشهود دلالة القسم وان واسمية الجملة ثم اورد ثانيا ما افاد ازاحة كذبه وتبعيده عن ساحة لسانه موكدا له بقط وما حمله على تكذيبه وانكار رسالته الا سابق شقاوته وسال كما رواه الشيخان هرقل عنه صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال من دعواه الرسالة قال لا اي ما كنا نتهمه بكذب بل كان فينا ذا صدق وامانة وهذا منه قبل اسلامه غاية في الشهادة له به والحق ما شهدت به الاعداء وذلك حاكم بنباهة شان هرقل ووفور عقله ومعرفته بصفات الانبيا ولم ينفعه اذ قد هلك كافرا بعد فتح عمر بلاده وتوغله في بلاد الكفر هربا من الاسلام ولا تغتر بمن شذ فزعم اسلامه وروى ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عباس قال النضر بن الحارث العبدري لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم الطرف انه حال انه لا زمان واصدقكم حديثا واعظمكم امانة مميزا نسبة اصدق واعظم حولا عن كونهما فاعلين معنى للاعزاز في وصفه بالصدق والامانة اي حديثه اصدق وامانته اعظم وهذا لكونه من عدو واصدق شهادة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما اي بشي عظيم من الحق جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر هذا منه غاية الانصاف لكن سبق عليها الشقا فقتل صبرا بالصفرا لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من بدر وروى الشيخان عن عائشة ما مست يده يد امراة قط تاكيد لنفي لمس يده يد امراة لا يملك رقها ولا بضعها وكفاك به شاهدا بكمال نزاهته وعفته عن مثل ذلك فما ظنك باعظم من ذلك قوله وفي حديث علي الى قول عائشة كان ابعد الناس منه لفظا ومعنى هذا وانما ذكر عن المبرد ما حكاه عن كسرى من تقسيمه ايام ملكه بانه ليس فيه كبير نفع خلاف تجزئة نبينا نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله لانه تعالى هو الاحق بالتقديم وجزء لاهله ايثارا لهم على نفسه وجزء لنفسه ما اخلق هذه الاجزا بمكارم الاخلاق والشيم وكرائم الافعال والكرم ثم جزا جزاه بينه وبين الناس

فكان يستعين في نفعهم وقضاء حوائجهم بالخاصة الذين هم اقرب اليه على قضاء حوائج
العامة ونفعهم وكان يقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي اي من لا يقدر ان
يبلغني حاجته وهو تشريع وحث على نفع الناس ومن ثم قال الخلق كلهم عيال الله
واحبهم الى الله انفعهم لعياله ثم رغب في ذلك فقال فانه من ابلغ حاجة من
لا يستطيع ابلاغ حاجته امنه الله يوم الفزع الاكبر اي يوم النفخة او يوم
الانصراف الى النار او يوم يطبق عليها او يوم يذبح الموت وروى ابو داود في
مراسيله عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ اي لا يواخذ
احدا ولا يجازيه بقرف بفتح القاف اي بذنب احد لان ما يترتب عليه وزع عن
نبوته ولا يصدق احدا على احد عدلا منه فيهما وذكر ابو جعفر محمد بن جرير
الطبري ورواه ابن راهويه في مسنده والبيهقي في دلائله عن علي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كانت الجاهلية يعملون انما اعاده
هنا لزيادة قوله غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك اي مما
كانت الجاهلية عليه ثم بعد ذلك الذي هممت به ما هممت بسوء حتى اكرمني
الله برسالته غاية لنفي همه بشيء غيرهما مثلها قلت ليلة لغلام كان يرعى
معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها التمسته على سبيل العرض
ان يكلاها له حتى يدخل فيسمر بها كما تسمر اي يتحدث الشباب اي يسمر بها
مسامرا بها ثم ادمج فخرجت لذلك اي من اجل سمري حتى جئت اول دار من مكة غايته
لمجيئه من المرعى سمعت عزفا بمهملة مفتوحة فزاي ساكنة اي لعبا بالمعازف بالدفوف
والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر اي من اجل ان انظر لعبهم فضرب على اذني
مبني لمفعوله وحذف فاعله تعظيما لشانه وعلما بان ليس يوفقه من يجعل على اذنيه
ما نعا ان يسمع غيره به اي فنمت فانامني الله تعالى لانه تعالى لا توقظني الاصوات فنمت
فما ايقظني الا مس الشمس اي حرها لما اصابته به مسته فرجعت وهنا لك هنا
تاصيا بعصمته قبل رسالته كالانبياء قبله بسرها دتها لغائبا للانتا الاحرم وقوله
ولم اقض شيئا ثم عراني اي غشيني واصابني مرة اخرى مثل ذلك الذي هممت
في المرة الاولى فعصمني الله منه ثم لم اهم بعد ذلك بسوء فصل واما وقاره اي حلمه
ورزانته وعظمته وصمته اي سكونه وطمانينته وتؤدته اصلها وودة
اعلت بقلب واوها تاء استثقالا للضمة على الواو مع الهمزة بعدها اي تانيه
قولا وفعلا وثبوتا بلا عجلة ومروته الحاملة له على كل فعل حسن وتجنب كل امر
شائن وحسن هديه اي حسن سيرته السوية وهيئته ومنظره في الدين
ومنه قول حذيفة ما نعلم احدا اقرب هديا وسمتا ودلا بالنبي صلى الله عليه
وسلم من ابن ام عبد يعني ابن مسعود فكان صلى الله عليه وسلم لهذه الملكات في نهاية

الكمال بشهادة ما اسنده هنا من طريق ابي داود وغيره كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوقر الناس من الوقار اي الرزانة والحلم اي ارزنهم
واحلمهم في مجلسه فكان اعظم المجالس واهيبها لا يكاد يخرج مبالغة في
لا يخرج اي لا يقرب ان يظهر من تحت ثيابه شيء من اطرافه فضلا عن ان
يظهر منها شيء وروى ابو داود والترمذي في شمايله قال ابو سعيد
الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجالس احتبى
بيديه الاحتباء جمع الرجل ظهره وساقيه بالحبوة وكان اكثر جلوسه محتبيا وروى
مسلم وابو داود عن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس في
المجلس تربع ولعله كان في بعض الاوقات وربما جلس القرفصا تلويح بقلة جلوسه
على هذه الحالة والقرفصا بضم القاف والفا يمد ويقصر ويكسر بهما وعن الفرا
اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت ومن ابي عبيد هو ان يجلس على
اليتيه ملصقا بطنه بفخذيه محتبيا بيديه وقال ابو المهدي على ركبتيه منكبا
ملصقا بطنه بفخذيه متابطا كفيه وهو اي جلوسه القرفصا رواية الترمذي
في حديث قيلة تعالى مفتوحة فتحتية بنت مخرمة العنبرية وكان كثير
السكوت لاشتغاله بجناب الحق وتفكره في ملكوته ومطالعة جبروته
لا يتكلم في غير حاجة خاصة او عامة كهداية ضال وتنبيه غافل وتعليم جاهل
وتبليغ حكم يعرض عن من تكلم بغير جميل حراما او مكروها اذ لا يقرر على باطل
واعراضه كاف عن انكاره صريحا لا سيما ان تقدم نهاه به وكان ضحكه تبسما
بدون قهقهة وكلامه فصلا اي بينا يتبينه كل من سمعه ولا يشتبه عليه
لا فضول ولا تقصير اي لا يصدر عنه كلام لا داعي اليه ولا حاجة ولا كلام
غير واف بمعناه بل كلامه جزل وما هو بالهزل لجمه الفوايد كثير الفوايد لا رفث
لغو ولا يعتريه هفوة ولا سهو وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا
له واحتراما واقتداء به في ضحكه اذ كان التبسم مجلسه مجلس حلم وحيا فصله عما
قبله لاختلافهما خبرا عنه والحلم ملكة تورث التاني والتثبت عند محرك الغضب
والحيا ملكة تمنع مما لا يليق فعله ومجلس خير وامانة محفوظ من كل ما لا ينبغي
لا ترفع فيه الاصوات لانه مجلس وقار واحترام وفصله عما قبله لاختلافهما
انشا وخبرا ولا تؤبن اي ترمى فيه الحرم تصريح لصيانته عن الرفث من ابنته
اي رميته بسوء ومنه حديث نهيه صلى الله عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء
وحديث الافك اشيروا علي في اناس ابنوا اهلي اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما
على رؤوسهم الطير مبالغة في وصفهم بالتزام السكون وليس فيهم خفة ولا
حركة لان الطير لا تكاد تحوم او تقع الا على ساكن شبه رؤوسهم لفرط سكونهم

وشدة ظهر ينتهض بما يقع عليه الطرف مما لا ينفر منه وفي صفته صلى الله عليه
وسلم في مشيته يخطو تكفيا اي مائلا الى جهة ممشاه ومقصده ويمشي
هونا صفة لمصدر محذوف اي مشيا هينا ففي جعله صفة له مبالغة اي
متانيا برفق وفي رواية الهوينى تصغير هونى تانيث اهون كانما ينحط
من صبب اي من منحدر ويلزم منه الميل الى قدام لا السرعة ردا على من
زعم لزومها له والتطور للهون فكيف يجتمعان وفي حديث الطواف حتى اذا
انصبت قدماه في بطن الوادي اي تجد رتا في السعي وفي الحديث اذا
مشى مشى مجتمعا اي غير مفترق مشيه يعرف في مشيته انه غير غرض
ولا وكل بكسر ثانيهما اي غير ضجر وقلق وملل ولا كسلان اي ولا عاجز يكل امره
الى غيره معتمدا فيه عليه وقال ابن مسعود فيما رواه البخاري ان احسن الهدى
هدى محمد ان هنا للشان تنزيلا للسامع منزلة سائل متردد كما في ان النفس
لامارة بالسوء كانه قال هل سيرة محمد وطريقه احسن السير والطرق
فقيل نعم وروى احمد وابو داود عن جابر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ترتيل اي تان وتمهل مع تبيين الحروف والحركات بحيث يتمكن السامع من
عدها من قولهم ثغر رتل اي مفلج او ترسيل عطف تفسيري او شك من الراوي
وفي الحديث ان الناس دخلوا عليه ارسالا لا يصلون عليه اي فرقا متقطعة يتبع
بعضهم بعضا قال ربيبه هند بن ابي هالة كان سكوته صلى الله عليه وسلم
على اربع من الخصال على الحلم والحذر والتقدير وسياتي بيانها قالت عائشة
فيما رواه الشيخان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث الحديث لو عده
العاد لاحصاه لصدوره عنه بتمهل مبينا حروفه وحركاته بلا عجلة وهذرمة
وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا لملاقاته لهما الملك
ولانهما يورثان قوة ونشاطا ومن مروته صلى الله عليه وسلم نهيه كما رواه احمد
عن النفخ في الطعام والشراب ولابي داود وابن ماجة والترمذي وصححه نهى عن
النفخ في الاناء وللترمذي في الشراب لانه في الطعام يؤذن بالعجلة وشره
النفس وقلة الصبر والثاني في الاناء يورثه رائحة كريهة ومن مروته كما رواه
الشيخان الامر بالاكل مما يلي الاكل ارشادا وتاديبا والامر بالسواك امر ندب
لانه من خصال الفطرة يزيل قلح الاسنان وتغير الفم ويطيب النفس وانقاء البراجم
جمع برجمة بالضم وهي رؤوس سلاميات الاصابع من ظهر الكف اذا قبض الكف
ارتفعت يجتمع فيها الوسخ وفي الحديث الا تنقون رواجبكم والسلاميات بالتخفيف
جمع سلامى جمع سلامية وهي ما بين كل مفصلين من الاصابع ومن مروته استعمال
خصال الفطرة وهي فيما رواه الشيخان خمس الختان والاستحداد وقص الشارب

تقليم

وتقليم الاظفار ونتف الابط زاد مسلم المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو
داود من حديث عمار الانتضاح ومن حديث ابن عباس فرق الراس وقد مر فيها
ما اغنى عن اعادتها هنا فصل واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار
اثناء هذه السيرة ما يكفي ويغني عن اعادته وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها اي زينتها وبهجتها وقد سيقت اليه بحذافيرها جمع حذفار او
حذفور اي باسرها وترادفت اي تتابعت عليه فتوحها والجملتان في موضع الحال
اعتراضا بين المبتدا وخبره افادتا كمال زهده فيها لان من سيقت اليه وترادفت
فتوحها عليه لجدير ان يكون زهده فيها ابلغ زهد واتم عفاف اي كافيك مما
ذكر حال حصول ما ذكر ان توفي خبر المبتدا اي وفاته صلى الله عليه وسلم ودرعه
اي والحال انها مرهونة عند يهودي يعرف بابي الشحم في نفقة عياله وهو
يدعو اي يطلب من ربه ويقول كما رواه الشيخان اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
اي بلغة تسد رمقهم وقد اسند هنا من طريق مسلم عن عائشة ما شبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا اي متوالية من خبز بر حتى
مضى غاية لعدم شبعه فيها وفي رواية اخرى رواها الشيخان ما شبع من
خبز شعير يومين متواليين ولو شاء صلى الله عليه وسلم لاعطاه الله ما لا يخطر
ببال وفي رواية اخرى لهما ما شبع آل رسول الله من خبز بر حتى لقي الله غاية
لعدم شبع آله وروى مسلم قالت عائشة ما ترك رسول الله بعد وفاته
دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا بل ترك ما بالتمسك به نجاة الثقلين
والفوز بسعادة الدارين وهو كتاب الله والعلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر
وفي البخاري من حديث عمرو بن الحارث ابن ضرار اخي جويرية بنت الحارث زوج النبي
صلى الله عليه وسلم ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة استثناء
مفرغ من عام اي ما ترك شيئا يعتد به الا ما ذكر وخروج الارض عن ملكه
بجعلها صدقة لا ينفي كونها مخلفة عنه بطريق تكلمه عليها قالت عائشة فيما
رواه الشيخان ولقد مات اللام ابتدائية ويجوز ان يقدر قبلها قسم اي لعمري
او والله لقد مات والحال انه ما في بيتي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير لعله
نصف صاع في رف لي في جدار البيت وقالت قال لي اني عرض علي بني لمفعوله وحذف
فاعله تعظيما له ان يجعل لي بطحاء مكة اي حصاها ذهبا فقلت لا يا رب اجوع
يوما قدمه لانه مذكر للافتقار اليه واشبع يوما هنا وارد على طريقة التقسيم
وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل على التعيين فذكر اولا جوعه وشبعه في ايامهما
ثم اضاف الى الاول ما له من التضرع والدعاء والى الثاني ما له من الحمد والثناء بقوله
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك بذلة وخضوع لك وادعوك حذف

مفعوله الثاني للتعميم وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك عطف
تفسيري لأن الحمد هو الثناء ورواه الترمذي بلفظ فإذا جعت تضرعت إليك
وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك عطفه على ما قبله لما بينهما من عموم
الأول موردا وخصوصه متعلقا وخصوص الثاني موردا وعمومه متعلقا وفي حديث آخر
لا أدري من رواه بهذا اللفظ أن جبريل قال له صلى الله عليه وسلم إن الله يقرئك
السلام يقال أقرأ فلانا السلام كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده
وإذا قرأ على الشيخ يقول أقرأني فلان أي حملني على أن أقرأ عليه ويقول لك أتحب
أن أجعل لك هذه الجبال أي أصير لك جبال مكة ذهبا استفهام تقريري أي حمله
على الإقرار بما يحب فيجيب مع أنه أراد نفي المحبة إليه وتعليمه بما يكرهه [illegible]
ما يأتي آخر الحديث وتكون أي الجبال المجعولة لك ذهبا معك حيث ما كنت
فأطرق أي أطال [illegible] رأسه ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال
من لا مال له يجمعها من لا عقل له لغفلته عما يهمه في الآخرة ويراد منه في الدنيا
فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت أي أدامك على قول لا إله إلا الله وكأن
هذا الحديث [illegible] بإمكان جعلها ذهبا وإظهار لما سبق له صلى الله عليه وسلم
من التوفيق بعدم اختيار ما لا دوام له هذا ولأحمد الدنيا دار من لا دار له
قد يجمعها من لا عقل له وللبيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل يوما ما
أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فأتاه إسرافيل فقال له إن الله
سمع ما ذكرت فبعثني إليك بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت
أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت ولأحمد
والله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة ولابن سعد وعساكر
لو شئت لسارت معي جبال الذهب وللطبراني لو سألت الله أن يجعل الجبال
تهامة كلها ذهبا لفعل وروى الشيخان عن عائشة إن هي المخففة من الثقيلة
[illegible] كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد بنارا إن هو أي ما قوتنا إلا التمر
والماء وروى الترمذي والبزار بسند جيد عن عبد الرحمن بن عوف مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته حال إفادته ما كان
دأبه ودينه من التقلل من الدنيا وليس قوله من خبز الشعير قيدا لإخراج
شبعه من غيره لشبهة [illegible] حديث الشيخين قيل بل مراده أنه في أكثر حياته لم يشبع
منه ولا من غيره حتى لقي ربه وقوله وأهل بيته عطف على الضمير المرفوع المؤكد
بالمنفصل بعده وروى ابن ماجه والترمذي وصححه عن ابن عباس كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله عطف على الضمير المرفوع المؤكد [illegible]
بالمنفصل الليالي المتتابعة ظرف ليبيت طاويا حال من الضمير في أهله أو من

ضمير

ضمير يبيت وفصل بينهما بقوله هو وأهله اهتماما بشأنه [illegible] الغرض
من هذا الكلام مدحهم بالتقلل من الدنيا لا يجدون عشاء توكيد لما قبله
وروى البخاري عن أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان بكسر
أوله هو ما يؤكل عليه ولا أكل في سكرجة بضم أوله وثالثه وتشديد [illegible] مشددا
هو إناء صغير يؤكل فيه القليل من الأدم فارسي معرب وأكثر ما يوضع فيه
وأمثاله ما يعتاده المترفون حول مأكولهم من المخللات ونحوها ولا خبز له
مرقق أي أرغفة واسعة رقيقة زهدا وتباعدا عن ساحة الرفاهية ولا رأى
شاة سميطا قط فعيلة بمعنى مفعولة أي مسموطة وهو أن ينزع صوفها بالماء الحار
لتشوى غالبا وروى الشيخان عن عائشة إنما كان فراشه صلى الله عليه وسلم
الذي ينام عليه أدما أي جلدا أسود حشوه ليف هو ورق النخل وصدره [illegible]
بإنما لإفادة القصر إما تعيينا لمن اعتقد أن فراشه أدما أو غيره ولم يعلم عينه
أو قلبا لما في ذهن من اعتقد أنه غير أدم وروى الترمذي في الشمائل عن حفصة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم في بيته
مسحا بكسر الميم أي بلاسا من شعر نثنيه له ثنيتين فينام عليه فثنيناه
له ليلة بأربع أي أربع طاقات فلما أصبح قال لنا ما فرشتموني
الليلة فذكرنا ذلك له أي تثنيته أربعا فقال ردوه لحاله أي إلى ما كان عليه
أو مصحوبا بحاله فإن وطأته من قولهم فراش وطيء أي ممهد لين لا يؤذي
جنب النائم منعتني الليلة صلاتي لأن توطئة الفراش في العادة تمنع التجافي
عن المضاجع وخفته تبعث على التجافي عنها وروى الشيخان والترمذي
وابن ماجه كان صلى الله عليه وسلم ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط
أي منسوج بحبل من سعف دوم أو نخل بدون حائل حتى يؤثر في جنبه حتى هنا
حرف ابتداء استؤنف الكلام بعدها فهي حكاية حال ماضية أي حتى
يظهر أثر في جنبه هذه حاله كما في مرض حتى لا يرجونه وحتى ما دخلت [illegible]
وزعم أنها المرادفة لكي وليس بشيء وعن عائشة لم يمتلئ جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شبعا قط لعله في غالب أحواله أو شبعا مفرطا ولم يبث
أي يظهر شكوى إلى أحد إذ كان غير هواه وعكس متمناه بسببها [illegible]
قولها وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى أي كان فقد الدنيا أحب إليه من
وجدانها عنده وإن هي المخففة من الثقيلة كما في وإن كانت لكبيرة أي وإنه
كان ليظل جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع زهدا في الدنيا وعدم التفات
إليها وإرشادا لأرباب السلوك إلى مقام مجاهدة النفس لتهذيبها وقمعها
عن الشهوات بالجوع فلا يمنعه جوعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه كنوز

جميع

قال السيوطي في المزهر [illegible] بكسر [illegible]
[illegible] الخوان انتهى [illegible]
[illegible] الرحمان [illegible] في الفقه [illegible]
مع السيوطي

الارض ورغد عيشها بالنصب عطفا على جميع او بالجر عطفا على كنوز سعته
اي سعته وطيبه ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على
بطنه مما به من الجوع واقول حال من ضمير امسح اي قائلة نفسي لك الفدا
لو تبلغت على معنى ليتك تبلغت من الدنيا بما يقوتك قصدا منها الى حثه
وتحريضه على تبلغه منها تفاديا به من الم الجوع ومرارته فيقول يا عائشة ما لي
وللدنيا استفهام بمعنى النفي اي لا ارب لي فيها اخواني من اولي العزم من
الرسل صبروا على ما هو اي على شيء عظيم هو اشد من هذا الذي انا صابر
عليه فمضوا على حالهم التي كانوا عليها من الصبر فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم
اي مرجعهم اليه واجزل ثوابهم اي منحهم خيرا كبيرا فاجدني استحي ان ترفهت
اي تنعمت كارباب الدنيا في معيشتي ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء
احب الي من اللحوق باخواني واخلائي اي احبائي فما اقام بعد ظرف زماني غاي
قطع عن مضاف اليه منوي فبني على الضم اي بعد قوله لها ذلك الا شهرا استثنا
مفرغ من عام اي زمنا حتى توفي غاية لاقامته بعد ما قال لها ذلك هذا ولم ار من
روى هذا الحديث هكذا لكن روى ابن ابي حاتم في تفسيره عنها قالت ظل رسول
الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم قال
يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من
اولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها ولم يرض
مني الا ان يكلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني
والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله فصل واما خوفه صلى
الله عليه وسلم ربه معمول للمصدر المضاف الى فاعله وطاعته له وشدة
عبادته بنعتها عطفا على خوفه فعلى قدر معرفته بربه وناهيك بها منه
بنبينا ذه ما رواه مسلم واسنده هنا من طريق البخاري لو تعلمون ما اعلم
من الاهوال والشدائد مما يؤول اليه حالكم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
جواب القسم الساد مسد جواب لو فانتفاء ضحكهم وبكاهم لانتفاء علمهم بما اعلم
كما هو شان لو فقد انتج استثنا نقيض التالي لزوم نقيض المقدم اي لم
تضحكوا قليلا ولم تبكوا كثيرا فلم تعلموا ما اعلم فنقيض المقدم لازم لنقيض
التالي ثابت بابطال التالي بطريق قياس الخلف وفيه مقابلة الضحك
والقلة للبكا والكثرة زاد اي ابو هريرة او النبي صلى الله عليه وسلم
في رواية غير ابي عيسى رفعه الترمذي الى النبي اني ارى ما لا ترون
واسمع ما لا تسمعون مما اطلع عليه من المغيبات حثا وتحريضا لهم على
البكا وترك الضحك فان البكا ثمرته حياة القلب اطت السما وحق لها ان

وعدموا

عن حو

تئط

تئط اي صوتت لكثرة ما فيها من الملائكة فكانهم اثقلوها كثرة حتى اطت كالقتب
وهو تمثيل وتلويح بكثرتها وان لم يكن ثم اطيط فوزع هذا الكلام في قالب
الاستعارة التمثيلية تقريبا وتقريرا لعظمة الله ومثله حديث العرش
على منكبي اسرافيل وانه ليئط اطيط الرحل الجديد لعظمته ويعجز عن حمله
اذ من المعلوم ان اطيط الرحل اي الكور براكبه انما يكون لفوق ما فوقه وثقله
وعجزه عن حمله ما فيها موضع اربع اصابع ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفي
الا وملك حال من في على الظرف اعني موضعا اي وفيه ملك واضع جبهته
ساجدا لله حال من الضمير قبله ولخرجتم الى الصعدات بضم مهملتيه اي الطرق
تجارون اي رافعي اصواتكم متضرعين الى الله ولوددنا اني وفي رواية لتمنى شجرة
تعضد اي تقطع روي هذا الكلام اي قوله ولوددت اني شجرة تعضد مدرجا في الحديث
من قول ابي ذر نفسه وهو واضح من حيث انه اشبه بكلامه واليق بحاله مع كونه
صلى الله عليه وسلم اعلم بمكانته عند ربه وانزه من ان يتمنى عليه دون
ما اعطاه وفي حديث المغيرة الذي رواه الشيخان وغيرهما صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه طاعة لربه وايتمارا للامر فقيل له
اتكلف من تكلف مستعمل باللام حذفت احدى تائيه تخفيفا اي اتكلف وتجشم
على مشقة او من كلف بكسر لامه ومنه حديث ابي انك كلفت بعلم القرآن وحد
اكلفوا من العمل ما تطيقون اي تحمل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تأخر جملة حالية اعتراضا بين الاستفهام وجوابه للاعلام بالغفران
له وصرف في علة للعلوية اذ ليس احد يغفر له سواه قال افلا اكون انكار
للنفي اي اكون عبدا شكورا اذ انكار نفي ونفي النفي اثبات وهذا مراد من قال
ان الهمزة في مثله للتقرير بما دخله النفي لا بالنفي اذ لا يجب كما مر ان يكون
التقرير بالحكم الذي دخلته الهمزة بل بما يعرفه المخاطب من الحكم اثباتا او
نفيا والفا مسببة عن محذوف اي اتركه تهجدي من اجل مغفرته لي وهي بسبب
له لا اتركه والمعنى كيف لا اشكره وقد انعم علي بما لا ابلغه غير تبرع دونه ما لغة
شكورا والمسند عنه لكون المنعم به خطيرا لقصد وفي قوله عبدا تلويح لغاية
اكرامه وتقربه من ربه ومن ثم وصف به في اشرف مقام سبحان الذي
اسرى بعبده وهذه الاضافة منحته من ربه اعظم شرف وانهم تعظيم
لفظ العبودية بصحة النسبة ولسرية لا بالعبادة وهي عين الشكر
وقالت عائشة فيما رواه الشيخان كان عمله ديمة اي دائما متصلا
مبالغة في دوامه ولا يقدح تركه نادرا وايكم يطيق ما كان يطيق
استبعادا لاطاقتهم وذلك اي يبعد ان تطيقوا دوام عمله وقالت ايضا

فيما رواه كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم الرواية بالنون
فيما نقول وروي بتا الخطاب اي تقول ايها السامع وبضبطه ومنهم من رفعه
حكاية حال ماضية كقراءة نافع وزلزلوا حتى يقول الرسول ولا تشا ان تراه
من الليل مصليا ولا تشا ان تراه من الليل نائما الا رايته نائما اي ولا زمان من
الليل تشا رويته متهجدا الا رايته متهجدا او رويته نائما الا رايته نائما يعني
كان عمله قصدا اينام حيث ينبغي النوم كاول الليل ويصلي حيث ينبغي الصلاة
كاخره بتهجده فهو قوله ردا على عبد الله بن عمرو واما انا فاصلي وانام واصوم وافطر
واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال عوف بن مالك فيما رواه ابو
داود والنسائي كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضا
تشريعا للاستحباب تقديم السواك على الوضوء ثم قام يصلي فقمت معه فبدا
فاستفتح بالبقرة ظاهره انه استفتح صلاته دون الفاتحة بتشهده تأكيد
بدا باستفتح معنى فالتعقيب ولعله افتتاح نسبي اي فتح لها بالنسبة الى
غير الفاتحة من السور لثبوت كونها المبدو بها في الصلاة وبعد جعابين الادلة
فلا يمر باية رحمة الاضافة للملابسة الذكر به اي باية يذكر فيها الرحمة الا
وقف فسال حذف المفعول للعلم به بقرينة المقام اعني الرحمة ولتذهب
النفس كل مذهب ممكن ويوخذ استحبابه ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ
يجري فيه ما مر في قسيمه ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول حال من الضمير
قبله اورده مضارعا بعد ركع ماضيا تصويرا للسامع حالة سجوده وتحضيرا
له اياها طالبا منه متابعته تعجيبا من استكانته وانقياده لربه وخضوعه
له وتعظيمه اياه ﷺ سبحان ذي الجبروت فعلوت من الجبر اي القهر والغلبة
مبالغة فيه اذ هو القاهر لعباده على ما يريد منهم من مامور ومنهي تعالى
جبر الخلق واجبرهم وهو اكثر استعمالا وسبحان ذي الملكوت من الملك
وسبحان ذي العظمة اي الكبريا الذي جل وتعالى عزا ان يحيط العقول
كنه حقيقته وهالك به مرشدا الى استحبابه في الركوع ثم سجد وقال مثل
ذلك اي ما ذكر من سوال الذي قاله في ركوعه ثم بعد قراة الفاتحة على ما هو
مقرر ثابت قرا ال عمران ثم سورة سورة يفعل ذلك اي ما ذكر من سوال
وتعوذ وتسبيح وعن حذيفة مثله اي مثل حديث عوف كما في مسلم وقال
زيادة عليه حتى قرا البقرة وال عمران والنسا والمائدة غاية لفعله قراة
وصلاة وروى الترمذي عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم قام باية من
القران ليلة ورواه احمد والنسائي بسند صحيح عن ابي ذر قام حتى اصبح باية
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم مكررا لها مدبرا

معنا ها

منه بمعناها متا ملا لمحاو فيها مع ما دلت عليه من كامل قدرته وقاهر عزه ونفاذ
تصرف تعذيبا وعفوا وروى ابو داود والترمذي والنسائي عن عبد الله
بن الشخير رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي جوفه ازيز بزاي بينهما مثناة
تحتيه اي حنين من البكا كازيز المرجل من غليانه وهو قدر من نحاس شبه ما يحدث
له في جوفه من الصوت من شدة خوفه بصوت المرجل تشبيها بليغا قال ربيبه
من خديجة هند بن ابي هالة كان متواصل الاحزان اي متتابعها دائما لعلمه
بشدائد الامور والاهوال لحالا ومالا دائم الفكر في العواقب وما ينسا فيها
اذ هو من دابه الصالحين وشعار المتقين وليست له راحة لاستغراقه اوقاته
فيما كلفه من اعبا الرسالة كتبليغ الاحكام والنظر في مصالح امته ومحاربة عدوه
وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم اني لاستغفر الله اي اطلب منه المغفرة
في اليوم من الايام مائة مرة لم يرد به يوما معينا وروى كما في البخاري والترمذي
سبعين مرة لاشتغاله بدعوة امته ومحاربة عدوه وتالف المولفة مع معاشرة
الازواج والاكل والشرب والنوم مما يحجزه عن عظيم مقامه ويراه ذنبا بالنسبة
الى عظيم قدره ومشاهدته ومراقبته فيستغفر بسبب ذلك وعن الاصمعي لو صدر
هذا من قلب غيره صلى الله عليه وسلم لفسرته ولله دره حيث اتبع مناهج
الادب واجلال القلب الذي جعله الله مرتبط وحيه ومنزل تنزيله اذ هو
متشرع سد عن اهل اللسان موارده وفتح لاهل العرفان مسالكه واخفى من
يعرب عنه من غير الذكر اسرارهم ووضح عنهم اوزارهم وحدثت على المعرفة
راس مالي قد لاح موضوع فلا تكلف الفكرة بيانه فصل اعلم ان صفات
جميع الانبيا والرسل من عطف بعض افراد العام عليه تنويها بشرفه حتى
كانه ليس منه من كمال الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة خبران وهي
مع اسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم واللام فيه للاستغراق ما بين
لانها صفات الكمال والكمال والتمام عطف تفسيري ومن ثم وصفها
بمفرد وهو قوله البشري والفضل عطف على الموصوف واخر عن الصفة
تلويحا بان موصوفها بمعنى واحد ولو قدمه عليها وقال البشريان لكان احسن
الجميع مبتدا خبره لهم والجملة خبر المبتدا قبله اي هي من صفات جميعها فيهم
لا في غيرهم ممن ليس نبيا اذ رتبتهم اشرف الرتب علة لاختصاصهم بها
دون غيرهم ودرجاتهم ارفع الدرجات كمالا وثوابا بحيث لا يظهر دونه كمال
وثواب ولكن اسند ذلك الى ما عسى يتوهم من تساويهم فيها ويوذن بتفاوتهم
فيها اذ قد فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل الاية الى من ذكر
منهم في سورة البقرة او الى من يعلمه نبينا او اليهم كلهم فاللام للاستغراق فضلنا

بعضهم على بعض بمواهب سنية ومراتب كلية خص بها غيرا لرسالة لاستوائهم
فيها منهم من كلم الله تفضيلا له كموسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج
وخص موسى لكونه كليم الله لتكرر تكليمه اياه واشتهاره به ورفع بعضهم على
باقيهم درجات هو نبينا صلى الله عليه وسلم تفضيلا له على غيره مخصا بصرت
ستكا ... ومراتب متباعدة متوافرة كالدعوة العامة والبراهين المتكاثرة والمعجزات
الباهرة والايات المتعاقبة والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام
لتفخيم شأنه اذ هو العلم المعين الغني عن التعيين او هو ابراهيم صلى الله عليه وسلم
خص بالخلة التي هي اعلى المراتب او ادريس رفعه الله مكانا عليا او اولوا العزم
من الرسل هذا وما وقع من التفاوت بين من اشير اليهم ولقد اخترناهم على
علم هذا على توهم جعل الضمير للانبيا والحق جعله لبني اسرائيل قبله اي اصطفيناهم
عالمين بانهم احقا باصطفائنا اياهم على العالمين اي عالمي زمانهم لكثرة الانبياء
فيهم وقد روى الشيخان قال صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة اي طائفة
يدخلون الجنة على صورة القمر اي مستعلين على صورة مثل صورته ليلة البدر
ليلة اربع عشرة سمي بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب
وقيل لتمامه فيها على خلق روي بفتح الخا بشهادة رواية لا اختلاف بينهم ولا
تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد على صورة ابيهم ادم اي صورة خلقه
طوله ستون ذراعا في السما وروي بضمها بشهادة رواية اخلاقهم على خلق
رجل واحد ورويا ايضا وفي حديث ابي هريرة رايت موسى فاذا رجل ضرب اي
خفيف اللحم مستدق رجل بكسر الجيم اي شعره بين الجعودة والسبوطة اقنى
اي طويل الانف مع ارتفاع وسطه ودقة ارنبته كانه من رجال شنوءة
بمعجمة مفتوحة فنون فواو فهمزة قبيلة من اليمن من لم رجل فيه تشنوء
اي تقزز وتباعد من الادناس ولطهارة نسبهم وحسن سيرتهم وافعالهم
ورايت عيسى فاذا رجل ربعة بين الطول والقصر كثير خيلان الوجه جمع
خال اي شاماته احمر كانما خرج من ديماس بالكسر والفتح الكن اي كانه مخدر
لم ير شمسا وقد جا في الحديث مفسرا انه الحمام وقد على تعليله بمعنى الاولى
بالكسر ما قبلها وفي حديث اخر لم اعرف من رواه مبطن اي ضامر مثل السيف
لاستوائها وانا اشبه ولد ابراهيم به وفي حديث اخر رواه البخاري في صفة
موسى كاحسن ما انت راء من ادم الرجال بضم الهمزة وسكون الدال
جمع ادم شديد الادمة اي من سمرهم هذا ولعل ارواحهم مثلت له في صفة
صورهم او كشفت له صفة ابدانهم في نوم او يقظة والتشبيهات للبيان
مع تعظيم المشبه في مقام المدح وفي حديث ابي هريرة الذي رواه ابو يعلى وابن

قال بعض الشراح الظاهر ان خبرهما محذوف وهو من الادب انتهى

وحكى قتيبة اللالكائي بفتح او اطلاق لا التضعيف

جرير عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا من بعد لوط الا في ذروة من قومه
هي في الشيء المرتفع وذروة الجمل سنامه والجبل راسه اي في رفعة منهم اي
نسب منهم بشهادة قول هرقل لابي سفيان وكذلك الرسل تبعث في نسب
قومها ولسعيد بن منصور موقوفا على ابن عباس في عزة وهي بمعنى في ثروة اي كثرة
ومنعة اي قوة من قومه تمنع عنه من يريد بسوء وينصره فيحوطه وقد يشكل
بقوله تعالى لليهود على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلم تقتلون انبياء الله من
قبل ان كنتم مومنين ولو كانوا في منعة لما قتلوا منهم ببيت المقدس في يوم واحد
ثمانية نبي وفي التقييد ببعدية لوط تلويح بانه لم يكن في منعة بشهادة لو ان لي بكم
قوة او اوي الى ركن شديد وحكى الترمذي بل روى في الشمائل عن قتادة مرسلا
ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه
حسن الصوت وكان نبيكم صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسن
صوتا من الكل وفي حديث هرقل في الصحيحين انه قال لابي سفيان وسالتك
عن نسبه فزعمت انه ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها شبه
شدة اتصالهم بها بشدة اتصال المظروف بظرفه فاثبت له في فوقعت
الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية وقال في ايوب انا وجدناه اي
علمناه وصيرناه صابرا خلقنا فيه قدرة الصبر فيه نعم العبد اي ايوب خص
بالمدح لصبره على البلا وهو اما مبتدا خبره ما قبله او خبر مبتدا محذوف
بني ذلك الخبر على سوال يقدر بعد نعم العبد اي من هو فقيل هو ايوب ففيه
ايجاز من جهة ترك المبتدا في الجواب انه اواب علة لكونه ممدوحا على صبره
اي كثير الرجوع الى ربه ولا يقدح في مدحه له عليه شكواه ما به من ضر اليه
وقال تعالى يا يحيى اي وهبناه له وناديناه لما ان فهمه يا يحيى خذ الكتاب بقوة
اي خذ التوراة بجد واستظهار بتوفيق حال من ضمير اتيناه وتاييد واتيناه الحكم
اي الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين او النبوة صبيا حال من ضمير اتيناه
احكم الله عقله في صباه ثم استنباه وحنانا من لدنا اي رحمة وشفقة منا
عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وزكاة اي طهارة من الذنوب او صدقة
تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا اي
مطيعا يجتنب المعاصي وبرا بوالديه اي بارا بهما ولم يكن جبارا اي لم يكن متكبرا
عصيا اي عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام من الله عليه يوم ولد من ان يمسه
الشيطان كغيره من بني ادم ويوم يموت من عذاب القبر وفتانيه ويوم يبعث
حيا من عذاب النار وهول يوم القيامة وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال
ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وال عمران موسى وهارون ابني عمران بن يصهر ا

قوله اي اهل الكتاب اقتصار على الاول لان الربعة والفن
لو نسبه الى داود الى سع واوا اتفق عليه الاسلامي اهل الكتب
فلا ... ما امر ... لوط وما قبله

وعيسى وامه بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة
على العالمين اي عالمي زمانهم بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية
ذرية حال او بدل من الالين او منهما ومن نوح اي هم ذرية واحدة بعضها
متشعب من بعض او بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد
والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء علت تعلية همزتها بالتاء وادغمت
والله سميع عليم باحوال الناس فيصطفي منهم من يصلح وقال في نوح انه كان عبدا
شكورا لحمد الله في مجامع حالاته وفيه تلويح بان نجاته ومن معه كانت ببركة شكره
وجعل ذريته على الاقتدا به اذ هو الباقية في قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وقال
تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه مبتدا خبره المسيح
وهو لقب تشريف كالصديق واصله مشيحا اي مبارك سمي به لانه مسح بالبركة
او مسح الارض بالسياحة عيسى بدل منه ابن مريم خبر مبتدا محذوف اي هو
ابن مريم اعلاما لها بانه يولد بلا اب فلا ينسب الا اليها ويصح جعل الثلاثة
متعاقبة خبرا عن المبتدا اذ ليس المراد به العلم المقابل للقب وان توهم بل
المراد بها ما به الامتياز وهو هنا مجموع الثلاثة لا واحدا فقط فعم الاسم ك
فقد ولا المراد ان مجموعها علم بمنزلة الخمسة بيت شعر وجيها حال مقدرة
لكونها موصوفة وتذكيرها للمعنى اي ذا وجاهة في الدنيا بالنبوة والاخرة
بالشفاعة ومن المقربين حال ثانية منها اي من الله مع رفعه الى السماء وصحبته
الملائكة وعلو درجته في الجنة ويكلم الناس حال ثالثة منها اي مكلما لهم في
المهد وكهلا حال من ضمير يكلم اي يكلمهم فيه طفلا وكهلا كلام الانبياء من
غير تفاوت بين الحالين ومن الصالحين حال رابعة ما لمعنى يبشرك به موصوفا
بهذه الصفات وقوله حكاية عن عيسى قال اني عبد الله انطقه الله به اولا
لكونه اول المقامات وردا على من زعم ربوبيته اتاني الكتاب يعني الانجيل
وجعلني نبيا وجعلني مباركا اي نفاعا معلما للخير وجي بالماضي اما لماضي سابق
علمه او جعلا للاتي كالواقع او كان الله عمله ثم استنباه اينما كنت واوصاني
اي امرني بالصلاة والزكاة ان ملكت مالا او صدقة الفطر او تطهير
النفس من الرذائل اوصاني ان امركم بهما ما دمت حيا نصب على الظرف
اي مدة حياتي وقوله يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبراه
الله مما قالوا اي اظهر الله براءته من مضمون مقولهم ومؤداه وذلك ان
قارون اغرى مومسة على قذفه بنفسها فعصمها الله او اتهمه ناس بقتل
اخيه هارون لحملته الملائكة حتى راوه غير مقتول او احياه الله حتى اخبرهم
انه بري او قذفوه بعيب في بدنه برصا او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم

الله

الله على براءته منه وكان عند الله وجيها اي ذا وجاهة وقربة من ربه وقد
دل الشيخان قول النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى صلى الله عليه وسلم كان رجلا
حييا ستيرا لا يرى من جلده شي استحياء فاذاه من اذاه من بني اسرائيل فقالوا لوا
ما يستتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص او ادرة بالضم نفخ
بالخصية وان الله اراد ان يبريه جي بان المولد تغطيها لشانه وتعيينا
لذاته عن ساحة العيب فخلا يوما وحده حال من ضمير خلا احترازا من توهم
ان يكون معه احد اي متوحدا ليغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح
موسى اي اسرع بجنبه لا يرده عنه راد في اثره يقول حال من موسى ورد مضارعا
بعد جمح ماضيا تصويرا للشان مع حالة اسراعه عريانا مخاطبا لما لا يعقل ويبصر
اياها طالبا منه متشاهدا تعجبا له منها قايلا ثوبي يا حجر حتى انتهى الى ملا
من بني اسرائيل فراوه عريانا احسن خلق الله حالان من ضمير راوه اذ الرؤية
بصرية مفعولها واحد فقالوا والله ما بموسى من باس فاخذ ثوبه فوالله انه اي
انه بالحجر لندبا بفتح النون والدال وهذا موذن بجواز القسم في الامر المهم ويحتمل
لان يكون من تمام الحديث وان يكون مدرجا فيه من كلام الراوي تاكيدا لرفع توهم
استبعاد ان يكون به ندب من اثر ضربه ثلاثا صفة لا اسم ان مبينة لعدده
وفيه معجزتان لموسى مشي الحجر بثوبه وحصول الندب فيه وفيه وجود التمييز
في الجماد وجواز الغسل في الخلوة عريانا وان كان ستر العورة افضل وبه قال
الشافعي ومالك واحمد وابتلا الانبيا والصالحين باذا السفها وابتلاؤهم وصبرهم
عليه وانهم منزهون من النقايص خلقا وخلقا تبعا لمن من العاهات والمعايب
وقال تعالى ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما اي نبوة وعلما وجعلني من
ل المرسلين اي من جملة رسله وقوله في وصف جاء منهم مدحا لهم كموسى اني لكم رسول
امين غير متهم لدلالة المعجزة عليه او لائتمان الله اياه على وحيه وقوله حكاية
لقول بنت شعيب فيه يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين
تعليل جاري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وبولغ فيه بجعل خير اسما وقد
استغنت به لجريه مجرى المثل والحكمة عن ان تقول استاجره لقوته وامانته
تلويحا بانه كلام جامع موذن بانه اذا اجتمع فيمن يقوم بامرك الكفاية
والامانة فقد تم مرادك وفرغ بالك وجي بالفعل ماضيا تلويحا
بانه امر مجرب معروف وروي ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وامانته
فذكرت اقلاله الحجر وغضه البصر حين بلغته الرسالة وامره اياها بان
تمشي وراءه وقال ووهبنا له اي لابراهيم اسحق ويعقوب كلا منهما
هدينا الى فبهداهم اقتده اي تطرق بطريقتهم او بما توافقوا عليه من التوحيد

واصول الدين دون الفروع المختلف فيها اذ ليست هدى مضافا الى الكل
ولا يمكن الاقتداء بهم جميعا فليس فيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم
متعبد بشرع من قبله وهاء اقتده للوقف واثبتها الحرميان وابو عمرو
وعاصم ساكنة للوصل اجراء له مجرى الوقف وحذفها الكوفيان وصلا واشبعها
ابن عامر على انها كناية عن المصدر وبدون اشباع رواية هشام عنه بوصفهم
باوصاف حسية ومعنوية جمة اي لسرع من بيانه لاوصاف الصلاح والهدى
والاجتبا اي الاصطفا والحكم اي الحكمة وفصل الامر على ما يقتضيه الحق
والنبوة وقال فبشرناه اي ابرهيم بغلام حليم لا يستفزه غضب بعيد
تباينه عن ساحة العجلة يبلغ معه اوان الحلم ويكون حليما وبغلام عليم يبلغ
معه ويكون كثير العلم ولقد فتنا قبلهم اي قبل المشركين قوم فرعون اي امتحناهم
بارسال موسى اليهم واوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم
وجاءهم رسول كريم على الله والمؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه
ان ادوا الي عباد الله اي بان سلموهم الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من
الايمان واجابة دعوتي يا عباد الله اني لكم رسول امين غير متهم في رسالتي
وقال تبارك وتعالى ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله
وقال عز وجل في اسمعيل انه كان صادق الوعد اذ لم يعد ربه وعدا الا انجزه
وخصه بصدق الوعد مع كون غيره من الانبياء كذلك لانه المشهور من
مناقبه تشريفا له وتكريما ولانه بلغ فيه ما لم يبلغه غيره اذ لا شي فوق نفسه
وقد وعد بالصبر على ذبحه ووفى به وكان رسولا نبيا تلويح بان الرسول لا يلزم
ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته او رسولا الى
جرهم وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة تقديما للاهم بان يقبل الرجل على
نفسه ومن هو اقرب اليه بالتكميل او اهله امته اذ الانبياء ابا اممهم وكان عند
ربه مرضيا اقوالا وافعالا واخلاقا واصله مرضوو اعل بقلب واوه يا لكسر
ما قبلها وقرئ به وقال جل من قائل في موسى انه كان مخلصا لربه في عبادته
عن الشرك والريا او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وكان رسولا
نبيا قدم رسولا مع كونه اخص واعلا لانه مخبر عنه وقال في سليمان نعم العبد
اي سليمان انه اواب علة للمدح اي رجاع الى ربه بالتوبة او الى التسبيح مرجع
له وقال واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب بيان لعبادنا وقرا ابن كثير
عبدنا وضعا للجنس موضع الجمع او ان ابرهيم لمزيد شرفه بيان له ومن بعده
عطف عليه اولي الايدي والابصار اي اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين
او اولي الاعمال الجلية والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال مجازا مرسلا

في الوصل

ونبيا بعد قوله رسولا لئلا يتوهم ان الرسول بمعنى الملك

لان

لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لذلك لانها اقوى مباديها وفيه
تعريض بالبطلة الجهلة انهم كالزمنى والعماه انا اخلصناهم بخالصة اي انا
جعلناهم لنا خالصين بخلصة خالصة هي ذكرى الدار الاخرة دائما فان خلوصهم
في الطاعة مسبب عنها لان مطمح نظرهم فيما ياتون ويذرون جوار الله والفوز
بلقائه واضاف نافع وهشام خالصة الى ذكرى للبيان او لانها مصدر بمعنى
الخلوص فاضيف الى فاعله اي خلصت لهم ذكراها غير مشوبة بهم وانهم عندنا
لمن المصطفين اي المختارين من امثالهم الاخيار جمع خير كمفرد واسرار واموات
مخففا ومثقلا وقال تعالى في داود انه اواب اي رجاع الى مرضاة ربه وكان يصوم
يوما ويفطر يوما ثم قال وشددنا ملكه اي قويناه بالهيبة والنصر وكثرة الجنود
روي ان رجلا ادعى بقرة على اخر عنده وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى
عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت هيبته
بذلك واتيناه الحكمة اي النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب
اي الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب ولا
يلتبس عليه يراعي فيه مظان الفصل والوصل والاستيناف والاضمار
والاظهار والحذف والتكرار ونحو ذلك وقال عن يوسف اجعلني على خزائن
الارض اي ولني امر خزائن مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها ولعله لما راى انه لا بد ان يوليه اثر ما تعم فوائده وهو موذن بجواز طلب التولية
واظهار استعداده لها والتولي من الكافر اذا لم يمكن اقامة الحق وسياسة الخلق
بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يديه وفي موسى ستجدني ان شاء
الله صابرا معك غير منكر عليك وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن او لعلمه
بصعوبة الامر على خلاف المعتاد شديد وهو دليل على ان افعال العباد واقعة
بمشية الله وقال في شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين من قولك خالقت
زيدا في حسن المعاملة ولين الجانب والوفا بالمعاهدة وعلق وعده بالصلاح
بمشية الله لئلا يتكل على توفيقه ومعونته لا لكونه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل
وقال فيه ايضا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه من قولك خالفته مدبرا
الى كذا اذا قصدته مع اعراضه عنه اي ما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد
به فلو كان صوابا لاثرته ولم اتركه فضلا عن ان انهى عنه ان اريد الا الاصلاح
ما استطعت اي ما اريد الا ان اصلحكم بامركم بالمعروف ونهيكم ما دمت
استطيع الاصلاح ولو وجدته فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه وما مصدرية
موقع الظرف او خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح
ما استطعته فحذف المضاف وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما اي حكمة ونبوة

اصلاح
بامركم ونهيكم

وفصلا بين الخصوم وقال انهم اي ابوي يحيى وهو اول الانبيا المذكورين في سورتهم
كانوا يسارعون في الخيرات اي انما اجيبوا الى ما طلبوا بما دربهم الى فعل الخيرات
ويدعوننا رغبا ورهبا اي ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين
الاجابة راهبين العقاب وكانوا لنا خاشعين اي خاضعين او دايمي الوجل
وهذا معنى ما قال سفيان الثوري او ابن عيينة هو الحزن الدايم وما فوق من
الاي مما تشهد بشرفهم وكمالهم قد ورد في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم الكريمة
ومحاسن اخلاقهم المرضية الدالة على كمالهم وجا من ذلك اي مما دل على كمالهم في
احاديث عنه صلى الله عليه وسلم كثير كقوله في يوسف فيما رواه البخاري وابن
حبان والحاكم انما هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق
بن ابرهيم نشر مرتب لما ذكر من اللف ورد مصدرا بانما ايذانا بحصر الكرم فيه
اذ لم يتفق لاحد انه نبي بن نبي بن نبي بن نبي سوا مع ايذان تعريف المبتدا
والخبر به ايضا تاكيدا له وفي حديث انس الذي رواه البخاري وكذلك الانبيا
تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم فلا يطرق لهم نوم لمنعه من اشراق الانوار
الالهية الموجبة لفيض المطالب السنية عليها وروى من طريق الطبراني الى ابي
هريرة مرفوعا ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك الذي سال ان لا ينبغي لاحد من
بعدي لا يرفع بصره الى السما تخشعا وتواضعا مفعول لان فعل من اجله
ترك الرفع اليها لانه كان دايم المراقبة متواصل الفكر ورفعه اليها وبما فوق الفكر
ومزق الخشوع وروى احمد في الزهد عن فرقد السبخي كان اي سليمان يطعم
الناس لذايذ الاطعمة وياكل خبز الشعير رغبة فيه وزهدا وايثارا لهم على
نفسه واوحى سليمان الى بادرا من العابدين اطلاقا لاسم الجز على الكل مجازا مرسلا
وابن محجة الزاهدين الى هذا واتيك الشرف شبه اباه لكونه بدق هديهم
يا تسون به ويستنون بسنته في الزهد بالمحجة اي الطريق التي لا عوج فيها
ولا امتي في ستعارله اسمها استعارة تحقيقية مطلقة لم يقرنها بشي يلايم
احد الطرفين التشبيه او تشبيها بليغا بشهادة الاضافة وان هي المخففة من
الثقيلة اي وانه كانت العجوز اي الكبيرة من النسا تعترضه وهو على الريح
في جنوده حال من ضمير تعترضه فيامر الريح فتقف اذ كانت مسخرة
له تجري بامره رخا حيث اصاب فينظر في حاجتها ويمضي رافة بها وشفقة
عليها وفي الحق رغبة عليه وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزاين
الارض حال من ضمير تجوع قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع حرصا منه على
الحب واتباكل ذي حق حقه وروى ابو هريرة كما في البخاري عنه صلى الله عليه وسلم
خفف اي سهل على داود القران اي تلاوة الزبور اذ هو المراد هنا بل

وانما قال القران لانه قصد به اعجازه من حيث القراة تلويحا بان الله يطوي
الزمان لمن شا من عباده كما يطوي المكان لهم وهذا لا سبيل الى ادراكه
الا بفيض رباني فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرا القران قبل ان تسرج
بيان وتوضيح لما قبله لما بينهما من كمال الاتصال كما في اقسم بالله ابو حفص
عمر وحذف المامور للعلم به ولا ياكل الا من عمل يده قال تعالى والنا له الحديد
كالشمع يصنع فيه كيف يشا بلا احما وطرق ان اعمل سابغات اي دروعا واسعات
وقدر في السرد اي في نسجها بحيث يتناسب حلقها وروى انه كان يسال
الناس عن نفسه فيثنون عليه فراى ملكا في صورة ادمي فسال فقال نعم
الرجل الا انه يطعم عياله من بيت المال فمن ثم سال ربه ان يرزقه عملا
يغنيه عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وروى الشيخان وابن ماجة احب الصلاة
الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود لاتيانه بهما على وجه
شاق والمحبة في الاصل ميل يقتضي الافضال والاحسان فاحبيتهما الى
الله قبولهما والرضى بهما وارادة ذلك اكراما له واستعمالا لاكد في الطاعة
وصونا له عن المعاصي ثم بين جهة الاحبية بقوله كان ينام نصف الليل
ليتقوى به على العبادة ويقوم ثلثه من اول النصف الثاني لانه افضل
اجزايه وينام سدسه ليستقبل صلاة الصبح واذكار اول النهار بنشاط
وكان يصوم يوما ويفطر يوما ارادة القصد في العمل ليديم اذ
احب الاعمال الى الله كما رواه الشيخان ادومها وان قل وروى انه كان
يلبس الصوف من الضان ويفترش الشعر من المعز تواضعا لربه
وياكل خبز الشعير بالملح والرماد تركا للتنعم وروى ابن ابي حاتم عن
وهب بن منبه ومجاهد موقوفا انه كان يمزج شرابه بالدموع من كثرة
بكايه ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة وليست في الحقيقة خطية وتسميتها
بها انما هي بالنسبة الى مكانته ورفيع جنابه ونهاية جلالة اذ لم يحنث غيره
سوا انه خطب امراة اوريا قد خطبها فزوجها اهلها منه رغبة فيه دون
اوريا او سال ان ينزل له عنها وكان ذلك في زمانه عادة لهم فارسل الله
اليه ملكين تنبيها له على ذلك لا ستغنايه بتسع وتسعين امراة فلما
تنبه استغفر ربه وخر راكعا واناب وما ورد من كونه ذا الايد اي القوة
في الدين على ادا الواجبات وترك المنكرات وانه اواب اي رجاع وانه سخر
له الجبال يسبحن معه والطير محشورة كل له اواب واتاه الحكمة وفصل
الخطاب وجعله خليفة في الارض فشهود صدق بكرامته ونزاهته
عما نسبه اليه الحشوية واليهود وانما اورد الملكان قصتها على طريقة

قوله واوحى ... وظاهره عطفه على المراد والكتني

التمثيل والتعريض دون التصريح لكونه ابلغ في المعاتبة واوقع واشد تمكنا
في النفس اذا اخذ بها المتامل الى الشعور بالمعرض به مع مراعاتها معه
حسن الادب بترك المجاهرة له وقد بالغ في تضرعه وبكايه واستغفاره
مستعظما ما فرط نظرا الى ما له من عظيم المرتبة وكريم المنزلة ولا رؤي
شاخصا ببصره الى السما حيا من ربه اي رافعا له مع تجديد بصره مصوبا معه
من اجله ترك الرفع رواه احمد في الزهد عن عطا بن السايب عن ابي عبد الله الجدلي
بلفظ ما رفع داود راسه الى السما بعد ما اصاب الخطية حتى مات ولم يزل باكيا
حياته كلها وقيل كما رواه ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا
انه بكى حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا اي
اثرا كالشق في الارض ونسبة اتخاذه الى الدموع مجاز عقلي وقيل كما في الكشاف
وغيره كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثنا عليه فيزداد تواضعا لربه
مكافاة لما منحه من كريم المنن وروى احمد في الزهد وابن ابي شيبة في مصنفه قيل
لعيسى لو اتخذت لك حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار عن عبادته
بتعلق قلبي به وبكلفته وخدمته وروى احمد في الزهد عن عبيد بن عمير ومجاهد
والشعبي وابن عساكر في تاريخه انه كان يلبس الشعر وياكل الشجر زهدا
وتواضعا ولم يكن له بيت ياوي فيه اينما ادركه النوم نام لعدم اتخاذه مسكنا
ياوي به وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين رواه احمد في الزهد عن سعد
بن عبد العزيز بلفظ بلغني انه ما من كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم احب اليه من
ان يقال لكان هذا المسكين كانت ترى خضرة البقل الذي كان ياكله بعد خروجه
من منفذها بها تبرزت متوجها الى بدنه في بطنه من الهزال حال من البقل
متعلق بيرى وروى الحاكم وصححه عن ابي سعيد قال صلى الله عليه وسلم كان
الانبيا قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطا اليكم
لعدم التفاتهم الى الدنيا اذ ليست تسوي عند الله جناح بعوضه وبما اعد
لهم من لوفى المطالب واعلا المراتب جزا وانبي وقال عيسى لخنزير لقيه اذهب بسلام
فقيل له في ذلك استعظاما لقوله ذلك له مع حقارته فقال اكره ان اعود لساني
النطق بسو عملا بقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل به وروى
ابن ابي حاتم واحمد في الزهد قال مجاهد كان طعام يحيى العشب زهدا وقناعة
ورفضا للتنعم في الدنيا وكان يبكي من خشية الله حتى اتخذ الدمع مجرى في
خده لشدة معرفته بربه انما يخشى الله من عباده العلما وكان ياكل مع الوحش
لئلا يخالط الناس لينقطع الى ربه بتبتلا وحكى الامام محمد بن جرير الطبري عن
وهب هو ابن منبه ان موسى كان يستظل بعريش هو بيت من عيدان تنصب وتظلل

جلها

ويظلل ملبها وياكل في نقرة اي حفرة من حجر ويكرع اي ياخذ الماء بفيه فيشربه فيها
اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا مفعول من اجله للكرع وهو لحقيقة
الافتقار والانقطاع اليه زهدا في زينة الحياة الدنيا بما اكرمه الله به من كلامه
قال تعالى وكلم الله موسى تكليما واخبارهم اي الانبيا في هذا الذي ذكر كله مسطورة اي
مكتوبة في محالها وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة والشمايل
جمع شمال وهو الخلق والسجية معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا يلتفت الى
ما تجده في بعض كتب جهلة المورخين والمفسرين مما لا يليق بكريم جنابهم
وعظيم قدرهم مما يخالف هذا الذي ذكرنا فصل قد اتينا اكرمك الله
اعتراض بين اتينا ومعموله ودعا لكل من يتاتى توجه الخطاب اليه او لمن جرده
من نفسه ليخاطبه او لمن طلب منه تاليف هذا الكتاب اي اوردنا جملة من
ذكر الاخلاق الحميدة اي المحمودة والفضايل الجمة اي الشريفة العظيمة وكر
من خصال الكمال العديدة اي المعدودة الكثيرة الدالة على كمال ذاته صلى الله عليه
وسلم واريناك فيما مر صحتها اي كونها لايقة بجنابه وهو خليق باتصافه
بما مناسبة له صلى الله عليه وسلم وحكينا من الاثار ما فيه مقنع اي قدر
مرضي يكتفى به والامر اي الشان في باب مناقبه اوسع اي اكثر مما يذكر هنا
سمي لزوم مناقبه بسعة مكان رحب ثم اشتق منه اسم التفضيل فوقعت
الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسم تبعية فمجال هذا الباب اي سعته مجاز
عن كثرته في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد لا يكاد ينتهي الى احد ينقطع دون
نفاده اي فراغه الادلا جمع دليل فكانه مكان ممتد يقصر عن بلوغه كل دليل
وبحر علم تشبيه بليغ اخرجه من باب الاستعارة بذكر علمه وتشبيهه موله اي علمه
خصايصه الذي هو لكثرته وسعته كبحر زاخر من زخر البحر اي مد وكثر ماؤه وارتفع
امواجه الى حيث لا تكدره الدلا اي لا تؤثر فيه بنقص بورود صفو كدر ولكنا
اثبتنا فيه بالمعروف الذي لا ينكر مما اكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات
واقتصرنا في ذلك اي الذي اتى به معروفا بنقل من كل بضم الكاف وتشديد
اللام والبا بمعنى على اي اقتصرنا على قليل من كثير وعلى غيض من فيض تاكيد لما
قبله اذ بمعناه تفننا في مقام المدح وتشبيها لكثرة فضايله وجموم مناقبه
بفيض غزير لا يغيض دواه ولا ينضب ماؤه ورأينا ان نختم هذا الفصول اي
الواردة في هذا الباب بذكر حديث الحسن بن علي بن ابي طالب عن خاله هند
ابن ابي هالة لجمعه من شمايله اي الاخلاق واوصافه كثيرا علة داعية لجعله	اي اخلاقه
هذا الحديث خاتمها واذا تجد اي ادخال هند في حديثه جملة كافية من شانه
لقوله سيرته وفضايله ورأينا ان نصله اي الحديث بتنبيه لطيف على غريب

متسكله وكان اي هند وصافا اعتراض ورد مجرا بانه كان ذا حذق وخبرة
ومعرفة كثيرة في الوصف وانا ارجو جملة حالية اي سائله راجيا ان يصف لي
منها شيئا اتعلق به معرفة وعلاقة قال اي هند كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخما مفخما اي عظيما معظما في القلوب والعيون لا في خلقته وجسمه وقيل
فخامة وجهه ونبله وامتلاوه مع الجمال والمهابة يتلالو وجهه تلالو القمر
اي يضيء اضاءته اطول من المربوع اي ليس بطويل ولا قصير واقصر من المشذب
بمعجمتين هو البائن الطول مع نحافة اي نقص في اللحم من قولهم نخلة شذبا اي
طويلة شذب عنها جريدها اي قطع عنها وفرق عظيم الهامة اي كبير الراس
مما يدل على الرزانة والوقار رجل الشعر بكسر الجيم كانه مشط فتكسر قليلا
ليس بسبط ولا جعد اذا انفرقت عقيقته فرقها اي ان صار شعر راسه بنفسه في
مفرقه فرقين تركه مفروقا سمي عقيقة تشبيها له بشعر المولود في شعره لانه
استعارة تحقيقية وفي رواية عقيصته والا ينفرق لم يفرقه فلا يجاوز شعره شحمة
اذنيه اذا هو وفره اي جعله وفرة اذ لا يسمى وفرة الا اذا وصل الى شحمتيها ازهر
اللون اي ابيض نيرا وهو احسن الالوان واسع الجبين من كمال حسنه ازج
الحواجب اي مدققها مع تقوس وغزارة سوابغ اي تامة طولا من غير قرن اي اجتماع
اي ان طرفي حاجبيه قد سبغا اي طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا وسوابغ حال
مما قبله اي دقت حواجبه حال سبوغها وجمعها لان التثنية جمع بينهما عرق
يدره اي يحركه ناورا الغضب تقدم بيانه اقنى العرنين مع دقة ارنبته وحدب
في وسطه كذا في نهاية ابن الاثير وشارح عن المصنف ملخصا له نور يعلوه
من حسنه وبهاء رونقه يحسبه اي النبي ادعرنينه من لم يتامله اشم اي مرتفع
وسط قصبة انفه مع استوا اعلاه واشرافا ارنبته قليلا كث اي كثير شعر اللحية
ادعج اي شديد سواد الحدقة مع شدة بياضها سهل الخدين اي مستويهما غير مرتفع
الوجنتين ضليع الفم اي عظيمه او واسعه والعرب تمدح عظيمه وتذم صغره
اشنب اي ابيض الاسنان مع بريق وتحديدها او هو رونقها وماوها مفلج الاسنان
وفي رواية افلج الفلج محركا فرجة بين الثنايا والفرق فرجة بين الثنيتين دقيق
المسربة بضم الراء ما دق من شعر الصدر كالخيط سائلا الى السرة كان عنقه
جيد دمية بضم المهملة اي عنق صورة او من عاج وانما شبه عنقه بعنقها لانه
يتانق في صنعتها مبالغة في تحسينها في صفا الفضة حال مفيدة لتشبيهه به
اي كانه هو حال الصفا به فهو معتدل الخلق بفتح المعجمة اي متناسب الاعضاء خلقا وحسنا
بادنا اي عظيم البدن ذا لحم متماسكا اي تمسك اعضاوه بعضها بعضا سوا البطن
والصدر اي متساويان ليس في احدهما ارتفاع على الاخر مسيح الصدر بضم الميم

وكهلة

وبمهملتين اي عريضة بينهما دة قوله بعيد ما بين المنكبين مثنى منكب وهو ما
بين الكتف والعنق اي واسعه ضخم الكراديس جمع كردوس اي كبير راس
العظام او ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين انور
المتجرد اسم مفعول من التجرد وهو الكشف اي ما جرد عنه ثيابه من جسده
فهو اشرق وانور موصول ما بين اللبة والسرة بشعر متعلق بموصول يجري كالخط
هذا معنى ما فسرنا به المسربة انفا عاري الثديين وروي الثندوتين
اي ليس عليهما شعر وفيل لحم اذ قد ورد انه كان اشعر الذراعين والمنكبين
واعالي الصدر اي كثير شعرها وفيه نظر اذ لا يلزم منه ان يكون عليهما
طويل الزندين هما موصول طرفي الذراع في الكف اعني الكوع وهو راس
الذراع مما يلي الابهام والكرسوع وهو راسه مما يلي الخنصر رحب الراحة اي
واسعها حسا وعطا شثن الكفين والقدمين اي يميلان الى غلظ وقصر
او في انامله غلظ بلا قصر ويحمد ذلك في الرجل لانه اشد لقبضه ويذم في
النسا سائل بالام او قال سائن الاطراف بالنون وهما بمعنى اي ممتدها فان
تبدل الدال نونا سبط العصب اي ممتده بدون تعقد ونتو وروي القصب
بالقاف اي ممتد كل عظم عريض اجوف فيه مخ كالساعد خمصان الاخمصين
مبالغة من الخمص اي شديد تجافي اخمص القدم عن الارض وهو الموضع
الذي لا يلصق منها عند الوطي مسيح القدمين اي كانتا ملساوين
لينتين لا تكسر فيهما وشقاق ينبو اي يخرج عنهما الما اذا اصابهما لملاستهما
زال تقلعا وروي اذا مشى تقلع اي رفع رجليه من الارض رفعا قويا كانه
يتثبت في مشيه بحيث لا يظهر منه عجلة وشدة بدر مبادرة ويخطو تكفيا كذا
روي بغير همز وروي مهموزا وهو الاصل لان مصدر تفعل من الصحيح تفعل
بضم عينه كتقدم تقدما وتكفا تكفوا اي تمايلا الى جهة ممشاه ومقصده
ومن المعتل بكسرها كتخفى تخفيا وتسمى تسميا فاذا خففت همزته التحق بالمعتل
وصار تكفيا بالكسر ويمشي هونا عطفه على يخطو لكمال الاتصال بينهما اي برفق ووقار
ذريع المشية اي سريعها مع سعة الخطوة اذا مشى كانما ينحط من صبب اي من
منحدر مع تثبت بدون عجلة واذا التفت التفت جميعا اي لا يسارق النظر ولا
يلوي عنقه يمنة ويسرة كالخفيف الطائش بل يقبل جميعا ويدبر جميعا خافض الطرف
اي بصره تواضعا وحيا من ربه نظره الى الارض اطول من نظره الى السما لانه اجمع
للفكر جل نظره الملاحظة مفاعلة من اللحظ اي النظر بشق العين مما يلي الصدغ
اراد بها هنا كثرة التفكر يسوق اصحابه اي يقدمهم امامه ويمشي خلفهم تواضعا
وارشادا الى استحباب مشي كبير القوم وراهم ولا يدع احدا يمشي خلفه ويبدا من لقيه

اللبة م
الثديين
لا يلصق

بالسلام لانه الاكمل ومن ثم ندب للاكبر ان يبتدي الاصغر به قال الحسن
قلت اي قال له هند بن ابي هالة صف لي منطقه صلى الله عليه وسلم قال كان
متواصل الاحزان بما يرد عليه من كآبة الامور وحوازب الخطوب دائم الفكرة
فيما يلقاه من الملمات ويغشاه من المهمات لا الحزن الذي يورث كمدا بفوات
عاجل او بتوقع مكروه آجل اذ لم يكن ذلك من حاله وقد استعاذ ربه منه فقال
اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن الحديث ومطابقة الجواب للسؤال ان هما وفيما
بعدهما من حيث انه بين حاله المنشئ له عنه ليست له راحة لما كلفه من
اعباء التبليغ والدعوة الى الاحكام وتنفيذها ولا يتكلم في غير حاجة اذ لا
الحق بعينه
يعنيه طويل السكوت عما لا يجدي نفعا يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي
جوانب فمه لرحب شدقيه والعرب تتمدح به ويتكلم بجوامع الكلم اي بالكلم
الجوامع لالفاظ قليلة ومعان كثيرة واحدتها جامعة وفي الحديث كان يستحب
الجوامع من الدعا اي الجامعة لاغراض صالحة ومقاصد صحيحة فصلا حال
من ضمير يتكلم او صفة مصدر محذوف اي كلاما بينا يعرفه كل احد ولا
يشتبه عليه ومنه انه لقول فصل اي بين قاطع لا فضول فيه عريا من
الفايد ولا تقصير فيه عن اصل معناه المراد منه وخواصه الزائدة عليه دمثا
من الدمث وهو الارض السهلة والرمل الغير المتلبد اي لين الخلق سهلا ليس
بالجافي اي الغليظ الخلقة والطبع او الذي يجفو اصحابه ولا المهين روي بالضم
على انه اسم فاعل من اهان اي لا يهين موصوفا وبالفتح على المفعولية من المهانة اي الحقارة
ومنه حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين اي حقير يعظم النعمة
وان دقت اي قلت لشرف خلقه وكرم شيمه لا يذم شيئا لتنزهه من البذا
اي الفحش في القول لم يكن يذم ذواقا من الذوق فعال اي ماكولا ومشروبا
يقع على المصدر والاسم تقول ذقته ذواقا وذوقا وما ذقت ذواقا اي
شيئا ما عاده مع ما قبله له ليرد فيه صدره بقوله ولا يمدحه لتنزهه
من الرغبة في التمتع بمتاع الحياة الدنيا وتوجه نفسه الى المشعر بها مدحه
ولا يقام لغضبه اذا تعرض بنا المفعول لبعضها كل من شانه تعرضه للحق
اي لا يقاوم غضبه احد اذا تعرض له لشي حتى ينتصر له اي للحق وهذا
غاية لعدم التعرض لغضبه له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها لتنزهه عن
ذلك على ما مر اذا اشار اشار بكفه كلها قصدا للافهام ورفعا للابهام
واذا تعجب من شي عظم وقعه عنده قلبها تلويحا بان المتعجب ينقلب الى حالة
التعجب واذا تحدث فصل اي قصد من قوله فصل صلتها اي خرج من
طرقها فظهر من حجاب في صدرها اي بكفه فضرب بابهامه اليمنى باطن اليسرى

لانها

لا لطافة داعية من تحدث بيمينه واذا غضب اعرض واشاح اي بالغ في اعراضه
عن المغضب منه اوانا قبل الى مقصده مانعا لما وراه واذا فرح غض طرفه
اي ارخاه واطرق ليكون ابعد من الاشر والمرح جل ضحكه اي اكثره التبسم
كما مر ويفتر عن اسنان مثل حب الغمام اي البرد او قطر المطر شبه به ثغره
في صفائه وبياضه وحسنه لا في الشكل والاستواء قال الحسن ريحانة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني اليها فسالته اي اباه عن مدخل رسول
الله ومخرجه ومجلسه هي في الاصل مكان الدخول والخروج والجلوس ثم
استعيرت لسائرها فتجمع احواله صلى الله عليه وسلم وشكله اي عن
مذهبه وقصده او عن ما يشاكل افعاله ويجوز ان يكون للسوال عنه اي
دله وهديه وسمته فلم يدع منه شيئا قال الحسين سالت ابي عن دخول
اي عن جميع احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه
خاص بها ماذونا له حال من اسم كان وخبرها لنفسه اي كان في
جميعها حال اذن ربه له في ذلك اي في جميع احواله اذ لم يتوجه لفعل
شي بغير اذنه او لنفسه حاله وماذونا خبرها ووضع اسم الاشارة موضع
موضع المضمر لكمال العناية بتمييزه فكان اذا اوى مقصور لكونه لازما
تعدى هنا بحرف جر وهو الى منزله جزا دخوله اي زمنه ثلاثة اجزا جزا لله يعبد
يعبده ويتفكر في عجائب ملكه وجزا لاهله يدبر امرهم ويصلح شانهم وجزا
لنفسه ينفذها في بعضه مما يليق بكرم جنابه يشهده ثم جزا جزاه
بينه وبين الناس فيرد صلى الله عليه وسلم في زمن جزا نفسه ذلك الذي يفعله
على العامة بالخاصة اي بواسطة من الخاصة ولا يدخر عنهم شيئا مما ينفعهم واصل يدخر
يذتخر من الذخر قلبت التا دالا مهملة لاتحادهما مخرجا فصار يذدخر
بمعجمة فمهملة ثم ادغم والاكثر في النطق بالمهملة قلبا للمعجمة مع الادغام
كما ذكره
وعكسه اقل كما في امثاله كالادكار وكان من سيرته اي دابه وطريقته في جزء
الامة ايثار اهل الفضل نفعا لهم واكراما قسمته مصدر مضاف اما الى
المفعول او الفاعل اي قسمة الجزا او قسمة النبي اياه على قدر فضلهم الافضل
فالافضل في الدين لشرفهم بالفضل والتقوى وبها فضل ذروه صلى الله
عليه وسلم وكذلك به في صحبا بان اصحابا لا يفضل بمجرد نسبه قرابته ان
اكرمكم عند الله اتقاكم ثم هم متفاوتون في قدر استحقاقهم فمنهم ذو الحاجة
ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج ثلاثا فاكثر فيتشاغل بهم نفعا
وقضا للحوائج ويشغلهم فيما يصلحهم ويصلح الامة من مسالتهم عنهم بيانا لما
واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول صلى الله عليه وسلم ليبلغ الشاهد اي الحاضر

منكم ما سمعه مني الغائب ولو بالمعنى خلافا لابن سيرين وغيره فرب مبلغ اوعى
له من سامع ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وابلغوني حاجة من لا يستطيع
ابلاغها اياي امر ترغيب وحث للنفس على ابتغائها لفعل الخيرات فانه من
ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة
تبشير لمن فعل ذلك ورد في صورة العلة ترغيبا فيه وارشادا الى استحبابه
ومناسبة المترتب لما ترتب عليه ظاهر من حيث احتياج فاعله الى قوة
جنان لا يذكر عنده الا ذلك الذي يشاع عنه نفعهم وقضاء حوائجهم ولا يقبل
من احد غيره قال اي علي بن ابي طالب في حديث سفيان بن وكيع يدخلون
روادا حال من الضمير قبله جمع رائد واصله من يتقدم القوم يرتاد لهم الكلا
ومساقط القطر اي يدخلون عليه طالبين منه العلم ملتمسين الحكم شبهوا
بجامع الطلب بمن يتقدم القوم يطلب لهم الكلا ومساقط القطر مطلب الهدو
فاستعار لهم الاسم استعارة تحقيقية مطلقة لم تقترن بما يلائم واحدا منهما
ولا يفترقون بعد دخولهم روادا الا عن ذواق اي عن علم وحكم بالتشبيه منه
او عن مذوق ماكولا ومشروبا فعال بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر
والاسم كما مر ويخرجون من عنده ادلة يعني فقهاء هداة للناس لانهم كمن
استنهض بي ادلا قلت قال الحسين لابيه فاخبرني عن مخرجه في جميع احواله
كيف كان يصنع فيه قال اي ابوه علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بتمييزه يخزن لسانه اي لا يتكلم
بما لا يجدي نفعا لنزاهته عن فضول الكلام الا فيما يعنيهم اي يهمهم مما
ينفعهم من خطابه وجوامع كلمه وجواهر لفظه وزواجر وعظه ويؤلفهم
من سحائب نعمه وسواكب كرمه ولا يتكلم بما ينفرهم و لا ينفرهم لانه برحمة
من الله لان لهم ولو كان فظا غليظ القلب لانفضوا من حوله ويكرم كريم كل قوم
ويوليه عليهم ترغيبا له في الاسلام ومراعاة للاهلية في الولايات
وترهيبا عن ولاياتهم لاسافل ويحذر الناس ويحترس منهم اذ الحزم كما قال
سوء الظن اي ضبط الامر والحذر من فواته ومنه حديث عمر احتجزوا بسوء الظن
اي لا تثقوا بكل احد فانه اسلم لكم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه
اي طلاقة وجهه وبشاشته وانبساط نفسه تالفا لهم وتانيسا شبه
طيها بطي شيء يطوى بجامع خلالهما في جنسه ثم اشتق منه الفعل فجرت
الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى الفعل تبعا او شبههما بما
من شانه يطوى على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت لهما الطي تخييلا
ويتفقد اصحابه ليسوا له عن احوالهم متعرفا لها ويسال الناس عما في الناس

من

من الصفات مما تمس اليه الحاجة ليفعله وينزل كلا منزلته بحسب ما فيه
ويحسن الحسن ويصوبه اي يقول فيه هو حسن صواب ترغيبا فيه ويقبح
القبيح ويوهيه يجوز ان يكون بالنون او بالياء اي يقول فيه هو قبيح ضعيف
او ساقط تنفيرا عنه وتحذيرا منه معتدل الامر اي الحال والشان مما
للعين قرة وللنفس فيه راحة غير مختلف حال من ضمير اي معتدل او من
الامر اي غير مفرط ولا مفرط لا يغفل بما يشغل قلبه عنهم مخافة مفعول
من اجله ترك الغفلة حذرا من ان يغفلوا بضم الفاء فيهما او مخافة ان يملوا
اي يفتروا اذ الملال فتور او انكسار يعرض من كثرة مزاولة العمل فيورث
الكلال والاعراض عنه وفي الحديث اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله
لا يمل حتى تملوا اي اعملوا وسعكم وطاقتكم فان الله لا يعرض عنكم ولا ينقص
ثواب اعمالكم ما بقي لكم نشاط وارتياح فاذا فترتم فاقعدوا فانكم ان مللتم
وأتيتم به على كلال وفتور عاملكم معاملة الملول لاستحالة الملال في
حقه تعالى لنحو تمتها او بايراده على طريقة المشاكلة والازدواج وهو ذكر كر
احد لفظين لمشاكلته للاخر وان خالفه معنى كما في تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك اي تعلم ما اخفيه في نفسي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك لكل
حال عنده عتاد اي ما يصلح لكل ما يحدث من الامور معه مهيا لا يقصر عن لعل لا يقتر
الحق ولا يجاوزه الى غيره اي لا يفرط في اقامته على قانون العدل تقتيرا ولا يفرط
متعديا عنه اسرافا الذين يلونه من الناس خيارهم مبتدا وخبر
فصل عما قبله لاختلاف موصوفيه وافضلهم عنده اعمهم نصيحة
لله وكتابه ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم فنصيحة الله صحة
الاعتقاد في وحدانيته واخلاص النية في عبادته ونصيحة كتابه
التصديق به والعمل بما فيه ونصيحة رسوله الايمان به وامتثال الاوامر
واجتناب نواهيه ونصيحة الائمة طاعتهم في المعروف ولا يخرج
عليهم اذا جاروا ولكن يردعوا كما قال امام الحرمين ولو بشهر سلاح
ونصيحة العامة ارشادهم الى مصالحهم ولهذا المقام مزيد بيان ذكرته
في شرح مختصر المقاصد والنصح لغة الاخلاص يقال نصحته ونصحت
له اي اخلصت وليس ثم كلمة تعبر عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح
له سواها واعظمهم عنده منزلة احسنهم موازرة اي معاونة على
ما كلف به اما من الوزر بكسر الواو وسكون الزاي وهو الثقل اي الذي يتحمل
حملا للثقل او من الوزر بفتحتين وهو الملجا اي الذي يلتجا اليه واعتصم
برايه ومواساة اي مشاركة في المعاش والرزق قلبت همزته واوا تخفيفا

لشهادة حديث ما احد عندي اعظم يدا من ابي بكر آساني بنفسه وماله الاصل آساني ولعله واساني
قال الحسين فسألته يعني اباه عليا عن مجلسه صلى الله عليه وسلم ما كان
يصنع فيه فقال كان لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر تشريعا وارشادا
الى العمل بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا يوطن
الاماكن اي لا يتخذ لنفسه مجلسا يعرف به وينهى عن ايطانها اي عن اتخاذها
معينة وقيل مصلى معينا للصلاة لشهادة حديث كاكرو غيره نهى النبي صلى
الله عليه وسلم ان يوطن الرجل مكانا يصلي فيه وفي رواية نهى عن نقرة الغراب
وان يوطن الرجل المكان بالمسجد كما يوطن البعير اي نهى ان يألف الرجل مكانا
معلوما من المسجد مخصوصا يصلي فيه كالبعير لا ياوي من العطن الا الى مبرك
دمث قد وطنه واتخذه مناخا وقيل نهى ان يبرك على يديه اذا اراد السجود كبروك
البعير ولعله عام مخصوص اريد به خصوص من لم يتعين المسجد مكانا يفتي
فيه ويدرس فان له ان يمنع منه من سبقه اليه واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي
به المجلس ويأمر بذلك تواضعا وتشريعا فعلا وامرا ويعطي كل جلسائه
نصيبه من بشره ومحادثته وانصاته لهم وايتلافا لقلوبهم حتى لا يحسب جليسه
ان احدا اكرم عليه منه غاية لاعطائه ذلك استجلابا لخواطرهم وجبرا
لانفسهم من جالسه او قاومه من الجلوس والقيام لحاجة صابره اي
من قام لقضاء حاجته صبر عليه حتى يكون هو المنصرف عنه
صلى الله عليه وسلم من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
فلم يكن يرد احدا كيف وقد قال للسائل حق وان جاء على فرس ففيه اشعارا
بالامر بحسن الظن به فلا يكذب مع امكان تصديقه ولا يرد خائبا وان كان
متطرفا بحلية عليها لاحتمال كونه غازيا او غارما او ذا دين او عيال قد وسع
الناس بسطه وخلقه اي عمهم ببسط يده وسماحة نفسه وطلاقة
وجهه وحسن خلقه بسعة مكان رحب ثم اشتق منه وسع ونعتا لاستعارة
في المصدر اصالة وفي الفعل تبعية فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق
متقاربين من حيث كونهم متفاضلين في انفسهم لا لميلهم تعدد تفاوتهم
بالتقوى هذا وفي الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فاذا تساووا
هلكوا لانه انما لتساوي بالتنافس في طلب الفضايل ودرك المعالي بخلاف
التفاضل فيه فانه لرضي بالنقص واما من حيث الحكم به عليهم فهم فيه سواء
لشهادة الرواية الاخرى فصاروا عنده في الحق سواء اي متساوين فلا
تعارض بين الروايتين مجلسه مجلس حلم لا يستفز احدا فيه غضب احد ومجلس
حيا يمنعهم ارتكاب ما لا ينبغي ومجلس صبر اي حبس لانفسهم فيه على ما كلفوا

من

من ارتكاب مامور واجتناب منهي مما تقضي به سواطع الاعتصام ولوامع
النزاهة عن الاثام ومجلس امانة لا يجري فيه ما لا يليق من قول او فعل لا ترفع
فيه الاصوات احتراما له اذ كان مجلس علم ووقار كما مر ولا تؤبن فيه الحرم
اي لا يذكرن فيه بسوء ولا يرمين فيه بقبيح ولا تنثى فلتاته بمثناة فوقية
ومثلثة بينهما نون والفلتات جمع فلتة وهي الزلة اي لم يكن لمجلسه فلتات
من احد فتشاع وتذاع او تعيب فهو من باب نفي الشيء بنفي ما ترتب عليه وفي نسخة
تثنى بمثناة مثلثة اي لا تعاد فلتات مجلسه لصيانته عما لا يليق يتعاطفون
من العطف بمعنى الرحمة وهو مثل نفساني اي يترحمون بالتقوى اي بسببها
لشهادة حديث ابي داود والترمذي لا تنزع الرحمة الا من شقي وهو من
لا تقوى له واصلها وقي من الوقاية اذ هي تقي صاحبها المعاصي ابدلت
واوها تاء لكثرة الاستعمال متواضعين بعضهم لبعض يوقرون فيه اي في
مجلسه صلى الله عليه وسلم الكبير احتراما واكراما ويرحمون الصغير شفقة
عليه ورافة به ويرفدون اي يعينون ذا الحاجة على حصولها وكانت الرفادة
لقريش هو ما كانت الجاهلية تترافد فيه اي تتعاون فيه فتخرج كل ما يقدر
عليه فيجمعون مالا عظيما فيشترون به طعاما وزبيبا لنبيذ ونحوه فيطعمون
الناس ويسقونهم ايام موسم الحج حتى ينقضي ويرحمون الغريب شفقة عليه
ونابتا له قال الحسين فسألته يعني اباه عليا عن سيرته اي طريقته في جلسائه
فقال كان دائم البشر اي طلاقة الوجه وبشاشته فرحا مسرورا سهل الخلق
اي الطبع والسجية والدين اذ قد بعث صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الاخلاق
ومحاسن الافعال وكان خلقه القران اي كان متمسكا باوامره ونواهيه
وادابه وما اشتمل عليه من مكارمه ومحاسنه لين الجانب اي منقادا للاحق متواضعا
ليس بفظ اي ليس بسيء الخلق وشرسه ولا خشن الجانب ولا غليظ اي ولا
جهم كريه الخلق ولا سخاب وفي رواية ولا صخاب اي صياح مضطرب الصوت
للخصام وكلاهما للمبالغة والنفي هنا وفيما يأتي متوجه الى اصل معانيها لا الى
الزيادة فقط كما مر وفي حديث المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار وفي رواية
بالصاد اي اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كالخشب فاذا اصبحوا تساخبوا
على الدنيا شحا وحرصا عليها ولا فحاش اي ولا ذي فحش في اقواله وافعاله ولا عيا ب
على احد قولا وفعلا على احد مرضيا ولا مداح اي ولا مبالغ في مدح احد وقد
نهى عن الاطراء فيه فقال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم فالنفي فيه
متوجه الى الزيادة فقط يتغافل عما ليس بمنكر لا يشتهي والا فهو لا يغفل على
ما نهي عنه ولا يؤيس منه بالبناء للفاعل او للمفعول كما مر قد ترك نفسه ولم يجعل على مامر ح

باب الريا

لما حظا من ثلاث ثم بينها بدلا من كل من الريا فلم يقصد اظهار حضا له المحمودة ن
واراتها للناس ليكون له منزلة وعظم في قلوبهم لنبهها دة من سمع سمع الله به ومن رايا
رايا الله به اي من رايا بعمله وسمعه للناس ليكرموه ويطيعوه ويعتقدوه نحوه
سمع الله به يوم القيامة اي اظهر رياه وفضحه او من سمع بعيوب الناس واذاعها
اظهر الله عيوبه او اسمعه مكروها او اراه ثواب ذلك وحرمه اياه حسرة عليه او
من اراد بعمله الناس اسمعه الله ولم يكن حظه منه والاول اجود لنبهها دة من سمع
بعمله سمع الله به اسامع خلقه وحقره وصغره اي سمع الله اسماع خلقه به يوم
القيامة واسامع جمع اسمع جمع سمع ويروى سمع الله سامع خلقه مرفوعا صفة لله
اي الله سامع خلقه يسمع به اي يفضحه ومن الاكثار متقللا مما له تعلق بامور الدنيا غير
راغب فيه ممتثلا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ومن ما لا يعنيه
اي ما لا يهمه قولا وفعلا وتوسعا وحصحرة وغير ذلك مما يجلب الاعراض عنه اولا يليق
وقد ذكرنا لهذا مزيد بيان في حديث الترمذي من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه في
شرح الاربعين النواوية وترك الناس وابعدهم عن ساحته ما ينقصهم ويغض عليهم
من ثلاث ابدل منها كان لا يذم احدا بما يصغر شانه ويضع قدره بعيبه اذ
لم يكن عيابا ولا طعانا ولا فحاشا ولا بذيا ولا يعيره بعيب سلف وتدارك من عثر
اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله ولا يطلب عورته اي لا يسي ظنه به فيتجسس ويتبع
ما ستره الله عليه وقد قال في حديث داود على المنبر يا معشر من اسلم بلسانه
ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم
فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته من باب المشاكلة لوروده في صحبة
ما قبله بمعنى كشفا شترته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه من ديه كالنصح ن
والتبليغ وانواع المبرات اذ هو كالرسل لا يشتغلون على ذلك اجرا اذا تكلم اطرق
جلساوه كانما على روسهم الطير اكراما له واحتراما وتوقيرا مع تمام وادا سكت
تكلموا تادبا معه ومراعاة لعظيم قدره لا يتنازعون عنده الحديث اي لا يتجاذبونه
بينهم وفي الحديث مالي انازع القران اي اجاذبه في قراتي كانهم جهروا بالقراة وراه
في الصلاة فشغلوه لنبهها دة حديث كانوا الدارقطني وغيرها لعلكم تقرؤن
وراي في الصلاة قالوا نعم قال لا تفعلوا الا بفاتحة الكتاب وفي رواية الامام القران
من تكلم عنده انصتوا له يجوز استعمال انصت لازما ومتعديا يقال انصت انصاتا
اذا سكت سكوت مستمع وانصته اذا اسكته وسمع باللام ودونها يقال انصته
وانصت له وقد دخل لطلحة بالبصرة انشدك الله الا تكن اول من غدر فقال
انصتوني انصتوني قال جاد الله هو من الانصات متعدي بالي حذفه اي استمعوا
الي حتى يفرغ غايته لانصاتهم لمن تكلم حديثهم حديث اولهم نسبته حذفت

ا والله

اذانه وجدا لشبه وهي اعلام انه لجمعها قوة الحكم على المبتدا بانه الخبر وقوة عموم
وجه الشبه اي فهو في حسن تاديبه منتظما في سلك التسابق التسابق معانيه الى الفهم
الفاظها يضحك مما يضحكون منه اذا وقعت بينهم موانسة مشتملين لنشر وط
الادب وهذا لا ينافي قوله كانما على روسهم الطير اذ كان اكثريا ويتعجب مما
يتعجبون منه تطيبا لخواطرهم وايتلافا لهم واستحبابا لما يعده الفاضل مفضوله
في ذلك ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق الغليظ الكائن في الغير اللايق
لخطابه حلما منه عليه وتكرما اذ هو صلى الله عليه وسلم
• حليم اذا ما الحلم زين اهله • مع العلم في عين العدو مهيب •
وهذا كان دابه ودينه ويقول اذا رايتم صاحب حاجة يطلبها فارفدوه اي
اعينوه على قضايها ومنه حديث اعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه
اي معينة له على اداها ولا يطلب الثنا اي لا يقبله وبه وردت الرواية الاخرى
الا من مكافي اي مسلم لعلمه حقيقة ايمانه او من مقتصد في ثنايه غير مجاوز
ولا مقصر عن تنزيه قدره او ممن سبقت منه صلى الله عليه وسلم له نعمة ورد
بان احدا لا ينفك عن ربقة انعامه اذ قد بعث رحمة لكافة الناس ولا يقطع
على احد حديثه تفاديا من ان يدخل عليه ما يولمه وينفر خاطره بل ينصت له
حتى يجوزه فيقطعه بانتهائه للحديث او قيام غاية لترك قطعه وزاد الاخر
كان سكوته على اربع من الحكمات على الحلم والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره
ففي تسويه النظر في الامور وما يترتب عليها من مصالح ومفاسد دنيوية واخروية
وفي الاستماع من الناس فيما يتعلق بهم من منازعة ومخاصمة ونحوهما مما يترتب
عليه امر بو فاحق او حكم به او مصالحة او ترك بعض دين كما في حديث البخاري في شان
الي ابن كعب حدرد ان ضع الشطر واما تفكره ففيما يبقى من فضل عظيم ونعيم مقيم
محفوفا بمسرات كرام مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واعظمها
النظر الى وجه الله الكريم وفيما يفنى ويبيد فرفضه واثر الباقي عليه لنبهها دة
حديث الترمذي عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما
واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك •
وجمع له الحلم في الصبر على مضض ما يعتريه ويلقاه من اخلاف الناس وعنادهم
فكان لا يغضبه شي يستفزه اي يستخفه ويفزعه والحلم حبس النفس عن الانتقام
والاعراض عن اظهاره وكظم الغيظ واطفا سورة الغضب ومعنى الصبر حمله
على التاني في الفعل وترك المنازعة اليه ففيه اشعار بان الصابر اسم اخص
دون الحليم ومن ثم جعله ظرفا له ودفعا للاشعار وجمع له الحذر اي التيقظ
والتحرز اخذه مفعول من اجله اي لاجل اخذه بالحسن واجبا ومندوبا ومباحا ليقتدي

لعل من اخر

به علة لاخذه به وتركه القبيح حراما ومكروها وكذا الخلاف الاولى المستفاد من
اوامر الندب ينتهي عنه حلة لتركه القبيح واجتهاد الراي اي بذله تمام طاقته بما
اي في او بسبب ومن اجل ما اصلح امته به اذ لا وصول لهم اليه الا به صلى الله عليه وسلم
واما اجتهاد النظر اي بذله تمام ما فيه في الادلة لتحصيل الظن بالاحكام الشرعية فالصحيح
جوازه له صلى الله عليه وسلم ووقوعه بشهادة ما كان للنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن
في الارض عفا الله عنك لم اذنت لهم عوتب على ابقائه اسارى بدر بالفدا وعلى اذنه
لمن ظهر نفاقهم في تخلفهم عن غزوة تبوك ولا عتاب فيما صدر عن وحي فيكون عن
عن اجتهاد ولا يخطئ لنزاهة منصب النبوة عن الخطا في الاجتهاد والقيام لهم باحوالهم
مع القدرة على مراعاة مصالحهم بما جمع لهم من امر الدنيا والاخرة من معايشهم
ومعاد فصل في تفسير غريب هذا الحديث اي حديث هند وغيره ثم الكثرم
الغريب ما لا يكون على السنة العرب دورها ولا استعماله بينهم ولا جاريا على
قوانين اللغة وفي تفسير مشكله هو ما لم يتضح معناه فاحتيج في تحصيله الى
انبعاث فكر واتعاب روية المشذب اي البائن الطول اي المفرط فيه وقد بعد
عن قد الرجال الطوال في مخافة حال من ضمير اسم الفاعل وجي به للتنبيه ملابسة
النحافة للطول بملابسة الطرفية لغي وهو مثل حديث الترمذي والبيهقي ليس
بالطويل الممغط بتشديد الميم الثانية فمعجمة فمهملة اي المتناهي طولا واصله
منمغط والنون للمطاوعة قلبت ميما وادغمت وامغط النهار اذا امتد ٥
ومغطت الحبل مددته والشعر الرجل من الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه
وتحسينه هو الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد اي لم
يكن شديد السبوطة والجعودة بل بينهما وروى احمد وابو داود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الترجل الا غبا ولعله لما نشا عنه من كثرته من
الترفه والتنعم والعقيقة في الاصل الشعر الذي يولد به فقال عق عن المولود
اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته وذبح عنه شاة للمساكين وسميت باسمه
عقيقة كما سمي به شعر الراس لانها منبته اصوله اراد انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يفرق شعر راسه الا انه ان انفرقت من ذات نفسه فرقه والا تركه
معقوصا وكان هذا في صدر الاسلام وروى الشيخان وغيرهما انه كان يحب
موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به وكانوا يسدلون شعورهم وكان المشركون
يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد ومن ثم قال النووي
المختار جوازهما والفرق افضل ويروى ان انفرقت عقيصته فرق والا تركها
على حالها ولم يفرقها والعقيصة فعيلة بمعنى معقوصة اي مضفورة من العقص
واصله اللي وادخال اطراف الشعر في اصوله والمشهور عقيقته وازهر اللون

نير من النور نقيض الاثار فهو منير اي ابيض مشرق وبهذا لو ذا الزهر والزهرة
البياض النير وهو احسن الالوان وقيل ازهر حسن اي بهج تسر رؤيته وتقر
عينا ومنه اي من ازهر بمعنى حسن زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وحسنها
وبهجتها وبزهرها خيرها وهذا اي كونه ازهر نيرا اي ابيض مشرقا كما قال
واصفه في الحديث الاخر الذي رواه الشيخان ليس بالابيض الامهق ولا
بالادم والامهق هو الناصع اي الخالص البياض الكريه المنظر كلون
الجص والادم الاسمر اللون سمرة شديدة ومثله اي مثل كون لونه
بينهما المفاد بلا ولا في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي والبيهقي ابيض
مشرب اي فيه حمرة ولا معارضة بينه وبين حديث انه كان اسمر اللون لان
ما برز منه للشمس كان اسمر وما سترته ثيابه كان ابيض والحاجب الازج هو المقوس
الطويل طرفه مع استداد الوافر الشعر المحدق وف زوايده والاقنى السائل الانف
المرتفع وسطه اي هو الذي انفه ممتد مع ارتفاع وسطه والاشم خلافه
اذ هو الطويل قصبة الانف اي الذي قصبة انفه طويلة مع ارتفاع ارنبته
دون وسطه والقرن بالتحريك هو اتصال شعر في الحاجبين وضده اي القرن
البلج اذ هو وضوح ما بينهما ووقع في حديث ام معبد كما مر وصفه صلى
الله عليه وسلم بالقرن والصحيح ما مر عن علي من وصفه بالبلج اذ هو المحمود
عند العرب دون القرن وقد يجمع بينهما بان ام معبد راته من بعد فظنت
انه اقرن لقرب طرفيهما التقا فوصفته به وعلي حققهما من قرب فراهما
كذا فيتقيان فوصفه بالبلج والادعج من الدعج وهو السواد في العين
وغيرها وقيل هو شدة سواد العين في شدة بياضها والمراد في الحديث
هو الشديد سواد الحدقة اي العين وفي الحديث الاخر الذي رواه مسلم
اشكل العين واسجر العين هما بمعنى واحد وهو الذي في بياضها حمرة
يسيرة واصل السجرة لهمله لحمرة الكدرة والشكلة محموده محبوبة والضليع الفم
عظيمه وهو ممدوح كما مر وقيل الواسع الفم والضليع العظيم الخلق
الشديد القوي لشهادة قول عمر لجني اسمرا به الحرب كلكم انتم ام بينهم
فقال له الجني اني منهم لضليع اي الخلق وقيل العظيم الصدر والواسع الجبين
والشنب رونق الاسنان وماؤها اي صفاؤها وخلوصها من شوائب الكدورة
وقيل الشنب في الاسنان رقتها وتحززها مع صفائها كما يوجد في اسنان
الشباب لا لطهر في زمان ازدياد وقوام النامية واستعمال حرارتهم الغريزية
الموزنة لانتهاج نضارة الاعضا وحسن رونقها وبريق مائها والفلج محركا فرق
بين الثنايا واحدتها ثنية وهذا بيع ودقيق المسربة خيط الشعر اي الذي

هوله فتنة تعلقه وطوله كالخيط الدقيق الممتد من الصدر والسرة
فهو من التشبيه المولد باضافة المشبه به الى المشبه بادن هو في
الاصل الضخم من البدانة وهي كثرة اللحم ولم يكن صلى الله عليه وسلم سمينا
ومن ثم اردفه بقوله متماسك اي معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا
فلم يكن صلى الله عليه وسلم ضخما مثل قوله بادن متماسك في افادته
اعتدال خلقه قوله في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي والبيهقي لم يكن
بالمطهم اي لم يكن بفاحش السمن او بمنتفخ الوجه ولا بمسترخي اللحم
ولا بالمكلثم ولا بقصير الحنك الداني الى الذقن مع استدارة الوجه وخفة
لحمه وسواء الصدر والبطن اي مستويهما لا ينبو احدهما عن الاخر
ولا بطنه مفاضا اي ضخما ولا صدره متقاعسا اي منخفضا ومسيح الصدر
ان صحت هذه اللفظة اي لفظة مسيح وهو من وضع الظاهر موضع
المضمر تمييزا له عن المضاف اليه وانث باعتبار ما وضع موضع ضميره
فيكون من الاقبال اي مقبل الصدر وهو احد معاني الاشاح ومنها العرض
اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس اي تطامن والخفاض
وبه اي بكونه باديا صدره ليس فيه قعس يتضح قوله فيما سوا الصدر اي ليس
متقاعس الصدر اي غير منخفضه ولا مفاض البطن ~~والصدر~~ اي ضخمه
ولعل اللفظ مسيح بالسين المهملة وفتح الميم بمعنى عريض الصدر كما وقع
في الرواية الاخرى وبنص حديث كان مسيح القدمين اي ممسوح ظاهرهما
املسا وبين لينين اذا مسهما الما نبا عنهما وكان الكراديس رؤس العظام وهو
اي قوله والكراديس رؤس العظام مثل قوله في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي
والبيهقي جليل المشاش اي ضخم رؤس العظام كما في النهاية كالركبتين والمرفقين
والكتفين وفي الصحاح رؤس العظام اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتح
التا وكسرها وقول المصنف هنا المشاش رؤس المناكب جمع منكب وهو
ما بين الكتف والعنق والكتد مجمع الكتفين وهو الكاهل وشثن الكفين
والقدمين اي لحيمهما خلاف ما مر والزندان هما عظما الذراعين يحتمل
ان يريد رأسيهما فيكون بمعنى ما مر وقصبتيهما فيكون خلافه وسائل الاطراف
اي طويل الاصابع من يديه ورجليه وروي بالنون وهما بمعنى [illegible]
وجبرين يتبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما رواية الرا فاشارة
الى فخامة جوارحه كما وقعت الاشارة الى فخامتها مفصلة في الحديث المار في
المفصل قبله ورحب الراحة اي واسعها كما مر وقد يكني واصفه صلى الله عليه وسلم
به اي بقوله رحب الراحة عن سعة العطا والجود فاطلقه واراد لازم معناه لينتقل

الذهن

خمصان

الذهن منه اليه كما في هو كثير الرماد وليس المراد بالملزوم هنا عدم الانفكاك و
الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض
من وسط القدم وفي النهاية ان خمصانا للمبالغة كما مر في لو سئل ابن
الاعرابي عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل
القدم جدا فهو احسن ما يكون واذا ارتفع جدا فهو ذم فيكون المعنى ان اخمصه
معتدل الخمص ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا اي ولكونه املسهما
قال في الحديث السابق ينبو عنهما الما وفي حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي
خلاف هذا اي خلاف كون القدمين اخمص اذ قال فيه اذا وطي بقدمه وطي
بكلها ليس له اخمص وهذا اي معنى قوله ليس له اخمص يوافق معنى قوله
مسيح القدمين وبه اي بمسيح القدمين قالوا سمي المسيح مسيحا اي لكونه لم يكن له
اخمص وقيل لانه لا لحم عليها وهكذا اي قوله لا لحم عليها يخالف قوله شثن القدمين
عند من فسره بلحمهما كالمصنف واما عند من فسره بميلهما الى غلظ وقصر
او في انامله غلظ بلا قصر فلا اذ لا تلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون
بلا ترتحم والتقلع رفع الرجل بقوة مع تثبت في المشي بحيث لا تظهر فيه شدة
مبادرة والتكفي الميل الى سنن المشي وقصده اي الى جهته معتدلا بدون
انحراف عنها وفي الحديث القصد القصد تبلغوا اي الزموا الامر الوسط
بين الافراط والتفريط قولا وفعلا تبلغ مقاصدكم ونصبه على الاغرا وتكراره
للتاكيد والهون هو الرفق والوقار وفي رواية كان يمشي الهوينا تصغير الهونى
تانيث الاهون وفي الادب المفرد عنه صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا
ما اي حبا لا افراط فيه بل قليلا لا تسمح ذم ما اليه وقد مر له مزيد بيان والذريع
ربع الواسع الخطو من الذرع وهو الوسع والطاقة اي ان مشيه كان يرفع فيه
رجليه بسرعة لقوته وشدة قوته ويمد خطوه خلاف نصب صفة
لمصدر محذوف اي يمشي مشية خلاف مشية المختال لعصمته من الاختيال
والمشية بكسر الميم لانه مصدر للنوع ويقصد في مشيه سمته اي قصده
في طريقه بدون ميل عنه وكان ذلك المراعى في مشيه كان برفق وتثبت فيه
دون عجلة كما قال واصفه كانما ينحط من صبب اي من منحدر وروي كانما
ف تهوي من صبوب يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي جوانب فمه واحدها شدق
اي انما كان ذلك لسعة فمه والعرب تمتدح بهذا اي من منحدر وروي كانما
تهوي من صبوب يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي جوانب فمه اي بسعة الفم
يكون صاحبه في الغالب طلق اللسان فصيحه بينا لبيان ربحه وقد كان صلى
الله عليه وسلم في الذروة العليا من ذلك ويذم بصغر الفم الباز لايده او

سببيته اي بذ مصاحب لفقرا الصغير بسبب صغره ولا يعارض هذا الحديث
ابغضكم الي الثرثارون المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون في الكلام
المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون في الكلام بدون احتياط واحتراز
والمستهزؤن بالناس بلي شدقهم للتشدق ونائي الجانب والمتمطي تكبرا واشاح اي جد
معانيه كما مر ومال اي ... ما تغافلا وما اظهره وانقبض مما ارهقه واغضبه
اذ المشيح هو الغضب الحذر والجاد في الامر والمقبل عليه وفي الحديث ذكر
صلى الله عليه وسلم النار ثم اعرض واشاح اي حذر منها كانه ينظر اليها
او جد في الايصا باتقائها او اقبل او مال في خطابه اليه وحب الغمام البرد معنا
على التشبيه كما مر وفي صفة اهل الجنة يصير طعامهم الي رشح مثل
حباب المسك والحباب بالفتح الطل الذي يصبح على النبات ونحوها شبه به
رشحهم مجازا فالي المسك ليثبت له رائحة طيبة كرائحته فيرد صلى الله عليه
وسلم بالخاصة على العامة اي يجعل من جزء نفسه ما يصدر منه صلى الله
عليه وسلم فيه نفع يصل الخاصة اليه لقربهم منه فتوصل الخاصة ذلك
الصادر عنه صلى الله عليه وسلم للعامة ويدخلون اي اصحابه عنده روادا
اي محتاجون اليه وطالبين لما عنده من هداية وعلم ومعروف ولا ينصرفون
الا عن ذواق فيل عن علم يتعلمونه منه ثم يكونون ادلة وهداة للناس ويشبه
ان يكون ذواقهم الذي يخرجون عنه على ظاهره اي الا عن مذوق وماكول
ومشروب فعال بمعنى مفعول من الذوق كما مر والعتاد العدة والشي الخاص
المعد لما يقطع من الامور المهمة وفي حديث خالد بن الوليد انكم تظلمون
خالدا وقد احتبس ادراعه واعتده في سبيل الله جمع قلة للعتاد وهو ما
هي من سلاح وغيره من آلة الحرب وفي رواية وعتقه بدل ادراعه وفي اخرى
واعبده جمع قلة للعبد وعزا الدارقطني ان ابن حنبل خطاه بها على ابن حفص
واعتاده وانما يقال اعتدي والادراع جمع قلة لدرع وهي الزردية وانما
قال صلى الله عليه وسلم ذلك اخبارا بان خالدا لا زكاة عليه اذ طولب بزكاة الادراع
والاعتد ورفعا لظن كونها للتجارة بحبسه اياها في سبيل الله اوقافا قبل
ودفعا فانه اذا كان قد حبسها فيه تبرعا وتقربا الى الله فكيف يرتكب منع الزكاة
والموازرة المعاونة من الوزر وهو في الاصل الحمل والثقل واكثر ما يراد
به في الحديث الذنب والاثم يقال وزر يزر فهو وازر اذا حمل ما يثقل ظهره
من ذنوب وغيرها وجمعه اوزار وفي حديث السقيفة نحن الامراء وانتم
الوزراء جمع وزير وهو من يوازر السلطان فيحمل عنه ما حمله من الاثقال
ويلتجي الامير اليه وابا رايه وتدبيره لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا

معلوما

معلوما يصلي فيه وقد ورد نهيه عن هذا اي من ايطان الاماكن في المساجد
مفسرا في غير هذا الحديث كحديث الحاكم وغيره السابق وفي حديث
في صفته صلى الله عليه وسلم كان لا يوطن الاماكن وقد نهى ايضا عن ايطان
المساجد اي عن اتخاذها وطنا وصابره اي حبس نفسه صلى الله عليه وسلم
على ما يريد صاحبه مما هو بصدده حتى ينجز له وفي الحديث لا احد اصبر
على الاذى يسمعه من الله اي هو اشد حلما عن فاعله وترك المعاقبة عليه
ولا تؤبن فيه اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم الحرم اي لا يذكرن فيه بسوء
لصيانة مجلسه عن رفث القول وفي الحديث انه نهى عن الشعر اذا ابنت فيه
النساء وفي حديث الافك اشيروا علي في ناس ابنوا اهلي اي اتهموها من
الابن وهو التهمة ولا تنثى فلتاته بتقديم النون على المثلثة اي لا تحفظ
زلات مجلسه ويتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة من احد وان كانت قد
صدرت من احد سترت عليه نحو من نثى الشيء ينثى لازمه ويرفدون اي
يعينون الضعيف والمحتاج في حصول ما احتاجه والسخاب الكثير الصياح
والنفي فيه متوجه الى اصل السخب لا الى الزيادة المفادة من المبالغة على
ما مر ولا يقبل الثناء الا من مكافي استثناء مفرغ من عام اي لا يقبل من
احد قيل الا من مقتصد في ثنائه ومدحه غير متجاوز ولا مقصر وقيل
الا من مسلم حقيقي لا ظاهري وقيل الا من مكافي على يد اي نعمة سبقت
وكثيرا ما تطلق عليها مجازا مرسلا لعلاقة غير المشابهة وهو صدورها عنها من
النبي صلى الله عليه وسلم ويستفزه اي لا يستخفه تبعا لعقله وجودة
فطنته وفي حديث اخر رواه مسلم في وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب
من النهس وهو اخذ اللحم بالاسنان اي قليل لحمها كانه نهس وفي رواية منهوس
الكعبين وفي اخرى القدمين اهدب الاشفار جمع شفر وهو حرف جفن
العين اي طويل شعرها وعن الشعبي كانوا لا يوقتون في الشفر شيئا اي
لا يوجبون فيه شيئا مقدرا وهو مخالف للاجماع على وجوب الدية في
الاجفان الباب الثالث من القسم الاول فيما ورد من صحيح الاخبار
ومشهورها صحيحا او غيره فليس من عطف الخاص على العام ولئن زعم ودعوى
ودعوى ان كل مشهور صحيح يردها ولا لا فيه وكل قد رواه منه الصحيح
والضعيف بعظيم قدره متعلق بورود والباء للتعدية اذ كل قاصر يتعدى
به او بالالف اما التضعيف او هي للحال كما قال الزجاج في تنبت بالدهن
اي ورد متكلما مستصحبا بان قدره العظيم عند ربه ورفيع منزلته وما
خص به في الدارين الاولى والاخرى من كراماته بيانا لما ... لاخلاف انه

قوله من عطف العام على الخاص كما في بعض النسخ ومشهورها
قوله او للحال الاحتمال الاول ... للفوائد ...

صلى الله عليه وسلم اكرم البشر تشهد له حديث الترمذي انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر و لا خلاف انه افضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى لاحاديث وردت بذلك واعلم خطاب عام لكل من يتاتى توجيهه اليه وما بعده ان سد مسد مفعوليه ان الاحاديث الواردة في ذلك من عظيم قدره ورفيع منزلته وخصوصيته في الدارين بكرا منه كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها اي من الاحاديث الكثيرة جدا على صحيحها ومنتشرها من عطف العام على بعض افراده وحصرنا معاني ما ورد منها ضمن الفاظها لكونها اعراضا لا تقوم بنفسها في اثنى عشر فصلا تمييز لرفع توهم كونها ابوابا الفصل الاول فيما ورد من الاخبار فيها بذكر مكانته وشا هدا بنبوته له عند ربه والاصطفا اللام فيه بدل من الضمير اي وبذكر اصطفا افتعال من الصفوة على ما مر ورفعة الذكر اللام فيه كذلك اي رفعة ذكره تقرونه بذكر الله في كلمة الشهادة وغيرها وفي تسميته كنبي الله ورسول الله وحبيب الله وقد زعم ان المصدر اعني رفعة مضاف الى الفاعل وليس بشي والتفضيل لانه ايضا كذلك وسيادة ولد ادم اي فيما ورد موذنا بتفضيله على غيره وبسيادته ولد ادم ايضا تشهد له انا سيد الاولين والاخرين وفي ما خصه الله تعالى به في الدنيا من مزايا الرتب جمع مزية تميز بها على غيره وفيما خصه به من بركة اسمه الطيب الفايضة على محبيه وقد اسند هنا حديث ابن عباس الذي رواه الطبراني والبيهقي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق من الثقلين قسمين فضلا وافضل او شقي وسعيد فجعلني من خيرهم قسما ويوم العرب تشهد له فذلك اي جعلهم قسمين يوذنه به قوله واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين اي السعادة في انواع من النعيم المقيم واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال الشقاوة في انواع من العذاب فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين تشهد له ما ذكر سابقا ولاحقا بتفضيله على كل خلقه ثم جعل القسمين اثلاثا متغاوتين شقاوة وسعادة فجعلني في خيرها ثلثا وذلك اي جعلها اثلاثا يوذن به قوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اي المنزلة السعيدة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة اي المنزلة الشقية والسابقون السابقون اي هم الذين عرف حالهم وما لهم لنسبتهم الى غاية الشرف والكمالات هذا والجملتان الاستفهاميتان في القسمين والثلاثة خبران لما قبلها فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل

فجعلني

فجعلني من خيرها قبيلة وذلك اي جعلها قبايل يوذن به قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا علة لجعلهم ذلك اي من اجل ان يعرف بعضكم بعضا والشعب جمع عظيم ينتسب الى اصل واحد وهو يجمع القبايل والقبيلة تجمع العماير والعماير تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصايل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة ولما لم يكن في الاية ما يوذن بشرف القبيلة في نفسها وكان شرف العبد بتقواه تشهد له ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال صلى الله عليه وسلم فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا فخر حال موكدة اي قولك هذا غير مفتخر بعظم وما وحسن مدح نفسه اما لامتثال امر الله بقوله واما بنعمة ربك فحدث وبنصره قوله حكاية عن يوسف اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم ولكونه مما يجب ان يجرى على وجه من توقيره واحترامه واجلاله بما اكرمه الله به من الفضل والسودد ومن تواضعه بقوله ولا فخر اي الذي قلته انما هو كرامة من الله لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي لي ان افتخر بها وذلك لنزاهته عما يورث كبرا وتبجحا فهو الاتقى والاكرم هذا وبالتقوى كما للنفوس وتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليتق الله كما قال عيسى من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله ثم جعل القبايل بيوتا متفاوتة في الشرف فجعلني من خيرها اي من اشرفها بيتا فذلك اي جعله من خيرها بيتا يوذن به على طريقة الاقتباس هنا انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعراضكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم من المعاصي تطهيرا وقد استعار الرجس للمعصية تشبيها لها به استعارة تحقيقية قرنها بالتطهير ترشيحا وتنفيرا عن اقتراف الذنوب الملوثة للاعراض وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لحديث ادخالهم في كسايه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت واحتجاجهم به على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لمنافاة التخصيص ما قبل الاية وبعدها والحديث يقتضي بانهم اهل البيت لا بانه ليس غيرهم عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة اي في اي زمان ثبتت لك قال وادم بين الروح والجسد جملة حالية وردت جوابا لمتى وجبت اي وجبت لي في الحالة التي كان ادم فيها على الارض من اجل تصويره واجرا الروح فيه وهذا الحديث موذن بان الغايات والكمالات سابقة تقدما لاحقه وجودا وبه ظهر ان القول بان السوال بمتى يقتضي سبق الوجود اذ هو سوال عن الزمان ويلزم منه سبقه صلى الله عليه وسلم على ادم وجود البس شي اذ المسئول عنه زمان وجوبها بمعنى تقديرها او كتابتها له تشهد له حديث احمد

اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وروى مسلم وغيره عن
واثلة بن الاسقع ان الله اصطفى من ولد ادم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم
اسماعيل الحديث انما اعاده هنا لزيادة صدره ومن حديث انس الذي رواه الترمذي
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا
وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ
ولواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم ولا فخر زاد الدارمي يطوف
على الف خادم كانهم بيض مكنون او لؤلؤ منثور وفي حديث ابن عباس الذي
رواه الترمذي والدارمي جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال اخر وكلم الله
موسى تكليما وقال اخر عيسى كلمة الله وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم
خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته
وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا
حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته ادم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول
مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها
ومعي فقراء المهاجرين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر
وروى البيهقي وابو نعيم والطبراني عن عائشة اتاني جبريل فقال قلبت
مشارق الارض ومغاربها اي فتشتها مجتهدا فلم ار رجلا افضل من محمد
صلى الله عليه وسلم عدل الى الغيبة مصرحا باسمه المفيد للمبالغة تنبيها على انه
صفاته الجميع وسماته المجيد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم فالظهور
صفوة قريش صفوة بني اسماعيل صفوة العرب صفوة الخلق الشاهد به ما مر
من الاحاديث وعن انس بن مالك اوتي صلى الله عليه وسلم بالبراق ليلة اسري
به الحديث تقدم لفظا ومعنى وفيه فقال له جبريل امحمد تفعل هذا استفهام
انكاري بمعنى النفي وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام ولايهام التخصيص مبالغة
في تعظيمه صلى الله عليه وسلم فما ركبك احد اكرم على الله منه هذا نظاهم ق…
بان غيره ركبه على ما مر فارفض عرقا مميز للنسبة ارفض اي سال عرقه من شدة
ما اعتراه من الهيبة وروى ابن ابي عمر العدني عن ابن عباس لما خلق الله ادم
اهبطني من الجنة في صلبه حال من ضمير اهبطني الى الارض ولم يزل ينقلني
من صلب كريم الى رحم طاهر حتى جعلني في صلب نوح في السفينة ولم يزل
ينقلني كذلك حتى قذفني في النار في صلب ابراهيم حين القاه نمروذ فيها
ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة جمع صلب وهو مقر المني من الرجل

الى الارحام الطاهرة جمع رحم وهو هنا مقر الولد من المراة حتى اخرجني غاية
لنقلته الى ما ذكر من بين ابوي هما عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف بن قصي بن كلاب لم يلتقيا على سفاح اي زنا قط تاكيد لنفي
التقائهما على سفاح واليه اي الى نفي الالتقا اشار العباس بن عبد المطلب
فيما رواه ابو بكر الشافعي والطبراني عن خريم بن اوس بن حارثة بقوله من
المنسوخ وعروضه وضربه مطويان وبعض اجزائه صدرا وعجزا حشو
من قبلها اي الدنيا والنبوة او الولادة لدلالة الكلام عليه حيث لم يجر له
ذكر كما في حتى توارت بالحجاب كل من عليها فان انا انزلناه طبت في الظلال
في الجنة وطبت في مستودع من صلب ادم حيث اي مكان فيه يخصف الورق
اي يضم بعضه الى بعض ويلزق ورقة فوق ورقة وهذا تلميح لقصة ادم وحواء
حيث اكلا من الشجرة فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
ثم هبطت البلاد اي من الجنة الى الدنيا في صلب ادم لا بشر انت ولا مضغة ولا
علق اي لم تكن واحدا منها بل نزلت وانت في صلبه نطفة ثم صرت الى نوح تركب
السفين في صلبه وقد الجم نسرا واهله الغرق بما الطوفان ونسر
صنم واهله هم الذين كانوا يعبدونه من قوم نوح ثم صار للذي الكلاع من
حمير وود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل بساحل البحر ويغوث لغطيف
من مراد ويعوق لهمدان تنقل من صالب بكسر اللام وفتحها وهو الصلب الى
اي من صلب كريم الى رحم طاهر اذا مضى عالم بدا طبق اي تعرض قرن
من اخر وسمي طبقا لانهم طبق الارض اي ملاؤها وفي الحديث قريش الكتبة
الحسبة ملح هذه الامة علم عالمها طباق الارض وفي رواية علم عالم قريش طبق
الارض وكان الحري قال على يوم حرورا سمعته صلى الله عليه وسلم يقول
لا تشتموا قريشا ولا تبغضوها ولا تقدموا قريشا وتقدموها ولا تعلموا قريشا وتعلموا
منها فان امانة الامين منهم تعدل امانة الامينين من غيرهم وان علم عالم
قريش يسع طباق الارض وكهذه الاحاديث تشهد بصحة قول … تقديم
قريش عموما والشافعي خصوصا اذ لم ير منهم من ملا علمه طباق الارض غيره
نبه … قول الامام احمد بن حنبل وابي نعيم عبد الملك بن محمد الفقيه قوله
صلى الله عليه وسلم عالم قريش يملا الارض علما مؤذن بانه عالم من قريش ظهر علمه
وانتشر وكتبت كتبه ودرست في الافاق وحكم به في الحلال والحرام ولا نعلم قرشيا
بهذه الصفة وان كان منهم علماء الا الشافعي فانه صنف الكتب وشرح الاصول
والفروع ووعت القلوب كلامه وما ازداد على مرور الايام الا احسانا وبيانا بالغا
جدا اورثت … المنسوك لبعض الروايات انه المراد به كيف وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم

ومن آله الذين تحرم عليهم الزكاة بشهادة حديث البخاري نحن وبنوا المطلب
شيء واحد ان هذه التصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد
فانه محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد
بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف يجتمع معه صلى الله عليه وسلم في
فانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فالمطلب جد
الشافعي اخو عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم صغيرا لموت ابيه
واليه تنسب وبه عرف ولعبد مناف ابنان آخران عبد شمس منه عثمان بن
عفان وجماعته ونوفل منه وجبير بن مطعم وجماعته وكانا فريقا واولئك فرقا
ومن ثمة قال صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب شيء واحد لم نفترق جاهلية
ولا اسلاما فالمطلب وهاشم اخذا لقومهما الرحلة في الصيف الى الشام وعبد
شمس ونوفل اخذا الرحلة في الشتاء الى اليمن وما يليها وقد امتن الله عليهم بذلك
في لايلاف قريش اي اهلك الله الفيل واهله من اجل ذلك الايلاف حتى غاية لماذكر
عليه البيت قبله اي تنقلا من صلب الى رحم ونا نقرنا الى ان **احتوى بيتك** مرفوع
بالفعل قبله **المهيمن** صفته **من خندف** لقب ليلى امرأة الياس بن مضر بن نزار بن
معد بن عدنان **عليا** مفعول احتوى وفي نسخة **حصنه تحتها** دونه **النطق**
جمع نطاق وهي اوساط جبال بعضها فوق بعض شبهها بالنطق التي تشد
الناس بها اوساطهم وضربه مثلا له في ارتفاعه وشرفه في عشيرته وجعلهم
تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه اي حتى احتوى شرفك
الشاهد بفضلك اعلى رتبة من عليا شرف نسب خندف التي تحتها النطق
وروى ابو ذر وعنه احمد والبيهقي والبزار **وابو هريرة** وعنه الشيخان
انه صلى الله عليه وسلم **قال اعطيت خمسا** اي خصالا وتسليا وتانيثه يكون
تذكيره غير حقيقي **وفي بعضها ستا** رواها مسلم عن ابي هريرة بلفظ فضلت
على الانبياء بست وليس باختلاف تضاد بل اختلاف زمان اعطي اولا خمسا
ثم زيد السادسة تحدث بست **لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب**
اي الفزع والخوف بقذف الله اياه في قلوب من كان بينه وبينهم **مسيرة**
شهر هابه وفزع منه **وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا** اي ابيح لي
ولامتي الصلاة في اي مكان منها وابيح لنا التيمم بترابها تخفيفا وتيسيرا
وحرمها اهل الكتاب اذ لم يبح لهم التيمم بترابها ولا الصلاة الا في كنائسهم وبيعهم
فايما رجل ادركته الصلاة فليصل اي بمكان شاء منها وفي رواية انما رجل
ومما مر فيهما **واحلت لي الغنائم** جمع غنيمة وهي ما حصل من اهل الحرب بقتال
وايجاف خيل وركاب **ولم تحل لنبي قبلي** نبي مفرده نكرة وردت في حيز النفي

فاتت

ثم فادت استغراق كل منهما اذ لا منافاة بينهما الا ان ما يفيده من نفي وتعريف
انما يدخل على المفرد مجردا عن الوحدة فهو بمعنى كل ذي فرد فرد لا بمعنى مجموعها
فاستغراقه اشمل من استغراق الجمع بشهادة قيام الحجة به في وحدانه فلا يخرج
منه شيء دون الجمع فانها قائمة بما فيه من وحدانه فيخرج منه واحد واثنان
ومن ثم منع لا رجل في الدار اذا كان فيها رجل او رجلان الا انه وصحة
لا رجال فيها اذا كان فيها ذلك **وبعثت الى الناس** اي والجن **كافة** اكتفاء باحد ضدي
عن الآخر على ما مر **واعطيت الشفاعة** اي العظمى لفصل القضاء بين اهل الموقف
حين يفزعون اليه بعد الانبياء وله شفاعات اخرى لم يعطها غيره يأتي بعضها
وتقدم بعضها وتداودها شرحي كتابي مقاصد المقاصد ودر الفلائد
وفي رواية في حديث ابي ذر **بدل هذه الكلمات** اي بدل اعطيت الشفاعة
وقيل لي سل تعطه تشريفا وتكريما وحذف همزتها اشارة تخفيفا **وفي**
رواية اخرى للبزار والبيهقي **وعرض علي امتي فلم يخف علي التابع** منهم
من المتبوع **وفي رواية** في حديث ابي ذر **بعثت الى الاحمر**
والاسود وقيل كما تقدم **السواد العرب لان الغالب على الوانهم الادمة**
اي السمرة الشديدة **فهم من السود والحمر العجم** لان الغالب على الوانهم
الشقرة مع البياض **وقيل البيض والسود من العجم وقيل الحمر الانس**
لظهور ابشارهم **والسود الجن** لاختفائهم عن العيون **وفي الحديث الآخر** الذي
رواه الشيخان **نصرت بالرعب** اي بالخوف والفزع على ما مر **واوتيت** بالبناء
للمفعول اي اعطاني الله **جوامع الكلم** للمعاني الكثيرة في الفاظ قليلة **وبينا**
كبينما زماني بمعنى المفاجاة بصفات الجملة اسمية او فعلية وجعلها جوابا لي
جواب ثم به المعنى وعن الاصمعي لا فصيح الا تقترن باذ واذا مع وروده
بهما كثيرا بشهادة **بينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في**
يدي هي جمع مفتاح وهو في الاصل ما يتوصل به الى اخراج مغلق عليه تعذر
الوصول اليه فاخبر صلى الله عليه وسلم انه اوتي مفاتيحها وهو ما سهل الله
له ولامته من فتح البلاد المتعذرة واخراج الكنوز الممتنعة اذ من كان
بيده مفاتيح شيء سهل الله تعالى عليه الوصول اليه وحديث اوتيت مفاتيح
الكلم جمع مفتاح اراد ما يسر الله له من البلاغة والوصول الى غوامض
المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والالفاظ مما اغلق على غيره
فلم يتسنه له **وفي رواية** رواها مسلم **عنه** اي عن ابي هريرة **وختم**
بي النبيون فلم نبي بعده احد وروى الشيخان **عن عقبة بن عامر انه**
صلى الله عليه وسلم **قال انا فرطكم** من فرط يفرط اذا تقدم وسبق

اي والجن

لا زائد فى
كافة لانه لا يجوز تقديم الحال على صاحبها المجرور
وتعقب بانه جاء في قول اعني الله عنهم

اي اطيب
مؤنثه ما ...

القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والارشية اي انا متقدمكم فرط صدق
لكم وانا شهيد عليكم اي يوم القيامة قال تعالى ويكون الرسول شهيدا
عليكم بانه بلغكم بحيث يحملكم على قبول شهادته لنفسه لعصمته او بطاعة من
اطاعه وعصيان من عصاه واني والله لانظر الى حوضي الان اكد الجملة
باسميتها وبان والقسم تنبيها على تحقيق نظره اليه وارشادا الى
استحباب القسم في الامر المهم سيما الامور الغائبة واني قد اعطيت مفاتيح
خزائن الارض اشارة الى ما يسره الله عليه وعلى امته من فتح بلاد العرب
والعجم واخراج كنوزهم مع شدة شكيمتهم وكثرة عددهم وعددهم وفي
سير الكلاعي ان رستم امير جيش يزدجرد راى في منامه وقد جاءهم سعد
بن ابي وقاص من قبل عمر لفتح بلادهم ان ملكا نزل من السما فاخذ جميع سلاحهم
واعطاها للنبي صلى الله عليه وسلم فاعطاها لعمر فكان الفتح والغنيمة الذي
تكاد تفوت الحصر واني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي اكده كما
مر علما منه صلى الله عليه وسلم بثبوتهم على ايمانهم وتبشيرا لهم بانهم لا يرتدون
بعده اما بوحي او بما ظهر له من رسوخه بمخالطة بشاشته قلوبهم ولكني
اخاف عليكم ان تنافسوا فيها اي في الدنيا اذ من شان الانسان وجبلته حبها
والتنافس فيها من المنافسة وهي الرغبة في الشي والانفراد به حتى نفس به
بكسر الفا اي بخل واما بضمها فمعنى صار مرغوبا فيه وحذفت احدى تاي
تنافسوا تخفيفا وروى احمد بسند حسن عن ابن عمر حديث انا محمد النبي الامي
اي على اصل ولادتي وجبلتي الاول لا اكتب ولا اقرا وقاله ثلاثا تنبيها على
كمال علمه لا نبي بعدي اذ قد ختم به النبيون واوتيت جوامع الكلم وخواتمه
اي اعطي ملكة يقتدر بها على ايجاز الكلام مع اتساع المعنى بنظم لطيف بينا
لا تعقيد به يعثر الفكر في طلبه ولا التوا يحار الذهن في فهمه فما من لفظة
يسبق نظمها الى ذلك الا ومعناها اسبق الى فهمك واردا على احسن ختام وابلغ
تمام وعلمت خزنة النار وحملة العرش من الملائكة اذ قد علمه الله ما لم يكن يعلم وكان
فضل الله عليه عظيما وروى احمد بسند حسن عن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة
مستعار مما بين يدي الانسان تلويحا بقربها وهي في الاصل تطلق على جزء قليل من نهار
او ليل وعلى جزء من اربعة وعشرين جزءا هو مجموع النهار والليل ثم استعير اسمها ليوم
القيامة اعني الوقت الذي تقوم فيه وهو ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم ولقلته
سمي ساعة ومن حديث نبي في الاسرا رواه البيهقي قال الله سل يا محمد فقلت ما اسال
يا رب اتخذت ابراهيم خليلا بشهادة واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما بشهادة
وكلم الله موسى تكليما واصطفيت نوحا بشهادة ان الله اصطفى ادم ونوحا واعطيت

سليمان

سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده بشهادة فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب
الاية فقال الله له صلى الله عليه وسلم ما اعطيت خير من ذلك مبتدا وخبر اعطيتك
الكوثر فوعل من الكثرة والواو زائدة قال في النهاية هو نهر في الجنة ومعناه الخير الكثير
وجاء في التفسير انه القران والنبوة ويقال للكثير العطا كوثر وجعلت اسمك مع اسمي
اي في كلمة التشهد ينادى به في جوف السما في اوقات الاذان وجعلت الارض اي
ترابها طهورا لك ولامتك يتيممون به عند العجز عن استعمال الما واصل التيمم لغة
القصد تعمدا وتوخيا ثم كثر استعماله حتى صار علما لمسح الوجه واليدين بالتراب وغفرت
لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه فانت
تمشي بين الناس مغفورا لك حال من الضمير قبله والمشي والظرف بعده للتاكيد
لكونه مغفورا له لكانه قيل فانت مغفور لك ولم اصنع ذلك اي غفران ما تقدم منه وما
تاخر لاحد قبلك لعله من غير الانبيا والا فهم كذلك او غفرانا لا يشوبه نحو معاتبة
بشهادة حديث فياتون نوحا فيقولون الا تشفع لنا فيقول نفسي نفسي لست لها الحديث
وجعلت قلوب امتك مصاحفها المعنى على تشبيه قلوبهم بمصاحفهم بجامع الحفظ فكما
ان المصاحف مكتوب فيها القران باشكال الكتابة والحروف الدالة عليه حفظا لهم من
النسيان فكذا هو في قلوبهم محفوظ بالفاظه كله وخبات لك شفاعتك اي ادخرتها
عندي وهي الشفاعة العظمى لفصل القضا حين يفزع الناس للانبيا فيقول كل
نفسي لست لها فياتونه صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم ولم اخبها لنبي غيرك
وتخصيصه بشفاعات اخر ذكرتها فيما مضى وفي شرح منظومتي درر القلائد
وفي حديث اخر رواه حذيفة كما في تاريخ ابن عساكر بشرني ربي اول من يدخل
الجنة من امتي سبعون الفا ليس عليهم حساب لرما منه وفضلا فله الحمد
عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ومنتهى رحمته ومبلغ
رضاه وحتى يرضى وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى واعطاني ان
لا تجوع امتي جوعا شديدا بالجدب والقحط بحيث تهلكوا ولا تغلب بعدو
يستبيح بيضتهم ويستاصل شافتهم بشهادة حديث اني سالت ربي
لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليها عدوا من سوى انفسهم
فيستبيح بيضتهم الحديث واعطاني النصر اي الاعانة على الاعدا والعز اي
القوة والشدة والغلبة عليهم من عز يعز بالفتح اي قوي واشتد وبالكسر
اي صار عزيزا والرعب لاعدائي الفزع والخوف يسعى بين يدي امتي شهرا
حتى يقذفه الله في قلوب اعدائهم فاذا كان بينهما ذلك هابوهم وفزعوا وطيب
لي ولامتي احل لنا المغانم جمع مغنم والغنائم جمع غنيمة وهو ما اخذه المسلمون
من اموال اهل الحرب بايجاف خيل وركاب واحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا

قوله يسعى بين يدي امتي في الحديث المتقدم
ونصرت بالرعب مسيرة …
…

فلم يكلفنا به كقتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة
وصرف ربع المال زكاة وذلك كله تفضل منه تعالى علينا لعجزنا وضعفنا يشهد له
قوله صلى الله عليه وسلم ذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا وفي قوله لنا تعظيم
من حيث عدوله الى ضمير الجمع وادخال نفسه الزكية في امته ولم يجعل علينا في
الدين من حرج اي ضيق اشارة الى الرخصة في ترك ما كلفنا به لعذر كالتيمم
والقصر والافطار ويشهد له حديث ما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم او الى
انه لا مانع لنا عن الاتيان به ولا عذر لنا في تركه وروى الشيخان عن ابي هريرة ما
من نبي من الانبيا من الاولى زائدة لتاكيد النفي والثانية تبعيضية الا وقد اعطي
من الآيات ما مفعول ثان لاعطي اما موصول صلته ما بعده من مبتدا وخبر اعني
جملة مثله آمن عليه البشر وعائد الضمير في مثله ورابط الجملة ضمير عليه
او نكرة موصوفة بها اي ليس نبي منهم غالبا الا وقد اعطاه الله من المعجزات
الشاهدة بنبوته التي اوتيها ما اذا شوهد حمل من شاهده الى الايمان به فكل نبي
خص من خوارق العادات بما يناسب دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى زمانه انقطعت
معجزته كقلب العصى حية واخراج اليد البيضا في زمن موسى لان الغلبة فيه كانت
بالسحر فاتاهم بما فوق ذلك وفي زمن سليمان الملك فاتاهم بملك لم ينله غيره وفي
زمن عيسى بالطب فاتاهم بما هو اظهر منه اعني احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وعدم
دخول الواو بعد الا كما مر وانما كان الذي اوتيت اي اعظمه وانفعه اذ كان له
معجزات كثيرة وحيا هو البالغ اقصى غاية الاعجاز نظما ومعنى اوحى الله تعالى الي
لفوائد كثيرة واعم نفعا مما سواه من المعجزات لاشتماله على حجج قاطعة وبراهين
ساطعة مستمرا في كل زمان ينتفع به الى يوم القيامة ومن ثم رتب عليه فارجو
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة بالاهتدا بهديه والانقياد لامره ونهيه
اذ هو الآية الكبرى والنعمة العظمى معنى هذا اي ما ذكر من انما كان لآخره عند
المحققين كما اشرنا اليه بقا معجزته يعني القران ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها
وسائر معجزات الانبيا ذهبت للحين اي عقب وقوعها ولم يشاهدها الا الحاضر
لها حال معاينتها ومعجزة القران الاضافة بيانية اي القران الذي هو معجزة باقية
دون كل معجزة على وجه كل زمان يقف عليها عيانا اي معاينة لا خبرا قرن بعد قرن
الى يوم القيامة وسياتي لهذا مزيد بيان اخر باب المعجزات وروى ابن ماجه والترمذي
وحسنه عن علي كل نبي اعطي سبعة نجبا من امته اي فضلا نقبا في نوره واعطي
نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار ولفظ الترمذي
قلنا من هم قال انا وابناي وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال
وسلمان وعمار وابن مسعود ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا وزاد تكملة لهم حذيفة وابا

ذر

ذر والمقداد وروى الشيخان قال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة
الفيل اسمه محمود جا به ابرهة الحبشي في جيشه لخراب البيت فاهلكهم الله بطير
ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل وسلط عليها رسوله والمومنون ففتحوها سنة
عشر من الهجرة وانها لا تحل لاحد من بعدي التفات من الغيبة الى التكلم ويجوز ان
لا يكون التفاتا بتقدير سلطني عليها فوضع رسوله موضعه تجريدا وانما احلت
لي ساعة من نهار جواب من مقدر وهو ان يقال هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم احل القتال فيها يوم الفتح فاجاب بانها لم تحل له الا ساعة مع قوله فان
احد ترخص بقتال رسول الله فقولوا له الحديث وروى احمد عن العرباض بن
سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عند الله وفي رواية
اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته الواو مع ما بعده
في محل نصب على الحال من مكتوب اي كتبت خاتمهم في الحال التي آدم مطروح فيها
على الجدالة اي الارض الصلبة وفي طينته خبر ثان لان من قولهم طانه الله على
طينتك اي خلقتك وليس متعلقا بمنجدل تفاديا من لزوم كون المنجدل مطروحا
في طينته وكفاك به شاهدا بان الغايات والكمالات سابقة في التقدم لاحقة في
الوجود وساخبركم باول امري او باول نبوتي وبعثي هو عنه ابرهيم والحاكم وغيره
وسانبيكم بتاويل ذلك هو دعوة ابرهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
الآية وبشارة عيسى بما حكى الله عنه ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد ورويا امي التي رات انه خرج من فرجها نور اضات له قصور الشام
ومن رواية ابي اليمان حدثنا ابو بكر بن ابي مريم عن سعيد بن سويد عن العرباض
وصححه وقال الذهبي ابو بكر ضعيف وروى البيهقي والدارمي وابن ابي حاتم
عن ابن عباس ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السما وعلى
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قالوا فما فضله على اهل السما قال ان الله
قال ومن يقل منهم اي من اهل السما اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
تهديدا بالمتسوك منهم وتقبيحا لامر الشرك وتعظيما لشان التوحيد او
تعريضا بالمشركين تهديدا لمدعي النبوة وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم تعظيما
له وتكريما انا فتحنا لك فتحا مبينا وعد له صلى الله عليه وسلم بفتح مكة ونحوه مما
تحققه على ما مر قالوا فما فضله على الانبيا قال وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه اي بلغة قومه الذين هو منهم وارسل اليهم خاصة وقال لمحمد صلى
الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا رسالة عامة لهم محيطة
بهم لا يخرج منها احد منهم على ما مر وذلك تلويح بفضله عليهم وروى ابن اسحق
عن خالد بن معدان ووصله احمد والدارمي قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك

الاصل المومنون

قوله الا من يقل منهم فان قلت ما بيان التفضيل من هذه الاية

فقال نعم اي اخبركم باول ما ظهر من نبوتي على لسان ابي ابراهيم وغيره انا دعوة
ابي ابراهيم يعني قوله تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل ربنا وابعث فيهم اي في
الامة المسلمة المذكورة قبل في الآية رسولا منهم ولم يبعث فيهم من ذريتهما
غيره صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما وبشرى عيسى اذ قال يا بني
اسرائيل اني رسول الله اليكم ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ورأت امي
حين حملت بي وفي رواية حين وضعتني تكون رؤياها ذلك مرتين ثم يحتمل ان يكون
رؤيا منام او يقظة فالمرئي محذوف دل عليه قوله انه خرج منها نورا اضاء له قصور
بصرى بضم اوله مدينة بحوران من ارض الشام وهي اول مدينة فتحت صلحا
به في ربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة ووردها صلى الله عليه وسلم
مرتين واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا ظرف للتوسط في زمان او مكان
بحسب المضاف اليه وتقتضي بعده جملتين العشاين وجلست بين القوم
فيمتنع عطف غير المتعدي بالفاء جلست بين زيد فبكر لافادتها جلوسه بين زيد
فقط بخلاف الواو ثم ان قصد اضافته الى اوقات مضافة الى جملة حذفت الاوقات
وعوض الالف كبينما انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما هي ولد الضأن
والمعز مجتمعة والا فولد المعز سخلا لا فولد الضأن بهما حالا انفراد كل لنا
اذ جاءنا رجلان اي انا مع اخي بين اوقات كوننا خلف بيوتنا نرعى فاجأنا مجيئهما
فاذا ظرف للمفاجأة وقع جوابا لبينا لتضمنها معنى الشرط وهي العامل في بينما
حذرا من تقابل بلا عامل لفظا هو لاضافتها الى ما بعدها والمضاف اليه لا يعمل
فيما قبله ومن ثم وجب تقدير اذ واذا في امثال ذلك مفاجآت وهذا الحمل
وإنما له في ص برد قول من زعم استفصاح طرح اذ واذا في جوابها عليهما
ثياب بيض وفي حديث شداد فلانه رجال بطست نحو الطاء واسكان
المهملة اناء معروف من ذهب مملوء ثلجا خصه دون غيره مبالغة في تطهير
قلبه لكونه على خلقته لم يستعمل ولم تداوله الايدي ولم تخضه الارجل كغيره
من المياه المخالطة للتراب وغيره فهو احق ان يطهر به فاخذاني واخذوني
فشقا بطني او شقوه وقال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني
بقاف مشددة لا واحد له من لفظه وميمه زائدة اي من اعلا صدري الى
ما رق من بطني ولان ثم استخرجا اي اخرجا او اخرجوا منه قلبي فشقاه فاخرجا
منه علقة اي قطعة دم منعقد سوداء فطرحاها وفي رواية وقالا هذا حظ
الشيطان منك خلق الله اياها في قلوب النوع البشري قابلة لما يلقيه فيها فازيلت
من قلبه فلم يبق فيه قابل لما يلقيه وان لم يكن له فيه صلى الله عليه وسلم حظ قط ولا
له عليه ولا على غيره من الانبياء سبيل وانما قال لا ذلك لانه امر جبلي في نوع الانسان

المتعدد م

لا يلزم من وجوده قبول الالقاء والاجادة فيه صلى الله عليه وسلم مع امكان عدمه
لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه فيه تكملة للخلق الانساني ونزعه منه
امر رباني طرا بعده ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج المذكور انقاء حتى انقياه غاية
لغسلهما قال صلى الله عليه وسلم في حديث اخرجه ثنا ولاحد هما شيئا فاذا
بخاتم في يده من نور يحار اي يتحير الناظر دونه فلا يدري كيف يهتدي الى معرفة
حقيقته فختم به قلبي فلا يصل اليه ما لا يليق بجلاله فخاتمه في ملأ ايمانا
وحكمة اي غسلاه فيهما وقضيا بالعدل ثم اعاده مكانه وامر الآخر بيده على
مفرق بكسر الميم مع فتح الراء وبفتحها مع كسرها صدري فالتام وفي رواية رواها
الدارمي وابو نعيم في الدلائل ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد متين محكم واع
فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة
من امته فوزنه بهم فرجحهم لما منحه من المزايا السنية والمنح الالهية ثم قال زنه
بمائة الى ان قال فلو وزنته بامته لوزنها لما قلنا لا تفعل جنبته ثم قال في الحديث
الآخر كعلمه حديث ثلاثة رجال تشبهه قوله ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي
وما بين عيني اي اعلا حاجبيه من الجبهة ثم قالوا يا حبيب لم ترع بضم اوله وفتح ثانيه
اي لا تفزع انك لو تدري ما يراد بك من الخير الذي لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر لقرت عيناك اي لطابت نفسك وسكنت ورضت عنك
ما حزنك وهو اما من القرار بمعنى ان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه
فلا تنظر غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم
قيل قرة العين لما يحب وسخنتها لما يكره وفي بقية هذا الحديث اي حديث ثم
ضموني من بيانه لبقيته قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك معنى حفظ
وحراسة وعلم لا معية اجتماع تعالى الله عن ذلك وملائكته معك قال صلى الله عليه
وسلم في حديث شداد الذي رواه الدارمي فما هو الا ان ولياعني فكانما ارى
الامر الذي اكرمه الله به مما يتعلق به خاصة وامته عامة معاينة تنزيلا لما يدرك
بالبصيرة منزلة ما يدرك بالبصر والفاء للتعقيب بلا مهلة وحكى ابو محمد
مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان آدم عند معصيته
التي اخرج من الجنة الى الدنيا بسببها قال كما رواه البيهقي والطبراني من
حديث عمر بسند ضعيف اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي
فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رأيت في كل موضع من الجنة لا اله الا
الله الا اله وضع للمعبود بحق ومفهومه كلي يقتضي متوهمه استثنى منها
المعبود بالحق الجدير بتفرده بالالهية اي لا اله معبود بالحق الا الواحد الذي
تحق له العبادة لتفرده بالوحدانية وقد مر لهذا مزيد بيان محمد رسول الله

من الجنة م

وبروى بدلا عن هذه الجملة او زايدا بعدها محمد عبدى ورسولى اضافة
تشريف فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب عليه وغفر له اى رجع عليه
بالتوبة والمغفرة وهذا اى لا اله الا الله محمد رسول الله عند قائله
اى قايل ان ادم عند معصيته تاويل قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات
اى قبلها واخذها وعمل بها وعند غيره هي ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك
وتعالى جدك لا اله غيرك او لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر
الذنوب الا انت فتاب عليه رتب قبوله التوبة بالفاعل تلقيه الكلمات
لتضمنه معنى التوبة اعني الاعتراف بالذنب والندم عليه وان لا يعود
اليه ولم يذكر حوى لانها تبع له في الحكم وفي رواية الاجرى بمد الهمزة
وضم الجيم وتشديد الرا وياء نسبه فقال ادم لما ظرف بمعنى اذ يليه فعل ماض
لفظا او معنى ولا بنا في قول سيبويه هو لوقوع امر لوقوع غيره اي حين خلقتني
رفعت راسي الى عرشك جواب لما فاذا اي فاجات فيه مكتوب لا اله
الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم جملة ان واسمها
وخبرها في محل نصب بما قبلها لسدها مسد مفعوليه قدرا تمييز للنسبة
في خبر ليس اعني اعظم عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك مقرونا به مع اسمية
الجملة تاكيدا تعظيما له وتكريما فاوحي الله اليه وعزتي وجلالي انه لاخر
النبيين من ذريتك اقسم بهما مع اسمية الجملة تاكيدا لكونه اخرهم لغاية
وارشادا الى الاذن في القسم لما يعتني به ويوخذ منه تقدم الفاضل بين
يدي افضل منه عدوا ورواحا ولولاه صلى الله عليه وسلم ما خلقتك وفي اي
الاخرى وكان ادم يكني ابا محمد خصوصا رواه البيهقي عن علي مرفوعا وقيل كان
يكني بابي البشر عموما وروي عن سريج بن يونس الحافظ بمهملة وجيم بينهما شاه
تحت ومعجمة وجيم تصحيف انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها اي زيادتها
كل دار فيها احمد او محمد اكراما مفعول من اجله العبادة اي زيادتهم منهم
احترازا عن توهم كون الاكرام من غيرهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروي ابن
قانع في معجم الصحابة والطبراني عن ابي الحمرا لما اسرى بي اذا اي فاجات
على العرش مكتوب لا اله الا الله الاله كامر غلب على المعبود بحق ولما كان مفهوم
كل يقتضي كثرة متوهمة استثني منها المعبود بالحق الجدير بتفرده بالالهية اي
لا اله معبود بالحق الا الواحد الحق وقد مر لهذا مزيد بيان كثير محمد رسول الله
ايدته اي قويته ونصرته بعلي لقوة باسه وشدة شكيمته وقد ورد انه حمل
باب حصن خيبر وتترس به ورواه ابن عدي عن عيسى بن محمد عن الحسين بن ابرهيم

البياني عن حميد الطويل عن انس بلفظ لما عرج بي رايت على ساق العرش
لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي نصرته بعلي قال في الميزان وهذا اختلاق ت
من الحسين بن ابرهيم وروي الخطيب في رواة مالك عن ابن عباس في قوله وكان
تحته كنز لهما ورواه البزار مرفوعا من حديث ابي ذر وموقوفا على عمر وعلي قال اي
ابن عباس الكنز لوح من ذهب مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب
اي يتعب وما قدر له باتيه والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر
المختار والايمان به واجب اي يعتقد ان الله خلق اعمال عباده خيرها وشرها
وكتبها عليهم قبل ان يخلقهم قال تعالى والله خلقكم وما تعملون فالايمان والكفر
والطاعة والمعصية بقدر الله وقضايه وارادته ومشيته الا انه يرضي الايمان
والطاعة ووعد عليها الثواب ولا يحبه ولا يرضي الكفر والمعصية واوعد عليها
العقاب ويجوز ان يخلعه ويقوي وهو سر من اسرار الله لم يطلع عليه
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بل الله خلق خلقه
فمنهم شقي وسعيد وقال رجل لعلي اخبرني عن القدر فقال الطريق مظلم لا
تسلكه فاعاد فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد فقال سر قد خفي عليك فلا تبحث
عنه عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عبر بالضحك عن شدة حرها وبردها
عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها من حال الى حال كيف يطمئن اليها ولم يعتبر
بمن مضى انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي الى الخلق كافة وعن
ابن عباس على باب الجنة مكتوب انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله كل ذلك
سابقا ولاحقا تعظيما لشانه وتنويها بذكره وتلويحا بشرفه وايذانا بكرمه
عنده لا اعذب من قالها ظاهره وان اقترف ما يترتب عليه العذاب ويلزم
منه ان لا يعذب احدا مات مسلما وقد قال يغفر لمن يشا ويعذب من يشا الشاهد
بوجوب تعذيب بعض ولو واحدا اذ لا خلف في اخبار ربنا تعالى فهو مخصوص بمن
لم يقترف ومن شا ان يغفر له ولو اعلم من رواه عنه ومثله لا يقال من قبل
الراي فحكمه الرفع وذكر مبنيا للمفعول انه وجد كذلك والضمير للشان
على الحجارة القديمة محمد تقي مصلح ما افسد من الحق زيادة ونقصا تغيرا
وتبديلا وسيد للانبيا لان ارشاده للخلق واخراجهم من الظلمات الى
النور كان اكثر تاثيرا من ارشادهم اياهم اذ لم يختص ارساله اليهم بقوم دون
قوم وزمان دون زمان ولقد انتشر دينه في الارض مشارق ومغاربا في كل
مكان على وجه كل زمان زاده الله عزا وشرفا ما لمع شارق ولمع بارق واصله سيويد
اعل بقلب واو يا لاجتماعهما وسبق اليا الواو بالسكون امين شاهده قوله صلى
الله عليه وسلم وانا لامين في الارض امين في السما وذكر السمنطاري انه

يقظان ه
بها ه
باهلها و

جبينه
شاهد في بعض بلاد خراسان من عراق العجم وما وراء النهر مولود ولد على احد جنبيه
حال من ضمير ولد مكتوب لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله
وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض
لا اله الا الله محمد رسول الله كل ذلك اظهارا لشرفه وتنويه بقدره
وعن الحافظ المزي اخبرني من شاهد في بلاد الهند ان فيه شجرة معروفة يسقط
منها في كل سنة ورقة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى
عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم
من اسمه محمد لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وتشريفه وهو اسم مفعول
ضوعف للمبالغة والتكثير سمي به صلى الله عليه وسلم تفاؤلا لان يكثر حمد
الناس له لبلوغه الغاية بما اكرمه الله به وروى ابن القاسم في سماعه وابن
وهب في جامعه جميعا عن مالك سمعنا اهل مكة يقولون ما من بيت
فيه اسم محمد الا نما وفي نسخة الا نقد وقوا ورزقوا وروى ابن سعد من حديث
عثمان العمري مرفوعا عنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان يكون في
بيته محمد ومحمدان وثلاثة تيمنا وتبركا به وروى المعيطي عن مالك
ما كان في بيت اسم محمد الا كثرت وفي رواية الا رزقوا ورزق جيرانهم وفي
مسند الحارث بن ابي اسامة عنه صلى الله عليه وسلم من كان له ثلاثة
من الولد ولم يسم احدهم بمحمد فقد جهل وروى احمد والبزار والطبراني
عن ابن مسعود ان الله نظر في قلوب العباد فاختار منها قلب محمد
بعد ان اصلحه وطهره حسا ومعنى فاصطفاه اي اختاره لنفسه حبيبا
ومبلغا عنه فبعثه برسالته لعنايته به في الازل وحكى النقاش لما نزل
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا قام
صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني
عليكم تفضيلا اجلالا لقدره وتشريفا لمحله وفضل نسائي على نسائكم
تفضيلا احتراما له وتكريما ورفعا لشانه وتعظيما فصل في بيان تفضيله
بما تضمنته كرامة الله تعالى له بقصة الاسرا من المناجاة هي المحادثة والمكالمة
تعدد وروده تعالى كلمه تلك الليلة والرؤية لربه تعالى كما ياتي وامامة الانبيا
اي امامته اياهم فالمصدر مضاف للمفعول والعروج به اي الصعود الى السما
ثم الى سدرة المنتهى ينتهي اليها علم الخلائق ما عدا الله وما ينزل من فوقها
ويصعد من تحتها وما راى من ايات ربه الكبرى اي الكبرى من اياته من
عجايب الملكية والملكوتية وذلك ان تجعل الكبرى صفة للايات ومن مزيده
او غير مزيده والمفعول محذوف اي شيئا من ايات ربه وهذا حديث اجمالي

جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الهاشمي ابو عبد الله المعروف بالصادق صدوق فقيه امام من السادسة مات سنة ثمان واربعين ... انتهى من تقريب ابن حجر

يرد عليك تفصيله ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم قصة الاسرا
وما انطوت عليه من بلوغه اعلا درجات الرفعة مما نبه عليه الكتاب
العزيز النفع الممتنع النظير والمنيع الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد وشرحته صحاح الاخبار المروية في الكتب المعتمدة
قال الله تعالى سبحان منصوب على الظرفية وتنكيره شاهد صدق بتعظيم
من الاسرا بجسمه يقظة من المسجد الحرام نفسه لحديث بينا انا في الحجر
في البيت بين النائم واليقظان اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه مسجدا
لاحاطته به او ليطابق المبدا المنتهى لحديث انه كان في بيت ام هانئ بعد صلاة
العشا فاسري به ورجع من ليلته وقص عليها القصة وقال مثل لي الانبيا
فصليت بهم ثم اخبر به قريشا فانكروه وارتد بعض من امن وذهب رجال الى
ابي بكر فصدق به فقالوا اتصدقه فقال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي
صديقا واستنعته طايفة شاهدوا بيت المقدس فجلي له فاخبرهم بما سالوه
فقالوا اصاب فاستخبروه عن عيرهم فاخبرهم بعددها واحوالها وقال انها تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فكان كما اخبر ثم لم يومنوا وقالوا
ان هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واستبعاده مردود بما
مر عن الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين كرة الارض مائة ونيفا
وان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية مع ما في الحديث من
ان البراق يضع حافره عند منتهى طرفه وتشهد ذلك قول المتكلمين ان الاجسام
متساوية في قبول الاعراض فالله قادر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه
صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله الى المسجد الاقصى اي بيت المقدس سمي لبعد
المسافة بينه وبين المسجد الحرام او لانه لم يكن وراءه مسجد الذي باركنا حوله
بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا من لدن موسى الى زمن
عيسى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وفي الحديث بارك الله فيما
بين العريش الى الفرات وخص فلسطين بالتقديس لنريه من اياتنا كذهابه
في لحظة من مسيرة اربعين ليلة ورؤيته بيت المقدس والانبيا ممثلين له ووقوفه
على مقاماتهم والالتفات من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات
وقال تعالى حالفا لانه اي متعاليا عما لا يليق بجلاله والنجم اذا هوى اي غرب او
طلع او انقض او انتثر يوم القيامة ما ضل صاحبكم وما غوى اي ما عدل صلى الله
عليه وسلم عن الاستقامة وما اعتقد باطلا مما تنسبونه اليه وما ينطق عن الهوى
ما يصدر من الوحي اليه عن راي نفسه ان هو اي ما الموحى اليه الا وحي يوحى اليه من
الله على لسان جبريل وظاهره الحصر منع الاجتهاد له واجيب بانه اذا اوحي اليه ان

يجتهد كان اجتهاده وحاورد بانه يكون بالوحي لا وحيا علمه شديد القوى
من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي شديد قواه هو جبريل
اذ هو الواسطة في اظهار الخوارق وروي انه قلع قرى لوط ورفعها الى السما
ثم قلبها وصاح بثمود فاصبحوا في ديارهم جاثمين ذو مرة اي صاحب حصافة
في عقله ورايه او صاحب قوة في الحديث لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة
سوي اي ذي قوة وشدة وصحة اعضا فاستوى فاستقام على صورته
التي خلق عليها فراه صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة على كرسي بين
السما والارض له ستمائة جناح وهو بالافق الاعلى افق الشمس ثم دنى فتدلى
تمثيل لعروجه به اي تعلقه به فكان جبريل منه قاب قوسين اي مقدارهما
او ادنى منه تمثيل لملكة الاتصال به وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي
البعد فاوحى الى عبده الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل اليه في ضمير
قبل الذكر للعلم به ما اوحى تفخيم للوحي به ما كذب الفؤاد ما راى ببصره جبريل
او الله اي ما كذب بصره بما حكاه له اذ الامور القدسية يدركها القلب
اولا ثم البصر او ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال له كان كاذبا لانه عرفه بقلبه
والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويشهد له قوله وقد قيل له ارايت ربك رايته بفؤادي
افتمارونه على ما يرى اي فتجادلونه عليه من المراء هو المجادلة من مريت
ضرع الناقة لاستخراج لبنها كان كلا من المتجادلين يمتري ما عند صاحبه وعدي بعلى
لتضمنه معنى المغالبة اذ المماري يقصد بفعله الغلبة ولقد راه اي الله
او جبريل نزلة اخرى فعلة من النزول بمعنى مرة بانه اقيمت مقامها ونصبت
بنصب ظرفها بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول عند سدرة المنتهى
ينتهي اليها الامور عندها جنة الماوى ياوي اليها المتقون او ارواح الشهدا
اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها مما لا يكتنهه وصف
ولا يحصيه عدا وجم غفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر
وما طغى اي ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما راه وما تجاوز بل اثبته
مستيقنا اياه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها
لقد راى من ايات ربه الكبرى اي والله لقد راى كبرى ايات ربه على ما مر
فلا خلاف اللام هنا افصحت عن شرط حذف لدلالة ما قبلها عليه اي اذا كان الامر كما
ذكر تفخيما لشانه وتعظيما لقدره فلا ريب في صحة الاسرا به صلى الله عليه وسلم
وهو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص
محمد وضع الظاهر موضع المضمر حذرا من اشتباه الضماير اذ ما قبله للاسرا
فيه احاديث كثيرة منتشرة واردنا ان نقدم من الاحاديث الواردة في الاسرا

وتشهيرها و

اكملها

اكملها تفصيلا وبيانا وتشمل الى زيادة من غيره اي غير اكملها من احاديث
الاسرا يجب ذكرها اعلاما بما خص به من المزايا الفاضلة وكما اسند هنا
من رواية مسلم حدثنا ثابت البناني عن انس اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
سمي براقا لشدة بريقه او لسرعة حركته تشبيها له فيها بالبرق طويل فوق
الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه لسرعة سيره فركبته
حتى اتيت بيت المقدس غاية لانتهاء ركوبه البراق اي الى بيت المقدس
اي البيت المقدس لانه يتقدس من الذنوب فربطته بالحلقة بفتح اللام
بخلاف الحلقة من الناس فسكونها وفي الحديث الجالس وسط الحلقة ملعون
لانه اذا جلس وسطها استدبر بعضهم فيوذيهم فيلعنونه ويسبونه التي يربط
بها الانبيا هذا كان مرفاض بالهمز ركبوه قبله تشبيها ذه قول جبريل له فما ركبك احد
اكرم على الله منه وان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يزورها حاجا بمكة عليه ثم
دخلت المسجد اي المسجد الاقصى فصليت فيه ركعتين فيه ايذان بمشروعية
تحية المسجد ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن
فقال لي جبريل اخترت الفطرة اي علامة الاسلام والاستقامة وجعله علامة
لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين سليم العاقبة والخمر ام الخبائث جالبة لانواع
الشرور حالا وما لا ثم عرج اي صعد بنا النون اما للمتكلم ومن معه او للتعظيم
تنويها به لهذا المقام المنيف الى السما فاستفتح جبريل ابواب السماء
استيذانا للملائكة فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه عطف على مقدر بعد همزة الاستفهام مقدره اي قد طلب
وبعث اليه للاسرا وصعودا للسموات وليس استفهاما عن نفس البعثة للنبوة
من الظهور في الملكوت الى ما لا يخفى على خزنتها وحرسها ولكونه اوفق للاستفتاح
والاستيذان وهذا موذن بان لها ابوابا حقيقة وحفظة موكلين بها [illegible]
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم ابي البشر صلى الله عليه وسلم فرحب
بي ودعا لي مرحبا كما في الحديث الاخر مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح اي
لقيت رحبا وسعة او رحب الله بك فجعل مرحبا موضع ترحيبا ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
قيل ومن معك عطف على مقدر اي اتيت ومن استفتحها قال محمد قيل وقد
بعث اليه يجري فيه ما مر قيل كان سؤالهم استعجابا بما انعم الله عليه استبشارا
بوجوده قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن
زكريا لان ام يحيى ايشاع اخت مريم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السما
الثالثة فذكر مثل ما ذكر في الاولى من استفتاح جبريل وما قيل له وما قال لهم ففتح

لنصوع بياضه

ح

لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو اعطي شطر الحسن اي نصفه
او بعضه لان شطر الشيء قد يراد به بعضه مطلقا وهو بدل اشتمال من
الاول فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله
فاذا انا بادريس صلى الله عليه وسلم واسمه اخنوخ سبط شيث وجد والد نوح
اول مرسل بعد ادم واول من خط بالقلم وخاط الثياب ونظر في علم النجوم
والحساب وقولهم ادريس مشتق من الدرس فلقب به لكثرة درسه اذ قد روي
ان الله انزل عليه ثلاثين صحيفة يرده عدم صرفه للعلمية والعجمة فرحب بي ودعا
لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عنده وعن
الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت اذقني الموت ليهون علي ففعل باذن الله ثم حيي
فقال له ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلني الجنة ازدد رغبة ففعل
ثم قال له اخرج فقال له قد ذقت الموت ووردت النار فما انا بخارج فقال الله
باذني دخل فدعه وقيل هو في السماء الرابعة كما في الحديث ثم عرج بنا الى الخامسة
فذكر مثله فاذا انا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله عليه
وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله
فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا منصوب على الحال كما في مسلم
وشرحه وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح مرفوع خبر مبتدا محذوف
اي وهو مسند ظهره الى البيت المعمور ويسمى الضراح بمعجمة مضمومة
ومهملة بينهما را فالف من المضارحة اي المضارعة والمقابلة اذ هو مقابل
الكعبة ومن رواه بصاد مهملة فقد صحف واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك لا يعودون اليه اي يدخلونه ذاهبين غير عائدين اليه ابدا لكثرتهم
ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى وطلع عليها واستويا بها واذا ورقها كاذان
الفيلة واذا ثمرها كالقلال وفي رواية كقلال هجر قرية بقرب المدينة يعمل بها
القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قلة لانها تقل اي ترفع وتحمل وليست
بهجر من البحرين فلما غشيها اي علاها ولابسها من امر الله ما غشي اي شيء عظيم غشي
قيل فراش من ذهب وقيل لعله شبه ما غشيها من الانوار التي تنبعث منها
وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لصفائه واضاءته لنفسه تغيرت
مما غشيها من امر الله مما اريد بها من تعظيمها وتكثير الحسن لا يوصف بلسان
ولا يعد ببيان ومن ثم قال فما احد يستطيع ان ينعتها اي يصفها من حسنها
فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة بيانا لما اوحى اليه والابهام
للتفخيم والتعظيم او لبعضه والابهام لكثرته وتفخيمه اي اوحى الي اشياء كثيرة منها

فرض

فرض خمسين صلاة على في كل يوم وليلة فنزلت حتى انتهيت الى موسى صلى الله
عليه وسلم فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع
الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك لعلمه صلى الله عليه
وسلم بضعفنا وعجزنا فجزاه الله عنا افضل الجزا فلقد تحملنا رحمته وبركاته
وعلل ذلك بقوله فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم عطف تفسيري للتاكيد
اذ الابتلاء الاختبار والامتحان وفي الحديث اللهم لا تبتلنا الا بالتي هي
احسن اي لا تمتحنا اي امتحنتهم وعالجتهم فلقيت منهم شدة اردت
منهم من الطاعة فرجعت الى ربي فقلت رب خفف عن امتي لم تقل خفف
عني حيا من ربه بسواله التخفيف عنه فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى
ربك فاساله التخفيف فلم ازل ارجع بين ربي وموسى اي بين موضعي
مناجاتي له تعالى وملاقاتي موسى حتى قال اي ربنا تعالى يا محمد انهن الضمير
مبهم يفسره خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر اي كل صلاة
تحسب عشر صلوات لا معها وان اوهمته اللام لشهادة قوله فتلك خمسون
صلاة هذا ولعل صدور هذه المراجعة عن علم منهما بعدم وجوب الخمسين قطعا
لما راجعا لان ما وجب قطعا لما راجعا لان ما وجب قطعا لا يقبل تخفيفا او
يقال اوجبها اولا ثم رحمنا فنسخها بخمس كاية الرضاع وعدة المتوفى عنها زوجها
وعليه يقال لجواز نسخ وجوب الشيء قبل وقوعه شهادة نسخ وجوب ذبح اسماعيل
ومن هم بحسنة اي ارادها مصمما عليها عازما على فعلها فلم يعملها لامر عاقه
عن عملها كتبت له حسنة اي كتبت له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة
واحدة لان الهم سببها وسبب الخير خير فوضع حسنة موضع المصدر فان عملها
كتبت له عشرا بمضاعفتها تفضلا منه عز من متفضل لشهادة من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ونصب عشرا على المصدر ولو وقعه موقعه ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب تلك السيئة شيئا وفي حديث ان الله كتب الحسنات والسيئات
كتبها الله عنده حسنة كاملة توكيد لشدة الاعتناء بها هينا اذا تركها خوفا منه
تعالى ومراقبة له لشهادة زيادة مسلم انما تركها من جراي اي من اجلي اما اذا تركها
لامر اخر صده عنها لم تكتب حسنة وشيئا وعشرا منصوبات وفي بعض نسخ
المصابيح مرفوعان ولعله غلط من الناسخ فان عملها كتبت سيئة واحدة اي
كتبت له السيئة كتابة واحدة عملا بالفضل في جانبي الخير والشر ولم تقل
له مؤكدا لها بواحدة لعدم الاعتناء بها المفاد من الحصر في قوله ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها قال صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته ته ٥

بما قال ذي منا به خمس صلوات كل يوم وليلة كل صلاة مضاعفة عشرا فقال
ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت رجعت الى ربي حتى استحييت منه
غاية لمراجعته ربه هذا وقد ذكر هنا خلاف كثير تتعلق بالاسرا يراجع من
مظانه وسيأتي بعضه قال المصنف وحديث ثابت عن انس اي الذي
شرحناه انفا اتقن واجود احاديث الاسرا كلها ولم يات احد عن انس
باصوب منه وقد وقعت في احاديث الاسرا على اختلاف الروايات زيادات
منها في حديث ابن شهاب قول كل نبي له صلى الله عليه وسلم مرحبا نصب على
المصدر لوقوعه موقعه اي لقيت رحبا او ترحيبا بالنبي الصالح والاخ
الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له صلى الله عليه وسلم والابن الصالح
لانه كان من ذريتهما اسماعيل وفيه اي في حديث الاسرا من طريق البخاري الى
ابن عباس ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اي في مكان لمستوى وقال الخطابي
المراد به المصعد وقيل فالباطرفية وتعديته باللام فهي كما قال التوربشتي
للعلة اي علوت لاستعلا مستوى او لرؤيته او لمطالعته وقد يتعلق بالمصدر
اي ظهرت ظهور المستوى ويجوز ان تكون بمعنى الى اي بلغت منه الى
مقام اطلعت فيه على الكوان وظهر لي ما يراد من امر الله وتدبيره في خلقه
وهذا والله هو المقام والمنتهى الذي لا يرام فاللام ذاك وان كان له
معنا هما اعني الادراك والانتهاء ملايما لصحة الغرض فليسا متغايرين لمعنى
ظهرت الى مستوى بلغته وانتهيت اليه ومعنى لمستوى لذلك مستوى
اسمع فيه صريف الاقلام اي صوتها حال كتابته بما تكتب من اقضية الله ووحيه
وينسخ من اللوح المحفوظ فغشيها الوان لا ادري ما هي هو مثل قوله
فيما مر فلما غشيها من امر الله ما غشي في ارادة الابهام والتفخيم كما مر
وغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم وغطاهم شي عظيم وفي حديث مالك
بن صعصعة الذي رواه الشيخان وغيرهما فلما جاوزته يعني موسى
صلى الله عليه وسلم بكى تاسفا وتحزنا وتحسرا على قومه اذ لم يتبعوه
فينتفعوا به انتفاع هذه الامة نبيهم لا حسدا اذ لا حسد في ذلك
العالم لاحاد المومنين فضلا عن من اختاره الله لرسالته واصطفاه بتكلمه
فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من
امته اكثر مما يدخل من امتي سماه غلاما نظرا الى قصر عمره مع جموم مبانيه
وعموم ماثره وكثرة امته ومنها حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي وغيره
وقد رايتني بضم التا حكاية عن نفسه في جماعة من الانبيا بارواحهم ممثلة
بصورهم التي كانوا عليها او باجسامهم فحانت الصلاة لعلها صلاة الصبح اذ لا

الاسرا لا يكون الا اخر الليل وهي مما فرض على الانبيا قبله فامهم اي
صلى بهم تلك الصلاة اماما فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم
عليه انما امر بالسلام عليه لانه كالقائم وهو كالقاعد والقائم يسلم
على القاعد وان كان مفضولا فالتفت فبداني بالسلام لانه كان في
حكم غايب قدم او بداه به ليزيل ما استشعر من الخوف منه وفي
حديث ابي هريرة المحكي عنه ما تقدم من الزيادة ثم سار صلى الله عليه
وسلم حتى اتى بيت المقدس غايته لسيره من المسجد الحرام فربط
فرسه يعني البراق في الصخرة ببيت المقدس فصلى مع الملائكة ظاهره
انه جاء فوجدهم قد نزلوا ليصلوا فيه على عادتهم فصلى معهم قبل
عروجه ثم عرجوا فراهم في مراتبهم بعد عروجه فلما قضيت الصلاة
قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد عطف على مقدر اي اطلب وارسل اليه للاسرا والصعود
الى السما وليس استفهاما عن اصل الرسالة كما مر قال نعم ارسل اليه
قالوا حياه الله من الحياة اي ابقاه وملكه او قربه او من استقبال المحيا
اي الوجه او من التحية اي سلم عليه من اخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة
اي محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو المخصوص بالمدح ثم لقوا ارواح الانبيا
اما ببيت المقدس بعد انقضا الصلاة او بعد العروج في مراتبهم في السموات
فاثنوا على ربهم وذكر اي ابو هريرة كلام كل واحد منهم الذي اثنى به على
ربه وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان ثم ذكر كلامهم
صلوات الله وسلامه عليهم ثم قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه
بما هو اهله فقال الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا
ونذيرا علق الحمد بما منحه من اشرف الاوصاف ثم شفعه باحوال اذنت باعم
المنافع واتم الفوايد وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شي من امور الدين
اما بالنص تفصيلا او اجمالا بالاحالة على السنة اذ قد امر الله باتباعه صلى الله عليه
وسلم وطاعته او بالحث على الاجماع بقوله ويتبع غير سبيل المومنين او القياس
بقوله فاعتبروا يا اولي الابصار وجعل امتي خير امة اخرجت للناس يومنون بالله
واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتاخير الايمان في الاية مع ان
من حقه ان يقدم لانه قصد به الدلالة على انها امرت ونهت ايمانا بالله وبكل ما
يجب الايمان به واظهارا لدينه ثم الاية شاهد صدق بان الاجماع حجة لاقتضائها
كون الامة امرة بكل معروف ناهية عن كل منكر لشهادة اللام اذ هي فيها للاستغراق
ولو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك وجعل امتي امة وسطا اي خيارا عدولا

وجعل امتي هم الاولون يوم القيامة قضا ودخولا الجنة وهم الاخرون وجودا في
الدنيا لا غيرهم لشبهها دة ضميري الفصل فيهما وحديث مسلم نحن الاخرون من
اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلايق نحن اول من يدخل الجنة
وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري لشبهها دة الم نشرح لك صدرك
ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك اي لو نفسحه للوحي
وسع مناجاة الحق ودعوى الخلق او بما اودعناه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل
او بما يسرناه لك من تلقي الوحي بعد مشقته عليك وخففنا عنك عبا الثقيل
اي ما ثقل عليك من اعبا النبوة والقيام به فلم يثقل عليك واظهرنا ذكرك في الملا
العلوي والسفلي بالنبوة وقرنا اسمك باسمنا وطاعتك بطاعتنا وصلاتنا
عليك وملايكتنا وامرنا المومنين بالصلاة عليك وخطابنا لك بالالقاب وجعلني
فاتحا لابواب الايمان والهداية الى صراط مستقيم ولسان اسباب التوفيق
وما استغلق من العلم او هو من الفتح بمعنى الحكم فجعله حاكما في خلقه يفتح ما
انغلق بين الخصمين باحياء الحق وايضاحه واماتة الباطل وادحاضه فلهم
اضات شوارع الحجة وصفت مشارع الشريعة وجعلني خاتما للنبيين اي
اخرهم بعثا كقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين فقال ابراهيم صلى الله
عليه وسلم بهذا اي بما منحه مما ذكر فضلكم ايها الانبيا محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر اي ابو هريرة انه اي جبريل عرج به صلى الله عليه وسلم الى السما الدنيا
وهكذا الى سما سما ومنها ما في حديث ابن مسعود الذي رواه ابن عرفة في جزيه
وابو نعيم في دلايله وانتهى بي يعني جبريل الى سدرة المنتهى وهي في السما
السادسة كذا كما قاله النووي في جميع الاصول وعن المصنف الحق وقول
الاكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها في السما السابعة وجمع بينهما
النووي بان اصلها في السادسة ومعظمها في السابعة اذ قد علم انها في
نهاية من العظم وقد اظلت الجنة والسموات قال المصنف وخروج النهرين
الظاهرين من النيل والفرات من اصلها موذن بانه في الارض فان سلم له ذلك
حمل على انه فيها ومعظمها في السابعة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض
منها اي تقبضه الكتبة فتكتبه او غيرهم من الملايكة ثم توصله اليهم واليها
ينتهي ما يهبط من فوقها منها اي تقبضه من اذن له منهم ليوصله لمن قضي له
به اذ يغشى السدرة ما يغشى قال اي ابن مسعود فراش من ذهب ايضاح بعد
ابهام وقد تقدم انه اوقع في النفس واشرح للصدر ومنها في رواية ابي هريرة
من طريق الربيع بن انس فقيل لي هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من
امتك خلا على سنتك اي مضى متوسما بهديك مستنا بسنتك اي بطريقتك

بعد

بعد موته وبجسده معها بعد الاذن بدخوله الجنة وهي سدرة المنتهى
ما قبل هذه الجملة حكاية قول من اخبره به من الملايكة مما هو زيادة على
حديث ثابت عن انس بن مالك وهذه منه صلى الله عليه وسلم اخبار عن
كونها يخرج من اصلها انهار من ما غير اسن اي متغير طعما ولونا وريحا من
اسن بالفتح اي تغير وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم يصر قارصا ولا
حاذرا وانهار من خمر لذة للشاربين ليس فيها ما يعتري شاربيها
مما في خمر الدنيا ووصفه بلذة مبالغة كانها نفسها وعينها او ذات لذة
وانهار من عسل مصفى لم يخالطه شمع ولا شي من فضلات النحل وغيرها
هذا وظاهر الحديث انها خارجة من اصلها ما ولبن وخمر وعسل انهار ولعله
كما في الاية لما يقوم مقام اشربة الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا مجردة
عما ينقصها وينغصها موصوفة بما يوزن لغزارتها واستمرارها وهي اي
سدرة المنتهى شجرة غاير في تسميتها ايذانا بفخامة شانها وعظمة
امرها لشبهها دة قوله يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة
منها مظلة للخلق من الاظلال اي ظلها شامل لهم عام عليهم وهذا
لا ينافي تشبيه ورقها فيما مر باذان الفيلة لجعل التشبيه في مطلق
الكبر مع رعاية الاذان في كبرها او بحمله على غالب ورقها لشبهها دة بروز
الورقة نكرة في حيز الاثبات فانها لا تعم الا ان يقال المقام مقام مدح
وفخامة فتعم كما في يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا بما مه ولا لقيتم ما بقيتم
فيعتمد الاول فغشيها نور لعله نور الملايكة حين اقبلت عليها اذ قد
خلقت من نور وغشيتها الملايكة فهو قوله تبارك وتعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى اي فالذي يغشيها من النور والملايكة هو تفسير لما في قوله
وايضاح لها بعد ابهامها تفخيما وتعظيما وتكثيرا لما يغشاها فقال تبارك
من البركة اي تكاثر خيره وتزايد وتنزه عن كل شي وتعالى حال لازمة اي
تعاليا معنويا لا حسيا له صلى الله عليه وسلم سل فقال موكدا بان واسمية
الجملة انك اتخذت ابراهيم خليلا اي اصطفيته وخصصته بكرامة تشبه
كرامة الخليل عند خليله من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها روي
ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعث الى خليل له بمصر يمتار منه لازمة اصابت
الناس فقال لو ان ابراهيم اراد ذلك لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد
علم ابراهيم ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحا لينة فملوا منها اوعيتهم فوجد
دقيقا حواريا فخبز منه فشم ابراهيم رايحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقيل من
خليلك المصري فقال بل من خليل الله فسمي خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت

موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به من بينهم وانما قال ذلك مع
كونه تعالى قد كلمه بقوله سل وقوله قد اتخذتك حبيبا نظرا الى سبق تكليمه
على تكليمه واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد فكان في يده ٥
كالشمع يصرفه كيف يشاء بدون احما وطرق وسخرت معه الجبال يسبحن
بالعشي والاشراق واعطيت سليمان ملكا عظيما اجمال فسره بقوله سخرت
له الجن والانس والشياطين والرياح واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده اعاده لما فيه من الزيادة تلميحا الى ما حكاه عنه رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر ولا يكون له وانما سأله على ما ذكر ليكون
معجزة له خارقة للعادة لا منافسة وحسدا ان لا يعطى لاحد مثله وقدم الاستغفار
اهتماما منه بامر الدين وتقديما لما يجعل الدعا بصدد الاجابه وعلمت عيسى التوراة
والانجيل تلميحا الى قوله ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل خصا بالذكر
لفضلهما وجعلته يبرئ الاكمه اي من ولد اعمى او هو الممسوح العين والابرص
اي من بدنه بياض ابهق دوي انه لما اجتمع به الالوف فمن اطاق اتاه ومن ٦
لم يطق ذهب اليه وما يداوي الا بالدعا واعذته وامه من الشيطان الرجيم
هذا تلميح الى ما حكاه الله من دعا جدته لهما وتقبله منها واني اعيذها بك
وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها فلم يكن له عليهما سبيل لعصمة
الله لهما ببركة تلك الاستعاذه فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا في مقابلة
ابرهيم خليلا اعلاما بانه اعلا منه مقاما لانه لخص منه اذ هو من خصه القلب
فهو كما مر ... يصيب شغافه وحبته وسيمنح له مزيد بيان فهو مكتوب في
التوراة محمد حبيب الرحمن هذا مدرج من كلام الراوي اقامه بينة لصحة
زيادة رواية ابي هريرة والرحمن فعلان من رحم مبالغة في الرحمة وهي لغة
رقة وانعطاف تقتضي تفضلا واحسانا على من رق وذلك على الله محال اذ
اسماوه وصفاته انما توخذ من حيث غاياتها التي هي افعال اوارادة لا من حيث
مباديها التي هي انفعالات فرحمته عباده اما ارادة احسان ودفع سوء فتكون
صفة ذات او نفس الاحسان فيرجع الى صفات الافعال وقد مر لهذا زيادة
بيان وارسلتك للناس رسولا كافة اي رسالة عامة محيطة بهم لا تخرج منها
احد منهم خصه بعموم الارسال دون الكل فهو اعظم ملك ممن اوتي سليمان
ملكا عظيما اذ كان واسطة بينه وبين جميع خلقه ثم زاد عليه ما افاده قوله
وجعلت امتك هم الاولون يوم القيامة قضا لهم ودخولا الجنة وهم الاخرون
في الدنيا وجودا وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة اي لا يعتد بها شرعا حتى يشهدوا
انك عبدي ورسولي تشبيها بحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد
١

الجذما وجعلتك اول النبيين خلقا اذ خلقتك قبل ادم نورا كما مر في حديث
قريش فلما خلق ادم قذفه في صلبه فلم يزل في صلب كريم الى رحم طاهر حتى خرج
من بين ابويه فكان اول لم خلقا وخلقا وبعثا تمييز حولا عن لونهما
مفعولين واخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني تقدم بيانه ولم اعطها نبيا قبلك
اعلاما بانه خصه بذلك واعطيتك خواتيم سورة البقرة ظاهره ان لا اعطا
كان تحقيقه بانزالها عليه تشبيها بقوله من كنز تحت عرشي لم اعطها نبيا قبلك
وقال التوربشتي المعنى انه استجيب له ولمن شا له تحقيقه مضمون غفرانك
ربنا الى اخرها ونصره انه صلى الله عليه وسلم لما دعى بهن قيل له قد فعلت
واوثر الاعطا مناسبة للتعبير بكنز تحت عرشي وجعلتك فاتحا كل خير وخاتما
للنبيين فلا نبي بعده احد فلا يرد عيسى صلى الله عليه وسلم لانه نبي قبله
وتغيير بعض الاحكام كعدم قبول الجزيه ليس نسخا لاخبار نبينا صلى الله
عليه وسلم بانتهاء العمل بذلك الحكم بعد نزوله وفي الرواية الاخرى التي رواها
مسلم وقال اي ابن مسعود فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي
الصلوات الخمس فرضا في كل يوم وليله واعطي خواتيم سورة البقرة استجابة
بمعنى استجيب له مضمونها او انزلت عليه كما مر وغفر لمن لا يشرك بالله شيا
المقحمات اي الذنوب العظام التي تقحم صاحبها في النار اي توقعه فيها هذا قاض
بان من اتصف بعدم الشرك بالله تغفر له مقحماته تشبيها بذه من فانها للعموم
فيلزم ان لا يعذب احد مع اجماع ذوي الحق بنصوص الشرع على تعذيب
بعض عصاة المومنين فهو اما عام مخصوص اريد به خصوص بعض وقيل المراد
بغفرانها ان لا يخلد احد منهم في النار والا ان لا يعذب اصلا وقال اي ابن
مسعود ما كذب الفواد ما راى راى جبريل في صورته التي خلق عليها له ستماية
جناح غرضها انما بعد واخبار ولا تمانع مع ظاهر الحديث انها كالاجنحة
الطير وفي حديث داود وغيره ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
اي تضعها حقيقة وطالبه وفرشا او تواضعا تعظيما لحقه او بمعنى تكفها
عن الطيران بعد نزولها لمجالس العلم حافة بهم ففي الحديث الا نزلت عليهم
السكينه وحفتهم الملائكة او راى ربه تعالى اي كذب بصره بما حكاه له قلبه
فان الانوار القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال الفواد
لما راه لم اعرفك ولو قال لكان كاذبا لانه عرفه برويته ببصره يعني راه ببصره فعرفه
فواده ولم يشك فيه ومنها في حديث شريك انه صلى الله عليه وسلم راى موسى
صلى الله عليه وسلم في السما السابعة هذا يخالف لما مر من رويته له في السادسة
وربما حمل على ان الاسرا كان مرتين او مره فراه بعد عروجه في الثانية ثم صعد

تفضيل

الى السما السابعة فراه بعد رجوعه فيها قال اي شريك او النبي صلى الله عليه وسلم بل
كلام الله له اي جعله في السابعة مسبب عن ذلك قال يا موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي وبكلامي ثم علا بي اي جبريل فوق ذلك اي فوق السابعة بما
لا يعلمه الا الله بدل من فوق ذلك والبا للاستعلا كما في ومن اهل الكتاب من
ان تامنه بقنطار اي عليه او بمعنى الى كما في وقد احسن بي اي الي اي علا بي   علا بي
على مكان او الى مكان لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد قيل
في هذه الزيادة ما يقدح في صحتها وهو مخالفتها لرواية الصحيحين المشهورة
فيما مر انه راه في السما السادسة وقول موسى ذلك مع علمه بما في التوراة من
انه افضل الانبيا واشهر صفات الانبيا التواضع وهو مناف لقوله ذلك
ومنها انه قد روي عن انس انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس   بالانبيا ببيت ن
اما ما ولا حاجة الى حمله على اسرا بعد الاسرا الذي فرضت فيه الصلوات
اذ الانبيا كانوا يصلون قبل فرضها ومنها ما رواه البزار والبيهقي عن انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل
بينا اصله بين اشبعت فتحتها فنشا عنها الف وهي ظرف زمان فيه الى الجملتين
ويحتاج الى جواب لتضمنها معنى الشرط والعامل فيها المفاجاة في اذ لا المضاف
اليه اعني الجملة بعدها اذ لا يتقدم على المضاف يعني اذ والمعنى وقت قعودي   اعني م
يوما فاجاني دخول جبريل او وقت دخوله فهي ظرف لهذا المعنى وذات يوم توكيد
دفعا لتوهم التجوز الى مطلق الزمان وقد اورد ابو عمر الزاهد حديث جرير
يطلع عليكم رجل من ذي يمن على وجهه مسحة من ذي ملك قال وذي هنا
صلة اي زائدة وفي حديث المهدي قرشي يمان ليس من ذي ولا ذو المشعار
اي هو قرشي النسب يمني المنشا فذات في حديث جبريل زائدة فوكز اي ضرب
برفق بكفه مجموعة بين كتفي فقمت معه الى شجرة فيها مثل وكري الطائر اي
بيتين شبيهين بعشين في الوضع والهيئة لا في المقدار اذ مقدارهما لا   بعشين ن
يسع ادميا الان يكون من عوالي الطير كالنسر والعقاب والقلق فقعد
اي جبريل في واحدة وقعدت في الاخرى شبها باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش
واهل مكة يذكرونه ويونثونه والغالب لان على البيتيهما لما بينت فنمت
اي زادت وارتفعت وفي نسخة فسمت اي ارتفعت حتى سدت الخافقين اي
طرفي السما والارض والمشرق والمغرب وخوافق السماء جهاتها التي تهب منها
الرياح الاربع ولو شئت لمسست السما بكسر اولى سينيه وفتحها ابو عبيدة
وقد تحذف وتنقل حركتها الى الميم وقد تترك الميم مفتوحة وانا اقلب طرفي
حال من الضمير قبله اي مقلبا بصري في ايات الله بالافاق ونظرت جبريل كانه

حلس

حلس بمهملتين ولامهما مكسورتين كسا رقيق يلي ظهر البعير تحت قتبه شبه به
لرويته له لاطيا اي لاصقا بما لطي به من هيبة الله وشدة خوفه منه فعرفت
فضل علمه بالله علي قال ذلك تواضعا والا فنوع فخلق الله بالله ورايت النور الا   عظم
اي نور الحضرة الالهية واذا وفي رواية ولطي مبنيا للمفعول من لط دون الحجاب اي
ارخي الستر وهذا لا يوذن بكونه تعالى في جهة وحيز ولا تحجبه الاكسية ثم اوحى الي
ما شا ان يوحي من مفروض وغيره مما منحه فضلا من الله ونعمة وذكر البزار عن علي
لما اراد الله ان يعلم رسوله الاذان جا جبريل بدابة يقال لها البراق فركبها حتى اتى
اي انتهى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن فبينما هو كذلك اذ خرج ملك اي فاجاه خروجه
من الحجاب فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق
اني لاقرب الخلق مكانا اي من الحجاب لا منزلة اذ ليس في مكان ولا زمان وان هذا
الملك ما رايته منذ خلقت بناه للمفعول لعلمه بخالقه ارصونا له عن لسانه تادبا
وتعظيما لشان ندائي لعله في ساعته من قبل اوانها وقبل ساعتي هذه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل له جوابا عن قوله ذلك من ورا الحجاب صدق عبدي انا اكبر
انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل جوابا عن قوله ذلك من ورا
الحجاب صدق عبدي انه لا اله الا انا لم يذكر فقيل له من ورا الحجاب جوابا عن قوله
حي على الصلاة حي على الفلاح وقال اي الراوي ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله
عليه وسلم فقدمه فام اهل السما فيهم ادم وابراهيم خصهما بالذكر لانهما ابوا
الانبيا ولتقدمهما عليهم وجودا قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب راويه اي روى هذا الحديث عن ابيه عن جد ابيه كمل الله لمحمد صلى الله
عليه وسلم الشرف على اهل السما والارض بما منحه ربه مما يفوت الحصر ولا يدركه   الحديث منذ كرم
فهم احد وما في هذا الحجاب الحجاب لغة المنع والستر وحقيقته للاجرام المحدودة
والله منزه عن ذلك فهو اما تمثيل لما نفهم اعني مجرد المنع من رويته تعالى بالمشاهد
ليتصوره السامع حتى كانه ينظر اليه متيقنا له او هو في حق المخلوق لانه من
خواص الاجسام لا في حق الخالق لتنزه ساحة عظمته عن ان يحجز عليه ما يجوز
عليها فهم المحجوبون عن رويته في الدنيا والباري تعالى من برا الخلق انشاه بريا
من تفاوت يخل بنظامه الكامل بصور تترتب عليها خواصه وتتم بها كماله منزه
عما يحجبه عن خلقه اذ الحجاب انما يحيط بمقدار محسوس داخل تحت نطاق حاسة البصر
ولكن يحجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم مغطية لها فلا رويته ولا
تصور ولا كتبا في غيرانا بما شا متعلق بحرف الجر في الحديث حجابه النور
وكيف شا ومتى شا اي حجبه على اي كيفية شا في اي وقت شا كقوله انهم اي
الكفار عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي الممنوعون فلا يرونه ومن منع رويته جعله

تمثيلا لاهانتهم كاهانة من منع من الدخول على الملوك وقدر في ابنيها مضافا فقال
رحمته او ثوابه او قربه ولكن بدا اذ لم يرى المومنون يوم القيامة لم يعن الكافرون
محجبهم عن روبته فقوله في هذا الحديث الحجاب يجوز جره على الحكاية وقوله واذا
خرج الملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراه اي من جهة ظاهره من
ملايكته عن الاطلاع على ما دونه اي من جهة باطنه من سلطانه وعظمته وعجايب
ملكوته وجبروته فعلوت من الملك والجبر بمعنى القهر وله جبر خلقه على مراده وان
كرهه ومن في موضعيها بيانية لما بعدها ويدل عليه اي على ما ذكر من حمل الحجاب
على ما مر من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورايه ان هذا الملك ما
رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا لم يختص بالذات الواجب
لتقدس جنابه عن ان يحجبه حجاب هذا وقد صح انه صلى الله عليه وسلم راه تلك الليلة
وستتلى عليك ويدل عليه اي على عدم اختصاص الحجاب بالذات قول كعب في تفسير
سدرة المنتهى اي في بيان سبب تسميتها به انه ينتهي علم الملايكة وغيرهم
يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم تحجبهم بسرادق كبريايه وعظمته واما قوله
الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او يلي
امرا ما من عظيم اياته وعجايب كبريايه وهذا ايضاح بعد ابهام لتصور
او وقع في النفس لحصوله بعد تشوفها اليه ومن فيه بيانيه او عن مبادي
حقايق معارفه مما هو تعالى اعلم به وحمله على حذف المضاف هو كما قال
تعالى واسال القرية اي اهلها اذ الابنية المجتمعة لا تسال وقوله فقيل
له من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهر انه صلى الله عليه وسلم سمع
في هذا كلام الله كما سمعه موسى صلى الله عليه وسلم ولكن من وراء الحجاب
اي وهو لا يراه حجب بصره عن روبته لربه في هذا الموطن فان صح القول
بانه صلى الله عليه وسلم راى ربه فيحمل على انه في غير هذا الموطن بعده
او قبله رفع الحجاب عن بصره صلى الله عليه وسلم فراه فخصصه اختلف السلف
والعلما عطف بعض افراد العام عليه لاختصاصه بمزيد فضل حتى كانه ليس
منه كما في من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال هل كان
الاسرا بروحه صلى الله عليه وسلم او جسده على ثلاث مقالات فذهبت
طايفة الى انه بالروح وانه رويا منام بدل مما قبله او عطف تفسيري له
اذ هو ظاهرا انما يكون في المنام مع اتفاقهم ان رويا الانبيا حق ووحي بشهادة
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
اجمعين تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم والى هذا ذهب معاوية بن ابي
سفيان بن حرب بن امية رواه عنه ابن اسحق وجرير وحكى عن الحسن البصري

رضي الله

رضي الله عنه والمشهور عنه خلافه من انه كان في اليقظة واليه اشار محمد
بن اسحق بن يسار وحجتهم لقولهم انه رويا منام قوله تعالى وما جعلنا الرويا
التي اريناك ليلة الاسرا الا فتنة للناس اذ قد انكرته قريش وارتد كثير
ممن كان اسلم حين بلغهم وقيل بانها عام الحديبية بالتخفيف عن الشافعي
وقد تشدد اذ قد راى فيه انه واصحابه دخلوا مكة لتسهل ذلك لقد صدق
الله رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين رووسكم
ومقصرين لا تخافون فلما صدوا وافتتن فيه قوم فقيل لم يدخل في هذا العام
فدخلها من قابل او في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا وحجتهم
ايضا ما حكوه من رواية ابن اسحق ابنا اسحق وجرير عن عايشة رضي الله عنها
ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطه انه لم يدخل بها
الا بعد الهجرة والهجرة كانت بمكة بعد البعثة كما قال ابن اسحق بعد ان فشا
الاسلام بمكة والاسرا انه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووي
عن المصنف وحجتهم ايضا قوله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحطيم
وربما قال صلى الله عليه وسلم في الحجر وقول انس في حديثه وهو نايم في
المسجد الحرام وذكر القصة الواردة في ليلة الاسرا ثم قال في اخرها
فاستيقظت اي انتبهت من منامي وانا في المسجد الحرام حال من الضمير
قبلها مشعرة بان الاسرا كان مناما ولعله نام وهو راجع اليه فلما دخله
استيقظ فتعين كونه حجة وذهب السلف والمسلمون عطفا للعام على بعض
افراده لتفيد ان فيه كم في الذهاب الى انه اسرا بالجسد وفي اليقظة
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهذا هو الحق اذ لا استحالة فيه فلا يعدل
عنه من حيث الظاهر وهذا قول ابن عباس ومن ذكر هنا من الصحابة
وغيرهم وهو دليل قول عايشة كيف يكون الاسرا يقظة دليل قولها ما فقدت
جسده صلى الله عليه وسلم المحتج به انها انه كان مناما وقد سمعت ابطاله ويجب
من حكاية المصنف له في المذهبين مع امتناع كونه حجة للاول وكونه
الثاني دليلا له فانه سهو لا ريب فيه من ذي فهم ثاقب وستسمع انه كان
قبل ان يدخل بها بسنين وهو قول محمد بن جرير الطبري والامام احمد
بن حنبل وجماعة عظيمة نفسا او كثيرة ادعها من المسلمين وهو
قول اكثر المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
مع تواتر الاخبار الصحيحة به وقالت طايفة كان الاسرا بالجسد
يقظة الى بيت المقدس والى السما بالروح مناما واحتجوا بقوله
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا نصب على الظرفيه وتنكيره موذن

يعني

لعل الصحيح

[illegible]

تقليل مدة الاسرا من المسجد الحرام نفسه لحديث بينا انا في المسجد الحرام او
في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اتاني جبريل بالبراق او من الحرم لانه
كله مسجد ويحيط به لحديث انه كان نايما في بيت ام هاني فاسري به فجعل الي
المسجد الاقصى غاية للاسرا اذ لم يكن وراه مسجد غيره يكون غايته الذي
وقع التعجب فيه من حيث انه كان في بعض ليلة وبينهما ليالي واياما كثيرة
ثم الي ما لا يعلمه الا الله ثم رجع والتعجب فيه من لوازم المعجزات وهو
من اعلامه بتعجب استحالة كما وقع لقريش حتى ارتد كثير ممن امن به ومن اوليايه
تعجب بتعظيم القدرة الباهرة الموثرة في الارادة ووقع التمدح بتشريف
النبي محمد له اي بالاسرا ووقع اظهار الكرامة له صلى الله عليه وسلم بالاسرا
اليه اي الي المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال
العناية بتمييزه اذ هو من اعظم كراماته وابلغ معجزاته قال هولا اي الذاهبون
الي المذهب الثالث ولو كان الاسرا الي مكان زايد علي الاقصى لذكره الله
تعالي في كتابه فيكون ذكره فيه ابلغ في المدح من عدم ذكره ثم اختلفت هذه
الفرقتان الثانية والثالثة في انه صلى الله عليه وسلم هل صلى ببيت المقدس
ام لا فقيل نعم ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه بالانبيا
وقيل لم يصل فيه لشهادة قوله ثم انكر ذلك اي صلاته فيه حذيفة ابن
اليمان وقال كما رواه احمد والله ما زالا يعني جبريل والنبي صلى الله عليه
وسلم عن ظهر البراق ظاهره انهما لم ينزلا عنه حتى رجعا وهو بعيد والحق
من هذا الذي ذكر اسري بالجسد والروح في القصة كلها وعليه
اي علي كونه اي اسرى بهما فيها كلها تدل الاية من المسجد الحرام الي المسجد
الاقصى نصا وصحيح الاخبار الي السموات استفاضة ثم الي الجنة او العرش
او طرف العالم كما مر ولا يعدل عن الظاهر من الايات والاخبار الواردة
فيه ولا عن الحقيقة المتبادرة الي الاذهان من الفاظها الي التاويل الا عند
الاستحالة وتعذر حمل اللفظ علي حقيقته وليس في الاسرا بجسمه
وحال يقظته استحالة توذن بتاويل اذ لو كان مناما لقال سبحان الذي
اسرى بروح عبده ولم يقل بعبده ويدل عليه ايضا قوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى اي ما عدل عن رويته ما امر برويته من عجايب الملكوت
وما جاوزها لصراحته ظاهرا في كونه بجسده يقظة بشهادة لقد راي
من ايات ربه الكبرى ولو كان مناما لما كان فيه اية ولا معجزة خارقة للعادة
تورث صدقه وان كانت رويا الانبيا وحيا اذ ليس فيها من الابلغية وخرق
العادة ما فيه يقظة وايضا لو كان مناما لما استبعده الكفار من قريش

وغيرهم

وغيرهم ولا كذبوه ولا ارتد به ضعفا من اسلم وافتتنوا به لبعده
عن ساحة العادة ووقوعه في زمن يستبعد فيه جدا اذ مثل هذا من
المنامات لا ينكر بل لم يكن منهم ذلك الا لاستبعاد ذلك والتكذيب له
والارتداد والافتتان الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال
يقظته اخذا في خبره الي ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبيا
ببيت المقدس علي ما تقدم في رواية انس او في السما علي ما روى غيره
فيما تقدم وذكر مجي جبريل له صلى الله عليه وسلم بالبراق وخبر المعراج
أي اسرا له من العروج كالسلم للصعود واستفتاح السما فيقال من
انت فيقول جبريل فيقال ومن معك فيقول محمد ولقايه الانبيا فيها وخبرهم
معه وترحيبهم به وشانه في فرض الصلاة خمسين عليه وعلى امته
ومراجعته موسى بينه وبين ربه حتى جعلها خمسا عددا وخمسين
ثوابا فضلا منه ونعمة وفي بعض هذه الاخبار من رواية الشيخين
عن انس فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي الي السما فلما جيت الي السما الدنيا
قال جبريل لخازنها افتح فلما فتح علونا الي السما الدنيا اذا رجل قاعد علي يمينه
اسودة وعلي يساره اسودة الي قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام ففرض عليه خمسين صلاة فرجع فمر بموسى
فلم يزل بينه وبين ربه حتى قيل له هي خمس وهن خمسون وانه وصل الي سدرة
المنتهى فاذا هي قد غشيها الوان قال لا ادري ما هي وانه دخل الجنة وراى
فيها ما ذكره من جنابذ اللولو وان ترابها المسك ظاهر هذا كله شاهد
صدق بانهما نزلا عن البراق وان انكره حذيفة قال ابن عباس كما رواه عنه
البخاري هي الضمير للشان بنفسه رويا راها النبي لا رويا منام وروى
ابن اسحق وابن جرير عن الحسن البصري مرسلا بينا انا نايم في الحجر جاني
جبريل فهمزني بعقبه فجلست فلم ار شيا فعدت لمضجعي ذكره ثلاثا
فقال في الثالثة فاخذ بعضدي هو ما فوق المرفق فجرني الي باب المسجد
والله اعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل ان يفعل به ذلك فاذا بدابة
وذكر خبر البراق من كونه فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى
طرفه وروى ابن اسحق والطبراني وابن جرير عن ام هاني بنت ابي طالب ما
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي صلى العشا
الاخرة وما تحولت عن جنبها لظهوره في انه فارقها مضطجعة عليه فلم يزل
كذلك حتى رجع اليها وقد مر ما اذن انه كان من بيت ام هاني ومن الحطيم
ومن الحجر وبه تمسك من زعم انه تكرر اربعا فصل في ابطال حجج من قال

انها نوم انشا لضمير باعتبار القول انه كان رويا منام احتجوا بقوله تعالى وما
جعلنا الرويا التي اريناك فسماها رويا قلنا جوابا عما زعموا من انها رويا نوم
قوله سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال له في النوم اسرى •
واي معنى الروية البصرية لا الرويا النوميه معظوا هراحاديثها لشاهدة
بانه يقظه وتحي جبريل اليه بالبراق مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال
له جبريل ابمحمد تفعل هذا واستفتاح جبريل السموات ولقايه صلى الله عليه وسلم
الانبيا بها وترحيبهم له وسلام مالك خازن النار عليه وصلاته بهم ورجوعه
الى خديجه وما تحولت عن جنبها الذي فارقها مضجعه عليه الى غير ذلك مما
ظاهره يقضي بانه كان يقظه وقوله الا فتنة للناس يوميء انها رويه عين
واسرا بشخص اذ ليس في الحلم فتنة للناس من تعجبهم تعجبا ستيها له ادى
الى ارتداد كثير ممن آمن به اذ كان ذهابا وايابا في برهة من الليل واذ كان
الحلم لا يكذب به احد منهم ولو كان حلما لما كذبوا به لان كل احد ممكن ان
يري مثل ذلك في منامه من الكون حال من مثل متعلقه يري في ساعة
واحده في اقطار متباينة على اي هذا مع ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الايه
اي ايه وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس فذهب بعضهم الى انها
نزلت في قضية الحديبيه اذ قد راي صلى الله عليه وسلم انه دخل مكة وصد
المشركون وما دخلها في ذلك العام ووقع في نفوس الناس من ذلك فقيل انه لم
يقل في هذا العام ندخلها من قابل وقد قيل له الا ايه مكيه الا ان يقال راها بمكة
ثم اخبر بها يومئذ وقيل راها يوم بدر ويشهد له اذ يريكهم الله في منامك قليلا ان
تثبيتا لاصحابك وتشجيعا لهم على عدوهم وقوله حين ورد ماء بدر كاني انظر الى
مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فبلغ ذلك قريشا فسخروا
منه وقيل غير هذا الذي تقدم وقولهم انه في ما تقدم من الحديث مناما وفي
حديث اخر بين النايم واليقظان ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فلا حجة
فيه لمن زعم انه كان مناما اذ قد يحتمل ان اول الامر اليه كان وهو نايم تشهد له
حديث الحسن بينا انا نايم في الحجر جاني جبريل فهمزني بعقبه فجلست فلم ارى شيا
فعدت لمضجعي الى ان قال فخرج بي الى باب المسجد فاذا بدابة او ان اول حمله
والاسرا به كان وهو نايم يشهد له حديث وهو نايم بالمسجد الحرام وليس
في الحديث انه كان نايما في القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت
وانا بالمسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت لكنه بعيد او ان
استيقظت من نوم اخر عرض له في رجوعه اليه او عرض له بعد وصوله
بيته ويدل عليه اي على كونه نوما اخر ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان

وصوله

احد فلم اري

بف

في بعضه ذهابا وايابا بسرعة في ذلك لا بعد المنباعد المؤذن بالمستغرق
الموقتة للنوم فنام انا له لتعبه وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد
الحرام لما غمره من عجايب ما طالع من ملكوت السموات والارض شبه
ما عري انديته ناظره وغشي فنية خاطره برويته تلك العجايب المتقنه
والبدايع المحكمه بما غمر راي عمر على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له
الغمر تخييلا او شبه ما دلت عليه ما المنبئة بالعجايب تشبيها بليغا تشبها ومن
المبتدئها اذ هي التي اخرجته من باب الاستعارة اليه كما في حتى يتبين لكم الخيط
الابيض من الخيط الاسود من الفجر او شبه ما عراه وغشيه بسبب رويتها بالغمر
من الما ثم اشتق منه غمر فوقعت الاستعارة في المصدر اصليه ثم سرت
منه الى الفعل تبعا وغامره اي ستر باطنه من مشاهدة الملا الاعلى وجرى
فيه ما مر فيها قبله وكتب ابو الدردا الى سلمان يدعوه الى الارض المقدسه
فكتب يا اخي ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السما
على ارفه خمر الارض يقع اي على اخصب ساير نهار اراد ان وطنه ارفه له وارفق
به فلا يفارقه وما راي من ايات ربه الكبري اي كبري اياته وكل اياته كبرى
لا حكامها واتقانها فلم يستفق مما عرض له من النوم في رجوعه ولم يرجع الى
حال البشريه الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ردا على من زعم ان
الاسرا كان رويا نوم هو ان يكون نومه واستيقاظه حقيقه على
مقتضى لفظه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام ولكنه اسري بجسده
نايمه عيناه والقلب يقظان ورويا الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم ووجه ثالث موذن بانه كان يقظه وهو ان يكون نومه واستيقاظه
المفهوم ان يظهر في حديث انس وهو وانا نايم في المسجد الحرام فاستيقظت
وانا في المسجد الحرام حقيقه على مقتضى لفظه ولكنه اسرى بجسده
وقلبه حاضر ورويا الانبيا حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم لم
يرد بذكر هذا الوجه على ان الزم نفسه وسجل عليها بانه كان مناما وكونه
بجسده نايما ليس فيه كبير بد اذ الحكم حينئذ للروح الا ان يقال التشاهد
الملايكه ويفاض عليهم من بركاته وقد مال بعض اصحاب الاشارات
الى نحو من هذا اي الى نحو كونه نايم العين حاضر القلب قال تغميض عينيه
لئلا يشغله شي من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا الذي ذكره
من ان تغميضها حذرا من ذلك لان المقام مقام مشاهدة عجايب الملكوت
يشهد له قوله تعالى لنريه من اياتنا الكبري اذ المتبادر منه رويتها بالعين
ولا يصح ايضا ان يكون في وقت صلاته بالانبيا ولعله كان ذلك في هذا الاسرا

قوله ووجه ثالث ايطاله بعدم حمله استيقظت على معنى
اصبحت وحمله على معنى استيقظت من نوم اخر وحمله على
انه استيقظ من غمره ومكن حمله على هذا ان
وقد يكون الحمل غير قوي عنده التعبير وقوله

ودرانا له

هه

حالات بان كان في اوله نايما ووقت صلاته لهم ولقايه لهم في السموات ه
مستيقظا كوقت الخطاب وعند سدرة المنتهى ومراجعته ربه وموسى
في تخفيف الصلاة ونحو ذلك **ووجه رابع** شاهد بانه كان يقظة **وهو ان** اول
وصول الملك اليه كان نايما فجاز ان **ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النايم من**
الاضطجاع اذ كثيرا صفة مصدر محذوف منصوب به اي تعبيرا كثيرا الا انه في
قليلا او ما يومنون او على الظرف لانه من صفات الاحيان وما عليها مزيدة
لتاكيد معنى الكثرة وعامله ما بعده اي في احيان كثيرة **يعبر بالنوم عن**
الاضطجاع ونحوه مما هو من هيئات النايم مجازا مرسلا **لما بينهما من الملابسة**
والقول بانه مما تنبو عنه الاسماع لمنافاته ركوب البراق وربطه بالحلقة
فليس بشيء **ويقويه** اي يقوي ما زعمه من التعبير بالنوم عن ذلك **قوله في رواية**
عبد بن حميد عن همام بينا انا نايم وربما قال مضطجع في رواية هدبة
عنه اي عن همام **بينا انا في الحطيم** بين الركن والباب **وربما قال في**
الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النايم واليقظان هذا كله عند
اول مجي الملك اليه فلا ينافيه قوله ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام لامكان
نومه حال رجوعه لما حصل له من عنا السهر ومقاسات السير **فيكون**
صلى الله عليه وسلم **سمى هيئته** من الاضطجاع ونحوه **بالنوم لما كانت** هيئته
صلى الله عليه وسلم **هيئة النايم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادة**
من النوم وشق البطن ودنو الرب بيان لصفة اسم ان **الواقعة في هذا**
الحديث انما هي من رواية شريك هو ابن عبد الله بن ابي نمر **عن انس فهي**
منكرة من رواية اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره
وقبل النبوة ولانه اي شريكا **قال في الحديث قبل ان يبعث والاسرا**
باجماع كان بعد المبعث هذا ومع كونه به بعده لا ينافي شق بطنه بعده
فقد نبه عليه السهيلي بقوله الشق وقع مرتين مرة في صغره ومرة في
كبره عند رقيه الى العالم العلوي **فهذا** الذي ذكره السهيلي ان صح فليست
رواية شريك منكرة والا فما ذكر **كله يوهن ما وقع في رواية شريك عن**
انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره كمالك بن
صعصعة وابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم **وانه لم يسمعه من النبي صلى**
الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم
لعله عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث
عنه صلى الله عليه وسلم فرج عن سقف بيتي الى اخره **واما قول عايشة**
الذي رواه ابن اسحق وحرير **ما فقدت جسده** اي النبي صلى الله عليه وسلم

[illegible] ويقوله [illegible] التعبير عن النوم
[illegible] النايم من الاضطجاع [illegible]
[illegible] ان
يعبر [illegible]
[illegible]
[illegible] الدليل [illegible]
[illegible]
[illegible] التعبير بالنوم
عن [illegible] النايم [illegible]

لانها لم تكن حينيذ اي في ابان الاسرا **زوجة** له صلى الله عليه وسلم **ولا**
كانت **في سن يضبط** الامور ويخبرها **ولعلها لم تكن ولدت بعد**
فلا يعزى اليها هذا القول اذ لم يثبت كما سيأتي والعجب ممن رواه وتداول
المحدثين له رواته مع علمهم بعدم تمييزها من الاسرا بل لم تكن ولدت بعد **على**
الخلاف في الاسرا متى كان فان الاسرا من وضع الظاهر موضع المضمر
تنويها بعظم شانه وسطوع قدره لكونه من اكبر اياته وعظمى معجزاته **كان**
في اول الاسلام على قول محمد بن مسلم بن شهاب **الزهري ومن وافقه بعد المبعث**
بعام ونصف بيان لهذا اول الاسلام وهو مخالف لما نقله النووي فيما مر
عنه من انه بعد خمسة اعوام **وكانت عايشة في زمن الهجرة بنت نحو ثمانية**
اعوام فكان الاسرا على هذا قبل ولادتها بنحو ثلاثة اعوام ونصف لانه ولدت
بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما **وقد قيل كان لخمس من السنين قبل الهجرة**
وقيل قبلها بعام والاشبه انه كان قبلها **بخمس** وهو مخالف حكاه النووي
عنه **والحجة لذلك** اي لابطاله لكونه مناما **تطول ليست من غرضنا** فضربنا
عن اطالتها صفحا **واذا** ثبت ان قول عايشة ما فقدت جسده ولم تحدث
به عن مشاهدة اذ لم تكن حينيذ في سن من يضبط بل لم تكن ولدت و**لم**
تشاهد ذلك دل على انها حدثت بذلك عن غيرها بنا الكلام حكاية
لقول من اخبرها باقيا على صورته الاولى كقولك لمن قال هذه تمرتان لك وعي
من تمرتان كما قال ذو الرمه • سمعت الناس ينتجعون غيثا • برفع
الناس اي سمعت هذا القول فكانها قالت سمعت ما فقدت جسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان او فلانة **فلم يرجح خبرها على خبر غيرها**
لروايتها له عن مجهول بل لعدم ثبوته **وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث**
ام هاني وغيره كحديث شق الصدر ومالك بن صعصعة **وايضا** مصدر آض
بمعنى عاد ورجع وقد يستعمل بمعنى الصيرورة لتلاقيها في معنى الانتقال
اي قلت معاودا **فليس حديث عايشة** ما فقدت جسده **بالثابت** عند ايمة
الحديث لقادح في سنده عنها اذ فيه ابن اسحق وقد تكلم فيه مالك وغيره
والاحاديث الاخر الواردة في الاسرا **ابين** من حديثها لورودها صحيحة
لسنا نعني بقولنا والاحاديث الاخر ابين **حديث ام هاني** ما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي **وما** اي وحديث غير الذي **ذكرت فيه**
خديجة لعدم ورودهما في الصحيح **وايضا فقد روي في حديث عايشة**
ما فقدت جسد رسول الله **ولم تدخل عليه الا في المدينة** جملة حالية
مؤذنة بعدم صحة حديث ما فقدت عنها **وكل ذلك** سابقا ولاحقا **يوهنه** اي

يوهم حديثها ما فقدت بل الذي يدل عليه قولها انه اي الاسرا كان بجسمه
لانكارها ان تكون رؤياه لربه ليلة الاسرا رؤيا عين ولو كانت عندها
منامًا لم تنكره اي لم تنكر كون رؤيته لربه منامًا فان قيل قال الله تعالى ما
كذب الفواد ما راى فجعل رؤيته ما راه للقلب وعلقها به وهذا اي الجعل يدل على
انه رؤيا نوم ووحي بالجر عطف على نوم اي رؤيا وحي فيه لا على انه مشاهدة
عين وحس بصري فهو عطف تفسيري قلنا جوابا عنه يقابله ما زاغ البصر
وما طغى اي ما مال عما رآه وما تجاوزه بل اثبته اثباتا مستيقنا فنص في
الامر في الرؤية للبصر وعلقه به تشهد ذه ما قاله اهل التفسير في قوله
ما كذب الفواد ما راى لم يوهم القلب العين اي لم يرها ولم يورد عليها غير الحقيقة
للمرئي اذ لم يكن تخيلا كاذبا تشهده حديث مسلم هل رايت ربك قال رايته بفوادي
اذ الامور القدسية كما مر يدركها القلب ولا ثم يوردها على البصر وقيل
ما انكر قلبه صلى الله عليه وسلم ما راته عينه اي لم يقل قلبه لما راه لم اعرفك ولو
قاله لكذب اذ قد عرفه كما عرفه بصره هنا وكذلك يقول الجواب تشاهد يصدق
وثبوتنا الرؤية للقلب والبصر جميعا بحكم مجموع الاثنين المؤذنة بكونه
اسرا بيقظة تشهد ذه قوله ثم دنا للعروج به وهو اي جبريل بالافق الاعلى ثم دنى
فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فلا تقابل بين ما كذب
الفواد وبين ما زاغ البصر وما طغى حذرا من ثبوت اشتراك الالزام فضلا
واما رؤيته لربه فاختلف فيها فانكرتها عايشة وفي نسخة فانكرته اي
انكرت وقوعها وقول مسروق لها هل راى محمد ربه وقد روى هنا حديث
مسلم بسند لحرشا هذا لانكارها ذلك يقظة عن مسروق انه قال
لعايشة يا ام المومنين هل راى محمد ربه يعني ليلة الاسرا بعرينة السوال له
لانها لا تنكر رؤيته في الاخرة ولا في المنام تشهد ذه قوله فيما مر ولو كانت عندها
منامًا لم تنكرها فقالت لقد قف شعري اي قام من الفزع مما قلت طالبا
من تصديق نفي ثبوت رؤيته لربه ولا ثبوتها لهذا البسيطة التي تطلب لها
وجود الشيء ولا وجوده ثلاث من حدثك بهن فقد كذب وافترى فيه
بما فيها مرتبة ثم بينتها لثلاث بقولها من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب
ثم قرأت شهيدا على نفي رؤيته لربه تعالى قوله لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار قلنا الادراك الاحاطة فالاية دالة على انه لا يحيط به
ولا بحقيقته حاسة بصر اذا تجلى بنوره وصفة كبريا جلاله تشهده حديث مسلم
نور انى اراه اي حجابه نور فكيف اراه اذ كان النور يمنع الادراك اما اذا تجلى بما يسعه
نطاق القدرة البشرية من صفة جماله فلا استبعاد لرؤيته بدون احاطة فنفي

حـ ٢ حاشاه من ذلك صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه ... كذا

الاية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يستلزم نفي رؤيته بدونها ولهذا وقال جماعة
من المحدثين والمتكلمين بقول عايشة لم يره ليلة الاسرا وهو المشهود
كما رواه الشيخان عن ابن مسعود انه راى جبريل ومثله في كونه مشهورا رواه
البخاري عن ابي هريرة انما راى جبريل واختلف عنه اي عن ابي هريرة انه قد روي
عنه انه قال راه بعينه كابن مسعود وابي ذر والحسن وابن حنبل وقال بانكار
هذا وامتناع رؤيته في الدنيا بجواز ان يكون المشار اليه ما لم يشتهر من
قولي ابي هريرة انه راه بعينه وان يكون ما انكرته عايشة اي بانكارها انكرته
وفاقا لها جماعة من المحدثين والفقها والمتكلمين والحكم بالجملة الثانية دفعا
لتوهم كون انكارهم انكارا لانكارها وعن ابن عباس انه راه بعينه وبه قال انس
وعكرمة والربيع وروى عطا عنه اي عن ابن عباس انه راه بقلبه وعن ابي العالية
عنه اي عن ابن عباس راه بفواده مرتين وذكر ابن اسحق عن عبد الله بن ابي سلمة
ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل راى محمد ربه فقال نعم الظاهر انه
عن رؤيته له بالبصر بقرينة العادة والاشهر عنه اي عن ابن عباس انه راى
ربه بعينه روى ذلك عنه من طرق هذا وقول ابن عباس راه بعينه لا ينافي
قوله راه بفواده فلعله قالهما لثبوت الرؤية للبصر والفواد بحكم ما كذب
الفواد ما راى وما زاغ البصر وما طغى اي ما كذب فواده مرئيه وما مال
بصره وما تجاوز مرئيه وكذا قول من قال كابن عباس راه بفواده وبعينه لا يحمل
على تناف واختلاف لثبوت الروايتين بحكم الاثنين وروى الحاكم له
والنسائي والطبراني ان ابن عباس قال تقوية لقوله انه راى ربه بعينه ان
الله اختص موسى بالكلام تشهده وكلم الله موسى تكليما وابراهيم
بالخلة تشهده واتخذ الله ابراهيم خليلا ومحمدا بالرؤية وحجته اي حجة ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم راى ربه قوله ما كذب الفواد ما راى اي ما اعتقد
قلب محمد صلى الله عليه وسلم خلاف ما راى ببصره وهي مشاهدة ربه
تعالى بفواده يجعل بصره فيه او بصره يجعل فواده فيه اذ مذهب ائمتنا
اهل السنة ان الرؤية بالالة لا بالقدرة فاذا حصل الله حصولها لعلم
تشي من طريق البصر كان رؤيته بالاله او من طريق القلب كان معرفة تشهده
انه اراه على حصوله بخلق مدرك له في البصر كما جعل حصوله بخلق مدرك
له في القلب هنا والراجح كما قال النووي عند اكثر العلما انه راه بعيني راسه
ليلة الاسرا اثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله عليه وسلم وهو مما
لا يشك فيه وانكار عايشة وقوعها لم يكن بحديث رؤيته ولو كان لها حديث
لذكرته بل احتجت بقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قلنا

لعل لثبوت الرؤية

تشك

المراد بالادراك الاحاطة اذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفيها نفي الرؤية
بدونها وبقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب قلنا
لا تلازم بين الرؤية والكلام لجواز وجودها بدونه افتمارونه على ما يرى
اي اتجادلونه عليه من المراء اي المجادلة من مرى الضرع الناقة اي مسحته
للحلب كان كلا من المتجادلين يمتري ما عند صاحبه ولقد راه نزلة اخرى
فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها قال ابن عباس كانت له
في تلك الليلة عرجات لحط عدد الصلوات وكل عرجة نزلة قال الماوردي
قيل ان الله قسم اي جعل كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد
مرتين حين كان قاب قوسين او ادنى وعند سدرة المنتهى وكلم موسى
مرتين مرة وقت ارساله الى فرعون بعد هلاكه ورجوعه الى الطور
والحق انه كلمه اكثر منهما وما تلك بيمينك يا موسى وما اعجلك عن قومك
يا موسى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك فخذها بقوة وامر قومك يأخذوا
باحسنها اذهبا الى فرعون والقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني اذ
تمشي اختك الى غير ذلك مما خوطب به من الآيات وحكى ابو الفتح الرازي
وابو الليث السمرقندي الحكاية التي ذكرها الماوردي عن كعب
وروى الترمذي قال لقي عبد الله بن الحارث فاجتمع ابن عباس وكعب
فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين
خص نبيها بشرف دون غيرهم ممن قال برؤيته ربه ايضا لانهم الاقرب اليه
الاعرف بحاله باخبارها ايانا فكبر كعب حتى جاوبته الجبال غاية لتكبير
كعب وقال اي كعب او ابن عباس ان الله قسم اي جعل رؤيته وكلامه
بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد بقلبه ونعيده ايضا على ما
مر وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية اي ما كذب الفؤاد
ما راى افتمارونه على ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال ابو ذر راى النبي
صلى الله عليه وسلم ربه اي بقلبه لشهادة اول الآية وحكى السمرقندي
كرواية ابن ابي حاتم عن محمد بن كعب والربيع بن انس مرسلا وابن
جرير عن محمد بن كعب عن بعض اصحاب النبي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادي ولم اره بعيني لعله في المرة
الاولى فقد روى ابن عباس انه راه مرتين وروى الترمذي والطبراني
قال مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال رايت ربي اي في منامه لشهادة رواية احمد وغيره عن
معاذ قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ثم اقبل علينا فقال

اني احدثكم اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست وفي رواية فوضعت
جنبي فاذا انا بربي في احسن صورة حال منه صلى الله عليه وسلم
او من ربه ولا اشكال لما قال البيضاوي فيه اذ قد يرى النائم غير
المتشكل متشكلا وعكسه ولا يعد ذلك خللا في الرؤيا ولا في خلد النائم
فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى اي في اي شيء تتقاول الملائكة سؤالا
وجوابا قلت لا اعلم اي رب مرتين فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي
فوجدت بردها بين ثديي وفي رواية قد وجدت برد انامله بين ثديي
تمثيل لما افاضه عليه من القوى الادراكية للمغيبات والملكات الانسانية حيث
لا كف ولا وضع وتصوير لاشراق انوار مكاشفات المعارف في روعه حتى تلج
صدره برد تمكنها اي لملاءمة الكف للاضافة اذ كثيرا ما تفيض عنه العطا
ثم يصل الى المقصود به ولكونه كالعلة الفاعلية له جعله كناية عنه فكانه
قال فاض علي مما يدرك به المغيبات ما عمر وعمي قلبي بعنه صدري
فعلمت وفي الرواية الثانية فتجلى لي كل شيء وعرفت ما في السماء والارض
من بدائع اياته وعجائب مصنوعاته ثم تلا وكذلك نري ابراهيم حكاية حال
ماضية ترضا لما كان في الزمان الماضي واقعا في هذا الزمان فيعبر عنه
بلفظ المضارع تعجيبا للسامع وتصويرا للاراءة له كانه يشاهدها اي
ومثل تبصيرنا ابراهيم ما تمكن به من نداء ابيه وقومه وتضليلهم تبصيره
ملكوت السموات والارض اي دلائل ربوبيته وعجائبها وبدائع ملكه
والملكوت اعظم من الملك وتاؤه للمبالغة وليكون معطوفا على محذوف
اي هديناه ليستدل ويحتج على قومه وليكون او متعلقه محذوف اي فعلنا
ذلك ليكون من الموقنين عيانا كما ايقن بيانا اي كما اري ابراهيم ملكوتها وكشف
له كذلك اعطيت ما علمت به ما فيها من المغيبات ثم قال فيم يختصم الاعلى
يا محمد اي فيم تتقاول الملائكة فيما بينهم سؤالا وجوابا قلت في الكفارات
شبه تقاولهم في فضلها وتنافسهم فيها لشرفها وانافتها على غيرها او في
غبطة الناس بها وتفضيلهم على الملائكة باختصاصهم بها فمحافظين عليها
مع انهماكهم في الشهوات وتماديهم في الجنايات بتخاصم المتخاصمين
فاستعير له لفظ التخاصم ثم اشتق منه يختصم فتكون الاستعارة في
المصدر اصلية وفي الفعل تبعية والكفارات جمع كفارة من الصفات الغالبة
في باب الاسمية فعالة كضاربة للمبالغة وهي ما من شانه ان يكفر الخطيئة قال وما
هن قلت المشي على الاقدام سعيه به لاجماعه اللتي الجنسية والغرض
المسوغ لذا الكلام هنا هو اثبات المشي لمن له الاقدام فقرنه به بيانا لماله الغرض

الى الطاعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات والابلاغ الوضوء اماكنه في المكاره
تبيها دة قوله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة
فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط من يفعل ذلك يعش بخير تبيها دة
من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة اى لنرزقنه في الدنيا
عيشا طيبا اما الموسر فمن ظاهر واما المعسر فمعه ما يطيب له عيشه اعنى
القناعة والرضى بقسمة الله وتوقع الاجر العظيم في الاخرة ويموت بخير ا مما في
اعاقبته بروح وريحان ويكون بفعله ذلك مبرأ من خطيئته وذنوبه كيوم ولدته
امه ويوم هنا مبني على الفتح لاضافته الى ماض بخلاف ما اضيف الى مضارع
فانه يعرب في الاصح ومن الدرجات اي ومما يرفعها او يوصل اليها اطعام الطعام
امعاملة للخلق بالقيام بحقوقهم وان تقوم بالليل والناس نيام معاملة للحق
بالتهجد له فيه ومن ثم غبطت الملائكة البشر بتلك الكمالات والدرجات اللهم
انى اسالك الطيبات اى الرزق الحلال او خلاق الطاعة وجها وترك المنكرات
جمع منكر وهو ما انكر شرعا قولا او فعلا وفعل الخيرات جمع خير وهو ما عرف شرعا
من اقوال رضية وافعال مرضية وحب المساكين سأله تواضعا واستكانة لتعذر
سواله ما يرفع به درجته ويزلف رتبته ويورثه حضرة القدس ليعيش معهم ويحشر
معهم تبيها دة قوله اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي تفضلا منك على ورضى عني واذا اردت
فتنة في قوم كارادة اضلالهم عن الحق فتوفني غير مفتون اى غير ضال حتى القاك
وانت راض عني هذا وما حكاه هنا عمن ذكر من الائمة من قولهم بوقوع رؤيته
به فتقويته وتاكيد لما تقدم من القول به وقال المصنف واتخذ الذي لا اشك
فيه ان رؤيته في الدنيا جائزة تنبيه على انه لا خلاف ممن يعتد به في جوازها
فيها عقلا وليس في العقل ما اي شيء من توهم واحتمال يحيلها الجزمه بجوازها فيها وللدلالة
على جوازها وقوعها في الدنيا سؤال موسى لها قال رب ارني انظر اليك مع اعتقاده
انه تعالى يرى فسالها محال ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل العرفيات
الاجازة اعني محال لا استحالة سؤال المحال من الانبياء ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله اياه واطلعه عليه فقال له الله سبحانه في
لن تراني دون لن ارى المؤذن بنفيه اياه واطلعه عليه اى لن تطيق ولا تحتمل
رؤيتي الان فتوقفها على معد لها في الرائي لم يوجد فيك بعد وجعل سؤاله لها
تبكيتا لقومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت ممتنعة لجهلهم وازاح
شبهتهم كما جهلهم الذين قالوا يا موسى اجعل لنا الها والاستدلال بالجواب على

الدرجات

غبطت

استحالتها استبعدها لان الاخبار لا يدل على انه لا يراه ابدا فضلا عن ان يدل
على استحالتها وقد ضرب كناية عن اعتبار المتمثل تعبيرا وتمثيلا لكشفه له
ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد اى مثل له مثالا لا انما هو اقوى
من بنية موسى وانبت وهو الجبل في قوله ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني وكل هنا الذي ذكر ليس فيه ما يحيل
الرؤية في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة لتعليقه اياها بالاستقرار
المؤذن بجوازها اذ من المقرر ان المعلق على الممكن ممكن اذ معنى التعليق هو ان
يقع المعلق على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على تقدير اصلا
والذي في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا فيه دليل قاطع على
امتناعها اذ كل موجود ولو علما وصوتا ورائحة وطعما وارادة فرؤيته كما قال
الاشعري جائزة من حيث ان متعلق الرؤية هو الوجود المشترك بين كل موجود
وبينه تعالى ولا يلزم من جوازها وقوعها وعدم تعلقها به انما هو لجري عادته دنه
تعالى بعدم خلقها فينا مع جواز خلقها فينا اذ هي غير مستحيلة ولا حجة
لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات
في الاية فقد قيل المراد بالادراك الاحاطة فلا نفي فيها لمطلق الرؤية
وقيل ليس فيها عاما في الاوقات فيخص بعضها ولا في الاشخاص اذ هو
في قوة قولك لا كل بصر يدركه فيختص ببعضهم وقيل غير ذلك واذ
ليس عطف على لاختلاف اي ولانه لا يقتضي قول من قال بمنعها
في الدنيا الاستحالة للرؤية لانه ليس نصا في المنع بل اخذ بنا ويل واحتمال
لا يقضي باستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية اى لا تدركه
الابصار نفسها على جواز الرؤية اذ ليست نصا في نفسها مطلقا على
جوازها بدون احاطة واستدل بها نفسها على عدم استحالتها على الجملة
وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار لاحتمالها سلب العموم ونفي الشمول
للاشخاص لانها قضية كلية موضوعها جمع محلى بلام العموم الحكم عليها بالنفي
يفيد سلب العموم سلبا جزئيا فيكون مؤذنا بانه لا يراه كل احد بل بعضهم فيحمل
على نفي رؤية الكفار اذ هم عن ربهم لمحجوبون وقيل لا تدركه الابصار اى لا
تحيط به اذ هو الظاهر منها تبيها دة لفظ تدركه المؤذن بالاحاطة وقد
قيل من بعض التاويلات لا تدركه الابصار انفسها وانما يدركه اصحابها
المبصرون لها فنفي الرؤية مقصور على الابصار دون اصحابها المبصرين بها
فلا تدل قضية بجوازها لهم تبيها دة ما مر لا سيما لن تراني اذ لو كانت مستحيلة
لقال لن ارى او نحوه وهذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحا لتها

بل بعضها يقتضي جوازها وكذلك اي ومثل انه لا حجة لمن استدل على منعها
بلا تدركه الابصار لا حجة لهم على منعها بقوله لن تراني وقوله تبت اليك
لما قدمناه مما يوذن بجوازها كسؤال موسى اياها اذ يستحيل ان يسال نبي
ما لا يجوز على الله وكتعليقها على استقرار الجبل المفيد لجوازها بامكانه
ولانها اي انه لن تراني ليست على العموم في نفيها لجميع الاشخاص في جميع
الازمان لجواز ان يراه غير موسى ممن يخلق الله فيه استعدادا لها وابانها كليلة
الاسرا ولان من قال معناها في الدنيا انما هو تاويل لا تقتضي استحالة ولا
منعها فيها مطلقا لجواز اختصاص المنع فيها بموسى دون غيره وايضا فليس
فيه نص لامتناع من الرؤية عموما وانما جاءت اي انه لن تراني مخصصة باتساع
في حق موسى صلى الله عليه وسلم وحيث تطرق التاويلات وتسلط
الاحتمالات فليس للقطع اليه اي الى امتناع الرؤية سبيل شبه القطع بمن
قصد نجاح امر فصد عنه بما شابه من التاويل والاحتمال اي فليس له بسلوك
التاويل منهج لانه وتسلط احتمال الجواز مسلك الى امتناعها وقوله تبت اليك
اي من الاقدام على سؤالي اياك في الدنيا ما لم تقدر لي هذا ولعل قوله تبت
اليك انما كان لما غشيه من شدة ما افضى به الى ان صعق كما يقول من فعل جايز
عرا له منه كما ول مشقة تبت عن مثل هذا وقال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني
اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا وانه الضمير للشان يفسره من
اذ هو الشان من نظر الي في الدنيا مات اي في الحال لشهادة صعق موسى
اذ راى الجبل وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ان رؤيته تعالى في الدنيا
ممتنعة لا من حيث ذاتها لثبوت جوازها فيها بما مر وانما امتنعت فيها لضعف
تراكيب اهل الدنيا وكونهم قواهم وكونها متغيرة عرضا للافات من نوايب
مقلقة ونواكب للاكباد مغلقة ولم يعطفه على ما قبله لكمال الاتصال بينهما
اذ قد يكون سببا للتغير والفنا فلم تكن لهم قوة على الرؤية في الدنيا فاذا
كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر ورزقوا قوى باقية ثابتة واتم انوار
ابصارهم وقلوبهم قووا لها جواب الشرط اي حصل بذلك لهم في الاخرة
قوة على الرؤية في الاخرة هذا منهم دعوى بلا بينة اذ القادر على خلق
ذلك لهم في الاخرة قادر على خلقه لهم في الدنيا فلا وجه لتخصيص
ذلك في الاخرة ولا دليل عليه اذ الرؤية بمجرد خلقه غير مشروطة بشي وقد
رايت نحو هذا لمالك بن انس قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي
بالفاني ولا دليل ايضا على جعل هذا علة لمنعها فيها اذ لا مدخل للبا في
المنع كالحدوث لان الرؤية بخلق الله ليست مشروطة بشي لا يعترضها مانع

فاذا كان في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية رؤي الباقي بالباقي وهذا
الذي قاله مالك كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة بل
هو شاهد صدق على ان الفنا لا مدخل له لعينه في منعها اذ هي كغيرها بمجرد
خلق الله لا يعوقها مانع الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله
من شا وامده بعون على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع الرؤية في حقه في اي وقت
كان هذا وان تاملت ما سمحته من الفنا بمجرد خلق الله تعالى ليست مشروطة
تبين نبهك على ضعف هذا الجواز ان يخلقها الله فيه فيراها به وبها وقد ذكر
القاضي ابو بكر الباقلاني في اثنا اجوبته عن الاثنين اي الي لا تدركه الابصار
ولن تراني ما معناه ان موسى راى الله فلذلك خر صعقا وان الا فالصعق بمجرد
رؤية الجبل دكا بعيد كما لعلت وصح لن تراني بمنع رؤيته له الا ان يحمل المنع
عليها قبل تجليه تعالى للجبل ثم راه حيث لا عموم لنفي في الازمان لا التجلي
للجبل فخر صعقا وان الجبل اي رتبة فصار دكا بادراك كما نقله الماتريدي
عن الاشعري خلقه الله له وكذا الهذا ضمنا جوازها واستنبط القاضي
ابو بكر ذلك اي رؤيتهما ربهما والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه وبقي على حاله فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل بلا كيف جعله دكا
اي مدكوكا كارض مستوية وخر موسى صعقا اي خر مغشيا عليه وتجليه
للجبل هو ظهوره له ظهورا تاما بلا كيف حتى راه على هذا القول حتى عزاه للقاضي
ابي بكر وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل اذ امره بالنظر اليه حتى تجلى غاية شغله
بالجبل قبل تجليه ثم حال التجلي يحتمل ان يقول انه راه كالجبل كما امر وباباه ظاهر
قوله ولولا ذلك اي الشغل بالجبل لمات صعقا بلا افاقة فقول المصنف هذا
اي قول جعفر يدل على ان موسى راه بعيد هنا وكذا الهذا التاويلات قاضيا
بجهل منكر الرؤية وبان قولهم ان موسى كان عالما بانه لا يرى وانما طلبها ليبين
لقومه انه ليس بمرئي اذ قالوا له لن نومن لك حتى نرى الله جهرة وقد وقع لبعض
المفسرين انه قال في الجبل انه راه بادراك وعلم خلقه فيه فانه يدل اذا الذلك بمجرد
التجلي بلا ادراك بعيد كيف وقد نقل الماتريدي عن الاشعري ان معنى التجلي
ان يخلق فيه حياة وعلما ورؤية فراه وهذا نص منهما على اثباتها وبرؤية الجبل
له اي لربه تعالى استدل على رؤية نبينا له من قال برؤية نبينا له اذ جعله اي
جعل رؤية الجبل له دليلا على الجواز لها وذكر الضمير نظرا الى ما بعده ولا مرية
في الجواز اي ولا شك في جواز الرؤية اذ ليس في الايات اي لا تدركه الابصار
ولن تراني فان استقر مكانه فسوف تراني نص في المنع للرؤية بل هي مشيرة
الى الجواز كما نبه عليه فيما تقدم واما وجوبه اي وجوب وقوعها لنبينا والقول

كا

بأنه رآه بعينيه ليس فيه من قواطع الأدلة قاطع ولا نص يعول في وقوعه عليه
إذ المعول فيه على آيتي النجم أي ما كذب الفؤاد ما رأى وما زاغ البصر وما طغى
والتنازع بين الأئمة فيهما مأثور أي مروي منقول عنهم كما قد عرفت والاحتمال
لهما من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها ممكن لعدم صراحتهما بها ولا
أثر قاطع من حيث إنه متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أي بكونه رآه
بعينه وحديث ابن عباس المتقدم أنه رآه بعينه أو بفؤاده خبر عما نشأ عن اعتقاده
ولم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعتبر فيجب العمل باعتقاد مضمونه من
رؤيته ربه ومثله حديث شريك المتقدم عن أبي ذر في تفسير الآية رأى النبي
صلى الله عليه وسلم ربه وحديث معاذ رأيت ربي في أحسن صورة يحتمل التأويل على
ما تقدم وهو مضطرب الإسناد والمتن لعله في بعض طرق الترمذي إذ قد
رواه بطرق ومنها ما حكم بصحته من حديث عبد الرحمن بن عايش الحضرمي عن مالك
بن يخامر السكسكي عن معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر
وحديث أبي ذر الآخر مختلف من حيث اللفظ محتمل لأن يكون رآه ولم يره
مشكل من حيث جعل ذاته نورا فروي نور منونا أنى بفتح أوله وتشديد نونه
ثانيه أي هو نور كيف أراه لجري العادة بأن النور إذا غشي البصر حجبه عن رؤية
ما وراءه وروى بعض شيوخنا أنه روي نوراني بكسر النون الثانية
وتشديد الياء أراه قال وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها في أصل من الأصول
ومحال أن تكون ذاته تعالى نورا إذ النور جسم تعالى الله عنه ومن ثم كان
تسميته تعالى في الكتاب والسنة نورا بمعنى ذي النور أو خالقه هذا وفي
تخريج أحاديث الإحياء للعراقي في كتاب المحبة قال أحمد ما رأيت له منكرا وقال
ابن خزيمة في القلب من صحة إسناده شيء أي من حيث إن في رواية أحمد عن أبي
ذر رأيته نورا أنى أراه رجاله رجال الصحيح وفي حديثه أي أبي ذر الآخر سألته صلى
الله عليه وسلم رأيت ربك فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
لعل الاحتجاج
منهما أي حديثي أبي ذر على صحة الرؤية لإفصاحها بأنه لم يره فإن كان الصحيح
رأيت نورا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لم ير الله وإنما رأى نورا حجبه
ومنعه عن رؤية الله وإلى هذا أي إلى قوله رأيت نورا يرجع قوله نور أنى أراه
أي كيف أراه مع كون حجابه النور والمغشي أي المغطي للبصر يقال غشيه
غشيانا أي جاءه وغشاه تغشية أي غطاه وغشيها أي جامعها وغشي عليه
أي أغمي عليه واستغشى ثوبه وتغشى أي تغطى وهذا أي حديث نور أنى أراه مثل
ما في الحديث الآخر من حيث المعنى حجابه النور رواه الطيالسي عن أبي موسى وأصله
في مسلم إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام وفي الحديث الآخر الذي رواه ابن خزيمة عن

محمد بن كعب عن بعض الصحابة لمراده بعيني ولكن رأيته بقلبي زيد فيه هنا مرتين
وقال الراوي شيئا هذا لصحة رؤيته بقلبه ثم دنى أي نبينا صلى الله عليه وسلم
فتدلى وأنه قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو
كيف شاء فإن ورد حديث نص على صحة الرؤية لا يحتمل تأويلا اعتقد
ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه أي في جواز الرؤية ولا مانع
قطعي يرده فصل وأما ما ورد على هذه القصة أي قصة الإسراء من
مناجاته أي مخاطبته ومحادثته صلى الله عليه وسلم في كلامه أي الله معه
بقوله فأوحى إلى عبده أي محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى لا إبهام موذن
بتفخيم الموحى إليه أي مع ما تضمنته الأحاديث الآتية مما ورد في ذلك وقد
ذكر هنا ما ليس من غرضه بيانا لأكثريته من خالفيه وتمهيدا لما هو من
غرضه من منزلتنا جاءت فقال فأكثر المفسرين جواب أما أي غالبهم على أن الموحى
الله إلى جبريل وجبريل إلى محمد إلا الشاذ منهم فذكر جعفر بن
محمد الصادق صفة لجعفر قال أوحى إليه بلا واسطة ونحوه أي
ونحو ما ذكر عن جعفر ذكر عن الواسطي وإلى هذا الذي هو قول الصادق
أو الواسطي ذهب بعض المتكلمين أن محمدا كلم ربه في ليلة الإسراء
وحكي القول بأنه رآه فيها عن الأشعري لجوازه وامتناع استحالته وحكوه
عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره أي أنكر تكليمه له بلا واسطة آخرون يرده
حديث البزار المتقدم في أذان الملك الله أكبر الله أكبر حيث سمع من وراء
الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة
الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم في قوله دنى فتدلى قال أي النبي صلى الله
عليه وسلم فارقني جبريل فوقف في مقامه إذ لكل مقام فانقطعت الأصوات
عني بعد مفارقة جبريل فسمعت كلام ربي وهو يقول أي قائلا ليهدأ روعك
أي لتسكن نفسك أو خوفك إن كانت لها مفتوحة يا محمد ادن ادن أي
دنوا بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم بيانا لإنافة منزلته وشرف مرتبته
وتأنيسا لا استيحاشه بانقطاع الأصوات وقد احتجوا في هذا أي في
القول بأنه كلمه بلا واسطة بقوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
أي كلاما خفيا يدرك بسرعة ليس مركبا من حروف متقطعة تتوقف على
تموجات متعاقبة إما بطريق المشافهة به كما وقع لنبينا ليلة الإسراء أو
الهتف كما وقع لموسى في طوى والطور وإليه الإشارة بقوله أو من وراء حجاب
للسامع يحجبه عن رؤيته ربه في الدنيا إذ لا يجري عليه تعالى ما يجري على
غيره من الاحتجاب أو يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي إليه أي فيبلغه

وحجاب

الملك من الملائكة الى رسول من البشر باذنه ما يشا مما ارسله الله به اليه من
الوحي فقالوا اي المحتجون بهذه الاية كلمه الله بلا واسطه هي ثلاثة اقسام من
وراء حجاب كتكليم موسى من ورابطه بلا واسطة وبارسال الملائكة
كحال جبريل مع جميع الانبيا في وحيه اليهم ما ارسل به واكثر احوال نبينا
وهو وما بعده احوال اي الا موحيا او مسمعا من ورا حجاب او مرسلا او منصوبة
بالمصدر اي الا كلاما او اسماعا من ورا حجاب او ارسالا لا تنزيلا للكلام على لسان
الرسول كهو بدون واسطة ومن جعل وحيا بمعنى ان يوحي وعطف عليه ما بعده
فعليه ان يقدر تقديرا ينتظم او من ورا حجاب مع مكتنفيه في سلك الاول ان يوحي
او ان يسمع من ورا حجاب او ان يرسل ولم يبق من تقسيم صور الكلام من الله
لمن شا من عباده الا المشافهة مع المشاهدة فخص بها من يشا كنبينا وقيل
الوحي هنا ما يلقيه في قلب النبي من الانبيا الهاما كما حكاه تعالى لنبيه
داود اي الهمه اياه وقذفه في صدره هذا وتامل ما تقدم في حديث
البزار عن علي تجده اصرح في سماعه صلى الله عليه وسلم كلام ربه من الاية
اي فاوحى الى عبده ما اوحى وكلام الله لمحمد ومن اختصه من انبيائه
جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه اي يمنع جوازه
فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه في كلامه لغير موسى منهم واما كلامه
لموسى فانه كائن بحق مقطوع به نص على ذلك في الكتاب وكلم الله موسى
تكليما فسمعه من جميع الجهات ومن ثم اختص بكونه كليم الله وزعم
المعتزلة كلمه بخلق الكلام في جسم فسمعه بناء على نفيهم قدم الكلام النفسي
فهو تعالى عندهم متكلم بكلام هو قائم بغيره خلقه فيه ليس بصفة له قديمة
قلنا اثبات المشتق له بدون قيام ماخذ الاشتقاق به ممتنع واكرم بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في بعض طرق الحديث الصحيح
انه في السماء السابعة قال الحاكم تواترت الاخبار انه في السماء السادسة
بسبب كلامه اياه واكرم بها منقبة ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق
هذا كله قال تعالى ورفع بعضهم فوق بعض درجات وفي ابهامه من تفخيم شرفه
واعلا قدره ما لا يخفى مع شهادته له بانه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي
لا يلتبس لما اوتيه من مكارم متواترة وكرائم متوالية ولو لم يؤت الا القرآن
وحده لكفى به شرفا منيفا على غيره من الانبيا اذ هو الاية الباهرة والنعمة
النافعة على وجه كل زمان في كل مكان حتى بلغ مستوى اي مكانا مستويا
لا عوج فيه ولا امت وسمع صريف الاقلام اي صوت جريانها بما تكتبه فكيف
يستحيل ولا يجوز في حق هذا النبي الكلام البالغ مستوى سمع فيه صوتها

فكان

فكان قاب قوسين او ادنى او يبعد عنه سماع القران الكلام من ربه مخاطبا له
به فسبحان تعجب وتنزيه لذات من اختص من شا من جزيل كرمه ومزيد نعمه
بما شا وجعل بعضهم فوق بعض درجات كنبينا اذ خصه بدعوة عامة
ونعمة تامة ومعجزات واضحة وحجج لشبهة الكفر فاضحة والابهام كما مر لتفخيم
شانه وايضاح برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المغني عن بيانه فصل
واما ما ورد في حديث الاسرا وظاهر الاية من الدنو والقرب بيان
لما ورد فيه ولما افهمه ظاهر الاية من قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب
مقدار قوسين او ادنى تمثيل لملكة الاتصال وتحقيق لاستماعه ما اوحي
اليه نفي البعد ومن ثم قال فاكثر المفسرين جواب الاتصال وتحقيق الاستماع
اما ان الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل اذ قد دنى كل منهما من الا
او مختص باحدهما محمد او جبريل دنى من الاخر او من السدرة المنتهى قال
الرازي وقال ابن عباس كما رواه ابن ابي حاتم عنه هو محمد دنى فتدلى من
ربه اي قرب منه وهو كناية عن تمكنه من لازم القرب باللطف الخاص وقيل
معنى دنى قرب وتدلى زاد في القرب قربا ليس كما تدركه الاوهام من قرب
الاجسام لتنزهه تعالى عنه وقيل هما اي دنى فتدلى بمعنى واحد اي قرب
قرب انعام لا قرب مسافة وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس كما رواه ابن
جرير هو الرب دنى من محمد دنو علم لا دنو مكان فتدلى نزل اليه امره وحكمه
او كني به عنهما وحكى النقاش عن الحسن قال دنى رب العزة من عبده محمد فتدلى
اي قرب منه قرب عناية وتفضل واختصاص فاراه ما شا ان يريه من ايات
قدرته وعظمته قال اي الحسن اي النقاش وقال ابن عباس هو اي قوله في
فتدلى مقدم ومؤخر اي تدلى الرفرف اراد به بساطا اخضر لمحمد صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه دنوه
بالنسبة اليه لتنزهه عما هو من خواص الاجسام قال صلى الله عليه وسلم
كما تقدم عنه فارقني جبريل وانقطعت الاصوات عني وسمعت كلام ربي
بلا واسطة ومن بدع المعتزلة سمعه من بعض الاجرام تخلقه فيه منطوقا به
كما خلقه في اللوح وروى شريك بن ابي نمر عن انس في الصحيح عرج بي جبريل
الى سدرة المنتهى ودنى الجبار اي المظاهر لعباده على ما اراده منهم
من امر ونهي والعالي فوقهم من قولهم نخلة جبار اي عظيمة تفوت يد المتناول
رب العزة اي الفوق والغلبة من عز يعز بالفتح اي اشتد وبالكسر اي صار
فتدلى حتى كاد اي الجبار رب العزة منه صلى الله عليه وسلم قاب قوسين او ادنى
دنو عناية واعلام لتشريف قدره ومنيف عزه لا دنوا الى نهاية لتنزهه ساحته

بجلاله عن صفاتنا لاجسام فاوحى اليه ما اوحى من كرايم تشريفه وخصايص منيفه
واوحى اليه خمسين صلاه فما زال بينه وبين موسى بشانه تخفيفها حتى قال
يا محمد هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي وفي رواية انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاه وعن محمد بن كعب هو محمد
دنى محمد من ربه وضع المظهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره فكان
قاب قوسين قال اي محمد بن كعب وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى
كان كقاب قوسين على ما تقدم في الدنو وقال جعفر بن محمد والدنو من
الله لا حد له ينتهي اليه مطمح نظر ومطرح وهم ومن العباد بالحدود الغاية
المشبهة المنتهية الى غاية لا الحدود المعرفة الماهية المحدودة والمميزة
له وقال جعفر بن محمد ايضا اي معاودا اذ الاصل العود فاستعير لمعنى
الصيرورة لالتقايهما في معنى الانتقال ومنتقلا معاودا الى الكلام وفي الدنو
انقطعت الكيفية عن الدنو لما مر من انه دنو علم وعناية لا مكان وغاية
الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنى محمد الى ما اودع قلبه من
المعرفة المتعلقة بما يفوت الحصر من المواهب والايمان بما لا طريق اليه
الا السمع تعبدا لمعية وعليه حمل مفاد ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
وبه اخذ من زعم انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا قبلها بشرع واما الايمان
بما طريقه العقل بالنظر قبلها فكان له به علم فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه
اليه في شرق بانوار المعارف قلبه وزال عن قلبه الشك والارتياب
الذي يعرى خاطره هل يحتمل حصة هذا القرب ونيل مواهبه من انافة واكرام
وتشريف وانعام ام لا فتحقق انه استيثره لا شك في ذلك اذ كان اثبت الناس
معرفة وايمانا واسكنهم جماحا واملكهم نفسا واملاهم طمانينة وسكونا
هذا وما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس
كما تقدم بدنو مكان وقرب مدى ينتهي اليه كما ذكرنا عن جعفر الصادق
انه انه ليس بدنو حد يحس بصرا ويدرك بنظر وانما دنو النبي صلى الله عليه
وسلم من ربه وقربه منه هو ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته اعتنا
بشانه واظهار الماء لربوبته احقا غيره واشراق انوار معرفته بما عراه من
الكرايم واحرزه من قصبات السبق من المكارم ومشاهدة اسرار غيبه
وقدرته مما لم يطلع عليه غيره فهي دنو التفضيل وانما الدنو والقرب من الله
له مبره فهو كناية عن جزيل فوايده اليه وجميل عوايده عليه وتانيس لا ستيحاشه
بانقطاع الاصوات عنه وبسط بالمكالمة واكرام بتشريف منيفه وينادل
فيه اي في دنوه تعالى منه على احد الوجوه من ان نزوله تعالى انما هو تنزل

افضال واجمال من جميل عوايده كاجابة دعا وقبول توبة واحسان
بمغفرة واسعاف واجلال من مقتضى صفات الجلال كالانفة وعدم
المبالاة والقهر والانتقام يقتضي صفات الاكرام من الرافة والرحمة
والاغضا والالطاف وتمثيل لسرعة اجابة من دعاه وسهولة انجاح طلبته
بحال من قرب من مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته فيكون دنوه تعالى
منه دنو افضال بكرايم مواهبه وشرايف منيه وقال الواسطي من
توهم انه وله المثل الاعلى بنفسه دنا فقد جعل ثم مسافة ولا مسافة
لاستحالتها بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى بعدا تمييز للنسبة تدلى يعني
كلما قرب منه نزل ساعة البعد كناية عن نفيها جميعا او عن درك حقيقته
اذ لا بد ربها احد ولا دنو للحق ولا بعد لاستحالتهما في حقه تعالى هذا وانما
قوله تعالى فاني قريب لكمال علمه واجابته تعالى له عن القرب مكانا وقوله
ومن جعل الضمير في ثم دنى فتدلى عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا كان اي
الدنو عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد اي الدنو بمعنى ما ذكر منه صلى الله عليه وسلم وكان عبارة
عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي بمهملة اي من المبالغة في
البر وانافة اي رفعة المنزلة والمرتبة من الله هنا ويتخيل عبارة عن
القرب فهو كناية عنها فعبده من ربه قرب ذكر وعمل صالح وقرب ربه منه
قرب لطف وفيض نعم وترادف مواهب ومنن ويتاول فيه اي في الدنو ما
يتاول في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري من تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا تمثيل تقريب للمعنى للافهام اي من تقرب الي بطاعتي
جازيته باضعاف ما تقرب به الي ومن اتاني يمشي في طاعتي اتيته هرولة
اي سعيته بجزاي فهو بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل
المامول ثوابا مضاعفا على حسب ما تقرب به وقد سلك به طريق المشاكلة
فيهما تقربا فصل في ذكر ما يدل على تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيامة
بخصوص الكرامة وقد اسند من هنا من طريق الترمذي من حديث انا اول
الناس خروجا يعني من القبر اكراما له اذا بعثوا اي اثيروا من قبورهم وانا
خطيبهم اذا وفدوا على ربهم اي متكلم بين يديه عنهم وانا مبشرهم بما
يسرهم من ربهم اذا ايسوا من شرح ذلك اليوم وهوله ولوا الحمد
بيدي لا نفراده بالحمد وشهرته فيه تشبيها به حديث فاحمد ربي بمحامد
يلهمنيها ذلك اليوم لا اقدر عليها الان اولان يحمد الحق حقيقته اذا اقيم
في مقامه المحمود ويفتح فيه ما لم يفتح على غيره وانا اكرم ولد ادم على ربي

اخبارا بما منحه به من السودد والاكرام والتحدث بمزيد الفضل والالهام واعلاما
لامته ليومنوا به على حسبه وموجبه ولا فخر حال مؤكدة اي اقول هذا غير مفتخر
به فخر عجب وتكبر اذ هو مجرد الاكرام والتشريف لوا الله يسعى واتجاه د وفي رواية لابي
نعيم في الدلائل عن ابن زحر بزاي مفتوحة فمهملة ساكنة عن الربيع بن انس في
لفظ هذا الحديث فانا قايدهم اذا وفدوا لاني السيد به يقتدى والامين
به يرتضى وفي الحديث قريش قادة اي يقودون الجيوش والناس تبع لهم وروي
ان قصيا قسم كرية بين بنيه فاعطى عبد مناف قود الجيوش والناس تبع لهم
ثم وليها عبد شمس فامية فحرب فابو سفيان وانا خطيبهم اذا انصتوا اي
سكتوا عن الاعتذار ولم يؤذن لهم فاعتذر لهم عند ربهم وانا شفيعهم اذا
حبسوا في القيامة فيموج بعضهم في بعض فيفزعون الى الانبيا فيقول كل
نفسي نفسي فياتونه فيشفع لهم الشفاعة العظمى لفصل القضا وانا مبشرهم
بقبول شفاعتي لهم عند ربي اذا ايسوا اي ايسوا وتحيروا والمبلس
الباين المتحير سمي يايسا لان نفسه لا تحدثه بالاجابة لوا الكرم بيدي لانفراده
به بقبول شفاعته لهم اولا اذا كان الفاتح لباب الشفاعة وانا اكرم ولد ادم على
ربي ولا فخر اي لا اقوله افتخارا وتبجحا بل شكرا لله وتحدثا بنعمه ويطوف علي الف
خادم تخدمني في الجنة برفق وعناية كانهم لولو مكنون وروى الترمذي وصححه
عن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش تلويح بقربه من
ربه وكرامته عنده اذ يكسى من الجنة قبل دخولها بلباس عن يمين العرش حيث عري
الناس ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري لاختصاصه به
لا يشركه فيه غيره وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه عن ابي سعيد الخدري
انا سيد ولد ادم يوم القيامة تنبيه لاصحابه على ما خفي عليهم من حاله وفيه
سيادته به مع كونه سيدا مطلقا لظهورها فيه لكل احد بلا منازع وسيا
له مزيد بيان وبيدي لوا الحمد ولا فخر اي غير مفتخر تكبرا ومباهاة بل اعلاما
بما انعم الله به علي من شرايف الاكرام لاعتقاده والعمل بموجبه تعظيما
وتوقيرا وما من نبي نكرة زيد عليه من الاستغراق فيه منشطما في سياق
النفي يكسبه الاستغراق ادم يومئذ فمن سواه اعتراض بين النفي
والاستثنا افاد ان ادم بالرفع بدلا او بيانا من محله ومن فيه موصولة
وسواه صلتها وجي بالفا دون الواو للترتيب الامثل فالامثل كابراهيم فنوح
فموسى فعيسى الا تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض تكرما له وتبجيلا
ولا فخر تعاظما وعجبا وحاشاه من ذلك وروى مسلم عن ابي هريرة انا سيد
ولد ادم يوم القيامة اخبارا بما اكرمه الله به من الفضل والسودد والتحدث

بنعمته

بنعمته عليه واعلام لامته ليومنوا به ويعملوا بموجبه واول من تنشق عنه
القبر تشريفا له وتكريما واول شافع واول مشفع بشهادة حديث البخاري
يحبس المومنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من
مكاننا الى ان قال فياتوني فاستاذن على ربي في داره فيوذن لي عليه فاذا
رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شا الله ان يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع
تشفع وروى الترمذي والدارمي عن ابن عباس انا حامل لوا الحمد يوم القيامة ولا
فخر لانه صاحبه وسيد اهله بلا نزاع وقايدهم بلا دفاع وانا اول شافع اي
فيهم لازاحة ما لهم من الكرب وهول الموقف واول مشفع تقبل
شفاعته فيه ولا فخر بذلك اذ هو محض كرامة خصني الله بها لا انالها باجتهاد منهم
وانا اول من يحرك حلق باب الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقرا المومنين لكرامة
على ربهم وشرف فضيلته بمتابعتهم نبيه صلى الله عليه وسلم وتخليهم
تبيينه هذا والفقر المحمود وهو غنى النفس الممدوح بقوله ليس الغنى
بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس ومنه
غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة • فان زاد شيا عاد ذاك الغنى فقرا
ومذموم وهو فقر النفس الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم
ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وروى مسلم انا اول الناس
يشفع في الجنة لرفع درجات اناس فيها وفي العصاة ليدخلوها وانا اكثر
الناس من الانبيا وفي رواية الانبيا تبعا وروى الشيخان عن انس انا سيد
الناس يوم القيامة اذ هو الذي فيه يفزع اليه في الشدايد ويتوسل به
في النوايب فيدفعها عنهم بيمن همته وحسن شفقته وقيد سيادته
بيومها مع كونه سيدا في الدنيا والاخرة كما سياتي لظهورها فيه
بلا منازع ومعاند وقد نازعه في الدنيا زعما الكفرة ورؤسا العجم
وكذا له شاهد بها له على جميع الخلايق لان مذهبنا اهل السنة ان
النوع البشري افضل من النوع الملكي واما حديث لا تفضلوا بين الانبيا
فقال النووي وغيره انما قاله قبل ان يعلم انه سيدهم او تواضعا وادبا
او هو نهي عن تفضيل في نفس النبوة اذ لا تفضيل فيها وانما هو في الخصايص
والفضايل ولابد من اعتقادها بينهم لشهادة تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض وتدرون لم ذاك كانه قيل الله ورسوله اعلم فقال يجمع الله
الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة اذا كان يوم القيامة ماج
الناس بعضهم في بعض فياتون ادم ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان
قال فياتوني فاقول انا لها الحديث انا الكافل لها والمختص

ومن ثم قيل انت لها احمد من بين البشر وعن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال اطمع طمع العبد في نوال سيده ليجود واعليهم بالافضال ان
اكون اكثر الانبيا اجرا يوم القيامة لانه اعظمهم مشقة بما كلفه من عموم
الدعوة مع تمرد الكفرة وعتوا لغيهم واباهم كانما ابغت مسامعهم عن استماع
الحق والاذعان للصدق وماكان ثمناه وغاية متمناه الا ان يومنوا فيفوزوا
حتى قال له ربه لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مومنين وفي حديث اخر اما ترضون
ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة لعل افرادهما بالذكر لما
اوتيه ابراهيم من شريف الكرامة وعظم المنزلة وجلالة المرتبة بامر الله جل
الخلائق باتباع ملته بقوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم مع اشعار ثم
في الاية بتباعده هذا الوصف في المرتبة من بين ما اثنى الله عليه به من الاوصاف
اي في التوحيد والدعوة اليه واقامة الحجج والمجادلة مع كل احد بحسب فهمه ولما
منحه عيسى من شرف البشارة بنبينا والدعوة الى تصديقه وتمهيد
قواعد دينه والحكم في اخر الزمان به وتغيير بعض احكامه كترك اخذ الجزية
ولا يقبل منهم الا الاسلام ثم قال انهما في امتي يوم القيامة اما ابراهيم
فيقول انت دعوتي اذ قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم
اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وذريتي اذ لا نزاع انه من نسل ولد
اسماعيل ولم يبعث منهم نبي سواه فهو المجاب به دعوته واما عيسى فالانبيا
اخوة اي اولاد اب واحد لاتفاقهم فيما بعثوا لاجله من توحيد وايمان بما يجب
تصديقه ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى ما به ينتظم معاشهم
وتحسين معادهم والمسا وبهم فيه اعتقادا كانهم كاب واحد بنو علات
امهاتهم شتى جمع شتيت كمرضى ومريض اي متفرقات في النسب شبه
الاصل الذي كان سببا لابراز كل شي في زمنه وهو الدين الحق الذي فطر الناس
عليه مستعدين لقبوله متمكنين من الوقوف عليه والتمسك به باب قاصرهم
على طريقة الاستعارة التحقيقية ثم قرنه بما يلايم المشبه به اعني الاخوة ترشيحا
للمجاز ثم شبه ما اختلفوا فيه من تفاريع الشرايع التي هي كالوصلة الموديه للدين
والاوعية الحافظة له بالامهات للعلات المختلفة نسبا فاستعار اسمها له
استعارة تحقيقية وقرنه بما يلايم المشبه به اعني كونهن شتى ترشيحا للمجاز وانا
بعيسى الخ من حيث انه بشر به ومهد قواعد ملته ودعى الى تصديقه
ودينه متصل بدينه ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به اي احق به
منهم اذ كان اقرب الرسل اليه وروى البخاري ومسلم انا اولى الناس بعيسى ابن مريم
في الاولى والاخرة الانبيا من علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي

هذا

هذا وقوله انا سيد الناس يوم القيامة اصله من ساد يسود فهو سيود
اعل .... واو بالاجتماعهما مع سبقتها بالسكون والتقييد بيوم
القيامة مع كونه هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن اشار
كما تقدم بذلك لانفراده فيه بالسودد والشفاعة العظمى لفصل
القضا المنبية عن شرفه ورفعة قدره دون غيره اذ اي حين جا الناس
اليه في حوائجهم فيه لكشف كرب ودفع شدايد ورفع مكاره فكان حينيذ
اي وقت لجاوون اليه سيدا منفردا بالسودد لفقد من يدعيه اذ ذاك
من بين البشر لم يزاحمه في ذلك احد ولا ادعاه وهذا كما قال تعالى
اي يوم القيامة لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله لله
الواحد القهار اي والحال ان حقيقة الامر ناطقة بانه الملك في الدنيا
والاخرة ولكن في الاخرة زالت الاسباب وارتفعت الوسايط
وانقطعت دعوى المدعين الذين في الدنيا وكذلك اي ومثل
كونه تعالى مالكا فيهما كون محمد سيدا فيهما ومن ثم لجا الى محمد جميع
الناس في الشفاعة ليريحهم من هول موقفهم وشدة مصابهم
وفظاعة حالهم فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى من احد انه
سيد وروى مسلم عن انس اتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح
فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك قيل الباء متعلقة بالفعل
بعدها ثم هي اما سببية قدمت للتخصيص اي بسببك امرت ان لا
افتح لاحد قبلك لا بسبب اخر او صلة له ولا افتح بدل من مجرورها اي
امرت بان لا افتح لاحد غيرك وروى الشيخان عن عبد الله بن عمرو حوضي
مسيرة اي مسيرة حوضي شهر وزواياه سوا لانه مربع لا يزيد طوله
على عرضه وماؤه ابيض اسم تفضيل من الالوان وكذا كل ما كان هيئة
يجوز بنا به كفعل التعجب منها ومن العيوب بدون اشد وابلغ وان منعه
النحاة بدونه وقالدنا ابلغ نيدا وهو ابيض من الورق اي الفضة فهي
لغة قليلة لا يلزم من قلتها عدم فصاحتها لصدورها عن ابلغ العرب
فصاحة وريحه اطيب من ريح المسك قيل خصه بالذكر لانه اطيب
الطيب فريحه اطيب الاطيب وكيزانه كنجوم السما اي كثرة واشراقا
قيل هذا من باب حديث لا يضع العصى عن عاتقه في المراد الكثرة جدا
والصواب ما قاله التوربشتي ان العدد على ظاهره ولا مانع منه عقلا
وشرعا بشهادة رواية مؤكدا بالقسم في حديث والذي نفسي بيده له
لانيته اكثر من عدد نجوم السما من شرب منه لم يظما ابدا من الظما مهموز

مقصودا اي لم يعطش وروى مسلم عن ابي ذر نحوه قال اي ابو ذر في حديثه
في صفة الحوض طوله ما بين عمان بضم العين وتخفيف الميم من قرى
اليمن قيل سميت بعمان بن سبا من ولد ابراهيم وبفتح العين وتشديد الميم
من قرى الشام بالبلقا من اقصى حوران قيل سميت بعمان بن لوط اذ كان
يسكنها اي مسافة ما بين طرفيه مثل المسافة منها الى ايلة بياء ساكنة بعد
همزة مفتوحة قرية في آخر طرف الشام بساحل البحر بينها وبين الطور نصف
وبين طيبة خمس عشرة مرحلة وبين دمشق نحو ثنتي عشرة وبين مصر نحو ثمان
منها هارون بن سعيد الايلي قيل هي التي قال الله فيها واسألهم عن القرية التي
كانت حاضرة البحر يشخب بضم الخا وفتحها اي يسيل فيه ميزابان من الجنة ه
سيلانا شديدا متتابعا وعن ثوبان فيما رواه مسلم عنه مثله وقال اي
ثوبان احدهما من ذهب والاخر من ورق اي فضة وفي رواية حارثة ابن
وهب فيما رواه الشيخان عنه المدينة وصنعا وقال ابن عمر فيما رواه الشيخان
عنه كما بين الكوفة من العراق والحجر الاسود هذا واختلاف الروايات
في مقدار طوله انما هو لورود تقديره تمثيلا وتقريبا لكل احد بحسبه وروى
حديث الحوض ايضا جابر بن سمرة فيما رواه مسلم عنه وعقبة بن عامر
رواه مسلم عنه والمستورد ورواه الشيخان عنه وابو برزة الاسلمي فيما
رواه ابو داود وابن حبان عنه وحذيفة بن اليمان فيما رواه مسلم عنه
وابو امامة فيما رواه ابن حبان عنه وزيد بن ارقم ورواه احمد بن حنبل عنه
وابن مسعود ورواه الشيخان عنه وعبد الله بن زيد فيما رواه الشيخان
عنه وسهل بن سعد ورواه الشيخان عنه وسويد بن جبلة ورواه ابو زرعة
الدمشقي عنه في مسند اهل الشام وابو سعيد الخدري ورواه مسلم
عنه وعبد الله الصنابحي قيل صوابه الصنابح بن الاعسر ورواه احمد
وابن ماجه عنه وابو هريرة ورواه الشيخان عنه والبرا ورواه احمد والطبراني
عنه وجندب ورواه الشيخان عنه وعايشة كما رواه مسلم عنها واسما بنت
ابي بكر كما رواه الشيخان عنها وابو بكرة كما رواه الطبراني عنه وخولة بنت
قيس ورواه احمد وغيره عنها وغيرهم كابي بكر في صحيح ابي عوانة عنه وعمر في
البعث للبيهقي عنه وابي بن كعب واسامة بن زيد وحذيفة بن اسيد بفتح
الهمزة وكسر السين والحسن بن علي وسلمان الفارسي وسمرة بن جندب
وابو الدردا وابو مسعود كلهم في الطبراني عنه واسيد بن حضير ورواه
الشيخان عنه وابن عباس كما رواه البخاري عنه وام سلمة ورواه مسلم عنها
وجابر بن عبد الله وعايذ بن عمرو وثابت بن ارقم وخولة بنت حكيم ورواه

احمد

احمد في مسنده منهم ولقيط بن صبرة في زيادات المسند عنه وخباب
بن الارت في المستدرك عنه وكعب بن عجرة في الترمذي والنسائي
عنه وبريدة في مسند البزار وعتبة بن عبد والعرباض بن سارية
في صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان في كتاب ابن ابي الدنيا وعثمان بن
مظعون في تاريخ ابن كثير وعبد الرحمن بن عوف في الطبراني ومعاذ
بن جبل في حادي الارواح هذا وزعم المصنف تواتر حديث الحوض ه
والظاهر ان تواتره معنوي لا لفظي لقول ابن الصلاح وغيره انه لا يكاد
يوجد بشرطه فصل في ما ورد شاهدا بتكريمه صلى الله عليه وسلم
وتفضيله بالمحبة والخلة قد تقدم ما اذن بتحقيقها ومحبة الله لعبده
ومحبة عبده له وقد اسند هنا من طريق البخاري عن ابي سعيد لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر اي خليلا من الخلة بالضم وهي
الصداقة والمحبة التي تخلل باطن القلب والخليل الصديق الواد بمعنى
فاعل وربما ورد بمعنى مفعول وانما قال ذلك لقصر خلته على حب ربه فليس
لغيره فيها من محاب الدنيا والاخرة متسع ولا شركة وهي حالة شريفة
لا تنال بكسب واجتهاد تخص الله بها من يشاء من عباده فهو صلى الله عليه وسلم
ومثله حديث اني ابرأ الى كل ذي خلة من خلته ومن جعله من الخلة بالفتح
وهي الحاجة والفقر فمعناه اني ابرأ من الاعتماد والافتقار الى غير ربي وفي رواية
ابرأ الى كل خل من خله بالفتح والكسر ومعناهما واحد ومن طريق البخاري
وغيره عن ابن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه على طريقة التجريد
اذ جرد من نفسه مثله في الوصف بكونه صاحبهم ثم اخبر عنه بان الله اتخذه خليلا
وقد افادت هذه الاحاديث ان المخالة من الجانبين وعن ابن الانباري الخليل هو
المحب الكامل المحبة والمحبوب الموفي بحقيقتها الذي ليس في حبه نقص ومن نحو الواحدي
لان الله خليل ابراهيم وابراهيم خليل الله ولا يجوز ان يقال الله خليل ابراهيم انه
من الخلة التي هي الحاجة وروى الدارمي والترمذي عن ابن عباس جلس ناس
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى دنا منهم سمعهم
وفي رواية فخرج سمعهم فهو حال من ضمير خرج بتقدير قد يتذاكرون حال
من منصوب سمعهم قال بعضهم عجبا ان الله اتخذ من خلقه خليلا يريد ابراهيم
صلى الله عليه وسلم وقال اخر ماذا اي اتخاذ الله ابراهيم خليلا باعجب من
كلام موسى كلمه الله تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه الفا هنا افصحت عن
اخر فعيسى
شرط مقدر ومدخولها جوابه اي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه فاذكروا عيسى كلمة الله
تكلموه اي ان فخرتم بفضلهم فلم تعلموه وقال اخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم

لمناط به غير ما نيط به اولا وانه خرج اولا من مكان الى اخر فصح قولهم ما ا
ثم خرج منه **فتسليم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم** اي ادركت عجبكم فحذف عامل
الثاني كما حذف من نحو قلدته سيفا ورمحا اي واعطيته **ان الله اتخذ ابراهيم**
خليلا وهو كذلك خليل الله **وموسى نجي الله** من المناجاة وهي المخاطبة والمكالمة
الواحد والجمع فيه سوا وفي قوله تعالى وقربناه نجيا خلصوا نجيا **وهو كذلك** خليل الله **وموسى**
نجي الله من المناجاة وهي المخاطبة نجيه **وعيسى روح الله وهو كذلك** روحه
اي ذو روح خلقه بلا واسطة شي يجري مجرى الاصل والمادة له **وادم اصطفاه**
الله وهو كذلك صفيه بالنبوة والخصايص الروحانية والجسمانية **الا وانا حبيب**
الله ولا فخر من حبة القلب وهي سويداوه يقال حببته اي خرق حبه شغاف
قلبي اي حبا به حتى وصل حبه وهو فعيل بمعنى مفعول اي محبوبه وهذا من احد قسمي
القول بالموجب من حيث انهم قد اثبتوا الفريق من الانبيا صفات تشريفية كريمة
افادونا تفضيلهم عليه مع ثبوت النبوة لهم فاثبت صلى الله عليه وسلم ردا عليهم
الافضلية لغيرهم وهو نفسه من غير تعرض لثبوت النبوة او نفيها عنهم كما
في قوله يقولون لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسو[له]
وللمومنين فالاعز صفة ارادوا بها المنافقون فردهم مع اثباتهم لانفسهم اخراج المومن[ين]
منها والاذل صفة ارادوا بها المومنين فاثبت الله ردا عليهم صفة العزة لغيرهم
وهو الله ورسوله والمومنون من غير تعرض لاثبات اخراجهم منها له تعالى ولرسوله
وللمومنين او نفيه عنهم والثاني قسميه فهو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده
ومنه قولي في بديعيتي مدحت به نبينا صلى الله عليه وسلم
قالوا سلوت الهوى قولا بموجبه • يبري فقلت عظامي يوم بينهم — سلوت الهوى ن
وانا حامل لوا الحمد في المقام المحمود الذي فيه يشرف على جميع الخلايق ويحمد به
وهو عام في كل ما يجلب الحمد من انواع المكارم **يوم القيامة ولا فخر** اذ لا تقدم لاحد
في الشفاعة بشهادة حديث ولم يدعو محمد فيقول لبيك وسعديك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت **وانا اول من يحرك حلق باب الجنة فيفتح الله لي** وفي حديث اخر تقدم
لفظا **فيدخلنيها ومعي فقرا المهاجرين** وفي رواية فقرا المومنين **ولا فخر وانا اكرم**
الاولين تقدم لفظا وبيانا **وفي حديث ابي هريرة** في احاديث الاسرا **ان ربك**
الله اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت قيل بفتح الهمزة وسكون
السين وضم التاء فوق اي انت **حبيب الرحمن فصل اختلفوا في تفسير الخلة**
واشتقاقها فهي كما مر اما بمعنى الصداقة والمحبة التي تخللت باطن القلب من
الخلال وهو وسط الشي فان الود يتخلل النفس والمحبة تخالطها او بمعنى الحاجة

والفقر

والفقر من الخلة اذ كل خليل محتاج الى ان يسد خلة خليله وفي الحديث اللهم سد الخلة
اي الحاجة والفقر اي جابرها او بمعنى الطريق في الرمل من الخل وهو الطريق السلوك فانهما
يتوافقان فيه او بمعنى الخلة على الخليل ويستوي فيه المذكر والمونث اذ هو في — يتبرا
الاصل مصدر سمي به ومنه حديث عايشة كان يذبح الشاة فيفرقها في خلايل
خديجة جمع خليلة وقول كعب بن زهير
يا ويحها خلة لو انها صدقت • موعودها اولو ان النصح مقبول
فقيل الخليل هو **المنقطع الى الله** معتمدا عليه معرضا عما سواه فهو **الذي ليس**
في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال محتاج الى جبر يصلحه وفي حديث على جبار
القلوب على فطراتها من جبر كسر عظمه كانه اقام القلوب واثبتها على ما فطرها
عليه شقيها وسعيدها **وقيل الخليل** هو **المختص** بخدمة الله والحب له بما
كلفه فعلا وتركا او الذي اختصه الله فجعله من خاصته وخلص عباده **واختار**
هذا القول غير واحد من الايمة **وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا** اي
الاختيار من الصفوة اي الخيرة التي هي الاستقامة على الخير **وسمي ابراهيم خليل**
الله لانه يوالي فيه اي يحب فيه لا لحظ نفسه فاللام هنا بمعنى اللام وفي مثل
من احب لله للاخلاص اي يحب لوجه الله وجهته كهي في والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا اي خالصا لوجهنا وحقنا واجلنا **ويعادي فيه**
اي يبغض لا لضرره كبغض نفسه الامارة بالسوء بما لقد هواها مع جنسها
في طاعته بما كلفه بامره ونهيه ومع مصابرة اعدا الله ومرابطتهم والمجاهدة
والحب في الله والبغض في الله من الايمان **وخلة الله له** اي لابراهيم **نصره**
وجعله اماما لمن بعده فامامته عامة مويدة بشهادة اني جاعلك للناس
اماما اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه وفي نسخة
وجعله اماما لمن بعده بشهادة ربنا واجعلنا للمتقين اماما اي ذا امن لمن
كان اليه كعيشة راضية واما ناحاضره كليل نايم **وقيل الخليل اصله الفقير**
المحتاج المنقطع عن الاعوان والاخوان **ماخوذ من الخلة وهي الحاجة**
لانقطاع صاحبها الى انضمام نعضده **فسمي بها ابراهيم لانه قصر حاجته**
على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره بكسر القاف وفتح البا اي
لم يكل همه الى احد غيره ولم يعول عليه وصار نجيا **اذ اتاه جبريل وهو في**
المنجنيق ليرمى في النار فقال له الك حاجة قال اما اليك فلا فصبرا ذ
التي فيها فكانت عليه بردا وسلاما فخص بهذا الاسم بذلك وان شاركه جميع
الموجودات في افتقارها الى الله **وقال ابن فورك** بضم الفا **الخلة صفا المودة**
اي المحبة للحبيب خالصة من شوايب المخالفات منزهة عن الغفلات والزلات

فلا يزال متعينًا على مودته التي توجب الاختصاص من المودود للواد ومن الواد
للمودود تخلل الاسرار نجاوى بفيحات القلوب وقال بعضهم اصل الخلة
المحبة ومعناها اي معنى محبة الله لعباده الاسعاف لعباده باعانتهم
وتقريبهم وقضا حوايجهم والالطاف بهم توفيقا لطاعته وتسهيلا عليهم
عبادته وحفظا لتوحيدهم وصونا لعقايدهم وسلامة لقلوبهم والترفع
لمراتبهم بالكمالات النفسية والادراكات العلمية والعملية ومحبة عباده
له التشفيع بقبول شفاعة نبيهم فيهم لفصل القضا ولترفع درجات قوم
في الجنة ولمن مات بمدينته كما رواه الترمذي وصححه ولبعض صلحا المومنين
فيتجاوز عن تقصيرهم في العبادة قيل ولاطفال الكفار ليدخلوها ولدخول
اخرين فيها بغير حساب ولعدم دخول جماعة مومنين النار وقد استحقوها
ولاخراج من دخلها منها ولتخفيف عذاب بعض من استحق الخلود فيها
كابي طالب لشهادة حديث البخاري قال العباس يا رسول الله هل نفعت
عمك ابا طالب بشي قال نعم هو في ضحضاح من نار تغلي منه ام دماغه ولولا
انا لكان في الدرك الاسفل من النار وبقبول شفاعة الانبيا وكذا الصلحا
لشهادة حديث الترمذي من امتي من يشفع للفيام ومنهم من يشفع
للقبيلة وللرجل وللرجلين على قدر عمله وحديث ابن ماجة وحبان وغيرهما
ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من بني تميم وقد بين ذلك اي الله
بطريق المفهوم ان معنى المحبة ما ذكر بقوله وقالت اليهود والنصارى
نحن ابنا الله واحباوه كذبا منهم لظهور اتباع ابنيه عزير والمسيح قل فلم يعذبكم
بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم ومن كان بهذه المكانة
لا يعذب وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وسيعذبكم
بالنار باعترافكم اياما معدوده فاوجب اشارة للمحبوب ان لا يواخذ
بذنوبه اذ لا يعذب الحبيب حبيبه والوالد ولده بالنار قال ذلك البعض
هذا مركب من اسمي فعل واشارة وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر هذا
وهذا كما ذكر او خذ هذا وقد يذكر جزما في هذا ذا والخلة اقوى من
البنوة بتقديم الموحدة على النون لان البنوة قد تكون فيها العداوة
كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم اي ان منهم ازواجا
يعادونكم ويخاصمونكم واولادا يعادونكم ويعقونكم فاحذروهم ان تامنوا
غوايلهم وشرهم ولا يصح ان تكون عداوة مع خلة لمضادة كل منهما
للاخرى فاذا تسمية ابراهيم ومحمد بالخليل اما بانقطاعهما الى الله
معتمدين في جميع امورهما ووقف حوايجهما عليه مكتفيين بالاستغنا به ولاطلاع

اليه

اليه عمن دونه والاضربعن الوسايط والاسباب راغبين في جميل اسعاده
وتخويل امداده او للزيادة الاختصاص منه لهما اكرامًا لهما بتصفية همتهما
له قلبًا وصدقهما له شوقًا وحبًا وحفي بالمهملة اي والزيادة مبالغته في اكرامه
لهما والطافه الحاصلة منه عندهما نفا لا تخفى به وحفي وتحفى اي بالغ في
اكرامه واستقصى وفي الحديث ان امراة دخلت عليه صلى الله عليه وسلم
فسالها فاحفى وقال انها كانت تاتينا في زمن خديجة وان كرم العهد من الايمان
وفي نسخة بالمعجمة من اخفى الشي اذا ستره لا من خفيته اذا اظهرته وحديث خير
الذكر ما خفي يحتملهما فهو اما من الاخفا بمعنى الستر اي خيره ما اخفاه الذاكر
وستره عن الناس ومن الخفي بمعنى الشهرة والظهور اي خيره ما اظهر وشهر
من خيره وكذلك ما صاله قول الحريري في صاحب بانه عمر فتمادى عما اليه من الظهور
وطلب الخلافة بهذا الحديث ومازجًا اي خالط بواطنهما فطابت عليه
خواطرهما من الاسرار الالهية التي تورث السيادة والسعادة ومكنون ن
اي مصون غيوبه جمع غيب وهو ما غاب عن مشاهدة العيون ومعرفته
المفيضة عليهما ما ابقناه من ملكوت السموات والارض اي استصفاهما له
مصدر مضاف الى فاعله اي اختارهما لنفسه تخصيصهما بمزيد فضل على امثالهما
ومنه حديث محمد خيرة الله من خلقه واستصفا قلوبهما مصدر مضاف الى
مفعوله اي صافاهما وده وخلصهما له عمن سواه حتى لو احتاجا لغيره
ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه لعدم اعتقاده اجلالا
لجنبه بمراقبته جناب القدس متنظما في سلك وصال الانس وهو اي ما ذكر
من نعت الخليل معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ان امن الناس
علي في صحبته وماله ابا بكر ولو كنت متخذا خليلا من الناس اي ارجع في الحاجات
اليه واعتمد في المهمات عليه لاتخذت ابا بكر خليلا اذ هو الصاحب الودود
والصديق الحميم بل الذي الجا اليه واتوكل عليه في جميع احوالي عليه هو الله ربي
في مجامع
وانما سمي ابراهيم خليلا اما من الخلة بالفتح وهي الخصلة لتخلقه بخلال
حسنة خص بها او من الخلل لتخلل الحب شغاف قلبه واستيلايه عليه
او من الخلة اذ لم يفتقر الا اليه ولم يتوكل الا عليه ولكن اخوة الاسلام
استدراك من مضمون الجملة الشرطية اي ليس بيني وبينه خلة ولكن اخوة
الاسلام فنفى الخلة المفضية الى الحاجة واثبت الاخوة المونذنة بالمساواة واختلف
العلما ارباب القلوب لصفا فكرهم والالباب لوعيهم ايهما ارفع ادرجة الخلة ارفع
من درجة المحبة او درجة المحبة ارفع من درجة الخلة فجعلها بعضهم سوا
ليس بينهما تفاوت فلا يكون الحبيب من درجة الخلة الا خليلا ولا يكون الخليل

الا حبيبا لكنه حل من كرمه خص ابراهيم بالخلة لتخلل صفا وده ربه قلبه وثبوته
فيه وخص محمدا بالمحبة لخرق حبه ربه شغاف قلبه اي حجابه واستيلائه
عليه حتى وصل حبة قلبه وبعضهم قال درجة الخلة ارفع من درجة المحبة
واحتج لما زعمه بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري لو كنت متخذا خليلا
غير ربي فلم يتخذه اي لغيره خليلا ومع ذلك فانه صلى الله عليه وسلم قد
اطلق المحبة لفاطمة وابنيها الحسنين واسامة بن مولاه زيد بن حارثة وغيرهم
كابي بكر وعمر وعايشة فلو كانت ارفع منها لم يتخذ غير ربه ممن ذكر حبيبا
كما لم يتخذ غيره خليلا والاكثرون جعلوا المحبة ارفع درجة من الخلة لان درجة
الحبيب نبينا ارفع من درجة الخليل ابراهيم هذا وانت خبير بان رفعة المحبة
حينئذ على الخلة انما هي من حيث رفعة موصوفها لا من حيث ذاتها واصل المحبة
من حبة القلب تقول حببته اي اصبت حبة قلبه فرسخ فيها وتمكن ثم لشاعته
الميل الى ما يوافق المحب اي المحبوب من ارادة طاعته واتباع رضاه ولكن هذا
في حق من يصح الميل منه الى محبوبه والانتفاع بالوفق اي بالشيء الموافق له
تسمية له بالمصدر وهي اي المحبة بمعنى الميل في حق من يصح منه الميل در
المخلوق فاما الخالق فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته
بارادتها فيه فيديم طاعته ويجتنب معصيته وعصمته بالرفع او الجر
عطفا على تمكينه او على سعادته بمنعه بعدم خلق الذنب فيه وتوفيقه لذلك
بخلق قدرة الطاعة فيه وتهيئة اسباب القرب منه تعالى اليه من نحو صلاة
وتسبيح وتحميد وتكبير وافاضة رحمته عليه شبه الرحمة لكثرتها وسعتها
لكل شيء كماء غمر فتشبيهها به استعارة مكنية واثبات الافاضة لها استعارة
تخييلية حتى كان لها من جنسه تناسبا للتشبيه وقصواها من جنس ما
ينسب اليه تعالى مما يليق معناه بجنابه انما يوخذ باعتبار غايته التي هي
اما فعل او ارادته اي غاية محبته تعالى لعبده كشف الحجاب عن قلبه اي
ستره المانع له من رؤيته حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته كما قال في
حديث البخاري وغيره فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ولسانه الذي ينطق به اي اجعل سلطان محبتي له اخذا بمجامع قلبه
فلا يبصر الا بما يرضيني وانا مع ذلك له مويدا ومعينا احمي سمعه
وبصره ولسانه عما لا يحل سمعا وبصرا ونطقا وفي رواية كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وحاصله
تعلق كلية العبد بمراضي ربه وحسن رعاية ربه له ولا ينبغي ان يفهم من
هذا سوى التجرد لله عما يشغل عنه والانقطاع اليه عن كل تليد وطارف

وطريف

وطريف والاعراض عن غير الله حتى كانه ولله المثل الاعلى بمرأى منه ومسمع
وصفا القلب لله من شوايب الرذايل والادناس واخلاص الحب كان لله مما
لقصد ثوابها بعدم قبولها بشهادة حديث مسلم انا اغنى الشركاء عن الشرك
[في الهامش: تركته]
من عمل عملا اشرك فيه معي غيري و شركه كما قالت عايشة فيما تقدم كان
خلقه القران يرضاه اي بما كان يفعله مرضيا مما آذن فيه واجبا ومندوبا
ومباحا يرضى ويسخطه وقدم المجرور للحصر اذ هو معدن الاحكام ومنبع
الحلال والحرام ومن هذا الذي ذكر في معنى الخلة وماخذها عبر بعضهم عن
بعض ماخذ الخلة بقوله قد تخللت اي اياك متخللا مسلك الروح مني
وجاري خلال مجامعه وسري فيها سريان روحي في بدني كالما في العود وبذا
اي وبسبب كون الخلة من التخلل سمي الخليل ابراهيم خليلا لتخلل حب ربه شغاف
قلبه واستيلائه عليه وتمكنه منه فلم ير احدا غيره تفتقر في امورها اليه وتعتمد
عليه ومن ثم قال لجبريل وقد قال له وهو في المنجنيق الك حاجة اما اليك فلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي لكثرة تولعه بذكره وحظوره بباله وحضوره بالنية
[في الهامش: صمايم]
واذا ما سكت كنت الغليلا من الغلة وهي حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري
اياك مضرما جوانح قلبي عطشا لعدم نطقي بك فان راحة الفم وراحة
النفس بذكر الاحبة وتوقد الجوانح لعدم ذكرهم وما في مصراعي البيت زايده
فاذن مزية الخلة من حيث انها صفا ود تخلل شغاف القلب وخصوصية
المحبة من حيث انها من حبة القلب وهي سويداؤه قيل ومن حيث صدقها من
الجانبين اذ يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد لشهادة فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين بخلاف الخلة اذ لا
تنسب الى الله فلا يقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله وان كانت
من الاسما الاضافية الموذن وجود احدها بوجود الاخر وارتفاعه بارتفاعه
قلنا كما مر نعم تنسب ايضا اليه لشهادة لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت
ابا بكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهي ايضا تصدق منهما وكلتاهما حاصلة
لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه الاثار مما مر كلو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي رواية ولكن اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا الا وانا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث الصحيحة المشتهرة
المتلقات بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله شهيدا لحصولهما له صلى الله عليه وسلم لشهادة ما حكى اهل
التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا
الحنان الرحمة او العطف اي نتخذه موضع حنان من الرحمة فنرحمه ونعطف

عليه ونتبرك به كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم حنانا فانزل الله غيظا لهم
وردعا وردا على مقالتهم مفعولان لاجلهما انزل قل اطيعوا الله والرسول
فزاده شرفا بامرهم مصدر مضاف الى المفعول اي بامر الله اياهم بطاعته وقرن
طاعته بطاعته زيادة لشرفه ايضا ثم توعدهم على التولي اي الاعراض عنه بعدم
انقيادهم له بقوله فان تولوا ماض او مضارع اي تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم ووضع الظاهر موضع المضمر قصدا للعموم وان
التولي كفر وان محبته مختصة بالمؤمنين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك بضم
اوله غير منصرف للعلمية والعجمة عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة
يطول جدا لكن جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة فمن ذلك
قوله الخليل يصل الى من يحبه حبلا بالواسطة اخذا لوصوله اليه من
قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون بواسطة ارادة
الله له ذلك من الموقنين والحبيب يصل لحبيبه به بدون واسطة الله له واخذا ارادة ع
له من قوله تعالى فكان قاب اي قدر قوسين او ادنى منه في حد الطمع مندفيه
اخذا لكونه فيه من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين نسب لنفسه
خطيئة هضما وتواضعا لربه وطلب المغفرة ما عسى ان يصدر منه سيئا
يعاقب عليه وارشادا للامم ان يجتنبوا المعاصي ويسالوا مغفرة ما فرط منهم
وحملها على قوله اني سقيم بل فعله كبيرهم هي اختي مردود وانما هي معاريض لا خطايا
والحبيب هو الذي مغفرته في حد اليقين اخذا لكونها في حرم من قوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي جميع ما يصح ان تعاتب بالنسبة الى مقامك
على فعله مما ليس بذنب والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون بعثة والدي في
الضالين والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي تعريض بمن اخزاه الله من الكفر
فابتدا بالبشارة بنفي الخزي عنه قبل السؤال والخليل قال في المحنة من نمرود
اذ القاه في النار فكانت عليه بردا وسلاما حسبي الله اي محسبي وكافي من
احسبه اذا كفاه نحو بمعنى اسم الفاعل فلا يفيد اضافته تعريفا لجواز وصف
النكرة به في مثل هذا رجل حسبك والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله
اي محسبك الله وكافيك والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين
اي ذكرا جميلا فيمن يجي بعدي الى يوم القيامة فاستجيب له فما من امة الا وهم
يحبونه ويثنون عليه والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك بقرن اسمه باسمه
في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد ونحو ذلك اعطي
ذلك بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي بعدني واياهم
عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبني واراد بنيه لصلبه وهو نظاهم

لا يتناول

اهل البيت نصب على المدح
او النداء او الاختصاص بها
او هو كلام مستانف ع

اباه ع

وليس في الهدى والضلال حد جامع العشى السضادى
في تفسير الاية الا ان الكلام من فيها من المحبة والخلة
ولا مدخل للضلال هنا فان قلت لم اتى الهم هنا
الا هنا مثل رعى عموم اللفظ لا سيما الا
له وكانه سوله كل سيظر على قدر ما اداه اليه الاجتهاد
في تفسير الخلة لغاية

لا يتناول احفاده وجميع ذريته معه لانه علل ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه
اياهم والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لاعراضكم
علل بها انكارهم تعجب سارة اذ بشروها باسحق لا تتعجبي من ولادتك عجوزا فان خوارق
العادات لاهل بيت النبوة ومهبط الوحي واكرامهم بمزيد النعم ليس ببدع ولا يستغرب
به عاقل فضلا عمن نشات وشابت في مشاهدة الآيات ومعاينة المعجزات وفيما
ذكرناه من الخلاف في تفسير الخلة واشتقاقها وهل درجتها ارفع او درجة المحبة تنبيه
على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال المحبة والخلة وكل
يعمل على شاكلته اي طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلال فربكم اعلم بمن هو
اهدى سبيلا اي اشد طريقا واقوى وابين منهجا فصل في ذكر ما يتبعه على تفضيله
صلى الله عليه وسلم اما الشفاعة العظمى لاراحة اهل الموقف من تفاقم هوله وتعاظم
كربه والمقام المحمود قيل هو كل مقام يتضمن كرامة تحمد فيه من عرفه ومن لم يعرفه
والمشهور كما مر وانه مقام الشفاعة قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
نصب على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما محمودا او بتضمين يبعثك معناه
او هو حال بمعنى يبعثك ذا مقام فقد اسند هنا شاهدا لكونه مقام الشفاعة
من طريق البخاري موقوف على ابن عمر وهو في حكم المرفوع اذ مثله كما قال الشافعي
لا يقال من قبيل الرأي قال ابن عمر ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى جمع جثوة
بضم جيمها وفتح تكسيرها وهي ما جمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه طرت
عامر رأيت قبورا للشهداء جثا اي اتربة مجموعة وقد روي بتشديد الياء جمع جاث
وهو من يجلس على ركبتيه ومنه حديث علي انا اول من يجثو للخصومة بين يدي الله
اي يصيرون فيه جماعات كل امة تتبع نبيها يقولون حال من الضمير اي قائلين
يا فلان اشفع لنا كناية عمن يطلبون منه ان يشفع لهم واحدا فواحدا حتى تنتهي
الشفاعة الى النبي اي ينتهي طلبها اليه صلى الله عليه وسلم فذلك يوم بالرفع
على الخبرية ويجوز نصبه على الظرف لانتهاء الشفاعة اليه واقع يوم يبعثه الله
المقام المحمود وقد روى احمد والبيهقي عن ابي هريرة سئل عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعني ابو هريرة عن اية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال
جوابا لمن سال هي الشفاعة لفصل القضاء حين يفزع في المحشر بعضهم الى بعض
وروى كعب بن مالك فيما رواه احمد عنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة فاكون انا وامتي على تل اي مكان عال كالجبل ويكسوني ربي حلة
خضراء واحسن الحلل من برود اليمن ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين من جنس واحد
ما لا من كل على الاجزاء او لانهما كانا جديدين كما حل طيهما ثم استمر الاسم عليهما
ثم يؤذن لي في القول فاقول ما شاء الله ان اقول في مراجعة ربي في الشفاعة فيؤذن

اي فيها فيشفع كما مر ويلي فذلك المقام المحمود يحمده فيه كل احد لتعجيله الحساب والراحة
من طول الموقف وعن ابن عمر قال فيمشي يعني النبي صلى الله عليه وسلم حتى ياخذ بحلقة
الجنة وفي رواية فاستاذن على ربي في داره فيوذن لي عليه فاذا رايته وقعت
ساجدا فيدعني ما شا ان يدعني الى ان قال عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال
وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعد
ان يقومه يوم القيامة وروى احمد وغيره عن ابن مسعود عنه صلى الله عليه
وسلم انه اي المقام المحمود الذي وعدنيه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيري
يغبطه به الناس اي يحسده بسبب اختصاصه بذلك المقام العظيم
الذي لم ينله الاولون والاخرون او فيه اي يحسدونه في ذلك اليوم على ما
اوتيه هذا وحقيقة الغبطة تمني ان يكون له مثل ما الذي نعمة مع دوامها عليه
وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا كما يضر العضاه قال في النهاية اراد صلى الله
عليه وسلم ان الغبط لا يضر ضرر الحسد الذي هو تمني مثلها مع زوالها عنه وان
ما يلحق الغابط من الضرر الراجع الى نقصان ثوابه بقدر ما يلحق العضاه من خبط
ورقها فهو وان كان فيه طرف من الحسد فهو دونه في الاثم وروى احمد عن ابن
مسعود ليي اي والله اني لقائم المقام المحمود هذا مرشد الى جواز القسم في
الامر العظيم وقد اكد هنا بان واسمية الجملة قيل وما هو والمنادي عنه قيل
له ما المقام المحمود قال ذلك يوم الفصل ينزل الله على كرسيه تمثيل لتجليه لعباده بصفة
العظمة والكبريا واقباله عليهم لفصل القضا والعدل بينهم وكشف حجاب
المقربين منهم عنه بنزول ملك من قصره ليجلس على كرسي ملكه للحكومة
وجنده قيام حوله صفا وبين في المراتب فياط كما ياط اي تصوت كما يصوت
الرحل الجديد من تضايقه به تصوير لعظمة التجلي وغرق الكبريا على
طريقة التشبيه اذ فيه تشبيه الحالة الغير الحقيقية بالحالة الحقيقية على
طريقة الاستعارة التمثيلية ثم قرنها بما يلايم المشبه به من الاطيط ترشيحا
للمجاز والرحل بالمهملة قتب البعير وهو اي الكرسي يسعه ما بين السما والارض
حال او اعتراض ورد مؤذنا برفع توهم كون الاطيط للضيق واشارة لما
قوله وسع كرسيه السموات والارض ومنه وجنة عرضها السموات والارض
تصويرا لسعته وتمثيلا لعظمته بحسب العرف لا بحسب المقدار اذ هو في
نفس الامر اوسع منهما ومنه وجنة عرضها السموات والارض لان ادنى اهل
الجنة منزلة مثل الدنيا وعشرة امثالها ويجا بكم حفاة عراة غرلا بضم فسكون
قلفا كنه اي غلفا غير مختونين كما بدأكم تعودون فيكون اول من يكسى ابراهيم
مكافاة له واظهارا لفضله وتنويها لشرفه وإعلاما برفعة محله لانه اول من عري

با المقام

فيط كما يئط

ن

في ذات الله حين القي في النار رواية دلت لهذه الفضيلة الواضحة لا يقدح في
الحكم لنبينا بالفضل على سائر الانبيا فكم له من فضائل خص بها لم يسبق
اليها ولم يشارك فيها مع علمك بان شفاعة فصل القضا حينئذ لم يوذن فيها
لاحد غيره لم تبق لاولي سبق سبقا ولا لذوي فضل فضلا يقول الله اكسوا
خليلي فيوتى بريطتين اي ملاءتين رقيقتين بيضاوين من رياط الجنة كل
واحد ثوب واحد ليس بلفقتين ثم اكسى على اثره اي بعده بلا مهلة ثم اقوم
على يمين الله تمثيل وتخييل لا ظاهر صفة الكمال تشبيها دونه رواية وكلتا يديه يمين
تشبيها على كمالهما لا نقص في واحد منهما لان الشمال تنقص عن اليمين
وهذا هو الجواب عن سوال ما المقام المحمود مع ايذان ما قبله ببعد منزلة اليوم
وعلو رتبته من اسرار الاشارة وما لوح بتفخيمه وتعظيم شانه من ارادة
تكرمه ووصفه بالنزول فيه تصويرا لعظمة الله وتوقيفا على جلالة سلطانه
وتحقيقا لباهر قدرته ونفوذ كلمته في مخلوقاته فيه كملك جلس على
كرسيه كما مر وذلك من غير تصور نزول ولا حركة لنزاهة
ساحة جلاله عن ذلك لكن فهمه صلى الله عليه وسلم ونحوه من معقودات
الكلام على خلاصته الدالة فيه على ظهور عظمة ربه ونفوذ كلمته واجرا
احكامه في خلقه على وفق العدل فعبارته جارية هنا على وفق العدل وفي
امثاله على طريقة التمثيل والتصوير ولا ترى بابا في علم البيان ادق
مسلكا والطف مسلكا واعون على تاويل المتشابه في كلام الله وكلام انبيائه
من هذا الباب اذ اكثره تخييلات زلت فيها اقدام الافهام لقلة تاملهم
وعدم التفاتهم الى علم لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم احتياجهم اليه في
دقايق الكلام وتاويل متشابهه وكم من ايات واحاديث ضيم تاويلات عنته
وسيم بالتمام رتبته هذا ولا يزال المتورع عن الخوض في كلام الله ورسوله
في فسحة من عقله ما لم ينزله بغير منزلة فيه منزلة مسمى جنسه مقاما يغبطني
الاولون والاخرون اي يتمنون ان يعطوا مثل ما اعطي ولا ينالوه ابدا
وروى ابن ماجه عن ابي موسى خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة اذ بها يدخلها كلهم ولو بعد دخول من
مات مومنا النار وقد اجمع اهل السنة على جواز الشفاعة الامر اذ ذلك
الرحمن ورضي له قولا مع ما ورد من الاحاديث البالغة بمجموع طرقها التواتر
ومنعها الخوارج وبعض المعتزلة بنحو فما تنفعهم شفاعة الشافعين ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع قلنا مخصوص بالكفار والمراد المسؤول بها
لا ينال عهدي الظالمين تكونها بانه قد يكون من ذريته ابراهيم كفرة لانا

دة
لم

الإمامة لانها امانة وعهد من الله لا تصلح لهم وانما نالها البررة الاتقيا منهم وتخصيصهم احاديث الشفاعة بزيادة الدرجات باطل لصراحة الادلة في اخراج من دخل النار من المومنين منها وخص نبينا منها بخمس شفاعات تعجيل الحساب راحة للناس من هول الموقف وشدايده وادخال جماعة الجنة بغير حساب ولمن استحق دخول النار فلا يدخلها ولمن دخلها فيخرج منها ولزيادة درجات في الجنة اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين ورواية ابن عمر فيها اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الملوثين والمتقين بنون وقاف مفتوحتين مع تشديد القاف جمع منقي اي مطهر معنى وحسا من التنقية واستحسنها للوصف بالملوثين وروى ابوداود والترمذي شفاعتي لاهل الكباير من امتي وروى البيهقي وشيخه ابوعبدالله الحاكم وصححه عن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة ما استفهامية مبتدا خبره ذا بمعنى الذي وصلته الذي بعده فقال شفاعتي محله رفع على الفاعلية اي ورد علي شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله اي وان محمدا رسول الله ولم يذكر اكتفا باحد الطرفين الجزئين عن الاخر علما بانه لابد من الاتيان به في صحة الاسلام مخلصا حال من الموصول اي غير مشوبة شهادته بشوك يصدق لسانه قلبه بان يكون اعتقاده مطابقا لما نطق به وروى البيهقي والحاكم عن ام حبيبة اريت ما تلقى امتي من بعدي اي اطلعه الله على ما يسوءها من نوايب ونوازل وحذف الفاعل للعلم به وكيفية الاداة لتذهب النفس كل مذهب ممكن وسفك بعضهم مصدر رمضا وطاعل فاعله اي اريت وحشا او مشاهدة او الهاما ما وقع بينهم من الفتن والحروب حتى هراق بعضهم دما بعض واريت ما سبق للامم قبلهم فسالت الله ان يوليني شفاعة يوم القيامة فيهم ليفوزوا بخلاصهم مما ارهقهم عسرا وعراهم من شديد نكرا ففعل اي اعطاه ما سال وروى البيهقي والنسايي موقوفا على حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي صوته لعلوه وبعد السفل عنه لفصل القضا بين الخلايق ليجلوا الى الحساب وينفذهم البصر اي يبلغهم ويجاوزهم بصر الناظر لاستوا الصعيد اذ لا عوج فيه ولا امتا تتوارى فيه احد وعن ابي عبيد ينفذهم بصر الرحمن اي ياتي عليهم كلهم وعن ابي حاتم المحدثون يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالمهملة اي يبلغ اولهم واخرهم حتى يراهم كلهم ويستوعبهم من نفذ الشي وانفذته قال وحمل الحديث على بصر المبصر اولى من حمله على بصر الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيامة في ارض يشهد جميع الخلايق فيها حسابا لعبد الواحد على انفراده ويرون ما يصير اليه حفاة عراة لا نعال بارجلهم ولا ثياب عليهم زاد الشيخان في روايتهما غرلا جمع اغرل اي اقلف وعن الزبرقان احب صبياننا الينا طولا لغرله وانما احب طولها لتمام خلقه

اصل صلته ما بعده

قال حذيفة

كما خلقوا احوال من الناس اي يجمعهم موصوفين بذلك ويجوز ان يراد به تشبيه اعادتهم بابتدا ايجادهم من العدم لشمول الامكان لهما المصحح للقدرة ويه ولتنا ولالقدرة لهما على السوا والكاف مكفوفة بما المصدرية اي اعادتهم للحشر كخلقهم من العدم سكوتا حال من الناس ايضا ومن ضمير خلقوا لا تكلم نفس فيما ينفع وينجي من جواب وشفاعة الا باذنه اي الله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في الموقف واما قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون ففي موقف اخر والماذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع منه هو الاعتذارات الباطلة فنادى بالبنا للمفعول محمد مرفوع بنايبه عن فاعله او مضموم مبنيا على الندا فيقول لبيك منصوب على المصدر بفعل لا يظهر في الاستعمال من التلبية وهي اجابة المنادي اي اجابتي لك يا رب مشتق من لب بالمكان والب اي اقام به ولم يستعمل الا بلفظ التثنية في معنى التكرير كانه قال لبا بعد لب اي اجابة بعد اجابة وسعديك منصوب بفعل لا يظهر في الاستعمال من المساعدة وهي المطاوعة ومتابعة الامر اي ساعدت طاعتك يا رب مساعدة بعد مساعدة ومن ثم لم يستعمل الا مثنى ولم يسمع مفردا والخير في يديك كنى بها عما عنه عطاء اعني القدرة تشبيها لها بهما في سمتهما لها استعارة تحقيقية وتوهما بما يلايم المشبه به من كون الخير كانه مستقر فيها ترشيحا للمجاز والشر ليس اليك فيه ارشاد الى سلوك الادب في الثنا على الله سبحانه فاسند اليه محاسن الاشيا دون مقابحها وليس المراد نفي شي عن قدرته واثبات شي لها اذ لا يخرج عنها شي اي لا ينسب الشر اليك ادبا وان كنت خالقه او لا يتقرب به اليك ولا يبتغى به وجهك او لا يصعد اليك وانما يصعد اليك الطيب قولا وفعلا المهتدي من هديت خلق الهداية والتوفيق فيه وعبدك بين يديك تشبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه لصنع الامر بما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان في مستعير اسم ما بينهما لقربه من ربه وبك عبدك اسلم متعاذا لطاعتك واليك اناب متبتلا عليك ولا منجا مهموز مقصور ولا منجا بلا همز ويهمز للازدواج اي لا مستند لاحد ولا مخلص له منك الا اليك تباركت اي تنزهت عما لا يليق بجنابك عز وتعاليت عما يضاف اليك منه سبحانك رب البيت حذف منه حرف الندا لقربه المنادي محلا ومتبدا اي انت فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله اي قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ابن عباس اذا دخل اهل النار النار قدمه ترهيبا منها وترغيبا في تجنب سبب دخولها اولا ذكرا للغم او وعيد للنفس لتعاطي اسباب النجاة ودخل اهل الجنة الجنة فبقي اخر زمرة من الزمر وهو الصوت لان الجماعة لا تخلوا عنه من قولهم

في موقف

وعلاه

شاة زمري اي قليلة الشعر ورجل زمر اي قليل المروه اي جماعة من زمر اهل الجنة
واخرى من زمر اهل النار فيقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم
ظنوا جهلا منهم ان الفهم تخلفهم عمن دخل الجنة قبلهم امتناع دخولهم اياها فلم
يغن عنهم ايمانهم شيئا فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة ف
يسالون ادم وغيره بعده في الشفاعة لهم ليعلم زمرة النار ان ايمانهم نفعهم
ويفوزوا بدخول الجنة فكل واحد منهم يعتذر بما عوتب من معاريضه ولمن ذنب
حتى ياتون محمدا غاية لمجيهم اليهم لطلب شفاعتهم لهم فيشفع لهم فذلك المقام
المحمود هذا موقوف على ابن عباس ومثله لا يقال من قبل الراي فحكمه الرفع وله اداء
من رواه ونحوه كما رواه لحمد والطبراني عن ابن مسعود ومجاهد وذكره
زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه
مرسل عندنا ما كان موصولا عن اهل العلم عنه وروى مسلم عن جابر بن يزيد الفقير
فعيل بمعنى مفعول لوجع بفقار ظهره وهي خرزاته من عجب الذنب الى نقرة القفا
ثمان وثلاثون فقرة ضرب عائشة شلال في عثمان فقالت دلبوا منه الفقر
الاربع استعادته من فقار الظهر لما ارتكبوا منه لانها موضع الركوب اي
انتهكوا انه اربع حرم حرمة الصحبة والصهر والخلافة والبلد سمعت حديث
منه اداة الاستفهام اي اسمعنا وهل سمعت بمقام محمد يعني الذي اداه حرمه
الله له يبعثه الله فيه قال نعم اي سمعنا اللفظ الذي افاد ذلك قال اي جابر بن
عبد الله فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به ... ضمير باء السببية
لصدور الشفاعة التي هي سبب الاخراج عنه من يخرج يعني من النار ثم ذكر
اي جابر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين من النار فوجا فوجا وفي رواية
الشيخين عن انس وابي هريرة فيقولون لو لو هنا للتمني وهو طلب حصول
شيء على سبيل المحبة ممتنعا كان او ممكنا ثم ان كان ممكنا وجب ان لا يكون
لك توقع وطماعية في وقوعه والا صار ترجيا بلوا استشفعنا الى ربنا
تمنوا حصول الشفاعة لطلبها ممن تشفع لهم غير طامعين في وقوعها وان
كان ممكنا منزلة ممتنع لا يجزم بوقوعه لبعده عن اقيسة اعتقادهم لما ادهشهم
من شدائد واهوال وغضب لا غضب قبله ولا بعده مثله وروى الشيخان
عن ابي هريرة حديث الشفاعة وقال فيه وتدنوا الشمس ويبلغ الناس من
الغم ما لا يطيقون من مكان او رتبت جوانحهم لها فاعرضت بهم كربا
فيقولون الا تنظر من يشفع لكم فياتون ادم فيقولون انت ادم موذن
بالكمال ... مراد منه نفسه ابو البشر خلقك الله بيده اي تولى ايجادك
مستغنيا بك ولكون ظهورا اثارا القدرة الصدور اعراض لبدنك بها عنها ممتثلا

وتصوروا

وتصورا من غير توهم ... وحركه ونفخ فيك من روحه اي روح خلقه بلا
توسط مادة واسكنك جنته واسجد لك ملائكته سجود تحية له نفخه
لشانه وتعظيما لامره واداء لحقه وعلمك اسماء كل شيء اظهارا لشرفه وكمال
علمه ووضع شيء موضع اشيا لافادة كل بدخولها علمه استغراقها اي اسماء الا...
المسميات اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا كشفا عنا الا ترى ما نحن
فيه من الكرب المحدق والهول المغرق فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله اي اشتد انكاره على من عصاه وسخط عليه مريدا للانتقام منه ولا
يغضب بعده لانقطاع تكليف من يواخذ بترك ما كلفه ونهاني عن اكل الشجرة
فعصيت باكل منها نفسي نفسي اعتذر عن تقاعده عن الشفاعة وتركها حيثه
تحزنا وتحسرا وتندما على ما اصاب مستنزلا بشكواه بثا وحزنا من اسباب
رحمته واسباغ نعمته اذهبوا الى نوح قاله كغيره من الانبيا مع علمهم بان
الخليق بها نبينا صلى الله عليه وسلم ارادة من الله لاشتهار مزيد فضله
وعظيم منزلته واظهار ما وعد به من مقام محمود على رؤس الخلائق بعد احجام
العظما واعتذارهم عنها ليعلم ما لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيكان
وتلويحا بمنزلته ومزيته عليهم باقدامه عليها دونهم فياتون نوحا فيقولون
انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا استعطاف
وتعريض له على اجابتهم الى ما سالوه ولعمري لم يرد من قال كيف يكون نوح
اول الرسل وادم وشيث كانا رسولين ان ادم انما ارسل الى بنيه ولم
يكونوا كفارا بل ليعلمهم الايمان وطاعة ربهم ثم خلفه فيهم شيث كذلك وان
نوحا اول رسول الى كفار اهل الارض واما ادريس وهو اخنوخ فهو ولد شيث
وجد نوح فان ورد انه رسول فالى مومنين كابيه شيث الا تشفع
لنا الى ربك فيقول مثله اي ..... مقدما جواب الانكار لانه اهم
تعوله هم اولا على اثري ليس اوليك مني وبينهم الا مسافة قريبة فلم استعهم
الا تخطي بيسير ولا نعد عادة وعجلت اليك رب لترضى اذ المسارعة الى امرك
والوفا بعهدك سبب لرضاك او قوله مثل ادم ويذكر خطيئته التي اصاب
اعتذارا عن تركها الشفاعة وما بها الموصول محذوف اي التي اصابها سواله
ربه بيانا او بدل من خطيئته بغير علم حال من الضمير في سواله او من سواله
ما لا يليق ان يسال له فكان الاولى ان لا يقول رب ان ابني من اهلي وان وعدك
الحق لا يعتريه خلف وقد وعدتني ان تنجي اهلي من الغرق وانه منهم فنحته
فقيل له انه ليس من اهلك الذين امنوا وعملوا الصالحات انه عمل غير صالح
فلا تسالني ما ليس لك به علم اذهبوا الى ابراهيم فياتونه فيقولون مثل ما قالوا

لغيره فيقول ان ربي فذكر مثله اي مثل ادم ويذكر ثلاث كلمات اعتذارا عن تركه
الشفاعة هي قوله اني سقيم وقوله فعله كبيرهم هذا وقوله انها اختي كذبهن وليست كذبا
وانما هي معاريض وتورية تبين عن نبي بوجه تعريض ليبلغ به غرضه استقصر
نفسه بذكرها اذ من كان اعرف بالله واقرب منه منزلة كان اعظم خطرا
واشد خشية ومثل هذا ما عوتب عليه الانبيا بما الاولى لهم تركه نفسي نفسي
لست لها اي الذي يحسبوني معدا لها ولكن عليكم بموسى اسند باك لرفع
ما ارهقهم من خشية الامل ووصفه بالمحل وعليكم اسم فعل والبا زايدة اي
الزموا موسى واستعينوا به فيها فانه كليم الله علة وتعريض على لزومه
فان من كلمه تكليما مخلوقا ان يقصد اذا تفاقمت الملمات وتفاقمت النكبات
فياتون موسى فيقول لست لها الذي ظننتم انه المعد لها ويذكر خطيئته التي اصاب
تعلها تعجيله الى ربه فانها في نفسه نقيصة ومن ثم عتبه عليها بتنبيها ده ة
وما اعجلك عن قومك يا موسى فانها سوال عن سببه تضمن انكارها
من حيث انها نقيصة انضم اليها اغفال قومه مبهما عليهم التعظيم
فاجابه عن الامر وقتل النفس عطف تفسيري تنبيها ده ة بعض رواة
البخاري تعبير واو اي وهي قتل القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه
فوكزه موسى فقضى عليه اي فانهى حياته ولا يقدح ذلك في عصمته
اذ لم يكن عن عمد فعده من عمل الشيطان وتسميته ظلما والاستغفار
منه جري على عادتهم في استعظام محقرات جايز صدرت عنهم
نفسي نفسي عليكم بعيسى يجري فيه ما مر فانه روح الله اي ذو روح اجراها
فيه ونفخ جبريل في جيب درعها فاحدثه في بطن امه بلا توسط اب ده ة
وكلمته فياتونه فيقول لست لها المعد لها عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم
الباقيه وفيما مر بيت لاستغاثته عبد صفة لمحمد ويجوز كونه خبرا لحذف
مبتدء اي هو عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي ما صدر
منه مما صح ان يعاتب عليه وليس في نفسه بذنب لعصمته كغيره من الانبيا
فاتى مبني لمفعوله للعلم بفاعله فاقول انا لها اي الكاين او المعد او المختص
اذ المدخر لها فاللام فيه كهي في امتحن الله قلوبهم للتقوى فاستاذن على
ربي زاد الشيخان في داره فيوذن لي اي في الشفاعة او في الدخول كما ورد
مصرحا به في مكان لا يقف فيه داع الا اجيب ليس فيه بينه وبين ربه حجاب
قيل والحكمة في نقله صلى الله عليه وسلم من موقف العرض والحساب هي انه
موقف سياسة وخوف ومن حق الشفيع ان يقوم مقام كرامة ورحمة
فنقل من موقف الخوف الى موقف الكرامة والرحمة لتقع الشفاعة موقعها

كمن

كمن يتحرى بدعايه موقف الخدمة فانه احرى بالاجابة فاذا رايته وقعت ساجدا
حال مقدرة فيه تصريح بجواز روية الله في الاخرة وفي رواية فاتي تحت العرش
فاخر ساجدا حال مقدرة من ضمير اخر اي اسقط مقدرا اني اسجد تعظيما لله
وشكرا له وفي رواية بدله فاتي تحت العرش فاقوم بين يديه اي يدي العرش
او يدي ربه تشبيها لموضع قيامه قريبا منه بما بين جهتي يدي الانسان وتعبيرا
له بين تمثيلا وتصويرا له به لنزاهة ساحته كما له عن الجارحة وعلى منوال هكذا
تستحسن متشابه كلام الله وكلام انبيايه مما ينبي عما لا يليق به كالجهة والفوقية والا
والنزول بمراعاة قواعد التمثيل في علم البيان فاحمده بمحامد لا اقدر عليها اي لا اعرفها
في الدنيا كما في رواية ويلهمني محامد احمده بها لا تحضرني الان يلهمنيها
الله اي يلقيها في نفسي اذ الالهام القا الله امرا في النفس يبعث على الفعل
او الترك وهو نوع من الوحي يختص به من يشا وفي رواية يفتح الله علي من محامده
وحسن الثنا عليه عطف تفسيري اذ كل منهما ثنا حسن ورد
حسن الاطناب في مقام المدح شيا لم يفتحه على احد قبلي
اي ولا بعدي اكتفا بالضد عن ضده ثم يقال في رواية ابي هريرة فيقال بني لمفعوله
للتعظيم يا محمد ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول
يا رب امتي يا رب امتي اي اسالك ان تعفو عنهم او تخلصهم مما نالهم وتكريره
لضيق المقام وشدة الاهتمام ومن ثم كرر فيقال ادخل من لا حساب عليه
من الباب الايمن من ابواب الجنة اكراما لهم وراحة من هول الموقف وتعجيلا
لدخولهم الجنة ببركة نبيهم اذ لم ينالوا هذه المنقبة الا باتباعهم اياه ممتثلين
اوامره مع اجتناب نواهيه وهم شركا الناس فيما سواه من الابواب هذا
وابيك الشرف حيث خصوا بافضل الابواب دخولا لم يشركوا فيه ولو ان
لهم في الدخول من باقيها ان ارادوا ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل
من قوله في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك الى فيما سواه من الابواب
وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع
تشفع واسال تعطه هذه الها للسكت كما في كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه
تثبت في الوقف لا في الوصل وقد استحب اثباتها في الوقف لثبتت في الامام وقرى
باثباتها في الوصل فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال اي ربنا عز وجل انطلق
فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة اي من ايمان شك الراوي في
رواية مسلم فاخرجه فافعل ويجوز ان يكونوا اخرجا من بين اهل الموقف كما ذكره
عليه اول الحديث من انهم هم المستشفعون به ليتخلصوا من ذلك الكرب ولا
اشكال فيه ولا ان يكون من النار ولتنفيذ اخر الحديث بانهم ادخلوها بل شفاعته لهم

وقد يجاب بان بعضا منهم ادخلها وبقي بعض في الموقف فاستشفعوا به فخلصوا
من الكرب ثم شرع في الشفاعة لمن فيها زمرا زمرا او يراد بالناس الجنس وما
كانوا فيه من كرب وشدة وبالخروج الخلاص من ذلك فانطلق فافعل اي ما امر
به من الاخراج ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول اي ثم اخر ساجدا
فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي
الى اخره وقال فيه من رواية مسلم مثقال حبة من خردل اي من ايمان فافعل ثم ارجع
الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من رواية مسلم من كان في قلبه ادنى
ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل اي من ايمان مثل الثقلة لا للوزن
اذ الايمان عرض لا يوزن ولكن ما يتردد فيه العقل يصاغ اليه من ابرز المحسوسات
ما يعلمه به فافعل اي ما امر به من الاخراج وذكر في المرة الرابعة من رواية البخاري
فيقال ارفع راسك وقل يسمع اي يجب الى ما سالت واشفع تشفع وسل تعطه
فاقول يا رب ائذن لي في الشفاعة لاخراج من قال لا اله الا الله منها فيه تلويح
بان ما قدر بمثقال حبة من برة او شعيرة ثم بمثقال حبة من خردل ثم بادنى ادنى
ادنى مثقال حبة من خردل هو غير الايمان الذي هو التصديق القلبي وقد يقال
ما يوجد في القلب من ثمرة الايمان قد يراد بها زيادة اليقين وطمانينة النفس او العمل
مما به يزيد وينقص قال اي الله تعالى ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي
وعظمتي وجبريائي وكمال ذاتي وعلوي وقهر العباد على ما اريد منهم من امر ونهي
وكلها تفيد معنى العظمة وحسن الاتيان بها كون المقام مقام مدح يحسن فيه
الاطناب لاخرجن من النار تعظيما لاسمي واجلالا لتوحيدي من قال لا اله الا الله
اي من يشهد انه لا معبود موجود قادر على كل شيء سواه قيل وبه خص عموم البخاري حديث
اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه ويشهد لكونه على
عمومه اختصاص كل باخراج ما اختص صلى الله عليه وسلم باخراجه من اثمر ايمانه من مزيد
يقين او عمل وما اختص ربنا باخراجه هو من تجرد ايمانه عنها يشهد له حديث الشيخين
ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا
قط اي غير لا اله الا الله وتاكيده خالصا من قلبه لكونه نتيجة الاخلاص ومعدنه
فذكره هنا تاكيدا وتقريرا لكونه منه او لو ترك يقولا ذا اردت التوكيد هذا ما ابصرته
عيني وسمعته اذني وعرفه قلبي ومن رواية قتادة عنه اي عن انس قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم فلا ادري في الثالثة او الرابعة اعتراض بين قال وقوله
افاد صدور شك اما من انس او من قتادة في ايهما قال فاقول يا رب ما بقي في النار
الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود منافقا وكافرا قال ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا وروى احمد وابن حبان عن ابي بكر وابنا ابي حاتم ومردويه

عن

عن عقبة بن عامر والترمذي عن ابي سعيد وابو داود في البعث عن حذيفة مثله
اي مثل حديث انس قال فياتون محمدا فيؤذن له اي في الشفاعة وحذف الفاعل
للعلم به وتاتي الامانة والرحم فيقومان عن جنبتي الصراط بفتح النون اي ها
جانباه يمنة ويسرة لعظم امرهما للتحام منهما وعظم شانهما ولزوم رعاية حقهما
يمثلان ثم فتشهدان للامين والواصل على الخائن والقاطع وقيل يجوز ان تحمل الامانة للامين
على الامانة العظمى المؤذن بها انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان والرحم على صلتها الكبرى المؤذن
بها يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فيدخل في الحديث
معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلقه فكانهما اكتنفتا جنبتي الايمان ونظام اكتنفتاه
الدين وفي رواية ابي داود في البعث عن ابي مالك الاشعري عن حذيفة فياتون محمدا
فيشفع فيضرب الصراط اي يوضع على متن جهنم جسرا ممدودا ادق من الشعر
واحد من السيف يشهد له حديث الحاكم وغيره على شرط مسلم يوضع الصراط
مثل حد الموسى وزعم بعضهم انه شعرة من شعر عينا لك ولا علم له فيه سلفا
ويبعد انه من كان ملازما للنار مخالطا لها دخولا وخروجا فجدير ان يكون كما ذه
شعره وحده غليظا متجافيا ولا اراه الا من بدع الوعاظ هذا وتامل ما زعمه غيره
من ان ضرب الصراط يشعر بمرور من يمر عليه مع كونه موضعا للمرور فان كان المرور
لمن عليه ففايدة ضربه استعجالهم وتخويفهم بتقضي منه عجبا فيمرون عليه فيتهافت
اهل النار فيها وينجو اهل الجنة يشهد له ثم ننجي الذين اتقوا اولهم كالبرق ثم
كالريح والطير وشد الرجال بالجيم اي العدو وهما اذ خطى من رواه بالمهملة
قاله ذلك البعض وفيه اشارة الى ان المرور للصراط وهذا اعجب مما مر واعجب
منه قوله ووصف مرورا ولهم بالبرق وثانيهم بالريح ليس في وسع البشر
حقيقة الا ان يراد المبالغة في سرعة المرور بخلاف اذا ما كان المرور كالصراط
والتمديد بان من خلق فيه سرعة المرور قادر على ان يوجد فيه لمح البصر البرق
مما يصدر عن القدرة من خوارق العادات ونبيكم يعني نفسه على طريقة التجريد
على الصراط يقول اي مستعليا عليه قائلا اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس عليه
لقوله ذلك او علة لاجتيازهم وذكر اخرهم جوازا اي على الصراط وفي رواية ابي
هريرة فيما رواه الشيخان عنه فاكون اول وفي رواية انا وامتي اول من يجيز لغة في
يجوز يقال جاز واجاز بمعنى لجلالته ولهم جهات الشرف وقصبات السبق
في كل مقام كريم وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عباس يوضع للانبياء منابر من
نور يجلسون عليها اكراما لهم وتنويها بجناب علمهم ويبقى منبري لا اجلس عليه

حال من المضاف اليه فاثبتها حال بعد حال اي تاركا جلوسي عليه حال قيامي بين يدي
ربي تصوير لموضع قيامه قريبا منه تعالى مشبها له بما بين جهتي يدي الانسان
فاستعار له بين يدي استعارة تمثيلية ثم قرنه بالقيام ترشيحا للمجاز فيقول الله
ما تريد ان اصنع بامتك مبالغة في مزيد اكرامه وكمال اعظامه فاقول يا رب عجل
حسابهم هذه من شفاعاته التي خص بها فيدعى بهم فيحاسبون مبنيا للمفعول لشفاعته
للعلم بفاعله فمنهم من يدخل الجنة برحمته بدون شفاعة فضلا منه وكرما
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي وهو برحمته ايضا بتوسط الشفاعة ولا
ازال مستمرا اشفع حتى اعطى غاية للشفاعة او علة لاعطائه صكاكا جمع صك
فارسي معرب اي كتبا برجال كتب فيها اسماؤهم وامر بهم الى النار فاردهم عنها
فلا يدخلوها وهذه ايضا من شفاعاته التي خص بها حتى ان خازن النار ليقول
يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة تعجب من كونه بحيث لا يرد له شفاعة
اي لم تدع لغضب ربك سببا يوجب لاحد نقمة ما وحتى هنا ابتدائية تستانف
بعدها الجمل الاسمية كما في حتى ماء دجلة اشكل وروى البيهقي وابو نعيم من طريق
زياد النميري عن انس انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته اي تنشق عن
راسه ومنه حديث يا فالق الحب والنوى اي شاقها للانبات ولا فخر تعاظما
وتكبرا بل شكرا لله وتحدثا بنعمه وانا سيد الناس يوم القيامة اعلام بما اكرمه الله
به من الفضل والسودد ليؤمن به ويجري على موجبه ومن ثم اتبعه بقوله ولا
فخر اذ ما اكرمه به ربه لم ينله من قبل نفسه ولا بلغه بحيلة بل بمحض فضل الله
وكرمه ومعي لواء الحمد يوم القيامة جريا على عادة العرب في اللواء لا يكون الا
مع كبير القوم ليعرف مكانه اذ موضوعه في الاصل شهرة مكان الرئيس وانا
اول من يفتح له الجنة ولا فخر فاتي باب الجنة فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول
محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار كانه عزا له ما يظهر له صلى الله عليه وسلم من فيستقبلني ٢
اثار شدة غضب ربه وقهره عباده ونفاذ حكمه فيهم وخص هذا الاسم دون
غيره لاختصاصه بما له بظاهر ذلك اذ هو مقام ارادة انتقام اشبه ذلك قول ادم
ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله فاخر له
ساجدا استعطافا له وطلبا لرضاه على عباده وفيه ارشاد الى استحباب
تقديم بين يدي المطالب المهمة ما يتم نجحها وفي الطبراني الاوسط من رواية
انس لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر رواه عنه
شهر بن حوشب قال ابن عبد البر ليس اسناده بقوي هذا ورواه احمد بسند
حسن عن بريدة بلفظ اني لاشفع ولا يبعد ان تشفعت به صلى الله عليه وسلم
النباتات والجمادات مما لا يعقل فيخفف من حر نار جهنم وبرد زمهريرها عافانا الله

منها

منهما فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاحاديث شفاعته ومقامه المحمود الذي
خص به يحمده فيه الاولون والاخرون من اول الشفاعات وهو العظمى لفصل القضاء الى
اخرها من حين يجتمع الناس حيارى وما قبله وهذا ظرف لوقوع الشفاعات و
ظهور مقامه المحمود ومن ابتدائيه فابتداؤهما من حين اجتماعهم للحشر وبعد
سؤالهم الانبياء ليشفعوا لهم دقة قوله وتضيق بهم المحاجر حتى لا يكاد احد
منهم يخرج نفسا مما عمر الجوانح من نفائسهم وتراكم الغم بصوادع القلوب
وصوادع الهول فيرتفع الى الحنجرة وهي راس الغلصمة حيث تراه ناتيا فتضيق به
ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف كل منهما مبلغه بالله من مبلغ ما افظع
منظره وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ اي حين تضيق بهم المحاجر ويبلغ
ما ذكر مبلغه الاليم لاراحة الناس بالاتيان والمعقول له الشفاعة من
الموقف ثم يوضع الصراط على ظهر جهنم كما ورد فيحاسب الناس كما جاء في
الحديث عن ابي هريرة وحذيفة فيشفع صلى الله عليه وسلم في تعجيل من لا حساب ب
عليه من امته الى الجنة فيدخلهم من الباب الايمن من ابوابها كما مر فهذه وما
بعدها من المختصة به كما تقدم في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة ثم
تشفع فيمن اوجب عليه العذاب ودخل النار منهم كما تقدم حيث
بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدر اي وفق ومثله ما تقتضيه الا حاديث
الصحيحة الواردة اعلاما بذلك فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا
اي ليس قبول شفاعته فيمن قال لا اله الا الله لسواه من الشفعاء وينبغي
حمله على من اتى بتوحيد زيادة طمانينة او فعل كما تقدم انه الخاص به صلى
الله عليه وسلم واما من تجرد توحيده فخاص اخراجه برب العزة تعالى بشهادة
حديث البخاري المار بان ذلك فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك
لك وفي الحديث الصحيح المنتشر الذي رواه الشيخان لكل نبي دعوة يدعو
بها واختبات دعوتي شفاعة لامتي اي ادخرتها وجعلتها لهم ذخيرة
عند الله يوم القيامة قال اهل العلم معناه لكل منهم دعوة اعلم انها تستجا ب
لهم يقينا متيقنة الاجابة ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكل لهم تستجاب
لم يقينا وقع الخلف في الاخبار فلم لكل نبي دعوة مستجابة استجيبت له
في الدنيا وليس منها من الدعوات المجابة ما لا يعد كثرة ولا يكاد يحصى لكن حالهم
في باقي دعواتهم على طمع منهم في اجابتها عندنا لدعائهم بين الرجا والخوف ده
بولادره وضمنت لهم من دعواتهم التي لحست على تعين من الاجابة اجابة لها ٢
دعوة فيما شاءوا يدعوا كل منهم بها لنفسه او لقومه او عليهم على تعين من
الاجابة حال من ضمير يدعو وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن

ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعى بها في امته حال من ضمير دعا
فاستجيب له حذف فاعله للعلم به اي استجاب الله له دعاءه واتى بدعا هنا
ماضيا وفيما قبله مضارعا اراءة للسامع كانه يشاهد كلا وقت دعائه وانا
اريد ان اختبئ دعوتي قدم المسند اليه للاختصاص به او للتقوية والتاكيد
فالواو للحال شفاعة لامتي يوم القيامة شفقة عليهم بحسن نظره لهم
وفي رواية للشيخين عن ابي صالح عن ابي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة
فتعجل كل نبي دعوته وضع الظاهر موضع المضمر لانه متقدم لشانه بحسن
فيه بسط الكلام حيث الاصغاء مطلوب واني اختبأت دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيامة رواه مسلم فهي نائلة اي صائبة وواصلة بمعنى شاملة
لهم ان شاء الله قاله تيمنا وتبركا امتثالا لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله من مات محله النصب مفعول لنائلة لا يشرك
بالله شيئا محله نصب على الحال من ضمير مات اي غير مشرك بالله شيئا
هذا ولا يذهب عنك ان هذا الحديث ناص لمذهب اهل الحق ان من مات
مؤمنا غير تائب من الكبائر لا يخلد في النار فتكون هذه الدعوة المتيقنة
الاجابة مخصوصة بالامة لا تنال غيرهم كما افادته الاضافة مضمونة
الاجابة من قبله صلى الله عليه وسلم بوحي او الهام والا يقال انها مضمونة
الاجابة وقع الخلف في الاجابة فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه تبارك
ربه وتعالى لامته اشياء من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها
بينها بقوله سالت ربي لامتي ثلاثا فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة سالته
ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسالته ان لا يهلك امتي بالغرق
فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها واخبات هذه الدعوة
ليوم القيامة اي يدعو بها فيه لهم وخاتمة المحن عطف على يوم جمع محنة
وهي ما يصاب به من الشدائد ابتلاء واختبارا وجعل اليوم نفسه محنة
مجازا مرسلا لعلاقة الظرفية وفي حديث الشعبي المحنة بدعة اراد ان
الظالم اذا امتحن رجلا فلا يزال يقول له فعلت فعلت حتى يقول ما لم يفعله
او ما لا يجوز فعله فذلك بدعة وعظيم السؤل والرغبة عطف تفسيري
اذ الرغبة السؤل والطلب وفي الحديث افضل العمل منح الرغاب لا يعلم
حسبان اجرها الا الله وهي في الاصل الابل الواسعة الدر التي تنفع
جمع رغيب وهي الواسع يقال جوف رغيب وهو الواسع وواد رغيب
ولما اراد الحجاج قتل سعيد بن جبير قال ايتوني بسيف رغيب اي واسع الحد
ياخذ من ضربته كثيرا وذلك اليوم يكثر فيه الحرص وتعظم فيه الرغبة فيما

عند

عند الله من الرغائب وفي الحديث لا تدع ركعتي الفجر فان فيهما الرغائب اي
ما يرغب فيه من عظيم الثواب فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم في
الجنة بالوسيلة وهي لغة ما يتوسل ويتقرب به يقال وسل اليه وسيلة وتوسل
والمراد بها القرب من الله ومنزلة من منازل الجنة يفوز بها من بين سائر سل
الدرجات بانواع الكرامات والدرجة الرفيعة مما فيه مزيد لمستنم والكوثر
فوعل من الكثرة والواو زائدة ومعناه الخير الكثير ومنه رجل كوثر اي كثير
العطاء وفي الحديث اعطيت الكوثر وهو نهر في الجنة والفضيلة فعيلة من
الفضل ضد النقص يا لها من فضيلة لا تزام ومنقبة لا تسام وقد ذكر هنا
شواهد لتفضيله في الجنة بما ذكر منها حديث ابي داود ورواه ايضا مسلم
والترمذي وانما اسنده اليه لقرب سنده اليه عن عبد الله بن
عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اورده مضارعا تبصرا
للشاهد كانه يشاهده صلى الله عليه وسلم قائلا اذا سمعتم المؤذن فقولوا
مثل ما يقول من كلمات الاذان جميعها وخص منها الحيعلتين بحديث مسلم
وغيره عن عمر انه يقال اذا سمعنا لا حول ولا قوة الا بالله وهل الامر
بالقول المعلق بالسماع واجب على من سمع حيث لا مانع او مندوب قال
النووي فيه خلاف ذكره الطحاوي والصحيح عند الجمهور ندبه واختلفوا
هل يندب عند سماع كل مؤذن او الاول فقط رجح ابن عبد السلام في فتاويه
الموصلية ندبها اجابة الكل قال والاول اكد ثم صلوا علي امر لمن سمع الاذان
ان يصلي عليه عقبه وقد صرح بعض بوجوب الاجماع فانه الصغير لكنا
نفسر من صلى علي اي مرة بقرينة المقام مع ما ورد مصرحا بها صلى الله
عليه بها اي بالمرة او بالصلاة مرة عشرا رتبها على المرة لانها من اشرف
الحسنات قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ثم سلوا الله لي
الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي ولا يليق اعطاؤها الا لعبد
عظيم شانها دل عليه التنكير من عباد الله وارجو ان اكون انا هو يجوز ان يجعل
انا مبتدأ خبره هو والجملة خبر اكون وان يجعل انا تاكيدا للاسم وخبرها هو وضع
موضع اياه او موضع اسم الاشارة اي انا ذلك وذكر ذلك بلفظ الرجاء مع تحققه
واختصاصه صلى الله عليه وسلم بارفع المنازل عند ربه تادبا وتشريفا وهو
يؤذن بجواز سؤال الدعاء من المفضول ليفوز من المدعو له مع ثواب ما يعظم
كشفا عنه المرتب حطها هنا للداعي على دعائه لها في قوله صلى الله عليه وسلم
فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة اي وجبت وجوبا واقعا عليه او
غشيته ونزلت به وفي حديث اخر رواه الترمذي عن ابي هريرة الوسيلة

حلت عليه الشفاعة اي وجبت وجوبا واقعا عليه او غشيته ونزلت به
وفي خبر آخر رواه الترمذي عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة
في الجنة فهي له لمناسبة الاعلى للاعلى وروى البخاري عن انس بينا انا
اسير في الجنة اذ عرضت اي فاجاني نهر حافتاه اي جانباه وطرفاه فيهما
لؤلؤ مثل القباب جمع قبة وهي بيت صغير مستدير يعتاده العرب ومثلها في
البهجة والنضارة فقلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله ثم
ضرب بيده الى طينه فاستخرج مسكا اظهارا لشرف المنعم عليه وعظم
المنعم به وسماه طينا جريا على غالب العادة في كون مقر الماء طينا وعن عايشة
وعبد الله بن عمرو ومثله اي مثل حديث انس قبله قال اي رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حديثهما ومجراه على الدر جمع درة اي اللؤلؤ والياقوت وتحته
المسك كالطين تخصيصا لما قدمنا فانت بين حديثهم وماؤه احلى اي الذ
حلاوة من العسل وابيض من الثلج وفي رواية من اللبن وفي اخرى اشد بياضا
من الثلج وهذا ناص لقول النحاة لا يبنى اسم التفضيل لفعل التعجب من
الالوان بل يتوصل اليه بمثل اشد والاولى ان نجوز ذلك فيقال زيد ابيض
من خالد وما ابيض بكرا ولا يلزم من كونه احلى من العسل الاستغناء به عن
النهر العسل المصفى في الجنة لانها ليست للشرب وفي رواية فاذا هو
يجري مبتدا وخبر بعد اذا الفجائية ولم يشق شقا الواو للحال من ضمير يجري
من شق البرق اذا لمع مستطيلا الى وسط السماء بدون اعتراض في الافق
اي يجري حال اعتراض ماء بحافتيه ممتليتان به جريا عريضا شديدا ان
منتابعي بشهادة يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة مستطيلا بدون
اعتراض وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم سئل عن برق وسحاب مرتفعا قال
اخفوا ام وميضا ام يشق اي ام يلمع مستطيلا بلا اعتراض ويشق عطف على
فعل انتصب به المصدر ان تقدير اخفي ام يومض ام يشق عليه اي على النهر
حوضي من خشانهما ممتد من مآبه لانه على جانبه اذ هو في الجنة والحوض
خارجها بشهادة ليردن على الحوض اقوام لا اعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم
فاقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي
ترد عليه امتي يوم القيامة ولعله بعد الحساب والنجاة من النار وروى البخاري
عن ابن عباس الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه لم يصفه بالكثير كما في بعض
الروايات للعلم به من الصيغة اذ هي من الكثرة للمبالغة وقال سعيد بن جبير
والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله تشريفا له وتكريما وعن
حذيفة فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه واعطاني الكوثر فهو خبر محذوف

حذف مبتدؤه اي هو بشهادة رواية اعطيت الكوثر وهو نهر في الجنة يسيل في حوضي
وروى ابن جرير وابن ابي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال اي ابن عباس قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك
وفيه ما يصلحهن من ازواج وخدم وزينة واثاث مما لا يعلم كنهه سواه واللام
للابتداء دخلت خبر المبتدا بعد حذفه اي ولانت سوف يعطيك لا للقسم اذ
لا تدخل مضارعا له بدون نون موكدة وكفى لجمعها مع سوف شاهدا بان العطا
كاين لا محالة وان تاخر لحكمة من انا لوعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الدين
واعلاء الكلمة ولما ادخر له مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وفي رواية وفيه ما ينبغي له من الازواج والخدم انث ثم ذكر ثم انث معتبرا
للمعنى ولفظه فصل اورد فيه سؤالا استشعره مما تقدم مشاهدا بتفضيله
صلى الله عليه وسلم على غيره تجردا من نفسه آخر سائلا مخاطبا له بقوله فان قلت
اذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الاخبار الاضافة فيهما لفظية اجماع الامة على كونه
اكرم البشر وغيرهم ملائكة وجنا وافضل الانبيا وعطفهم على ما
شملهم لزيادة كرم فيه فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل
بين الانبيا كقوله فيما اسنده هنا من طريق مسلم الى ابن عباس ورواه البخاري
ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس
بن متى وورد عنه هنا بجزم في خبر النفي افاد شموله كل مكلف ويختلف الحكم
بمرجع انا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذي يمثله كفر المدعي
ادنى كذا ناجز منه وان كان نبيا فينبغي له التواضع لما اكرم به من النبوة الموذونة
بمعرفة ربه وشرايعه وادابه وكذا التوبة وانما خص يونس بالذكر دون
غيره من الرسل لما قصه الله في كتابه عنه من توليه عن قومه وتضجره منهم وقلة
صبره وعدم مبالاته لهم حين راموا التنصل تبدلط الاجابة عنهم فقال ولا تكن
كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقال وهو مليم وقال اذ ابق الى الفلك المشحون
فخشي من صلى الله عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء امته ما يودي الى تنقصه فبين
ان ذلك ليس بقادح فيما منحه الله به من كرامة النبوة وشرف الرسالة وانه سمع
ما صدر منه كاخوانه من المرسلين وفي حديث الشيخين الذي رواه عن ابي هريرة
في اليهودي الذي استب هو ورجل من الانصار وقال والذي اصطفى
موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال تقول ذلك والنبي بين
اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدعى الانصاري فاخبره بذلك فقال
لا تفضلوا بين الانبياء اي لا تفضلوا عليه باهوائكم وارائكم ومعناه بالنصب المهملة
لا تفرقوا بينهم بتفضيل ذي الحجة لا توقعوا بينهم وفي رواية لنا ولابي داود

والنسائي لا تخيروني على موسى قاله تواضعا وهضما لنفسه ولا ينافي قوله انا
سيد ولد ادم ولا فخر اذ لم يقله تطاولا ولا علو على احد بل تنويها للنعمة واعترافا بالمنة
وردعا للضعفاء امته عن ايقاع تفضيل بعض الانبيا على بعض من تلقاء انفسهم
لافضائه الى عصبية تورث افراطا وتفريطا فذكر الحديث قال فان الناس
يصعقون يوم القيامة فاصعق فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب
العرش فلا ادري اكان فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله وفي رواية فلا
ادري اجوزي بالصعقة ام لا وهي غشيان تغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه
وربما مات ثم استعمل في الموت كثيرا والمراد به هنا ما افاده وخر موسى صعقا
قال المصنف وهذا من اشكل الاحاديث لان موسى مات فكيف يصعق وانما
يصعق الاحيا فيحتمل ان تكون هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق
السما ويوجه قوله فافيق فانه انما يقال افاق من الغشي وبعث من الموت وبه
جزم التوربشتي قال واما الصعقة في الحديث فهي بعد البعث عند نفخة
الفزع واما البعث فلا تقدم لاحد على نبينا فيه واختصاص موسى بهذه
الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواضح عمه وفيه
اي في هذا الحديث ولا اقول ان احدا خير من يونس بن متى اي لا اقوله من تلقا
نفسي ولا افضل احدا عليه اي من حيث النبوة والرسالة اذ شانهما لا يختلف
باختلاف الاشخاص فهم في الاكرام بها سوا وان اختلفت مراتبهم وقد استعمل
احدا في الايجاب للعموم تاويلا له بالنفي كانه قيل لا احد افضل من يونس اذ قد
يعطى الشي حكم ما هو بمعناه ومنه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات
والارض ولم يعي بخلقهن بقادر اعطي بقادر حكم اليا في الخبر حكم اوليس الذي
لانه بمعناه وروى البخاري عن ابي هريرة ومن قال انا خير من يونس بن متى
فقد كذب يجوز رجوعه الى النبي صلى الله عليه وسلم او الى كل قايل اي لا يقول
ذلك احد وان بلغ في العلم والعبادة وغيرهما من الفضايل ما بلغ اذ لم يبلغ ما بلغه
يونس من درجة النبوة وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى
اي في النبوة والرسالة لعدم اختلافهما باختلاف موصوفهما وفي حديثه اي
حديث ابن مسعود الاخر الذي رواه مسلم وابو داود والترمذي فجاه صلى
الله عليه وسلم رجل فقال له يا خير البرية اي الخلق من براه الله يبروه برا اي خلقه
قال في النهاية ولم يستعمل مهموزا فقال ذلك ابراهيم قاله تواضعا واكراما لابيه
ابراهيم فاعلم ان للعلما في هذه الاحاديث الناهية عن التفضيل بين الانبيا
تاويلات تقدم ذكرها استطرادا وجملة ان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي
اعلم احدها اي احد التاويلات ان نهيه عن التفضيل بينهم كان قبل ان يعلم انه

سيد ولد ادم هذا انما يصلح جوابا على تقدير رجوع انا الى النبي صلى الله عليه
وسلم دون غيره فنهى عن التفضيل اذ هو لتوقفه على ورود سمع يحتاج الى توقيف
دون تجويز الاقدام عليه وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا اقول
ان احدا افضل منه لا تقتضي تفضيله هو صلى الله عليه وسلم لغيره على يونس لدخوله
في عموم النكرة في سياق النفي ولا يقتضي تفضيل يونس عليه صلى الله عليه وسلم وانما
هو في الظاهر كف منه صلى الله عليه وسلم لغيره عن التفضيل اذ من شانه يؤدي
الى النقص الوجه الثاني انه قاله على طريق التواضع ونفي التكبر والتعجب فخرا وتطاولا ولا
بل تحدثا بالنعمة واعترافا بالمنة وهذا لا يسلم من الاعتراض لايذانه بعلمه جواز
ما نهى عنه من التفضيل وبما خص به من السودد بعدم جريه على موجب علمه
اخبارا بخلاف الواقع نبا في منصب النبوة قلنا التواضع من دأب الانبيا ودينهم نعم
وليس اخبارا بخلاف الواقع بل هو ارشاد لامته ليقتفوا اثار سنته ويتبعوا سبيله
فلا منافاة الوجه الثالث انه لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى نقص بعضهم
او الغض بمعجمتين اي النقص منهم جميعا ويفهم منه جوازه لا على جهة النقص
لكن يمنع منه مع جهل جوازه وان صادف محلا لامتناع الاقدام عليه كما منا له
جهلا لا سيما كله استثنا من شي وما ثم لك ان تجعل ما موصولة فيرتفع الاسم
بعدها خبر مبتدا محذوف كما في جا القوم لا سيما اخوك اي لا سيما الذي هو اخوك او زايدة
فتجر بسي لانها بمعنى مثل كما في اكرم القوم لا سيما اخيك اي ولا مثل اخيك اكراما وقوله
امرء القيس ولا سيما يوم بدارة جلجل وردمروفا ومجرورا اي خصوصا اذا
كان التفضيل في جهة اذ لم يبذره الله في جملة اولي العزم والصبر من الرسل لقلة
صبره وتليته وذهابه مغاضبا لقومه قبل ان ياذن له ربه وقد اخبر الله عنه
بما اخبره في تنزيله فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم فالتقمه
الحوت وهو مليم فنبذناه بالعرا وهو سقيم فنهى عن التفضيل عليه لئلا يقع في نفس
من لا يعلم انه تداركه نعمة من ربه وانه اجتباه ربه فجعله من الصالحين منه اي من
يونس بذلك الباء سببية ومنه متعلق بغضاضة اي لئلا يقع بسبب ما اخبر الله
عنه في نفس جاهل ذلك غضاضة منه اي نقص وحقارة وانحطاط من رتبته الرفيعة
اذ قال الله عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اي المملو واصل الاباق الهرب من السيد
وحسن اطلاقه عليه هنا لهربه من قومه بغير اذن ربه فظن ان لن نقدر عليه
اي لن نضيق او لن نقضي عليه بالعقوبة ونصر قراءته مثقلا ومثل كالة تخالف
من ظن ان لن نقدر في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا وروي ان معاوية
قال لابن عباس لقد نطق بي اللوح ان لا يقدر الله عليه فقال له هذا من القدر
لا من القدرة فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الذي اخبر به عنه في

كما ان الوجه الرابع منع التفضيل المفاد بالنهي عنه انما هو في حق النبوة والرسالة
فان الانبيا فيها من حيث هي في نفسها على حد واحد فلا يقال فضلا نبوة ادم افضل من
نبوة غيره منهم اذ هي في حد ذاتها شي واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في
زيادة ما منحه بعضهم دون بعض من الاحوال الزايدة عليها والخصوص والكرامات
والرتب والالطاف ولذلك اي ولما ذكر من كون التفاضل انما هو في زيادة
ما ذكر كان منهم رسل واولوا عزم من الرسل اي اولوا ثبات واجتهاد وهم اصحاب
الشرايع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على حمل مشاقها ومناواة من
طعن فيها ومشاهيرهم كما مر نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ومحمد صلى
الله عليه وسلم وكان منهم من رفع مكانا عليا وهو ادريس سبط شيث وجد
ابي نوح واسمه اخنوخ وكان منهم من اوتي الحكم صبيا وهو يحيى بن زكريا احكم
الله عقله في صباه واستنباه واتاه الحكمة وفهم التوراة واتى بعضهم الزبور
وهو داود وبعضهم البينات وهو عيسى اتاه معجزات وجعلها سببا
لتفضيله لترجيحها غيره ومنهم من كلم الله كموسى كلمه مرتين على الطور وليلة
الحرم ورفع بعضهم درجات تفضيلا له على غيره من وجوه متعددة او مراتب
متباعدة قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بفضايل نفسانية
منزهين عن العلايق الجسمانية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
بمناقب ليست لغيره قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا انما هو
في الدنيا وذلك اي تفضيل بعضهم على بعض فيها بثلاثة اوجه ان تكون اياته
ومعجزاته ابهر من بهر ضوء القمر ضوء الكواكب اي اغلب واشهر كالقران
وانشقاق القمر لنبينا وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية لموسى او تكون امته
ازكى واكثر كامة نبينا اذ قال الله فيهم كنتم خير امة وقد بعث للناس كافة وكالم
بجاله [illegible] او يكون النبي المفضل في ذاته افضل واظهر اي اشهر من غيره من الانبيا
وفضله اي فضل كل نبي راجع الى ما خص به من كراماته له بما اكرمه ومناقب
عظيمة واختصاصه بالجر عطفا على مدخول الى اي والى من كلام لموسى ليلة الحرم والطور
ولمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى او خلة لابراهيم
فلقد اتخذه خليلا او رؤية لنبينا ليلة الاسرى او ما شا الله لاوليك الاكرمين
عليه الاعظمين لديه من الطاف وتحف ولايته واختصاصه اياهم بما لا تعلم
نفس ما اتوه وما اخفي لهم من قرة اعين فقد نرى كما في تفسير ابن ابي حاتم
ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبوة
اثقال لا تعرض لها بسبب تبليغ الشان وانذار وان يونس لعدم اذعان قومه له
وترك انقيادهم لما دعاهم اليه لشدة شكيمتهم وتماديهم ضلالهم تفسخ منها

كرامته

تفسخ

تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل وهو بضم الرا وفتح البا ما ولد في زمن الربيع
وفي المثل افلح من له ربعيون جمع ربعي على غير قياس فحفظ صلى الله عليه
وسلم بنهيه عن التفضيل بينهم موضع الفتنة من وهام متعلق بحفظ
او من بيانه لموضعها اي الذي هو اوهام من يسبق لسببها اي بسبب
اثقالها من سام وضجر وحرج نفس جرح في نبوته وقدح في اصطفايه وحط
من رتبته ووهن في عصمته اي ضعف فيها بتوهمه ذلك شفقة مفعول له
الحفظ على امته وقد يتوجه على هذا وجه خامس وهو ان يكون انا في الاحاديث
السابقة راجعا الى القايل نفسه اي لا يظن وان بلغ من الزكا والعصمة والطهر
ما بلغ انه خير من يونس بن متى لاجل ما حكى الله عنه في ذلك القايل منزلته مما افاد
تضجره وتبرمه من قومه وقلة صبره على تماديهم في ترك الايمان بما جاهم به وسوق
الكلام موذن بان هذا من غير الانبيا لشهادة قوله فان درجة النبوة افضل
واعلا فعصمة غيرهم بمعنى الحفظ لا النبوة الموجب لعدم صدور ذنب عنه
كما للانبيا وان تلك الاقدار لم تحطه عنها اي عن درجة النبوة حبة خردلة
ولا ادنى اي اقل منها فصل في اسمايه وما تضمنته من فضيلته من حيث انها
اعلام موذنة بجلال مدحه شرفه وسوددا وبغاية رفعته قدرا ومرتبة وقد
اسند هنا شاهدا لذلك حديث مالك عن محمد بن جبير بن مطعم مرسلا مع وصله
الشيخين له عن محمد بن جبير عن ابيه متصلا لعلو سنده بدرجتين على سندهما في
خمسة اسما قدم الجار على مجروره لزيادة تقريره وتاكيد معناها فايدة او للحصر من
حيث ان له اسما متعددة دون غيره هذا وقد نقل ابن العربي في شرحه على
الترمذي انها الف وقال ابن فارس في الفان وعشرون انا محمد الذي علم حاله
في حيازة الشرف والكمالات علمية وعملية وملكات نفسية ولهذا صح الحمل
في القضية كما في انا ابو النجم وشعري شعري ومحمد اسم مفعول من التحميد
مبالغة في الحمد تقول هذا محمود فاذا بلغ النهاية فيه تكامل خصاله وما يحمد
المحمود فهو محمد وهو منقول من الصفة تفاولا ان سيكثر حمد الناس له وعن
ابن قتيبة ان من اعلام نبوته انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله لهذا
الاسم اذ قد سماه في كتبه وبشر به الانبيا فلو تسمى به غيره وقع الاشتراك
والتبس وان له واعي وقعت الشبهة لكن لما قرب زمنه وبشر به اهل
الكتاب تسمى به قليلون لم يدع احد منهم النبوة وانا احمد اسم تفضيل
من الحمد قطع متعلقه للمبالغة وله مزيد بيان ياتي قريبا وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر ويعني اثاره بسطوع الحجة وظهور دينه على الدين كله ولم ينقل
به ليعود ضمير الصلة الى الموصول لان قصده الاخبار عن نفسه مع ان صيغها

اصل الزكا والزاي

عيان عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس وقد سمي في حديث اخر بالذي يمحى به ن
سيات من تبعه كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف **وانا الحاشر**
الذي يحشر الناس على قدمي روي بتخفيف الياء وتشديدها اي على اثري وزمان
نبوتي وليس بعدي نبي يشهد له رواية وانا الحاشر الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته
دون ملة غيره **وانا العاقب** اي الاتي عقب الانبيا وليس بعدي نبي فقال ابن الاعرابي
هو من يخلف في الخير من كان قبله ومنه عقب الرجل لولده **وقد سماه في كتابه محمدا**
واحمد وما محمد الا رسول ما كان محمد ابا احد من رجالكم محمد رسول الله ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد **فمن خصايصه تعالى له** مصدر مضاف الى فاعله
اي فمن ما خصه الله به **ان ضمن اسمايه ثناه** تفخيما لشانه وتعظيما لمكانه حيث
ميزه بمعانيها في نصف به **وطوى** عطف على ضمن وهو بمعناه وغاير بينهما لفظا
تفننا في مقام نشر محاسنه ونشر مناقبه اي ومما خصه به طيه **اثنا ذكره عظيم**
شكره في مواطن تكاد تعوننا الحصر مثل وانك لعلى خلق عظيم وانك لتهدي الى
صراط مستقيم **فاما اسمه احمد فافعل** تفضيل **مبالغة** لان دلالته ثبوت زيادة
الحمد وصف متعلقه والافضل ليس من صيغ المبالغة بل هو **من صفة الحمد**
ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد مثل تحمد بوابه ودعوتنا للفظة اذا فعلت
به ذلك مرة بعد اخرى والاحسن من التحميد كما مراد هو المبالغة نفسه لا لانه
على بلوغ النهاية كما يقال في الحمد محمد وفي الذم مذمم اذ لا يلزم من الكثرة المبالغة
المجاوزة حد الكثرة **فهو اجل من حمد** بما مدح منه مرضيه **وافضل من حمد** على
خصال فيه رضيه **واكثر الناس حمدا** حامدا ومحمودا لبلوغ الحامدية والمحمودية
فيه نهاية الكمال **فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين** والمبالغة صلى الله عليه
وسلم شرف صفتيهما ضمنهما فيها مع ان القياس مما ينفصل على الفاعل دون
المفعول **ومعه لوا الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات**
جمع عرصة في الاصل كل موضع واسع لا بنا فيه اي عرصات يوم القيامة **بصفة الحمد**
ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما وعد في تنزيله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا **يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم** واراحتهم من هول ذلك
الموقف الفظيع **ويفتح عليه من المحامد** جمع محمد بمعنى الحمد **كما قال ما لم يعط غيره**
من المخلوقات **وسمى امته في كتب انبيايه بالحامدين** كما في حديث الدارمي عن كعب
يحكي عن التوراة في لفظ مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ
ولا صخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة
وهجرته بطيبه وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه
على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جا وقتها يتازرون على انصافهم

ويتوضون

ويتوضون على اطرافهم مناديهم ينادي في جو السما وصفهم في القتال كصفهم
في الصلاة سوا لهم بالليل دوي كدوي النحل **تحقيق** لها مفصحة عن مقدر
اي واذا اختص بما منحه من مناقب جميلة ووصف به من مآثر محموده فجدير **أن**
يسمى محمدا واحمد لاكثرية محامده **ثم في هذين الاسمين من عجايب خصايصه**
وبدايع الدالة على نبوته **في اخر هو ان الله حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه** الذ ي
وجد فيه وبعث **اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت به** كما اخبر الله عن
عيسى اذ قال يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد **فمنع الله بحكمته ان يسمى به احد غيره** ه
ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل علة المنع التسمية اي فعلنا ذلك حذرا
من ان يراد **لبس على ضعيف القلب وشك** في معدن النبوة ومنبع الرسالة
وحذرا من الاشتراك في الاسما المؤذن باشاعة الدعاوي ووقوع الشبهة ه
وكذلك اي وكما منع احدا اسمه **محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيره** العرب
الى ان شاع غاية لعدم تسمية احد باسم محمد **قبيل وجوده وميلاده ان نبيا**
يبعث اي شاع بعثه نبي **اسمه محمد فسمى قليل من العرب ابناهم بذلك رجا**
ان يكون احدهم هو النبي المسمى محمدا **والله يعلم حيث يجعل رسالاته وهم** اي
المسمون بمحمد قبل ميلاده **محمد بن احيحه** بمهملة مضمومة ومهملتين بينهما يا **ابن**
الجلاح بجيم مضمومة **الاوسي ومحمد بن مسلمة الانصاري** احد بني حارثة **ومحمد**
بن برا بمهملة مشددة ممدوده **البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد**
بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي بمعجمة مضمومة فزاي وعين مفتوحة بينهما الف
السلمي لا ثالث لهم وذكر ابن الانباري محمد بن عتوارة الليثي الكناني ومحمد بن
حرمان بن مالك التيمي العمري احدهما بدل ابن برا وزاد مغلطاي محمد
بن عدي بن ربيعة بن سعد المنقري ومحمد بن عثمان السعدي ومحمد الاسدي
ومحمد الفقيمي ومحمد بن خولي الهمداني ومحمد بن مزيد بن ربيعة ومحمد بن اسامة بن
مالك **ويقال اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان** بن مجاشع التيمي **واليمن تقول**
بل المسمى بذا اولا محمد بن **اليحمد من الازد ثم** لغدان تسموا به **حمى الله كل من**
سمي به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك في
امره احدا حتى تحققت السمتان له اي المحمدية والاحمدية واتصف بهما في نفس
الامر ولم ينازعه فيهما في نفس الامر من سمي بذلك احد او النبوة والرسالة
اي النبوة وعدم دعواها من احد منهم لنفسه او ادعايها له **ولم ينازع فيهما**
واما قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث بما ذكر ن
واعاده هنا ليرتب عليه بيان محل محو الكفر بقوله **ويكون محو الكفر** اي اذهابه

وعفوا انا ان اما من مكة وبلاد العرب وما دوي لي من الارض الوارد بحديث
زويت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها اي جمع له وعد انه سيبلغه
ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة على دين قوم في كل
زمان كما قال هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله وروى البيهقي وابو نعيم انه الذي يمحيت به سيات من تبعه لقوله تعالى
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله وانا الحاشر الذي يحشر
الناس على قدمي لم يقل على قدمه لان قصد الاخبار عن نفسه كما في انا
الذي سمتني امي حيدره واعاده ليفسره كما فسرناه انفا اي على زماني
وعهدي اي ليس بعدي نبي يحشرون اخر زمانه كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا كما قال ابن العربي لانه عقب غيره من الانبيا اي جا عقبهم وخلفهم
في الجنس وقيل معنى على قدمي يحشرون بمشاهدتي اي مشاهدا لهم كما قال
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا اي مشاهدين لهم وهو مشاهد لكم وهذا مخالف لظاهر
الاية المفاد بالتعدية فيها بعلى ولو كان كما زعم لكانت باللام ومعنى قوله
لي خمسة اسما قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند اولي العلم من الامم
السالفة وقد روى كما في الدلايل لابي نعيم وتفسير ابن مردويه من طريق
ابي يحيى التيمي وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل
عنه صلى الله عليه وسلم لي عشرة اسما لا معارضة بينه وبين حديث
خمسة اسما وعند من قال بمفهوم العدد ليس بحجة ولعدم افادة التقدير
فيها الحصر وذكر منها اي من العشرة طه ويس حكاه مكي كما تقدم
واعاده هنا ليتبعه قوله وقد قيل في بعض تفاسيرها انه يا هادي
يا طاهر فالها من هادي والطا من طاهر ويس يا سيد حكاه ابو
عبد الرحمن السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره اي غير ابي محمد
مكي له عشرة اسما فذكر الخمسة التي هي محمد واحمد والماحي والحاشر
والعاقب في الحديث الاول وقال كما رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا ولنا
رسول الرحمة يشهد له وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقوله
صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة والرحمة العطف والرافة
والاشفاق ورسول الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب واضيفت له لحرصه
على الجهاد المامور به ومسارعته في المقارعة وعدم احجامه عنها ومن ثم
قال علي كنا اذا احمر الناس اتقينا برسول الله فلم يكن احد منا الى العدو اقرب
منه ورواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا بلفظ انا رسول الرحمة وانا رسول الملحمة

كل ع

السلمي

ولا تعارض بين الحديثين اذ قد ارسل سلما للاوليا وحربا للاعدا ويشهد له انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وانا المقفى قفيت النبيين اي جيت
بعدهم متبعا لهم فاذا قفي فلا نبي بعده قال تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا
وانا قيم والقيم الجامع الشامل للكارم الشريفة والمكارم النفيسة الكامل فيها
كذا وجدته ولم ادر روه اي عن احد من ايمة الحديث هذا وقد رواه الديلمي في فردوسه
ولم يسنده في مسند الفردوس وفي النهاية حديثا اتاني ملك فقال انت
قثم وخلقك قيم اي مستقيم حسن قال المصنف واري ان
صوابه قثم بالثا المثلثة من القثم وهو الجمع ابقال للرجل المجموع للخير قثوم
ومن ثم قال وهو اشبه بالتفسير اي الذي ذكره قريبا وقد وقع اي
القيم بالتحتية ايضا في كتب الانبيا قال داود اللهم حذف منه حرف النداء وعوض
عنه الميم اي يا الله ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة بمعناه بالمثلثة
وروى النقاش لي في القران سبعة اسما محمد واحمد في وما محمد الا رسول
محمد رسول الله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد ويس وطه والمزمل
والمدثر في اوايل سورها وعبد الله في وانه لما قام عبد الله يدعوه واسما
اقتصر عليها لشهرتها والا فله اسما كثيرة كالنبي والرسول والخاتم
والحريص والرؤف والرحيم والضاحك وفي حديث مسلم عن ابي موسى
كان يعني النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما اي لها فيقول
انا محمد واحمد والمقفى بصيغة الفاعل وهو في الاصل المولي الذاهب
فكان معناه هو اخر الانبيا والمتبع لهم وكل شي تبع شيا فقد قفاه والحاشر
ونبي التوبة من حيث انه تاب على يديه او انه تواب كثير الرجوع الى ربه
يشهد له حديث البخاري اني لاستغفر الله في اليوم اكثر من مائة مرة
وفي رواية من سبعين ونبي الملحمة اي الحرب لحرصه على الجهاد كما مر وروي
المرحمة والرحمة والراحة لانه بالمؤمنين رؤف رحيم ومن رحم به
استراح فقد قال صلى الله عليه وسلم اوصى بعضهم بعضا به على طاعة
الله وتواصوا بالمرحمة اي بموجبات الرحمة او بها على عباده يرحم بعضهم
بعضا لبعثه به رحمة لامته ورحمة للعالمين عطف العام على ما شمله ليعم
الكافرين ايضا فهو رحمة له بتاخير العذاب عنه في الدنيا قال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا اي طالبا لهم من
الله الرحمة والمغفرة وجعل امته مرحومة ووصفها بالرحمة رحما بينهم
تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا وامرها بالتراحم بينهم ليكون
اعون على ايتلافهم واتفاق كلمتهم وجزيل ثوابهم وجميل ثنايهم وحسن ما لهم

شو

في صفة ايته انه انه مرحومة دل لتعالى وتواصوا بالصبر اي

ك

واثنى عليهم فقال ان الله يحب من عباده الرحما رواه الشيخان عن اسامة بن زيد بلفظ يرحم وروى ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما زاد الترمذي والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله وقد مر معنى الرحمة لغة وهو امر حسن نجده في انفسنا عند رؤية المرحوم او الاخبار عنه بدعوا الى معاونته وقد وقع لنا هذا الحديث عاليا مسلسلا بالاولية انا به ابو الحسن ابراهيم البقاعي وهو اول حديث سمعته منه انا الشيخ المعمر شهاب الدين احمد بن محمد المقدسي الواسطي وهو اول حديث سمعته عليه انا ابو الفتح محمد بن محمد الميدومي وهو اول حديث سمعته منه انا ابو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني وهو اول حديث سمعته منه حدثنا ابو سعد اسمعيل بن ابي صالح احمد عبد الملك النيسابوري وهو اول حديث سمعته منه انبانا والدي الامام ابو صالح الحافظ وهو اول حديث سمعته منه حدثنا ابو حامد احمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز وهو اول حديث سمعته منه حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه حدثنا سفين بن عيينه وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس عن مولاه عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحديث ولا يضر انقطاع التسلسل من عمرو بن دينار واما رواية ابن سعد عن مجاهد فيما تقدم انا نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف قال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وروى احمد والترمذي في الشمايل قال حذيفة متى حديث بطريق موسى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه الحديث وفيه ونبي الرحمه ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي كابي نعيم في الدلايل عن يونس بن ميسرة اتاني ملك فقال لي انت قثم بالثاء المثلثه من القثم وهو الاعطا يقال قثم له من العطا اي اعطاه وقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير من الريح المرسلة فهو قثم اي مجمع قال اي الحربي والقثوم الجامع للخير وهنا اي قثم اسم في اهل بيته اما البعض بني عبد المطلب من اعمامه او البعض بني العباس عمه معلوم وقد جاءت من القابه جمع لقب وكلها في حقه حسنه والمنهي عنه في الاية ما يجد المدعو به في نفسه كراهة منه لتقصير او ذم او شين اما ما يزينه ويشرفه باسمه فلا باس به ما لم يقصد نفسه اعجابا او تفاخر وتبجح وسماته جمع سمة وهي العلامة الشاهدة بعموم فضايله وعموم فواضله في القران كثير سوى ما ذكرنا لكن منها ما ورد على طريقة الاستعارة باعتبار ما جا به من الهدي كالنور والسراج المنير قال تعالى وسراجا منيرا اذ به جلا

الله

الله ظلمات الشرك فاهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امده الله بنور نبوته البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السرج ما لا يكون منيرا وما ورد باعتبار ما في مرتبه من بدا الاشتقاق مثل المنذر قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين والنذير والمبشر فقد بشر اهل الايمان بالرضوان في دار القرار وانذر اهل الكفر الخزي في دار البوار والشاهد والشهيد يوم القيامة للانبيا على اممهم بتبليغهم اياهم رسالات ربهم ويشهد على امته قال تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا ويشهد لهم اي يزكيهم بشهادته لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والحق المبين بشهادته حديث البخاري اللهم انت قيم السموات والارض ومن فيهن وفيه ومحمد حق واية التبيين للناس ما نزل اليهم وخاتم النبيين كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين فكان اخرهم بعثا واولهم بعثا سبقا لشهادة حديث نحن الاخرون السابقون والرووف الرحيم لشهادة حريص عليكم بالمومنين رووف رحيم وكان بالمومنين رحيما قدم الرافة الابلغية الرافة لانها شدة الرحمة محافظة على الفواصل والامين اي الامين في الارض امين في السما وكان قبل البعثة يسمى امينا وقدم الصدق من حيث انه اوحي اليه ان لهم قدم صدق عند ربهم اي سابقة منزلة رفيعة سميت قدما لان بها السبق كما سميت النعمة يدا لان بها العطا واضيفت الى الصدق ايذانا بتحققها وتلويحا بان نيلها لوها بصدق القول والنية ورحمة للعالمين لشهادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اذ كان سببا لسعادة المومنين وصلاح معاشهم ومعادهم ولامن الكفار في الدنيا من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال ونعمة الله انعم بها على من امن به في الدارين وعلى من صد عنه في الدنيا بما ذكرنا والعروة الوثقى من حيث ان من امن به فقد تمسك من الدين بعقد وثيق لا تحله شبهة فالعروة الوثقى مستعارة لما تمسك به المحق من النظر الصحيح والراي القويم والصراط المستقيم من حيث هدايته من امن به اليه ودلالته عليه ببيانه لهم طرق الهدى بوضوح الحجج وسطوع البراهين والنجم الثاقب من حيث انه اهتدى بنور هداه الثاقب بضوئه ظلام الشرك فالة كما يهتدى بنور النجم الثاقب اي المضي كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه والكريم لشهادة انه لقول رسول كريم عند البعض اي عليه وفي نفسه لشرف نسبه وفضل احسابه وفي البخاري انه كان اجود الناس بالخير من الريح المرسله والنبي

ط

الامي اي الذي لا يكتب ولا يقرا ووصفه بذلك تنبيها على ان كمال علمه مع اميته
من معجزاته قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي وداعي الله بشهادة
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا اي بتبشيره الى الاقرار به وبتوحيده
وبما يجب الايمان به من صفاته وجري منها في كتب الله المتقدمة كالتوراة
والزبور والانجيل واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة شافية من
وصفه لاحتياج الى معرفتها واحصائها لتسميته بالمصطفى اي الصافي
من شوائب ما لا يليق به اذ اصل الصفي الخلوص من الشوب او المختار من
ابناء قومه وقد شاركه فيه الانبياء الا انه المفهوم منه عند الاطلاق واصل
طائه تاء ابدلت منها لمجاورتها الصاد والمجتبى لاجتبائه له اي اصطفائه
وابي القاسم لحديث بعض اليهود ناداه يا ابا القاسم فالتفت اليه
فقال لم اردك فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وحديث وانا ابو القاسم
والله المعطي فاني منهم للمبالغة والحبيب للحديث المتقدم واذ فيه الا وانا حبيب
الله ورسول رب العالمين الى الخلق يدعوهم اليه والشفيع فعيل بمعنى
فاعل اي الشافع المشفع اسم مفعول اي يشفعه الله في امته وغيرهم من
مؤمني الامم بشفاعات خص بها اعظمها شفاعة فصل القضا والمتقي
من الوقاية وهي فرط الصيانة واصله موتقي ابدلت الواو تاء وادغمت
وهو شرعا اسم لمن يقي نفسه العذاب المخلد بالتبري من الشرك ويجنبه
كل ما يؤثم من فعل او ترك وتنزهه عما يشغل سره عن الحق وهذه المرتبة
هي اللائقة بجنابه الكريم والمصلح لما بدل وغير من ملة ابراهيم اذ امر
باتباعها بشهادة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم وفي التوراة
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا اي ملة ابراهيم سميت عوجا لتغيير
العرب اياها والطاهر اي المنزه عما لا يليق بساحة عزه والمهيمن اي الرقيب
البالغ في المراقبة صيانة وحفظا لما جاء به وانزل عليه ولامته من هيمن
الطير اذا انشر جناحه على فراخه صيانة لها والصادق قولا وفعلا فقد روى
ابو داود عن عبد الله بن ابي الحمسا بتقديم المبيع قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث
فاذا هو في مكانه فقال لقد شققت علي انا هنا منذ ثلاث انتظرك
والمصدوق اي المصدق فيما جاء به عن ربه او الذي يأتيه الصدق من عند
ربه والغر اي البيض الوجوه بنور الوضوء اطلاق لاسم البعض على
الكل اذ الغرة بياض في الجبهة قدر الدرهم المحجلين ايديا وارجلا بنور الوضوء
يوم القيامة استعير اثره في وجه الانسان ويديه ورجليه من بياض وجه

الفرس

الفرس ويديه ورجليه وبه استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة
وقيل لا وانما المختص الغرة والتحجيل لشهادة هذا وضوئي ووضوء الانبياء
من قبلي واجيب بضعفه ولو صح احتمل ان يكون الانبياء اختصت بالوضوء دون
اممهم الا هذه الامة وخليل الرحمن بشهادة حديث مسلم وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا يعني نفسه وصاحب الحوض المورود يوم القيامة وقد وردت احاديث
صحيحة عن خلائق من الصحابة بكثرة وصاحب الشفاعة والمقام المحمود
كما تقدم وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة لشهادة حديث
مسلم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد
الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وحديث
الشيخين من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة
القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي
وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة وفي رواية النسائي وابن حبان والبيهقي
المقام المحمود وتنكيره للتفخيم والجزالة كانه قيل مقاما اي مقام يغبطه
فيه الاولون والآخرون ويشرف به على جميع الخلائق يسال فيه ن
فيعطى ويشفع فيشفع ليس احد الا تحت لوائه محمود الكل فيه السنة الحامدين
والموصول مع صلته اما بدلا او رفع او نصب على المدح اي وهو او اعني لا صفة
لنكرة قبله وصاحب التاج اي العمامة وكانت ذاك خاصة بالعرب فهي
تيجانهم ومن ثم قيل العمائم تيجان العرب وصاحب القضيب بمعنى فاعل
اي السيف وراكب البراق لشهادة ما مر في احاديث المعراج وراكب
النجيب اي القوي وهو عرف من الابل الخفيف السريع ولغة النفيس
الفاضل من كل حيوان وفي الحديث ان كل نبي اعطي سبعة نجباء رفقاء وفيه
ان الله يحب التاجر النجيب اي الفاضل الكريم السخي وصاحب الحجة والسلطان
بحجة قاطعة وبراهين ساطعة وتسلطه على من لم يطعه قتلا وسبيا
واخذ جزية وصاحب الخاتم لان الله ختم به انبياءه لشهادة وخاتم النبيين
اي آخر من نبي فلا يرد عيسى وكان له ابن بالغ لاق بمنصبه ان يكون نبيا
لشهادة حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا اي لكنه لم يعش فلم يكن نبيا
فاستثناء نقيض المقدم انتج رفع تاليه وصاحب العلامة الدالة على نبوته
وكرم جلالته ظاهرة والبرهان الحجة بقواطع قاهرة وسواطع ظاهرة وصاحب
الهراوة اي العصا له سطيح اراد به نبينا اذ كان كثيرا ما تحمل بين يديه
ويمسكها ويمشي بها وتغرز له فيصلي اليها وصاحب النعلين اذ كان يمشي بهما
وفي الحديث يا خير من يمشي بنعل فرد اي طاق واحد لم يخصف مع غيرها علي

عادة عرب البادية وهم يمدحون رقته ويحلونه من لباس الملوك ومن اسمائه
في الكتب كالتوراة المتوكل اي الذي يكل اموره الى الله فاذا امره بشيء
نهض غير هيوب ولا ضرع وكان اذا عراه اي نزل به امر عظيم او ملم رجع الى
ربه غير معتمد على حول وقوة والمختار اي المصطفى لكل مكرمة ومقيم السنة
كما ورد عن داود اللهم ابعث مقيم السنة اي مظهر الملة وصاينها من التغيير
والتبديل والمقدس اي المطهر عما لا يليق بجنابه الكريم وروح القدس لمجيئه
بما فيه حياة الارواح التي بها حياة الاشباح واضيف الى القدس وهو الطهر
لحاتم الجود مما يضاف مبالغة الى مصدر بمعنى اسم المفعول والفاعل
اي الروح المقدس اي المطهر عن العيوب وروح الحق لاحيا الحق به فكانه
روحه وهو معنى البارقليط بالباء في الانجيل باللغة العبرانية وقال ثعلب
البارقليط الذي فرق بين الحق والباطل فرقا بينا بحيث لا تشتبه احدهما
بالاخر ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ بميم مضمومة فاشمام
الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فذال معجمة وهو غير منصرف للعلمية
والعجمة اي طيب طيب وحمطايا بمهملة مفتوحة فميم مشددة مفتوحة
فمهملة فالف فمثناة تحتية فالف اي حامي الحرم وموطي الحلال والحاتم بالمهملة
حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم بالمعجمة هو الذي ختم الانبيا فلا نبي بعده
احد والحاتم بالمهملة هو احسن الانبيا خلقا وخلقا فيهما ذو ما وصفه
به واصفوه فيما مر وقوله وانك لعلى خلق عظيم ويسمى اي هو صلى الله عليه
وسلم بالسريانية مشفح قيل بميم مضمومة فمعجمة ففا مشددة
مفتوحة او مكسورة فحا مهملة غير منصرف للعلمية والعجمة لا اعرف له
معنى والمنحمنا قيل بميم مضمومة فنون ساكنة فمهملة فميم مفتوحة
فنون مشددة فالف وقيل جميع حروفه مفتوحة الا المهملة فساكنة
والنون مشددة وفي سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد
صلى الله عليه وسلم واسمه ايضا في التوراة احيد ضبط بضم الهمزة
وسكون المهملة وكسر المثناة تحت بعدها دال غير منصرف كذلك روى
ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب اي السيف كما تقدم
ووقع ذلك مفسرا في الانجيل قال اي الانجيل اما يوتيه معه قضيب
من حديد يقاتل به من ناواه لغزا او نفاقا وامته كذلك معهم قضب
من حديد يقاتلون بها وقد يحمل على انه القضيب الممشوق من المشق
وهو جذب الشي ليطول اي الطويل الذي كان صلى الله عليه وسلم
يمسكه وهو الان عند الخلفا كما توارثوها واحدا فواحدا واما الهراوة

التي

التي وصف بها في اللغة العصا زاد الجوهري الضخمة والجمع هراوى بفتح
الواو واراد بها والله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس بعصاي
وضعف هذا الظن النووي بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها
الناس معه يستدلون بها على صدقه وانه المبشر به المذكور في الكتب السالفة
فلا يصح تفسيرها بعصا تكون في الاخرة فالصواب ما قاله الائمة في تفسير
كونه صاحب الهراوة انه كان يمسك القضيب كثيرا وقيل لانه كان يمشي والعصا
بين يديه وتغرز له فيصلي اليها وقوله لاهل اليمن في رواية مسلم في المناقب
وفي نسخة لاهل اليمن اي اذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا واما التاج فالمراد
به كما تقدم العمامة ولم يكن حينئذ اي حين وجوده صلى الله عليه وسلم الا للعرب
والعمائم تيجان العرب وفي بعض النسخ وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم
بشهادة حديث البخاري كان صلى الله عليه وسلم في السوق فقال له رجل
يا ابا القاسم فالتفت اليه فقال انما دعوت هذا فقال سموا باسمي ولا
تكنوا بكنيتي زيد فاني انما جعلت قاسما اقسم بينكم وروي كما في مسند
احمد والبيهقي عن انس لما ولد ابراهيم ابن نبينا صلى الله عليه وسلم من مارية
جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم فهي كنية ايضا فصل في شرف
اسمائه تفعيل من الشرف للمبالغة في شرفه وهو مصدر مضاف الى
فاعله بما سماه به من اسمائه الحسنى التي لا احسن منها لدلالتها على معان
هي احسن المعاني وشرف الاسم لشرف مسماه فمنها ما يستحقه لذاته
لحقيقته كالقديم قبل كل شيء والباقي بعد كل شيء والقادر على كل شيء والعالم
بكل شيء والواحد ليس كمثله شيء ومنها ما تستحسنه الانفس لاثاره
كالغفور والرؤوف والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يجب التخلق به
كالمتفضل والمعطي والنافع ومنها ما يوجب مراقبة الاحوال كالسميع
والبصير والمقتدر ومنها ما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار والمتكبر
وبما وصفه به من صفاته العلى جمع عليا تانيث اعلى ووصفها بالعلى
لتعظيم الموصوف بها ما احرى اي ما اخلق واحق بفصول الباب الاول في
ثناء الله عليه واظهاره قدره العظيم لديه وقد علل كونه احرى واحق
بها بقوله لانخراطه اي انتظامه في سلك مضمونها وهو ما خصه به من
فضائل عجزت عن ضبطها الاوهام ومناقب خرست عن ثنائها السنة الاقلام
وقد شبه مضمونها بجواهر تقدسه على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت
لها السلك تخييلا وامتزاجه اي اختلاطه بعذب معينها تحلو ما بها العذب
شبهها لما ضمنته تضمنته من منح الهية بماء عذب فاستعار له اسمه على

بما سماه به من ه

طريقة الاستعارة التخييلية وقرنها بالمعين ترشيحا لكن استدراك على وجه
العذر عما فاته من جملة هذا الفصل من تلك الفصول اذ لم يشرح الله
الصدر للهداية الى استنباطه اي استخراجه من مكامنه ولا اثار الفكر
لاستخراج جوهره والتقاطه من جار تشبيه ما شرف به في هذا الفصل
من اسماء الله وصفاته بجواهر فاستعار له اسمها استعارة تحقيقية رشحها
بالالتقاط تناسبا للتشبيه الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فشرح
الصدر للهداية الى ذلك وراينا ان نضيفه اليه بتعقيبه له وجمع
شمله في علم خطاب لكل من يتاتى توجيهه اليه اذ لم يرد به مخاطبا دون مخاطب
ان الله خص كثيرا من انبيائه بكرامة فاوجد فيهم صفات هي مبادي اشتقاق
اسما جعلها وفي نسخة خلعها اعلاما عليهم من اسمائه كتسمية اسحاق واسماعيل
ابني ابراهيم خليل الله بعليم في قوله تعالى وبشرناه بغلام عليم وهو اسحق وحليم
في قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم وهو اسمعيل فهذا تفسير لما ذكر من اللقب
هذا واسماعيل هو المبشر به بعد هجرة ابيه والبشارة باسحاق في سورة الصافات
معطوفة عليها مقرونة في سورة الانبياء بولادة يعقوب بالنافية للامر بذبحه
مراهقا وابراهيم بحليم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم ونوح بشكور في قوله انه كان
عبدا شكورا وعيسى ويحيى ببر في قوله وبرا بوالدته وبرا بوالديه وموسى بكريم في
قوله وقد جاءهم رسول كريم وقوي في قوله ان خير من استاجرت القوي الامين ويوسف
بحفيظ عليم في قوله اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وايوب بصابر في قوله
انا وجدناه صابرا نعم العبد واسماعيل بصادق الوعد في قوله واذكر في الكتاب
اسمعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفاء ما وعد به مما يعهد من غيره كوعده بالصبر
على ذبحه ثم وفى به كما نطق به اي بما اختص انبياؤه به الكتاب العزيز في مواضع ذكره منه
وفضل نبينا محمدا بان حلاه منها اي زينه من اسمائه في كتابه العزيز وعلى السنة
انبيائه بعدة كثيرة لحيازته شرف معانيها واتصافه بها اجتمع لنا منها جملة بعد
اعمال واحضار الذكرى بعد افراغ الفكر الوسع فكرا وذكرا اذ لم نجد من جمع
منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فضلين عليه لما قبله اذ نبت بانفراده
بما ذكر مما حلا الله محمدا منها وجرينا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله كما الهم
الى ما علم منها ضمن الهم معنى فعل يتعدى بالى كارشد بعد انتهائها وحققه واطلع عليه
يتم النعمة بابانة اي باظهار ما لم يظهر لنا الان ويفتح غلقه سيدنا لم يظهر له
باستعارة اغلاق عليه على طريقة الاستعارة المكنية تشبيها لها بالمغلق تخييلا فمن اسمائه اي
الله تعالى الحميد بمعنى المحمود في كل حال اذ هو المولي لكل نوال ولانه حمد نفسه تعليما لعباده
كيف يحمدونه وحمده عباده لاستحقاقه الحمد بالذات ويكون ايضا اسم فاعل بمعنى الحامد

لنفسه ولاعماله الطاعات من عباده له وقد تقدم معنى حمد الله عبده وحمد
العبد ربه وسمى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم واحمدا لكثرة خصاله المحموده فمحمد
اسم مفعول مضاعف للمبالغة اذ هو من الاعلام التي يراعى فيها معناها الاصلي
الذي هو المبالغ في المحمودية فهو بمعنى محمود وكذا وقع اسمه اي محمود في زبور هنا تم
داود واحمد اسم تفضيل بمعنى اكبر من حمد بفتح اوله وكسر ثانيه واجل من حمد
بضم اوله وكسر ثانيه لحيازته شرف الحامدية والمحمودية والى نحو هذا اي الى
كون اسمه بمعنى ما ذكر اشار حسان بن ثابت الانصاري بقوله وشق له اي
له صلى الله عليه وسلم من اسمه ليجله اي ليعظمه اذ الاجلال التعظيم فذو العرش
محمود وهذا محمد لم يرد الاشتقاق الاصطلاحي بمجرد كون اسمه بمعنى اسمه لان
مبدا بهما واحد فهو صلى الله عليه وسلم حميد من حيث تلاقي سببهما اشتقاقا
من ماخذ كريم قال الغزالي في مقصده الاسنى الحميد من عباد الله من حمدت
عقائده واخلاقه وافعاله واقواله وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن
قرب منه من انبيا وعلما واوليا فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من عقائده
واخلاقه وافعاله واقواله والحميد المطلق هو الله ومن اسمائه تعالى الروف الرحيم
اي ذو الرافة والرحمة وقدم الابلغ منهما للامر وهما بمعنى متقارب الا ان
الرافة شدة الرحمة وسماه في كتابه بذلك اي بهما فيه فقال لقد جاءكم
رسول من انفسكم ما عنتم حريص بالمومنين روف رحيم ومن اسمائه تعالى عنتم ه
الحق المبين ومعنى الحق الموجود اما لانه الثابت مطلقا اي بذاته ومن
قبل نفسه وغيره لامكانه فلا وجود له في حد ذاته ومن قبل نفسه وانما
غيره لامكانه فلا وجود له في حد ذاته ومن قبل نفسه وما غيره من
حيث امكانه فليس له وجود في حد ذاته ومن قبل نفسه واياه اراد لبيد
بقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل اي هو في ذاته لما لزوال وهو
الموجود والمحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والهيته حيث لا خفا
ولا اشتباه وبان وابان لازما ومتعديا بمعنى ويكون بمعنى المبين
لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي بذلك في كتابه فقال حتى
جاءهم الحق ورسول مبين اي ظاهر الرسالة بما معه من شواهد وايات
وقال قل اني انا النذير المبين اي انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نعسا كم
ان لم تومنوا وقال لقد جاءكم الحق من ربكم محمدا والقران وقال فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم قيل محمد ولا دليل عليه وقيل القران تشهد ان تكذيبه
كاللازم مما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الايات كلها كذبوا بالقرآن
لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به

اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيرهم ومن ثم رتب عليه بالفا قوله
.. . . . ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ذلك عند نزول العذاب
بهم او عند ظهور الاسلام وارتفاع شانه ومعناه اي الحق هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وامره وهو اي الحق المتحقق صدقه وامره بالمعنى الاول كره
تاكيدا لكون الحق اسما له صلى الله عليه وسلم والمبين هو البين امره ورسالته
بظهورهما كما سبق علم او هو المبين عن الله ما بعث به لمن بعث اليهم كما قال
لتبين للناس ما نزل اليهم من مرغوب فيه وعنه والتبيين اعم من النص
لشموله ما يدل على النص كالقياس ودليل العقل ومن اسمايه تعالى النور وهو
في الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا ثم بها تدرك ساير المبصرات ٥
كالكيفية الفايضة من القمر على الاجرام المحاذية لها فلا يصح بهذا المعنى
اطلاقه عليه تعالى لا يجوز اما من حيث ظهوره تعالى بنفسه ووجوده بذاته
مبرا من ظلمة العدم وان ظهور غيره ووجوده فايض عنه تعالى واما ان
يكون معناه بتقدير مضاف اي ذو النور اي خالقه او منور السموات
والارض بالانوار الفايضة على الكواكب وقد قرى به ومنور قلوب المومنين
بالهداية فهم بها يهتدون وسماه نورا فقال قد جاكم من الله نور وكتاب
مبين قيل النور هو محمد لسطوع اياته ووضوح معجزاته وبه يهتدى وقيل
القران لكشفه ظلمات الشرك وابانته ما خفي من الحق او لظهور اعجازه
وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لان به تجلى ظلمات الشرك وتقتبس
منه انوار من نوره انوار البصاير لوضوح امره وبيان نبوته وتنوير قلوب
المومنين والعارفين بما جا به من الهدى التي هي اقوم من توحيد الله والايمان
برسله والعلم بما عنه ومن اسمايه تعالى الشهيد من الشهود اعنى الحضور
ومعناه العالم بظاهر ما يمكن مشاهدته كما ان الخبير هو العليم بباطن ما لا
..يمكن احساسه وقيل هو الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه في كتابه العزيز احساسه ن
شهيدا وشاهدا فقال يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم
تصديقهم وتكذيبهم مقبولا قولك لهم وعليهم وهو حال مقدر وقال
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا بعدالتكم يوم القيامة اذا انكرت الامم تبليغ رسلهم اياهم فيطالبهم
الله ببينة التبليغ اقامة للحجة على منكريه فتشهدون وتشهد بينكم بعدالتكم
وعدالة شهادتكم بعلي لانه المهيمن عليهم وتقدمت الصلة لوكان بالحصر صح
بكونه عليهم شهيدا وهو بمعنى الاول لاستوايهما في اصل المعنى مع زيادة
مبالغة في الثاني فوصفه بسمه الشاهد بالادلية مع كونه ثانيا قبل ذكرابنيهما

لذكره

لذكر ابنه قبل ان به اسمه الشهيد ومن اسمايه تعالى الكريم ومعناه كثير الخير
وقيل المفضل بالنوال عفوا بغير وسيلة وسوال وقيل العفو الذي يمحوا
السيات ويتجاوز عنها وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر والعفو
محو وهو في الاصل القصد لتناول الشي استعير للمحو لانه قصد لازالة المحو وقيل
العلي مبالغة من العلو اي البالغ الى حيث لا رتبة الا وهي دون رتبته وهو من
اسمايه الاضافية وقيل هو الذي علا عن الادراك ذاته وجل عن التصور صفاته
وقيل هو الذي تاهت الالباب في بيدا جلاله وعجزت العقول عن وصف كماله وفي
الحديث المروي في سنن ابن ماجة في اسمايه الاكرم اي الزايد في الكرم على كل
كريم اذ انعامه عفو بلا سبب وعوض بل هو في الحقيقة الكريم وحده
وفي استدلاله بالحديث شي اذ لعله عن تسميته تعالى به في قوله
اقرا وربك الاكرم وسماه كريما بقوله انه اي القران لقول رسول كريم
قيل عن بعض المفسرين هو محمد وقيل هو جبريل وبه قال الاكثرون اذ هو
الذي قاله عن الله وقال صلى الله عليه وسلم كما تقدم مرارا انا اكرم ولد
ادم انا اكرم الاولين والاخرين ومعاني الاسما اي لفظ كريم صحيحة في حقه
بشهادة ما افاده قول صفوان بن امية كما مر وقد اعطاه غنما بين جبلين ان محمدا
يعطي عطا من لا يخشى الفقر من كونه فايقا في الكرم ومن اسمايه تعالى
العظيم من عظم الشي اذا كبر جسما او قدرا او رتبة فهو الله اذا العظيم
المطلق البالغ اقصى مراتب العظمة من لا يتخيله وهم ولا يتصوره فهم
لتنزهه وتعاليه عن ان يحاط بكنه ذاته ومعناه الجليل الشان لاتصافه
بنعوت الجلال تنزيها له عما لا يليق بجنابه الكريم او الذي كل شي دونه
اذ لا كمال فوق كماله وقد فرق بينه وبين الكبير والعظيم بان الكبير
اسم للكامل في ذاته والجليل اسم للكامل في صفاته والعظيم اسم
للكامل فيهما وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم تحلم
على قومك اذا هم . . . . .
حليم اذا ما الحلم زين اهله ... مع الحلم في عين العدو مهيب
فهو اسمه وان وقع هنا صفة كالنعت لقيام العظمة به صلى الله عليه وسلم
وهو اعظم المخلوقات ووقع في اول سفر من التوراة عن اسمعيل نبي
الله بن خليل الله وسيلد عظيما لامة عظيمة لشهادة اته كنتم خير امة
اخرجت للناس وخيرية كل امة تابعة لخيرية نبيها فهو عظيم وعلى خلق
عظيم ومعنى الاستعلا في الاية تمثيل لتمكنه منه مستقرا فيه بحال
من استعلا شيا وركبه ومن اسمايه تعالى الجبار مبالغة من الجبر وهو في

والاصل اصلاح الشي بضرب من القهر ثم استعمل تارة في الاصلاح المجرد كقولك
يا جابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة في القهر المجرد مثلما ورد لا جبر ولا
تفويض ومن ثم قيل ومعناه المصلح لامور عباده المتكفل بمصالحهم فضلا منه
وقيل القاهر لعباده على ما يشا لا انفكاك لهم عما شا من اخلاق واعمال وارزاق واجال
فلا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته هدف لقضايه وقيل العلي الشان العظيم م
الذي لا يوثر فيه مكروه ولا ينال له كيد عزيز في سلطانه فهو من اسمايه التنزيهيه
وقيل المتكبر مبالغة في الكبريا من الكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصا
لانفراده بالكبريا والعظمة من كل وجه وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في
كتاب داود صلى الله عليه وسلم بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك فان
ناموسك وشرايعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حقه باعتبار
اسمايه المصلح والقاهر والعلي العظيم الشان اما لاصلاحه الامة بالهداية
والتعليم لدين قويم وصراط مستقيم والارشاد الى احتقار الدنيا وكرايمها
ولقد نهى الله نبيه ان يمد عينيه الى زهرتها بقوله لا تمدن عينيك الى ما
متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ومن ثم تشدد سلفنا
الصالح في غض البصر عما انهمك فيه الظلمة والفسقه من مراكب وملابس والفسقه م
وملاهي حتى قال الحسن لا تنظروا الى همالج الفسقه وانظروا كيف يلوح ذل
المعصية من رقابهم وهذا لانهم انما اتخذوها ليراهم الناس فالناظر اليها
موفر لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها او لقهره اعداءه الجبابرة وقصم ظهورهم
اهلاكا لهم وصلا لعتوهم او لعلو منزلته على البشر في المسلكات النفسية
والكمالات العلميه والعمليه وعظيم خطره اي قدره ومزيته على غيره ونفي
عنه في القران جبرية الكبر التي لا تليق به فقال وما انت عليهم بجبار اي
بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد بل انت داعيهم الى
شرعتي والايمان بي ومن اسمايه تعالى الخبير مبالغة من الخبر اعني
العلم بالخفايا الباطنة ومعناه العليم ببواطن الامور المطلع بكنه الشي اي الباطنيه م
عليه في باطنه كما في قوله تعالى فاسال به خبيرا العالم بحقيقته وقيل معناه
المخبر لتمكنه من الاخبار بما علمه قال تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن فاسال به اي عما ذكر من الخلق
والاستوى خبيرا اي عالما يخبرك بحقيقته قال بكر بن العلا المامور بالسوال
غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسيول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم
لعلمه بما يسال عنه من صفات ربه سبحانه وتعالى وقال غيره اي غير بكر السايل
هو النبي صلى الله عليه وسلم والمسيول هو الله تعالى او جبريل او من وجد اسمه في

كتبه

كتبه المتقدمه فالنبي خبير بالوجهين اما الاول فظاهر لخبرته بما يسال عنه
واما على الثاني فمن حيث ما قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من
مكنون علمه وعظيم معرفته بمثل لتمكنه صلى الله عليه وسلم من العلم واستقراره
فيه بحال من اعتلاه شيا وركبه مخبر الامته بما اذن له في اعلامهم به بما ينفعهم
معاشا ومعادا ومن اسمايه تعالى الفتاح مبالغة من الفتح بمعنى الحكم ومعناه
الحاكم بين عباده قال تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اي احكم وذلك لان الحكم
فتح امر مغلق بين الخصمين وقد بين الله الحق واوضحه وبين الباطل ودحضه
بانزال الكتب واقامة البراهين ومرجعه اما الارادة او الفعل المنصف
للمظلوم من ظالمه او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم
متعلق بفاتح قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها او يفتح
قلوبهم وابصارهم لمعرفة الحق وعلى من عصاه ابواب المغفرة وقبول
التوبة ويكون ايضا بمعنى الناصر كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر خطاب لقريش تهكما بهم اذ قالوا متعلقين
باستار الكعبة عازمين على الخروج لبدر اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفيتين واكرم الحزبين وقيل معناه مبدي الفتح والنصر اي مظهرهما
وسمي نبيه بالفاتح في حديث الاسرا المتقدم عن ابي هريرة وفيه من قول
الله وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم ورفع لي
ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم بين الخصوم او
مظهرا لهم ما انغلق من امورهم عليهم او الفاتح لابواب الرحمة على امته ليهم
يفوزوا والفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله ليظفروا بسعادة
المعاش عاجلا والمعاد اجلا او الناصر للحق باظهاره وخذلان اعدايه او المبدي
لهداية الامة بارشادهم الى الحق ليذعنوا فيفوزوا او المبدا المقدم في
الانبيا والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبيا في الخلق نورا في وجه ادم واخرهم
في البعث اذ ختم به النبوة والرسالة وتقدم له مزيد بيان ومن اسمايه تعالى
في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة الشكور وفي القران
ان ربنا لغفور شكور مبالغة من الشكر ومعناه المثيب الثواب الجزيل على العمل
القليل فيرجع الى الفعل وقيل المثني على المطيعين وقيل المجازي عباده
على شكرهم فيكون من قبيل الازدواج والمشاكله كما سمي جزا الحسنة حسنه
ووصف بذلك اي بشكور نبيه نوحا فقال انه كان عبدا شكورا يحمد ربه
على مجامع حالاته وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال
في الحديث المتقدم افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدرها

ذلك فانما بموجب شكره مواظبا على وظايفه متعبا عليه مجهدا نفسه في الزيادة
من ذلك لئنا امتثالا لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم نعمة الى نعمه ومن اسمايه
تعالى العليم والعلام مبالغة في عالم من العلم وعالم الغيب والشهادة منه
ايضا اي الغايب والحاضر فهو العالم المحيط علمه بجميع الاشيا ظاهرها وباطنها
دقيقها وجليلها لا يخفى عليه خافيه ولا يعزب عنه مثقال ذرة ولا
يشغله علم عن علم كما لا يشغله شان عن شان ووصف نبيه بالعلم وخصه
بمزيد منه اي من العلم لم يوتيها احد غيره فقال وعلمك ما لم تكن تعلم
من المعارف الدينية والعوارف الالهية وكان فضل الله عليك عظيما جبيه على
عظيم المزية اذ لا مزية فوقها وان سا ركه غيره في ان الله علمه ما لم يكن يعلم
وقال تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم
ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اذ لا طريق الى معرفته
سوى الوحي وكرر الفعل تلويح بانه نوع اخر ومن اسمايه تعالى الاول والاخر وجودا
بلا بداية وبقا بلا نهاية ومعناهما السابق للاشيا قبل وجودها اذ هو الموجد
والمبدع لها الباقي بعد فنايها لشهادة حديث اللهم انت الاول فليس قبلك شي
وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن
فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر وتحقيقه اي تحقق كونه
اولا واخرا انه ليس له اول ولا اخر اي لا مبتدا له ولا منتهى فلا سابق
له ولا باقي بعده فهما من صفات التنزيه وقال صلى الله عليه وسلم كنت
اول الانبيا في الخلق اي نورا في وجه ادم واخرهم في البعث الى جرامه اخرجت
للناس يدعوها الى الحق فختمت به الرسالة وعم نفعه وفسر بهذا اي بكونه
اول الانبيا في الخلق قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اي عهدهم
بتبليغ الرسالة والدعوة الى الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم وخصهم بالذكر من عطف الخاص على العام تنويها لعظم محلهم وخصهم
بالذكر قيل لانهم اشهر وبابا للشرايع فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم
تعظيما له وتكريما وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب في كلام تقدم بكاه
به بابي وامي انت يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر
الانبيا وذكرك اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين الاية ومنه اي من قوله
كنت اول الانبيا الى اخره قوله نحن الاخرون اي في البعث السابقون اي
يوم القيامة المقتضي لهم قبل الخلايق كما صرح به حديث مسلم وقوله فيما
تقدم انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة اي هو وامته
من الباب الايمن من ابوابها كما ورد واول شافع واول مشفع بعد سواله ربه

الشفاعة

الشفاعة وهو صلى الله عليه وسلم بالاول والاخر انما هو من حيث كونه اولا في
الخلق واخرا في البعث لا من حيث معناهما في حقه تعالى فلا التفات الى ما ذكر
هنا ومن اسمايه تعالى القوي وذو القوة المتين ومعناه القادر التام
نة القدرة البالغ الى حيث لا يخرج عنها مقدور كما لا يخرج عن حكمته مفطور والمتانة
في الاصل شدة الشي واحكامه مصدر متن اذا قوي ظهره ومرجعها الى
الوصف بكمال القدرة وشدتها ووصفه بذلك فقال انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل محمد بلا بينة وقيل جبريل وعليه
الاكثر ولم يحكوا فيه خلافا ومن اسمايه تعالى الصادق فيما زاده ابن ماجة
بها في الحديث المار ثم اورد عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم وقد يوخذ من
قوله تعالى ومن اصدق من الله قيلا الحمد لله الذي صدقنا وعده وورد في الحديث
عن ابن مسعود اسمه صلى الله عليه وسلم بالصادق فيما يقوله المصدوق
اي الذي يصدق فيه وسمي به حين اسماعيل انه كان صادق الوعد واكرم بوعده اياه
الصبر على ذبحه ووفاه ومن اسمايه تعالى في القران الولي الله ولي الذين امنوا وفي
اسمايه الحسنى الوالي وفي القران المولى هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ومعناهما
اي الولي والمولى الناصر واي نصرة اعظم من اخراجهم من ظلمات الضلال الى نور
الهدى وقد قال انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لم يقل انما اولياوكم
تنبيها على ان الولاية بالاصالة لله وبالتبع لرسوله والمومنين وروى البخاري عن
ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم انا ولي كل مومن ورواه احمد وابو داود عن جابر
بلفظ انا اولى بكل من نفسه وقال تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم اذ
هو منتهى صلاحهم ومعدن نجاحهم فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم
وامره انفذ عليهم من امرها وشفقته عليهم اتم من شفقتهم عليها
وروى الترمذي وحسنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال الشافعي ولا الاسلام
كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر
لعلي اصبحت مولى كل مومن اي وليه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلي لست
مولاي انما مولاي رسول الله فقال من كنت مولاه فعلي مولاه ولو كان المولى
هو المتصرف كما قالت الشيعة فيستحق كما يستحق رسول الله صلى الله
عليه وسلم من التصرف ومنه امور المومنين نفوذا ما هم لزم ان يكون له التصرف
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل به احد اذ كان صلى الله عليه
وسلم هو المستقل فيجب حمله على المحبة وولا الاسلام كما قال الشافعي ومن
اسمايه تعالى العفو ومعناه الصفوح مبالغة في الفاعل من الصفح اي
كثير التجاوز زجرا عما فرط وقد ندب عباده اليه فقال وليعفوا وليصفحوا

الهداية

وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم اي على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اسا
اليكم روي انه صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر وقد قطع نفقة مسطح بن
اثاثة اذ خاض مع اهل الافك فقال بلى ورجع اليه نفقته اذ كان يجريها له
وفي العفو حفظ قلب المسيء من الاستيحاش وازالة الخجل عنه بما يسبل عليه من
ملابسه وقد وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا في القران وفي
التوراة وامره بالعفو فقال خذ العفو عن المذنبين وامر بالعرف
اي المعروف الحسن من الافعال قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اي تعفو
عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقال في التوراة وفي الحديث
المشهور الذي رواه فيما تقدم عبد الله بن عمرو بن العاصي في صفته صلى الله
عليه وسلم ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح فيشتق له منه اسم
العفو لاتصافه به ومن اسمايه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من
عباده بخلق الاهتدا فيه فيصير به مهتد وبمعنى الدلالة على الحق وبيان الرشد
وبمعنى الدعا بدعاية الاسلام قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام اي السلامة
من الانتقاص والافة او يسلم الله وملايكته على من فيها او دار الله واضافها اليه تعظيم
لها وهي الجنة ويهدي من يشا بتوفيقه الى صراط مستقيم اي طريقه او هو دين
الاسلام والتدرع بلباس التقوى هذا وتعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية
شاهد صدق بان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده
فالدعوة بالدلالة على لسان الرسول عامة والهداية خاصة من لطفه تعالى عناية
وتوفيقا اي يدعوا عباده كلهم الى الجنة ولا يدخلها الا من هداه واصل الجميع اي ما
هو بمعنى التوفيق اي خلق الاهتدا وما هو بمعنى الدلالة وما هو بمعنى الدعا من
الميل وقيل من التقديم فكان من هدي بما دال الى ما هدي ليه او تقدم اليه وقيل
في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي فاخذ من كل اسم حرف وركبا وجعلا علما
عليه يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى وانك لتهدي اي لتدعو وترشد
به الى صراط مستقيم اي الاسلام وقال فيه صلى الله عليه وسلم وداعيا الى
الله باذنه اي تيسيره هذا كله مؤذن بوصف الله له بانه هادي فاسمه مختص
بالمعنى الاول وهو توفيقه من يشا بخلق الاهتدا فيه اذ لا يقدر عليه غيره قال
تعالى انك لا تهدي من احببت اي لا تقدر ان تدخله في الاسلام ولكن الله يهدي
من يشا خلقه فيه وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره تعالى على ما مر ومن اسمايه تعالى
المومن المهيمن قيل هما بمعنى واحد هو من البرية بخلق اسباب الامان وسد ابواب
المخاوف فمعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعد عباده اي المنجز ما وعدهم في
الدنيا من نعيم الاخرة قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده المصدق قوله الحق

قال

قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي فيه فحذف الجار فتعدى بجروره
الفعل وقيل الموحد نفسه قال تعالى انني انا الله لا اله الا انا وقيل المومن عباده في
الدنيا من ظلمه تنزه عن ذلك ولله تعالى المثل الاعلى وفي الاخرة من عذابه فهو من
الامان وقيل المهيمن مفيعل من الامانة بمعنى الامين مصغر منه اي من الامين
بزيادة ميم الاولى فصار مويمن فقلبت الهمزة ها اذ كثير ما يتعاقبا تقلبا وقد قيل
ان قولهم في الدعا امين اي امين اسم من اسما الله ومعناه معنى المومن فكان
الاولى تقديمه والاشهر ان معناه استجب وهو اسم مبني على الفتح يمد ويقصر والمد
اكثر وفي الحديث امين خاتم رب العالمين اي طابع الله على عباده لانه تدفع البلايا
والافات فهو كخاتم الكتاب بحفظه صونا له وفيه امين درجة في الجنة اي في
كلمة تكتسب بها قايلها الدرجة فيها وفيه قال بلال لرسول الله لا تسبقني بامين
اي بعد قراة الفاتحة في الصلاة قيل لعل بلالا كان يقراها في سكتة رسول
الله بعد فراغه منها فربما بقي عليه شي منها فخشي بقراته فوات موافقته في التامين
فاستمهله به زمنا يفرغ فيه ليتنال بركة موافقته فيه وقيل المهيمن بمعنى الشاهد
من هيمن الطير اذا نشر جناحه على فراخه صيانة له اي العالم الذي لا يعزب عنه
مثقال ذرة او الذي يشهد على كل نفس بما كسبت والحافظ للموجودات منا
متضاده ومتفاديه بمنع بعضها عن بعض ولعباده اعمالهم ويحصي عليهم انفاسهم
واقوالهم والنبي صلى الله عليه وسلم امين بشهادة حديث اني لامين في الارض
امين في السما وكانت قريش تدعوه قبل البعثة محمدا الامين ومهيمن
على المومنين ومومن اي مصدق لهم وقد سماه الله امينا فقال انه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين هذا ولا يعزب عنك
ما مر من ان الاكثر انه جبريل وكان يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة
وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا في قوله من ابيات يمدحه بها ٭
ثم احتوى بيتك المهيمن من ٭ خندف علياء تحتها النطق ٭ وقد مر بيانه
مع ابيات هو منها وقيل المراد به المهيمن قاله القتبي والامام ابو القاسم
القشيري وقال تعالى يومن بالله اي يصدق به لما يشهد عنده بوجوده ووحدانيته
ويومن للمومنين اي يصدقهم لعلمه بخلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان
التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان وقال في حديث مسلم المتقدم
لفظا ومعنى انا امنة لاصحابي جمع امين وهو كحافظ كبرة جمع بر ويجوز ان يكون
مصدرا للمبالغة كعدل وصوم فهذا بمعنى المومن من الامن اذ كانوا في ظل حرم
كنفه امنين ومن اسمايه تعالى القدوس مبالغة من القدس وهو الطهر والنزاهة
ومعناه المنزه عن النقايص المطهر من سمات الحدوث المبرا من ان يدركه حس

او تخيله وهم او يحيط به عقل او يتصوره فهم وسمي نبي المقدس لانه يتطهر
فيه من الذنوب ومنه الوادي المقدس اي المطهر او المبارك وروح القدس
في قوله وايدنا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس اي قويناه بجبريل وخصه
بالتعيين لافراط اليهود في بغضه وجعل معجزاته سببا لتفضيله لوضوح
اياته وظهور معجزاته التي يعجز غيره ووقع في كتب الانبيا اي وجد فيها
او في بعضها في اسمايه صلى الله عليه وسلم القدوس اي المطهر من الذنوب
كما قال في تنزيله القديم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي
يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم اي يطهرهم من الشرك وخبايث الجاهلية
وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى
النور اي من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان والهدى او من ظلمات
الشبهة في الدين بما يهديهم له حتى يضي لهم نور اليقين او يكون مقدسا بمعنى
مطهر من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية مما لا يليق بجنابه العلي
وتعدد الوصف ومن اسمايه تعالى العزيز اما من عز يعز بالكسر اذا غلب ومعناه
المنيع الذي لا يتطرق الى اطلاع عزه مغالبه الغالب كل شي فمعناه مركب من نعت
حقيقي ونعت تنزيهي او الذي لا نظير له ولا مثل فهو من اسما التنزيه او
المعز لغيره فلا يذل ولا يهان باقتداره الى احد او من عز يعز بالفتح اذا قوي
واشتد فمعنى القوي الشديد قال تعالى فعززنا بثالث اي قوينا وقد وصف
نبيه بالعزة قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين اي الامتناع من
ان ينال بمكروه لقوته وغلبته وجلالة القدر له تعالى ولمن اعزه كرسوله
لعزته بربه وهو عند ربه اعز واجل قدرا ودفاته ان يستدل بقوله لقد جاكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم وقد وصف نفسه بالبشارة والنذارة
فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم
اي دايم ونكر المبشر به موذن بانه وراء تعريفه وتعيينه وقال في ذات
الملايكة وهو قايم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى اسم اعجمي او عربي ومنع
صرفه للعلمية والوزن واريد بالملايكة جبريل اذ هو المنادي هنا لانه من
جنسهم وفي مريم يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ولعله على لسان جبريل
او نودي مرتين من قبل جبريل ومن قبل الله وتولي تسميته تشريفا له وقال
اذ قالت الملايكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم
المسيح لقب للتشريف كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك
وعيسى معرب ايشوع وابن مريم صفة تمييز نظمت معهما وسماه اي الله محمدا صلى

الله عليه وسلم مبشرا ونذيرا في يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
اي للمومنين بالجنة وللكافرين بالنار وسماه بشيرا في وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمايه
تعالى فيما ذكر بعض المفسرين طه ويس كل واحد منهما اسم تفضيل ولعل الطا من
لطيف والها من هادي والياء من معطي والسين من سميع فهو تعالى لطيف بعباده
هاديهم معطيهم سميع لهم وذكر بعضهم ايضا انهما من اسما محمد قيل بلا بينة ولا
دليل نعتمده والله اعلم بمراده بهما هذا تم جميع ما ذكرها من الاسما وليس منها سوى
محمد واحمد ما اختص به علما وما عداهما فمن اتصف بما اخذ اي اشتق منها جاز اطلاقه
عليه وبهذا الاعتبار يمكن الزيادة كالنافع والمرشد والمعطي والكريم والجواد
اي باعتبار ما وصف من النفع والرشد والعطا والكرم والجود فصل وها انا اذكر
ها حرف تنبيه بعدها مبتدا وخبر بيه به عن كاله في ذكره نكتة بمثناة من نكت بقضيبه
الارض اذا ظهر بطرفه فاثر فيها ثم استعمل فيما الجي في فهمه الى تامل اذيل بها هنا
الفضل اي يجعلها له كالذيل للثوب كاسي ان لا يكون اخزا وفي حديث مصعب بن عمير كان
في الجاهلية مترفا يدهن بالعبير ويذيل يمنة اليمن اي يطيل ذيلها واليمنة من برود اليمن
واختم بها هذا القسم وازيح بها الاشكال الواقع فيما تقدم من متشابه
الحديث وغيره عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم متعلق بازيح اي ازيله عنه
حذرا من وقوعه فيما يرديه تخلصه من مهاوي التشبيه جمع مهواة واضافها
اليه لكونه سببا للسقوط فيها ولم يعطف هذه الجملة على ما قبلها لاختلاف
المسند اليه وتزحزحه عن شبه التمويه اي تبعده عن الشبهة التي تخيل
الها مقبله وتبين مدبره اي اذا اقبلت خيلت انها حقه واذا ادبرت ن
وانقضت بان لمن دخلها وارتكب فيها ما لا يحل انها ليست حقه وانه كان
فيها على الخطا وفي الحديث من صام يوما في سبيل الله زحزحه الله عن النار
سبعين خريفا اي نجاه وباعده عنها مسافة تقطع في سبعين سنة اذ كلما مر
خريف انقضت سنة قيل لانه اخر فصولها الاربعة فهو من اطلاق اسم البعض
على الكل وهو اي ضعيف الوهم سقيم الفهم ان يعتقد ان الله جل اسمه اي
عظم وتنزه عن الالحاد فيه بالتاويلات الزايغة وعن تسمية غيره به في
عظمته وكبريايه في موضع حال لازمة من الضمير في اسمه اي متصفا بهما
وبما بعدهما فكني بالظرف عن اتصافه بهما قصدا للمبالغة في تمكنه من اتصافه
بها من غير تصور ظرفية واستقرار ويكفي لصحة الظرفية تمكنه من الاتصاف
بها ونسبة تمكنه منه بتمكن المظروف بظرفه ثم استعار له ما هو من خواص
الظرف اعني في فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعية او ظرف

مستنزة وهو تعالى لغاية كماله وبلوغ عظمته وكبريائه اقصى مراتب وجوب
وجوده وبقائه تكانه في بهما لانفراده بهما وبلوغه فيهما اعلا المراتب وملكوته
من الملك وهو العظمة زيدت فيه الواو والتا للمبالغة لانه الا ليق بجنابه الكريم
وحسنى اسمائه له لا لتها على احسن المعاني فهي احسن الاسما منها ما لا يتصف
بحقيقته غيره كالاول قبل كل شي والباقي بعد كل شي والقادر على كل شي والعالم
بكل والواحد ليس كمثله شي وما تستحسنه الانفس لاثاره كالرحيم والغفور
والشكور وما يوجب التخلق به كالمعطي والنافع والهادي وما يوجب مراقبة
الاحوال كالمقتدر والسميع والبصير وما يوجب الاجلال كالعظيم والجبار
والمتكبر وعلى صفاته لنزاهتها عن ان يتصف بها غيره لا يشبه شيا من مخلوقاته
خبر وما بينهما اعتراض وورد موذنا بكونه تعالى لكمال ذاته وعظيم صفاته متعاليا
عن ان يشبه بشي منها ولا يشبه به شي لبراءة ساحة عزه من ذلك وان ما جا
من الاسما مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق كبر وحليم وشكور
وحفيظ وعلم فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي الذي هو ماخذها استحقاق
مما اتصفا به كالبر والحلم والشكر والحفظ والعلم اذ صفات القدم قديمة والحفظ
لا يرهقها تغير ولا يعتريها عدم اذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه بخلاف صفات
المخلوق يعتورها التغير ويغشاها العدم فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات
لقدمها بالذات بعدم مسبوقيتها بالغير كذلك صفاته لا تشبه صفات
المخلوقين لقدمها بالزمان بعدم مسبوقيتها بالعدم بخلاف صفاتهم اذ
صفاتهم حادثة لمسبوقيتها بالعدم لا تنفك عن الاعراض باعتوارها عليها
ولا عن الاغراض لصدور اثارها عنه معللة بها وبين اعراض واغراض
جناس مضارع لاتحاد الحرف المختلف فيه مخرجا وهو تعالى منزه عن ذلك
اذ لا يعرى ذاته عرض ولا تعلل افعاله بغرض بل لم يزل موجودا بصفاته
وهي ما دل عليها فعله لتوقفه عليها من قدرة توثر في المقدور عند تعلقها
به وعلم ينكشف به الشي عند تعلقه به وحياة تقتضي صحة العلم لموصوفها
وارادة تخصص احد طرفي الممكن من فعل او ترك بالوقوع او دل عليها تنزيهه
من سمع وبصر تزيد الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم او كلام قديم مناف
للسكوت والافة عبر عنه بالنظم المنزل للاعجاز بسورة منه وقد تعبدنا الله
بتلاوته وبقاها هو استمرار الوجود واسمائه اي لم يزل بها موجودا اي بمعانيها وهي
كل من ما دل على الذات باعتبار صفة كالعالم والخالق هذا واما صفات الافعال
كالخلق والرزق والاحيا والاماتة المعبر عنها بالتكوين فحادثة خلافا للماتريدي
ومتابعيه اذ هي اضافات تعرض للقدرة هي تعلقاتها بوجودات المقدورات

والحفظ

لعل بوجوده

لاذوات

لاذوات وجودا لها ولا محذور في اتصافه تعالى بالاضافات مثل كونه تعالى
قبل العالم ومعه وبعده وانما اسمائه الراجعة الى صفات الافعال كالخالق
والرازق والمحيي مما مر في جملة اسمائه من حيث رجوعها كما في المقصد الاسنى
الى القدرة لا الى الفعل فالمحيي مثلا من شانه الاحيا اي هو الذي بالصفة التي
بها يحصل الفعل عند ملاقاتها للمحل فان اريد به من صدر منه الاحيا فليس صفة
ازليا ولكن في هذا اي في كون ذاته وصفاته لا تشبه ذات وصفات من سواه
قوله ليس كمثله شي اي ليس كالله شي يناسبه فكني عن ذاته بمثله كما في مثلك
لا يبخل قصدا للمبالغة في نفيه عنه بالكناية فانه اذا نفي عمن يناسبه كان نفيه
عنه اولى فانه اذا نفي فلا فرق بين ليس كالله شي وليس كمثله شي الا ما افادته
الكناية من المبالغة فمعناهما واحد هو نفي المثل عنه ونحوه بل يداه مبسوطتان اي هو
جواد من غير قصور يد وبسطها لوقوعها كناية عن الجواد ومن زعم زيادة الكاف اراد انه
يفيد معنى ليس مثله شي لكنه اكد وسدد من قال بالدال الكنى به عن علمه اذ هو في الاصل البزيع
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات اي غير منفي عنها
صفاتها القديمة اذ التعطيل نفيها واليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدما المنافي
التوحيد قلنا لا محذور في تعددها ذاتا وصفاتا لا في تعددها ذواتا وزاد هذه النكتة
الواسطي بيانا فقال ليس لذاته ذات كما لها في اعلام مراتب القدم لا يعروها تغير ولا عدم
وذات غيره تكفا وها الحوادث ويعروها التغير ولا كاسمه اسم كما سموا الرحمن لتعاليه
عن ان يسمى به غيره ولا لفعله فعل من خلق ورزق واحيا واماته لظهور اثاره كرحمة
عامة النفع ولا كصفته صفة لقدمها وحدوث غيرها الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ
في بعضها كالعليم وورود النكرات في حيز النفي موذن بعمومها وجلت الذات
القديمة اي عظمت وتعالت ان يكون لها صفة حديثة وحدث بعد عدم لانها ان
كانت صفة كمال فخلوها عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافها بها نقص اتفاقا والا
استحال اتصافها بها اتفاقا كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة لامتناع
وجود صفة قبل موصوفها وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري هذا الترجيح
بيانا فقال هذه الحكاية اي ما زاده الواسطي انفا تشتمل على جوامع جميع مسائل
التوحيد وهو اعتقاد ان لا اشتراك له في الهيته وخواصها التي لا يشاركه فيها احد
كالغنى المطلق وخلق العالم وتدبيره واستحقاقه العبادة وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بوجوب وجودها مستغنية عن كل شي لعدم افتقارها
اليه والا لم تكن مستغنية ولزم امكانها وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير
جلب انس لاستغنائه به عن الابس بل اثارها كلها منافع لعباده من غير ان تعود
عليهم منهم مقابلا او دفع بالجر عطف على الغير اي ولا الدفع نقص حصل لما ذكر كما

فيما نقصه وانجلنا ان في موضع الحال وكيف في الموضعين استفهام موذن بالانكار ان
تشبه ذاته ذات وفعله فعل اي وانكار ان فعله لا باعث له عليه ولا يكون
بخواطر باعث له عليه لامتناع ان يكون معللا بغرض على معنى عموم السلب
وعموم النفي اذ لو كان لغرض تحصيل مصلحة او دفع مفسدة لكان ناقصا في ذاته
مستكملا بتحصيله مستفيدا للاصلحية مستكملا بها ناقصا بدونها ولو كان
شيء من الممكنات غرضا لفعله لما حصل بخلقه ابتداء بل بواسطة ذلك الغرض
الباعث وتعينه واللازم باطل لثبوت استناد جميع الحوادث الكاينة اليه
ابتداء من غير ان يكون بعضها اولى بالغرضية والتبعية من بعض وجد اي ولا يكون
فعله تعالى باجهاد ولا مباشرة ومعالجة بل اذا اراد ايجاد شيء فيوجد بتعلق قدرته
بمقدورها وفق ارادته بحدوثها انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اي اذا
اراد ان يكونه فيحدث فكنى عن ايجاده بكن كناية عن سرعة الايجاد اذ التكوين عندنا
امر اعتباري يحصل عند تعلق القدرة بمقدورها خلافا للماتريدي فالاية تمثيل
لتاثير قدرته في مراداته بامر مطاع لمطيع له في مامور به من غير اباء وتوقف
وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال الة هذا وما ورد من افعاله تعالى معللا بما مثل
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فلما قضى زيد منها وطرا
زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون فلكون ما ترتب عليها من حكم ومصالح راجعا لعباده
تابعا لمصالحهم فضلا منه ونعمة عليهم لا عللا وغايات لافعاله تعالى وليس منها
شيء عبثا اي خاليا عن حكمة ومصلحة ولا سبيل الى النقصان والاستكمال
الى عظمة ذاته تعالى وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه اذ لا بد له من غرض
باعث عليه وجد ومباشرة ومعالجة وكل ما خطر من مسائلنا ما توهمتموه
مما يتخيله الوهم او ادركتموه بعقولكم مما يتصور العقل فهو محدث مثلكم
لشايبة الحدوث للادراك الذي هو الاحاطة بجوانب المدرك وحدوده والله منزه
ربنا عنه وقال الامام ابو المعالي امام الحرمين بن ابي محمد الجويني من اطمان الى
موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه لا بد ان انتهى به الى ادراك مطلوب تصوره
او تصديقه بحصول صورة في العقل تسفر عن التشبيه ومن اطمان الى النفي
المحض لذات الصانع تعالى فهو معطل الا ان يكون للعالم صانع محدث له مدبر
امور ومن قطع بموجود عن درك حقيقته فهو موحد لاعترافه بما اورثه
قصور عن ادراك من لا يحاط به علما ولا يتصور ذهنا وما احسن قول ذي النون
حقيقة التوحيد ان تعلموا قدرة الله في ايجاد الاشياء بلا علاج ومزاولة عمل
واستعمال الة وان تعلموا ان صنعه لها بلا امتزاج لشيء بشيء او باشياء التركيب بل بمجرد

تعلق

تعلق القدرة بمقدورها صنع وفق الارادة من غير اختلال وتفاوت في التقدير
ابداعا اي بدون مادة كالسموات وتكوينا منها كالانسان من نطفة وعلة كل شيء
صنعه باهر قدرته ولا علة لصنعه لما مر من ان افعاله لا تعلل بالاعراض
وان عم نفع فوايدها ومصالحها وما تصور في وهمك فالله بخلافه لتنزهه
عن ان يتصور ويرتسم في الوهم ذكرا ولا حقيقة التوحيد وعلة كل شيء
وما تصور في وهمك ثم اضاف ما لكل اليه على التعيين وليس تقسيما لكنه على
عكس الترتيب فقال والفصل الاخر يعني الفقرة الاخيرة الثالثة اعني
قوله وما تصور في وهمك فالله بخلافه هو تفسير واشارة لقوله تعالى لا يسأل
عما يفعل لتعاليه عن ان يقال له لم فعلت وهم يسألون لانهم مملوكون له مستعبدون
والفصل الثالث يعني قوله التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج هو
وصنعه لها بلا امتزاج تفسير واشارة لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه
تكوينا وايجادا ان نقول له كن فيكون فكنى كما مر عن سرعة الايجاد بكن لاستحالة
ان يكون المعدوم نفسه الباب الرابع من القسم الاول فيما اظهر الله على
يديه من المعجزات الشاهدة بصدق رسالته جمع معجزة وهي كما مر خارق للعادة
يتحدى به كل نبي من كذبه من قومه وهو من نوع ما كانوا عليه كما بعث نبينا الى
بلغاء ذوي بلاغة عارفين بموارد الكلام ومصادره فتحداهم باقصر سورة من
كتاب منزل بمعنى كثير في حلل لفظ قليل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل
من حكيم حميد فعجز من باراه وخرس من ناواه وفيما شرفه من الخصايص والكرامات
التي لم يفز بمجموعها غيره حسب التامل اي كفايته ان يتحقق ان كان بهذا المجد
لمنكر نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فيحتاج في رد ما زعموه انكارا وطعنا الى
نصب البراهين جمع برهان وهو الحجة عليها اي على معجزاته لاثباتها وتحصين حوزتها
بمهلة وناي اي وحفظ افرادها مجموعة محصنة حتى لا تتوصل اليها المطاعن
ولا تعتريها الاباطيل ونذكر شروط المعجز لغيره اذا غلبه والتحدي وصيغ وبهر
طلبه لمعارضته ونذكر فساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده نكدا لم يحجه لشيء من
ذلك فلم نحتج الى ذكر ما يدفعه بل الغناء اي كفايتنا هنا لاهل ملته اي دينه صلى الله
عليه وسلم الكاملين اي المجيبين لدعوته الى دار السلام واصحابها المصدقين بنبوته
ليكون علة تابعة لما ذكرتنا كبعا في محبتهم له ومنماة اي محلا للنمو وهو الزيادة
لاعمالهم وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وجعلنا نامنماة لنموها لكونه سببا
باعثا عليها اذ تاكد المحبة من اعمال المحبة ونيتنا ان نثبت في هذا الباب نكت
معجزاته اي كتابها وعظاتها ودرسا ضرابا نه لبدل ما نراه من ايثارها بالمحقق
الذي لا مرية في وقوعه كالقران والصحيح الاسناد كحنين الجذع وتسبيح الحصا

والطعام واكرم مما بلغ القطع او كاد اي قارب ان يبلغه واضفنا اليها بعض ما
وقع في مشاهير كتب الائمة كالصحيحين وسنن ابي داود واذا تامل المتامل المنصف
ما قدمناه من جميل اثره جمع اثرة بفتح الهمزة والثاء من اثر يوثر ايثارا اي اعطى وماثر
العرب مكارمها ومفاخرها التي كانت عنها اي تروى وتذكر وحميد سيره ن
وبراعة علمه من برع اذا فاق غيره فيه ورجاحة عقله وحلمه اي زيادتهما على عقل
غيره وحلمه وجملة كماله اي كله لانه يشبهها دون الاضافة وجميع خصاله الحميدة المرضية
وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر جواب اذا اي لم يشك في صحة نبوته وصدق
دعوته الحلو تدعا به الاسلام الى الحق وقد كفى هذا اي ما ذكر غير واحد ممن تامله
في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما باسانيدهم
تشاهدا بان من تامل بنصف احواله وصفاته وافعاله واقواله لم يبق عنده تردد في صحة
نبوته هو ان عبد الله بن سلام بتخفيف اللام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة جئته جواب لما لانظر اليه فلما استبنت وجهه وظهر منه لما
صدقه عرفت جواب لما ان وجهه ليس بوجه كذاب وروى ابن سعد عن ابي
رمثة التيمي اتينا النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فاريته فلما رايته قلت
هذا نبي الله لما ظهر له عليه من ملابس الصدق وعلامات الحق وروى مسلم وغيره ان
ضمادا هو ابن ثعلبة من ازد شنوءة وكان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم من قبل
البعثة لما وفد عليه صلى الله عليه وسلم وقد سمع بعض قريش يقول محمد مجنون فقال
يا محمد اني راق هل بك شيء ابتغيك فقال له النبي لما التمس اليه ان الحمد لله جملة اسمية هي في
الاصل اخبارية اريد بها الانشا اكدها بان واسمية الجملة تنزيلا لضماد منزلة
منزلة منكر كون الحمد بالذات لله لما عسى يكون عنده من الانكار نحمده ونستعينه
اردف تلك الجملة بجملة فعلية للاشارة بانه مقام تجديد نعم يوجب الحمد بازديادها
فناسب ان يورد ما يدل على التجدد والحدوث او حمده به مبالغة في حمده لما
عليه من شرايف النعم وكرايم الشيم او حملا للاولى على الخبر وهذه على الانشا
ويحمى نبوات العظمة اظهارا للملزومها الذي هو ما انعم عليه به تعظيما وتجليلا
امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له اذ بيده الهداية والاضلال واشهد ان لا اله موجود مستحق
للعبادة الا الله مستثنى مما افاده اله من ان الكرم لكونه كليا لكنه ليست ممكنه الا تحالته
الا ذلك الموجود المنفرد بشروط الالوهية الحق الجامع لصفات الربوبية فالمراد
بهذه الكلمة نفي ما استحال وجوده واثبات ما استحال عدمه ولم يقل ونشهد
ليجري على نسق ما قبله تفننا في الكلام فان نقله من اسلوب الى اخر من حسن تطرية
اي احداثا وتجديدا لنشاط سامعه وايقاظا لاصغائه اليه وحده لا شريك له تاكيدا

لما

لما افاده اعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر اي وسطه ولجته قاله تعجبا من
بلاغتها وايرادها مطابقة لمقتضى الحال وتسابق معانيها الفاظها الى الفهم وروى
البيهقي قال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق اخبره انه راى النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم هل معكم شيء تبيعونه
قلنا هذا البعير قلنا بكذا وكذا وسقا بفتح الواو وكسرها ستون صاعا من تمر
فاخذ بخطامه اي برسنه الذي يقاد به وسار فقلنا بعنا من رجل ما ندري من
هو ومعنا ظعينة اي امراة سميت ظعينة لانها تظعن اي تسير مع زوجها حيث
سار ولانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت اذ هي اصلها وقيل هي المراة في هودجها
ثم قيل للهودج بلا امراة فيه وللمراة بلا هودج وجمعها ظعن بفتح الظاء والعين
وضمهما وظعاين واظعان فقالت انا ضامنة لثمن البعير لما ظهر لها عليه من
مخايل الصدق وملابس الوفا رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر تلالؤه
حسنا ولها اذ كان ازهر اللون لا يخيسكم اي لا يغدر ولا يخلف فاصبحنا فجاء رجل
بتمر فقال انا رسول رسول الله اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا
حتى تستوفوا وروى وثيمة في كتاب الردة عن ابن اسحق في جيفر الجلندي بضم
الجيم وفتح اللام والدال بينهما نون ساكنة ملك عمان بفتح العين وتشديد
الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما ما هو بالضم والتخفيف
فصقع عند البحرين لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الاسلام
المورد بالعود بسعادة الدارين قال والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه
واسمها في تاويل مفرد هو فاعل دل اي كونه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به
ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له كما قال صلى الله عليه وسلم والله اني لاتقاكم
لله واخشاكم له وانه يغلب اي اعداه فلا يبطر اي لا يطغى اذا انتصر عليهم بل يسلك
فيهم ما امر به ويغلب فلا يضجر اي لا يسام ولا ييس من مكروه ويفي
بالعهد ولا ينكثه امتثالا لقوله تعالى واوفوا بالعهد وينجز الموعود به لمن وعده
به واشهد انه نبي الله ذرمنا ارجح عقله واتم نظره اذ قد حملته هذه
المحاسن بتاملها على الاقرار بنبوته وما نقله هنا عن نفطويه هنا تقدم
نقله عن غيره وبيانه وكرره تمهيدا لقوله يقول يعني الله تعالى ارادة وبيانا لقوله
تكاد زيتها يضيء اي يكاد منظره صلى الله عليه وسلم يدل على نبوته كما قال
ابن رواحة عبد الله الانصاري لو لم تكن فيه ايات مبينة يجوز ان يكون بيانا وهما
على الفاعلية او المفعولية لكان منظره ينبي عن فضل اعلم خطاب لكل من امكن توجيهه
اليه ولمن شاء له تالف الكتاب ان الله قد دعا على حظي المعرفة بجميع جزيات المعرفة
شرعية وغير شرعية وان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم في قلوب

عباده فتبعها اذن واعبه وقادر على خلق العلم بثباته لا بكنهها بل بكونها موجودة
واسمائه الحسنى الدالة على احسن المعاني وصفاته العلى المتعالية عن ان
يشبهها صفة مخلوق وجميع تكليفاته التي الزمها عباده فيعلمون ان لهم ربا
موجودا ذا اسما وصفات كماله ابتدا ودون واسطة لو شا خلق ذلك فيهم ابتدا
بلا مرشد اليه ومبين لهم اياه كما حكى عن سنته في بعض الانبيا اذ خلق فيهم ذلك
الهاما والقا في الروع او رويا كما مر ابراهيم مناما بذبح ولده ورويا هم وحي وذكر بعض
اهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي وحي الهام او
رويا نبيها دة واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فانه قطعا الهام او رويا وكما هو تعالى
قادر على خلق ما ذكر في قلوبهم ابتدا دون واسطة جاز ان يوصل اليهم جميع ذلك
بواسطة يبلغهم ما امر بتبليغه اليهم مما يدل على ذلك من كلام يهدي اليه ويكون
ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبيا يوحون اليهم ما ارسلوا به
او من جنسهم كالانبيا مع الامم يبينون لهم ما نزل اليهم ولا مانع لهذا الذي ذكر
يمنع وصوله الى عباده بواحد من حالتي الابتدا والواسطة من دليل العقل يحيل
اياه ولو مستحيلا والاضافة اما بيانية اي من العقل الذي هو نفسه دليل ادراك
الامور وتجويزها ولو فرضا او معنوية اي ولا مانع من ادلته يمنعه واذا جاز هذا
ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم الباهرة ما تارهم الظاهرة
وجب على المرسل اليهم تصديقهم في جميع ما اتوا به مما كلفوا بتبليغه ولان المعجز
مع التحدي وهو طلب معارضته المأتي به من النبي قايم مقام قول الله صدق
عبدي لاتيانه بما لم يأت به احد من ابنا جنسه فهو دال على صدقه فاطيعوه واتبعوه
وشاهد على صدقه فيما يقوله من دعواه النبوة والرسالة الى من ارسل اليهم
وهذا كاف في قضايه بامكان ما ذكروا ان المعجز مؤذن بصدق النبي لقيامه مقام
اخبار الله بانه صادق لجري عادته بخلق العلم بصدقه علما ضروريا والتطويل خارج
عن الغرض اذ الغرض منه ما يفيد المعنى المراد والتطويل كطريق مشوك يورث
الغم ممن جرى في تحصيل مراده فمن اراد تتبعه وجمع جواب ما تضمنته من من الشروط
مستوفى في مصنفات ايمتنا يعني المالكية والنبوة لغة من همز ماخوذة من النبا
وهو الخبر لان النبي من يتصف به عن الله وقد لا تهمز على هذا الثاني بل تقلب
همزتها واوا ثم الادغام كالمروة والمعنى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه انه
نبيه فيكون نبيا منبئا بما اطلعه عليه ومعناه ان لم تهمز رتبة شريفة
لم تدرك ولم ترم ومكانة نبيهة اي شريفة عليه من النبا وهو ما ارتفع يقال نبه ينبه
اذا صار نبيها اي شريفا عند مولاه منيفة اي عالية من الهامرتفع لمستتم سواه
فالوصفان من كونه منبئا او منبيا في حقه مؤتلفان تتلاقيه مبا سو ذنا ه

بشرف

ده

بشرف ذاته وانافة قدره واما الرسول فهو المرسل من ربه الى مكلفي خلقه بشرعها
يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فامنوا بالله ورسوله محمد رسول الله فارسلنا
الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ولم يات فعول بمعنى مفعل الا نادرا
لعدم وروده والله اعلم لغير هذا المعنى وارساله اعلام الله له بالابلاغ الى من
ارسل اليه بواسطة او بدونها كما وقع لموسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى
اذهب الى فرعون انه طغى واشتقاقه اي الرسول من حيث المعنى من التتابع
لمناسبة بينهما هي تضمن المشتق معنى مبدايه من توالي افراده رسولا فرسولا
بشهادة ثم قفينا على اثارهم برسلنا ثم ارسلنا رسلنا تترى اي متتابعين
واحدا بعد واحد وتنا تترى بدل من واو اذ اصله وترى من الوتر وهو الفرد
قلبت كما في تراث او من توالي الوحي الى الموحى اليه للتبليغ واراد بالاشتقاق مطلق
الاخذ اذ هو اوسع دايرة منه ومنه قولهم جا الناس ارسالا جمع رسل بفتحتين
اي متفرقين فاتبع بعضهم بعضا وقد ورد الظهر صلوا عليه صلى الله عليه وسلم
ارسالا لا يتبع بعضهم بعضا فكانه صلى الله عليه وسلم الزم تكرير التبليغ الى
امته ما ارسل به اليهم والزمنا لامته اتباعه فيما جاء به عن ربه اليهم
واختلف العلما هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سوا في المعنى
فهما انسان اوحي اليه بشرع واصله من الانبا وهو الاخبار والاعلام واستدلوا
بكونهما سوا في المعنى بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد
اثبت لهما معا الارسال ولم يجعل للعطف حكما بمغايرة بينهما ولا يكون النبي
الا رسولا ولا يكون الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان بينهما ده اصل العطف
بالحكم بتغايرهما من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي في اللغة من همز
الاطلاع لهما من الله تعالى على الغيب والاعلام لهما من ربهما بخواص النبوة مثل
كونهما يوحى اليهما ذوي عصمة او هي في اللغة من لم يهمز الرفعة لرفعة
ذلك اي شان النبوة وحزم درجتها التي لا درجة فوقها سوا الالهية ب
وافترقا في زيادة الرسولة للرسول بمنزلة عنده بمزيدة له عليه وهو الامر
بالانذار والاعلام بما كلفه بتبليغه من ارسل اليه به وذكر ضمير زيادة الرسالة لم
لوقوعه بين مذكر ومؤنث مؤذن بجواز تذكيره وتانيثه وجمعهما اي تمن كل
بافتراقهما من الاية نفسها التفريق بينهما تحليل ما ضل فيها بالتغاير بين الامرين
ضرورة كون المعطوف غالبا غير المعطوف عليه ولو كانا شيئا واحدا لما
حسن تكرارهما في الكلام البليغ المعجز فصحا العرب البشر من بلغا اهل الوبر
ان ياتوا المعارضة قصر سورة منه ببنت شفة وقولوا المعنى الوارد فيه
الاية وما ارسلنا من رسول الى امة امرناه ان يدعوهم الى الحق ونعدنا ٥

اونبي ان بعثنا ولم يبن مرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول
من جاء بشرع مبتدا اي ليس مقررا لشرع من قبله ولو لم ينسخ بعض احكامه
ومن لم يات به اي بشرع مبتدا فهو نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار
لمن اريد ابلاغه وانذاره ولو نفسه والصحيح الذي عليه الجم الغفير اي
الكثيرون جدا ان كل رسول نبي لاتصافه بمبداهما وليس كل نبي رسولا لاتصافه
بالنبوة فقط فبينهما عموم وخصوص مطلق واول الرسل ادم الى بنيه وكانوا
مومنين فعلمهم شرايع علمه الله اياها فلا يرد نوح لانه اول رسول الى الكفار فيما
آمن معه منهم الا قليل واخرهم محمد بشهادة وخاتم النبيين ولا نبي بعدي فلا
رسول بعدي وفي حديث ابي ذر الذي رواه احمد وابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم
ان الانبيا مائة الف نبي واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم اي
من الانبيا ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم ادم وفي رواية ادم وخمسة عشر جم
الغفير قال في النهاية كذا ورد قالوا والصواب جما غفيرا وما انكر غير صحيح
اذ يقال جاوا الجم الغفير بلام واضيف من باب صلاة الاولى ومسجد الجامع واصلهما
من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة ومن الغفر وهو التغطية والستر
فجعلتا في موضع الشمول والاحاطة ولم تقل العرب الجما الا موصوفا وهو منصوب
على المصدر كطرا او قاطبة فانها اسما وضعت موضع المصدر وقد بان اي
ظهر لك مما تقدم معنى النبوة من كون النبي منبا او منبيا عن ربه او له
عند ربه شريفة ومكانة منيفة وبان لك معنى الرسالة من كون الرسول
مرسلا من ربه الى عباده ليبين لهم ما ارسل به اليهم وليستا اي النبوة
والرسالة ذاتا للنبي لقضا البديهة به ولا صفة ذات قايمة بها خلافا للكرامية
اذ قالوا هما صفتان قايمتان بذاتنا الرسول سوى الوحي وامر الله له
بالتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبهما لاتصافه بهما رسول وان لم يرسله
الله ويجب عليه ارساله لا غير فهو اذا ارسل مرسل وكل مرسل رسول
بلا عكس اي وليس كل رسول مرسلا وقد لا يرسله قالوا فيجوز عزل المرسل
عن كونه مرسلا دون الرسول اذ لا يتصور عزله عن كونه رسولا كذا زعموا
في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل وهم منسوبون الى محمد بن كرام بفتح
الكاف مع تشديد الرا او تخفيفها او هو رزنة جمع كريم قال ابن الصلاح ولا
معدل عن الاول فالجزم ابن السمعاني به في الانساب قال وكان والده يحفظ
كروما فقيل له كراما واما الوحي فانه يطلق مرادا به الموحي والالهام
والخط والاشارة واصله الاسراع بشهادة حديث اذا اردت امرا فتدبر
عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه اي فاسرع اليه وهاوم

مات

للسكت فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهام
وحيا تشبيها لها بالوحي الى النبي في تلقيها بعجل فاستعير لها اسمه استعارة
تحقيقيه وهي جمع الهام وهي الفاشي في الروع يبعث على الفعل او الترك بحضر
به من نبيا وسمي الخط وحيا تشبيها له به فاستعير له اسمه استعارة تحقيقيه
بجامع السرعة في حركة يد كاتبه ووحي اي اشارة الحاجب واللحظ لسرعة اشارة
اي حركتها بها ولو قال وسميت الحاجب واللحظ وحيا تشبيها لها به لسرعة حركتها
لكان اوضح واولى ومنه اي من اطلاق الوحي على الاشارة قوله تعالى فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا اي اومى ورمز اي اشار وقيل كتب لهم على الارض ومنه
قولهم كما في حديث ابي بكر الوحا الوحا بمد ويقصر اي السرعة السرعة يقال
توحيت توحيا اذا اسرعت وهو منصوب على الاغرا بفعل مضمر وقيل الوحي السر
والاخفا ومن ثم قالوا هو الاعلام في خفا ومنه اي من كون الوحي هو السر سمي
الالهام وحيا لخفايه ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم
من المشركين اي يوسوسون في صدورهم ومنه واوحينا الى ام موسى اي القي
في قلبها منا ما او الهاما ان ارضعيه ما امكنك اخفاوه وقد قيل ذلك اي ما فسر
به واوحينا الى ام موسى في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي
ما يلقيه في قلبه الهاما ومناما دون واسطة فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما
جات به الانبيا من الايات الخارقة للعادة معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان
بمثلها فكان عجزهم عنه سببا لتسميتها معجزة من العجز المقابل للقدرة وحقيقة الا
اثبات عجز المرسل اليهم استعير لاظهار عجزهم ثم اسند الى ما هو سبب الى الاسمية
او للمبالغة كالعلامة هي اي المعجزة على ضربين من حيث كونها مقدورة للبشر وغير
مقدورة له ضرب هو من نوع ما يمكن دخوله تحت قدرة البشر ويمكنهم الاتيان
به فعجزوا عنه فتعجيزهم مصدر مضاف الى المفعول اي تعجيزا ساياهم عنه
فعل الله دل على صدق نبيه لانه كتصريح قوله صدق عبدي في دعواه الرسالة
لجري العادة بخلقه تعالى عقبه علما ضروريا بصدقه كمن قال لجمع اني رسول الله
اليكم ثم نتق فوقهم جبلا ثم قال ان كذبتموني وقع عليكم والا انصرف عنكم فكلما هموا
بتصديقه بعد عنهم او بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون ضرورة صدقه مع
قضا الحاجة العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب بصرفهم عن تمني الموت
اذ بعجزهم عن تمنيه مع امكانه يعلمون ضرورة انه صادق وتعجيزهم بالجر عطفا
على صرفهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم كالنظام من المعتزلة وكثير
منهم والمرتضى من الشيعة قالوا ان الله صرف هممهم عن معارضته مع قدرتهم
عليها وهذا الضرب في الحقيقة ليس نوعا معجزا لاتصافهم بالقدرة على معارضته

تهما

عجاز

لكن منعها عنها مانع والحق ان عجزهم عنها انما كان لعلو رتبته فصاحة وبلاغة وغرابة
اساليبه وجزالة تراكيبه مطابقا في كل مقام مقتضى حاله بالغا في ذلك كله حدا
خرج به عن طوق البشر واعجزهم عن معارضته مع معرفتهم ما تضمنه من وجوه
الفصاحة وفنون البلاغة من تاكيد وتشبيه واستعارة وحسن فواتح وخواتم
وفواصل وتقديم وتاخير وفصل ووصل وخلوه عن ركاكة اللفظ وشاذ وخارج
عن القياس وشاذ نادر عن الاستعمال الى غير ذلك من بدايع العجايب وروايع الغرايب
مما لم يتعذر احد ممن اتقن ذروة البلاغة الا على نوع منها او نوعين لشبهة دة
قول الامدي ان افصح فصيح وابلغ غايته ان يستاثر بنوع منه على وجه لوازم غيره
في كلامه لما واتاه وكان فيه مقصرا ومن كان عارف لغة العرب وفنون بلاغتها
عرف اعجاز هذا وقد تحدى صلى الله عليه وسلم به ودعى الى الاتيان بسورة
من سوره فلم ينهض له تعذرا مع كثرتهم وحرصهم على رد دعواه الرسالة
واواطهم في المضادة له والمضارة والمعارة وركوبهم الشدايد
حتى اعرضوا عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف عجزا منهم ولم
يطعنوا فيه لما لاح لهم من كماله حسنا ونظما مع حذقهم في اسرار الكلام بل
جعلوه كالوليد بن المغيرة سحرا تعجبا وتعجبا من غاية بلاغته ونهاية براعته
وجزالة لفظه لا من عجزهم عن معارضته مع اعترافهم بانه ليس من جنس البشر
حتى قال الوليد بن المغيرة ان له حلاوة وان عليه لطلاوة اي رونقا وحسنا
وقد تفتح طاوع فاثروا المقاتلة على المقاولة وابى الله الا ان يتم نوره وضرب
من المعجزة هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا
الموتى اذ ليس من جنس افعالنا واما احياؤهم بدعا عيسى معجزة له فانما كان من
الله لا منه لشهادة واحيي الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذني وقلب العصا
حية تسعى معجزة لموسى واخراج ناقة من صخرة بلا واسطة واسباب معهودة
معجزة لصالح اذ قد اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة
اسمها الكاثبة ناقة عشرا جوفا وبرا فصلى فدعا ربه فتمخضت تمخض النتوج
بولدها فانصدعت عن ناقة عشرا جوفا وبرا وهم ينظرون ثم ولدت
ولدا مثلها في العظم فآمن جندع في جمع وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا
الناقة فاخذتهم رجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وكلام الشجر ونبع الماء من
الاصابع وانشقاق القمر كما وردت صحيحة معجزات لمحمد صلى الله عليه وسلم
وذلك مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله فيكون ذلك اي الذي لا يفعله الا
الله على يدي النبي من فعل الله حقيقة وتحديه من يكذبه اي طلبه منه ان
ياتي بمثله تعجيز له عن ذلك واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله

عليه

عليه وسلم ودلايل نبوته وبراهين صدقه كانشقاق القمر ومجي الشجر وتسليم
الحجر وتسبيح الحصا وحنين الجذع وسقوط شرف ايوان الاكاسرة وخمود نار تان
ليلة ولادته واظلال الغمام له الى غير ذلك مما عسر حصره من هذين النوعين معا
اي ما هو من نوع قدرة البشر وما هو خارج عنها كالقران وقد تلي عليك
ما ان استنباته اذنك بان عجزهم عن معارضته انما كان لجزالته لفظا ونهاية بته
بلاغة وغايته فصاحة ونصاعته براعة وصياغته تركيبا وغرابته اسلوبا
وحسنه نظما وكماله معنى وهو اي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اكثر الانبيا
من معجزاتهم معجزة وابهرهم اية من بهر القمر الكوكب اذا غلب نوره نورها
اي اياته اغلب من اياتهم واظهرهم برهانا من برهانهم كما سنبينه في محله ان
شا الله تعالى وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القران
من حيث اياته وسوره لا تحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لما اودع فيه
من فنون البلاغة كافادته المعاني الكثيرة بالفاظ قليلة وانواع التوكيد و
والتشبيه والاستعارة وحسن الفواتح والخواتم والفواصل والتقديم والتاخير
والفصل والوصل وخلوه عن ركاكة اللفظ والشاذ الخارج عن القياس والشارد
النافر عن الاستعمال الى غير ذلك من انواعها البحيية وشتوتها الغريبة مما
لم يقدر على معارضته لان النبي قد تحدى بسورة منه فعجز عنها فول
اهل العلم واقصر سورة منه اي القران انا اعطيناك الكوثر لانها ثلاث لعل منه
ايات قصر وفيها اقل من حروف سورة هي مثلها كقل هو الله احد فكل اية منه
طويلة بعدد اياتها كلمات وحروف او ايات منه بعددها ايات وحروف
وكلمات معجزة لا تعارض موازاة ومداناة ثم فيها نفسها اي في سورة الكوثر ثر
معجزات على ما سنفصله فيما انطوى اي اشتمل القران عليه من المعجزات
التي تكاد تفوت الحصر ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين تمثيل
لكون معجزاته نوعين واستقرارها فيها بمن اعتلا شيا وركبه اي منقسمة
اليهما انقسام الكل الى الجزئيات قسم منها علم لنا من طريق كونه قطعا ونقل الينا
تواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف بمجي النبي به ولا مرية ولا خلاف في ظهوره
من قبله وجهته واستدلاله بحجته على اثبات نبوته وكونه رسولا الى الناس
كافة ونحو ذلك بغرابة اسلوبه وبراعة ترتيبه وجزالة تركيبه والاضافة بيانية
وان انكر هذا اي مجيه به وظهوره من قبله واستدلاله به معاند جاحد عن
منهج القصد باغ يرد الحق مع علمه جاحد له منكر فهو اي انكاره ذلك كانكار ه
وجود محمد في الدنيا وانما اعتراض الجاحدين في الحجة به اي في كونه
حجة له صلى الله عليه وسلم كما ورد اي كونه كلام الله اذ قالوا اساطير

الا ولين ما انزل الله على بشر من شيء هذا سحر مبين فهو اي القران في نفسه وجميع ما تضمنه
من معجز معلوم ضرورة انه كما شهد به الاعداء كالوليد بن المغيرة اذ قال والله ان له علينه
منه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر وما هو
من كلام البشر وجه اعجازه معلوم ضرورة بجزالة لفظه وفخامة تاليفه
وبلوغها اقصى درجات مراتب البلاغة والفصاحة وحسن التيام كلماته ونظم
اياته وبراعة ايجازه وغرابة فنونه وصباحة وجوه فواتحه وخواتمه فلا يحتاج العلم
به الى دليل ونظرا لا فتقار بعض وجوهها اليه كما سنشرحه قال بعض ايمتنا
اي المالكية وجرى هذا المجرى على الجملة اي مجرى كون القسم من معجزاته علم قطعا نقل
الينا تواترا انه قد جرى فاعل جرى على يديه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق
عادات عطف بعض العام عليه لمزية اختص بها هي كونه خارق ان لم يبلغ واحد منها
معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها على يديه صلى الله عليه
وسلم ناطقة بصدقه شاهدة بنبوته ولا يختلف مومن ولا كافر انه قد جرت
على يديه عجايب ازاغت ابصارهم وحيرت البابهم لشدة النهي وانما يخالف
اي في كون العجايب فايضة من قبل المبدا الفياض الله من حيث يجعلونها سحرا وافكا
مفتري وقد قدمنا كونها فايضة من قبل الله من حيث ان ذلك المعجز مع التحدي
من النبي بمثابة قوله تعالى يا عبدي صدقت فيما تدعيه من الرسالة فقد علم
وقوع مثل هذا الذي قدمناه ايضا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق
معانيها في كونها خوارق عادات تعجز من تصدى لمعارضتها كما نعلم ضرورة جود
حاتم الطاي وشجاعة عنترة العبسي وحلم احنف بن قيس التميمي لاتفاق
الاخبار المتواردة عن كل واحد منهم على كرم حاتم هذا وشجاعة عنترة
هذا وحلم احنف هذا اشار الى كل بما للقريب تنزيلا له في ذهنه منزلته
وان كان كل خبر من اخبارهم الثلاثة بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع بصحته
لعدم تواتر كل واحد منها منفردا في كل عصر والقسم الثاني من معجزاته
صلى الله عليه وسلم هو ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو لنبوته
في نفسه كانه مستغل على نوعين نوع مشتهر منتشر رواه العدد
الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين حفاظ السنة قولا وعملا وتقريرا ن
والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الما من بين اصابعه وتكثير الطعام
المؤذن به حديث انس وغيره وكحنين الجذع وكلام الضب والذراع فيما
رواه الشيخان وغيرهما ونوع منه غير مشتهر ولا منتشر اختص به ممن
ذكر الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر اشتهار غيره
لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى المقصود به الاعجاز واتفقا على

الاتيان بالمعجز كما قدمنا من انه لا مرية في جريان معانيها على يديه وانه اذا ضم
بعضها الى بعض فادا القطع قال المصنف وانا اقول صدعا بالحق من صدع
بالحجة اذا تكلم بها وبين واصله الابانة والتمييز ونصبه على المصدر ان
كثيرا من هذه الايات كمجي الشجر اليه وتسبيح الحصا في يديه وتسليم الحجر
عليه الماثورة اي المروية عنه صلى الله عليه وسلم بمكة حين سا له كفار قريش
ايه والخبر عن وجوده في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقري وقد انشق
اي اقتربت وقد حصل من ايات اقترابها انشقاقه ولا يعدل عن ظاهر ورد
به القران وعليه اكثر المفسرين الى تاويله بانه سينشق يوم القيامة وجي
بالماضي لتحقق وقوعه الا بدليل موذن بحمله عليه وجاء برفع اشكاله اي احتمال
الدليل الدال على صرف الاية عن ظاهرها صحيح الاخبار من طرق كثيرة كخبر الصحيحين
فلا يوهنا اي فلا يضعف عزمنا خلاف اخرق اي احمق جاهل وفي الحديث
تعين ضايعا او تصنع لاخرق اي لجاهل لا يعرف صنعة يكتسب بها وضايعا
اي ذا ضياع من فقر او عيال او حالة عجز عن القيام بها وقد روي بالمهملة
والنون قيل وهو الصواب وقيل هو في روايته بالمهملة وفي اخرى بالمعجمة قيل
وكلاهما صواب في المعنى وفيه من ترك ضياعا فالي اي عيالا او هو بالفتح
مصدر ضاع سمي به العيال وبالكسر جمع ضايع كجياع جمع جايع منحل عرى
الدين جمع عروة وهي حبل يربط به البهم استعارة لما تمسك به من الدين
واضافته الى المشبه على طريقة التشبيه المؤكد اي الدين الذي يرتبط به المحق
كالعرى هذا الاخرق منحل منه ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يقال سخف
مضموم الخا سخافة بفتح اوله وسخفا بضمه وسكون ثانيه اي رقة عقل ضال
عدل عن الحق يلقي الشك على قلوب ضعفا المومنين زمنا قبله فيا خذهم
الى ان يفتنوا واما سخفا بالفتح فرقة العيش ومنه قول ابي ذر لبثت اياما
لا اجد سخفة جوع يعني رقته وهزاله بل يرغم انفه اي يلصق بالرغام اي التراب
هذا اصله ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد كرها كما هنا
اي بل يذل ويشقى ذكرها وفي حديث الشاة المسمومة فلما ارغم رسول الله بشر
بن البرا ما في فيه القى اللقمة من فمه في التراب ويتبذ بالعرا سخفه شبه رقة
عقله بمن القى بمكان خال مما يستره من بنا وشجر ونبات فاستعمل النبذ
تخييلا حتى كانه من افراد ما ينبذ وكذلك اي وكانشقاق القمر في كثرة الرواة
طرق والاسانيد صحة قصة نبع الما من بين اصابعه وتكثير الطعام رواهما
اي قصتيهما الثقات والعدد الكثير عطف ما بعده الثقات عليهم لتشمل غيرهم
عن الجما الغفير عن العدد الكثير من الصحابة فممن روى نبع الما بالزورا قرب

مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشيخان عن انس وبالسعد البخاري عن ابن
مسعود وممن روى تكثير الطعام البخاري والنسائي عن انس عن جابر في قصة دين
والده والشيخان والترمذي والنسائي عن انس في قصة ابي طلحة اي طلحة يوم
الخندق واخبارهم اي الصحابة ان ذلك كان في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم
الخندق بالمدينة وغزوة بواط بضم الباء وقيل بفتحها والاول اشهر جبل من جبال
جهينة وعمرة الحديبية بتخفيف الياء الثانية وغزوة تبوك وامثالها من محافل
المسلمين جمع محفل وهو مجمع الناس واصله مصدر زيدت فيه ميم ومجمع العساكر
اي مكان اجتماعهم ولم يؤثر بالبناء للمفعول اي لم ينقل عن احد من الصحابة مخالفة
للراوي لقصتهما فيما حكاه ولا نقل عن احد منهم انكار لما ذكر عنهم انهم
راوه منه صلى الله عليه وسلم كما راه منه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
منهم به اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة على كذب لانهم
كلهم عدول بسادة دون من زاغ عن الحق ولا تقرونه عليه ولم يكن هناك رغبة ولا
رهبة مصدر رغب ورهب مبنيين للمفعول اي لم يكن لهم مرغوب فيه ولا
مرهوب منه تمنعهم من الانكار لذلك سكوتا او مداهنة ولو كان ما سمعوه
منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه تفاديا من السكوت على منكر كما انكر
بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن اي قراءاته
كانكار عمر على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجابه اليه فقال سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على
غير ما اقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر
فقرأ فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرءوا ما تيسر
منه رواه الائمة الستة ومن بيان الاشياء مما هو معلوم كتخطئة ابن عباس نوفا
البكالي في قوله ان موسى الخضر ليس موسى بني اسرائيل وهذا النوع الذي رواه
العدد اليسير ولم تشتهر انتشارها وغيره فله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه
مما يؤذن بانه كاجماع سكوتي وايضا فان امثال الاخبار تاييدا لما قررناه اولا من
انها لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لانه
بها باطلها وظهر امرها اذ لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس اياها بينهم
واهل البحث والتنقيب عنها في مواطنها من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها
كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة من اخبار السوء
يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على خلاف حقيقته من الرجفة وهي الزلزلة سمي
به الاخبار الكاذبة لتزلزله وعدم ثبوته كذلك واعلام نبينا بفتح الهمزة اي معجزاته
التي هي شهود لها وانتشارها كالاعلام جمع علم على عجز من ناره هذه الواردة

اي

اي كل واحد منها من طرق الآحاد مع انها اذا ضم بعضها الى بعض صارت متواترة معنى
لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا اجلالا للموهبة وارغاما للقائلين عنادا ومع
تداول الفرق الاعداء فرقة فرقة وكثرة طعن العدو اي وقوعه فيها ذما وعيبا وحرصه
على توهينها وتضعيف اصلها انكارا لها بجعلها سحرا واجتهاد الملحد اي بذل الطاقة
وسعه عادلا عن الحق وفي نسخة واجتهاد بلا تاء اي نفسه من الجهد كما في حديث القرع
والبرص فوالله لا اجهدك اليوم شيئا اخذته لله اي لا اشق عليك ولا اردك عن شيء
تأخذه من مالي لله تعالى او وجهد كما في حديث اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها
يقال جهد في الامر الذي جد فيه وبالغ فيه محافظة على اطفاء نورها لا تزداد بفعل
ذلك الموجب لسخط الله على فاعله الا قوة وقبولا لها من كل منصف مذعن للحق
ولا تزداد مع ذلك للطاعن اي اللازم العائب عليها الا حسرة وغليلا اي اضطرام
احشائه سعيرا وكذلك اي وكما علامة بفتح الهمزة فيما ذكر من الانذار اخباره
بكشفها مصدر اخبر كغيوبه صلى الله عليه وسلم مما اخبر به من المغيبات في
حديث كما كم بلاء يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم
وقد وجد اي لا تزداد مع ذلك الا شهرة وانتشارا والشانيها الا حسرة وصغارا ما
وكذلك انباؤه مصدر انبأ اي اخباره بما يكون في الغيوب وكان من العدم كل ذلك معلوم م
كونه من اياته الخارقة للعادة على الجملة بالضرورة فهو في الجملة قطعي من غير انفيا ج
علما يكونه منها الى كسب وقال بعد اي بكون اخباره بالغيوب وانبائه بما يكون وكان
انه من قواطع خوارق اياته على الجملة بالضرورة بتواتر النقلة من ائمتنا الاشعرية ابو بكر القاضي م
الباقلاني المالكي والاستاذ ابو بكر بن فورك بضم الفاء الشافعي وغيرهما منهم ه
وعندي ما اوجب قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر
الواحد وما الجاه الى ان يقول به الا قلة مطالعته للاخبار وقلة معرفة رواتها
وشغله بغير ذلك من المعارف جمع معرفة بمعنى معروفة والا نقول ان موجب
قوله ذلك قلة ذلك فلا خفى ان من اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير
وعرف مشاربها ومصادرها لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة
ولم يخف عليه انها على الوجه الذي ذكرناه من انها من باب التواتر معنى بجمع
طرقها وضم بعضها الى بعض هذا من التواتر معنى وخبر المبتدأ اعني لم يرتب في ص
برد اعتراضه على من قال انها من باب خبر الواحد اذ لم يرد به مجموعها بل جميعها اي كل
فرد منها ورد من طرق الآحاد ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند اخر بحسب تواتر النقل فان اكثر الناس يعلمون بالخبر مع تواتر نقله كون بغداد
موجودة وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة لا تشتهر رها وانتشارهم
عندهم بتواتر اليهم هنا ومنشئها ابو الدوانيق اي ابو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني

العباس وفي اسمها لغات اهمال دالها واعجامها واهمال الاول دون الثانيه وعكسه ن
وابدال الثانية نونا ومعناه عطية الصنم والدوانيق جمع دانق بفتح نونه وكسرها
وهو سدس الدينار والدرهم وفي حديث الحسن لعن الله الدانق ومن دنق الدانق
لعله للزجر عن التقدير به والنظر في الحقير التافه واحادا لناس لا يعلمون اسمها اي
بغداد لعدم سماعهم اياها اذلم يبلغهم فضلا عن وصفها من قولك انفقت الدرهم
وفضل منه كذا اي بقي اي نتفا وصفها بالكلية وبقي عدم علمهم باسمها وقد مرّ لهذا
فضل بيان وهكذا اي وكعلم اكثر الناس بالخبر وجود بغداد يعلم الفقهاء من اصحاب
مالك من حيث تقليدهم بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام
القران في الصلاة للمنفرد والامام دون المأموم وان لم يسمع قراءة امامه بل تكره
له في الجهرية قراءتها وان مذهبه اجزاء النية في اول ليلة من رمضان لجميع ايامه عما
سواه من اوائل باقي لياليه اكتفا بها فيه وكذا يعلم الفقهاء من اصحابه وغيرهم بالضرورة
وتواتر النقل ان الشافعي يري وجوبا لا ندبا تجديد النية كل ليلة لان صوم كل
يوم منه عبادة مستقلة تفتقر الي نية لشهادة انما الاعمال بالنيات اي الشرعية
اي لا يعتد بكل عمل شرعي الا بنية اذ الاصل نفي الحقيقة لا كمالها وان الشافعي يري
الاقتصار في المسح علي بعض الراس لشهادة وامسحوا برؤسكم الشامل للاقل ما يسمي
مسحا فاوجبه اخذا باليقين وما للكثيري مسح كلها احتياطا وان مذهبهما اي
مالك والشافعي القصاص في القتل بالمحدد مما يجرح كالسنان وغيره مما
لا يجرح كالعصا وايجاب النية في الوضوء لانه عمل شرعي وعبادة يفتقر اليها
تحقيقا لمعني الاخلاص وقصدا للتقرب وتمييزا للعبادة عن العادة واشتراط الولي
في النكاح لشهادة حديث الشافعي وابي داود والترمذي وابن ماجه ايما امراة
انكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل فان دخل بها
فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له وان ابا حنيفة
يخالفهما في هذه المسائل فلا يوجب في القتل بغير محدد قصاصا بل الديه ولا في
الوضوء نية لانه عنده ليس بعبادة لكن في الاسرار ان كثيرا من مشايخنا يظنون
المامور به من الوضوء يتادى بغير نية وهو غلط فان المامور به عبادة والوضوء
بغير نية ليس بعبادة ولا يشترط في النكاح وليا لشهادة حديث الشافعي ومالك والبخاري
ومسلم وغيرهم الايم احق بنفسها من وليها والبكر تستاذن واذنها صماتها اذ
الايم هي كل امراة لا زوج لها بكرا ام ثيبا فكل امراة بلغت فهي احق بنفسها من وليها
وعقدها النكاح علي نفسها صحيح وقال الجمهور والشافعي الايم هي الثيب لشهادة
مقابلتها هنا بالبكر والتصريح بها في الرواية الاخرى الثيب احق بنفسها وحملوا قوله
صلى الله عليه وسلم احق بنفسها علي الرضي فلا تزوج الا باذنها ورضاها بولي بشهادة

حديث ايما امراة انكحت نفسها السابق وحديث لا نكاح الا بولي مع غيرهما
من الاحاديث المؤذنة باشتراط الاذن والولي وغيرهم اي غير الفقهاء ممن
لا يشتغل بمذاهبهم اي مذاهب من ذكر من الائمة ولا دري اقوالهم لا يعرف
هذا الذي ذكر من المسائل من مذاهبهم فضلا عما سواه اي نفت معرفتهم ما
سوى ما ذكر وفضل عدم معرفتهم ما ذكر منها فصل في اعجاز القران مصدر
مضاف لفاعله اذ هو نفسه معجز اعلم ان كتاب الله منطو على وجوه كثيرة من الاعجاز
لما يعرف فانه معجز لكونه في اعلا مراتب البلاغة لاشتماله على دقائق واسرار وخواص
خارجة عن طوق البشر وتحصيلها اي وجوهه الكثيرة من جهة ضبط انواعها
في اربعة اوجه اولها حسن تاليفه والتئام كلمه منزلة المعاني متناسقة الدلالات
بحسب مقتضي المقامات ووجوه ايجازه من قصر وحذف جزء جملة مضاف له
موصوف او صفة في نحو واسال القرية اي اهلها ومنهم دون ذلك اي رجال
وياخذ كل سفينة غصبا اي صحيحة وغير ذلك من وجوه مما اشتمل عليه من
وجوه الاعجاز وبلاغته الخارقة عادة العرب في تحايبهم تراكيبهم وغرائب
اساليبهم وبدائع افتنانا تهم وبدائع اشاراتهم وفي هذا النوع من جنيح
كونه ليس داخلا تحت قدرتهم على قول الصرفة هذا والتيام وما بعده يجوز بها
عطفا على المضاف وذلك اي ما ذكر من عادتهم انهم كانوا ارباب هذا الشان
وفرسان الكلام تشبيه بليغ للكلام لتصرف
البديع بلاغة وبراعة وفرسانها فرسان تصرف في
البلغ فيه بايراده انواعا شتى بافانين وقد خصوا من
البلاغة والحكم جمع حكمة وهي كما العقل واتقان العمل ما لم يخص به غيرهم
من الامم سابقة ولاحقة واوتوا من ذرابة اللسان معجمة اي حدته ن
وبسطه في القول من ذرب لسانه اذا كان حاد الا يبالي ما قال ومنه سلقوكم
بالسنة حداد اي ذربة وفي حديث حذيفة قال يا رسول الله اني رجل ذرب
اللسان ما لم يوت انسان مثله وحذف فاعل خصوا واوتوا للعلم به اذ هو الله
ومن فصل الخطاب اي الكلام البين الذي يتبينه كل احد ولا يلتبس عليه
لا غيره معناه كما في وصف ام معبد كلامه صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هذر اي
لا قليل فيؤذن بالخلل ولا كثير فيوسم بالملال والهذر معجمة محركا الهذيان
وفي حديث وفد عبد القيس فرنا بامر فصل اي بين لا رجعة فيه ما يقيد
الالباب عن ان يلهج بتراكيب صناعتهم وتنهج اساليب صناعتهم افانين
الكلام جعل لهم ذلك الذي خصوا به واوتوه من الكلام الموصوف بما ذكر
طبعا وخلقة وحصل ذلك فيهم غريزة وقوة باتون منه على البديهة من غير
نزو وكسب بالعجب العجاب من لطف السحر البياني واسرار البلاغة بحسن

ن
افتنانانهم

ترتيب وسلامة نظم ويدلون اي يتوسلون به الى كل سبب يكون وسيلة
الى ما ينفثون من البدائع وينظمون من الروائع وفي حديث استسقا عمر
بالعباس وقد دلونا به اليك مستشفعين اي توسلنا به فيخطبون الخطب البليغة
بها في المقامات ويشدون الخطب اي الامر لتعظيم الشان والحال الذي تقع
فيه المخاطبة مفاعلة من الخطاب ويرتجزون اي يوردونه مرتجزا في الحرب بين
الطعن والضرب كقول علي لما بارز مرحبا بخيبر

انا الذي سمتني امي حيدره • كليث غابات كريه المنظره
اكيلكم بالسيف كيل السندره • يعني مكيال واسع اي اقتلكم قتلا ذريعا
واسعا وقول سلمة بن الاكوع •
خذها من ابن الاكوع • واليوم يوم الرضع

ويمدحون بعضهم بعضا تحريكا وكشفا لمحمود وجلبا لفايد ويقدحون
افكارهم فيستخرجون سحر الكلام في احسن نظام وانسجام على تجانسي
ويتوسلون به الى من يرومون منه نجاح مآربهم ويتوصلون به الى الفوز
بمطالبهم ويرفعون ويضعون من ارادوا فياتون من انواع ذلك الكلام
الموصوف بما ذكر بالسحر الحلال وهو ما اشبه السحر لفظه ولطف معناه في مقاماتهم
ومقاصدهم ويطوقون من اوصافهم الجميلة وسماتهم الحميدة من داوى واهل
ما هو اجل من سمط اللآل هو الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك ويخدعون
الالباب اي يستميلون بها العقول حتى ياخذوا بمجامعها فتنقاد لهم ويذللون
الصعاب من الذل بكسر المعجمة ضد الصعب اي يجعلونها به مطيعة لا صعوبة
بها ويذهبون الاحن بكسر الهمزة جمع احنة وهي الحقد والهيجن بضم اولى
بائيه مع تشديد الثانية اي يبرئون الدمن بكسر المهملة وفتح الميم جمع
دمنة وهي في الاصل ما تدمنه الابل والغنم بابوالها وابعارها اي
تلبده في مرابضها ثم استعمل في الطعن والحقد لكونه في الباطن كالتلبد
ويجرئون الجبان اي يجعلونه ذا جراءة وشجاعة واقدام ويبسطون يد الجعد
البنان الجعد هو الجواد الكريم فاذا قرن باليد والاصابع والبنان كان بمعنى
البخيل اللئيم يقال في ضده سبط اليد والبنان وقد اكد بالاتيان
بالقطط في المعنيين معا فقيل للكريم جعد قطط وللئيم جعد اليد قطط
فوصف اليد بالسبوطة كناية عن انبساطها بالعرف ووصفها بالجعودة كناية
عن انقباضها وبخلها به اي يبسطون بفنون الكلام بلاغتهم عن ذاهبي القبول يد
الجعد القطط بعد انقباضها بخلا ويصيرون بحسن دعايتهم وعن عنايتهم
الناقص كاملا ويتركون النبيه اي الشريف بعد شرفه خاملا شانه منخفضا امره

موضوعا

موضوعا قدره ادنى ما لا حرابا عزم وانفه والاشد شكيمة وصلفه منهم البدوي
اي من يسكن البادية ذو اللفظ الجزل اي البليغ السديد استقامة وقصد
الا فراط فيه ولا تفريط والقول الفصل اي القاطع البين الذي يتبينه كل
احد ولا يشتبه عليه والكلام الفخم في ايراده يملأ الاسماع ويشغل الصدور
بما كسته من بدائع الغرائب وروائع رغائب عذبة سلسة واتم عاكبه
والكلام الفخم في ايراده والطبع الجوهري اي الشديد الصوت العالي الطويل
زايد من جهر بصوته اذا رفعه بشدة وفي حديث العباس انه نادى بصوت
جوهري شديد عال وفي نسخة الجوهري بتقديم الواو اي حسن بعنق الكلام
البيان عن اذهار لطايف المعاني بنفس يقظى وفهم ثاقب والمنزع القوي
لا ابراز لطايف السحر البياني والكشف عن اسرار بدايع المثاني فسعاد
مكان النزع الذي هو المخلص في نظم الكلام على احسن وجه واتقنه ومنهم نظمن
الحضري اي من يسكن الحاضر ذو البلاغة البارعه اي الفايقه بما ابدع ذلك
من محسنات او رتبتها حسنا ومن ثم وصفه بذلك لرقة طبعه وسلامة
ذوقه دون البدوي مع ان ما وصفه به ايضا يبلغ من برع اقرانه اذا
فاقهم والالفاظ الناصعه اي الخالصه من شوايب الركاكة والكراهة لبلاغة
شانها وفصاحة معانيها والكلمات الجامعة لمعان كثيرة بالفاظ قليله والطبع
السهل بانقياد نفس وسلامة ذوق كالماء في سلاسته والنسيم في رقته
والمتصرف في القول القليل الكلفه بفهم متسارع مع عون وخاطر يقظان
وفي القول الكثير الرونق اي الحسن بمعونة الهيبة من سلامته فطرة واستقا منه
فطنته ونقد ذكا بون زعقل وصفا قريحه يورد الكلام فصيحا مفرداته
وتركيبه بليغا حالاته وترتيبه واضح الدلالة على معناه لا تستعجمه فهم ولا
تستبهمه وهم قد نظمته يد الفكر في سلك الاتقان ونظمته عن مسلك
الاطناب والالغاز فهو بذلك الطباع وانق الاسماع وهز الخواطر
ونشط الاذهان ومن ثم قال الرقيق الحاشيه اي اللطيف حسنا البديع
نظما هذا ولعلة الجزالة والغلظة والجلافة على البدوي وصفه بفخامة الكلام
وغيرها مما ذكر ولعلة الرقة واللطافة على الحضري وصفه بما ذكر لهاتيه
في اي من السحر البياني وكلا البابين اي ياي كلام كل في كل مقام مطابقا لمقتضيه
فلهما في البلاغة الحجة البالغة غايتها بيانا ووضوحا على اثبات طحه دعواه ايراده
في كلمات مختلفة وصور متباينة مناسبة لاعتبارات الاحوال والمعاني اخر
لتوليهم تضمن المتها شرطا والقوة الدامغة من دمغه اذا شجه اشتعاد الدمغ
الذي هو كسر الدماغ المودي الى ازهاق الروح لكلامهما تصور الغلبته

كلام غيرهما وفي حديث علي دامغ جيش الاباطيل والقدح بالكسر اي السهم
واراد به الذي كانوا تستقسمون به واحدا لا ولام لا الذي قبل ان يراش فهو دة
وصفه بقوله الفالج اي الفائز الغالب وفي حديث سعد فاخذت سهمي الفالج والمهيع
الناهج اي الطريق الواسع المنبسط السالك بمعنى مسلوك والميم زائدة
من الهيع وهو الانبساط وفي حديث علي اتقوا البدع والزموا المهيع ومن اسما
الجحفة مهيعة وكانت قديما ميقات اهل الشام وبها غدير خم وهي شديدة الوبا
وفي الحديث اللهم حبب لنا المدينة وانقل حماها الى مهيعة وعن الاصمعي ما ولد
احد بغدير خم فيعيش الى ان يبلغ الا ان ينقل منها لا يتشكون ان الكلام طوع
مرادهم يوردونه في كل مقام بحسب عباراته فيما يعوذونه بين اسلوب
كاسلوب وايراد وايراد فان الكلام المفيد للانسان المعنوي اي المتصف
بصفات الانسانية من فهم وفطنة وذكاة ويقظة اشهى غذاء الروح
والذ شراب لطابه لا للانسان الصوري اذ هو كالبهيمة والبلاغة ملك
قيادهم يتصرفون بها في افانين الكلام فيقلدون نحور الاذهان روايع
لطايفه ويشنفون الاسماع ببدايع عوارفه قد حووا اي جمعوا وحازوا فنونها
ابت لها فنونا باعتبار مراتبها ومواقعها تراكيب الكلام بحسب مقتضيات
الاحوال في كل مقام من مقامات الكلام فبلاغته ان اقتضى اطلاق الحكم
تجريده عن موكداته وبلاغته ان لم تقتضه تحليته بموكد ضعفا وقوة وبلاغته
ان اقتضت حذف المسند اليه ايراده عاريا عنه وبلاغته ان اقتضت
حذف المسند له ايراده عاريا عنه وبلاغته ان اقتضت ذكره ايراده على
اعتبار مناسب من اطلاق او تقييد او معرفا او منكرا او علما او موصولا ونحو
ذلك واستنبطوا عيونها اي استخرجوا خيارها من تراكيب الكلام مونقة
بما كل من لطايف نكت في مقامها الصالح لها من قولهم فلان عين قومه
اي خيارهم من اطلاق اسم البعض على الكل مجازا مرسلا ودخلوا من كل
باب من ابوابها فتوسعوا في فنونها ومن دابين مراتب انواعها وقد شبهها
بتفاوت انواعها في مواقعها من التراكيب اعلاق على بدي ابواب به انواع
كثيرة على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها الابواب تخييلا وطواحها
هو في الاصل ما ظاهر عال من صرح الشيء اي ظهر شبه بدا للاقدام التي
بها تعتمد على توفية التراكيب حقها على طريقة الاستعارة التحقيقية
فاستعار لها اسمه وقرنها بعلو ترشيحا لتشبيهها للعلو الرتبي بالعلو المكاني
وتناسيا للتشبيه وصفا للنفس عن توهمه حتى كانه لا استعارة اصلا
فكان ابناء مهم كسورتها وافعدت غاربها لبلوغ اشبابها ملة لعلو اي

علو

علو من اجل معرفة طرقها التي بها يورد الكلام في كل مقام مفرغا في قالب الافاده
بكيفية تناسبه فيورده لخالي الذهن مجردا عن موكدات الحكم بالمسند للمسند
اليه لينتقش في ذهنه اسناد احدهما الى الاخر اثباتا او نفيا ويتمكن فيه بزيد
تمكن ، وقال ،
اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى ، فصادف ذهني خاليا فتمكنا ،
ويورده لطالبه مترددا في الاسناد مقوي بموكد منها استحسانا
لينقذ من ورطة الحيرة وللمنكر موكدا بحسب انكاره لينقاد اليه مذعنا
فقالوا في الخطير اي العظيم الذي له قدر ومنزلة ومنه حديث الا هل
مشمر للجنة فان الجنة لا خطر لها اي لا مثل لها وقالوا ايضا في المهين
من المهنة اي الحقارة وفي وصفه صلى الله عليه وسلم ليس بالجافي ولا المهين
ولا الحقير ويفتنوا في الغث معجمة اي الفاسد يقال غث في قوله واغث
اي افسده وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث اي مهزول ومنه قول ابن
عباس لابنه علي الحق بابن عمك يعني عبد الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك
وقالوا ايضا في السمين فغايروا فيه بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد تلطيف
معاني قل صدورها عن غيرهم فتزينت مواقعها وكست فضلها ومزيد رونق
تورث سامعه زيادة نشاط واستدرار لاصغايه اليه ونقا ولوا فيما
بينهم في القل والكثر بضم اولهما اي في القليل والكثير مدحا وهجوا وغيرهما
وتساجلوا اي تناوبوا وتراسلوا في النظم والنثر تفاخروا وعن ابن الحنفية
انه قرا هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقال هي مسجلة للبر والفاجر اي مرسلة
مطلقة في الاحسان لكل احد ولا يعزب عنك ما في قوله فقالوا في الخطير الى
اخره من المطابقة فما راعهم بعد ان نشر عليهم غيهب الشرك جناحه ومد
لهم رواقه واوردهم لهوا الفتن عن مزيد جهلهم وسوء زيغ وضلاله الا رسول
كريم استثنا مفرغ من عام اي ما افزعهم شي سوى رسول جاءهم بخلاف
هواهم وعكس مناهم اضا بانوار هداه كل مظلم بهيمهم فلم يسب بعضهم ان
امن به ومدحه باكرم نتايج فكره وافضل سوانح خاطره اذ تحدا لبسهم بدين
قويم وشرع وسيم مويدا بكتاب عزيز لا نظير له ولا نافع مثله ارفيع مكانه الله
لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتعلق به ولا يجد اليه سبيلا
تنزيل من حكيم حميد محمود حلمه بما ظهر من نعمه عليهم احكمت اياته اي نظمت
نظما محكما لا يغشاه خلل لفظا ومعنى او منعت من الفساد من احكمت الدابة
اذا وضعت في فيها الحكمة لتمنعها من الجماح او جعلت حكيمة نقلا من حكم بالضم
اذا صار حكيما لاشتمالها على امهات الحكم نظريه وعمليه وفصلت كلماته اي ميزت

وبيّن فيها ما احتاج اليه من عقائد واحكام ومواعظ واخبار ووعد ووعيد وغير
ذلك وبهرت بلاغته اي غلبت العقول لنسج حواشيها نسجه على منوال الاعجاز ووشي
مطارف تراكيبه بجمان الايجاز فلم تجد المعارضة الى اقصر سورة منه سبيلا ولا
ولا لجحد عجزهم عنها دليلا وظهرت فصاحته لا دخفاء اعلامها على كل مقول
نظما ونثرا وتضافر ايجازه واعجازه اضافه اي تآلبا وتعاونا على شيء معانيه
من قولهم تضافر القوم اي تألبوا وتعاونوا وتظاهر حقيقته ومجازه البالغة
اقصى مراتبها وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه اي تجارت تسارعا
وتسابقا فيه فواتح سوره وآيه وخواتمها وفي الحديث نهى عن اكل طعام المتباريين
اي المتسابقين المتعارضين بفعلهما ليعجز كل الآخر بصنيعه وانما كرهه لما
فيه من المباهات والريا قال حسان بن ثابت
يبارين الاعنة مصعدات ۝ على اكتافها الاسل الظماء
اي يعارضنها في الجذب لقوة نفوسها ورؤوسها تعلك شكيمها وينضح اديمها
ويجوز ان يريد مشابهتها لها في اللين وسرعة الانقياد وحوت كل البيان
جوامعه بالفاظ قليلة لمعان كثيرة واحدتها جامعة اي كلماته الجوامع وبدائعه
على اتم الايجاز واوفى الاعجاز ومن ثم قال فيه الوليد بن المغيرة مع تكسعه في
ظلمات الكفر والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق
وان اعلاه لمثمر وانه ليعلو وما يعلى وانه ليس بكلام البشر واعتدل اي
استقام مع ايجازه حسن نظمه بجزالة بلاغته وغرابة براعته ولطف
اعجاز التنزيل وانطوى على كثرة المعاني مع ايجازه بلفظه القليل الجامع لمعنى كثير
وهم افصح ما كانوا في هذا الباب مجالا جملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز
لنسبة افصح محول عن الفاعل اي جالهم به ومجالهم حال كونه في باب البلاغة
اوسع شيء كانوا عليه واشهرهم في الخطابة رجالا اي ورجالهم اشهر من
غيرهم فيها تمييز لنسبة اشهر محول عن كونه فاعلا واكثرهم في السجع والشعر
ارتجالا بدون تروّ ومهلة اذ كان بجبلتهم ودينهم واوسع في الغريب واللغة
مقالا من غيرهم وارتجالا ومقالا تمييزان لنسبة اكثر واوسع محولان عن
فاعليتهما بلغتهم متعلق بخاطب وحال منه اي حال كونه بلغتهم التي بها
يتحاورون اي يتجاوبون مخاطبا بعضهم بعضا ومنازعهم اي مجال المنازعة
اي المجاذبة في الاعيان والمعاني التي عنها يتناضلون اي يتغالبون في
بالكلام والاشعار يقال انتضل القوم وتناضلوا اي رموا للسبق وناضله اذا
راماه وفلان يناضل عن فلان اذا رمى وحاجج عنه وتكلم بعذره ودفع عنه صارخا
بهم في كل حين تبكيتا لهم وتسجيلا عليهم باستكبارهم معرضين عن الحق ومقرّعا

هو وصار خاطبا لان من كتابه ومنه صلى الله عليه وسلم اي موبخا لهم بضعا بكسر
اوله في العدد كما هنا وقد يفتح وهو ما بين الثلاث الى التسع اراد به هنا ثلاثة
وعشرين عاما لنزوله عليه فيها على حسب المصالح وكما الحوادث كلما نزل عليه
منه شيء قرعهم به على رؤوس الملا اجمعين اي اشرافهم ورؤسائهم ام يقولون
افتراه اقتباس ورد شاهدا بثبوت نبوته اي بل ايقولون اختلقه والهمزة
انكار لقولهم او تقريرا لالزام الحجة عليهم وهما متقاربان لان مآلهما واحد
وهو ابطال قولهم بانكاره وبتعقيب التقرير بما يؤذن به اي قل ان كان الامر
كما زعمتم فأتوا على وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانكم
مثله عربية وفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي واستعينوا بغير
الله ممن تمكن استعانتكم به على الاتيان بسورة مثله لانه تعالى وحده
القادر وحده عليه ان كنتم صادقين في انه افتراه وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا نجما فنجما بحسب الوقائع على ما يرى من الخطباء والشعراء مما
يبدأ بانه منزل شيئا فشيئا بحسب ما عن لهم من الامارات السانحة فأتوا
بسورة من مثله صفة لسورة ومن تبعيضية او بيانية او زائدة اي مماثلة
للقرآن في البلاغة وحسن النظم وادعوا شهداءكم من دون الله اي واستظهروا
لمعارضته من حضركم ورجوتم معونته من انس وجن والهة غير الله فانه هو
القادر وحده عليه ان كنتم صادقين في انه لم ينزله عليه فان لم تفعلوا اعتراض
بين الشرط وجزائه افاد نفي اتيانهم في المستقبل على ابلغ وجه واكده ولن
اذ لم يأتوا ببنت شفة ولا صدر ولا حيث تحدوا عن موصوف ولا صفة قل لئن
اجتمعت الانس والجن فيهم العرب العاربة وارباب البيان وتعاونوا على ان يأتوا
بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وكمال معناه لا يأتون بمثله جواب
قسم محذوف تنبه عليه اللام الموطئة ولولاها لكان جوابا للشرط بلا جزم
لوروده ماضيا كما في قول زهير
وان اتاه خليل يوم مسغبة ۝ يقول لا غائب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا على الاتيان بمثله ولم يدرج الملائكة في التمييز
مع عجزهم ايضا عنه لانهم المتحدين به ومن ثم تعجبت الجن من حسن نظمه
وبلاغته البالغة اقصى درجاتها فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد
في مثابة ثم الزمهم الحجة نزولا وارخاء للعنان بقوله قل فأتوا بعشر سور مثله
في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بكل القرآن ثم بعشر سور مثله مقاومة
لقولهم افتراه واختلقه وزعمتم انه من عند الله فكابروا لهم انتم الذي
اختلقته كما زعمتم ولم يوح الي فأتوا انتم بعشر مثله مفتريات اي مختلقات

من عند انفسكم فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه ثم تحداهم
بسورة واحدة تسهيلا للامر عليهم وادعوا الى معاونتكم على معارضته من استطعتم
استطعتم من دون الله اي غيره ان كنتم صادقين في قولكم انه مفترى وذلك
اي طلب الاتيان منهم بعشر مثله مفتريات لقصد تبكيتهم وتقريعا ومناداة
على كمال عجزهم بشهادة ان المفترى اسهل تكلفا وضعا باطلا اكذب وادرج
تنميقا ومع ذلك فلم يجدوا عليه قدرة واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح
كان اصعب ترتيبا ونظما واتعب وشيا ورقما لئلا يلحقه تعقيد يعسر
الفهم في ادراك معناه ولا التواء يتسلط بسببه الكفر على الكهان لسانها
لا يسبق اللفظ الى السمع الا ومعناه الى الفهم اسبق جاريا على قانون الاستقامة
اعرابا وفصاحة وبلاغة وسلامة من كل موهم يوهم خلاف المراد ولهذا اي ولكون
اللفظ اذا تبع المعنى الصحيح يكون اصعب قيل فلان يكتب كما يقال له فيفتق كلام
ما قيل له عن ازهار معانيه ويمتري في الانباء عنها اخلاف مجهوده وفلان يكتب
ما يقال له كما يريد فيتوخى في بث ما اراد ان يكتبه ممطرات خاطره وصيب غرضه
وبلا ولدى الثاني فضل وبينهما تفاوت اي مدى بعيد لاتيانه بالمامور مفرغا
في قالب مراد امره دونه لاتيانه به مفرغا في قالب مراد نفسه وفي حديث
ابن عباس كان الذين صفوان صاحبا ابن الزبير وقد ذكر سنة العمرين لقد كنتما
سنتهما شتانا وابعدا فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم بالقرآن الكريم اشد
تقريع من اقترعته اذا قهرته بكلامك اي يردعهم ارادة كفهم عن عبادة الرجس
من الاوثان ومما يسخط الله وفي الحديث من قرأ قوارع القرآن امن من شر الشيطان
هي التي تردعه وتكفه عنه كآية الكرسي ويوبخهم غاية التوبيخ هو بمعنى ما قبله
ذكره لتغايرهما لفظا لانه مقام حكاية ذم المشركين يحسن فيه الاطناب او
بمعنى يهددهم ويسفه احلامهم اي يمتهن عقولهم ويستخفها ويذلها ولا يقيم
لها وزنا وفي الحديث انما البغي من سفه الحق اي جعل من جهله الحق واستخف
به ويحط اعلامهم اي ينكسها ويشتت نظامهم اي يمزقه ويفرقه ويهدم الهتهم
اي يعيبها ويعيبهم توبيخا وتعييبا لهم على عبادتها مع ما اكبر خطأ هلية ارتكبوها
ويبيح ارضهم وديارهم بالاستيلاء عليها واموالهم نقودا واثاثا ومواشي
وهم في كل هذا مما ذكرنا ناكصون عن معارضته هو في الاصل الرجوع القهقرى
استعير للاعراض عن معارضة القرآن عجزا وقصورا والجملة حالية من الضمير
قبلها ويحجون عن مماثلته اذ قد تحداهم باقصر سورة فلم يقدروا عليه مخادعين
انفسهم بما يموهوها من الاكاذيب الكاسدة وبما سولت لهم من الاماني
الباطلة بالتشغيب اي تهييج الفتنة واثارة الشر والمخاصمة منهما بالتكذيب

تعديداه

ترغيبا وحثا من قولهم كذبته نفسه اذا منته وخيلت اليه من الامال ما لا يكون
مما يرغب فيه ويحرض على التعرض له ومن قولهم في عكسه صدقته نفسه اذا
خيلت اليه العجز والنكد في الطلب ومن ثم سموها الكذوبا وفي الحديث الحجامة
على الريق شفاء وبركة فمن احتجم في يوم الاحد والخميس كذباك او يوم الاثنين
والثلاثاء ومعنى كذباك اي عليك بهما اي باليومين فكذب هنا كما قال
ابن السكيت وغيره كلمة اغراء تنبيها ذه حديث عمر كذب عليكم الحج ثلاثة
اسفار كذبن عليكم فان معناه الاغراء اي عليكم بها الزموها ونصبها على الاغراء
قيل وقد ورد شاذا مرفوعا وقال الزمخشري هي كلمة جرت مجرى المثل
لم تتصرف ولزمت طريقة واحدة في كونها فعلا ماضيا معلقا بالمخاطب وحده
وهي في معنى الامر كقولهم في الدعاء رحمك الله اي ليكذباك وينشطاك ويبعثاك
على الفعل والاغراء بالافتراء من غراه اذا مسه واصابه اي ويرميهم له بالبهت
والكذب لعرق ليس الا لان ببعض جهل مفرط وحمق مغدق من خباء غلاظ
الاكباد ولا تلين شكيمتهم لرشد ولا تميل عريكتهم لنصح سيما ومنهم صناديد
قريش اعلام الكفر واوتاد الشرك كقولهم كالوليد بن المغيرة اذ حكى الله عنه ثم
ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى عن اهل بابل وغيرهم قال لما
سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا حم السجدة فقال قد سمعت من محمد كلاما ليس
بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال له ابن اخيه ابو
جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقال اتزعمون ان محمدا
مجنون هل رايتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رايتموه تكهن وانه شاعر هل
رايتموه يقول شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين المرء
واهله وولده ومواليه فاهتز النادي فرحا وسحر مستمر اي دائم مطرد
لما راوا من تتابع المعجزات وترادف الايات او قوي محكم من قولهم استمر
مريره اي استحكم وقويت شكيمته واصله الحبل واحد المرائر قال على ان الله
جعل الموت قاطعا لمرائر اقرانها الحبال المفتولة على اكثر من طاق وافك افتراه
اي كذب صرفه عن وجهه واختلقه واساطير الاولين اي اقاويلهم المزخرفة
التي سطروها منمقة اكتتبها اي كتبها لنفسه او كتبت له كانه اذ كان
اميا لا يكتب والمباهتة من بهته اذا رماه بما يتحير منه اي ويخادعون
انفسهم بالاكاذيب وافتراآت يحيط بهم ضررها ويحيق بهم مكرها كما يقال
فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي لا يتخطاه دائرة ضرره والرضى
بالدنية اي بالخصلة الدنية المذمومة واصله الهمز وقد يخفف وبلا
همز للضعيف الخسيس كقولهم قلوبنا غلف بسكون اللام جمع اغلف

ايم

اي هي مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها هدى ولا تفقه ما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم او بعضها جمع غلاف اي هي اوعية للعلم لا تسمع شيئا
الا وعته ولا تعي ما جئت به ونحن مستغنون بما فيها عن غيره وقالوا قلوبنا
في اكنة جمع كنان اي في اغطية مما تدعونا اليه تمنعه من وصوله اليها وفي
آذاننا وقر اي ثقل وصمم ومن بيننا وبينك حجاب منيع حاجز لا تلاقي ولا
ترى وزيدت من للدلالة بان الحجاب ابتدا منهم ومنه مستوعبا للمسافة
المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فيها فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن قبول ما يدعوهم اليه كانها في اغشية ولمج اسماعهم له كان بها صمما
عنه ولعدم مواصلتهم وموافقتهم له كان بينهما حجابا ساترا اذ لا التقاء ولا
وفق ولا احتجاب. وقد مر لهذا بيان وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه بخرافات وسواقط الكلام رافعي اصواتكم تشويشا على قاريه
لعلكم تغلبون من قراه على قراءته له والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقاحة وفرط عناد والا فما منعهم لو ساعدتهم الاستطاعة ان
يشاوا وذلك انه تحداهم وقرعهم بالعجز ليفوزوا بالغلبة دونه مع فرط
انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا سيما في باب البيان وقد قال الله تعالى
ولن تفعلوا عدل عن ولن تاتوا بسورة من مثله اليه لوروده بمورده كانه او
اختصارا ووجازة تغني عن طول المكنى عنه فما فعلوا وما قدروا على ان ياتوا
بمقدار سورة توازيه وتدانيه مع افراطهم في مضادته ومضارته ومن
تعاطى ذلك من سخفائهم جمع سخيف والسخف بالفتح رقة العيش وبالضم
رقة العقل وقيل هو خفة تعتري الانسان اذا جاع ونحوه خفة في العقل
وغيره اي ومن تجرأ على معارضته كمسيلمة الكذاب تهذيبا لانه مفتريات
فقد كشف عوارهم بفتح المهملة وقد تضم اي اظهر عيب نفسه القبيح النازع
عن الرشد بجملتهم اذ لم يكن ما عارضه به من بديع كلامهم وبليغ خطابهم
يجد به نفعا في معارضته وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم الواو للحال
او بمعنى مع او استيناف يوذن كما مر بترجيح القول بالصرفة والا فقول
بل الصارف لهم عن معارضته كمال بلاغته وبديع ترتيبه وغريب اسلوبه
والا لم يخف على اهل التمييز منهم انه ليس من نمط اي من ضروب فصاحتهم ولا
جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين اي اعرضوا عن الاتيان بمقدار اقصر
سورة منه مولين بادبارهم اليه واتوا مذعنين اي منقادين من بين مصدق
اي مصدق به وبمن انزل عليه وانه لتناهي بلاغته ليس الا من عند الله ومن
مفتون متحير في بلاغته متعجب من عجزهم عن معارضته ولهذا اي ولكونه

ليس من فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم لما سمع الوليد بن المغيرة عم ابي جهل بن
هشام بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل اي بالتوسط
في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين الاشراك والتعطيل والقول بالكسب
المتوسط بين التقدير والجبر والبخل والاحسان في الطاعات بحسب الكمية كالاتيان
بالنوافل او الكيفية كما في حديث ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وايتاء ذي القربى تخصيص بعد تعميم مبالغة في موالاة قرباه صلى الله
عليه وسلم واعطائهم حقهم وينهى عن الفحشاء اي عن مجاوزة حدود الله بما
لا يرضيه كالزنا فانه اقبح فعل واشنعه والمنكر تعميم بعد تخصيص اي عما
ينكر على متعاطيه والبغي اي عن التطاول على الناس ظلما والاستيلاء عليهم تجبرا
وغشما يعظكم بالامر والنهي والتمييز بين الخير والشر لعلكم تذكرون
اي تتعظون قال اي الوليد بن المغيرة بعد ان تلاه عليه والله ان عليه لحلاوة
اكده بالقسم وان واسمية الجملة ازالة لاعتقادهم انه ليس بكلام الله وتلقيا
من سنخه تعجبا وتعجيبا من كمال بلاغته وشبهه لقبول الاسماع له بسلاسته
والتذاذ الطباع ببراعته بذي حلاوة على طريقة الاستعارة المكنية واثبت
له الحلاوة تخييلا كانها ثابتة حقيقة وكانه من جنس ذي خواص فالنفس عن
توهم التشبيه حتى كانه لا استعارة اصلا وتسجيلا لتمكنه من السهولة
والسلاسة والبلاغة والبراعة كالمزاغيات اشيا وركبه تمثيلا فاستعار له على
تقديم الظرف موذن بالحصر وان عليه لطلاوة بضم طائه وقد تفتح
اي رونقا وحسنا باصابته محز الفصاحة وتطبيقه مفصل البلاغة ويجري
في هذه القرينة ما في الاولى من الاستعارة والتمثيل والحصر وان اسفله
لمغدق بغين معجمة من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة معانيه
الدوارف مع قلة الفاظه الروايع العوارف وان اعلاه لمثمر اشارة الى
غزارة نفعه بكرم عوايده وعميم فوايده تشهد لرسوخ بلاغته وسمو نظم
فصاحته تشبيها لشجرة ثبتت عروقها بغزارتها فاهتزت افنانها ودنت ثمارها
فعم نفعها على طريقة الاستعارة المكنية واثبت له الغدق والثمر تخييلا
كذلك ما هذا اي ما الذي تلاه عليه بقول بشر لجلالة ترتيبه الانيق وفخامة
نظمه السوي بالطف اسلوب وارشق تركيب لا يحوم حوله اعتقاد كونه
كلام بشر وذكر ابو عبيد القاسم بن سلام ان اعرابيا سمع رجلا يقرا
فاصدع بما تؤمر ما مصدرية او موصولة وعائدها محذوف اي اجهر
بامرك او بالذي تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين
الحق والباطل واصله الابانة والتمييز واعرض عن المشركين غير مبال بهما

يقولون فسجد تكرمة لغاية كلامه كما انه المانع من الاتيان بما يعارضون مثله ومن ثم
قال سجدت لفصاحته التي بدت كل فصيح من مدانه فرسان المقاولة وسراة
مشاهد المناقلة وسمع اخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه اي يوسف اذ لم يجبهم
وزيدت السين والتا للمبالغة خلصوا اي انفردوا واعتزلوا نجيا اي متناجين في
تدبير امرهم ووحد لكونه مصدرا او زنته كما في صديق وجمعه انجية كندي
وكندية واندي واندية فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على ان ياتي بمثل هذا
الكلام لرسوخه في البلاغة كمالا ورشاقته واناقته في الفصاحة نظما وتحاسنه
وحكي ان عمر كان نايما في المسجد اي مسجده صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعلى
راسه جملة حالية من عمر قايم يتشهد شهادة الحق يستجير عمر عن سبب
ذلك فاعلمه انه من بطارقة الروم جمع بطريق بكسر اوله وهو بلغة الروم
الحاذق العارف بالحرب وامورها وذو منصب وتقدم وقال الجواليقي هو
القايد المقدم الجيوش واميرها ولما سمعته العرب وصفوا به كل رئيس منها
له وهو معرب بطرك الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا
من اسارى المسلمين يقرأ اية فتاملتها فاذا قد جمع فيها ما انزل على عيسى من
احوال الدنيا والاخرة من جميع اسباب الفوز والنجح وهي قوله عز وجل ومن
يطع الله ورسوله في فرايضه وسننه او فيما امره ويخش الله فيما صدر منه
من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره فاولئك هم الفايزون تبعا في المبدا
والمعاد وحكي الاصمعي انه سمع جارية تتكلم بكلام فصيح فقال لها قاتلك
الله ما افصحك اي لعنه بانه قالت لها ذلك تعجبا من فصاحة قولها كما يقال
لمن اتى بانيق قاتله الله ما اعجب فعله اي بلغ في التانق حدا استحق ان يحسد
فيه فيدعى عليه بذلك فقالت او يعد هذا عطف على مقدر اي اتعجب وتعد
فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى الهاما او مناما ان ارضعيه
خفية ما امكنك فاذا خفت عليه حذف مفعوله ليذهب النفس كل مذهب
ممكن فالقيه في اليم اي البحر مرادا به النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا سوا يراه
ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك قريبا ليهدا روعك وناسا عليه وجاعلوه
من المرسلين اولي العزم فجمع في اية واحدة بين امرين هما فارضعيه فالقيه
ونهيين هما ولا تخافي ولا تحزني وخبرين هما واوحينا الى ام موسى فاذا خفت
عليه وبشارتين هما انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وبامثال هذه
الانواع مما يفوت حصره ارتقى كلام الله الى ان خرج عن طوق البشر واعجزهم
عن معارضته ولكثيرا ما يسمى مثل ذلك فصاحة ومن ثم وصفه بها وان كان
الاولى وصفه بالبلاغة لوروده في كل مقام مطابقا لمقتضى الحال والمقام

فهذا اي الجمع من المذكور في الاية نوع من اعجازه اي مستقل بذاته غير مضاف
الى نوع اخر غيره على التحقيق وعلى القول الصحيح من القولين اي اوله وفيه قول
انه خارج عن عدة البشر والقاصر فيه عنه وكون القران من قبل النبي صلى
الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة لا يفتقر الى قيام بينة تثبته وكونه
متحديا به اي طالبا معارضته ولو باقصر سورة معلوم ضرورة وعجز العرب
المتحدين به من الاتيان به معلوم ضرورة لتوفر الدواعي على نقل ذلك كله
وكونه اي القران في فصاحته في هنا سببيه كهي في حديث دخلت امراة النار
في هرة شبه تمكنه بالفصاحة وشدة التباسه بها بتمكن المظروف بظرفه
فاثبت له في استعارة تبعية لوقوعها في المصدر باصلية اي فكونه خارق
للعادة اي عادة البلغا في تراكيب كلامهم على وجوه شتى في كل مقام ما تقتضيه
انما هو بسبب فصاحته وذلك معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة
ووجوه البلاغة لمقاماتها المقتضية لها وسبيل من ليس من اهلها علمه
بذلك اي والموصل لمن جهل الفصاحة ووجوه البلاغة ان لم يعلم ان كون
القران في فصاحته خارقا لها بعجز المنكرين من اهلها لكونه كلام الله عن
معارضته واعتراف المقرين بانه كلامه باعجاز بلاغته لهم عن ان ياتوا بمثل
سورة او بعشر او عن موصوف او صفة وانت خطاب لغير معين اذ كثيرا ما
يعدل اليه جا في ولو ترى اذ وقفوا على النار اذا تاملت لعلم المراد في الاعجاز
اتبا هرة في الاعجاز تعني قوله تعالى ولكم في القصاص حياة الفيته قد اودع
من بدايع التراكيب ولطايف الايجاز وشرايف الاعجاز في الحسن والقبول
ما اغدق اسافله واثمر اعاليه لما فيه من الغرابة بجعل القتل الذي هو ضد
الحياة ومفوت لها ظرفا لها لوروده في معرض البلاغة لفظا يسيرا بمعنى
كثير هو ان الانسان اذا علم انه متى قتل اقتص منه كان علمه به ادعى حائل
الى ردعه عن القتل فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض
فيكون القصاص حياة لهم ولفضله على اوجز كلام عندهم وهو القتل انفى
للقتل بقلة حروف ما يودي معناه منه اعني حروف في القصاص حياة
الملفوظة فانها مع التنوين احد عشر وحروفه اربعة عشر اذ بالعبارة يتعلق
الايجاز لا بالكتابة واعتبار الفعل المتعلق به الظرف رعاية لامر لفظي
حتى لو ذكر لكان تطويلا وبنصه على الحياة التي هي المقصود ذاتا وبما يفيده
تنكيرها من تعظيم اذ ان به منع القصاص لهم عما كانوا عليه من قتل جماعة
بواحد وبالمراة الحاكم بان القصاص مطلقا سبب لها دون القتل اذ قد يكون
انفى له كالذي على وجه القصاص وقد يكون ادعى له كالقتل ظلما وبخلوه عن

تكريراً لم يقولهم وحكم بان الخالي منه افضل وان لم يخل بالفصاحة واستغنا به
عن تقدير بحذوف في قولهم القتل انفى للقتل اي من تركه وبالمطابقة
بين معنيين متقابلين هما القصاص والحياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا
عند الموت او البعث او يوم بدر فلا فوت لهم من الله بهرب او تحصن
واخذوا من مكان قريب اي من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى
النار او من صحرا بدر الى قليبها وقوله ادفع بالتي اي ادفع سيئة من اسا
اليك بالحسنة التي هي احسن الحسنات مطلقا وباحسن ما يمكن دفعها به
من الحسنات وانما ابرز في معرض الاستيناف لجعله جوابا لكيف اصنع مقدرا
ووضع احسن مكان بحسنة مبالغة في الدفع بها وقوله وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي ناداهما بما ينادى به المميز وامرهما بما يؤمر به تمثيلا لكمال
عظمته وباهر قدرته ولانقيادهما لما يريد فيهما ايجادا واعداما وتبديلا بامر
مطاع مهاب حكمه مبادر لامتثال امره مهابة من عظمته وحذرا من سطوته
فكلما اورد عليهم امر بما يؤمر فعلوه فورا لا حبس ولا ريث والبلع النشف والاقلاع
الامساك وغيض الماء من غاض اذا نقص وقضي الامر اي انجز ما وعد
نوح من اهلاك كفرة قومه وانجائه مع مؤمنيهم واستوت اي سفينته على الجودي
جبل بالموصل او الشام روي انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها
عليه ثانيها عاشر المحرم وصامه فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين
اي هلاكا لهم يقال بعد وبعدا اذا اريد بعد بعيد بحيث لا يرجى عوده ثم
استعير للهلاك وخص بدعاء السوء وايراد هذه الاخبار مبنية للمفعول
يؤذن بتعظيم فاعلها وانه متعين في نفسه مستغني عن ذكره لا يذهب
الوهم الى غيره للعلم بان تلك الامور العظام لا يقدر عليها غيره ولا يكونها
سواه هذا وما افخم لفظ هذه الاية واجزل نظمها وادلها على كنه الحال مع الايجاز
الخالي عن الاخلال ولله دره ما اجزل ما تضمنته من وجوه مرجعي البلاغة
وتمنيها فبيان ما تضمنته من علم المعاني يظهر من النظر في كل كلمة منها وكل
تقديم وتاخير بين جملها وذلك انه اختير يا لكثرة استعمالها ودلالتها على بعد
المنادى تعالى ونابه لمقام ابداء العظمة وشان العزة ولم يقل يا ارض بالكسر
تقوية للتهاون به ولم يقل يا ايتها الارض اختصارا واحترازا عما في ايها من تكلف
تنبيه غير مناسب للمقام واختير لفظ الارض والسماء لكونهما اخف وادور مع
قصد المطابقة واختير ابلعي على ابتلعي اختصارا وتجانسا بينه وبين اقلعي وقيل
ماءك مفردا الماء في الجمع من صورة الكثرة التي يأباها مقام اظهار الكبريا والجبروت
كافراد الارض والسماء ولم يترك مفعول ابلعي حذرا من لزوم تركه ما ليس بمراد من

تعميم

تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنيها نظرا الى مقام الامر
اذ هو مقام ورود الامر عظمة وكبريا ولم يقل اقلعي ماءك ارسالا
الماء كما لم يقل ابلعي ماءك فبلعت واقلعي فاقلعت اختصارا عن الحشو
واختير غيض لكونه اخص واخف وادق دون غيض مشددا وقيل
الماء دون ماء طوفان السماء كما قيل الامر دون امر نوح دون انجاز ما وعد
من هلاك كفاره اختصارا واستغنا عن ذلك بحرف التعريف ولم يقل
وسويت مبنيا للمفعول بمعنى ارست كقيل وغيض وقضي اختصارا
ومناسبة لاسناد الفعل الى الفلك وهي تجري بهم في موج ثم قيل بعدا
للقوم دون ليبعد القوم مثلا تاكيدا تنزيل بعدا منزلة ليبعد وادا
بعدا اختصارا ثم استعمال اللام مع بعدا الدالة على معنى ان البعد حق
لهم ثم اطلق الظلم تنبيها ولكل نوع حتى ظلم انفسهم زيادة للتنبيه على
فظاعة سوء حالهم بتكذيب الرسل ومن النظر في ترتيب جملها انه قدم
الندا على الامر جريا على العادة في المنادي المامور من تقديم تنبيهه ليتمكن
الامر الوارد عقبه في نفسه ثم قدم امر الارض على امر السماء وابتدا به
لخروج منها اولا وتنزيلا لها منزلة الاصل الاولى بالتقديم ثم اتبعا قوله
وغيض الماء لحصوله عقيب الامر بالابلاع والاقلاع ثم اتبع المقصود بالقصة
اعني وقضي الامر من انجاز موعود نوح وانجائه ومن معه في السفينة
واهلاك كفرته ثم استوائها على الجودي ثم ختمت بدعاء السوء وبيان
ما تضمنته من علم البيان يعلم بما فيها من المجاز والاستعارة والكناية
ولما كان معناها اردنا ان نغور ما انفجر من الارض فغار وان تقطع ما
السماء فانقطع وان نغيضه فغاض وان نقضي امر نوح من اغراق قومه
فقضى وان نسوي السفينة على الجودي فاستوت وابقا الظلمة غرقى
جاءت لمناسبة المنادي بما يؤمر عاقل عرف الامر حق معرفته وعلم وجوب
الانقياد لامره والاذعان لحكمه فلا يتلقى اشارته بغير امضاء وانقياد
ولا امره بغير امتثال وانفاذ وشبه تكون المراد بالامر الجزم النافذ في
تكونه ثم بنى عليها نظم الاية فقال مجازا عن الارادة بجامع الخطاب في يا ارض
ويا سماء مخاطبا لهما على سبيل الاستعارة لجعلهما كالمامور العاقل في عصيانه
ثم استعار لغور الماء البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم بجامع النفوذ
اي تغوي الارض بالماء للانبات وتقوي الاكل بالطعام وجعل قرينتها لفظة
ابلعي لوضعها لغة للاستعمال الغذاء دون الماء ثم امر على سبيل الاستعارة
الندا للجماد وخاطبه ترشيحا لها ثم اضاف الماء الى الارض مجازا لتشبيه الاتصاله

لها باتصال الملك بمالكه واتى بضمير الخطاب ترشيحا ثم اختار لاحتباس المطر
الاقلاع الذي هو ترك الفعل تشبيها له به لما بينهما من عدم ما كان ثم امر
على سبيل استعارة النداء له وخاطبه ترشيحا لها ثم قيل وغيض وقضي واستوت
وقيل بعدا مع ترك فاعلها كما ترك في يا ارض ويا سماء سلوكا في كل سبيل الكناية
ان تلك الامور العظام لا تصدر الا عن ذي قوة قاهرة لا يغالب ثم ختم بالتعريض
فلم يقل بعدا لقوم نوح تنبيها على ان ملك البوار لا يشملون الا انفسهم ولا
يضرون الا هي اظهارا لمكان السخط نظلمهم واما بيان متممتها اعني الفصاحة
لفظية ومعنوية فالفاظها كما ترى عربية اصلية جارية على قوانين اللغة سليمة
من التنافر والنشاعة سلسة عذبة ثم نظمها لمعانيها فما ترى نظم لطيف سودة
لها ملخصة مبينة لا تعقيد يعثر الفهم في طلب المراد ولا التواء يشاكل طريقه
اليه بمجرد استماع هاتيك الالفاظ تسابق معانيها وهي تسابق الفاظها فما من
لفظ في نظمها يسبق الى سمعك الا ومعناه الى فهمك اسبق هذا وفيما ذكرناه
من بعض معانيها ارشاد لكيفية اجتناء ثمرات البلاغة بمرجعيها اعني المعاني
والبيان والفصاحة بنوعيها وانه لا علم ابين لمراد الله من كلامه ولا اعون على
تعاطي تاويل متشابهاته ولا انفع في درك لطايف نكته واسراره ولا اكشف
للقناع عن وجوه اعجازه ولا ادق في لجة من البلاغة سوى علميها وقوله فكلا
ممن ذكر في السورة ممن كذب اخذنا بذنبه اي عاقبناه به فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا اي ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط
ومنهم من اخذته الصيحة وهم ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به
الارض وهو قارون ومنهم من اغرقنا وهم قوم نوح وفرعون مع قومه
واشباهها اي اشباه ما ذكر من الاي بل اكثر القران مما هو محل من الجناس
لاي رام واعجاز لا يسام حققت جواب اذا تاملت ما بينته من ايجاز الفاظها
وكثرة معانيها مع لطايف دقيقه وشرايف لمحات انيقه وديباجة
عباراتها مما يكسوها من مطارف الفصاحة تزيينا ويوردها من وشي البلاغة
تحسينا من دبج المطر الارض اي زينها بالنبات ومنه حديث النخعي كان له
طيلسان مدبج اي مزين الاطراف بالديباج وحسن تاليف حروفها وتلاؤم
كلماتها اي توافقها وبروزها في نسق متناسب كل واحد اخذ بيد مناسبته
وقد تخفف همزة تلاؤم فتصير يا من الملايمة اي الموافقة لا واوا وما
روي في الحديث لها فتحريف لا اصل له لان الملاومة مفاعلة من اللوم وان
تحت كل لفظة منها جملا من بدايع المعاني كثيرة وفصولا من روايع المعاني
المباني جمة اي كثيرة غاير بينهما لفظا للافتنان في العبارة وعلوما زواجر

من

من زجرا البحر اذا مد وكثر وارتفعت امواجه اي كثيرة جدا استنبطها منه اولوا
الافهام ملئت الدواوين جمع ديوان وهو الدفتر الحافظ لامر الجيش
وذوي العطاء فارسي معرب واصله دوان قلبت احدى واويه يا لكسر
ما قبلها واول من دونه في الاسلام عمر اي نعمت الكتب من بعض ما استفيد
منها مما عسر على الفهم حصره وكثرت المقالات من الايمة الاعلام في
المستنبطات عنها ثم هو مبتدا اي القران الكريم في سرد القصص
الطوال واخبار القرون السوالف اي الماضين التي يضعف في عادة
الفصحاء عندها الكلام لطولها ويذهب ماء البيان ورونقه ويختل
النظام لخروجه بالطول عن ارتباط بعضه ببعض وتناسق الفاظه وتوافق
كلماته اية خبر المبتدا اي علامة بينة لمتامله من ربط الكلام ببيان لكونه
اية بعضه ببعض متناسقا الدلالة ظاهر المعنى والتيام سرده على
الاستقامة لفظا واعرابا وفصاحة وبلاغة وسلامة من معمر يوذن
بخلاف المراد وتناصف وجوهه اي فنون بلاغته مجازا واستعارة وتلويحا
وايماء واشارة وتاكيدا وتشبيها وحسن فواتح وخواتم وفواصل وتقديما وتاخيرا
ووصلا اي استواء وجوهه في ارتفاع شانها في الحسن والقبول كان كلا منها
انصف الاخر في اخذ حظه منهما من قولهم تناصفوا اذا انصف بعضهم
بعضا من نفسه فاستعير لوجوه بلاغته ونظم كلماته مناسبة المعنى
متناسقة الدلالة كقصة يوسف على طولها اذ قد اقتصت على ابداع
نظم واعجب ترتيب لم يذهب لطولها ماء بيانها ورونقه ولم يختل نظامها
بارتباط بعضها ببعض وتناسق الفاظها وتوافق كلماتها على اصح وجه
واوضح منهج معجزا مبكتا ثم اذا ترددت قصصه وحدها على ابلغ تهذيب
واحكم اسلوب مؤذنة باقتدار منشيها في لطايف افانين العبارة في
مراتب البلاغة ايقاظا للبلغاء لايرادون ذلك وتعجيبا للفصحاء لايوا دون
اصابة تخبرون عن الغايب كان قد شاهدوه ويصف لم حدسهم القصا
حال الورد قبل ان يردوه ثم اختلفت العبارات عنها متفاوتة في النظم
بين حكاية وخطاب وغيبة وزيادة ونقص وتبديل كلمات كل واحدة
منطبقة في مقامها على ابهج حسن وابهى وجه على كثرة ترددها حال من
ضمير عنها حتى تكاد كل واحدة من قصصه تنسي في البيان والايضاح
صاحبتها وتناصف اي تساوي في ارتفاع شانها في الحسن وجه مقابله
من حيث نفا ونقصا ايجازا وتلويحا وايماء واكتفاء باوليها واخرها مثل نقلنا انها
الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا اذ هم المراد بطولها اعني الذام

الحجة ببعثة الرسل واستحقاق لتدميرهم تكذيبهم ولا نفور للنفوس من ورود ما
لبروزها في كل مقام للتحدي بها في معجز من وشي البلاغة تمكينا وتعجيبا ولا
معاداة من احد لمعاداة اي القران اذ كلما كرر تلاوته انق الاسماع ونشط الاذهان
ورغب في تلاوته وفي هذا تلويح برد ما طعنوا به فيه جهلا منهم بما في ضمايرهم
وفرحا بالباطل رموا بها اجزل كلام لا يوازي بلاغة ولا يداني فصاحة ولا يباري
براعة ولا يجاري سماحة طلق المحيا هاديا للتي هي اقوم اذ قد عميت بصايرهم
وايفت مسامع عزمهم فلم يهتدوا الى ارادتي فاين تكريرها بصياغات مختلفة
ولو لم يكن له فايدة سوى تبكيت المنكر والزامه الحجة والدلالة على كمال العجز عن المعارضة
لكفى يريدون ليطفيوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون فصل
الوجه الثاني من وجوه ضبط انواع اعجاز القران من اعجازه صورة نظمه
العجيب تلويح بان الاعجاز ليس بمجرد اللفظ اذ لا تعلق له به ومن ثم قال نظمه
دون لفظه واشارة الى ان كلماته كالدرر منتظمة مترتبة المعاني متناسقة
الدلالات على ما تقتضيه الحكمة وهذا مراد عبد القاهر بقوله النظم توخي
المعاني على حسب الاغراض التي يصاغ لها الكلام لا توالتها في النطق وضم
بعضها الى بعض كيف اتفق ووصفه بالعجيب لاشتماله على ما يعجب منه من بدايع
التركيب وروايع الترتيب والاسلوب الغريب اللام بدل من الضمير
اي واسلوبه المخالف بغرابته لاساليب كلام العرب لما اودع من دقايق
البيان وكسبه من حسن العبارة ولطف الاشارة وسلامة التركيب
وسلاسة التركيب مما لا مرقى لادنى غايته ومناهج جمع منهج من نهج الامر
وانهج اذا وضح اي طرق نظمها الواضح البين ومنه قول العباس لم يمت
رسول الله حتى تركهم على طريق ناهج اي واضح بين ونثرها خطبا من
ورسايل وغيرها الذي جا عليه القران من نظم رشيق وتهذيب بنون
تحريكا لنظرهم في انه معجز وقد عجزوا عنه كلام منظوم من غير ما يطمعون
منه كلامهم ليوردهم مشارع تيقن انه لم يبلغ من الجزالة وحسن النظم البالغ
التي نزلت بلاغته كل منطق ولم يجاوز الحد الخارج من قوى البلغا ولم يبعد ورد
مطامح اعين البصرا الا لانه ليس بكلام بشر ووقف مقاطع آيه اي اواخر
وتوقفها كالتمام والكلا في جمع آيه وهي جماعة حروف وكلام من قولهم خرج القوم
بآيتهم اي بجماعتهم لم يدعوا ورايهم شيا واصلها اويه تحركت الواو الاولى
وانفتح ما قبلها قلبت الفا ثم التانيث با لتطرفها وقيل اصلها فاعلة حذفت
عينها ولامها تخفيفا ولو وردت تامة لكانت ايية عليه اي على الاسلوب الغريب
الذي قصرت عن وصف كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة يدرك ولا

يوصف

يوصف وانتهت فواصل كلامه البه جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من
الفقرتين والمصراعين ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له في علو لطيفة
وحسن النظم والبيان الغريب وسلامة التركيب اي ربط اطراف النظم
بعضها ببعض وجعل كل في موقعه ورد اخره الى اوله على اتم الاساليب ولا
استطاع احد مماثله شي منه لجزالته فصاحة وفخامته بلاغة بل حارت
فيه عقولهم وتدلهت اي دهشت وتحيرت مما ادهشها من وروده على
ترتيب انيق ونظم رشيق دون احلامهم جمع حلم بالكسر اي عقل والحلم الاناة
والتثبت في الامور وهو من شان العقلا وغاير بينهما تفننا مع كونه مقام
مدح للقران ولم يهتدوا الى ان ياتوا بشي مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم
او سجع قد يطلق على الكلمة الاخيرة من الفقرة باعتبار توافقها للكلمة الاخيرة
من الفقرة الاخرى وقد يطلق على نفس التوافق ومرجع المعنيين واحد
او رجز هو من بحور الشعر وانواعه الا انه لعدم التزامهم غالبا فيه رويا
واحدا ورد كل مصراع منه منفردا لهيية السجع وتسمى قصايده اراجيز
وناظمه راجزا كما يسمى ناظم الشعر شاعرا وعن الحربي لم يبلغني انه جرى على
لسانه صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان المنهوك وهو انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب والمشطور وهو هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت وهذا منه حاكم بان كل مصراع بيت ومذهب الخليل
خلافه اذ الشعر عنده ما له مصراعان وعروض وضرب وروى بسكون
تا دميت ولقيت فيكون عروضه وضربه مخبولان مقطوعان واشار
بقوله انا ابن عبد المطلب الى رؤيا مشهورة عندهم راها عبد المطلب
وكانت صدقا فذكرهم بها ولم يقله افتخارا به لكراهته الافتخار بالكفار
بشبهه رده قوله لمن دعاه يا ابن عبد المطلب قد اجبتك ولم يتلفظ بالاجابة
كراهة لما دعا به حيث لم يدعه بما شرفه الله به من النبوة والرسالة
او شعر هو قول موزون قصد به كونه شعرا ولما سمع كلامه الوليد بن
المغيرة وقرا عليه القران رق له ابن اخيه ابو جهل منكرا عليه رقته له فقال
اي الوليد بن المغيرة والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه
الذي يقول شيا من هذا اي من الشعر وفي خبر الاخر اي الوليد بن
المغيرة الذي رواه البيهقي عن ابن عباس حين جمع قريشا عند حضور
الموسم وقال ان وفود العرب جمع وفد وهو القوم يجتمعون ويردون
البلاد لمارب تحوجهم الى التغلب لذلك ترد فاجمعوا فيه رايا من اجمع الامر
وازمعه اذا نواه وعزم عليه اي اجمعوا بالعزم على راي فيه صلى الله عليه وسلم

لا يكذب بعضكم بعضًا فقالوا نقول كاهن هو من يزعم انه يخبر عن الكائنات
ويعرف الاسرار وكان في العرب كهنة كشق وسطيح فمنهم من زعم ان له رئيا
من الجن يلقي اليه اخبارا يسترقها من السما ومنهم من زعم انه يعرف الامور بمقدمات
اسباب من كلام من يسأله او فعله او حاله ويخصونه باسم العراف كمن يزعم معرفة
المسروق ومكان الضالة قال اي الوليد بن المغيرة والله ما هو بكاهن اذ لم نعهد
منه صلى الله عليه وسلم انه سلك طريقهم في تزوير اقاويل باطلة ووجها بسجع مموه
اذ كانوا يروجون اقاويلهم الباطلة باسجاع تروق السامعين يستميلون بها قلوبهم
ويستصغون اليها اسماعهم ومن ثم عاب قول من قال في حديث الجنين كيف يدي
من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك يطل انما هذا من اخوان الكهان
لما تضمنه سجعه من الباطل لا بمجرد كونه سجعا لانه قد ورد في كلامه كثيرا
وفي الحديث يخرج رجل من الكاهنين يقرا القران لا يقرا احد قراته قيل هو محمد
بن كعب القرظي وكان يقال لقريظة والنضير الكاهنان نسلا يهود المدينة
وكانوا اهل كتاب وعلم وفهم ومحمد بن كعب منهم والعرب تسمي من تعاطى علما دقيقا
كاهنا ما هو بزمزمه ولا سجعه الزمزمة صوت خفي لا يكاد يفهم وكان
الكاهن اذا اراد احضار رائيه من الجن زمزم فيحضر وكتب عمر الى احد عماله في شان
المجوس وانههم عن الزمزمة هي كلام يقولونه عند اكلهم بصوت خفي قالوا مجنون
اي مصاب بخلط عقله من مس الجن على ما يعتقدون ورأى رجل قوما مجتمعين
على انسان فقال ما هذا قالوا مجنون قال هذا مصاب انما المجنون الذي يضرب
بمنكبيه وينظر في عطفيه ويتمطى في مشيته قال اي الوليد بن المغيرة ما هو بشاعر
وما قصد به موزونا فانما هو من جنس كلامه الذي كان يرمى به بلا
صنعة فيه وتكلف بل اتفق ذلك منه غير قاصد به الشعر كما يقع في كثير من
الاثباتات والمحاورات قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه بدل بعض من
كل والهزج من بحور الشعر لا يستعمل الا مربع الاجزا مع كونه في اصل دائرته
مسدسا وبيتها بنفسي من ادانيه وداشا ... معروضا على غصن من البان
وقريضه فعيل بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمي الشعر قريضا
لان قارضه اي الشاعر يورده قطعا قطعا فهو كقطعة يقتدر بها على ايراد الكلام
موزونا مقصودا به الشعر والعروض علم يعرف به صحة وزنه من سقيمه
ومبسوطه لعله اراد بحر البسيط واورده بميم وواو مشاكلة لما بعده لوقوعه
في صحبته وهو من انواع الشعر وفي اصل دائرته مثمن الاجزا وقد يستعمل مجزوا
مسدسا جوازا او اراد ما ورد من انواعه تاما بدون زحاف وعلة ومقبوضه
من اجزا انواعه وهو حذف خامس مفاعيلن ثاني سببه فيبقى مفاعلن فالوا

قريضا

تقول ساحر من السحر وهو ما دق وخفي قال اي الوليد بن المغيرة ما هو بساحر
ولا نفثه بالجر عطفا على مدخول البا اي ولا هو بنفثه او الرفع عطفا عليها اي
ولا هو نفثه مصدر نفث ينفث كيضرب وينصر وهو شبيه بالنفخ واقل
من التفل وفي الحديث ان روح القدس نفث في روعي اي ان جبريل اوحي الي النبي
فيه قيل سمي به لانه خلق من طهارة ولا عقده كذلك مصدر عقد كعقد
السواحر عقدا في خيوط وينفثن عليها وقد سحر صلى الله عليه وسلم في وتر
احدى عشرة عقدة ودس في بير ونزلت المعوذتان واخبر جبريل بموضعه
فلما اخرجه قراهما فكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد خفة قالوا فما
نقول قال ما انتم بقايلين من هذا شيئا مما رميتموه به من الاباطيل الا وانا
اعرف انه باطل مفترى عليه وتقديم الصغير لقوته الحكم بكونه باطلا اذ
كان غيره ايضا يعرف انه باطل واقرب القول فيه ان يقال انه ساحر ما شا
الله كان هذا رجل اضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة فاشترى الضلالة بالهدى منكسعا في ظلمات قد نسج عمى
بصيرته على منوال الضلالة حتى قال فانه سحر يفرق بين المرء واخيه والمرء
واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته تشبيها بما سمعه منه بالسحر
لبلوغه مبلغا بديعا يظهر معاني انيقة جاذبة للنفوس على ما هو
شان السحر فتفرقوا راضين بما قال وجلسوا على السبل جمع سبيل وهو
الطريق يحذرون الناس من متابعته واقتفاء سنته فانزل الله في الوليد
من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره اظهارا للنسبة وقبح
قوله وفعله اليه ابتداء صريحا لا كناية ذرني ومن خلقت وحيدا حال
من اليا في ذرني اي معه وحدي فانا اكفيكه او من التا في خلقت اي
خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد او من العايد المحذوف اي ذرني
والذي خلقته فريدا الا مال له ولا ولدا او تهكم به صرفه عن كونه لقبا
مدح له بانه وحيد قومه في الدنيا تقدما ورياسة ويسارا الى ذمه وعيبه
او وحيدا في الشر وعرابه اذ كان زنيما اي دعيا في بني مخزوم بن
يقظة بن مرة بن كعب بن لوي وجعلت له مالا ممدودا اي كثيرا متزايدا بالنما
اذ كان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا اي كثيرا متزايدا
بالنما معه بمكة يتمتع بلقايهم لا يظعنون لطلب معاش استغنا بنعمته
ولا يذهبون لمصالحه لكثرة خدمه ولا لمحافل واندية لوجاهتهم ورياسة
وعظما اسلم منهم خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا اي بسطت
له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ووحيدا استحقاقا لتقدم

ثم يطمع ان ازيد استبعاد لطمعه في الزيادة على ما اوتيه اذ لا مزيد عليه لعدم مناسبته ما هو عليه من كفران النعمة ومعاندة المنعم ومن ثم قال كلا انه كان لاياتنا عنيدا ردع له عن الطمع وتعليلا للردع على طريقة الاستئناف بمعاندة اياتنا المؤذنة بازالة النعمة عنه المانعة من الزيادة قيل ولم يزل بعد نزولها في نقص حتى هلك سارهقه صعودا اي ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الذي لا يطاق وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد اي فكر فيما يطعن به في القران وقدر في نفسه وهياه فقتل كيف قدر تعجيب من تقديره ورميه الغرض الذي كانت تنتحيه اوثناء عليه استهزاء به لاصابته اقصى ما يمكن ان يقال لذلك عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم مؤذنة بانه ابلغ مما قبله وفي ما بعده على اصلها ثم نظر في شان القران مرة بعد اخرى ثم عبس وبسر اي قطب وجهه وزاد في الكلوح اذ لم يجد ما يطعن به فيه ولم يدر ما يقول ثم ادبر عن الحق واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يروى ويتعلم والفاء مؤذنة بانه لما خطرت بباله هذه الكلمة تفوه بها من غير تلبث وقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف والله لقد سمعت اي منه صلى الله عليه وسلم قولا والله ما سمعت مثله قط كرر القسم تاكيدا لنفي سماعه مثل ما سمع منه صلى الله عليه وسلم من القران ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وفي حديث ابي ذر الغفاري الذي رواه مسلم و وصف حاله من ابي ذر اي واصفا اخاه انيسا والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا مفاعلة من المناقضة والمرادة اي نقض قولهم ونقضوا قوله وراده وراددوه فغلبهم في الجاهلية انا احدهم ومنه حديث نقض الوتر اي ابطاله وشفعه بركعة لمن يريد ان يتنفل بعد ان اوتر وانه اي انيسا انطلق الى مكة وجاني بخبر النبي قلت فما يقول الناس اي فيه صلى الله عليه وسلم قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة ما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم جمع قرء بالفتح اي طرقه وانواعه وبحوره وعن الزمخشري هي قوافيه التي يختم بها كاقراء الطهر التي ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما لانها مقاطع الابيات وحدودها انه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لصادق فيما قاله عن ربه وانهم لكاذبون فيما رموه به من الاباطيل والاعجاز

في

في هذا الذي ذكر صحيحة كثيرة على اختلافها انواعا وتراكيب والاعجاز عن معارضة شيء من القران كان بكل واحد من النوعين اللذين احدهما الاعجاز والبلاغة بذاتها المعبر عنه فيما مضى بصورة نظمه العجيب وثانيهما ما عبر عنه هنا بقوله او والاسلوب الغريب بذاته اي كان بذات كل واحد منهما بانفراده اذ كل واحد منهما اي من صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب باشتماله على دقائق واسرار وخواص خارجة عن طوق البشر نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اي بنظم عجيب واسلوب غريب مشتملا مع الاعجاز على ما ذكر اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا القول المؤذن بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته ذهب غير واحد من المحققين بسلامة فطنة وصحة ذوق وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب اي بها لا بكل واحد منهما منفردا ولحصوله بها وترتبه عليها جعلها ظرفا له تشبيها لتمكنه حصولا بهما تمكن المظروف في ظرفه ثم استعار له في الظرفية فجرت الاستعارة في المصدر اصالة ثم سرت الى الظرفية تبعا واتى على ذلك الذي ذهب اليه من الاعجاز في مجموعها بقول تمجه من مج الماء اي القاه من فيه اي تقذفه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه من كونه بكل واحد منهما بذاته منفردا خارجا عن قدرة العرب مباينا لفصاحتها وكلامها والعلم بهذا كله ضرورة قطعا بشهادة ما يدركه اصحاب الذوق من وجه الاعجاز امر من جلس لبلاغته يدرك كالملاحة ولا يوصف ولا طريق اليه الا طول خدمة مرجعها اعني المعاني والبيان بمعونة فيض الهي يورث العلم بكون ذلك ضرورة قطعا ومن تفنن في علوم البلاغة هي ملكة يقتدر بها على تادية المعنى مستوفيا حق خواص تراكيبه وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها وعلومها المعاني والبيان ومتممها اعني البديع وهي مشتركة في كونها معرفة قوانين لها يحترز عن الخطا اذ يحترز بالمعاني عنه في اداء الكلام معناه على ما يقتضيه الحال وبعلم البيان عنه في تادية معناه بطرق مختلفة في وضوح دلالته عليه مطابقا لمقتضى المقام وبعلم البديع عنه في طرق الفصاحة فيها ما بيناه وتزيينا بابداع يورث الكلام حسنا وقبولا ثم الخطا انما كان لجهل بمعرفة مطابقة الكلام لمقتضى الحال الخلل في التركيب بمخالفة قيد هو من مقتضاها فمعرفة الاحتراز عنه هو المعاني ويلزمه من طرق تاديته

للخلل في الدلالة بمخالفة وضوح وخفا فمعرفة البيان او وبما يتبعهما من طرق
التحسين والتبيين فمعرفة البديع وموضوع الثلاثة الخبر والطلب
فهما موضوعا المعاني من حيث الافادة والبيان من حيث الدلالة والبديع
من حيث التبيين والتزيين فتمايزها بكون المقتضي اما افادة او دلالة
او تبيينا وتزيينا اي ومن صار ذا فنون من علومها ومهر فيها **وارهف خاطره**
ولسانه من رهف السيف وارهفه فهو مرهوف ومرهف اي نوع اشبه
ادب هذه الصناعة فان الارهف بكثرة ممارستها وطول حذقه منها حتى صارت
له بديهة **لم يخف عليه ما قدمناه** من ان كلا منهما نوع اعجاز بذاته
منفردا على التحقيق ومنه حديث صعصعة بن صوحان اني لا اترك الكلام فما
ارهف به اي لا اركب البديهة ولا اقطع القول بشيء قبل ان اتامله **واختلف**
ايمة السنة في وجه عجزهم فاكثرهم يقول اورده مضارعا تصويرا للحالة
تكلمهم لسامعه كانه يبصرها ايا ها طالبا منه مشاهدتها **انه** اي وجه عجزهم
انما هو **مما جمع في قوة جزالته** من بدايع لطايف المعاني وروايع اسرار النكت
التي لا تتم الاحاطة الا لعلام الغيوب **ونصاعة الفاظه** لخلوصها من
شوايب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة **وحسن نظمه وايجازه** لبروزه
من علمه بوجوه سحر البلاغة خبير بافانين الكلام بصيرا باقتضاء مقتضيات
الاحوال والايجاز يورد كل ترتيب على نحو معناه وخصوص جواهر نوابعه **وبديع**
تاليفه واسلوبه لنسجه على منوال جمع تحسن ابتق ومن اباسرية فهان
الشيء فخامة جزالته وبلاغة ايراده في كل مقام مقتضاه واساويه واحداثا فيه
وهي اخاسه وطرفه **لا يصح ان يكون في مقدور البشر** لاشتماله على لطايف
سحر رفعت شانه في باب البلاغة الى ان خرج عن طوقهم **وانه من الخوارق**
الممتنعة عن اقدار الخلق عليها لحيازته بدايع شان البلاغة واقتلاذه انا سي
عيون امتنان البراعة مما تعجزون عنه **كاحيا الموتى وقلب العصا حية وتسبيح**
الحصا مما لا يقدر عليه بشر **وذهب ابو الحسن** امام السنة علي بن اسمعيل
بن اسحاق بن سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن امير العراقين بلال بن ابي بردة بن ابي موسى
الى انه اي القران **مما يدخل مثله تحت مقدور البشر** ممن هو انسان معنى
وله من بديع جهات الكلام ساحر في اقتضاب وجوه البلاغة ماهر في افانين
السحر نظما ونثرا **ويقدرهم الله عليه** لانه من جنس نتايج افكارهم ولايم خواطرهم
ولكنه الضمير للشان **لم يكن هذا** هو الشان اي الشان عدم قدرتهم عليه **فمنعهم**
الله هذا وعجزهم عنه وهذا هو القول بالصرفة وقدمرانه مرجوح **وعلى التعبير**
من كونه معجزا بذاته او بتعجيز الله اياهم **فعجز العرب ثابت** مع كمال بلاغتهم وتوطنهم

على

على الطغيان وردهم ما جابه **واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدورهم** على
ما ذهب اليه الشيخ ومتابعوه **وتحديهم** مصدر اضيف الى مفعوله اي وطلب
رسول الله منهم **ان ياتوا بمثله قاطع** لا ريب فيه **وهو** اي تحديهم ان ياتوا
بمثله مع كونه مما يصح ان يكون في مقدورهم **ابلغ في التعجيز** عن معارضته
واحرى بمهملتين اي اخلق واولى **بالتقريع** والتوبيخ والتسجيل عليهم بالعجز
والاحتجاج عليهم **بمجي بشر مثلهم بشي ليس من قدرة البشر لازم** على القول
بانه معجز بصورة نظمه العجيب واسلوبه الغريب وكل منهما كما مر معجز بذاته
وهو اي كونه ليس من قدرة البشر **اظهر** اي اغلب **لذلك** الابانة الباهرة لا يدفع
شانه في باب البلاغة لحيازته شرف لطايف الاعتبارات الواردة على انحاء
مختلفة بحسب مقتضيات احوالها لا ترى شيئا منها يراعي في كلام بليغ من
وجه لطيف الا عثرت عليه مراعى فيه من الطف وجه **واقطع دلالة** لهم
على الاقدام على معارضته مع ما لهم من قدم صدق في منهج البلاغة **وعلى**
كل حال من قولي الاعجاز بالصرفة وبالذات **فما اتوا في ذلك بمقال** من
موصوف ولا صفة **بل صبروا على الجلا** اي الخروج من مواطنهم بالاهل
والمال والولد **و** صبروا ايضا على **القتل** تفاديا بهما من الانقياد له حسدا
وحرصا على العنا دنيا ولددا **وتجرعوا كاسات الصغار والذل** اي شربوا
ما فيها منها جرعة بجرعة فشبههما بشراب لا يكاد يساغ لشناعته على
طريقة الاستعارة المكنية مثبتا لهم الكاسات تخييلا والتجرع ترشيحا
وكانوا من شموخ الانف اي ارتفاعه كبرا وعتوا **و**كانوا من **اباء الضيم**
تحاميا عنه وتباعدا منه وتجنبا له **بحيث لا يوثرون ذلك** اي الضيم **اختيارا**
من انفسهم **ولا يرضونه الا اضطرارا** والجاء اليه وقسرا **والا** اي وان لم
يكن الامر من عجزهم وصبرهم كما ذكر **فالمعارضة** للقران الكريم **لو كانت**
من قدرهم اي مقدورهم اطلاق العلة على معلولها **والشغل بها اهون**
عليهم واسرع بالنجح بامتزاج افادتهم مجهودهم واستيعابه فيها **وقطع العذر**
وافحام الخصم اي اسكاته بالحجة اياه **لديهم** اي عندهم **وهم ممن لهم**
قدرة تمييز للضمير المنفصل قبله والجملة حالية من ضمير لديهم توضحه
استغراقهما اشعر بعلو شان القران الى ان جاوز قدرهم فلم ياتوا بمثله
معارضته ببنت شفة معترفين بانهم اليه في القدرة **على الكلام** بلاغة
ويراعه باستقامة فطنه وسلامة فطره وفرط ذكا وصفا قريحة **وقدوة**
في المعرفة لجميع الانام لحيازتهم من ملكات العقل الهادي الى النجاح
لا توا بما تحدوا به ولم يصبروا على هوان وهذا جواب لو حذفه من الكلام

الدهر

عن الاقدام ك

وما منهم الا من جهد جهده استثنا مفرغ من عام واستنفد بالدال المهملة
اي استفرغ ما عنده من قوة طاقته في احفاظ طيوره اي القران او النبي صلى
الله عليه وسلم واطفا نوره ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون فما
جلوا اي فما اظهروا في ذلك مما اجتهدوا فيه خفنه من نبات شفاههم
اي من كلماتها اضافتها اليها لخروجها من بينها تشبيها لها على طريقة الاستعارة
المكنية بنسوة حوامل واثبت لها النبات تخييلا ولا اتوا بنطفة من النطف
وهو الصب اي بقطرة يسيرة من معين مياههم هو في الاصل الماء الجاري ظاهر
اشبه به ما طولبوا به معارضة فاستعار لها سما استعارة تم تحقيقيه قرينتها
بالنطفة ترشيحا للمجاز مع طول الامد في طلب المعارضة منهم وكثرة العدد
اذ كانوا اوفر عددا من حصى البطحا وتظاهر الوالد وما ولد اي وتعاون وتظهر
وتعاضد بهم بل ابلسوا اي اندهشوا فوجموا واستحسروا اي يئسوا فما
نبسوا اي ما نطقوا بشي مما طولبوا به معارضه ومنعوا بما اشتمل عليه
من قوة جزالته ونصاعة لفظه وحسن نظمه وايجازه انيق فانقطعوا ولم ينهض
لمقدار سورة منه ناهض فهذان اي صورة نظمه العجيب واسلوبه الغريب
نوعان من الاعجاز لم يداينهما فضل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز اي
اعجاز القران الكريم ما انطوى عليه من الاخبار بكسر الهمزة مصدر اخبر
بالمغيبات مما كان ووقع من القرون الماضية وما لم يكن ولم يقع فيما مضى
من الزمان فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام جواب قسم اما محذوف دل عليه لام لقد صدق الله رسوله الرويا
بالحق او مذكور وهو قوله بالحق اي بالحق الذي هو نقيض الباطل او الذي هو
من اسماء الله ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد او تلويحا بان
بعضهم لا يدخله لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرويا او النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه امنين حال من واو لتدخلن والشرط اعتراض بينهما وقوله تعالى
وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول اي والروم من بعد غلبة
فارس اياهم سيغلبون فارس وكانوا مجوسا لا كتاب لهم في بضع سنين اذ قد
احتربت الروم باذرعات وبصرى ادنى ارض العرب او بالجزيرة ادنى ارض
الروم من فارس فغلبوهم وورد الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين
وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون لا كتاب لنا وقد ظهر اخواننا
على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال ابو بكر لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن
الروم على فارس في بضع سنين فقال ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك اجلا اناحبك
على عشر قلايص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول

الله فقال له البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده وماده في الاجل فجعلاها
مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي بعد قفوله من احد بجرح من النبي
صلى الله عليه وسلم بسرف كافرا كما مر وظهرت الروم على فارس يوم
الحديبية فاخذ ابو بكر القلايص من ورثة ابي فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم تصدق بها وبه اخذ الحنفية جواز العقود الفاسدة في دار الحرب
واجيب بانه كان قبل تحريم القمار وقوله ليظهره اي دين الحق على الدين
كله اي ليغلبه على كل دين باطل بما هو حق بتسليط المسلمين على اهله
فما من دين الا وقد بان الاسلام واهله العزة والغلبة ولغيره الذل
والقهر وكله توكيد لما وعد من الفتح وقوله وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات خطاب للرسول ولامته او له ومن معه لبيانها ده
من البيانيه ليستخلفنهم لامه ونونه تلقي بهما قسم اما محذوف
تقديره وعدهم الله واقسم او نزول الوعد لتحققه منزلة القسم فلقي
بما كانه قيل اقسم الله ليستخلفنهم في الارض وقوله اذا جاء نصر الله
اياك على اعدائك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله للمومنين وفتح
مكة وغيرها من البلاد عليهم وعدل عن الحصول الى المجي تلويحا بان
المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها شيا فشيا وقد
قرب النصر من وقته فترقب وروده واستعد لشكره ورايت الناس
يدخلون مفعولا ثان لرايت على انه بمعنى علمت وحال على انه بمعنى ابصرت
اي داخلين في دين الله افواجا جمع فوج اي جماعات كثيفة كاهل مكة
والطايف واليمن وهوازن بعد واحد وجماعة قليله فسبح بحمد ربك
اي فتعجب من تيسير الله مما لم يخطر ببال حامدا له او فصل له حامدا له
على مزيد نعمه روى البخاري وغيره انه لما فتح مكة بدا بالمسجد فدخل البيت
وصلى فيه او فنزهه عن قول الظلمة حامدا له على ان صدق وعده
او فاثن عليه بصفات الجلال حامدا له على الاكرام واستغفره هضما
لنفسك واستقصارا لعملك وعنه صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله
في اليوم والليلة مائة مرة انه كان منذ كلف المكلفين توابا لمن استغفر
منهم والاكثر على انها نزلت في فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه لما قراها بكى العباس فقال له ما يبكيك يا عم فقال
نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول فكان نجمع هذا والاخبار
به كما قال ومن اعلام النبوة فغلبت الروم فارس في بضع سنين
يوم الحديبية قيل عند راس سبع سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا

ثم ما ثم صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام
واستخلف الله المؤمنين في الارض ومكن فيها دينهم الذي ارتضى لهم
وهو دين الاسلام اي وطنه ومكنهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى
المغارب اقتدا بكتاب الله وحديث رسوله كما قال صلى الله عليه وسلم فيما
رواه مسلم عن ثوبان زويت اي جمعت لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم
واستهزائهم به صلى الله عليه وسلم متلبسا به الذي نزل عليه الذكر ومن
ثم اكد عليهم انه المنزل عليهم وقرره بقوله وانا له لحافظون من
التحريف والزيادة والنقص بجعله معجزا مباينا لكلام البشر لا يخفى
تغيير نظمه على اهله فكان لذلك محفوظا في كل مكان وزمان لا يكاد
يقدر من سعى في تغييره وتبديل محكمه الذي لا يدرك حقيقته خلل لفظا ولا
معنى من المسلمين بل يعد منهم ويحتمل ان يكون بيانا لمن يجري كاده
محذوف وان يكون خبرها او هي بمعنى لا يزال يعد من الذين يميلون
عن الاستقامة في اياته طعنا وتحريفا والغاء وتاويلا باطلا ويعد من
المعطلة لما بذلك عن العمل بها على وجه الحق وبانحرافه عن الاستقامة
وتعطيله اياها بما ينفي العمل بها حقا لا سيما القرامطة يجوز فيما بعد رفع
ما بعد سيما على انها بمعنى مثل وما موصولة صلتها محذوفة اي ولا مثل
الذين هم القرامطة وجره على ان ما زائدة ونصبه على انها اداة استثنا
فانهم قد اجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم نيفا بفتح نونه وسكون يائه
وكسرها مشددة اي زيادة في خمسمائة عام فما قدروا على
اطفاء شي من نوره بمثل ما لهم سعى في تحريفه وتبديله والغاء
ادلته كما لمن اراد اطفاء نور عظيم منبث في الافاق ولا قدروا على
تغيير كلمة من كلامه لمباينته لكلام البشر ولا قدروا على تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه لحفظ اهله له تعاونهم في كل زمان
والحمد لله على حفظه له وعلى خيبة سعيهم وجعلهم اشقيا ومنه اي
من اعجازه قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر اي يزده فريدا بالخلف
اي الادبار رتبها ده القرآن به وكان يوم بدر وعن عمر لما نزلت لم
اعلم ما هو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله وهو يلبس درعه يقول
سيهزم الجمع فعلمته وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا وتخزهم
اسرا وينصركم عليهم ويشف اي يظهر دين الحق صدور قوم مؤمنين
هم خزاعة حلفا رسول الله بطون من اليمن وسبا وردوا وامله واسلموا

ثبته

في الارض

195

فلقوا من اهلها اذى كثيرا فقال لهم رسول الله اصبروا فان الفرج قريب
وقوله هو الذي ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله لام الدين للجنس على جميع الاديان وينسخها ولو كره
المشركون والاية كالبيان لقوله قبلها ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره
الكافرون ليشهد ده تكرير ولو كره وغاير بينهما لفظا تلويحا بانهم ضموا
الكفر بالرسول الى الاشراك بالله وقوله لن يضروكم الا اذى اي ضررا هو
اياهم مقصور على كونه اذى اي الاضرارا يسيرا كتهديد وطعن في الدين
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولن يضروكم بقتل واسر ثم
لا ينصرون ينصرهم احد لم عليكم او يدفع باسكم عنهم وقد عطف على جملة
الشرط وجزائه ولم يجزم عطفا على الجزاء عدولا به عن جملة الحكم الاجابة
اسنادا كانه قيل ان قاتلوكم انهزموا ثم اخبركم بانهم لا ينصرون مستغنيا
عنهم النصر مطلقا فليس نفيه عنهم مقيدا بقتالهم كما قيد به تولي
الادبار وثم للتراخي في الرتبة لان خذلانهم اعظم من انهزامهم فكان كل
ذلك من هزم جمعهم ونغص سهم بايدي المؤمنين وشفا صدورهم
نصرهم عليهم واظهر دينه على الدين كله وما كان ضررهم لهم الا اذى
وان قتلوهم ولو الادبار كبني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود
خيبر وما فيه اي القران من اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم
في حلفهم وما فيه من تقريعهم مصدر مضاف الى مفعوله اي ومن توبيخ
الله اياهم بذلك اي كنسبته كقوله ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم
لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بقولنا ما محمد ان كان نبيا
لا يدعوا علينا حتى نعذب حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير
وبقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون
قبلها اي مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين الانكار
والتكذيب يقولون بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له اي
يقولون في انفسهم واذا خلا بعضهم الى بعض لو كان لنا من الامر شي كما زعم
محمد ان الامر كله لله ولاوليائه فانهم حزبه لهم الغالبون ما قتلنا هاهنا
اي في امر المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتبه في اللوح المحفوظ
الى مصارعهم ولم ينفعهم اقامتهم في المدينة ولم ينج منهم احد اذ تقدير
الامور في سابق قضائه فلا معقب لحكمه وقوله من الذين هادوا منقطع
عما قبله خبر سماعون للكذب اي من اليهود قوم سماعون له او عطف على

واسر

من الذين قالوا خبر مبتدا محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او هم للذين
هادوا واللام للكذب اما مزيدة للتاكيد لتضمن السماع معنى القبول اي قابلون واللام في للكذب
لما تفتريه احبارهم او للعلة والمفعول محذوف اي كلامك ليكذبوا وقوله من
الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا لاحتماله غيرهم وما بينهما اعتراض هادوا
او لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او خبر لمحذوف
صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي منهم قوم يميلونه عن مواضعه التي
وضعه الله فيها بازالته منها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون
فيميلونه عما انزله الله فيه ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع
غير مسمع اي غير مسمع دعا عليك بلا سمعت بصمم او موت او غير مجاب الى
ما تدعو اليه او كلاما غير مسمع اياك لنبو سمعك عنه فيكون غير مسمع مفعولا
به او غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما اورده محتملا
وجهين نفاقا وراعنا يحتمل انظرنا نكلمك ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية
كانوا يتسابون بها هي راعينا سخرية وهزوا به صلى الله عليه وسلم يكلمونه بمحتمل
يريدون به شتمه وتحقيره مظهرين اكرامه وتوقيره ليا بالسنتهم اي فتلا بها
وصرفا للكلام الى ما يشبه السب بوضعهم راعنا للمشابهة لما يتسابون به
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها ما يظهرونه
من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين
استهزاء وسخرية وقل اي اسم مبدا حال من ضمير قل وقعت وما بعدها
اعتراضا بين قل ومقوله اي مظهرا ما قدرتم واعتنقتم المؤمنون يوم
بدر من الظفر باحدى الطائفتين العير والنفير وان يعدكم الله احدى
الطائفتين ثاني مفعولي يعدكم انها لكم بدل منها واذ يعدكم الله احدى
وتودون ان غير ذات الشوكة التي هي العير والشوكة الحد استعير لها
اسم واحد الشوك استعارة تحقيقية منطلقة تكون لكم تمنوها لانها
لا حد فيها ولا شدة اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذا هو يلاقي ذات الحد
التي هي النفير لكثرة عدده وعدده ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويغلبه
بكلماته المنزلة في محاربة ذات الشوكة او باوامره للملائكة بالامداد للنصرة والقتل
والاسر ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم اي انتم تريدون العاجلة ولا ترون
مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق ويمنحكم عزا وفوزا في الدارين ومنه اي
من اعجازه انا كفيناك المستهزئين تقدم بيان ما هلكوا به وهم من اعلام الكفر
الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعدي والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث
والاسود بن المطلب بن اسد وقيل وعمه ابو لهب وعقبة بن ابي معيط والحكم

بن ابي العاص وقد اسلم يوم الفتح وروى الطبراني في الاوسط لما نزلت فيهم
هذه الاية بشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بان الله كفاه اياهم ورواه البيهقي
وابو نعيم بمعناه وكانوا جملة ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وتم نوره
وسطع واظهر دينه على الدين كله وقوله والله يعصمك من الناس عصمة من الله وصيانة
له منه وعصمة روحه من غوائل اعاديه واراد قتله اذ مع فكان ذلك كما اخبر به
من لا خلف في اخباره على كثرة متعلق بكان اي فكان اخباره بكفايته ووعده بعصمته
مستعليا على وفور من رام ضرره وقصد قتله فصل الوجه الرابع من وجوه
ضبط انواع اعجاز القران ما انبا به من اخبار القرون السالفة والامم
الماضية عما بينها تفننا واطنابا لاقتضاء المقام ذلك والشرائع الدائرة
اي الدارسة بنسخ وغيره من دثر اذا درس وعفا بهبوب الرياح مما كان لا يعلم
القصة الواحدة الا الفذ بمعجمة مشددة اي الواحد وقد فذ عن اصحابه
اذا شذ عنهم وبقي فردا وفي حديث الحمر ما انزل علي فيها الا هذه الاية الفاذة
الجامعة اي الفردة في معناه من احبار اهل الكتاب اي علمائهم جمع حبر فتحا وكسرا
الذي قطع عمره في تعلم ذلك اي ما ذكر من القصة فيورده النبي صلى الله عليه
وسلم على وجهه اذ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ويأتي به على نصه
كما قراه عليه جبريل من نصصت الحديث اذا رفعته وعن عمرو بن دينار ما رايت انص
للحديث من الزهري اي ارفع له واسند فيعترف العالم بذلك الذي ورده بصحته
وصدقه ويعرف ايضا ان مثله لم ينله النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم بل بوحي
وتفهيم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب تفسير لامي
اذ هو من لا يحسنهما ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة بمثلثة وفاء بينهما
القاف اي ولا مجالسة احد ملصقا ثفنة ركبته بثفنة ركبته من الزاحم بركبته
للتعلم لم يغب صلى الله عليه وسلم عنهم غيبة يمكنه التعلم فيها ولا جهل حاله
احد منهم منذ كان صغيرا الى ان ارسل وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما نصب
على الظرف لانه من صفة الاحيان اي في كثير من الاحيان او صفة لما اشتق
منه الفعل وما مزيدة لتاكيد معنى الكثرة اي يسالونه سوالا كثيرا عن هذا
اي عن اخبار القرون الماضية فينزل عليه من القران ما يتلو عليهم منه
ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم في القران على اختلافها لفظا واختصارا
وخبر موسى والخضر اي معه في سورة الكهف ويوسف واخوته يهوذا
وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر وامهم ليا ودان ونفتالي
وجاد واشر من سريتين هما زلفة وبلهة وتوفيت ليا فتزوج اختها
راحيل وولدت له يوسف وبنيامين في سورته واشباه ذلك من الانبيا

كخبر نوح وولده وولدي ادم وبدا الخلق فان ذلك كله مذكور فيه وما في التوراة
والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقته فيه العلماء من تلاه
عليهم ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منه مصدر مضاف الى مفعوله اي على
تكذيبه في شي ذكره منها بل اذعنوا اي انقادوا له لعلمهم بصدقه فمن موافق
آمن به وصدقه فيما جا به بما سبق له في الازل من سابقة شر ومع هذا فلم
يحك عن واحد لم يرد به واحدا معينا لوقوعه نكرة في حيز نفي او رتبه عموما
من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه رفضا
للحق وانفة من اتباعه محتسبا واخشوا نا مبينا وطول احتجاجه عليهم بما في
كتبهم مما اورثت لهم بانه رسول الله الى كافة الناس وتقريعهم اي توبيخهم
وتبكيتهم ردعا لهم بما انطوت عليه مصاحفهم من الاعلام بصحة ما جا به
جمع مصحف لعله بمعنى صحيفة واحد الصحف وكثرة سوالهم له وتعنيتهم
اياه اي تكليفه بما يشق عليه من العنت بمعنى المشقة بكثرة سوالهم له عن اخبار
انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم من الاخبار التي غابت عنهم
علمهم بها واعلامه لهم بمكنون شرائعهم اي بخفيها ومستورها عنهم
ومضمنات كتبهم من الاحكام والامثال والمواعظ وغيرها المشتملة
هي عليها مثل سوالهم اياه على لسان قريش اذ قالوا لهم سلوه عن الروح كما
رواه الشيخان وذي القرنين واصحاب الكهف فيما رواه ابن اسحق والبيهقي
فان اجاب عنها او سكت عن بعض فهو نبي فبين لهم كما رواه الشيخان قصتي
اصحاب الكهف وذي القرنين وابهم امر الروح كما هو مبهم في التوراة وسوالهم
له عن عيسى وحكم الرجم فبين لليهود ذلك وعن ما حرم اسرائيل كما رواه الترمذي
على نفسه من لحوم الابل والبانها في قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل
الا ما حرم اسرائيل على نفسه فبينه لهم فامتعضوا واشمأزوا منه واحتج به
من جوز الاجتهاد للانبيا ولا يبعد ان يكون تحريمه ذلك باذن من الله فهو
كتحريمه ابتدا وما حرم عليهم من الانعام ومن طيبات احلت لهم فحرمت
عليهم من قبل ان تنزل التوراة ببغيهم وظلمهم عقوبة لهم وتشديدا عليهم
وذلك رد لزعمهم براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر ذلك جزيناهم ببغيهم اذ قالوا لسنا اول من حرمت عليه بل
كانت عليهم محرمة على من قبلنا كنوح وابراهيم ومن بعدهم حتى انتهى الامر الينا
فحرمت علينا ورد لمنعهم النسخ ودعوى نبينا موافقة ابراهيم في تحليل لحوم
الابل والبانها ومثل قوله ذلك اي سيماهم في وجوههم من اثر السجود واشار به
الى مبهم يفسره كزرع مثلهم في التوراة والانجيل اي وصفهم العجيب الشان

فيهما فاجابهم عن ذلك كله وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه اي لم يحك ان احدا
انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف
بعناده وحسده اياه كاهل نجران حين حاجوه في عيسى فدعاهم الى المباهلة
وابن صوريا وقد استشهده ونصره وابني اخطب وغيرهم من اليهود والنصارى
ومن باهت في ذلك اي فيما لم ينكر ولم يكذب فيه بعض الباهتة فيما
عندهم مما حكاه صلى الله عليه وسلم بمخالفة فقد دعي من جانب ربنا تعالى الى
اتي منه بحجة وكشف دعوته ان عندهم فيما حكاه مخالفة كقولهم فقيه لابراهيم
في تحليل لحوم الابل والبانها فقيل له صلى الله عليه وسلم قل لهم فاتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين امره بمحاجته لهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من ان
تحريم ما كان احل لهم انما كان بسبب ظلمهم وبغيهم وروي انه صلى الله عليه وسلم
لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان ياتوا بها وهذا برهان بين على نبوته
فمن افترى على الله الكذب بزعمه ان ذلك حرم على بني اسرائيل وعلى من قبلهم
قبل نزول التوراة من بعد ذلك اي بعد الزامهم الحجة فاولئك هم الظالمون
بعدم انصافهم من انفسهم ومكابرتهم الحق بعد ما تبين فقرع ووبخ وكل
الى احضار ممكن غير ممتنع وهو الاتيان بالتوراة فلم ينهض منهم لذلك نهض
فمن معترف بما جحده ومتواقح قوي الوجه لا حيا فيه يلقي على فضيحته
الكاشفة لعيبه التي هي من كتابه بيده وهي اية الرجم سيماها بها لا لهما سبب
لهتكه ولم يؤثر ان واحدا منهم اي من اهل الكتابين اظهر خلاف قوله
صلى الله عليه وسلم من كتبه ولا ابدى جمع بينهما تفننا وتزيينا اي
ولا اظهر صحيحا ولا سقيما من صحفه جمع صحيفة وهي الكتاب وفي حديث
عيينة بن حصن انه صلى الله عليه وسلم كتب له كتابا فلما اخذه قال يا محمد
اتراني حاملا الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس هو شاعر معروف اسمه عبد
المسيح بن جرير قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو بن هند فنقم عليهما امرا
فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يامره بقتلهما فاعطى كلا صحيفة وقال
اني كتبت لكما بجائزة فاجتازا بالحيرة فقرا المتلمس صحيفته فاذا فيها الامر
بقتله فالقاها في الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرا صحيفتك
والقها فابى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا قال
تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحده لارادة الجنس
قد جاءكم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب كصفته صلى الله عليه وسلم واية الرجم مما في التوراة وبشارة
عيسى به مما في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم تدع

او عن كثير منكم لا يواخذكم بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القران
فانه الكاشف لظلمات الشكوك والمبين للاعجاز وبلاغة الايجاز يهدي به الله
وحد الضمير لان المراد بهما واحد من اتبع رضوانه سبل السلام اي اتبع رضاه
بالايمان طرق السلامة من كل مكروه ويخرجهم من الظلمات الى النور
اي من انواع الكفر الى الايمان باذنه اي بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى
صراط مستقيم اي طريق هو اقرب الى الله وموصل اليه لا محالة فصل هذه
الوجوه الاربعة المارة في فصولها منوا لنا واشارنا لها بما لقربه يعرف
من هذا الفصل من اعجازه اي اعجاز القران بينة لا نزاع فيها ولا مرية فيها
لاحد ومن الوجوه البينة في اعجازه ما اشتمل عليه من اساليب بديعة
توصل الى الذروة العليا الا ترى كلاما احسن ديباجة ورونقا وبلاغة
منه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم باعيانهم في قضايا
معينة واعلامهم انهم لا يفعلونها بقوله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا
على ذلك مما ذكر من القضايا كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار الاخرة
اي الجنة عند الله خالصة حال من الدار اي خاصة بكم كما قلتم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا من دون الناس اي باقيهم او المومنين فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين في قولكم لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها
واحب التخلص من دار الشوائب لها ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
مما اوجب لهم الردى والتردي فيها وفي النار كالكفر به صلى الله عليه وسلم
وبالقران وتحريفا لتوراة فهي من المعجزات لانها اخبار بالغيب وكان كما
اخبر اذ لو تمناه احد منهم لتوفرت الدواعي على نقله واشتهر فان التمني
ليس من عمل القلب ليخفى ولو كان من عمله لقالوا تمنينا قال ابو اسحق الزجاج
في هذه الاية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه اي الله
تعالى قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد
منهم وروى البيهقي من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم بلفظ والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص
بريقه يعني يموت مكانه وغص بمعجمة مفتوحة فمهملة لا بضمها لانه
لازم لا يبنى لمفعول ورواه احمد بسند جيد عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لو
ان اليهود تمنوا الموت لماتوا فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم اي ادخل عليهم
الخوف ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد منهم
حذرا الموت وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا جملة حالية من الضمير
قبلها ولكن الله يفعل ما يريد من خير وشر فظهر بذلك اي بصرفهم منع

كونهم على تكذيبه احرص معجزته وبانت حجته قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم
انهم الضمير للشان كانه قال ان الشان لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من
يوم امر الله نبيه بقوله له قل ان كانت لكم الدار الاخرة الى قوله فتمنوا الموت
يقدم عليه اي على تمنيه الموت ولا يجيب احد منهم اذا قيل له تمنى الموت اليه
وهذا اي امتناعهم من تمنيه مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية
المباهلة من هذا المعنى في عدم الاجابة الى ما دعي اليه حيث وفد عليه
اساقفة نجران جمع اسقف بضم الهمزة وتشديد الفاء رئيس النصارى وفي صحيحهم
ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة بلد بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من
مكة وابوا الاسلام وكانوا ستين راكبا منهم اربعة عشر رجلا ثلاثة منهم يرجع
امرهم اليهم العاقب واسمه عبد المسيح اميرهم والسيد واسمه الايهم ثمالهم
اي ملجاوهم ومعتمدهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم فانزل الله اية المباهلة اي
الملاعنة بقوله فمن حاجك فيه اي في عيسى وانكر خلقه كادم بلا اب وزعم انه اله
بعد فقل تعالوا اي هلموا بالعزم والراي ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا نفسه واعز اهله والصقهم بقلبه الى
المباهلة ويقدمهم على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدا لعنه
عنهم ثم نبتهل اي نتباهل والبهلة بفتح وضم اللعنة فنجعل لعنة الله على الكاذبين بين
فقال اذا حلف في امر بهلة الله اي لعنته وبعد من رحمته على الكاذب منا
ومنكم وروي انه دعاهم الى المباهلة فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك
ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وقد جاءكم بالفصل من امر
صاحبكم وانه ما لاعن قوما نبي فبقي كبيرهم وصغيرهم فان ابيتم الا الف
دينكم فوادعوه وانصرفوا فاتوه وهو محتضن حسينا اخذ بيد الحسن وفاطمة
تمشي وراءه وعلي وراءها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر
النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا
فتهلكوا فاذعنوا له وبذلوا له الجزية كل سنة الفي حلة وثلاثين درعا من حديد
فقال والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم
الوادي نارا ولاستاصل الله نجران حتى الطير على الشجر ومثله اي مثل من حاجك
فيه قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا بيان لما هو حجة على اثبات نبوته
صلى الله عليه وسلم كما مر ولما يدحض الشبهة في كون القران معجزا اي ان ريبتم فيما
نزلناه على محمد وتدبرتم فاتوا بسورة من مثله اي على صفته في البيان الغريب
وحسن النظم وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا غير الله يشهد لكم
ان ما تزعمون حق وهذا تعجيز لهم وبيان لاعجازهم وان الحجة قد بهرتهم فلم يبق

لهم متشبثا ان كنتم صادقين في دعواكم فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاجزم
بجملة اعتراضية بين الشرط وجزائه انهم لا يفعلون كما كان عدم فعلهم قبل
اي فان لم تعارضوه وبان انه معجوز عنه ووضح الحق ووجب الاذعان فاتقوا
النار بالايمان مذعنين ولتنبهوا بما هو صدق بثبوت نبوته وصحة كون
المتحدي به معجزا والاخبار بانهم لم يفعلوا وهذه الاية ادخل في باب الاخبار
بالغيب من حيث انه نفي عنهم صدور ما طلب منهم تحديا في المستقبل ابدا
ولكن فيها من التعجيز لقريش ما في التي قبلها من التعجيز لنصارى نجران اذ كل
منهما طلب منه الاسلام فابى وزعم تطلب مصداقه فعجز فصل ومنها
اي من وجوه اعجازه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند
سماعه مصدر مضاف الى مفعوله اي عند سماعهم اياه والهيبة التي
تعتريهم اي تغشى ساحة قلوبهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره
اي رفعة قدره وعظم محله وهي اي الروعة او تلاوته على المكذبين به اعظم
منها على المومنين به حتى كانوا اي المكذبون به يستثقلون سماعه ويزيدهم
نفورا هربا من استماعه كما قال تعالى واذا ذكرت ربك في القران وحده
ولوا على ادبارهم اي رجعوا على اعقابهم نفورا مصدر بمعنى التولية اي ولوا تولية
لعدم ذوق لهم سعة ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا اي
ولودادهم انقطاعه لكراهتهم له قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الديلمي
وغيره عن الحكم بن عمير ان القران صعب مستصعب على من كرهه
وهو اي القران الحكم بفتحتين اي الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر المميز
لكل نفس جزاء ما عملت من خير او شر او الدال على ذلك بنصب الادلة
والامارات الدالة عليه او المميز بين السعيد والشقي بالاثابة والعقاب
واما المومن فلا تزال روعته به اي روعة القران بالمومن وهيبته اياه مع
تلاوته توليه من اولاه اذا اعطاه ابتداء من غير مكافاة اي تعطيه
انجذابا وتكسبه هشاشة اي فرحا واستبشارا وارتياحا لميل قلبه
اي الى القران وتصديقه به قال تعالى تقشعر من القشعر وهو الجلد اليابس
زيدت فيه الراء ليصير رباعيا كما زيدت في قمطر من القمط وهو الشد
اي تتميز منه جلود الذين يخشون ربهم خوفا مما فيه من الوعيد وهو تمثيل
تصويرا لشدة خوفهم وافراط خشيتهم فانهم اذا سمعوا القران واياته
وعيد عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم انقباضا شديدا ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة وليتذكر الرحمة مع ذكر الله اذا
بلغها اصله وانها سبقت غضبه فاذا ذكر لم يخطر قبل الا كونه رحيما فيزول

عنها ما كان لها من الخشية المؤذنة بذكرها وقال لو انزلنا هذا القران على
جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله تفخيم للقران وتعظيم له وانه
بحيث لو فرض انزاله على جرم من اعظم ما خلق من الاجرام العظام لم واتواها
واشدها لخشع وتصدع اي تشقق من خشية الله بما فيه من ايات وعبر
فهو تمثيل كما له لو فرض انزاله على جبل كما له تلاوة مومن له او كان الجبل كما له له
مومن نزل عليه فتدبره وتفكر فيه فاعترته روعة وهيبة اورثته
خشوعا وذهبة من خشية الله وتلك الامثال اشارة الى هذا وغيره من
امثال القران نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على
قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوته وتدبر قوارعه وزواجره وقيل على
ان هذا اي ما تغشى قلوب سامعيه واسماعهم شي خص به دون سائر كتب الله
وصحفه انه يعتري من عراه يعروه اذا اصابه اي يصيب من لا يفهم
معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ تلو القران
فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجى والنظم الانيق السري الذي
لا يرام اي للحزن الذي اصابه من استماعه فرق قلبه وخشع لما اشجاه
يشجوه اذا احزنه وشجيه اذا اغضبه ومنها معا شجي بالكسر يشجى شجا
وهذه الروعة قد اعترت اي اصابت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم
من اسلم لها اي للروعة التي اعترته لسابقة سعادة لاول وهلة او من
ه اي اول شي والوهلة المرة من الفزع اي اول فزعة فزعها من استماعه ومنهم
من كفر اي دام على كفره فحكي كما رواه الشيخان في الصحيح عن جبير بن مطعم
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور اي بالسورة
المسماة به فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شي اي ام احدثوا وقدروا من
غير محدث ومقدر فلا يعبدونه ام هم الخالقون انفسهم لتشهد ام خلقوا
السموات والارض بل لا يوقنون اذا قيل لهم من خلقكم وخلقها قالوا الله
شاكين فيه ولو ايقنوا لما اعرضوا عن عبادته وام في الايتين وما بعدهما
منقطعة وهمزتها للانكار ام عندهم خزائن ربك اي خزائن رزقه حتى
يعطوا النبوة من شاؤوا وخزائن علمه حتى يختاروا لها من اختيار حكمه ومصلحة
ام هم المصيطرون اي الارباب الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤوا
كاد قلبي يطير فزعا مما اعتراه من الهيبة والروعة وفرحا مما استبشر
قلبه وانتهى بسمعه وسر نفسه باستماعه منه صلى الله عليه وسلم وفي رواية
اخرى وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي اي سكن وثبت فيه من الوقار
وهو الرزانة والحلم وفي الحديث لم يفضلكم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة

ولكن بشي وقر في قلبه وفي رواية ولكن بسر وقر في صدره وروى البغوي
في تفسيره عن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف انه كلم النبي صلى
الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه مما لم ياتوا فوق ضلالهم واغراضهم
الباطلة واعتقاداتهم الباطلة فتلا عليهم حم فصلت الى فان اعرضوا فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد قوم هود وثمود قوم صالح فامسك عتبة
على فيه وناشده الرحم اي ساله بالقرابة التي بينهما ان يكف عنه تلاوته
وفي رواية لابن اسحق في سيرته عن محمد بن كعب القرظي فجعل النبي يقرا وعتبة
مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمد عليها حتى انتهى صلى الله عليه وسلم
الى السجدة فسجد وقام عتبة ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه — قال
فاتوه فاعتذر لهم عن انقطاعه عنهم وعدم خروجه اليهم بما قاله
موكدا بالقسم والله لقد كلمني يعني النبي صلى الله عليه وسلم بكلام ما سمعت
اذناي بمثله قط لفخامة شانه وجزالة نظمه اذ لم يخف عليه حسنه فما
دريت ما اقول له فبهت الذي كفر فلم يهتد لما يقول والله لا يهدي القوم
الظالمين وقد حكي عن غير واحد ممن اراد معارضته انه اعترته اي
اصابته وغشيته روعة اي فزعة وهيبة كف بما ارهقه واعتراه من
الروعة عن ذلك فحكي ان ابن المقفع بميم مضمومة فقاف مفتوحة ففاء
مشددة طلب ذلك اي معارضته ورامه اي قصده وشرع فيه فمر
بصبي يقرا وقيل يا ارض ابلعي ماءك تقدم بيانها فرجع فمحا ما عمل معارضا له به وكان
يحيى بن حكم بفتح المهملة والكاف وفي التنبيه للذهبي بن حكيم بزيادة يا
الغزال بتشديد الزاي وذكره الذهبي في قسم المخفف من المشتبه بليغ
الاندلس بفتح الهمزة والدال وقيل بضمها اقليم بالمغرب فحكي انه رام اي
اراد وقصد شيئا من هذا اي مما ذكر من المعارضة فنظر في سورة
الاخلاص سميت به لما اشتملت عليه من المبالغة في التوحيد ليحذو على
مثالها اي ليعمل على مثلها وفي الحديث لتركبن سنن من كان قبلكم حذو
النعل بالنعل اي تعملون مثل اعمالهم كما تقطع احدى النعلين قدر الاخرى
والحذو التقدير والقطع وينسج بزعمه على منوالها المنوال الخشبة التي
يلف عليها الحائك الثوب شبه ما رام عمله بسدا للنسج على الاستعارة
المكنية واثبت له النسج تخييلا وشبه عمله بنسج الحائك ثم اشتق منه
ينسج فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية فاعترته
خشية ورقة اي لين وضعف ضد القسوة والشدة حملته على التوبة
والانابة اي الاياب الى الله والرجوع اليه بالتوبة فصل ومن وجوه اعجازه

كونه ابدا باقية دون كل معجزة في جميع الازمان متلو من بين كتب الله في كل مكان
لا تعدم ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها مع تكفل الله بحفظه فقال ردا لانكارهم
واستهزائهم به في بابه الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون ومن ثم اكد في قوله انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون من التحريف والزيادة والنقص بحيث لا يخفى نظمه
على اهله وقال تعالى لا ياتيه الباطل الذي لا يجد اليه سبيلا ليتعلق به وسائر
الانبياء — معجزات الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها اي مضت وانقطعت بمضيها
وانقطاعها فلم يبق الا خبرها ما تواتر بين الناس كانقلاب عصى موسى له حية
واحيا عيسى الموتى باذن الله ونطق ناقة صالح من صخرة والقران العزيز اي
المنيع المحمي بحماية الله الباهرة اياته الظاهرة معجزاته لا تخفى ولا تجهل وفيه من
صناعة البديع الجناس اللاحق باختلاف الباء والظاء على ما كان عليه اولا اليوم
خبر المبتدا اعني القران وما بينهما صفات له مذ خمسمائة عام وثلاثين لاول
نزوله الى وقتنا هذا ومدته تسعمائة عام وتسع وثلاثين الى وقتنا هذا حجته
قاهرة لمن تحدى فعجز مع مهارته وبراعته ولم يات بمثله سفه اذ معارضته
ممتنعة مماثل عليك والاعصار كلها طافحة من طفح الماء اذا فاض اي مملوة
في بعضه تسمى الاعصار باودية امتلات ماء فطفحت باهل البيان عالم
في اسرار التراكيب ووجوهها بعد معرفة معاني الموضوعات وما صدقاتها
وحملة علم اللسان اي علم اللغة وائمة البلاغة ومرجعها كاهل المعاني والبيان
ومتمماتها الفصاحة اللفظية والمعنوية والبديع وفرسان الكلام شبهه في
حسن نظمه وجودة تركيبه على طريقة الاستعارة المكنية بخيل جياد تثبت
له الفرسان تخييلا وجهابذة البراعة جمع جهبذ والملحد مشتقا لو او الجاحد
اي جاحد لكونه مائلا عن الحق ظلما وعدوانا واصل الالحاد الميل عن الشيء فيهم كثير جم
والمعادي للشرع عنيد اي قوي عتوا وتكبرا فما منهم من اتى بشيء يؤثر في
معارضته اي يروى عنه ومنه قول الشعبي في حديث هو ولو — في مناقضته
ان يا ثروا عني الكذب لكذبت عنه اي يروونه ونحوه ولا الف كلمتين في مناقضته
مفاعلة من نقض البنا اذا هدمه اي لم يجمع ما ينقضه به والمناقضة كالمنازعة
المراجعة والمرادة ولا قدر فيه على مطعن صحيح اي لم يجد في القران مجالا
يتعلق به طعن لكونه في اعلا طبقات البلاغة لا يتاتى لطاعن ان يطعن فيه لانه ليس
مظنة له ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك اي في الطعن فيه الا بزند شحيح
باخراج النار عند وريه فلم يور يقدحه له الا بجزي فقصر طرفه وحبط وقفه
وزمن المانو اي المروي عن كل من رام ذلك اي الطعن فيه القاء في العجز بيدهم
اي القا نفسه بيده في العجز وللزومه له جعل ظرفا له والنكوص على عقبيه اي الرجوع

فضل عُدّ جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه اي اعجاز القران وجوها
كثيرة منها ان قارئه لا يمله انه لا يسأم منه ولا يضجر وفي الحديث اكلفوا من
العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا اي لا يمل ابدا مللتم او لم تملوا فاجري
مجرى قولهم حتى يبيض القار اذ يبعد ملأى لا يبغضها نفقة سحا الليل والنهار
ولا يملكم حتى تتركوا العمل وتزهدوا في رغبتكم اليه فسمي تركوا او تزهدوا
مللا على طريقة المشاكلة كما في تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وسامعه
لا يمجه المج في الاصل الطرح والقذف فشبه ترك سماعه معرضا عنه بمج الماء
اي صبه ثم اشتق منه مج فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم جرت في
الفعل تبعا بل الاكباب والادآب يزيده حلاوة يجدها تاليه في نفسه ن
وترديده يوجب محبته في القلوب لما اودعه من بدايع النظم ودقائق التركيب
لا يزال غضا طريا اي لا يتغير نضارة رونقه وزهارة بهجته وغيره من الكلام
ولو بلغ في الحسن مبلغه بحسب بلاغة مؤلفه وفوق براعته يمل مع الترديد
ويعادي اذا اعيد نشيها دة في قولهم المعادات معادات وكتابنا المنزل على
نبينا صلى الله عليه وسلم يستلذ به اي يجد قاريه في نفسه لذاذة لا توصف
في الخلوات قيد لذاذته بها لانها محل سكون واجتماع الحواس والخواطر
ويستلذ به في غيرها ايضا وهو فيها اعظم ويؤنس بتلاوته في الازمات
جمع ازمة وهي الشدة وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك من اللذاذة والانس
لفقدها ما اشتمل عليه مما يورثهما حتى احدث لها اصحابها لحونا وطرقا
اللحون والالحان جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت تحسينا للقراءة
والشعر والغنا وفي الحديث اقرؤا القران بلحون العرب واصواتها
واياكم ولحون اهل العشق واهل الكتابين لعله اراد ما يفعله قرا مصر
وغيرها من لحون يقرؤن بها في مجامع الناس فان اليهود والنصارى يقرؤن
كتبهم نحوا من ذلك يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها ولهذا
الذي اختص بها القران وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الترمذي وغيره عن علي القران بانه لا يخلق بفتح يائه وضم لامه من خلق الثوب
يخلق بضمها فيهما ويقال اخلق الثوب واخلقته فهو من الثلاثي لازم ومن الرباعي
متعدي اي لا يبلى على كثرة الرد اي ترديده مرة بعد اخرى على ممر الدهر ولا
تنقضي عبره بكسر عينه وفتح الموحدة جمع عبرة اي مواعظه التي بها يتعظ
ويعتبر ولا تفنى عجايبه اي لا تنفد كثرة ولا تكاد يتعجب من شيء الا عرفت
فيه على ابهج وجه وابهاه هو الفصل مصدر بمعنى فاصل بين الحق والباطل كما قيل
له فرقان ليس بالهزل بل هو جد كله لا هوادة فيه اي لا رخصة ولا محاباة وصف

بذلك يكون معظما مهيبا يتزعزع به من يقرعه ويسمعه عن ان يلم بهزل او يفكه
بمزاح بل يلقي ذهنه كان ربه يخاطبه بامره ونهيه ووعده ووعيده وغير
ذلك وادنى امره ان يكون جادا غيرها زل لا يشبع منه العلما تلاوة وتدبرا
واستنباطا فشبه بما يؤكل مرئي على طريقة الاستعارة المكنية واثبات له
الشبع تخييلا او شبه الاستغنا به عن غيره بالشبع ثم اشتق منه يشبع
فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية ثم في الفعل تبعا وهذا اوجه ولا تزيغ
اي لا تعدل وتميل الاهوا عن صراط الحق الى غيره ولا تلتبس اي لا تشتبه به
الالسنة اي اللغات لانه لسان عربي ذو بيان وبلاغة هو الذي لم تنته
الجن حين سمعته ان قالوا بفتح الهمزة وهو في معنى العلة اي لم ينتهوا عن القول
من اجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم انا سمعنا قرانا عجبا مصدر بوضع موضع
عجيب وهو ما خرج عن حد امثاله اي بديعا مباينا لغيره من الكتب في جزالة نظمه
وصحة معانيه متوشحا بدلايل الاعجاز يهدي الى الرشد اي الى الصواب والى
التوحيد والايمان فلما كانوا من الشيصبان قبيلة من الجن وهم اكثرهم عددا و
وعامة جنود ابليس منهم ومنها جمعه العلوم والمعارف جمع علم ومعرفة
بمعنى معلومة معروفة لم تعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته اي قبل
بعثته خاصة معرفتها اي لم يكن لاحد من الناس معرفة بان احدا منهم تعلم
منها شيئا ولا القيام بها اي العمل بها او الدوام والثبات عليها ولا يحيط
بها احد من علما الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم السماوية وغيرها
فجمع فيه من بيان علم الشرايع والاحكام اصلية وفرعية والتنبيه على
طرق الحجج جمع حجة وتسمى دليلا كدلالة العالم على صانعه العقليات والرد
على فرق الامم المخالفة الزايغة عن منهج الاستقامة ببراهين قوية وادلة
تدنيفا الدليل اعم من البرهان لشموله القطعي مثل كل انسان جسم وكل جسم
مركب والظني كالوتر عبادة وكل عبادة تحتاج الى نية وقد لا يكون مركبا كدلالة
النار على الدخان والبرهان انما يكون مركبا من مقدمات يقينية بينة سالمة
من الاغلاق تدرك بمجرد تاملها سهلة الالفاظ لسلامتها من تنافر الحروف
والغرابة ومخالفة قياس اللغة موجزة المقاصد رام المتحذلقون بمهملة
ومعجمة من الحذق زيدت فيه اللام يقال تحذلق تحذلقا اذا اظهر حذقه وادعى
اكثر مما عنده اي قصدوا ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها اي لم
تقدروا عليها وتلك من عليم خبير كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض
مع كبرهما وعظم شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة
بالنسبة اليها ومثلهم اعادة في اصول الذوات وصفاتها بلى جواب من الله

لتقرير ما النفي مشعر بان لا جواب سواه اي بلى قادر على خلقه واعادته وكقوله قل يحييها
الذي انشاها اول مرة لتقاقرته على ما كانت عليه لا يعتريها تغير ابدا والمادة على
حالها في القابلية اللازمة وكقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اي لاختلا لوجود
التمانع ووصف لآلهة بالا لتعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها وحملا لها على
غير كما تستثنى بغير حملا لها عليها ولا يجوز الرفع على البدل لتعذره على الاستثناء واشتراط
كونه في كلام غير موجب اي خذ ما ذكر مضموما الى ما حواه اي القرآن من علوم السير المفهومة
من اخبارها الماثورة وانباء الامم اي اخبارها والمواعظ المؤذنة بالترغيب في رحمته
وتعاليه والترهيب عن نقمته وبلائه كقوله تعالى حكاية عن لقمان يا بني لا تشرك بالله يا بني
انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يأت بها الله
ان الله لطيف خبير والحكم المرشدة الى تحميل النفوس الانسانية باقتباس العلوم والملكات
التامة واخبار الدار الآخرة كالبعث والحشر واهوال الموقف والمرور على الصراط والمصير
الى الجنة والنار ومحاسن الادب والشيم كقوله لنبيه خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين ان الله يامر بالعدل والاحسان والشيم جمع شيمة قال الله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء اي القرآن او اللوح المحفوظ من شيء فقد ذكر فيهما ما يفوت الحصر كذا
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي بينا لهم كل شيء لا يلم به شبهة
ولا يرتع حوله خطأ كانه مثل في غرابته وعجيب شانه كبيان ما يقولون يوم القيامة
وما يقال لهم وما لا ينفعهم بالاعتذار والاستعتاب او كشفنا عن كل شيء يدعوهم
الى الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وفي قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي
عن علي وتقدم بعضه واورده هنا بغير بعض الفاظه بزيادة في صدره ان الله
انزل هذا القرآن آمرا بكل معروف واجبا ومندوبا وزاجرا اي ناهيا عن كل منكر
حراما او مكروها وسنة اي طريقة متبعة خالية اي ماضية على منهج الحق
واضحا جليا الحق لا ينزل بفنائه ريب ونبأ مضروبا لانواع مضاربها التي ضرب
لاجلها او سماه مثلا لاشتماله على امثال كثيرة فيه نبأ من قبلكم وخبر من قبلكم من الامم
السالفة والقرون الماضية ونبأ ما بعدكم مما يكون فيما لا يزال الى يوم القيامة
وحكم ما بينكم لكم وعليكم بالعدل مقتصد حكم لا يخلقه طول الرد من
اخلق رباعيا اي لا يبليه لترم تكرار تلاوته وترديدا ولا تنقضي عجائبه كما تقدم
هو الحق اي الثابت اللازم من حق الشيء اي ثبت ليس بالهزل اي بالعبث الحق
من قال به صدق لانه الحق لا ريب فيه تنزيل من حكيم حميد ومن حكم به عدل في
حكمه بها دة معلوم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون لجريه على موجب
احكام ما انزل الله ومن خاصم به من نازع في الدين او في احكام امتنا واراد ابطاله
فلج نعت للفاء واللام ومعجمة اي ظفر وفاز ونجح طلبه يقال فلج على خصمه اي غلبه

وعن معن بن يزيد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصمت اليه فافلجني
اي حكم لي واغلبني على خصمي ومن قسم به اقسط اي عدل في قسمه يقال اقسط فهو
مقسط اذا عدل وقسط فهو قاسط اذا جار فكان همزة اقسط للسلب كما في
شكى اليه فاشكاه اي ازال شكواه وفي الحديث ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام
يخفض القسط ويرفعه هو بالكسر الميزان من القسط بالفتح اي العدل يميل
لما يقدره وينزله اي انه تعالى يخفض ويرفع ميزان اعمال العباد المرتفعة اليه
وارزاقهم النازلة منه اليهم كما يرفع الوزان يده ويخفضها اذا وزن ويميل اراد
بالقسط قسم كل مخلوق اي نصيبه من الرزق وخفضه تقليله ورفعه
تكثيره هذا وقد اتى الحجاج بخارجية فقال لها ما تقولين فيّ فقالت انت
قاسط عادل فقال لحاضريه ما يقولون في كلامها قالوا ما نرى بها باسا فقال
انها تقول اني جائر كافر ثم تلت فاما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين
كفروا بربهم يعدلون ومن عمل به اجر من ربه اجرا عظيما ومن تمسك به هدي
الى صراط مستقيم اي طريق الاستقامة او دين الحق وهو ملة الاسلام فاستعير
فشبهه بالمنهج الواضح ثم استعار له اسمه استعارة تحقيقية ورشحها بالاستقامة
حتى كان المعنى المجازي من افراد المعنى الحقيقي تناسيا للتشبيه وقضاء
لحق البلاغة ومن طلب الهدى من غيره اضله الله لانه الهادي للتي هي اقوم ولذا
ما ورد من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ومن حكم بغيره قصمه الله اي قطعه
واصله الكسر بابانة وفي الحديث استغنوا عن الناس ولو عن قصمة السواك
هي بالكسر ما انكسر منه اذا استيك به وروي بالفاء واصله الكسر بدون
ابانة هو الذكر الحكيم اي ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها وسمي باسم
قائله اي الحكيم قائله فعيل بمعنى فاعل وهو الذي يحكم الاشياء ويتقنها او الحاكم
لكم وعليكم او المحكم الذي لا تعتريه خلل فعيل بمعنى مفعل اي احكم فهو محكم
والنور المبين اي الواضح البين يبصر به ذو العماية ويهتدي به ذو
الغواية والصراط المستقيم اي ذو الاستقامة على وجه ابين واوضح شبهه
بالصراط وهو لغة الجادة بجامع ان كلا منهما موصل فذاك الى المطلوب وهذا
الى الفوز بالسعادة معاشا ومعادا فاستعير له اسمه استعارة تحقيقية وقرنه
بالاستقامة ترشيحا وحبل الله المتين اي الشديد القوة في التمسك به شبهه
بالحبل بجامع ان التمسك والوثوق به سبب للنجاة كما ان المتدلي من مرتفع بحبل
يثق بسبب الامن من انقطاعه فاستعير له استعارة تحقيقية وقرنه
بالمتانة ترشيحا وصفا للنفس عن توهم التشبيه والشفاء النافع لاصلاح النفوس
من سوء الاعتقاد ومن كل داء عصمة لمن تمسك به اي حام له من كل ما يرديه ۝

في قسمه

ويؤمنه ونجاة لمن تبعه مؤمنا به ممتثلا مجتنبا لا يعوج فيقوم بتشديد الجيم اي
لا يميل عن الاستقامة الى اختلال لفظا وتنافر معنى ولا يخرج منه شيء عن الحكمة
والاصابة فيحتاج الى تقويم بشهادة انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولا يزيغ
فيستعتب اي لا يعدل عن منهج الحق فيعتب وجدا عليه وغضبا اذ المعاتبة في
مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد بعد
بيانه ونحوه اي نحو هذا الحديث عن ابن مسعود فيما رواه الحاكم وقال فيه اي ابن مسعود
لا يختلف اي ليس محلا للاختلاف بل هو كتاب احكمت اياته ونظمت نظما محكما
لا يعتريه اختلال لفظا ومعنى ولا يتشانا من الشن وهو الجلد اليابس البالي
اي لا تذهب طلاوته ولا يبلى رونقه وطراوته بكثرة ترداده وتكراره لتوشحه
ببدائع النظم وبراعة الحسن كما قيل يزيد وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا
لما اودعه من روائع الحسن وبدائع الجمال فيه نبا الاولين والاخرين على اتم وجه
واكمله وتقدم من بيانه ما اغنى عن اعادته هنا وفي الحديث من رواية ابن ابي
شيبة مرسلا بلفظ انزلت على محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم
ليفتح بها اعينا عميا وقلوبا غلفا واذانا صما ورواه ابن الضريس في فضائل
القران عن كعب قال في التوراة قال الله لمحمد اني منزل عليك توراة حديثة
اي جديدة الانزال تفتح بها اعينا عميا عن سنن الهدى ومنهاج الرشاد
واذانا صما عن استماع الحق واتباعه وقلوبا غلفا عطف على اعينا اي وتكشف
عنها غلافها وقد مر هنا مزيد بيان في حديث صفته في التوراة فيها ينابيع
العلم جمع ينبوع الماء كانها عيون كثيرة والعلم كالماء ينبع منها وفهم الحكمة اي
معرفة افضل الاشياء يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم
وربيع القلوب عطف على فهم العلم جعل ما فيها من الاحكام كالربيع لها لان
الانسان يرتاح قلبه في زمن الربيع ويميل اليه وعن كعب عليكم بالقران
اسم فعل بمعنى الزموا وخذ يقال عليك كذا وعليك به اي الزمه او خذه اي
الزموه تلاوة وتدبرا وعملا فانه فهم العقول اي مفهومها فعل بمعنى مفعول
كنسج بمعنى منسوج ونور الحكمة تلالا وضوحا وجلاء وبلوجا وصفا نزل
تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اليهود والنصارى اكثر الذي
هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير وعيسى
لنزوله تبيانا لكل شيء هذا بيان للناس وايضاح لسوء عاقبة المكذبين
وحث لهم على النظر في اليم مصيرهم والاعتبار بما يعاينون من هلاكهم وهدى
وموعظة اي هو مع كونه بيانا لهم هو زيادة تثبيت وتذكير للمتقين من
المؤمنين فجمع فيه اي في القران مع وجازة الفاظه البديعة وجوامع كلمه الفائقة

جمع جامعه لمحاسن المعاني واحاسن الحكم اضعاف ما في الكتب المنزلة على انبيائه
قبله التي الفاظها على الضعف منه اي من القران مرات لاشتمالها على
الاطناب والتطويل بتكرير كلمات فلا يرد انه ربما ضمير يعود على مذكور قبله
صريحا او مقدرا او من فعل ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك اي
جمعه بينهما انه يقتضي به انه احتج للاحكام بشرعيته وغيرها بنظم القران
الفائق البديع وحسن وصفه السوي الانيق واعجازه كل منطيق فصيح
من كل ما صنع فتصوم وشيح وبلاغته الرائعة للبادعة واثناء هذه البلاغة
اي في خلالها امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يميز بذلك معانيه
ويفهم مواضع الحجة والتكليف بالحكم من كلام واحد وسورة منفردة في
فيفهم من قوله مثلا فلا تقل لهما اف انه حجة لتحريم الايذاء فيف وانه مكلف
باجتنابه والكف عنه ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب الصلاة
والاضحية عليه صلى الله عليه وسلم وانه مكلف بهما ومنها ان جعله في حيز
المنظوم الذي لم يعهد مثل نظمه في كلام احد جعله قرانا يسمى فقرا
كابيات منظومة ولقرائنه تواصل كتواصل الابيات فكما ان القافية في اخر
البيت كذلك الفاصلة في الكلمة الاخيرة من الفقرة ولم يكن في حيز المنثور
لان المنظوم اسهل من النثر على النفوس واوعى للقلوب اي ادخل لها في وعائها
منه يقال اوعيته في الاناء اذا ادخلته فيه وفي حديث الاسراء ذكر ان في السماء
انبياء سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية اي ادخلته في وعاء قلبي واسمح
في بحا مهملة من الاسماح لغة في السماح اسهل عليها له قبولا وفي الحديث
يقول الله اسمحوا لعبدي كاسماحه الى عبادي وفيه اسمح يسمح لك اي سهل
يسهل عليك واحلى على الافهام لحسن وروده عليها وملائمته لها كالحلاوة
فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع فيسره تعالى اي تسهيله حفظه
لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه اي متعاطي حفظه قال تعالى ولقد يسرنا
القران للذكر اي سهلناه للادكار والاتعاظ بمواعظه الشافية وسائر
الامم لا يحفظ كتبها الواحد لمريد به واحدا معينا فلا ينافيه كلام السوق
في دخل السوق حيث لا عهد فيعامل هنا معاملة النكرة في حيز النفي فيعم
كل واحد منهم لا يحفظها فكيف بحفظها الجم من الجمة والجموم وهو الاجتماع
والكثرة اي الكثير من منهم على مرور السنين عليهم والقران ميسر على
الغلمان اي الاولاد الصغار في اقرب مدة لسهولته اما لتلاوة اكثر بحسب
جودة الذهن ومنها مشاكلة اي مشابهة بعض اجزائه بعضا في تناسب
الفاظه وتناصفها اختيارا واصطفاء واصابة وتجاوب نظمه الجاز

وتبكيتا وتناسب معانيه صحة واحكاما ومنفعة ونبا على الحق والصدق
وحسن ايتلاف انواعه في الاعجاز والبلاغة قصصا ومواعظ واخبارا
واحكاما وامرا ونهيا ووعدا ووعيدا والتيام اقسامه اي توافقها في حسن
النظم ورونق التركيب وسلاسة الترتيب وحسن التخلص اي الانتقال
من قصة الى قصة اخرى موذنة بخبر ترغيبا او ترهيبا ونحو ذلك والمراد به
التخلص اللغوي على اختلاف معانيه من امر ونهي ووعد ووعيد وغير
ذلك وانقسام السورة الواضح على امر ونهي وخبر واستخبار واثبات
نبوة نبي من الانبيا وتقرير وترغيب في خير وترهيب عن شر وهلم جرا الى
غير ذلك من فوايده كالمجاز وضرب امثال وتوبيخ وذكر امثال له دون
تخلل فصوله جمع فصل وهو الكلمة الاخيرة من قراينه وتسمى فاصلة كامر
والكلام الفصيح اي الجيد المعرب عما في الضمير اذا اعتراه اي غشيه والم
به مثل هذا الخلل الذي تخلل فصوله ضعف ونزل عن مرتبته في فن البلاغة
ولانت جزالته اي صارت شدته لينه وقل رونقه اي حسنه وبهجته
وصفاؤه من شوايب الاخلال وتقلقلت الفاظه اي اضطربت وخرجت عن
جزالتها فتامل ممعنا نظرك متدبرا ولص والقرآن ذي الذكر اي العظة
او الشرف او الشهرة وما جمع فيه من اخبار الكفار وشقاقهم بقوله
حكاية عنهم بل الذين كفروا في عزة اي استكبار عن الحق وشقاق لله
ولرسوله وتنديدهما موذن بشدتهما وتنفا قمعهما وتقريعهم اي
توبيخهم وتخويفهم باهلاك القرون قبلهم بقوله كم اهلكنا من قبلهم
من قرن وما ذكر من تكذيبهم لمحمد وما ذكر من تعجبهم مما اتى به بقوله وعجبوا
ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب والجزع من اجتماع
ملايهم على الكفر اذ قد روي ان عمر لما اسلم شق ذلك على قريش فقال
اشرافهم لابي طالب انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هولا السفهاء
فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال له هولا قومك يسالونك القصد فلا
تمل عليهم كل الميل فقال لهم ما تسالوني قالوا ارفضنا وارفض الهتنا وندعك والهك
فقال اترايتم ان اعطيتكم ما سالتم اتعطوني انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا اجعل
الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب وما ظهر من الحسد في كلامهم من قوله
تعالى حكاية عنهم اانزل عليه الذكر من بيننا فانه اشارة الى انكارهم
لاختصاصه بالوحي ونفاسته عليه وهو مثلهم شرفا ورياسة وتلويح بما
غلا في صدورهم من الحسد على ما اوتي من شرف النبوة وتعجيزهم بقوله

فليرتقوا في الاسباب وتوهينهم حقارتهم وخسوا بهم بقوله جند ما هنالك
مهزوم ووعيدهم بخزي الدنيا بهزيمتهم والاخرة بذوقهم العذاب
فيها وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب ووعيد هولا يعني قريشا وامثالهم بمثل
مصابهم اي مصاب من كذب من الامم بقوله وما ينظر هولا الا
صيحة واحدة ما لها من فواق وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم اي حمله على
الصبر على اذاهم بقوله اصبر على ما يقولون اي لا تبال به ولا تكترث وتسليته
بكل ما تقدم ذكره عن ان يهتم بشي من اذاهم او يبالي به معتمدا على الله مسلما
اليه ثم اخذ اي شرع بعد تصبيره وتسليته في ذكر داود صلى الله عليه
وسلم بقوله واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب اي رجاع كانه تعالى اراد
تقطيع معصية الله وتعظيمها في اعينهم بذكر قصة داود فانه مع
كرامته على ربه ومنته عليه بشرف النبوة والرسالة لما صدر
منه ما هو خلاف الاولى في حقه لعظم شانه ولزوم ذاته اسوة الملايكة
بتمثيل وتعريض ففطن لما قصد منه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
فما الظن بكم ايها الامة الفجرة وقصص الانبيا كسليمان وايوب وابرهيم
واسحق ويعقوب ولقد فتنا سليمان مثنيا عليهم اكرم الثنا ممتنا عليهم
باشرف الحبا كل هذا الذي ذكر مما اول ص في اواخر كلام واحسن نظام
ومنه اي من الحبا اعجاز القرآن او منه الجملة الكبيرة المعاني التي انطوت
عليها الكلمات القليلة اي شملها وعمها اذ هي قوالب لها وقد تزيد على القلة
والاكثر تزيينا للكلام وهذا كله اي ما ذكر وكثير مما ذكرناه ذكر في اعجاز
القرآن اي مع وجوه كثيرة ذكرها الايمة لم نذكرها في وجوه اعجازه
اذ اكثرها داخل في باب بلاغته ان نعدها فنا مفردا من بلاغته في اعجازه
الا في باب تفصيل فنون بلاغته وكذلك اي مثل ما هو داخل في بابه كثير مما قد
بينا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه لعدم دلالته عليه
وحقيقة الاعجاز انما هي في الوجوه الاربعة التي ذكرنا في فصولها فليعتمد
عليها وما بعدها مما ذكرنا فانما هو من خواص القرآن وعجائبه التي لا
تنقضي كما مر في فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس مما من اياته ومعجزاته
البينة ولم ينشق القمر لاحد من الانبيا وقد وقفت له الشمس مرتين
وليوشع فتى موسى مرة واحدة قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر روي ان الكفرة سالوه اية فانشق وشهد رؤيته حذيفة وقد انشق
ويقولوا سحر مستمر اي دايم لترادف المعجزات وتتابع الايات او قوي محكم

واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب

وان يروا اية يعرضوا عن الايمان عنادا واستكبارا

من قولهم استمر مريره اي استحكم عزمه او مستبشع لا يساغ لمرارته كما لا يساغ
المر من استمر اذا اشتدت مرارته او مارّ ذاهب لا يبقى اخبر الله تعالى بوقوعه
بلفظ الماضي واعراض الكفار عن ايمانه صلى الله عليه وسلم واجمع المفسرون
واهل السنة على وقوعه ايذانا بانه وقع اذ زعم انه سينشق يوم القيامة ن
وعبر بالماضي لتحقق وقوعه وقد اورد هنا حديث الصحيحين الشيخين بسنده الى
البخاري والى ابن مسعود وشاهدا بوقوعه قال اي ابن مسعود انشق القمر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل اي جبل ابي قبيس وفرقة دونه
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن راه منشقا اشهدوا وفي رواية مجاهد
في الصحيحين عن ابن مسعود زيادة ونحن معه وفي بعض طرق الاعمش زيادة
بمنى وفي مسند احمد انه رواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال اي ابن مسعود
حتى رايت الجبل بين فرجتي القمر وفي الدلائل للبيهقي انه رواه عنه اي عن ابن مسعود
مسروق وانه اي انشقاقه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي
كبشة نسبة الى ابي كبشة جد امه من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان
وعبد الشعرى تسميه له به بجامع مخالفتها لهم وقيل هو رجل تأله قديما
وفارق دين الجاهلية وقيل كان ابوه من الرضاعة يكنى باسم نبيذ كبشة وعن
ابن حبيب انه ذكر جماعة من جهة ابويه كل يكنى به فقال رجل منهم اي من
كفار قريش ان محمدا ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض
كلها فسلوا من ياتيكم من بلد اخر من البلاد هل راوا هذا فسالوا فاخبروهم
انهم راوا مثل ذلك اي مثل ما راوه في تلك الليلة منشقا فرقتين وقال ابو جهل
هذا سحر يفرق به بين المرء وزوجه فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا
ذلك ام لا اسناد ما اي ذلك سابق شعوبه مع علمه بصره فسبحان الهادي فاخبر
اهل الافاق بعد ان سئلوا عن ذلك انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا
سحر مستمر لما راوا من ترادف الايات وتتابع المعجزات ورواه ايضا عن ابن
مسعود علقمة بن وقاص الليثي فهؤلاء الاربعة يعني مجاهدا والاسود ومسروقا
وعلقمة رووه كلهم عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود
وضع الظاهر موضع الضمير حذرا من توهم عوده الى الغير منهم اي ممن رواه
انس وابن عباس فيما رواه الشيخان وابن عمر عند مسلم والترمذي وحذيفة
عند ابن جرير وابن ابي حاتم وابي نعيم في الدلائل وعلي لا ادري من خرجه عنه
وجبير بن مطعم عند احمد والبيهقي هذا ولكن طرق هذه الاحاديث المروية
عمن ذكر وعمن رواها عنهم صحيحة والاية اي اقتربت الساعة وانشق القمر مصرحة
بانه قد انشق ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه انما ينشق يوم القيامة

والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه ووافى ذلك الى دكن راه انه لو كان هذا
اي انشقاقه قد وقع لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم
ورد هذا القول المصنف اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه
تلك الليلة فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف نظرهم ورصدهم على
معرفتهم انه سينشق في ليلة فيرصدوه وقال المصنف ولو نقل الينا
عمن لا يجوز تمالؤهم اي توافقهم متعاضدين على الكذب لما كانت
علينا به اي بما لو نقل الينا من انهم رصدوه فلم يروه حجة اذ ليس القمر
في حد واحد لجميع اهل الارض لاختلاف مطالعه فقد يطلع على قوم
قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون بمرأى من قوم بضد ما اي ضد مرأى
هو من قوم مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال
ولهذا اي ولكونه ليس في حد واحد باختلاف مطالعه نجد الكسوفات في
بعض البلاد كما قيل وجد في بلاد الهند بناء قديم مكتوب عليه بني ليلة
انشق القمر دون بعض ونجدها في بعضها اي البلاد جزئية وفي بعضها كلية
وفي بعضها لا يعرفها اي الكسوفات الا المدعون لعلمها انها تختلف
باختلاف مطالع البلاد ذلك تقدير العزيز العليم اي الغالب بقدرته
كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم وايضا القمر كانت ليلا وعادة من
الناس بالليل الهدو والسكون عن الحركة والمشي والتردد في الطرق
واصل الهدو الهدء ابدلت همزته واوا تخفيفا ثم ادغمت مع الواو
المزيدة التي قبلها وفي شعر سواد بن قارب • اتاني رئيي بعد هدء ورقدة •
واغلاق الابواب اي غلقها وقطع التصرف في امورهم ولا يكاد يعرف من امور
السماء شيئا خصوصا في فصل الشتاء الا من رصد ذلك واهتبل اي اعتنى
من الهبالة وهي الغنيمة والاصل فيه ان يستعمل بمعنى تكل كما قال لعنتر
للوداعي لما فصل سهمان الخيل على المقاريف فاعجبه هبلتك الوداعي امه لقد
اذكرت به يقال هبلته امه ثكلته هبلا بالتحريك اي ثكلته يعني ما اعلمه وما
اصوب رايه ثم استعير لمثل المدح والاعجاب كما في قوله صلى الله عليه وسلم
لابي بصير ويل امه مسعر حرب تعجبا من شجاعته وجراءته واقدامه ولذلك
اي ولكونه اية كانت ليلا ما يكون الكسوف القمري لا الشمسي فانه يكون
نهارا كثيرا حال من اسم كان في البلاد خبرها واكثرهم لا يعلم به حال افادت
نفي وقوعه فيها حال كثرته اي لا يقع فيها كثيرا مع عدم علم اكثرهم به حتى يخبر بوقوعه
وكثيرا ما اي احيانا كثيرة يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم
طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل ولا علم لاحد غيرهم بها وخرج الطحاوي
وب

في مشكل الحديث وكذا الطبراني باسانيد بعضها رجاله ثقات عن اسما بنت
عميس من طرق بعضها انه صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه مرة وهو بالصهبا
وراسه في حجر علي فلم يصل اي علي رضي الله عنه العصر حتى غربت الشمس
فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم اصليت قال لا فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسما فرايتها
غربت ثم رايتها طلعت اي راجعة على ادراجها من مغربها بشهادة قوله فاردد عليه
الشمس بعد ما غربت وذلك بالصهبا في خيبر قال اي الطحاوي وهذان
الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات جعله حديثين لروايته له من طريقين وقال ابن الجوزي
انه موضوع بلا شك ففي طريقه الاولى احمد بن داود قال الدارقطني كذاب متروك
وقال ابن حبان يضع الحديث وفيها ايضا عمار بن مطر قال العقيلي كان يحدث عن
الثقات بالمناكير وقال ابن عدي متروك وفي الثانية فضيل بن مرزوق ضعفه يحيى
بن معين وقال ابن حبان يروي الموضوعات ويخطي عن الثقات ورواه ابن شاهين
وقال هذا حديث باطل اما عبد الرحمن بن شريك عن ابيه فوهاه ابو حاتم قال ابن
الجوزي انا لا اتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا يسب الصحابة هذا ولو قيل
بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلي وقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب وروى
يونس بضم النون وكسرها بن بكير عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجع راى في طريقه عيرا لقريش جاءت من الشام واخبر قومه بالعير
والعلامة التي في العير هي قوله فيها ابل وعلامتها ان يقدمها جمل اورق قالوا
جوابا لما متى يجيء قال يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون اجاءت
القافلة ام لا وقد ولى النهار جملة حالية اي اشرفت حال توليه ولم يجيء فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس
فجاءت يقدمها جمل اورق وروي انها ردت له في يوم من ايام الخندق وفي سيرة
مغلطاي ان الخطيب ذكر انها حبست لداود صلى الله عليه وسلم وضعفت
رواته وفي تفسير ض من البغوي انها حبست لسليمان واول من ردت له
يوشع بن نون واشار اليه ابو تمام فقال مليحا بقوله

لحقنا باخراهم وقد حوم الهوى ... قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع
فردت علينا الشمس والليل راغم ... بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
نضا ضوؤها صبغ الدجنة وانطوى ... لبهجتها ثوب السما المجزع
فوالله ما ادري احلام نايم ... المت بنا ام كان في الركب يوشع

فصل في نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثيره ببركته
ووقع ذلك في مواطن كثيرة وهو اعظم من نبع الماء من الحجر لانه من

عادته قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار واما من لحم ودم فلم يعهد
لغيره صلى الله عليه وسلم وقد روي هنا حديث انس شاهد له بسنده
الى الامام مالك اليه ورواه الشيخان عنه ايضا قال اي انس رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر اي قرب وقتها اودخل ذلك الحين لوقت
فالتمس الناس الوضو بفتح الواو اي الما فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم بوضوء في انا فوضع يده فيه وامر الناس ان يتوضوا منه قال اي انس فرايت
الما ينبع مثلث البا من بين اصابعه فتوضا الناس من عند اخرهم اي جميعهم
ورواه ايضا عن انس قتاده كما في صحيح مسلم وقال اي انس باناء فيه ماء يغمر
اصابعه اي يغطيها ويسترها او لا يكاد يغمرها قال اي قتادة لانس كم كنتم
قال زهاء بضم الزاي والمد من زهوت بالقوم اذا حزرتهم اي قدر ثلاث
مائة وفي الحديث من اتخذ الخيل زهاء ونواء على اهل الاسلام فهي عليه وزر الزهاء الكبر
والفخر يقال زهي الرجل كالمبني للمفعول كعني بالامر ونتجت الناقة فهو مزهو
وفي رواية عنه اي عن انس وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن مسعود ثابت
اما هنا مناب اسم هو مبتدا وفعل هو شرط وتضمنت معناهما
فلتضمنها معنى الشرط وقع في جوابها الفاء الواقعة في جواب الشرط
غالبا ولتضمنها معنى الابتدا وقع بعدها الاسم اللازم للمبتدا في الصحيح
للبخاري وغيره من رواية علقمة عنه اي عن عبد الله بن مسعود بينما نحن
بين للتوسط زيدت عليها ما عوضا عن المضاف اليه اي وقت او
احيان جالسون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال
اطلبوا من معه فضل ما فاتي بالبنا للمفعول فصبه في اناء ثم وضع كفه
فيه فجعل الما ينبع اسند اليه الجعل والنبع مجازا عقليا تنزيلا له منزلة
فاعل مختار ذي اختيار في منه الفعل اختيارا اي قصد وشرع يخرج من بين
اصابعه كما ينبع من الارض وفي الصحيح للبخاري وغيره عن سالم بن ابي
الجعد عن جابر عطش الناس يوم الحديبية الافصح فيها التخفيف وهي
بين مكة والطايف ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
اي انا من جلد نحو الابريق فتوضا منها واقبل الناس نحوه صلى الله عليه وسلم
وقالوا الواو للحال اي قايلين ليس عندنا ما الا ما في ركوتك فوضع
يده في الركوة فجعل الما يفور اي يرتفع متدفقا من بين اصابعه كامثال
العيون بين كل اصبعين كالعين تفور وفيه اي في حديث سالم فقلت
يعني لجابر كم كنتم قال لو كنا ماية الف لكفانا كنا خمس عشرة ماية الف
وخمسماية وقيل وثمانين وقيل واربعين وقيل وخمسة وعشرين وقيل

الماء وسمايه وروى مثله اي مثل حديث سالم كما في مسند الدارمي عن النبي
عن جابر وفيه انه كان بالجدبيه وفي روايه الوليد بن عباده بن الصامت
عنه اي عن جابر في حديث مسلم الطويل في غزوة بواط بضم الباء وخفيف
الواو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر نادي الوضوء اي ناد الناس
له او به وذكر الحديث بطوله وانه لم يجدوا الا قطرة في عزلاء شجب بفتح
العين المهمله وسكون الزاي فم المزاده الاسفل وجمعها عزالي فتحا وكسرا
والشجب بمعجمة مفتوحه فجيم ساكنه فبا موحده ما يبس من الاسقية وبلي وصار
شنا يقال سقا شاجب اي يابس من الشجب محركا وهو الهلاك وجمعه شجب
واشجاب فاتي به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه اي كبسه بيده وتكلم بشي
لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب بفتح الجيم وهي اكبر قصاع الاطعمة
وعدي ناد بالبا مضمنا له معنى ايت ويجوز ان تكون مزيده فاتيت بها
فوضعها بين يديه وذكر اي جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده
في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
بسم الله قال اي جابر ورايت الما يفور اي يظهر ويتدفق مرتفعا من بين اصابعه
ثم فارت الجفنة واستدارت اي ادفع ماوها ودار وروايه مسلم
ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلات وامر الناس اي النبي صلى الله عليه وسلم
بالاستقا فاستقوا حتى رووا نفسا وركابا فقلت هل بقي احد له
حاجه يجوز ان تكون هل نا فيه اي ما بقي من محتاج الى الما بعد هذا حديث وهل
ترك لنا عقيل من دار اي ما ترك واته فهل ترى لهم من باقيه اي ما ترى وقول
جابر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملا ويجوز
ان تكون استفهاما مبه ودفع يده بعد جوابهم ما بقي لاحد حاجه وعن الشعبي
اتي في بعض اسفاره باداوه بالكسر انا صغير من جلد يشرب منه
الما جمعه ركا كانت معه ووضع اصبعه مثلث الهمزه والبا وعاشرها
اصبوع وسطها بالفتح لما هو متصل الاجزا غير مفترقها كالدار والراس
وبالسكون فيما هو مفترقها كالناس والدواب وقيل كلما صلح فيه بين فبالسكون
والا فبالفتح الا المركز الدائر وما كان داخل محيطها فبالسكون وقيل
كل منهما يقع موقع الاخر وفي الحديث خير الامور اوساطها لان كل
خصلة محموده لها طرفا افراط وتفريط كالسخا فانه وسط بين البخل
والتبذير والشجاعة بين الجبن والتهور والانسان مامور بتجنب كل مذموم
وبالتعري منه والبعد عنه فكلما ازداد عنه بعدا ازداد عنه تعريا وابعد
الجهات والمقادير والمعاني عن كل طرفين هو الوسط وهي في غاية البعد

فاذا كان في الوسط فقد بعد عن الاطراف المذمومة بقدر الامكان وغمسها
في الما فجعل الناس يجيئون ويتوضون ويقومون ومثل هذا في هذه المواطن
الحفله اي الكثيرة الناس والجموع الكثيره لا يتطرق اي لا يتوصل
التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شي الى تكذيبه اي تكذيب من
اخبر به لو كان كاذبا لما جبلت عليه الانفس من ذلك اي الاسراع الى
التكذيب ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهولا المذكورون من الصحابة
وغيرهم قد رووا هذا اي نبع الما من بين اصابعه فاشاعوه ونسبوا حضور
الجما الغفير اي الكثير من الصحابة له ولم ينكر احد من الناس عليهم او على الصحابة
ما حدثوا به عنهم انهم شاهدوه فصار لعدم انكارهم كلهم كمصدق جميعهم
لهم اي تصديق جميع من رواه عن الصحابة للصحابة فصل ومما يشبه هذا
اي نبع الما من بين اصابعه من معجزاته بيانا لما اوحالا من اسم الاشاره تفجر
الما ببركته وانبعاثه اي جريانه وثورانه جاريا كثيرا بمسه اياه بيده ودعوته
مما رواه مالك متعلق بتفجر الما وانبعاثه وما بينهما اعتراض افاد مدحه
صلى الله عليه وسلم لبعض جميل صفاته في الموطا ومسلم في صحيحه عن معاذ
بن جبل في غزوة تبوك انهم وردوا العين وهي تبض اي تقطر وتسيل
بشي من ما مثل الشراك شبهه لقلته جدا باحد سيور النعل التي تكون
على وجهه ولم يرد به التحديد فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع في شي
من الاواني ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها اي في العين فجرت بما كثير فاستقى الناس قال اي معاذ بن
جبل في حديث ابن اسحق الذي رواه عنه فانخرق اي انفجر وجرى من الما ماله
حس اي حركة وصوت شديد كحس الصواعق جمع صاعقه وهي صوت شديد
ومما كان معه نار لطيفه حديده لا تمر بشي الا اتت عليه لكنها مع حدتها
سريعة الخمود ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يوشك اي يسرع ويدنو
او يقرب والوشك السريع القريب يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى
ما هنا قد ملي جنانا جمع جنة وهي البستان الكثير الاشجار من الاجتنان
وهو الستر ولتكاثف اشجارها وتظليلها بالتفاف اغصانها سميت جنه
وهي مره من مصدر جنه جنا اذا ستره فكانها سترة واحده لشدة التفافها
واظلالها وفي حديث البرا الذي رواه البخاري وحديث سلمة بن الاكوع اسم
تفضيل من الكوع محركا وهو ان يكون تعوج اليد من قبل الكوع وهو راس
الذراع مما يلي الابهام والكرسوع راسه مما يلي الخنصر يقال كوعت يده وكوعت
وكوعا اي صير اكوع وحديثه اي حديث سلمة الذي رواه مسلم اتم من حديث البرا

ويدنو ام

في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها
اي اخرجنا ماءها كله بطينه فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على جباها بالفتح والقصر ما حول البير وبالكسر ما جمع فيها من الماء قال البراء واتي
صلى الله عليه وسلم بدلو فيه ماء منها فبصق ودعا وقال سلمة بن الاكوع فاما دعا
واما بصق على الشك فجاشت اي فارت وارتفعت ماء فارووا انفسهم وركابهم
وفي غير هذه الروايتين اي رواية البراء ورواية سلمة هذه القصة اي قصة الحديبية
من طريق ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري في الحديبية فاخرج سهما من كنانته
التي فيها سهامه لانها تكنها اي تسترها فوضعه في قعر قليب اي بير لم تطو وتذكر
وتونث ليس فيه ماء فروي الناس ورويت ركابهم حتى ضربوا بعطن بفتح
المهملتين مبرك الابل حول الماء اي رويت حتى بركت به يقال عطنت الابل فهي
عاطنة وعواطن اذا سقيت وبركت تعطنها عند الحياض لتعاد للشرب
واعطنتها اذا فعلت بها ذلك وفي حديث الرويا فاخذها ابن الخطاب فلم ار
عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن مثل لاتساع الناس في
زمنه وما فتح عليهم من الامصار وفي حديث البيهقي عن ابي قتادة ان الناس
شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا
بالميضاه بكسر الميم والقصر وقد تمد وزنها مفعلة ومفعاله وميمها
زايدة اي مطهرة كبيرة يتوضا منها اي طلبها فجعلها في ضبنه اي حضنه بين
كشحه وابطه اي واضبنه اذا حملته فيه ثم التقم فمها اي ادخله في فيه
تشبيها له باللقمة فالله اعلم والى العلم اهله نفث حذفت همزته تخفيفا
وهو شبيه بالنفخ واقل من التفل اذ لا تفل الا ومعه شي من الريق اي انفث
فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها
مني على معنى ان الميضاه خيلت له ان الماء الذي بقي فيها بعد شربهم وملء اوانيهم
كالذي كان فيها حين اخذها منه وكانوا اثنين وسبعين رجلا وذكر محمد بن جرير
الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه
وسلم خرج مددا لاهل مؤته بالهمز وعدمه قرية بين تبوك وحوران من الشام
عندما بلغه قتل الامراء مولاه زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة
الانصاري لتسهال ده حديث فاخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها ابن رواحة
فاصيب ثم اخذها خالد بن الوليد من غير امره ففتح الله عليه وذكر محمد بن جرير
الطبري حديثا طويلا فيه معجزات باهرة وايات حكايات للنبي صلى الله عليه
وسلم تحقيقا لفضله وتعظيما لقدره وفيه اعلامهم اي اعلامه اصحابه انهم يفقدون
الماء في غد فهو من اعلام النبوة وايها ... هو مصدق بان دا العلم الذي لا يخفى اذ هو

انجم من النصح وانوه لصاحبه وسيل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم
قال لو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال لو شئت ذكرت نفسي لم يكن بنجيبا
لامره وذكر حديث الميضاة مدا وقصرا قال اي ابو قتادة والقوم زهاء اي قدر
ثلاث مائة من زهوت القوم اذا حزرتهم وفي كتاب مسلم انه اي النبي صلى الله
عليه وسلم قال لابي قتادة احفظ على ميضاتك فانه سيكون لها نبا اي خبر
عظيم بتشديده تنكيره والضمير للشان بتفسير ليكون اذ هو عبارة عنه وان
لتقويته وتوكيده ومن ذلك اي مما يشهد بتفجر الماء من بين اصابعه حديث الصحيح
عن عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش في
بعض اسفاره فوجه رجلين هما عمران بن حصين وعلي بن ابي طالب كما صرح
بهما في هذا الحديث في غير هذا الكتاب من اصحابه واعلمهما انهما يجدان
امراة بمكان كذا معها بعير يطلق على الذكر والانثى وجمعه ابعرة وبعران
عليه مزادتان تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالراوية
والقربة والسطيحة وجمعها مزاود وميمها زايدة فوجداها واتيا بها النبي
صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها اي من مائهما وقال فيه ما شاء
الله ان يقول من ثنا ودعا وتبريك ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت
عزاليهما تثنية عزلا وهو فمها الاسفل ثم امر الناس فملوا اسقيتهم جمع
سقا وهو اناء من جلد للماء حتى لم يدعوا شيا من الاناء الا ملوه قال
عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر ان تزود لها من زاد ثم جمع
لها من الازواد حتى ملوا ثوبها وحمل لها على بعيرها وقال لها صلى الله عليه وسلم
اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيا ولكن الله سقانا ببركته صلى الله عليه
وسلم وقال سلمة بن الاكوع قال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل من وضوء بفتح
الواو اسم للماء اي معكم او عندكم او انتم ما فجاء رجل باداوة اي اناء صغير
من جلد فيها نطفة اي شي يسير من الماء وقد تقال للكثير بتشديدها حديث
لا يزال الاسلام يزيد واهله وينقص الشرك واهله حتى يسير الراكب بين
النطفتين اي بحري المشرق والمغرب او الفرات وبحر جدة وتمة الحديث
لا يخشى جورا اي لا يخاف في طريقه احدا يجور عليه ويظلمه ورواية الازهري
لا يخشى الا جورا اي لا يخاف في طريقه غير الضلال والحيد عنها فافرغها في قدح
فتوضانا كلنا ندغفقه دغفقة بمعجمة فقافين اي ندفقه ونصبه
صبا كثيرا واسعا وفلان في عيش دغفق اي واسع اربع عشرة مائة وفي
حديث عمر الذي رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي والبزار في جيش العسرة
هي غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وذكر ما اصابهم من العطش حتى ان الرجل

بيخر بعير فيعصر فرثه اي ما في كرشه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي صلى الله عليه
وسلم في الدعا والتضرع الى ربه ليغيثهم بما يذهب ظماهم وينعش قلوبهم
فرفع يديه وطفق يهتف بربه اي يدعوه ويناشده فلم يرجعهما نفتح بابه مضارع
رجع متعد باي لا الله تعالى فان رجعك الله وفي حديث بلال فانه يوذن
بليل ليرجع قايمكم ويوقظ نايمكم حتى قالت السما اي امطرت شبه ما هنا
النازل منها بقول متكلم ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة في المصدر
اصلية ثم سرت منه الى الفعل تبعا او شبهها على طريقة الاستعارة المكنية
بمتكلم بجامع الخروج ثم اثبت لها القول تخييلا فانسكبت بمطر غزير وجود كثير
فملاوا ما معهم من انية ولم تجاوز اي لم يتجاوز المطر العسكر فكانت كالظلة له
عليهم وعن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي ان ابا طالب
قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وعن ابن سعد
انا اسحق بن يوسف الازرق حدثنا عبد الله بن عون عن عمرو وهو ابن دينار
ان ابا طالب قال كنت بذي المجاز ومعي ابن اخي يعني النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت له عطشت وليس عندي ما فنزل وضرب بقدمه الارض فخرج
الما فقال اشرب الظاهر ان هذا كان قبل البعثة وذو المجاز سوق من
اسواق الجاهلية كان عند عرفة فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم
تكثير الطعام ببركته ودعايه العامين نفعا وقد اسند هنا اشياء لذلك
حديث مسلم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه اي يطلب منه
طعاما لاهله فاطعمه شطرا اي نصف وسق شعير هو بفتح الواو ستون صاعا
ثلاث مائة وعشرون رطلا حجازية واربعماية وثمانون رطلا عراقية
على الخلاف في قدر كل من الصاع والمد فشطره حينئذ ثلاثون صاعا
وعلى الاول وزنا مائة وستون رطلا وعلى الثاني مايتان واربعون رطلا
فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله ففني ولم يبق منه شي فكانت البركة
في تركه بلا كيل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه كاله فقال لو لم تكله لاكلتم
منه ولقام بكم اي مدة حياتكم ومن ذلك اي من تكثير بركته ودعايه حديث
الشيخين عن انس في قصة ابي طلحة واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او
سبعين رجلا وفي رواية مسلم الجزم بثمانين من اقراص من شعير اتى بها
انس تحت ابطه حال من انس اي متابطا اياها فامره ففتت اي امر بفتها
وقال فيها ما شا الله ان يقول من ثنا ودعا وامر بمجي عشرة عشرة ومن ذلك
حديث البخاري عن جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق اي زمن
حفره الف رجل من صاع شعير وعناق هي الانثى من اولاد المعز ما لم تتم لها

سنة قال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى شبعوا غاية للاكل حتى تركوه غاية للشبع وانحرفوا
اي مالوا الى حرف اي جانب وطرف وان برمتنا انا من حجر او مدر يطبخ فيه الطعام
لتغط اي تغلي من حرارة النار تحتها بسمع غطيطها اي صوت غليانها كما هي يوم فرغنا
كانها لم يوخذ منها شي وان عجيننا ليخبز كما هو كل ذلك بعد ان شبعوا وتركوه
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك اي دعا
فيهما بالبركة ومن ذلك حديث الطبراني والبيهقي عن ابي ايوب انه صنع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء اي قدر ما يكفيهما فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار خصهم بالدعوة
تالفا لهم كي يسلموا اذ كان ذلك اول الهجرة فتح قصده وسماهم انصارا لعلمه
بانهم يسلمون وينصرونه او تفاولا وربما لوحظ هو قصده فدعاهم فاكلوا حتى تركوه
اي الاكل والطعام ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك اي فاكلوا حتى تركوه
ثم قال ادع سبعين فدعاهم فاكلوا حتى تركوه فما خرج منهم احد حتى اسلم
وبايع على الجهاد ونصرته صلى الله عليه وسلم قال ابو ايوب فاكل من طعامي
مائة وثمانون رجلا المذكور منهم هنا مائة وستون حصهم النبي وابو بكر
وحديث الترمذي والبيهقي وصححاه والنسائي عن سمرة بن جندب اتى النبي صلى
الله عليه وسلم بقصعة بفتح القاف ولا تكسر فيها لحم فتعاقبوها اي تناوبها
اصحابه جماعة فجماعة من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد اخرون ومن
ذلك حديث الشيخين عن عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاثين ومائة وذكر انه عجن صاعا من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها
اي كبدها وقيل حشوها كله قال اي عبد الرحمن بن ابي بكر وايم الله من الفاظ القسم
لغير الله وعهد الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له حزة اي قطع له قطعة
من سواد بطنها ثم جعل صلى الله عليه وسلم منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل
في القصعتين فحملته على البعير يقع على الذكر والانثى وجمعه ابعرة وبعران
وفي حديث جابر استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير خمسا
وعشرين مرة هي الليلة التي اشترى صلى الله عليه وسلم منه فيها جمله قافلين من
تبوك ومن ذلك حديث ابن سعد والبيهقي عن عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري
عن ابيه ابي عمرة وفي صحيح البخاري مثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وحديث ابي يعلى
بسند جيد عن عمر بن الخطاب فذكروا مخمصة اي مجاعة اصابتنا ونحن مع النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد اي طلبها ليبرك فيها
فيكثر فجا الرجل بالحثية من الطعام اي باليسير منه تقريبا لحثوا حثوا وحثيا
حثيا وفوق ذلك واعلاهم الذي ياتي بالصاع من التمر فجعله اي ما جمع من الازواد

عجيننا

على قطع بكسر النون وفتح الطاء قال سلمة فحزرته كربضة العنز بفتح الرا وكسرها
اي جثتها اذا بركت ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم الناس باوعيتهم فما بقي في
الجيش وعاء الا ملؤه وبقي منه بقية خير كثير وروى ابن ابي شيبة والطبراني
في الاوسط بسند جيد عن ابي هريرة امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعوا
له اهل الصفة من فقراء المهاجرين وغيرهم فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين ايدينا صحفة اي اناء كالقصعة المبسوطة وفي الحديث لا تسال المراة
طلاق اختها لتستفرغ صحفتها مثل يراد به الاستيثار عليها بحظها فتكون
كمن استفرغ صحفة غيره وقلب ما فيها في انا نفسه فاكلنا ما شينا وهي مثلها
حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع اي اصابع الاكلة وروى احمد والبيهقي
بسند جيد عن علي بن ابي طالب جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني
عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم هو في الاصل مصدر قام وصف به ثم
غلب على الرجال دون النسا ومن ثم قرن بهن صلى الله عليه وسلم بقوله
ان نابكم شي في صلاتي فليسبح القوم ولتصفق النسا وسموا به
لانهم قوامون عليهن بامور ليس لهن ان يقمن بها يأكلون الجذعة هي من البقر
والغنم ما دخل السنة الثالثة وقيل من البقر ما دخل في الثالثة ومن الضان
ما تم له سنة وفي حديث الاضحية ضحينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجذع من الضان والثني من المعز ويشربون الفرق بفتح الراء وسكونها
مكيال يسع ستة عشر رطلا اي عشر مدا لانه اصح بكيل الحجاز فصنع
لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو كان لم يؤكل منه شي ثم
دعا بغمر اي قدح كبير من خشب فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب
منه شي وروى الشيخان واللفظ لمسلم قال انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما ابتنى بزينب بنت جحش اي تزوج بها امرني ان ادعو له قوما سماهم
وقال لي ادع كل من لقيت تعميم بعد تخصيص اهتماما بشانهم لمزيد فيهم
حتى امتلا البيت والحجرة موضع منفرد فقدم لهم تورا بمثناه فوقية
انا من صفر او حجارة كالاجانة فيه قدر مد من تمر جعل حيسا بضم المهملة
سمن واقط اليه وربما جعل عوضا عن الاقط دقيق فوضعه اي النبي صلى
الله عليه وسلم قدامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم اي شرعوا
يتغدون ويخرجون وبقي التور بما فيه نحوا تمييز لنسبة بقي او حال من
التور مما كان وكانوا احدا وسبعين او اثنين وسبعين رجلا وفي رواية
في هذه القصة ان قصة وليمة زينب او مثلها وكانوا زهاء اي قدر
ثلاث مائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي بعد ان شبعوا ولم يبق لهم رغبة

فيه ارفع التور فرفعته فما ادري حين وضعت كانت اكثر انث باعتبار كونه
آنية اي احين والالف حذفت همزته تخفيفا ام حين رفعت وفي حديث
جعفر هو الصادق بن محمد هو الباقر عن ابيه ابي جعفر محمد عن علي هو ابن
ابي طالب جد والد محمد اعني زين العابدين علي بن الحسين بن علي كذا
رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا ووالده لم يدركا عليا ان فاطمة طبخت قدرا
لغدائها بمعجمة فمهملة ما يؤكل اول النهار من الطعام ووجهت عليا الى النبي صلى
الله عليه وسلم ليتغدى معها فامرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة
وكن تسعا عائشة وحفصة وام حبيبة وام سلمة وسودة وميمونة وزينب
وكلهن قرشيات وصفية قرظية وجويرية مصطلقية ثم له ولعلي ثم لها
ثم رفعت القدر وانها لتفيض من فاض الانا اذا امتلا وسال من جوانبه
اي كثر ما فيها ببركته صلى الله عليه وسلم فتملات حتى فاضت فسال
من نواحيها ومنه قوله لطلحة بن عبيد الله وقد قسم في يومه اربعمائة الف
انت الفياض سماه به لسعة عطائه اذ كان جوادا قالت اي فاطمة واكلنا
منها ما شاء الله وامر اي النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ان يزود
اربعمائة راكب من احمس بفتح الهمزة وسكون المهملة قبيلة معروفة فقال
اي عمر ما هي الا اصوع بضم الواو جمع صاع قال اذهب فذهب فزودهم
منه وكان قدر الفصيل الرابض وبقي بحاله كان لم يؤخذ منه شي قوله من
رواية دكين الاحمسي رواها ابو داود في الادب لانه قال عن دكين بن سعيد
المزني قال اتينا النبي صلى الله عليه وسلم فسالناه الطعام فقال يا عمر اذهب
فاعطهم فارتقى بنا الى علية فاخذ المفتاح من حجرته ففتح ومن رواية جرير لذلك
ولا ادري من خرجها ومثله من رواية النعمان بن مقرن رواها احمد والبيهقي
بسند صحيح الخبر منصوب بنحو اعني بعينه الا انه اي النعمان بن مقرن قال اربعمائة
راكب من مزينة كما مر عن ابي داود ومن ذلك اي من تكثيره ببركته ودعائه حديث
البخاري الذي رواه عن جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرمائه اصل
ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره كفاف دينهم اي لم يكن يفي به ومنه قوله
الحسن ابدا بمن تعول ولا تلام على كفاف اي اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على
عدم اعطائه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها اي بقطعها
وجعلها بيادر في اصولها جمع بيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام
ليخلص من تبنه ولعله اراد جعلها كومات تحتها فمشى صلى الله عليه وسلم ودعا
فاوفى منه غرماءه وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما
اعطاهم قال اي جابر وكان الغرما يهود خبر كان عنه علم طايفة من اليهود

من بني المصطلق

فعجبوا من ذلك اي عظم موقعه عندهم مع خفا سبب تعجبهم اذ هو شان البحث
وسبب تعجبهم هو و فادته بهم الكثير منه مع قلته وفضل ما ذكر بدعائه وبركته
صلى الله عليه وسلم هذا وما ذكر سابقا ولاحقا من اعلا المعجزات واعظمها
وروي البيهقي قال ابو هريرة اصاب الناس مخمصة اي مجاعة فقال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل من شيء اي هل عندك شيء ومن زائده قلت نعم شيء
من التمر في المزود هو وعا من جلد يجعل فيه الزاد قال فاتني به فاتيته به فادخل
يده فاخرج قبضة بالفتح المرة بمعنى المقبوضة كالغرفة بمعنى المغروفة من
القبض وهو الاخذ بجميع الكف وبالضم اسم للمقبوض فبسطها ودعا بالبركة
ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع عشرة فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة
كذلك دعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا ثم
قال خذ ما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحياة الاشياخ بعده ابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني
فذهب اي استلب من النهب وهو السلب بالغارة وفي الحديث ولا ينتهب
نهبة ذات شرف يرفع الناس اليها ابصارهم وهو مومن اي لا يختلس شيا
له قيمة عالية وفي رواية حسنة للترمذي فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا
كناية عن مقدار ما حمله من وسق في سبيل الله ومنه اي من تكثير الطعام
ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم حديث البخاري عن ابي هريرة حين اصابه
الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم اي امره ان يتبعه فتبعه فوجد
لبنا في قدح قد اهدي اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يدعو
اهل الصفة هم فقرا المهاجرين ممن لم يكن له منزل فكانوا ياوون موضعا
مظللا من مسجده صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة فقلت ما هذا اللبن فيهم
استفهام بمعنى النفي اي لا يغني من شبعهم شيا لنت احق ان اصيب منه شربة
اتقوى بها فترك مفعوله اختصارا فدعوتهم وامرني صلى الله عليه وسلم
ان اسقيهم فجعلت اي شرعت وقصدت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى
ثم ياخذ الاخر فيشرب حتى يروى وهكذا حتى رووا جميعهم قال ابو هريرة
فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت تاكيد للضمير في بقيت
ليصح عليه عطف وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب فشربت
ثم قال اشرب فشربت وما زال يقولها اي يقول كلمة اشرب واشرب
حتى قلت لا نغي لما اقتضاه الامر من الشرب مع اعتذاره عنه بقوله والذي
بعثك بالحق اي ملتبسا به الى كافة الخلق ما اجد له مسلكا جواب القسم اي لا استطيع
ان اسيغه شبعا ويجوز ان يكون القسم موكدا لما نفاه اي لا اشرب والله وما بعده

استيعابا وكالعلة له اي لا اشرب من اجل اني ما اجد له مساغا فاخذ اي
النبي صلى الله عليه وسلم القدح فحمد الله تعالى على ما منحه من اليمن والبركة مع
افادة مشروعية التسمية عند الشرب كالاكل وغيره وسمى وشرب
الفضلة فيه ابيان بان افضل القوم يكون اخرهم شربا وفي حديث خالد بن
عبد العزى الذي رواه البيهقي عنه انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم اي اعطاه
شاة تصلح للجزر اي للذبح اذ نزل عليه بالجعرانة وظل عنده وامسى ثم بدت له
صلى الله عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة يقال له محرش بن عبد الله
ليأخذ به طريقا الى مكة يا من فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فاخذ به بطن
الوادي حتى بلغا اشقاب قال يا محرش من هذا المكان الى الكروما والا يخطاله
وما بقي من الوادي فهو لك ثم سار به حتى قضى نسكه واحله محرش اي اطلقه ثم رجعا
الى خالد وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبدد عياله اي لا يكفيهم اذا فرقت
عليهم عظما عظما من التبديد يقال اليد هو التفرقة اذا لم يجمع بين اثنين
وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة اي التي اجزرها اياه وجعل
فضلتها في دلو خالد فدعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فلا تبدد اي
تفريق بينهم فاكلوا وافضلوا ببركته صلى الله عليه وسلم ذكره جماعة الدولابي
وفي حديث الاجري في انكاح فاطمة لعلي انه صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة
من اربعة امداد او خمسة من حنطة او غيرها وذبح جزورا اي بعيرا ويقع على
الذكر والانثى لوليمتها قال اي بلال فاتيته بذلك اي بالذي امر ان يصنعه
من القصعة فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة بضم الراء
وكسرها اي جماعة بعد جماعة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت فضلة منها
فبرك اي دعا بالبركة فيها وامر بحملها الى ازواجه قال كلن واطعمن من
غشيكن اي اتاكن يقال غشيه يغشاه غشيانا اذا جاءه وغشاه تغشية
اذا غطاه واستغشى وتغشى ثوبه اي تغطى به وغشي الشيء اي لابسه وغشي
المراة اي جامعها وغشي عليه اي اغمي وبخلها ورد الحديث نفيه فان الناس غشوه
فلا يغشنا في مساجدنا وهو مغشي ثوبه ويغشى انامله وغشيتهم الرحمة
وغشيتها الوان اي لابستها وفي حديث انس الذي رواه الشيخان تزوج النبي
صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فصنعت امي ام سليم كنية والدة انس حيسا
هو كما مر طعام من تمر واقط وسمن فجعلته في تور بمثناة اناء من صفر او حجارة
رحراح اي قريب القعر مع سعة فيه فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ضعه فوضعته ثم قال ادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم
ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر اي انس انهم اي الذين دعاهم كانوا ثمانية

حتى ملوا الصفة تكة عالية تكون في البيت والحجرة بيت صغير في الدار فقال لكم
النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا اي استديروا كالحلقة المفرغة عشرة عشرة
ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام المسمى حيسا الذي صنعته ام انس
فجاءت به الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا فيه بالبركة وقال ما شاء الله ان يقول مما
علمه الله من الدعاء عطفه عليه لشبه انقطاع بينهما فاكلوا حتى شبعوا فقال لي
اي قال النبي صلى الله عليه وسلم لانس ارفع قصعته فما ادري حين وضع كان اكثر
ام حين رفع واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة التي وقعها افضل نبع الماء من
بين اصابعه في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذه الفصول بضعة عشر
من الصحابة اي على معاني احاديثها لشهادة احاديثها المفرد فانها تعم والبضع
في العدد بكسر الباء وقد تفتح اي ثلاثة عشر او اكثر اذ هو ما بين الثلاث الى
التسع وقال الجوهري تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت
العشر لا تقول بضع وعشرون وهو خلاف قوله صلى الله عليه وسلم صلاة
الجماعة تفضل صلاة الواحد ببضع وعشرين درجة رواه عنهم اي روى معنى
حديث هذه الفصول عمن ذكر من الصحابة اضعافهم من التابعين ثم رواه عن
اضعافهم منهم من لا يعد لعدده من تابعيهم واكثرها اي اكثر احاديث الفصول
الثلاثة وردت في قصص مشهورة ومجامع مشهودة مما تقدم رتبتها
لا يمكن التحدث ولا الاخبار بما صدر منه صلى الله عليه وسلم من المعجزات
فيها الا بالحق حذرا من التكذيب ولا يسكت الحاضر المشاهد لها على ما انكر
اضافة م

فصل

منها حذرا من ان ينسب له ما لا يليق بجنابه وخصافة عقله في كلام الشجر
وشهادتها له بالنبوة واجابته دعوته وقد ذكر فيه شواهد لذلك منها ان
حديث ابن عمر مسندا اليه صلى الله عليه وسلم رواه الدارمي والبيهقي والبزار
عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا من الدنو وهو القرب
اي قرب منه اعرابي نسبة الى الاعراب خص به من يسكن البادية فقال
يا اعرابي اين تريد قال اهلي قال هل لك اي ارغب وتنقاد الى خير تدعى له
قال وما هو قال تشهد ان مخففة من الثقيلة حذف اسمها اي انه لا اله الا الله
وحده حال لازمة اي متوحدا لا شريك له تاكيد لوحدانيته وان محمدا عبده
ورسوله قال ومن يشهد على ما تقول قال هذه السمرة من الطلح شجر
عظام من العضاه له شوك وهي بشاطئ الوادي اي بجانبه وطرفه فاقبلت
تخد الارض بضم الخاء المعجمة اي تشقها تسعى انه على ساق بلا قدم حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاثا اي طلب منها ان تشهد له فشهدت له ان
الله واحد لا شريك له وانه عبد الله ورسوله كما قال ثم رجعت الى مكانها وروى

البزار عن بريدة سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية اي علامة تامره
بطاعته وانقياده له فقال صلى الله عليه وسلم له قل لتلك الشجرة رسول
الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها اي الى جهتيها يمنة ويسرة وبين
يديها وخلفها فتقطعت عروقها الضاربة في الارض متوغلة ثم جاءت
تخد الارض تجر عروقها اي شاقة لها جارة لها مغبرة بالتراب احوال من
ضمير جاءت افادت مجيئها ممتثلة عليها حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله لعله صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام
مكافاة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة فقال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها
اي موضعها بكسر الباء سماعا وبفتحها قياسا فامرها فرجعت فدلت عرو قها
فاستوت فاقامت عليها فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك جواب الامر ويجوز
جعله جزاء شرط مقدر بعد اي ان تاذن لي قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
غير الله تعالى لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له عليها من الحقوق فقال
ائذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن له فقبلهما وفي الصحيح لابي الحسين
مسلم بن الحجاج في حديث جابر الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به من العيون فاذا بشجرتين فجاتاه
بغتة من غير تقدم سبب والياء تاتي بشاطئ الوادي اي طرفه وجانبه
فانطلق الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
اي بتيسيره وتسهيله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي جعل في
انفه خشاش وهو عود يجعل في انفه ويشد به الزمام ليتقاد لسهولته
كانه يصانع قائده وذكر اي جابر انه صلى الله عليه وسلم فعل بالاخرى كذلك
اي مثل ما فعل بالاولى حتى اذا كان بالمنتصف بينهما بفتح الميم وسكون
النون وسط الطريق بين موضعيهما قال التئما اي اجتمعا وانضما علي باذن الله
اي بتيسيره فالتئمتا وفي رواية فقال يا جابر قل لهذه الشجرة التي بشاطئ
الوادي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى اجلس
خلفكما بقضاء حاجته مستترا بكما فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس
خلفهما فخرجت احضر بضم الهمزة وسكون المهملة وكسر المعجمة من احضر
الفرس واحتضر اذا عدى واحتضرته اذا اعديته اي اعدو وجلست احدث
نفسي بهذا الامر الغريب والاكرام العجيب والمنقبة الشريفة فالتفت
فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فجاته بغتة في بصرته مقبلا والشجرتان
قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق في منبتها فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا اي اماله يمينا وشمالا اذا دنا منه له

بالرجوع الى مكانهما وروى اسامة بن زيد نحوه وروى البيهقي وابو يعلى بسند
حسن عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال براسه هكذا اي اماها
في بعض مغازيه هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجانا للتصريح باسمه
ومن ثم بينه الراوي بقوله يعني مكانا لحاجته يقضيها فيه فقلت ان الوادي
ما فيه موضع خالي قد امتلا بالناس فقال هل ترى من نخل وحجارة قلت ارى
نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن رسول الله يامركن ان تاتين لمخرجه
وقل للحجارة مثل ذلك الذي قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه فقلت ذلك لهن
فوالذي بعثه بالحق تلويح بجواز القسم في الامر العظيم لقد رايت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما بعضها فوق بعض
متراكمة فجلس خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي
نفسي بيده غاير في القسمين بين ما ذكر تفننا لرايتهن اي النخلات والحجارة
يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وروى احمد والبيهقي والطبراني بسند
صحيح قال يعلى بن سيابة بفتح المهملة وبعدها تحتية وبعد الالف باء موحدة
نسبة الى امه وابوه مرة بن وهب الثقفي كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في مسير فامر وديتين واحدتها ودية بفتح الواو وكسر المهملة وبعدها
تحتية مشددة مفتوحة هي صغير فسيل النخل اي صغاره فانضمتا
وفي رواية اشاءتين بالفتح والمد صغار النخل الواحدة اشاءة وهمزتها
منقلبة عن يا تشهد له بتصغيرها اشيا وعن يعلى بن مرة هو ابن سيابة
كما مر ان طلحة اي شجرة عظيمة من شجر العضاه او سمرة بضم الميم شك
من الراوي اذ هي من شجر الطلح جاءت فطافت به اي دارت حوله صلى
الله عليه وسلم ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها استاذنت ان تسلم علي فجاءت وسلمت وترك مفعول استاذنت
اختصارا وفي حديث الشيخين عن ابن مسعود اذنت النبي صلى الله عليه
وسلم بالجن ليلة استمعوا له قراءة القرآن شجرة فعلا اذنت بمد الهمزة
اي اعلمته بهم وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرا عليهم وانما اتفق حضورهم
في بعض اوقات قراءته وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث المتقدم
انفا ان الجن قالوا من يشهد لك اي انك رسول الله قال هذه الشجرة تعالي
يا شجرة فجاءت تجر عروقها اي العروق لها قعاقع جمع قعقعة وهي حكاية
حركة شي يسمع له صوت وعن ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في
غزوة الطائف ليلا وهو وسن بفتح الواو وكسر المهملة اسم فاعل من الوسن
وهو اول النوم اي ليس بمستغرق فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين

حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين لها وقتنا وهي هناك يعرفون الطائف
معروفة معظمة لما عليها من بركته بطاعته له صلى الله عليه وسلم
ومن ذلك اي جاءته الشجرة دعوته حديث ابن ماجة والدارمي والبيهقي عن
انس ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم وراه حزينا من تكذيب قومه
له حال من ضمير قال اتحب ان اريك اية تود ذلك بانك نبي قال نعم فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم لجبريل امرها فلترجع فامرها بالرجوع الى منبتها
فعادت الى مكانها وعن علي نحو هذا الحديث الذي رواه انس ولم يذكر فيه
جبريل ونحى ابو نعيم عن جابر قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم الميم عوض
عن يا ولا يجتمعان الا ضرورة كما في قوله
اني اذا ما حادث الما ... اقول يا اللهم يا اللهما
وتعويضها عنها من خواصه كدخولها مع لامه وقطع همزته وتاء القسم
لا ابالي من كذبني بعدها وقوعا فدعا شجرة وذكر اي جابر مثله اي مثل حديث انس
وحزنه لتكذيب قومه اياه وطلبه الاية لهم رجاء ان يؤمنوا فيفلحوا لا له وذكر
ابن اسحاق ما رواه ابو نعيم عن ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل
هذه الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه غاية لاتيانها ثم قال
ارجعي فرجعت الى منبتها وروى البيهقي مرسلا عن الحسن انه صلى الله عليه وسلم
شكا الى ربه من قومه من ابتدائية او تبعيضية واقعة موقع المفعول اي بعضهم
اذ كان بعضهم قد اسلم وانهم يخوفونه بانواع العظايم كما قال تعالى عنهم واذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وسالة ان يعلم بها ان مخففة
من الثقيلة اي انه لا مخافة عليه فاوحى اليه ان ائت وادي كذا فيه
شجرة فادع غصنا منها واحدا اغصانها وهي اطرافها ما دامت نابتة فيها فجعل
يخط الارض خطا حتى انتصب اي قام منتصبا بين يديه فحبسه ما شاء الله
من الزمان ثم قال له ارجع كما جئت فرجع يخط الارض خطا حتى وقف بمنبته
فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحوه منه ما
رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند حسن عن عمر قال فيه اي عمر اراني اية
لا ابالي من كذبني بعدها وقوعا وروى البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي عن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت اي اخبرني ان دعوت هذا العذق
بمهملة مكسورة فمعجمة ساكنة هو العرجون بما فيه من الشماريخ من هذه النخلة
وتسمى هي عذقا بالفتح ومنه حديث لا نبي نذر رسول الله صلى الله عليه وسلم على
اي عذاق اي نخلاتها اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل اي اخذ

في المجيء اليه وطفق ينقز اي يقفز ويثب حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه
الترمذي اي في سننه وقال هذا حديث حسن صحيح جمع بينهما لروايته من طريقين
احدهما تقتضي احدهما صحته والاخرى حسنه فصل في قصة حنين الجذع تأسفا
على مفارقته صلى الله عليه وسلم وشوقا اليه ادراكا يستلزم الحياة بخلق الله لها
فيه كما يستلزمها عند الاشعري الكلام النفسي استلزاما للعلم لها ..
لا شوقا طبعيا والا لم يلزم من سماع صوت حنينه وجودها فيه اذ الاصوات
عنده لا تستلزم خلق الحياة في محل ويعضد هذه الاخبار اي التي هي كلام الشجر
ومجيئها اليه صلى الله عليه وسلم في الفصل السابق حديث انين الجذع وهو في
نفسه مشهور منتشر عند الخلف عن السلف والخبر فانه اي بانينه متواتر
يفيد العلم لمن اطلع على طرق الحديث دون غيره ممن لم يمارسها قد خرجه اهل
الصحيح كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة ورواه من الصحابة بضعة عشر
اي ثلاثة او اكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها منهم ابي بن كعب رواه عنه
الشافعي وابن ماجه والدارمي والبيهقي وسهل بن سعد رواه عنه الشيخان
وابو سعيد الخدري رواه عنه الدارمي وام سلمة رواه عنها البيهقي ..
والمطلب بن ابي وداعة رواه عنه الزبير بن بكار في اخبار المدينة كلهم يحدث
بمعنى الحديث فهي راجعة الى معنى واحد قال جابر كان المسجد مسقوفا
على جذوع نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع
منها كان هناك افاد تكرار قيامه صلى الله عليه وسلم اليه استعمالها مع
المضارع كما في وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان حاتم يكرم الضيف
فلما صنع له المنبر صنعه له غلام امراة من الانصار من اثل الغابة سمعنا
له صوتا كصوت العشار بمهملة مكسورة جمع عشراء اي الناقة الحامل وفي
رواية انس فلما قعد على المنبر خار الجذع كخوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره
اي لصوته من خار اذا صاح وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به من
الوله لفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية المطلب حتى تصدع
اي تشقق وتفطر وانشق عطف تفسيري حتى جاء النبي صلى الله عليه
وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره في رواية الشافعي عن ابي بن كعب
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره
اي غير ذلك الغير في رواية ابي يعلى عن انس والذي نفسي بيده لو لم التزمه لم
يزل هكذا الى يوم القيامة تحزنا لفراقه وشوقا لما كان يسمع من الذكر
فامر صلى الله عليه وسلم به فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب ..
وسهل واسحق بن عبد الله بن ابي طلحة تابعي عن انس وفي حديث ابي

فكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلى اليه اي قريبا منه وكان هنا افادت
تكرار صلاته اليه مع الماضي بضم اذا اليه فلما هدم المسجد من جهة
القبلة في خلافة عثمان ليزيد فيه توسعة له او في ايام اباحة يزيد
المدينة ثلاثا اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض التي يقال لها
ارضة سميت بفعلها واضيفت اليه في انه سببها وعاد رفاتا اي متفتتا
فتاتا دقيقا هذا وقصة حنين الجذع واحتج لرجوعها الى معنى واحد
وما وقع في الفاظها من الاختلاف والزيادة مما ظاهره التغاير
من الرواة فلا نطيل بذكرها فصل ومثل هذا اي ما ذكر من حنينه
في سائر الجمادات ووقع له منها وقد روي ههنا ما هنالك حديث
البخاري عن ابن مسعود قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يؤكل حال من الطعام اي حال اكله وفي رواية عنه ايضا كما في الترمذي
كنا ناكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيحه حال
من ضمير ناكل اي سامعين وروى ابن عساكر في تاريخه قال انس اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى اي حجارة دقاق فسبحن في يده حتى
سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن ثم صبهن في ايدينا فما
سبحن وقال البزار والطبراني في الاوسط والبيهقي روى مثله اي
مثل حديث انس ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وروى الترمذي
بسند حسن والدارمي قال علي كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج اي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نواحيها فما استقبله شجر ولا
حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله بخلق الله تعالى فيها نطقا وان
لم يكن معه حياة اذ ليس بينهما تلازم وروى مسلم عن جابر بن سمرة عنه
صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي يقول السلام عليك
يا رسول الله قيل هو الحجر الاسود وروى البزار عن عائشة قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت اي شرعت
وقصدت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله بخلق
الله تعالى فيها نطقا على ما مر تشريفا له وتكريما وروى البيهقي عن العباس
اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه عبد الله وعبيد الله
والفضل وقثم بملاءة بميم مضمومة وهمزة ممدودة اي ربطة ..
كالملحفة ودعا لهم بالستر من النار بفتح سينه مصدر ستر والاسم
الستر بالكسر كستره صلى الله عليه وسلم اياه بملاءته كان يقول يا رب
هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه

فامنت اسكفة الباب اي عتبته وحوائط البيت جمع حائط وهو الجدار اي جدرانه المحدقة به من جميع نواحيه آمين آمين تخلقه تعالى ذلك فيها وآمين بالمد والقصر والمد اكثر مبني على الفتح ومعناه استجب وفي حديث خاتم رب العالمين آمين يعني انه طابع الله على عباده لانه تدفع به البلايا والهموم والآفات فكان كخاتم الكتاب فانه يصونه من الفساد واظهار ما فيه وفيه آمين درجة في الجنة اي هي كلمة يكتسب بها فيها فجعلت نفسها لكونها سببا لها مجازا وعن جعفر بن محمد عن ابيه محمد الباقر بن زين العابدين مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح لم اذكر من رواه وروى احمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم اي تحرك حركة شديدة واضطرب فضربه برجله وقال اثبت احد فانما عليك نبي اراد نفسه وصديق عنى به ابا بكر وشهيدان ارادهما عمر وعثمان وقد قتلا ظلما فنالا الشهادة ومثله عن ابي هريرة في حراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء وابو بكر وعمر وعثمان زاد وسعد وعلي وطلحة والزبير وفي رواية سعد بن ابي وقاص بدل علي فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الا نبي وصديق وشهيد رواه مسلم والترمذي في مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن والخبر الذي رواه مسلم والترمذي عن ابي هريرة رواه الترمذي والنسائي في حراء ايضا عن عثمان قال اي عثمان ومعه عشرة من الصحابة انا فيهم وزاد اي عثمان عبد الرحمن هو ابن عوف وسعدا هو ابن ابي وقاص قال اي عثمان ونسيت الاثنين لعلهما طلحة والزبير وفي حديث سعيد بن زيد الذي رواه ابو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه ايضا مثله اي مثل الخبر قبله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي في حديث الهجرة من السير انه صلى الله عليه وسلم حين طلبته قريش قال له ثبير جبل بمنى على يسار الذاهب الى عرفة اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حراء الي يا رسول الله وهو جبل اسفل على يسار الذاهب وهو قريب الى مكة من يمين هذا ولا يبعد مجيء امرها له صلى الله عليه وسلم على ظاهرهما لشهادة حنين الجذع لمفارقته له حتى سمعه الناس وضمه اليه فسكن رواه البخاري عن جابر وسلام الحجر الاسود عليه قبل الوحي رواه مسلم وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه بجعلهم له شركا ووصفه بما لا يليق ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يمجد الجبار نفسه تعظيما وتوفيقا لعباده على كنه جلاله انا الجبار انا الجبار مبالغة من الجبر وهو القهر لعباده على ما يريده منهم من امر ونهي يقال جبر فاجبر

والاول اكثر انا الكبير من الكبر بالكسر وهو العظمة بمعنى كمال الذات وكمال الوجود لا يوصف بها غيره اي العظيم والكبرياء ويقال كبر يكبر بضم الباء فيهما اي عظم فهو كبير المتعالي عما لا يليق بجناب عزه وياؤه للتفرد والتخصيص لا للتعاطي والتكلف فرجف المنبر اي اضطرب اضطرابا عنيفا وتحرك تحركا شديدا لخلق الله فيه حياة ادرك بها هيبة عظمته تعالى حتى قلنا ليخرن اي ليسقطن رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه من شدة حركته وروى البزار والبيهقي عن ابن عباس كان حول البيت على جداره ستون وثلثمائة صنم اتخذتها قريش الهة يعبدونها من دون الله مشدودة الارجل بالرصاص في الحجارة وروى ابو يعلى نحوه قال فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل اي قصد وطفق يشير بقضيب اي بسيف لطيف دقيق او عود في يده حال من قضيب اليها ولا يمسها لبعدها عنه ويقول حال من فاعل يشير اي قائلا جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل من زهقت روحه اذا خرجت اي ذهب الشرك وهلك ان الباطل كان زهوقا اي مضمحلا غير ثابت فما اشار به الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا اشار به لقفاه الا وقع لوجهه اي سقط عليه هيبة منه وذكر الوجه والقفا لانهما اول ما يلقى الارض من قدام وخلف و لانهما لاختصاصهما بالوقوع عليهما غالبا حتى ما بقي منها صنم الا خر صريعا ومثله اي مثل هذا الحديث حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان فقال اي ابن مسعود يطعنها اشارة لا مساسا ويقول جاء الحق وزهق الباطل وما يبدئ الباطل وما يعيد اي هلك الشرك فلم يبق له بدء ولا اعادة او الباطل الذي هو الصنم لا يبدئ خلقا ولا يعيده ولا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده في الآخرة ومن ذلك اي مما ذكر عن الجمادات حديثه الذي رواه الترمذي والبيهقي مع الراهب هو بحيرا واسمه جرجيس او جرجس بزيادة يا من عبد القيس من نصارى تيما او بصرى ذكره ابن منده وابو نعيم في الصحابة لهما لايمانه به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وعده منهم مؤذن بدخول من رآه قبلها في عموم قولهم الصحابي من رآه صلى الله عليه وسلم كورقة وزيد بن عمرو بن نوفل في ابتداء امره صلى الله عليه وسلم اذ خرج تاجرا طرف لحداثته معه ولا تدبير امره مع عمه ابي طالب هذا وهو لم يكن في خروجه معه تاجرا لم يتعرض له عند خروجه فقال لا تتركني ولست احق خرجت معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة غلام خديجة وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل اي قصد وشرع يتخللهم حتى اخذ بيده صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين لحبيه لهم بما السعد لهم

لمن تبعه سعد ومن ابى شقى وهو رحمة له فى الدنيا بامنه من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال فقال الاشياخ من قريش ما علمك بما ذكرت من كونه سيد العالمين ورحمة
لهم قال تصديقا لقوله انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر له ساجدا ولا يسجد الا لنبي
وذكر القصة فقال وانى لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة
ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعية الابل فقال
ارسلوا اليه فاقبل من القوم وجدهم سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال
الفيء اليه فقال انظروا الى الفيء مال اليه ثم قال انشدكم الله ايكم وليه قالوا ابو طالب
وانا بسبعة من الروم قد اقبلوا فسئلهم فقالوا ان هذا النبي قد خرج من بلاده
فى هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال ارايتم
امرا اراده الله ايقدر احد رده فقالوا لا فاقاموا عنده ثلاثة ايام ولم يزل
يناشده حتى رده وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا وكعكا
قيل وذكر ابى بكر وبلال فيه وهم فصل فى الايات الشاهدة بنبوته وصدق
رسالته وما خص به من بديع الكرامات فى ضروب الحيوانات وقد اشتهر
هنا حديثا عجائبية رواه احمد والبزار وابو يعلى الطبراني والبيهقي والدارقطني
وهو صحيح شاهد لذلك قالت كان عندنا داجن من المداجنة وهو حسن المخالطة
وهو ما يالف البيوت من الحيوانات كالشاة والطير فاذا كان عندنا رسول
الله فلم يجئ ولم يذهب توقيرا واكراما له وهيبة منه واذا خرج جاء
وذهب وروى عن عمر صدره لهذه الصيغة تلويحا لتضعيفه وممن رواه
الطبراني والبيهقي قال وروى ايضا باسناده عنها وابى هريرة وما ذكرناه هو
امثلها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى محفل بفتح اوله وكسر
ثالثه مجتمع الناس من اصحابه اذ جاء اعرابى اى فاجاهم بغتة قد صاد حال
من اعرابى اى صايدا ضبا فقال من هذا قالوا نبي الله قال واللات والعزى
صنمان كانوا يعبدونهما فاللات كانت لقريش بنخلة ولثقيف بالطائف
والعزى بالضم تانيث الاعز سمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة
شعرها داعية ويلها واضعة يدها على راسها فقتلها يقول يا عزى كفرانك
لا سبحانك انى رايت الله قد اهانك ثم اخبر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال
تلك العزى ولن تعبد ابدا وقسمه بهما لانه لم يكن اسلم بعد قوله
لا امنت بك اى بكونك رسول الله او يومن بك هذا الضب فانه لنفى ايمانه
اى الى ان يومن بك فامن انا ايضا بك وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
اى القاه بين جهتى يديه فقال له يا ضب فاجابه بلسان مبين حروفه لا ساذج

بسبعد القوم جميعا لبيك اى اجابتي لك يا رسول الله ونصبه على المصدر بعامل لا
يظهر كان يقال البابا بعد الباب ولم يستعمل الا بلفظ التثنية فى معنى التكرير
اى اجابة بعد اجابة وسعديك اى ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة
واسعادا بعد اسعاد ونصبه على المصدر بفعل لا يظهر قيل ولم يسمع
مفردا يا زين من وافى القيامة قال اى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله
لمسعى فضله وفى الجنة رحمته لمؤمنى عباده وفى النار عقابه لكافرى
عباده وعصاتهم ولو واحدا قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم
النبيين اى اخرهم بفتح التاء بمعنى ختموا به وبكسرها بمعنى ختمهم ويؤيده
قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وقد افلح اى فاز بالفلاح من صدقك
فيما جئت به وقد خاب اى توسم بالحرمان والخسران من كذبك فيما جئت
به فاسلم الاعرابى اى انقاد واذعن لطاعة الله ولطاعة رسوله لما
عاينه من اكرام الله بنطق الضب له هنا وقد طعن فى حديثه قال
ابن دحية انه موضوع وقال الحافظ المزى لا يصح اسنادا ولا متنا ومن
ذلك اى من الايات كلام الذئب الذى رواه احمد والبزار والبيهقي وصححه
عن ابى سعيد بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب لشاة بينا لبينما
ظرف زمان بمعنى المفاجاة مضاف الى جملة فعلية او اسمية كما هنا ولا بد
لهما من جواب فيه هذا المعنى اى وقت رعيه غنمه فاجاء عرض الذئب لشاة
منها فاخذها اى الراعى منه فاقعى اى الصق اليته بالارض ونصب ساقيه
وفخذيه ووضع يديه على الارض وقال للراعى الا تتقي الله حلت بينى وبين
رزقى الا للاستفتاح مركبة من همزة الاستفهام وحرف نفى للتنبيه على
تحقق ما بعدها لان الاستفهام اذا دخل النفى افاد تحقيقا قال الراعى العجب
من ذئب يتكلم بكلام البشر ولا عجب انطقه الله بذلك الذى انطق
كل شيء فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين
تثنية حرة وهى ارض ذات حجارة سود يحدث الناس بانباء ما قد سبق
من اخبار احوال الامم الماضية وانما كان اعجب لانه اخبار بالغيب فاتى
الاعرابى النبى فاخبره بكلام الذئب له فقال النبى صلى الله عليه وسلم
للراعى قم فحدثهم اى الحاضرين ثم قال اى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان
حدثهم الراعى صدق وفى بعض الطرق عن ابى هريرة انا اعجب واقفا على
غنمك وتركت حاله وتوفيك تاركا نبيا لم يبعث الله قط اعظم منه عنده
قدرا تمييز للنسبة اعظم وقد فتحت له ابواب الجنة الثمانية واشرف اهلها

عل

على اصحابه ينظرون فيا لهم تعجبا منه لكونه مثل صفوف الملائكة وما بينك
وبينه الا هذا الشعب فتصير اذا ذهبنا اليه في جنود الله المجاهدين في
سبيله قال له الراعي من لي بغنمي اي من يكفيها حفظا ورعيا قال انا ارعاها
حتى ترجع فاسلم الرجل غنمه اليه ومضى الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده
يقاتل فقال له عد الى غنمك تجدها جواب الامر او شرط مقدر بعد اي ان
تعد اليها تجدها بوفرها بفتح الواو اي بكثرتها لم ينقص منها شاه فوجدها
كذلك اي بوفرها وذبح للذيب منها شاه وعن اهبان بضم الهمزة بن اوس
فيما روى البخاري في تاريخه والبيهقي مثله وانه كان صاحب القصة المحكية عن
الذيب انفا وان المحدث بها والمتكلم لها هو الذيب وفي الروض الانف
في غزوة ذي قرد عن سلمة بن عمرو بن الاكوع انه اي سلمة كان صاحب القصة
ايضا وكانت سبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد الخدري وروى ابن وهب مثل
هذا الذي ذكر من كلام الذيب انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن
امية وكانا قبل اسلامهما من الاشداء عليه صلى الله عليه وسلم مع ذيب
وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب تعظيما للحرم واحتراما
له تعجبا من ذلك فقال الذيب اعجب من ذلك اي اعجب من عجبهما محمد بن عبد
الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة الى ما يورث النجاة والفوز لها وتدعونه الى
النار اي ما هو سبب لدخولها فقال ابو سفيان لصفوان بن امية بن خلف واللات
والعزى صنمان كانا يعبدان على ما مر لين ذكرت هذا اي الذي جرى لهما مع الذيب
وتكليمه اياهما بمكة لتتركنها خلوفا بضم المعجمة يقال لحي خلوف اذا غاب
الرجال واقام النسا ويطلق على المقيمين اي لتترك اهلها بعد سماعهم ذلك
منك ذاهبين الى محمد فلم يبق احد منهم الا اسلم ولعل هذا كان سبب اسلامهما
وفي الحديث قالت اليهود لقد علمنا ان محمدا لم يترك اهله خلوفا اي لا راعي لهن
ولا حامي ومنه قول صاحبة المزادتين ونفرنا خلوف اي رجالنا غيب وقد روى مثل
هذا الخبر الذي جرى لابي سفيان وامية انه جرى لابي جهل واصحابه ولم يسلم
لشقاوته وقتل ببدر كافرا وفي الطبراني الكبير بسند لا باس به قريب مما هنا عن
ابن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار بمعجمة وواو بينهما ميم فالف صنم
بدل او بيان لضمار كان يعبده وقومه وانشاده الشعر الذي ذكر فيه النبي
صلى الله عليه وسلم قال اي عباس بن مرداس فاذا طاير سقط اي فاجاني بغتة
سقوطه فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك تتخلف
عما يورثك الفوز بالسعادة الابدية وينقذك من النار ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعو الى الاسلام حذف مفعوله للتعميم اي كل احد اليه وانت

حاله

جالس لا تطعن اليه فتسلم فكان كلام الطاير سبب اسلامه وروى البيهقي عن جابر
بن عبد الله عن رجل اسمه اسلم او يسار استشهد في غزوة خيبر اتى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو على بعض حصون خيبر جمع حصن وهو القصر والجملة حال
منه صلى الله عليه وسلم وحذف جهة كونه عليه لتذهب النفس كل مذهب ممكن وكان
اي الرجل في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم فقال احصب اي ارم
وجوهها بالحصبا وهي دقاق الحصا لترجع الى دورها بكيها فان الله سيودي عنك
امانتك ويردها الى اهلها لا يفقدون منها شاه ففعل فسارت كل شاه حتى
دخلت الى اهلها وروى احمد والبزار بسند صحيح عن انس دخل النبي صلى الله
عليه وسلم حايط انصاري اي بستانه وابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفي الحايط غنم فسجدت له صلى الله عليه وسلم سجود الهام تكريما له وتعظيما
فقال ابو بكر نحن احق لك بالسجود منها لو كان يجوز لغير الله وروى البزار بسند
حسن عن ابي هريرة دخل النبي صلى الله عليه وسلم حايطا اي بستانا فجا
بعير فسجد له وذكر مثله اي مثل حديث ابي هريرة فقالوا هذه بهيمة لا تعقل
تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد
لبشر لو صلح لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها ومثله اي
مثل حديث ابي هريرة في الجمل عند ابي نعيم عن ثعلبة بن ابي مالك وعند
احمد والدارمي والبزار والبيهقي عن جابر بن عبد الله وعند احمد والحاكم
والبيهقي بسند صحيح عن يعلى بن مرة وعند مسلم وابي داود عن عبد الله بن
جعفر وقال اي ابو هريرة وكان لا يدخل احد الحايط الا شد عليه الجمل
حفظا منه للحايط واستغرابا بالداخل ورعاية لاهله فيه فلما دخل عليه
النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فجا خاضعا ذليلا داخرا فوضع مشفره
بمثلثة مكسورة فمعجمة ساكنة ففا مفتوحة فرا شفته على الارض وبرك بين
يديه بخطمه خطامه اي برسنه وقال ما بين السما والارض شي
حيوانا وغيره الا يعلم اني رسول الله خلق الله ذلك فيه الا عاصي الجن والانس
جمع عاص حذفت نونه للاضافة وفي رواية قال لهم اي لاهل الجمل انه شكى كثرة
العمل في مصالحكم وقلة العلف بفتح اللام اسم لما ياكله الدواب وفي رواية شكى
الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره في مصالحكم
فقالوا نعم قال بئس الجزا اردتموه له واما العضبا فلم ادر من رواها ولا حديث
حمام مكة وروى عند ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن انس
وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر ليلة
الغار بشجرة فنبتت تجاه عن ابتها لتستره بها كصير ورقها نابته بما نو يحتا ر

يتاتي منه الفعل اختيارا كما في كونوا قردة فسترتموا من حمامتين اي الهمهما
فوقفتا بفيه فشمت صلى الله عليه وسلم عليهما اي دعا لهما وانحدرتا الى الحرم
فافرخا كل حمام فيه وفي حديث الازد سموا الله ودنوا وسمتوا اي اذا بدا نتم
بالاكل فكلوا مما يليكم ودنوا منكم واذا فرغتم فسمتوا اي ادعوا للمنى اكلتم عنده
وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فقيل اي الطالبون له صلى الله عليه
وسلم وراوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم يكن الحمامتان والنبي صلى الله عليه
وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا خاسئين لم يفوزوا بمبتغاهم وروى الحاكم
والطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن قرط الثمالي قال قرب للنبي صلى الله
عليه وسلم بدنات جمع بدنة وهي خاصة بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى
الله عليه وسلم البقر بها في الاجزاء عن سبعة تسمية ولا اسمها للبقرة اتساعا
بل الحديث واية الحج بمنعانه سميت بدنة لعظم بدنها لينحرها يوم عيد
فازدلفن اليه افتعلن يفتعلن من الازدلاف وهو القرب ابدلت
التاء دالا لاشتغالها بالزاي اي تقربن منه بايتهن يبدا بنحرها وروى
الطبراني والبيهقي عن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحرا
فنادته ظبية قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان بخاء مفتوحة معجمة
وهو ولد الظبية الصغير في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما
وارجع قال وتفعلين عطف على مقدر اي اتقولين ذلك وترجعين الي
قالت نعم فاطلقها فذهبت فرضعتهما ورجعت فاوثقها فانتبه
الاعرابي فقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها
فخرجت تعدو وتضرب برجلها الارض وتقول حال من ضمير خرجت اي قائلة
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله رواه ابو نعيم في الدلائل باسناد
فيه مجاهيل وقال ابن كثير لا اصل له ومن نسبها الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقد كذب قيل وقد ورد في الجملة في عدة احاديث تقوى بعضها بعضا
اوردها ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج احاديث المختصر
ومن هذا الباب اي باب طاعة الحيوانات له صلى الله عليه وسلم ما روي
من تسخير الاسد لسفينة مولاه صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى
معاذ باليمن حال من معاذ اي حال كونه مقيما به وهو اقليم معروف فلقي الاسد
فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم
وتنحى عن الطريق وذكر اي سفينة في منصرفه مثل ذلك اي انه لقيه
فعرفه انه مولاه فتنحى عنه لا ادري من رواه كذا وقد روى البيهقي انه لقيه
الاسد لما كان جيش خلف عن الجيش في ارض الروم وفي رواية اخرى عند ابن

ما في الاصل بالسين المهملة ه

عن سفينة رواها البيهقي والبزار ان سفينة تكسرت به فخرج الى
جزيرة فاذا الاسد اي فاجاه بغتة فقلت له انا مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه بفتح الميم وكسر الكاف
ما بين الكتف والعنق وجمعه مناكب كما في حديث ابن عمر خياركم الينكم
مناكب في الصلاة حتى اقامني على الطريق غاية ليغمز واخذ صلى الله عليه
وسلم باذن شاة لقوم من بني عبد القيس بين اصبعيه تثنية اصبع
وفيه عشر لغات ضم الهمزة مع تثليث البا والثلاثة فتحها وكسرها مع
كل منهما والعاشر اصبوع ثم خلاها فصار ميسما اي صار اثر
اصبعيه لها علامة واصله موسم قلبت واوه يا لكسر ما قبلها وهو الحديدة
التي تعلم بها بالكي واطلاقها على العلامة كما هنا مجاز وقد تطلق على العضو
الموسوم لشبهها به حديث على كل ميسم من الانسان صدقة اي على كل عضو
موسوم بصنع الله وفي الحديث بئس لعمر الله عمل الشيخ المتوسم والشاب
المتلوم اي المتحلي بسمة الشيوخ وليس هناك والمتعرض للوم بفعل ما يلام
عليه وبقي الاثر فيها وفي نسلها بعد اي بعدها او بعد تاثير اصبعيه في اذنها
ولا ادري من رواه ومن هذا الباب ما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده من
كلام الحمار الذي اصابه صلى الله عليه وسلم بخيبر لما فتحها الله عليه وقال
له ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله من نسله ستين حمارا كلهم لم
يركبهم الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني ولم يبق من نسل جدي غيري
ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي وكنت اعثر به عمدا وكان يجيعني
ويضربني فسماه صلى الله عليه وسلم يعفورا وكان يوجهه الى دور اصحابه
فيضرب الباب براسه ويستدعيهم اليه صلى الله عليه وسلم وان النبي
صلى الله عليه وسلم لما مات تردى في بير لابي الهيثم بن التيهان جزعا
وحزنا فمات رواه ابن حبان في الضعفا من حديث منظور وقال لا اصل
له واسناده ليس بشيء وابن الجوزي في الموضوعات وفي حديث الناقة التي
شهدت عنده صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه
رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن
عمر قال الذهبي وهو موضوع وفي العنز من بدايع المعجزات وعجائب الايات
ما فيه اكرام له صلى الله عليه وسلم وتنويه برفيع منزلته عند ربه اي في
قصتها التي رواها ابن سعد وابن عدي والبيهقي مولى ابي بكر انه اتى النبي صلى
الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غدير ما وهم زهاء
ثلثمايه فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال لرافع

مولاه املكها اي اشد دوناتها وتعاهدها وما اراك بضم الهمزة اي اظنك تملكها
وتحفظ عليها فربطها وذهب ثم رجع فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع عن
وفد ابي حدثنا ابن قانع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الذي جا
بها قد ذهب بها وقال صلى الله عليه وسلم لفرسه وقد قام الى الصلاة حال
من الضمير قبله اي قايما اليها في بعض اسفاره متعلق بقاله لا تبرح بارك الله
فيك حتى نفرغ من صلاتنا غاية للنهي عن البراح وجعله قبلته فما حرك
عضوا حتى فرغ صلى الله عليه وسلم منها امتثالا لامره فصل في احيا الموتى
وكلامهم وكلام الصبيان المراضع جمع راضع على خلاف القياس و
وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وقد اورد فيه شواهد لذلك
منها ما اورده بسنده الى ابي داود من حديث ابي هريرة ان يهودية اسمها
زينب بنت الحارث اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة مصلية
اي مشوية سمتها فاكل منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها
اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البرا بفتح البا وتخفيف الرا لما
اكل منها وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت اي ما السبب الداعي
لك الى سمها واهدائها الي مسمومة قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي
صنعت من سمها وان كنت ملكا ارحنا الناس منك قال اي ابو هريرة كما رواه
البيهقي عنه موصولا وابو داود عن ابي سلمة مرسلا فامر بها فقتلت
وقد روى هذا الحديث اي حديث ابي هريرة انس كما في الصحيحين وفيه
قالت اردت قتلك ان لم تكن نبيا فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك
اي على قتلي فقالوا الا نقتلها فقال لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر
بن البرا فلما مات امر بقتلها به وكذلك روي هذا الحديث عن ابي
هريرة من رواية غير وهب هو ابن بقية شيخ ابي داود قال اي ابو هريرة
فما عرض لها اي لم يامر بقتلها ورواه ايضا جابر كما عند ابي داود والبيهقي
وفيه اخبرتني به هذه الذراع وفي الحديث الذي رواه الشيخان عن انس
انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع لهات
وهي لحمات في سقف اقصى الفم وفي حديث ابن سعد وهو في الصحيح
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي
مات فيه ما زالت اكلة بضم الهمزة اي لقمة خيبر بجره على ابدال
من المدينة الشريفة اكلها من الشاة المسمومة تعادني بتشديد
الدال اي تراجعني وتعاودني الم سمها في اوقات معلومة فقال به عداد
من الداء يعاوده في اوقات معلومة والعداد اهتياج وجع اللدغ فانه

اذا

اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم فالان اوان قطعت بضم نون
اوان وفتحه لاضافته الى مبني كما في قوله
على حين عاتبت المشيب على الصبا ابهري بالهمزة مفتوحة وبا موحدة
عرق مستبطن القلب اذا قطع لم تبق معه حياة او هو ناشي من الراس ممتد
الى القدم له شواين متصلة باكثر اطراف البدن فالذي في الراس منه يسمى
النامة ومن ثم قيل اسكت الله نامته اي اماته ويمتد الى الحلق فيسمى الوريد
والى الصدر فيسمى الابهر والى الظهر فيسمى الوتين والفواد معلق به والى
الفخذ فيسمى النسا والى الساق فيسمى الصافن وفي الحديث تلويح بانه صلى الله عليه
وسلم قد نال الشهادة بما اكله من السم هذا وان ضمان الله وعصمته من
الناس وقد سم وسحر وكسرت رباعيته واجيب بان المراد به عصمته من
القتل وعليه صلى الله عليه وسلم ان يحتمل ما دونه في ذات الله ويؤيده قول انس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزل والله يعصمك من الناس قال لهم
الناس انصرفوا فقد عصمني الله هذا وادعى ابن سحنون اجماع اهل الحديث انه صلى
الله عليه وسلم قتلها يردها ما مر من حديث انس وابي هريرة من رواية غير وهب
بن بقية وروى الحديث اي حديث الشاة المسمومة البزار عن ابي سعيد سعيد
الخدري قال في اخره فبسط يده اي نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال كلوا
بسم الله فاكلنا منها فلم يضر منا احدا وعن ابن حجر انه منكر واختلف ايمة
النظر من المتكلمين وغيرهم في هذا الباب اي باب خلق الله الكلام في جسم
فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله في محل مثل الشاة الميتة او الحجر او الشجر
وحروف واصوات عطف على كلام يحدثها الله فيها بلا حياة لعدم توقفه
عليها ويسمعها من شا من خلقه منها من الاصوات والحروف لانه على كل شي قدير
دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو اي خلق الله الكلام مشتملا
على حروف واصوات فيما ذكر مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري امام اهل
السنة والقاضي ابي بكر بن الطيب الباقلاني وهذا موذن بان الحياة ليست
شرطا لخلق الكلام في جسم لصدوره من قدير لا يعجزه شي واخرون ذهبوا الى
ايجاد الحياة فيها اولا ثم ايجاد الكلام بعده اي بعد ايجاد الحياة فيها وحكي هذا ايضا
عن شيخنا اهل السنة ابي الحسن الاشعري وكل من القولين محتمل لايجادها
فيه وعدمه هنا وانه لم يخاطبك من نسبة القول الثاني للشيخ تناقض فانه
يحمله كما ياتي على الكلام النفسي لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والاول
على اللفظي لعدم استلزام خلقه في محل خلقها فيه اذ لم يجعل الحياة شرطا
لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها اي الحروف والاصوات

فيه مع عدم الحياة بمجردها فيه فاما اذا كانت اي الحروف والاصوات عار
يتعين بها من الكلام النفسي فلابد من شرط الحياة لها اي للاصوات والحروف
اذ لا يوجد كلام النفسي الا من حي خلافا للجبائي من متقدمي المعتزلة من
بين سائر متكلمي الفرق فانه لم يوافقه احد منهم في احالة وجود الكلام
اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب من يصح منه النطق بها
والتزم بها ذلك اي التزم قوله وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات
انما تكون من حي في الحصا الذي سبح في يده صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر
وعثمان ثم لم يسبح في يد غيرهم والجذع الذي حن لفراقه والذراع من
الشاة الذي اخبره انها مسمومة فقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها فما
ولسانا والة امكنها بها من الكلام وهذا منه دعوى بلا بينة اذ لو كان
ما ادعاه وجد في الاعيان لكان نقله والتهمم به اوكد من التهمم
بنقل تسبيحه وحنينه واخباره اي الحصا والجذع والذراع في ابلغ الحصر
واليه ولهم لم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك الذي ادعاه ولده
الجبائي فدل عدم نقل ما ادعاه مع كون التهمم به اوكد مما نقل على سقوط
دعواه وروى وكيع عن فهد بن عطية والبيهقي عن شمر بن عطية عن بعض
اشياخه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب اي صار شابا ولم
يتكلم قط فقال له من انا قال انت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
البيهقي وابن عساكر عن معرض بميم مضمومة فيا مشددة بن معيقيب
رايت من النبي عجبا جيء اليه صلى الله عليه وسلم بصبي ولد فذكر مثله اي قال
له من انا قال رسول الله وهو حديث مبارك اليمامة قال ابن دحية هو موضوع
ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
له صدقت بارك الله فيك ثم انه لم يتكلم بعدها حتى اي بعد شهادته
له بانه رسول الله حتى شب وبلغ زمن التكلم فكان يسمى مبارك اليمامة
بسببه اي فبسبب قوله بارك الله فيك سمي مباركا وكانت هذه القصة
بمكة في حجة الوداع سنة عشر من الهجرة وفيها توفي ابنه ابراهيم واسلم جرير
بن عبد الله البجلي ونزل اليوم اكملت لكم دينكم وعن الحسن بن ابي الحسن
البصري اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية تصغير
بنت له في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله فخرجت وهي تقول حال من ضمير خرجت اي قائلة لبيك وسعديك
لم يستعملا الا مثنيان وقد مر بيانهما فقال لها ان ابويك قد اسلما فان
احببت ان اردك عليهما رددتك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله

خيرا

خيرا منهما لم اعلم من رواه عن الحسن وروى ابن عدي والبيهقي عن انس ان شابا
من الانصار توفي وله ام عجوز حال من الضمير قبلها اي حال وجودها عمياء
فسجيناه من سجى الليل اذا اظلم اي غطيناه وعزيناها اي امرناها بالصبر
وحملناها عليه بوعد الاجر والتحذير من الوزر ودعونا لها بجبر المصيبة ولولد ٤
بالمغفرة فقالت مات ابني استفهام حذفت همزته تخفيفا اي امات قلنا
نعم فقالت اللهم اي يا الله حذف حرف النداء وعوض عنه الميم ان كنت تعلم
اني هاجرت اليك والى رسولك رجاء ان تعينني على كل شدة متعلقان
بهاجرت تهاجرتها خالصة لوجهه بعلمه تعالى لما لعدم جزمها بكونها خالصة او تجاهلا
منها فيه ورجاء الاعانة مفعول له من اجله الهجرة فلا تحملن علي هذه المصيبة
فلست احملها بطيقة شبهت ما تعانيها من نوائبها وترهقها من نوائبها
بحمل ثقيل يقصم الظهر ويفت عظمه ثم اشتقت منه الفعل فوقعت
الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية او ان هنا بمعنى اذا اي اذا
كنت عالما بان هجرتي لذلك فلا تكلفني اياها فما برحنا اي ما ذهبنا من
مكاننا حتى كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا من الطعم وهو
الذوق والمراد به هنا الاكل وروى كما عند البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله
الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري خطيب
الانصار ممن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان قتل باليمامة
في زمن الصديق سنة اثني عشر فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول حال من
الضمير قبله واورده مضارعا بعد سمع ماضيا تصويرا لحال تكلمه ميتا لمن
اخبرهم كانه يبصره اياه متكلما وطلب منهم شيئا هديته تعجبا وتعجيبا
من تكلمه بعد موته قائلا محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد
عثمان البر الرحيم كانه رائهم فاشار بهنا مجملا الى اخره فنظرنا فنخبر من
حاله من حياة وموت فاذا هو ميت اي فاجانا بغتة كونه ميتا او فاجا
بغتة موته وذكر عن النعمان بن بشير في رواية الطبراني وابي نعيم وابن منده
وفي رواية ابن ابي الدنيا عن انس ان زيد بن خارجة من بني الحارث بن الخزرج
خر ميتا اي سقط من قيام حال موته ويجوز ان يكون قد خرجا فمات فعبر
بحصوله له عقبه بدون مهلة بما ذكر مجازا مرسلا في بعض ازقة المدينة
جمع زقاق بالضم اي بعض طرقها فرفع وسجي اي غطي اذ سمعوه بين العشائين
والنساء يصرخن حوله اي يصحن بكاء عليه يقول يجري فيه ما ذكر قريبا اي
قائلا انصتوا انصتوا اي اسمعوا فحسر عن وجهه اي كشف غطاؤه
فقال محمد النبي الامي هو من لا يكتب ولا يقرا وصف به تلويحا بكمال علمه

وخاتم النبيين لا نبي بعده احد كان ذلك اي كونه رسولا نبيا اميا في الكتاب
الاول اي اللوح المحفوظ المكتوب فيه المقدرات ثم قال مخاطبا من تباني
توجيه الخطاب اليه او مجردا من نفسه ماموراً صدقت وصدق وذكرا ابا بكر
وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك اصله سلمت سلاما ثم حذف الفعل
وقيل مصدر مقامه وعدل به الى الرفع منبها للدلالة على ثبوت المعنى
واستقراره ثم تعريفه اما للعهد ذهنا اي ذلك السلام الذي وجها الى الانبيا
موجها اليك وخارجا اشارة الى وسلام على عباده الذين اصطفى وللجنس
اي حقيقة السلام الذي يعرف كل احد ما هو وممن يصدر عليك يا رسول
الله ورحمة الله وبركاته جمع بركة وهي كثرة الخير الالهي ثم عاد ميتا كما كان
عودا للندا فصل في ابرا المرضى وذوي العاهات قد اسند هنا حديث سعد
بن ابي وقاص من طريقه ابن اسحق ورواه البيهقي قال سعد في قصة احد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم السهم لا نصل له فيقول ارم به فقتل
من اصابه وقد روى ابن اسحق والبيهقي عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا وفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ اي يوم احد عن سوقه حتى اندقت
اي انكسرت واصيبت عين قتادة حتى وقعت على وجنته اي على اعلا خده
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة
مرسلا ووصله ابن عدي والبيهقي عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقي
من وجه اخر عن ابي سعيد الخدري عن قتادة فكانت احسن عينيه وروى
البيهقي من حديث ابي قتادة انه صلى الله عليه وسلم بصق على اثر سهم
في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد بفتح القاف والرا مما على ليلتين
بينها وبين خيبر ويقال لها غزوة الغابة قال ابن سعد كانت في ربيع الاول
سنة ست وفي البخاري بعد حنين بثلاثة ايام وقبل الحديبية فما ضرب
علي ولا قاح وروى النساي والترمذي والحاكم والبيهقي وصححاه
عن عثمان بن حنيف بمهملة مضمومة فنون ان اعمى قال يا رسول الله ادع
الله ان يكشف لي عن بصري اي يزيل عنه ما يحجبه قال اي رسول الله
صلى الله عليه وسلم آمرا له انطلق فتوضا ثم صل ركعتين ثم قل اللهم
اي يا الله حذف حرف الندا وعوض عنه الميم ولا يجتمعان وخص به كما خص
تا القسم وحرف الندا مع لامه وقطع همزته وتفخيمه اني اسالك واتوجه
اليك قاصدا اليك بالدعا بنبيي اضافة تبرك به صلى الله عليه وسلم محمد نبي
الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك ان تكشف عن بصري ما يحجبه
فدعا فابصر وتداوم به صلى الله عليه وسلم لعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل

نبيي

تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وروى
كما عند الواقدي وابي نعيم عن عروة ان ابن ملاعب الاسنة اصابه
استسقا فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم يستشفيه فاخذ صلى الله
عليه وسلم حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله اي رسول
ابن ملاعب الاسنة وهو اول مفعولي اعطى وفاعل الاخذ فاتحد له من
فاعل مفعول فاخذها متعجبا يرى اي يظن ويعتقد ان هي الثقيلة خففت
اكتفا بمرفوعها واسمها ضمير الشان او ضمير ابن ملاعب اي انه قد هزى
به فاتاه اي رسوله بالحثوة وهو على شفا حال من ضمير اتاه اي مشرف على
الموت فشربها فشفاه الله وعافاه مما كان به وذكر العقيلي بضم
المهملة الحافظ عن حبيب بن فديك مصغر فدك كما رواه البيهقي والطبراني
وابن ابي شيبة بلفظ بن فويك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر
بهما شيا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فابصر فرايته
يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة ورمي كلثوم بن الحصين
يوم احد في نحره فبصق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرا لا
ادري من رواه وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم تفل في شجة
عبد الله بن انيس فلم تمد بضم اوله وكسر ثانيه اي لم يصر فيه مدة
اي قيح وروى الشيخان عن سهل بن سعد انه انه تفل في عيني علي وكان
رمدا في صبح يوم خيبر فبرا اي معا فابقال برات من المرض فانا بارى وابراني
الله منه وغير اهل الحجاز يقولون برات بالكسر برا بالضم وروى التجارى
انه نفث في رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف في قتل ابن الاشرف
فبرات ورواه ابن اسحق والواقدي لكن قالا بدل زيد بن معاذ بن الحارث
بن اوس ورواه البيهقي من حديث جابر وذكر بدله عباد بن بشر وروى
ابو القاسم البغوي في معجمه انه نفث على ساق علي بن الحكم يوم الخندق
اذ اي حين انكسرت فبرا مكانه وما نزل عن فرسه اذ جاءه ليستشفيه
وروى البيهقي اشتكى علي بن ابي طالب اي مرض فجعل اي شرع او قصد
يدعو الله ان يعافيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه مجزوم بحذف
حرف العلة للطلب وعافه من مرضه كذلك شك من رواية ثم ضربه برجله فما
اشتكى ذلك الوجع بعد بني على الضم لقطعه عن المضاف اليه اعني دعائه له
او ضربه برجله او هما وقطع ابو جهل يوم بدر يد بن معوذ بوا ومشددة
مكسورة وقد تفتح بن عفرا بمهملة ففا والمعروف ان الذي قطعها ابنه عكرمة
اذ ضرب اباه وحكاه ابن سيد الناس عن المصنف فبصق صلى الله عليه وسلم

بَدَو

عليها ولصقها فالتصقت باذن الله ببركة مباشرته ذلك رواه ابن ابي
ذيب ومن رواية ايضا والبيهقي عن ابن اسحق ان حبيب بمهملة وباء
بينهما مثناة تحتية ابن يساف ويقال اساف بكسر الهمزة اصيب يوم بدر
بضربة على عاتقه حتى مال شقه بانفصاله عنه بحد السيف فرده صلى الله عليه
وسلم بالمال له الى محله ونفث عليه حتى صح والتام غاية لنفثه عليه
وروى ابن ابي شيبة عن ام جندب انه صلى الله عليه وسلم اتته امراة من
خثعم معها صبي به بلا لا يتكلم فاتي بما فمضمض فاه وغسل يديه
صلى الله عليه وسلم ثم اعطاه اياه اي الما وامرها ان تسقيه ومسه
به اي مس صلى الله عليه وسلم الصبي بالما فبرا وعقل عقلا يفضل عقول الناس
وروى احمد والبيهقي وابن ابي شيبة عن ابن عباس جات امراة بابن لها به
جنون صلى الله عليه وسلم صدره فثع ثعة بمثلثة فمهملة مشددة اي قا فمسح
مرة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود مثلث الجيم من صغار الكلاب
والسباع فشفي اي برى من جنونه وروى النساي والطيالسي والبيهقي
انه كانت بهمزة مفتوحة قبل التا القدر على ذراع محمد بن حاطب بن
الحارث بن معمر القرشي من بني جمح ولد بالحبشة فهو اول من سمي في الاسلام
محمدا وهو طفل حال من محمد اي حال طفوليته فمسح اي النبي صلى الله عليه
وسلم عليه ودعا له وتفل فيه فبرا لحينه وروى الطبراني والبيهقي كانت
في كف شرحبيل الجعفي سلعة بمهملة مكسورة فلام ساكنة كالغدة زيادة سلعه
تحدث بين الجلد واللحم وقد تنتهي الى البطيخ اذا غمزت باليد تحركت
تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه
وسلم فما زال صلى الله عليه وسلم يطحنها بكفه حتى رفعها اي ازالها من كفه
ولم يبق لها اثر وروى الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم سالته
جارية طعاما وهو ياكل حال من ضمير سالته اي تلا فناولها من بين يديه
وكانت قليلة الحيا بحيث كان يعقلها فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها
ما في فيه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحيا ما اي شي عظيم منه لم
تكن امراة في المدينة اشد منها حيا ببركته ويمن طلعته صلى الله عليه وسلم
فصل في اجابة دعائه لقوم وعلى اخرين وهذا باب واسع جدا بجيم مكسورة منصوب
على المصدر واجابة دعائه لجماعة دعى لهم وعليهم متواتر في الجملة لا على
التفصيل معلوم ضرورة وقد جا من رواية احمد بن محمد بن حنبل في حديث
حذيفة كان اي النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعى لرجل ادركت الدعوة ولده
وولد ولده وظهر اثرها الذي دعا لهم به فيهم وقد روي هنا سابقا هذا له

حديث

حديث انس من طريق البخاري ورواه ايضا مسلم قالت امي هي ام سليم امراة
ابي طلحة يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده
وبارك له فيما اعطيته اي اعطيته فاتي مالا كثيرا وولدا مات له في طاعون الجارف
سبعون ولدا من صلبه غير اولاد اولاده ومن رواية عكرمة قال انس والله
ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون اي ليعد بعضهم بعضا
واللام للقسم بان تاكيدا وتحقيقا لما بعده على نحو المائة وفي رواية لا ادري
من رواها وما اعلم احدا اصاب من رخا العيش ما اصبت ولقد جواب
قسم محذوف وكثيرا ما تدخله قد لان الجملة القسمية لا تسا[ق] الا لان
تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة بمعنى التوقع
الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم دفنت بيدي
هاتين مائة من ولدي لا اقول سقطا مثلث المهملة وهو ما يلقيه امه
قبل اوان ولادته ولا ولد ولد ومنه اي ومن دعائه المجاب فيما رواه
البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال اي عبد الرحمن فلو
رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه مما ان كاد
يفوت الحصر حتى كسر الذهب الذي خلفه بعده بالفوس بهمزة مضمومة فغير
الفا جمع فاس يسهلون همزته وقد تخفف حتى مجلت بفتح الجيم وكسرها
اي تنفطت من اثر العمل واخذ من كل زوجة من زوجاته ثمانين الفا
وكن اربعا فجملته ثلاثمائة وعشرون وقيل اخذت كل واحدة منهن
مائة الف فجملته اربعمائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها
في مرضه على نيف بالتشديد وقد تخفف اي زيادة على ثمانين الفا
واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية اي الكثيرة المشهورة
وعوارفه العظيمة جمع عارفة بمعنى معروف واعتق يوما ثلاثين
عبدا وتصدق مرة بعير بكسر اوله اي قافلة فيها سبعمائة بعير
وردت عليه تحمل من كل شي من انواع التجارة مختلفة اجناسا وانواعا
فتصدق بها اي بالابعرة السبعمائة وبما عليها من انواع البضايع المختلفة
وباقتابها جمع قتب وهو للبعير كالاكاف لغيره وفي حديث عائشة لا تمنع
المراة نفسها من زوجها وان كانت على ظهر قتب حثا لهن على مطاوعة
ازواجهن وقيل كن نسا العرب اذا اردن الولادة جلسن على قتب ويقلن
انه اسهل لخروج الولد فاذا لم يسعهن الامتناع وهن على ما ذكر فكيف
فما ظنك بغيره واحلاسها جمع حلس وهو كساء على ظهر البعير تحت القتب
ودعا لمعاوية بن ابي سفيان بن حرب بالتمكين في البلاد فنال الخلافة

رواه ابن سعد بلفظ اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب
وروى الترمذي موصولا انه صلى الله عليه وسلم دعا لسعد بن ابي
وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعى على احد الا استجيب له ورواه
البيهقي عن قيس بن ابي حازم مرسلا اللهم استجب له اذا دعا وحسنه
وقد استجيب له دعوات مروية في الصحيح وغيره منها ان رجلا نال
من علي بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارسل فيه ابة فجاء جمل فخبطه
حتى قتله ومنها ما رواه البخاري انه دعا على ابي سعدة اللهم اطل عمره
واطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا قد سقط
حاجباه على عينيه يتعرض للجواري يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون
اصابته دعوة سعد وروى الترمذي عن ابن عمر انه اصاب الناس في بعض
مغازيه عطش فسأله عمر ان يدعو ان يسقيهم الله فدعا فجاءت سحابة
فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت اي انقشعت وكف ماؤها فسقوا ثم
شكوا اليه المطر في الجمعة الثانية وهو على المنبر فدعا فصحوا اي انكشف
ما بهم من السحاب وروى البيهقي انه قال لابي قتادة افلح وجهك من
الفلاح وهو البقاء والفوز والظفر اي بقي وفاز وظفر ومنه حي على
الفلاح اي هلموا الى سبب البقاء في الجنة والفوز بها وهو الصلاة في الجماعة
اللهم بارك له اي لابي قتادة في شعره وبشره اي ظاهر جلده حتى يتم ا
حسين فمات وهو ابن سبعين سنة جملة من مبتدا وخبر في موضع الحال
من ضمير مات اي بالغها وكانه ابن خمس عشرة سنة وروى البيهقي
وابن ابي اسامة انه قال للنابغة الجعدي اذ انشد قصيدته الرائية
لا يفضض الله فاك اي لا يسقط الله اسنانك واصله الكسر اي لا يكسر
اسنان فيك فحذف المضاف فما سقطت له سن وعن عمه العباس قال
يا رسول الله اني مدحتك فقال لا يفضض الله فاك فانشد الابيات
السابقة وفي رواية كان احسن الناس ثغرا هو ما تقدم من الاسنان
وفي الحديث كانوا يحبون ان يعلموا الصبي الصلاة اذا اثغر اي اذا سقطت
رواضعه يقال ثغر فهو مثغور فاذا نبتت بعد سقوطها قيل اثغر واثغر
فمنهم من يقلب تاء افتعل ثاء مثلثة ثم يدغمها في المثلثة الاصلية ومنهم
من يقلب الاصلية تاء افتعل تاء مثلثة ثم يدغمها في المثلثة الاصلية مثناة
ثم يدغمها في تاء افتعل اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين
ومائة سنة وقيل اكثر الى ايام ابن الزبير وكان في الجاهلية يصوم ويستغفر
وروى الشيخان انه دعى لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه واريد به صرف اللفظ عن ظاهره الى ما
يحتاج الى دليل لولاه ما صرف عنه فسمي بعد اي بعد دعائه صلى الله عليه
وسلم له الحبر فكان يقال له حبر الامة بفتح حائه وكسرها وترجمان القرآن
بفتح تائه وضمها وبضم جيمه فيهما والترجمان في الاصل من يترجم الكلام
اي ينقله من لغة الى لغة اخرى وانكر على الجوهري جعل تائه زائدة وفي النهاية
انها والنون زائدتان وروى البيهقي عن عمرو بن حريث انه دعى لعبد الله بن
جعفر هو ابن ابي طالب بالبركة في صفقة يمينه اي مبايعته سمي صفقة
لوضع كل من المتبايعين يده في يد الآخر فما اشترى شيئا الا ربح فيه وروى
البيهقي في الدلائل عن ضباعة بنت الزبير انه دعا للمقداد بن الاسود
بالبركة فكانت له غرائر من المال وروى البخاري انه دعى بمثله
لعروة بن ابي الجعد البارقي اي عروة كما رواه احمد فلقد كنت اقف
بالكناسة مكان بالكوفة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا تمييز لما قبله
من العدد وقال البخاري فكان لو اشترى التراب ربح فيه ببركة دعائه
له وروى مثل هذا ايضا ولا ادري من رواه لغرقدة بمعجمة مفتوحة
فراء ساكنة فقاف فمهملة مفتوحتين وندت بنون مفتوحة فمهملة
مشددة اي نفرت فشردت له ناقة اي لغرقدة فجاءها اعصار ريح
عاصف يستدير في الارض ثم يسطع الى السماء كالعمود حتى ردها
عليه وروى مسلم وغيره انه دعى لام ابي هريرة بالهداية فاسلمت بعد
امتناع كبير واسماعه فيه صلى الله عليه وسلم ما يكره وروى ابن ماجة
والبيهقي انه دعا لعلي ان يكفى الحر والقر بضم اوله اي البرد فكان
يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا
تصيبه حر ولا برد هذا وانت الكريم والمنعم انواع البر وروى البيهقي
عن عمران بن حصين انه دعى لفاطمة ابنته ان لا يجيعها قالت اي
فاطمة فما جعت بعد بني على الضم لقطعه عن المضاف اليه اي بعد دعائه
لها وروى ابن اسحق بلا سند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي انه
سأله الطفيل بن عمرو اية فقال اللهم نور له فسطع اي اضاء له نور بين
عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة
فتحول الى سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور
كالحسين بن علي واسيد بن حضير وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو وقتادة
بن النعمان كل سمي به وروى النسائي عن ابن عباس والبيهقي عن ابن مسعود
واصله في الصحيحين انه دعا على مضر قبيلة من بني مضر بن معد بن عدنان

سموا بجدبهم فاقحطوا باحتباس المطر وانقطاعه عنهم حتى استعطفته
قريش غاية لغضبه عليهم اي طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم
فدعا لهم فسقوا مطرا اي خصبت ارضوهم وروى البخاري من طريق
ابن عباس انه دعى على كسرى بكسر الكاف وفتحها واسمه ابرويز بن هرمز
بن انوشروان حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فمزقه كل ممزق فلم
تبق له باقية اي نفس باقية او بقية او بقيا ولا بقيت لفارس رياسة
في اقطار الدنيا اي نواحيها وروى ابو داود والبيهقي انه دعا على
صبي قطع صلاته بمروره بين يديه ان يقطع الله دابره فاقعد ن
يسهل ده ما رواه ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن مهران
قال رايت مقعدا بتبوك يريد ابن مهران يقول مررت بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت والدابر في الاصل
الاخر بسهل ده فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم فلم يبق منهم احد
ثم استعير للنسالة كما هنا لسلبه قوة مشيه هذا وقد ضعف عبد الحق
وابن القطان اسناده وقال الذهبي اظنه موضوعا وعلى تقدير صحته
فلعل ما الذي سوغ الدعا عليه وهو غير مكلف واجب بما لا يشفي وروى
مسلم عن سلمة بن الاكوع انه قال لرجل هو بسر بموحدة مضمومة فمهملة
ساكنة بن راعي العير بمهملة مفتوحة فمثناة تحت ساكنة هو الحمار الوحشي
ومن رواه بمعجمة فقد صحف رآه ياكل بشماله فقال له كل بيمينك فقال
لا استطيع ان اكل بيميني فقال صلى الله عليه وسلم لا استطعت اي ان
تاكل بيمينك فلم يرفعها الى فيه وروى ابن اسحق عن عروة ابن الزبير عن هبار
بن الاسود والحاكم من حديث بن نوفل بن عقرب عن ابيه والبيهقي من
طريق عن عبد الرحمن بن ابي بكر انه دعا لعتبة بن ابي لهب عبد العزى
بن عبد المطلب بن هاشم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
بلا مسافرا وقد جعله اصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نابه من فاقترسه
هذا وزعم بعضهم ان اكيله انما كان هو اخوه عتيبة مصغره واما هو مكبرا
فالمشهور انه اسلم واخوه معتب عام الفتح ولم يهاجرا من مكة وحديثه
صلى الله عليه وسلم المشهور من روايته البخاري ومسلم عن عبد الله بن
مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد
هو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه وقيل هو كالمشيمة
من المراة وقيل في البهايم والاول اشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد مع
الفرث والدم وسماهم اللهم عليك الملا من قريش اللهم عليك بابي جهل

بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال اي ابن
مسعود فلقد رايتهم قتلوا يوم بدر الا اشقاهم عقبة بن معيط
الذي وضع على رقبته السلا فقتله على بعرق الظبية بامر النبي له مقفلهم
من بدر الى المدينة وروى البيهقي من طريق عن عبد الرحمن بن ابي
بكر وعن ابن عمر وعن هند بن خديجة انه دعا على الحكم بن ابي العاصي
بن عبد شمس بن عبد مناف وكان يجلس خلفه صلى الله عليه وسلم
فاذا تكلم يختلج بوجهه ويغمز اي يحرك شفتيه وذقنه حكاية لفعله
ويرمز مشيرا بعينيه او حاجبه اي لاردا لكلامه استهزا او سخرية فراه
فقال كن كذلك فلم يزل يختلج وقيل يرتعد ويضطرب حتى مات وفي
رواية فضربه صرع شهرين ثم افاق مختلجا قد اخذ لحمه وقوته وقيل
مغشيا وروى البيهقي عن قبيصة بن ذويب وابن جرير موصولا عن ابن
عمر وقال الحسن بلغنا انه دعا على محلم بميم مضمومة فمهملة مفتوحة
فلام مشددة مكسورة اخي الصعب بن جثامة بجيم مفتوحة فمثلثة
مشددة ابن ربيعة الكناني فمات لسبع من الايام وفي الروض
الانف مات بحمص في ايام ابن الزبير فلفظته الارض اي قذفته
ورمته على ظهرها ومنه حديث وسعي في كل ارض شيا واهلها ن
تلفظهم ارضوهم ثم ووري بالبنا للمفعول اي غطي بالتراب
فلفظته مرات فالقوه بين صدين واحدهما صد بمهملتين الاولى
منهما مضمومة وتفتح والثانية مشددة ورضموا عليه بالحجارة
بجعل بعضها فوق بعض والصد جانب الوادي وفي القاموس انه
الجبل وروى انه جحد رجل من الصحابة اسمه سوا بن قيس او ابن
الحارث بيع فرس اسمه كما في الصحاح المرتجز وقيل الطرف بكسر
الطا وفتح النجيب وكان اشهب وهي التي شهد فيها خزيمة
له صلى الله عليه وسلم بانه اشتراها منه ورد صلى الله عليه وسلم
الفرس بعد اي جحده وشهادة خزيمة له بها على الرجل وقال اللهم
ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها فاصبحت شاصة برجلها ن
بمعجمة ثم تحتية مثناة مفتوحة اي رافعة من شصا يشصو شصوا
شصوا اي شخص فصل في كراماته جمع كرامة من الاكرام والتكريم
وهي من خوارق العادات وتفارق المعجزة بخلوها عن دعوى النبوة
والتحدي والحاصل ان نوعها مثل وجود الرزق عند مريم بلا سبب
وتساقط الرطب عليها من نخلة يابسة ولبث اصحاب الكهف

كذا

ثلاث مائة سنين وتسعا بلا اكل وشرب وافق ولم يكونوا انبيا اجماعا
واتيان آصف عرش بلقيس من مسافة بعيدة لسليمان قبل ان يرتد
اليه طرفه وانكرها المعتزلة حذرا من التباسها بالمعجزة ورد باشتراط
خلوها عما ذكر وبركاته وانقلابا لاعيان له صلى الله عليه وسلم تكريما
وتعظيما وصلاحية القدرة لذلك فيما لمسه او باشره وقد اورد من
شواهد ذلك هنا حديث البخاري من رواية انس ان اهل المدينة فزعوا
مرة الفزع في الاصل الخوف ثم استعير اسمه للاغاثة والنصر اي استغاثوا
من فزعت اليه فافزعني اي استغثت لديه فاغاثني وافزعته اذا اغثته
واذا خوفته فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان
يقطف به اي يقارب خطوه في سرعة بابي طلحة او به قطاف كما في
رواه عن انس من القطف وهو القطع قطف يقطف قطفا وقطافا
بكسر القاف فيهما وفي الحديث يجتمع القوم على القطف بكسر القاف
وهو العنقود يستبعه وهو اسم لكل ما يقطف وجمعه قطاف
وقطوف واكثر المحدثين يروونه بالفتح وانما هو بالكسر ومنه قول الحجاج
يا اهل العراق يا اهل الشقاق والنفاق اني ارى رؤسا قد اينعت وحان
قطافها وقال غيره اي غير انس بطا بمثناة تحتية مضمومة فموحدة فمهملة
مشددة مفتوحتين فهمزة اي مضيق الخطا وفي الحديث من بطا به
عمله لم يسرع به نسبه اي من اخره عمله السيء لم ينجه شرف نسبه في الاخرة
اذ الفضل انما هو بالعلم والتقوى لا بمجرد شرف النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس ٭ وقد وضع الشرك الحسيب ابا لهب ٭
فلما رجع اي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفزع قال وجدنا فرسك
بحرا اي كثير العدو واسع الجري شبهه بالبحر لاتساع السعة فاستعار
له اسمه استعارة حقيقية مجردة والبحر في العلم اي الكثير منه وكان بعد اي
بعد ركوبه اياه وقوله ذلك لا يجارى وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم
نخس جملا جابر اي طعنه عند دبره بمحجن وكان قد اعيا الواو للحال اي تعب وصار
عاجزا عن السير فنشط بكسر المعجمة ونشاط بعد بفتحها قال في النهاية وكثيرا ما يجي
في الرواية انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها
اذا حللتها وفي حديث السحر فكانما انشط من عقال وحديث عوف بن مالك
رايت كان سببا دلي من السما فانتشط النبي صلى الله عليه وسلم ثم اعيد فانتشط
ابو بكر اي جذب ورفع اليها يقال نشطت الدلو انشطها اذا جذبته اليك ورفعته
حتى كان غاية لنشاطه اي انتهى نشاطه الى ان صار جابر ما يملك زمامه وروي

البيهقي انه صنع ذلك بفرس الجعيل بجيم مضمومة فمهملة مفتوحة فمثناة
تحتية ساكنة الاشجعي خففه بخفقة معه بجيم مكسورة فمعجمة ساكنة
فقاف ففا في مفتوحتين اي بدرة يشبهها ده حديث عمر قصر لهما
بمخففة اي بدرته ويكون بمعنى عدم النجح يشبهها ده حديث ايما
سرية غزت فاخفقتا اي لم تغنم شيا كان لها اجرها مرتين
وبمعنى الضعف والذهاب يشبهها ده حديث يخرج الدجال في خفقة
من الدين وادبار من العلم اي حال ضعف الدين وذهاب اهل العلم وبمعنى
الصوت يشبهها ده حديث الميت وانه ليسمع خفق نعالهم حين يولون
عنه اي صوته وبمعنى السقوط يشبهها ده كانوا ينتظرون العشا حتى
تخفق رؤسهم اي ينامون فتسقط اذقانهم على صدورهم وهم
قعود وبرك عليه اي دعا لها بالبركة فلم يملك راسها نشاطا مفعول
من اجله وباع من نسله باثني عشر الفا تسر مرتب لما لم يقدم من خفقة وبرك
وروى ابن سعد من حديث اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة انه ركب حمارا
قطوفا من القطف وهو القطع اي قريب الخطا في سرعة كما مر قريبا
لسعد بن عبادة فرده هملاجا اي سريع المشي شبه الهرولة فارسي
معرب ويسمى الان يهوانا لا يساير بالبنا للمفعول لانسايره ذا به
الا سبقها وروى البيهقي كانت شعرات من شعره في قلنسوة خالد بن
الوليد بفتح القاف وضمها فان فتحت فضم السين وان ضمت فاكسرها
واقلب الواو يا فلم يشهد بها اي بالقلنسوة فيها الشعرات او بالشعرات
قتالا الا رزق النصر ببركة اثارة صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح من رواية
مسلم وابي داود والنسائي وابن ماجة عن اسما بنت ابي بكر انها اخرجت
جبة طيالسة بالاضافة كما في شرح مسلم للنووي جمع طيلسان ن
والمشهور فتح لامه وتثلث قالت اي اسما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها تيمنا باثاره الكريمة
وروى هنا عن شيخ شيخنا ابي القاسم بن المامون قالت كانت عندنا قصعة
بفتح القاف وفي كلامهم لا تكسر القصعة ولا تفتح الجراب من قصاع
النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الما للمرضى فيستشفون بها د
فيشفيهم الله ببركته صلى الله عليه وسلم وفي الدلائل لابي نعيم ومعرفة
الصحابة لابن السكن اخذ جهجاه الغفاري بجيمين بينهما ها ابن مسعود
او ابن سعيد او ابن قيس المدني روى عنه عطا وسليمان ابنا يسار وشهد
بيعة الرضوان وعن عطا عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما اسلم

لم يتم حلاب شاة الغضب هو عصى النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان الخلفاء
يتداولونه من بعده فأراد عثمان أن يكسره على ركبته فصاح الناس به فأخذته فيها
الآكلة فقطعها ومات قبل الحول قال ابن عبد البر تناول العصى من يد عثمان
وهو يخطب فكسرها فوقعت الآكلة في ركبته وتوفي بعد عثمان بسنة وروى
البيهقي عن أنس أنه سكب من فضل وضوئه في بئر قبا بالضم والمد مكان بقرب
المدينة فما نزفت بعد بفتح النون والزاي أي لم يفن بعد أن سكبه فيها ونزف
من الافعال المتعدية فاذا زيد عليها لزمت يقال انزف البئر اذا ذهب ماؤها
فاذا عدي قيل نزفتها ومثله اخطل الظليم وحفلته الريح وانتسق البعير
اي رفع راسه ولسقه زيد واقشع الغيم وقشعه الريح وانتسل ريش
الطاير ونسلته والوت الناقة بذنبها ولوته واكب زيد واكبه الله وروى
ابو نعيم انه بزق في بئر كانت في دار انس فلم تكن بالمدينة بئر من ابارها اعذب
منها اي اطيب واحلا لا ملوحة فيه يقال عذب واستعذبنا اي شربنا عذبا
واستقينا عذبا طيبا ومر على ماء فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان بموحدة مكسورة
فمثناة تحتية ساكنة فمهملة فالف فنون ضد نعمان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان
وماؤه طيب فطاب حتى لا ملوحة فيه وروى ابن ماجة اتي النبي صلى الله عليه وسلم
بدلو من ماء زمزم ورواه البيهقي عن وايل الحضرمي ولم يقل من ماء زمزم فمج اي القى
من فمه ما فيه فصار اطيب من المسك وروى الطبراني عن ابي هريرة انه اعطى
الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان جملة حالية من الضمير قبلها
اي باكين عطشا تمييز او مفعول لاجله للبكا فسكتا وروى مسلم عن جابر
كان لام مالك عكة بمهملة مضمومة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن
تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها اي النبي صلى الله
عليه وسلم ان لا تعصرها اي امرها بترك عصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة
اي فجاها بغتة ملؤها سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم هو كل ما يؤتدم
به كالعسل والمرق واللحم وفي الحديث سيد ادام الدنيا والاخرة اللحم ولم يجعله
بعض الفقهاء ادما فيما لو حلف لا ياتدم فاكل لحما لم يحنث وليس عندهم اي
الادم فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمهم حتى عصرتها عاقبة
لكفاية بقية ايامهم ومن ذلك اي من كراماته بركة يده الكريمة تمشي وتحصل
فيما لمسه بها وغرسه من شجر وغيره كودي النخل الذي غرسه لسلمان الفارسي
رواه البيهقي عنه حين كاتبه مواليه وكانوا يهودا على ثلثماية ودية بواو مفتوحة
فمهملة مكسورة فتحتية مشددة صغير فسيل النخل يغرسها له كلها تعلق واطعم
على اربعين اوقية من ذهب بضم الهمزة وكسر القاف وتشديد الياء ويجوز حذفها لتشديده

قاية نزفتها

روايه الشيخين عن جابر اشترا ظهرا الدابة وفي مسند احمد انه صلى الله عليه
وسلم اشتراه منهم بكذا درهم وعلى ان يغرس لهم كذا من النخل يعمل فيه
حتى تدرك فغرسها صلى الله عليه وسلم له اي لسلمان بيده الا واحدة غرسها
غيره فاخذت عروقها ونبتت في الارض كلها الا تلك الواحدة فقلعها
وردها صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة فاخذت وروى ابن عبد البر عن
حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة قال سمعت بريدة يقول جاء سلمان
يقول فذكره وان الذي غرسها عمر وروى البخاري في غير صحيحه ان الذي غرسها
سلمان وقد يجمع بينهما بانهما اشتركا في غرسها او كل منهما غرس واحدة فلم تأخذ
فنزعها او بريدة لعمر ولسلمان اخرى فغرسها او غرسها صلى الله عليه
وسلم فاخذت وفي كتاب البزار نسبته الى علي بن زيد الكمال زيتا بالغة نعراد
فاطعم النخل من عامه الا الواحدة التي زرعها غيره صلى الله عليه وسلم
فقلعها وغرسها فاطعمت من عامها وما ذلك الا ببركته صلى الله عليه وسلم يعني
اذ كان بالحجاز اجود من الريح الهابة سريعا واعطاه اي اعطى صلى الله عليه وسلم
سلمان مثل بيضة الدجاجة اي قدرها وزنا او حجما من ذهب بعد ان اداره على
لسانه لعله بذلك برك عليها اي دعى فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده فظن
انه انما اداره عليه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل
ما اعطاهم اي اربعين وما هذا الا ببركته صلى الله عليه وسلم وفي حديث
حنش بمهملة فنون فمعجمة بن عقيل بمهملة مفتوحة الذي رواه قاسم بن ثابت في
الدلايل من طريق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة سقاني رسول الله صلى
الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت اجد
شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت اي لو ان رق بعد
شربها اني اذا ارهقني جوع شبعت او عطش رويت او حرارته وشدته
اطفاها بردها واعطى قتادة بن النعمان كما رواه احمد عن ابي سعيد بسند
صحيح وصلى معه العشا في موضع حال من قتادة في ليلة مظلمة مطيرة متعلق
باعطى عرجونا ورد تابين اعطى ومفعوله الثاني افادنا ما قد علم عرجونا
هو المفعول الثاني بضم العين والجيم وبكسرها مع فتح الجيم وقرى بهما فعلول
من الانعراج اي الانعطاف وهو اصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ
والواو والنون زايدتان وجمعه عراجين وقال انطلق به فانه سيضيء لك من
بين يديك عشرا ومن خلفك لعله عشرة اذرع او نحوها فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه شيطان فانطلق فاضاء له العرجون
بين يديه عشرا ومن خلفه عشرا حتى دخل بيته ووجد السواد وفي توسق

سلمان

عن الإيمان بالبارئ فإنه نفذ ولا تعارض بينهما فلعله تمثل بصورته
فضربه حتى خرج ومنها أي من كراماته مما كان سببا لانقلاب الأعيان
كما رواه البيهقي دفعه لعكاشة بالتشديد والتخفيف جذل حطب بجيم
مكسورة وقد تفتح فمعجمة ساكنة أي أصل شجرة أو عود اتخذ وقد يجعل جذلا وفي
جدرات السفينة ليحتك بها الحكاك تصغير جذل للتعظيم وهو عود
ينصب للإبل الجربى لتحتك به أي أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفي الإبل الجربى
باحتكاكها بالعود وقال له اضرب به من نادى الله ورسوله حين انكسر سيفه
متعلق بدفع يوم بدر أي زمن وقعته فعاد أي صار مجازا عنه إذ لم يكن قط
سيفا حتى يعود في يده سيفا صارما أي قاطعا طويل القامة أبيض شديد
المتن من المتانة وهي الشدة والقوة وهو أصل المتن الذي به قوامه بمنزلة
الظهر للأعضاء فقاتل به في وقعته حتى انقضت ثم لم يزل عنده يشهد به
المواقف كلها إلا الكفرة إلى أن استشهد أي عكاشة في قتال الردة في خلافة
الصديق بغاية لشهوده به المواقف وكان هذا السيف يقال له العون
ومنها ما رواه البيهقي عن سعد بن عبد الرحمن عن أشياخه دفعه لعبد
الله بن جحش يوم أحد أي زمن وقعته وقد ذهب سيفه اعتراض وقع
حالا من عبد الله أفاد تمامه بذهاب سيفه أعزل فأعطاه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عسيب نخل أي جريدة منه مما لا خوص عليه فرجع في
يده سيفا أي صار مجازا عن رجع وفي سيرة ابن سيد الناس أنه أعطى
سلمة بن أسلم يوم بدر قضيبا من عراجين رطاب كان في يده فإذا هو
سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيد ومنها أي مما ناشئ
سيف الكرامة بركته في درور الشاة الحوامل باللبن الكثير قصة شاة
أم معبد من رواية ابن سعد والطبراني عن أبي سعيد الخزاعي أنه صلى الله عليه
وسلم لما هاجر ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط
استأجره دليلا وهو على دين كفار قريش فأخذ بهم طريق الساحل فمروا بقديد
على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تحتبي بفناء بيتها تطعم
وتسقي من مر بها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها لبنا فلم يجدوه فرأى
عنده شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال أتأذنين لي أن أحلبها قالت نعم
فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا بإناء
يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم
حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها فارتحلوا فجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا
عجافا تيسا وكن هزالا فلما رأى اللبن تعجب فقال أنى لك هذا فقالت مر بنا رجل

مبارك الحديث وقصة أعنز معاوية بن ثور جمع قلة لعنز أي شاة رواها ابن
سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله وشاة أنس كلها كانت مثل شاة أم
معبد قد درت ببركته صلى الله عليه وسلم وهذا من أبلغ المعجزات لوجود
اللبن بدون شرطه وهو حوامل وروى أبو يعلى والطبراني وغيرهما بسند
حسن قصة غنم حليمة مرضعته وشارفها أي ناقتها المسنة إذ كانت
حوائل عجافا فلما أصابهم من الجهد من حبس القطر عنهم فدرت باللبن الكثير
وأخصبت هي وقومها بعد أن كانوا مرملين مسنتين عجافا ببركته صلى الله عليه
وسلم وحلوله فيهم رضيعا منها وروى البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود
أيضا فدرت بلبن خالص سائغ للشاربين ولم ينز أي لم يعل للضراب عليها فحل
يغشاها وروى مسلم قصة شاة المقداد أنها درت كذلك بنواحي بركاته
وزوائد كراماته ومن ذلك ما ورد عنه من كراماته وبركته ما رواه ابن سعد عن
سالم بن أبي الجعد مرسلا تزود بعض أصحابه سقاء ماء بعد أن أوكاه ودعا
فيه متعلق بتزود أي زوده إياه بعد ربطه فتزود بدعائه فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فإذا هو لبن أي في حال كونه لبنا خالصا وزبدة
بالإضافة في فمه أي زبد اللبن في فم السقاء وفي نسخة زبدا ووصف بلا إضافة
ومسح رأس عمير بن سعد وبرك أي دعا له بالبركة فمات وهو ابن ثمانين
فما شاب كذا هنا عمير وعليه صح وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن
محمد بن عبد الرحمن بن سعد أنه عبادة لا عمير ولعل ذلك واقعتان وروى
البيهقي والطبراني أنه كان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب
نسائه رائحة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه
وظهره وسلت الدم أي مسحه وأماطه عن وجه عائذ بن عمرو كما رواه
الطبراني عنه وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة أي بعد سلته
في موضعه له غرة أي بياض في وجهه من غير سوء كغرة الفرس وذكر
ابن الكلبي أنه مسح رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة
جملة حالية من الضمير قبل هلاكه نعت قدر حياته التي يرد فيها الإنسان غالبا
إلى أرذل العمر ورأسه أبيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم
وما مرت يده عليه من شعره أسود فكان بسبب ذلك الغرة في
جبهته يدعى الأغر تشبيها لما في وجهه من بياض بغرة الفرس وروى
كما عند البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني من مسحه صلى
الله عليه وسلم رأسه ودعائه له فمات على حالة كحاله فتشبيهه ومسح
على وجه آخر فما زال على وجهه نور لعله خزيمة بن سواء بن الحارث إذ قد روي

ابن سعد عن وحوح السعدي انه صلى الله عليه وسلم مسح وجهه فصارت
له غرة بيضا وروى احمد والبيهقي انه مسح وجه قتادة بن ملحان
بكسر اوله وسكون ثانيه فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه
كما ينظر في المراة فعلا النظر مبنيان لمفعوليهما المجرورين وروى البيهقي
وغيره انه وضع يده على راس بمهملة مكسورة فمعجمة ساكنة فتحتية مفتوحة
وبرك عليه اي دعا له بالبركة فيه انه فكان حنظلة يؤتى بالرجل
اللام فيه وفيما بعده كهي في الذئب في قوله واخاف ان ياكله الذئب
للعهد الذهني اذ قد اريد به الماهية من حيث وجودها في بعض افرادها
مع قرينة البعضية فهو في حكم النكرة في الاثبات اذ لم يرد به رجل معين
قد ورم وجهه والشاة من الضان والمعز قد ورم ضرعها فيضع يده على
الورم من وجهه وضرعها وروى ابن عبد البر في استيعابه انه نضح
في وجه زينب بنت ام سلمة وكانت ربيبته في حجره نضحة اي رشة من
ماء فكان يعرف في وجه امراة من الجمال ما كان بها منه ومسح راس
صبي به عاهة اي افة من قرع او غيره فبرا اي زال ما به من العاهة
واستوى شعره احسن ما كان لا اعرف من رواه الا ان ابا نعيم روى
عن الوازع انه انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن له مجنون فمسح
وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد احد بعد دعوته له اعقل منه واتاه رجل
به ادرة بهمزة مضمومة فمهملة ساكنة فرا اي نفخة في خصيته فامره ان
ينضحها اي يرشها بما من عين مج اي صب من فمه فيها ففعل اي نضحها
فبرا لا اعلم من رواه وعن طاوس ابن كيسان اليماني لم يوت النبي صلى الله عليه
وسلم باحد به مس اي جنون فصكه بمهملة اي ضرب في صدره الا ذهب
المس كذا وقف على طاوس ولا ادري من رواه عنه وروى احمد عن وائل بن حجر
انه مج اي صب من فمه في دلو فيه ما من بير ثم صب فيها ما مجه فيه مع ما
كان فيه ففاح منها ريح المسك اي مثله تشبيها له به لا انه الاصل في الرائحة
وان كان رائحة ما مجه اتم وروى مسلم عن سلمة بن الاكوع انه اخذ قبضة من
تراب يوم حنين فرمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت اي قبحت
الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا بقاف مفتوحة فمعجمة مقصور جمع
قذاة اي يمسحون ما دخل اعينهم من التراب اذ القذا ما وقع في العين والماء
والشراب من تراب وتبن او وسخ او غير ذلك وفي الحديث يبصر احدكم القذاة
في عين اخيه ويعمى عن الجذع في عينه مثل يضرب لمن يرى الصغير من عيوب
الناس فيعيرهم به وفيه من العيوب ما نسبته اليه كنسبة الجذع الى القذاة

حنظلة بن حذيم

ضمن حم

قد ورم ضرعها ن

عن اعينهم اي يميطونه عنها وروى الشيخان انه شكى اليه ابو هريرة النسيان
اي نسيانه ما يسمعه منه صلى الله عليه وسلم فامره ان يبسط ثوبه
ويغرف بيده فيه تشبيها بمن اخذ شيئا والقاه في ثوبه ثم امره ان يضمه الى
صدره ففعل فما نسي شيئا بعد ذلك وروى الشيخان انه ضرب في صدر
جرير بن عبد الله البجلي ممن تاخر اسلامه ودعا له وكان ذكر له صلى الله عليه وسلم
انه كان لا يثبت على الخيل فصار من افرس فرسان العرب واثبتهم على الخيل روى
الزبير بن بكار عن ابرهيم بن محمد بن عبد العزيز الزبيري عن ابيه انه مسح راس عبد
الرحمن بن زيد بن الخطاب بن اخي عمر بن الخطاب وهو صغير جملة حالية من
زيد افادت بيان وقت المسح اي حال الصغر وكان دميما بدال مهملة اي هزيلا
قصيرا ودعا له بالبركة ففرع بفا فرا مفتوحتين فمهملة الرجال طولا وتماما مميزان
لنسبة فرع حولا عن فاعلها اي علاهم طوله وفوقهم تمامه وفي الحديث كانت
ام المومنين سودة تفرع النسا طولا فصل ومن ذلك اي من كراماته ما اطلع
عليه من الغيوب بني الفعل لمفعوله تلويحا بان فاعله كانه مذكور صريحا اذ لا يطلع
على غيب سواه تعالى وهو كلما غاب عن العيون سواكان محصلا في القلوب اولا
والمراد به هنا ما لم يكن محصلا في قلبه صلى الله عليه وسلم من كائن لم يزل ومستقبل
وما يكون من عطف الخاص على العام من حيث حمله على موجود وغيره والاحاديث
في هذا الباب اي باب كراماته بحر لا يدرك قعره تشبيه ذكر بعده وجه الشبه
لكثرتها وانتشارها حتى كانها لا تحصى كما لا يدرك قرار لعمقه ولا ينزف غمره اي
ماوه الكثير اي لا يفرغ ولا يفنى لكثرته وهذه المعجزة اي ما اطلع عليه من
الغيب من جملة معجزاته المعلومة على القطع عندنا واعظمها القران فكان لها
لقبول الاذهان لها وجزمها بحقيتها متسنمة ذروة سنام قطعها بها الواصل صح
الينا خبرها مستعليا على التواتر المعتبر في العلم لكثرة رواتها واتفاق معانيها
على الاطلاع على الغيب وقد اسند هنا من ذلك حديث ابي داود عن حذيفة وانما
عينه رواه مع رواية الشيخين له لما في روايته له من طريق اخر من الزيادة قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي قام بيننا فالظرفية مجازية لتشبيهها بالبينية
الملابسة الفعل لها مقاما اسم مكان او مصدر ميمي وقع مفعولا مطلقا ما ترك شيئا
يكون اي يحدث في الوجود في مقامه ذلك من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال
العناية بذكره من حيث ذكر المغيبات فيه متعلقا بترك ظرفا له اي لم يدع ممكنا يوجد
من العدم الى قيام الساعة الا حدث به انه سيوجد حفظه من حفظه ثم من
سمعه منه ونسيه من نسيه منهم قد علمه اصحابي هولا اي لم يروا هذه الزيادة
النجاشي وفي ابي داود قد علمه اصحابه صلى الله عليه وسلم وانه ليكون منه الشي ليحدث ما

صلى الله عليه وسلم الشيء قد نسيته فاراه موجودا في الاعيان فاذكره اي اتذكره
بعد ان نسيته فاعرف انه مما اخبرنا به كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه
ليس ظ فالتذكر لشبهه ده قوله قد نسيته فاراه فاذكره مع تشبيهه به اي كما اذا غاب
وجه الرجل عن الرجل فنسيه ثم اذا رآه عرفه بعد نسيانه اياه فاحترز طرف الغيبة ه
اهتماما بتقديم التشبيه بالتذكر لانه المقصود الى هنا رواية الشيخين زاد ابو داود
بسند آخر من طريق قبيصة بن ذويب عن ابيه عن حذيفة وان كان صنيعه هنا يقتضي
اتصاله به ثم قال اي حذيفة والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد
بالقاف ومن زايد اي امير فتنة يضر بها الناس محاربة ظلما وجورا وعسفا
وغشما او يحدث بدعة كما هو مبتدع يدعو الى البدع ويفتيهم بجوازها عنادا
وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة
ضلالة وكل ضلالة في النار اي فكل محدث في الدين لا مستند له شرعي
يعضده اذ الحق انما هو فيما ورد به الشرع وماذا بعد الحق الا الضلال وهذا
الحديث من جوامع الكلم التي لا يشذ عنها شيء فكل من احدث شيئا لا عاضد
له شرعي فهو ضلالة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه اي مع قائد الفتنة معه
ثلاثمائة فصاعدا صفة القايد فاكثر الا قد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
باسمه واسم ابيه وقبيلته التي هو منها وروى احمد والطبراني بسند صحيح
وابو يعلى وابن منيع عن ابي الدرداء قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما لم يكن عندنا
افادنا اياه تلويحا بانه صلى الله عليه وسلم لم يزل ناصحا لامته مبالغا في
تكميل نفوسهم بانواع الكمالات علمية وعملية وقد خرج اهل الصحيح
اي من روى الاحاديث المتصفة بالصحة كالبخاري ومسلم وابني
حبان وخزيمة والحاكم والائمة الاعلام كالشافعي ومالك واحمد ما اعلم
مفعول خرج به اصحابه مما وعدهم به بيان للمفعول اعني ما اعلم به من الظهور
على اعدائه وفتح مكة بيان لما وعدهم به كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق
وبيت المقدس رواه البخاري عن عوف بن مالك واليمن والشام والعراق
رواه الشيخان عن سفيان بن ابي زهير وظهور الامن حتى تظعن المراة
من الحيرة بمهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة مدينة قرب الكوفة ولم
حرم اخرى قرب نيسابور الى مكة لا تخاف الا الله رواه البخاري عن عدي
بن حاتم وان المدينة الشريفة ستغزى بمعجمة من الغزو وفي رواية بمهملة
من العري اي تصير عرا وليس فيها احد رواه الشيخان عن ابي هريرة بلفظ
يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافي وهذا لم تقع بعد

كما اختاره النووي وغيره وانما يقع قرب الساعة وان اقتضى صنيعه هنا
ونصرحه في شرح مسلم انه وتحقيق ذكره فيما اخبر صلى الله عليه وسلم
بوقوعه فوقع كما اخبر وبفتح خيبر على يد علي في غد يومه الذي كان فيه ارمد
رواه الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله
او يحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعى عليا وكان ارمد فبصق في عينيه
فبرا وفتح الله على يديه وبما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتونه من زهرتها
رواه الشيخان من طرق وقسمتهم كنوز كسرى بفتح الكاف وبعد ملك
فارس وكنوز قيصر ملك الروم رواه الشيخان من طرق عن ابي هريرة وغيره
وما يحدث بينهم اي بين امته من الفتن والاختلاف والاهواء رواه
الشيخان من طرق وسلوك سبل من قبلهم رواه الشيخان عن ابي سعيد
بلفظ لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وسنن
بمهملة ونون مفتوحتين اي طريقتهم فيما احدثوه بعد انبيائهم من تحريف
وتبديل وبدع واهواء مضلة وشبرا بشبر وذراعا بذراع تمثيل لشدة
موافقتهم لهم لا في تحريف وكفر وافتراقهم اي امته صلى الله عليه وسلم
على ثلاث وسبعين فرقة رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم عن ابي
هريرة واصولهم ثمانية معتزلة لاعتزالهم الى رئيسهم واصل بن عطاء الغزال
مجلس الحسن البصري يقرر لهم ان مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر ويثبت المنزلة له
بين المنزلتين فقال الحسن قد اعتزلنا واصل ولقبوا بالقدرية لانكارهم القدر
واسنادهم افعال العباد الى قدرتهم وقالوا من اثبت القدر فاولى ان يسمى به ورده قوله
صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة اي لمشابهتهم المجوس في اثبات
خالقين وقوله فيهم انهم خصماء الله في القدر كما ورد انه ينادي يوم القيامة الا
ليقم خصماء الله فيقوم القدرية واتفقوا على نفي صفاته تعالى ورؤيته في الآخرة
بالابصار وعلى خلق القرآن وبان الحسن والقبح عقليان وبوجوب رعاية الاصلح
عليه تعالى لعباده واثابة المطيع والتائب وتعذيب فاعل الكبيرة ومن ثم لقبوا
انفسهم باهل العدل والتوحيد ثم افترقوا بعد اتفاقهم على ذلك عشرين فرقة
يكفر بعضهم بعضا وشيعة شايعوا عليا وقالوا انه الامام الحق بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اثنان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا وخوارج خرجوا
على علي سبع فرق ومرجئة لارجائهم العمل عن النية والاعتقاد رتبة ولقولهم
لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة خمس فرق ونجارية اصحاب
محمد بن حسين النجار واتفقوا في ان خلق الافعال لله وان الاستطاعة مع الفعل وان

العبد بكسب فعله ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات والرؤية في الآخرة وحدوث
القرآن ثلاث فرق وجبرية محضة خالصة تسند فعل العبد الى الله لعدم اختيار
العبد اذ لا قدرة له مؤثرة ولا كاسبة بل هو كالجماد فيما يوجد منه كالقلم بيد الكاتب
فرقة واحدة ومشبهة يشبهون الله بمخلوقاته ويقولون بالحادثات فرقة واحدة
واختلفوا في طريقتهم فمنهم مشبهة غلاة الشيعة ومشبهة الحشوية ومشبهة
الكرامية والناجية منها اي من تلك الفرق واحدة قال فيهم صلى الله عليه
وسلم هم الذين على ما انا عليه واصحابي اي ومن بعدهم من اهل السنة والجماعة
فقهاء ومحدثون واشاعرة وماتريدية تحلوا مذاهبهم من بدع من ذكر
وروى الشيخان عن جابر انه الضمير للشان بنفسه ستكون لكم اي لامته
انماط بصيغة مفتوحة فنون ساكنة وآخره طاء مهملة نوع من البسط له خمل
رقيق يغشى بها الفرش والهوادج واحدها نمط ويغدو احدهم كما رواه الترمذي
عن علي في حلة اي ثوبان من جنس واحد ويروح اي يرجع في اخرى ويوضع
بين يديه صحفة اناء كالقصعة المبسوطة ونحوها وجمعها صحاف وفي الحديث
لا تسأل المرأة طلاق اختها لتستفرغ ما في صحفتها مثل يضرب لمن تريد من
النساء الاستيثار على امرأة بحظها من زوجها فتكون كمن افرغ ما في صحفة غيره وتوقع م
في صحفة نفسه ويرفع بين يديه صحفة ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا
مخاطبا لاصحابه رضي الله عنهم وانتم اليوم خير منكم يومئذ ردا لقولهم نحن
يومئذ خير منا اليوم اي ليس الامر كما تظنون بل انتم اليوم خير لان الفقير
الذي هو كفاف خير من غني يلهي عن العبادة وروى الترمذي عن ابن عمر امتي
اذا مشوا المطيطا بميم مضمومة ومهملتين بينهما تحتية ثم مد وتقصر
بمعنى التمطي اي التبختر مع مد اليدين والخطا وفي التنزيل ثم ذهب الى اهله
يتمطى اي يتبختر امن المط وهو المد اذ المتبختر يمد يديه وخطاه وهي من
المصغرات التي لم تستعمل مكبرة كمريطا وكعيب وكميت وخدمتهم بنات
فارس والروم رد الله باسهم اي شدتهم عدا ولغيرهم بينهم وسلط شرارهم
على خيارهم تشهد الفجر بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم غنموا اموالهم
وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى
علي اشقاها فقتله وقتالهم الترك كما رواه الشيخان بلفظ لا تقوم الساعة
حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين
حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة والخزر بمعجمة
مضمومة ثم ساكنة طائفة من الترك جمع اخزر والخزر محركا ضيق العين
وصغرها وفي حديث حذيفة كاني بهم خنس الانوف خزر العيون والروم

طائفة معروفة لا ادري من روى حديثا لطائفتين وذهاب كسرى بفتح
اوله وكسره اي ذهاب ملكه بذهابه وقومه فارس من ارض العراق
وغيرها ولا كسرى بعده وذهاب قيصر ملك الروم من الشام وغيره
حتى لا قيصر بعده رواه الشيخان بدون فارس وذكر الحارث عن ابن محيريز
مرفوعا فارس نطحة او نطحتين ثم لا فارس بعدها ابدا والروم ذات
القرون كلما هلك قرن خلفه قرن الى آخر الدهر وقد وقع ما اخبر صلى الله عليه
وسلم به من زوال ملكيهما من اقليميهما لكسرى مزق ملكه كل ممزق ولم يبق منه طا رفة
عين بدعوته صلى الله عليه وسلم ان يمزقوا كل ممزق وقيصر اعني هرقل قد
انهزم من الشام في خلافة عمر الى اقصى بلاده وفتح المسلمون بلادهما فلله
الحمد وروى البخاري عن مرداس الاسلمي انه صلى الله عليه وسلم اعلم اصحابه
بذهاب الامثل فالامثل اي الاشرف فالاشرف من الناس المعهودة
بترتيب التفاضل فيبقى الامثل فالاول ثم الثاني وهكذا حتى يبقى حثالة
لا يباليهم الله بالة وتقارب الزمان من حديث الترمذي لا تقوم الساعة
حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم
واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار اي تقارب من القرب اريد به
آخره واقتراب الساعة يشهد له رواية اذا اقترب الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن
تكذب لان الشيء اذا قل وتقاصر تقاربت اطرافه ومن ثم قيل للقصير
متقارب ومتارف او اريد به زمن عيسى فانه لكثرة الخير فيه يستقصر
لاستلذاذه بمسرات ورخاء ميعا العافية فيتقارب الطرف فلا يستطال
او لقلة بركة الزمان بذهاب خيره وفي يده او اريد تسارع انقراض القرون
فيتقارب زمانهم وتتدانى ازمانهم ولكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم
من نوائبه وفظائعه وتوارد لوايعه وتوله قلوبهم فتبقى مدهشة فلا يدرون
كيف تنقضي ايامهم ولياليهم وهذا عكس ما يقال قصر الايام والليالي
بالمسرات واللذات كما مر وطولها بالشدائد المتعاب وكلاهما صحيح اذ ما
ذهب اليه هنا في العصر فراجع الى ما يدهمهم من شدائده وصوارمه وقبض
العلم بقبض العلماء يشهد له حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه
من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء الحديث وظهور الفتن والهرج من
حديث الشيخين عن ابي هريرة يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن
ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ويل للعرب من شر قد اقترب من حديث الشيخين عن ام المؤمنين
زينب وويل كلمة تفجع وتعجب مما يعتريهم من حزن ومشقة وهلاك بانا رفعهم

بين المسلمين فتنا كقطع الليل المظلم المتمسك فيها بدينه كالقابض على الجمر
كفتنة عثمان وفتنة علي مع معاوية وانه صلى الله عليه وسلم زويت له الارض
فراى مشارقها ومغاربها من حديث مسلم عن ثوبان ان الله زوى لي الارض فرايت
مشارقها ومغاربها اي جمعت لي بتقريب بعيدها حتى اطلعت عليه كاطلاعي
على قريبها وسيبلغ ملك امته ما زوي له منها من تتمة حديث مسلم عن
ثوبان وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها قبل وليست من في منها تبعيضية
بل تفصيلية لما اجمل اي زويت لي جملة الارض مرة واحدة فرايت مشارقها
ومغاربها وستفتح امتي جزءا فجزءا حتى تملك جميع اجزائها فلذلك امتد في
المشارق والمغارب الى ان انبثت امته في اقطارها ونواحيها ما بين ارض
الهند بدلا وبيان للمشارق والمغارب اقصى المشرق بدلا وبيان لارض الهند
الى بحر طنجة بمهملة مفتوحة فنون ساكنة فجيم بلد بساحل بحر المغرب حيث لا
عمارة وراءه وذلك اي ما زوي له منها وملكته امته ما لم تملكه امة من الامم
ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك فبلغ ملكها اقصى الجهات
الاربع مهابا لتتح قبولا ودبورا جنوبا وشمالا وقوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه مسلم من حديث سعد بن ابي وقاص لا يزال اهل الغرب ظاهرين
على من ناواهم واراد بهم سوءا واتقن بحفظ الله ونصرته لهم وهم على الحق
اي متلبسين به مصاحبين له فكانهم لتمسكهم به وتمكنهم منه معتلون عليه
تشبيها وتمثيلا لحالهم بحال من اعتلا شيئا وركبه حتى تقوم الساعة غاية
لاستمرار ظهورهم على عدوهم مؤيد بن عليه ذهب ابو الحسن علي بن المديني الى
انهم العرب المخصوصون بالسقي بالغرب بمعجمة مفتوحة فراء ساكنة فموحدة
الدلو العظيمة تذكر وتؤنث تشبيها ده ما في حديث الرؤيا فاخذها عمر
فاستحالت في يده غربا اي لما اخذها ليستقي عظمت في يده وانقلبت من الصغر
الى الكبر وهو تمثيل لكثرة ما فتح الله في زمنه من البلاد دون زمن ابي بكر وقيل
هم اهل الشام لانهم غرب الحجاز تشبيها ده رواية وهم بالشام وقيل اراد بالغرب
الحدة والشوكة فهم اهل الجهاد وغيره اي غير ابن المديني ذهب الى انهم اهل
المغرب كذا في الحديث بمعناه لا اعلم من رواه وفي حديث اخر من زوائد عبد الله
بن احمد بن حنبل والطبراني من حديث ابي امامة لا تزال الطائفة من امتي
ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم اي غالبين لهم من قهره اي غلبه حتى ياتيهم امر
الله غاية لظهورهم وقهرهم عدوهم وهم كذلك اي ظاهرين متلبسين بالحق
قاهرين عدوهم قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر صلى الله عليه
وسلم فيما رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي بملك بني امية هم بنو مروان

بن الحكم بن ابي العاصي بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ورواه البيهقي
عن سعيد بن المسيب مرسلا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف
وعن ابي هريرة وفي سنده الزنجي وليس بمعروف ذاتا وحالا وولاية معاوية
بن ابي سفيان الخلافة ووصاه فيما رواه البيهقي عنه بلفظ ما حملني على
الخلافة الا قول النبي صلى الله عليه وسلم لي يا معاوية ان ملكت فاحسن
وضعفه ثم قال غير ان له شواهد منها حديث سعيد بن العاصي ان معاوية
اخذ الاداوة فتبع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا
فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان
تفسدهم ثم يقول ابو الدرداء كلمة سمعها معاوية منه فنفعه الله بها واتخاذ
بني امية مال الله دولا اي اخرجه فيما رواه الترمذي والحاكم عن الحسن
بن علي ورواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ اذا بلغ بنو ابي العاصي اربعين
رجلا اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن ابي
سعيد الخدري اذا بلغوا ثلاثين اتخذوا ذلك وخروج بني العباس بن
عبد المطلب بالرايات السود فيما رواه احمد والبيهقي باسانيد
ضعيفة قال صلى الله عليه وسلم تظهر الرايات السود لبني العباس
يعني ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم وفي اسناده
عبد القدوس وهو ضعيف وفي رواية تخرج الرايات السود من خراسان
لا يردها شيء حتى تنصب بايلياء هي بيت المقدس وفي اسناده رشدين
ابي سعيد وهو ضعيف وخروج المهدي كما رواه احمد والبيهقي
باسانيد ليست بقوية عنه صلى الله عليه وسلم يقتتل عند كنزكم
هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات
السود من خراسان فيقتلونكم لم يروا مثله ثم ذكر شيئا فاذا كان ذلك
فاتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفي اسناده مجهول وفيها رواته
وهو ضعيف وفي رواية ثم تجيء الرايات السود فيقتلونكم قتلا لم يقتله
قوم ثم يجيء خليفة الله المهدي فاذا سمعتم به فاتوه فبايعوه فانه خليفة الله وفي
اخرى اذا اقبلت الرايات السود من عقب خراسان فاتوها ولو حبوا فان
فيها خليفة الله المهدي وفي اخرى يخرج رجل من اهل بيتي عند انقطاع من
الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حثيا في سنده عطية
العوفي وهو ضعيف هذا وما ذكر من الاحاديث هنا فكلها ضعيفة وبعد
تسليم قوتها فهي مشعرة بان من وردت فيه انما يكون في اخر الزمان واما

من تولى منهم فيما مضى فلم يكن منهم احد متصفا بما وردت به بل المشهور
عنهم في التواريخ ضد ذلك ولم يكن من بني امية احد مثل عمر بن عبد العزيز
وبه ختمت ايمة الرشد والهدى **وما بانه اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم**
اي اخرجهم فيما رواه الحاكم من حديث ابي سعيد ان اهل بيتي سيلقون بعدي
من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي **وقتل علي** اي اخرجه فيما رواه
احمد عن عمار بن ياسر والطبراني عن علي وصهيب وجابر بن سمرة **وان اشقاها**
الذي يخضب هذه من هذه اي يصبغ لحيته من راسه بدمها شبهه بالخضاب
وهو صبغ يسود به النساء ايديهن واثبت له الخضب كما مع التغير اي
اشقى الدنيا اهلا من يفعل به ذلك وهو عبد الرحمن بن ملجم قال في المهمات
تبعا للنووي في تهذيبه بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة **وانه**
اي عليا **قسيم النار** بمعنى ان الناس فريقان فريق معه فهم مهتدون
اولياء له وفريق عليه فهم ضالون اعداء له **يدخل اولياءه الجنة** ويكونون
معه فيها **واعداءه النار** لا اعلم من رواه **فكان ممن عاداه الخوارج** وهم
المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة
وصيام قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم
وصومه في جنب صومهم لا يجاوز قراءتهم حناجرهم يمرقون من الدين كما
يمرق السهم وفي رواية يمرق السهم من الرمية **والناصبة** المتدينون
الذين **وطائفة ممن ينتسب اليه من الروافض كمزوج** لنزله في زعمهم
الكاذبة الخلافة لغيره وهي حقه وفي الحقيقة هم الكفرة الفجرة لا هو رضي
الله عنه **و**روى الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم **بقتل عثمان** ورواه الترمذي
عن ابن عمر بلفظ ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل هذا
مظلوما لعثمان وحسنه **و**قال صلى الله عليه وسلم **ان الله عسى ان يلبسه**
قميصا استعار اسم القميص للخلافة لتشبيهها لها به واستعار له تحقيقه
لتشبيهها بالخلع في قوله **يريدون خلعه** فان من نازله ظلما فقد اجتهدوا في عزله
فلم يرض لنهيه صلى الله عليه وسلم عنه بقوله فلا تخلعه فقتلوه في هدايته
بدمه سبعون الفا قتلوا بصفين وغيرها رواه الترمذي عن عائشة بلفظ
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان
ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم وحسنه **وانه** الضمير للشان يفسره ما
بعده من **سيقطر دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله** رواه الحاكم عن
ابن عباس وقال الذهبي انه موضوع **و**روى البيهقي **ان الفتن لا تظهر**
ما دام عمر حيا بلفظ خطبنا خالد بن الوليد فقال ان امير المؤمنين بعثني

الى

الى الشام وهو بهمه فالقى بوانيه بثنية وعسلا اراد ان يوثر به غيري فقال
رجل من بجيلة اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي
فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذي بلى وذي بلى وذكر الرجل هل يجد
ارضا ليس بها مثل الذي يفر منه ولا يجده وفي رواية قال خالد بن الوليد
كتب امير المؤمنين حين القى الشام بوانيه بثنية وعسلا ان سر الى
الهند والهند يومئذ في انفسنا البصرة وانا لذلك كاره فقال رجل يا ابا
سليمان اتق الله فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حي فلا انما يكون
بعده والناس بذي بليان او في ذي بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا
لم ينزل به ما نزل بمكانه من الفتنة والشر فلا يجد اولئك الايام التي ذكر
رسول الله بين يدي الساعة فيعوذ بالله ان تدركني واياكم اولئك الايام **و**في
دلائل النبوة للبيهقي من طرق انه صلى الله عليه وسلم اخبر **بمحاربة الزبير**
لعلي وهو ظالم له وذكره علي به يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته منذ
سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الان والله لا اقاتلك فرجع
يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال ما لك فقال ذكرني
علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتقاتلنه وانت
ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لتقاتله فقال قد
حلفت لا اقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما
اختلف الامر ذهب **واخبر بنباح** بضم نون نباح **كلاب الحوأب على**
بعض ازواجه صلى الله عليه وسلم والحوأب بمهملة وهمزة مفتوحتين بينهما واو
ساكنة موضع من مياه العرب بطريق البصرة نزلته لما توجهت للصلح بين علي
ومعاوية فلم يقدر الاتفاق فكانت وقعة الجمل اخرجه فيما رواه البزار بسند
صحيح عن ابن عباس **انه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت**
اي كلاب الحوأب **على عائشة عند خروجها الى البصرة** فيما رواه احمد وكذا
البيهقي بلفظ لما اتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما اظنني الا
راجعة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ايتكن ينبح عليها كلاب
الحوأب فقال لها الزبير ترجعين لعل الله ان يصلح بك بين الناس **و**اخبر فيما رواه البخاري
ان عمارا هو ابن ياسر **تقتله الفئة الباغية** ولفظ مسلم قال لنا النبي صلى الله عليه
وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية زاد وقاتله في النار وله تكون امتي فرقتين
تخرج من بينهما مارقة تلي قتلها اولاهم بالحق فصح ان الذين قتلهم علي بالنهروان
كانوا اربعة الاف فلم يقتل من المسلمين سوى تسعة **فقتله** اي عمارا **اصحاب**
معاوية بصفين اذ كانوا هم الفئة على تاويل تبعهم دفعا احاديث قتله وحرب

اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق فكان مع علي وقال كما تقدم لعبد الله بن
الزبير ويل للناس منك اي مشقة وهلاك يبوء به الحجاج وعذاب يصلاه من
تابعه في الآخرة بقتله ظلما وويل لك من الناس في الدنيا فلقد حاصره
الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدمه ثم قتله الشامي وقال فيما رواه الشيخان
في قزمان بقاف مضمومة فزاي ساكنة رجل من المنافقين وقد التقى مع المسلمين
جملة حالية ابان شجاعته واقدامه في الجهاد لغير الله تنبيه ذكر قوله صلى
الله عليه وسلم انه من اهل النار فقتل نفسه كما ذكره البخاري في وقعة خيبر
بمعجمة وراء وصوبه المصنف واقره النووي ومسلم في حنين بمهملة ونون والخطيب
تبعا لاصحاب السير في احد روى الطبراني والبيهقي من طرق منها موصول
ومرسل ومنقطع انه قال في جماعة فيهم ابو هريرة وحذيفة وسمرة
بن جندب اخركم موتا في النار اي ما له بحرق لها في الدنيا شهادة مما
في تاريخ ابن عساكر عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز هو داء من البرد وبرد
شديد لا يكاد يدفا منه فامر بقدر عظيمة ملئت ماء واوقد تحتها واتخذ
فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفا فلم يشعر الا ان سقط به فاحترق واما
ان يدخلها واما ان يدخلها في الآخرة ثم يخرج منها تنبيه ذكر صدر البيهقي
عن بعض اهل العلم انه مات في الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحتمل انه يورده النار بقتل زياد وابن زياد بعصبيته خلقا كثيرا ثم نجا منها بايمانه
تنبيه ذكر حدثنا البيهقي عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق
الحديث يحب الاسلام واهله قال عبد الله بن صبيح لابن سيرين لهذا بصحبته
رسول الله صلى الله عليه وسلم نرجو له الغفر تحقيق قول رسول الله فيه الخير
فكان بعضهم اي بعض من قال فيهم اخركم موتا في النار يسال عن بعض
تنبيه ذكر حديث البيهقي عن ابن حكيم الضبي كنا اذا لقينا ابا هريرة سالنا
عن سمرة فاذا اخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا عشرة في بيت فقال رسول
الله اخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا
اراد احد ان يغيظ ابا هريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى عليه فمات ابو
هريرة قبل سمرة فكان سمرة اخرهم موتا تنبيه ذكر حديث البيهقي عن اوس
بن خالد كنت اذا قدمت على ابي محذورة سالني عن سمرة واذا قدمت على
سمرة سالني عن ابي محذورة فسالت ابا محذورة عن سؤالهما اياي فقال
كنت انا وسمرة وابو هريرة في بيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخركم موتا
في النار فمات ابو هريرة ثم ابو محذورة وكان قد هرم وخرف اي اصابه وهن
في بدنه وخلل في عقله فاصطلى فلبث تاوه لظى المجاورة لها الصاد اي ندفا ه

فاحرق فيها وانه استجمر فغفل عنه اهله حتى اخذته النار وروى ابن
اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال صلى الله عليه وسلم في حنظلة بن
ابي عامر الانصاري الغسيل سلوا زوجته عنه فاني رايت الملائكة في
تغسله بعد قتله شهيدا باحد فسالوها فقالت خرج جنبا اعجله الهاتف
عن الغسل ولعل تعجبه صلى الله عليه وسلم من غسلهم اياه كان من اجل
كونه شهيدا اذ الشهيد لا يغسل قال ابو سعيد وجدنا راسه يقطر
ماء وروى احمد والترمذي انه قال الخلافة في قريش وروى البخاري
عن معاوية لن يزال هذا الامر اي الخلافة في قريش ما اقاموا الدين زاد
ولا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه وهما واما لهما من احاديثها
حاكمة باختصاصهم بها لا يعقدها لغيرهم اجماعا منا اهل السنة
ولا نتضرر بمخالفة اهل البدعة وقوله ما اقاموا الدين قيد لما افاده
لن يزال من ثبوت الخلافة فيهم مدة اقامتهم الدين ولا ينافيه اصرفها
الا اذن الله مدة محافظتهم عليه قيل المراد بالدين الصلاة لا هو مع
اصوله وتوابعه لان منهم من غيره وبدله ولم يصرف عنه الامر
قلنا ومنهم من ترك الصلاة منهمكا في الملاهي واللذات وشرب
الخمور والغناء والقينات ولم يصرف عنه هذا ولعل ذلك كان في
الصدر الاول ثم صرف عنهم بعدهم كما هو الان وروى مسلم والبيهقي
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير اي
مهلك من البوار وهو الهلاك قال تعالى وكنتم قوما بورا اي هلكى فراوهما
الحجاج بن يوسف هو كما في حديث اسماء بنت ابي بكر من طريق مسلم وغيره
قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله ان في ثقيف كذابا ومبيرا
اما الكذاب فقد رايناه واما المبير فلا اخالك الا اياه قال النووي
اجمع العلماء على ان المبير هو الحجاج تنبيه ذكر قول هشام بن حسان بلغنا
انه قتل مائة الف وعشرين الفا والمختار بن ابي عبيد هو الكذاب زعم
ان جبريل اتاه بالوحي تنبيه ذكر حديث البيهقي عن رفاعة بن شداد قال
كنت ابطن اي اعرف شي بالمختار فدخلت عليه يوما فقال دخلت وقد
قام جبريل من هذا الكرسي قال فهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه
عمرو بن الحمق الخزاعي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الرجل
رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء الغدر يوم القيامة فكففت عنه وان
مسيلمة يعقره الله اي يهلكه قتلا فقتله وحشي بن حرب في قتال اهل
الردة زمن ابي بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله وان

فاطمة بنته الزهرا اول اهل بيته لحوقا به اي موتا بشهادة حديث الشيخين
عن الزهري عن عروة عن عايشة مكثت فاطمة بعده وفاته صلى الله عليه
وسلم بستة اشهر وانذر بالردة اي اعلم اصحابه وعرفهم بانه سيكون
وخوفهم وحذرهم منها بشهادة حديث الشيخين لا ترجعوا بعدي
كفارا افتيل يضرب بعضكم رقاب بعض فعل الكفار فانهم متعادون
يقتل بعضهم بعضا وانتم متواخون تحقن لبعضكم دم بعض وحرمه
ابو البقا وغيره خرمه وحديث مسلم لا تقوم الساعة حتى تلحق
قبايل من امتي بالمشركين وحتى تعبد قبايل من امتي الاوثان وبان الخلافة
بعده ثلاثون سنة ثم تكون اي خلافته صلى الله عليه وسلم ملكا فلا يتسمى
بها الا من تمسك بسنته وعدل في رعيته والا فلا يتصف بها واحق ان
يدعى ملكا وان جاز ان يدعى خليفة من حيث انه خلف من قبله وقام بغرضه
وامير المومنين لقيامه بامرهم ولا يقال لاحد خليفة الله بعد ادم وداود
فكانت اي الخلافة كذلك اي ثلاثين سنة بمدة الحسن بن علي لان خلافة
ابي بكر سنتين وثلاثة اشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين
وستة اشهر واربعة ايام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة واحد
عشر شهرا وثمانية عشر يوما وخلافة علي اربع سنين وعشرة اشهر
او تسعة وتمامها خلافة الحسن وقول سفينة في حديثه امسك اي
اضبط مدة الخلافة ابو بكر سنتين وعمر عشرا وعثمان اثني عشر وعلي
ستا انما ورد على سبيل التقريب وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر
اي ما بعث به من امور الدين بدا نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة
حق الخلافة انما هو لمن تمسك بسنته على ما مر ثم يكون ملكا عضوضا اي
يصيب الرعية فيه عسف وظلم كانهم يعضون فيه عضا وفي رواية
وستكون بعدي ملكا عضوضا وفي اخرى ثم يكون ملوك عضوض جمع عض
بالكسر اي شرس خبيث ثم يكون عتوا وجبرية بالفتح اي قهرا وتكبرا
ولفظ البيهقي ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكاينا ملكا عضوضا
وكاينا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير
وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله واخبر اي النبي صلى الله عليه
وسلم بشان اويس بن عامر القرني بالفتح بطن من مراد وهو قرن بن ردمان بن
ناجية بن مراد وغلط الجوهري في نسبته الى قرن المنازل كان به بياض فدعا الله
فاذهبه الا قدر دينار او درهم وله ام كان بها بارا لو اقسم على الله لابره وقال
من لقيه فليستغفر له وهذه منقبة عظيمة موذنة باستحباب طلب الدعاء

والاستغفار من اهل الصلاح وان كان الطالب افضل وبانه خير التابعين
ولا ينافيه قول احمد وغيره افضلهم سعيد بن المسيب لان مراده بخيرية
في العلوم الشرعية لا في كونه اكثر ثوابا عند الله واخبر فيما رواه مسلم من
طرق عن ابي ذر بان امرا يوخرون الصلاة عن وقتها بلفظ كيف انت اذا
كنت عليك امرا يوخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تامرني قال صل الصلاة
لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها لك نافلة زاد في رواية اخرى والا
كنت قد احرزت صلاتك والمراد تاخيرها عن وقت الاختيار لا عن وقتها
بشهادة امره صلى الله عليه وسلم باعادتها ان ادركها معهم فيه بعد اداية
اياها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقتها ولا جماعة في مقضية
والقول بان المراد تاخيرها عن وقتها دعوى بلا بينة يرده ما ذكر
من شهود صدق لا تقبل دعوى اخر فيما رواه احمد والطبراني والبزار
انه سيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة لمسيلمة الحنفي
والاسود العنسي بالنون والمختار بن ابي عبيد الثقفي وسجاح
بمهملتين بينهما جيم فالف زعمت انها نبية في زمن مسيلمة وفي حديث
اخر رواه الشيخان عن ابي هريرة ثلاثون دجالا اخرهم الدجال
الكذاب الاعور الذي يقتله عيسى بن مريم ولفظهما ان بين يدي الساعة
ثلاثين دجالا كذابا كلهم يكذب على الله وعلى رسوله وقال اي النبي
صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار والطبراني بسند صحيح يوشك اي
يقرب ويدنو ويسرع ان يكثر فيكم العجم اي ذو الالسنة العجم لا سيما
فارس فقط ياكلون باستيلايهم قهرا فياكم اي ما افاءه الله عليهم من
مال الكفار بغير ايجاف خيل وركاب ويحتمل ان يريد به نفس مال لم يسماه
فيا لحصوله لهم بلا مشقة ويضربون رقابكم فكان كما اخبر صلى الله عليه
وسلم وقد شاهدناه في دولة الترك ومن بعدهم وقال فيما رواه
الشيخان عن ابي هريرة لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان ولفظهما لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان
يسوق الناس بعصاه اي يسوسهم ويسترعيهم مسخرا له كالراعي غنمه
يسوقها بعصاه وقحطان ابو اليمن وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الشيخان خيركم ولفظهما خير امتي قرني ثم الذين يلونهم اي اصحابه
ثم تابعوهم اي تابع تابعيهم اذ القرن اهل كل زمان من الاقران
فكانوا المقدار الذي يتقارب به اعمارهم له واحوالهم ولا يلزم من عموم
رواية خير الناس في تفضيل اصحابه على الانبيا اذ المراد مجموع القرن

جملة لا جميعه افرادا وثم هنا كالفاء مثل الانفصال لا الفصل لتراخي الرتبة زمنا ولا
الي حد مرتفع فيرا الاشتراك في الخيرية فخرج عنه ما بعد الموصوف اعني ما افاده
قوله **ثم ياتي بعد ذلك قوم** وفي رواية ثم ان بعدكم قوما **يشهدون ولا
يستشهدون** اي يبادرون بتادية الشهادة قبل ان تطلب منهم اداؤها
فلا تقبل منهم ولا يعلمها لاذاعة اياها قبل طلبه منهم ولا تعارض بينه
وبين حديث خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل ان يسالها لحمل ذلك على من
بادر باداها وصاحبها عنده علم بها فيشهد قبل ان يطلبها منه وهذا على من
عنده شهادة جهل صاحبها انها عنده فيعلمه بها ليستشهده عند حاجته اليها
ويخونون ولا يؤتمنون اي خيانة ظاهرة بحيث لا يامنهم احد بعدها بخلاف من
خان بحقير مرة واحدة فانه لا يخرج بها عن كونه مؤتمنا في بعض المواطن **وينذرون**
بضم المعجمة وكسرها **ولا يوفون** بنذرهم من اوفى رباعيا وفي رواية يفون
من وفى ثلاثيا حذفت واوه تخفيفا لوقوعها بين فتحة وكسرة واتبعت ه
في الرباعي تخفيفا لوجود الضمة بلها **ويظهر فيهم السمن** اي يفشوا لكثرة
بما لديهم وفيهم من شرف ومال وغيرهما كشاهده حديث يكون في اخر الزمان
قوم يتسمنون اي يتعاطون اسباب السمن من ماكل ومشارب ونحوها
كشاهده حديث يستعملون السمنة وهو دواء يتسمن به قيل المذموم منه
ما يكتسب لا ما هو خلقي ودوائه وخلف قوم يحبون السمانة بفتح المهملة
اي السمن تاباه شاهده قوله صلى الله عليه وسلم لما للحبر الصيفا اليس
في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين
فقال له ما انزل الله على بشر من شيء لعمومه الخلقي والمكتسب **وقال لا ياتي
زمان من الازمنة الا والذي بعده شر منه** جملة وردت صفة لزمان
والاولى عدم توسط الواو بينهما لكن لما شابهت الصفة الحال في نحو
جاء زيد عليه ثوب وجاء وعليه ثوب توسطت لتاكيد لصوقها بموصوفها
كما في وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ولفظ البخاري عن
الزبير بن عدي اتينا انسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا ياتي
زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم فاورده
بلا واو وهو العكس كما مر وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وفي
رواية اشر بزيادة الف وهو افعل وخير وشر اصلان في التفضيل تركا فلا يكاد
ان يستعملان والمتعارف فيه خير وشر **وقال** فيما رواه الشيخان **هلاك
امتي على يدي اغيلمة** تصغير اغلمة جمع غلام ولم يرد جمعه على اغلمة بل على
غلمة ومثله اصيبية تصغير صبية واراد بالاغيلمة الاحداث بتصغيرهم

قال

قال ابو هريرة راويه اي راوي هذا الحديث **لو شئت سميتهم بنو فلان
وبنو فلان** كناية عنهم ليزيد بن معاوية فانه قد عاث في الناس وبعث الى
المدينة الشريفة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة ايام فقتل من خيار اهلها
كثيرا فيهم ثلاثمائة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذراء ولقب مسرفا
لسرفه قتلا وظلما ولبني مروان بن الحكم بن ابي العاصي فلقد صدر منهم
ما لا يرضي الله ورسوله ومن ثم تبرا منهم النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الشيخان قال ان لبني فلان ليسوا لي باولياء ولكن لهم رحم سابلها ببلالها
فالمكنى عنه هو الحكم بن العاصي وبنوه فانهم الذين كنى عنهم بعض رواة هذا
الحديث حذرا منهم اذ كانوا ولاة الامر وتقدم لهم مزيد بيان **واخبر** فيما
رواه الترمذي وابو داود والحاكم **بظهور القدرية** فقال القدرية
مجوس هذه الامة اشارة الى ذمهم وذمهم جعلهم مجوسا لاتصافهم صح ٤
بشنعاء تضاهي مذهبهم مذهب المجوس في قولهم باصلين نور
وظلمة زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من
فعل الظلمة واسموه اهرمن والقدرية زعموا خالقين خالق الخير وهو الله
وخالق الشر وهو الانسان مع ان الله عندنا هو الخالق لا يكون شيء منهما
الا بمشيئته ومما مضى فان الله تعالى خلقا وايجادا والينا عملا واكتسابا
واخبر فيما رواه البيهقي من طرق كلها ضعيفة والبزار بظهور **الرافضة**
بلفظ يكون في امتي قوم في اخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون
الاسلام وفي رواية ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون **واخبر** فيما
رواه ابو القاسم البغوي عن عائشة مرفوعا **بسب هذه الامة اولها**
بلفظ لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وهو على ظاهره اذ قد
صدر من الرافضة وغيرهم ممن لا خلاق لهم في حق اكابر الصحابة وغيرهم
مما يتعاظم في انفسنا ذكره مع تكفيرهم ورميهم لعظمائهم بعجز او
منها حاقت بمن صدرت منه وربما حمل اللعن على طعن الخلف في السلف
وذكرهم لهم بالسوء وعدم اعتدادهم باعمالهم الصالحة فكانه لعنهم
وللترمذي من حديث طويل عن ابي هريرة ولعن اخر هذه الامة اولها فارتقبوا
عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وايات تتابع
كنظام قطع سلكه فتتابع تتابع بياء تحتية بعد الالف حذفت احدى
تائيه تخفيفا والاولى علامة كونه مضارعا من التتابع وهو الوقوع في الشر
من غير تفكر ورؤية ومنه قول الحسن بن علي ان عليا اراد امرا فتتابعت
عليه الامور فلم يجد منزعا والتتابع بموحدة من التتابع في الخير **وعلة الانفصال**

أي أخبر بها فيما رواه البخاري عن ابن عباس خرج علينا النبي صلى الله عليه
وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال أما بعد فإن الناس يكثرون وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام
فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم
ويتجاوز عن مسيئهم فلم يزل أمرهم يتبدد من التبدد وهو التفرق
حتى لم يبق لهم جماعة لأن إيواءهم النبي صلى الله عليه وسلم ونصرتهم له
قد انقضى زمانه فلم يبق يلحقهم فيه لاحق لما لم يسبق سابقهم فكلما مات
منهم أحد لم يخلفه أحد فبذلك كثر غيرهم وقلوا وجرى هذا فيمن
هاجر إليه في زمنه إلى المدينة وأخبر أنهم أي الأنصار سيلقون بعده
أثرة بفتح الهمزة والمثلثة من آثر يؤثر إيثارا إذا أعطى أي تفضيلا
لغيركم عليكم في نصيبه من الفيء والاستيثار والانفراد بالشيء رواه
الشيخان من حديث طويل فيما أفاء الله على رسوله من أموال هوازن بلفظ
إنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض وأخبر فيما رواه
الشيخان من طريق بشأن الخوارج على علي بالنهروان أربعة آلاف فقتلهم
وقتل ممن معه تسعة وصفتهم أي أخبر بها فقال فرقة يحسنون القول
ويسيئون الفعل أو العمل يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء يقرؤون
القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم
لا يرجعون إليه حتى يرتد إلى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن
قتلهم طوبى لمن قتلوه والمخدج أي أخبر بناقص الخلق الذي فيهم بأن
إحدى يديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر وأن سيماهم التحليق
أي علامتهم حلق شعورهم وسهم وترى لم يرد به مخاطبا معينا بل كان من
بنا في توجيه الخطاب إليه كما في ولو ترى إذ وقفوا على النار رعاء الشاء
رؤوس الناس والعراة الحفاة يتباهون في البنيان المراد من رواه بهذا
اللفظ وروى الشيخان معناه ببعض ألفاظه فلمسلم وأن ترى الحفاة
العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ولهما وأن ترى الحفاة العراة
رعاء الشاء يتطاولون في البنيان الصم البكم ملوك الأرض وللبخاري
وإذا كانت الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها وله وإذا تطاول
رعاء الإبل البهم في البنيان أي تفاخروا في طول بناء بيوتهم ورفعتها يقال
تطاول الرجل إذا تكبر أي إذا انقلبت أحوال الناس بتغير الزمان وأن أهل
البوادي ممن لا لباس له ولا نعل من رعاء الإبل والشاء يستوطنون البلاد
ويبنون الدور والقصور دنيا هو نهم وكذا إذا رأيت الصم البكم ملوك

الأرض فذاك من أمارات الساعة والصمم في الأصل لمن خلق لا سمع له
والبكم لمن خلق أخرس لا يتكلم وأريد بهما الرعاع الجهال في أنهم لا ينتفعون
بسمع ولا نطق كبير نفع لعدم هدايتهم وقبولهم الحق من صمم وبكم
النصيحة لا من صمم الأذن وبكم اللسان وأن تلد الأمة ربتها الرب
لغة المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم ولا يطلق على غير الله
إلا مضافا وأريد به هنا السيد يعني أن ولدها من سيدها سيدها حسا
ونسبا وأنثه نظرا إلى كونه نسمة ذكرا كان أو أنثى وهذا وما ذكر سابقا
ولاحقا من أعلام الإخبار بالغيب ودلائل النبوة أدخله لوقوع كثرة السبي
والتسري بعد ظهور النعمة بقوة الإسلام وإعلاء كلمة الحق بأسنة
المؤمنين على من ناوأهم من الكفرة وبإنذاره بأن غاية التراجع والانحطاط
المؤذن بفناء الساعة وأخبر فيما رواه البخاري أن قريشا لا يغزونه
أبدا بعده صلى الله عليه وسلم أي بعد الأحزاب وأحد إذ قد غزوه فيهما
وأنه صلى الله عليه وسلم هو يغزوهم بأصحابه بعد فتح مكة وأكد بأن
واسمية الجملة وضمير الفصل لتحقق وقوعه ونصره عليهم ثم لا يغزون بعده
بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعدها أي لا يكفرون
فيغزون وقوله لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة أي لا تعود دار كفر
تغزى عليه وقيل لا يغزونها كفارا بل إن المسلمين قد غزوها مرات وبرده حرب
تخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة يقلعها حجرا حجرا وأخبر بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس رواه البخاري عن عوف بن مالك قال
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم جالس فيه
صلى الله عليه وسلم مبينا مخاطبا فقال اعدد ستا بين يدي الساعة شبه قربها
بما بين جهتي يدي الإنسان تمثيلا لقربها بها أي ثبت له موتي ثم فتح بيت المقدس
ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة
دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون
بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية كل غاية اثنا عشر
ألفا والموتان بوزن طوفان طاعون يصيب الناس وأصل وقوعه في الماشية
بشهادة قوله كقعاص الغنم بضم القاف داء يأخذها فتموت سريعا يقال عقصه
وأعقصه إذا ضربه فقتله سريعا نبه في الحديث على أن وقوعه في الناس كوقوعه
في الغنم يهلك سريعا وفي الحديث من قتل عقصا فقد استوجب المآب أي
حسن المرجع بعد الموت وكان ذلك في خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس
وبها كان عسكره وهو أول طاعون وقع في الإسلام مات به سبعون ألفا في ثلاثة

بمعجمه

ايام هذا وغاية بفوقية مثناة تحتية اي راية وروي بالموحدة تشبيها لكثرة رماح العسكر
بها وبنو الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه كان اصفر وهو روم بن
عيصو بن اسحق بن ابرهيم وما وعد من سكنى البصرة فيما رواه ابو داود عن
انس انه صلى الله عليه وسلم امره ان يسكن ضواحيها اي نواحيها الظاهرة اذ
ضاحية كل شي ناحيته البارزة ومنه قيل قريش الضواحي اي النازلون بظاهر
مكة ولفظه قال يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها
البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاها وسوقها
وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها قذف وخسف ورجف وقوم
يبيتون ويصبحون قردة وخنازير اي يمسخون عبر عنه بما هو اشنع منه وكلاها
بتشديد اللام والمد شاطي النهر الذي يكلون بها السفن اي يحبسونها
بربطها فيه واخبر فيما رواه الشيخان القوم اي ناس من امته يغزون في
البحر كالملوك على الاسرة بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل
على ام حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يوما
فاطعمته ثم جلست تفلي راسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك
قال ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا
على الاسرة او كالملوك على الاسرة فقالت ادع الله ان يجعلني منهم ثم نام
ثم استيقظ يضحك فقالت مم تضحك فقال كالاول فقالت ادع الله ان
يجعلني منهم فقال انت من الاولين فركبت البحر في زمن معاوية فصرعت
عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت وام حرام بمهملتين ومهملة بينهما الف
من بني عدي بن النجار واخت ام سليم امراة ابي طلحة ام انس بن مالك
ودخوله صلى الله عليه وسلم عليها كان لمحرمية بينهما من جهة ان ام جده عبد
المطلب من بني النجار وملوكا حال من ضمير يركبون اي مراكب الملوك لسعة
حالهم واستقامة امرهم وكثرة عددهم وثبج كل شي بمثلثة فموحدة مفتوحتين
وسطه شبه ثبج البحر بظهر الارض والسفينة بالسرير فجعل جلوسهم عليها
كجلوس الملوك على اسرتهم تلويحا بانهم بذلوا انفسهم وركبوا هذا الامر
العظيم بوفور نشاط وقوة تمكن كالملوك واخبر فيما رواه الشيخان ان الدين
اي الايمان لو كان منوطا بالثريا اي معلقا بها لناله رجال من ابنا فارس هم
المشهورون الان بابنا العجم ولفظها عن ابي هريرة كنا عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هؤلاء
يا رسول الله فوضع يده على سلمان الفارسي ثم قال لو كان الايمان عند الثريا
لناله رجال من هؤلاء وهذا على عطف آخرين على الاميين الذين في عصره

باسم العجم

وفي

وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين ياتون وجمع اسم
الاشارة مع كون المشار اليه واحدا اعني سلمان لارادة الجنس ولو هنا لمجرد
الفرض مبالغة لحرص ذكائهم وقوة فطنتهم وروى مسلم عن جابر هاجت
ريح اي هبت بشدة والنبي صلى الله عليه وسلم في غزاته بتبوك من ارض الشام
فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك اي موت
المنافق الذي ذكره قد ارهقه الى الهاوية وقال فيما رواه الطبراني عن رافع
بن خديج لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار مثل احد تلويح بموته
كافرا لتشبيهه بحديث ضرس الكافر في النار مثل احد قال ابو هريرة فذهب
القوم يعني بقوله ذهب القوم مات وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم
اليمامة ناحية معروفة شرقي الحجاز مدينتها العظمى حجر اليمامة واعلم فيما
رواه ابو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني بالذي غل اي خان فسرق
من الغنيمة قبل القسمة وكل من خان في شي خفية فقد غل سميت غلولا
من جهة ان الايدي فيها مغلولة اي ممنوعة مشر ما كان فيها غلا وهو حديدة تجمع
يدي الاسير الى عنقه ويقال لها جامعة ايضا خرزا من خرز يهود فوجدت
في رحله بعد موته واعلم فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة بالذي غل
الشملة كسا يشتمل به الرجل بلفظ اهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله جاءه سهم عاير فقتله
فقالوا هنيا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي
بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنايم قبل القسمة لتشتعل عليه
نارا وعاير بمهملة ومثناة اي حايد عن قصده لا يدري من رماه من عار الفرس
اذا انفلت ذاهبا على وجهه كلا ردع لهم عن قولهم هنيا له الجنة وزجر لهم
عن قطعهم بانه فيها يشتعل مؤكدا له بالقسم اعتراضا بين اداة الردع وان
واسمها وميزا ستعالها بنارا مبالغة كان نفسها نار واعلم فيما رواه البيهقي
من ضلت ناقته حيث هي اي بالمكان الذي هي فيه حين ضلت واعلم
ايضا كيف تعلقت بالشجرة بخطامها اي زمامها واعلم فيما رواه الشيخان
عن علي بشان كتاب حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة لسهيل بن عمرو وعكرمة
بن ابي جهل وصفوان بن امية من مسلمة الفتح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد توجه اليكم بجيش كالسيل يسير كالسيل واقسم بالله لو صار اليكم وحده
لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم او الى
غيركم فعليكم الحذر واعلم فيما رواه ابن اسحق والبيهقي والطبراني بقصة عمير
بن وهب بن خلف مع صفوان بن امية بن خلف حين سار ضغوان بقتله

صلى الله عليه وسلم على الامر الذي جا قاصدا له والسر الذي كان بينهما
اسلم عمير وفاز بنعيم مقيم في جنة طيبة ومقام كريم واخبر فيما رواه احمد
عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقي عن الزهري وغيره مرسلا بالمال
الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بنت الحارث زوجته حين خرج
مع كفار قريش الى بدر واسر بها بعد ان كتمه اي اخبره بعد كتمانه اياه فقال
ما علمه غيري وغيرها فاسلم بعد ان فدا نفسه فقيل له لم لم تسلم قبل
الفدا ليسوق الله ما افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين مما طمعوا فيه
من مالي واعلم فيما رواه البيهقي عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا انه
سيقتل ابي بن خلف قد تقدم بيانه وانه صلى الله عليه وسلم جرحه باحد
في عنقه فمات بسرف وقال في عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب من كلاب
الله قد مر بيانه وان الصواب انه اخو عتيبة مصغرا وان المكبر اسلم
وصحب ابن عمه محمدا صلى الله عليه وسلم واخبر فيما رواه مسلم عن مصارع اهل
بدر اعلام الكفرة من قريش الذين قتلوا بها هذا مصرع فلان هذا مصرع
فلان فكان كما قال لم يخط منهم واحد وقال فيما رواه الشيخان وغيرهما
من طرق في الحسن بن علي بن ابي طالب ان ابني هذا سيد اي حكيم كريم فهو
وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين هما جماعته وجماعة معاويه
قال الحسن البصري فلما ولي ما اهريق بسببه محجمة دم وقال الهيثم
لما سلم الامر لمعاويه قال له معاويه قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال
اما بعد فان الكيس الكيس التقي وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر
الذي اختلفت فيه انا ومعاويه حق لامرئ كان احق به مني او حق لي تركته
لمعاويه ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع
الى حين ثم استغفر ونزل وفي رواية خطب معاويه ثم قال قم يا حسن
فكلم الناس فتشهد ثم قال ايها الناس ان الله هداكم باولنا وحقن دماءكم
باخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه قل ان ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادري
لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وقال فيما رواه الشيخان لسعد هو ابن ابي
وقاص في مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف عن اصحابي لعلك تخلف حتى
ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون ثم قال اللهم امض لاصحابي هجرتهم
ولا تردهم على اعقابهم لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها
حذرا من ردهم على اعقابهم بموتهم بها واخبر فيما رواه البخاري عن انس بقتل

أهل مؤتة امرا غزوتها فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم
جعفر بن ابي طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة فاصيب ثم خالد بن
الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه وبينهم اي بين النجاشي والمخبر
عنهم مسيرة شهر او ازيد بل اقل من شهر لانها من ارض البلقا اخر
حوران الشام من جهة المدينة الشريفة ومؤتة بالهمز وعدمه واخبر
فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة بموت النجاشي يوم مات سنة سبع
من الهجرة وصلى عليه صلاة الغائب اذ كان امن به وهو في ارضه حاكم
من النجاشي واسمه اصحمة بمهملتين بن ابجر بموحدة وجيم فرا وقد مر
بيان مناقبه واخبر فيما رواه البيهقي فيروز وزير كسرى ملك فارس
اذ قد ورد عليه اي على رسول الله رسولا من كسرى بموت كسرى
ذلك اليوم اي يوم ورد عليه او يوم مات فلما حقق فيروز القصة
اي مما قصه عليه من موته اسلم ففاز فوزا عظيما واخبر ابا ذر فيما
رواه احمد بتطريده من المدينة الى الربذة فكان اخبارهم بتطريده
كما كان كذا ورد لكن في دلائل النبوة للبيهقي ان امراته ام ذر قالت
والله ما سير عثمان ابا ذر الى الربذة ولكن قال له رسول الله اذا بلغ البنا سلعا
فاخرج فلما بلغه وجاوز خرج ابو ذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه
الى الربذة وموته بها واخبر فيما رواه احمد وابن راهويه وابن ابي اسامة
والبيهقي بعيشته وحده وموته وحده فكان كما اخبر ولفظ البيهقي
قالت ام ذر لما حضرت ابا ذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك وانت
تموت بفلاة من الارض وليس عندي ما يسعك كفنا ولا لك قال
فابشري ولا تبكي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من
المسلمين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات في قرية وجماعة فانا
ذلك الرجل فابصري الطريق فبينما انا وهو كذلك اذا انا برجال على
رحالهم كانهم الرخم فالحت بثوبي فاسرعوا حتى دخلوا عليه فقال لهم
كما قال ثم قال انتم تسمعون انه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي او لامراتي
لم اكفن الا فيه اني انشدكم الله ان يكفنني رجل منكم كان اميرا او عريفا او
نقيبا وليس منهم احد الا وقد قارف ما قال الا فتى من الانصار قال
انا اكفنك يا عم في ردائي هذا او ثوبين في عيبتي من غزل امي قال فكفني
فكفنه وفي رواية فنوه واخبر فيما رواه مسلم ان اسرع ازواجه لحوقا به
اطولهن يدا فكانت زينب بنت جحش اسرعهن لحوقا به لطول يدها ان

بالصدقة ولفظه عن ام المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اسرعكن لحوقا بي اطولكن يدا فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا فكانت زينب
اطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتتصدق ورواه الشعبي مرسلا فقال قلن
لرسول الله اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذن يتذارعن ايتهن اطول
يدا فلما توفيت زينب علمن انها كانت اطولهن يدا في الصدقة وللبخاري عن
عائشة اجتمع ازواجه صلى الله عليه وسلم فقلن له اينا اسرع لحوقا بك قال
اطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة تبتدر معه اطولنا ذراعا
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول
يدها كان الصدقة وكانت تحب الصدقة وهو مخالف لحديث مسلم والشعبي
مع منافاة ما افاده قولها كانت اطولنا ذراعا من انه طول حسا ومن ثم قال
البيهقي زينب هي التي كانت اطول يدا بالصدقة واسرع لحوقا به واخبر فيما
رواه البيهقي من طرق بقتل الحسين بن علي بن ابي طالب بالطف بطاء مفتوحة
مشددة مكان بناحية الكوفة واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه ولفظ
حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حسين
فقال جبريل من هذا فقال ابني فقال ستقتله امتك وان شئت اخبرتك
بالارض التي يقتل بها فاشار جبريل بيده الى الطف من العراق فاخذ تربة حمراء الى الطف
فاراه اياها وقال فيما رواه ابن عدي والبيهقي في زيد بن صوحان بمهملتين
الاولى مضمومة وبينهما واو يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده في
الجهاد ولفظ البيهقي عن علي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان
ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان
في اسناده هشيل بن بلال ضعفه البيهقي وقال في الذين كانوا معه على
حراء وقد تحرك بهم كما مر اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد ولفظ
مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان
وعلي وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد
زاد بعضهم سعدا فكان تنبيها على فقتل عمر وعثمان وعلي والزبير وطعن
سعد ولم تنله الشهادة وقال فيما رواه البيهقي لسراقة بن مالك بن
جعشم كيف بك اسم مبهم يستفهم به عن الحال اي كيف حالك اذا
البست سواري كسرى بعد سلبه ملكه واموا له وسلب ديارهم مع فرط
عتوه وشدة شكيمته فعراك من السرور ما قرت به عينك وهز من عطفك
فهو استفهام استخبار وتعجب عن حاله التي يكون عليها وقت لبسهما لان لبسهما
لا ينفك عن حال لم يقع عليها تنبيه ذاته ان كل موجود لا ينفك عن حال عند وجوده

فاذا

فاذا وجدت لزم وجوده متلبسا بحال فكني بوجودها عن وجوده فهو كناية بالملزوم
عن لازمه فلما اتي عمر بهما البسهما اياه اظهارا لصدقه صلى الله عليه وسلم
ولوقوع لباسه اياهما لكان ابلغ وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى بالكسر البسه
والفتح لقب ملك الفرس والبسهما سراقة بدويا من اعراب بني مدلج سكان
بها لتبح من كل ناضح قيصوم وشيح وقال فيما رواه ابو نعيم في الدلائل
عن جرير بن عبد الله والخطيب في تاريخه تبنى اي في زمن ابي جعفر الدوانيقي
ثاني خلفاء بني العباس مدينة بين دجلة بمهملة مكسورة فجيم ساكنة نهر
بالعراق مشهور ودجيل مصغر نهر بالاهواز حفره اردشير بن بابك اول
ملوك بني ساسان بالمداين عليه مدن وقرى كثيرة مخرجه من اصبهان وبين
قطربل بقاف مضمومة فمهملة ساكنة فراء فموحدة مشددة مضمومتين فلام
موضع بالعراق تجبى اي يجمع وتجلب اليها خزائن الارض لانها صارت دار ملك عظيم
اصاب الناس فيه خسف وظلم كانه عظيم بابنيه وقت عظمهم بعسف ن
يخسف بها لان بناها اسس على شفا جرف هار يعني اي النبي صلى الله عليه
وسلم بها بغداد وقد عرفت ان لغاتها قال احمد بن حنبل لم تحدث به اي بحديث
بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبي في ميزانه حديثه
منكر وقال فيما رواه احمد سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو
شر هذه الامة من فرعون لقومه ورواه البيهقي عن سعيد بن المسيب
مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة من امها غلام فسموه الوليد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمون باسماء فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون
في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي
فكان الناس يرون انه الوليد بن عبد الملك لفتنة الناس به اذ خرجوا عليه
لامور انتقضا فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة وقال فيما رواه البخاري
لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة هي الاسلام فكان كما
قال في حرب صفين قال صفوان بن عمرو كان اهل الشام ستين الفا فقتل
منهم عشرون الفا واهل العراق مائة وعشرين الفا فقتل منهم اربعون
الفا وقال لعمر فيما رواه البيهقي وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا
في سهيل بن عمرو وقد قال له عمر يا رسول الله دعني انزع ثنيته فلا
يقوم خطيبا في قومه ابدا فقال له دعها عسى ان يقوم مقاما يسرك
يا عمر فكان ذلك كذلك اي مثل ما قاله صلى الله عليه وسلم فانه قام عند الكعبة
بمكة يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم بنحو خطبته فقال من كان محمد
الهه فان محمدا قد مات وان الله حي لا يموت وخطبة ابي بكر من كان يعبد محمدا

فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وثبتهم وقوي
بصايرهم قال البيهقي ثم لحق في ايام عمر بالشام مرابطا في سبيل الله حتى مات
بها في طاعون عمواس وروى ابن اسحق والبيهقي عن يزيد بن رومان وعبد الله بن
ابي بكر مرسلا ووصله ابن منده في معرفة الصحابة عن بجير بن بجرة الطائي انه
صلى الله عليه وسلم قال لخالد هو ابن الوليد حين وجهه لاكيدر دومة
الجندل بهمزة مضمومة فكاف مفتوحة فياء تحتية ساكنة فدال مكسورة
اختلف في اسلامه ودومة بضم المهملة وقد تفتح موضع بين مكة وبين برك
الغماد والحجاز والشام سميت بدومان بن اسمعيل لانه كان نزلها انك تجده
بصيد البقر يعني بقر الوحش فوجدت هذه الامور كلها منها ما وقع في حياته
ومنها ما وقع بعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم منتهية او مضمومة
الى ما اخبر به جلساه من اسرارهم وبواطنهم بيان لما اي اخبرهم بما اضمروه
فيها كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثتك نفسك انه ليس في القوم خير منك
قال نعم والى ما اطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم كاطلاع الله له على
قولهم في غزوة تبوك وهم سايرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان
يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمه به فقالوا لا والله ما كنا
في شي من امرك وامر اصحابك بل كنا في شي مما نخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على
بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن
وما اطلع عليه من قولهم فيه وفي المؤمنين كقول عبد الله بن ابي
لاصحابه وقد استقبله نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا
كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بسيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله
ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم افترقوا
فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه حتى ان بعضهم ليقول
لصاحبه اسكت فوالله او لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء
كقول ابي سفيان بن حرب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة في
البيت وقد امر بلالا ان يوذن فقال عتاب بن اسيد لقد اكرم الله
اسيدا ان لا يكون سمع هذا فيسمع ما يغيظه فقال الحارث بن هشام اما
والله لو اعلم انه حق لاتبعته فقال ابو سفيان لا اقول شيا لو تكلمت
لاخبرته عني هذه الحصا فلما خرج قال لهم لقد علمت الذي قلتم فقال عتاب
والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك
والحصا كالبطحا حصى صغار وبطحا الوادي حصاه في بطن المسيل ومنه

ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صح

حديث

حديث انه صلى الله عليه وسلم صلى بالابطح اي بطح مكة وهو مسيل واديها
وجمعه بطاح واباطح ومن ثم قيل قريش البطاح لنزولهم اباطح مكة وبطحها
وفي حديث عمر انه اول من بطح المسجد اي القى فيه البطحا وفي حديث عايشة
ليس التحصيب بشي اراد به النوم ساعة بالمحصب عند الخروج من مكة
او النزول به وكان صلى الله عليه وسلم نزله من غير ان يسنه للناس فمن
شا حصب ومن شا فلا والمحصب بين مكة ومنى وهو الى منى اقرب
واعلامه صلى الله عليه وسلم كما في رواية الشيخين عن عايشة
بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم من اليهود وكونه في مشط
ومشاقة وفي رواية ومشاطة وهي ما سقط من شعر الراس او اللحية
عند التسريح بالمشط اي وعا طلع نخلة ذكر وانه اي السحر
فيما ذكر القي في بير ذروان بالمدينة لبني زريق وبالواو قيل انه موضع
بين قديد والجحفة فكان اي السحر في البير قال صلى الله عليه وسلم
ووجد على تلك الصفة من كونه في مشط ومشاقة وجف طلع نخلة ذكر
كما رواه البيهقي عن الزهري باكل الارضة بفتح الهمزة والرا دويبة تاكل
الخشب بشهادة ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته اي
عصا سليمان والارض بسكون الرا فعلها اضيفت اليه تعالى ارضت
الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا اي تعا
ونوا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم اي قرابتهم ممن جمع
بينهم وبينهم نسب واعلامهم اياهم انها اي الارضة ابقت فيها كل
اسم لله وروى ابن ابي الدنيا في سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسما
لله الا لحسته وبقي ما كان فيها من شرك او ظلم او قطيعة رحم فوجدوها اي
الصحيفة كما قال منها اكلت ما فيها ولم تبق الا ما ذكر ووصفه كما مر
لكفار قريش صبيحة ليلة اسري به بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسرا
ونعته اياه اي بيت المقدس لهم على ما مر نعت من عرفه حتى عرفه فعجزوا
منه واعلامهم مصدر مضاف الى مفعوله اي اعلامه اياهم بعيرهم
اي بقافلة ابلهم من عالبا اذا سار التي مر عليها في طريقه راجعا من مسراه
على البراق وانذارهم بوقت وصولها تعد بها جملا اورق كما مر فكان ذلك
كله ووجد كما قال صلى الله عليه وسلم الى اي مع ما اخبر به من الحوادث
التي تكون ولم تات بعد من الغايات المتبنية على الضم المنقطعة عن
الاضافة لفظا لا معنى اي لم تقع عقب زمن اخباره بل بعد ازمان
متباعدة ومنها اي من الحوادث التي تكون ما ظهرت مقدماته كقوله

متن

سرا

صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود وعمران بيت المقدس باستيلاء الكفار يترب
عليه وكثرة عمارا لضمر فيه خراب يثرب اي مدينته الشريفة وخراب
يثرب خروج الملحمة اي ظهور الحرب ماخوذ من اشتباك اصحابها
واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بسداه نصوا استعارة مجرده
لاقترانها بما يلايم المشبه وخروج الملحمة فتح القسطنطينية دار ملك
الروم فكل سابق مما ذكر علامة مستعقبة للاحقه ومن ثم جعله صلى
الله عليه وسلم نفس لاحقه فعبر عنه به لاستعقابه له والى ما اخبر به
من اشراط الساعة لحديث الشيخين ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم
ويكثر الجهل والزنا وشرب الخمر ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون
لخمسين امراة القيم الواحد واشراطها علاماتها جمع شرط بفتحتين وسبب
كثرة النساء وقلة الرجال واخر الزمان تراكم الملاحم والحروب التي
يكثر فيها قتلهم وايات حلولها اي علاماته المؤذن بها لحديث مسلم
لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال
وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وياجوج وماجوج
وثلاث خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة
العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وذكر
الحشر الذي هو كما حكى النووي عن العلما اخر اشراطها في اخر الدنيا
قبل النفخة الاولى نفخة الصعق اي الموت لشبهها ذكره مع حلولها
وقوله صلى الله عليه وسلم ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل
معهم وحديث مسلم اي احيا الى الشام على ثلاث طرايق راغبين راهبين
واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر
بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح
معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا اما حشرهم بعد
بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوبهم الابل والنغا
عليها بل هو على ما ورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده دون
وذكر النشر اي البعث وهو اعادة ما افناه واعدمه وذكر الفجار بما
يسوءهم ويبكي اعينهم جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي والمحارم وفي
الحديث ان التجار يبعثون يوم القيامة فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق
سماهم فجارا لما يصدر منهم في معاملاتهم من الايمان الكاذبة والغش
والربا مما لا يتحاشاه اكثرهم ولا يخشون عاقبته وذكر الجنة والنار
وعرصات القيامة بما ورد فيها من صحاح الاخبار واثار الاخبار مما يسر
وليسو

وليسودا العرصات محركا جمع عرصة وهو كل موضع واسع لا بنا فيه فصل
في عصمة الله له من الناس اي منعه له منهم اذ العصمة المنع والعاصم
المانع الحامي وفي مدح ابي طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثمال اليتامى عصمة للارامل الثمال بكسر المثلثة الملجا والمغيث اي هو
ملجاوهم ومغيثهم وما نعهم من الضياع والحاجة وكفايته مصدر
مضاف الى فاعله اي كفاية الله اياه من عذابه بشبهها ذه فسيكفيكهم
الله قال الله تعالى شاهدا لعصمته منهم والله يعصمك من الناس
وعده له بالحفظ والكلاة اي يمنعك منهم وقال تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا تمثيل لكثرة اسباب الحفظ اي فانك في حفظنا
بحيث نراك ونكلاوك واورد الاعين جمعا مناسبة لضميرها وقال
الله تعالى اليس الله بكاف عبده انكار للنفي مبالغة في اثبات الكفاية له قيل
يخاف محمدا اعداه المشركين انه قالوا له انا نخاف ان تخبلك الهتنا
وتخشى عليك معرتها لعيبك اياها وروي انه صلى الله عليه وسلم بعث
خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها اني احذرك
يا خالد انها شديدة لا يقوم لها شيء فعمد اليها خالد فهشم انفها
فنزل اليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه لفكرتهم
اذ خوفوه بما لا يقدر على نفع او ضر وقيل غير هذا اي غير القول بقصر
العصمة على محمد بل كافه ما في غيره لشبهها ذه قراءة حمزة والكسائي
بكاف عباده اي من كل سوء وبلا وقال انا كفيناك المستهزئين وقال
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الاية قد مر استيفاء بيان معناهما وقد
اسند هنا شاهدا لعصمة الله اياه مع ما ذكر من الاي حديث الترمذي ي
عن عايشة حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس فاخرج
راسه من القبة هي بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب
فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي من مكر اعداي
بي واغنيا لهم اياي وروي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا
اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها من القيلولة وهي الاستراحة نصف
النهار وان يكون معها نوم ومن شعر الهاتف بمكة في حديث الهجرة
جزى الله رب الناس خير جزايه رفيقين قالا خيمتي ام معبد
اي نزلا فيها عند القايلة وقد عدي القيل بلا حرف الجر فاتاه اعرابي
من الاعراب ساكني البادية دون الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة
والعرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس سوا اقام بالبادية والمدن

لا واحد له من لفظه والنسبة اليه عربي فاخترط سيفه اي سله من غمده
ومرجع ضمير اما هو او رسول الله ثم قال من يمنعك فقال اي رسول الله
صلى الله عليه وسلم الله اي يمنعني منك فرعدت مما سمع مبنيا للمفعول كهنت
اي تحركت مضطربة من الخوف يد الاعرابي وسقط السيف من يده
وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه حذف مميز لتذهب النفس كل
مذهب ممكن اي دما او مخو فنزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس
لا ادري من رواه بما فيه من الزيادة وفي الصحيح للبخاري وغيره وان غورث
بن الحارث كما تقدم هو صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم
عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وهو كما قال لسيدهم
واكرمهم عند الله وقد حكي مثل هذه الحكاية وانها جرت له ببدر وقد
انفرد من اصحابه جملة حالية من ضمير له اي جرت منفردا عنهم لقضاء حاجة
فتبعه رجل من المنافقين فمثله اي مثل قوله من يمنعك او مثل ما حكي من انه
اخترط سيفه الى اخره فرده الله خاسئا وقد روي كما في سيرة ابن اسحق الكبرى
موصولا عن جابر بن عبد الله انه وقع له صلى الله عليه وسلم مثلها في غزوة
غطفان بذي امر بفتحتين بموضع من ديارهم معروف خرج صلى الله عليه
وسلم اليه محاربا مع رجل اسمه دعثور بضم المهملة الاولى ابن الحارث
من بني محارب قال ابن سيد الناس في غزوة ذات الرقاع الظاهر ان
الخبرين واحد وينصره قول الذهبي في تجريد الاسماء ان غورث بن الحارث
وانه اسلم اي امن وصدق بما جاء به صلى الله عليه وسلم فلما خرج الى قومه الذين
اغروه به صلى الله عليه وسلم ليفتك به فعصمه الله منه وكان سيدهم
واشجعهم اعتراض ورد مبينا لما اتصف به منهما بين لما وجوابه اعني قالوا
له اين ما كنت تقول وقد امكنك من المكنة يقال هو ذو مكنة اي تمكن من
التسلط ان اي والحال انك قد تمكنت من قتله فقال اني نظرت الى رجل
ابيض طويل وقع في صدري فوقعت لظهري اي عليه لشدة دفعه وسقط
السيف اي من يدي فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزل يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم نكالا واهلاكا
يقال بسط اليه يده اذا بطش به ولسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم
اي منعها ان تمد اليكم وقيل راى المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا الا كانوا اكبوا عليهم هموا
ان يوقعوا بهم فعلا اذا قاموا للصلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل
اتى صلى الله عليه وسلم بني قريظة ومعه الخلفا الاربعة يستقرضهم دية مومنين

ومعه الخلفا

قتلهما عمرو بن امية الغمري خطا ظنه انهما كافرين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس
نطعمك وتعرضك فجلس في صفة فهموا بقتله فعمرو بن جحاش ان يلقي رحى
عظيمة ليطرحها عليهم فامسك الله يده واخبره جبريل فخرجوا وفي رواية
الخطابي ان غورث بن الحارث وفي نسخة غويرث مصغر المحاربي اراد ان
يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم اي يقتله بغتة فافلا فلم يشعر النبي صلى
الله عليه وسلم به الا وهو قائم على راسه منتضيا سيفه اي مخرجا له عن
غمده ليقتله فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب لوجهه اي عليه من زلخة
بزاي مضمومة فلام مشددة مفتوحة زلخها من الله تعالى بين كتفيه وندر
سيفه من يده والزلخة وجع الظهر يقال رمى الله فلانا بالزلخة اي
بوجع لا يتحرك من شدته ويروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق قال الجوهري
الزلخ المزلة تزل منها الاقدام والزلخة مثال القبرة الزحلوقة التي تتزلج
منها الصبيان وذكر انه اي ذكر الخطابي ان في غورث بن الحارث نزلت كما
مر انه يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية ان يبسطوا
اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم الى والله يعصمك من الناس استلقى جواب لما اي لصق ظهره
بالارض ثم قال من شاء ان يخذلني ابدا لانه فوض امره الى ربه اذ هو
الكافي من توكل عليه وذكر عبد بن حميد كانت حمالة الحطب ام جميل بنت
حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف اخت ابي سفيان بن حرب زوجة
ابي لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم تضع العضاه شجر له كما مر شوك وهي جمر
جملة حالية من العضاه اي تضعه جمرا على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان صلى الله عليه وسلم يمشي عليه فكانما يطؤه كثيبا اهيل اي رملا
سائلا او كل شيء ارسلته ارسالا فقد هلته واهلته وفي الحديث ان قوما
شكوا الينا طعامهم فقال اتكيلون ام تهيلون فقالوا نهيل فقال كيلوا ولا
تهيلوا وفي حديث الخندق فعادت كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها اي عن
حمالة الحطب ورواه ابو يعلى والبيهقي وابن ابي حاتم عن اسماء بنت ابي بكر انها
اي حمالة الحطب لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها الله بما ذكرها
مع زوجها من الذم بقوله وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد
اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه
ابو بكر وفي يدها فهر [illegible] والفهر حجر مل الكف وعن
علي انه اي قوم اسد لوا نسابهم قال كانهم لهو دخرجوا من فهرهم اي بيت

مدارسهم كلمة نبطية او عبرانية عرّبت واصلها بهرم بتا بوجدم فلما وقفت عليهم
لم تر جواب لما الا ابا بكر فاخذ الله ببصرها اي حبسه وقبضه عن نبيه فقالت
يا ابا بكر ان صاحبك فقد بلغني انه يهجوني اي يذمها بما هي خليقة به والله
لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ورجعت خائبة خاسئة و روى ابو نعيم
في الدلائل والطبراني بسند جيد عن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس
بن عبد مناف عم عثمان بن عفان ابن ابي العاص اسلم يوم الفتح قال تواعدنا
على النبي حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة احد
اذ ظن وان المرية حرف النفي فليس بمنفي بل المنفي ظننا هو النفي اي ظننا انه لم
يبق بتهامة احد وتهامة اولها ذات عرق الى البحر وقيل ما بين ذات عرق
الى مرحلتين من وراء مكة من المغرب وما وراءه فهو غور ونجد ما بين العذيب الى
ذات عرق والى اليمامة والى جبل طي والى وجرة والى اليمن فالمدينة لا تهامية
ولا نجدية فانها فوق الغور ودون نجد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا حتى
قضى صلاته اي فرغ منها ومضى الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى
فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة تحالنا بيننا وبينه هذا كله
سابقا ولاحقا من ابن دلائل النبوة واعلامها وعن عمر تواعدت انا
تاكيد للضمير تواعدت ليعطف عليه وابو جهم بن حذيفة قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح فقرأ الحاقة
من حق الشي بمعنى وجب وثبت اي الساعة الواجبة الوقوع الثابتة
المجي او التي تحق وقوعها او تحق فيها الامور اي تعرف حقيقتها او تقع فيها
حواق الامور حسابا وجزاء ما الحاقة خبر المبتدا قبله والاصل الحاقة ما هي
اي شي هي فوضع الظاهر موضع المضمر تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها
وما ادراك مبتدا اي شي اعلمك ما الحاقة خبر اي انك لا علم لك بكنهها
فانها من العظم والشدة بحيث لا تدركها كذبت ثمود وعاد بالقارعة
التي تقرع الناس بالاهوال والسما بالانفطار والنجوم بالانكدار والارض
بالدك والجبال بالنسف ووضعت موضع ضميرها كما فيه مزيد وصف في
شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية الواقعة المجاوزة للحد في
الشدة يعني الصيحة او الرجفة التي بها اصبحوا في ديارهم جاثمين لتكذيبهم
بالقارعة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت
من الصر بالفتح وهي الصيحة او شديدة من الصر بالكسر كان البرد
كثر فيها حتى اهلكته عاتية اي شديدة العصف من العتو وهو الافراط
في التكبر شبه شدة عصفها بالعتو تكبرا فاستعير لها لفظة ثم

اشتق منه اسم الفاعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسم الفاعل
تبعية او عتت على عاد فلم تمكنهم النجاة منها من لياذ بتعاصم او تواريهم
او اختفا بسرب سخرها اسنيتا فافادها انها لم تكن من اتصالات فلكية
ولو كانت لكان هو تعالى مقدرها ومسخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام من صبيحة يوم الاربعا الى غروب يوم الاربعا الاخر حسوما اي
نحوسا حسمت كل شي واستاصلته او جمع حاسم من حسمت الدابة
اذا تابعت داها اي متتابعة هبوب ريحها لم تفتر حتى اتت عليهم
او قاطعة قطعت دابرهم او مصدر منتصب بمضمر اي تحسمهم
حسوما او علة اي للحسم والاستيصال او حال اي مستاصلة ويقويه
قراءة السدي بفتح الحا وكانت عجز الشتا ومن ثم سميت عجوزا او لان عجوزا
منهم توارت في سرب فانتزعتها في الثامن فاهلكتها فترى القوم فيها
في مهابها او في الليالي والايام صرعى جمع صريع اي ملقى كانهم اعجاز نخل
خاوية اي اصول نخل متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية استفهام
بمعنى النفي اما ترى لهم من بقية او بقاء او نفسا باقية فضربا ابو جهم على
عمر ففرا منه هاربين فكانت اي المواعدة او قراءته الحاقة من مقدمات
اسلام عمر ومنه اي تمام ارشاد هذا العصمة اخذ بصر من عزم على قتله
عند ما اخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه اي دبروه ليلا ان
يقتلوه غيلة على غرة ومنه قيل هذا امر بيت بليل فخرج عليهم من
بيته كما رواه ابن اسحق والبيهقي عنه صلى الله عليه وسلم فقام على
رؤوسهم وقد ضرب الله على ابصارهم حال من الضمير قبله اي حجبها
عن رؤيته وذر بمعجمة فراء مشددة اي نثر التراب على رؤوسهم وخلص
منهم وفيما ذكر حمايته اي حجبه عن رؤيتهم اياه وابا بكر وهما في الغار
حال من ضمير حمايته بما هياه الله له من الايات ومن العنكبوت
الذي نسج عليه حتى قال امية بن خلف تقدم انه مات بسرف كافرا
حين قالوا ندخل الغار اي غار ثور جبل بيمنة مكة ما اربكم مقولا امية
وهو معنى قال اي ما حاجتكم الداعية لدخولكم فيه وعليه من نسج
العنكبوت حال من ضمير فيه اي والحال ان عليه من نسجه ما ارى
انه من قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار وهو نقب
في الجبل فقالت قريش لو كان فيه احد لما كان هناك اي على فمه الحمام
وقصته صلى الله عليه وسلم كما رواها الشيخان عن البرا مع سراقة بن
مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش في موضع ركاله فيه

صلى الله عليه وسلم وفي ابي بكر الجعائل جمع جعيلة او جعالة بالفتح والجُعل
بالضم الاسم وبالفتح المصدر يقال جعلت جعلا وجعلا وهي الاجرة
على شيء فعلا او قولا وفي الحديث جعيلة الغرق سحت وهو ان يجعل له جعلا
ليخرج له ما غرق من متاعه جعله سحتا لفساد عقده بجهالة ما تخرجه فانذر
به اي اعلم سراقة بتوجهه صلى الله عليه وسلم مهاجرا الى المدينة فركب فرسه
وتبعه حتى اذا قرب منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر دعا
عليه النبي صلى الله عليه وسلم لاستبقا اسمه مبتدأ لشر فساخت قوائم
فرسه اي غاصت في الارض فخر عنها واستقسم بالازلام جمع زلم بزاي
ولام مفتوحتين وقد تضم الزاي فقط وهي قداح اي سهام لا ريش لها
ولا نصل كان يكتب عليها في الجاهلية افعل لا تفعل فكانوا اذا ارادوا احدهم يضعها في
متاعه فاذا عرض له مهم اخرج منها زلما فان خرج له ما يحب فعله او كف عنه ف
خرج له ما يكره ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى
الله عليه وسلم غاية لدنوه وابو بكر يلتفت فقال له اي ابو بكر للنبي
صلى الله عليه وسلم أتينا فقال لا تحزن ان الله معنا بذراعنا متى
اتانا فساخت قوائم فرسه مرة ثانية الى ركبتيها وخر عنها فنهضت
ولقوائمها غبار مرتفع مثل الدخان فناداهم اي سراقة رسول الله وابا بكر
وعامر بن فهيرة بالامان فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم امانا
اسند اليه الفعل مجازا عقليا لانه السبب الآمر بكتابته كتبه ابن فهيرة
مولى ابي بكر اسمه عامر وهو ممن عذب في الله قتل يوم بئر معونة والتمس
ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وقيل كما في التيسير كتبه
ابو بكر وجمع بان عامرا كتبه اولا فلم يرض سراقة الا بكتابة ابي بكر
لسيادته في قريش واخبرهم اي سراقة بالاخبار عن قريش وما جعلوا
من الجعائل فيهم وامره النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق
بهم فانصرف يقول حال من ضمير انصرف ولم يدخلها الواو لانها
جملة فعلية والفعل مضارع مثبت كما في ولا تمنن تستكثر لان الاصل
المفردة لعراقة المفرد في الاعراب وتطفل الجملة عليه بوقوعها موقعه
اي قائلا للناس ممن لقيه منهم كفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهما
دعوتما علي فادعوا لي فدعوا له فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي
صلى الله عليه وسلم فكان من مقدمات اسلامه وفي خبر آخر لا ادري
من رواه ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد اي يعدو عدوا يسرع
يعلم قريشا حذف مفعوله الثاني اختصارا فلما ورد مكة ضرب على
قلبه كناية عن ذهوله وغفلته عما ورد له فكانه حجب عما خبرهم

به عنهما وجلس عنده فما يدري ما يصنع وانسي ما خرج له من اعلامهم خبرهما
حتى رجع الى موضعه غاية لنسيانه وجاء فيما ذكر ابن اسحق وغيره كما في
تفسير في الدلائل عن ابن عباس ابو جهل بصخرة وهو صلى الله عليه وسلم ساجد — جد
وقريش ينظرون الجملتان في محل الحال اي جاء بها ساحبا ناظرين ليطرحها
عليه فلزقت اي الصخرة بيده ويبست يداه مغلولتين الى عنقه كانه عن
منعهما عما قصده من طرحها عليه كانما جعلتا في غل اي جامعة جمعتهما الى
عنقه واقبل يرجع اي يشرع راجعا القهقرى الى خلف تأكيد لما قبله
اذ هو الرجوع اليه ثم سأله اي سأل ابو جهل النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو
له ففعل اي دعا له ولم يؤاخذه حلما وكرما وشفقة عليه لما بينهما من الرحم وقد
امر بصلتها فانطلقت يداه ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وكان قد تواعد — جد
مع قريش بذلك اي بطرحها عليه وحلف لئن رآه ليدمغنه بطرحها — ساجدا
عليه فيشج راسه فيخرج دماغه يقال دمغه فدمغه دمغا اذا اصاب
دماغه فقتله او من الشجاج الدامغة بالمعجمة اي التي تهشم الى الدماغ
ورجل دميغ ومدموغ اذا خرج دماغه فسألوه اي سأل ابا جهل
قريش عن سبب رجوعه القهقرى فذكر انه عرض لي غلب جانب التكلم
لتضمن ذكر معنى قال دونه فحل من الابل اذ هو المراد حيث اطلق بلا قيد
يشهد له حديث لم يضرب احدكم زوجته ضرب الفحل فانهم كانوا اذا علا
ناقة هي دونه او علا منه في الكرم ضربوه ومنعوه ما رايت مثله قط
تأكيد لنفي رؤيته مثله هم بي ان يأكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك — ك
جبريل تمثل له بفحل ابل لو دنا ابو جهل منه صلى الله عليه وسلم لاخذه اخذ عزيز
مقتدر وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة لعله ابو جهل بن هشام
بن المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم يره
لزوال بصره وسمع قوله صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه
فعرف مكانهم ثم يحتمل ان يكون قد راهم بعد ندائهم له لشهادة حتى الغاية
وذكر اي السمرقندي ان في هاتين القصتين اي قصة ابي جهل والتي بعدها
نزل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تمثيل لتماديهم وتصميمهم على الكفر
بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بحال من غلت اعناقهم فهي اي فالاغلال — ل
واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها فهم مقمحون من قمح البعير فهو قامح اي دافع
راسه بعد ان روي اي رافعوا روسهم لان في ملتقى طرفي طوق الغل حلقة فيها
عمود خارج منها الى الذقن يمنعهم ان يطاطئوا روسهم غاضين ابصارهم
اذ المقمح من لا يرفع بصره بعضهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم

نحوه وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم اي
غطينا ابصارهم جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون مثل حالهم
لتعاميهم عن النظر في الادلة والتفكر في الايات بحال من هو بين
سدين مظلمين لا يبصر ما قدامه وما خلفه فهو من عدم الحيل له
كانه لا يبصر شيئا وروي ما ذكره السمرقندي ابو نعيم في الدلائل
عن ابن عباس قاموا الي اخذه فاذا ايديهم مجموعة الي اعناقهم واذا
هم عمي فهم لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعي حتى ذهب
ذلك عنهم فنزلت يس الي قوله لا يؤمنون ومن ذلك اي مما ذكر اسبابه
بعصمته وكفايته ما ذكره ابن اسحق وغيره كالثعلبي في تفسيره في قصته
صلى الله عليه وسلم اذ اي حين خرج الي بني قريظة كذا هنا والصواب
بني النضير كما في سيرة ابن سيد الناس وغيره وسيأتي في نفر من اصحابه
فيهم الصهران والختنان فجلس الي جدار بعض اطامهم جمع اطم بالضم
اي ابنيتهم المرتفعة كالحصون فتناجوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه
الحالة اي حالة جلوسه الي جدار الاطم من يعلوا هذا الجدار ويرسل عليه
ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به وانه
لنقض لما بيننا وبينه من العهد فانبعث اشقاهم عمرو بن جحاش منهم ليطرح
عليه رحى فاخبره جبريل بذلك كما سيأتي فقام فانصرف الي المدينة
واعلمهم اي اعلم اصحابه اما بعدما انصرافه او قبله بقصتهم وتمالئهم
على قتله وقد قيل ان هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ هم قوم في هذه القصة اي قصة بني النضير نزلت وحكى السمرقندي
انه اي النبي صلى الله عليه وسلم خرج الي بني النضير يستعين في عقل مصدر
سميت به الدية من خشية ان القاتل كان اذا قتل قتيلا جمع ديته من الابل
فعقلها بفناء اولياء المقتول ليقبضها لهم اي في دية الكلابيين الذين
قتل عمرو بن امية الضمري بحسبهما كافرين بعد قتل اصحابه ببير معونة ورجوعه
الي المدينة عتيقا لعامر بن الطفيل وكان صلى الله عليه وسلم قد عقد لهما عهدا
لم يعلم به عمرو بن امية فقال له صلى الله عليه وسلم حيي بن اخطب اجلس يا ابا
القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس صلى الله عليه وسلم
مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم اي مع اليهود على قتله صلى الله عليه
وسلم فاعلمه جبريل بذلك اي باتفاقهم على قتله فقام كانه يريد حاجته
حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم
فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم وخزيا وفيها قال حسان بن ثابت الانصاري

وهان

وهان على سراة بني لؤي ٭ حريق بالبويرة مستطير ٭
وقال صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا
على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر واخذ صلى الله عليه وسلم الاموال فوجد من
الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة واربعين سيفا فكانت بنو
النضير صفيا حبسا لنوائبه صلى الله عليه وسلم لم يسهم منها لاحد غير ابي
دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما اذ لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ثم قسمها
بين المهاجرين رفقا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم في الاموال والديار
وروى مسلم والنسائي عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا لئن رأى
محمدا اللام هنا وفيما مر من جد لتوطئة القسم محذوف اي والله ان رآه
يصلي ليطأن رقبته فلما صلى اي تلبس بها اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى عنه
عن قصده ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل عن ذلك فقال لما دنوت
منه اشرفت جواب لما مقول ابي جهل لعنه الله على خندق مملوء نارا
كدت اهوي اي اسقط فيه وابصرت هولا عظيما اي امرا شديدا وخفق
اجنحة اي تحريكها اذ هو التحريك قد ملأت اي الاجنحة الارض فقال
صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا
ثم انزل الله كلا ان الانسان ليطغى ردع لمن كفر نعمة ربه بطغيانه ان رآه
رؤية قلبه لا بصره اي علم نفسه استغنى مفعوله الثاني ومن ثم
كان فاعلها ومفعولها ضميرين لواحد ان الي ربك التفات الي الانسان
من الغيبة الي الخطاب تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان الرجعى مصدر
كالبشرى بمعنى الرجوع ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى مبالغة في كمال
عبوديته وتعجبا للنبي يشبه دة ارادة بلفظ عبدا مع تنكيره ارأيت ان
كان ذلك الناهي على الهدى فيما نهاه عنه من عبادة ربه او امر بالتقوى
فيما امر به من عبادة الاوثان مما تعتقده هو ارأيت ان كذب ذلك الناهي
بالحق وتولى عنه مما تعتقده نحن والذي ينهى مع الشرطية الاول مفعولا
ارأيت وجواب شرطها محذوف لدلالة ذكره في جواب شرط الثانية اعني
الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احوال من هواه وضلاله وكرر ارأيت فيهما
توكيد للاول والمعنى اخبرني والمعنى اخبرني عن من ينهاه عن صلاته ان
كان ناهيه على هدى في نفسه له عنها او امرا بتقوى فيما يامره من عبادة
وثن او ان كان مكذبا بالحق متوليا عنه الم يعلم بان الله عالم بحال من هداه
وضلاله وقيل ارأيت من ينهاه عن صلاته وهو مهتد وامر بالتقوى ٭
وناهيه مكذب متول فما اعجب منه كلا ردع لمن نهاه عن صلاته لئن لم

بقه عن ضلاله وتشنيع افعاله لنسفعا بالناصية من السفع وهو القبض على الشيء وجذبه بقوة اي لناخذن بناصيته ولنجرنه بها الى النار وكتب لنسفعا بالالف على حكم الوقف واكتفي باللام عن الاضافة علما بانها ناصية الناهي ناصية بدل منها لوصفه بقوله كاذبة خاطئة على الاسناد المجازي للمبالغة اذ فيه من الجزالة والفخامة ما ليس في ناصية كاذب خاطئ فليدع نادية اي اهل ناديه الذين هم يكاثر ويستغيثون اذا اسفعت ناصيته والنادي المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون سندع الزبانية ليسحبوه على وجهه الى النار من الزبن وهو الدفع وهم لغة الشرط اريد بهم ملائكة العذاب جمع زبنية او زبني نسبة للزبن والاصل زباني والتاء عوض الياء كلا ردع له ايضا لا تطعه واصبر ثابتا على طاعتك واسجد اي دم على سجودك واقترب به الى ربك اذ اقرب ما يكون العبد الى ربه وهو ساجد ورويٰ كما في الدلائل لابي نعيم ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه اي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين واد بقرب ذي المجاز وما يقرب الطائف وكان حمزة قد قتل اباه وعمه اعتراض بين الفعل وسببها اي داد قصد عثمان انما كان على عادتهم في اخذ الثار في الجاهلية فقال اي عثمان بن شيبة اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه فيقتله ولم ينجح قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ اي لهب من نار اسرع من البرق فوليت هاربا حذرا منه واحسن بي فدعاني لجنبه فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي في موضع الحال اي وضعها حال بغضي له فما رفعها الا وهو احبهم الي وروى ابن اسحق وسيد الناس عن فضالة بن عمرو انه اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو طائف اي حال طوافه بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما حدثت به نفسك قلت لا شيء اي لم احدثها بشيء فضحك واستغفر لي اي قال له غفر الله لك ونحوه ووضع يده على صدري فسكن قلبي واطمان للايمان به فوالله ما رفعها عن صدري حتى ما خلق الله شيئا وجدته وعلمته من خلق الله احب الي منه صلى الله عليه وسلم ومن مشهور اي عصمة الله ما رواه ابن اسحق والبيهقي بلا سند وابو نعيم في الدلائل مسندا الى عروة خبر عامر بن الطفيل العامري واربد بن قيس اخي لبيد الشاعر والموحدة بينهما الف ساكنة ما تا كافرين كانا قد وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم متفقين على قتله وكان عامر قال له اي لاربد انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه فلم يفعل شيئا فلما فصلا من عنده صلى الله عليه وسلم كلمه في ذلك اي قال له عامر لم لم تضربه حين شغلته عنك قال والله ما هممت ان

اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك لقد خابا وخسرا خسرانا مبينا ومن عصمة الله له صلى الله عليه وسلم ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع كاهن وهو كما مر من يخبر عن الكوائن في المستقبل انذروا به من الانذار وهو الاعلام والتخويف اي اعلموا به وخوفوا وحذروا وان واعلموا به غيرهم وخوفوهم وحذروهم اياه وعينوه لقريش واخبروهم ونم سطوته بهم اي قهره لهم وغلبته عليهم وعلى من ناواه وحضوهم اي اغروهم على قتله لعصمة الله حتى بلغ فيه امره بنصره على اعدائه واظهار دينه على الدين كله ومن ذلك نصره كما رواه الشيخان بالرعب مسيرة شهر كان الله تعالى قذفه في قلوب اعدائه صلى الله عليه وسلم فاذا كان بينه وبينهم تلك المدة هابوه وفزعوا منه فصل فيما اكرمه الله به من المعجزات جمع معجزة وهي كما مر من الخوارق وتاؤها اما للمبالغة كما علامة او لارادة صفة لمؤنث محذوف كاية او علامة سميت معجزة لعجز المرسل اليهم عن معارضتها بمثلها ومن معجزاته الباهرة من بهر ضوء القمر ضوء الكواكب اي غلبه فلم يظهر لها ضوء اي الغالبة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم ان كانا جمع معروف ومعلوم بمعنى المدركات ظنية وعلمية فمن عطف الخاص على العام لشرفه او جمع معرفة وعلم بمعنى الملكات فتغايرهما من حيث اختصاص المعرفة بالجزئيات والعلم بالكليات وما خصه الله تعالى به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين مما به انتظام المبدا ونجاة المعاد ومعرفة فته امور شرائعه جمع شريعة وهي ما شرعه الله اي بينه لعباده وخاطبهم به على لسان انبيائه وقوانين دينه جمع قانون وهو اجمالا امر كلي منطبق بالقوة على جزئيات موضوعه تعرف منها احكامها كالامر للوجوب وتعصيله لا مقدمة كلية كبرى تضلح للصغرى في الاهتدا بالشكل الاول لاخراج الجزئيات كاقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا شهركم وتسمى فروعا واخراجها من القوة الى الفعل يسمى تفريعا هكذا اتوا الزكاة امر وكل امر للوجوب لا تقربوا الزنا نهي وكل نهي للتحريم وسياسة عباده على قانون العدل ومنهج الصدق ومصالح امته مما به صلاحهم دنيا ودينا وفوزهم في الاخرة ومعرفته ما كان في الامم قبله من احوالهم وما آل اليه امرهم من نجاة وهلكة وقصص الانبياء والرسل دعاة الخلق لدين الحق والجبابرة عتاة الخلق وفساد الارض والقرون الماضية في الازمنة الخالية مما قصه الله كله عليه صلى الله عليه

في قرانه الكريم وحفظ شرايعهم وكتبهم مما علمه الله فرسخ في روعه فثلج به
صدره وغير سيرهم تبهما وتفهيما وسرد انبايهم اي اخبارهم لمن
اتاه من اهل الكتاب او سرد ايام الله فيهم تنبيها لما عراهم فيها من
نقمهم كقوم نوح وعاد وثمود واخوان لوط ونعمهم كنجاة موسى وقومه
وكشف عذاب الخزي عن قوم يونس وسرد صفات اعيان لهم مومنين
كذي القرنين والخضر ولقمان وكفرة كفرعون وهامان وقارون ٥
واختلاف ارايهم اعتقادا وعملا كدعوى فرعون الربوبية ورضى
قومه لها وعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقول النصارى بالاقانيم
الثلاثة العلم والحياة وروح القدس ويعبرون عنها بالاب والام
والابن والمعرفة بمددهم جمع مدة اي مكثهم في الدنيا واعمارهم
على اختلافها قلة وكثرة ومعرفته صلى الله عليه وسلم حكم حكمايهم
جمع حكمة مما ينفع ويكف ومنهم عامر بن الظرب ذو الحلم كان لا يعدل له
بفهمه فهم فلما كبر انكر من عقله فقال لبنيه قد كبرت سني وعرض لي سهو
فاذا رايتموني خرجت من كلامي الى غيره فاقرعوا الي العصا فصار مثلا
فيقال ان العصا قرعت لذي الحلم ٥ كناية عن التنبيه ومحاجة كل
امة من الكفرة كمحاجته صلى الله عليه وسلم نصارى نجران في دعواهم
ان عيسى ابن الله وكذبوا فدعاهم كما مر الى المباهلة فابوا وبذلوا له الجزية
ومعارضة كل فرقة مصدر مضاف الى المفعول كالذي قبله اي معارضته
صلى الله عليه وسلم كل من علم بغيره دينه من الكتابيين بما في كتبهم مما
يفضحهم بمخالفتهم الحق في عملهم كمعارضته صلى الله عليه وسلم لليهود
في دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التحميم والتجبيه بالجيم اي
تسويد وجوههما ويحملان على دابة بعيرا وحمار ويخالف بين وجوههما
لاخذ من الجبهة فقال صلى الله عليه وسلم لا نشدكم بالله ما تجدون في
التورية على من زنى لاحبارهم اما اذ انشدتنا فعليه الرجم فامر صلى الله
عليه وسلم بهما فرجما عند مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار واعلامهم
باسرارهم اي اعلام كل فرقة من اهل الكتاب باسرار كتبهم ومخبات علومهم
اي معلوماتها المعاندة تبرا لكتبها واخبارهم بما كتموه كصفته صلى الله عليه
وسلم في التورية اذ كتموها ومخبات علومهم اي معلوما لنا وعبروا لحد زنا
المحصن فان فيها الرجم فغيروه تبرخصهم لان بعض ملك من ملوكهم زنى فاخر
عنه الرجم فزنى بعده اخر فاراد الملك رجمه فقالوا لا نرجمه حتى ترجم
ابن عمك فاتفقوا على التحميم والتجبيه الى الاحتوا اي جمع له ما ذكر مع ٥

احتوايه

احتوايه على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة علما بضروب
فصاحتها اي علمها افرادا ومركبات ومعانيها وخاطب كلا بلغته كما مر
من مخاطبته طهفة وغيره من اقيال حضرموت والحفظ لايامها التي كانوا
يحاربون فيها كيوم ذي قار لبني شيبان انتصروا فيه على ابرويز وهو
اول يوم انتصف فيه العرب على العجم ويوم الفجار وقع فيه حرب في الاشهر
الحرم فقالوا فجرنا فسمي به ويوم قضة بكسر القاف وتخفيف المعجمة
المفتوحة وقع فيه حرب بخلاف الحم وامثالها التي كانوا يضربونها ٥
كقولهم في الصيف ضيعت اللبن يقال لمن ضيع العمل في وقته بكسر تاء
الخطاب لان اصله لامراة ومن ثم لا تراعي في الامثال مضاربها ٥
تذكيرا وتانيثا وافرادا وتثنية وجمعا بل تراعي فيها مواردها فالقول
الممثل يسمى كما مر مضربا والممثل به موردا وحكمها الواردة خلال
كلامهم نظما ونثرا جمع حكمة وهي ما ينفع به ويمنع من الجهل والسفه
وينهى عنهما والحكم بالضم العلم والفقه والقضاء بالعدل ومعاني
اشعارها على اختلاف انواعها تشبيبا من ادب وافتخار وشكاية
ولهو وغزل ويسمى نسيبا وذكر ايام الصبى وقد يعوضت عن كل — بمتشبهه
وما وجدت لايام الصبى عوضا والتجنيس بجوامع كلمها مما يزين
بدا الكلام فيورثه حسنا من تلفيق وتركيب ومطابقة ومواربة ٥
وتدبيج وتوشيع وغير ذلك من المحسنات البديعة وقد جمعتها
مع اسمايها في منظومة ميمية مدحت بها النبي صلى الله عليه وسلم
الى المعرفة اي مع معرفته بضرب الامثال الصحيحة بحسب حال
الممثل له ابرازا للمعنى ورفعا لحجابه عنه حتى يرى المتخيل محققا والمتوهم
متيقنا والحكم البينة التي يتبينها كل ذي فهم لانه بعث ليبين للناس
ما نزل اليهم لتقريب التفهيم للغامض من غمض الشيء اذا دق وخفي
والتبيين للمشكل من اشكل الامر اي اشتبه بمثله الى اي مع تمهيد
قواعد الشرع الذي ارسل به الينا لا تناقض فيه ولا تخاذل معجمتين
اي لا ينقص ولا يخذل بعضه بعضا بل هو على التعاضد والتعاون
والتناصر مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق مما وردت
امره به من رحمة وشفقة ورفق وحسن خلق ونحو ذلك ومحامد
الاداب جمع محمدة بمعنى ما يحمد على فعله منها كافشاء السلام على من
عرفت ومن لم تعرف ودعاء الزائر لمن زاره اذا طعم عنده والسلام
ثلاثا في الاستيذان واشتمالها على كل شيء مستحسن مفضل على غيره

لا يكاد تحصى كثرة لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان
الملابس له من عدم توفيقه بالحاده اي زيغه وميله عن الاستقامة
فينكره بل كل جاحد اي منكر له اي لما ذكر مما اشتملت عليه شريعته وكافر
به من الجاهلية اذا سمع ما يدعو صلى الله عليه وسلم اليه من الحق صوبه
واستحسنه دون طلب برهان عليه لظهور حقيقته كما دل على علم كقول
علم النفاق عبد الله بن ابي بن سلول وقد مر بها النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا مع اخلاط من المسلمين والمشركين في مجلس لهم ودعاهم الى
الاسلام ايها المرء لا احسن مما تقول وتدعوا اليه اجلس في رحالك
فمن اتاك فادعه وتصويب هرقل اذ قال له ابو سفين وقد قال له بما
ذا يامركم يامرنا بالصلاة والصدق والعفاف واترك ما يعبد اباونا
انتسماها على ما احل لهم من الطيبات مما حرم عليهم كل ذي ظفر من
طير وابل وشحوم البقر والغنم الا ما حملت ظهورهما او الحوايا وحرم
عليهم من الخبائث كالميتة والدم ولحم الخنزير واشتمالها على ما صان
به انفسهم واعراضهم واموالهم وهو الايمان مما بعث به ممن آمن
به عصم منه دمه وعرضه وماله من المعاقبات والحدود المترتبة
على اسبابها شرعا كحد الخمر والسرقة عاجلا ومن التحريق بالنار اجلا اي
في المستقبل من الاجل وهو الوقت المضروب المحدود فيه الى الاخرة
اي مع اشتمالها على ضروب العلوم وفنون المعارف جمع علم ومعرفة على
اختلاف انواعها فانها لكثرة تمتاز كل كثرة منها بجهة واضح لها بعد
علما واحدا ويفرد بتدوين اما موضوعه او غايته او منفعته ومن
كان يوخذ تعريفه ولهذا من يدين بيان في مقدمة متنا خذه اكثرا الافكار
وشرحها كالطب وهو ما يوصل له ذاته اعتبارا الى بدن الانسان
والادوية اذ يبحث فيه عن احوالهما من حيث تعلقهما بالصحة والعبارة
بكسر المهملة من عبرت الرويا اعبرها عبرا وعبرتها تعبيرا اذا اولتها
وفسرتها واخبرت بما يوول اليه امرها يقال هو عابر الرويا وعابر لها
وهذه تسمى لام التعقيب لانها عقبت الاضافة والفرايض وهو علم يبحث
فيه عن مقادير سهام المواريث لوارثيها وبيان من يحجب نقصانا او حرمانا
والحساب وهو علم يبحث فيه عن كميات الاعداد والنسب اي الحاق
الفروع باصولها وفي الحديث كان ابو بكر نسابة يبلغ العلم بالانساب
دهاوي كلبا لغة لعلامة وغير ذلك من العلوم مما اتخذ اهل فامل اتخذ
هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم فيها اي في شريعته قدوة

واصولا

واصولا اي قواعد وضوابط يرجعون اليها فيما يقع لهم من الحوادث في علمهم كقوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجة عن انس الرويا لاول عابر اي ذي راي عالم
بشروط التعبير فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت كابن سيرين كان يقول اني اعتبر
الحديث اي يعبر الرويا به كما يعبرها بالقران فيعبر الغراب برجل فاسق والمراة بالضلع
اخذا من تسميته صلى الله عليه وسلم له فاسقا وتسميتها ضلعا وهي كما رواه ابو داود
والترمذي وصححه على رجل طاير تمثيل وتصوير على قدر جار وقضاء ماض من خير
او شر وقد رام الله صاحبها بشي على رجله يسقط بادنى حركة فاذا عبرها اول عابر كانها
كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شي فهي طاير وقوله صلى الله عليه
وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما الرويا ثلاث رويا حق كروياه صلى الله عليه وسلم
اذ كان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح الاضافة فيه للبيان لا للاحتراز اذ لا
تلقيه نفسه ورويا يحدث الرجل بها نفسه فيراها في منامه فهي اضغاث احلام
ورويا تحزين من الشيطان اي يرى في منامه من وسوسته له فيه ما يكرهه
فيحزن منه فاذا راى كما قال صلى الله عليه وسلم فليتعوذ بالله من شرها ومن شر
وليتفل ثلاثا عن يساره ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره وفي حديث مسلم
جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رايت في المنام كان راسي قطع فضحك
النبي صلى الله عليه وسلم وقال اذا الم الشيطان باحدكم في منامه فلا يحدث
به الناس وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة اذا تقارب
الزمان وفي رواية لهما اذا اقترب من القرب اي قرب لساعة اخر الزمان
لان الشي اذا قل تقاصر تقارب اطرافه ويشهد قوله صلى الله عليه وسلم في
اخر الزمان لا تكاد رويا المومن تكذب او هو بمعنى استوا الليل والنهار لقول
العابرين ان اصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار ووقت ادراك
الثمار حين يستوي الليل والنهار او بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم يتقارب
الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم
كالساعة قيل اراد به زمان المهدي فانه زمن عدل يستقصر لاستلذاذه
فيتقارب اطرافه لم تكد رويا المومن تكذب مبالغة في نفي قرب كذبها
اي لم يقرب كذبها فضلا عن كذبها فخبر كاد منفي لان حرف النفي اذا عاملها نفي قرب
حصوله والثاني لقرب حصول شي دل على نفيه قال ذو الرمة

اذا غير النائي المحبين لم يكد ... رسيس الهوى من حب مية يبرح

اي لم يقرب براحه فضلا عن براحه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الدارقطني
في العلل وضعفه اصل كل دا البردة اي التخمة وثقل الطعام على المعدة
سميت بردة لانها تبرد المعدة فلا تستمري الطعام وما روي عنه صلى الله

عليه وسلم في حديث ابي هريرة الذي رواه الطبراني في الاوسط من قوله صلى
الله عليه وسلم المعدة حوض البدن بجمعها الطعام كجمع الحوض الماء والعروق
اليها واردة يتصاعد اليها منافع الطعام نفعا للبدن وان كان حديثا لا
نصححه لضعفه وكونه موضوعا اذ قد تكلم فيه الامام ابو الحسن
الدارقطني مضعفا له كما هنا ونسبته الى دار القطن ببغداد وقوله صلى
الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن ابن عباس خير ما تداويتم به السعوط
بالفتح ما يجعل من الدواء في الانف واللدود بالفتح ما يسقاه المريض
في احد شقي فمه ولديدا الفم جانباه والحجامة والمشي دواء مسهل فسمي
به لحمله صاحبه على المشي والتردد الى الخلاء وقوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع
عشرة واحدى وعشرين زاد ابو داود عن ابي هريرة يرفعه كان شفاء من
كل داء وغلب فيها التأنيث رعاية للاسبق من الشهر اذ لليلة اسبق من يومه
فكانه قال يوم ليلة سبع عشرة او لحذف المميز كما في حديث من صام رمضان
واتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر كله وقوله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه البخاري عن ام قيس في العود الهندي سبعة اشفية اي للادواء اذا
شرب بعسل وذكر صلى الله عليه وسلم منها ذات الجنب وخصه بالذكر لانه
اخطر الادواء قلما يسلم منه صاحبه والعود البحري وهو القسط الابيض
افضل واقل حرارة وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه
قد مر الكلام عليه وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد والترمذي وقد
سئل عن سبأ في موضع الحال ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل سميت
به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة ولد له عشرة تيامن
منهم ستة اي اخذوا نحو اليمن فنزلوه وتوالدوا فيه واكثر قبائله منهم
وفي الحديث الايمان يمان والحكمة يمانية لان الايمان بدا من مكة لانها من
تهامة وتهامة من اليمن وتشاءم اربعة اي اخذوا نحو الشام وهو اقليم
معروف من العريش الى الفرات يذكر ويؤنث مهموز وغير مهموز وكذلك
جوابه صلى الله عليه وسلم في نسب قضاعة فيما رواه احمد وابو يعلى والبزار
والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني قال قال صلى الله عليه وسلم من كان ههنا من
معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة من
ملك حمير وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البزار حمير رأس العرب ونابها
ليس بمصغر لا لغير من ولد معد بن عدنان من ولد اسمعيل بن ابرهيم الخليل
صلى الله عليه وسلم ومذحج بميم مفتوحة فمهملتين ساكنة فمكسورة فجيم

هامتها اي اشرافها ام من اوساطها فشبههم بها وتسمية للكل باسم الجزء
مجازا مرسلا وغلصمتها بمعجمة مفتوحة ولام ساكنة راس الحلقوم البارز في
الحلق والازد كاهلها هو كما قال الخليل مقدم اعلا الظهر مما يلي العنق
وفيه ست لغات وجمجمتها بجيمين بينهما ميم ساكنة اي ساداتها اذ الجمجمة
الراس وهي اشرف الاعضاء وقيل جماجم العرب هي التي تجمع البطون وفي الحديث
اتى النبي صلى الله عليه وسلم بجمجمة فيها ماء اي بقدح من خشب وجمعه جماجم
وبه سمي دير الجماجم اذ كانت تعمل به وكانت فيه وقعة ابن الاشعث مع الحجاج
بالعراق وقيل سمي به لانه بني من جماجم القتلى لكثرتها ومنه قول طلحة
بن مصرف وقد راى رجلا يضحك هذا لم يشهد الجماجم اي لو راى كثرة من
قتل من قراء المسلمين وسادات العجم لم يضحك وهمدان بميم ساكنة فمهملة
غاربها وذروتها بمعجمة تضم وتكسر اي هم من قبائل العرب بمنزلتها من
البعير اذ غاربه اعلا عنقه وبين سنامه وذروة السنام اعلاه تلويح
بشرفهم وهذا الحديث لائح عليه ملابس الضعف ومخايل النكارة
اذ قد كرر فيه الراس بالفاظ مختلفة ومن ثم جزم ابن حجر بانه منكر وقوله
صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي بكرة ان الزمان قد
استدار من دار بالشيء يدور واستدار اطاف به حتى انتهى الى موضع ابتدا به
اي رجعت شهورها الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل النسيء الجاهلية
اي تأخيرهم حرمة شهر من الاشهر الحرم ذي القعدة وذي الحجة والمحرم
ورجب الى شهر اخر اذ كان سببا لاستدارته فالعرب كانوا ذوي
حروب فاذا جاءهم مثلا المحرم وهم محاربون شق عليهم تركها فيحلونه
ويحرمون صفر ثم ينقلونه من شهر الى اخر سنة بعد سنة حتى يعود الى
موضعه فكانت حجة الوداع التي ذكر في خطبتها هذا الحديث في السنة
التي استدار فيها كهيئته يوم خلق الله السموات والارض بهيئة السنة
اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان قدره دفعا للنسيء وكان بدوه
في كنانة اذ كانوا فقراء محتاجين الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني يقوم
على جمل في مواسم الحج ويصيح باعلا صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمرو الذي رواه الشيخان
في الحوض زواياه سواء اي مربع تربيعا مستويا لا يزيد طوله على عرضه
وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو داود في حديث الذكر تسبح عشرا
وتحمد عشرا وتكبر عشرا وان الحسنة بعشر امثالها فتلك

للكلمات المذكورة دبر الصلوات الخمس في اليوم والليلة مائة وخمسون
على اللسان لان عددها دبر كل صلاة ثلاثون والف وخمسمائة في
الميزان لان الحسنة بعشر امثالها تفضلا منه تعالى لبيانه ومن جاء بالحسنة
فله عشر امثالها وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني عن ابي رافع
بسند ضعيف وهو في موضع اي ليس به حمام وهو في موضع حال
من الضمير قبلها نعم موضع الحجام هذا فاعل نعم مستتر والمضاف
تمييز بمعنى موضعا واسم الاشارة هو المخصوص بالمدح وقوله صلى الله عليه
وسلم فيما رواه الترمذي عن ابي هريرة وصححه ما بين المشرق والمغرب
قبلة يجوز ان يراد بها الجهة كما هو الاصل حيث اطلقت فيحمل على من هو في
جنوبه او شماله والتبست عليه وان يراد بها نفس الكعبة ولا ريب انها
بينهما كما هي بين الجنوب والشمال وخصا بالذكر لشروق الشمس وغروبها
منهما وقيل المراد بها قبلة المدينة ونواحيها فانها جوها وقوله صلى الله عليه
وسلم لعيينة بن حصن الفزاري او الاقرع بن حابس التميمي انا افرس بالخيل
منك من الفراسة بفتح الفاء اي انا ابصر منك بها واعرف ورجل فارس
بالامر اي عالم به بصير وبكسرها من التفرس ولا اعرف من رواه غير
انه غريب انه صلى الله عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له انا
اعلم بالخيل منك فقال وانا افرس منك اي ابصر واعرف وقوله صلى الله
عليه وسلم فيما رواه الترمذي عن زيد بن ثابت لكاتبه قيل هو معاوية
لانه كان ممن داوم على الكتابة له ضع القلم على اذنك فانه اذكر للممل
بلام مشددة اسم فاعل ومفعولا اي اكثر ذكرا لما تحتاجه من
سوانح ذكره وتجتنبه من سوانح فكرة مما يمليه من امليت واملئت
عليه ما يكتبه فالاملال والاملاء لغتان وبهما ورد القرآن وليملل
الذي عليه الحق وهي تملى عليه هذا مركب من حرف تنبيه واسم اشارة
اي ما ذكر مما جمع له صلى الله عليه وسلم من المعارف والعلوم وخص به
من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والاخرة مع انه صلى الله عليه وسلم
كان لا يكتب لخبر حديث انا امة لا نكتب ولا نحسب ولكنه اوتي
علم كل شيء حذف فاعل الاتيان للعلم به حتى وردت اثار رجع اثر
مما يوثر اي يروى موذنة بمعرفته حروف الخط وحسن تصوير
حروفه كقوله صلى الله عليه وسلم لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم
رواه محمد بن القاسم هو ابن شعبان المصري المالكي من طريق
ابن عباس وكذا الذهبي ووهاه ابن حزم وما ادري لماذا وروى الديلمي

والتبست ٥
اهل م

عن انس اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله عن زيد بن
ثابت اذا كتبت فبين السين في بسم الله الرحمن الرحيم وقوله صلى الله
عليه وسلم كما في مسند الفردوس في الحديث الاخر الذي روي
عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة
اي اجعل فيها مدادا مناسبا للكتابة وحرف القلم بضم الراء مشددة اي
اجعل طرف شقه الايمن ازيد من الاخر قليلا معتدلة غير مائلة ولكثرة
الاستعمال حذفت الفها وعوض عنها تطويلها ولا تعور الميم اي لا تطمسها
وحسن الله اي حسن اسمه الكريم كتابة ومد الرحمن هكذا والله اعلم بمراده
وجود الرحيم اي كتابة وهذا اي ما ذكر مما شهد بان مما اوتيه من المعارف
معرفة حروف الخط وان لم تصح الرواية عن احد من رواة سنته انه كتب بيده
الشريفة فلا يبعد ان يرزق علم هذا اي علم الخط ويمنع الكتابة
والقراءة للخط ولا يبعد ايضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة
ان يقعا منه في وقت معجزة له وكرامة لبيانه وذلك ما في صحيح البخاري فاخذ
النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله
وفيه في عمرة القضاء انه قال لعلي امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا
فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله واما
علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب شعوبا وقبائل وعمائر وبطونا
وافخاذا وفصائل وكل يجمع ما بعده على ما هو
فامر مشهور لا يخفى على احد قد نبهنا على بعضه اول الكتاب
كما تقدم مع بيان معانيه وضبط الفاظه وكذلك حفظه الكثير
من لغات الامم كقوله في الحديث الذي رواه البخاري عن ام خالد
سنه سنه وفي رواية سناه سناه وفي اخرى سنا سنا بفتح المهملة
وكسرها القابسي وشدد نونها وخففها ابوذر وغيره وهي حسنة
اي معنى ذلك اللفظ باللغة الحبشية وقوله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه الشيخان وغيرهما من طرق ويكثر الهرج بفتح الهاء مفتوحة فراء
ساكنة فجيم وهو القتل اي بالحبشية وقد سئل صلى الله عليه وسلم
عنه فقال القتل ونص عليه كثير من ائمة اللغة فهو من توافق اللغتين
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجه عن ابي هريرة اشكنب
درد بهمزة مفتوحة فمعجمة ساكنة فكاف مفتوحة فنون فباء
ساكنتين ومهملتين مفتوحة وساكنة بينهما راء ساكنة اي وجع البطن
بالفارسية الى غير ذلك مما منحه من المعارف واوتيه من العوارف

اة القا
وافم آلبا

مما لا يعلم بعضه ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس
اي شاده وقاومه وقاواه وابلا نفسه فيه والعكوف على الكتب
اي ملازمة مطالعتها والاقامة عليها من عكف وهو الاقامة على
الشيء وبالمكان ولزومها يقال عكف يعكف ويعكف عكوفا واعتكف
يعتكف اعتكافا فهو معتكف ومنه قيل لمن لازم المسجد واقام على العبادة
فيه عاكف ومعتكف ومثافنة بمثلثة وفا ونون مفتوحتين والثفنة ما
باشر الارض من كل ذات اربع اذا بركت مما غلظ من اثر البروك وكثرته كالركبة
والتي في صدر البعير اي مجالسته اهلها عمرا باركا على ركبتيه فهو صلى الله
عليه وسلم رجل كان له اسم امي في قوله تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
منسوب الى الام اي كما ولد لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه
اي من ممارسة الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها صفته ولا
نشا من اول عمره الى ان بعث بين قوم لهم علم ولا قراة لشيء من هذه الامور
التي يمكن ممارستها الانصاف بذلك ولا عرف هو صلى الله عليه وسلم قبل
من الغايات المنقطعة عن الاضافة لفظا اي لم يعرف قبل ارساله نبيا منه
بشيء منها دونه ما قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله اي القران من كتاب ولا
تخطه بيمينك فظهورك جامعا لانواع العلوم على يديك وانت امي لم تعرف
بقراة ولا تعلم امر خارق للعادة فلا مجال للارتياب لاهل الكتاب في انك النبي
الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وذكر اليمين زيادة
تصوير لنفي كونه كاتبا ولو كان كاتبا ارتاب اذن لارتاب المبطلون وقالوا
لعله تعلمه او كتبه من كتب الاقدمين وسماهم مبطلين لكفرهم به مع اتصافه
بكونه اميا موذنا بعدم من الريب ثم ما كانت غاية معرفة العرب النسب
كل قبيلة تنتسب الى جدها واخبار اوابدها وما وقع لها في سالف الازمان والشعر
قريضا وهزجا ورجزا ومقبوضا ومبسوطا والبيان وهو هنا المنطق الفصيح
المعرب عما في الضمير اذ كانوا يظهرون المعنى ويكشفونه باين لفظ والطفه
وفي الحديث ان من البيان لسحرا وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلمه
اكتسابا ومزاولة لتحصيله والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه
وهذا الفن الذي كانت العرب تعرفه نقطة من بحر علمه صلى الله عليه
وسلم شبه علمه لكثرة انواعه وسعته وعموم نفعه ببحر زاخر عذب تمراه
اضاف المشبه به الى المشبه على طريقة لجين الماء تشبيها موكدا اي من
علمه الذي هو لسعته كالبحر او على طريقة الاستعارة المكنية واثبت له
النقطة تخييلا حتى كانه من جنس المشبه به ولا سبيل الى جحد المعاند اي

المائل عن الاستقامة لشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفر حيلة يتشبهون
بها في دفع ما قصصناه وتلي عليك الا قولهم في القران الكريم والفرقان
القديم هو اساطير الاولين اي سطره الاقدمون بكتابة وانما يعلمه
بشر فرد الله قولهم هو اساطير الاولين وانما يعلمه بشر بقوله تعالى
لسان الذي يلحدون اي لغة الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه اعجمي
غير منطلق اللسان لا يكاد يبين وهذا اي القران الكريم لسان عربي
د مبين اي ذو بيان وفصاحة يفصح عن المراد بابلغ بيان وكشف وظهور والاسناد
فيه مجازي ثم ما قالوه من انه انما يعلمه بشر مكابرة العيان اي المعاينة كالحاسة
البصر فان الذي نسبوا تعليمه صلى الله عليه وسلم اليه اما سلمان الفارسي
او العبد الرومي يعيش غلام حويطب بن عبد العزى اسلم وكان ذا كتب
وسلمان انما عرفه بعد الهجرة فلا يقال انه كان يعلمه بعد نزول الكثير من
القران عليه كهذه الاية وبعد ظهور ما لا يعد من الايات الدالة على ابطال
ما زعموه بالابنية واما الرومي فكان اسلم وكان يقرا على النبي صلى الله عليه
وسلم واختلف في اسمه كما سياتي وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يجلس عنده عند المروة فزعموا انه كان يعلمه وكلاهما اي سلمان والرومي
اعجمي اللسان الكن لم يخلص لسانه من اللكنة وهم الفصحاء اللد لا عزهم جمع الالد
وهو الشديد الخصومة اذ في اللد شديدهم وفي الحديث ابغض الرجال الى
الله الالد الخصم بمعجمة مفتوحة فمهملة ساكنة مكسورة اي الشديدها ومنه
قول عثمان فانا منهم بين السن لداد وقلوب شداد والخطباء اللسن جمع
لسن وهو منطلق اللسان العارف بجيد الكلام من رديه اذ كانوا الغاية ية
في البراعة والخواص على التسابق في مضمار البلاغة ومع ذلك قد عجزوا
عن معارضة ما اتى به وعجزوا عن الاتيان بمثله حين تلي عليهم وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله عن اقصر سورة منه
فما تفوهوا ببنت شفة ولا اعربوا عن موصوف ولا صفة بل قد عجزوا
عن فهم وصفه اي تركيبه المنتظم نظما محكما رصينا لا نقص فيه ولا خلل
وعجزوا عن صورة تاليفه بعضا الى بعض في مرتبته بجهات حسن لا يقوم
حوالي اعجازه بليغ ولا يقوم لا يتوقى اعجازه صنيع وعجزوا عن صورة نظمه
في سلك البيان على احسن ترتيب وملائمة تناسب واساليب فكيف
باعجمي استفهام عن حاله اذ ليس سهم يستفهم به عن الحال الفصيح
عن شرط مقدر اي اذا كانوا بما وصفوا به من اللسن والفصاحة عجزوا عما
ذكر فما حال اعجمي الكن ابكم ذي عي وفهاهة بين اللكنة قد كان سلمان غلام

حويطب بن عبد العزى وبلعام الرومي ويعيش او جبرا ويسار على
اختلاف في اسمه اي اسم غلام حويطب بين اظهرهم ويقال ظهرانيهم
بزيادة الف ونون مفتوحة للتاكيد اي مقيم بينهم اوسطهم واستنادا
اليهم ظهر منهم قدامه وظهر وراه ومن جانبيه فهو مكنون بينهم
اذا قيل بين اظهرهم ثم كثر حتى استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا فهم يخبرون
باحوال سلمان وغيره ممن هو بينهم فانهم كانوا يكلمونه مدة اعمارهم
اي مدتها والا فالمدة لغاية ويعرفون عن اللسان وفيه هذا الكلام فهل فهل
حكي عن واحد منهم كسلمان او الرومي انه صدر منه شي من مثل ما جا
به محمد صلى الله عليه وسلم من البينات الباهرة والايات الظاهرة
وهل عرف واحد منهم وهم بين ظهريهم بمعرفة شي من ذلك اي مما جا به
صلى الله عليه وسلم وما منع العدو من قريش وغيرهم على كثرة عدده
وذوب طلبه اصله من داب يداب دابا ودوبا وداب اذا جد وتعب
الا ان لهم حولت تغيا الى العادة واليسان وفي حديث البعير الذي سجد
له صلى الله عليه وسلم فقال لصاحبه انك تجيعه وتدئبه اي تكده وتتعبه
بمداومة العمل عليه وفوق حسدهم ان يجلس الى هذا الذي زعموا يعلمه فياخذ
عنه ايضا كاخذه صلى الله عليه وسلم في زعمهم ما يعارض به ما جا به صلى الله عليه
وسلم ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه بسكون الغين المعجمة والعامة تفتحها
يقال شغبه وبه وفيه وعليه اي على تهييج شر وفتنة وخصامه اذا المشا
المخاصمة والمعاتبة كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به بزخرفه
وتزيينا للناس من زخارف اخبار كتبه مما لا يجدي نفعا ولا يشفي غليلا
كانه مخراق لاعب لا برهان قاطع ولا غاب صلى الله عليه وسلم عن
قومه غيبة يمكنه فيها ان يتعلم ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل
الكتاب بل ولا ورد بلادهم المرة الواحدة مدة يمكن تعلمه فيها فيقال حيث
لم يردها انه ما استمد منهم شيئا مما تحداهم به فعجزوا عنه بل بعثه
كما قال نبيا اميا لا يكتب ولا يحسب لم يزل مكنونا من جميع جوانبه بين اظهرهم
يرعى من المراعاة وهي الملاحظة والحفظ وفي الحديث خير نساء ركبن
الابل نساء قريش احناه على طفل في صغره وارعاه على زوج في ذات يده
اي الاحظ واحفظ في صغره وشبابه على عادة انسابهم ملاحظا محفوظا
كهو في صغرهم وشبابهم ثم لم يخرج من بلادهم الا في سفرة او سفرتين
مرة مع عمه ابي طالب فرده من الطريق بالشام بحيرا الراهب واخرى
في تجارة لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة لم يطل فيها مكثه مدة

يحتمل فيها القليل تعلما من علم وغيره فكيف يحتمل ان يكون الكثير قد تعلمه في
غيبة قل فيها مكثه ولو يخالط فيها احدا من اهل الكتاب فنفي تعلمه القليل
يؤذن بنفي تعلمه الكثير فيها على وجه برهاني اذ لم يلزم من انتفا الملزوم
انتفا لازمه بل كان في سفره صحبة قومه ورفاقه الذين كانوا معه مسافرين
لم يغب عنهم ولا خالف حاله التي نشا عليها مدة مقامه بمكة الى ان هاجر منها
الى المدينة من تعليم اي تعليمه ومن زائدة ويجمله رفع على الفاعلية مفعوله حاله
واختلاف الحبر بكسر المهملة افصح من فتحها من احبار اليهود اي علمائهم
الساكنين طرق انبيائهم او منجم ممن يتعاطى علم النجوم او قس بفتح القاف من
قسيسي النصارى اي علمائهم او كاهن من كهنة العرب وهو من يخبر عما
سيكون بل لو كان هذا اي ما ذكر كله قد صدر منه صلى الله عليه وسلم بعد
اي بعد مكثه بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه لكان ما اتى به من المعجزات
القران اي القرآن المعجز بلاغته من طولب بمعارضته قاطعا لكل عذر لان
اعتقد بوابه نفسا وتحديا ومدحضا من الدحض وهو الزلق اي مزلقا ودافعا
لكل حجة لتشبثوا الحفا في انكار ما جا به ومجليا اي موضحا وكاشفا لكل امر لاح
عليه مخايل اللبس فصل من خصائصه صلى الله عليه وسلم اي منحها تشريفا
له وكراماته التي اكرم بها وباهر اياته اي علامته الغالبة الدالة على صدقه
انباوه جمع نبا اي خبر اي اخباره الواقعة له مع الملائكة والجن وامداد الله له
بالملائكة في مواطن كثيرة كبدر وطاعة الجن له كجن نصيبين ورويته كثير
من اصحابه لهم وهنا خبرا جالى يرد عليك بيانه تقسيما بعد جمع قال تعالى
وان تظاهرا بتشديد الظا تقلب التا الثانية طا وادغمت وبتخفيفها
بحذفها اي وان تتعاونا عليه بما يسوءه فلن يعدم من يظاهره فان الله هو
مولاه اي ناصره ومويده وجبريل وصالح المومنين اي كل من صلح منهم
لشبهها دي الاضافة بالعموم والملائكة بعد ذلك اي بعد نصرة الله له وجبريل
وصالحي المومنين ظهير اي مظاهرين له ومنهم جبريل فافرده تعظيما لشانه
كاظهارا لمكانته عنده وذكر مظاهرتهم له من جملة مظاهرة الله له صلى
الله عليه وسلم تعظيما لهم وقال اي الله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني
معكم فثبتوا الذين امنوا باني معكم معينا وناصرا لهم وباني سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب اي الجزع والهلع فتنخلع من صدورهم فاضربوا فوق الاعناق
اي اعاليها التي هي المذابح لانها مفاصل الروس لانها فوق الاعناق واضربوا منهم
كل بنان اي كل اصبع اطلاقا لاسم الجزء على الكل اي حزوا رقابهم واقطعوا
اطرافهم وقال اي الله جل وعلا اذ تستغيثون ربكم بعبادة المستغيثين اغثنا

وانصرنا على عدوك وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى الكفار الفا
واصحابه ثلثمائة فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان
تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداوه
فقال ابو بكر يا نبي الله حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم ربكم اني اي باني ممدكم بحذف الجار وسلط عليه استجاب
فنصب محله بالف من الملائكة مردفين جمع مردف بكسر الدال اسم فاعل
او بفتحها اسم مفعول قراءتان اي متتابعين يردف بعضهم بعضا على
قراءة الكسر ويردف بعضهم ببعض على قراءة الفتح وقال واذ صرفنا
اي املنا اليك نفرا دون العشرة وجمعه انفار من الجن اي من اشراف
جن نصيبين منهم زوبعة يستمعون القرآن المنزل لله مجاز المتعبد
بتلاوته فلما حضروه اي القرآن او النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي
بعضهم لبعض انصتوا اي اسكتوا لنستمعه فلما قضي اي فرغ من قراءته
ولوا جواب لما اي رجعوا الى قومهم منذرين اي مخبرين لهم بسبب حراسة
السماء اذ قد وردانها لما حرست لقصدوا فوافوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بوادي نخلة مقبضه من الطائف يقرأ في صلاة الصبح فاستمعوا
قراءته واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف ففي صحيح
مسلم عنه كما سيأتي انه لم يكن معه وكذا سند هنا من سوا هذا انابه
مع الملائكة حديث مسلم لقد راى من آيات ربه الكبرى قال اي راويه
عبد الله بن مسعود راى اي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته
التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح وربك يخلق ما يشاء ويختار واخبر
في محادثته مصدر مضاف الى الفاعل اي مكالمته صلى الله عليه وسلم
جبريل واسرافيل وغيرهما من الملائكة كعزرائيل وما شاهده من كثرتهم
تنبيه ده حديث اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك
اما راكع او ساجد وعظم صور بعضهم كعزرائيل واسرافيل ليلة الاسرا
مشهور رواه الائمة كخبر يا محمد هذا ملك الجبال يسلم عليك وقد راه اي جبريل
بحضرته صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فراى اصحابه
تقسيم لما ذكر من الجمع جبريل كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق في صورة
رجل كدحية بن خليفة الكلبي يسأله عن الاسلام والايمان فاجابه
باركانهما وثمراتهما وما لهما واصل رجوعهما الى الاذعان والانقياد والقبول
ولهما مزيد بيان وتحقيق ابينا مقاصدا لمقاصد وشرحه وشرح الاربعين
النووية وراى ابن عباس واسامة بن زيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها كظرف
استقر في ظرف وتمكن منه فاستعير له في هذا واما رواية ابن عباس له فرواها
الترمذي بلفظ ان ابن عباس راى جبريل مرتين واما روية اسامة فرواها البخاري
عنه وفيها ان ام سلمة راته واما غيرهما كعائشة فروى روايتها البيهقي وروية
حارثة بن النعمان رواها البيهقي والبزار ورؤية محمد بن مسلمة رواها البيهقي
وراى سعد هو ابن ابي وقاص كما رواه الشيخان عنه على يمينه ويساره جبريل
وميكائيل ولمسلم لطاهرانه مرتين في صورة رجلين عليهما ثياب بيض
وروي عن غيره انه قال سمع بعضهم زجر الملائكة خيلهم يوم بدر اي زمن
وقعته وبعضهم راى كما رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وابي واقد الليثي
تطاير الرؤوس من الكفار في وقعة بدر ولا يرون الضارب قال ابو داود
المازني في رواية ابن اسحق اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع راسه
قبل ان يصل اليه سيفي وراى ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يومئذ اي
يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق وروى البيهقي عن سهيل بن عمرو انه هو الذي
راهم بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وهم ملك واحد كاف في اهلاك
الدنيا اذ قد اهلك جبريل مداين قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة واحدة وقد
كانت الملائكة كما رواه ابن سعد عن قتادة تصافح عمران بن حصين وفي
مسلم انها كانت تسلم عليه وروى البيهقي عن عمار بن ياسر مرسلا انه
صلى الله عليه وسلم ارى حمزة عمه ابن عبد المطلب جبريل في الكعبة فخر
مغشيا عليه من هيبته وراى ابن مسعود كما رواه البيهقي الجن ليلة الجن
اي ليلة امروا ان ينذرهم وسمع كلامهم وشبههم برجال الزط
نجم مضمومة فمهملة مشددة قوم من السودان طوال هذا وقد يشكل
حديث مسلم فيما مر ان ابن مسعود لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ليلتهم
لكن في سيرة ابن سيد الناس ان حديثه مشهور وروي من طرق حسنة
قال وانفرد طريق ابي زيد بزيادة التوضي بنبيذ التمر ورواها ابن ماجه
ايضا من حديث ابن عباس بسند فيه ابن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه
وذكر ابن سعد كاتب الواقدي ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد اخذ
الراية ملك على صورته تمثل لتمكنه من التشبه بشبيهه كحاله من
اعلا شبيها وركبه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم
يا مصعب ظنا منه انه هو فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك
لذا عزاه لابن سعد لكن روى ابن ابي شيبة في مصنفه انه صلى الله عليه
وسلم قال يوم احد تقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله

المقبل مصعب قال بل ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه وذكر غير واحد من المصنفين
كالبيهقي وابن ماكولا عن عمرو بن تيّاح جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل
شيخ بيده عصى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه
وسلم السلام وقال نغمة جن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لها مكسورة
تحتيه ساكنة بن لاقيس او لاقيس بزيادة تحتيه بن ابليس فذكر انه لقي نوحا
ومن بعده من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وانه صلى الله عليه وسلم
علمه سورا من القران المرسلات وعم واذا الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين
هذا وقد ذكر ابن الجوزي انه موضوع واقره الذهبي في تجريده قال اذ في طريقه
رواية عمر اسحق بن بشر بن مقاتل الكاهلي قال العقيلي اتفقوا على انه كذاب يضع
الحديث وفي طريق رواية انس محمد بن عبد الله الانصاري منكر الحديث وكذا
الاسناد من عمر ثابت لا يرجع الى صحة والحديث لا اصل له وروى النسائي والبيهقي
عن ابي الطفيل مثل ما ذكروا قدي قتل خالد عند قطعه العزى بالمثناة
الاعز سمرة كانت لغطفان يعبد ولها السوداء التي خرجت له منها بعد
قطعها ناشرة شعرها عريانة واضعة يدها على راسها داعية بالويل
فجزلها بجيم وزاي مفتوحتين اي قطعها بسيفه وهو يقول يا عزى كفرانك
لا غفرانك اني رايت الله قد اهانك واعلم اي خالد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له تلك العزى ولن تعبد ابدا وفي رواية تلك شيطانة وروى
الشيخان عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شيطانا
ان كانت نونه اصلية فهو من الشطن اما بمعنى البعد لبعده من الخير او بمعنى الحبل
الطويل كانه طال في الشر وان كانت زائدة فمن شاط يشيط اذا هلك او من
استشاط غضبا اذا احتد والتهب تفلت ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه
فاخذته فاردت ان اربطه اي اوثقه بوثاق منضما الى سارية اي اسطوانة
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم كالعلة لارادته ربطه اليها
فذكرت دعوة اخي سليمان صلى الله عليه وسلم رب اغفر لي وهب لي ملكا قدم
الاستغفار على استيهاب الملك اهتماما بتقديم امر دينه كغيره من الانبيا
على امر دنياه لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل لغيري هذا ولم يكن استعطاء
ربه ما لا يعطيه غيره حرصا على استقلاله بالنعمة بل طلب على حسب الغه
من التربية في البيت بين الملك والنبوة ملكا زائدا زيادة خارقة للعادة بالغة
حدا الاعجاز دالا على نبوته فترك ربطه تأدبا مع اخيه سليمان فرده الله اي رد
الشيطان خاسئا اي خائبا حقيرا صاغرا مبعدا فصل من دلائل نبوته
وعلامات رسالاته جمع دليل وعلامة اريد بهما هنا ما يفيد ثبوت رسالته

من ربه ويتسع

وهو ما ترادفت به الاخبار اي تتابعت يتبع بعضها بعضا عن الرهبان من النصارى
كخبر الراهب بحيرى وكان اعلم اهل زمانه مع عمه ابي طالب وقد سافر به في
اشياخ من قريش الى الشام فلما نزلوا بصرى من حوران الشام فنزل من
صومعته وكان قبل ذلك لا ينزل لمن مر به فطفق يتخللهم حتى اخذ بيده صلى
الله عليه وسلم وقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه
الله رحمة للعالمين فقالوا له ما علمك قال انكم حين اشرفتم لم يبق شجر ولا حجر
الا سجد له ولا يسجدون الا لنبي واني لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف
كتفه مثل التفاحة ثم صنع لهم طعاما واتاهم به وهو صلى الله عليه وسلم يرعى الابل
فارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فقال لهم انظروا الغمامة تظله فدنى
منهم وقد سبقوا الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيؤها عليه فقال انظروا الى فيئها
مال عليه فبينا هو يناشدهم الله ان لا يذهبوا به الى الروم فانهم ان راوه عرفوه
بصفته فيقتلوه اذ اقبل سبعة او تسعة نفر اقبلوا من الروم فقال لهم ما اقدمكم هنا
قالوا سمعنا خروج هذا النبي في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه وبعثنا الى
طريقك هذا فقال لهم امرا اراده الله هل يقدر احد ان يرده قالوا لا فاقاموا
عنده ثم رجع الى عمه فلم يزل به حتى رده الى مكة وبعث معه ابو بكر بلالا وزوده
الراهب زيتا وكعكا وما ترادفت به عن الاحبار من اليهود جمع حبر بالكسر اوله
افصح من فتحه كخبر حبر بني عبد الاشهل اذ اتى نادي قومه فذكر البعث والحساب
والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فقالوا ويحك اهذا
كائن وان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ويجزون باعمالهم قال نعم
ولوددت ان حظي من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور ثم تقذفوني فيه ويطبقوه
علي واني انجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبي يبعثه الله من هذه البلاد
واشار بيده الى مكة قالوا متى تراه فرمى بطرفه الى اصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه
فلما بعث امنا به وصدقناه وكفر هو به فقلنا له الست الذي قلت ما قلت واخبرتنا
فقال ليس به وما ترادفت به عن علماء اهل الكتاب من عطف عام على خاص اذ
ليس كل عالم منهم راهب وحبر من صفته وصفة امته صلى الله عليه وسلم كخبر
عبد الله بن سلام قال في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى ابن مريم يدفن
معه وخبر كعب الاحبار قال نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا
غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة
وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء يحمدونه
في كل منزلة ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها يأتزرون
على انصافهم ويتوضؤن على اطرافهم مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال

وصفهم في الصلاة سواهم بالليل كدوي النحل هنا ومعنى رعاة الشمس
يراقبون طلوعها وغروبها ودلوكها حفظا لاوقاتها واسمه صلى الله عليه وسلم
كما قال كعب في التوراة محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب بالاسواق اعطي المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع به اذانا
وقرا ويقيم به السنا معوجة حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
به يعين المظلوم ويمنعه وقال مقاتل بن حيان في الانجيل اني خلقتك من غير
فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سوران
بلغ من بين يديك اني انا الله الحي القيوم الذي لا ازول صدقوا النبي الامي
العربي وقال وهب بن منبه في الزبور يا داود سياتي من بعدك نبي يسمى احمد
ومحمدا صادقا سيدا لا اغضب عليه ابدا ولا يغضبني ابدا وقد غفرت له
قبل ان يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تاخر وامته مرحومة اعطيتهم من
النوافل مثل ما اعطيت الانبيا وافترضت عليهم الفرايض التي افترضت على
الانبيا والرسل حتى ياتوني يوم القيامة نورهم مثل نور الانبيا وعلاماته
كما في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة وهي التاج والنعلين والهراوة وهي
القضيب الجعد الراس الصلت الجبين الكث اللحية عرقه في وجهه
كانه اللولو ريح المسك ينفح منه كان عنقه ابريق فضة وكان الذهب
يجري في تراقيه شعرات من لبته الى سرته كالقضيب ليس على صدره
وبطنه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا جامع الناس غمرهم واذا مشى
كانما يتقلع من الصخر وينحدر في صبب وذكر الخاتم الذي بين كتفيه
كما هو في كتب اهل الكتاب وقد راه الراهب بحيرا كما مر وكثير
من اصحابه صلى الله عليه وسلم كما رواه عنهم ائمة الحديث قال السايب بن
يزيد ذهبت بي خالتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول
الله ان ابن اختي وجع فمسح راسي ودعا لي بالبركة ثم توضا فشربت من
وضوئه ثم قمت من خلفه فرايت خاتم النبوة مثل زر الحجلة وعن عمر رايته بين
كتفيه مثل بيضة الحمامة رواه مسلم يشبه جسده وعن عبد الله بن سرجس
رايته بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى عليه خيلان وما وجد من ذلك
اي مما دل على نبوته واخبر برسالته في اشعار الموحدين المتقدمين
الثنا لهم قبل المبعث من شعر تبع بعد منصرفه من المدينة وكان قد انذر
اهلها الاوس والخزرج ويهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه بالليل ثلاث
ليال فاستحيا وارسل ليصالحهم فخرج اليه من الاوس احيحة بن الجلاح ومن
يهود بنيامين القرظي فقال له احيحة ايها الملك نحن قومك وقد لبث مناها

الملك

الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبي يبعثه الله من
قريش فانشده شعرا

القي الي نصيحة كي ازدجر • عن قرية محجورة بمحمد

وشعر الاوس بن حارثة وكعب بن لوي سابع اجداده صلى الله عليه
وسلم وسفيان بن مجاشع فيه صلى الله عليه وسلم ولم اقف على شي منه في
وشعر قس بن ساعدة فيه صلى الله عليه وسلم

يا ايها الراقد في الليل الاجم • قد بعث الله نبيا في الحرم
من هاشم اهل الوفا والكرم • يجلو دجنات الدياجي البهم

وقال

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث • لم يخلنا منه سدى من بعد
عيسى واكترث
ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث • صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

سدى

وقد راه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن
شاهين وغيره من الصحابه وما ذكر عن سيف بن ذي يزن فيه صلى
الله عليه وسلم اذ قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن
معه من قومه ليهنوه بنصرته على الحبشة اني مفض اليك من سر
علمي ما لو غيرك لم ابح له به قد رايتك معدنه فاكتمه حتى ياذن الله فيه
اني اجد في علمنا الذي ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما
فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك
خاصة قال فما هو قال اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة كانت له
الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال ايها الملك لقد رايت
خبرا ما آب به وافد ثم قال ايها الملك ابن لي ما ازداد به سرورا قال
سيف هذا حينه الذي يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه
ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا
انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض
ويفتتح بهم كرايم اهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد
النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله
وينهى عن المنكر ويبطله فقال ايها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال
سيف والله انك لجده فهل احسست بشي مما ذكرت لك قال نعم
انه كان لي ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا واني زوجته كريمة من كرايم
قومي امنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته مات ابوه وامه وكفلته

انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعدا
ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو لك ما ذكرت لك عمن معك فلست آمن
عليك ان يحسد ولك الا ابا وهم ولولا اني اعلم اني اموت قبل مبعثه لجعلت
يثرب دار ملكي فانها مهاجره واهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفي عليه
لاعلنت على حداثة سنه امره ولاوطات على انوف العرب كعبه وقد
صرفت ذلك اليك من غير تقصير عن من معك وانا حال الحول فاتني
بخبره وما يكون من امره فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبي في
الصحابة مع ايمانه به في حياته ولم يره فالحق انه مخضرم لا صحابي ومنهم
كالراهب الذي قال لسلمان الفارسي اذ قال له بمن توصيني اكون عنده
بعدك قال اعلم اي بني والله ما اعلم احدا على ما كنا عليه او قبلنا ان
يكون عندهم ولكن قد اظلك زمان نبي يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين
في ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة
ياكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل
وما عرف به بتشديد الرا مبنيا للمفعول من امره صلى الله عليه وسلم
زيد بن عمرو بن نفيل عن راهب بالجزيرة اذ قال له وقد ساله عن دين
ابراهيم ان كل من رايت من الاحبار والرهبان في ضلال انك تسال
عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج في ارضك نبي او هو خارج
يدعو اليه ارجع اليه فصدقه واتبعه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث ببلدح فقال له اي عم ما لي ارى قومك قد ابغضوك قال
اما والله ان ذلك لغير نائرة مني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت
ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به راهب الجزيرة من امره صلى الله
عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم احس شيئا بعد فقدم صلى الله عليه وسلم
له سفرة فيها لحم فقال انا لا اكل مما لم يذكر اسم الله عليه ثم مات قبل
ان يبعث فقال صلى الله عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة امة وحده
كما رواه النسائي هذا وعد ابن منده له في الصحابة ممن راه صلى الله عليه وسلم
واجتمع به قبل البعثة من الصحابة توسع اذ لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم
بعدها مؤمنا وما عرف به من امره ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى
بن قصي بن كلاب لسماعه واخبرته خديجة بنت خويلد بن اسد بما
اخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب ومن راى ملكين يظلانه فقال
لئن كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر
هذا زمانه ثم انه كان يستبطي الامر حتى قال

أتبكر ام انت العشية رائح ... وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا احب فراقهم ... كأنك عنهم بعد يومين نازح
واخبار صدق خبرت عن محمد ... يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فتاك الذي وجهت يا خير حرة ... بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى والركاب التي غدت ... وهن من الاحمال قعص دوالح
فخبرنا عن كل خير بعلمه ... وللحق ابواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله احمد مرسل ... الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به ان سوف يبعث صادقا ... كما ارسل العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له ... بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حيا لؤي جماعة ... شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان ابق حتى يدرك الناس دهره ... فاني به مستبشر الود فارح
والا فاني يا خديجة فاعلمي ... عن ارضك في الارض العريضة سائح

هذه شواهد صدق بايمانه به مع ما لم يذكر انه صحابي بل هو اول الصحابة
من انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه صلى الله عليه وسلم اتاه بعد مجي
جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة وبعد انزال اقرا
باسم ربك عليه وبعد قول ورقة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر
به ابن مريم وانك على ناموس موسى وانك نبي مرسل وقد ورد انه
صلى الله عليه وسلم راه في الجنة وعليه ثياب خضر وفي مستدرك
الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فاني رايته وعليه
جبة او جبتان هذا وقول الذهبي عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات
بعد النبوة وقبل الرسالة اذ في البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما اخبره
بما قال له جبريل قال هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ليتني اكون
حيا اذ يخرجك قومك قال او مخرجي هم قال نعم لم يات احد بمثل
ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا ومما
عرف به من امره عثكلان بمهملة مفتوحة فمثلثة الحميري عن من
لقيه من الرهبان لم اقف له على ترجمة وهو منسوب الى حمير بن سبا
قبيلة من اليمن منهم كانت ملوكهم قديما ومما عرف به من امره علماء اليهود
من كتبهم واخبروا به كقول عالم منهم كان بمكة تاجرا في ناد من قريش
هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله اكبر اما اذ اخطاكم
فلا حرج انظروا واحفظوا ما اقول لكم ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة
الاخيرة بين كتفيه شامة وعلامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف

فريس فتفرقوا متعجبين من قوله فسال لكل اهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله
بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودي به فقال اذهبوا انظر
فدخلوا به على امه فراى العلامة فخر مغشيا عليه ثم افاق فقالوا ويلك ما دهاك
فقال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل افرحتم به يا معشر قريش ليسطون
بكم سطوة يطير خبرها في المشرق والمغرب وما عرف به من امره تاموك
بمعجمة وميم بينهما الف صاحب تبع الذي مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا له
ان هذه مهاجر نبي اخر الزمان ونحن لن نبرح منها لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل
واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وتوالدوا فقال ان الانصار من ذريتهم من صفته
وخبره بيان لما عرف به زيد ومن ذكر بعده كعلماء اليهود اذ كانوا اعلم اهل زمانهم
بما دبر من بعثته واخبروا بانه مبعوث بدين ابراهيم اسمه احمد ومحمد وما الفي من
ذلك اي ما وجد مما دل عليه في التوراة فلما سلم ابراهيم انها خرجت ويكون
من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال
لموسى اني مقيم لهم نبيا من بني اخوتهم مثلك واجري قولي في فيه يقول لهم
ما امرتهم والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم منه
والانجيل قال عيسى اني اطلب الى ربي حتى يمنحكم فارقليطا يكون معكم الى
الابد وقيد على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي اي بالنبوة
هو الذي يعلمكم ويمنحكم جميع الاشيا ويذكر لكم ما قلته واني قد اخبرتكم بهذا
قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفارقليط معناه كاشف الخفيات وقد اقول
لكم الان حقا ان انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يات
الفارقليط وان انطلقت ارسلت به اليكم فاذا جا يفند العالم ويدينهم
ويوبخهم ويوقفهم على الخطية والبر والذين روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر
جميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقا نفسه مما جمعه العلما بيان لما الفي
فيها من صفته وخبره ويبنوه وينقله عنهم ثقات من اسلم مثل الحبر عبد
الله بن سلام وبني سعنه بالنون والخلاف والمعروف انهما اثنان كما في
دلايل النبوة للبيهقي وشرح ابن سيد الناس عن ابن اسحق ثعلبة اسيد
وثعلبة ابني سعنة واسد بن عبيد نفرا من هذيل ليسوا من بني قريظة ولا
النضير قالوا قدم علينا قبل البعثة بسنين حبر من يهود الشام يقال له ابن
الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقي به فحضرته الوفاة فجئناه فقال يا معشر
اليهود ما ترونه اخرجني من ارض الخمر الى ارض البوس قلنا انت اعلم قال
انما خرجت اتوقع مبعث نبي قد اظل زمانه مهاجره هذه البلاد فاتبعه فلا
يسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دما من خالفه وسبي ذراريهم ثم

مات فلما فتحت خيبر قال اولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا احداثا يا معشر
يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قال بلى
ثم نزلوا فاسلموا وخلوا اموالهم واولادهم واهاليهم في الحصن فردها
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن يامين ومخيريق وكعب واشبا لهم
ممن كان عالما بصفته وخبره صلى الله عليه وسلم ممن دعته السعادة
الى الاذعان فانقاد واسلم ولم يره مثل كعب فهو تابعي مخضرم او راه
كمخيريق فهو صحابي كان حبرا عالما من بني النضير استشهد باحد واوصى
للنبي صلى الله عليه وسلم بسبع حوايط اي بساتين جمع حايط وبستان
وبحيري بقدر ما عنه ما شهد له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وعموم
الرسالة فهو من الفايزين بل من الصحابة ان لم يشترط في الصحابي الاجتماع ع
به بعد البعثة ونسطور الحبشة فيده فهو جد زرالبا سه بنسطور
الشام وصاحب بصرى وضغاطر معجمتين ومهملة بعد الالف
الاسقف الرومي اسلم على يد دحية الكلبي فقتلوه فهو تابعي مخضرم
واسقف الشام لعله نسطوره المختبر عنه فيما مر والجارود بن العلا وفد
في قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد جيت بالحق
ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك
في الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية والشكر لمن اكرمك
لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانا اشهد ان لا اله
الا الله وانك محمد رسول الله ثم امن قومه وسلمان الفارسي والنجاشي
ونصارى الحبشة واساقف نجران اي علماؤهم ورؤساؤهم جمع اسقف
اسم سرياني وفي النهاية يحتمل ان يكون سمي به لخضوعه وانحنايه في
عبادته اذ هو لغة طول الانحنا وغيرهم ممن اسلم من علما النصارى
واعترف برسالته وعمومها قبل بعثته وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب
رومية بتخفيف اليا مدينة رياسة الروم عالما النصارى ورؤسايهم
نسبه ذه ما في البخاري ثم كتب هرقل الى صاحبه برومية وكان نظيره في
العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه
على خروج النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي ومقوقس ملك القبط اسمه جريج
بن مينا صاحب مصر وجعله من الصحابة غلط اذ اشوعنه ما اذن
ببقايه على كفره وصاحبا الشيخ وابن صوريا اسلم ثم ارتد الى دينه وابن
اخطب حيي ابو ام المومنين صفية واخوه ابو ياسر قتلا كافرين صبرا
مع اسرى بني قريظة وكعب بن اسد صاحب عقد بني قريظة وعهدهم

تلتهم
موادعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقضوا العهد فقاتلهم فغنمهم وقتل مقا
وسبى ذريتهم **والزبير بن باطيا** بفتح الزاي وكسر البا وفي نسخة باطا
بلا تحتية والد عبد الرحمن بن الزبير الذي تزوج امراة رفاعة القرظي تميمة بنت
وهب فلم يمسها فشكته كما في البخاري لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
انما معه مثل هدبة الثوب فقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك **من علما يهود ممن حمله الاسد والنفاسة**
عليه بالنبوة فلم يره اهلا لها انفة وايثارا منه **على النفا على الشقا** والارتدا
الى الكفر كابن صوريا واختلاف الشين ذاتا ومخرجا مع عدم اشتباههما
خطا اذن بانهما تجنيسا لاحقا **والاخبار** من دلايل نبوته وعلاماته مسالته
في هذا الذي شهدت به منها **كثيرة لا تحصر وقد قرع** صلى الله عليه وسلم
اي ضرب وابلغ **اسماع اليهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته**
كما مر عن التوراة وفي الانجيل جد في امري واسمع واطع يا ابن الطاهر
البتول اني خلقتك من غير فحل الى اخر ما تقدم **وصفة امته** كما مر عن التوراة
وفيها قال موسى رب اني اجد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويومنون بالله فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد
قال اني اجد فيها امة اناجيلهم في صدورهم يقرونها وكان من قبلهم يقرون في
كتبهم نظرا لا يحفظونها فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال اني اجد فيها امة يومنون
بالكتاب الاول والاخر ويقاتلون روس الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب
فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد قال اني اجد فيها امة اذا هم احدهم بسيئة
لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة ولم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا الى سبع مائة ضعف فاجعلهم
امتي قال تلك امة احمد قال اني اجد فيها امة هم المستجيبون والمستجاب
لهم فاجعلهم امتي قال تلك امة احمد وفي الزبور يا داود ياتي بعدك نبي يسمى
احمد ومحمدا صادقا سيدا امته مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل
صلاة كما افترضت على الانبيا وامرتهم بالغسل من الجنابة كما امرت الانبيا
وامرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وامته على الامم كلها اعطيتهم
ستا لم اعطها غيرهم لا اخذهم بالخطا والنسيان وكل ذنب يفعلونه عمدا
اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لاخرتهم طيبة به انفسهم عجلته
لهم اضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي اضعافا مضاعفة واعطيتهم
على المصايب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة
الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا واما ان اصرف عنهم سوا

او

او ادخره لهم في الاخرة **واخبر** صلى الله عليه وسلم **عليهم** اذا انكروا صفته وصفة
امته **بما** شهد بها من الايات البينات **مما انطوت عليه صحفهم وذمه**
صلى الله عليه وسلم **تحريف ذلك** الذي انطوت عليه صحفهم من صفته
وصفة امته وانكارهم **وكتمانه** بعد ما ظهر **ولويهم السنتهم ببيان امره**
اي فتلها وصرف ما شهد بها وغيرها الى غيره حسدا منهم وبغضا اذ كان ن
من العرب لا من بني اسرائيل يشهد له قول بعض احبارهم كان بمكة تاجرا من
قريش مرة وليمتكوا الليلة ولد فقيل لعبد الله بن عبد المطلب فراه فخر
مغشيا عليه ثم افاق فقال انقطعت والله النبوة من بني اسرائيل ولم ينطق
انه منكر **و** قرع اسماع نصارى نجران بما امره به ربه من **دعوتهم الى**
المباهلة اي التلاعن **على الكاذب** فابوا كما مر انهم اهلوه حذرا الهلاك
وبذلوا له الجزية كل سنة وواعدوه ان ينصرفوا **فما منهم** اي من اليهود والنصارى
الا من نفر واعرض **عن معارضته** فيما قرع به اسماعهم به مما ذكر **وابدا ما**
الزمهم من كتبهم اظهار اي اظهر من كتبهم ما الزمهم اظهاره فلم
يظهروه كانه الرجم **ولو وجدوا** في كتبهم **خلاف قوله** لتسارعوا الى **وكان** ن
اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ
القتال اي تركه مما لهم في فعله او تركه من حظ وشفا غليل **وقد قال لهم**
اي لليهود حين قالوا لما قرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
لسنا اول من حرمت عليه وقد كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى
انتهى الامر الينا **فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين** يبدي لهم انها
لم تحرم الا عليهم لظلمهم وبغيهم وهو امر له بمحاججتهم بما فيها تبكيتا
لهم وتوبيخا فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم ياتوا بحرف منها **الى** اي مع **ما انذر**
به الكهان من حلول البوس والنقم بمن خالفه وناواه ولم يطعه **مثل**
شافع بن كليب من كهان العرب ممن انذر به من لم يومن به ولم يتبعه **وشق**
بكسر اوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى يد ورجل وعين
وسطيح كاهن بني ذويب من غسان لم يكن في بدنه عظم سوى راسه
بل جسده ملقى لا جوارح له لا يقدر على جلوس الا اذا غضب انتفخ فجلس عاش
ثلاثمائة سنة جمع معه الا زيادا ايام سيل العرم ومات وهو صلى الله عليه
وسلم بمكة ايام سيره ويجب هرمز بن بابك واهل دربا الموبذان ابلا صعابا
تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت في بلادها بما حاصله انه ستكون
بزوال تطهر النبي صلى الله عليه وسلم وقد فتح اصحابه بلاده في خلافة عمر **وسواد**

بن قارب من ازد دوس كان كاهنهم في الجاهلية اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
ان رئيه اخبره ان الله بعث نبيا فانهض اليه على ما سياتي قريبا وخناف
بمعجمة مضمومة كان من بني حمير اسلم على يد معاذ ولم ير النبي صلى الله
عليه وسلم فصو نا بني محصم وافعى نجران بهمزة مفتوحة فقا سالنه كاهنهم
في الجاهلية وجذل بن جذل الكندي بكسر جيمها وسكون معجمتها كاهنهم
فيها وابن خلصة بمعجمة فلام فمهملة مفتوحات وسعد بن كريز وفاطمة بنت النعمان
لم اقف لهم على ترجمة ومن لا يعد كثرة ممن اخبر بظهوره وانذر بمبعثه وانه من
خالفه الى اي مع ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته بيان لما وطلوع و
رسالته كقول باجر صنم مازن الطائي وقد عتر له عتيرة يا مازن اقبل
اقبل تسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جاء بحق منزل امن به كي
تعدل عن حر نار تشعل وقودها بالجندل فقلت هذا والله العجب
ثم عترت له بعد ايام اخرى فقال يا مازن اسمع تسر ظهر خير وبطن شر
بعث نبي من مضر بدين الله الكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر فقلت
هذا والله العجب وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك
فقال ظهر رجل من تهامة يقول يا قوم اجيبوا داعي الله اسمه احمد فقلت هذا
والله نبا ما سمعت منه فكسرته ورحلت اليه صلى الله عليه وسلم فشرح
لي الاسلام فاسلمت وقول صنم عمرو بن جبلة يا عصام يا عصام جاء الاسلام
وذهبت الاصنام وصنم طارق بني هند بن حرام يا طارق يا طارق
بعث النبي الصادق ومع ما سمع من هواتف الجن جمع هاتف وهو الصائح
بالشيء الداعي اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم يا ذباب
يا ذباب اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة
فلا يجاب وسماع ابن منبه الغطفاني جاء حق فسطع ودمر باطل
فانقمع وسمع خالد من سطيح جاء الحق القائم والخير الدائم وسماع
سواد بن قارب من رئيه وهو نائم ثلاث ليال فاتاه فانبهه واعقل ان
كنت تعقل قد بعث نبي من لؤي بن غالب ثم قال عجبت للجن وانجاسها
وشدها العيس باحلاسها تهوي الى مكة تبغي الهدى ما مؤمنوا
الجن كانجاسها فانهض الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك
الى راسها ثم انبهني وافزعني وقال يا سواد ان الله بعث نبيا
فانهض اليه تهتد وترشد ثم انبهني في الليلة الثانية وقال
عجبت للجن وطلابها وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ليس قداماها كاذنابها

فانهض الى الصفوة من هاشم واسم بعينيك الى نابها
ثم انبهني في الثالثة وقال
عجبت للجن وتخبارها وشدها العيس باكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى ليس ذوو الشر كاخيارها
فانهض الى الصفوة من هاشم ما مؤمنوا الجن ككفارها
فوقع في قلبي حب الاسلام فاتيته صلى الله عليه وسلم بالمدينة فلما راني
قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا
فاسمعه مني ثم قلت
اتاني رئيي بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة اتاك نبي من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت بي الدعلب الوجناء عند السباسب
فاشهد ان الله لا رب غيره وانك مامون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين شفاعة الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما ياتيك يا خير مرسل وان كان فيما جاء شيب الذوائب
فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب
قال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت
يا سواد وما سمع من ذبائح النصب جمع نصب بمعنى منصوب
للعبادة كسماع عمر من عجل راى رجلا يذبحه للنصب تقول
يا ال ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله
وما سمع من اجواف الصور كما هو عن مازن السابق وغيره
وما وجد من اسمه صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة
مكتوبا مفعول ثان لوجد في الحجارة بالخط القديم مما الامر مشهود
على ما في كتب السير وغيرها مما نقله الثقات وتقدم تطير من انه
في بلاد الهند ورد مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله
واسلام من اسلم بسبب ذلك علما من الكتب وغيرها سماعا او رواية
كما هو معلوم مذكور في كتب ثقات نقلة الاخبار فصل ومن ذلك
اي مما دل على نبوته ورسالته ما ظهر من الايات عند مولده صلى الله عليه
وسلم وما حكته امه امنة بنت وهب انها اتيت فقيل لها قد حملت
بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد
وما حكاه من حضر وقت ولادته من العجائب مما يتلى عليك قريبا
وكونه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن النهدي مرسلا رافعا

رأسه عند ما وضعته شاخصا ببصره إلى السماء إشارة إلى حيازته كل شرف
وسؤدد وفخار وما رأته أي أمه كما رواه أحمد والبيهقي عن العرباض
وأبي أمامة من النور الذي خرج معه عند ولادته حتى رأيت منه قصور
بصرى وما رأته كما رواه البيهقي والطبراني إذ ذاك أي وقت ولادته
أم عثمان بن أبي العاصي من تدلي النجوم أي نزولها ودنوها منه تبركا
به وشهود الولادة وظهور النور الذي سطع منه عند ولادته حتى
ما تنظر أم عثمان بن أبي العاصي في البيت إلا النور وقول الشفاء
بمعجمة مفتوحة ففاء مشددة أم عبد الرحمن بن عوف لما سقط صلى
الله عليه وسلم على يدي واستهل أي عطس لا صاح لشبهه ده جواب لما
أعني سمعت قائلا يقول رحمك الله تشميتا له من الملك وأضاء لي ما
بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم بأرض الشام
رواه أبو نعيم في الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف عنها وما تعرفت
به حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية وزوجها الحارث بن عبد العزى
ظئراه تثنية ظئر بمعجمة مكسورة وهمزة ساكنة وهو في الأصل
المرضعة وقد يطلق على أبي الرضاعة أيضا كما هنا من بركته صلى الله عليه
وسلم ودرور لبنها له ولولدها رضيعه بعد أن لم يكن لها ما يغني
لغنيه ودرور لبن شارفها أي ناقتها المسنة وخصب غنمها
بعد أن كانت تسرح فترجع جياعا ما تبض بقطرة لبن كل ذلك بعد
أن أخذته وقد تركته المراضع ليتمه ولم تجد غيره فلما جئت به رحلي
فأقبل عليه ثدياي فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي وقام زوجي
إلى شارفنا فوجدها حافلا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير
ليلة وقال والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة ألم تري إلى ما بتنا
به الليلة من الخير والبركة قلت كما رواه سابقا ولاحقا ابن إسحاق وابن حبان
والطبراني وأبو يعلى والحاكم والبيهقي بسند جيد عن عبد الله بن جعفر وكانت
أتاني قمراء قد أذمت بالركب فلما رجعنا إلى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق
بها حمار فتقول صواحبي هذه أتانك التي خرجت عليها معنا فأقول والله إنها
لهي فيقلن والله إن لها لشأنا فقدمنا أرض بني سعد وما أعلم أرضا أجدب
منها وإن غنمي لتسرح ثم تروح جياعا فيقولون لرعاتهم اسرحوا مع غنم
ابنة أبي ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا ما بها قطرة لبن وتروح غنمي
شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونعرفها حتى بلغ سنتيه
وما تعرفت به وزوجها من سرعة شبابه وحسن نشأته أي كبره قبل

تكامله من نشأ ينشأ نشوءا نشيء وفي الحديث كان إذا رأى ناشئا في أفق السماء
رئيت الكراهة في وجهه أي سحابا لم يتكامل اجتماعه واصطحابه
قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على أمه ونحن
أحرص شيء بمكثه فينا لما نرى فيه من البركة ثم قلنا لها دعينا نرجع به حذرا عليه
من وباء مكة فما زلنا بها حتى قالت نعم وما جرى من العجائب مما سمع منه إذا
عظم موقعه وخفي سببه ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي
وابن أبي الدنيا وابن السكن عن مخزوم بن هانئ من ارتجاج إيوان كسرى أي
تحركه شديدا مع إحكام بنائه لا لخلل به والإيوان كديوان صفة زنة وهو الصفة
العظيمة وأصله أوان قلبت واوه الأولى ياء لكسر ما قبلها وقد تخفف
كخان وكسرى بكسر أوله وفتحه معرب خسرو ولقب ملوك الفرس
كقيصر لقب ملوك الروم والإخشيد لملوك فرغانة وتبع لملوك اليمن
والنجاشي لملوك الحبشة وسقوط شرفاته أربع عشرة بارتجاجه جمع
شرفة بضمتين وقد تسكن راؤه وملك منهم ملوك بعددها عشرة
في أربع سنين والباقي إلى خلافة عثمان وغيض بحيرة طبرية مصدر
غاض كغيض أي قل ونضب أي غار وطبرية مدينة معروفة بناحية الأردن
ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وبحيرتها عظيمة
والمعروف أن الغائضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس وخمود نار فارس
أي وقت غيض بحيرتهم فكأنها طفئت بمائها ليلة ولده وكان لها ألف عام
لم تخمد وروى ابن سعد وغيره عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل
مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير أي حال صغره شبعوا ورووا أي أكلا
وشربا ببركته ويمن طلعته وإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا إذ لم تشملهم
بركته إذ ذاك وكان سائر ولد أبي طالب أي جميعهم يصبحون شعثا أي يكونون
في الصباح مغبرة وجوههم متغيرة ألوانهم وشعورهم وهم عقيل وطالب
وجعفر وعلي وأم هانئ وجمانة وأم طالب شملهم كلهم إلا طالبا لما مات كافرا
ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا أحوال من ضمير يصبح
وما بينهما اعتراض أفاد دعاءه صلى الله عليه وسلم وروى ابن سعد وأبو
نعيم في الدلائل قالت أم أيمن بركة بنت محصن حاضنته ما رأيته صلى الله عليه
وسلم اشتكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا إذ كان ربه يطعمه ويسقيه
أي يخلق فيه قوتهما ومن ذلك أي من دلائل نبوته وعلامات رسالته حراسة
السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع أي
القول المسموع من الحق فيلقونه إلى أوليائهم فيكذبون معه ما شاؤوا فمنعوا منه

يظهرون صلى الله عليه وسلم فلما بعث اشتد الامر وكثر الحرس بشهادة قوله تعالى
حكاية عنهم وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ومن
دلائل نبوته علامات رسالته ما نشا عليه من بغض الاصنام لشهادة حديث
البيهقي عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت
معه قبل البعثة فلما مررت بالصنم تمسحت به فقال لي لا تمسه ثم طفنا فقلت في
نفسي لامسنه حتى انظر ما يقول فمسحته فقال لي الم تنه قال زيد فوالذي اكرمه الله
اكرمه ما استلم صنما قط وما نشا عليه من العفة من امور الجاهلية ومعايبها لما اريد
به من كرامه بالرسالة حتى فاق فضل قومه كلا واشرفهم جلالا واكرمهم خلقا وخلقا
واتمهم مروءة واحسنهم مخالطة واصدقهم حديثا وابعدهم عن الفحش نزاهة واعظمهم
امانة حتى ما شهر به فيهم الا الامين وما خصه الله من ذلك من الاخلاق المرضية
والاعمال الزكية والاعانة على نوائب الحق وجاه قبل بعثته من الصفات المرضية
والسمات المستعدة حتى في ستره من التعري كشفا للعورة في الخبر المشهور عند بناء
الكعبة فيما رواه الشيخان عن جابر والبيهقي عن ابن عباس اذ اي حين اخذ ازاره بامر
عمه العباس ليجعله على عاتقه ليحمل الحجارة وتعرى فسقط الى الارض وطمحت عيناه
الى السما حتى رد ازاره عليه فقال له عمه العباس بن عبد المطلب ما لك قال اني
نهيت عن التعري وفي رواية كنت انا وابن اخي نحمل الحجارة على رقابنا وازرنا تحتها فاذا
غشينا الناس اتزرنا فبينما انا امشي ومحمد امامي خر لوجهه فجئت وهو ينظر
الى السما فقلت ما شانك فاخذ ازاره وقال نهيت ان امشي عريانا فكنت اكتمها الناس
مخافة ان يقولوا مجنون ومن ذلك اي مما دل على نبوته ورسالته فيما رواه الترمذي
والبيهقي اظلال الغمام له في صغره على ما مر في حديث الراهب بحيرى وفي رواية
لابن سعد عن نفيسة بنت منية ان خديجة ونساها رانه وملكان يظلانه
ووقاية له من حر الشمس فذكرت ذلك لميسرة غلامها فاخبرها انه راى ذلك منذ
خرج معه في سفره الى الشام كما مر انه اخبرها انه راى الراهب راها يظلانه ورد
كما روى الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس ان حليمة بنت ابي
ذؤيب تنظره وان غمامة تظله وهو عندها جملة حالية من ضمير تظله اي
حال اقامته عندها قبل ان ترده الى جده وروي ذلك اي تظليل الغمامة له عن غيره
من الرضاعة ومن ذلك اي مما دل على نبوته ورسالته ولم ادر من رواه انه صلى
الله عليه وسلم نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشب
ما حولها مبالغة في العشب اي كثرة خصبه وهو الكلا ما دام رطبا اي نبت
فيه عشب كثير وايعنت يقال اينع الثمر يونع وينع فهو مونع ويانع اي ادرك
ونضج وفي حديث خباب فمنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها وفي خطبة الحجاج اني

ارى رؤسا قد اينعت وحان قطافها وانا صاحبها وبهم لاستحقاقهم القتل
بما ارتكبوه على طريقة الاستعارة المكنية واثبت لها القطف تخييلا
والينع نضجا وايناعا اكثر استعمالا من ينع فاشرقت اي ارتفعت
وتدلت على اغصانها اي استرسلت عليه مظلة عليه مظلة له صلى الله
عليه وسلم متعلقة بحضرة من راه ومن ذلك ميل في اي ظل الشجرة
اليه في الخبر الاخر المتقدم عن الراهب بحيرى حتى اظلته ومن ذلك
ما ذكر في نوادر الاصول للحكيم الترمذي عن عبد الرحمن بن قيس وهو
وضاع كذاب عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان
من انه صلى الله عليه وسلم كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان
نورا والنور لا ظل له هذا معنى ما في النوادر ولفظه لم يكن له ظل في
شمس ولا قمر ومن ذلك ما ذكر من ان الذباب كان لا يقع على جسده
وثيابه ولا علم لي بمن رواه ومن ذلك ما رواه الشيخان تحبيب الخلوة
اليه ولفظ البخاري ثم حبب اليه الخلا اي العزلة عن الناس اذ بها
فراغ القلب وتخشعه والاعانة على التفكر والانقطاع عن مالوفات
النفس حتى اوحي اليه ما اوحي اليه تكريما له وتعظيما ثم اعلامه فيما
رواه الشيخان عن عمر رضي الله عنهما بموته ودنو اجله المشير اليه الامر بالاستغفار
في قوله فسبح بحمد ربك واستغفره وان قبره بالمدينة لما رواه ابو نعيم في
الدلائل عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من
الارض وروى البيهقي عن ابي بكر الصديق ان قبره يكون في بيته
صلى الله عليه وسلم وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة
وسيرد عليك ومن ذلك كما رواه البيهقي في الدلائل تخيير الله له
بين الدنيا والاخرة عند موته بلفظ قالت عائشة كنا نتحدث ان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والاخرة فسمعته في
مرضه الذي مات فيه يقول مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اولئك رفيقا فظننا انه
كان يخير وفي رواية قالت لما نزل به وراسه على فخذي غشي عليه
ثم افاق فشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهي
اخر كلمة تكلم بها وفي رواية ان جبريل قال له ان ربك يقريك السلام
ويقول ان شئت شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت
لك قال ذلك الى ربي يصنع بي ما شا ومن ذلك ما اشتمل عليه
حديث الوفاة الذي رواه الشافعي في سننه والعدني في مسنده

يقرؤك ح

والبيهقي في الدلائل من كراماته وتشريفه لخدمة الملائكة له واخبارهم
بعد عموم الرسالة وارساله جبريل اليه يقول ان الله يقرئك السلام ورحمة الله
وفي رواية قال يا محمد ان الله ارسلني اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك يسألك عما
هو اعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال اجدني مغموما مكروبا وصلاة الملائكة
عليه على ما رويناه في بعضها انه صلى الله عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون
فيسلم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون علي اي صلاة الجنازة بتحرم وتكبير
وتسليم ثم صلى علينا اصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى في الموطا بلاغا قال
اخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ودفن
يوم الثلاثا وصلى الناس عليه افذاذا لا يؤمهم احد رواه الشافعي في الام بلفظ
فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرادى لا يؤمهم احد وذلك
لعظم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنافسهم في ان لا يتولى الامامة في
الصلاة عليه احد صلوا عليه مرة بعد مرة ومن زعم ان المراد بها الدعا فقد
نكب عن الحق وعدل عن الحقيقة الى المجاز بلا بينة ولا قرينة صارفة عنها اليه
واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره لقبض روحه الشريف
اذ قال له جبريل ان ملك الموت بالباب يستاذن عليك ولم يستاذن
على احد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان
الله امرني ان اطيعك فيما امرتني به ان امرتني ان اقبض نفسك قبضتها وان
امرتني ان اتركها تركتها ونداهم الذي سمعوه لا تنزعوا القميص عند غسله
حين قالوا اما ندري انجرده من ثيابه ام نغسله بها فالقى عليهم النوم فما
منهم رجل الا وذقنه في صدره سمعوا قايلا لا يدرون من هو غسلوه
وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الما فوقه رواه ابو داود
والبيهقي وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه ابي عبد الله الحاكم
من طريق بريدة قال اخذوا في غسله فاذاهم بمناد من داخل لا تخرجوا
عنه قميصه وما روي كما في دلايل النبوة للبيهقي من تعزية الخضر
والملائكة اهل بيته عند موته اذ سمعوا قايلا لا يرون شخصه يقول
السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله خلفا من كل
هالك وعوضا من كل مصيبة ودركا من كل فايت فبالله فثقوا واياه
فارجوا فان المصاب من حرم الثواب الى ما ظهر على اصحابه من كرامته
وبركاته التي تكاد تفوت الحصر في حياته وبعد موته كاستسقا عمر
بعمه العباس كما رواه البخاري وتبرك غير واحد بما لا يكاد يحصى كثرة
بذريته الحسنين وزين العابدين علي بن الحسين وابنه ابي جعفر محمد

الباقر وابنه جعفر الصادق وابنه موسى الكاظم وصالحي اولادهم فصل
قد اتينا اي جمعنا واوردنا في هذا الباب اي الباب الرابع فيما اظهر الله على
يديه من المعجزات وقد اتى معنى فعل يتعدى بعلى كمر على نكت جمع نكتة
من نكت بالارض اذا اثرها فاثر فيها ونكتة الكلام لطايفه ودقايقه
من معجزاته واضحة حال مما قبله وجمل من علامات نبوته جمع جملة وهي
ما جمل احاده وكملت افراده اي جمعت واحصيت والعلامات جمع علامة
وهي ما جعل علما عليها يعلم صدقه من عرفها مقنعة حال من جمل اي تغني
من عرف حقيقتها في نبوته في واحد منها اي من النكت والجمل في
الكفاية والغنية عما يوثر ويصرف عن الايمان به والاذعان
والانقياد له صلى الله عليه وسلم وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا من
نكت معجزاته وجمل علامات نبوته واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض اي على نفسه اذ عين الشي نفسه اي على المقصود بالذات
الى ايراده فيه وهو في الاصل مرمى السهم استعير اسمه لما يقصده الانسان
ما تجامع القصد وفص بفتح الفا اي صفوه المقصد بفتح المهملة بمعنى
المقصود من الامور الوسطى بين الافراط والتفريط وانتقينا فيه من
كثير الاحاديث وغريبها في ما صح وهو ما رواه ثقة يتفرد به راو
عن امام سوا كان بجمع حديثه ام لا خلافا لابن منده ثم الانفراد
اما بجميع المتن كحديث النهي عن بيع الولا اذ لم يصح الا من جهة
عبد الله بن دينار عن ابن عمر او ببعضه اما فيه كان يتفرد في متن رواه
غيره بزيادة كحديث زكاة الفطر تفرد فيه مالك عن جميع من
رواه بقوله من المسلمين او في السند كحديث ام زرع فيما رواه الطبراني
في الكبير من رواية الدراوردي وعباد بن منصور كلاهما عن هشام
بن عروة عن عايشة والمحفوظ فيه رواية عيسى بن يونس وسعيد عن
هشام بن عروة عن اخيه عبد الله بن عروة عن عروة عن عايشة بزيادة
عبد الله مع ان المرفوع منه انما هو كنت لك كابي زرع لام زرع وباقيه
موقوف على عايشة واشتهر بين ايمة الحديث وانتصر امره واستفاض
الا اليسير من غريبه الذي لم يشتهر بان كان وحشيا لقلة دورانه
على السنتهم مما ذكره مشاهير الايمة من الحفاظ للسنة ونقاد الاثر
وحذفنا الاسناد في جمهورها اي اكثرها وفي حديث ابن الزبير لمعوية انا
لا ندع مروان يرمي جماهير قريش بمشاقصه اي جماعتها واحدها جمهور
من جمهرته اذا جمعته طلبا مفعول من اجله حذف الاسناد للاختصار

حذرًا من التطويل وحسب بسكون ثانيه الباء زايده اي كافي هذا الباب اي
الرابع لو نقضي بقاف ومهملة مشددة مبنيا للمفعول اي لو تتبع وخلص
من مظانه ان يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عدة لامكن لكثرة
ما ورد فيه من معجزات باهرة ولكسر بيانات وافرة وحسب مبتدا خبره
ان يكون ديوانا وجواب لو محذوف وقد ذكرناه واصل ديوان دوّان
اسم للشيطان كما مر قلبت واو الاولى يا لكسر ما قبلها ومعجزات
نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من سائر اي كل معجزات الرسل صلوات الله
وسلامه عليهم بوجهين احدهما كثرتها مع اشتهارها اذ الكثرة لا تستلزم
الشهرة وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها
او ما هو ابلغ منها كالقران المجيد فانه ابلغ معجزة اوتيت اذ به صارت
مصاقع الخطبا من العرب العربا لكنا نليزيا توا حين تحدوا باقصر سورة
منه بثبت شفه حتى الجايهم العجز عن المعارضة بالحروف الى المقارعة
بالسيوف وقد نبه الناس على ذلك فقيل انه كان تعالى قد تولى خلق
ادم بيده فقد تولى شرح صدر نبينا بنفسه مع انه كان هو المقصود
بخلق ادم او رفع ادريس مكانا عليا فقد رفع ليلة المعراج الى ان كان
قاب قوسين او ادنى او نجى نوحا ومن معه من الغرق فقد امنه
وامته من عذاب نعتشم بهم او اكرم ابراهيم بنجاته من نار نمرود فكانت
عليه بردا وسلاما فقد اكرمه باطفا نار ودها السيوف وهيه
الحتوف كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله او اكرم موسى بقلب عصاه
حية بلا نطق فقد اكرمه بنطق كثير من الاشجار والاحجار وتسبيح
الحصى وحنين الجذع وتسليم الحجر الاسود والشجر عليه وسعيها اليه
او ببياض يده فكان لها شعاع يكاد يذهب الابصار فقد اكرمه بانتقال نوره
نورا في اصلاب الابا وبطون الامهات من ادم الى عبد الله او بانفلاق البحر
فقد اكرمه بانشقاق القمر او بانفجار الماء من الحجر فقد اكرمه بنبعه من بين اصابعه
او بكلامه فقد اكرمه ليلة الاسرا او اكرم هارون بفصاحة لسانه فقد
كان منها ومن البلاغة بالمحل الاكمل او خص يوسف بشطر الحسن فقد منحه
به كله او اكرم داود بالانة الحديد فقد اكرمه باخضرار العود اليابس وادرار شاة
ام معبد بلا ولد لبنا خالصا سائغا للشاربين او اكرام سليمان بمنطق الطير
وغيره فقد اكرمه بنطق ما ذكر والبعير والظبي والضب وذراع الشاة
المسمومة وغير ذلك او بتسخير الريح فقد اكرمه بطي الارض له حتى راى
مشارقها ومغاربها او بتسخير الشياطين فقد امكنه من ابليسهم اذ جاءه

بشعلة من نار ليحرق وجهه صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب فربطه
بسارية من سواري المسجد او بملك لم ينبغه لاحد فقد خير بين ان يكون
ملكا نبيا او عبدا نبيا فاختار ان يكون عبدا نبيا ومن ثم قيل
يا خير عبد على كل الملوك ولي او اكرم عيسى بابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى
فقد اكرمه باجابة من قال له لا ومن باحيى يحيى لي بنتي فاتى قبرها فنادا
فقالت لبيك وسعديك وبرده عين قتادة الى محلها بعد خروجها فصارت
احسن ما كانت واما كونها اي معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة فهذا القران
به كثرتها اذ كله معجز سورة واية اذا عجز من طولب بمعارضته من البلغا
فلم ينهض لايراد ما يدانيه معارض ولا المقدار اقصر سورة منه ناهض
واقل ما يقع به الاعجاز منه عند بعض ايمة التحقيق سورة انا اعطيناك
الكوثر لكما لها بارتقائها كغيرها منه الى ان تخرج عن طوق البشر وتحجيم
عن معارضتها او اية بقدرها لانها قران لزيمه تحوم حول معارضتها بلغ
وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة بالى فرع جنباتها
وكان تامة اكتفت بمرفوعها المستتر فيها اي كيف وجدت وزاد اخرون
على ما قال من ذكر الى ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من
كلمة او كلمتين وهو يوبد القول بصرف من طولب بمعارضة شي منه
عن الاتيان بمثله والحق ما ذكرناه اولا عن بعض ايمة التحقيق ان اقل
ما يقع به الاعجاز انا اعطيناك الكوثر او اية بقدرها لقوله تعالى فاتوا
بسورة من مثله الشاملة لها ولغيرها فنحو اي ما ذكره اولا اقل ما
تحداهم اي كل شي طلب منهم معارضته مع انا نبصر هذا القول الذي
ذكره اولا واورد اسم الاشارة موردا الضمير لكمال العناية بتمييزه
اكمل تمييز لاختصاصه بما ينصره من نظر في مراتب الاعجاز وتحقيق
لها ولطايفها اعتبارا لانها الا ترى شيا من تلك اللطايف يراعى في كلام بليغ
من وجه لطيف الا عترتب عليه مراعى في كلام نحوا لعلم من الطف
وجه واجله في معلى مظانها كالزيادة المعنى الواحد على انحا تختلفه
بحسب مقتضيات المقامات كما في قوله تعالى في المومنين لقد وعدنا
نحن واباونا هذا بعد ابدا متنا وكنا ترابا وعظاما وفي النمل لقد وعدنا
هذا نحن واباونا بعد ابدا متنا وكنا ترابا فقدم هذا على مرفوعي وعد
هنا لكونه اهم من حيث انه ادخل في تعجيب البعث عن سائر الامكان
بعدم تماجزه من ابدا انهم على صورته نفسه فاستحق من زيادة اعتنا
بتقديمه لادخليته في استبعاد البعث وذكر هناك في محله لا يفاز المقام

يسبقا بعض اجزائها اعني العظام وعدم استلزامه تلك الزيادة وفيه مما ذكرنا
كثير يطول بسطه واذا كان هذا اي ما تحدانا به اقل ما في القران من الكلمات
نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف بالتشديد وقد تخفف وكلما زاد على
عقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثاني وزيادة على عدد بعضهم ممن عد كلماته
وعدد انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزئ القران عشرا عشرا على
نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد
منها معجز في نفسه بارتقائه الى ان خرج عن طوق البشر واعجزهم
عن معارضته ثم اعجازه كما تقدم في مطالبه بوجهين طريق بلاغته
بما يشتمل على لطايف سحر الايجاز وطريق نظمه في سلك ايجاز بليغ واعجاز
لا تهب حوالي شريف جانبه رياح الاتيان باقصر سورة منه فصار
في كل جزء من هذا العدد السبعة الالاف معجزتان من جهة بلاغته
ومن جهة نظمه فيضاعف العدد من هذا الوجه ذي الجهتين
فيصير اربعة عشر الفا ثم فيه اي في القران وجوه اعجاز اخر من الاخبار
بعلوم الغيب عما صدر من القرون الخالية في ازمانها الماضية فقد يكون
في السورة الواحدة من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كخبر
احوال موسى مع احوال فرعون في قصتها كل جزء منها بنفسه معجزان
فيضاعف العدد المضاعف كرة اخرى ثمانية وعشرين الفا ثم وجوه
الاعجاز الاخر وهي الخمسة التي ذكرناها توجب التضعيف الى ما لا
يكاد يحصى كثرة فهذا التضعيف الوافر في حق القران فلا يكاد يأخذ
العدد معجزاته لكثرتها وعسر ضبطها بالنجاز الى الكشف حتى الاعجاز
ولا يكاد يحوي الحصر براهينه القاطعة عن معارضة اقصر سورة منه
ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم
في ما سبق من هذه الابواب المتقدمة مما اشرنا الى جمل منها
من هذا في التضعيف فلا يكاد يأخذها عدد ولا يحويها حصر يبلغ نحو
جدا الوجه الثاني من وجهي كون معجزاته اشهر من معجزات الرسل
قبله وضوح معجزاته واشتهارها الى حيث لم يجهل فان معجزات الرسل
كانت واردة على اقدار همم اهل زمانهم وكانت بحسب
الفن سما فيه اي ارتفع بينهم بمعرفته ذلك الفن في زمانهم وقرنه اي
اهله من الاقران وهو في الاصل المقدار الذي يتقاربون فيها فقوله في
اعمارهم واحوالهم فيقال هو اربعون سنة او ثمانون او مائة وقد
اطلقه هنا على اهله اسقي بحذف خبر لم تر في ثم الذين بلو لهم ثم الذي

بلو لهم فلما كان زمن موسى غاية علم اهله السحر بعث اليهم بمعجزة تشبه
ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم على يديه صلى الله عليه وسلم منها ما خرق
عادتهم من انقلاب العصا حية واليد البيضاء اي تسمر اجابيضا من غير سوء ولم يكن
ذلك المعجز في قدرتهم واني لهم ذلك لانه دخل تحت نطاق قدرتهم وقد
ابطل ما جاءهم منها سحرهم وكذلك اي وكزمن موسى اذ كان غاية علم اهله
السحر زمن عيسى اغنيا اسير تعضل غاية من الغاية اي نهي ما كان علم اهله الطب
واوفر ما اي اكثر شيء في زمنه كان اهله فجاءهم على يديه صلى الله عليه وسلم امر
لا يقدرون عليه لاستحالة اتيانهم لغيرهم به واتاهم ما لم يحتسبوا
اي ما لم يخطر لهم ببال من غير ترقب وتوقع من احياء الميت بيان لما لا يقدرون
عليه وابراء الاكمه الذي ولد اعمى ممسوح العين والابرص من بلغه بياض
كان ياتيه من طاق الاتيان ومن لم يطق ذهب صلى الله عليه وسلم اليه فربما
اجتمع عنده الالوف من المرضى وذوي العاهات فيداويهم من دون معالجة
وطب بل بالدعا وهكذا اي مثل ما ذكر سائر معجزات الانبيا كانت بقدر
علم اهل زمانهم فكان كل نبي يرسل الى قومه بمعجزة من جنس ما عانوه من علم
وصناعة وغيرهما ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف
العرب وعلومها اي ما تعرفه من الجزئيات والكليات على ما مر والواو للحال اي
بعثه والحال انه مدركا لهم اربعة البلاغة وهي ملكة يبلغ بها المتكلم في
تادية المعاني حقها يؤذن بتوفيته خاصة كل تركيبها والشعر وهو كما
مر كلام موزون مقفى مرادا به الوزن والخبر اذ كانوا بالمحل الاسمى من معرفة
اخبارها وانسابها وايامها وفي حديث ابي بكر وكان نسابة اي بليغا بالانساب
وهاوم لها علامة للمبالغة والكهانة وهي كما مر معاناة الخبر عن الكائنات
وادعاء معرفة الاسرار فانزل الله عليه القران الخارق لهذه الاربعة
فصول البلاغة والشعر والخبر عن الكائنات والكهانة باشتماله على ما يوهنها
فيزهقها فاذا هي زاهقة من الفصاحة تعليل لكونه خارقا لها واللام عوض
عن ضمير القران اي الخارق من اجل فصاحته كما في يجعلون اصابعهم في اذانهم
من الصواعق اي من اجلها او من بمعنى الباء اي الخارق بفصاحته كما في ينظرون
من طرف خفي اي به وزايده اي الخارق فصاحته والايجاز من اوجز اذا قلل
اللفظ مع تكثير معناه والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم اي عن نوعه
وطريقته اذ ليست فصاحته وايجازه وبلاغته كفصاحة القران وايجازه
وبلاغته لوروده على ما حير الالباب واخرس الالسن وبذ الفطن وفتر الاذهان
ونكب الخواطر عن الاتيان بما يداني اقصر سورة منه والنمط الجماعة من الناس

امر بهم واحد استعير للنوع والطريقة يقال هذا من ذلك النمط اي من نوعه
وطريقته ومن النظم الغريب الذي لا يمكن نظم كلام بليغ في سلكه فصاحة واتى به
عطفا على من الفصاحة لفصل الصفة بينهما والاسلوب العجيب الانيق الذي
لا يمكن ان يرقم وشي كلام بليغ على طرزه ولم يهتدوا في المنظوم من كلامهم الى
طريقة الذي تقاصرت قواهم عن معارضة سورة منه لارتقائها الى اعلى مراتب
الاعجاز ولا علموا في اساليب الكلام اي طرقه الموثقة والاوزان الشعرية
في نظمهم منهجه اي طريقة السهلة الممتنعة ومن الاخبار عطف على من النظم
الغريب ولطول الفصل بمن عن الكوائن والحوادث جمع كائن اي الاعيان وحادث
في الاكوان والاسرار والمخبآت والضمائر التي لولا اخباره بها لم نعلم فتوجد
بعلمها من اطلع عليها على ما كانت عليه ذاتا وصفة ويعترف المخبر بفتح الباء اي من
اخبر عنها بصحة ذلك اي وجدانها على ما كانت عليه وصدقه وان كان ذلك المخبر
المعترف اعدى العدو فلا تمنعه عداوته من اعترافه بها اذ لا يسعه جحد ولا انكار
حذرا مما يلحقه من وصمة التكذيب ومعرته بذلك فابطل اي القرآن والنبي
صلى الله عليه وسلم الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها اي
قلعها بجذورها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم اي جعلها معدة
لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع ترميهم بشهب منفصلة
منها لا انفسها لثبوتها في الفلك كقبس اخذ من نار وهي ثابتة كاملة لم
تنقص وجاء في القرآن من الاخبار عن القرون جمع قرن وهو الامة من الناس
من الاقتران فكانه كان متميز ببيان المقدار الذي يقترن فيه اهل ذلك
الزمان في اعمارهم السالفة اي الماضية وفي حديث مدحج بفتح الميم نحن عباب
سلفها اي معظمها فالماضون منها وانباء الانبياء اي اخبارهم جمع نبا والامم
البائدة اي الهالكة من باد يبيد اي هلك وفي حديث الحور العين نحن الخالدات
فلا نبيد ابدا اي لا نهلك ولا نموت والحوادث الواقعة من خير وشر في
الازمان الماضية ما تحتمل ما اما نكرة موصوفة بما بعدها او موصولة به اي
جاء فيه مما ذكر او الذي يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه ممن عانا علم
الاخبار والامم والحوادث معاناة على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز
فيها مع ما وشحناها به من ايضاح اغنى عن اعادته هنا ثم نعتت هذه المعجزات
فصاحة وايجازا وبلاغة واخبارا عن الكون والحوادث وغير ذلك الخارجة عن
طرق كلامهم بنظم غريب واسلوب عجيب الجامعة لهذه الوجوه المذكورة انفا
المضمومة الى الفصول الاخر المتقدمة التي ذكرناها في معجزات القرآن فيما
مضى ثابتة الى يوم القيامة لا يعتريها تبديل بينة الحجة اي حجتها بينة والحجتان

في موضع الحال من ضمير نفيت لا يماط عنها اعجاز ولا يدنو ايجاز لكل امة نبي
بعد النبي قبلها اي كل جيل من الناس والحيوان نحل وفي الحديث انا امة امية
لا نكتب ولا نحسب اي على اصل ولادة امنا ويقال للرجل المنفرد بشهادة ان ابرا   هيم
كان امة قانتا لله لا يخفى وجوه ذلك المعجز المتقدم بالنواصر على من نظر فيه
وتامل وجوه الاعجاز الى اي مع ما اخبر من الغيوب على هذه السبيل ه
البين تباشر وجوه اعجازه لا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه ه
بظهور مخبره بفتح الباء اسم مفعول اي باطلاعه على ما اخبر من وجوه الفصاحة
والايجاز والبلاغة وغرابة النظم وبراعة الاسلوب وغير ذلك فيتجدد
عنده ويستمر تجدد امثاله الايمان به ويتظاهر البرهان اي يتقوى
بامثاله ولامه للجنس وليس الخبر كالعيان بمهملة مكسورة اي ليس هما في
الافادة سوا فان ذلك غاية افادته غالبا ظنية وهذا غاية افادته يقينية
وللمشاهدة زيادة في اليقين على ما يفيده مثلا المتواتر من العلم استدلالا
والنفس اشد طمانينة لتميز النسبة اشد الى عين اليقين الذي
تفيده المعاينة منها الى علم اليقين الذي يفيده المتواتر بالاستدلال ه
ومن ثم قال الخليل صلى الله عليه وسلم اذ قيل له اولم تؤمن اي تعلم الوحي
والاستدلال بلى ولكن ليطمئن قلبي بمضامه علم العيان الى علم الوحي
والاستدلال فازداد بها العلم الضروري مع انه صلى الله عليه وسلم كان
اثبت من غيره ايمانا وان كان علم اليقين عند هاحد لا مرية فيه لكن عين
اليقين اسكن لها واعون لها على ازدياد طمانينتها وسائر معجزات
الانبياء انقرضت بانقراضهم اي انقطعت بموتهم وعدمت بعد وجودها
بعدم ذواتهم وجودا في الدنيا والا فهي موجودة في البرزخ متصلة بها
ارواحهم بشهادة اجتماع نبينا بهم ليلة الاسرا واتيانه بموسى وهو في
قبره يصلي ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد اي لا تهلك ولا تنعدم
اذ معجزاته لبعض افرادها انه تجدد ولا يضمحل انقطاعا وتجددا ولهذا اي
ولاجل ان معجزاته لا تبيد ولا تنقطع اشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما
رواه البخاري ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات البينات ما نكرة
موصوفة بما بعدها او موصولة به مثله امن مبتدا وخبر صفة للنكرة او
صلة الموصول وعائد الضمير المجرور في عليه البشر اي ليس نبي منهم الا
اعطاه الله من المعجزات الدالة على نبوته شيئا او الذي اذا شوهد اجتا
من شاهده الى الايمان به فخص كل نبي بما كثرت به دعواه من خوارق العادات
بحسب زمانه فاذا مضى زمانه انقطعت كقلب العصى لموسى حية واخراج يده

بيضا علي تمام لغلبة السحر في زمانه فاتاهم بما هو فوقه فانجا من شاهدهما
ممن وفق الي الايمان وفي زمن عيسى الطب فاتاهم بما هو اعلا منه من احيا الموتي
وابرا الاكمه والابرص وخلق الطير باذن الله وفي زمن نبينا البلاغة والفصاحة
فجاءهم بالقران في اعلا مراتب الاعجاز المؤذن به قوله وانما كان الذي اوتيت وحيا
اوحاه الله الي معجزا في انها طبقات البلاغة واقصي غايات الاعجاز لا تستطيع
لاحد ان ياتي باقصر سورة منه بجزالة تركيبه وفخامة ترتيبه الخارج عن طوق
البشر كونه العايد عمينا العايد علي حاضري نزوله ومن غاب عنه ومن جا بعدهم
قرنا فقرنا علي ممر الازمنة ومن ثم رتب عليه قوله فارجوا ببقايه الي يوم القيامة
ان يومن به كل من نا سلة لهدايته الله فاذن اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة
هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو اي ما ذكر من معناه عندي هو الظاهر
والصحيح المعول عليه فلا يعدل عنه وذهب غير واحد من العلما في تاويله من
آل يوول الي كذا اذا رجع وصار اليه اي نقله عما افاده ظاهر لفظه الي ما يحتاج
الي دليل لولاه لم يعدل عن ظاهر لفظه وفي حديث عايشة كان يصلي الله عليه وسلم
يكثر في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك يتاول القران اي ياخذ من قوله فسبح
بحمد ربك واستغفره وطفق بعضهم ينحو صبابه الي معنى اخر غير ما افاده منطوقه عن ظهورها
لكونها اي بسبب كونها وحيا وكلاما لا يمكن التخيل فيه ولا التحيل عليه
والتشبيه به لاستحالة جريان ذلك في كلام بليغ لا يعتريه تخييل ولا تمويه
وانما تعشي الصناعات فان غيرها اي غير معجزة نبينا من معجزات الرسل نبينا
قد رام المعاندون لها باشيا طمعوا في التحيل بها اي بتلك الاشيا علي
الضعفا تمويها وارادة لهم ليتوصلوا بذلك الي ابطال معجزاتهم كما القا السحرة
الذين جمعهم فرعون من مداينه حبالهم وعصيهم ليبطلوا معجزة موسى التي
هي العصا بسحرهم وافكهم فتلقفت ما افكوه في نجاة السحرة بمشاهدتهم
ذلك الي الاذعان بانها اية ظاهرة ومعجزة باهرة فامنوا بموسى ولم يبالوا بما
فعل بهم فرعون من صلبهم في جذوع النخل بل قالوا لن نوثرك علي ما جانا من
البينات والذي فطرنا فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا
امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر والله خير وابقى وشبه
هذا الذي فعله سحرة فرعون ما يخيله الساحر علي الضعفا او يتحيل فيه انه حق
والقران كلام الله ليس بحيلة ولا للسحر في التخيل فيه عمل لاستحالة ان يعتراه
شي من ذلك فكان اي القران من هذا الوجه اي من حيث انه كلام الله لا يلم به
شي من ذلك عندهم اي عند متناولي الحديث بما ذكر اظهر من غيره من المعجزات
كما لا يتم لشاعر ولا خطيب الا ان يكون شاعرا ولا خطيبا فيضرب اي نوع

من الحيل والتمويه لاستحالة ذلك في الكلام نظما ونثرا والتاويل الاول الذي في ك
نيه هو الظاهر والصحيح اخلص وارضي للنفوس لافادته المعني المرضي المصوغ
له الكلام منطوقا غير مفتقر الي تاويل يصرفه عن ظاهره وفي التاويل الثاني
الذي ذهب اليه غير واحد من العلما ما يغمض عنه الجفن ويغضي منه لصرفه
اللفظ عن معناه المصوغ له الي ما لم يصغ له بلا داع اليه ووجه ثالث في كون
القران معجزا خارقا للعادة على مذهب من قال بالصرفة كالنظام وكثير من
طايفته المعتزلة والمرتضى من الشيعة في ان الله صرف هممهم عن الاتيان
باقصر سورة منه مع تمكنهم منه وان المعارضة بمثله ونوعا كانت من قدرة
البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرتهم او دواعيهم او علمهم المتيسر وطرق
دة الاتيان فكان عندهم علم بنظمه وعلم بتاليف كلام يشابهه او يدانيه والقا
ان من كان عنده امكنه ذلك فكانوا كلما حاولوه ازالهما الله عن قلوبهم او
على احد مذهبي اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم اي من جنس
كلامهم الذي يقدرون عليه ولكن لم يكن ذلك لعدم تمكنهم منه قبل ولا يكون
بعد ظرفي زمان بنيا على الضم لقطعهما عما يضاف اليه لفظا اي قبل التحدي وبعده
لان الله لم يقدرهم على الاتيان بمثله قبله ولا يقدرهم عليه بعده وبين
المذهبين اي مذهب القايلين بالصرفة واحد مذهبي اهل السنة فرق بين
لتمكنهم على الاول منه الا انهم صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع كونه
من جنس مقدورهم وعليهما جميعا فترك العرب على الاول الاتيان بما في
مقدورهم من مثله او سورة منه او اقصر سورة او تركهم على الثاني ما هو
من جنس مقدورهم ورضاهم بالبلا الحق الذي احاط بهم من قبله صلى الله عليه
وسلم والجلا عن اوطانهم والسبا لاهليهم وذراريهم والاذلال لانفسهم
وتغير الحال بما لحقتهم لعدم اذعانهم الي الحق من حين الشر وسلب النفوس
قتلا وغيلة وصبرا والتقريع اي التعنيف من اقرعه اي قهره بكلامه بالغا من
اقرعه والتوبيخ تعييرا واذلالا والتعجيز عن العون والظفر بالمرام والتهديد
بعظايم النكال والوعيد بالبوايق الوبال ابين اية خبر المبتدا اعني ترك العرب
اي اظهر علامة للعجز عن الاتيان بمثله والنكول اي الاعراض عن معارضته
والقهر منعوا عن شي هو من جنس مقدورهم اي كلامهم الذي يقدرون عليه
والى هذا اي ما ذكر من ان تركهم الاتيان مع رضاهم بما ذكر ابين اية لعجزهم عن الاتيان
بمثله ذهب الامام ابو المعالي عبد الملك بن ابي محمد الجويني الملقب امام الحرمين
الشافعي وغيره قال اي ابو المعالي وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال
البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها كاخراج اليد بيضا من غير سو واجا

الموتى وابرا الاكمه والابرص باذن الله فانه قد يسبق الى بال الناظر بداءً اي
بسرعة من اول وهلة اي قلب العصا حية ونحوها ان ذلك من اختصاص صاحب
ذلك بمزيد معرفة امتاز بها عن غيره في ذلك الفن الذي عاناه اهل زمانه وفضل
علم اوتيه دون غيره الى ان يرد ذلك السابق الى بال الناظر ما ذكر صحيح النظر والتفكر
في ان قلب العصا حية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل خارق لقوى
والقدر واما التحدي للخلائق اي طلب المعارضة منهم مبين جمع مائة من السنين
تمييز لمبين وهي ظرف لتحديهم بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله علة للتحدي
فلم يأتوا بمثله فهو ايقاظ وتحريك لهم ليتأملوا في ان هذا المتلو عليهم مركب
من عين ما يركبون منه كلامهم فيتيقنوا انه قد بلغ المراتب التي بذت بلاغة
كل ناطق واعيت فصاحة كل فائق ولم يجاوز الحد الخارج عن قوى البلغاء
بغرابة نظمه وجزالة تركيبه ولم تنتهض قدرتهم دونه فعجزوا عنه وهم امراء
الكلام وزعماء المحاورة والمساجلة في اقتضاب الاساليب والتهالك على
اتقان التراكيب لا لكونه ليس بكلام البشر فلم يبق بعد توفر الدواعي
لهم على المعارضة ثم بعد توفرها لهم لم يبق على عدمها الا ان منع الله
الخلق عنها اي عن المعارضة اما لغرابة نظمها الشوى وبداعة تركيبه
الوفي او لكونه وحيا وكلاما لا يمكن التخيل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبه به
او لصرف الله لهم عنها مع قدرتهم عليها وتمكنهم منها او لكون الاتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ولا يكون لعدم اقدار الله لهم ولا يقدرهم
بمثابة ما لو قال نبي وطلب منه اية تصدقه آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس
مع قدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك الذي قال لذلك
النبي وعجزهم الله عن القيام لكان من ابهر اية واظهر دلالة على صدق
دعواه النبوة وقد غاب عن بعض العلماء وخفي عليه وجه ظهور آية اي
معجزة النبي في القرآن على سائر ايات الانبياء ولم يدر انه ببقائها معلومة
لكل احد في كل اوان متلوة بكل مكان حتى احتاج للعذر عن ذلك الذي نعته زعمه
من عدم ظهورها بقلة افهام العرب وذكائها اي شدة فطنتها وحدتها
ونور عقولها والفجر لما اوتوا وخصوا به من بين هذا الشان وفطانة
القريحة ادركوا المعجزة فيه اي في القرآن من [illegible] الانيقة وعباراته
الرشيقة واعتباراته الجزلة ومعانيه السهلة بفطنتهم وجاءهم من ذلك معجزته
اي مما ادركوا فيه معجزته بحسب ادراكهم مصدر اضيف لفاعله اي ادراكهم
جلا فجلا وغيرهم من القبط وغيرهم ممن نشا في معاهد اللكنة ووضع
لبان الفهم منه لم يكونوا اهل الفهم والسبيل من دقة الفهم وذكاء الفطنة ولاختلالها

وبنور

هـ
وبنور العقل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة عطف تفسير للغباوة اذ
عدم الفطنة ولاختلالها فيهم قلة وعدما عطفها عليها فكانوا منها وصف
بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم اذ قال كما حكى الله تعالى عنه انا ربكم الاعلى على
فاضل قومه وما هدى وجوز عليهم موسى بن ظفر السامري وكان من
عظماء بني اسرائيل ذلك في العجل انه ربهم فعبدوه وبعد ايمانهم عبدوا
المسيح عيسى ابن مريم مع اجماعهم على صلبه وما صلبوه اي اليهود ولكن
شبه لهم فصلبوا من القي عليه الشبه بعد قتله نجاتهم اي اليهود من الايات
البينة للابصار بعد غلظ افهامهم المتجافية عن اقتباس المفهومات
لبلادة فطنتهم ما في علاجا لا يشكون فيه ومع هذا اي مع ما جاءهم من
الايات الظاهرة بحيث لا يعزبهم مثله ولا يرهقهم فهمهم فقالوا خطابا
لموسى كما حكى الله تعالى عنهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اي معاينة ظاهرة
ولم يصبروا على المن والسلوى اي الترنجبين والسماني اكتفاء باكلهما
فقالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا الذي هو ادنى من الدنو وهو في
الاصل للمكان ثم استعير للخسة اي ادون قدرا الذي هو خير وهو المن والسلوى
فانه خير في اللذة وعدم الحاجة في السعي والعرب على جاهليتها التي كانت عليها
قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالانساب
والتكبر وغمط الناس وما افادته على هنا للاستعلاء يشير لتمكنهم منها واستقرارهم وهم
عليها بحال من اقبلا شيا وركبه اكثرها يعترف بالصانع تبارك وتعالى
المتصف بصفات الكمال والغنى المطلق وانما كانت تتقرب بالاصنام
اليه تعالى لتشبهه ذه ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ومنهم من امن بالله
وحده وتشهد من عبد غيره تعالى من قبل ان يرسل الرسول صلى الله عليه
وسلم بدليل عقله وصفا لبه متعلق بامن اي اخذ به بنظره سطوا الحجا
مما في السموات والارض من بدائع الغرائب وروائع العجائب الى انه تعالى واحد
لا شريك له فامن به وهم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة فكانا من
موحدي الجاهلية واما ورقة بن نوفل فقد ادرك البعثة وامن به صلى الله
عليه وسلم كما مر ولما جاءهم اي العرب الرسول بكتاب الله القرآن الكريم
والفرقان القديم فهموا حكمته الواردة هو هو مركوز في عقولهم لفرط ذكا بهم
وصفاء فطنتهم فاهتدوا الى معرفتها مما النسوم من ابوا [illegible] فان الكتب الالهية
بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل وتبينوا
بفضل ادراكهم لاول وهلة اي في اول التفاتهم اليه معجزته فامن البعض منهم
فداموا به وازدادوا كل يوم ايمانا بمخالطة بشاشته القلوب ورفضوا

اي ترك من امن به الدنيا كلها في محبته اي مصاحبين له وهجروا ديارهم واموالهم
مذعنين لما جاء به ودوما لرضاه واكراما لمثواه وقتلوا اباءهم وابناءهم ممن ناواه
ولم يؤمن به نصرة له واظهارا لدينه على الدين كله واني في معنى هذا من بيان معجزته
وظهورها وتحديه بها من انواع التبيان مما نظمته بنان الافكار بما يلوح
اي يلمع له رونق بروق الافكار بيانا ويعجب منه زبرج بمعجمة مكسورة فموحدة
فمهملة فجيم اي زينة من ذهب او جوهر او وشي لو احتج اليه للاح له لحسن
رونق وابهج زبرج لما قدمنا من بيان معجزته صلى الله عليه وسلم
وظهورها ما اي شيء عظيم يغني عن ركوب بطون هذه المسالك الماتي
بها مما لا يحتاج اليه ويغني عن ركوب ظهورها مثلها بمحسوسات لها بطون
تستقر فيها وظهور تعتلى وتركب فاثبت لها الركوب مستعيرا منه له.
القسم الثاني من الكتاب فيما يجب على الانام اي الخلق وهو كلما على الارض
من دابة والمراد المكلفون من حقوقه صلى الله عليه وسلم مما اوجبه الله له
عليهم اكراما له واحتراما ومجموعها اي مجموع ابواب هذا القسم الاربعة
في وجوب تصديقه اي الايمان به في جميع ما جاء به عن ربه تعالى وفي وجوب
محبته وهي كما من مثل نفسا في الي المحبوب قد ادرجها الله علينا وقد وشحها
فصول الباب الثاني وفي وجوب مناصحته من النصح وهو لغة الخلوص
وشرعا كلمة يعبر بها عن جملة هي ارادة الخير للمنصوح له اي الاخلاص في
الانقياد له في جميع افعاله واقواله وفي الحديث الدين النصيحة لله
ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم فنصيحة الله صحة الاعتقاد
في وحدانيته واخلاص النية في عبادته ونصيحة رسوله التصديق بنبوته
ورسالته والانقياد لما امر به ونهى عنه ونصيحة كتابه التصديق به والعمل
بما فيه ونصيحة الائمة طاعتهم في المعروف لشهادة حديث لا طاعة لمخلوق
في معصية الله وعدم رؤية الخروج عليهم وان جاروا وفي وجوب توقيره
اي تعظيمه حق عظمته وتكريمه فصول الباب الثالث وفي حكم
الصلاة عليه والتسليم من وجوب وغيره وزيارة قبره الشريف
وفضلها فصول الباب الرابع وهذا حديثا جملي سيرد تفصيله
الباب الاول في فرض الايمان به صلى الله عليه وسلم وهو لغة التصديق
افعال من الامن للصيرورة كان المصدق صار ذا امن من ان يكذبه غيره
او للتعدية كانه جعل غيره امنا من التكذيب ولهذا مزيد بيان سمحنا به في
شرح كتابنا منا صدا لمقاصد وغيره ووجوب طاعته فيما امر به ونهى
عنه واباحه واتباع سنته اي طريقته شريعته اذا تقرر بما قدمناه من

ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به لانه فرع ثبوتهما كتوقف
المشروط على شرطه وتصديقه فيما اتى به عطف تفسيري عند من
يقول الايمان هو التصديق فقط قال تعالى فامنوا بالله ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا هو القران اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه
مظهر ما فيه بيانا بديعا وقال انا ارسلناك شاهدا تصدق من بعثت
اليهم اياك وتكذيب بعضهم ونجاتهم وضلالهم ومبشرا للمؤمنين وحذف
المبشر به تفخيما لشانه لتذهب النفس كل مذهب ممكن ونذيرا للكافرين
بطشة الله لهم فيما تمادوا به لتؤمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
بالخطاب له ولامته او لهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم وقال فامنوا
بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته مما انزل عليه وعلى
غيره من الرسل ولم يقل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم
جميعا للالتفات من التكلم الى الغيبة تلويحا بجلالته لما فيه من مزية
البلاغة واجراء لهذه الصفات الامرة باتباعه والايمان به عليه ايذانا
بان الذي وجب اتباعه والايمان به هو الموصوف بانه النبي الامي الذي
يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا
من العصبية لنفسه واتبعوه حيث عين منقادين له فالايمان بالنبي محمد
صلى الله عليه وسلم واجب متعين لا يتم ايمانه فيما ذكر من
الايات وغيرها اذ لا يتم لاحد ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر الا بالايمان به صلى الله عليه وسلم ولا يصح اسلام الا معه اي مع
الايمان وهذا بناء على تغايرهما واما على اتحادهما اذ لا يعقل شرعا مسلم
غير مؤمن ولا مؤمن غير مسلم لشهادة فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال الله ومن لم يؤمن بالله ورسوله
فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الظاهر موضع المضمر ايذانا بان
من لم يجمع بين الايمانين فهو كافر واورد سعيرا منكرا تهويلا لها وتفظيعا
لامرها وتلويحا بانها نار مخصوصة كنار تلظى ثم الاستدلال على وجوب
الايمان بما جاء هنا من طريق مسلم ورواه البخاري ايضا عن ابي
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم امرت اي امرني الله اذ لا امر له
سواه تعالى ان اقاتل الناس عام خص منه من اقر بالجزية حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله استثناء من اعم الاحوال المفهومة من القتال مفهومه كل صادق
عليها مستحيل وجودها خارجا بقاطع دليل الوحدانية لها ويؤمنوا بي
وبما جئت به مما امر في زمن تبليغه للناس واطوقهم تكاليفه وحتى هنا

فعلوا
للغاية فجعل غاية قتالهم الايمان بهما وبما جاء به صلى الله عليه وسلم فاذا
ذلك اي امنوا بهما والتزموا احكام شريعته عصموا مني دماءهم واموالهم
اي منعوها اذ العصمة المنعة والاعتصام اي الامتناع فعالة
منه ولا يجوز سفك دمائهم واخذ اموالهم بسبب من الاسباب الا
بحقها كقتل نفس ظلما وترك صلاة وزكاة وزنا وبذل باطل وحسابهم على
الله فيما يسرونه من كفر ومعاص وانا نحكم عليهم بالايمان
ومواخذتهم بحقوق الاسلام انما هو بما يقتضيه ظاهر حالهم واستواء
سرائرهم فيثيب من شاء ويعاقب من شاء والايمان به صلى الله عليه
وسلم هو تصديق نبوته ورسالته الى الله (الاضافة فيهما) بمعنى اللام
او في اي تصديقه بهما او فيهما وتصديقه في جميع ما جاء به وفي جميع
ما اتى به مما امر بتبليغه ومطابقة تصديق القلب بذلك اي بتصديق
نبوته ورسالته وما جاء به شهادة اللسان بانه صلى الله عليه وسلم
رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق اي نعمه بذلك
مما ذكر باللسان تم الايمان به صلى الله عليه وسلم والتصديق
له كما ورد في هذا الحديث اي حديث ابي هريرة نفسه من رواية
الشيخين عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت
اي امرني ربي اذ لم يأمره احد فوقه سواه تعالى ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
اي الى انه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غاية لقتالهم وقد زاد
وضوحا في حديث جبريل المتقدم الذي رواه الشيخان اذ قال جبريل
له صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الاسلام هو في الاصل الانقياد
والانطاع من الطوع والرغبة من غير اعتراض يقال سلم واستسلم
اذا خضع واذعن ومن ثم اجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالاركان الخمسة فقال ان تشهد ان لا اله الا الله مستثنى كل من
كثرة متوهمة وجودها محال وان محمدا رسول الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله وتقيم الصلاة اي تأتي بها في وقتها
بتعديل اركانها وما عليها من صلى بمعنى دعا والحكمة المصلون
فهما عرقان في الردف وقيل هما عظمان ينحنيان في الركوع
والسجود ومن ثم كتبت بالواو وتؤتي الزكاة لمستحقيها او الامام
مأخوذ من زكى بمعنى نمى وطهر فان المال يزيد باداتها ويطهر به
وتصوم رمضان في وقته من صام اذا امسك وتحج البيت اي تقصده
بالنسك وهو اسم جنس اريد به الكعبة ان استطعت اليه حجة

بالاستطاعة مع ان الكل مشروط بها اذ هي ما يتمكن به المكلف من فعل الطاعة
اذ المراد بها هنا الزاد والراحلة لما يحصل من المشقة في ادائها وتسهيلا على العباد
وتيسيرا لهم وزجرا لمن يلقي بيده الى التهلكة في سفره بغير زاد وراحلة معولا
على السؤال ثم سأله صلى الله عليه وسلم جبريل عن الايمان فقال جوابا لسؤاله عنه
ان تؤمن بالله احذر ان يلم بفكرك ان هذا تفسير للشيء بنفسه وتامل ما يلقى
اليك لعلك تونس من جانبه حق نور تهتدي بها الى انه هنالك
معدى بنفسه اما بمعنى صيرورة المصدق ذا امن بغيره لدلالة امنا من ان يكذبه
غيره او جعل هو غيره امنا من التكذيب ولم يتضمن شيئا وهنا ضمن معنى
الاعتراف ومن ثم عدي بالباء اي ان تعترف بوحدانيته وما يليق بجنابه
الكريم وملائكته بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لا يوصفون
بذكورة ولا انوثة ليسوا بنات الله وكتبه بانها منزلة من عند الله
صادقة فيما يتضمنه من الاحكام وان معناها واحد قديم قائم بذاته
مناف للسكوت بمعنى عدم ارادته وللافة بمعنى عدم مطاوعة الالة
ورسله بانهم مبعوثون من ربهم صادقون فيما جاءوا به عنه واليوم
الاخر من ايام الدنيا واخر الازمنة المحدودة اي الايمان به وبما فيه
كالبعث والحساب والميزان وفي هذا المقام زيادة بيان في كتب
شرح الاربعين للنواوية ومختصر المقاصد وشرحه فقد فرق صلى
الله عليه وسلم ان الايمان يحتاج الى العقد بالجنان اي الى جزم
القلب والاسلام اي الاقرار به مضطر الى النطق باللسان وهذه
الحالة هي المحمودة التامة ذهابا منه الى انه اسم لفعل القلب
واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم ووصفها بكونها تامة
موذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق به وان النطق انما هو
شرط لاجراء احكام الاسلام عليه في الدنيا كالصلاة وراءه وعليه
ودفنه في مقابرنا واخذ زكاته والا فمن امن بقلبه ولم يعلم به احدا
لا على وجه الاباء نفعه ايمانه عند الله واما الحالة المذمومة فتمامه
الشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق بالمعنى
الخاص شرعا وهو اخفاء الكفر واظهار الايمان واما لغة فاظهار خلاف
ما يضمره من نافقاء اليربوع وهو الخفي من بابي جحره فاذا جاءه جارشه
ليصيده اقبل عليه يوهمه انه يريد ان يخرج اليه ثم ينكص على عقبه
فيخرج منه هاربا فيقال نافق اليربوع اذا خرج من نافقائه فعالة
ويستخرج اليربوع من نافقائه ومن جحره بالكسيحة النيقصع

نف

وقال الله تعالى حال لازمة اي متعاليا عما لا يليق بكريم جنابه قدسه الشو
اذا جاءك المنافقون خطاب لرسوله صلى الله عليه وسلم قالوا نشهد انك
لرسول الله زعما منهم انه شهادة واطاة فيه قلوبهم السنتهم
والله يعلم انك كما زعموه مطابقا للواقع دون اعتقادهم لرسوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون في قولهم ذلك اي في قولهم انك لرسول الله
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه الواو للحال اي غير
معتقدين قولهم نشهد انك لرسول الله فلما لم يصدق ذلك اي قولهم
ضميرهم اي لم تصدق قلوبهم ما قالوه بالسنتهم ولم تواطئه لم
ينفعهم ان يقولوا اي قولهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم
ان قولهم ذلك كذب منهم وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه فخرجوا
عن اسم الايمان اي عن ان يسموا بما اشتق منه ولم يكن لهم في الآخرة
حكمه اي حكم الايمان لحشرهم مع الايمان وحسابهم لحسابهم ووردهم
الحوض ودخولهم الجنة اذ لم يكن معهم ايمان ولحقوا بالكفار فيحاسبون
كهم ولا يردون الحوض ويدخلون جهنم داخرين في الدرك الاسفل من
النار واحد الادراك منازل اهلها ويقال الى اسفل والدرج الى فوق
وبقي عليهم بحسب الظاهر حكم الاسلام جارية ملون كالمسلمين لهم
وما لهم وعليهم ما عليهم باظهار شهادة اللسان منهم في احكام الدنيا
المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين عطف عام على خاص او الائمة هم العلماء
والحكام هم الذين احكامهم جارية على الظواهر بما اظهروه من علامة
الاسلام كالاذعان والانقياد والتزام احكامه ظاهرا اذ لم يجعل للبشر
سبيل الى السرائر ولا امروا اي الائمة والحكام بالبحث عنها اي عن
السرائر بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها فقال فيما رواه
البخاري لاسامة بن زيد لما قتل من اصطرع فاسلم اقتلته بعد ان اسلم هلا
شققت عن قلبه لتعلم اقالها خالصا من قلبه ام لا والفرق بين مجرد
القول باللسان والعقد بالجنان ما جعل ما مصدرية اي جعله صلى الله
عليه وسلم في حديث جبريل المتقدم من الشهادة من الاسلام فقال
مجيبا له عن سؤاله عنه ان تشهد وجعله فيه التصديق من الايمان فقال
مجيبا له عن سؤاله عنه ان تؤمن هذا ولا تتوهم من تفسير كل منهما فيه
بغير ما فسر به الآخر تغايرهما لان ذلك انما هو تفصيل لما تضمنه اسم
الايمان من قول وفعل مما هو من اثاره ومسبباته لا من حقيقته تبرادة
تفسير الاحسان فيه بان تعبد الله كانك تراه اشارة الى الاخلاص المتضمن

تفسيرهما فدل على ان تغايرهما انما هو على سبيل التفصيل توكيدا وزيادة
بيان فهما متحدان بمعنى رجوعهما الى القبول والاذعان بدليل انه صلى
الله عليه وسلم جعل في حديث وفد عبد القيس ما فسر به الاسلام
في حديث جبريل ايمانا بقوله اتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله اعلم
قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة وصيام رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس على ان الاسلام
هو الخضوع والانقياد بمعنى قبول الاحكام والاذعان لها وانما
ذلك حقيقة الايمان فما لهما الاذعان والقبول اذ لا يصح شرعا
ان يحكم على احد بانه مؤمن ليس مسلما او مسلم ليس مؤمنا لشهادة
فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ويبقت حالتان اخريان احداهما ان يصدق مكلف بقلبه ثم يخترم
اي يموت قبل اتساع وقت الشهادة باللسان فيه بلسانه فاختلف
فيه امؤمن هو ام لا فاشترط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة
به فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه من الاتيان به وقال اي راى
من صدق بقلبه ثم اخترم قبل تمكنه من التلفظ به بعضهم مؤمنا
مستوجبا للجنة لعذره بعدم تمكنه من الاتيان لقوله صلى الله عليه
وسلم فيما رواه الشيخان يخرج روي مبنيا لفاعله ومفعوله من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة ممتعا له من النقل واتى به تلويحا بانه
وان صغر قدره فهو عند الله عظيم لاعتباره في الآخرة بشهادة
ان الله لا يظلم مثقال ذرة بمعجمة فمهملة هي النملة الصغيرة وتقع على
كل جزء من اجزاء الهباء فلم يذكر صلى الله عليه وسلم سوى ما في القلب
من مثقال ذرة منه وهذا شاهد صدق بانه مؤمن بقلبه تنفعه
ايمانه عند الله لانه غير عاص ولا مفرط بترك غيره من الاتيان بالشهادة
لعدم اتساع الوقت وهذا الراي من هذا البعض هو الصحيح في هذا
الوجه الحالة الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهله بميم فهاء
مفتوحتين هو التؤدة والتاني استعير لطول الزمان وعلم ما يلزمه
من الشهادة اي النطق بها فلم ينطق بها جملة من اجملت الحساب اذا جمعت
احاده وجملتا قرادة وفي حديث لقد كتاب اسماء اهل الجنة والنار
اجمل على اخرهم اي حصوا وجمعوا فلا يزاد فيهم ولا ينقص فكانه اجمل على
ما في قلبه من الايمان فلم يزد عليه النطق بها ولا استشهد في عمره مرات
بل ولا مرة فهذا الذي لم ينطق بها مع عقد الايمان بقلبه اختلف فيه

أيضًا من الابيض وهو العود اي عاد فيه الخلاف وقد تقدم مرارا فمن هو
مومن آت بما يكفي من مقصود الايمان والشهادة من جملة الاعمال
فهو عاص بتركها غير مخلد في النار ان دخلها وهذا كما مر عند المحققين
هو الحق ولا يعصي عند من يقول الايمان هو التصديق فقط وقيل ليس
بمومن حتى يقارن عقده شهادة باسه وبرسوله اذ الشهادة انشاء عقد
والتزام وهي من شرطه مع العقد بالجنان ولانها التصديق مع المهلة بها مع
اي التاخير زمانا لا الاولى اي القول الثاني هو الصحيح في انه ليس بمومن لعدم
قرانه عقده باقرار مع تمكنه منه وهذا انما يقول به من يجعل الاعمال
جزا منه لشهادة قوله آنفا والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها
او تركها ابيا بعد ان طولب بها اما عند من يقول انه التصديق فقط ولم
يتركها ابيا فهو كما مر عن المحققين مومن ينفعه ايمانه عند ربه اذ ذم
على تركها انما يتوجه لابايه وانكاره لا لمجرد ترك اقراره وهذا نبذ
بنون وبا موحدة مفتوحتين ومعجمة وفي نسخة بضم النون وسكون البا
جمع نبذة اي مما ذكر من الايمان وما يتعلق به صحة وعدما تنبي بيسير يفضي
من افضى المكان اذا صار فضا واسعا وفي دعايه صلى اسه عليه وسلم
للنابغة في رواية لا يفضي اسه فاك اي لا يجعله فضا لا سن فيه اي يصير
الى متسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما
اي في الاسلام والايمان والنقصان فيهما وهذا التجزي فيهما من كونهما
قولا وعملا واعتقادا كما هو مذهب الفقها والمحدثين او قولا واعتقادا
كما هو مذهب ابي حنيفة واتباعه وزيادة ونقصا جملة كافية في
كون صاحبه قد احل عليه في قلبه فلا يتطرق اليه تجز ولا زيادة ونقص لبلوغه
حد اليقين والجزم وانما يرجع الى ما زاد عليه اي على مجرد التصديق من قول
او عمل لقبوله ذلك وقد يعرض فيه اي التجزي في التصديق بحسب ذاته
كاليقين فانهما من الكيفيات النفسانية تتفاوت قوة وضعفا كما في التصديق
بطلوع الشمس والتصديق بحدوث العالم فانه اعتقاد يقبل التفاوت
اذ الاول اقوى من الثاني وقولهم التصديق اليقيني لا يتفاوت لان التفاوت
انما يكون باحتمال النقيض ممنوع لجواز ان يكون بدون احتماله على ان اليقين
من باب العلم والمعرفة والتصديق من باب الاذعان والقبول فهما وان كانا
من مقولة الكيف متغايران سلمنا اتحادهما ولا نسلم ان اليقين لا يقبل
تفاوتا غايته انه اعتقاد جازم مطابق له مراتب من اجلى البديهيات
كالواحد نصف الاثنين الى اخفى النظريات التي منها التصديق بحدوث

فممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه تجز ولا يقبل زيادة ولا نقصا ٥ صح

العالم

العالم وهو يقبله لاختلاف صفاته وتباين حالاته من فوق يقين كيقينك
حركة ما بك بين عينيك ناظرا اليه فانه اقوى من تيقنك وجود زيد في دار
كنت معه فيها ثم خرجت عنه فالاول لا مجال فيه للتشكيك لما فيه من جزم
وتصميم اعتقاد بتظاهر الادلة فالطف اسكن للقلب وازيد للبصيرة
ووضوح معرفة بانضمام مشاهدة الاستدلال ودوام حالة وحضور
قلب مطمئنا ساكنا لا يعروه شك فصل واما وجوب طاعته صلى
اسه عليه وسلم من اطاعه بطيعه فهو مطيع وطاع له بطوع ويطيع فهو
طايع اي اذعن وانقاد واطاع اذا اتبع امره ولم يخالفه فاذا وجب الايمان
به صلى اسه عليه وسلم ووجب تصديقه فيما علم بالضرورة انه جاء به
وجبت طاعته جواب الشرط لان ذلك اي وجوب طاعته مما اتى به
من الدين بالضرورة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا اسه ورسوله ذكر
طاعة اسه توطية وتنبيه على ان طاعته في طاعة رسوله بشهادة افراد الضمير
في قوله ولا تولوا عنه اي عن رسوله وشهادة من يطع الرسول فقد اطاع
اسه وقال قل اطيعوا اسه والرسول واطيعوا اسه والرسول لعلكم ترحمون
اردف وعيد المومنين النار ان لم يتقوه وتعليق رجا رحمته بطاعته
وطاعة رسوله ترهيبا من المخالفة وترغيبا في الطاعة اذ ذكر لعل وعسى
في مثل هذا يوذن بصعوبة مسلك التقوى وعزة التوصل الى ما جعل جزا
لهما وان تطيعوه صلى اسه عليه وسلم تهتدوا الى الحق وقال من يطع الرسول
فقد اطاع اسه لانه المبلغ واسه الامر نزلت في المنافقين اذ قال النبي صلى اسه عليه
وسلم من احبني فقد احب اسه ومن اطاعني فقد اطاع اسه فقالوا لقد قارف الشرك
وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقال وما اتاكم
الرسول فخذوه اي اعطاكم من امر فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهاكم
عنه اي عن اتيانه فانتهوا عنه امتثالا للامر لوجوب طاعته وقال تعالى ومن
يطع اسه والرسول فاوليك اي الذين اطاعوهما مع الذين انعم اسه عليهم
من قرة اعين فيه ترغيب في طاعتهما بوعد عليها مرافقة اقرب عباده اليه وازلفهم
عنده من النبيين والصديقين افاضل اصحابهم تصديقا وصدقا والشهدا
والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن اسه اي الا ليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه اليهم في طاعته وتيسيره
وتوفيقه فمن لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يرض برسالته ومن لم يرضها فهو كافر
فجعل طاعة رسوله طاعته لشهادة من يطع الرسول فقد اطاع اسه وقرن
طاعته بطاعته فيما مر من الايات ووعد على ذلك بجزيل الثواب لشهادة جعل

من أطاعه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وأوعد على مخالفته بسوء العقاب بشهادة فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم وأوجب امتثال أمره واجتناب
نهيه بشهادة وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال المفسرون
والأئمة طاعة الرسول في التزام سنته عملا بالمأمور به واجتنابا للمنهي عنه
مع الملازمة والدوام عليها والتسليم لما جاء به قبولا وانقيادا وإذعانا وقالوا
من يطع الرسول في سنته أي فيما أمر به ونهى عنه وندب إليه قولا وفعلا
وتقريرا مما لم يرد به القرآن الكريم لأن أمره ونهيه من أمر الله تعالى
وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام
الشافعي في كتابه الأم والرسالة عن سفيان بن عيينة عن سالم أبي النضر
عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألفين
أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت أو نهيت فيقول لا أدري ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه فهذا نهي منه صلى الله عليه وسلم لمن لم يعمل بسنته إذ العمل
بها كالعمل بكتاب الله ومن العجب العجاب تقديم علم غيره المخالف لحديثه صلى الله عليه
وسلم على حديثه المتضمن للنهي عنه من باب أولى وحديث الإمام يطع الله في فرائضه
جواب شرط من وسئل سهل بن عبد الله التستري عن شرائع الإسلام جمع
شريعة الماء أي مورده التي تردها الماشية استعير اسمها لما شرع الله لعباده
من الدين وأظهره وبينه لهم فقال أي سهل وما آتاكم الرسول فخذوه وتمسكوا
به وقيل أطيعوا الله فيما حرم عليكم باجتنابه مخافة من … إذ عاقبكم عن
مضاجعكم وطاعة الرسول فيما يعلم عن ربه تعالى فإنه مأمور بتبليغه إذ ما
ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقال أطيعوا الله مخلصين معترفين بالشهادة
له بالربوبية أي المالكية لعباده وما خلق لا يخرج عن ملكه شيء وأطيعوا النبي بالشهادة
له بالنبوة المقترنة بالرسالة وكان الجمع بينهما أولى إظهارا للنعمة بها عليه وتعظيما
للمنة لديه ومن ثم رد صلى الله عليه وسلم على البراء إذ قال في إعادة حديث ذكر
النوم عليه ليحفظه ورسولك الذي أرسلت ليختلف اللفظان جمعا له صلى
الله عليه وسلم بينهما وقد أسند هنا حديث الشيخين من طريق البخاري من
أطاعني فيما جئت به عن الله فقد أطاع الله بشهادة من يطع الرسول فقد
أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله اللازم لجعل طاعته طاعته ومن
أطاع أميري فقد أطاعني لأن طاعته من طاعته … فطاعة
الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعة الله إذ الله أمر بطاعته
فطاعته امتثال لما أمر الله به صلى الله عليه وسلم من اتباعه فيما أمر ونهى

وحكى عن الكفار في دركات جهنم جمع دركة أي منازلها إلى أسفل يوم تقلب
وجوههم في النار أي تصرف من جهة إلى جهة كقطع لحم تدور في قدر
فترامى بها الغليان من ناحية إلى أخرى وعامل الظرف يقولون يا ليتنا أطعنا
الله وأطعنا الرسول فلم يمسنا هذا البلاء فتمنوا طاعته صلى الله عليه وسلم لما رأوا
من جحيم آثار مخالفته حيث لا ينفعهم التمني زمانا ومكانا وقال صلى الله عليه
وسلم فيما رواه البخاري ومسلم إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وانتهوا عنه
ولا تتعدوا بأنفسكم وإذا أمرتكم بأمر أي بما هو … إيجابا أو ندبا فأتوا منه
ما استطعتم من غير ترك الواجب وفي حديث أبي هريرة كل أمتي يدخلون
الجنة لا أعلم من رواه بهذا اللفظ الأعم مما رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة
إلا من أبى بتركه الطاعة التي هي سبب لدخولها لأن من ترك ما هو سبب شيء
لا يوجد بغيره فقد أبى زاد في نهاية غريب الحديث وشرد قالوا ومن يأبى أي
يمتنع أشد الامتناع فطلب ممن فر دائما وضعفهم لما عن الأمر العارض
لذي العلم فيفيد تشخصه وتعينه وهو هنا الإباء قال أي النبي صلى الله عليه وسلم
من أطاعني أي انقاد لي وأذعن دخل الجنة وفاز بنعيمها الأبدي ومن عصاني
فقد أبى فله سوء المنقلب بإبائه وفي الحديث الآخر الذي رواه البخاري مثلي
ومثل ما بعثني الله به مما يورث الفوز بخيرات الدارين معاشا ومعادا
أي حالنا العجيبة الشأن كمثل رجل أتى قوما حذرهم من عدوهم فقال
يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير أي المعلم المخوف المحذر العريان
إذ كان من عادتهم إذا أنذر أحد قوما عدوا خلع ثوبه وقام على عال ولوح
به ليكون أبين للعين وأقطع عذرا … فالنجاء النجاء منه تفوزوا وتسلموا
فأطاعه طائفة منهم فأدلجوا بتخفيف الدال فانطلقوا على مهلهم بفتح
أوله وثانيه أول الليل أي متأنين بتؤدة والاسم المهملة ضما والسرا وفي
حديث علي إذا سرتم إلى العدو فمهلا مهلا وإذا وقعت العين على العين
فمهلا مهلا … الساكن الرفق والمتحرك التقدم أي إذا سرتم
فتأنوا وإذا لقيتم فاحملوا وأما بتشديدها فهو السير آخره والاسم منهما
الدلجة ضما وفتحا فنجوا من عدوهم وكذبت طائفة منهم فأصبحوا
أي دخلوا في الصباح فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم أي
استأصلهم بدارهم وأموالهم وأخذتهم أخذة رابية فلم يبق منهم
باقية وفي الحديث عائذ بالله من جوح الدهر فذلك أي ما أفاده حديث
البخاري مما مثل فيه مصرحا به العجيب الشأن في الخير والشر بمورده على
طريقة التشبيه البليغ باستعارة المثل للحال إذ تبيعا لها أو للصفة

او القصة اذا كان لها شان عجيب تتعجب منه وتضمنت نوع غرابة كما في مثل
الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة
الشان ثم اورد عجايبها وفي ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة
والجلالة وفي مثلهم في التوراة اي شانهم وصفتهم المتعجب منه مثل من اطاعني
مذعنا منقادا للطاعة واتبع ما جيت به متمسكا عاملا به فانه ينجو من نواكب
الاخرة كما نجى من اطاع النذير العريان ومثل من عصاني وكذب ما جيت
به من الحق لابد من ان تصيبه فتنة او يصيبه عذاب اليم وفي الحديث
الاخر الذي رواه الشيخان صلى الله عليه وسلم في مثله فمثل من بنى دارا وجعل
فيها مادبة بضم المهملة وقد تفتح اي طعاما وبعث داعيا بتشديد تمثيلي
وليس فيه اداة غير المشبه به وحذف لدلالة بعث داعيا عليه كما حذف
من قوله او كصيب من السما لدلالة الضماير في الاية عليه اي كمثل ذوي صيب بالمد
كما نبه ولهذه الاداة تقديرا اذ قد تكون ملفوظا وقد يكون مقدرا وانما
حذف لان المراد تشبيه حاله صلى الله عليه وسلم في تجشم الدعوة وتكلفها بحاله
في ذلك وعن علي قال ما احرزنا بنوا امية بقادة اذ به جمع ادب كلمة وكاتب
واشار على بذلك الى ان قصيا لما حضرته الوفاة قسم مكارمه بين بنيه فاعطى
ولده عبد مناف نود الجيوش فلما حضرته اعطى لولده عبد شمس فلما حضرته اعطى
لولده امية فلما حضرته اعطاه لولده حرب فلما حضرته اعطاه لولده ابي سفيان
ثم جا الاسلام هذا وقول اهل اللغة المادبة تصنع لما لا سبب له يخالف
هذا الحديث فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة اكراما له من
بانيها ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة اذ لم يكن له فيها
نصيب ولا عناية فالدار هي الجنة اعدها الله لمن اراد فاجاب والداعي محمد صلى
الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا من ابان المضمر ظاهرا كما قيل وتعد الكمال
العناية به والتبرك بذكره فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله
بخروجه عن طاعة الله ورسوله ومحمد فرق بين الناس اي فارق بينهم بوسمنا
بالاعزاز وكذا بالاذلال فضلا واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم
بما جا به وامر بتبليغه وامتثال سنته اي طريقته فيما امر به ونهى عنه وندب
اليه قولا وفعلا مما لم يرد به القران الكريم ومن ثم تسمعهم يقولون من ادلة
الشرع الكتاب والسنة ومنها متلو وغير متلو اي القران والحديث ومنه حد
ومنه حديث انما انسى لاسن ثم ايحوى النسيان لا سواق الناس بالهداية
الى صراط مستقيم وابين لهم ما يحتاجون ان يفعلوه اذا عرض لهم النسيان ٥
والاهتدا بهديه اي سيرته وطريقته وفي الحديث الهدي الصالح والسمت

الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة اي ان هذه الخصال كما من جملة
شمايل الانبيا واجزا معلومة من اجزا افعالهم لا ان النبوة تتجزى ولا ان من
جمعها كان فيه اجزا من النبوة فانها ليست مكتسبة ولا مجتلبة باسباب بل هي كرامة
من الله اكرم بها من شا من خواص عباده فقد فقد جابات والحاد بتكثير في التعالي
كالازمة اي متعاليا قل ان كنتم تحبون الله اي ان تريدوا ان تخصوه بعبادتكم
له راغبين فيها فاتبعوني يحببكم الله جواب الامر جواب الشرط اي يرضى عنكم
ويكشف عن قلوبكم حجبها ويغفر لكم ذنوبكم تجاوزه عما فرط منكم ويقربكم
من جناب عزه ويبوئكم من كنف قدسه وقال فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي هو الذي لا يقرا ولا يكتب وفي وصفه به تلويح بان كمال علمه مع من معجزاته
الذي يؤمن بالله وكلماته مما انزل عليه وعلى الرسل من قبله من كتب ووحي ٥
واتبعوه لعلكم تهتدون لم يقل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم
لما في اسلوب الالتفات من مزية البلاغة وليجري عليه هذه الصفات الداعية
الى الايمان به والاتباع له وجعل رجا الاهتدا اثرا لهما تلويحا بان من صدقه
ولم يتبعه ملتزما ما شرعه فهو في ربقة الضلال وقال فلا وربك زيدت لا
لتاكيد معنى القسم حتى يحكموك فيما شجر غاية لصحة ايمانهم اي اختلف
واختلط بينهم كالشجر لتداخل اعضائه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما
قضيت اي ضيقا مما حكمت به او من حكمك ويسلموا تسليما مصدر موكد
لفعله بمنزلة تكريره اي ينقادوا لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم
اذا انقاد انقيادا ظاهرا وباطنا وقال تعالى لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة من خففها ان يوتسى اي تقتدي بها او هو في نفسه
قدوة يحسن التاسي به لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي ثوابه او لقاه
ونعيم الاخرة او ايامه واليوم الاخر خصوصا ولمن كان قال في الكشاف بدل من
لكم قيل والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة
قرنت كثرته بالرجا لان ذلك بملازمته الطاعة الموتسي به من شانه ودينه
ذلك قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول اللام فيه للعهد الخارجي
او الذهني الاقتدا به والاتباع لسنته الحنيفية السمحة البيضا وترك مخالفته
في قول قاله امرا ونهيا وارشادا او فعل فعله ليوتسى به فيه وقيل هو اي لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة عتاب من الله تعالى للمتخلفين عنه صلى الله
عليه وسلم حيث لم يتسواه في الخروج معه الى محاربة اعدائه والثبات في
مقاسات شدايد الحروب وقال سهل بن عبد الله في تفسير قوله صراط الذين
انعمت عليهم قال بمتابعة اي انعم عليهم بسبب اتباع سنته صلى الله عليه وسلم

نكم بكم

اي ضيقا

لعته ٥

والالتفات ايضا لان النعمة الى من انعم بها عليه ولم يذكرها لتذهب النفس كل
مذهب ممكن من انواع نعم لا تحصى فامرهم الله بذلك اي باتباعه ووعدهم
الاهتداء باتباعه بقوله واتبعوه لعلكم تهتدون لان الله ارسله بالهدى
ودين الحق ليزكيهم عن الشرك والمعاصي ويحملهم على ما يصيرون به زاكيا ويعلمهم
الكتاب اي القرآن والحكمة مما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام مما يصيرون
به حكما كاملي العلم متقني العمل وليهديهم الى صراط مستقيم هو الاسلام والطاعة
في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة ووعدهم محبته تعالى في آية قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ووعدهم مغفرته اذا اتبعوه واثروه بمد الهمزة
اي قدموه على انفسهم وعلى ما تحب اي تميل اليه نفوسهم وضع الظاهر موضع
المضمر مغايرا بين الجمعين لما في التفنن في العبارة من مزيد البلاغة
وبيان ان للنفس جمعين جمع قلة وجمع كثرة ووعدهم مغفرته اذا اتبعوه بعد
وعدهم محبته في قوله يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ولا ريب في ان من اتبعه
فقد اثره على نفسه واثر ما جاء به من الحق على هواه حتى صار احب اليه من نفسه
وماله وولده والناس اجمعين واخبرهم في آية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
ان صحة ايمانهم في انقيادهم وقبول حكمه واذعانهم له ورضاهم
بحكمه فيما اختلط بينهم فاختلفوا فيه وترك الاعتراض عليه صلى الله عليه
وسلم في حكمه فيما شجر بينهم وروي كما في تفسير ابن المنذر عن الحسن
انه قال قوم يا رسول الله انا نحب الله اي تميل انفسنا الى ان نخصه
بالعبادة راغبين فيها فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله اي تريدون
عبادته على الحقيقة فاتبعوني يحببكم الله اي يرضى عنكم باتباعي فيما
جئتكم به وروي ان الآية اي آية ان كنتم تحبون الله نزلت في اناس من يهود
كعب بن الاشرف وغيره لا ادري من رواه وانهم قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه زعما منهم الضمر اشياع عزير كالذين انه ابنه تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا ونحن اشد حبا لله متقربون قرب الاولاد من آبائهم بل انهم مبعدون
عنه بعد اعداء الاعادي عن اعدائهم اذ لو كانوا ابناءه واحباءه لم يأتوا قبيحا ولما عذبهم
بذنوبهم مسخا ومسايا للنار ردا بما لا ابناء ما معدودات كما زعموا فقال الزجاج
ان كنتم تحبون الله اي تقصدون طاعته فاتبعوني وافعلوا ما امركم به
اذ محبة العبد لله والرسول اي ورسوله فلامه عوض عن الضمير
تعظيما لشأنه صلى الله عليه وسلم طاعته لهما ورضاه بما امراه واحكما
مندوبا ونهيا عنه حراما ومكروها وخلاف الاولى ومحبة الله لهم اي لعباده

عفوه

عفوه عنهم وانعامه عليهم باسباغ نعمه ظاهره وباطنه برحمته فانه غايته
لها ومسبب عنها لانه تعالى انما يتصف بغاياتها التي هي فعل لا بمباديها الذي
هو انفعال وبغض الله الحب من الله عصمته وتوفيقه اي منعه من المعاصي
خلق قدرة الطاعة فيه اذ هما غايته واما مبدؤه تميل نفساني يتعالى الله عنه
والحب من العباد طاعته واذعان وانقياد له ومن ثم قيل ٥ ٥ ٥ ٥
تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا اي عصيانك له مع اظهار حبه لعمري
اعتراض بين المبتدا وما في حيزه من جار ومجرور وخبر اقسم به ابتداء
به صلى الله عليه وسلم في قسمه في الاسماء لهم في القياس بديع اي عجيب
مخترع بديع عند اذ لو كان حبك صادقا لاطعته كما هو القياس لكنك
لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا لشهادة ان المحب لمن يحب مطيع جواب
سؤال اقتضته الشرطية قبله اي هل المحب يطيع محبوبه فاجاب بهذا فنتيجة استثناء
نقيض التالي انتج رفع مقدمه ووضع نقيضه اي ثبوته وبغض لمحبة العبد
لله غاية ميله النفساني اليه تعالى وتعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له
رحمته له وارادة الجميل اي جميع مكارمه له ويكون اي الجميل بمعنى مدحه
وثنائه عليه اي على العبد قال القشيري فاذا كان اي الجميل بمعنى الرحمة
والارادة والمدح كان من صفات الذات ثبوتية كالعلم والارادة ٥ ٥
والقدرة وسلبية كالوحدانية والازلية والابدية وفعلية كالخلق والرزق والاحياء
وهذه من حيث هي ليست ثابتة خلافا للماتريدية بل حادثة اي متجددة لانها اضافات
عارضة للقدرة هي تعلقاتها بوجود المقدورات لاوقات وجوداتها ولا
محذور في اتصافه تعالى بالاضافات ككونه قبل العالم ومعه وبعده ولهذا
مزيد بيان في شرح كتابنا مقاصد المقاصد وسيأتي بعد مبني على الضم
لقطعه عن اضافته الى منوي بعده في ذكر محبة العبد غير هذا وقد استند
هنا حديثا لا جرى شاهدا لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم عن العرباض
بن سارية في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي
اي طريقتي الهادية من الضلال وسنة الخلفاء الراشدين جمع راشد
اسم فاعل من رشد وارشد … الرشد ضد الغي والمراد بهم ابا بكر وعمر
وعثمان وعليا وان كان عاما في كل من سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز المهديين
جمع مهدي وهو من هداه الله الى الحق وقد استعمل حتى صار كالاسماء الغالبة
وبه سمي مهدي آخر الزمان عضوا عليها بالنواجذ مثل يضرب لشدة التمسك
بالدين لان العض بها يكون بجميع الفم والاسنان من حيث انها اواخرها والتي
بعد الانياب واياكم ومحدثات الامور تحذير منها ومن الرضى بها جمع محدثة

وهي ما لم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا اجماع مخالفا لاصول الاسلام
فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة علة للتحذير منها من الشكل الاول
بجعل محمول الصغرى موضوع كبراها فيحصل جدا بما هكذا فكل محدثة ضلالة
وهو نتيجته ثم منسماها اما بدعة هدى وهي التي عمها ما ندب الله ورسوله
اليه وحض عليه او بدعة ضلالة وهي ما كان على خلاف ما امر به مما يخالف
قواعد الشريعة وهي المراد في الحديث لايرادها في حيز التحذير منها والذم لها
واما ما يحمده العقل كالجود والسخا وفعل الخير فحسن جعل صلى الله عليه وسلم
له ثوابا لشهادة حديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها
ومنه قول عمر في التراويح نعمت البدعة هذه لانها من افعال الخير في حيز المدح
ومن ثم مدحها وسماها بدعة لانه صلى الله عليه وسلم لم يسنها لهم وانما
صلاها ليالي ثم تركها خشية ان تفرض عليهم فيعجزوا عنها ولا جمع لها الناس
ولم يكن في زمن ابي بكر وعمر هو الذي ندبهم اليها وجمعهم عليها فبهذا
سماها بدعة وهي في الحقيقة سنة لشهادة حديث عليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وحديث اقتدوا باللذين
من بعدي ابي بكر وعمر زاد في حديث مسلم عن جابر بمعناه اي زيادة
افادت عدم روايته بلفظه وكل ضلالة في النار فكل محدثة فيها
باسقاط المكرر وفي حديث الشافعي كالامام عن سفين بن عيينة
عن سالم بن النضر عن عبيد الله بن ابي رافع عن ابي رافع ورواه ابو داود
والترمذي وابن ماجه لا الفين احدكم على اريكته اي حال كونه على سرير
مستويا متمكنا والعامة لا تعرف المتكي الا من مال في قعوده متكيا معتمدا على
احد شقيه وتاوم منه لمن واوا ذا اصله من الوكا وهو ما يربط به فم المزادة
وغيرها فكانه اوكا مقعدته وتلوسه عليها ياتيه الامر من امري اي من مأموري
لشهادة قوله مما امرت به على ان من فيه بيانية ولشهادة رواية لا اعرف عسى
رجل يبلغه الحديث عني وهو متكي على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله
واما ان كانت بمعنى البا كما في ينظرون من طرف خفي اي به فالمعنى ياتيه من امري
بما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري غير القران ولا اتبع سواه
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه هذا الحديث ورد محذرا وناهيا عن ترك امتثال
امره واجتناب نهيه فيلزم امتثالها والعمل بما امر به واجتناب ما نهى عنه لانها
من امر الله ونهيه وسنته ككتابه اذ هما وحيان متلو وغير متلو قال تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وفي حديث عائشة الذي
رواه الشيخان صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه

فتنزه

فتنزه عنه قوم اي تباعدوا ولم يعملوا برخصته فيه فبلغه ذلك فحمد الله ثم
قال ما بال قوم اي ما حالهم وشانهم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله قسم
لو تعلمون عظيمه ورد موذنا باستحبابه في كل امرهم اني لاعلمهم بالله
واشدهم له خشية لا علمية به وبصفاته وافعاله اذ بقدر معرفة المخشي
تكون الخشية المشتد وطته وروي من حديث ابي الشيخ وابي نعيم والديلمي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال القران صعب مستصعب لشدة
صعوبته على من كرهه ولم ينتفع به وهو الحكم بفتحتين مصدر حكم يحكم
بمعنى حاكم سمي به مبالغة في حكمه لنا وعلينا او ذو الحكمة لاشتماله على الحكم
من امثال ومواعظ وغيرهما مما ينتفع به فمن استمسك بحديثي تمثيل للرضى به
والعمل به بالاستمساك بشيء محكم وثيق لا ينقطع لتيقن النفع وفهمه وذلك
بعد ان حفظه ضبطا واتقانا وعن ظهر قلب كما حفظ وفهم جا يوم القيامة
وورد مع القران لعلمه بهما ومن تهاون بالقران وحديثي فلم يعمل بهما بعد
حفظهما وفهمهما فقد خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران
المبين امرت امتي بالبنا للمفعول اي امرهم الله اذ لا امر لهم فوقه وغيره
سوى الله ان ياخذوا بقولي لانه وحي غير متلو كالمتلو في العمل به وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وامروا ان يطيعوا امري لانه امر الله من
يطع الرسول فقد اطاع الله ويتبعوا سنتي اي طريقتي الواضحة وشرعته
السمحة قال تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون في هذا وكذا الذي قبله الحديث بعده
لا الفين احدكم متكيا على اريكته وحديث لا اعرفن عسى رجل يبلغه الحديث عني
شهود بان سنته صلى الله عليه وسلم كالقران في وجوب العمل بهما سوا لا يتميز
احدهما فيه على الاخر وبالنهي عن ترك العمل بها وبالرد على من يقول لا اعمل بخبر
الاحاد مع ان جميع مسائل مذهبه لا يقدر على الاتيان بمسالة منها
بخبر مشهور فضلا عن متواتر وعلى من يقول هذا الحديث لم يصحبه عمل اهل
عمل اهل بلدنا على خلافه وعلى من بلغه احد دليلين متعارضين ويعمل بالاخر
بدون اجتهاد في الجمع بينهما للعمل بهما وقد كان الامام ناصر السنة اذكى
وازكى ذهنا واقوى نظرا واصوب فكرا في الجمع بينهما للعمل اذ هو صواب
لا العمل باحدهما والغا الاخر ومن ثم قال في حقه محمد بن الحسن الشيباني
صاحب ابي حنيفة لم نزل اصحاب الحديث نياما حتى ايقظهم الشافعي فمن
رضي بقولي فقد رضي بالقران لامره بالرضى به المعاد بالامر بالاخذ
فيه قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
اذ من امر الله باخذ شيء منه فقد امر بالرضى به وقال صلى الله عليه وسلم

فيما رواه عبد الرزاق في مصنفه من مراسيل الحسن بلفظ من استن بسنتي
اي اتبعها وعمل بها وهنا من اقتدى بي فهو مني من قولهم فلان مني كانه بعضه
متحد به لاختلاطهما اي متصل بي ومعي او من اشياعي واتباعي ومن رغب عن
سنتي قصده عنها كراهة لها فليس مني كما في الصحيحين وعن ابي هريرة
ولللاودي من رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احسن الحديث كتاب الله
اقتباس من قوله تعالى الله نزل احسن الحديث وتسميته به لتحديثه الناس بما في
مصالحهم وغيرها وهو لاعجازه وافهامه ما اشتمل عليه من اخبار الامم والاحكام
والمواعظ والامثال وغير ذلك احسن حديث منهم لمعناه وخير الهدى
هدى محمد بفتح اولهما وسكون ثانيهما اي سيرته السوية وفي الحديث هدي
عمار وشر الامور محدثاتها جمع محدثة بالفتح وهي كما مر ما لم يعرف من كتاب
وسنة واجماع وروى ابو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي
قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة اي اقسام وما سوى ذلك فضل
لا يفتقر اليه وان لم يسع المرء جهله اية محكمة اي احكم بيانها فلم تحتج الى الزيادة
ونظمت نظما محكما لا يلحقه خلل وسنة قائمة اي دائمة متصل حكمها والعمل
بها متصل لا يترك وفريضة عادلة استعير على بمعنى المصدر اي العدل في
القسمة اي معدلة على السهام التي في الكتاب والسنة بلا جور او انها
مستنبطة منها فهي تعدل بما اخذ عنها وروى عبد الرزاق عن معمر عن زيد
عن الحسن بن ابي الحسن مرسلا والدارمي موصولا من حديث ابي مسعود قال
صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة اي مصاحب لها خير من عمل كثير
في بدعة لان ذاك وان قل اكثر نفعا بل كله نفع وذا المرض بالفعل بمعنى مع
كما في قال ادخلوا في امم اي معهم فانظر فيه مجانبة فكانهما لقصد بينهما
معها من صاحبه مظروفان لهما متمكنا فيها فتشبه تمكنه فيها بتمكن المظروف
بظرفه فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعية وقال صلى الله
عليه وسلم ولللاودي من رواه ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها
اي اخذها وعمل بها واتبع فتجاوز بحضرة القدس كمن امسك حبلا وثيقا
محكما مامون الانفصام فالمراد السلامة وروى الطبراني في الاوسط عن
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم المتمسك بسنتي تمثيل للمعلوم بالمحسوس
تصويرا للسامع كانه ينظر اليه بحكم اعتقاده متيقنا منهجا عند فساد
امتي حين يكون كما قال صلى الله عليه وسلم فتن القاعد فيها خير من القائم
والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فمن تمسك بها كان
له اجر مائة شهيد وروى الترمذي حديث ان بني اسرائيل افترقوا على

اثنين

اثنين وسبعين ملة اي دينا وتقدم الكلام عليه قوله ومن هم قال
هم الذين على الذي انا عليه واصحابي من الدين القويم والصراط المستقيم
روى الاصبهاني في ترغيبه واللالكائي في السنة عن انس قال صلى الله
عليه وسلم من احيا سنتي اي اظهرها بعمله بها وحثه على العمل بها كان
تشبيه اظهارها بعد ترك العمل بها بالاحيا ثم اشتق منه الفعل فجرت
الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الى الفعل تبعا فقد احياني
اي رفع ذكري واظهر امري وجعل لي في الناس ثنا حسنا ومن احياني
كان معي حيث ظرف للمعية زمانا او مكانا تفخيما له ولتذهب النفس
كل مذهب ممكن وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه عن عمرو المزني انه
صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد
اميتت اي بترك العمل بها بعدي فان له من الاجر مثل اجر من عمل بها من
غير ان ينقص ذلك الذي يكون له من الاجر من اجورهم اي اجور من عمل بها
تبعا له شيئا مفعول ينقص وقد اعتبر معنى من دون لفظها ومن ابتدع
بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله مما خالف اصول الشريعة مما لم يبن
على قياس واجماع كان عليه من الاثام مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك
من اوزار الناس شيئا فضلا واما ما ورد عن السلف الصالح من الصدر الاول
الماضين والائمة من اتباع سننه والاقتدا بهديه وسيرته عطف
تفسيري اذ الهدي السيرة والهيئة والطريقة يقال هدي هديه اذا
سار بسيرته وفي حديث ابن مسعود وان الهدي هدي محمد وقد اورد
هنا حديث الموطا شاهدا لذلك ورواه النسائي وابن ماجه ان رجلا من
ال خالد بن اسيد قال لابن عمر يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف وصلاة
الحضر في القران ولا نجد صلاة السفر اي في القران فقال ابن عمر
يا ابن اخي اي في الاسلام جريا على عادة العرب في خطابهم بذلك شفقة
ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فقد بان حجه في
افعاله واقواله وتقريراته وانما نفعل كما رايناه يفعل وقد رايناه يقصر
في السفر فقصرنا معه اقتداء به صلى الله عليه وسلم ذكره اللالكائي في السنة
له قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي سن طريقة
مرضية يقتدى به فيها مما لم ينزل به قران وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى وسن ولاة الامر بعده سننا موافقة لقواعد الكتاب
والسنة كجمع عمر الناس على ابي بن كعب في صلاة التراويح وامر عثمان بكتابة
المصاحف ثم بعثها الى الافاق الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستعمال لطاعة

الله تشهادة اغرابه صلى الله عليه وسلم على لزوم ذلك بقوله عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي أراد أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فإن
عم كل من سار بسيرتهم من الخلفاء قوة على العمل بها في دين الله مما ألزمنا الله به
اعتقادا من توحيد وطاعة وإيمان بكتبه ورسله ويوم الجزاء وسائر ما يكون به
مؤمنين ومما شرع لنا من الأحكام فعلا وتركا ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها
تغييرها مما لا عاضد له شرعا ولا يجوز لأحد النظر في رأي من خالفها بلا دليل
شرعي من إجماع أو قياس تشهادة قول ناصر السنة الشافعي لا يحل لأحد إذا صح
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول برأيه بل عليه أن يتبعه وكذلك
هذا حاكما بالغا قول من قال ينفذ تشهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو أقام
رجل شاهدي زور أن فلانة امرأته فشهدا بذلك جاز له أن يطأها مع علمه
بأنها ليست زوجته وهذا لم يرد به كتاب ولا سنة من اقتدى بها أي بسنته
وسنتهم فهو مهتد ما دام متمسكا بها ومن يستنصر بها أي يستظهر
مستعينا مستقويا بها فهو منصور ومن خالفها فلم يتمسك بها وعمل بغير
واتبع غير سبيل المؤمنين أي غير ما هم عليه من الدين القيم ولاه الله أي
جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلا بينه وبين ما اختاره وأصلاه جهنم
أي أحرقه فيها تشهادة ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا لمن صار
إليها مخزيا وهذا يؤذن بحرمة مخالفة الإجماع لأنه تعالى قرن بين مشاقة
الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين في الشرط وجعل جزاءه وعيدا شديدا
فوجب اتباعهم كوالاة الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة للا لكاي قال الزهري
بلغنا عن رجال من أهل العلم لو الاعتصام اتبعا لمن العصمة أي
الاستمساك بالسنة نجاة من ورطة الهلاك ووصمة الانهماك في
أودية الضلال وفي سنن سعيد بن منصور كتب عمر بن الخطاب إلى عماله
بالأمصار بتعليم الناس أحكام السنة والفرائض لأنها أول علم يفقد وهي
نصف العلم فينبغي تعليمها والعمل بها وتعليم ما تعصم مراعاة قوانينه اللسان
من اللحن وروى الدارمي أنه قال إن ناسا يجادلونكم أي يغالبونكم ويخاصمونكم
بالقرآن فخذوهم ردوا باطلهم بالسنة لأنها كالقرآن وحي إلا أنه غير متلو
في من صلى الله عليه وسلم ونهيه كأمر الله ونهيه إذ ما ينطق عن الهوى إن
هو إلا وحي يوحى فما لم يرد به القرآن فقد وردت به السنة فإن أصحاب
السنن أي الحافظين لها كالبخاري ومسلم وأبي داود أعلم بكتاب الله لأنها
كالتفسير له منوهة بمعانيه وأحكامه وفي خبر أي خبر عمر الذي رواه مسلم

حين صلى أي عمر بذي الحليفة مكان بقرب المدينة الشريفة يحرم منه الآن أهلها
وأهل الشام ركعتين فقال أصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
محافظة على اتباع سنته وسلوك واضح محجته وروى البخاري والنسائي عن علي حين
قرن بين الحج والعمرة فقال له عثمان تري من الرأي لا من الرواية أي تعلم وتعتقد أني
أنهى الناس عنه أي عن القران وتفعله أنت قال أي علي لعثمان لم أكن أدع سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من الناس اقتداء بآثاره الحسنة وعنه أي عن
علي ولا أعلم من رواه ألا مركبة من همزة الاستفهام وحرف نفي تنبيها على
تحقق ما بعدها والاستفهام إذا عري نفيا أفاد تحقيقا ومن ثم لا ترد
الجملة بعدها إلا مصدرة بما يتلقى به القسم كان كما هنا إني لست بنبي
ولا يوحى إلي ما أعمل به ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت
بحسب الطاقة البشرية وكان ابن مسعود يقول كما رواه الدارمي
والطبراني واللالكائي في سننه عنه وعن أبي الدرداء القصد في
السنة أي التوسط بين الإفراط والتفريط تمسكا بها خير من
الاجتهاد في البدعة أي خير ممن بذل الوسع والطاقة في العمل تلبسا
ببدعة ضلالة إذ هي المراد هنا ثم البدعة ما لم يكن في عهده صلى الله
عليه وسلم وهي كما قال ابن عبد السلام منها واجبة كمقدمات معرفة
كتاب الله وسنة رسوله من نحو وبيان وغيرهما لأن حفظ الشريعة
واجب وما تم الواجب إلا به واجب ومحرمة كمذهب القدرية والجبرية
والمرجئة فالرد عليهم حفظ للشريعة من بدعهم فرض كفاية ومندوبة
كالتراويح وبناء الربط والمدارس والكلام في دقائق الصوفية ومباحة
كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في لذيذ المآكل والمشارب
والملابس والمساكن وتوسع الأحكام هنا وقد روى البيهقي في مناقب
الشافعي عنه محدثات الأمور ضربان ما خالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا
فهو بدعة ضلالة وما أحدث في الخير فبدعة غير مذمومة وقال ابن عمر
فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح صلاة السفر ركعتان من
خالف السنة أي عنادا كفر لمخالفته لها على وجه العناد إذ هي عليه علامة
الجحد لها إذ لا كفر لها بمجرد المخالفة فهو به مبتدع لمخالفته الحق وقال
أبي بن كعب فيما رواه الأصبهاني في ترغيبه واللالكائي في سننه عليكم
بالسبيل المستبين أي اللزوم في أعمالكم خالصة تقربا إلى الله تعالى
بأنواع الطاعات والسنة أي طريقته صلى الله عليه وسلم الحسنة الفضلى
وشريعته المثلى فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة

تمثيل لحاله لتمسكه بهما ولزومه لهما بحال من اعتلا شيئا وركبه ذكر الله في
نفسه بدون تلفظ ففاضت عيناه اي سالت الدموع منها من خشية الله خوفا
وحرجا وفزعا فيعذبه اي الا لم يعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد
على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر اي تقبض واجتمع
من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها قول مثل مضربه
بمورده اعني تمثيل حط الخطايا بحت الورق اليابس بجامع الذهاب فبينما
هي في اوقات كونها كذلك اذا اصابتها ريح شديدة فتحاتت ورقها اي
تساقط عنها الا لو بدلا وتاكيدا لبعد المسافة بينهما باعتراض المثل
واستيناف جوابا لمقدر كانه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية
مع مراعاة النفي فقيل الا حط عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها
اي تساقط عنها كتساقطه بالعري فان اقتصادا اي توسطا في سبيل وسنة
خير من اجتهاد في بدعة ضلالة خلاف سبيل وسنة وانظروا حرصا منكم
ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا اي مبالغة جدا او توسطا
ان يكون يجوز كونه بدلا من ان يكون او تاكيدا له لبعد المسافة بينهما باعتراض
الشرط او استينافا فجوابا لمقدر وهو على اي منهاج يكون عملكم فقيل على
منهاج الانبيا وسنتهم اي صراطهم السوي وشرعهم السري وكتب بعض
عماله اي نواب عمر بن عبد العزيز اليه يخبره بحال بلده وما عليه اهلها وكثرة
لصوصه المتغلبة على الناس لاخذ اموالهم بالباطل ولو مع قتلهم هل ياخذهم
بالظنة اي بمجرد التهمة ام يحملهم على البينة وعلى ما جرت عليه السنة من
اتى منه البينة واليمين وما يترتب عليهم من غرم وقتل وصلب بسبب ذلك
فكتب اليه عمر بن عبد العزيز خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة متمسكا
وردت به واستقرت عليه فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله ولا وفقهم
لخير وعن عطا في تفسير قوله تبارك وتعالى فان تنازعتم اي اختلفتم انتم
واولوا الامر منكم في شي من امور الدين فردوه اي ارجعوه الى الله والرسو
ل اي الى كتاب الله وسنة رسوله بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقال محيي
السنة وناصرها الامام الشافعي ما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اتباعها اخذا وعملا على منهاج الاستقامة وقال عمر فيما رواه الشيخان
ونظر الى الحجر الاسود اعتراض بين القول ومقوله حال من عمر بوديته بصدو
ره منه مستا هذا انك حجر لا تنفع ولا تضر وربما نفع اذ قد ورد انه يشهد
لمن استلمه يوم القيامة ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبلك ما قبلتك ثم قبله اي وضع فمه عليه بلا صوت تاسيا به صلى الله

عليه

عليه وسلم وهو من مستحبات افعال الطواف كاستلامه والاشارة اليه
وراى عبد الله بن عمر كما رواه احمد والبزار بسند صحيح يدير ناقته في مكان
اي يطيفها حوله حتى عاد الى موضع بدئه فسئل عمن اداره لاي شي فقال
لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ففعلته اقتداء به صلى
الله عليه وسلم وقال ابو عثمان الحيري شيخ الصوفية بنيسابور نسبة الى
الحيرة بمهملة مكسورة فمثناة تحتية محلة كان يسكنها من امر السنة على
نفسه اي جعلها اميرا حاكما عليها قولا وفعلا تمييزان عن كونها مفعولين
اي حكم قولها وفعلها فيها نطق بالحكمة اي بما وافق الحق اذ كل كلام وافقه
حكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة اي بما خالف الحق اذ كل ما
خالفه بدعة ضلالة وقال سهل بن عبد الله التستري اصول مذهبنا معاشر
الصوفية لا المتصوفة بسبها دون الاضافة ثلاثة الاقتدا بالنبي صلى الله
عليه وسلم في الاخلاق من اداب ومكارم ومحاسن اذ كان صلى الله عليه
وسلم على خلق عظيم قالت عايشة كان خلقه القران ياتمر باوامره وينتهي
بنواهيه والافعال العميمة النفع
كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه لج في الطلب
والاكل من الحلال اي طيب المكسوبات والاخلاص للنية في جميع الاعمال
من شوائب الريا وهي قد تصير العادات عبادات وجا في تفسير قوله تعالى
والعمل الصالح يرفعه انه اي العمل الصالح هو الاقتدا به صلى الله عليه وسلم
في جميع ما جا به من توحيد وصلاة وصوم وزكاة وحج
وتلاوة ودعا وتهليل وتكبير واستغفار وغير ذلك وعن احمد بن حنبل
قال كنت يوما في جماعة تجردوا عن ثيابهم ودخلوا الما بلا سترة فاستعملت
الحديث الذي رواه مثله الترمذي من كان يومن بالله اي يعترف بربوبيته
واليوم الاخر انه حق وبما يكون فيه من بعث وحشر وحساب وغير ذلك
فلا يدخل الحمام الا بميزر اي ازار يستر به عورته ولم اتجرد اي انا من ثيابي
فرايت اي في المنام تلك الليلة الثانية من يوم تجردهم قائلا لي يا احمد ابشر
فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة اقتداء باثار رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجعلك اماما يوتم ويقتدى بك قلت من انت قال جبريل هنا بابك الشر
فضل ومخالفة امره صلى الله عليه وسلم بعدم الاتباع دون الاذعان له
وتبديل سنته اي تغييرها لفظا او معنى تاويلها على خلاف مراده صلى
الله عليه وسلم ضلال وبدعة متوعد من الله عليها بالخذلان بخلق قدرة
المعصية فيه في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قال تعالى اي متعاليا عما لا

تسره

بلتوبه **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** معرضين أو صادين عنه بترك مقتضاه من خالفت فلانا عن الامر اذا اعرضت عنه دونه وعكسه من خالفته الى الامر اذا اعرض هو عنه دونك بتشديد وما اريد ان اخالفكم عنه **أن تصيبهم فتنة** في الدنيا **أو يصيبهم عذاب أليم** اي مولم في الآخرة وهو تعريض بان الامر للوجوب بتشديد اذ ان ترك مقتضاه يوجب العذابين وايذان الحذر عنه بحسبه المشروط بقيام المقتضي فالوجوب لازم لهما **وقال ومن يشاقق الرسول** من الشق لأن كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر يخالفه **من بعد ما تبين له الهدى** اي ظهر له الحق بمعاينته المعجزات **ويتبع غير سبيل المؤمنين** اي غير ما هم عليه من اعتقاد حق او عمله **نوله ما تولى** اي نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدع **ونصله جهنم** اي ندخله فيها **وساءت مصيرا** له فالآية موذنة بحرمة مخالفة الاجماع ايضا بتشديد ترتيبه تعالى فيها الوعيد الشديد على مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين يقتضي بحرمة كل واحد منهما وتقدم وورد هنا مسندا حديث ثلث شاهدا لحرمة مخالفته صلى الله عليه وسلم وتبديل سنته وروى مسلم **عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة** بتثليث الباء **وذكر حديث وصف امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد** اي يصد ويطرد **البعير الضال** مما يحمي نفسه ويتعدى على الاعانة في طلب الكلاء الماء من الضلال وهو الضياع وفي الحديث اولا ان الله لا يحب ضالة العلم اي ان ادنكم عقالا اي لا يحب بطلان العلم وضياعه وقد تطلق الضالة على المعاني كما في حديث الكلمة الحكمة ضالة المؤمن وفي رواية ضالة كل حكيم اي لا يزال يطلبها كما يطلب ضالته **فاناديهم الا هلم** اي تعال بلغة قومها اذ يطلقونه على الجمع وعلى الواحد والاثنين والمونث بلفظ واحد مبنيا على الفتح وبنوا تميم تونث وتثني وتجمع تقول هلم هلمي هلما هلموا **فيقال انهم قد بدلوا فاقول سحقا سحقا** اي بعدا بعدا انتصب بتقدير الزمهم الله سحقا وظاهر ان الهم بدلوا دينهم كفرا بتشديد تكرير سحقا تاكيدا لابعادهم عن رحيق حوضه وحديث انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم فيجوز ان يراد بدلوا بعض معالم الدين كتاخير بعض الامراء الصلاة عن وقتها المختار اذ لم يكونوا يوخرونها كما قال النبي عن جميع وقتها فهو المراد في حديث ابي ذر كيف بك اذا كانت عليك امراء يميتون الصلاة عن وقتها او قال يوخرون الصلاة عن وقتها قلت يا رسول الله فما تأمرني

قال صلها لوقتها فان ادركتها معهم فصلها فانها لك نافلة ففي الحديث الحث على الصلاة في اول وقتها وان الامام اذا اخرها عنه ندب للماموم ان يصليها اوله منفردا ثم مع الامام فيجمع له فضيلتا الوقت والجماعة وعلى موافقة الامراء في غير معصية حذرا من تفرق الكلمة ووقوع الفتنة وان الصلاة الاولى تقع فرضا والثانية نفلا وانه تندب الاعادة لاطلاقه صلى الله عليه وسلم الامر بها دون فرق بين صلاة وصلاة وقد شبه في الرواية الاولى تاخيرها عن وقتها لاختيار بإماتة ذي حياة ثم اشتق منها يميتون فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية او شبهها على طريق الاستعارة المكنية بذي حياة واثبت لها الاماتة تخييلا **وروى الشيخان** حديثا طويلا فيما رواه الشيخان آخره **فمن رغب عن سنتي** اي عما جئت به مما امر به ونهي عنه والفاء متعلقة بمحذوف اي لكني افعل ذلك لأني سن لكم طريقتي المثلى فمن لم يعمل بها **فليس مني** اي ليس بمتصل بي من قوله فلان مني كان بعضه ويتجزأ به او ليس من اتباعي واشياعي **وقال** صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان **من احدث في امرنا** ولمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا **فهو رد** وفي رواية من احدث في ديننا **هذا** الامر حقيقته القول لطالب فعل او الفعل والشان والطريقة واريد به هنا الدين من حيث انه شانه وطريقته لتعلقه واهتمامه به بحيث لا يخلو عنه شيء من اقواله وافعاله وتقريراته اي من اخترع في الاسلام **ما ليس منه** اي ما لم يكن له من الكتاب ولا من السنة عاضد ظاهر او خفي ملفوظا او مستنبط **فهو رد** مصدر بمعنى المفعول اي مردود لمخالفته السنة وفيه تلويح بان ديننا قد كمل وظهر كضوء الشمس بتشديد اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن رام زيادة حاول ما ليس بمرضي وفي قوله صلى الله عليه وسلم ما ليس منه اشارة الى ان ما احدث بدليل عاضد محمود **وروى ابن ابي رافع** كما مر قريبا من رواية ابي داود والترمذي وابن ماجه **عن ابيه** ابي رافع **عن النبي صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكئا على اريكته** كني بنفسه صلى الله عليه وسلم عن ان يراهم على تلك الحالة مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها وجدهم كذلك فهو كناية ايمائية واطلاق الكسب على ملبسه والاريكة سرير مزين في حجلة في ستر ولا يسمى بدونها اريكة وقيل هي كل ما اتكي عليه **يأتيه** حال كونه اما من الامراء ومن صاحب الاولين وهما سيداطلعا افاد تاكون يوضحهما من ذوي الرفاهية والدعة الذين رفضوا الاتصاف بالكمالات تكبرا وعتوا بتشديد الحالة الثانية اذ قد وردت موكدة مقررة

بحافته وبطنه وسواده اي لا أجدنّ ولا أصادفنّ احدكم حال اتكائه اي
حال جلوسه على اريكته يأتيه حال كونه ما نبأ اليه الامر واتيان الامر من
امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري غير كتاب الله ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه وقد مر لهذا مزيد بيان فراجعه ان شئت زاد المقدام
في حديثه الذي رواه الترمذي والحاكم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان
ما حرم رسول الله فيجب اجتناب ما حرمه لانه بوحي من الله تنبيها له وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو
داود في مراسيله والدارمي والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم
عن يحيى بن جعدة وجيء بكتاب مصدر بمعنى مفعول اي مكتوب في كتف والآتي
به عمر او ابنته حفصة او عائشة او غيرهم واحتمالاتها لان اعتراض عمر رده
يؤذن بانه سبب لقال كفى بقوم حمقا او ضلالا تمييز ازيل عن كونه فاعلا
والشك من الراوي وكلاهما رابع وانما ازيل عن اصله لان التفصيل بعد
الاجمال اوقع في النفس الا ترى انه لما قال كفى بقوم افاد ان شيئا يكفي
فكان مجملا فلما قال حمقا عاد مفصلا والاصل كفى الحمق او الضلال
قوما ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم معرضين عنه ملتفتين الى ما جاء
به غير نبيهم او ملتفتين الى كتاب غير كتابهم هذا ولفظ ما رووه
جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال
صلى الله عليه وسلم كفى بقوم حمقا او ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم
الى ما جاء به غيره الى غيرهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب عطف
على ما دل عليه قوله وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه اي اقالوا ذلك ولم
يكفهم بانزالنا عليك آية مغنية لهم عما اقترحوه يعنينا واقترحا يتلى عليهم
دائما ما بقينا لديها متحدين او يتلى على اليهود بتحقيق ما بايديهم من
صفتك وصفة دينك الحق هذا وصنيعه ومن ذكره من الرواة يؤذن
بان تمييز يكفهم عائد على من جاء من الصحابة بالكتاب في كتف لعمر فيلزم
ان يكون منزل الآية مسببا عن قوله صلى الله عليه وسلم كفى بقوم المسبب
به عن المجيء به لا عن قولهم لولا انزل عليه آية من ربه وسوقها يأباه الا ان
يقال انها نزلت مرتين فيكون نزولها مسببا عنهما وروى مسلم عن
ابن مسعود انه قال هلك المتنطعون من التنطع وهو الغار الاعلى من
الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا اي المتعمقون الغالون في افعالهم
واقوالهم كلاما من اقصى حلوقهم وروى ابو داود وغيره قال ابو بكر الصديق
لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به

اقتفاء لآثاره الحميدة وسننه المجيدة اني اخشى ان تركت شيئا من امره الذي
كان عليه ان ازيغ عن الحق واعدل عنه فيصرف الله قلبي عن قبوله وعن الميل
الى الصواب الباب الثاني في ذكر ما يؤذن بوجوب لزوم محبته
صلى الله عليه وسلم لكل مكلف فحذف للتعميم كما في والله يدعو الى دار
السلام اي كل احد الى دار من دخلها سلم من الآفة والفناء قال تعالى قل ان
كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم العشيرة بكسر
المهملة وسكون المعجمة او العشيرة بفتحها اي قرابتكم واموال اقترفتموها
اي اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها بفوات زمان نفاقها ومساكن
ترضونها احب اليكم حبا اختياريا من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
تهديد ووعيد شديد ولعل من كل هذه الصفة حتى يأتي الله بامره غاية
للتربص وهو المكث والانتظار اي مكثوا منتظرين حتى يدهمكم عقوبته
عاجلا او آجلا او فتح مكة فكفى بهذا التهديد والوعيد الشديد حضا اي
حثا وتحريضا وتنبيها ودلالة وحجة مميزات للنسبة كفى آذن تكريرها
تاكيد كفاية الآية في كونها حجة على الزام محبته صلى الله عليه وسلم من الله
تعالى ايانا ووجوب فرضها وعظم خطرها اي قدرها العظيم واستحقاقه
صلى الله عليه وسلم اذ قد قرع تعالى فرا مستدده اي وبخ من كان
ماله واهله من آباء واخوان وازواج وعشيرة ومتاجر ومساكن وولد
احب اليه من الله ورسوله واوعدهم من الايعاد يستعمل في الشر والوعد
فيه وفي الخير فان استعمالا في الخير وعد ووعد وفي الشر وعيد
وايعاد بقوله فتربصوا حتى يأتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم
فيه انهم ممن ضل ولم يهده الله بقوله والله لا يهدي القوم الفاسقين اي
لا يرشدهم وهي يؤذنه بتهديد عظيم لا يخلص منه الا ذو عنايه وقد
روي هنا ما جاء مؤيدا لما ورد بها من طرق البخاري عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم خصوا بها بالخطاب لانهم هم الموجودون
اذ ذاك والحكم عام لم يخص بواحد بتبهدة وقوع من نفي عنه الايمان
او كماله نكرة في حيز النفي بدون خطاب في رواية مسلم عبد وفي رواية غيره احد
اي ايمانا كاملا او لا يكمل ايمانه تبيها في رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة
الايمان حتى اكون احب اليه غاية لنفيه او كماله وحتى هنا جارة لمغايرة ما بعدها
لما قبلها هذا ومن كمل ايمانه علم ان حقيقة الايمان لا يتم الا بترجيح حبه صلى
الله عليه وسلم على حب كل من والده وولده والناس اجمعين حبا اختياريا
ايثارا له صلى الله عليه وسلم على ما تقتضي العقل رجحانه من حبه اختيارا

واكراما واجلالا وان كان يحب غيره لنفسه او لكماله وحتى هنا جاء لمغايرة
ما بعدها لما قبلها هذا ومن كمل ايمانه علم ان حقيقة الايمان لا تتم
الا بترجيح حبه صلى الله عليه وسلم على حب كل والد وولد موكونا في غريزته
وروى الشيخان عن انس ثلاث نكرة هي صفة لمحذوف ومن ثم وقعت
مبتدا كضعيف في مثل ضعيف عاذ بقرملة اي حيوان او انسان ضعيف لجا
الى شجرة ضعيفة اي خصال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان خبر او صفة
ثلاث ان يكون الله ورسوله احب اليه بدل من ثلاث على الاول وخبر
على الثاني او خبر مبتدا محذوف اي هي كون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
اثار الجمع على حب ما تهوى نفسه من ولد وغيره قيل في تثنية ضمير هما
هنا مع انكاره كما مر على خطيب ثنا هما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله
بئس الخطيب انت ايما الى ان المعتبر في المحبتين هو مجموعهما لا كل واحدة منفردة
واشعار بان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بتبشير ذلك العطف
فانكونه في تقدير التكرير يوذن باستقلال كل من المعطوف والمعطوف عليه
بترتب الغواية عليه منفردا وان يحب المرء لا يحبه الا لله لا لامر اخر كاحسان
ودفع مكروه وهو جمال وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار
لثبات ايمانه وتمكنه من جنانه بمخالطته بشاشته له بسطوع نوره فيه فينشرح
ويطمئن مستلذا به ومن ثم شبهه على طريقة الاستعارة المكنية بذي
حلاوة واثبتها له تخييلا ولتنبيهها عليه صلى الله عليه له عنوانا لكماله لان المرء
لا يكمل ايمانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم القادر على الاطلاق لا مانع
ولا مانع سواه وان الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة بينه وبينه ساعين
لهدايته له في اصلاح شانه ورفعة مكانه وذلك موذن بوجوب ترجيح
محبتهما وان ما وعد به واوعد عليه حق لا يتنزل ساحته ريب فيتيقن انهما
كالواقع فيرغب ويرهب وروى البخاري عن عبد الله بن هشام عن عمر انه قال
للنبي صلى الله عليه وسلم لانت مبتدا ولام موذنة بقسم محذوف اي والله
لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي جريا على مقتضى الطبيعة
ان الانسان لا يرى احب اليه من نفسه لكونه جبليا لا اختياريا وقيل علم بان حب الله
ورسوله مقدمان على حب كل شيء من نفس وولد وغيرهما حبا اختياريا تكليفيا ومن ثم
ارشده صلى الله عليه وسلم الى ذلك فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب
الي من نفسي اذ عاين واتبع دلالة محبته صلى الله عليه وسلم على محبة نفسه فقال
صلى الله عليه وسلم الان يا عمر فقد استقمت ايمانا وقال سهل هو ابن عبد الله التستري
من لم ير ولاية الرسول عليه بمعنى السلطان والملك فانه صلى الله عليه وسلم متولي

كل احد وما لكه وناصره في جميع احواله ويرى نفسه في ملكه صلى الله عليه وسلم
لا يذوق حلاوة سنته مثل ضربه لما يدرك منها مما تستلذ به النفس وتستروح
له القلب من علوم واداب واقتفاء لاثاره الكريمة يقوم للروح مقام الطعام
والشراب للجسد اي لا ينال ذلك الا من ادخل عنقه في ربقة ملكه ورأى ان
تصرفه فيه نافذ في جميع احواله وشبه ادراك معانيها بذوق حلاوة حلو تنبسط
تنبسط له النفس وينفسح له الصدر ثم اشتق منه الفعل فجرت الاستعارة
في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية فمن لم ير ذلك لم ينل حلاوتها لانا النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه
الحديث منصوب باعني ونحوه وتمامه كما مر وماله وولده ووالده والناس اجمعين
فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم مما يرجو محبته في الدنيا ويمنحه في
الاخرة وقد روي هنا مسندا مما يشهد له من طريق البخاري حديث انس
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة هي جزء من اربعة وعشر ن
جزءا هي مجموع اليوم والليلة اي هي جزء قليل منه او من ليل من قولهم جلست عندك
ساعة من النهار اي وقتا قليلا منه ثم استعير اسما ليوم القيامة اعني الذي يكون
فيه فهو زمن قليل يحدث فيه امر عظيم ومن ثم سميت الساعة يا رسول الله
قال ما اعددت لها اي من هبات مما يعمل من شدائدها وتفاقم اهوالها ما اعددت
لها من كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فان حبهما ادر الله
واعظم وقاية منه وفي الاستفهام ترغيب فخيا نه الاعتداد له وتلويح
بعظم نكاتيه قال انت مع من احببت وداخل في زمرتهم ترغيبا له ولمن يحذو
حذوه بتشريف مرافقة الترغيبا دالسا لكنه دار فعهم درجات عند كما في
حديث الترمذي والنسائي عن صفوان بن قدامة المرء مع من احب وروى الترمذي
عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابنا علي من فاطمة
ابنته صلى الله عليه وسلم فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما اي مال الى
والليهما اختيارا مقترنا بالايمان كان معي في درجتي يوم القيامة في الجنة مع
من انعم الله عليهم لا طبيعة لحب الانسان نفسه ولكن لم يوجد عن حد الاستطاعة
موكونا في غريزته ولا تكلف نفس الا وسعها وروى الطبراني وابن مردويه عن عائشة
وابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من اهلي ومالي
نفسا وزوجة وعيالا واني لاذكرك فما اصبر عنك رويته اذ قد شغلني حبك حتى
انظر اليك فيطمئن قلبي وتفرغني واني ذكرت موتي وموتك فعرفت انك اذا
دخلت الجنة رفعت مع النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وان
دخلتها لا اراك فنزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله

عليهم ترغيبا له ولغيره من المومنين اذ وعد وامر فقد اكرم عباد الله عليه
واقربهم اليه من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين بيان لمن انعم
الله عليهم بما اخفي لهم من قرة اعين حال منه او من ضميره وذكرهم بحسب
مقاماتهم علما وعملا وحث على اتباعهم اولهم الانبيا الفايزون بكمال العلم والعمل
والمتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل فالصديقون الصاعدة انفسهم
مدارج النظر والبيان تارة ومعارج التصفية والعرفان للاطلاع على ما هي
عليه فاخبروا عيانا اخري فالشهدا الذين اخذ بهم حرصهم على الطاعة
واظهار الحق وبذل انفسهم في اعلا كلمة الله فالصالحون المنفقون نفايس
اعمارهم واموالهم في طاعته وحسن اوليك رفيقا حالا وتمييز فيه معنى التعجب
اي ما احسنهم رفيقا ولم يجمع لمقوليته على الواحد والجمع كالصديق او لارادة
ان كل واحد منهم رفيقا وفي حديث اخر لا ادري من رواه كان رجل عند
النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف اي لا يغمض بصره مطرقا
رامنا بصره الى الارض فقال له اي النبي صلى الله عليه وسلم ما بالك اي
شانك تنظر الي لا تطرف فقال بابي انت وامي اي افديك بهما
اتمتع بالنظر اليك اي انتفع به مدة امكانه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة
رفعك الله بتفضيله اياك فانزل الله ومن يطع الله والرسول وفي حديث
رواه الاصفهاني في ترغيبه عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احبني كان معي في الجنة وان تفاوتت مراتبهما فيها لعدم لزوم
تساوي مراتبهما من كونه معه فيها فصل فيما روي عن الايمة الاعلام
والسلف علما وصلحا فهو عام عطف على خاص من محبتهم له صلى الله
عليه وسلم وشوقهم اليه رويته وصحبته لشدة محبتهم له وقد روي هنا
من شواهد ذلك حديث مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اشد امتي لي حبا تمييز للنسبة اشد ناس يكونون بعدي
يود احدهم بيان لشدة حبهم له صلى الله عليه وسلم على طريقة الاستيناف
لو راني حكاية لوداهم مع افادة معنى التمني باهله وماله وقد تقدم
عن الصحابة وغيرهم شواهد كثيرة بذلك روي ابن عساكر في تاريخه عن ابن
عمر عن ابي بكر انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق اي بالدين
الحق مصحوبا به لاسلام ابي طالب جواب القسم يعني عمه صلى الله عليه وسلم
كان اي اسلامه اقر لعيني من القر وهو البرد فان دمعة السرور بارد ودمع
الحزن حار او من القرار فان العين اذا رات ما يسرها سكنت اليه النفس ولم
تستشرف لغيره من اسلامه يعني ابو بكر اباه ابا قحافة بضم القاف مضمومة وفا

يعني

بينهما مهملة فالف وذلك اي كون اسلام ابي طالب اقر لعينه صلى الله عليه
وسلم من اسلام ابيه من اجل ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك يا رسول
الله ونحوه حديث البيهقي والبزار عن ابن عمر للعباس ان تسلم بتشديد
همزة ان او فتحها شرطيته ان كان قاله له قبل اسلامه ترغيبا له في
الاسلام او مصدريته ان كان بعده اي اسلامك احب الي من اسلام
الخطاب يعني اباه لان ذلك اي اسلام العباس احب الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان احب الي من اسلام الخطاب وعن ابن اسحق
والبيهقي عن اسمعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص مرسلا ان امراة من
الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها في سبيل الله يوم احد جبل
بالمدينة اي زمن وقعته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش
فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله لم ينتصر
علي عدوه بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه فلما راته قالت
كل مصيبة بعدك اي غير مصيبتك جلل بفتح اوله وثانيه اي هين حقير
وسيل نظير ولا ادري من رواه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم استفهام له عن حال حبهم له صلى الله عليه وسلم في القوة لان
كيف كما مر يستفهم بها عن حال الشي قال كان اي رسول الله صلى
الله عليه وسلم والله قسم لامر مهم هو كونه احب الينا من اموالنا واولادنا
واباينا وامهاتنا جمع امهة وخص بنات ادم لشبهها بذوات اصولها خدف
والباس لبني وبقال في البهايم امات وكان احب الينا من الما البارد على
الظما اي شدة العطش وشبه بالما دة الجار على انه اشد نفعا اذ هو ان
انعش للمهج واطفا لحرارتها وادفع لالم القلب وضعف البدن وروي ابن المبارك
في الزهد عن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس الناس ويخبر عن احوالهم
على عادته في خلافته فراي مصباحا في بيت فقصده واذا عجوز تنفش صوفا
اصلاحا له وهي تقول من شطور بحر البسيط عروضه وضربه موقوفان
على محمد صلاة الابرار اي تعظيمهم له صلى الله عليه وسلم في الدنيا باعلا ذكره
واظهار امره وابقا شريعته وفي الاخرة بتشفيعه في امته وتضعيف
اجره والابرار جمع بر او بار صلى عليه الطيبون الاخيار جمع خير بالتشديد
قد كنت صواما وفي رواية قواما اي كثير الصوم او القيام للعبادة بكا بتشديد
الموحدة قصر للضرورة الوزن واصله بفتحها ممدودا مشددا والكاف مبالغة في
كثرة البكا بالاسحار خصها بالبكا لانها اولي تخلوه وتضرع وابهالا اليه تعالى وقال
لقمان لابنه يا بني لا يكن الديك اكيس منك ينادي بالاسحار وانت نايم يا ليت شعري اي

علي والمنايا اطوار جملة حالية او وردت اعتراضا بين ما تمنت به وتمنيه
افادت بها ان ما يحول بين المرء ومتمناه لها حالات شتى مختلفة اي ليت
علي حاضرا علم به هل يجمعني وحبيبي الدار ام يحول من بين ذلك الردى هو
تعني اي المراة النبي صلى الله عليه وسلم والجنة دار القرار والمنايا
جمع منية وهي الموت من منى الله عليك بمعنى قدر ومن ثم سمي منية
لانه مقدر بوقت مخصوص وقد ورد ان منشدا انشد النبي صلى
الله عليه وسلم

لا تامنن وان امسيت في حرم * حتى تلاقي ما يمني لك الماني
فالخير والشر مقرونان في قرن * بكل ذلك ياتيك الجديدان

فقال صلى الله عليه وسلم لو ادرك هذا الاسلام لاسلم حتى تلاقي ما قدر
لك المقدر وهو الله تعالى فجلس عمر يبكي وروى كما في عمل اليوم والليلة
لابن السني ان ابن عمر خدرت رجله بفتح الخاء وكسر الدال اي فترت
وضعفت عن الحركة باجتماع عصبها فقيل له اذكر احب الناس اليك فصاح
يا محمداه لم يعطفها على جملة فصاح لكمال الاتصال بينهما لانها من الاولى
بمنزلة عطف البيان من متبوعه كما في اقسم بالله ابو حفص عمر
ما مسها من نقب ولا دبر حيث جعله بيانا وتوضيحا لابي حفص فانتشرت
اي رجله التي خدرت ولما احتضر بلال اي حضرته الوفاة نادت امراته
واحرباه محركا وهو في الاصل النهب والسلب فكانها لفجعها وحزنها
بموته قد نهبت وسلبت فقال اي بلال واطرباه غدا نلقى الاحبة
محمدا وصحبه من مجزو بحر الرجز عروضه وضربه مقطوعان وجزوه الاول معصوب
والثالث معقول روى البيهقي عن عروة لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بمهملة
مفتوحة فمثلثة مكسورة من الحرم ليقتلوه صبرا وكان قد اسر مع خبيب يوم الرجيع
فباعوهما بمكة قال له ابو سفيان انشدك الله اي سالتك واقسمت عليك
يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك اعاذه
الله من ذلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه
تصيبه شوكة واني جالس في اهلي اي بالمدينة الشريفة لانه صلى الله عليه
وسلم تفدى بالاباء والامهات فلا يحب احد ان يصيبه ما يوذيه فقال ابو
سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا اي احتراما واكراما
لا ريا وسمعة وروى ابن جرير والبزار عن ابن عباس كانت المراة اذا اتت
النبي صلى الله عليه وسلم اي مهاجرة الى الله ورسوله حلفها بالله ما خرجت
من ارضها اليه صلى الله عليه وسلم من بغض زوج ولا رغبة بارض اي في ارض

عن ارض وما خرجت من ارضها الا حبا لله ورسوله وروى ابن سعد وقف
ابن عمر على ابن الزبير اي عند جذعه الذي صلبه عليه الحجاج قتله الله بالعلل
بعد قتله عند البيت فاستغفر له وقال كنت والله فيما علمت صواما
قواما اي كثيرهما هذا وايلك الشرف تحب الله ورسوله فصل في علامة
حبه صلى الله عليه وسلم مصدر مضاف الى معموله اي يذكر فيه ما يوذن
بحب عزمه له اعلم امر لكل من يتاتى توجيهه اليه ولم يرد به معينا سد مسد
مفعوليه ان من احب شيا اثره واثر موافقته اي قدمها على كل ما يمكن
تقديمها عليه والا يوثرها عليه لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا وصلا
لليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا فالصادق في حب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من تظهر علامات ذلك عليه بحيث لا تخفى ملابسها على ذي
فطنة واولها الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في افعاله واقواله بقدر الامكان
لشهادة حديث وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم واولها الاقتداء
به واستعمال سنته بحسب تغايرها عملا وتركا واتباع اقواله وافعاله
لتعلقها بها وامتثال اوامره جمع امر وجوبا وندبا واجتناب نواهيه حرمة
وكراهة والتادب بادابه اي الاقتداء به فيما جبل عليه من مكارم الاخلاق
ومحاسن الشيم في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه مصدران
بمعنى النشاط والكراهة اي محبوبه الذي ينشط له ويخف اليه ويوثره
ومكروهه الذي هو ضده وشاهد هذا اي ما ذكر كله قوله تعالى حال
لازمة اي متعاليا قل ان كنتم تحبون الله اي تريدون طاعته وترغبون
فيما يقربكم اليه فاتبعوني حرصا على ما يعني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم اي يرضى عنكم ويتجاوز عما فرط منكم ويقربكم في كنف عزه ويبويكم
حضرة قدسه واثار ما شرعه اي تقديم ما اظهره وبينه واجبا ومندوبا
ومباحا وحراما ومكروها وخلاف الاولى وحضه اي حثه وحرضه عليه فعلا
وتركا وتقديمه على هوى نفسه مصدر هوي بكسر الواو يهوى بفتحها اي محبوبها
الذي لا تكاد تؤثر عليه غيره وموافقة شهوته قال تعالى مما يوذن بهذا
الايثار والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم اي اتخذوا المدينة منزلا
ولزموا واخلصوا ايمانهم وجعل لتمكنهم واستقرارهم فيه مستقرا لهم
وموطنا كما جعلت المدينة مستقرا لهم يعني الانصار يحبون من
هاجر اليهم من قريش او غيرهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في انفسهم
صوابه في صدورهم حاجة مما اوتوا اي لم يخطر ببالهم ما تطمح به نفوسهم الى
ما اعطي المهاجرون من فيء وغيره ولم يختلج به حزازة وغيظ وحسد لهم عليه

ويؤثرون اي ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امراتان نزل
عن احدى زوجتيه وزوجها باحدهم ولو كان بهم خصاصة اي خلة وحاجة من خصاص
البنا اي فرجه وسبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم قسم بينهم اموال بني
النضير ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة محاويج ابا دجانة سماك
بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم شركتكم
في هذا الفي معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كانت لكم
دياركم واموالكم ولا تاخذوا منه شيا فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا
ونؤثرهم بالفي ولا نشاركهم فيه فنزلت هذه وايلكم الكرم لله دريهم ما اعونهم على البر
والتقوى وآثرهم على انفسهم بالخير وكان هذا الفي من اموال الفي النضير له صلى
الله عليه وسلم خاصة مدة حياته ومن شواهدها ايضا استخاط العباد في رضى الله
الذي من جملته الاقتدا به صلى الله عليه وسلم والتمسك بسنته قولا وفعلا وامتثالا
لاوامره ونواهيه فمن ارضا الله تعالى بسخط عباده رضي عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم
بسخطه سخط عليه واسخطهم عليه كذا ورد به الحديث وقد روي هنا من شواهد صدق
الترمذي قال انس قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني تصغير
شفقة ومحبة يجوز تشديد يائه وفتحها ان قدرت على ان تصبح وتمسي ليس في
قلبك غش لاحد فافعل فان من غشنا ليس منا ثم قال لي وذلك اي تركه
اضمارا لغش في قلبه لاحد من سنتي اي ديني الذي لا عوج فيه ولا امتا ومن احيا
سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة من الشكل الاول معيار
العلوم نتيجته طرق مقدمتيه موضوع صغراه ومحمول كبراه هكذا من احيا سنتي كان
معي فيها فمن اتصف بهذه الصفة اي بان لا يكون في قلبه غش لاحد او باحيا
سنته صلى الله عليه وسلم فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها اي سنته
صلى الله عليه وسلم في بعض هذه الامور كترك تادب معه صلى الله عليه وسلم
وترك مامور به او فعل منهي عنه فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها اي اسم المحبة
بل يكون متصفا بها ودليله اي دليل كونه لا يخرج عن اسمها قوله صلى الله عليه
وسلم في حديث البخاري عن عمر للذي حد في الخمر اللام في الموصول كهي في وقال
الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قوله في حقه وشانه فلعنه
بعضهم وفي البخاري فقال بعضهم اخزاك الله وقال تعجبا وتحسبا من كثرة الاتيان
به يعلم ما اكثر ما يوتى به لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكفاك به شاهدا
يكذب من قال بكفر من فعل كبيرة او هي مخرجة له من الايمان ولا تدخل في الكفر ومن
علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره مصدر مضاف الى فاعله
اي كثرة ذكر محبه له صلى الله عليه وسلم للتعدية المصدر تنزيلا له منزلة مصدر
فعل

فعل لازم متعدي اليه مفعوله لما كان في والمه لذكر لك وايمانك فمن احب شيا
اكثر ذكره تلذذا به وشغفا به وهو كالعلة لما قبله ومنها اي ومن علامات محبته
صلى الله عليه وسلم كثرة شوقه الى لقائه ومشاهدة حضرته الكريمة فكل حبيب
يحب لقا حبيبه كالعلة لما قبله وكلاهما فعيل الا الاول بمعنى فاعل اي محب والثاني
بمعنى مفعول اي محبوب وفي حديث الاشعريين اي ابي موسى واصحابه عند
قدومهم من اليمن والحبشة المدينة المشرفة انهم كانوا يرتجزون يقولون غدا نلقى
الاحبة جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول اي محبوب محمدا وصحبه اسم جمع
لصاحب بمعنى الصحابي وهو من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مومنا والبيت
من بحر الرجز وان اقتضاه قوله يرتجزون بل من بحر الوافر كما مر وجوزان يكون من
المزج عروضه وضربه محذوفان وجزؤه الثالث مقبوض ومن علاماتها والمصدر
اي علامات تعلق المحب بحبيبه مع كثرة ذكره له تعظيمه له لامه لتعديته
كامر وتوقيره حتى توقيرهم عند ذكره تنويها لرتبة محله واظهار الخشوع
اي خضوع والانكسار اي علي وعجز منه مع سماع اسمه صلى الله عليه وسلم
قال اسحق التجيبي بضم اوله وفتحه نسبة الى تجيب قبيلة من كندة كان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده اي بعد وفاته لا يذكرونه
الا خشعوا واقشعرت اي خضعوا وانقبضت خاضعة جلودهم وبكوا
لعزته شوقا اليه وكذلك اي مثل اصحابه في ذلك كثير من التابعين لهم
باحسان كان منهم من يبكي ويقشعر ويخشع لهم محبة له وشوقا اليه
ومنهم من يفعله اي ومن التابعين من كان يبكي ويقشعر ويخشع
هيبة وتوقيرا اجلالا وتكريما ومنها محبته اي محبة الانسان لمن احب
النبي صلى الله عليه وسلم او احبه النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة من هو
بسببه من اهل بيته وصحابته جمع صحابي من المهاجرين والانصار ومن
محبته صلى الله عليه وسلم عداوة من عاداهم اي تجاوز الحد الشرعي
في حقهم ظلما وبغض من ابغضهم اي كرههم وقلاهم وسبهم اي شتمهم
وهو حرام من اكبر الفواحش يعزر فاعله وسيرد عليك انه من الكبائر
فمن احب شيا احب من يحب اي من يحبه ذلك الشي وروى البخاري وغيره
قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اي في حقهما وشانهما
اللهم اني احبهما فاحبهما اي ارد لهما الهدى والتوفيق في الدنيا
وحسن الثواب في الاخرة وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الترمذي الله الله في اصحابي اي اتقوا الله فيهم ولا تلمزوهم بسوء واذكروا الله
فيهم وفي تعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم موذنا باحثا على الكف عن التعرض

بسوء مما ينقصهم لا تتخذوهم غرضا بعدي بمعجمتين اي هدفا ترمونهم بما لا
يليق كما يرمى الهدف بالسهام فمن احبهم فبحبي اي بسبب حبهم اياي لا لغرض
احبهم والحب اياهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم اي لذلك قول بعض المالكية
من سبهم قتل ومن اذاهم بما يسوءهم من بوائقه وعظائمه فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله بذكره بما لا يليق بكريم جنابه ولا يرضى ذلك له
بنفسه ذكره قوله تعالى في حديث مسلم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري
فتضروني ومن اذى الله يوشك ان ياخذه اخذ عزيز مقتدر لانه تعالى
لا يعجزه شيء وقوله فيما رواه البخاري وغيره في فاطمة ابنته اي في حقها
وشانها انما هي بضعة بفتح اوله وقيل وقد تكسر اي جزء مني كقطعة
من لحم يغضبني ما اغضبها مما لا يرضيها وقوله فيما رواه الشيخان
اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغضهم اي علامة كمال الايمان
من آمن وعلامة نقص ايمانه بغضهم وتخصيصهم بهذا الحديث وحديث
لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق وخصوا بذلك الزاما
لهم بحسن ... بما كانوا ... من انهم هاجر اليهم او ووه
واصحابه ونصروه على اعدائه وحسن جوارهم ورسوخ صدقهم به
وخلوص مودتهم ولا يلزم منه ترجيحهم على المهاجرين الذين فارقوا
اوطانهم واقاربهم واولادهم وخرجوا من اموالهم حبا في الله ورسوله
ومسارعة في رضاهم وكفى شاهدا بافضليتهم على الانصار
حديث لولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار لانها تدل على جلالة رتبة الهجرة
واتقه صلى الله عليه وسلم بنى مهاجري من المهاجرين وفي حديث ابن عمر
كما تقدم من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
اي انما احبهم بسبب حبه اياي وانما بغضهم بسبب بغضه
اياي ويشهد له حديث الترمذي عن سلمان قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت كيف
ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني فما حقيقة
من احب شيئا احب كل شيء يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف
اي ظهر ... في حبهم ما احبه صلى الله عليه وسلم حتى في
المباحات وشهوات النفس فانهم كانوا يحبون ما احبه صلى الله عليه
وسلم منها ويشهد له ما قال انس انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يتتبع الدبا بالمد وحكي قصره واحده دباءة من حوالي القصعة بتثليث
القاف اي من جوانبها فما زلت احب الدبا من يومئذ اي من يوم رأيته

فببغضي ه

قدم

يتتبعها ويأكلها حبا لها لحبه صلى الله عليه وسلم اياها وهذا الحسن بن علي
وابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى خادمته صلى الله عليه وسلم مولاة عمته
صفية زوجة ابي رافع قابلة ابنه ابراهيم وداية ابنته فاطمة غاسلتها مع
اسماء بنت عميس وسألوها ان تصنع طعاما مما كان يحبه صلى الله عليه وسلم
حبا لحبه صلى الله عليه وسلم اياه وكان ابن عباس يلبس النعال السبتية
نسبة الى السبت بالكسر وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ تتخذ منه
النعال سميت سبتية لان شعرها قد سبت عنها اي ازيل ويصبغ بالصفرة ه
نبت يصفر اللحية كالحنا والكتم اقتداء به صلى الله عليه وسلم اذ رآه يفعل
نحو ذلك هذا والذي في الصحيح ان الذي كان يفعل ذلك هو ابن عمر ومنها
اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم بغض من ابغض الله ورسوله
اي بغض من ابغضاه كابي لهب وابي جهل وبغض الله ارادة عقاب من
ابغضه وايقاع الهوان به ومعاداة من عاداه اي من اتخذه صلى الله عليه وسلم
عدوا ومجانبة اي اجتناب من خالف سنته صلى الله عليه وسلم وعمل بغيرها
وابتدع في دينه اي اظهر فيه البدع مما لم يرد في اصوله وخالف قواعده
كترتيب بعض القضاة المكوس على الدعاوي الشرعية واحكامها وعقود
الانكحة وغير ذلك ونقض كثير من الاحكام كحد الزنا رجما وجلدا اكتفاء
عنه بالمال رغبة فيه قال الله تعالى اعلاما بذلك لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر اي يمتنع ان تجد قوما مؤمنين يوادون من حاد الله
ورسوله اي لا ينبغي ان يكون وجدانهم ممتنع مبالغة في النهي عنه وفي
مجانبة اعدائهما ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم
وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه وسلم قد قتلوا احبابهم وقاتلوا اباءهم وابناءهم
في مرضاته كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم احد وعمر قتل خاله العاصي بن
هشام يوم بدر وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عبد الله بن ابي
علم النفاق ورأس الكفر كما رواه البخاري لو شئت لاتيتك برأسه يعني
اباه عبد الله بن ابي ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يحب
القرآن الذي اتى به لنسبته اليه بانزاله عليه ليبين للناس ما نزل اليهم
وهو مصدر كالغفران واصله الجمع ومن ثم سمي قرآنا لجمعه السور به ه
والآيات والاحكام والامر والنهي والوعد والوعيد والقصص وغير
ذلك وهدي به بشهادة وانك لتهدي الى صراط مستقيم اي دين الاسلام
واهتدى به ايضا وتخلق اي اتخذه خلقا قالت عائشة كان اي النبي صلى الله عليه
وسلم خلقه القرآن اي كان متمسكا بادابه واوامره ونواهيه وما اشتمل عليه

واهتدى

من مكارم ومحاسن والطاف وحبه للقرآن اي يكون من دابه تلاوته والعمل به
وتفهمه جعل حبه له نفس التلاوة للتنبيه عنه ومنها ان يحب سنته اي ما جاء به
وندب اليه قولا وفعلا مما لم يرد به الكتاب العزيز واصلها الطريقة والسيرة ويقف
عند حدوده اي محارمها وعقوباتها المقرونة بالذنوب واصل الحد المنع والفصل
فكان حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام فمنها ما لا يقرب كالفواحش المحرمة
قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها ومنها ما لا يتعدى اي لا يتجاوز كالمواريث المعينة
ونكاح الاربع قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها هذا وقد تكرر في هذا الفصل ذكر
علامات حبه صلى الله عليه وسلم غنية عن البيان لوضوحها فلا نطيل بذكر الواضحات
كتابنا ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها اي مدعي محبته في الدنيا باعراضه
عنها وتركه الالتفات اليها وسئل الزهري عنه فقال هو ان لا يغلب الحلال
شكره ولا الحرام صبره اي لا يعجز شكره عما رزقه الله من الحلال ولا صبره عن تركه
الحرام وايثاره الفقر اي اختياره اياه وتقديمه على الغنى واتصافه به اي بالفقر
وقد قال صلى الله عليه وسلم لابي سعيد مالك بن سنان الخدري ان الفقر
الى من يحبني منكم اسرع من السيل اذا انحدر ونزل من اعلى الوادي
او من الجبل الى اسفله لرضاه صلى الله عليه وسلم به واختياره له كما ورد في حديث
سلك الجبال ان شئت جعل الله لك الاخشبين فأبى وحديث عرض عليه ربه
ان يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يا رب ولكني اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وفي حديث عبد الله
بن مغفل بمعجمة وفاء قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني احبك فقال انظر ما تقول
اي تامله وتفكر فيه فانك رمت خطة عظيمة ومشقة وخيمة تورثك خطرا ان
يجعلك هدفا للبلايا قطعة ورزايا وجعة فربما لم يوطن نفسه على
ما يرد عليه عسراه ويكلفه امرا امرا قال والله اني احبك ثلاث مرات موكدا
بالقسم والتكرار قال ان كنت تحبني فاعد اي فهيئ للفقر تجفافا بمثناة
فوقية مكسورة فجيم ساكنة وفاءين بينهما الف شيء يلبس للفرس في الحرب ليقيه من
الاذى من جف الشيء اذا يبس لما فيه من اليبوسة والصلابة فيه تشبيه للصبر
على مشاق الشدائد ثم ذكر اي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حديث ابي سعيد
المار انفا فقال الفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه تشبيه له بالسيل
ولو كان بلاحق النوائب به تشريفا ولات حين مناص له منها فصل في معنى المحبة
للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها ما ذكره فيه من الاقوال في تفسيرها ليس
مبنيا كما قال لحقيقتها بل مما ينشأ عنها من ثمرات تؤذن باخلاق محبيه في
الاتصاف بها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان اما لاستلذاذه

بادراكه

بادراكه ما يميل اليه كحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة من الشرف
اي العلو اي ذات قدر ورفعة كانه يدركها من موضع عال اذ هو اقوى لادراكها
كحب الصالحين والعلماء واهل المعروف وحب الماثور عنهم السير اي المروي
عنهم الاوصاف والاحوال الجميلة والافعال الحسنة كالحسن البصري والثوري
ومالك والشافعي والجنيد وبشر الحافي فان طبع الانسان الى الشغف اي
الحب الذي يخرق شغاف القلب اي حجابه حتى يبلغ الفؤاد اي سويداء القلب بامثال
هؤلاء اي الموصوفين بالصلاح والعلم والمعروف والسير الجميلة والافعال
الحسنة اي الى الشغف بهم كما في مثلك لا يبخل وغيرك لا يجود اي انت لا تبخل وانت
تجود من غير ارادة تعريض بغير المخاطب حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع
من امة في آخرين من المشايعة اي المتابعة والمطاوعة وعرفا الشيعة الفرقة من الذين
غلب اسمها على من شايع عليا وتولاه واهل بيته حتى صار اسما خاصا بهم وغلا عليهم
لا يتوجه الذهن عند الاطلاق الى غيرهم ونعوم من شايعوا الا انهم في اعتقادهم
فيهم ليسوا على طريق مستقيم وفي الحديث القدرية شيعة الدجال اي اولياؤه
وانصاره ما يؤدي ذلك التعصب الى الجلاء اي الخروج عن الاوطان وهتك
الحرم بخرق سترهن حتى يفتضحن بين الناس ويؤدي الى اخترام النفوس اي اخذها
واستئصالها بقتال الخصم لهم الدهر اي انقطاعهم واستئصالهم او يكون حبه اياه
اي ميل الانسان الى ما يوافقه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه
عليه فقد جبلت النفوس اي خلقت مجبولة اي مطبوعة على حب من احسن
اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت نظر مسدد موفق الكشف واتضح ان
هذه الاسباب اي اسباب المحبة من استلذاذ بحاسة من الجمال وبحاسة
عقل وقلب ومن جهة الاحسان كلها في حقه صلى الله عليه وسلم فعلمت انه جامع
لهذه المعاني الثلاثة فان الله كمله بجمال الصورة والظاهر وبكمال الاخلاق
والباطن وبمكارم الاحسان وكرائم الانعام الموجبة للمحبة وقد تقدم منه
ما اغنى عن اعادته مما تقر به العيون وتنعم الجوارح سرورا اذ كان صلى الله
عليه وسلم ذريعتهم اي وسيلة من آمن به الى الهداية سبل السلام
ومنقذهم من العماية بفتح المهملة فعالة من العمى اي من الضلالة بالاسلام
وداعيهم الى الفلاح اي الفوز والظفر بسعادة الدارين والكرامة
في دار حظيرة القدس اي الجنة ووسيلتهم الى ربهم اي يتوسلون به
اليه وشفيعهم عند ربه ليسالوا التجاوز عن ذنوبهم وخطاياهم والمتكلم
عنهم احوج ما يكونون الى الكلام والشاهد لهم يوم القيامة حين يشهدون
للانبياء انهم قد بلغوا قومهم تزكيته لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد

اي الدائم المستمر الذي لا ينقطع في الجنة لانه صلى الله عليه وسلم السبب الداعي
اليه فقد استبان اي ظهر وانكشف لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب
للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار المؤذنة بوجوبها له شرعا
وعادة وجبلة اي طبيعة من حيث انا نحب جميع ما يصل من نعم الدارين
بواسطته فهو من احسانه الينا وقد جبلت النفوس على حب من احسن
اليها بما ذكرناه آنفا من قولهم آنفا الشيء لما تقدم منه استعير من الجارحة
وهو ظرف بمعنى الآن او قريبا لافاضته الاحسان علينا لشهادة وصف
الله فيما مر من رأفته بنا ورحمته لنا وهدايته ايانا وشفقته علينا
وانقاذنا من ورطة الجهالة وانه بنا رؤوف رحيم ورحمة للعالمين الى غير ذلك
مما لا يكاد يحصى كثرة فاي احسان ما اجل فوائده واجل عوائده واجله قدرا
واعظمه خطرا اذ قد عم كافة المؤمنين وشمل جميع العالمين فجزاه الله
صلى الله عليه وسلم عنا ما لا عين رأت ولا اذن سمعت من مكارم الانعام وكرائم
الاتمام وعمومه الاجمال بكل جميل تام الاوصاف وافر الاسعاف فاذا كان
الانسان يحب من منحه من المنحة وهي العطية من لبن او ورق او صوف او
غير ذلك مما يمنح في دنياه مرة او مرتين معروفا مما يبذل للتقرب الى الله
والاحسان الى الناس مما عرف شرعا وندب اليه الشرع او هي عنده من
حسن وقبيح وفي الحديث اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الآخرة
اي من بذل معروفه للناس في الدنيا آتاه الله جزاء معروفه في الآخرة وعن
ابن عباس يأتي اصحاب المعروف في الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى
حسناتهم فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة
فيجمع لهم الاحسان في الدنيا والآخرة وانقذه اي انجاه من هلكة تورط فيها
او مضرة عرته مدة من الزمان تقع على القليل والكثير التأذي بها اي
بالمضرة قليل منقطع اي نائل لا يدوم لمن منحه اي اعطى الانسان ما لا يبيد
اي لا يهلك ولا ينفد من النعيم المقيم بحضرته ومقام كريم ووقاه من
الوقاية وهي الستر اي صانه وحماه من ما لا يفنى من عذاب الجحيم والمانع له
ذلك هو صفوة خلق الله صلى الله عليه وسلم فهو اولى ما يحب من والد وولد
والناس اجمعين واذا كان يحب بالبناء للمفعول بالطبع اي الجبلة التي
خلق الانسان عليها ملك نائب فاعل يحب لحسن سيرته في رعيته او حاكم
يحب لما يؤثر اي يروى عنه من قوام طريقته على العدل في سيرته المستقيمة
او قاض نعمة او مهلة بعيد الدار يحب لما يشاد من ثنائه اذا ذكره
استعير لما يشاع ويرفع ويذاع من علمه او كرم شيمته اي خلقه مما يورثه

حيازة الشرف فمن جمع هذه الخصال جمع خصلة وهي الكمالة اي جمع هذه الكمالات
الحسنة على غاية مراتب الكمال جملة حالية افادت تمثيل تمكن حاله صلى الله عليه
وسلم منها وانتفاء فيها بحال من علا شيئا وركبه فهو صلى الله عليه وسلم احق بالحب
واولى بالميل اليه لحيازته الشرف المنيف والكرم الوريف وقد قال علي في
صفته صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة اي من ابصره اول وهلة اي اولا والوهلة
المرة من الفزع هابه توقيرا له وتعظيما ومن خالطه معرفة له بشريف خصاله
وعميم فضاله احبه اذ فضله العذب لو تأسس موارده تجانف معذق سبيلا من العزم
فصل في وجوب مناصحته مفاعلة من النصح وهو لغة الخلوص يقال نصحته ونصحت
له قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اي اثم في تخلفهم عن الغزو
لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان بهما والطاعة
لهما سرا وعلانية كفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه من فعل او قول يعود
على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي من جناح ولا الى
معاتبتهم من مقال وفي وضع المحسنين موضع ضميرهم تلويح بان اصحابه
منتظمون في سلكهم والله غفور رحيم لهم وقال اهل التفسير اذا
نصحوا لله ورسوله معناه اذا كانوا مخلصين في افعالهم واقوالهم مسلمين في
السر والعلانية وقد روي شاهد لوجوب مناصحته صلى الله عليه وسلم
حديث لابي داود عن تميم الداري اسلم سنة تسع من الهجرة وروى عنه صلى الله
عليه وسلم حديث الجساسة الذي في آخر صحيح مسلم وهي منقبة شريفة
تدل لجواز رواية الفاضل عن المفضول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ثلاثا في رواية النسائي
انما الدين النصيحة فهو من حصر المبتدأ في الخبر لاشتمالها على طاعة الله وطاعة
رسوله وجميع ما جاء به عن ربه فكأنه بني مبالغة في الحث على النصح قالوا لمن
يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم من
عطف العام على الخاص ذكره لتعميم النصح من بين قال ائمتنا اي من المالكية
النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة ظاهره وجوب
عين على كل مكلف وفي شرح مسلم للنووي عن بعضهم انها فرض كفاية
تسقط بقيام بعض عن الباقين وانه لا تلزم الطاعة اذا علم الناصح ان نصحه
ينجع فان خشي على نفسه اذى فهو في سعة من الترك وهي دين واسلام والدين
كما يقع على القول يقع على العمل وقال الامام ابو سليمان البستي هو الخطابي
النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة بالتنوين بدون اضافة هي ارادة الخير للمنصوح
له وليس يمكن ان يعبر عنها اي عن الجملة بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها

ومعناها في اللغة كما مر آنفا الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من
شمعه بنار لطيفة ومعناها في اللغة وقال ابو بكر بن اسحق الخفاف النصح
فعل الشي الذي به الصلاح والملائمة من لأمت بين القوم ملائمة اي اصلحت
ذات بينهم وتلاموا والتاموا بمعنى وقد تخفف الهمزة فتصير الفا ماخوذ من
النصاح بنون مكسورة فضاد معجمة وحا مهملة بينهما الف وهو الخيط الذي
يخاط به الثوب فنصيحة الله الايمان به وصحة الاعتقاد له بالوحدانية
ووصفه بما هو اهله بدون الحاد في صفاته وتنزيهه اي تبعيده عما لا يجوز
عليه ولا يليق به مما يوهم نقصا والرغبة في محابه بفتح الميم جمع محب بمعنى
محبوب اي في جميع ما يحبه ويرضاه والبعد من مساخطه جمع مسخط
اسم مفعول اي جميع ما يسخطه ولا يرضاه ويجوز ان يكون جمع اسم فاعل
اي جميع ما يسخطه تعالى والاخلاص في عبادته لا يريدون بها الا وجهه
والاعتراف بنعمه وشكره عليها وما ذكر فهو في الحقيقة راجع الى العبد في
نصحه نفسه لانه تعالى غني عن نصح كل ناصح والنصح لكتابه الايمان به
اي التصديق بما اشتمل عليه من احكام ومواعظ وامثال وعموم وخصوص
وناسخ ومنسوخ وغير ذلك والعمل بما فيه مما ذكر بمحكمه وتسليم متشابهه
والحث عليه وتحسين تلاوته باقامة حروفه والتفكر في عجايب اساليبه
وبدايع تراكيبه والتخشع عنده اي عند تحسين تلاوته بخضوع ومسكنة
وتذلل والتعظيم له لانه صفة من جل قدره وجاوز العقول ان تحيط
بكنه حقيقته والتفقه فيه اي معانيه من فقه بالكسر يفقه اي فهم واما بالضم
فبمعنى صار الفقه له سجية وخصه العرف بعلم الشرع اصلا وفرعا ثم خص بعلم
الفروع والذب اي ضد ما لا يليق به عنه من تاويل الغالين اي المجاوزين الحد
في تاويله اذ من اخلاقه والاطبا القصد وخير الامور اوساطها وكلا طرفي القصد
في الامور مذموم وطعن الملحدين بالجر عطف على مدخول من اي عيب المائلين
عن الحق والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم هي التصديق بنبوته ورسالته
الى الكافة الناس بشيرا ونذيرا ومن لوازمها الانقياد والاذعان له فيما
امر به ونهى عنه قال ابو سليمان يعني الخطابي وقال ابو بكر يعني ابن
اسحاق الخفاف هي موازرته صلى الله عليه وسلم من الوزر بكسر الواو وهو
القوة اي معاضدته ومعاونته فيما طوقه من اعبا النبوة ومن الوزر بفتحتين
وهو الملجا لان الامير يعتصم برايه ويلتجي نحو ملجاه ومفزعه ونصرته
اي اعانته على اعدايه وحمايته اي المدافعة عنه والممانعة منه من اراده
بسو حيا وميتا واحيا سنته بالعمل والذب لمن يلحد فيها او يزيغ عنها

ونشرها

ونشرها اي اظهارها للتمسك بها والتخلق باخلاقه اي الاتصاف بادابه
ومحاسنه ومكارمه والطافه الكريمة لحيازته جميع جهات الشرف فتتميم
مكارم الاخلاق واحاسن الافعال وفي الحديث ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم
ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فهو رابع اربعة انبيا فحاز
شرف النبوة والجمال والعفة والعلم وكرم الاخلاق والعدل ورياسة
الدين والدنيا وادابه الجميلة لانه حسن الفعال كامل الاوصاف وكل ما
توصف به الصور والمعاني وقال اسحق بن يحيى نصيحة رسول الله صلى
الله عليه وسلم التصديق بما جاء به اذعانا وانقيادا له فيه والاعتصام
بسنته اي التمسك بها فانه يمنع من كل مكروه ونشرها والحض اي الحث
والتحريض عليها من يعمل بها ويتادب بادابها والدعوة الى الله اي الى
الاقرار به وبتوحيده وما يجب بالايمان به من صفاته والى كتابه والى رسوله
اي الى الايمان بهما وتحقيقهما وبما امرا به ونهيا عنه والعمل بها اي
بسنته عليه السلام وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب جمع مفروضة
من الفرض واصله القطع اي الواجبات عليها بامر الله والفرض والواجب
عند الشافعي معناهما واحد وعند ابي حنيفة الفرض اكد من الواجب
اعتقاد النصيحة له صلى الله عليه وسلم وبذلها له معاونته ومعاضدته
في تنفيذ احكامه ومناصرته على من ناواه قال ابو بكر الاجري بالمد
وتشديد رايه وغيره من الايمة النصح له يقتضي نصحين نصحا في
حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصرة
له على اعدايه واظهارا لدينه والمحاماة اي المنع والمدافعة عنه من رامه
بسو وقد بالغوا في ذلك الانصار باموالهم وانفسهم عن جانبه من
وفوق لشوكته وشدة لشكيمة حميته ومعاداة من عاداه وقد بالغ في
ذلك الانصار وبذلوا جهدهم في ذلك حتى ناووا اباهم وابناهم ولقد
قال صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن ابي راس النفاق مرني يا رسول الله
اتيك براسه يعني اباه علم النفاق والسمع والطاعة فيما اوجبه له يقال
اطاعه يطيعه فهو مطيع وطاع له يطيع فهو طايع اي اذعن وانقاد
وبذل النفس والاموال دونه حماية له وذبا عن دينه ونصرة له وصونا
ولقد كانوا عاهدوه على ذلك سيما الانصار اذ بايعوه على الذب عنه كما
يذب الرجل عن حريمه وقد وفوا بما التزموا كما قال تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه من الثبات معه والقتال لاعداء الدين من صدق اذا
قال الصدق في اللقا هذا نادني بعهده فقد صدق وينصرون الله ورسوله

هم المهاجرون الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ابتغا فضل الله ورضوانه
ونصرة رسوله اولئك هم الصادقون في ايمانهم وجهادهم واما نصيحة المسلمين
له صلى الله عليه وسلم بعد موته فالتزام التوقير والاجلال بان يعتقد رجحان
قدره وشدة الرغبة له في جميع ما يليق بتعظيم محله والمتابعة اي المواظبة
والحرص واللزوم على تعلم سنته والتفقه في شريعته اي تفهم معاني
احكامها حكما حكما ومحبة لال بيته الذين قال فيهم لا تحل الصدقة لمحمد وال محمد
قال الشافعي دل هذا الحديث على انهم هم الذين حرمت عليهم الزكاة وعوضوا عنها
خمس الخمس وهم صلبية بني هاشم وبني المطلب واصحابه جمع صحب وهم كل مومن
لقيه صلى الله عليه وسلم مسلما ولو ساعة ومجانبة من رغب عن سنته اي مباعدته
وعدم الركون اليه والانحراف عنها وبغضه مالا اي ضلالا اذ كل من انحرف عنها ضل
طريق الهدى والتحذير منه بدون ان يقصد لهم التجنب وهذا مما يجوز فيه الغيبة
تقادبا من الاخذ عنه وان جاز عن من لا يقدح بدعته في دينه اذ قد روى ائمة من
العلما وائمة الحديث بالبدع كالاعتزال والتشيع والرفض والايمان بالرجعة
والارجا وفي مجمع الاحباب ان يزيد بن هارون رئي في المنام بعد موته فقيل له ما
فعل الله بك فقال قال لي يا يزيد تروي عن جرير بن عثمان فقلت يا رب هو ثقة
وما علمت الا خيرا فقال انه كان يبغض ابا الحسن علي بن ابي طالب وفي رواية
ابا عمرو عثمان بن عفان وان اول من قال بالارجا الحسن بن محمد بن الحنفية
بن علي بن ابي طالب والشفقة على امته من الاشفاق اي الرفق مع الخوف فهي
عناية مشوبة بخوف لان المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ان يلحقه ما يضره
والبحث عن تعرف احواله صلى الله عليه وسلم وسيرته وادابه ليتمسك بها ويقتدى
به فيها اذ كلها حسنة جميلة والصبر على ذلك اي حبس النفس عليه احتسابا
لحيازته الثواب الجزيل فعلى ما ذكره اي الاجري وغيره تكون النصيحة احدى
ثمرات المحبة اذ من احب احدا نصح له ترغيبا وترهيبا وحكى ابو القاسم القشيري
ان عمرو بفتح اوله بن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار بمثلثة
مضمومة فواو مشددة اي الشجعان الابطال ممن يثور في الامور المهمة
فيكشفها رئي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي يعني
محا عنه ذنوبه واصل الغفر الستر فقيل له بماذا غفر لك فقال صعدت
بكسر عينه من باب علم ذروة جبل بكسر المعجمة وضمها اي اعلاه فاشرفت
على جنودي اي اطلعت عليهم فرايتهم فاعجبني كثرتهم فتمنيت اني حضرت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته وسراياه فاعنته ونصرته على
اعاديه في مواطن وقايع حزبهم فشكر الله لي ذلك فغفر لي اي سامحه ولم يواخذه

بذلك لخلوص نيته وصدق طويته واما النصح لايمة المسلمين المذعنين لطاعة الله
ورسوله في ايثار العدل واتباع الحق فطاعتهم على رعاياهم اياهم في الحق اذ
لا طاعة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمخلوق في معصية الله وخطب عمر
بن عبد العزيز اذ ولي الخلافة وقال اطيعوني ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة
لي عليكم ومعونتهم فيه اي معاضدتهم ومناصرتهم في الحق قولا وفعلا وامرهم
به اذا عدلوا عنه برفق ولطف قال تعالى فقولا له قولا لينا وتذكيرهم اياه اذا غفلوا
عنه على احسن وجه رجا وطمعا ان يثمر فيهم دواله وتنبيههم على ما غفلوا
عنه او خفي عليهم من الاحكام وكتم عنهم من امور المسلمين ليمضوا على وجهه
وترك الخروج عليهم وان جاروا بل يصبروا عليه برفق وتصريف الناس اي وتركهم
الاغرا عليهم وايتلاف قلوبهم عليهم اي تركه مع تاليفها لطاعتهم واما النصيحة
لعامة المسلمين فارشادهم اي دلالتهم وهدايتهم الى مصالحهم ومعونتهم
اي مساعدتهم ومعاضدتهم في امور دينهم ودنياهم مما ينفعهم معاشا ومعادا
بالقول والفعل وتنبيه غافلهم اي تذكيره بما يصلحه وتبصير جاهلهم
اي تعريفه ما جهله ورفد محتاجهم اي معونته فيما يحتاج اليه من امور دينه
ودنياه ومنه رفادة قريش اذ كانت تترافد اي تتعاون في الجاهلية فتخرج
كل ما يقدر عليه فيجمعون مالا عظيما يشترون به الطعام والزبيب للنبيذ
ويطعمون الناس ويسقونهم ايام موسم الحج حتى ينقضي وستر عوراتهم
مما لا يجوز اذاعته ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم اذ الله في عون
العبد ما كان العبد في عون اخيه والخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم
لعياله الباب الثالث في تعظيم امره صلى الله عليه وسلم اي توقير شانه
وحاله اذا امتثالها والمبادرة اليه ووجوب توقيره وبره اي تعظيمه والتقرب
اليه بما يرضيه من قول وفعل حيا وميتا قال تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا احوال مقدرة اي شاهدا على من ارسلناك اليهم فانت
مقبول عندنا لهم وعليهم ليومنوا بالله ورسوله اي يصدقوه في جميع ما
ارسله به اليهم ويعزروه اي يقووه بتقوية دينه ويوقروه اي يعظموه
والظاهر ان ضماير الاية لله ومن فرق فقد ابعد وقال تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقدموا حذف مفعوله ليذهب النفس الى كل ما يمكن وقوعه مما تقدم او
لتنزيل فعل النهي منزلة اللازم والمراد نفي التقدمة اصلا وراسا وهو من قدم
بمعنى تقدم اي لا تتقدموا من مقدمة الجيش لجماعة المتقدمة منه وتقويه
قراة يعقوب بحذف احدى تاءيه وفتح الاخرى والاولى اوجه واملا احسن
وموافقة للقران بين يدي الله ورسوله مجاز عن اذنهما اي لا تحدثوا امرا قبل

ان يأذنا فيه من قولك جلست بين يدي فلان اي بين جهتي يديه المسامتتين لهما قريبا منه فسميتا اذ ناهما يدين واثبت لهما اليدين ترشيحا للمجاز كما سميت جهتا يدي الانسان يدين مجازا لكونهما على سمتهما مع القرب منهما فهو مثل ضرب لاذنيهما وتصوير لشناعة ما نهوا عنه من تقدمهم امرا قبل ان يأذنا فيه ان الله سميع عليم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجاوزوا باصواتكم الحد الذي يبلغه صوته صلى الله عليه وسلم وعليكم ان تغضوها بحيث يكون صوته فوق اصواتكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة لان من اكرمه الله بهذه المنقبة العظيمة خليق بان يكون ادنى ما يجب له من الاجلال والتهيب ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه الكلام توقيرا له وتكريما ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي لا تبلغوا به الجهر المعتاد بينكم بل خاطبوه باصوات اخفض من صوته مخاطبة مهيب معظم تحاميا من سوء الادب او لا تخاطبوه باسمه وكنيته لشهادة لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل بالنبي او الرسول او وصفوه بما وصفه الله تشريفا له وتكريما ومراعاة لجلالة قدره وكرر النداء طلبا لمزيد استبصارهم ولمبالغة في ايقاظهم وايذانا بتعظيم المنادى له والاهتمام بشأنه ان تحبط محله نصب على انه مفعول له علة للنهي اي انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي خشية حبوطها على حذف المضاف كما في يبين الله لكم ان تضلوا اي كراهة ضلالكم وانتم لا تشعرون بحبوطها اي لا تعلمونه ان الذين يغضون اصواتهم اي يخفضونها عند رسول الله مراعاة للادب والاجلال او مخافة مخالفة النهي اولئك الذين امتحن الله قلوبهم من قولهم امتحن فلان لكذا اي جرب له ودرب للنهوض به اي جربها للتقوى ودربها لها ومرنها على احتمال مشاقها او وضع الامتحان موضع علم من حيث ان الامتحان سبب له اي علمها الله كائنة لها ومختصة بها واللام صلة لمحذوف كهي في قولك انت لهذا الامر اي كائن له ومختص به او اعترى الله قلوبهم بانواع المحن لاجل التقوى لتثبت فيعلم انهم متقون لان التقوى لا تعلم الا بالمحن وتفاقمها والصبر عليها اي اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب اذا اذابه وعائها وخلص ابريزه من خبثه لهم مغفرة واجر عظيم لغضهم اصواتهم عنده ولجميع طاعاتهم وهذه الآية بنظمها المرتب عليه وروده الغاضين اسما لان وخبرها جملة من مبتدأ هو اسم اشارة وخبر معرفتين والجملة الموعد جزاؤهم مستانفة والجزاء نكرة مبهما مؤذنة بغاية كمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء به واعلاما بتوقيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم قد رزقوا حق قدره

وتعريضا بشناعة رفع اصواتهم لديه وجهرهم له وان كان لم يصدحا لهم وقال لا تجعلوا دعاء الرسول اي لا تنادوه باسمه بينكم كدعاء بعضكم بعضا باسمه فلا تقولوا يا محمد بل يا نبي الله يا رسول الله يا خيرة الله بخفض صوت وتهيب مراعاة للادب فاوجب الله تعزيره اي وراء اي اجلاله وتوقيره والزم تعظيمه هذا وما قاله ابن عباس ومن بعده فقد تقدم مرارا وقرئ تعززوه بزايين من العز وهو الشدة والقوة ونهى عن التقدم بين يديه بالشيء قبل ان يأذن في فعله على ما مر وعن التقدم بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب احمد بن يحيى بن يزيد الشيباني وقال سهل بن عبد الله التستري احد اعلام الصوفية لا تقولوا قبل ان يقول صلى الله عليه وسلم ما يصلحكم ويحييكم واذا قال فاسمعوا له وانصتوا اي اسكتوا سكوت مستمع ونهوا عن التقدم والتعجيل بقضاء امر قبل قضائه فيه لشهادة ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى بئر معونة عليهم المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر الا ثلاثة فلقوا رجلين من بني سليم قرب المدينة فانتسبا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما فقال صلى الله عليه وسلم بئس ما صنعتم كانا من سليم والسلب انا كسوتهما اياه ثم وداهما ونهوا عن ان يفتاتوا اي يسبقوه بشيء منفردين برأيهم دونه في التصرف في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به افتياتا عليه من الفوت وهو السبق يقال لكل من احدث في امر احد شيئا دونه قد افتات عليه وعدي بعلى لتضمنه معنى التغلب الى هذا النهي عن التقدم بقضاء امر قبل قضائه صلى الله عليه وسلم فيه يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ويوافقه في المعنى ما قدمناه اولا ثم وعظهم وحذرهم مخالفته ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال ابو الحسن علي بن حبيب الماوردي اتقوه في التقدم للشيء بين يديه قبل ان يأذن فيه وقال ابو عبد الرحمن السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته مما تقتضيه تقواه فعلا وتركا انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته تعظيما لتشريف مقامه وتكريما لرفيع جنابه ونهاهم عن الجهر له بالقول في تحاورهم خطابا له تفخيما لشأنه كما يجهر بعضهم لبعض برفع صوته بعضهم لبعض وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه لشهادة لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما مر قال مكي لا تسابقوه بالكلام وتغلظوا له بالخطاب في مخاطبتكم له وتوجيه قولكم اليه ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا باسمه الذي سماه به ابواه ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به من رسالته او نبوته مثل يا رسول الله يا نبي الله وهذا ابي ما ق له

مكي كقوله تبارك وتعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين
اي لا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا وقال غيره اي غير مكي لا تخاطبوه
الا مستفهمين عما تريدون بصدور منكم قولا وفعلا اجائز هو ام لا ثم خوفهم الله
تحبط اعمالهم من حبطت الدابة حبطا بالتحريك اذا اصابت مرعى طيبا فافرطت
في الاكل حتى انتفخت فماتت اي بابطالها ان فعلوا ذلك بقوله لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم اي كراهة
حبوطها وحذرهم منه قبل الآية اي لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا نزلت في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فنادوه على عادة الاعراب فيما بينهم يا محمد اخرج الينا فذمهم الله بالجهل
ووصفهم هنا بان اكثرهم لا يعقلون بقوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاولى اي آية لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
في محاورة بالمهملة اي مكالمة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي النبي صلى الله عليه
وسلم باختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما عنده صلى الله عليه وسلم
فنهيا وغيرهما عن ذلك اذ خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم وقيل نزلت
كما ورد عن ابن عباس في ثابت بن شماس في مفاخرة بني تميم من التفخر وهو — ثابت بن ن
ادعاء العظم والكبر والشرف بحجا وكان في اذنيه صمم وكان جهوري
الصوت يرفع صوته اذا تكلم وربما تاذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت هذه الآية اي انه لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اقام كما روى
عن انس في منزله وخشي ان يكون قد حبط عمله ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم
تفقده فاخبر بشانه فدعاه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
لقد نزلت هذه الآية وخشيت ان اكون هلكت وحبط عملي لاني انا انسان اجهر — خشيت ان اكون هلكت
بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
انت لست هناك اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة
فقتل يوم اليمامة شرقي الحجاز كما مر سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول في خلافة
الصديق وروى كما عند البزار من طريق طارق بن شهاب ان ابا بكر لما نزلت
هذه الآية اي لا ترفعوا اصواتكم قال والله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار
بكسر المهملة اي النجوى ضد الجهر اي لا اكلمك الا سرا وفي حديث البخاري
كان عمر اذا حدثه صلى الله عليه وسلم حدثه كاخي السرار اي كصاحب المسارة
او كمثل المسارر لخفض صوته ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد نزول هذه الآية حتى يستفهمه اي رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
سارره به فانزل الله فيهم ان الذين يغضون اي يخفضون اصواتهم عند

رسول الله

رسول الله مراعاة للادب وحذرا من مخالفة النبي اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى اي جربها لها ومرنها عليها حتى صاروا اقويا على احتمال مشاقها او
عرفها كائنة خالصة لها فان الامتحان سبب للمعرفة واللام متعلقة بمحذوف
كاللام في انت لها احمد من بين البشر اي كائن لها ومختص بها وقيل نزلت
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون في غير بني تميم
كما مر انفا وروى صفوان بن عسال كما في الترمذي والنسائي بينا الفه
من اشباع فتحته وهو ظرف متوسط في مكان او زمان كما هنا بمعنى المفاجاة
يضاف الى الجملتين ولا بد له من جواب يتم به المعنى والافصح ان لا يرد
في جوابه اذا واذ في ن

فبينا نحن نرقبه اتانا ۔ معلق وفضة وزناد راعي

ثم ان قصدت اضافته الى وقت مضافة الى جملة حذفت وعوض
عنها الالف كما هنا او ما كما في بينما النبي صلى الله عليه وسلم في
اوقات سفره ناداه اعرابي نسبة الى اعراب البادية بصوت جهوري — دي
اي شديد عال والواو زائدة من جهر بالقول اذا رفع به صوته يا محمد
يا محمد على عادة اجلاف العرب فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد
نهيت عن رفع الصوت حذف فاعل نهيت للعلم به تعويلا على اقوى الدليلين
من العقل والنقل لجزم العقل بان الناهي عنه هو الله والنقل بدلالة الضمير
اي نهاك الله عن رفع صوتك عليه صلى الله عليه وسلم بقوله لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي وقال الله توقيرا له صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا لا
تقولوا راعنا كان المؤمنون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم ما
يعلمهم اياه راعنا اي راقبنا وتان علينا حتى نفهمه فتنتهز اليهود الفرصة
فخاطبوه صلى الله عليه وسلم بها مريدين بها كلمة يتسابون بها هي راعينا فنهى الله
المؤمنين عنها بما يؤدي معناها وهو انظرنا اي انتظرنا قال بعض المفسرين
هي لغة كانت في الانصار الذين آووه ونصروه صلى الله عليه وسلم نهوا
عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا وتعظيما له صلى
الله عليه وسلم لان معناها راعنا نرعك من المراعاة وهي الحفظ والرفق
اي احفظنا وارفق بنا نحفظك ونرفق بك فنهوا عن قولها اذ مقتضاه
كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه مما يجب على كل احد ان يرعى ويلاحظ
ويحفظ على كل حال وقيل كانت اليهود قاتلهم الله انى يؤفكون تعرض بها له صلى
الله عليه وسلم بالرعونة اي تلوح وترمي بانها مستعملة في معناها مرادا به
معنى اخر لا بطريق الوضع حقيقة ولا مجازا بل بطريق التلويح والايماء فهو

الرعونة اي الهوج والحمق فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة اي الوسيلة الى
اغراضهم القبيحة ومنعا للتشبه من المؤمنين بهم في قولها اي التفوه به
فصل في عادة الصحابة في تعظيمه وتوقيره واجلاله صلى الله عليه وسلم اي
يذكر فيه ما يؤذن بصدور ذلك منهم اجلالا له فمنه ما رواه هنا من طريق
مسلم من حديث طويل عن عمرو بن العاصي قال وما كان احد احب الي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه لما ثبت في نفسه من
هيبته وحلمه ورزانته المؤذنة بعظم قدره ورفيع محله وما كنت اطيق ان
املا عيني منه اجلالا له وتعظيما وتوقيرا ولو سئلت ان اصفه اي باوصافه
الحسنة الجميلة وكل من اوصافه فحسن جميل ما اطقت لعدم احاطتي بها علما
لاني لم اكن املا عيني منه نظرا اليه هيبة له وروى الترمذي واكالحا ايضا
عن انس ان كان اي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج على اصحابه فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع
احد فيهم اليه بصره هيبة منه واجلالا له الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران
اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما لما كان بينهم من فرط الالفة
والعشرة اذ كانا صهراه وروى اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي قال
اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله اي يحيطون
به كانما على رؤوسهم الطير اذ كانوا ذوي سكون ورزانة ووقار لا طيش بعراهم
ولا خفة لان الطير لا تكاد تنزل الا على ساكن وفي حديث صفته بمعناه وتوقيه
بعدا لقاء من رواه اشعر امراة فقد صحف اذا تكلم اطرق جلساؤه اي طاطاوا
كانما على رؤوسهم الطير وروى البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم
بن ابي العاصي قال عروة ابن مسعود حين وجهته قريش عام القضية اي
قضية صده صلى الله عليه وسلم عن البيت سنة ست بالحديبية الا فصح فتخفيفها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له مصدر مضاف
الى فاعله ما راى كما في قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع الكلم التي تجمع
مع قلتها معاني كثيرة اي من انواع تعظيمهم له واكرامهم اياه ما كاد يفوت الحصر
وانه صلى الله عليه وسلم لا يتوضا الا ابتدروا وضوءه بفتح الواو وبفتح الواو
اي تسارعوا الى بقية ما توضا به من الما وكادوا يقتتلون عليه لفرط حرصهم
على التبرك به فمن لم يصب منه شيا اخذ من بلل يد صاحبه ولا يبصق صلى الله
عليه وسلم بصاقا ولا يتنخم نخامة البصاق ما يخرج من الفم والنخامة ما
يخرج من اقصى الحلق من مخرج الخا المعجمة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها
وجوههم واجسادهم تبركا بها ولا تسقط منه شعرة حين حلق راسه
بالحديبية الا ابتدروها اي تسارعوا الى اخذها ليتبركوا بها واذا امرهم بامر

ابتدروا امره وضعه موضع ضميره تفخيما لشانه وتشوقا لذكره ومدحا
لهم بفرط حرصهم على امتثال اوامره وقد قال لهم اذا امرتكم بامر فاتوا
منه ما استطعتم واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ليتبينوا ما يقوله
فيحرروا على موجبه وما يحدون اليه النظر استحياء منه وهيبة له وتعظيما له صلى
الله عليه وسلم فلما رجع اي عروة ابن مسعود من عنده صلى الله عليه وسلم
الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى لكسر كافه وفتحه ملك فارس
اي وفدت عليه في ملكه وجئت قيصر ملك الروم في ملكه وجئت النجاشي ملك
الحبشة في ملكه واني والله ما رايت ملكا في قومه قط مثل محمد في اصحابه
من فرط اعتنائهم بتعظيمه وفي رواية ان اي ما رايت ملكا قط يعظمه
اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه ما مصدرية اي كتعظيمهم له وقد رايت قوما
لا يسلمونه ابدا لمن يناله بمكروه حرصا عليه وحفظا له من عدوه وهو في
كل من اسلمته الى شيء ثم خص بالالقاء في الهلكة تشبيها ومنه حديث ابني
وهبت لخالتي غلاما وقد قلت لها لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا
اي لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع فكراهة القصاب والحجام
لما يباشرانه من النجاسة مع تعذر الاحتراز واما الصائغ فلما يدخل
صنعته من الغش والربا والايمان الكاذبة تخلف الوعد ونحو ذلك مما يستعمل
عنده وروى مسلم عن انس لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه اي يحلق شعر راسه واطاف به اصحابه اي داروا حوله لياخذوا شعره
يتبركون به فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل تعظيما له صلى الله عليه
وسلم ولما ينسب اليه ومن هذا اي من تعظيم اصحابه له لما اذنت قريش
لعثمان في الطواف بالبيت بعد منعه منه حين قدم مكة لما وجهه رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية اي قضية صدهم اياه واصحابه
عن البيت ابى ان يطوف به وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى
الله عليه وسلم تادبا معه صلى الله عليه وسلم واحتراما له وفي حديث طلحة
بن عبيد الله فيما رواه الترمذي وحسنه ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله يريدون النبي صلى الله عليه وسلم
عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه صلى الله عليه وسلم بجلالته في نفوسهم
فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة بن عبيد الله بن عمرو بن عامر بن كعب بن
سعد بن تيم بن مرة احد اصحاب العشرة لا طلحة بن عبيد الله بن مسافع
بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة الذي نزل فيه وما
كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فقال لهذا

ممن قضى نحبه اي نذره فكأنه الزم نفسه ان يصدق الله في قتال اعدائه في الحرب
وقيل هو الموت فكأنه الزمها ان تقاتل حتى تموت وفي الحلية انه صلى الله عليه
وسلم تلا على المنبر فمنهم من قضى نحبه فقام له رجل من هم فاقبل على طلحة بن
عبيد الله فقال هذا منهم وفي تفسير ابن ابي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير
يحيى بن سلام هم حمزة واصحابه قال ابن الملقن والذي ظهر لي انهم المقتولون
معه صلى الله عليه وسلم يوم احد وفي حديث قيلة بقاف مفتوحة فتحتية
ساكنة بنت مخرمة العنبرية الذي رواه ابو داود في الادب والترمذي في
الشمائل والاستئذان وقال لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن حسان فلما
رأيته جالسا القرفصاء اي جلسة المحتبي بيديه كما مر ارعدت من الفرق
اي اخذتها الرجفان والاضطراب فزعا وخوفا هيبة له وتعظيما وفي
حديث المغيرة الذي رواه الحاكم في علوم الحديث والبيهقي في المدخل كان
اصحابه صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير اي يضربونه ضربا
خفيفا بحيث لا يزعجونه تأدبا معه وتعظيما وفي حديث ابن عمر انه اختلج
سويق فشربه حتى قرع القدح وروى ابو يعلى قال البراء بن عازب لقد كنت
اريد ان اسأله صلى الله عليه وسلم عن الامر من الامور التي ترد الخواطر
مما يحتاج الى بيان فأؤخر اي السؤال عنه سنين من هيبته صلى الله عليه وسلم
من هابه اذا خافه ووقره وعظمه وفي حديث الدعاء وتبني على ما اهبت
بي اليه من طاعتك يقال اهبت به اذا دعوته اليك كما في حديث باني الكعبة
واهاب الناس الى بطحه اي دعاهم الى تسويته فصل اعلم خطاب لكل من
يتأتى توجيهه اليه سد مسد مفعوليه ان حرمته صلى الله عليه وسلم بعد
موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك اي لزوم ما
ذكر من وجوب توقيره وتعظيمه ميتا كما كان حيا عند ذكره كما ذكر صلى الله
عليه وسلم وذكر حديثه ولازمه عند معاملة اله وعترته بمثناة بعد
العين وتعظيم اهل بيته اطناب اذ هم اله وعترته الذين تحرم عليهم الزكاة
الا ان يراد بهم زوجاته واتباعه وصحابته كذلك قال ابو ابراهيم التجيبي بضم
التاء وفتحها واجب على كل مؤمن متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده
ان يخضع ويخشع بسكانه ولين جانب وخفض جناح وفي التنزيل فلا
تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ويكون لازما كما في الاذان
ومتعديا كما في حديث عمر ان رجلا في خلافته مر برجل وامرأة قد خضعا
بينهما حديثا فضربه حتى شجه فاهدره عمر اي لينهما حديث وتكلما بما يطمع
كلا منهما في الاخر ويتوقر من التوقر وهو التحلم والرزانة ويسكن من حركته

ويأخذ اي يشرع في ان يتلبس بما يجب له صلى الله عليه وسلم من هيبته واجلاله
اي تعظيمه حق عظمته بما كان اي كل مؤمن يأخذ به نفسه لو كان
بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به مثل لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا ان لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون وهذه
اي لزوم توقيره وتعظيمه بعد موته كما كان حيا وانثه باعتبار قوله كانت
سيرة سلفنا الصالح تنبيها ذة ما اورده من مناظرة ابي جعفر ثاني خلفاء
بني العباس مالكا معمول المناظرة في مسجده صلى الله عليه وسلم فقال له
اي مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله ادب قوما
فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وان حرمته ميتا كحرمته حيا
صلى الله عليه وسلم فاستكان لها اي خشع وخضع لمقالة مالك واذعن
ابو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقال لمالك استقبل
القبلة استفهام استرشاد وادعوا الله من ذوارف عوارفه ام استقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اي مالك لم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم اي به تتوسلان وتتقربان انتما
وغيركما الى الله يوم القيامة بل استقبله واستشفع به اي سل الله
به ان ينجيك ويعز جرائمك وبوائقك وما اكتسبت سببا لاكتساب
اعوانك له ببابك وغيرهم جورا وعسفا فيشفعك الله اي يقبل الله به
شفاعتك لنفسك قال الله تعالى مصدقا لذلك ولو انهم اي المنافقين
اذ ظلموا انفسهم بتحاكمهم الى الطاغوت كعب بن الاشرف سمي طاغوتا
لعتوه وفرط طغيانه وعداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوك
تائبين من نفاقهم متنصلين مما ارتكبوه فاستغفروا الله من تحاكمهم
اليه معتذرين اليك من ايذائك برد حكمك واستغفر لهم الرسول التفات
عدل به تفخيما لشأنه صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وايذانا بان
شفاعته من اسمها الرسول من الله بمحل من القبول لوجدوا الله اي لعلموه
توابا رحيما اي لتاب عليهم ولم يؤاخذهم بسوء صنيعهم وقال مالك وقد
سئل عن ايوب السختياني بسين مفتوحة فمعجمة ساكنة ففتح مكسورة نسبة
لبيع السختيان اي الجلد المدبوغ والجملة حالية اعتراض بين القول ومقوله
ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه لما رأى عليه من ملابس حسن
الهدي والسمت وكماله لا افضلية وتقدما على امثاله شهادة مالك
له به وقال اي مالك وحج اي ايوب حجتين فكنت ارمقه اي انظر طويلا

ولا أسمع منه شيئاً يغفوه به غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى
أرحمه من البكاء المؤذن بغشيان الجوى بين الجوانح بذكره صلى الله عليه وسلم شوقا
إليه فلما رأيت منه ما أذن باتصافه بحسن الهدى فما هنا كهي في فغشيهم من
اليم ما غشيهم أي شاعظهم رأيت من وثاقة دينه وشوقه إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعظيمه له مما دل على عدالته كتبت عنه الحديث وروايته
عنه وقال مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري كان مالك إمام
دار الهجرة إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب على
جلسائه لما يرونه من هيبته وعظم قدره ورفعة محله عند ربه فقيل له يوما في
ذلك أي قيل له لم تتغير إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وتنحني فقال لو رأيتم
ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون مني مما يعتريني عنده ذكره لقد كنت أرى محمد
بن عبد المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي وكان سيد القراء اعتراض وصفه
به لأنه كان من كبار الأئمة الأعلام لا نكاد نسأله عن حديث ورد عن النبي
صلى الله عليه وسلم إلا يبكي شوقا إليه صلى الله عليه وسلم وتأسفا لفواته وتحزنا
إياه حتى نرحمه لما نخشى عليه من لوعة الاحتراق بألم الافتراق ولقد كنت أرى
جعفر بن محمد الصادق بالنصب لقب جعفر لا لمحمد أبيه إذ لقبه الباقر بن زين
العابدين وكان كثير الدعابة بضم أوله أي المزاح والتبسم أي الضحك بلا
صوت والجملة اعتراض أفادت أنه كان مع كونها سجيته إذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم اصفر لونه مهابة منه وإجلالا له وما رأيته يحدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة تعظيما لحديثه لأنه وحي أوحي
إليه إذ ما ينطق عن الهوى ولقد اختلفت ترددت إليه زمانا فما كنت أراه
إلا على ثلاث خصال جمع خصلة أي حالات يمكن الجمع بين بعضها إما أني أراه
مصليا وإما صامتا أي ساكتا لا يتكلم وإما يقرأ القرآن كأنه يناجي به بكلامه
ولا يتكلم فيما لا يعنيه مما لا يجدي نفعا صونا للسانه عنه وكان من العلماء
العباد الذين يخشون الله خوفا من معاناة ما لا يرضيه ولقد كان عبد الرحمن
بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر
بالبناء للمفعول إلى لونه كأنه نزف بضم النون وكسر الزاي مبنيا للمفعول
أي سال منه الدم وقد جف لسانه أي يبس في فمه فلم يطق أن يتكلم هيبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لشرف محله ولقد كنت آتي السيد
الجليل عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام فإذا ذكر عنده الرسول صلى الله
عليه وسلم بكى بكاء لوعة واحتراق وقلق واشتياق حتى لا يبقى في عينيه دموع
لنزف معاناته له ولقد رأيت محمد بن شهاب الزهري وكان من أهنأ الناس

وأقربهم حالتانا فادنا وصفه برقة الطبع وخفض الجناح والتودد وحسن
الخلق ومع ذلك فإنه كان إذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه
ما عرفك ولا عرفته لما عراه من الدهش والتحير هيبة له صلى الله عليه
وسلم ولقد كنت آتي صفوان بن سليم بضم أوله وفتح ثانيه الزهري
مولاهم وكان من المتعبدين المجتهدين اعتراض ورد حالا لا أذن بوصفه
بما يقربه إلى الله زلفى ويورثه رفيع الدرجات في غرفات الجنات فإذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم بكى على تلك الحالة المحزنة وروي عن قتادة
أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل أي صوت الصدر بالبكاء والزويل
أي القلق والانزعاج بحيث لا يستقر بمكان فالزوال بمعناه وروي ذلك
عن شعبة بن الحجاج ولما كثر على مالك الناس وأتوه من كل فج عميق
قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم ما تمليه لكثرتهم وبعد بعضهم عنه ن
فالتمني بلو لمناسبة بينهما هي تقدير غير الواقع واقعا مع كون التمني طلب
ما يستبعد وقوعه فقال أي مالك لهم إرشادا وتعليما وتأديبا
مقتبسا من القرآن الكريم والفرقان القديم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي توقيرا له وتعظيما وتعزيرا وتكريما وحرمته
حيا وميتا حالان من الضمير قبلهما بين المبتدأ أو خبره الذي هو سواء أفادتا
أن وجوب حرمته بعد وفاته كهي قبلها فلا يحل انتهاكها وكان عبد الرحمن بن مهدي
إذا قرأ حديثه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت رعاية لحرمته وعناية
لهم تعليما وتأديبا وقال أي عبد الرحمن مقتبسا من القرآن لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول ما اقتبسه بإجرائه على عمومه من أنه يجب
له صلى الله عليه وسلم من الإنصات عند قراءة حديثه صلى الله عليه وسلم
ما يجب له منه عند سماع قوله من الحرمة وحسن الأدب فصل في
سيرة السلف المأثور عنهم في تعظيم رواية حديثه صلى الله عليه
وسلم وسنته أي طريقته المحمودة وقد روي عنهم لذلك شواهد
منها ما رواه مسندا عن عمرو بن ميمون في رواية الدارمي قال اختلفت
أي ترددت إلى ابن مسعود فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هيبة له وصونا له عن لسانه إلا أنه حدث يوما حذف معموله
لتذهب النفس كل مذهب ممكن فجرى على لسانه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم علاه كرب أي غمه فرأيت العرق يتحدر أي يسيل نازلا
عن جبهته ثم قال أي ابن مسعود حديثه الذي رويته ثم عنه
هكذا إن شاء الله أي هو كما رويته لكم لفظا ومعنى أو هو فوق ذا أو الذي

رويته لكم عنه أو هو ما دون ذا او قريب من ذا تردد من غير جازم ذهابا الى
اتقاء الكذب عليه صلى الله عليه وسلم نفادا من دخوله في قوله من كذب علي
متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وكان ابو الدرداء اذا حدث به قال مثله وكان
انس اذا حدث قال او كما قال وفي رواية فتربد وجهه بالموحدة مشددة
تغير لونه كما ورد كان اذا نزل عليه الوحي اربد وجهه اي تغير وجهه الى
الغبرة سواد مشرب ببياض وفي رواية فقد تغرغرت عيناه اي عينا ابن
مسعود اي امتلات دموعا تتردد فيهما من الغرغرة وهي في الاصل ان
يجعل المشروب في الفم ويردد الى الحلق من غير ان يبلع وفي الحديث ان الله
يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي ما لم تبلغ روحه حلقومه تشبيها لها
بالشيء الذي يتغرغر به المريض وانتفخت اوداجه هي ما احاط بالعنق من
العروق التي يقطعها الذابح واحدها ودج وقيل الودجان عرقان
غليظان يكتنفان نغرة النحر وقال ابراهيم بن عبد الله بن قرم مصغر
قرم اي مقدام في المعرفة ومجارب الامور وعن علي انا ابو الحسن القرم اي
المقدام في الراي وهو في الاصل فحل الابل اي انا فيهم بمنزلته الانصاري
قاضي المدينة مر مالك بن انس على ابي حازم وهو يحدث عن النبي صلى الله
عليه وسلم فجازه اي جاوزه ولم يجلس اليه ليأخذ عنه الحديث فكرهت ان
اخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم صونا لحديثه عن الابتذال
والامتهان وذكره لا على وجه التعظيم اذ كما يجب تعظيمه يجب تعظيم حديثه
والعجب منه رحمه الله انه كان مع مبالغته في تعظيم حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقدم عليه عمل اهل المدينة وان خالفه ويقول هذا الحديث
لم يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع
قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ولم يوافقه احد من علماء الامصار على
ذلك وقال الشافعي كنت اظن انه لم يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في
ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع ويترك الاصل فمكثت سنة استخير الله في
مخالفته ولما خالفته سعى به المالكية الى السلطان فامر بان يخرج من مصر فقال له
اجلني ثلاثة ايام فاجله فليلة الثالثة مات السلطان فمكث الشافعي بمصر والف
كتبه الجديدة بها الى ان توفي بها تاسع عشرين جمادي الاخرة سنة اربع ومائتين
رحمه الله ورضي عنه وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث من
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع جملة حالية من ضمير سأله
اي حال وضعه جنبه بالارض فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك
لم تتعن اي تكلف نفسك بجلوسك فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله

وانا مضطجع اي حال اضطجاعي تعظيما لحديثه صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن
سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر بالبناء للمفعول عنده حديث من حديثه
صلى الله عليه وسلم خشع اي خضع واستكان والخشوع في الصوت والبصر
كالخضوع في البدن وقال مصعب كان مالك لا يحدث الا وهو على وضوء اي حال
كونه متوضئا فشبهت حاله لفرط اتصافه به وتمكنه اتصافا في جميع عباداته
بحال من اعتلا شيئا وركبه اجلالا اي تعظيما له اي لحديثه صلى الله عليه وسلم
وحكى مالك ذلك اي التحديث بحديثه صلى الله عليه وسلم على وضوء فيما مر عن
جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب
وقال مصعب هو ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري كان مالك اذا حدث
الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ وتهيأ ولبس ثيابه اي صير
نفسه على حالة حسنة اذ الهيئة حالة الشيء وصورته وشكله وفي الحديث
اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم اي ذوي الحالات الحسنة الذين يلزمون هيئة
واحدة وسمتا واحدا لا يعدلون من هيئة الى اخرى وعن الشافعي هم من لم يظهر
منه ريبة ثم حدث مرادا منه ان يحدثه رواية حديثه صلى الله عليه وسلم قال
مصعب فسئل اي مالك عن ذلك اي عن وضوئه وقصده لحديث فقال
انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا احدث به الا على وضوء قال
مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار كان الناس اذا اتوا مالكا
خرجت اليهم الجارية باذنه فتقول لهم يقول لكم سيدي تريدون استفهام
تقريري يحمله على الاقرار بما يستفهم عنه حذفت همزته تخفيفا اي اتريدون
الحديث او المسائل فان قالوا نريد المسائل خرج اليهم وان لم يكن متطهرا وان
قالوا نريد الحديث دخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا بضم
اوله وثانيه ولبس ساجه هو الطيلسان الاخضر وقال الازهري هو المقور
اي المستدير ينسج كذلك مستديرا والجمع سيجان وقيل غير ذلك وتعمم
ووضع على راسه رداء وتلقى له منصة بكسر الميم من نصصته اذا رفعته
اي كرسي فيجلس عليها وعليه الخشوع اي الخضوع والاستكانة ولا يزال
اي اللسان يبخر بالبناء للمفعول بالعود حتى يفرغ من حديثه لهم وقال غيره اي
غير مطرف لم يكن اي مالك يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عنه صلى الله
عليه وسلم وقال ابن اخت مالك اسمعيل بن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك اي
فيما يفعله مما مر اذا اراد ان يحدث عنه صلى الله عليه وسلم فقال احب ان اعظم
حديثه صلى الله عليه وسلم لخلافته للتعظيم واستحقاقه للتكريم ولا احدث
به اي بحديثه صلى الله عليه وسلم الا على طهارة متمكنا واستحب ذلك الكثيرون

كما صرح السنة الامام الشافعي قال اي ابن ابي اويس وكان اي خاله مالك بكره أن
يحدث في الطريق او وهو قائم او مستعجل مراعاة للادب ذهابا الى أن
تحديثه متانيا اولى منه مع العجلة واسلم ومن ثم قيل
قد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقال احب ان افهم من حدثه حديثه صلى الله عليه وسلم ليكون ابين
واعون على فهم السامع معنى حديثه صلى الله عليه وسلم وقال ضرار بن مره
الشيباني الكوفي كانوا اي من لقيتهم من التابعين كعبد الله بن شداد وابي
الاحوص وسعيد بن جبير يكرهون ان يحدثوا عنه صلى الله عليه وسلم
على غير وضوء وكان سليمان بن مهران الاعمش اذا احدث اي اذا اراد أن
يحدث على غير وضوء تيمم وكان قتاده بن دعامه لا يحدث الا على
طهاره تعظيما لحديثه صلى الله عليه وسلم ولا يقرء الا على وضوء غاير
بينهما تفننا في الكلام اذ هو من محسناته او اراد بالطهارة الغسل قال عبد الله
بن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب هي من ذوات السموم
كالحيه ستة عشر مره كذا بالنسخ وصوابه ست عشرة اذ كانا انما يحوي في مثل
هذا التركيب تاني جزئيه ولونه يتغير ويصفر اي يزيد من شدة الالم ثم يتحول
الى الصفره ولا يقطع حديثه صلى الله عليه وسلم محافظة على ايراده متواليا او
احتراما له فلما فرغ من المجلس اي مجلس التحديث وتفرق عنه الناس كل ذهب
في طريقه قلت له رايت اليوم منك عجبا قال نعم لدغتني عقرب ست عشرة مره
كل ذلك وانا صابر وانما صبرت اجلالا لحديثه صلى الله عليه وسلم وكان السلف
كلهم على احترامه وتعزيره تخلفهم من بعدهم خلف اهانوه بسماعه ممن يدخل الجنه
في حديث من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار ومن منح الجهال علماه
اضاعه قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق لعله اراد
الاقرب الى المدينة لوارد فيه حديث قيل لي اي في المنام انك بواد مبارك
وهو بطن وادي ذي الحليفه وان لا حر مهلا اهل العراق قريب من ذات
عرق قبلها بمرحلة او مرحلتين وهو كل موضع عق اي شق وقطع من الارض
ومن ثم كان لهم مواضع كثيره تسمي العقيق فسالته عن حديث فانتهرني
اي زجرني واستقبلني بوجه عبوس وقال لي كنت في عيني اجل من ان
تسالني عن حديث من حديثه صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي في موضع
الحال اي ماشين وسأله جرير بن عبد الحميد وهو قائم حال كل من مالك
او من جرير فامر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب
كذا بالواو والاصل الهمزه وذكر ان هشام بن الغاز كذا قيل وصوابه هشام

بن عمار

بن عمار خطيب جامع دمشق واما ابن الغاز فتابعي لم يرو عن مالك بل مات
سنة ست وخمسين و مائه سال مالكا عن حديث من حديثه صلى الله عليه وسلم
وهو واقف حال من مالك او من هشام اي حال كونه فضربه عشرين سوطا
ثم اشفق عليه من الاشفاق يقال اشفقت عليه اشفق اشفاقا وهي اللغة
الغالبه وحكى ابن دريد شفقت شفقا وعن ابي عبيده اينا الحسن فازدحمنا
على مدرجته فقال احسنوا ملاكم ايها المزدون وما على البنا شفقا ولكن
عليكم اي ما اشفق على البنا شفقا وانما اشفق عليكم اي خاف عليه لضربه
اياه بلا ذنب يوجب ذلك وجه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام
وددت من الود وهو الحب اي احببت لو زادني سياطا و زادني حديثا
لفرط شغفه حبا لحديثه صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن صالح الجهني
مولاهم كاتب الليث كان مالك والليث لا يكتبان الحديث اي حديثه
صلى الله عليه وسلم الا وهما طاهران صفة لهما والاصل امتناع توسط
الواو بين الصفة وموصوفها كما في وما ارسلنا من قريه الا لها منذرون
على ما هو الا انها لما شابهت الحال توسطتها لتاكيد لصوقها بالموصوف
كما في وما ارسلنا من قريه الا ولها كتاب معلوم وكان قتاده يستحب ان
لا يقرا احاديثه من سنده صلى الله عليه وسلم الا على وضوء تعظيما له ولا يحدث
تعظيمه ولا يحدث الا على طهاره اي تغسل بقرينة ما قبله وكان الاعمش
سليمان بن مهران اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء اعتراض ورد حالا
بين الشرط وجوابه اعني تيمم اي لشدة اعتنائه بتعظيم حديثه صلى
الله عليه وسلم فضل ومن توقيره اي تبجيله وتعظيمه وفي الحديث اتى صلى
الله عليه وسلم القبور فقال السلام عليكم اصبتم خيرا جليلا اي واسعا لسنن
عظيما وبر مصدر مضاف الى مفعوله اي كما عمه امراو نهيا بر اله احسانا
ولطفا فطاعه وهم بنو هاشم وبنوا المطلب ابني عبد مناف دون بني
عمهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف ايضا لقسمه صلى الله عليه وسلم سهم
ذوي القربى خمس الخمس بينهم دونهم فقال له عثمان بن عفان من بني
عبد شمس وجبير بن مطعم من بني نوفل يا رسول الله هولا اخواننا بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وانما
قرابتنا واحده فقال انما نحن وبنوا المطلب شي واحد هكذا وشبك بين اصابعه
رواه الشافعي زاد غيره لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم
شي واحد وشبك بين اصابعه وشي بعجمه واحد الاشيا وكان ابن معين يرويه
بمهملة مكسوره اي مثل ونظير قال الخطابي وهو اجود وصوب غيره الاولى

وكان نوفل اخا الثلاثة من ابيهم وذريته اي ولده ويطلق على الواحد والجمع
فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزته واوا ثم قلبت يا وادغمت
وبامهات المؤمنين ازواجه عائشة الصديقة بنت الصديق وحفصة بنت
الفاروق وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت
ابي امية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث وصفية
بنت حيي وحض عليه اي حث صلى الله عليه وسلم على بر من ذكر وسلك السلف
الصالح فبروا آله وذريته وازواجه شبه برهم جرا ابا بهم بطريق مسلوك
على طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له سلوكها تخييلا حتى كانه من جنسها
تناسيا للتشبيه وصرفا للنفس عن توهمه قضا لحق البلاغة وقال
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس استينافا لتعليل الامر هن ونهيهن
عن ان يتقين في المآثم صونا لاعراضهن عن ان يدنسها الرجس اهل البيت
نصب على النداء او المدح ويطهركم من الادناس المدنسة للاعراض تطهيرا
استعار الرجس للمعصية استعارة حقيقية رشحها بالتطهير تنفيرا
لهن عنها وترغيبا لهن فيما امرهن به وتخصيص الشيعة اهل البيت ب
بفاطمة وعلي وابنيهما بما ورد انه صلى الله عليه وسلم خرج غداة وعليه
مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله فيه
ثم فاطمة فادخلها ثم علي فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم
حجة مردود بان تخصيصهم بكونهم اهله يلذ به ما قبل الاية وبعدها
والحديث انما هو مؤذن بانهم اهله لا ان غيرهم ليس باهله وقال
وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في وجوب تعظيمهن واحترامهن
وحرمة نكاحهن لتنبيه ده قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ولم
تتعد الى بناتهن وهن في غير ذلك كالاجنبيات ومن ثم قالت عائشة
لسنا امهات النساء ارادت انهن انما كن امهات الرجال لانهن محرمات
عليهم كتحريم امهاتهم عليهم وقد اسند هنا حديثا مؤذنا بالوصية على اهل
بيته لغير سند مسلم والنسائي ولو رواه بسند احدهما لوقع له اعلا من سنده
الذي رواه به وانما رواه به جريا على عادة الحفاظ من ان الحديث اذا كان
في الكتب الستة او في بعضها رووه من غيرها تنويعا في الرواية اما للعلو او
لزيادة او لكون سند مسلم لتصريح مدلس فيه بالاخبار او التحديث او لغير ذلك
انشدكم الله في اي انشدكم واقسم عليكم بالله ان ترعوني وتراعوني في
اهل بيتي ثلاثا اي قالها ثلاث مرات مبالغة في الحث على احترامهم قلنا لزيد

هو ابن ارقم راوي الحديث من اهل بيته قال آل علي اصله اهل ابدلت الهاء همزة بدليل تصغيره
اهيلا ابدلت الفا وقد تبدل اذا صغر واخص استعماله بمن له شرف وخطر
وال جعفر وال عقيل ولدي ابي طالب وال العباس وقد يطلق على المرء نفسه
في حديث ام سلمة ليس بك على اهلك هوان اراد به نفسه اي لا يتعلق بك ولا
يصيبك على هوان وفي القرآن لموسى وال هارون اي هما والحم الال تحميا
لشانها وروى الترمذي عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه اني تارك فيكم ما نكرة
موصوفه صفته ان اخذتم به اي شي عظيم ليشمل مع قلة لفظه معاني كثيرة
ففيه مبالغة الوجازة او موصولة الشرطية صلته ثم ثناه فوقيه اهل بيتي
تفصيل بعد اجمال بدلا او بيانا اي ان ائتمرتم باوامره وانتهيتم بنواهيه
واهتديتم بهدي عترته واقتديتم بسيرتهم لن تضلوا طريق الحق في قوله اني
تارك فيكم تلويح بانهما كتوأمين خلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصى امته
بحسن معاملتهما وايثار حقهما على انفسهم كما يتشفق الوصي على اولاده يشهد له حديث
اذكركم الله في اهل بيتي ثم بنوا عبد المطلب وازواجه صلى الله عليه وسلم لا تستحل لهما في الخطأ
كثير منهم بقوله اهل بيتي علما بانهم عصابته الادنون وازواجه فانظروا كيف تخلفوني
فيهما واسما خلفه فيهما شرار الاقتتال وقال ولا اعلم من رواه معرفة آل محمد براءة من
النار من لوحها وبردها وحب آل محمد جواز على الصراط من اجازه بمعنى اعطاه
لتشبه حديث الضيافة ثلاثة ايام وجائزته يوم وليلة اي عطيته وهي ما يجوز به
مسافتهما وحديث اجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم اي اعطوهم جائزتهم فشبه حبهم
بجائزة المسافر فمن احبهم جازته مسافة الصراط والولاية بفتح الواو بمعنى النصرة
والتولي اي اتخاذ القوم اولياء فاتخاذه لال محمد اولياء امان من العذاب اذ هم القوم
لا يشقى من والاهم واما بكسرها فمن الولاية بمعنى الملك وقال بعض العلماء
اي اله هي معرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم نسبا وقربا ورتبة ومحبة
واحتراما واذا عرفهم بذلك اي بمعرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم عرف
وجوب حقهم وحرمتهم بسببه صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن
عمر بن ابي سلمة ربيبه صلى الله عليه وسلم وابن اخيه من الرضاعة ارضعتهما
ثويبة مولاة عمه ابي لهب لما نزلت آية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس علة
لنهيهن فيما مر حذرا من اقترافهن المآثم المدنسة لاعراضهم صونا لها عنها
بالتقوى اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم تطهيرا من
الذنوب المشبهة بالرجس المدنس على طريقة الاستعارة التحقيقية المرشحة
بالتطهير وما التنفير اولي الالباب عما كرهه الله لهم ونهاهم عنه وترغيبا
لهم فيما رضيه لهم وامرهم به وذلك اي نزولها كان في بيت ام سلمة زوجه صلى

كتاب الله وعترتي
في
فقهم

الله عليه وسلم دعي جواب لما فاطمة وحسنا وحسينا وجللهم كساء اي غطاهم
به ومنه قول علي اللهم جلل قتلة عثمان خزيا اي غطهم به والبسهم اياه كما يجلل
الرجل بالثوب وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم منه عوض عن يا فلا يجتمعان
وهذا من خصائصه كالقسم ودخول حرف النداء مع اللام كقطع الهمزة هؤلاء
اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا من جميع الادناس الذي
المدنسة للاعراض وروى مسلم عن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة
اي الملاعنة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة واصلها من الابتهال اعني الاهمال
والتخلية لان اللعن الطرد وهو والاهمال بمعنى واحد فاذا اختلف قوم في شي
اجتمعوا فقالوا لعنة الله على الظالم منا فالاية كما مر فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا الاية دعا جواب لما اي طلب النبي صلى الله عليه
وسلم حسنا وحسينا وامهما فاطمة ابنته صلى الله عليه وسلم وعليا وقال اللهم
هولا اهلي الاقربين وقال صلى الله عليه وسلم كما مر في علي من كنت مولاه
فعلي مولاه يدفع عنه ما يكره قال الشافعي يعني بذلك ولاء الاسلام
اي وليه وناصره قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم واما حديث
سئل صلى الله عليه وسلم عن من يسلم على يد رجل من المسلمين فقال هو اولى
الناس بمحياه ومماته اي احق بارثه من غيره واليه ذهب كثيرون واشترط
اخرون ان يضيفون الى اسلامه على يديه معاقدته وبنوا الاته وذهب التميمي
الى ان الحديث بمعنى البر والصلة ومراعاة الذمام ومنهم من ضعفه رواه
احمد عن ابي ايوب الانصاري انه صلى الله عليه وسلم قال في علي اللهم وال
من والاه اي انصر من نصره ولم يصدف عن سنن مودته وعاد من عاداه
اي اتخذه عدوا وحاد عن موالاته وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم
قال فيه اي في علي لا يحبك الا مومن عرف انه من اله صلى الله عليه وسلم وعرف
مكانه منه فيحبه وتلك صفة المومن ولا يبغضك الا منافق لتصميمه خلاف
ما يظهر من كفرا وعنادا وروى ابن ماجة والترمذي وصححه حديث قوله للعباس
والذي نفسي بيده كناية عن تمكنه تعالى منها تصرفا وتقلبا كيف شا اذ لا
جارحة ولا استقرار بعد وهو موذن باستحباب اليمين في الامر المهم لا يدخل
قلب رجل الايمان ويخالط بشاشته سويداه حتى يحبكم لله ولرسوله غاية
لنفي دخول الايمان قلبه وحث على الاخلاص من شوائب لما حذر من عدم
القبول لشهادة حديث من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه ومن اذى
عمي يعني العباس فقد اذاني لانه من اهل بيته الا وان حذا الناس فيهم بقولها ذكركم
الله في اهل بيتي اي احذركم في شانهم واقول لكم اتقوا فيهم ولا توذوهم ⊙

واحفظوهم فالتذكير هنا بمعنى الوعظ وانما عم الرجل صنو ابيه اي مثله
اي اصلهما واحد فهو مثل ابي ومثلي فهو كالعلة لان حكمهما في الايذا سوا ورد
البيهقي عن ابي اسيد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغد
علي يا عم اي ائتني غدوة اي اول النهار مع ولدك من ذكور واناث لشمول الولد
لهما فجمعهم غدوة عليه وجللهم اي غطاهم بملاته ثم قال اللهم هذا عمي وصنو
ابي اي اصلهما واحد وهولا اي ولد العباس ومن معهم اهل بيتي فاسترهم
من النار اي قهم منها كستري اياهم فامنت اسكفة الباب اي عتبته كما مر وحوائط
البيت اي جدرانه المحيطة به من جميع جهاته امين امين بالمد اشهر من قصره
وهو اسم بني على الفتح معناه استجب وفي الحديث انه خاتم رب العالمين اي طابعه
على عباده لانه يدفع البلايا والافات فكانه كخاتم الكتاب يصونه ويمنعه من
الفساد واظهار ما فيه وروى البخاري عن اسامة كان صلى الله عليه وسلم
ياخذ بيد اسامة بن زيد بن حارثة مولاه صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي
بن ابي طالب ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما انت بارادة ورده على طريق المشا
لوقوعه في صحبته كما في تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ابو بكر الصد
ارقبوا محمدا اي احفظوه في اهل بيته وقال اي ابو بكر فيما رواه الشيخان والذي
نفسي بيده قسم عظيم هو فيه بار صادق لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي ان اصل اي صلتهم من صلة قرابتي لما فيه مما شهر عنه صلى الله عليه
وسلم مع قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وروى الترمذي
وحسنه وابن ماجة عن يعلى بن مرة قال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا
وفي رواية حسينا دعا لمن احبه بل لمن احبهما وقال كما تقدم مرارا من احبني واحب
هذين واشار الى الحسن وحسين ابني ابنته واحب اباهما علي بن ابي طالب وامهما
فاطمة الزهرا كان معي في درجتي يوم القيامة اي في الجنة وقال صلى الله عليه
وسلم من اهان قريشا اهانه الله رواه الترمذي وحسنه عن سعد بن ابي
وقاص لما فيه من رده هوان قريش اهانه الله تكرمته لهم لانهم افضل بني ادم اجمالا
وهم ولد النضر بن كنانة من بني اسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن وروى البزار عن علي
وابن ابي شيبة عن سهل بن ابي حثمة قال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا
تقدموها اي في جميع الامور لشهادة ظاهر الحديث تسموا لها لحيازتهم حسنات
الشرف والرياسة لشرف النسب وسدانة البيت الحرام وكونه منسكا
ودارهم موسما وبالرفادة والسقاية يطعمون الحجيج ويسقونهم فهم
الاسوة باقوالهم في كل امر يقتدى وبافعالهم يقتفى وروى البخاري حديث
ام سلمة لا توذيني في عائشة لفضلها علما ونسبا لشهادة حديث الشيخين

عن النبي فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وحديث الترمذي عنها
ان جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء اليه صلى الله عليه وسلم فقال هذه زوجتك في
الدنيا والآخرة وروى البخاري عن عقبة بن الحارث رأيت ابا بكر يعني الصديق وحمل
الحسن على عنقه وهو يقول جملتان حاليتان من ابي بكر اي حاملته قائلا بابي اي
افديه بابي شبيه خبر مبتدا محذوف اي هو شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس
شبيها بعلي ابيه ابن ابي طالب وعلي يضحك فرحا وتعجبا من كون الصديق يحمله
على عنقه هذا وممن كان شبيها به صلى الله عليه وسلم من آله جعفر بن ابي طالب وقثم
بن العباس والسائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وابو سفيان بن
الحارث بن عبد المطلب ومن غير آله كثيرون وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن
بن علي بن ابي طالب قال اتيت عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم في حاجة فقال
لي اذا كان لك حاجة فارسل الي تعظيما لشأن قرابته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم تنبيها دل عليه قوله فاني استحيي من الله ان اراك على بابي تكرمة له
وعن الشعبي فيما رواه الحاكم وصححه البيهقي وغيره صلى زيد بن ثابت بن قيس
بن شماس الانصاري على امه ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ
بركابه فقال زيد تكريما لتعظيمه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم خل عنه اي دعه وتباعد عنه فقال اي ابن عباس هكذا نفعل بالعلماء
اي اكراما واحتراما فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا اي امرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد بن
اسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليت هذا
عبدي نفتح آمله ولنا منزل لعبوديه وهي كما في المطالع رواية النسفي
ورواية الحاكم بالنون قبل وكذا في البخاري الذي سمع على العراقي بالقلم
فقيل له اي لابن عمر هو محمد بن اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه ونقر بيده
الارض حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اي ابن عمر لو رآه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاحبه لحبه اباه اسامة وحكى ابن عساكر في تاريخ
دمشق قال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز اذ كان اميرا للمدينة نيابة عن ابن عمه
الوليد بن عبد الملك بن مروان او في ايام خلافته ومعها مولى لها يمسك
بيدها فقام لها عمر بن عبد العزيز ومشى لها تكريما لها لكونها بنت حبه
صلى الله عليه وسلم وبنت مولاته حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه
غاية لمسيسه اياها ومشى بها حتى اجلسها في مجلسه اي موضع تكرمته وجلس
بين يديها وما ترك لها حاجة حتى قضاها وروى الترمذي وحسنه لما فرض عمر

ف
ابن الخطاب في الديوان لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة في ثلاثة الاف
وخمسمائة زيادة على ما فرض لابنه قال عبد الله لابيه لم فضلته علي بما فضلته
فوالله ما سبقني الى مشهد من المشاهد فقال له اي عمر لابنه لان زيدا
كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك عمر قال تواضعا ومراعاة
لحرمته صلى الله عليه وسلم اذ كان مولاه والا فهو كان احب اليه من زيد لخبرها ده
حديث الشيخين عن عمرو بن العاصي قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك قال
عائشة قلت من الرجال قال ابوها ثم من قال عمر وان اسامة احب اليه منك فآثر
وخصصت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقدم على حبي يجوز ان يكون
الحاء فيهما مكسورا بمعنى المحبوب وان يكون مضموما مصدرا حب وروى ابن عساكر
انه بلغ معاوية بن ابي سفيان ان كابس بن ربيعة بن مالك السامي من بني
سامة بن لؤي يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجه اليه
معاوية فلما دخل عليه قام وتلقاه تعظيما لشأن شبهه برسول الله صلى الله
عليه وسلم وقبل الموضع الذي بين عينيه واقطعه المرغاب بميم مكسورة
فراء ساكنة فمعجمة اي جعله له اقطاعا ينفرد به انتفاعا لشبهه صورة
رسول الله صلى الله عليه وسلم باضافة صورة الى ما بعدها ويجوز ان يكون
تمييزا للنسبة في شبهه وكان انس اذا رآه بكى وروى ان مالكا هو ابن انس لما ضربه
جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس لقول بعضهم انه لا يرى الايمان
لبيعتكم شيئا لان يمين المكره لا تلزم فغضب جعفر ودعاه وجرده ونال منه
ما نال ضربا وغيره وحمل اليه مغشيا عليه دخل عليه الناس جوابا لما فاق
من غشيته فقال لمن دخل عليه اشهدكم اني جعلت ضاربي اي الامر به في حل
من ضربه اياي تشبيه تمكنه من الحل لبراءته مما ترتب عليه من الاثم بضربه بظلم
بتمكن المظروف بظرفه فجعله ظرفا له فاستعار له في تجوز الاستعارة
في المصدر اصلية وفي الحرف تبعية فسئل اي مالك بعد ذلك اي بعد جعله
في حل فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي
منه تحاملته حذرا من ان يدخل بعض آل النار بسببي وما ارتفع
منهم سوطا عن جسمي الا جعلته في حل اي برأته منه لقرابته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم علة لجعله في حل وقال ابو بكر بن عياش بمثناة
تحت وشين معجمة بن سالم المقري احد الاعلام الاسدي لو اتاني ابو بكر وعمر
وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة علي قبلهما ايثارا لتقديمه عليهما لقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقديمه عليهما عرضي بتوسط قرابته منه صلى الله
عليه وسلم لا ذاتي لبشرهما ده قوله ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من

ان اقدمه عليه لولا قرباه منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما ه
لافضليتهما عليه ورد با بوداود والترمذي وحسنه قيل لابن عباس
ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد لعظم المصيبة
والرزء بفقدها لا عزم فقيل له اي لابن عباس السجد في هذه الساعة فتعجب
من قابله لعظم المصيبة موقعه عنده وخفا نسبته عليه اذ كثيرا ما
تستعمل همزة الاستفهام كغيرها من ادواته للتعجب كما تعجب هنا لحديث
عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة في السلاسل ومن شاب ليست له
صبوة مجاز عن عظم ذلك عنده تعالى فقال اي ابن عباس اليس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية استفهام تقريري حمل
المخاطب على الاقرار بقوله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم ذلك فاسجدوا
واي اية اعظم خطرا وقدرا من ذهاب زوجات النبي صلى الله
عليه وسلم اذ به فوات بركات وتعا الحيات اذ لسن كغيرهن
بشهادة يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن وقد اتقينه
تعالى روى مسلم كان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن واسمها بركة
مولاته صلى الله عليه وسلم تبركا بها وتاسيا به ويقولان كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزورها روى ابن سعد عن عمر بن سعد بن ابي
وقاص مرسلا قال لما وردت امه من الرضاعة حليمة السعدية وفي
سيرة الدمياطي ان الوارد على النبي صلى الله عليه وسلم انما هي ابنتها
الشيما اخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة فبسط لها رداءه صلى
الله عليه وسلم وقضى حاجتها رعاية لحرمة اخوة الرضاع وفي
الحديث حسن العهد من الايمان اي الحفاظ ورعاية الحرمة فلما توفي
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدت اي امه او اخته من الرضاعة
على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فعلا معها فضلا ومن توقيره صلى الله عليه
وسلم وتبجيله وبره صلى الله عليه وسلم اي طاعته والشفقة عليه
والتقرب اليه توقير اصحابه تعظيما لهم وشفقة عليهم وبرهم بانواع
البر مما يليق بجنابه الكريم ومعرفة حقهم بما لهم من التكرم
والنصفة وحسن الصحبة والمعاملة والاعتقاد وتنزيل كل منهم
منزلته للاقتدا بهم والاقتدا بهم فيما نحوا به من صالح هدي وسمت
ودل وانصفوا به من سكينة ووقار وحسن هيئة واستقامة نظر
وطريقة وقد كان يرحل الى عمر فينظر الى سمته ودله ليتشبه به وفي
الحديث الهدي الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة اي هذه

الخصال من شمايل الانبيا وهي جزء معلوم من اجزا افعالهم اذ النبوة تتجزا
ولا ان من جمع هذه الخصال فيه جزء من النبوة وهي كرامة من الله لا تنال
بكسب بل يكرم بها الله من يشا من عباده وفيها اهتدوا بهدي عمار اي
تهيأوا بهيأته وسيروا بسيرته وعن ابن مسعود ان احسن الهدي هدي
محمد وحسن الثنا عليهم والاستغفار لهم اللهم اغفر لهم وارحمهم
اذ هم الاحقا والاخصا بهما والامساك عما شجر اي وقع بينهم من الاختلاف
والتنازع لصدوره عنهم عن اجتهاد بكل فيه شبهة لها اعتقدت ه
تصويب فعلها وكان ذلك لمصالح دارها فمخطيهم له اجر ومصيبهم اجران
وفي الحديث اياكم وما شجر بين اصحابي ومعاداة من عاداهم اي اتخاذه عدوا
لمعاداته الله ورسوله بمعاداته لهم وهم اوليا الله وقد قال الله تعالى على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب ه
والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة بما نقلوه من الاختلاف بينهم
مما يوغر الصدور ويورثها حقدا وبغضا كالروافض وضلال الشيعة
ممن زعم متابعة علي ونصرته وصيرورته معه رد المخالفيه وهو بريء منهم
لاغراقهم فيه وعلى اصحاب رسول الله الكذب والتكفير مما اكابرهم والمبتدعين
لما هو في حيز الذم والانكار من البدع القادحة في احد منهم وحاشاه
عيبا ووصما بل يجب ان يلتمس اي يطلب لهم فيما نقل من ذلك مما كان بينهم
من الفتن وحسن التاويلات والمخارج اللائقة بهم اذ كلهم عدول لم يخرج
احد منهم عن عدالته ولم يتعرف قادحا فيه لانهم مجتهدون اختلفوا في
امور كما اختلف المجتهدون بعدهم في الاحكام الاجتهادية فلا يلزم من
ذلك نقص لاحد منهم ويخرج لهم مما كان بينهم من الفتن من حيز
التاويل اصوب المخارج والمحاسن المؤذنة بجميل وصفهم اذ هم اهل لذلك
واحقا به لان الله قد اثنى عليهم في مواطن كثيرة من كتابه ولا يذكر احد منهم
بسوء لانه من الفواحش وانه باجماع اهل السنة حرام يعزر فاعله وعن
بعض المالكية انه يقتل ولا يغمص بمعجمة ومهملة بينهما ميم اي لا يعاب
عليه امر يطعن فيه لحديث الله الله في اصحابي اي اتقوا ثم اتقوا في شانهم
فلا تنتقصوهم ولا تسبوهم بل عظموهم ووقروهم وفي الحديث لما
قتل ابن ادم اخاه غمص الله الخلق اي صغرهم وحقرهم فنقصهم طولا وعرضا
وقوة وبطشا بل نذكر حسناتهم وفضائلهم الجمة الشريفة وحميد
سيرهم الجزيلة المنيفة ويسكت عما ورا ذلك اي عن غيره مما لا يليق
بكريم مقامهم قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني وابن اسامه

المجتهدون

عن ابن مسعود اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي عن الطعن فيهم وذكرهم بما
لا ينبغي قال تعالى شاهدا بان من توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقيرهم
وبرهم بما يوذن بمدح الله وتعظيمه اياهم وثنائه عليهم محمد رسول الله
بيان لمحمد وهو خبر مبتدا محذوف اي هو لتشبيهه ذكره تقدم هو الذي ارسل
رسوله بالهدى او مبتدا والذين معه معطوف عليه خبرهما اشداء على
الكفار رحماء بينهم اي يغلظون على من خالفهم في دينهم ويتراحمون فيما
بينهم وشدة ذلك على المومنين عزة على الكافرين تراهم ركعا سجدا لاشتغالهم
بالصلاة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا من ثواب وحلول
رضى عليهم سيماهم التي تحدث في جباه وجوههم من اثر السجود فيها من
كثرته ذلك الذي وصفوا به او اشارة الى مبهم يفسره كزرع مثلهم اي
وصفهم العجيب الشان في التوراة والانجيل جميعا كزرع تمثيل مستانف
او تفسير للاشارة اخرج شطاه من اشطا الزرع اذا فرخ فراخه فازره
من الموازرة اي المعاونة اي شد ازره وقواه فاستغلظ اي صار بعد
دقته غليظا فاستوى على سوقه جمع ساق اي استقام على قصبه
قيل وفي الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر يعجب الزراع بكثرته وقوته وغلظه وحسن منظره
وهو مثل ضرب للصحابة وترقيهم في مبدا الاسلام من قلة وضعف
الى كثرة وقوة واستحكام حتى اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لما دل
عليه تشبيههم بالزرع من نمائه وترقيهم زيادة والكثرة والقوة او للعلة
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم من بيانية كما في فاجتنبوا الرجس
من الاوثان مغفرة واجرا عظيما فالكفار اذا سمعوا بذلك مع ما اعزهم
به في الدنيا من قهرهم وفتح ديارهم واخذ اموالهم وسبي ذراريهم
وحريمهم غاظهم ذلك وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار
هم من صلى الى القبلتين او من شهد بدرا او من اسلم قبل الهجرة والانصار
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا
سبعين ومن امن حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير والذين
اتبعوهم باحسان اي لاحقون لهم الى يوم القيامة رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم ورضوا عنه بما منحهم به من النعم الدينية والدنيوية
واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم
وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك بيعة الرضوان تحت الشجرة
على قتال قريش ولا يفرون وسببه انه صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية

بعث خراش بن امية الخزاعي رسولا اليهم بمكة فهموا به فمنعه الاحابيش
فلما رجع دعى عمر ليبعثه فقال اني اخافهم على نفسي لقلة عدي فيهم وما
بمكة من يمنعني ولكن ادلك على من هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان
بن عفان فبعثه يعرفهم انه لم يات لحرب وانما قدم زائرا للبيت معظما
لحرمته فوقروه وقالوا له ان شئت فطف به فقال ما كنت لاطوف
قبل ان يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم
فارجف بانهم قتلوه فقال صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم
يعني قريشا فدعا اصحابه للبيعة فبايعوه على ذلك تحت الشجرة وقال
من المومنين رجال كعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن
زيد وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير صدقوا ما عاهدوا الله
عليه من قتال اعداء الله وثباتهم مع رسوله من صدقني اي قال الصدق
في المعاهدة اذ وفي بعهده فقد صدق فيه فمنهم من قضى نحبه هو
في الاصل النذر استعير للموت لجامع وجوب القضاء اي الوفاء للزوم
الموت لكل حي كالنذر لمن نذر اي قضى موته تقاتل اعداء الله حتى قتل
شهيدا كحمزة ومصعب وانس بن النضر ومنهم من ينتظر ان
تقضى نحبه ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد وما بدلوا عهدهم
وما غيروه تبديلا ولقد ثبت معه طلحة يوم احد حتى اصيبت يده
فقال اوجب طلحة اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدل من اهل النفاق
ومرض القلوب وقد روي هنا سندا ما اذن بثناء رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهم وتعظيمه لهم من طريق الترمذي ورواه ابن ماجه ايضا
عن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين
من بعدي ابي بكر وعمر امر بطاعتهما متضمن ثناءه صلى الله عليه وسلم
عليهما بكونهما اهلا لان يطاعا فيما يامران به وينهيان عنه الموذن
بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما وايماء بانهما يكونان خليفتاه من بعده
وروى عبد بن حميد عن ابن عمر اصحابي كالنجوم بجامع الاهتداء اذ بها يهتدى
في غياهب الليل وبهم يهتدى الى محاسن الشريعة بايهم اقتديتم اهتديتم
لما اتصفوا به من انواع المحاسن الموذنة بالاقتداء بهم مما نالوه من بركته
صلى الله عليه وسلم وروى البزار وابو يعلى عن انس مثل اصحابي زاد البغوي في
المصابيح وشرح السنة في امتي كمثل الملح في الطعام بجامع الصلاح اذ
بهم صلاح الدين والدنيا كما لا يصلح الطعام الا به بحسب الحاجة الى القدر
المصطلح له وروى مسلم وغيره لا تسبوا اصحابي اضافة تشريف تؤذن

باحترامهم وزجر شانئهم ويعزر كما قاله الجمهور وقال النووي هو من اكبر الفواحش
والمصنف من الكبائر وبعض المالكية قال يقتل وهو حقيق بذلك فلو انفق احدكم
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم اي ما بلغ بانفاقه مد طعام احدهم ولا
نصيفه لغة في النصف اي نصفه لما قارنه من مزيد اخلاص وصدق نية وكمال
نفس وعظم موقع ما انفقه مع قلة ما عندهم وشدة احتياجهم الى المال والنفقة
فيه مع بذل مهجهم وارواحهم في مرضاته صلى الله عليه وسلم وقال فيما رواه الديلمي
عن عويم بن ساعدة وابو نعيم في الحلية عن جابر من سب اصحابي فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اي لعنة الطرد والبعد من رحمة الله واللعن السب والدعاء من
الخلق وفي الحديث ان امراة لعنت ناقتها في السفر فقال لها صلى الله عليه وسلم
ضعوا عنها ما عليها فانها ملعونة قيل انما امر بذلك لاستجابة الله لعنها وقيل
عقوبة لصاحبتها تحذيرا لها من ان تعود الى مثلها وليعتبر غيرها وفيه لايكون
المؤمن لعانا وفيه ان اللعانين لايكونوا شفعاء ولا شهداء يوم القيامة وفيه
ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابوابها دونها ثم تهبط
الى الارض فتغلق دونها ثم تاخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت
الى الذي لعن ان كان لها اهلا والا رجعت الى قائلها اجمعين تاكيد لمن ذكر
او للناس فقط اي كلهم لا يقبل الله منه اي ممن سبهم صرفا اي توبة او
نافلة ولا عدلا اي فدية او فريضة وقال فيما رواه الديلمي والبزار في
حديث جابر ان الله اختار اصحابي اي اصطفاهم على جميع العالمين في
لاتباعهم له والتنوير الذي انزل معه ونصرته واحياء دينه وبذلهم اموالهم
وانفسهم وافتنائهم به في جميع الاقطار كل ذلك ببركة حلول نظره صلى الله
عليه وسلم عليهم فهو خيرة الله من خلقه واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر
وعثمان وعليا لما منحوا من شريف المزية بكريم الافضلية فجعلهم خير اصحابي
وخيرهم بطريق الاولى وفي اصحابي كلهم خير من غيرهم لانهم من القرن الذين
قال فيهم صلى الله عليه وسلم خيركم قرني نحن خيرة الله من خلقه فالخيرة
بالفتح من اختار الله وبالسكون من خيرت بالرجل فانت خاير وخير وخاير
اسال الله اي اعطاك ما هو خير لك فهو صلى الله عليه وسلم خيرة من خلقه تعالى
لهما والاستخارة طلب الخيرة في الشيء روى الطبراني في الاوسط بمعاجمه
عن ابي سعيد الخدري بسند حسن من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر
فقد ابغضني لما اوتيه من كريم الشيم وعلو الهمم مما به التقدم بالافضلية
وهذه مزية له لايلزم منها تقدمه على ابي بكر وفيها ورد حديث من احب الناس
اليك قال عائشة قيل من الرجال قال ابوها ثم من قال عمر قال مالك بن انس

ابوابها م

وغيره من بغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق لعدم استطاعته
مع من ذكر في الاية ممن يستحقه لانه بذلك قد ابغضه صلى الله عليه وسلم
واذاه واذى الله ونزع بنون فمعجمة فمهملة اي بعد ما عن الايمان بشهادة حديث
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم
فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى
الله يوشك ان ياخذه واما عن الفيء فلا حق له فيه باية الحشر وهي والذين
جاؤا عطف على المهاجرين وللفقراء الذين جاؤا المهاجرين من بعدهم حين قوي
شان الاسلام او هم التابعون باحسان الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا في الدين الذين سبقونا بالايمان اي امنوا قبلنا ولا تجعل في قلوبنا
غلا اي حقدا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم تجيب دعانا وقال اي
مالك بن انس من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى شاهدا لما
قاله من كفر من غاظه ليغيظ بهم الكفار علة كما مر لما دل عليه تشبيههم
بالزرع من نمائهم مترقين في كثرة وقوة واستحكاما لشانهم تحببا تعجب
الناس وغاظ الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان اي صفتان كريمتان
من كانتا فيه نجا من كل سوء وصم تسميه الصدق لانه كما في الصحيحين يهدي الى
البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى
يكتب عند الله صديقا وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لان به سعادة
الدارين المودة فيها وقيل من ابغضهم قال ايوب السختياني من احب ابا بكر
فقد اقام الدين لاستقامته الدين به بعد تزلزله بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم
وارتداد العرب وانى ضد النفاق وانفراج مسافة الخلاف بين القول
والعمل ونزل به ما لو نزل بالجبال لهاضها فحمل من اعباء الخلافة ما عجز عنه غيره
فقاتلهم حتى رجع منهم وقتل من قتل ومن احب عمر فقد اوضح السبيل
اي بينه اتم بيان لايشوبه شيء اذ به ظهر الاسلام وفاض الدين فاتسع في
الاقطار وقضى منه الاوطار ويشهد له حديث الشيخين بينا انا نائم رايتني
على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع بها
ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غربا
اي انقلبت الدلو من الصغر الى الكبر اي عظمت فاخذها ابن الخطاب فلم ار
عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن هذا تمثيل وتصوير
لكثرة الفتوحات في خلافته لطول مدتها بخلاف مدة خلافة ابي بكر فانها
لقصرها قلت فيها الفتوحات ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله الذي
اتاه الله اياه من نور هدايته ويشهد له تلقيبه بذي النورين وحديث الترمذي عن

مرة بن كعب قال سمعت من رسول الله وذكر الفتن فقربها فمر رجل مقنع بثوب فقال
هذا يومئذ على الهدى فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان ومن أحب عليا فقد
أخذ بالعروة الوثقى لحديث مسلم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق ومن أحسن
الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق إذ بنورهم وبهديهم
يهتدي وبسمتهم يقتدي ولما تلي عليك من الآيات والأحاديث المفصحة بالثناء
عليهم والنهي عن سبهم وبنكال من صدر منه شيء من ذلك ومن أبغض أحدا
منهم فهو مبتدع ضال لمخالفته إلى ما نهى الله عنه ورسوله مما هو في حيز
الذم والإنكار مخالف ببدعته الشنيعة للسنة والسلف الصالح
وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء لعدم اعتصامه بالكتاب والسنة
حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما مما يضمر لهم من بغض ونفاق وبغض
وسوء اعتقاد مما يرديه وربما أدخل عنقه في ربقة الكفر وروى الطبراني في
وابن منده في حديث خالد بن سعيد بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن مناف
أسلم خامس خمسة أو رابع أربعة أو ثالث ثلاثة قيل أسلم قبل أبي بكر وقيل غير
ذلك وليس به وإن زعمه المصنف بل هو ابن أخيه خالد بن عمرو بن سعيد بن العاصي عن سهل
بن يوسف بن سهل بن مالك أخي كعب بن مالك الأنصاري عن أبيه عن جده سهل
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس إني راض عن أبي بكر بن أبي قحافة عن عمرو بن
عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة فاعرفوا له ذلك أي رضاه تعالى عنه وأفردوه
عن من ذكر بعده بلوغا بفضله عليهم أيها الناس إني راض عن عمر بن الخطاب
بن نفيل وعن عثمان بن عفان وعن علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله
والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد
الرحمن بن عوف الزهري فاعرفوا ذلك لهم أي رضاه تعالى عنهم وأقدروهم
حق قدرهم ولم يذكر صلى الله عليه أبا عبيدة مع كونه عاشرهم لدخوله في عموم
أصحابه مع قوله صلى الله عليه وسلم فيه أبو عبيدة أمين هذه الأمة أيها الناس إن
الله غفر لأهل بدر والحديبية لبذلهم أنفسهم وأموالهم لله ورسوله وقال
يا أيها الناس احفظوني في أصحابي أي راعوني وارقبوني فيهم وكفوا الألسن
عن أن تعصوهم بما لا يليق بهم إذ تقعوا فيهم بلوم وتعنيف يقال وقع فيه
إذا قذفه وعابه ووقع به وفيه إذا لامه وعنفه واحفظوني في أصهاري
وأختاني أراد صلى الله عليه وسلم كما هو المتعارف من أن الأصهار أبا زوجته
أبو بكر وعمر وأبو سفيان بن حرب وضرار بن الحارث وأن الأختان أزواج بناته

عثمان وعلي وأبو العاصي بن ربيع بن عبد شمس ومنه قولهم ختن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأما عند العرب فالأختان من كان من قبل المرأة
كأبيها وأخيها والأصهار من كان من قبل الزوج وسئل سعيد بن جبير وسئل
سعيدا ينظر الرجل شعر ختنته فقرأ ولا يبدين زينتهن الآية ثم قال لا أراه فيهن
أراد بالختنة أم زوجته وفي الحديث أن موسى صلى الله عليه وسلم آجر نفسه بعفة
فرجه وشبع بطنه فقال له ختنه أن لك من غنمي ما جاءت به قالب لون أي ما جاء
على غير ألوان أمهاتها كأن لونها قد انقلب أراد بختنه أبا زوجته شعيبا صلى
الله عليه وسلم لا يطلبنكم أحد منهم بمظلمة بكسر اللام من الظلم وهو
الجور وبالفتح اسم ما يأخذه الظالم فإنها مظلمة لا توهب يوم القيامة
غدا أعتنا من الله بهم وخزايا وهوانا نطالبهم وقال رجل للمعافى بن عمران
ابن عمر بن عبد العزيز بن معاوية أي أين تذهب أيهما أفضل فغضب من
قوله لما لاح له منه من إضمار أفضلية بن عبد العزيز على معاوية وقال لا يقاس
على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد لخيرتهم على من بعدهم لتشبه ده
حديث الديلمي والبزار أن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين أي اصطفاهم عليهم دونهم وحديث الشيخين خير أمتي قرني ثم (الذين يلونهم)
الذين يلونهم معاوية صاحبه وصهره هذا وأيلنا التشرف بما لهما
منقبة تسوغه فيها تمنا قتل المتنا فسوق وروى الترمذي عن جابر وضعفه
أتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض
عثمان فأبغضه الله لحرمان بركة صلاته صلى الله عليه وسلم عليه ودعائه
المستجاب فكان ذلك هلاكا وروى ابن شاهين عن أنس قال صلى الله عليه
وسلم في الأنصار اعفوا عن مسيئهم وللبخاري وصى الخليفة من بعدي
بالمهاجرين والأنصار أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم أي
ما فرط منه من زلة واقبلوا من محسنهم حذف مفعوله لتعميمه له وروى أبو
نعيم والديلمي عن عياض الأنصاري وابن منيع عن أنس قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم احفظوني في أصحابي وأصهاري تقدم بيانه فإنه ضمن
اللسان بنفسه من أي قال من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة
أي منعه من كل ضر يصيبه فيهما ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه أي
أعرض عنه وتركه في غيه يتردد ومن تخلى الله منه يوشك أي يسرع أن
يقرب أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر لا يغالب ولا يعجزه شيء وروى
سعيد بن منصور عن عطاء بن أبي رباح مرسلا قال صلى الله عليه وسلم
من حفظني أي راعاني وراقبني فيهم فكف عنهم كنت له حافظا أي كما تعا

له من كل سوء يوم القيامة وروى الطبراني بسند ضعيف من حفظني في اصحابي
ورد علي الحوض اي حوضه يوم القيامة ليستقيه منه ومن لم يحفظني
فيهم لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد وفاته بركة قربه
وعنايته سيما في ذلك اليوم المشهود ذا الشديد الهول هذا وما رواه هنا عن
مالك وكعب وسهل بن عبد الله التستري غني عن البيان مع تقدم ما يزيده
وضوحا وحديث مسلم عن عائشة يخرج في جوف الليل وحديث كعب بن سعد
ليس يوم من الحمد الا له شفاعة فضل ومن اعظامه اي تعظيم قدره فوق
قدر غيره واكباره اي اعظامه مجاوزا اعظام غيره اعظام جميع اسبابه جمع
سبب وهو في الاصل الحبل يتوصل به الى الماء استعير لكل ما يتوصل به الى
الشيء قال وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات واريد به هنا ما حصل
له صلى الله عليه وسلم من الوصل بالزواج لشهادة حديث كل سبب ينقطع
الا سببي ونسبي واكرام مشاهده التي يذكر فيها بصيانتها من اللغو ورفع
الصوت اذ رفعه عند ذكره وقراءة حديثه كرفعه على صوته صلى الله عليه
وسلم قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذ حرمته
صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وامكنته من مكة كبيت خديجة مهبط
الوحي ودار الارقم بن الارقم وغار حرا وثور ومولده ومن المدينة كمسجده
وبيوته ومواطنه التي كان يالفها منهما واكرامها احياؤها بالزيارة وتعظيمها
بحفظها من الامتهان وما لا يليق بها واكرام معاهده التي كان يتعاهدها
كقبا اذ قد ورد انه كان يزورها كل سبت وما لمسه اي مسه صلى الله عليه
وسلم او عرف به مما يمكن اكرامه وتعظيمه الان وروي عن صفية بنت نجدة
بنون فجيم مهملة ولا ادري من خرجه قالت كان لابي محذورة موذنه
صلى الله عليه وسلم بقيا قصة بقاف مضمومة فمهملة مشددة ما اقبل على
الجبهة من شعر الراس وكذا قال ابن دريد كل خصلة من الشعر وكذا قال
الجوهري هي شعر الناصية في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
اي وصلت اليها فقيل له اي لابي محذورة الا تحلقها فقال لم اكن بالذي
احلقها اتى التكلم على الغيبة مع انها هنا بالقياس بشهادة عود الضمير
الى الذي ولفظه لفظ الغائب ايثارا لتغليب التكلم عليها لان الذي
وان كان بلفظها هو في المعنى عبارة عن التكلم وقد مسها رسول الله صلى
الله عليه وسلم بيده ترك حلقها حذرا من سلبه بركة مس يده وكانت في
قلنسوة بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين هي ما تسمى الان
قبعا خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم

فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها اي على قلنسوته اي لاجلها حذرا
من ضياعها شدة واحدة من الشدات عظيمة قتل الكثير ممن كان معه فعيب انكر عليه
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة مفعول لاجل انكارهم عليه شدته اي لاجل من
قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة اولا وبالذات بل ثانيا وبالعرض لما تضمنته
من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها من السلب بسكون اللام وهو
اخذ احد القرنين سلب قرينه بفتحتين فعل بمعنى مفعول اي مسلوب في الحرب من
احدهما للاخر مما يلبسه من ثياب وغيرها استعارة لما يذهب به عنه من بركة
شعره صلى الله عليه وسلم بذهابه في قلنسوته فيحرمها وتقع في ايدي المشركين ورأى
ابن عمر كما رواه ابن سعد عن ابرهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري واضعا يده على مقعد
النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه اكراما لمعاهده وتبركا باماكنه
وما عرف به او لمسه ولهذا اي ولكونه يتبرك باثاره صلى الله عليه وسلم كان مالك
لا يركب بالمدينة دابة تعظيما لاثاره صلى الله عليه وسلم واكرامها وكان
يقول جوابا لمن ساله عن ذلك استحيي من الله فانقبض وانزجر وكف عن ان اطا
تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة هيبة له ووقارا وروي انه
اي مالكا وهب للشافعي كراعا بكاف مضمومة فراء مخففة اي خيلا كثيرا كان
عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل ذلك الجواب اي استحي
ان اطا تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي الامام الجليل عن احمد بن فضلويه الزاهد من الزهد وهو التقلل من الدنيا
وتقاله ان هذا انا نقلل منها وسئل الزهري عن الزهد فقال ان لا يغلب
الحلال شكره ولا الحرام صبره اي لا يعجز شكره عن ما رزقه الله من الحلال
ولا عن ترك الحرام وكان احمد بن فضلويه من الغزاة الرماة للسهام اعتراض
اي ذو وصفه بكونه غازيا راميا انه قال ما مسست بكسر المهملة الاولى
وقد تفتح يقال مسسته امسه مسا وفي لغة مسته بحذف الاولى ونقل
حركتها الى الميم وقد لا تنقل فتبقى مفتوحة كظلت في ظللت وقد تقدم
في حديث ابي هريرة لو رايت الغول تحرش اي تجمع بين لابتيها ما مسستها اي
لمست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني انه صلى الله عليه وسلم اخذ
اي تناول القوس بيده هذا وابلغ الادب وقد افتى مالك فيمن قال تربة
المدينة ردية بهمز وقد لا تهمز تخفيفا اي خبيثة بضرب ثلاثين
درة تمييز وتبين له التعزير وامر بحبسه وكان له اي للذي افتى فيه واوجب
ذلك قدر وخطر عظيم ووجاهة بين الناس وقال اي مالك ما يحوجه
بحكم المعجبة الا عظم موقع تشبيه وتخفيفه وهو شيء عظيم من الحب بعينا

يعني المحل صح
وهو م

ضمير نبه عليه قوله تربة المدينة رديه اوجعوه الى ضرب وحبس تزيد فيها دفن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بزعم انها غير طيبة وذلك مبالغة في زجره ليكف هو
وامثاله اذ لا يشك من له مسكة بالاسلام ان تربته صلى الله عليه وسلم التي دفن
فيها اشرف تربة وافضلها واطيبها هذا وبالمدينة اماكن كثيرة سبخة يحمل قوله
عليها تفاديا من ضربه وحبسه وفي الصحيح عند الشيخين عن علي وانس قال صلى
الله عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا منكرا مبتدعا غير مرضي
ولا معروف او آوى محدثا بكسر الدال اسم فاعل اي ضم اليها جانيا واجاره
ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه وقد تفتح فيكون نفس الامر المبتدع
وايواؤه الرضى به والصبر عليه فمن رضي ببدعة واقر فاعلها عليها ولم ينكرها
فقد آواها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
اي توبة ولا عدلا اي نافلة وحكي ان جهجاه الغفاري اخذ قضيب النبي صلى
الله عليه وسلم من عثمان وقد تقدم بيانه وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
مالك وابو داود والنسائي وابن ماجه عن ابي هريرة من حلف على منبري يمينا
آثمة فليتبوأ مقعده من النار تهديد شديد ومبالغة في الوعيد لانه لما امتنع
اجراء الامر على اصله توجه بمعونة قرينة الحال الى معنى الخبر واعرف لازم الحلف
عليه كذبا فتوعده لتهديد زجرا عن الحلف عليه كذبا كما زجر به من كذب عليه
متعمدا وان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم
شبه وصوله اليها بورود الشاربة موردة الماء ثم اشتق منه ورد فجرت الاستعارة
في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية او شبه المدينة على طريقة الاستعارة المكنية
بالموردة واثبت الورود تخييلا فصار لتحقيق البلاغة تناسي التشبيه صرحا
للنفس عن توهمه وقرب من بيوتها ترجل عن دابته ومشى باكيا منشدا حالان
متداخلتان من ضمير مشى والبيتان اللذان انشدهما من الطويل عروضهما
مقبوضة وضربا هما صحيحان ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا اي قلبا
لعرفان الرسوم ولا لبا اي عقلا شوقا اليه وتلهفا على رؤية معالمه اذ كونه
قد هشمنا من رؤية هذه معالمه نزلنا عن الاكوار جمع كور بالضم رحل الناقة باداته
كالسرج بالنسبة للفرس نمشي حال من ضمير نزلنا كرامة مفعول من اجله للمشي لمن
بان عنه اي ظهر لنا ان نلم به ركبا من اسماء الجمع كنفر ورهط او جمع راكب كصحب
جمع صاحب فهو تمييز او حال من ضمير نلم اي راكبين وانشا اي بعض
المريدين يقول متمثلا حالان من ضمير انشا متداخلتان والابيات من الكامل
وعروضها صحيحة وضربها مقطوع رفع الحجاب لنا الذي كان بيننا وبين من قصدنا
حبا بحضرته وكشف عنه فلاح اي لمع مضيئا لناظري قمر تقطع دونه الاوهام

المطي

حذفت احدى تائيه تخفيفا اي تتقطع وتضمحل لسطوع نوره بكمال ظهوره واذا
جمع مطية وهي التي تركب مطاها اي ظهرها ويقال يمطى بها في السير اي يمد
بنا بلغن محمدا صلى الله عليه وسلم فظهورهن على الرحال بالمهملة جمع رحل
البعير ذكرا او انثى وهو الكور كالسرج للفرس كما مر حرام مكافاة لهن على
ايصالهن لنا الى اشرف مخلوق صلى الله عليه وسلم قربتنا من خير من وطئ
الثرى اي التراب فلها علينا حرمة وذمام اي عهد وامان وحق وحفاظ
وكلاءة وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك حذرا عليه
من النصب اي الحج على هذه الحالة فقال العبد الآبق من ابق يابق ويابق
ضما وكسرا اي الهارب ياتي الى بيت مولاه راكبا كلام تضمن استفهاما انكاريا
نسج على منوال النفي الفعل في ضمن انكار المبتدا اي ما العبد الآبق يليق به اتيان
بيت مولاه راكبا فيتولد منه نفي اتيانه راكبا بطريق اللزوم اذ انكار الملزوم ان
الاتخاذ يستلزم ماخوذا وهو منفي يلزم من نفيه نفي لازمه كما في اغير الله اتخذ
وليا اذ قد انكر فيه غير الله فتولد منه نفي الاتخاذ على وجه برهاني هو ان
الاتخاذ يستلزم ماخوذا وهو منفي يلزم من نفيه نفي لازمه وفي آلذكرين
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اذ قد انكر فيه مادة
التحريم بينهما فلزم بانكاره نفي التحريم اذ بانتفاء الملزوم انتفاء لازمه لو قدرت
ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي هذا وامثاله هو الحال الصادق والادب
الفائق وجدير خبر مقدم اي حقيق لمواطن بمكة والمدينة عمرت بالوحي
والتنزيل من عطف بعض العام عليه لفضله حتى كانه ليس منه اي القرآن
وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت من العروج وهو الصعود اي صعدت
منها الملائكة في معارجها الى السماء والروح الامين جبريل من عطف بعض افراد
العام عليه حتى كانه ليس منه تلويحا بمزيته بفضله عليه وضجت اي صوتت
عرصاتها جمع عرصة ما وسع من المكان اي اماكنها او اوسعه بالتقديس
اي التطهير والتنزيه والتسبيح مصدر تسبيح اي قول سبحان الله واشتملت
تربتها على تربة سيد البشر بتنزيهها من الاشتمال لغة الشملة وهي
كساء يلتف فيه ويتغطى به شبه ضمها لجسمه الشريف بالاشتمال ببردة
ثم اشتق منه اشتمل فجرت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت منه الى
الفعل تبعا وانتشر عنها اي عن تلك المواطن من كتاب الله ودينه وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم مما به نظام الحياة الدنيا ونجاة الآخرة ما انتشر
مما لا يعلمه الا الله لان ما من الكلم الجوامع فمن تلك المواطن الشريفة مدارس
آيات بيان للمواطن او بدل منها او خبر مبتدا محذوف جمع مدارس مفعلا من الدرس

وهو مكانه واستغرب في المكان وفي الحديث تدارسوا القرآن اي تعهدوه وتلاوته
تقادرا بما من ان تنسوه واما حديث فوضع المدراس يوم على ابدا الرجم فاذا يده فيه صاحب
دراسة كتب يهود **ومساجد** جمع مسجد بالكسر اسم لمواضع السجود وهو وضع
الجبهة فيه خاضعا ولا خضوع اعظم منه **وصلوات** جمع صلاة وهي شرعا العبادة
المخصوصة ولغة اما الدعا فتسميتها شرعا ببعض اجزائها او التعظيم فتسميتها
بها لما فيها من تعظيم ربنا تعالى وفي التشهد الصلوات لله اي الادعية التي
يراد بها تعظيمه تعالى هو مستحقها لا يليق لغيره وقولنا اللهم صل على محمد معناه
عظمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار كلمته وابقاء شريعته وفي الاخرة بتضعيف
اجره وتشفيعه في خلقه وقيل لما امرنا الله عليه ولم نبلغ قدر الواجب له صلى الله
عليه وسلم من ذلك احلناه على الله تبارك وتعالى فقلنا اللهم صل انت على محمد لانك
اعلم بما يليق به **ومشاهد الفضائل** جمع فضيلة بحذف المضاف اي
اصحابها اذ كانوا في النهاية من الاتصاف بانواعها من بيان التشريعة والعلوم
والتعاضد والتناصف نصرة للضعيف والغريب كما كان بمكة ايام جرهم
وقام به الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة والفضل بن فضالة **والخيرات**
جمع خير وهو ضد الشر وفي الخيرات فانت خير وخير والخير بسكون الياء
اسم من خار بمعنى اعطى وبالفتح من اختاره الله ومحمد صلى الله عليه وسلم
خيرته من خلقه بالفتح والسكون **ومعاهد البراهين** جمع برهان وهو
ما يفيد اليقين مركبا كان على ما يقوله علما الميزان او غير مركب كما ظهر على
يديه صلى الله عليه وسلم **من الايات والمعجزات** الخارقة للعادة من عطف
الخاص على العام لمزيد فضله عليه وهي جمع معجزة بمنزلة برهان قاطع كلا
يعارض **ومناسك الدين** جمع منسك وهو ما امر به الشارع ومنها امور الحج والمنسك
بفتح مهملته وكسرها هو المتعبد بفتح البا ويتسع على الطاعة والعبادة وكل ما
تقرب به الى الله وعلى المصدر والزمان والمكان ولو للذبح وقد نسك ينسك
نسكا اذا ذبح والنسيكة الذبيحة **ومشاعر المسلمين** جمع مشعر اي
معالمهم التي ندبها الله لها من فعل واجب وترك حرام وغيرهما مما حث على
القيام به **ومواقف سيد المرسلين** جمع موقف اي اماكنه التي كان يتعهدها
للارشاد الى سبل الخيرات والفوز برفيع الدرجات في غزواته وخلواته
ومتبوء خاتم النبيين اي منزله صلى الله عليه وسلم **حيث انفجرت النبوة**
اي ظهرت ظهورا تاما فشبه ظهورها بالانفجار عن ما عذب فراتا ثم اشتق
منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر اصالة ثم جرت في الفعل تبعا
او شبه النبوة على طريقة الاستعارة المكنية بعين ما انفجرت اي انفتح

فنفع ماؤها واثبت لها الانفجار تخييلا لانها من جنسها تناسبا للتشبيه وصرفا
للنفس عن توهمه واصل حيث للزمان ثم استعير للمكان كثيرا **و** من مكة
فاض عبابها اي سال عذبها الغمر وانبث فلم يغادر موطنا الا غشيه ن
قسمه الاتي منه صلى الله عليه وسلم به من كل زوج كريم ونفع عميم بعض
عذب عمر ثم اشتق منه فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل
تبعية وعن علي يمدح ابا بكر طرت بعبابها وطرت بحبابها اي سبقت الى
الاسلام وادركت معظمه وشربت صفوه وحويت فضايله كذا اورده
الهروي والخطابي وغيرهما وهو الوجه لو ساعده النقل لوروده بخلافه فقد
روى اسيد بن صفوان لما توفي ابو بكر جا علي يمدحه فقال في مدحه طرت بغنائها
بمعجمة ونون وفزت بحبائها بمهملة مكسورة وباحية رواه الدارقطني
من طرق فيما قاله القرابة في الصحابة وفي المؤتلف والمختلف وابن بطة في
الابانة **ومواطن مهبط الرسالة** من مكة اي اماكن انزالها او نزولها ه
تمامه ن **واول ارض مس جلد المصطفى ترابها** تلميح الى قوله ، بلاد بها نيطت على
واول ارض مس جلدي ترابها **ان تعظم عرصاتها** جمع عرصة وفي الاصل كل
بنا واسع لا بنا فيه اي تعظيم اماكنها وهو المبتدا المقدم خبره لمزيد
تشوق السامع اليه ومن ثم طول الكلام في المسند تحسين كل الحسن
اذ بازدياد التطويل ازدياد الحسن كما ان بزيادته ازدياد التشوق ومنه
ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها ، شمس الضحى وابو اسحق والقمر ،
وتتنسم بالبنا للمفعول اي تتنشق وتشم **نفحاتها** جمع نفحة من نفح الطيب
اذا فاح ن وفي الحديث ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا
لها ، وفيه تعرضوا لنفحات رحمة الله ه شبه تلك المواطن لما ورد بها
من بركاته صلى الله عليه وسلم وبركات الوحي ومن نزل به بذي رائحة طيبة
استعارة مكنية واثبت لها النفحات تخييلا فكان تلك البركات نفحاتها ه
ربع دهرهم **وتقبل ربوعها** جمع المنزل دار الاقامة وفي حديث فتح مكة وقد قال له صلى
الله عليه وسلم اسامة بن زيد اين تنزل غدا يا رسول الله وهل ترك لنا عقيل
من رباع جمع ربع ايضا **وجدرانها** جمع جدار وهو ما يحاط به عليها هذا
ولما اراد ان يبين ما عندهم من لوعة الاحتراق ، وتزايد الاشواق الى
الى تلك الربوع تريد اهلها ساكنيها بني الخطاب على تشبيهها بهم منزلا
لها منزلة مميز عاقل تنادي بنداء فما لمنادى لها في ابيات من بحر الكامل
وضربها ن من عروضه الاولى الصحيحة وضربها الثاني مقطوع **يا دار خير المرسلين** تلميح الى
حديث البخاري انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر **ومن به هدي الانام**

اي الخلق وكل ذي روح وخص بالايات البالغة والمعجزات الباهرة عندي
لاجلك لوعة من لاع يلوع ويلاع لوعا اي شدة حب وحرقة وصبابة
اي رقة شوق من صبا اليه اي مال وعن النخعي كانوا يحبون ان يكون للغلام صبوة
لانه اذا تاب يرعوي فربما كان ارعوآؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه
على ما فرط وابعد له عن ان يعجب بعمله او يتكل عليه وعلي عهد اي وثيقة والتزام
ان ملات محاجري اي نواظري من تلكم الجدرات والعرصات تعدم بانه
لا عفرن مصون شيبي اي لالوثنه بترابها بتقليبي له بينها اي بين العرصات
من كثرة التقبيل والرشفات جمع رشفة وهي مص اللحب ريق محبوبه لولا
العوادي جمع عادية بمعنى عادي من الاعتداء وهو الظلم المجاوز للحد
والاعادي جمع عدو من العداوة زرتها اي تلك العرصات ابدا دائما في
كل وقت امكن ولو كانت زيارتي لها سحبا على الوجنات جمع وجنة وبني على الخد
لكن اداة استدراك تتوسط بين متغايرين ثبوتا ونفيا لفظا او معنى كما هنا
اذ اولها منفي معنى استدراك لفوائد ما افاده قوله ساهدي من حقيق تحيتي
من اضافة الصفة الى موصوفها وتقدمها عليه اخلعت عن تبعيتها له وصارت
كالجوامد اسما غير صفة واضيفت اليه للبيان اذ هو بالاضافة الاصل اضافة
الشي الى جنسه الذي يختص به والتحية في الاصل مصدر حياك اخبار من
الحياة ثم استعمل للدعا بها ثم لكل دعا ثم غلبت في السلام اي تحيتي الحافلة اي
الكثيرة لقطين تلك الدار من قطن بالمكان اذا الزمه وفي حديث الاوس اضحى نحن
قطين الله اي سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زيد بن حارثة
فاني قطين البيت عند المشاعر والحجرات جمع حجرة وهي بيت صغير من الدار
منفرد اذكى تحية اي اهدي له من كثير تحيتي له ما هو اشد واقوى من المسك
المغتنق بمثناة فوقية مشددة من فتق المسك اذا خلطه بغيره ليتكون رائحته
تشبيه ما اهدى له من كثير تحيته بمسك مفتق على طريقة الاستعارة المكنية واثبت
له الذكي تخييلا وتشبيه كثرتها بذكائه وادخاله في جنس الذكي مبالغة في التشبيه
والجامع انتفاعه بنفعه ثم اشتق منه اذكى فجرت الاستعارة في المصدر اصالته
وفي اسم التفضيل تبعية نفحة تمييز للنسبة في اذكى ازيل عن اصله للتفضيل
بعد الاجمال ليكون اوقع في النفس اي اهدي له ما هو اعم نفعا منه تغشاه
اي تحل بركاته بالاصال جمع اصيل من بعد العصر الى المغرب والبكرات
جمع بكرة اول النهار الباب الرابع من الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم والتسليم مصدر سلم كالتكليم مصدر كلم يرد كذلك
موكد الفعله بمنزلة تكريره لتحقيق معنى التاكيد كما في ويسلموا تسليما اي ينقادوا

ينقادوا وفرض ذلك وفضله قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي
من جمع صل الجمع والضم ومنه ان المصلي من شانه ان ينعطف في ركوعه وسجوده
فاستعير لمن ينعطف على غيره حنوا ورافة كعائد المريض ينعطف والمراة تحنوا
على ولدها ثم كثر حتى استعمل فيه ومنه حديث خير نساء ركبن الابل نساء قريش احناه على ولد وارعاه
على زوج في ذات يده وقول ورقة اذ كان يمر على بلال وعقبة بن معيط يعذبه والله
ان قتلتموه لاتخذنه حنانا ثم كثر حتى استعير للرحمة والرافة اي ان الله يترحم
ويتراف عليه صلى الله عليه وسلم وملائكته يدعون الله ان يصلي عليه اي
يقولون اللهم صل عليه فعبر بكونهم مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة
والرافة يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اي ادعوا له بان يرحمه
ويراف عليه اي قولوا اللهم صل عليه وسلم واكد فعل التسليم دون فعل الصلاة
بها لان التاكيد بان واسمية الجملة وباعلام الله وملائكته يصلون عليه وقد
تقدم في الجملة فاكتفى به ولا كذلك التسليم فحسن تاكيد فعله به وقد اتى
يصلون المؤذن بالاستمرار التجددي لكونها بان صلاته تعالى وصلاة ملائكته
مستمرة دائما متجددة وقتا فوقتا هذه وانك الخاصة التي لم يشاركه
بها غيره والشرف الذي لا شرف فوقه وقال ابن عباس معناه ان الله وملائكته
يباركون عليه اخذا من حديث تعليم الصلاة عليه ومعنى بارك على محمد وعلى ال
محمد اثبت وادم ما اعطيته من التشريف والتكريم وقد يراد بالبركة الزيادة
وما ذكرهنا عن الائمة فمعناه قريب مما ذكر فلا نطول بذكره وعطفه في
حديث تعليم الصلاة عليه وبارك على صل موذن بمغايرة بينهما كما ذكرنا
وفي معنى الصلاة عليه صلى الله وسلم عليه ثلاثة وجوه جمع كثرة استعمله
في جمع القلة مجازا احدها السلامة لك ومعك لانها الاصل يقال
سلم يسلم سلامة وسلاما وقيل للجنة دار السلام لانها منح السلامة
من الافات ويكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة لانهما مصدرا
ومعناهما واحد الثاني من وجوه معنى السلام ان السلام بمعنى المسالمة
مصدر وصف به مبالغة في وصفه كونه تعالى سليما مهيمنا على حفظك
ورعايتك فانت بمراى منه ومسمع متول له اي لحفظه ورعايته وكفيل
اي ضمين زعيم ويكون هنا اي في الوجه الثاني السلام اسم الله ذي
السلامة من كل نقص الثالث منها ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد
له اي الاذعان وترك مخالفته كما قال تعالى فلا وربك اي فوربك لا مزيدة
فوربك لتاكيد القسم لفظا قال لا يؤمنون جواب
القسم لانا سوا النفي والاثبات في زيادتها للتاكيد كما في فلا اقسم بما

تبصرون وما لا تبصرون بأبي ذلك حتى يحكموك فيما شجر بينهم من التنازع
والاختلاف ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا أي ضيقا مما قضيت أي حكمت
به أو من حكمك ويسلموا أي ينقادوا ويذعنوا لما حكمت به تسليما مصدر
مؤكد لفعله بمنزلة تكريره أي وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريب فيه
فصل اعلم خطاب بصيغة الأمر لكل من يتأتى توجهه إليه سد مسد
معموليه أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض خبر أن وما بين
اسمها وخبرها اعتراض آذن بالدعاء له صلى الله عليه وسلم ترحما وترضيا فالصلاة
عليه في الجملة غير محدود بوقت من الأوقات لأمر الله بالصلاة عليه علة
لفرضها في الجملة وحمل عطف على مدخول لام العلة أي ولحمل الأئمة والعلماء له
أي لأمر الله على الوجوب وأجمعوا عليه أي على الوجوب أو على الحمل عليه وحكى أبو
جعفر محمد بن جرير الطبري الشافعي أن محمل الآية عنده أي عند أبي جعفر
على الندب وادعى فيه أي في أن محملها على الندب الإجماع ونوزع فيه ومن ثم
قال ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه مبتدأ أو هو اسم فرع على مستحق
فلامه اسم موصول هو صلته الذي يسقط به الحرج ويسقط به مأثم
مصدر ميمي أي الإثم الذي يترتب على ترك الفرض مرة بالرفع خبر المبتدأ
إذ لا تتوجد الماهية المطلوبة بالأمر بأقل منها فيحمل عليها كالشهادة
له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة لوجوبها علينا واحدة إذ لا تحقق
ماهية المأمور به في مثل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله الآية وما
عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله أي علاماتهم
وجمعه شعر مثل كتاب وكتب وعن عائشة كان [illegible] في شعرنا وفي حديث
آخر كان لا يصلي في شعرنا ولحفنا إنما لم يصل فيها تباعدا من أن يكون فيها
أصابتها نجاسة كدم حيض وغيره إذ طهارة ما يصلى فيه شرط لصحتها بخلاف
النوم قال ابن القصار من المالكية المشهور عن أصحابنا أن ذلك أي ما ذكر
من فرض الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجب في الجملة غير موقت بوقت
معين على الإنسان وفرض على أن يأتي بها مرة من دهره إذ يخرج عن عهدة
الأمر مع القدرة على ذلك أي على الإتيان بها إذ هي شرطه وقال أبو بكر
بن بكير منهم أيضا افترض الله من الفرض وهو القطع يقال فرض يفرض
فرضا وافترض يفترض افتراضا وهو الواجب معنا عند الشافعي واحد
وآكد من الواجب عند أبي حنيفة أي أوجب على خلقه أن يصلوا على نبيه
ويسلموا تسليما مصدر مؤكد لفعله كما مر ولم يجعل ذلك بوقت أي في وقت
معين إذ اللام في باب الجر من أخوات في نائبة عنها هنا كما في فطلقوهن لعدتهن

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة في أحد قولين فالواجب أن يكثر المرء أي الرجل
وجمعه الحسن ورؤبة على مرءون ويقال مرء وامرؤ كما يقال مرأة وامرأة
ومرء منها أي يكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تكريما له وتعظيما ولا يغفل
عنها ولا يستغل بقدر الإمكان ومما نقله هنا عن ابن نصر وما حكاه عن ابن سعيد
عن مالك وغيره يفيد معناه ما مر في نظائره وقال أصحاب الشافعي الفرض
منها أي من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الذي أمر الله به في تنزيله وأمر به
رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته وهو في تشهد الصلاة عقبه قبل سلام م
التحلل بتبعية حديث أبي مسعود البدري في صحيحي ابن حبان والحاكم أما السلام
عليك يا رسول الله فقد عرفناه أي فيما علمتنا من تشهد الصلاة وهو السلام
عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في
صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد إلى آخره زاد ابن ماجه وغيره والسلام كما
قد علمتم وحديث ابن مسعود فيما رواه ابن أبي شيبة وسعيد بن منصور
والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل في الصلاة ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يدعو لنفسه بعد وحديث ابن عمر فيما رواه العزى بسند جيد لا تكون صلاة
إلا بقراءة وتشهد وصلاة علي وحديث الشافعي في كتابه الأم البرة عن كعب
بن عجرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وآل
محمد إلى آخره وإنما خص وجوب الإتيان بها بينهما لأنه صلى الله عليه وسلم
كما قال البيهقي كان قد علمهم كيفية السلام عليه في تشهد الصلاة فلما نزل
الأمر بالصلاة عليه سألوه عن كيفيتها فعلمهم إياها فدل على أن محلها بينهما
بقرينة أحاديث لها قدم صدق بوجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيها ومن
ثم قال الشافعي قد ورد أنه صلى الله عليه وسلم علمهم تشهد الصلاة وورد
أنه علمهم كيف يصلون عليه فيها فلم يجز أن نقول بوجوب التشهد فيها دون
وجوب الصلاة عليه فيها وزعم القرافي في ذخيرته أن الشافعي استدل على
وجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه بالإجماع ولم يصب في زعمه إذ لا إجماع
على وجوبها فيه وقد قالوا أي أصحاب الشافعي وأما في غيرها في غير الصلاة
فلا خلاف في أنها غير واجبة الآن وإخوانه كما مر وأما في الصلاة فحكى الإمام
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وأحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ممن لم
يقل بوجوبها عليه فيه إجماع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على
أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وهو مجرد
دعوى بلا بينة تقضي ببطلانها أئمة الإتقان ويرد نقل الإجماع على عدم
وجوبها عليه فيه أعلام الإتقان كالنووي في شرح المهذب ومسلم وابن كثير

والقيم من الحنابلة وكثيرين نقلوا وجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه عن ايمة
من الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وابي مسعود البدري وجابر
بن عبد الله ومن التابعين محمد بن كعب القرظي والشعبي والباقر ومقاتل
ومن غيرهم احمد بن حنبل في قوله كما قال ابو زرعة الدمشقي الاخر عملا
حتى ان بعضهم اوجب ان يقال فيه صلى الله عليه وسلم وقد الزم من قال
من الحنفية بوجوبها كلما ذكر كالطحاوي وصاحب المحيط والتحفة والمفيد
والغنية ان يقولوا بوجوبها فيه قيل ولهم ان يلتزموه لذكره لا لتصحيحه وشذ من
نكب عما هدى اليه ناصر السنة الشافعي في ذلك اي في قوله الطيب بوجوب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في تشهد كل صلاة يعقبه سلام بتشهد ده
قولهم كما في حديث ابي مسعود اما السلام عليك فقد عرفناه اي منك في
تشهدها فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فاقرهم على فهمهم
وقال لهم قولوا اللهم صل على محمد الى اخره فقال اي الشافعي من لم يصل على النبي
صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخر وهو اشهد ان محمدا رسول الله وقبل
السلام فصلاته فاسدة لانها ركن يفسد بتركه وان صلى قبل ذلك اي
قبل اشهد ان محمدا رسول الله لم تجزئه صلاته عليه فلابد من اتيانه بها في محلها
ولم يدر هذا الشاذ ان الشافعي قد اوى فيما قاله الى ركن شديد مما مر من سنته
صلى الله عليه وسلم كحديث ابي مسعود وحديث ابن مسعود وحديث ابن عمر وحديث
كعب بن عجرة ومن مذهب عمر وابنه وابن مسعود وحديث ابن عمر وابي مسعود
وجابر ومن التابعين محمد بن كعب والشعبي والباقر ومقاتل بل قال ابن حجر لم ار من
الصحابة احدا صرح بعدم الوجوب الا ما نقل عن النخعي هذا وان تعجب فعجب قوله
بعدم وجوبها عليه فيه راضيا بما نقله منكرا على الامام المجتهد الشافعي قوله
بوجوبها عليه فيه مع وصفه كتابه هذا لبيان شرفه صلى الله عليه وسلم وعظم
قدره ورفعة محله وانافة شانه وكريم شرفه عند ربه حتى اورد فيه احاديث
ضعيفة مبالغة في ذلك حتى مال الى طهارة بوله ودمه تعظيما له وتكريما فلو قال
بوجوبها عليه فيه لذلك وزين كتابه بقوله به كالشافعي لكان صوابا اذ هو من
مقاصده هنا وكان قد تبع من تقدمه من الصحابة والتابعين وغيرهم
ممن قال بوجوبها عليه فيه كما مر وقوله ولا سلف له في هذا القول اي قوله
بوجوبها عليه فيه قبل السلام ولا سنة يتبعها قد تلي عليك من سنة من لا
ينطق عن الهوى ومن مذاهب بعض الصحابة وتابعيهم وبعض مجتهدي
الامة ما ان تمسكت به نجاك من ورطة العصبية ولعله اخرج هذا مخرج
عارف بشيء عرفه حق معرفته ثم نزل نفسه منزلة من لم يعرفه تجاهلا منه

وتلك كانت هيئة امام الائمة في قوله بوجوبها عليه فيه اذ يبعد جدا ان لا يكون قد
عرف ادلة القول به مع شهرتها فانه كان حافظ عصره لكنه قد يصم مسامع
فهمه بانفته عن قبول الحق فيقع من تشنع عليه بذلك

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ۰ كما ان عين السخط تبدي المساويا ۰

هذا واقل ذلك غمضا لمن شذ عما هدى امام الائمة اليه من طلب التقول
بل امتثالا لقول عمر اذا رايتم من يخرق اعراض الناس الا تعربوا عليه قالوا نخاف
لسانه فقال ذلك احرى ان لا تكونوا شهدا اي اذا سمعتموه يقول ذلك ولم
تبينوه له وتمنعوه منه لم تكونوا ممن يشهد يوم القيامة على الامم المكذبين
لرسلهم وقد بالغ في انكار هذه المسالة يعني قول ناصر السنة الشافعي بوجوبها ٤٧٠
عليه فيه لمخالفته فيها من تقدمه ممن لم يقل بوجوبها عليه فيها جماعة
عليه فيها منهم محمد بن جرير الطبري والقشيري لعله ابو نصر صاحب
الرسالة وابو بكر بن العلا المالكي وغير واحد انما تشنع على نفسه لا عليه اذ
لم يخالف فيها كتابا وسنة ولا اجماعا وقياسا ولا مصلحة راجحة بل قد تمسك
فيها بعروة وثقى لا انفصام لها مما تلي عليك من سنة من لا ينطق عن الهوى
وعد ذلك من محاسن مذهبه ومناقبه ومثل من خالفه فيها الا قوله تعالى
ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقال ابو بكر بن المنذر يستحب
ان لا يصلي احد صلاة فرضا او نفلا بتشهد ده وروده صلاة نكرة في حيز
النفي الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم للامر بها فلما كان الامر
للوجوب حيث لا صارف عنه قال الشافعي بوجوبها عليه فيه ولم يوجبها
على الال فيه مع عطفهم عليه فيها لخروجها عن الوجوب بالاجماع على استحبابها
والمراد بما صرف ابن المنذر وابن جرير وغيرهما من اصحابه عن متابعته في
قوله بوجوبها عليه فيه تبعا لعمر وابنه عبد الله وجابر وغيرهم ممن ذكر فيما
مر من الصحابة والتابعين وغيرهم الا ان نقال لصرفهم عنه عطف غير الواجب
عليه فحملوا الامر فيها على الندب فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزئه
اي كافية له في اسقاط الطلب من اجزا الشي كفى عند مالك واهل المدينة ينه ٥
من عطف العام على بعض افراده تقوية له وسفيان الثوري واهل الكوفة
من اصحاب الراي اي القياس سماهم ائمة الحديث لاخذهم فيما اشكل من الحديث
او فيما لم يرد به حديث او اثر بارائهم وشذ من خالف امام الائمة الشافعي في
قوله بوجوبها عليه فيه وفي زمن الامام الشافعي بالبنا للمجهول والثواب الجزيل
بقوله بوجوبها عليه فيه فاوجب على تاركها في الصلاة عمدا او سهوا الاعادة ده
لانها عنده ركن من اركانها الثلاثة عشر التي لا تتم الا بها ولا تجبر بسجود سهو

واوجب اسحق بن ابراهيم بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها اي ترك الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم فيه ووافقه الخرقي من الحنابلة والخلاف في وجوبها عليه فيه
جار عند المالكية ايضا اذ قد حكى ابن ابي زيد عن ابن المواز ان الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم فريضة يحتمل ان يريد مرة او كلما ذكر او في تشهد الصلاة
قال ابو محمد هو ابن ابي زيد يريد يعني ابن المواز انها ليست من فرائض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وحكى ابن القصار وعبد الوهاب ان ابن
المواز يراها اي يرى ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فريضة في الصلاة كقول
الشافعي وصححه ابن الحاجب في مختصره وابن العربي في سراج المريدين وقال ابن عبد
السلام المالكي وهو ظاهر كلام ابن المواز وحكى ابو يعلى العبدي المالكي عن
المذهب اي مذهب مالك ثلاثة اقوال الوجوب كما قال الشافعي وايضا ع
والسنة والندب كما ذهب اليه غيرهم وعطفه الندب اما للتاكيد اذ هو
معناه عند الشافعي واحدا ولتغايرهما عند غيره بان السنة ما واظب عليه
النبي صلى الله عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض الشافعية
كالقاضي حسين وقال الخطابي من الشافعية وغيره الشافعي في هذه
المسالة ولا غيره مخالفتهم له فيها حيث آذن الامر اذ سالوه صلى الله عليه
وسلم ان يعرفهم كيفيتها في التشهد بعد ان عرفهم كيفية السلام فيه بالوجوب
ولم يمنع احد احتمال كونه مرادا اي قال الخطابي وليست اي الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم بواجبة في الصلاة مع مخالفته ظاهر مقتضى الامر
بها وهو اي عدم وجوبها قول جماعة الفقهاء الا الشافعي حصر غير معتبر
لانه دعوى بلا بينة اذ بطلانه ما نقل عليك من مذهب عمر وغيره
من الصحابة والتابعين والمجتهدين ولا اعلم له قدوة فيها بل له فيها قدوة حسنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحاديث السابقة وعمر وابنه وابن مسعود وابو
مسعود البدري وجابر والشعبي والباقر ومقاتل وغيرهم ولا يلزم من نفيه
علمه بالقدوة نفيها والدليل على انها ليست من فرض الصلاة عمل السلف
الصالح بل بعضهم تبعه دونه من يقول بوجوبها عليه فيه ودعوى
الاجماع بنقلها قول من ذكر غيره من يوجبها وقد شنع الناس عليه ممن
لم يعتد به ولا علم له بما ذكرنا ومن ذكرنا من الصحابة وغيرهم هذه المسالة
جدا اي بالغوا فيه مخطئين بيانا لما امر صلى الله عليه وسلم من وجوبها
فيما مر بقوله لهم اذ قالوا له قد علمنا كيف نسلم عليك اي فيه فكيف نصلي
عليك في صلاتنا اذا نحن صلينا قولوا اللهم صل على محمد الى اخره مما مر من
الاحاديث فعزوا الشذوذ اليه والتشنيع عليه مع ما تمسك به مما قدمه

علمته مجرد اساءة تورث ندامة اذ هي مسالة اجتهادية لم يخالف فيها كتابا وسنة ولا اجماعا
وقياسا يرجح مذهبه بقوله بوجوبها فيه بما تشير له صلى الله عليه وسلم واجلالا
وتكريما وتبجيلا وهذا تشهد ابن مسعود والذي اختاره الشافعي فهو ليس كما
زعم انما اختار تشهد ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة قوله تعالى تحية من
عند الله مباركة طيبة وقوله كما يعلمنا السورة من القرآن رجحه الشافعي واختاره دون
غيره قال البيهقي ولتاخره عن تعليم ابن مسعود تشهده لان ابن عباس كان من صغار الصحا
وهو اي تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عنه صلى الله عليه وسلم ممن ذكرهم من
الصحابة لم يذكروا فيه الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لا يلزم من عدم ذكرهم لها
فيه ان لا يكون امرهم لها بعد ذلك لان تعليمه لهم اياه انما كان في ابتداء هجرته
قبل نزول الامر عليه صلى الله عليه وسلم ومن ثم لم يامرهم بها فلما نزلت
يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قالوا كما مر اما السلام عليك فقد
عرفناه اي من تعليمه لهم التشهد فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا
قال قولوا اللهم صل على محمد الى اخره وروى الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود
كما مر قال صلى الله عليه وسلم يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم يدعو لنفسه وهذا مع ما مر من اقوى ادلة الشافعي بوجوبها اذ قد
ثبت عنهم انه صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد ثم كيفية الصلاة عليه
فيه بسؤالهم بعد نزول الامر بها فدل على ان الامر بها كان بعد تعليمهم
اياه وانها بعد التشهد وقبل السلام بقول ابن مسعود يتشهد الرجل ثم يصلي
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه فقد دحضت حجة من بالغ في رد
قول الشافعي بوجوبها عليه صلى الله عليه وسلم فيه وبان الحق وارتفع النزاع
ولعمري لقد افرط في عزو الشذوذ اليه وبالغ في نقله التشنيع عليه وقد
عاب عليه ذلك كثيرون كالحافظ العراقي وابي امامة وابن النقاش مع انتصاره
في تفسيره للشافعي بما يطول ذكره فكان ينبغي له حيث لم يقل بوجوبها عليه فيه
ان يسكت عن ذلك لان داعيه الى تاليف كتابه هذا هو بيان شرفه ورفعة محله
وانافته عند ربه واداء حقوقه مع استظهار القول بوجوبها عليه فكيف ينكره
مع استحسانه فيما مر قول بعض اصحاب الشافعي مخالفا لاكثرهم ببطلانها تنويها
مبالغة في تعظيمه وروى مسلم قال ابن عباس وروى الحاكم والنسائي قال جابر
كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن اي
في صدر هجرته قبل نزول الامر بها بالمدينة كما مر وروى ابن ابي شيبة في مصنفه
قال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر حال من ابي بكر وارد الفعل

مضارعا بعد ايراده ماضيا تصويرا للثنا مع حالة تعليمه كانه يبصر اباها
ويطلب مشاهدتها كما في خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون دون فكان
تصويرا لحالة خلقه ابديعة الدالة على كمال قدرته الباهرة من ايجاده من
تراب بلا اب تعجيبا للسامع منها كانه يطلب مشاهدتها ويطلعه على كنهها
وعلمه ايضا اي التشهد على المنبر عمر اي علمهم اياه تاما بالصلاة عليه فيه للامر
بها عليه صلى الله عليه وسلم فيه فيما مر التحيات لله تصفها لها فسلامه فتشهد
فالصلاة عليه فيه صل على آله كما صليت على ابرهيم الى اخره فالدعا بما شا فالسلام
وواجبه التحيات لله سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اللهم صل على محمد
ثم السلام **وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل على** رواه ابن ماجه والحاكم في مستدركه
قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه والطبراني والدارقطني قال وليس عندهم
بقوي والمعمري والبيهقي بلفظ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم
الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على نبيه ولا صلاة لمن لم يحب الانصار **قال ابن الفضل** للتنوع
معناه كاملة وهو صرف للنفي عن المتبادر منه وضعا اعني الحقيقة المجردة الى نفي
لا غنا له **او لمن لم يصل منه في عمره** وهو تحكم وترجيح بلا مرجح **وضعف اهل الحديث**
كلهم هذا الحديث كذا قال **وفي حديث ابي جعفر** محمد بن الباقر ابن زين العابدين
عن ابن مسعود من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه
قال الدارقطني الصواب ان يقول انه قول ابي جعفر محمد الباقر ابن زين العابدين
بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب **لو صليت صلاة لم اصل فيها عليه صلى الله عليه**
وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم قد حكم القاضي ولم يشعر على نفسه بان
للشافعي فيما قاله سلفا هو ابو جعفر مع من ذكرنا من الصحابة والتابعين وغيرهم
وله سنة فيما مر تبعها من الاحاديث الناطقة بذلك بعد انكارهما وتشنيعه
مع من تشنع عليه قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
فصل في المواطن اي الاماكن **التي يستحب فيها الصلاة والسلام عليه**
صلى الله عليه وسلم والمواطن التي **يرغب** بالبنا للمفعول **من ذلك** اي من الصلاة
والسلام عليه فيها **في تشهد الصلاة** وجوبا كما قال الشافعي واستحبابا **كما قدمنا** وبعد
اي الاتيان بهما فيه **بعد التشهد** اي تشهد به **وقبل الدعا** المؤذن به حديث ثم
ليتخير من الدعا ما شا وقد اقام هنا شاهدا على استحبابها فيه من طريق الترمذي من
طريق فضالة مع قصا طاهر بوجوبه فيه للامر المؤذن به وضعا **سمع** اي النبي صلى الله
عليه وسلم **رجلا يدعو في صلاته فلم يصل عليه صلى الله عليه وسلم فقال** النبي
صلى الله عليه وسلم **عجل هذا** بدعائه لنفسه قبل ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم

مع انه لا بد لمن اراد قضا حاجة من احد ان يزلف وسيلة اليه يتشفع بها لديه فان
ذلك اعون على الفوز بقضائها ممن سال قبل تقدم الوسيلة فقد عجل **ثم دعاه**
فقال له ولغيره اذا صلى احدكم فليبدا بتحميد الله والثنا عليه اي بما تضمنه وارد
به هنا التحيات المباركات الى اخره **ثم يصلي علي ثم ليدع بما شا** لنفسه من خير **وبدو**
بتحميد بتقديم المثبتة اي بتشريفه وتعظيمه اذ هو تعالى كما رواه ابن ماجه وابن حجر
وهو اي ما روي بتقديم المبهم **اصح** من المروي بخلافه ورواه ابو داود والنسائي وابن حبان
والحاكم وكما كتبه شاهدا للقول الشافعي بوجوبهما وبمكانها بشهادته مما مر اول الفصل
من قوله في تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعا **وروى الترمذي عن**
منه ٥ **عمر قال الدعا والصلاة معلق** اي كل منهما **بين السما والارض لا يصعد الى الله منه**
شي حتى يؤتى بما زلفا به تعالى بان **يصلي عليه صلى الله عليه وسلم و**روى ابو الشيخ
في الثواب **عن علي** مرفوعا **معناه وقال** زيادة **وعلى آل محمد** ولفظ البيهقي في شعب
الايمان محجوب حتى يصلي على محمد واهل بيته **و**روى عبد الرزاق والطبراني بسند
صحيح **عن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيا فليبدا بمدحه والثنا**
عليه بما هو اهله فيه تلويح بان اخراج المدح من جنس انه الثنا باللسان على الجميل
ربا الاختياري في مقابلة النعمة وغيرها والمدح بانه الثنا به على الجميل مطلقا احتيا
كانا لا يفرق منه مطلقا فيحمد الانسان على بذل ماله وانعامه كما يمدح بها
بصباحة وجهه وبشاشة قدم وعلمه وشجاعته وكل حمد مدح ولا عكس
واما الشكر فلا يكون الا على نعمة باللسان والجنان والاركان فالحمد شعبة منه
يشهد له حديث الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده فجعله راسه لكون ذكر
النعمة باللسان اشيع لها بالجنان والاركان لخفا عمل القلب واحتمال عمل الجوارح
ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسال ليجيب دعوة الداعي اذا دعاه **فانه**
اجدر اي احق **ان ينجح** من نجح ينجح وانجح اذا اصاب طلبته ويحسن والحق بالنجح
لعل الكاهن ٥ الله ومنه قولا كما عن بشارة برسالة النبي صلى الله عليه وسلم بالحج امر بحجيج
رجل فصيح يقول لا اله الا الله **و**روى البزار وابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان
عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب قيل
وما قدحه يا رسول الله قال **فان الراكب يملا قدحه ثم يرفعه** متاعه على دابته **فان**
احتاج الى شرب شرب او وضو توضا والا اي وان لم يحتج الى شي من ذلك
هراقه اي صبه وهاؤه بدل من همزة اراق اذ هي الاصل في مثل السقا واقتت وقد يجمع بينهما
كاهراقه وعن الهروي كما في نهاية غريب الحديث ان معناه لا تؤخروني في الذكر كما يؤخر
الراكب تعليق قدحه اخر رحل متاعه ويجعله خلفه اخذا من قول حسان كما نيط خلف
الراكب القدح الفرد **ولكن اجعلوني في اول الدعا واوسطه واخره** اي اذكروني

بالصلاة على في هذه الثلاثة وقال ابن عطا للدعا اركان يقوم بها ويستند
الداعي اليها فيه وله ايضا اسباب يتوصل بها الى الفوز بالاجابه اذ السبب في
الاصل هو الحبل يتوصل به الى الما استعير لما يتوصل به الى الشي قال تعالى
وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات واوقات يستجاب فيها كدبر الصلوات
وفي السجود وثلث الليل الاخر وعند البيت وخلف المقام فان وافق اركانه مقارنا
لها قوي باستناده اليها وان وافق اجنحته طار في السما اي صعد اليها وان وافق
مواقيته فاز بنجح الاجابه وان وافق اسبابه انجح اي ظفر بطلبته فاركانه حضور
القلب باجتماع حواسه والرقه لينا وضعفا والاستكانه خضوعا وذلة
وافتقارا اليه تعالى والخشوع خوفا وانكسارا وهو في الصوت والبصر وهو في البدن
وتعلق القلب بالله تركا للالتفات الى غيره وقطعه اي الداعي للاسباب
تفاديا عن الاشتغال بغيره تعالى واجنحته الصدق لهدايته كما قال صلى الله
عليه وسلم الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة ومواقيته الصدق النبي ص
الذي يقارنها بالاجابه الاسحار لان الدعا فيها اقرب الى الاجابه واسبابه
الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم لحديث لا تجعلوني في اول الدعا واوسطه
واخره وبها الفوز بالنجح وفي الحديث الدعا بين الصلاتين علي لا يرد بل
مستجاب ولا ادري من رواه وفي حديث اخر لا اعلم له راويا كل دعا محجوب دون
السما لحديث الترمذي المتقدم عن عمر فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعا لانها
كما مر صلة النجاح وفي دعا ابن عباس الذي رواه عبد حنش بمهملة فنون مفتوحتين
فمعجمة فقال في اخره واستجب دعاي اي تقبله ومن اسمائه تعالى المجيب لانه
يقابل الدعا والسوال بالقبول والعطا ثم تبدا بالصلاة ان اي بان تصلي على
محمد اي تترحم وتراف على عبدك ونبيك ورسولك وصفات مدح وتعظيم
واضافة تشريف وتكريم افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين تاكيد لضمير
خلقك امين بالمد ويجوز قصره اسم بني على الفتح معناه استجب وفي الحديث امين
خاتم رب العالمين اي طابع الله على عبادة لدفع البلايا الافات به فهو كخاتم الكتاب
يصونه من فساده وظهور ما فيه ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
هو عند ذكره صلى الله عليه وسلم وسماع اسمه او كتابته او عند الاذان وقد
روى مسلم عن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم رغم بكسر عينه وفتحها من مضارعه
او بفتحها وضمها من مضارعه وراء مصدره مثلثه وارغم الله انفه اي الصقه بالرغام
اي التراب هذا اصله ثم استعمل في الذل والانقياد كرها ومنه قول معقل بن يسار
رغم انفي لامر الله اي ذل وانقاد انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وفي الحديث
لتجعلن مرغمة للمشركين اي هوانا وذلا لهم وذكر ابن حبيب ذكره صلى الله عليه

وسلم

وسلم عند الذبح لايهام ذكره عنده الاهلال لغير الله وذكره عنده في الحمد
وكرههما اي الصلاة عليه سحنون عند التعجب لانه مقام اعظام للشي عظم
موقعه وخفي سببه فربما توهم بالصلاة عليه انه صلى عليه لاجله ومن ثم قال
اي سحنون لا يصلى عليه صلى الله عليه وسلم الا على طريق الاحتساب اي
خالصا لوجهه الكريم وطلب ما عنده تعالى من الثواب لا على طريق عجب
قال اصبغ بن الفرج عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة
والعطاس لاختصاص ذكره تعالى كما قال لانهما فلا يقل فيهما اي الذبيحة
والعطاس بعد ذكر الله محمد رسول الله حذرا عنده من توهم استحبابه
فيهما كذكره تعالى فيهما وحذر الاهلال لغير الله ولو قال بعد ذكر الله
صلى الله على محمد لم يكن تسمية له مع الله وقاله اشهب وقال اي ابن القاسم
او اشهب ولا ينبغي ان تجعل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيه اي في
كل منهما استنانا قال بل استحسانا بلا اكراهه كما قال الشافعي لا اكراه
مع التسمية على الذبيحة ان نقول صلى الله عليه وسلم بل احب ذلك واحب
ان يكثر من الصلاة والسلام عليه على كل الحالات لان ذكره صلى الله عليه
وسلم والصلاة عليه ايمان بالله وعبادة له يوجر عليها ان شاء الله من قالها
وروى النسائي وابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن اوس بن
اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر من الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم يوم الجمعه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل
ايامكم يوم الجمعه فيه خلق ادم وفيه قبض وفيه الصعقه فاكثروا فيه من
الصلاة علي فان صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك
وقد ارمت اي بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تاكل اجساد
الانبيا ورواه ايضا احمد وابن ابي عاصم والبيهقي والطبراني وابن خزيمه
وصححه النووي في الاذكار ومن مواطنها اي مواطن الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم دخول المسجد للامر به عند دخوله كما سياتي قال ابن شعبان
ينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وان يصلي على
اله تبعا له اللهم صل على محمد واله ويترحم عليه وعلى اله اللهم ارحم محمدا
واله ويبارك عليه وعلى اله اللهم بارك على محمد واله ويسلم تسليما ويقول
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك لانه محل الرحمه فخص سواله
اياها فيه واذا خرج فعل مثل ذلك اي يصلي على النبي صلى الله عليه
وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعليهم ويبارك عليه وعليهم ويسلم تسليما
ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي واجعل موضع رحمتك فضلك اي وافتح لي ابواب

فضلك اخذا من حديث احمد وابي يعلى والترمذي وحسنه عن فاطمة كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج قال صلى الله عليه وسلم ثم صلى الله على
محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك واصله في مسلم وليس
فيه وترحم وبارك وقال عمرو بن دينار في قوله تبارك وتعالى فاذا دخلتم بيوتا
لامر من الامور فسلموا على انفسكم قال اي عمرو بن دينار ان لم يكن في البيت
احد فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته اخذا من عموم
الاحاديث الواردة بالامر بالصلاة والسلام عليه في كل موطن وعن ابن ابي حاتم
قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا اي في الآية اذا دخلتم بيوتا المساجد فاذا
دخل مسجدا صلى عليه وسلم وقد علم مما مر في حديث فاطمة واذا خرج صلى عليه وسلم وقال
ذلك مع افتح لي ابواب فضلك بدل رحمتك وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد
احد فقل السلام على رسول الله تحية من عند الله مباركة طيبة واذا لم يكن في البيت
احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اخذا من حديث انس قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا
دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار
الاوابين وعن علقمة بن ابي وقاص الليثي يحكي عن نفسه اذا دخلت المسجد اقول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله على محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا واحتج ابن سبعان لما ذكره فيما مر من انه ينبغي لمن دخل المسجد
ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعليهم ويبارك عليه
وعليهم ويسلم تسليما بحديث فاطمة المتقدم ولم يذكر فيه ترحما ولا تبركا
ومثله اي مثل حديثها عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة
زيادة على ما مر من حديثها وقد ذكرنا هذا الحديث اي حديثها في اخر هذا
القسم اي الثاني والاختلاف في الفاظه من رواته عنها ومن مواطنها اي
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ايضا الصلاة على الجنازة وهو عند الشافعي
من اركانها ومحلها كما جزم به في المنهاج في التكبيرة الثانية لحديث النسائي ومحمد
بن نصر المروزي عن ابي امامة بن سهل الصحابي لا ابي امامة الباهلي قال
السنة في الصلاة على الجنازة ان يكبر ثم يقرأ بام القران ثم يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا في التكبيرة الاولى ثم يسلم قال
حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله عليه وسلم كما في المجرد للنووي في
البيان هذا وفي شرح المهذب والمنهاج ما يقتضي انه جزء الى الثالثة

والرابعة والاولى اولى وذكر كما تقدم في رواية النسائي عن ابي امامة انها
اي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة من السنة اصلها
ان طريقه يراد بها شرعا ما امر صلى الله عليه وسلم به او نهى عنه قولا وفعلا
مما لم يرد به الكتاب ومن ثم قالوا من ادلة الشرع القران والحديث ومن
مواطنها التي مضى عليها عمل الامة ولم ينكرها الامة الرسائل وبعد البسملة
واول من فعله من الخلفاء ابو بكر لتشهد ذلك ما في سيرة الكلاعي ان بني سليم لما ارتدوا
كتب الى عامله عليهم طريفة بن حاجز بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طريفة بن حاجز سلام عليك فاني احمد اليك
الله الذي لا اله الا هو واسأله ان يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد الى اخره
وعن بعضهم ان اول من صدر الرسائل بها دون الرشيد ورد بما مر ولم يكن هذا
اي ابتداء الرسائل بها في الصدر الاول ان اراد به زمنه صلى الله عليه وسلم
فهو ممكن او زمن اصحابه بعده فيرده كتاب ابي بكر الى عامله طريفة كما مر وفي اذكار
النووي عن حماد بن سلمة ان مكاتبة المسلمين كانت من فلان الى فلان اما
بعد سلام عليك الى اخره واصله كتابه صلى الله عليه وسلم الى هرقل من محمد رسول
الله الى هرقل عظيم الروم ثم احدثت الزنادقة هذه المكاتبات المبدوة بالطلبة
اي اطال الله تعالى بقاءك واحدث اي ابتداها الرسائل عند ولاية بني العباس بن
عبد المطلب بن هاشم واولهم السفاح تمشي به عمل الناس في اقطار اي
نواحي الارض ومنهم من يختم به اي بما ذكر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ايضا
اي مع الابتداء او بدونه الكتاب وروى الطبراني في الاوسط بسند حسن
والخطيب في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ في الثواب وغيرهم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب وعن سفيان بن عيينة حدثنا صاحب لخلف بن
قال كان لي صديق يطلب معي الحديث فمات فرايته في المنام وعليه ثياب خضر
جدد يجول فيها فقلت له الست كنت تطلب معي الحديث فما هذا الذي ارى
فقال كنت لا يمر بي حديث فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الا كتبت في اسفله
صلى الله عليه وسلم فكافاني بهذا الذي ترى وعن الحسن بن محمد قال رأيت احمد
بن حنبل في النوم فقال لي يا ابا علي لو رأيت صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم كيف
تبين ايدينا ومن مواطن التسليم عليه صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة
وقد استدل له بما اورده هنا من طريق البخاري عن ابن مسعود ظاهره انه
موقوف عليه فهو في حكم المرفوع اذ مثله لا يقال من جهة الراي قال اي ابن
مسعود او رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فرضا او نفلا فليقل

التحيات جمع تحية من الحياة بمعنى الاحيا والتبقية وهاؤها لازمة لها والتا
زائدة وهي اما بمعنى السلام من حياك الله اي سلم عليك وبمعنى الملك او البقا
لله تعالى وانما جمعت لاختلاف تحيات الملوك اذ كان يقال لبعض منهم ابيت اللعن
ولبعض انعم صباحا ولبعض اسلم كثيرا ولبعض عش الف سنة فقيل لنا ان
نقولها جمعا اي الكلمات التي تدل على السلام والملك والبقا **لله والصلوات**
اي الادعية التي تؤذن بتعظيمه تعالى هي له لا تليق بغيره ولا يستحقها سواه
والطيبات من صلاة ودعا وكلام مما يدل على الخير له تعالى ووصلهما بحرف
العطف وقدم لله عليهما للنوكا بعطفهما على الجملة قبلهما او بان الصلوات
مبتدا حذف خبره لدلالة خبر ما قبله عليه والطيبات معطوفة على جملتيهما
ولم يرد في تشهد ابن عباس عاطف واخر لله فيها جملتان مستانفتان مبتدا كل
موصوف بما بعده وخبر الاول مقدر اي التحيات المباركات لله والثانية
جواب سائل قال اذا كانت الصلوات لله فما للعبد فقال هي لله تجازيه بثواب ايضا
فضلا منه ورحمة اذ الصلاة جامع انواع الخير نعمة وبركة وهي المسئول في قوله
صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك الطيبات وانما اختار الشافعي زيادة
المباركات فيه ولموافقته قوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة ولما في قوله
كان يعلمنا كما يعلمنا السورة من القران من زيادة ضبطه لفظه حدثه
صلى الله عليه وسلم **السلام عليك ايها النبي** دائما لا انقطاع معه صيغ ولا
ينزل بك مكروه انتقال من تحيته تعالى الى تحية رسوله صلى الله عليه وسلم وانما
قال عليك دون على النبي تبعا للفظه صلى الله عليه وسلم وقت علمهم السلام
وعدوله صلى الله عليه وسلم لئلا يخاطبوه اذ كان نجا فلما توفي ذهب بعضهم
الى الغيبة لشهادة حديث البخاري عن ابن مسعود كنا نقول السلام عليك
وهو بين ظهرانينا فلما قبض قلنا السلام على النبي **ورحمة الله وبركاته**
اي عليه النعمة الدائمة من التشريف والتكريم جمع بركة وهي الخير الى الشيء
متعين فيه اللزوم من برك البعير اي القى بركه اي صدره وسمي بها لما
بركة للزومه فيها والمبارك ما فيه ذلك الخير وفي قوله تعالى وهذا ذكر مبارك
تلويح بانه فياض عوارف الخيرات هذا ولفضله وخيره تعالى من حيث لا يحتسب
على وجوه لا يحصى قيل لكل ما فيه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة
والسلام بمعنى السلامة مصدر كالمقام والمقامة ومن اسمائه تعالى
السلام نقل الى الاسمية مبالغة في سلامته من كل عيب وآفة ونقص وقيل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اصله سلمت سلاما حذف
فعله واقيم هو مقامه ثم عدل الى الرفع على الابتدا ايذانا باستغراق المعنى

وثباته

وثباته كما في قالوا سلاما قال سلام فانه رفع للتوكيد بان ابراهيم صلى الله عليه
وسلم حيا الملائكة بتحية احسن من تحيتهم له اذ رفعه موذن بثباته لهم
دون ما افادته تحيتهم من تجدده وحدوثه له ثم تعريفه هنا وفيما قبله
اما للعهد التقديري اي ذلك السلام الذي وجه الى الانبيا والرسل قبلك
موجها اليك ايها النبي وذلك السلام الذي وجه الى عباد الله الصالحين
من سائر الامم قبلنا علينا وعلى اخواننا او للجنس اي حقيقة السلام
الذي يعرف كل احد ما هو وعن من صدر وعلى من نزل منك ومنا او
للاستغراق اشارة الى قوله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى **فانكم اذا قلتموه** اي
كلمة على عباد الله الصالحين **اصابت كل عبد صالح في السما والارض**
لشهادة اضافة الجمع الاول وتحليته الثاني باللام اي نالته الرحمة والبركة
هذا اي تشهد الصلاة **احد مواطن التسليم عليه** صلى الله عليه وسلم
وسنته ان يكون **اولا التشهد** اي قبل اشهد ان لا اله الا الله وبعد
ما قبله **وروى مالك** في الموطا **عن ابن عمر انه كان يقول ذلك** اي السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اذا
فرغ من تشهده واراد ان يسلم ليخرج من صلاته **واستحب العلماء للمصلي**
المسلم منها ان يسلم بمثل ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وعلينا
وعلى عباد الله الصالحين اي استحب فيه ان يقال ما رواه عن ابن عمر
قبل السلام من صلاته كما نبه عليه محمد بن مسلمة هنا وليس من مشهور مذهبه
واستحب العلماء ان ينوي الانسان المصلي اماما او ماموما او منفردا **حين سلامه**
من صلاته **كل عبد صالح في السما والارض من الملائكة وبني ادم والجن**
ظاهره سوا حضروا ام لا وهو لا ينافي الا على الاول اما على الثاني فذكر اصحاب
الشافعي ان الامام ينوي بسلامه المقتدين به وهم ينوون بسلامهم
الرد عليه وغيره ينوي به من عن يمينه ويساره وهذا الرد عليه وما حكاه هنا
عن مالك من قوله في المجموعة احب للماموم غريب ليس من مشهور مذهبه **فصل**
في كيفية الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم قد روي هنا ما يفيد
ذلك من طريق الترمذي **انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك** سؤال
عن كيفية الصلاة عليه بعد الامر بها يا ايها الذين امنوا صلوا عليه **فقال**
قولوا اللهم صل على محمد وازواجه وذريته اما من الذر بلا همز اي البث
في الارض او مهموز من الذرء اي الخلق ابدلت همزته يا ثم واوها يا ثم ادغم
كما صليت على ابراهيم قيل لم يذكر ال محمد كال ابراهيم للتوكيد بان الله فيه
منهم كما اخر في حديث ابي موسى لقد اعطيت مزمارا من مزامير ال داود

اذ لم يكن في آله احد مشهورا بخصوص الصوت اي صل على ازواجه وذريته صلاة
مشهورة كشهرة صلاة الملائكة على آل ابراهيم بقوله تعالى رحمت الله وبركا
عليكم اهل البيت فالتشبيه من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر لا من باب
الناقص اذ هو صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق فالصلاة المطلوبة منها اكمل **وبارك**
على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم اي ابت وادم له ولهم ما افضت
عليهم من خير واشهرهم كما ابت واد منه مشهورا لآل ابراهيم **انك حميد**
على ما تستوجب به علينا الحمد من نعم متواليه والاء متتاليه **مجيد**
اي كريم كثير الاحسان واسع العطا ومنه تعالى توجه بركاته وترحمه
على حبيبه نبي الرحمة وآله وصحبه **وفي رواية** في الموطا **عن ابي مسعود**
الانصاري ثم البدري لنزوله بدرا **ان** اي النبي صلى الله عليه وسلم
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد
اي ابت وادم له ما منحته من تشريف وتكريم ومن بركة ورحمة
وادمهما عليهم **كما باركت على آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد** اي
كثير البر والنوال **والسلام كما قد علمتم** بمهملة مفتوحة فلام مكسورة
مخففة او مشددة مع ضم المهملة في التشهد بتعليمه لهم **وفي** حد ملائكة
الستة من **رواية كعب بن عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على**
ابراهيم زيادة ذكر ابراهيم في مقابلة ذكر محمد وليس التشبيه فيها كما مر من
باب الحاق الناقص بالكامل بل من الحاق ما يشتهر بما اشتهر في العالمين
من دعا الملائكة لهم بقوله المحكي عنهم رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت •
وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد فعيل بمعنى مفعول
اي محمود **مجيد** فعيل بمعنى فاعل ماجد مبالغة في المجد يعني الشرف الواسع
ورجل ماجد مفضال اي شريف كثير الخير وعن علي اما نحن بنو هاشم •
فانجاد وامجاد اي اشراف كرام جمع مجيد وماجد كاشهاد جمع شهيد وشاهد •
وروى مسلم وغيره **عن عقبة بن عمرو اللهم صل على محمد النبي الامي** اي الذي
على اصل خلقته وولادته لم يتعلم كتابة ووصفه به تلويحا بان كمال علمه مع تعانيه
على جبلته الاولى من معجزاته **وعلى آل محمد** هم كما قال الشافعي من حرمت عليهم
الزكاة وتبعه الائمة وبنصره قوله صلى الله عليه وسلم للحسين بن علي انا آل
محمد لا نأكل او لا تحل لنا الصدقة وازواجه وذريته او جميع امته ورجحه النووي
في شرح المهذب وقيده القاضي الحسين بالاتقيا منهم **وفي** حديث البخاري من
رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك اضافة تشريف •
وتكريم وما اورده هنا عن علي عبد الله الحاكم فقال النميري اسناده ذاهب

وفيه

وفيه عمرو بن خالد الواسطي وهو متروك لوضعه على اهل البيت وفيه حرب
بن الحسن الطائي ويحيى المسا وروهما مجهولان **وحديث ابي داود عن ابي**
هريرة وحديث الديلمي في مسند الفردوس **عن زيد بن خارجة** بن زيد الانصاري
الخزرجي فقد مضت مآان وعينه اغنانا عن بيانهما هنا **وروى** ابن ابي شيبة
في مصنفه والطبراني في الاوسط وسعيد بن منصور **عن سلامة الكندي كان** ن
يعلمنا وفي رواية يعلم الناس **الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم** وعلى كليهما
فهو موقوف على علي ولكن اعلى ان صح سنده بان روايته عنه مرسلة اذ لم يدركه
اللهم داحي المدحوات وفي رواية المدحيات بتشديد يا بعد الحا من دحى
يدحو ويدحي اي باسط المبسوطات كالارض دحاها بعد خلقها ثم دحاها اي بسطها
والارض بعد ذلك دحاها **وبارئ المسموكات** من برا الشي اي خلقه لا على
مثال وقيل مميز عن غيره اي خلق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات
اذ جعل قدرها في جهة العلو متبدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام وروى بدلك
باري مسموكات **اجعل شرائف صلواتك** اي خيارها وارفعها وقد رواها ذكر لنا
وقيل للاعمش لم لم تستكثر من الرواية عن الشعبي فقال لكان يحتقرني كنت
آتيه مع ابراهيم فيرحب به ويقول لي اقعد ثم ايها العبد ثم يقول •
• لا يرفع العبد فوق سنته • ما دام فينا بارضنا شرف •
و **واجعل نوامي بركاتك** المضاف باضافته الى متبوعه انخلع من التابعية
وصار اسما غير صفة وتخصص باضافته الى جنسه **واجعل رافة تحننك**
تنا فوقيه فمهملة فنونين اي رحمتك قال تعالى وحنانا من لدنا اي اجعل اشد
تعطفك وترحمك **على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق** من اغلق
الباب واستغلق اذا عسر فتحه اي الفاتح لما عسر من ابواب النبوات
واسباب انواع المسرات اذ قد فتح باتي منه الحجة وايضاح المحجة ابواب
الهداية ورفع معالم الدين وبين شعائر الاسلام وانفتح قلوبا غلفا وآذانا صما
مختلفة واراحنا ما منحرفة والكبر اجوا لا مستسنه وغير ذلك مما اغلق على غيره
وفي الحديث لا طلاق في اغلاق اي اكراه لان المكره مغلق مضيق عليه في
امره وتصرفه كانغلاق الباب على الانسان وفيه اوتيت مفاتيح خزائن السموات
والارض اراد ما سهله الله له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها وفيه
اوتيت مفاتيح الكلم اراد ما منحه الله من البلاغة والبراعة للوصول الى غوامض
المعاني وبدائع الحكم وروائع العبارات الانيقة والالفاظ الجزلة الرشيقة
مما اغلق على غيره **والخاتم لما سبق** من النبيين والمرسلين **والمعلن الحق** اسم
الله على الاسم موصوله وهو صلتها وعائدها المستتر فيه وهو العامل فيها على الاصح

اوانفاق لسانه عن الفعل والحق يجوز جره بالاضافة كما في
انا الذائد الحامي الذمار وانما * يدافع عن احسابهم انا او مثلي * ومثله
واني وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل
ونصبه لفقد التخفيف بالاضافة وكذا ان وقع بعد اسم فاعل ضمير معرف
باللام كما في * مدح العقل الآتيه هدي * فانه عند المبرد وجماعة
يكون محله جرا بالاضافة وعند سيبويه والاخفش وغيرهما ان محله
نصب لانه لما عرف فيه استحال اضافته اليه لعدم حصول التخفيف
اي المظهر له بالحق وضعه موضع ضميره قصدا لزيادة تمكينه وتلويحا بانه صلى
الله عليه وسلم لا يعلن الا به والدامغ جيشات الاباطيل جمع جيشة وهي
المرة من جاشت اذا فارت وارتفع منها اي جمع باطل على غير قياس اي القامع
والداحض لما نشا من محققها واراد لها مع تشبيهها بها به ثم اشتق منه اسم
الفاعل تبعية والدمغ اصابة الدماغ فكانه كضحح الفاه صلى الله عليه وسلم
على رخو دمغه وعدي اسم الفاعل هنا وفيما مر باللام لضعف عمله والاضافة
هنا من اضافة بعض افراد العام الى جنسه تلويحا باخراج جيشات الحق كما حمل
خبر مبتدا محذوف اي هذه الحال من وصفه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مثل
حال وصفه بما حمله من اعباء الرسالة او صفة لمصدر الفعل المفاد
من اسم الفاعل اي الذي ثبت لما ذكرنا ثباتا مثل ثباته لما كلفه من تبليغ
ما ارسل به فاضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة اي قوي على ما حمله ونهض
بامرك اي بتبليغك واعانتك اياه عليه او فنهض بما مورك الذي كلفته
حمله لطاعتك ممتثلا اداء ما كلفه مستوفزا في مرضاتك اي مستعجلا
في رضاك بغير نكل في قدم من نكل به اذا احجم عنه لغير اي جبن في
اقدام ولا وهن في عزم اي ولا ضعف في امر عزم عليه نجهده انه ورد في
الحديث قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر متى توتر قال اول الليل وقال لعمر متى
توتر قال آخر الليل فقال لابي بكر اخذت بالحزم ولعمر اخذت بالعزم اراد ابا بكر
حذر فوته بالنوم فقدمه احتياطا وان عمر وثق بقوته على قيام الليل فاخره ولا
خير في عزم بغير حزم فان القوة اذا لم يكن معها حذر ورطت صاحبها وفي
حديث سجود القرآن سجدة ص ليست من عزائم السجود واعيا لوحيك من وعى
يعي وعيا اذا حفظ وفهم اي حافظا فاهما ما اوحيته اليه عاملا به مبلغ
اياه وبالاضافة خرج لبعض ما صدق الوحي من كلام خفي وكتابة واشارة
ورسالة والهام بما ذكر وحب واوجب حافظا لعهدك الذي عاهدك عليه
من ايمان بك واقرار بوحدانيتك واخلاص لطاعتك لا يزول عنه او لعهدك الذي

عاهدته عليه من امر ونهي منجزا له وافيا به وهذا تلميح الى قوله صلى الله عليه
وسلم وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اي مقيم ومتمسك بهما
مدة استطاعتي لعجزي عن بلوغ كنه ما اوجبته علي او عن دفع ما قضيته
علي في سابق قضائك اي ان كنت قد قضيت علي ان انقض العهد وقتا
ما فاني انتصل منه معتذرا اليك ماضيا على نفاذ امرك اي مستمرا بتلك
الاحوال الملازمة له مجتهدا في امضائه ترغيبا وترهيبا حتى اورى قبسا
من اوريت الزند اذا قدحته فاخرجت نوره والقبس ما اقتبس اي اخذ
من النار في باب ذلك والجملة غاية لما قبلها اي لم يزل مجاهدا في الابلاغ ما
امر بابلاغه مداوما عليه مجتهدا من مخالفته حتى اظهر دينا قيما شبيها واتخاذنا
كالقبس نورا لقابس آلاء الله اي لمبتغي سوابغ نعمه اي مواهبه المتوالية
من تيسير وتسهيل وهداية للدخول فيه اولحكما فشبهه لوضوحه
وسماحته بالقبس فاستعار له اسمه استعارة تحقيقية وقرنه بالايلا
ترشيحا ومبالغة حتى كانه هو وصفا للقبس عن توهم تشبيهه به تصل
باهله اي باهل القبس يعني الدين المبتغين له اسبابه الموصلة اليه
كالعناية والتوفيق مما به الفوز معاشا ومعادا به اي برسول الله صلى الله
عليه وسلم هديت القلوب فانقادت مذعنة للحق بعد خوضات
الفتن والاثم كرات بعد كرات شبه الفتن والاثم بما غمر على طريقة
الاستعارة المكنية واثبت لها الخوضات استعارة تخييلية قضاء
لحق البلاغة وتناسيا للتشبيه موضحات الاعلام متعلق بهديت والاصل صل
الى موضحات فحذف الجار واوصل الفعل ونائرات الاحكام عطف على
ما قبله حذف جاره واوصل فعله من نار لازما اي واضحاته وبيناته
ومنيرات الاسلام كذلك من انار متعديا فهو اي النبي صلى الله عليه
وسلم امينك المامون اي حافظ دينك وعهدك الذي ائتمنته عليه
وخازن ما استودعته ومنحته من علمك المخزون وشهيدك فعيل
بمعنى فاعل مبالغة اي شاهدك للانبياء على اممهم فكيف اذا جئنا من
كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يوم الدين اي يوم الجزاء بما
علم وبعيثك فعيل بمعنى مفعول مبالغة فيه اي مبعوثك الذي بعثته
اي ارسلته نعمة منك الى الخلق ورسولك بالحق رحمة في الدنيا والآخرة
لمن آمن وفي الدنيا لمن كفر اللهم افسح له صلى الله عليه وسلم في عدنك على
معنى العدن وهو الاقامة سمي به جنتها للاقامة الطرفية اي وسع له في
دار كرامتك جنة عدن من عدن بالمكان اذا اقام به ولم يبرح منه واجزه

اعطه

بجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاي من اجازه اذا اعطاه اي
مضاعف الجزا اي جوائز مضاعفا اضعافا كثيرة وان يكون بوصل وجيم مضمومة
وزا اي اعطه اجرا من فضلك يا ذا الفضل هنا والجائزة في الاصل ما يعطى
للضيف بعد اضافته ثلاثة ايام ما يجوز به مسافة يوم وليلة لشبهها ده قوله
صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة ايام وجائزته يوم وليلة وما زاد فهو صدقة
وقوله اجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم اي اعطوهم جائزتهم وهو امر ندب
كالضيافة واوجبها الليث مهنات له صلى الله عليه وسلم جمع مهني حال من
مضاعفات من هناني الطعام يهنأني اذا ساغ بلا تنغيص وكل ما اتاك بلا
تعب فهو هنيء غير مكدرات صفة لمهنات اي غير منغصات من فور ثوابك
من فارت القدر اذا غلت ستعير للسرعة كانه عبر به عن سرعته بحالة
التي لا ريث فيها ولا تراخي اي من سريع فضلك الذي لا يبطؤ فيه المحلول اي
الذي يحل فيه فشبه التمكن منه والتصرف فيه بالحلول في شي ثم اشتق
اسم المفعول تبعا للاستعارة في المصدر اصلية ثم في اسم المفعول
تبعية لجريانها في المصدر اولا وجزل اي كثير عطايك المعلول من العلل
بفتحتين ثلاث وهو الشرب ثانيا بعد النهل ثلاث فتحات وهو الشرب
اولا اي عطاك المضاعف تعليه عبادك مرة بعد اخرى فشبه ايثار
عطايه بمنهل عذب ترده العطاش ثم اشتق منه اسم المفعول على
الاستعارة في المصدر اصلية وفي اسم المفعول تبعية ومنه قول كعب
بن زهير ٭ كانه منهل بالراح معلول ٭ اي مشروب مرة بعد اخرى
اللهم اعل على بناء الناس وفي رواية البانين بناءه اي ارفع على عمل العاملين
عمله او على منازلهم في الجنة منزله واظهر على ذوي تقصيرهم انه حتى لا يطاوله
احد لشبهها ده قول سليمان صلى الله عليه وسلم من هدم بنا ربه تبارك وتعالى
فهو ملعون يعني من قتل انسانا ظلما سماه بنا من حيث ان اصل البنا ضم
شي الى شي وهو اجزا خلقها الله مضموما بعضها الى بعض مركبة فشبهه
بالبنا لذلك واكرم مثواه لديك من ثوى بالمكان اذا اقام به اي اجعل
منزله عندك كريما اي حسنا مرضيا بعنايتك وحسن رعايتك واكرم
نزله هو في الاصل ما يهيا للضيف قري اي اجعل ما منحته به من الاجر
والثواب كريما اي مرضيا محمودا اذ الكريم كل ما يرضي ويحمد في بابه يقال
وجه كريم اي مرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم اي مرضي في معانيه
وفوايده منظر كريم اي مرضي بحيث منه من المنافع واتمم له نوره الذي
سالك ان تجعله في قلبه وفي بصره وفي سمعه وعن يمينه وعن شماله بتجلي

انوار المعارف فخص بتجلي اللطف فيه قلبه لانه محل التفكر في الآيه وبصره لانه
مسرح اياته المبثوثة في الانفس والافاق وسمعه لانه محط اياته التي
انزلها على انبيائه وخص يمينه وشماله بغير ايذانا بتجاوز الانوار عن قلبه وبصره
وسمعه الى عن يمينه وشماله ودنيا بانه وضيا للحق ليهتدوا اليه واجزه الجزا
الاوفى من ابتعاثك له مقبول الشهادة تزكيه لامته اذا شهدوا للانبيا
انهم قد بلغوا اممهم اذا جحد وايوم القيامة تبليغهم اياهم مرضي المقالة فلا
يسخط له قول ذا منطق عدل مصدر سمي به فوضع موضع عادل مبالغة في
جعله نفسه عدلا لما افاده من استقامة منطقه من الافراط والتفريط
شد ومقبول ومرضي وذا منطق احوال من ضميره له وذا خطة فصل اي ذا حالة
اي امر واضح في الهدى والاستقامة ذا الوبه خطب عظيم اي امر مشكل
فصله برايه المصيب وفي حديث الحديبية لا يسألوني خطة يعظمون فيها
حرمات الله الا اعطيتهم اياها وذا برهان عظيم اي حجة ودليل قاطع وعنه
ايضا اي عن على صلوات الله البر اي العطوف على عباده ببره ولطفه
ونعماه اي بارا الا ابد لو بود وفي الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة اي عليكم
مشفقة كالوالدة البرة باولادها يعني ان منها خلقكم وفيها معاشكم واليها
بعد الموت معادكم الرحيم اي العظيم الرحمة وصلوات الملائكة المقربين كجبريل
وميكائيل واسرافيل وخص المقربين لمناسبة ما بعده والنبيين والصديقين
جمع صديق وضع موضع صادق مبالغة فيه والشهدا جمع شهيد وهو في الاصل
من قتل مجاهدا في سبيل الله ثم سمي صلى الله عليه وسلم به صاحب الجنب
ون والبطن والغرق والحرق والهدم وغيرهم سمي شهيدا لان الله وملايكته يشهد
له بالجنة او لانه حي لم يمت كانه شاهد اي حاضر او لان ملايكة الرحمة تشهد
او لقيامه بشهادة الحق في امر الله حتى قتل او لشهوده ما اعد الله له من الكرامة
بقتله فعيل بمعنى فاعل او مفعول والصالحين لكل خير القايمين بما عليهم من حقوق
الله وحقوق عباده ما سبح لك من شي ما مصدريه ومن زايده اي صلواتهم
دايمة مستمرة مدة دوام التسبيح شي لك اي مادام يسبحك شي وعلى رواية الواو قيل ما
فما موصوله معطوفة على الاسم الكريم ومن بيانية لما اي وصلوات الذي يسبحك
وهو كل شي يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين
اي الفايق لهم بما اوتيه من السودد والفضل وامام المتقين اي الذين يصونون
انفسهم عما يضرهم في الاخرة اذ التقوى فرط الصيانة ورسول رب العالمين اي
الناس كافة الشاهد المقام المحمود يوم القيامة او على من يشهد عليه فيه من الامم
المكذبين رسلهم وعلى من بعث اليهم بتصديقهم وتكذيبهم له ونجاتهم وهلاكهم

بك
البشير للمومنين بما اخفى لهم من قرة اعين والداعي اليك من ارسلته اليهم الى الاقرار
وبتوحيدك وما يجب الايمان به من صفاتك باذنك اي بتيسيرك استعير له لان التصرف
في حق الغير ممتنع فاذا صادف اذنا تيسر وقيد به الدعوة ايذانا بصعوبتها لا تستطاع
الا بتيسير منه تعالى السراج المنير اذ به ازيل ظلام الشرك كما ازيل ظلام الليل
بالسراج فابصر بنوره ذوو الغواية واهتدى ذو الغواية وعليه السلام مما يغشي
غيره من سوء وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان يقول اللهم سلمني من
رمضان وسلمه لي وسلمه مني فسلمني منه اي لا يصيبني فيه ما يحول بيني وبين
صومه وسلمه لي اي حذرا من ان يغم علي الهلال اوله واخره فيلتبس علي صوما وفطرا
وسلمه مني اي بتعصمني فيه وحديث ابن مسعود هنا رواه ابن ماجة والبيهقي في شعب
الايمان ومعناه يعلم مما مر فهو غني عن البيان وفيه اللهم ابعثه مقاما نصب
على الظرفية باضمار فعله اي اقمه او ضمن ابعثه معناه وتنكيره تبعا للقران لقصد
بعمومه كل مقام محمد فيه بانواع الكرامات والمشهور انه مقام الشفاعة
بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي واشارة
قول ابن عباس مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع
الخلايق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوايك وقول حذيفة
يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون من غبطت الرجل غبطه وغبطا
اذا تمنيت ان يكون لك مثل ما اوتيه مع دوام ما اوتيه له وهذا يسمى حسد المحمود
لعدم تمني زواله وتمنيه زواله عنه حسد امذموما وفي الحديث هل يضر
الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط اراد صلى الله عليه وسلم ان ضرر تمني
المثل ليس كضرر تمني الزوال فلا يلحق الغابط من الضرر الراجع الى نقصان الثواب
دون احباطه الا بقدر ما يلحق العضاه منه بخبطه ورقها دون قطعها فهو
دون المذموم في الاثم وفي دعا الحسن البصري اللهم صل على محمد وال محمد واشياعه
من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة جمع شيعة وهي الفرقة من الناس تقع على
الواحد كثيرا وعلى المذكر والمونث وقد غلب على كل من شايع وتولى
عليا واهل بيته فصار علما لهم علما خاصا فاذا قيل فلان من الشيعة او مذهب
الشيعة كذا لم يفهم غيرهم وفي الحديث القدرية شيعة الدجال اي اولياوه
وفي رواية مجوس هذه الامة وروى عبد بن حميد وعبد الرزاق بسند جيد

واسمعيل

واسمعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن
عباس اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى اي العظمى التي يفزع الناس
من اجلها للانبيا حتى ياتوه صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم ليريحهم مما
هم فيه من الشدائد وقيد بالكبرى لانها الفصل القضا بين اهل الموقف
وبه خرج بقية شفاعاته الخاصة به صلى الله عليه وسلم وفيه وارفع درجته
العليا في اعلا المواطن واشرفها واقربها من ربه في عليين فعل من جمع على من
العلو علما للسما السابعة وانما سمي به دنوا ان الحفظة ترى الملائكة الذي فيه
اعمال الصالحين العادل رفعه فيها حيث تسكن الكروبيون تكريما وتعظيما اولانه
سبب الارتفاع الى اعلا درجات الجنة وابنه سوله فعل بمعنى مفعول الخبر
بمعنى محبوز اي مسوله ومطلوبه في الاخرة والاولى اي الدنيا سميت
اولى لتقدمها على الاخرة ودعا وهيب لا ادري من رواه ومعناه ظاهر
مما مر وحديث ابن مسعود رواه ابن ماجة والبيهقي والديلمي والدارقطني ومما
في فوايد ويشهد على لا ادري من رواه وان وهيب ما ابي علينا غناك عن
بيانه وفيه الدعا بالمغفرة لوالديه وما ولدا والرحمة لما مع ثبوت موت
ابيه وبعض اخوته كافرين ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما الدعا بهما لولده
الحسنين ومن ولداه وفيه ايضا الدعا للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران
وفي حديث الصلاة الذي اسنده ايضا قبل من طريق الحافظ ابي عبد الله
الحاكم الدعا له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له صلى الله عليه وسلم
بالصلاة والبركة الواردتها ما قد علمت التي تخصه تعني التي بمعنى التشريف
والتكريم والتشوق والدوام ويدعى لغيره بالتي بمعنى الدعا مثل الرحمة
والمغفرة لافتقارهم اليها دونه صلى الله عليه وسلم اذ قد غفر له ما تقدم من
ذنبه وما تاخر مما ينافي ان يسمى بالنسبة اليه ذنبا وليس بذنب حقيقة بل
مما صار كمثل سائر حسنات الابرار سيئات المقربين وقد ذكر ابو محمد ابن ابي زيد
في رسالته زيادة الترحم في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا
اي ادم له الرحمة وابتها له ولم يات هنا اي الدعا له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة
والرحمة في حديث صحيح اذ ما ورد بزيادتها كل ضعيف ومن ثم قال النووي
في شرح مسلم المختار ان الرحمة لا تذكر وجزم في الاذكار بان ذكرها بدعة لانه صلى
الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة عليه بدون ذكرها وان كان معناها الدعا فلا تفرد
بذكر وحجته اي حجة ابن ابي زيد التي اخذ بها استحبابها قوله صلى الله عليه وسلم في السلام
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فصل في فضيلة الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم وفي فضيلة التسليم عليه والدعا له قد تقدم لك هنا شواهد كثيرة

اسند منها حديث ابن عمرو من طريق النسائي ورواه مسلم ايضا سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سمعتم المؤذن يؤذن بالصلاة فقولوا مثل ما يقول من تكبير وتشهد
وصلاة وحيعله وصلوا علي اي سلوا الله لي التعظيم والتكريم فانه من صلى علي صلى الله
عليه اي رحمه وعفى عنه ثم سلوا لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة زلفى من الله لا ينبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو خبر كان وضع موضع اياه وانا تاكيد
لاسمها او مستدا خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة اي ان
اكون انا ذلك العبد وسميت وسيلة لان من وصل اليها فاز بقربه ولقايه تعالى وخصه
بانواع الكرامات فمن سال لي الوسيلة حلت له الشفاعة اي وجبت وحق وقوعها
بشهادة رواية وجبت له شفاعتي وروى انس بن مالك كما في شعب الايمان للبيهقي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات
اي رحمه وضاعفا اجره لشهادة من جا بالحسنة فله عشر امثالها وحط
عنه عشر خطيات جمع خطية من خطا خطا اي اثم واذنب اذ الخطا
الاثم والذنب واخطا يخطي اذا سلك سبيل الخطا عمدا او سهوا وورد خطي
بمعنى اخطا فان اجتمعا افترقا ورفع له عشر درجات جمع درجة وهي المرقاة
يرتقى بها وعن ابي ايوب انه قال لمنافق دخل المسجد اذ راجك يا منافق من مسجد
رسول الله هي جمع درج وهو الطريق اي اخرج منه وخذ طريقك الذي جيت
منه يقال رجع ادراجه اي عاد من حيث جا وفي رواية لابي يعلى وكتب له عشر
حسنات اي ثوابها مضاعفا الى سبعماية ضعف الى اضعاف كثيرة وروى ابن ابي
شيبة في مسنده عن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني من صلى
عليك صلاة اي طلب لك من الله دوام التشريف والتكريم والتعظيم صلى
الله عليه اي رحمه عشرا ورفعه عشر درجات ومن رواية الحاكم واصحابه
والبيهقي في الشعب عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل فقال ابشرك
اي اخبرك بما يسرك ان الله يقول من سلم عليك اي دعى لك بالسلامة من كل نقص
وعيب سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه هذا والاحاديث الواردة في
فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تكاد تفوت الحصر ينبغي المعنى بتفسير
بعضها بعضا فلا نطيل بذكرها فمن شا فليكثر ومن شا فليقلل وزيد بن الحباب
الذي روى عنه هنا ليس صحابيا وانما تابعي روى عن مالك الامام وعبد الله بن مغول
والضحاك بن عثمان وعبد الله بن لهيعة نقيح الكلام وليسوا الها في مصر وعنه
احمد بن حنبل وسلمة بن شبيب وبينه وبين الصحابي الذي روى عنه حديثه
هنا ابن لهيعة ومخرجه مصري اذ قد رواه عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن زياد
بن نعيم عن وفا بن شريح عن رويفع بن ثابت الانصاري عن النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم بقوله وعن زيد بن الحباب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ظاهره وفيه
وانزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة قرب نعم ولطف وتراد فمنن
وعطف وفيض مواهب لا قرب ذات ومكان لتعاليه وتقدس ذاته عن
ذلك وحديث ابن مسعود رواه الترمذي وابن حبان وحديث ابي هريرة رواه
الطبراني في الاوسط وابو الشيخ في الثواب بسند ضعيف وحديث عامر
بن ربيعة رواه احمد وابن ماجه والطبراني في الاوسط بسند حسن وحديث
ابي بن كعب رواه الترمذي وحسنه وفيه اني اكثر الصلاة وحديث ابي طلحة رواه
النسائي وابن حبان والبيهقي في شعبه بسند صحيح وحديث جابر رواه البخاري
وحديث سعد رواه مسلم وحديث ابن وهب منقطع واثر ليزيد بن علي اقوام
لا ادري من رواهما وحديث ان انجاكم يوم القيامة رواه الاصبهاني في ترغيبه
عن انس وحديث ابي بكر رواه ايضا فيه بلفظ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
افضل من عتق الرقاب وحبه صلى الله عليه وسلم افضل من مهج الانفس او من
ضرب السيف في سبيل الله فصل في ذم من لم يصل عليه صلى الله عليه
وسلم واثمه اخرج لهما باحاديث اسند منها حديث ابي هريرة من طريق الترمذي ورواه
مسلم ايضا رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي يقال رغم يرغم ورغم يرغم
فتحا وضما رغما مثلث الرا وارغم الله انفه اي الصقه بالرغام اي التراب ثم
استعير لغاية الذل والامتهان والانقياد على كره والعجز عن الانتصاف اي لحق
لمن ذكر عنده فلم يغتنم تبجيله وتعظيمه ان يذيقه الله نكال الذل والهوان
والحقارة ومنه حديث وان رغم انف ابي ذر اي ذل او وان كره وحديث بعثت
مرغمة للمشركين اي هوانا لهم وفي الحديث ان السقط ليراغم ربه ان ادخل ابويه
النار اي يغاضبه ورغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ مستعار لزوال
زمنه من سلخ الجلد اي كشطه وازالته عن محله بجامع ترتب حرمان الغفران على
زواله ثم اشتق منها انسلخ فجرت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعية اي
زال زمنه قبل ان يغفر له لاشتغاله فيه بما يفوت صومه او ثوابه مع الشباب وزن
ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة لتسخطهما عليه بما لا
يرضيهما منه قال عبد الرحمن بن اسحق واظنه قال احدهما قال النبي صلى الله عليه وسلم
او احدهما اي اصابه به وفي حديث اخر رواه الطبراني عن ابن عباس وانس
وعبد الله بن الحارث بن جزء وكعب بن عجرة ومالك بن الحويرث ورواه البزار عن
جابر بن سمرة وابي هريرة وعمار بن ياسر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد
المنبر من النبر وهو الارتفاع كل مرتفع فهو منبر اي ارتقى عليه فقال عقب
صعوده امين ، لمدها القصر اسم مبني على الفتح معناه اللهم استجب ربنا

الحديث امين خاتم رب العالمين اي هو طابع الله على عباده اذ به يدفع الآفات
والبلايا فهو كخاتم الكتاب ليصونه من فساده واظهار ما فيه ثم صعد درجة
فقال امين ثم صعد درجة فقال امين اي اللهم استجب فسأله معاذ
عن ذلك اي عن قوله امين وعن تكراره ثلاثا او عنهما فقال ان جبريل اتاني
فقال يا محمد من سميت بين يديه اي ذكر اسمك وهو حاضر فلم يصل عليك
عقب ذكر اسمك فمات تاركا للصلاة عليك فدخل النار بتركها اهانة له
به صلى الله عليه وسلم واحتقارا له وعدم مبالاة به فابعده الله عن ساحة
رحمته بذلك متصفا بشيء منه قل امين امر من جبريل له صلى الله عليه وسلم
ليستجيب له ربه دعاءه تحقيقا لشأنه وتعظيما لقدره فقلت امين اي استجب
لي وقال فمن ادرك رمضان فلم يقبل ترك فاعله للعلم به اي فلم يقبل الله منه
صومه بغلط ابطله فمات مثل ذلك اي فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت
امين وقال من ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما او من ادركه منهما اي لم
يقم بواجبهما احسانا اليهما وتأتيهما او زجرهما او نحو ذلك فمات مثله اي فدخل
النار فابعده الله قل امين فقلت امين وروى الترمذي وصححه والبيهقي في
شعب الايمان والنسائي من حديث ابنة الحسين عن علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم البخيل هو الذي ذكرت عنده فلم يصل علي لبخله بما يرغب فيه
عن مستحقه شبه تركه الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بخله بانفاق
المال في وجوه البر ثم اشتق منه اسم الفاعل فجرت الاستعارة في
المصدر اصلية وفي اسم الفاعل تبعية كما في الحال ناطقة بكذا حيث شبه
فيه دلالة الحال بنطق الناطق ثم اشتق منه ناطقة فجرت الاستعارة كذلك
او شبه تاركها على طريقة الاستعارة المكنية بمن ترك انفاقه في وجوهه ثم
اثبت له البخل تخييلا حتى كانه من جلسه بلو يحاجزه بما به من الاجر وايذانا بان من
تكاسل عن الطاعة يسمى بخيلا وروى البيهقي في شعب الايمان عن جعفر بن
محمد عن ابيه مرسلا ورواه الطبراني في الكبير عن جد محمد الحسين موصولا
من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطأ به يحتمل بناؤه للمفعول وللفاعل طريق
الجنة فلم يهتد قصده لجهله وروى ابو داود والترمذي وحسنه والحاكم
وصححه عن ابي هريرة ايما قوم جلسوا مجلسا ثم قاموا منه وتفرقوا قبل
ان يذكروا الله ويصلوا علي كانت عليهم من الله ترة بمثناة فوقية
مكسورة وراء مفتوحة اي نقص او تبعة لتفرقهم ولم يأتوا بما يكفر لغطه
من ذكر الله والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهاترة عوض عن واوه
المتروكة كوعد وعدة وسعة ومفقد ان شاء اي الله عذبهم بتركهم كفارة المجلس

وان شاء غفر لهم فضلا منه تعالى ورحمة لهم وروى البيهقي في الشعب من
نسي الصلاة علي نسي بضم اوله وتشديد ثانيه اي من ترك الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم اخطأ طريق الجنة فالمراد بالنسيان الترك تشبيها اتتك
آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى اي جاءتك واضحة نيرة فعميت عنها
وتركتها ولم تتبصر بها وتركتك ها تركا كالاعمى معذبا وروى عبد الرزاق
عن معمر عن قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من الجفا اي ترك البر والصلة
وغلظ الطبع ان اذكر عند الرجل لم يرد به رجلا معينا فهو كالنكرة فعوملت
معاملتها كما في ولقد امر على اللئيم يسبني فلا يصلي علي لغلظ طبعه وعدم
مروته وحديث جابر هنا رواه البيهقي كحديث ابي هريرة ايما قوم جلسوا مجلسا
وفيه الا تفرقوا عن انتن من ريح الجيفة مما صدر منهم من ردي الكلام
ومذمومه شرعا ولم يختموه بما يكفر لغطه من الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم وحديث ابي سعيد هنا ايضا رواه البيهقي في الشعب وسعيد بن
منصور مثل هذا وفيه الا كان اي مجلسهم عليهم حسرة اي ندامة لازمة
لهم من سوء آثار كلامهم فيه فلا يرون عوضه الا حسرة بتركهم فيه وان
دخلوا الجنة فيزدادوا حسرة لما يرون من الثواب بالصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم الفائت لهم بتركها فيه حكى ابو عيسى الترمذي صاحب
السنن من الكتب الستة عن بعض اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل لم
يرد رجلا معينا فهو كما مر كالنكرة فيعامل معاملتها فهو وصف بالنكرة
ولامه عهدية ذهنا كهي في الذئب في واخاف ان ياكله الذئب اي اذا
صلى رجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه اي كفاه
صلاته فيه من ما كان في ذلك المجلس مما صدر منه فيه من لغط فيكون
كفارة له فصل في خصيصة صلى الله عليه وسلم بتبليغ صلاة
مصدر مضاف الى مفعوله كالاول اي في تخصيص الله اياه صلى الله عليه وسلم
بتبليغه صلاة من صلى عليه او سلم عليه من الانام اي الخلق وكل ذي روح
وقد روي هنا لذلك تسهو وصدق اسند منها حديث ابي هريرة من طريق ابي داود
ورواه احمد والبيهقي وسنده حسن ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي
حتى ارد فانه لرد ها في معنى التعليل اي من اجل اني ارد عليه السلام ومن خص
الرد بوقت الزيارة فعليه البيان وذكر ابن ابي شيبة عن ابي هريرة كما رواه ابو
الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب من صلى علي عند قبري سمعته ومن
صلى علي نائيا اي بعيدا اعني بلغته من احد من الملائكة فارد عليه وروى احمد
والنسائي والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود ان لله ملائكة سياحين في

الارض بالمجيء في مصالح بني ادم يبلغوني عن امتي السلام اي فيرد عليهم
بسماعه منهم او ممن زاره وعن ابن عمر لو اعلم من رواه اكثروا من السلام
على نبيكم السلام عليك يا نبي الله فان شفع بالصلاة عليه كان اعظم اجرا كل
جمعة فانه اي السلام يؤتى به منكم في كل جمعة سلم عليه فيها ونشهد لها
قلته ما جا في رواية لا ادري من رواها فان احدا لا يصلي علي الا عرضت
صلاته علي حين يفرغ منها هذا وبقية الاحاديث لو اوردت هنا متقاربة
معنى مع ما مر لفظا ومعنى فلا نطيل بذكرها حذرا للسآمة فحديث الحسن
رواه الطبراني وابو يعلى بسند حسن وحديث ابن عباس رواه اسحق بن راهويه
في مسنده والبيهقي في الشعب موقوفا وحديث الحسن بن علي رواه
ابن ابي شيبة وعنه ابو يعلى عن زين العابدين بن علي بن الحسين وفيه هنا
لا تتخذوا بيتي وهنالك قبري عيدا يحتمل ان يريد به الحث على كثرة زيارته
اذ هي افضل القربات عند معرفة انه اجاما يسرها الله لنا عودا على بدء
اي اكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد تزورونني في السنة مرتين لشهادة
احاديث كثيرة وردت بالحث عليها وبوجوب شفاعته لزائره او النهي
عن الاجتماع لزيارته كالاجتماع للعيد اي لا تجعلوا زيارة قبري كالعيد
يجتمعون لها كما يجتمعون له تشبيها لاجتماع اليهود والنصارى لزيارة قبور
انبيائهم ليشهد له حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور
انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا ولا تتخذوا بيوتكم قبورا بترككم
الصلاة فيها كالميت في قبره لا يصلي ولا يعمل بل اجعلوا فيها من صلاتكم ويويده
قول الخطابي لا تجعلوها وطنا للنوم فقط لا يصلون فيها فان النوم اخو الموت
والميت لا يصلي اولا تجعلوها قبورا لموتاكم تدفنونهم فيها قال وليس بشيء فقد
دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ورد بانه ابيح فيه سنة الانبياء
لشهادة قوله صلى الله عليه وسلم ما قبض نبي الا دفن حيث تقبض وكان هذا
المردود به قول الخطابي تقوية وتاييدا لقوله وحديث انس رواه ابو داود والنسائي
وحديث سليمان بن سحيم رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي في حياة الانبيا وشعب
الايمان وحديث ابن شهاب رواه النميري مرسلا فصل في الاختلاف
الوارد عن العلما في جواز الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم وعلى غيره
سائر الانبيا اي بانبيهم صلوات الله وسلامه عليهم عامة اهل العلم
اي كلهم متفقون على جواز الصلاة على غيره اي النبي صلى الله عليه وسلم اي
من انبيا وملائكة ومومنين وروي كما في شعب البيهقي وسنن سعيد بن منصور
عن ابن عباس لا تجوز الصلاة على غيره اي غير النبي صلى الله عليه وسلم ولعله

رجع

رجع عنه بشهادة ما روي عنه كما في فضل الصلاة عليه وسلم لاسمعيل
القاضي لا ينبغي الصلاة على احد الا النبيين صلوات الله وسلامه عليهم
وقال سفين هو الثوري يكره ان يصلي الا على نبي ضمن يكره معنى حرف
النفي لايذانه بالترك فحسن بعده الاستثنا وعمم في نبي وما عزاه لبعض شيوخ
لمالك من عدم جواز الصلاة على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله عليه وسلم
فقال انه غير معروف من مذهبه واستبعد لكونه غير معروف منه بانه
قد قال في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبيا اي من ملائكة
ومومنين قال وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به من الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم فقط بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولعل من عزى
من شيوخه لمالك عدم جواز الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم من الانبيا
حمل ينبغي على لا يجوز فعزاه له قال يحيى بن يحيى الليثي لسنا ناخذ بقوله اي بقول
مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به ولا باس بالصلاة على الانبيا كلهم
وعلى غيرهم من ملائكة ومومنين واحتج اي يحيى بن يحيى لما قاله بحديث ابن عمر
الاتي انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وبما جا من
حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم فيما مر اصحابه الصلاة عليه وفيه
اي في حديث تعليمه صلى الله عليه وسلم وعلى اله وازواجه فهما موذنان بجواز
الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم والاسانيد الواردة عن ابن عباس
كقوله فيما مر لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم لينة غير قوية
لا يصلح منها شي للاحتجاج به على عدم جوازها على غيره صلى الله عليه وسلم والصلاة
في لسان العرب بمعنى الترحم والدعا فيجوز على غيره صلى الله عليه وسلم
اما اذا كانت كما قال البيهقي والخطابي على وجه التعظيم والتكريم عند
ذكره تحية له صلى الله عليه وسلم فانما ذلك له قال يحيى بن يحيى وذلك اي قوله ولا
باس بها على الانبيا وغيرهم على الاطلاق كما وردت به الادلة بدون
تقييد بتبعية وغيرها حتى يمنع منه اي من الاطلاق حديث صحيح او اجماع
يوذن بتقييد ما ورد مطلقا كيف وقد قال تعالى هو الذي يصلي
عليكم اي بالترحم والتراف وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما
يصلحكم وقال عز من قائل وصل عليهم اي تعطف عليهم بدعائك واستغفارك
لهم ان صلواتك سكن لهم اي تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم
وقال اولئك عليهم صلوات اي مغفرة وتزكية من ربهم ورحمة اي انعام ودفع
ضر او اراده فهما اما من صفات الافعال او الذات وقال النبي صلى الله عليه
وسلم كما رواه الشيخان اللهم صل على ال ابي اوفى من حديثه عن عبد الله بن ابي

أو فيء فقال النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان كان إذا أتاه قوم بصدقتهم
قال اللهم صل على آل فلان كناية عمن ينسبون له أي ذلك أتوا لهم التي بذلوا زكاتها
واجعلها لهم طهورا واخلف عليهم ما أخرجوا منها وارحمهم وقال فيما رواه أبو داود
والنسائي عن قيس بن سعد بن عبادة أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل
صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة وهو مراد معهم كأبي داود وقد
أعاد هنا حديثي الصلاة على أزواجه وذريته وعلى آله وذكر الخلاف في آله مع
تقدم مما أغنى عن إعادتها وحديث أنا آل محمد كل تقي رواه الطبراني في الأوسط
وابن مردويه وحكي على مذهب الحسن بن أبي الحسن البصري أن المراد بآل محمد هو
محمد نفسه فنداء أي الحسن كان يقول فيما رواه النميري عنه في صلاته على النبي صلى
الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد يريد نفسه صلى
الله عليه وسلم لتشهد روايته الأخرى من طريق آخر على محمد بدون آله ولأنه
أي الحسن كان لا يخل بالفرض الذي هو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ويلغي
بالنفل الذي هو الصلاة على آله لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد
نفسه صلى الله عليه وسلم مما لا يؤتى بالنفل دونه وهذا أي قول الحسن على آل محمد
مثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن أبي موسى لقد أوتي أي أبو موسى
مزمارا من مزامير آل داود فإنه أراد به داود نفسه هنا وتعيد الأحاديث حماد له (?)
على إباحة الصلاة على غير الأنبياء لوضوح غنية عن البيان والذي ذهب
إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك إمام دار الهجرة فيما مر أكره الصلاة
على غير الأنبياء وما قاله سفيان الثوري يكره أن يصلى إلا على نبي لأنها قد صارت
شعارا للأنبياء فلا يلحق بهم غيرهم لكنه مع حسنه مؤذن بدا [illegible] هم على
الملائكة فالذي ذهب إليه أكثر فعي وأصحابه إلحاقهم بالأنبياء في جواز
إفرادهم بها فتكره منا عند على غيرهم الأتباع وروي عن ابن عباس
كما خبا أي ما روي عن ابن عباس عن واحد بل كثيرون من الفقهاء والمتكلمين أنه
لا يصلى على غير الأنبياء مفردا لأنه من شعار أهل البدع كالرافضة
يفردون من يعتقدون كماله فلا يصلى على غيرهم توقيرا لهم وتعزيرا
براءتي وتأتيهما أي تعظيما وتبجيلا مفعولان لأجلهما اختصاصهم كما خص
الله تبارك وتعالى عند ذكره بالتنزيه متعلق بخص أي عما لا يليق بجنابه
الكريم والتقديس أي التطهير من النقايص والتعظيم لجلاله وتجاوز قدره
حد منع العقول تصور كنه حقيقته وما قدروا الله حق قدره ولا يشاركه فيه غيره
كذلك أي مثل اختصاصه تعالى بما ذكر يجب تخصيص النبي وسائر الأنبياء صلى الله
عليهم وسلم بالصلاة والتسليم أي التعظيم والتكريم والسلامة مما لا يليق بجنابهم

جنابهم ولا يشارك مبني للفاعل وللمفعول أي لا تجعلوا غيرهم مشاركا أو لا يشاركهم
فيه سواهم فحذف ضميرهم المفعول للعلم به تعظيما لهم كما أمر الله بالصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما أي وعليهم كذلك وينبغي أن يذكر غيرهم هم
من الأئمة وغيرهم بالرضى والغفران كرضي الله عن أبي بكر وغفر له كما قال تعالى
ربنا اغفر لنا ولإخواننا أي في الدين الذين سبقونا بالإيمان وقال تعالى
والسابقون السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم
بإحسان أي بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
ورضاه بأعمالهم ورضوا عنه فهو أي إفراد غير الأنبياء بالصلاة عليهم أمر لم يكن معروفا
في الصدر الأول من لدن الصحابة وهلم كما قال أبو عمران الفاسي من مالكية
فاس بالمغرب وإنما أحدثته الرافضة التي المتبعة للباطل والشيعة في بعض
أئمتهم لعلي وأولاده فشاركوهم عند الذكر لهم مفردين لهم بالصلاة
عليهم وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أي في الصلاة عليهم
معتقدين كالأنبياء لاعتقادهم عصمتهم ومن ثم قالوا لا تصح لغيرهم إمامة
ولا خلافة والتشبه بأهل البدع منهي عنه إجماعا لخروجهم عن منهج
الحق ببدعهم فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك الذي شذوا إليهم به
فيه الأنبياء وساووهم فيه وغيرهم مما نكبوا عن منهج الحق وإن منحنا بالله إنه
قد ورد ذكر الصلاة على الأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم قلنا إنما كان
ذلك بحكم التبع له صلى الله عليه وسلم لا على التخصيص لهم وصلاته صلى
الله عليه وسلم على من صلى عليه من الصحابة وغيرهم كآل سعد بن عبادة
إنما مجراها مجرى الدعاء لهم بالرحمة والمواجهة لهم به جبرا لصدع
قلوبهم وتعطفا عليهم ليس فيها أي في مواجهتهم بالصلاة عليهم معنى
التعظيم والتوقير احتراما وتبجيلا لولا أي الكائن منهما على غير الأنبياء
قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول التي نداء رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بينكم
كدعاء بعضكم بعضا فلانا دون باسمه كما ينادي بعضكم بعضا باسمه أي بل نادوه
صلى الله خيرة الله يا رسول الله توقيرا وتعظيما واخفضوا أصواتكم تنبيها [illegible]
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فكذا للناس فكما يجب نداؤه بما ذكر يجب أن
يكون الدعاء له صلى الله عليه وسلم مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض
فصل في حكم زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفي فضيلة من زاره وكيف
يسلم أي من زاره ويدعو له صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه أشهد بعد
ذكره هذا وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة مجمع عليها أي على كونها سنة
وزيارة قبره فضيلة مرغب فيها لما فيها لمن تعرض له وتوفيق وتوفي ثواب

كبير روي عن ابن عمر فيما رواه ابن خزيمة متوقفا في ثبوته والبزار والطبراني وله طرق
وشواهد لاجلها حسنه الذهبي من زار قبري وجبت له شفاعتي ان سوال
الله له ان يتجاوز عنه مكافاة له وعن انس مما لم اعرف له راو من زارني في
المدينة محتسبا اي ناويا بها وجه الله وثوابه وقيل له محتسبا لاعتداده
بعمله فجعل حال مباشرته للفعل كانه معتد به والاحتساب من الحسب كالاعتداد كالاعتداد
من العدد والحسبة اسم منه كالعدة من الاعتداد وهو في الاعمال الصالحة وعند
المكروهات البدار الى طلب الاجر وتحصيله بالتسليم والصبر او باستعمال
انواع البر والقيام بها على وجهها طلبا للثواب المرجو وعن عمر ايها الناس احتسبوا
اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته كان في جواري
اي في ذمامي وعهدي لا يخفر ولا ينقض عهده وكنت شفيعا له يوم
القيامة مكافاة لحسن صنيعه وفي حديث اخر رواه البيهقي وسعيد
بن منصور في سننهما والدارقطني والطبراني عن ابن عمر من زارني
بعد موتي فكانما زارني في حياتي لانه صلى الله عليه وسلم في قبره الشريف
حي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف اي لولا القائل
في معنى ذلك من جنب الداعي لما للطلب كراهته فقيل كراهة الاسم
اي اسم الزيارة لما ورد من رواية احمد والترمذي وابن حبان عن ابي هريرة
من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور ورد هذا
استدلالا بانه انما لعنهن لانهن ماورات بالقرار في بيوتهن لا يصلح
لهن زيارتها ويرده ايضا قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم بلفظ
كنت نهيتكم بمعنى ما هنا نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فهذا امر
بها بعد نهي فهو ناسخ له وقوله صلى الله عليه وسلم فيما مر عن ابن عمر من
زار قبري وجبت له شفاعتي فقد اطلق اسم الزيارة فلم يكن الكراهة
للاسم وقيل لقولهم ان الزائر افضل من المزور وليس هذا القول بشيء
اذ كل زائر افضل من المزور حتى يوصف بهذه الصفة وليس قولهم الزائر
افضل من المزور عموما في كل زائر وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم ولم يمنع هذا اللفظ اي ذكر لفظ الزيارة في حقه تبارك وتعالى
فلم يكن كراهة مالك للاسم والاولى عندي ان كراهة مالك له اي لان
يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاضافته الى قبره صلى الله عليه وسلم
اضافة لنسبه لا تحويه لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا
اي كونا من جواهر الارض كالحجارة يعبد بعدي اي بعد موتي اشتد
غضب الله على قوم كالنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يسجدون

لها

لها كما يسجدون للاوثان فحمى اضافة هذا اللفظ اي لفظ الزيارة الى القبر
والتشبه بفعل اولئك الذين اتخذوا قبور انبيائهم مساجد قطعا للذريعة
التي يتوصل بها الى ما ذكر وحسما للباب اي سدا له والحسم في الاصل القطع
ومنه حديث عليكم بالصوم فانه محسمة للعرق اي مقطعة للنكاح قال
اسحق ابن ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج ورد به المرور
بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم اذ قد ورد ان
الصلاة فيه بمائة الف صلاة والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره
صلى الله عليه وسلم ومجلسه وملامس يديه وموطئ قدميه من اماكن
مدينته صلى الله عليه وسلم والعمود الذي كان يستند اليه في مسجده
صلى الله عليه وسلم والمكان الذي كان ينزل جبريل بالوحي فيه عليه والتبرك
بمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين وحديث ابن ابي فديك
رواه البيهقي من طريق ابن ابي الدنيا وهو هنا غني عن البيان وفيه ولم يسقط
له حاجة اي لم تترك مجانا بلا قضا وحديث يزيد بن ابي سعيد رواه ابن ابي
الدنيا من طريقه البيهقي في الشعب عنه وفيه فاقراه اي بلغ النبي صلى الله
عليه وسلم مني السلام وقال غيره اي غير يزيد وهو حاتم بن وردان كما رواه
البيهقي في الشعب كان اي عمر بن عبد العزيز يبرد اليه البريد من الشام
اي يوجه الى النبي صلى الله عليه وسلم القاصد من الشام ليقراه منه السلام
هذا والبريد رسول وهو في الاصل بريد ذنب اي بريد به البغل المحذوف الذنب
ليفال البريد محذوفة الاذناب كالعلامة لها فعربت ثم سمي بها راكبها هذا
وتعيد ما في هذا الفصل مما ورد من الاحاديث وفعل الصحابة والتابعين
وغيرهم زيارته له صلى الله عليه وسلم وسلاما عليه ورأي مالك وغيره بين
لا يفتقر الى تنبيه عليه وحديث نافع كان ابن عمر رواه البيهقي وغيره وحديث
رأى ابن عمر رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القاري انه راه واضعا يده
على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر وحديث ابن قسيط رواه ابن
سعد وحديث ما بين بيتي ومنبري روضة رواه بتمامه احمد عن جابر والبزار
عن ابي بكر والدارقطني عن عمر بلفظ قبري بدل بيتي وبدون الجملة الاخيرة
البيهقي عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابن عمر ورواه فقط احمد
وابو عوانة عن سهل بن سعد وهي ومنبري على ترعة من ترع الجنة من ارتعت
الابل اذا املاته وهي في الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت
في مطمئن فهي روضة وعن القتبي معناه ان الصلاة والذكر في هذا الموضع
يورثان الجنة فكانه قطعة منها وحديث فاطمة اذا دخلت بعتبة الخطاب

لا اعلم من رواه ورواية فليسلم رواها ابو داود عن ابي حميد وابي اسيد وحديث
فاطمة كان اذا دخل المسجد رواه احمد والبيهقي في الدعوات ورواية حمد الله
وسمى وصلى لم ادر من رواها ورواية بسم الله رواها الترمذي وابن ماجه وحديث
كان اذا دخل المسجد لم اقف عليه وحديث ابي هريرة رواه ابن حبان وابن ماجه
وابن خزيمة والنسائي في اليوم والليلة وحديث اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد
رواه مرسلا مالك في الموطا عن عطاء بن يسار وعند البزار عن معمر عن زيد
بن اسلم وحديث لا تجعلوا قبري عيدا رواه ابن ابي شيبة موصولا عن علي وسعيد
بن منصور في سننه مرسلا من طريقين وتقدم بيانه فصل فيما يلزم من
دخل مسجده صلى الله عليه وسلم من الادب والسكينة والوقار وفي فضله اي
فضل مسجده صلى الله عليه وسلم وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر
فضله صلى الله عليه وسلم وفضل سكنى المدينة ومكة شرفهما الله تعالى قدم
المدينة لا لتفاعد مقابلة مالك افضل من مكة ولم يوافقه احد غير بعض اهل المدينة
كما لم يوافقه احد في قوله ان عمل اهل المدينة حجة وهذا حديثا حالي على طريقة الجمع ثم اورده
مفصلا قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم من وضع اساسه
احق ان تقوم فيه اي هو اولى ان تصلي انت فيه يعني مسجده صلى الله عليه وسلم
لما روي كما في مسلم عن ابي سعيد وعند احمد عن ابي بن كعب وسهل بن سعد انه
صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو فقال مسجدي هذا وهو قول من ذكر
هنا من الصحابة والتابعين وغيرهم وعن ابن عباس فيما رواه ابن ابي حاتم انه مسجد
قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام اقامته بها من يوم الاثنين
الى يوم الجمعة وهو اوفق للقصة وقد اسند هنا من ادلة فضل مسجده وغيره من
طريق ابي داود وحديث لا تشد الرحال جمع راحلة وهي البعير النجيب التام
الخلق الحسن المنظر القوي على الاحمال والاسفار يطلق على الذكر والانثى
والهاء فيه للمبالغة الا الى ثلاثة مساجد للزيارة لفضلها على غيرها من
المساجد جمع مسجد اسم لمكان السجود وهو وضع الجبهة على الارض ولا
خضوع اعظم منه المسجد الحرام بمكة الذي جعله الله للناس وهو
افضلها ومسجدي هذا بالمدينة وهو دون ما قبله في الفضل والمسجد
الاقصى بايليا وهو دون ما قبله فقط وغيرها من المساجد فيه سواء وروى
ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص حديث كان اي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم اي الوذ به ملاذا
والتجا اليه ملتجا مستجيرا به وبوجهه الكريم اي ذاته اذا الوجه يعبر به عن
الذات بشهادة كل شيء هالك الا وجهه اي ذاته وعن الجهة كما في فاينما

تولوا

تولوا فثم وجه الله اي جهته التي امركم بالتوجه اليها وعن الرضى كما في
الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي رضاه لا لمكافاة نعمته وسلطانه القديم
على جميع خلائقه قهرا وغلبة من الشيطان الرجيم اما من الشطن
وهو البعد والحبل الطويل ان كانت نونه اصلية اي من البعيد عن الحق
والخير المتمادي في الغواية والشر او من شاط يشيط اذا هلك ان كانت
زائدة اي من الهالك او من استشاط اذا اخذ غضبا والتهب اي من
الملتهب غضبا وقال مالك فيما رواه البخاري والنسائي سمع عمر
صوتا في المسجد اي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا ان
يوتى بصاحبه اليه فجي به اليه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال
اي عمر له لو كنت من هاتين القريتين لعلها مكة والمدينة لظهور انهما
بهما اذ ذاك لادبتك ضربا ان مسجدنا هذا لا يرفع فيه الصوت وكذا
جميع المساجد لا يجهر فيها بما يشوش على اهلها ويشغل خاطرهم عن العبادة
لاتفاق العلماء عليه لشهادة الخبر في حديث انما بنيت المساجد للذكر
والعبادة وروى الشيخان حديث ابي هريرة صلاة في مسجدي هذا خير
من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام اي الممنوع له من التعرض له بسوء
اوكبا له هذا وقد اختلف الناس في هذا الاستثنا يعني الا المسجد الحرام
على اي مع اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة في ايهما افضل فذهب
مالك في رواية اشهب بن عبد العزيز وجماعة من اصحابه اي اصحاب مالك
عنه الى ان معنى الحديث ان صلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل
منها فيه اي في المسجد الحرام بدون الف تا وقيل بعيد للبعض عن مسافة الحقيقة
لشهادة زيادة حديث ابن الزبير الاتي التي رواها عمر منفرده وهي التي احتجوا
بها له اي لتاويلهم بما روي من قوله صلى الله عليه وسلم في مسند الحميدي عن عمر
صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه اي سوى المسجد
الحرام فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه اي على المسجد
الحرام بتسع مائة وعلى غيره من المساجد بالف وهذا اي تفضيل مسجده صلى
الله عليه وسلم على المسجد الحرام قول عمر ومالك واكثر المدنيين من
مدينته صلى الله عليه وسلم وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة
لشهادة حديث النسائي وابن ماجة والترمذي وحسنه وصححه عن عبد الله بن الحمرا
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير ارض
الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وهو اي تفضيل مكة على المدينة
قول من ذكره هنا من الائمة وغيرهم وحكاه ابو يحيى زكريا الساجي عن الشافعي

وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم اي حديث الشيخين عن ابي هريرة على
ظاهرهم من استثناء المسجد الحرام مما قبله اعني مسجده صلى الله عليه وسلم
وان الصلاة في المسجد الحرام افضل منها في مسجده اي مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم واحتجوا لتفضيل مكة على المدينة بحديث عبد الله بن
الحمراء المتقدم وحديث احمد وابن حبان والبيهقي باسناد حسن كما قال النووي
عن عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة ٥
صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وفيه اي
في حديث ابن الزبير وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في مسجدي
هذا بمائة صلاة اسقط منه المضاف الى صلاة اي بمائة الف صلاة اذ
قد ورد كذلك عند احمد وابن حبان ماجه عن جابر باسنادين صحيحين بلفظ صلاة في
مسجدي افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد
الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد
الحرام افضل من مائة الف صلاة فيما سواه لحديث ابن الزبير هذا وروى ابو هريرة
صدره وعمر عجزه وروى قتادة مثله اي مثل حديث ابن الزبير فتأتي فضل
الصلاة في المسجد الحرام على هذا القول الصحيح له بحديث ابن الزبير على الصلاة
في سائر المساجد بمائة الف والخلاف من غير الامصار ان موضع قبره
صلى الله عليه وسلم افضل بقاع الارض قصر للعام على بعض افراده بلا
مرجح يؤذن به الآن نعتبر الوصف بالفرضية مرجحا وذهب مطرف
من اصحابنا اي المالكية الى ان ذلك اي التفضيل الوارد في الصلاة فيهما
في النافلة مستمنة الى الفريضة ايضا اخذ نظرا هو عموم الحديث وقال
اي الطحاوي او مطرف في تفضيل الصلاة والصوم فيهما وجمعة خير من
جمعة ورمضان خير من رمضان وهذا اشارة الى ما قد ذكر عبد
الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها من البلاد حدثنا
نحوه اي نحو ما ذكر مثله رواه الطبراني عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة
خير من رمضان وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم
وروى الشيخان عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة تقدم ان الروضة هي
المكان المطمئن من الارض مستقر الماء زاد ابو سعيد في رواية الموطأ
كرواية ابي هريرة هنا ومنبري على حوضي تمثيل وتصوير لكونه عليه يعني
ان الذكر والعبادة عنده يورثان الري من حوضه يوم العطش من
هول يوم القيامة وفي حديث اخر تقدم قريبا منبري على ترعة من ترع

الجنة هذا وقد ذكر هنا عن ابي جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره من معنى
الحديث من ما لا مزيد عليه وروى الشيخان عن ابن ابي اوفى الجنة تحت ظلال
السيوف كناية عن الدنو في الجهاد فكأنه برفع سيفه للضرب في الجنة تحت
ظلها او عن انه سبب لدخولها والظل ما حجز بينك وبين الشمس وقيل ما كان
منه من زوالها وما كان منه بعدها فهو فيء وفي شعر العباس المار تمدح به
النبي صلى الله عليه وسلم

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق

اي من قبل حالة هبوطك في صلب ادم الى الارض فكنت فيها ولم يتقدم لها
ذكر لظهورها مريدا ظلال الجنة اي لنشأتنا في صلبه حيث كان في الجنة وروى
ابن عمر فيما رواه مسلم لا يصبر على لأوائها اي المدينة وشدتها تفسير لما قبلها بالواو
عطفا ايضا لتغايرهما وتكريرها لفظا عنها بزايدها فيها اي على ضيق عيشها احد
الا كنت له شهيدا مبالغة في فاعل اي شاهدا له بما اعلم من صبره عليها او شفيعا
مبالغة فيه ايضا اي شافعا له من اهوال يوم القيامة واو هنا ليست للشك
اذ قد رواه جماعة كذلك بعد انفا فيما عليه لسعد بن ابي وقاص وابن عمر وجابر
وابي سعيد وابي هريرة واسماء بنت عميس وصفية بنت ابي عبيد من الثنيات
فلو صلى الله عليه وسلم اما ان يكون اورده هكذا او هي كما قال النووي للتقسيم
فيكون شهيدا لبعض شفيعا لباقيهم او شهيدا لمطيعهم شفيعا لعصاتهم او
شهيدا لمن مات في حياته شفيعا لمن مات بعده وهذه خصوصية زائدة على شهادته
في القيامة على جميع الامم وعلى شفاعته للمذنبين وغيرهم وقد تأتي لقوله صلى الله عليه
وسلم في قتلى احد انا شهيد على هؤلاء وهي بمعنى الواو فيكون شهيدا وشفيعا لاهلها
مزيته وحظوة لهم ودفعه كبير لشأنهم وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن
سفيان عن ابي هريرة فمن تحول عن المدينة اي رفع حاله وامتعته وتحول عنها الى
غيرها والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لو هنا امتناعية جوابها محذوف
اي لو يعلمون خيريتها لما فارقوها او لو كانوا من اهل العلم لعرفوا خيريتها ويذكروا
عهود اباتهم ومحبوا الى الالفة المالوف فما نقوه ولم يرضوا بفراقه فلزموه ٥
لاجله تنزيلا للفعل منزلة اللازم وقد يسمى بها لمناسبتها للبيت من حيث انه
ينفض بها غير الرائع وانما كما يطلب بليت ما لا طاقة في ذو عمرو روى البخاري
عن جابر انما المدينة كالكير اي كير الحداد وهو ما بني من الطين او هو الزق
الذي ينفخ النار به والكور المبني ويجوز ان تكون الواو منقلبة باء وفرق بينهما
بضم الكاف وكسرها وهما من الكور اي الزيادة ضد الحور اي النقص لان كل منهما
تزيد التبع وتنقصه وفي الحديث اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور ٥

تنفي اي المدينة خبثها بالنصب على المفعولية وينصع طيبها بصاد مهملة وطا
مفتوحة مثناة تحتية مشددة بالرفع على الفاعلية شبه المدينة بالكير
بجامع انه يميز النار بين طيب الجواهر المعدنية وخبثها وهي تميز بنفيها بالأوائها
وجهدها شوائبها المشتبهة بخبث الجواهر وتزكي وتخلص خالصها المشتبهة بطيبها
اذ هي ازكى واخلص وروى مسلم عن جابر لا يخرج احد من المدينة رغبة مفعول
من اجله الخروج اعراضا عنها حرصا على مرغوب فيه في غيرها وعن ابي الدردا
بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب اي فاسد الراي واسع الشهوة
والامل وطالب الكثير الا ابدلها الله خيرا منه راغبا في سكناها غير متولع عنها وغير
تلوح بتندم من فارقها موثرا غيرها عليها تفويته على نفسه خيرا كثيرا و روى كما في سنن
البيهقي ورواه الدارقطني عن عايشة بسند ضعيف من مات باحد الحرمين اي حرم مكة
والمدينة سمي حرما لتحريم الله فيه خيرا كثيرا مما لم يحرمه في غيره من المواضع حاجا او
معتمرا حال من ضمير مات اي محرما بحج او عمرة بعثه الله بعد موته حيا يوم القيامة
لا حساب عليه ولا عقاب وفي طريق اخر للبيهقي في الشعب عن عمر والطبراني
عن جابر وسلمان بعث اي احيي بعد موته من الامنين يوم القيامة و روى الترمذي
وصححه وابن ماجه وابن حبان عن ابن عمر من استطاع ان يموت بالمدينة
فليمت بها تحريض على لزومه بها والاقامة بها ليتاتى له ان يموت فيها اطلاق
للمسبب على سببه كما في ولا تموتن الا وانتم مسلمون وقوله تعالى ان اول بيت وضع
للناس اي جعله الله لهم متعبدا وقبلة يعبدون فيه ويتوجهون في عباداتهم اليه
للذي ببكة لغة فيها اذ الباء والميم يتعاقبان من بكه اذا دقه لانها تدق
اعناق الجبابرة او اذا زحمه لان الناس يبك بعضهم بعضا في الطواف اي يزحم روي
روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم
بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة مباركا حال من المستكن في الظرف
قبله اي كثير النفع والخير لمن حجه او اعتمره وطاف حوله وهدى للعالمين لانه
قبلتهم ومتعبدهم فيه ايات بينات اي ظاهرة البيان قوية البرهان على قدرة
الله ونبوة ابراهيم من تاثير قدمه في حجر صلد قام عليه لرفع الحجارة لبنا البيت
فغاصت قدمه فيه هو مقام ابراهيم مبتدا حذف خبره اي منها مقامه او
بدل من ايات بدل بعض من كل او عطف بيان لاعلامه تعالى بان اثر قدمه صلى الله سايره
عليه وسلم فيه اية وغوصها فيه الى كعبه اية والانة بعضه دون بعض اية وابقاه
دون اثار الانبيا اية وحفظه الوف سنين مع كثرة اعاديه ومن دخله كان امنا
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة على مقام افادت امن داخله وفيه ايات
بينات مقام ابراهيم وامن من دخله فذكر تعالى اثنين في الدنيا والامن من العذاب

في الاخره وطوى ذكر غيرهما من الايات له لانهما على تكاثرها قال بعض المفسرين امنا من
النار لشموله عموم قوله صلى الله عليه وسلم من مات باحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا
وقوله يبعث الله من هذا الحرم سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة
بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وقوله
الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وقيل كان امنا
من الطلب من احدث حدثا ولجا اليه استند معتصما به في الجاهلية اذ كان الرجل
متى جنى فيها جناية ثم لجا اليه لم يمس بسوء حتى يخرج منه وعن ابي حنيفة من لزمه قتل ثم
لجا الى الحرم لا يتعرض له ولا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يعامل حتى يضطر الى
الخروج وهذا اي قوله ومن دخله كان امنا مثل قوله واذ جعلنا البيت اي الكعبة
غلبت عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس اي مرجعا يثوبون اليه لزيارته وامنا اي
موضع امن لا يتعرض لاهله كقوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس
من حولهم او يامن من حجه من عذاب الاخرة وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني
بالمنستير بميم مضمومة فنون مفتوحة فمهملة ساكنة ففوقية مكسورة فرا
مكان بالقيروان فاخبروه ان كتامة بكاف مضمومة ففوقية وميم خفيفتين
بينهما الف قبيلة من البربر قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل
فيه شيئا وبقي ابيض البدن فقال سعدون لعله اي المقتول حج ثلاث حجج
قالوا نعم اي حج ثلاث حجج قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه الذي فرض حد
عليه بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن حج ثانية
داين ربه اي اطاعه وعبده ومن حج ثالثة حرم الله شعره وبشره اي ظاهر جلده
على النار وروى الطبراني في الاوسط معاجمه عن جابر لما نظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الكعبة يوم الفتح او وقت هجرته الى المدينة او في حجة الوداع
قال مرحبا بك من بيت اي لقيت رحبا وسعة او رحب الله بك ما اعظمك واعظم
حرمتك قدرا فلا تحل الا بحقها وقد روينا في رسالة الحسن البصري الى اهل مكة ان
الدعا يستجاب في حرمها وعند البيت والركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب
وفي الصفا والمروة وكثير من نواحيها وروينا ايضا من صلى خلف المقام ركعتين
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر منه وحشر يوم القيامة من الامنين
من اهوالها وعذابها وقد اسند هنا حديث ابن عباس ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم
الا استجيب له مسلسلا بالسماع وروى سعيد بن منصور والبيهقي في سننهما
من طريق ابي الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لا يسال الله فيه احد شيئا الا
اعطاه قال ابو الزبير وقد دعوت الله ثم هناك فاستجاب لي العشر الثالث
من الكتاب فيما يجب له صلى الله عليه وسلم مما يليق بكريم ذاته وعظيم صفاته وما

يستحيل اتصافه به مما لا يليق بكيف جنابه الشريف وساحة مقامه المنيف ويجوز
عليه مما لا يخل برفيع منصبه ومنيع رتبته وما يمتنع عليه او يصح له صلى الله عليه
وسلم من الاحوال البشرية بيان لما يجب له ويستحيل او يجوز عليه ويمتنع او يصح
ان يضاف اليه صلى الله عليه وسلم فهذا حديث اجمالي يرد عليك ان شا الله تفصيله
وما محمد الا رسول اخرج لا على مقتضى ظاهرها لاصحابه صلى الله عليه وسلم من
استعظامهم عدم تنابه لموته لما اذن تنزيلهم منزلة مستبعدي موته ومعتقدي
وصفه بالرسالة والبعد عن الموت رد عليهم بانه مقصور قصرا فرادا على الرسالة
لا تجاوزها الى بعده عن الموت هنا ولا ريب في ان دعواهم بعده عنه وتنزيلهم منزلة
مستبعده التي لهم من دعواهم التبري من موته وتنزيلهم منزلة منكريه وان زعم
قد خلت من قبله الرسل وسيخلوا صلى الله عليه وسلم كما خلوا قبله افان مات او
قتل انقلبتم على اعقابكم انكار وتوبيخ لا تكذيبي والفا معلقة للجملة الشرطية
بعدها بالجملة قبلها على معنى التسبب والفا لانكار جعلهم خلو الرسل قبله مسبب
لانقلابهم على اعقابهم بعد خلوه بموت او قتل نحاه مصعب بن عمير صاحب رايته
بدر واحد فقتله ثم قال قتلت محمدا والنبي يقول الي عباد الله فاجتاز اليه ثلاثون
رجلا مع علمكم بقا اديان الرسل بعد خلوهم متمسكا بها بعدهم فعليكم ان تجعلوه
سببا لتمسككم بدينكم بعد خلو نبيكم لا سببا لانقلابكم لان الغرض
من بعثه الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه ومن
ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بانقلابه عليها بل يضر نفسه وسيجزي
الله الشاكرين بشكرهم نعمة الاسلام بثباتهم عليه كانس بن النضر عم
انس بن مالك بن النضر فانه لما قيل الا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان كان محمد
قد قتل فان ربه حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده قاتلوا على ما قاتل عليه
ثم قال اللهم اني اعتذر اليك بما يقولون وابرا منه ثم شد سيفه فقاتل حتى قتل
وكالانصاري الذي راه مهاجري يتشحط في دمه قال له اشعرت ان محمدا قد قتل فقال
ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم وقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل اي هو مقصور على الرسالة تصريف لما في ذهن من اعتقد الهيته
لا يتجاوزها الى كونه الها فهو لم قبله خصهم الله بايات فانه كما احيى الموتى على يديه
فقد احيى على يدي موسى العصا حية تسعى وهو اعجب وكما خلقه من غير اب فقد
خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة اي مقصورة على الصدق
قلبا لما في ذهن من يعتقد الهيتها لا تنحطا الها فهي من النسا يلازمن الصدق
او يصدقن الانبيا وهذا غايته كما هما مبعدان لهما عن الالهية كغيرهما ممن
شاركهما في امثالهما من الناس كانا ياكلان الطعام مما ينافي الربوبية ويوذن

بكونهما من اجسام مركبة كائنة ثم تموت انظر كيف نبين لهم الايات تعجيب ممن
ادعى لهما الربوبية مع ما بينه من اعلام الادلة على بطلانها ثم انظر انى يوفكون
اي كيف يصرفون عن استماع الحق وتدبره وحجيء ثم لما بين العجيبين من التفاوت
فان بيانه للايات عجيب واعراضهم عنها اعجب وقوله وما ارسلنا قبلك من
المرسلين الا انهم ما بعد الا صفة لمحذوف حذف لدلالة المجرور عليه واقيمت
هي مقامه اي وما ارسلنا احدا منهم الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون
في الاسواق اي الا اكلين وماشين وقوله قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم
اله واحد ان فيه لتاكيد اثبات المسند للمسند اليه اتصلت بها ما الموطئة لا النافية وان
زعم تضاعف تاكيدها فتضمنت معنى القصر اذ قصر الصفة على موصوفها وعكسه
ليس الا تاكيدا للحكم على تاكيد اي انا بشر مثلكم تميزت عنكم باني يوحى الي ان ما
الهكم اله واحد فانما يوحى الي من قصرها عليه بمنزلة انما يقوم زيد اي لا عمرو وانما
الهكم اله واحد من قصرها عليها بمنزلة انما زيد قائم ثم نحاها موذن بان الوحي مقصور
على انه تعالى مستاثر بالوحدانية فمحمد وسائر الانبيا صلى الله عليهم وسلم اي بانبيهم
من عطف العام على الخاص من حيث اشتراك الفريقين في وصفهم بالنبوة لا من
عطفه عليه اصطلاحا اذ شرط فيه ان يكون المعطوف عليه بعضا من المعطوف
تقدم لفضله من البشر اي من بني ادم ومنه ادم ابو البشر سموا بشرا لظهور جلدهم جلوكم م
اذ البشرة ظاهر الجلد جمعها ابشار ارسلوا للبشر ولولا ذلك اي لولا ان الله
تعالى ارسلهم بشرا الى بشر مثلهم ولو كانوا ملائكة لما طاق الناس مقاومتهم
لضعف البشرية وقوة الملكية اذ قد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من
اصولها على جناحه ثم قلبها اي جعل عاليها سافلها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين وراى ابليس يكلم عيسى صلى الله عليه وسلم على عقبة في الارض
المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه على اقصى جبل بالهند ولما اطاقوا القبول
منهم في تبليغهم ما ارسلوا به اليهم ولما اطاقوا مخاطبتهم حال مكالمتهم
لهم قال تعالى ولو جعلناه اي الرسول الذي اقترحوه ملكا اذ قالوا لولا انزل
عليه ملك لجعلناه رجلا اي لارسلناه في صورة رجل لو جعلناه ملكا في صورته
وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنهم مخاطبتهم
كما كان جبريل ياتيه صلى الله عليه وسلم في صورة دحية اذ القوى البشرية
لا يطيقون رؤية الملك ومخاطبته ولا يقوون على رؤيتنا ذا كان على
صورته ولو جعلناه في صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم
اذا راوه في صورته قالوا ما هو الا بشر مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا وقوله
قل جواب لقولهم ابعث الله بشرا رسولا انكارا منهم ان يرسل الله بشرا ولو

كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين كما يمشي بنو ادم ساكنين فيها
لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا
لمن هو من جنسه ليتمكن من مخالطته وتلقيه منه او ارساله الى من خصه الله
واصطفاه وقواه على مقاومته اي مقاومة الملك من الانس كالانبيا
والرسل فيقومون بدعوتهم وارشادهم اذ عامة البشر عماة عن ادراك
الملك والتلقي عنه فانه مشروط بنوع تناسب وتجانس فالانبيا والرسل
فيقومون بدعوتهم صلوات الله وسلامه عليهم وسايط بين الله تبارك وتعالى
وبين خلقه ساعين بما يصلحهم مما ارسلتم اليه يبلغونهم اوامره ليمتثلوها ويعملوا
بما مورا تها ونواهيه ليجتنبوا منهياتها ووعده لهم على ما ذكر امتثالا واجتنابا
اجرا جزيلا ووعيده لهم على ما ذكر مخالفة عقابا وبيلا ويعرفونهم ما لم يعلموه
من امره اي شانه وحاله في صفاته وافعاله وافعاله على ما سبق به قضاوه من ايجاد
وابقا واعدام ومغفرة ذنب وتفريج كرب ورفع قوم ووضع اخرين وما لم يعلموه
من خلقه اي ايجاده عباده من غير احتياج منه اليهم منهم والبر والفاجر
وجلاله اي عظمته من كمال وشرف تحار فيه جهات التنزيه والتقديس
والغنا المطلق وسلطانه وجبروته وملكوته الموذنة بكونه تعالى بالوصف
الذي يحق له العز والقهر والغلبة والحكم والتصرف في ملكه لا مرد لقضايه ولا
معقب لحكمه فظواهرهم اي الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم واجسادهم
وبنيتهم اي ابدانهم المركبة التي خلقها تعالى لها مركبة وكانت الكعبة تدعى بعد ابرهيم
لانه بناها متصفة باوصاف البشر طارية عليها اي قاطبة ما تطرا
على البشر من حسن وسيء ومن الاسقام جمع سقم وسقم مما يعتريه من نوايب
ونوايب والموت وهو عدم الحياة عما من شانه او هو ضدها فيشهد له خلق الموت
والحياة فهما وجوديان ورد بان خلق بمعنى قدر فهو عدمي وعليه اكثر اهل
السنة من المتكلمين وغيرهم وفي الحديث الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
اي بعد نومنا فسماه موتا لزوال العقل والحركة تشبيها له به ومن ثم اطلق
بحسب انواع الحياة على انواع عدم القوة العاقلة كما في او من كان ميتا
فاحييناه وعلى زوال القوة الحسية كما في يا ليتني مت قبل هذا وعلى ما هو
بازا القوة النامية في الحيوان والنبات كما في يحي الارض بعد موتها وعلى الحزن
والخوف المكدر للحياة كما في ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وقد
قيل المنام هو الموت الخفيف والموت هو النوم الثقيل وقد يستعار الموت
للاحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية وقيل
لموسى صلى الله عليه وسلم ان هامان مات ثم راه فسال ربه فقال الم تعلم ان

من فقرته فقدامته وفي الحديث اول من مات ابليس لانه اول من عصى الله
والفنا المفرق للاعضا المفتت لها ما يطرا عليه من نعوت الانسانية جمع
نعت وهو الوصف بما يصيبه ولا يغال في غيره وارواحهم صلوات الله
وسلامه عليهم وبواطنهم متصفة باوصاف اعلا من اوصاف البشر
من الفضايل النفسية والتبري من العلايق الجسمية متعلقة بالملا الاعلى
اي الملايكة وفي حديث دعايه صلى الله عليه وسلم عند وفاته اللهم الرفيق
الاعلا متشبهة بصفات الملايكة مما اوتوه من قوايم الملكية يشهد له
حديث البخاري انه اعطي قوة ثلاثين رجلا سليمة من التغير انتقالا من حال
اصلح الى اسوء والافات مما يورثهم امرا امرا او يرهقهم عسرا لايلحقها
اي لا يلحق ارواحهم وبواطنهم لما اطاقوا الاخذ وتلقي الوحي عن الملايكة ولا
الحاقوا رويتهم ومخاطبتهم مفاعلة من الخطاب اي مكالمتهم ومخالتهم
بميم مضمومة ولام مشددة من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي
تخلل القلب فتصير خلاله اي في باطنه والخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل وقد
يكون بمعنى مفعول وفي الحديث اني ابرا الى كل ذي خلة من خلته لقصر خلته صلى الله
عليه وسلم على حب ربه تبارك وتعالى ولا متسع فيها لغيره من محابه الدنيا والاخرة
وهي حالة تشريفة لا تنال بكسب واجتهاد تختص الله بها من يشا من عباده ومن
قال الخليل من الخلة بالفتح وهي الحاجة والفقر اراد اني ابرا من الاعتماد والا تقاره
الى غير الله وفي رواية اني ابرا الى كل ذي خل من خله بالفتح والكسر فهما بمعنى
الخلة والخليل وقد تطلق الخلة عليه ويستوي فيه المذكر والمونث لانه
في الاصل مصدر ويقال خليل بين الخلة والخلولة كما لا يطيقه اي الاخذ وما
بعده غيرهم اي غير الانبيا من البشر ولو كانت اجسامهم صلوات الله وسلامه
عليهم وظواهرهم متسمة اي موصوفة بنعوت الملايكة اي بصفاتهم الحسنة
وبصفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخاطبتهم كما تقدم من
قول الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان في الارض ملايكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا فجعلوا صلوات الله وسلامه عليهم
من جهة الاجسام والظواهر جمع ظاهر من الظهور وهو ما يدرك بالابصار
مع البشر وجعلوا من جهة الارواح جمع روح وهي هنا ما بها قوام البدن روحانية
والبواطن جمع باطن وهو ما يدرك بالتصابر مع الملايكة على طرا يقهم
ونعوتهم كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري وغيره اي من حيث انه
ليس مع البشر لو كنت متخذا من امتي خليلا اخصه بمزيد الاكرام واغنمه
اذا طرا المنام لاتخذت ابا بكر خليلا بل الذي خلتي مقصورة عليه حبا ليس فيها

متسع لغيره من محاب الدنيا والاخره هو ربي او هوا الذي الجا في اموري اليه واعتمد
في احوالي عليه لا غيره لكن ليس بيني وبينه بذلك خلة بل اخوة الاسلام بيننا مشتركة
بينها فهو استثنا من محوي الشرطية اذن نفي الخلة واثبات الاخا المقتضي
للمساواة في الاسلام لكن صاحبكم يريد نفسه صلى الله عليه وسلم مخاطبا لخاص
من اصحابه وليس تجريدا وان زعم اذ لا معنى للتجريد فيه خليل الرحمن اما من التخلل
كما مر لتخلل حبه صلى الله عليه وسلم ربه تعالى شغاف قلبه واستيلائه عليه او من
الخله بالفتح اما بمعنى انه ما كان يفتقر الا الى الله ولا يعتمد الا عليه او بمعنى انه
تخلق بخلال حسنة خص بها وكما قال صلى الله عليه وسلم من حيث انه ليس مع البشر
تنام عيناي ولا ينام قلبي وكذا جميع الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم لتعلق
ارواحهم بالملا الاعلى وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وابي
هريرة وانس وعايشة جوابا لقولهم انك تواصل اني لست كهيئتكم اني اظل اي اصير
اوادوم يطعمني ربي ويسقيني اما بان فاضه تعالى عليه ما يقوم مقام طعام منه
وشرابه بدفع عنه مس الجوع والعطش ويقوي به على الطاعه ويحفظه مما
يفضي به الى كلال القوي وضعف الاعضا او يرزقه من الجنة ليالي صيامه كما
ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يبيت يلتوي من الجوع ثم يصبح شبعانا او
طاعما من طعام الجنة والاول ارجح لان هذا ينافي مثلية الهيئة بالتوبيخ لهم على
ارادتهم الوصال مثله مع التاكيد بذكر ما يدل على اعانته عليه دونهم اي اني
لست مثلكم لاعان على الوصال بل اعان عليه لا انتم فلا تواصلوا فلما لم ينتهوا
واصل بهم يومين وثلاثة ثم راوا الهلال فقال لو تاخر لزدتكم كالمنكل لهم
هذا ويطعمني ويسقين خبر اظل ان كانت ناقصة وحالان من فاعلها ان
ان كانت تامه اي اني اظل مطعما مسقيا فبواطنهم صلوات وسلامه عليهم
منزهة عن الافات المخلة بقواهم ونحو لقواهم الملكيه مطهرة من النقايص
والاعتلالات المعترين على ظواهر الاجسام الحيوانيه وهذه اشارة الى ما ذكر
مما خصوا به جملة لكن يكتفي بمضمونها كل ذي همة من الاكثر من ذوي الهمم
العوالي تحتاج الى بسط الكلام في احوالهم ونفصل على ما ناتي به بعد هذا
في البابين بمعونة منه وتوفيق وهدايته الى اقوم طريق الباب الاول
فيما يختص بالامور الدينية اي الماخوذة من الدين المبعوث به الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم والكلام في عصمة نبينا وساير الانبيا اي بانهم اعلم
خطاب بصيغة الامر لكل من ياتي توجهه اليه ولم يرد به معينا سد مسد
مفعوليه جملة ان الطواري الواردة فجاة اي بغتة من التغيرات والافات
على احاد البشر جمع احد من الوحد ابدلت واوه همزة لا تخلو اما ان تطرا على

جسمه او على حواسه جمع حاسة وهي ما تفيد العلم من مشاعره من بصر وسمع
وشم وذوق ولمس بغير قصد واختيار وكله اي ما يطرا بغير اختيار وباختيار
في الحقيقة عمل وفعل لكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع باعتبار
مواردها عقد بالقلب اي جزم بالشي وملازمته وفي حديث الدعا اللهم من قلوبنا
عقد الندم اي العزم على الندامه وهو تحقيق التوبة وقول باللسان وعمل
بالجوارح اي الاعضا سميت جوارح لاجتراح الاعمال بها اي اكتسابها وجميع
البشر تطرا عليهم الافات والتغيرات اي الحالات المختلفه بالانتقال
من حال الى حال من نعم وبوس وملك وهلك ونصر وقهر وغير ذلك مما
يغشاهم بالاختيار وبغيره في هذه الوجوه كلها والنبي لم يرد به نبيا معينا
لاستوائهم فيما ذكره فلامه عهديه ذهنا فهو كالنكرة تعامل معاملتها لقربه
منها وان كان من البشر ويجوز على جبلته اي طبيعته وخلقته ما يجوز على
جبلة البشر فقد قامت البراهين القطعية جمع برهان وهوا الحجة
والدليل على صحة النبي وثبوته وفي الحديث والصدقة برهان اي حجة لمجازاة
فاعلها بالاجر عليها او دليل على صحة ايمانه لبذله لها امتثالا لا بطيب نفسه مع
رغبتها في المال وتمت كلمة الاجماع على خروجهم اي خروج النبي عن البشر
وتنزيههم عن الافات التي تقع على الاختيار لعصمة الله لهم منها وعلى
غير الاختيار لكرامتهم على الله تعالى فصل في حكم عقد قلب النبي
اي جزمه بما ثبت عنده من وقت نبوته اي ظهورها بارساله او بالوحي
اليه اعلم يا من ياتي توجيه الخطاب اليه منحنا الله واياك توفيقه اعتراض
طلبي بين فعل الامر ومعموله افاد طلب التوفيق منه تعالى اي اعطانا خلقه
فينا ان ما تعلق اي قلب النبي منه ما موصول حرفي صلته ما بعده وعايده
ضمير منه اي ان الذي تعلق قلبه منه ما هو بطريق التوحيد والعلم بالله
وصفاته ثبوتية وسلبيه وفعليه واضافية والايمان به تعالى بانه واحد اوجد
العالم من غير احتياج اليه وما مسه من لغوب وبما اوحي اليه ليبلغه او يعمل
به فعلى غاية المعرفة بجزئياته ووضوح العلم واليقين بكلياته وعلى غاية
الانتفا من الجهل بشي من ذلك اي مما ذكر من العلم به تعالى وما بعده او
الشك او الريب فيه وعلى غاية العصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك
واليقين به اي لم يعتر قلبه شي مما هو على غاية الانتفا فيما هو على غاية اليقين
والثبوت مما ذكر ولتمسكه بذلك وتمكنه منه شبهت حاله بحال من اعتلا
شيئا وركبه تمثيلا فاد استقرارا بنهاية لا يمتطي غاربها سواه هذا اي ما تلي عليك
ما وقع اجماع المسلمين عليه ولم يخرج احد منهم الى غيره ولا يصح بالبراهين الواضحة

منه بخلق الله تعالى لها
فيه كالامراض والاسقام
جمع سقم من عطف المسبب
على سببه او يطرا بقصد
واختيار صح نخ

اي البينة التي لم يشبهها خفا ان يكون من عقود الانبيا سواه ولا يعترض على هذا
اي على قولنا ما وقع الاجماع عليه ولا يصح سواه بقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم
بلى ولكن ليطمين قلبي اذ كان احتيا ايمانا واتم يقينا ولهم لم يشك في اخبار الله
له باحيا الموتى المفاد بقوله اولم تومن اي ما امنت فالهمزة للتقرير حملا له على
الاقرار بايجاب ما بعد النفي الموضوع له بلى اي امنت ولكن اراد طمانينة القلب وترك
المنازعة بسكون قلبه فيما هنة الاحيا حصل له العلم الاول وهو انه تعالى
يحيي الموتى بوقوعه اي بوقوع احيايه تعالى للطير الاربعة واراد العلم الثاني الحاصل
به الطمانينة بكيفيته ومشاهدته فهو علم ضروري لا مجال فيه للتشكيك فيكون
اعون على حصول الطمانينة الوجه الثاني ان ابراهيم انما اراد اختبار منزلته
اي هي موجودة في الخارج عند ربه واراد علم اجابته تعالى له دعوته صلى الله عليه
وسلم بسواله ذلك من ربه بطلبه منه ان يريه كيف يحيي الموتى باعادة التركيب
والحياة ويكون قوله اولم تومن اي الم تصدق فهو استفهام انكار للنفي لا للايمان
افاد اثبات الايمان على وجه برهاني اذ نفي النفي اثبات اي صدق بمنزلتك مني
انافة وشرفا وخلتك واصطفايك اعظاما واكراما الوجه الثالث انه اي ابراهيم
صلى الله عليه وسلم سال لزيادة يقين مما لا يستفاد بنظر وكسب وتقوية طمانينة
ليزداد قلبه سكونا وطمانينة بعلم ضروري من مشاهدة كيفية الاحيا وان لم يكن
في يقينه الاول النظري او الخبري شك اذ العلوم الضرورية لقبولها قوة
وضعفا على ما حررنا في شرح كتابنا والنظرية مما يستفاد بها قد تتفاضل
في قوتها لانها كيفيات نفسية يعرضها التفاوت بحسب مراتبها من اجلى
الضروريات كالعلم بان الواحد نصف الاثنين وبطلوع الشمس الى
اخفى النظريات كالعلم بحدوث العالم وتعدد صانعه وبحصاصتها الضروري
الى النظري فيتظاهران في زيادة الطمانينة اذ تظاهر الادلة اسكن
للقلوب وازيد لليقين وطريان الشكوك على الضروريات من حيث ذاتها
ممتنع ويجوز طريانها وجريانها في النظريات اذ قد يلم بطريقها وهم لفساد
مادتها او صورته فاراد اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم الانتقال من النظر او
الخبر الصادق الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الحاصل بالنظر
او الخبر الصادق الى عين اليقين الحاصل بالمشاهدة لقوته فليس الخبر كالمعاينة
لافادتها يقينا لا يعتريه ريب بخلافه وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم
فيما رواه احمد عن ابن عباس ليس الخبر كالمعاينة ان الله عز وجل اخبر موسى صلى
الله عليه وسلم بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا من
اتخاذهم له القاها فانكسرت وهذا اي ولكونه ليطمين سال اي ابراهيم صلى الله

في
عليه وسلم كشف غطا العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله وبصيرة في
شانه شبه العيان على طريقة الاستعارة المكنية بمحجب تحت غطا م اثبت له
تخييلا وذكر الكشف ترشيح الوجه الرابع انه اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم
لما احتج على المشركين من قومه نمرود وعتاته بان ربه يحيي ويميت المذكور
به قوله تعالى حكاية عنه اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت اي لا غيره
لشهادة تعريف الجزئين بتقديم ضمير الفصل قبل الذي طلب ذلك جواب
لما اي سال من ربه ان يريه كيفية احيا الموتى ليصح احتجاجه عليهم ويتجلى لهم
الحق عيانا فيدفع شبههم فاذا هي زاهقة الوجه الخامس هو اي قوله
رب ارني كيف تحيي الموتى سؤال وارد على طريق الادب لينتج المراد الذي رغب في حصوله
لتتم احتجاجه به على مكذبيه فكنى به عن اقدرني على احيا الموتى تلويحا بفرط عتوهم وقوة
شكيمتهم باباهم عن طاعته ورغبة منه صلى الله عليه وسلم في اظهار الحق لهم
بمعاينتهم للاحيا منه توبيخا لهم وتقريعا وتبكيتا وتشنيعا وقوله ليطمين قلبي اي عن
هذه الامنية اي التي هي الاقتدار على احيايهم فلا يتطلع الى طلبها بعد الوجه السادس
انه صلى الله عليه وسلم اري اي اظهر لغيره من نفسه الشك وما شك لتنزيه ساحة
جنابه الكريم عن الشك ولكن فعل ذلك ليجاوب بالبنا للمفعول تادبا اي ليجيبه ربه
فيزداد قربه بمعرفة منزلته عند ربه اذ المجاوبة توذن بالاعتنا وقول نبينا
صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم صلى الله عليه وسلم ليس اعترافا
منه بالشك له صلى الله عليه وسلم عليهما بل هو نفي له عنه لان يكون ابراهيم صلى الله
عليه وسلم شك وزجر وتنفير وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابرهيم
صلى الله عليه وسلم اذ قد ورد انه لما نزل واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى توهم
قوم ذلك فقالوا شك ابراهيم ولم يشك نبينا اي نحن موقنون بالبعث واحيا الله
الموتى لم نشك ولم نرتب في قدرته على ذلك فلو شك ابرهيم صلى الله عليه وسلم
لكنا اولى بالشك منه فهو صلى الله عليه وسلم اما ان يكون قاله نحن احق بالشك من
ابرهيم على طريق الادب معه فان يريد به امته الذين يجوز عليهم الشك لفقد عصمتهم
او على طريق التواضع والاشفاق فان حملت قصة ابراهيم على الوجه الثاني في اختبار
حاله ليعلم منزلته وقربه من ربه لما في الاختبار من معنى العلم اذ هو طريق اليه
له كان النظر والاستماع من طرقه في مثل النظر اليهم احسن وجها واسمع
صوابا وان حملت قصته او ان حملت قصته على زيادة يقينه ليزداد طمانينة بعد اليقين
فان قلت خطاب لمن يمكن توجيهه اليه او على وجه التجريد من نفسه من استشعر منه
اعتراضا على نفيه الشك عنهما صلى الله عليه وسلم عليهما بما يثبته على سبيل الفرض لنبينا صلى
الله عليه وسلم بقوله له فما معنى قوله فان كنت في شك مما يورث قلقا واضطرابا فيما انزلنا

إليك مما تطمئن له وتسكن إليه فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فإنهم
محيطون علمًا بصحة ما أنزلنا إليك تلويحًا بأن المراد وصفهم بالرسوخ في
العلم به لا وصفه صلى الله عليه وسلم بالشك فيه لقد جاءك الحق من ربك واضحًا
بالأدلة القطعية النافية لمدخلية الشك فيه فلا تكونن من الممترين فيما أنت
عليه من اليقين في الجزم ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله زيادة تثبيته وتهييج
له صلى الله عليه وسلم على دوام ما هو عليه من اليقين وانتفاء الشك فاحذر ثبتنا الله وإياك
اعتراض دعائي بين الأمر بالحذر وجوابه أن تخطر ببالك فإذ تثبيته ورفضان يعرى
قلبه ما ذكره بعض المفسرين عن ابن عباس من إثبات شك له صلى الله عليه وسلم
فيما أوحي إليه وأنه من البشر يطرأ عليه ما يطرأ عليهم فمثل هذا لا يقال في حقه صلى
الله عليه وسلم إذ لا يجوز عليه جملة وأصرح بوجه من وجوه التأويل بل قال ابن عباس كما
رواه ابن أبي حاتم عنه لم يشك ولم يسأل أحدًا ممن قرأ الكتاب من قبله وحكى قتادة فيما
رواه ابن جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله له الرسل ليلة أسري به وأمر أن يسألهم
قال لما أشك ولا أسأل لنزاهته ودفعة محله بعصمته عن الشك واختلفوا أي
المأولون في معنى الآية أي آية فإن كنت في شك فقيل المراد المفاد به قل يا محمد للسائل
اسأل أهل الكتاب فيه تنبيه لمن خالج قلبه شبهة أن يبادر إلى معرفتها من أهل العلم إذ شفاء
العي السؤال قالوا أي مؤولوا الآية بما ذكر وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل
قوله قل يا أيها الناس يعني أهل مكة إن كنتم في شك من ديني الذي أمركم أن تدينوا الله
به فاسمعوا وعوا ما أتلوا عليكم فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله مما لا يضر
ولا يجدي نفعا ولكن أعبد الله الذي أوجدكم من العدم ويرشدكم إن شاء إلى أنه دين
لا مدخل للشك فيه وأنه ديني اعتقادا وعملا الذي يتوفاكم تهديد متضمنا ٥
تنبيههم على أنه تعالى هو الحقيق بأن يخاف منه فيدان وترفض عبادة ما سواه وقيل
المراد بالخطاب بقوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين
يقرءون الكتاب هم العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كان هو المخاطب به كما قال
الله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك تعريضا ذا الخطاب له صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره من أمته أو هو وارد على سبيل الفرض كما يفرض المحال تهييجا له صلى الله
عليه وسلم على دوام ما هو عليه من الدين القيم وتنشيطا للكفرة من رحمة الله تعالى
لاتصافهم بما لبسوا به منه ومثله أي مثل فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فلا
تك بعد ما قصصنا عليك ما غشي الأنبياء من النقم وأعلمنا لك ما أعددنا لهم من العذاب مكذبي ع
في مرية مما يعبد هؤلاء أي لا تشك في أن عبادتهم غير الله ضلال يؤديهم سوء
عاقبتها من أليم عذاب وشديد عقاب ونظيره أي مثل فإن كنت في شك مما أنزلنا
إليك في القرآن كثير كقوله تعالى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من الحق إنك إذًا

لمن

لمن الظالمين وقوله تعالى ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
قال بكر بن العلاء من قضاة المالكية ألا تراه تبارك وتعالى يقول ولا تكونن من
الذين كذبوا بآيات الله فهذا شاهد صدق بأنه صلى الله عليه وسلم هو المواجه
بالخطاب والمراد به كما في فإن كنت في شك ونحوه غيره وهو صلى الله عليه
وسلم كان هو المكذَّب ممن لم يؤمن به من قومه فيما يدعوا إليه مما أمر بتبليغه
فكيف يكون صلى الله عليه وسلم ممن كذب به أي بما يدعوا إليه هذا أي مما
ذكر كله وإن خوطب به يدل على أن المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الآية
أي آية فإن كنت في شك مما أنزلنا في أن المراد بالخطاب فيها غيره قوله الرحمن
فاسأل به خبيرا إذ المأمور هنا أي فاسأل به خبيرا غير النبي صلى الله عليه
وسلم ليسأل النبي والنبي هو المخبر به تبارك وتعالى المسؤول عنه ولله المثل
الأعلى لا المستخبر السائل عنه تعالى والخبير المسؤول غيره صلى الله عليه وسلم
أي اسأل عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته وكمال صفاته فالباء صلة اسأل
بمعنى فتش عنه وعدي بالباء لتضمن معنى اعتنى به أو اسأل أحدا خبيرا به
فالباء صلة خبيرا مبالغة في الفاعل بمعنى مخبرا وخابرا واسأل بسؤاله تعالى
أي إن سألته وجدته خبيرا فالباء تجريدية كما في رأيت به أسدا بمعنى رأيت برؤيته
شجاعا فلانا فهو بالشجاعة متناهيا فيها صح أن ينتزع منه آخر موصوف
بها وقال أي بكر بن العلاء في آية فإن كنت في شك إن هذا الشك الذي أمر به
غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب من الأحبار والرهبان ن
إنما هو فيما قصه الله عليه صلى الله عليه وسلم في كتابه من أخبار الأمم مما
أذن بنجاة من آمن منهم بأنبيائهم وهلاك من كذب لا فيما دعي صلى الله عليه
وسلم إليه أن يتبع فيه ويدان به من التوحيد والشريعة التي شرعها الله
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وهي ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم بشهادة
ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم أي دينه وهذا مما أريد به غيره صلى الله
عليه وسلم من خوطب به بالشك وسؤال الذين يقرءون الكتاب مثل قوله
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا إذ المراد به أي بالسؤال مجازا المشركون
الموجودون من أممهم لا يستحيل سؤاله من مضى منهم أدراج الرياح أي
اسأل من لقيت من أممهم أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون استفهام
إنكاري لم يعني أفاد نفيها في ضمن نفي جعلها على وجه برهاني إذ يلزم من نفيه
نفيها أي لم نجعل آلهة تعبد من دوننا في ملة من الملل ولم نأذن في عبادتها
بشهادة إجماع الأنبياء على التوحيد فنبينا صلى الله عليه وسلم لم يبتدع الدعوة
إليه فلا يكذب ولا يعادى لأجله إذ كان أقوى شيء عندهم على تكذيبه صلى

الله عليه وسلم والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم مرادا به غيره قاله محمد
بن احمد بن عبد العزيز العتبي المالكي مصنف العتبية فقيه الاندلس من موالي
عتبة بن ابي سفيان وفي نسخة القتبي وفي نسخة اخرى القتيبي فهو ابن قتيبة
بن سعيد بن طريف بن جميل من موالي الحجاج بن يوسف الثقفي وقيل معناه سلنا
عمن ارسلنا من قبلك من رسلنا فحذف الخافض وهو عن وتم الكلام ثم ابتدا
بقوله عز وجل اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون على طريق الانكار للجعل المتولد
منه نفي عبادتها على وجه برهاني كامر اذ يلزم من انكارهم نفيها اي ما جعلنا الهة
فلا عبادة لها حكاه مكي وقيل امر صلى الله عليه وسلم ان يسال الانبيا ليلة الاسرا
عن ذلك اي عن جعله تعالى الهة تعبد من دونه اجعلها ام لا وكان اي ما افاده من
اليقين امره تعالى له بسواله ليلتها اشد يقينا من ان يحتاج الى السوال منهم
فيها فروي انه اي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به بعث الله ادم وولده من
الانبيا المرسلين فاذن جبريل ثم قال يا محمد صل بهم فلما فرغ قال له سل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون قال لا اسال قد اكتفيت
بما انشرح صدره من برد اليقين قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقيل امم
من ارسلنا من قبلك من رسلنا فهل جاوهم بغير التوحيد استفهام تقريري
نفي مجيهم اليهم بغير توحيده تعالى والمراد بهذا اي بقوله واسال من
ارسلنا من قبلك من رسلنا والذي قبله من قوله فان كنت في شك الى هنا
اعلامه اي النبي صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل من التوحيد اجماعا
وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا مفعول من اجله عدم اذنه
لاحد في عبادة غيره على مشركي العرب وغيرهم قولهم انما نعبدهم اي
الاوثان الا ليقربونا الى الله زلفى من الزلف وهو القرب اي قربى وفي حديث
الاضحية اتي نبي الله صلى الله عليه وسلم ببدنات بنحر عليهن فطفقن يزدلفن
اليه يفتعلن من القرب ابدلت التا دالا لاجل الزاي اي يقربن منه
يبتدئن ببيدا وكذلك اي ومثل ما ذكر من الايات والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه اي يعلمون ان القران لاعجازه وانزاله مفصلا لا التباس فيه مغن
عن ساير الايات منزل من ربك بالحق تاييد لحكم الاعجاز بان القران حق
منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب لتصديقه ما عندهم ووصف
جميعهم بانهم يعلمون حقيقته هو باعتبار اكثرهم ومن لم يعلم منهم
فمتمكن منه بادنى تامل فلا تكونن من الممترين تهييج له صلى الله عليه وسلم ليدوم
على يقينه بلا شك اي في علمهم انه منزل او في علمهم بانك رسول الله لكن
لم يقروا بذلك اي بكونه رسول الله حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين

لهم انه رسول الله وليس المراد به اي بقوله فلا تكونن من الممترين شكه فيما ذكر
في اول الاية اي انه فان كنت في شك اذ المراد به هنا شكهم في كونه رسول الله
وهناك الشك فيما انزل اليه ولم يشك صلى الله عليه وسلم كما مر وقد يكون
اي فلا تكونن من الممترين على شك مما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم امر
ان يقول للشاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك على انه المخاطب والمراد غيره
اي قل يا محمد لمن امترى في ذلك اي شك فيما تقدم لا تكونن من الممترين اي
الشاكين في ان القران منزل اليك من ربك بالحق لتعاضد الادلة على حقيته
بدليل قوله في اول الاية التي فيها والذين اتيناهم الكتاب اذ هو افغير الله ابتغي
حكما استفهام انكاري توبيخي ليرتدع المخاطب عن ابتغا حكم غير الله اي قل لهم
يا محمد اطلب غيره تعالى يحكم بيني وبينكم ليظهر المحق منا من المبطل لا يكون ذلك
مني ابدا وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا اي القران مبينا فيه الحق
والباطل وشاهدا علي بالافترا وقيل هو اي امره صلى الله عليه وسلم
بالسوال تقرير لمشركي قريش اي لحملهم على الاقرار بما يعرفون من ان الله لم
يجعل من دونه الهة تعبد ولم يبعث رسولا الا بالتوحيد لشهادة ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فاثبتوا له الخلق والعزة
والعلم كقوله تعالى لعيسى صلى الله عليه وسلم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله فانه حمل له على الاقرار بما يعرفه من انه اريد به تلويحا توبيخ من عبدهما
من دون الله وقد علم سبحانه وتعالى انه لم يقل اتخذوني وامي الهين من دون
الله لا لحمله على الاقرار بانه قاله وان ولي ضمير الهمزة اذ لا يجب ان يكون بالحكم
الذي دخلت عليه بل بما يعرفه المخاطب من ذلك الحكم اثباتا او نفيا وقيل معناه
ما كنت ما هنا مصدرية اي مدة كونك في شك وحاشاه صلى الله عليه وسلم ان
يشك فاسال الذين يقرون الكتاب من قبلك لعلمهم بصحة ما انزلنا اليك وقيل
معناه ان كنت في شك فيما شرفناك من كرم النبوة وشرف الرسالة العامة
وفضلناك به على غيرك بشهادة مما في التوراة ان الله قال لابراهيم ان هاجر
تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع وايديهم مبسوطة اليه بالخشوع ٥
فاسالهم عن صفتك في الكتب ونشر فضايلك نعتك في التوراة يا ايها النبي انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين لست بفظ ولا غليظ
ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن
يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا اي دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان
العرب غيرته كثيرا وفي الانجيل على لسان عيسى انا اطلب من ربي
وربكم حتى تمتحكم فارقليط اي كاشفا للخفيات فيكون معكم الى

الابد وفيه فاما فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي اي بالنبوة هو يعلمكم
ويعلمكم جميع الاشيا ويذكركم ما قلته لكم وقد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون فاذا كان
فامنوا به وحكى ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي تيم قريش مولاهم ان كنت في شك
النسبة من جانب غيرك فيما انزلنا اليك من الحق المنقذ من الضلال فاسأل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك ليخبروك بحقيته فان قيل فما معنى قوله تعالى حتى اذا استيأس
الرسل غاية يأس الرسل المحذوف وفائدة نظم الكلام اي لا يغرنهم تقلبهم ممهلين
املا واستدراجا فان من قبلهم امهلوا حتى يأس الرسل من النصر عليهم في الدنيا وظنوا
انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف مبنيا للمفعول لا يخفى ان ظاهرها مع تطاول
تاخر نصرهم بظنهم انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر مع نزاهتهم من ان
يظنوا ذلك بربهم وتعاليه ان يخلف ميعاده قلنا جوابا عن هذا القيل المعنى قالت
عايشة ان الرسل لما استيأسوا من النصر على مكذبيهم وتمادت مدته ظنوا
ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم اي اخلفوهم ما وعدوهم من نصرهم على
عدوهم وعلى هذا اي على ما قالت عايشة اكثر المفسرين وقيل ضمير ظنوا عايد
على الامم لا على الرسل اي ظن اممهم المكذبون لهم انهم قد كذبوا اي كذبهم
رسلهم في قولهم انهم ينتصرون عليهم او عايد على الاتباع منهم اي ظن اتباعهم
اذ لم يروا لوعدهم النصر نتيجة بتراخيه انهم قد كذبوا فيما اخبروا به قومهم من
انهم ينصرون على مكذبيهم وهو قول ابن عباس ومن ذكرها معه وبه اي وبجعل ضمير
ظنوا عايدا على الامم قرا مجاهد كذبوا بالفتح مبنيا للفاعل مخففا اي ظنوا ان رسلهم
كذبوا في قولهم بالنصر عليهم فلا تشغل بالك اي قلبك من شاذ التفسير
بسواه اي بسوى قول عايشة وابن عباس ولو ثبت ان الرسل ظنوا بمولاهم انه تبارك
وتعالى اخلفهم ما وعدهم من نصرهم على عدوهم ممن لا يليق بمنصب العلما فكيف
بمن لا تخلف وعدا وبالانبيا فهم اولى بان لا يليق بهم ذلك لنزاهة شانهم وجلالة
قدرهم ورفعة محلهم عن ان يظنوا بربهم خلف وعده اياهم وكذلك اي مثل اية
حتى اذا استيأس الرسل ما ورد في حديث البخاري وغيره في مبدا الوحي من قوله صلى
الله عليه وسلم لخديجة بنت خويلد بن اسد زوجته بعد ان اخبرها ما وقع له مع جبريل
بحرا لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله من الهدى والحق
بعد رؤية الملك واخباره انه رسول الله ولكن لعله خشي على نفسه ان لا يحتمل قوته
مقاومة الملك مفاعلة من القيام اي مصابرته ولا يحتمل ايضا اعبا الوحي جمع
عبا بكسر اوله اي ثقله فينخلع قلبه او تزهق نفسه لان قوة الملك لا تقاومها
قوة اذ قد ورد انه حمل قرى قوم لوط على جناحه فجعل عاليها سافلها وراى ابليس في
بعض جبال المقدس يكلم عيسى فنفحه بجناحه فالقاه على اقصى جبل في الهند هذا اي

ما ذكره من الجواب على ما ورد في الصحيح للبخاري وغيره من قوله لها لقد خشيت على
نفسي انه قاله بعد لقايه الملك اذ بشره بانه رسول الله او يكون قد قال ذلك قبل
لقائه الملك وقبل اعلام الله له بالنبوة لاول ما اي في اول زمن عرضت عليه من
العجايب ومنها انه سلم عليه الحجر والشجر كما ورد انه سافر مع عمه ابي طالب في
ركب الى الشام فنزلوا قريبا من بحيرى فجا يتخلل القوم حتى وقف عليه صلى الله عليه
وسلم فقال هذا نبي هذه الامة وامر عمه فرده الى مكة حذرا من ان يقتله يهود الشام
وزوده كعكا وزيتا فقيل له بم عرفت انه نبي فقال لما قدمتم ما استقبله حجر
ولا شجر الا سجد له ولا يسجد الا لنبي وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا كان
يسلم علي قبل ان بعثت قيل هو الحجر الاسود وبدايته المنامات الصالحة فكان لا يرى
مناما الا جا مثل فلق الصبح وبدايته التباشير المؤذنة بنبوته مما يكون مبدا الشي
واوله منه تباشير الصبح اي اوايله من البشر لانها تظهر طلاقة الوجه وفرحه كما روي
في بعض طرق هذا الحديث اي حديث مبدا الوحي ان ذلك اي ما ذكر من التباشير
كان في المنام ثم اري في اليقظة مثل ذلك اي الذي اريه في المنام تانيسا له صلى
الله عليه وسلم من الانس بالضم ضد الوحشة ليطمين قلبه لئلا يفجاه الامر اي
يرد عليه بغتة بلا تقدم سبب مشاهدة ومشافهة من شافهه بالكلام اي خاطبه
فلا يحتمله لاول اي في اول حالة من احواله بنية البشرية لضعفها عن قوة
الملك وفي الصحيح للبخاري ومسلم عن عايشة اول ما بدي به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة وفي رواية الصالحة من النوم اما باخبار
صلى الله عليه وسلم لها بذلك او باخبار غيره لها به والا فهي لم تكن ولدت قبل بداية
به قالت اي عايشة ثم حبب اليه الخلا اي الخلوة اذ به فراغ القلب والتفكر
الموروث للبشر ودوام الرياضة ليخرجه لهم عن طبيعته فلطف الله به صلى الله عليه
وسلم في اول امره فحببها اليه ليفرغ قلبه فيتمكن منه الوحي اذ القلب اذا غشيه
شي خاليا يمكن منه ولذا قال فصادف قلبا خاليا فتمكنا قالت الى ان ورواية
حتى جاه الحق اي الامر الحق وهو في غار حرا بكسر اوله وتخفيف ثانيه جبل على
ثلاثة اميال من مكة يمد ويقصر ويذكر فيصرف ويونث فلا يصرف وروى
ابن سعد عن ابن عباس مكث النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة يسمع
الصوت ويرى الضو اي يسمع صوت الملك ويرى نوره وانوار ايات ربه
المنزلة عليه سبع سنين فيها يسمع صوته ولا يرى شيا وثمان سنين يوحى اليه
هذا على القول بانه صلى الله عليه وسلم عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش
ثلاثا وستين سنة فبعد البعثة بمكة ثلاث عشرة وبالمدينة عشرا وروى ابن
اسحق عن بعضهم لا ادري من هو ان النبي صلى الله عليه وسلم وذكر جوار

اي اتى منه متعبدا بغار حرآ هو نقب فيه فجاءني يعني جبريل وانا نائم فقال اقرأ
فقلت ما اقرأ اي اي شي اقرأ فما استفهامية اولست اقرأ فهي نافية ليتها دة
دخول الباء في خبرها في رواية البخاري ما انا بقارئ وذكر اي ابن اسحق او من روى
عنه نحو حديث عائشة في غطه بمعجمة فمهملة اي في ضم جبريل اياه صلى الله
عليه وسلم ضما شديدا واقرائه اياه سورة اقرأ باسم ربك قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم فانصرف اي جبريل عني وهببت من نومي اي استيقظت
منه كانما صورت في قلبي اي مثلت سورة اقرأ فيه ولم يكن ابغض الي من شاعر
او مجنون اسم يكن ضمير الشان وابغض خبرها والجملة حالية افادت شدة
بغضه دعوة قريش له صلى الله عليه وسلم بواحد منهما او بهما قلت لا تحدث مرفوع
حذف فاعله تخفيفا عني قريش بهذا ابدا اي بقولهم له شاعرا ومجنون لاعمدن
بكسر الميم وفتحها الى حالق بمهملة وقاف اي عال فبينا انا عامد لذلك اي
لطرح نفسه او ليسقط ما تحدث به قريش عنه اذ سمعت مناديا ينادي حذف
المسموع واوقع الفعل على المنادي لدلالة وصفه بالنداء عليه فهو ايقاع على
المنادي مبالغة ليست في ايقاعه على المسموع وفي اطلاقه النداء ثم تفسيره بقوله
يا محمد انت رسول الله وانا جبريل تفخيم لشان المنادي اذ لا منادي اعظم
من مناد ينادي به بحسب رتبته من ربه بالرسالة له فرفعت راسي فاذا ابي فقد جاءني
نعته جبريل على صورة رجل حال من جبريل اي ممثلا في صورته فتبين في هذا الخبر
اي حديث ابن اسحق ان قوله صلى الله عليه وسلم لما قال لخديجة لقد خشيت على
نفسي وقصده لما قصده انما كان قبل لقاء جبريل في اليقظة وقبل
اعلام الله له بالنبوة واظهاره اصطفائه له اختيار اياه بالرسالة
بالكرامات السنية ومثله اي مثل حديث ابن اسحق في ان ما قاله لخديجة من خشيته
على نفسه انما كان قبل لقاء جبريل حديث عمرو بن شرحبيل فيما رواه البيهقي
انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت سمعت نداء اوقع
الفعل هنا على المسموع وحذف المنادي لعدم رؤيته اياه وقد خشيت ان
يكون هذا اي ما سمعه من نداء الملك لامر لم احط به خبرا يرهقني من امري
عسرا ابل بشر باكرام تترا وانعام وفرا ومن رواية حماد بن سلمة فيما رواه
الطبراني وابن منيع في مسنده موصولا عن حماد عن عمار بن ابي عمار عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى
ضوءا ولو اني من جانب التامل ما استبين به الامر معينا واخشى ان يكون
بي جنون وعلى هذا اي على قوله لاسمع صوتا الحديث يتاول لو صح قوله اي النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض هذه الاحاديث انا لا بعد شاعرا او مجنون

يكن ح

مفعول قوله الذي تنازع الفعلان قبله واعمل الاول اي تباولقوله ذلك لخديجة
ان صح حمله على انه كان قبل لقاء الملك واعلام الله انه رسول الله ولم يكن معناه
على الشك وعبر بالابعد تحاشيا من ان يقال له شاعر او مجنون وان في
هذه الاحاديث الفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما رآه من
الضوء وسمعه من الصوت انه اي قوله ذلك كان كله في ابتداء امره
وقبل لقاء الملك له واعلام الله له انه رسول الله مما ينفي عنه الشك فيما
اتاه الله واختصه به من المنح الالهية مما لم يؤته سواه فكيف لا يكون
ذلك في ابتدا امره وبعض هذه الالفاظ التي تستبعد ورودها عنه صلى
الله عليه وسلم لا يصح طرقها من حيث ان فيها متهما او مجهولا او من لم
يسم واما بعد اعلام الله له انه رسوله وبعد لقاء الملك فلا يصح ان يصدر
منه صلى الله عليه وسلم فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القى اليه من المعارف
الالهية والاحكام الشرعية والمواهب الربانية مما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وروى ابن اسحق عن شيوخه انه صلى الله عليه
وسلم كان يرقى بمكة اي يعوذ بالعوذ التي يرقى بها من الم ينتابه من حمى وغيرها
من الملمات وكان يرقى من العين مما كان يلم به من العوارض قبل ان ينزل عليه
حذف المفعول ليعم القرآن وغيره فلما نزل عليه القرآن ومنه وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة زوجه
ام المؤمنين اوجه استفهام حذفت همزته اي ارسل اليك من يرقيك قال
اما الان اي بعد نزول القرآن فلا حاجة لي به اكتفاء بربه وكتابه اذ هو هدى وشفاء
هذا وقد وردت احاديث كثيرة بجواز الرقى وبالنهي عنها وجمع بينها بان الجائز
منها ما كان بلسان عربي مما يعرف معناه كاسما الله وصفاته وكلماته وما ورد
في السنة هنا وقد جاء صلى الله عليه وسلم جبريل وقد اصابته حمى فقال بسم الله
ارقيك من كل شي يؤذيك من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك بسم الله
ارقيك وان المنهي عنه منها ما لم يكن بشي مما ذكر وان يعتقدها نافعة بنفسها
لا محالة فيتكل عليها واراد صلى الله عليه وسلم بقوله ما توكل من استرقى ومن ثم
قال في حديث جابر اعرضوا علي رقاكم فعرضنا عليه فقال لا باس بها انما هي مواثيق
فكانه خشي ان يكون فيها شي مما كانوا يقولونه ويعتقدونه من الشرك في زمن الجاهلية وقد
ارشد صلى الله عليه وسلم الى ان تركها مع التوكل افضل بقوله في حديث من يدخل
الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وتلك
صفة الاولياء المعرضين عن الدنيا لا يلتفتون الى شي منها وما لها سعة لا يليق
بغيرهم ممن رخص لهم فيها وفي العلاج والدواء تنبيه ذكره ما ورد عن الصديق لما تصدق

رقية جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم

نجيع ما له لم ينكر عليه علما منه بقوة يقينه وصبره وانكر على من جاءه بمثل بيضة من
ذهب وقال لا املك غيرها ورده بها وحديث خديجة الذي رواه ابن اسحق والبيهقي
عن فاطمة بنت الحسين وابو نعيم في الدلائل موصولا من طريق ام سلمة عن خديجة
واختبارها من تخبر الامر واستخبر اذا سال عنه ليعرفه اي اختبار خديجة امر جبريل
بكشف راسها انما ذلك في حقها لتتحقق صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وان الذي
ياتيه بما اوحاه اليه ربه ملك وزوال الشك عنها الحاصل لها مما قاله لها مثل لقد
خشيت على نفسي واخشى ان يكون بي جنون وقد حسبت والله ان يكون هذا الامر
لا انها فعلته له ليختبر هو به حاله فيكون على بصيرة من امره بل اشتغالا ود
ان ما فعلته خديجة من الاختبار ناشئ عن ابن عمها ورقة اذ قد ورد في حديث
عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن ابيه اخي جده عن ابيه عروة ابن الزبير عن خالته
عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان ورقة بن نوفل بن اسد امر خديجة بنت خويلد
بن اسد ان تختبر الامر بذلك الذي فعلته من كشف راسها وفي حديث ابن اسحق
عن اسمعيل بن ابي حكيم انها اي خديجة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم لاجتماعهما في قصي نسبا اذ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
بن عبد مناف بن قصي وهي خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي
هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم اي اخبرك به اذا جاءني
فلما جاءه جبريل اخبرها بمجيئه اليه فقالت اجلس الى شقي تريد احد جنبيها
فجلس له وكشفت راسها فلم يدخل جبريل فقالت ما هذا بشيطان هذا
الملك فاثبت اي له واستمع لما يوحى اليك من ربك من الخير والشر وقر
عينا فوالله انك لتخلق بانواع كرائم الميراث وامنت به اي بانه رسول الله فهي
اول من امن به من الناس فهذا الذي فعلته ثم امنت به يدل على انها متثبتة
وواثقة بما فعلته من الاختبار لنفسها ومستظهرة به لايمانها له صلى
الله عليه وسلم عدي باللام لتضمنه معنى الانقياد والاذعان وقول معمر
بن راشد فيما رواه احمد والبيهقي في حديث فترة الوحي اي انقطاعه عند ستين — في حديث فترة الوحي
ونصف فحزن صلى الله عليه وسلم اي صار ذا حزن بسبب تاخر الوحي عنه
وانقطاعه فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا اي تتردى من شواهق الجبال اي اعاليها
لا يقدح اي قول معمر في هذا الاصل الذي ذكرناه من انه لم يكن يخشى من التشكيك
على نفسه لم يكن على الشك فيما منحه الله به وما فعلته خديجة اختبار واستثبات
واستظهار انما كان لنفسها لا له صلى الله عليه وسلم لقول معمر فيما بلغنا فانه لم يذكر
تدح — بعدم قوله فحزن الى اخره فيما اوجبنا به من حيث لم يذكر من بلغه عنه ولم يسند
ولم يذكر رواته ولا من حدث به عنه صلى الله عليه وسلم او عن غيره وفي سيرة

ابن

ابن سيد الناس من طريق الدولابي حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب بن يونس
بن يزيد عن الزهري عن عروة عن عائشة فذكر نحوه بيت معمر وفي اخره ثم لم ينشب
ورقة ان توفي وفتر الوحي حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا
كي يتردى من شواهق الجبال فلعل لمعمر في هذا ذكره فيما عزاه المصنف له هنا من
قوله فحزن الى فيما بلغنا الظاهر انه من قول شيخه الزهري ولا ذكر معمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا اي مما ذكر من انه حزن حزنا كاد يلقي
نفسه من شواهق الجبال الا من جهته صلى الله عليه وسلم ولعله صلى الله عليه
وسلم حدث عائشة خبر فترة الوحي وقال فحزنت الى اخره بلفظ التكلم فرونه
عنه بلفظ الغيبة فحزن الى اخره فبلغ من لم يسمعه منها فقال فحزن فيما بلغنا
الى اخره فلا يقدح فيما ذكر مع انه اي ما بلغه من انه حزن قد يحمل على انه كان اول الامر
اي قبل ان يلقاه جبريل كما ذكرناه فيما مر وهذا الحمل يرده ما آذن به سوق الكلام
من ان ما بلغهم من حزنه انما كان زمن فترة الوحي ولا ريب في انه كان بعد لقائه جبريل
او انه فعل ذلك اي الحزن والارادة للتردي لما احرجه اي من اجل ما ضيق عليه واوقعه
في الحرج اي الضيق من تكذيب من بلغه ما ارسل به اليهم كما قال تعالى فلعلك باخع
نفسك من غم الذبح اي بالغ في ذبحها وبلغ بها النخاع عرق باطن الفقار ولعل هنا
للاشفاق اشفق على نفسك ان تقتلها ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بترك انقيادهم
اليك واذعانهم لما جئت به اليهم من القران الحديث النزول وغيره من الدين شبهه
لما عراه من الوجد والتهقه من الهم بتوليهم عن الايمان بما جاءهم به بمن فارقته اعزته
فهو يتلهف عليهم حسرات ويتلهب بنيرانهم جمرات اسفا عليهم اي من اجل
الاسف ومنا سفا والاسف فرط الحزن ويصح معنى هذا التاويل اي حمل
حزنه وارادة ترديه على انه انما كان لما احرجه من تكذيب من بلغه ممن ارسل اليهم
حديث عند البزار رواه شريك عن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله وروى الطبراني
نحوه عن ابن عباس ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة من ندوت القوم اندوهم
اذا جمعتهم في النادي اي مكان اجتماعهم مجلسا ودون فيه في مهماتهم للتشاور
في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا تحامر عن ابي جهل وعمه
الوليد بن المغيرة انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه اي تلفف فيها وتدثر
فيها اي تغطى بها فوق الشعار اي ما يلي جسده من الثياب ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم الانصار شعار والناس دثار فاتاه جبريل فقال مناديا له يا ايها المزمل
يا ايها المدثر بادغام التاء فيهما في الزاي والدال اذ اصلهما المتزمل والمتدثر ناداه
بهما تحريضا له على رفض ما كان عليه من التزمل والتدثر والا لتخاذ بالنوم فيهما
نفعله من لا يهتم بامر ولا يكلف بشان او على رفض ما غشيه من جاث ودهش

ترعد منه بوادره ويرجف فؤاده لينهض بما بعث به من سهام الامور كلفه من
عظايم اعباء الرسالة وعن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت
على حرا فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيا فنظرت
فوقي فرايت شيا وفي رواية عايشة فاذا به على كرسي بين السما والارض يعني جبريل
فرعبت منه ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فقال الله يا ايها المدثر او انه فعل ذلك
من اجل انه خاف الفتر للوحي انما كانت لامر او سبب منه فخشي ان يكون فترته اي
انقطاعه عنه سنتين ونصف عقوبة المنية من ربه ففعل ذلك بنفسه وحاشاه
صلى الله عليه وسلم من العقوبة لرفعة محله وكريم مآبه ولم يرد بعد اي بعد صدور
ذلك منه نبي الله صلى الله عليه وسلم عنه على ما ذكرناه من النبا وبلاغة هذا والخطبين
لا نفيقد في هذه الديدنة ونحو هذا اي ما ورد عنه انه حزن واراد التردي مرارا
من شواهق الجبال فرار يونس صلى الله عليه وسلم متبرما من قومه لكثرة تذكيره
اياهم فلم ينجع فيهم ولم يذكروا بل استمروا واستمادوا في كفرهم فذهب مغاضبا
لهم تخويفا لهم ان يحل عليهم العذاب بظنا منه ان فراره بغير اذن ربه سايغا اذ لم
يفعله الا غضبا لربه وانفة لدينه خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به
من العذاب فلما فقدوه خافوا نزوله عليهم فاستغاثوا بربهم وقالوا يا حي حين لا حي
ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت وقالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت واستعظم
منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله فكشف عنهم العذاب
وقوله تعالى فظن اي يونس ان لن نقدر من القدر بسكون الدال بمعنى التضييق
اذ معناه ان لن نضيق عليه لا من القدرة وان صح على قراءة التخفيف ان يفسرها
على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا او على انه تمثيل اي فكانت حاله تمثيله كحال من ظن ان
لن نقدر عليه بمعاقبته قومه بدون انتظار امرنا هذا وقد دخل ابن عباس على
معاوية فقال له يا ابن عباس لقد ضربتني امواج القران البارحة فغرقت فما اجد لنفسي
خلاصا الا بك ثم قرا الاية ثم قال او يظن نبي الله صلى الله عليه وسلم ان لن نقدر عليه
فقال هذا من القدر لا من القدرة قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه
مسلكه في خروجه بغير اذنه مغاضبا قومه كي يتنبهوا ويؤمنوا وقيل حسن ظنه بمولاه
انه لا يقضي عليه العقوبة لانه تعالى عند ظن عبده به فليظن به ما شا كما ورد عن
من لا ينطق عن الهوى وقيل نقدر بضم اوله فيكون ثانيه تكثيرا له ثم خفف قدر
عليه ما اصابه من الابتلا ببطن الحوت وقري نقدر بالتشديد مبنيا للفاعل وقرا
يقدر مبنيا للفاعل مخففا وللمفعول مخففا ومثقلا وقيل فظن ان لن نواخذه بغضبه
وذهابه مغاضبا لقومه اذ كان عليه ان يصابرهم منتظرا الاذن لنا وقال ابن زيد معناه
افظن عطف على يقدر اي اذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام

نقدر

فحذفت همزته تخفيفا بها ولا يليق ان يظن نبي ان يجهل صفة من صفات ربه فيظن انه
تعالى لا يقدر عليه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح انه كما مر ذهب مغاضبا
لقومه مفارقا لهم لكفرهم لا مغاضبا لربه اذ مغاضبته تعالى معاداة له ومعاداته
كفر لا يليق بالمومنين اي لا يناسبهم ولا ينبغي ان يوصفوا به فكيف يليق بالانبيا
الاكرمين ذوي الاتلال لا شرف مقاما وقيل ذهب مغاضبا اي مستحييا من قومه
ان يسموه بالكذب اي كراهة ان يصفوه به اذ قيل انه قال لهم اهلكوا بعد
ليله فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا فلما راوه امنوا فكشف عنهم العذاب
ومتعهم الى حين لشهادة الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ومتعناهم الى حين او ذهب مغاضبا لهم كراهة ان يسموه كما ورد في
الخبر ولم اقف عليه وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه
الى امر امره الله اي امر الملك على لسان نبي اخر غير يونس صلى الله عليه وسلم كان في
زمنه فقال له يونس غيري اقوى عليه مني اعتقادا منه او وروده الحجة السهلة
حذر المشقة عليه فعزم عليه اي حمله على الجد والصبر على مقاساة شدايد تحرج
لذلك او من اجل عزمه عليه فعزم عليه مغاضبا له تاركا ما امره به لمشقته
عليه وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس صلى الله عليه وسلم الى قومه
بنينوى من الموصل انما كان بعد نبذ الحوت فاعل المصدر وبلها لمضاف
الى مفعوله اي قذفه من بطنه واستدل لما روي عنه بقوله تعالى فنبذناه
بالعرا اي قذفناه بمكان خال عن البنا والشجر وغيرهما وهو سقيم من حرارة بطن
الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به اي
مما لم ينبسط على وجه الارض ولا ساق له كالقرع فورقه مظلة له كالبيت وقيل
هي الدبا لان الذباب لا يقع عليه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون اي في راي
العين اي اذا راهم الراي قال هم مائة الف او اكثر والمراد وصفهم بالكثرة وقري
ويزيدون بالواو وقد يجاب عما استدل به ابن عباس بان المراد بارسلناه ارساله
اليهم اولا ثانيا ودل قوله فيما ياتي رداسا ليد الوحي وتشفعه في نفسه وقومه
او هو ارسال ثان بعد ذلك اليهم او الى غيرهم وقيل لما امنوا سالوه ان يرجع
اليهم فابي تحاميا من رجوعه لملاقاته قبلهم بعد هجرته عنهم وقال ان الله بعث
اليكم نبيا ويستدل ايضا لما روي عن ابن عباس من ان ارساله اليهم انما كان
بعد نبذ الحوت له بقوله خطاب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تكن اذ ضجرت
وبرمت من ثقيف فاردت ان تدعو عليهم او مما حل بك باحد من انهزام بعض
اصحابك فاردت ان تدعو عليهم كصاحب الحوت يونس صلى الله عليه وسلم اذ نادى
في بطن الحوت وهو مكظوم اي مملوء غيظا من كظم السقا اذا ملاه اي لا كوحد

صبا

منك ما وجد منه من التبرم والمغاضبة فنبذ **لولا ان تداركه** حسن تذكيره فضل
ضميره وقرا ابن عباس وابن مسعود تداركته **نعمة من ربه** حتى رحمه وتاب عليه وقرا
الحسن تداركه بتشديد الدال ادغاما فاجرى تاويه على حكاية الحال بمعنى لولا
ان كان يقال في شانه تتداركه **لنبذ بالعراء** اي بالفضاء الخالي عما مر **وهو**
مذموم حال اعتمد عليها جواب لولا اي ان حاله حين نبذ كانت على خلاف الذم
ولولا تداركه لكانت على الذم **فاجتباه ربه** اي اصطفاه وقربه وارسله الى قومه
ان صح انه لم يرسل اليهم قبل ابتلاء الحوت له **فتكون هذه القصة اذن قبل**
موته وارسال له اليهم **فجعله من الصالحين** الكاملين في الصلاح لعصمته
من فعل جائز تركه اولى وبه رده الله كما قال ابن عباس لو حي اليه اعلاما له بعد ذلك بانه
على ارساله اولا او بارسال اليهم ثانيا او الى غيرهم حذرا من رجوعه اليهم بعد
هجرته عنهم **فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم** فيما رواه مسلم عن الاغر
المزني **انه ليغان على قلبي** من غينت السما تغان اذا اطبق غيمها واسم ان
ضمير الشان بنفسيره خبرها فكانه قيل ان الشان ما تلبث به من الغين غما
يعرض لي مما يصرفني عن دوام اشتغالي بربي من امور امتي ومصالحها
وبيان حكم وارشاد وغير ذلك مما يصلحهم **فاستغفر الله كل يوم مائة مرة**
وفي طريق للبخاري عن ابي هريرة فاستغفر الله **في اليوم اكثر من سبعين مرة**
لعروض ما تشغله عن ربه ويقطع دوامه ذنبا وتقصيرا فيفزع الى الاستغفار
فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين المفاد بقوله انه ليغان على قلبي
وسوسة او رينا هو بمعنى الغين قال تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
اي طبع على قلوبهم بغلبة المعاصي **وقع في قلبه** لنزاهته عن قبول الوسوسة
يشهد له حديث البخاري ان جبريل شق صدره صلى الله عليه وسلم واستخرج من
قلبه علقة سودا وقال هذا حظ الشيطان منك **بل اصل الغين** المكني به في
هذا الحديث عما يعرض له هو **ما يغشى القلب** ويركبه كما يركب الصدا الشي يعلوه
ويغطيه قاله ابو عبيدة معمر بن المثنى **واصله من غين السما وهو اطباق الغيم**
عليها وقال غيره اي غير ابي عبيدة **الغين شي يغشى القلب ولا يغطيه كل**
التغطية كالشفاف الذي ينم على ما وراه لعدم منعه رويته وكا **لغيم الرقيق الذي**
يعرض في الهوى فلا يمنع ضوء الشمس فكانه لعدم ستره لو ينم عليه من يرى الحدث
فيه اذا ظهر **وكذلك** اي ومثل ما حذرنا لك منه من وقوع كون الغين وسوسة
لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه في اليوم مائة مرة او اكثر من سبعين اذ ليس
يقتضيه لفظه اي ليس لفظ حديث انه ليغان على قلبي **الذي ذكرناه وهو اكثر**
الروايات يقتضي ان العدد فيه للغين فلا يفهم انه كان يغان على قلبه كل يوم

ذلك العدد **وانما هو عدد للاستغفار** فكان اذا عرض له ما يشغله عن
ربه استغفر قدر ذلك العدد **لا للغين** يشهد له اللفظ في الحديث فانه وقع
بان ما قبلها فيه سبب لما بعدها **فيكون المراد** كما مر **بهذا الغين اشارة الى**
غفلات قلبه وفترات نفسه بما كان يشغله من معاناة التبليغ مما كان يزيد به
تقليل العبادة والمجاهدة في الطاعة **وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة**
الحق من خفي السر اذ ليس بالثابت وجوده حقيقة **بما** اي كانت الغفلات
والفترات تعرض له بسبب مما **كان دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة**
الامة من تولي امورهم بقيامه عليهم بما يصلحهم **ومعاناة الاهل** بما ينظم حالهم
وينتظم شانهم **ومقاومة الولي** مفاعلة من القيام او مصابرة الموالي اليه بالقيام في
جميع امورهم **ومقاومة العدو** ومصابرته بالقيام لدفع شره **ومصلحة النفس** مما
لا بد لها منه معاشا ومعادا **او** كانت تعرض له بسبب **ما كلفه من اعباء** جمع عبء
يكسر اوله اي ثقل **اداء الرسالة** الى من ارسل اليهم **و** ما كلفه من **حمل الامانة**
اي الطاعة وقوامها ورعي حقها سميت امانة من حيث انها واجبة الاداء قال الله
تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وحملها الانسان اي لعظم شانها وتفخيم امرها بحيث لو عرضت على هذه
الاجرام العظام وكان لها ادراك لابين حملها واشفقن منها حذرا من عدم القيام ٥٦٧.
وحملها الانسان مع ضعفه ورخاوته **وهو** صلى الله عليه وسلم **في كل هذا** اي ما ذكر
مما دفع اليه وكلفه **في طاعة ربه وعبادة خالقه** لم يشغله عنها شي **لكن لما**
كان صلى الله عليه وسلم استدراك نبه على انه صلى الله عليه وسلم كان يعد
مما يشغله عن عبادة ربه مما دفع اليه من سياسة امته وكلفه من اعباء اداء
الرسالة ونحوهما ذنبا اذ كان **ارفع الخلق عند الله مكانة واعلاهم درجة**
ليس اليهما سابق ولا لمستبق ولا مرقى لمستنهم ومكانة ودرجة مميزان لنسبة
ارفع واعلا حولا عن كونهما اسمي كان تعظيما لقدره وتفخيما لامره اي مكانته
ارفع مكانات الخلق ودرجته اعلا درجاتهم **واتمهم به** اي بربه **معرفة** مميز
لنسبة اتم كذلك اذ بالتمييز من الرعن اصله لمصادفة التفصيل بعد
الاجمال من يد حسن ولطف موقع ليس في مكانته ارفع ودرجته اعلا لعدم
تشوف النفس فيه الى مميز بعد ابهام لان العوز بعد معاناة الطلب ومقاساة
التعب الذ من المال البارد على الظما **وكانت حاله** صلى الله عليه وسلم العجيبة
البالغة ذروة سنام الكمال **عند خلوص قلبه** عن الالتفات الى غير ربه **وخلو**
همه عما يشغله من الحجب عن ذكر ربه **وتفرده** في جميع احواله **بربه** لا يشغله عنه
شي **واقباله بكليته** قلبا وقالبا **عليه وكان مقامه هنالك** اي في زمن خلوص

قلبه وخلوه همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه بمكانات عليه ودرجات
رفيعه ارفع حالية اي لما كان حال مقامه هنا لك ارفع من حال سياسته امته
راى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها اي عن ارفع حالية وشغله
بسواها غضا مفعول راى من غض طرفه اي ارخى جفنه وخفضه مطرق
ومنه حديث ام سلمة حماد يات النسا غض الاطراف وحديث اذا عطس غض
صوته اي خفضه ولم يرفعه بصيحة ومنه استحب خفض الصوت حال العاطس
اي عد حال فترته خفضا من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر من ذلك
الذي راه غضا من مقامه العلي وحاله السري هذا اي ما تلي عليك من تاويله
حديث انه ليغان على قلبي اولى وجوه الحديث التي ذكرت اجوبة عنه
واشهرها بالحق على تناهيه من ان يغشى قلبه غين وريب وفي نسخة واشهرها
والى ما اشرنا به من وجوه تاويل الحديث مال كثير من الناس وحام حوله من
حام الطير على الماء يحوم اذا دار بحاز عن الاخذ في تحصيل ما يودي معناه فكانه دار
وطاف حوله فقارب ولم يرد عباب مشارد عد فشبه على طريقة الاستعارة
المكنية ما اشار اليه تاويلا بمشرعة ما ثم اثبت له الورود تخييلا وفي حديث
الاستسقا اللهم ارحم بهائمنا الحائمة التي تحوم على الماء اي تطوف فلا تجد ما ترده وقد
قربنا غامض معناه من غمض الشيء اذا دق وخفي فلا يفهم الا بتدبر وامعان
نظر اي ازلفناه الى الفهم وقربناه باذن واعية وكشفنا للمستفيد وجه محياه بضم
الميم وتشديد الياء اي ازلنا بما اشرنا به ما يشكل طريق الفهم الى ما اشكل من
الحديث فشبهه بمحياه محتجب تحت ستر استعارة مكنية واثبات الوجه له
استعارة تخييلية وذكر الكشف ترشيح وفي نسخة محيا مهجه بمنوحه تحت
وهو اي ما اشرنا به من التاويل مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو
عليه وعلى الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم في غير طريق البلاغ الى من ارسل اليهم
لعدم فوات ما امروا بلاغه مع امتناع غفلته فيه عليه تعالى في غير طريق البلاغ
الى من ارسل اليهم لعدم فوات ما امروا بلاغه على سياق ان شا الله تعالى وذهبت
طايفة ممن نزهه عن ان يجوز عليه في حال من الاحوال سهوا اي ذهول عن معلوم
ثم تنبه له سريعا وقيل هو ترك الشيء بتركه عن غير علم وعن الشيء تركه مع علم ومنه
الذين هم عن صلاتهم ساهون او يجوز عليه فترة اي سكون وتقليل من عبادته
ومجاهدته في طاعة ربه الى ان معنى الحديث اي انه ليغان على قلبي ما اهم خاطره من امر
الامر اذا ازعجه واقلقه ويغم فكره اي يشغله من امر امته لاهتمامه بهم وكثرة
شفقته عليهم فيستغفر لهم اي يدعوا لهم بالمغفرة ان يلبسهم حلل عفوه ويذيقهم
برد العيش في دار كرامته وكان صلى الله عليه وسلم اذا خرج من الخلا قال غفرانك

مصدر يغفر نصب باضمار اطلب ونحوه كانه راى تركه ذكر ربه مدة لبثه
في الخلا لقضا الحاجة تقصيرا فتداركه بالاستغفار قال او اي من ذهب
الى تنزيهه عن السهو والفترة وقد يكون الغين هنا اي في حديثه هو
السكينة اي السكون والوقار والثاني في الامور والطمانينة التي
تغشاه مما يخشع له القلب ويسكن اليه لقوله تعالى فانزل الله سكينته
اي طمانينته وحلمه ووقاره عليه صلى الله عليه وسلم ويكون استغفاره
عندها اي حال غشيانها قلبه اظهارا للعبودية والافتقار الى ربه
تعالى وقال ابن عطا استغفاره هذا تعريف للامة وتعليم لهم كيف يستغفرون
ربهم يحملهم على الاستغفار اي طلب المغفرة من ذنوبهم قال غيره اي غير
ابن عطا ويستشعرون يدركون من تعريفه لهم الاستغفار الحذر اي الحبس
لانفسهم على طاعة ربهم والمنع عن اخراج السيات نقادا بامن الخوض
فيها وفي نسخة الحذر اي الوقوع فيها ولا يركنون الى الامن اي لا يسكنون ولا
يميلون اليه هربا من اقترافها وهم لا يشعرون اذ من طم حول الحمى اوشك ان
يرتع فيه ويحتمل ان تكون هذه الاغانة المفادة بقوله انه ليغان على قلبي حالة
خشية واعظام تغشى قلبه اي تفيض عليه فتطمينها فيستغفر حينئذ
اي حين غشيانها قلبه شكرا لله على نواهي كرامته عليه وزواكي مكارمه
منحه لديه ثنا بلسانه على ربه واذا بجوارحه في طاعته واعتقادا انه تعالى
مولاها وفي الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس اي لا يقبل الله شكر عبد
على احسانه له ما لم يشكر احسان الناس جاحدا له وقيل من كان من عادته وادابه
كفران نعم الناس وترك الشكر له وقيل من لا يشكرهم فضول من لا يشكر الله وان
يشكره هو هذه الاقوال مبنية على رفع الله ونصبه وملازمة لعبودية اي
مداومة منه صلى الله عليه وسلم عليها كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث قيامه
حتى ورمت قدماه افلا اكون عبدا شكورا اي على ما اكرم به مما قربه عينا وعلى
هذا الوجوه الاخيرة من قوله قال او وقد يكون الغين الى اخره يحمل على ما روي في بعض
طرق هذا الحديث من رواية البخاري عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
انه ليغان على قلبي مما يخشاه من سكينة وخشية واكرام وغير ذلك في اليوم اكثر
من سبعين مرة فاستغفر الله اظهارا لعبودية ربه وافتقارا اليه وملازمة
لذكره وتشريعا لامته ارشادا لما يكون سببا لغفران ذنوبهم فان قلت ما معنى
قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولو شا الله لجمعهم على الهدى بتوفيقهم للايمان
حتى يومنوا لكن لم تتعلق به مشيته فلم يجمعهم عليه فرفع المقدم بنقيضه انتج
رفع تاليه كذلك واوله المعتزلة بان ياتيهم باية تلجيه بجمعهم عليه لكن لم يفعل

لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين اي لا تتشبه بجزعك في مواطن الصبر
وحرصك على ما لا يكون من جمعهم عليه وما معنى قوله لنوح اذ ناداه رب ان ابني
من اهلي وان وعدك الحق فقال له انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم اي
بقوله احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك فلا تسالني ما ليس لك به علم اهو من
اهلك في الدين ام لا وسمي نداه سوالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه
لولده وسماه جهلا في ضمن اني اعظك ان تكون من الجاهلين لتقدم ما له مما به
على انه ليس منهم من استثني من سبق عليه القول منهم مما يصرفه عن سواله
النجاة من الغرق لكن شغلته صلى الله عليه وسلم رغبته الى ربه ان يهديه وينجيه
من الغرق لكن شغلته صلى الله عليه وسلم رغبته الى ربه ان يهديه وينجيه
من الغرق فاخذ في سبب نجاته علما من ان ربه عند ظن عبده به اي اني اعظك
وعظا يصرفك عن ان تتشبه بمن جهل تغابيا عما يعلمه موذنا بانه ليس
منهم فعلم انه لا يلتفت في ذلك اي في خطابه تعالى لهما صرفا لهما عن
ان تتشبها بمن تحمله الانفة والكبر على ما ليس من خلقه جهلا يودي به الى
قول من قال في ايه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلا تكونن من الجاهلين اي
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي ايه نوح صلى الله عليه
وسلم اني اعظك ان تكون من الجاهلين اي لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق
لا خلف فيه لقوله وان وعدك الحق اذ فيه اي فيما قال له تحزنه به عليهما تفسيرًا
للاثنين اثباتا للجهل بصفة من صفات الله وذلك اي اثبات الجهل بصفة
من صفاته تعالى لا يجوز على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والمقصود
مما قال له تعالى وعظهم ارشادا لهم وتنبيهًا على ان لا يتشبهوا في امورهم
بسمات الجاهلين تكبرا وفرط عتو عن الحق وكذلك يقال جوابا عن تفسير
الاثنين بما ذكر مع مساعدة ظاهرهما له ان المقصود وعظهما ان لا يتشبها
في امورهما بسمات الجاهلين واما ما تضمنه من اثبات الجهل بصفة من
صفاته تعالى فكثير ممن لم يستضئ بنور هدايته وتوفيقه يجهل ذلك بل ومن يكرم
اجمع مما لا يجوز عليهم كما قال اني اعظك ان تكون من الجاهلين بعيدًا
له ان يتسم بما ليس من شانه وخلقه وليس في ايه منها دليل على كونهم
صلوات الله وسلامه عليهم على تلك الصفة اي صفة الجهل التي نهيهم عن
الكون عليها والاتصاف بها فكيف يكونون على صفة نهاهم عن الكون عليها
وايه نوح صلى الله عليه وسلم اي اني اعظك ان تكون من الجاهلين محمل ما بعدها
وهو اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم على ما قبلها وهو فلا تسالني
ما ليس لك به علم اولى لصراحتهما بعد علمه صلى الله عليه وسلم ترك نجاة ابنه

ولان مثل هذا اي سواله ما ليس له به علم من نجاة ابنه فقد يحتاج الى اذن من ربه
تبارك وتعالى بتقدمه عليه وقد يجوز اباحة السوال فيه ابتداء رغبة منه
الى ربه في هدايته ونجاته من الغرق فنهاه ان يسال عما طوي عنده علمه واكنه
من غيبه اي ستره وصانه عن ادراكه بالبصر والبصيرة من السبب الموجب
لهلاك ابنه بيان لما طوي عنه واكنه وهو ان ابنه لم يكن على دينه مع ظنه صلى
الله عليه وسلم كما قال الماتريدي انه كان عليه اذ كان يظهر له ذلك ويبطن كفره
نفاقا كراس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول واشياعه ولولا لما تاتى له ان يقول
ان ابني من اهلي ولما سال ربه نجاته فكان سواله دابا له على ظاهر ما عنده ثم اكمل
نعمته عليه صلى الله عليه وسلم باعلامه ذلك بقوله عز وجل انه ليس من
اهلك اي في الدين لقطع الولاية بينهما بكفره انه عمل غير صالح تعليل لنفي كونه
منهم وجعل نفسه غير صالح تركا بان واسمية الجملة مبالغة في ذمه ونفي كونه
منهم اي يهوذ وعلق سيده ووصفه بغير صالح يوذن بنفي الصلاح الموجب
لنجاتهم عنه حكاه مكي وكذلك اي ومثل وعظه تعالى عبده نوحا صلى الله عليه
وسلم وصفا له عن ان يتشبه بمن يتعاطى الجهل وتقعد غارب التعابي امر نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم تلو تكافي الاية بالتزام الصبر اي في ايه ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اي صبروا على تكذيبهم وايذائهم
حتى اتاهم نصرنا لتتاسى بهم في الصبر على اعراض قومه عنه وعن الايمان بما جاءهم
به ولا يحرج اي ولا يضيق ذرعا عند ذلك الاعراض منهم عنه فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر والتندم والتاسف على توليهم عنه غيرة عليه
ولا منعا دينه له حكاه القاضي الامام ابو بكر بن فورك جوز فيها الصرف وعدمه
وقيل الخطاب بقوله فلا تكونن من الجاهلين لامته صلى الله عليه وسلم على طريقة
التعريض اي فلا تكونوا من الجاهلين اي لا تتسموا بسماتهم حكاه مكي وقال
مثله اي قال مكي مثل كون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد به امته في القرآن
كثير كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فبهذا الفصل الذي اوردناه مما اذن
نزاهتهم عما لا يليق بكون خطابهم وجب القول بعصمتهم منه بعد النبوة
قطعًا لشرف مقامهم فان قلت فما ذا فرت عصمتهم اي حفظهم بان لا
يخلق الله فيهم ذنبا ولم يتسموا بشيء من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء منه
بكرامتهم عند ربهم ونزاهة جنابهم ان تغشى سرادق عزهم ما لا يليق بهم
فما معنى وعيد الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله مع انه
لا يفعله لعصمته وما معنى تحذيره منهم اي تخويفه من قربانه كقوله تعالى ولقد
اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل بل من الانبياء لئن اشركت ليحبطن عملك

عنده

في احد منهم

من حبطت الدابة حبطا بالتحريك اذا وجدت مرعى طيبا فافرطت في الاكل فينتفخ
فتموت اي ليبطلن عملك وتوحيد الخطاب اما باعتبار كل واحد منهم او كما في فاني
وقيل بها للعرب اي اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك كذلك
واللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية جوابه والثالثة جواب الشرط
واطلاق الاحباط اما يحمل على انه خاص بهم او على تقييده بالموت المفاد بقوله تعالى
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم ولتكونن من الخاسرين
من عطف المسبب على سببه وما معنى قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك بنفسه ان عبدته او خذلته فان فعلت اي عبدته من دون
الله فكنى بالفعل عنه ايجازا فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال
مقدر عن تبعة عبادته من دون الله وجعل من الظالمين بانه لا ظلم اعظم من
الشرك وما معنى قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا اي لقاربت ان تميل الى مرادهم اذ كنت بصدد الركون
لشدة احتيالهم وقوة خدعهم فادركتك تثبيتنا وعصمتنا فلم تقرب من
الركون اليهم فضلا من ان تركن اليهم فهذا صريح بانه صلى الله عليه وسلم
ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها وموذن بان العصمة بتوفيق الله
وحفظه اذا اي لو قاربت لتركن اليهم لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة مضاعفين والاصل عذابا ضعفا
في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا فحذف الموصوف واقيمت
صفته مقامه ثم اضيفت وما معنى قوله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم
ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي لو افترى علينا تكلفا ما لم نقل لاخذنا منه
باليمين جواب لو ثم لقطعنا منه الوتين تصوير لقتله صبرا باقطع ما يفعله
الملوك معاجلة بمن يكذب عليهم فيوخذ بيمينه فتضرب عنقه فينقطع
وتينه وهو حبل الوريد فانه اذا قطع مات صاحبه لانه نياط القلب وما
معنى قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله عن طريقه المودي اليه اذ الضال لا يامر الا بما
فيه ضلالة وما معنى قوله له صلى الله عليه وسلم ام يقولون افترى على الله كذبا
ام منقطعة وهمزتها للتوبيخ اي ايتمالكون ان ينسبوا مثله الى الافترا
على الله الذي هو اعظم الفرية وافحشها فان يشا الله يختم على قلبك استعاذة
الله من ذلك اي ان يشا يجعلك ممن يختم على قلبه حتى يفتري عليه الكذب
اذ لا يجترئ عليه الا من ختم على قلبه جاهلا بربه او يختم عليه بمعنى ينسيك
القرآن والوحي مصدر بمعنى المفعول اي الموحى اليك من السنة او يربط عليك

الركون

بالصبر فلا يشق عليك اذاهم وهذا اليق بشانه صلى الله عليه وسلم وما معنى قوله
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل ما امرت به من تبليغ
ما انزل اليك من ربك فكنى بالفعل عنه فما بلغت بما امرت به رسالته كلا
او بعضا اذ ترك البعض كترك الكل وكان ما بلغت منها كمن امن ببعضها
من حيث ان تركها لبعض والكل سوا في الطاعة والتشاهد وما معنى قوله
يا ايها النبي اتق الله تفخيما لشانه وتكريما لرفعة محله وتنويها بفضله وتعظيمه
للتقوى من حيث امره بالثبات عليها ليكف عما نهاه عنه بقوله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فيما يودي الى وهن في الدين فاعلم ايها المخاطب وفقنا الله واياك
لما يحب ويرضى بخلق قدرة طاعته فينا انه صلى الله عليه وسلم لا يصح له ولا يجوز
عليه ان يترك ما امر بتبليغه ولا يبلغ ولا يصح له ولا يجوز عليه ان يخالف ما امر
به لنزاهة منصب النبوة عنه ولا ان يشرك بربه احدا لعصمته منه ولا ان
يتقول على الله افترا عليه تعالى ما لا يجب ان يقال ولم يوذن فيه او يفتري عليه
ما لا يليق بجناب سرادق عزه او يضل ان اطاع اكثر من في الارض بهم او يختم على
قلبه بالضم مبنيا للمفعول لنزاهته عن ذلك او يطيع الكافرين والمنافقين لان
طاعتهم مما يودي الى مدح الهتهم المودي الى وهن دينه وقد ارسل ليظهره على
الدين كله لكن يسر الله تعالى له صلى الله عليه وسلم امره اي شانه وحاله وعرفه
سلوك منهج اظهار دينه بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين ممن امر
بابلاغه ما ارسل به اليهم وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك
من الناس بحفظه وكلايته لك ممن يتعرض لك منهم بقتل فلا عذر لك في ترك
التبليغ ولقد صبر على ما كذب واوذي حتى اتاه نصر ربه فما اشد تكليفه
للانبيا صلى الله عليهم وسلم كما يطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك
من الناس مثل ما قال لموسى وهرون لا تخافا انني معكما حافظ وناصر لكما
على فرعون مع فرط عتوه وشدة شكيمته لتشتد بصائرهم صلوات الله
وسلامه عليهم فيكونوا مستبصرين على يقين من امورهم في الابلاغ الى من
ارسلوا اليهم بما ارسلوا به واظهار دين الله الحق على كل دين باطل ويذهب
عنهم خوف العدو والمضعف يجوز تخفيف عينه وتشديدها للنفس المهز
قواها واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية منصوبة بنحو اعني اي
كلها وتمامها لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحياة اي وضعف الممات فاكتفي عنه بما له بمعناه ان هذا اي الاخذ
باليمين وقطع الوتين واذاقة ضعفي عذابها جزا من فعل هذا التقول والركون
الى مراد الكفرة الفجرة جزاوك لو كنت ممن يفعله منفردا بفعله وهو صلى

الله عليه وسلم لا يفعله اي لا يتقول والتكون نكني عنها بالفعل ووحد ضميره باعتبار
المتروك وكذلك اي مثل لو تقول ولا ذقناك قوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك فالخطاب به له او المراد غيره ايقاظا وتحريكا لهم لينظروا فياخذ
حذرهم الى ان يتيقنوا انهم هم المقصود به اولا وبالذات وانه صلى الله عليه وسلم
انما خوطب به مع رفيع قدره وعلو محله كقرع العصا لذي الحكم تلويحا له
بانهم هم الامرا للكلام والبصرا بمواقع البيان فهو خطاب لغيره كناية كما قال
تعالى مخاطبا لهم صريحا يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على
اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت اذ قال المنافقون للمومنين باحد عند
انهزامهم اذ ارجف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا ارجعوا الى اخوانكم
وادخلوا في دينهم ولو كان محمد نبيا لما قتل وكذلك قوله فان يشا الله يختم على
قلبك خوطب به واريد كما مر في امثاله غيره وكذلك قوله فان يشا الله يختم على
لئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فانه خوطب به والمراد غيره تعريضا اي ليبطلن
لئلا ينبسط الى المقصود وانه هذا اي الحكم باحباط العمل حال من اشرك فاريد
بما ذكروا ان اريد به قدوته وهو النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا يجوز عليه
هذا وان خوطب به كناية وتعريضا لغيره ليكف واما قوله ولا تطع الكافرين
والمنافقين اي في قبول راي منهم ولا مشورة وجانبهم فانهم لا يريدون بذلك
الا المضادة والمضارة فليس فيه انه اطاعهم وانما كان بايعه بعض بني
قريظة والنضير وقينقاع على نفاق منهم فكان يخفض لهم جناحه ويكرمهم
صغيرا وكبيرا ومن اتى منه قبيحا تجاوز عنه فنزلت والله تعالى ينهى عما
يشا ويامر بما يشا مما ليس لغيره ان يامر به وينهى عنه كما قال تعالى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي بعيدا عنه بعد ان امره بانذار من يخاف
ان يحشروا الى ربهم لكي يتقي ربه بالغداة والعشي مديمين عبادته
يريدون وجهه اي ذاته مخلصين له في عبادته نفى الطرد لهم عن طرده لهم
تلويحا بانهم الاحقا بتقريبهم منه واكرامهم ولا يطيع فيهم من يبغي
لهم خلافه ترضية له اذ يدري ان ناسا من روسا الكفر قالوا له صلى الله
عليه وسلم لو طردت هولا الاعبد يعنون فقرا المومنين كصهيب وعمار وبلال
جلسنا اليك وحادثناك فقال لهم ما انا بطارد المومنين قالوا فاقمهم عنا اذا جيناك
قال نعم ترجيا لاسلامهم فقالوا اكتب به كتابا فدعا عليا ليكتب فنزلت وما
كان صلى الله عليه وسلم طردهم ليشهد قولهم فاقمهم اذا جيناك لا بدانه تعلق
قيامهم بمجيئهم ولم يقع ولا كان صلى الله عليه وسلم من الظالمين بقوله لهم نعم
كناية عن قوله لما اقمهم عنك اذا جيتم طمعا في ايمانهم اذ كان غاية هواه و

ومتمناه ان يومنوا عن اخرهم ومن ثم عتبه ربه بقوله فلعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مومنين فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة مما فرغ
سبحانه وانه ذاك معناه فيما مر انفا فللناس فيه خلاف وما شيخنا به شيخنا في درر
العقايد ومقاصد المقاصد وشرحها والصواب انهم معصومون قبل النبوة
اي محفوظون قبل اظهارها بالرسالة من الذنوب كبايرها وصغايرها وبعدها مثل الجهل
بالله وصفاته ثبوتيه وسلبيه وفعليه واضافيه والتشكك في شي من ذلك
لطبع فطرتهم على التوحيد لله والايمان به منبعثين اليه غير ناسين عنه ولا
منكرين له وليس لاحد ان يقول قوله تعالى وما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان يومي
بغير ذلك فايتعلق به الى القول بعدم درايتهم الايمان قبلها لان المراد به الايمان
بما لا يعرف الا بالوحي كالايمان بوجوب الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج
وغير ذلك من فروع الشريعة وقد تعاضدت الاخبار والاثار الواردة عن
الانبيا وغيرهم اي تقوى بعضها ببعض بحيث تنفي عنهم هذه النقيصة
حماية لمقامهم عن الاتصاف بها منذ ولدوا ونشاتهم اي ومنذ شبوا ولم يكابدوا
وهم على التوحيد لله لا يشركون به احدا طرفة عين ويجوز ان تكون نشاتهم
مبتدا خبره الظرف بعده ويجوز ان تكون جملة حالية من ضمير ولدوا اي ناشين
عليه والايمان بوجوب وجوده بل انتقالته اي وعلى اشراق انوار المعارف
في افنية ضمايرهم واوعية قلوبهم ونفحات الطاف السعادة بتوفيقهم
لما تعينهم امور ربهم ورضاه حتى تكاملوا هذا ولتمكنهم من التوحيد والايمان
ومخالطة بشاشتهما قلوبهم واضاءة انوار معارفهم بها وشمول نفحات الالطاف
فتعرضوا لها وفيه تعرضوا للنفحات رحمنا الله كما نبهنا عليه اي على تنزههم
عما ذكر في الباب الثاني من القسم الاول مع بيان ما تحتج اليه فراجعه
ان شئت من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اعلام الايمة الاخيار ولا غيرهم
من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر واشراك من
عطف الخاص على العام قبل ذلك اي قبل اظهار نبوته واصطفايه ومستند
هذا الباب اي بابه انه لم ينقل ولم يصطفي احد ممن عرف بشي من ذلك النقل
ولو نقل شي من ذلك وبعضه العقل لتشابه بعصمتهم من ذلك قبل وبعد
بالبابة الى ركن سديد وانهم خلقوا ونشاوا على التوحيد والايمان نهتدي
وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر ممن كانت هذه اي الصفة لتبين
من الكفر والاشراك قبل ذلك نسبته وانا اقول ان قريشا رمت نبينا
صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته اي كذبته عليه من قطايع وشنايع كقولهم
ساحرا شاعر معلم مجنون انما يعلمه بشر مما حكاه الله عنهم وعيرها الام

بمهملة فمثناة تحتية مشددة اي عابوا انبيائهم بكل ما امكنهم واختلقوا من
الخلق والابداع فكان الكاذب تخلق اقوالا بما نص الله عليه في كتبه السماوية
من تكذيبهم لهم ورميهم بعظايم الامور ونقلته الينا الرواة ولم نجد
في شي من ذلك اي الذي نص الله عليه ونقلته الرواة ان احدا منهم عير
بكفر واشراك قبل ان ينبا ويصطفي بشهادة انا لم نجد لاحد من اممهم
تعييرا لواحد منهم صلوات الله وسلامه عليهم برفضه الهته ولهم
اي توبيخه بذمه بترك ما كان قد جامعهم ووافاهم عليه من اتخاذه الهة مثلهم
قبل اصطفايه بالرسالة وقد اعاذهم الله من ذلك ولو كان قد وجد من احد
منهم هذا اي انه اتخذ الهة مثلهم قبل اصطفايه ثم تركها بعده لكانوا اي
كفار اممهم بذلك اي بما عرفوه منهم لو وجد قبل ذلك مبادرين الى تعييرهم
وتقريعهم به ولكانوا بتلونه في معبوده بانتقاله عنه الى معبود اخر
محتجين عليه بذلك ولكان توبيخهم بنهيهم عن تركهم الهتهم و عن
تركهم ما كان يعبد اباؤهم من قبل اي قبل ابنائهم ففي اطباقهم اي كفار
اممهم واجماعهم اباء وابناء على الاعراض عنه اي عن توبيخ احد منهم بانه
كان له الهة قبله ولو كان لو بخوه وعيروه بتركه له بعد بشهادة الفطر اي كفار
اممهم لم يجدوا اليه سبيلا به يحجونه ويتسلقون الى ترويج اباطيلهم الكاسدة
واغراضهم الفاسدة اذ لو كان لنقل الينا متواترا لدواعي على نقله اذ كان
مناهم ان يرموه بلوايع الهوان وروايع البهتان وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عن تحول القبلة اي صرفها التوجه للصلاة عن بيت المقدس الى المسجد الحرام
اذ القبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال ثم استعيرت
عرفا للمكان الموجه اليه للصلاة وقالوا ما ولاهم اي صرفهم عن قبلتهم بيت
المقدس التي كانوا عليها كما حكى الله عنهم توبيخا لهم وتسفيها لاحلامهم بقوله
سيقول السفهاء من الناس اي خفاف الاحلام الماهنون انفسهم بترك النظر
المودي الى الاذعان للحق يعني الكرا هتهم التوجه الى الكعبة ولعدم قولهم بالنسخ
او المنافقين لفرط حرصهم على الطعن والاستهزاء او المشركين اذ قالوا رغب
عن قبلة ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فكذبوا وخسروا وقد استدل
القاضي لعله ابو نصر عبد الرحيم بن الاستاذ ابي القاسم القشيري على
تنزيههم عن هذا اي عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك في شي منه
وعن الكفر والاشراك قبل البعثة بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
اي عهدهم بتبليغ الرسالة والدعا الى دين الاسلام ومنك ومن نوح ٥
وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وخصهم بالذكر لشهرتهم وفضلهم ٥

وقدم نبينا تفخيما لشانه وتكريما واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عظيما
شانه كرر لبيان وصفه بالغلظ مستعارا له وصف الاجرام تفخيما له اي اخذ
ليسال يوم القيامة الانبيا الصادقين عن صدقهم اي عن قولهم الصدق
في تبليغهم اممهم فالمصدر مضاف الى فاعله او عن تصديق اممهم لهم وعما
اجابوهم به فهو مضاف الى مفعوله وسماه صدقا لان تصديق الصادق صدق
او ليسال المومنين عن صدقهم في عهدهم ووفايهم به ممن اشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى استدل ايضا على تنزيههم عما ذكر بنحو
قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين اي عهد انفسهم او عهدا و لاديهم بني
اسرائيل على حذف المضاف وسماهم انبيا تهكما بهم وسخرية اذ قالوا نحن احق
بالنبوة من محمد لانا اهل كتاب والانبيا منا او عهدهم واممهم واكتفى بذكرهم
عن ذكر الامم لما اتيتكم لام موطية لورود ما بعدها جوابا للقسم اعني
اخذ الله لانه بمعنى الاستحلاف وهي كالداخلة على من في لمن تبعك منهم لاملان
جهنم وما شرطية منصوبة بالفعل بعدها وهو ماض بمعنى الاستقبال لتقدمها
عليه شرطية كهي في ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك
فلا مرسل له من بعده ٥ ومن في من كتاب وحكمة كهي في ما ننسخ من اية ثم
جاكم رسول مصدق لما معكم معطوف على فعل الشرط ويلزم فيه ضمير
يربطه بما عطف عليه اي جاكم رسول به ويجوز ان يكون ما موصولة صلتها
ما بعدها والعايد عليها محذوف اي اتيتكموه ثم جاكم معطوف على الصلة ٥
والعايد عليه محذوف اي ثم جاكم رسول به لتومنن به ولتنصرنه جواب
القسم وحذف جواب الشرط لدلالته عليه ولامه كهي في لاملان
جهنم قال اي القشيري فطهرهم الله في الميثاق بما طهره ما لا يليق بكريم
قدرهم وشريف محله ونعتقد ان باخذ الله منه صلى الله عليه وسلم الميثاق
قبل خلقه ثم باخذ ميثاق النبيين موكدا عليهم بايجاب الايمان به ونصره
خذلان من سماه وخزي من ناواه قبل مولده بدهور جمع دهر وهو الزمان
الطويل اي دهرا لم يسم بجملة الزمان بهم بالاختصار وان يجوز عليه الشرك
او غيره من الذنوب هذا هو المستبعد والواو للحال او بمعنى مع اي بعد كل
ممتنع ان يمتحنه بذلك حال الشرك او غيره او مع تجويز عليه شيا من ذلك
لبراة شانه ونزاهته شاهد هذا اي تجويز الشرك او غيره من الذنوب عليه
بعد اصطفايه به من اخذ ميثاق الانبيا وجوده ليس جاهم ليومنن به ٥
ولينصرنه ما لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم الا ملحد حايد عن منهج الحق
غافل عما تناهيه صلى الله عليه وسلم عن وصمة الشرك وداعية الذنوب ٥

وكيف يكون ذلك استخبار اذن تنبيه وتعجب وانكار للتجوز عليه بانكار حاله
التي يرد عليها لان صدوره لا ينفك عن حال وصفه فاذا انكر ان يكون له
حال يرد عليها لزم منه انكار وجوده بطريق الكناية على وجه برهاني فهو ابلغ ٥
واقوى انكارا من ان يكون ذلك واوفق لما يعرض من الحال وما يعتري كريم جنابه
عن لاعتنا التجويز اي على اي حال تجوزه الله عليه والحال انه صلى الله عليه وسلم
قد اتاه جبريل كما رواه مسلم عن انس وشق قلبه صغيرا اي حال الصغر
واستخرج منه علقة اي قطعة دم عبيط اي طري غليظ وقال هذا حظ
الشيطان منك اي نصيبه وتحته الذي يسر ويفرح به من غيرك
بقبوله وسوسته له فباخراجها لم يكن له عليه بل ولا على غيره من الانبيا
سبيل بشهادة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين
وجعلها بغيرهم حظه لانها محل قبول وسوسته ممن له عليه سلطان بما
يقذفه في قلبه مما هو ديدنه من الشر مما يورثه هلكة الدنيا والاخرة ثم
غسله وملاه حكمة وايمانا تمثيل وتصوير للزومهما قلبه وتمكنهما منه ٥
باستقرارهما فيه فكانهما اوادكين ملاه لها كما تظاهرت به اي بشق
قلبه صغيرا وملائه حكمة وايمانا اخبار المبتدا اي مبدا امره صلى الله عليه
وسلم الى ان بعث كما رواها الثقات ولا يستره عليك الامر في تصويبنا
عصمتهم قبل النبوة فيما تلي عليك بقول ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم
لما جن عليه الليل في الكوكب اذ راه هذا ربي فلما افل اي غرب قال لا احب الافلين
وقوله في القمر اذ راه بازغا هذا ربي قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين وقوله في الشمس اذ راها بازغة هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال
اني بري مما تشركون فانه اي قوله ذلك فيها قد قيل كان في سن الطفولية
وقبل لزوم التكليف له زمن مراهقته نبيها لابيه وقومه اذ كانوا
يعبدونها مع الاصنام على خطائهم في عبادتها وان شيا منها لا يكون الها يعبد
لقيام ما اذن بحدوثها من تغير وانتقال من حال الى حال وان لها محدثا
احدثها ودبر طلوعها وافولها وسيرها واختلاف اوضاعها هنا وذهب معظم
الحذاق جمع حاذق بالمعجمة اي الماهر المتقن ومنه قول زيد بن ثابت
فما مر بي نصف شهر حتى حذقته اي عرفته واتقنته من العلما بيان لمعظمهم
والمفسرين من عطف بعض افراد العام عليه تلويحا بانهم الاحق بالذكر
منفردين الى انه اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك اي هذا ربي في
كل منها مبكتا حال من ضمير قال اي مقرعا ومعنفا وموبخا لقومه ومقبحا
عبادتهم لها ومستدلا عليهم بان الانتقال والاحتجاب بالافول والاستتار

مؤذن

مؤذن بالامكان والحدوث مناف للالوهية ارشادا الى ان سلوك منهج
النظر الصحيح وزجرا لهم عن قبيح عبادتها وانجى لهم من وصمة الشغب
وادعى الى قبول الحق وقيل معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار المنسو
خرج على منوال النفي المؤذن بانه اذا انكر كون هذه الاجرام المعبودة شركا خ
لخالقها تولد منه انكار عبادتها على وجه برهاني اذ بانتفا الملزوم انتفا اللازم
والمراد بقوله هذا ربي فهذا ربي توبيخا وتقريعا وانكارا لان يكون ربه
فالهمزة فيه للانكار لا للتكذيب في الماضي بمعنى لم يكن هذا ربي كما في ابشرا
منا واحدا نتبعه هنا وتنبه للفرق بين الانكار والتكذيب بمعنى لم يكن
او لا يكون في معنى اصطفى البنات على البنين افاصفاكم ربكم بالبنين
وبين الانكار للتوبيخ بمعنى لم كان او لم يكون كما في افعصيت امري وقال
الزجاج هذا ربي اي على قولكم وفي زعمكم انه رب يعبد توبيخا وتقريعا
لهم كما قال اين شركائي اضافهم اليه مع سؤاله عنهم تهكما وسخرية بهم اي
اين شركائي عندكم وفي زعمكم ويدل على انه اي ابراهيم لم يعبد شيا من ذلك
اي كوكبا وقمرا وشمسا ووثنا ولا اشرك قط بالله طرفة عين اي زمن رجع
الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها بل ولا قدر ابتدا زمنه قوله حكاية
عنه اي عن ابرهيم صلى الله عليه وسلم اذ اي حين قال لابيه وقومه ما
تعبدون قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي نداوم واطالوا الجواب
وكان يكفيهم ان يقولوا اصناما اظهارا لما في ضمائرهم من الابتهاج ٥
والسرور والافتخار به ثم قال اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم افرايتم
ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون حيث لا ينهض التقدم برهانا
على صحة عبادته ولا ينقلب الباطل حقا فانهم عدو لي فلا اعبدهم لاني
فكرت في امري فرايت عبادتها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة
من الخير كله منه تنبيها ذكره كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم
ضدا التلويح بان ذلك نصيحة نصح بها نفسه وما اراد لنا الا ما اراده لها
ليكون ادعى الى الانقياد وابعث على الاذعان وادخل في باب التعريض
المفيد للمنصوح له ما لا يفيده التصريح اذ ربما قاده التامل فيه الى القبول
ومنه قول الامام الشافعي وقد واجهه جهول بشي لو كنت حيث انت لاحتجت
الى ادب تعريضا به الا رب العالمين استثنا منقطعا اي لكن وقال اذ جا
اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم ربه بقلب سليم اي من آفات القلوب كالغل
والحسد واضمار السوء او مخلصا له او خالصا من العلائق او من الشرك ٥
وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي بعدني انا وهم عن عبادتها وجنبنا

دائما على اجتنابها فان قيل ما معنى قوله بعد افول القمر لئن لم يهدني ربي لاكونن من
القوم الضالين اي هم في اودية الضلال قيل جوابا لقوله ذلك انه استعجز
نفسه واستعان بربه ان يريه الحق اذ لا اهتدي اليه الا بتوفيقه تعالى فقال
لقومه انه ان لم يوفقني ثبتني على الحق بمعونته اكن مثلكم اي هم في اودية
ضلالكم وعبادتكم ما لا يصلح ان يكون الها اعلاما لهم بانهم على ضلال اذ من اتخذ
الها فهو ضال وانما قال ذلك على معنى الاشفاق والحذر من التورط في تلك
الورطة والا فمحل قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين على ذلك فما باله
قاله وهو معصوم في الازل من الضلال المورث للحيرة في اودية فان قلت
فما معنى قوله تعالى في سورة ابراهيم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن في ملتنا اقسموا ليكونن احد الامرين اما اخراجهم او عودهم
في ملتهم ولم يكونوا عليها من قبل ثم قال تعالى بعدها اي بعد قولهم لنخرجنكم
من ارضنا الى اخره فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من
بعدهم وقال في سورة الاعراف عن شعيب صلى الله عليه وسلم بعد ان قال
له قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا
قال اولو كنا كارهين لا عن الرسل وان زعمها قد افترينا على الله كذبا ه
استينا فيه معنى التعجب مقيد بالشرط بعده اي ما اكذبنا على الله ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وعصمنا من الركون اليها فضلا عن مقارفتها
وهذا هو الشرط المقيد به ما قبله حذف جوابه لدلالة قد افترينا عليه وهو بمعنى
المستقبل اذ لم يقع اصلا لشرط مسد الجواب وجعل كالواقع للمبالغة بتبيه (?) ده
دخول قد عليه تقريبا له من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا بالعود فيها
بعد نجاتنا منها كان عودنا فيها افترا عليه نظم نفسه مع من آمن في العود
من تبعة الهم ونداه لم يكن فيها طرفة عين اجرا الجواب مجرى قولهم او لتعودن في
ملتنا تغليب لمن كان اتصف بالكفر قبل ايمانه على من لم يتصف به اصلا فجعلوا
عائدين جميعا فلا يشكل عليك لفظة العود فتورد لك الى انه رجوع الشي الى ما
كان عليه بعد انتقاله عنه واقتضا يقتضي الضمير اي الانبياء على ما زعمهم انما يعود ذوله
الى ما كانوا بل شعيبا الى ما كان عليه من ملتهم ولم يكن في شي منها اصلا
لعصمتكم مما فيه اذا تنفير عنهم فضلا عن الكفر واستوضح ما يصرفك عما
تقتضيه هذه اللفظة فقد تاتي هذه اللفظة اي لفظة العود بل كثيرا ما يرد
في كلام العرب كثرة في شيء بمعنى الصيرورة فلا تكاد تسمع منهم صار بل
عاد ما عدت اراه اما عاد لفلان مال كما في حديث الصحيح عن ابي
سعيد الخدري في الجهنميين عادوا حمما اي صاروا سودا قد امتحشوا ولم

مرتدان

يكونوا

يكونوا قبل ذلك كذلك اي لم يكونوا حمما قبل كونهم بجهنم حمما ومثله اي مثل ما جا
في حديث الجهنميين ان عاد بمعنى صار قوله من بحر البسيط من عروضه المخبونة
وضربها المقطوع وقافيته المتواتر وهي ما وقع بها متحرك بين ساكنين ه ه ه ه
تلك المكارم لا قعبان من لبن ه شيبا بماء فعادا بعد ابوالا ه ه
باستحالتهما في المعدة كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى
حذف معموله محافظة على رعاية فواصل الاي فليس هو من الضلال الذي هو
الكفر لعصمته كالانبيا قبل النبوة وبعدها ما يشينهم فضلا عن الكفر قيل معناه
وجدك ضالا عن النبوة فهداك اليها اي وجدك غير عارف بها فعرفك اياها وقيل
وجدك بين اهل الضلال فخذر عليك ان تنتظم في سلك ضلالهم فعصمك من ذلك
وهداك للايمان والى ارشادهم اليه اذ كانوا غير مهتدين الى الحق وقيل ضالا
عن شريعتك اي لا تعرفها الا بالالهام او الوحي فهداك اليها كنبيها ده وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا اي موحى به يحيي من امن بك كما يحيي الجسد بالروح
ومن ثم سمي روحا والضلال المراد به هنا في هذا القول هو التحير من ضل من
الطريق اذا حار ولم يدر اين يذهب ولهذا اي من اجل ان الضلال هنا هو التحير
كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا في طلب ما هو وسيلة يتوجه به الى
ربه ويشرع به ليزدلف بها اليه حتى هداه الى الاسلام غاية لطلبه ذلك ه
وقيل وجدك ضالا لا تعرف الحق نايبا عنه كما بلاله فهداك اليه وهذا مثل
وعلمك ما لم تكن تعلم من امور الدين والاحكام او من خطابا الاعد قال ابن
عباس لم يكن له ضلالة معصية لانه تشبيه بي باكريم جنابه عنها وقيل هدى
اي بين امرك للضالين الذين لم تعبدوك حتى قدرتك بالبراهين القاطعة والحجج
الساطعة التي لم تقاد لاحد في حقية ما جا به شبهة وقيل وجدك ضالا
بين مكة والمدينة لا تدري ما مجيالك ومماتك فهداك الى المدينة فكانت
مجيالك ومماتك وهدى بك اقواما كانوا عن الحق غافلين واخرين كانوا له معاندين
واخرين كانوا له معاهدين وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا عن الحق وعن
جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي ووجدك ضالا
اي عن محبتي لك في الازل اي توفيقي وهدايتي اواياد تهاتك اي لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتي ما لكا زمام محبتها بنور هدايته الهيته وعناية ربانية
والضال هو المحب المتوله بمحبوبه كما قال تعالى حكاية عمن قال ليعقوب اذ
قال اني لاجد ريح يوسف انك لفي ضلالك القديم اي لفي ذهابك الى محبتك
القديمة ليوسف بافراطك فيها وذكرك له ورجائك لقاءه ظنا منهم انه تقدمت
ولم يرتدوا اي القايلون له انك لفي ضلالك القديم ههنا تبوا لهم في ضلالك

ضلالة في الدين اذ لو قالوا ذلك مريدين له اعتقادا في نبي الله اي نبي الله بن نبي الله لكفروا ولاجترائهم بنسبة الضلال في الدين الى من عصمها الله تعالى ومثله اي ما قاله ابن عطا عند هذا اي عند ابن عطا فوضع اسم الاشارة موضع ضمير لكمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع عجيب شانه هو جعله الضلال جا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة اورتها تدلها وجنونا بحبها تبعا في اي حجاب قلبها حتى وصل فواده اي حبته وسويداه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزلنا اليك مما خفي عليك فهداك لبيانه ثم استنباطه هداه الى صراط مستقيم لقوله وانزلنا اليك الذكر اي القران سمي ذكرا لانه منبه بموعظته لتبين للناس ما نزل اليهم مما اشتبه عليهم منه وقيل وجدك ضالا بين الناس لم يعرفك منهم احد بالنبوة جملة حالية من الكاف والاكثر يقترنها بالواو لاستوا الامرين جوازا وتركا فيها اذا وردت على اصلها من كونها فعلية على طريقتها من كونها منفية كما في

لوان قوما لارتفاع قبيلة ... دخلوا السما دخلتها لا احجب

دني غير ...

آذا دوا من دمي وتوعدوني ... وكنت وما ينهنهني الوعيد

حتى اظهرك ظهور نار القرى ليلا على علم فهدى بك السعدا ممن جعله الله سعيدا في الازل ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها اي في اية ووجدك ضالا فهدى اي ضالا عن الايمان لان كالانبيا خلقوا حنفا مهتدين الى ما اريد بهم ولهم من كل خير ومعصومين مما ينبه تنفير قبل النبوة وبعدها ولذلك اي مثل ووجدك ضالا فهدى في قصة موسى صلى الله عليه وسلم قوله فعلتها اذن وانا من الضالين وقراه ابن مسعود من الجاهلين اي من الفاعلين فعل اولي الجهل او من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد وتعمد قتل او الذاهبين الى ما يفضي اليه الوكز قصدا من التاديب وقال الازهري معناه من الناسين بكذبا لفرعون اذ جعله من الكافرين رفعا للشرف بحل من يدينه تقدم صدق في اوج التنبوء عن وصفه بما لا يليق به ونحو قيل ذلك اي قول الازهري من الناسين في قوله تعالى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما في ان تضل احديهما الاخرى علة للضلال اي ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الشهادة واعتبار العدد فيهن مع الرجل مشعر بنقص عقلهن وقلة ضبطهن فان قيل فما معنى قوله تبارك وتعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ما كنت تدري ما طريقة الوحي من معرفة القران وقراته ومعرفة الايمان باحكام الشريعة وفرايضها مما كسبه بالوحي دون ما فطر وجبل عليه من الايمان بالله

وتوحيده كاخوانه النبيين بشهادة ما هنا من ان السمرقندي قال معناه ما كنت تدري قبل الوحي ومجي الملك اليه به ان تقرا القران ولا كنت تدري كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال ... اي السمرقندي ولا كنت تدري ما الايمان الذي هو الفرايض والاحكام التي شرعها الله لك وبعثك بها وعطفها العام على بعض افراده تنبيها على الايمان بسابقها قال اي السمرقندي فكان قبل اي قبل الوحي ومجي الملك اليه مومنا بتوحيد الله وقدم وجوده ثم نزلت الفرايض التي لم يكن يدريها قبل اي قبل الوحي بعثته فازداد بالتكليف ايمانا وحديث عثمان بن ابي شيبة هنا الذي رواه البيهقي وابو يعلى المكرر الايمة جدا واحمد بن حنبل وقال موضوع او شبيه بالموضوع ليس حكمه حكم الضعيف في العمل في فضايل الاعمال لانه شديد منه وقال الدارقطني تفرد به عثمان ووهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه علاني فضل على والمعروف عنه صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم بفن علم الحديث وطرقه من قوله صلى الله عليه وسلم بغضت بالبنا للمفعول اي بغض الله الي الاصنام تفاديا من وصمة الميل اليها اذ قد خلق مهديا وحديث شام ايمن هنا الذي رواه ابن سعد عن ابن عباس عنها وحديث بحيرى الذي رواه ابن سعد ايضا عن نفيسة بنت منية اخت يعلى بن ... عن ... ان والمعروف ايضا من سيرته وتوفيق الله له تحقيقه تعالى الهداية فيه صلى الله عليه وسلم انه كان قبل نبوته اي قبل ظهورها ببعثته يخالف المشركين في وقوفهم اذ كانوا يقفون بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة حجي بضمير الفصل تلويحا باختصاصه صلى الله عليه وسلم اي هو لا غيره لانه اي جل عرفة كان موقف ابراهيم صلى الله عليه وسلم هداية من الله له ان يحل قبل بعثته بما يكون شرعا له بعدها لشهادة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم فصل قد بان اي وضح وضوحا تاما بما قدمناه عقود الانبيا اي ثبوتهم ورسوخ اقدامهم في التوحيد والايمان والوحي اليهم ما يجب الانقياد والاذعان لهم فيما دعوا اليه وعصمتهم من التفريط في شي من ذلك على ما بيناه فيما تقدم مرارا فاما ما عدا هذا الباب اي باب عقودهم في التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم فيها من عقود قلوبهم فجماعها اي جميع قلوبهم انها مملوءة علما ويقينا على الجملة بلا تفصيل لكثرة المتعلقات من معلوماته وانها قد احتوت اي ضمت وجمعت من المعرفة والعلم باموال الدين والدنيا جزئيات وكليات ما لا شي فوقه من بدايع المعرفات وروايع المعلومات الا ان استثنا منقطع اي لكن احوالهم في هذه المعارف تختلف بحسب متعلقاتها فاما ما تعلق منها بامر الدنيا كتدبير المعاش والقيام بمصالح الانام والاتباع فلا يشترط في حق الانبيا العصمة من عدم معرفة الانبيا بعضها

وضع الظاهر موضع المضمر فيهما تنويها بذكرهم تشاقهم وكمال العناية بتمييز رفيع
جنابهم والتلذذ بذكرهم او من عدم اعتقادها مصدر اضيف الى المفعول اي
ولا عدم اعتقادهم اياها على خلاف ما هي عليه لذا قال لتيسه ده قوله صلى الله عليه
وسلم للانصار وهم يابرون النخل لا عليكم ان لا تفعلوا فتركوا فلم يفلح منه
ذلك العام منهم الا القليل فقال انتم اعرف بدنياكم ورجوعه للحباب بن المنذر
بعد على ما مر ولا وصم اي لا تقصير ولا توانى منهم ولا عيب عليهم فيها اذ
همتهم منهم بالامر اذا عزم عليه متعلقة بالاخرة وانبائها جمع نبا اي اخبارها
وامر الشريعة اعتنا بتدبير امورها وبين احكامها لمن امر بالعمل بها والجري على
قوانينها جمع قانون وهو كما تقدم امر كلي منطبق بالقوة على جزئياته موضوعه
كالامر للوجوب نحو النهي للتحريم وطريق اخراج جزئيات موضوعه والذي هو الامر
بضم مقدمة صغرى اليه هكذا اقيموا الصلاة امر وكل امر للوجوب فهو لها
له وطلاق الحائض بدعي والبدعي غالبا حرام فطلاقها حرام بخلاف غيرهم اي غير
الانبيا من اهل الدنيا والذين قال سبحانهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون
بدل مما قبله واثم مقامه تلويحا بانه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود
العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وتسجيلا عليهم بكمال البلادة والذم اذ لا يعلمون الا
ظاهرا من الحياة الدنيا مما يرونه ويتمتعون به من زخارفها ويتنعمون به
من ملاذها ويتبسطون فيه دون باطنها من كونها مجازا للاخرة يتزودون
منها خيرا لزاد التقوى بالطاعة وصالح الاعمال وتنكير ظاهرا مؤذن
بانه ظاهر واحد وهم عن الاخرة هم غافلون لا تخطر لهم ببال نائبين عنها في كل
حال وهم الثانية اما تكرير للاولى وغافلون خبرها او مبتدا خبره غافلون والجملة
خبر للاولى وعلى كل فذكرها ثانيا مؤذن بانهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها
فكانها تنبع منهم وترجع اليهم ولكنه الضمير للشان يفسره لا يقال في حق الانبيا
انهم لا يعلمون شيا من امور الدنيا فان ذلك اي القول بعدم علمهم بامور الدنيا
يؤدي الى ما لا يجوز نسبته اليهم من الغفلة والبله وهم المنزهون عنه
اي عن عدم العلم بامور الدنيا لا غير تنبيها ده تعريف الجزئين بل قد ارسلوا الى
اهل الدنيا وقلدوا سياستهم اي تدبير امورهم ومصالح احوالهم واصلاحها القيام
على الشي بما يصلحه وفي الحديث كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبيا اي تتولى امورهم
وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم مما به تنتظم امور المعاش
والمعاد وهذا اي ما قلده من السياسة والنظر لا يكون مع عدم العلم بامور
الدنيا بالكلية اذ مع عدمه تضييع امرهم واموالهم مما يعود بالنسبة
لما لا يليق بهم اليهم وهم منزهون عن نقص عظيم قدرهم ورفيع محلهم واحوال

الانبيا

الانبيا وسيرهم في هذا الباب اي باب عدم العلم بامور الدنيا ٥٥
بالكلية معلومة عند كل عارف لقصرنا لفطرنا آمن ذلك كله ومعرفتهم
بذلك مشهورة لا تخفى على ذي قلب سليم وطبع مستقيم واما ان كان هذا
العقد اي عقد قلوبهم مما يتعلق بامور الدين فلا يصح من النبي الا العلم
منهم به ولا يجوز عليه جهله جملة لعصمته مما به الضلال عن بيان
احكام ما اوحي اليه لا يخلو اما ان يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله
فهو لا ريب انه من ما لا يصح الشك منه على ما قدمناه من انه لا يصح منه
الجهل به فهو انكار للجهل منه بانكارها له التي يكون عليها فانكارها مؤذن بانكار
وجوده لزوما يطرق الكناية على ما مر بل حصل له اي للنبي العلم اليقين لصدوره
من قبل الوحي او يكون اي النبي قد فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه
شي على القول بتجويز وقوعه اي الاجتهاد منه في ذلك اي فيما لم ينزل عليه
شي وهو الحق ويكون صوابا على قول المحققين وعلى مقتضى قول ام المومنين هند
بنت ابي امية ام سلمة اني انما اقضي بينكم برايي فيما لم ينزل علي فيه شي فانه
شاهد صدق بوقوعه منه اخرجا اي حديث ام سلمة الثقات كابي داود وكقصة
اسرى بدر والاذن للمخلفين عن غزوة تبوك مما شهد بوقوعه منه لمصلحة
فقراء اهل بدر وخلتهم ونظنه عدم استطاعة من اعتذر اليه في التخلف
ان كان قد عتبه ربه على استبقائه اسرى بدر بالفدا وعلى الاذن لمن نجم
نفاقهم في تخلفهم عن تبوك والعتاب لا يكون فيما صدر عن وحي فتعين ان
يكون عن اجتهاده بقوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض عفى الله
عنك لم اذنت لهم اي في التخلف حين استاذنوك فيه معتلين بما تكاذبه وهلا
لا اذنت حتى تعلم الكاذب منهم على راي بعضهم بان مدخول الكاف مشعر
بانه اجتهاد منه ايضا كالذي قبله وقيل ليس باجتهاد لعدم دلالته على اليقين بتلقيه
من الوحي بانتظاره والقادر على تعيين الحكم لا يكون ذلك منه اجتهادا جزما
ورد بان انزال الوحي ليس باختياره ولا في قدرته فلا يكون ايضا ما يعتقده مما
من ثمرة او بعضه اي لا يكون ما يعتقده الذي هو او بعض ما يثمر اجتهاده ده
الا حقا وصحيحا لصدوره عن معصوم لا يخشى سواد عصمته خطا هذا
اي ما يثمر اجتهاده ده مطلقا او يمنعه في غير الاراء والحروب وجوازه فيهما
بل اجتهاده حق وصواب لا على القول بتصويب المجتهدين فيما لا قاطع فيه
من مسائل الفروع الذي هو قول امامنا الاشعري والباقلاني والي
يوسف ومحمد وابن سريج بان كل مجتهد مصيب قالوا لانه لا حكم لله تابع
لظنه فما ظنه فهو حكم الله وهو الحق والصواب عندنا من الائمة الاشعرية

ولا على القول الآخر الذي هو قول الجمهور بأن الحق في طرف واحد وان مصيبه
من المجتهدين واحد مكلف باصابته لعينا لامارة عليه فان اخطا فماجور ولا اثم
بخلاف اجتهاد النبي فان الصواب عدم خطائه لعصمة النبي من الخطا في الاجتهاد
في الشرعيات اذ لا ياخذ بغيره عن الحق ميل الى غيره ولان القول في تخطئة
المجتهدين على القول بان المصيب واحد منهم لا بعينه انما هو بعد استقرار
الشرع لامتناع توجه النفس الى ما لم تستشعره بوجه لتفوز به على وجه اكمل
ونظر النبي واجتهاده انما هو فيما لم يترك عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل
اي قبل نظره واجتهاده لينطق بالحق الصواب لنزاهة منصب النبوة عن الخطا
في الاجتهاد والقول بانه يخطي وينبه عليه سريعا مما لا يلتفت اليه لشناعته
هذا وعتب الله عليه صلى الله عليه وسلم في الاسرى لما كان بالترك الاولى من الاثخان
اي كثرة القتل لعز الاسلام وذل الكفر ومن عدم الاذن في التخلف لمن تخلف نفاقه
هذا اي ما حصل عنده عن وحي من ربه تبارك وتعالى وما فعله عن اجتهاده فيما
لم ينزل عليه فيه شيء فيما عقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه وعزم عليه علما ومعرفة
من امور الدين مما لا شك فيه فاما ما لم يعقد ويعزم عليه قلبه من امر النوازل
الشرعية مما يحتاج الى بيان الحكم فيه وكان لا يعلم منها اولا اي قبل الالقاء اليه والاذن
له الا ما علمه الله شيئا شيئا بحسب اسبابه المقتضية لنزوله بالقائه اليه او الاذن له
فيه ليتمثل فعلا او تركا حتى استقر علم جملتها عنده صلى الله عليه وسلم اما بوحي من
الله او اذن منه ان اي بان يشرع في ذلك اي المأذون فيه ويحكم بما اراه الله
لقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله اي عرفك الله وحيا
او الهاما ينظرك فيما انزل عليك وكفى به شهيدا لجواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم
وكان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها اي من النوازل ليعلم حكمه مما
اوحي اليه ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يمت فديته نفسي حتى استفرغ اي استوفى
جميعها وتقررت معارفها جمع معرفة اي ادراكاتها ومدركاتها لديه اي عنده صلى
الله عليه وسلم على التحقيق بشهادة وانك لتهدي الى صراط مستقيم اذ لا يهدي
اليه الا بمعرفة ما اوحي اليه ورفع الشك والريب عن سرادقات سرفته
وانتفى الجهل عنه صلى الله عليه وسلم وبالجملة فلا يصح منه صلى الله عليه وسلم
الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليه اذ
لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه لاستحالة الدعوة الى مجهول واما ما تعلق بعقد اي بجزم
قلبه مما عرفه الله ونصه به من ملكوت السموات والارض مما دل على
عظيم قدرته وباهر حكمته كجري الجواري في البحر كالاعلام بما ينفع الناس
وانزل له من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف

الرياح في مهابها دبورا وقبولا وجنوبا وشمالا وفي صفاتها حارة وباردة
رخا وعاصفة عقيما ولواقح بالرحمة تارة وبالعذاب اخرى وتسخيره
السحاب بينهما باختلافات عجيبة وانقلابات بديعة بنزول مطرها حيث
شاء وغير ذلك مما دل على خلق الله تعالى مخلوقاته على وجوه مخصوصة واحكام
مختلفة لحكمة بان لها الها اوجدها على مقتضى حكمته واستدعته ارادته
متعاليا عن ان يكون معه اله يقدر على ما يقدر هو عليه اذ لو كان ثم الهان وتوافقت
ارادتهما فان كان الفعل لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد والا لزم ترجيح
الفاعل بلا مرجح ولزم عجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلف لزم التمانع
المؤذن به لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وتعيين اسمائه الحسنى اي
التي هي احسن الاسماء لدلالتها على معان حسنة من توحيد وتمجيد
وتقديس وغير ذلك مما اذن بصفات الكمال وسمات الجلال ليسمى
بها ولا يلحد في تسميته فلا يسمى بما لا يجوز عليه تبارك وتعالى كما سمع من بعض
اجلاف البدو يقول جهلا يا ابيض الوجه يا نجي ٥ مما لم يرد به اذن شرعي ٥
واياته الكبرى اي العظمى من عجائب مخلوقاته وامور الاخرة من نشر
وحشر ووقوف وشدائد واهوال وميزان وغيرها من الامور المهلكة
واشراط الساعة اي علاماتها او مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر
والدخان وكثرة المال او التجارة واستيلاد السراري وشهادة الزور
وقطيعة الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام واحوال السعداء والاشقياء
مما يؤول امرهم اليه من نفع وضر في الدنيا والاخرة وعلم ما كان وما يكون مما
لا يعلمه الا بوحي من الله تعالى على ما تقدم جواب اما من انه معصوم متمسك
واثق بما عقد عليه قلبه وجزم به من علمه فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا
ريب تاكيد لما قبله من رابه الامر ريبة اذا حصل فيه ريبة مما تعلق به
النفس وتضطرب فالشك ريبة والصدق طمانينة اي قلبه صلى الله عليه وسلم
مطمئن مستقر فيما اعلمه الله به لا ياخذه فيه اضطراب ولا قلق فان الامر
اذا كان مشكوكا فيه اورث اضطرابا وقلقا واذا كان صحيحا صادقا اورث
طمانينة وسكونا ومنه ريب الزمان مما تعلق النفوس وتخص العلو بنوايبه
بل هو فيه اي فيما اعلم على غاية اليقين مشتمل لتمكنه من علم ما اعلمه واستمراره
عليه وتمسكه به لشبهه كالمعاين من شيء في هلال ذروة سنامه
لكنه استدراك لنفي ما عسى يتوهم من انه كان على غاية من معرفة تفصيل جميعه
اذ لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك اي ما يتعلق بعقده مما مر وان كان
عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر اذ قد منح من المزايا الشريفة ٥

والعطايا المنيفة ما لم ينله احد لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي اني لا اعلم
الا ما علمني ربي استثنا مفرغ من عام حذف لا بد ان يسوق الحديث به
ولقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقروا
ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ما في الاية والحديث
موصولة او بمعنى اي ملوق عنها الفعل ونفس نكرة وردت في حيز نفي
اعلاما بان نفسا من النفوس لا تعلم اي خير عظيم ادخره الله واخفاه لاولئك
الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مما تقر به اعينهم من نعيم الجنة وكذا
يقال في الحديث وبله فيه من اسما الافعال بمعنى دع واترك تقول بله زيدا
اي دعه وقد يوضع موضع المصدر ويضاف فتقول بله زيد اي اتركه
وما اطلعتم عليه يجوز ان يكون منصوب المحل ومجروره على التقديرين
اي دع ما اطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها وقول موسى
للخضر عليهما الصلاة والسلام لاخبار الله له انه اعلم منه ببعض معلومات عليه
اياها دونه مفصلة هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا اي علما ذا رشد
ارشد به في ديني فهذا اقتضى بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن عالما بجميع
تفاصيل ما يعلمه اجمالا فاراد ان يعلم من الخضر ما يمكن علمه تفصيلا فعل
ما لم يجز فعله لامر اباحه الله وخفي على موسى صلى الله عليه وسلم انكره عليه
بحرمته المبيح لفعله فرق عليه هنا ولا يلزم من ذلك افضليته عليه
اذ قد يمتاز المفضول بشي لم يكن عند الافضل منه ولا غضاضة في جواز تبعية
الافضل مفضوله عما امتاز به ولا توهم وقوله صلى الله عليه وسلم فيما
رواه الديلمي عن انس اسالك باسمائك الحسنى فعلى من الحسن اذ هي احسن
الاسما واشرفها لا يدا لها بكل معنى حسن ما علمت منها وما لم اعلم مفصلا
افاد انه صلى الله عليه وسلم عالم بان له تعالى اسما يعلم بعضها تفصيلا وبعضها
مجملا ولا غمص عليه صلى الله عليه وسلم في ذلك وقوله فيما رواه احمد اسالك
بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استاثرت به اي انفردت بعلمه دون
غيرك في علم الغيب عندك اي علم الغايب الذي لا يعلم فيه احد الا علمك
ويجري فيه ما ذكر في الحديث قبله وقوله تعالى وفوق كل ذي علم عليم اي فوقه
من هو اعلم منه وارفع في العلم كما قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم
الى الله او فوق العلما كلهم من هو اعلم منهم وهو الله تعالى وهذا ما لا احاطة
اذ معلوماته تبارك وتعالى لا يحاط بها علما ولا منتهى لها ما هنا اي ما اذن
بكونه صلى الله عليه وسلم مقصورا فيما تعلق ببعضه من ملكوت السموات

والارض وغيرها حكم عقد اي جزم قلبه في التوحيد والشرع المكلف بالعمل
به والمعارف الالهية الفايضة عليه من ربه تعالى والامور الدينية من عطف
بعض افراد العام عليه لمزية اذنت به هي اختصاصها بالدين فصل واعلم
ان الامة مجمعة جملة ان واسمها وخبرها سد مسد مفعولي اعلم على عصمة
النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان الرجيم لتبادره ان عبادي ليس
لك عليهم سلطان والاضافة اي انه ليس له سلطان على الذين امنوا
وجمعه لعلي كفايته اي كفاية الله له منه لتبادره حديث البخاري ان عفريتا
تفلت على البارحة ليقطع على صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فذعته
ولولا دعوة اخي سليمان لربطته لسارية من سواري المسجد فاصبح يلعب
به ولدان المدينة وقد اسند هنا حديث البخاري عن ابن مسعود مما
شهد بعصمته من الشيطان ذلا لامه فيما ذكرا ولا جنسه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد من زايدة للتوكيد الا وكل الله به
الكتبه
قرينه اي شيطانه من الجن وقرينه من الملائكة الكرام الحفظة قالوا
واياك يا رسول الله وكل بك قرينك من الجن قال واياي قد وكل بي قريني
ولكن الله اعانني عليه بهدايته الى الاسلام بدعا لي متعاديا الي فاسلم
اي امن ودني اعانته صلى الله عليه وسلم عليه تفخيم لشانه صلى الله عليه وسلم
وتنويه بعظيم قدره اذ لم يكن له عليه سبيلا زاد غيره اي غير سفيان احد رواة
عن منصور فلا يامرني الا بخير لنزاهة شرف قدره صلى الله عليه وسلم عن قبول
وسوسته له لبشر وعن عايشة بمعناه لا ادري من خرجه وروى فاسلم
بضم الميم وهمزة المتكلم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية وذكر
ولا ادري من هو وروى كرواية البخاري فاسلم فعلا ماضيا كما مر يعني القرين
انتقل عن حال الكفر الى الاسلام متلبسا به فصار لا يامر الا بخير كالملك فان
الله تعالى فطر طبيعتهم عليه وهو اي انتقاله عن الكفر الى الاسلام ظاهر الحديث
وروى بعضهم فاستسلم اي انقاد له واذعن فاذا كان هذا اي الاستسلام
بالانتقال عن الكفر الى الاسلام حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني ادم
فداعي صلى الله عليه وسلم عليه وامن شره باتقياده له فكيف الظن بمن بعد
من شياطين الجن منه صلى الله عليه وسلم اي يقع في وهم ان يظن انه صلى الله عليه وسلم
لا يسلم منه لا بدا اولى ان يسلم منه لتبادره انه لم يكن له عليه كغيره من القريبين
سلطان وانه لم يلزم صحبته صلى الله عليه وسلم ولا قدر على الدنو منه وقد جاءت
الاثار عنه صلى الله عليه وسلم بتصدي الشياطين له في غير موطن في الصلاة
وغيرها وسيرد عليك منها ما تعلم رغبة مفعول من اجله التصدي اي

تصد وامن اجل رغبتهما وراغبين في اطفا نوره صلى الله عليه وسلم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون و في اماتة نفسه صلى الله عليه وسلم تعالى الله عما هو يعبده من صلاة وغيرها من انواع العبادات ويابى الله الا الخزي من ناواه وادخال شغل بخاطره عليه ليلهي به عما فيه صلاح امته ويابى الله الا دفعه عنه وتثبيته بالعصمة وتاييده بالحكمة اذ ظرف لما قبله اي يغلون حين يئسوا من اغوائه ودعائه بوسوستهم له الى الغي فانقلبوا خاسرين كما عرضه اي الشيطان له صلى الله عليه وسلم فاخزه صلى الله عليه وسلم واسره اي استولى عليه فصار في قبضته ففي الصحاح للبخاري ومسلم وغيرهما قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في المصنف بزيادة على ما في الصحيحين في صورة هر لما ادتوه كالملائكة من قوة التشكل الا ان الملائكة لا يتصورون الا اشكالا حسنة بخلاف الشياطين فشد علي ليقطع حذفت لام العلة منه للعلم بها وهو متعلق بمصدر الصلاة علي فامكنني الله منه فذعته بمعجمة فمهملة اي خنقته خنقا شديدا حتى كانه يغطه في الماء ودفعته دفعا عنيفا وفي رواية ابن ابي الدنيا عن الشعبي مرسلا اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لاصبح طريحا في المسجد ولقد هممت ان اوثقه الى سارية وفي رواية لسارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول وفي رواية دعوة اخي سليمان رب اغفر لي قدم سواله الاستغفار على طلب الملك من بعده جريا على عادة اوليائه تعالى في تقديمهم امر دينهم على امور دنياهم وهب لي ملكا لا ينبغي اي لا يسهل ولا يصح ولا يكون لاحد من بعدي اي غيري وليس هذا منه كان مرخصا على استقلاله بانه هذه النعم دون غيره بل ليكون معجزة له اذ نشا في بيت النبوة والملك خارقة للعادة بعجز عنها ملوك اهل زمانه جريا على عادة اخوانه النبيين في مجيئهم بمعجزات من جنس صناعات اهل زمانهم خارقة لها ليكونوا مصدق دعواهم الرسالة فرده الله اي رد الشيطان الذي شد عليه صلى الله عليه وسلم ليقطع صلاته خاسيا اي صاغرا طريدا حقيرا ذليلا وفي حديث ابي الدرداء فيما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان عدو الله ابليس جاء بشهاب اي شعلة مضيئة مقتبسة من نار ليجعله في وجهي اي ليحرقه والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة جملة حالية اعترضت بين ما رواه ابو الدرداء من لفظه صلى الله عليه وسلم وبين ما ذكره بمعنى لفظه صلى الله عليه وسلم لبيان وقت مجيء عدو الله الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر اي ابو الدرداء تعوذه صلى الله عليه وسلم منه اي من عدو الله ولعنه صلى الله عليه وسلم له بلفظ اعوذ بالله منك العنك بلعنة الله التامة صلى الله

عليه وسلم ثم اردت ان اخنقه وذكر اي ابو الدرداء نحوه اي نحو حديث ابي هريرة من قوله ولقد هممت ان اوثقه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان المدينة جمع وليد بمعنى مولود وكذلك اي وكما في حديث ابي الدرداء في حديثه صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عبد الرحمن بن حبيش في الاسرا وطلب عفريت له فعليت من التعفير وهو التمريغ في التراب ويقال عفر وعفرية وعفراة وعفارية وهو من الانس الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه اي يصرعهم ويمرغهم في التراب ومن الشياطين الخبيث المارد بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه ذكره اي هذا الحديث في الموطا ولما لم يقدر عدو الله على اذاه صلى الله عليه وسلم تسبب بالتوسط الى اعداه صلى الله عليه وسلم من كفار قريش وغيرهم كقضيته مع قريش في الايتمار بقتله صلى الله عليه وسلم اي في التشاور في قتله وسمي ايتمارا لان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر له وتصوره اي اللعين ابليس في صورة الشيخ النجدي ثم جاءهم وهم بدار الندوة بمكة وقد بلغهم اسلام الانصار فجزعوا فدخل عليهم فقال انا من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري ارى ان تحبسوه وتسدوا ابوابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها فقال خبيث الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه فقال هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع فقال خبيث الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق الفتى فتفرقوا على رايه فاخبره جبريل بذلك فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وتصوره مرة اخرى في غزوة بدر كما رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس في صورة سراقة بن مالك هو ابن جعشم الكناني وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم متعلق باذ اعمالهم في معاداته صلى الله عليه وسلم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم من بني كنانة فانكم لا تغلبون ولا تطاقون لكثرتكم عددا وعددا واوهمهم ان اتباعهم له فيما ظنوا يجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين فلما تراءت الفئتان اي تلاقتا نكص على عقبيه اي رجع القهقري وكانت يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتريد ان تخذلنا فدفع في صدر الحارث وقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله وانطلق متبرئا منهم ويائسا من حالهم لما راى من امداد الله المؤمنين بالملائكة فانهزموا فقيل هزم الناس سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلم يعلموا انه الشيطان حتى اسلموا وتصوره مرة اخرى نيذ ربانه وجاء له صلى الله عليه وسلم

اي مجير لم

اي يخوف الناس ويحذرهم منه عند بيعة العقبة عقبة منى ليسهل ليلة تبايع
الانصار على انه ان اتاهم آووه ونصروه وذادوا عنه كما يذودوا الحلائل عن حريمهم
وقد كفاه الله امره وعصمه اي منعه وحماه ضره وشره وقد قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي هريرة ان عيسى صلى الله عليه وسلم كفي من
لمسه فجا ليطعن اي قصد واخذ في طعنه بيده في خاصرته حين ولد فطعن في
الحجاب خيبة لرجاه وعكس مستمناه اذ لم يجعل الله له عليه كغيره من الانبيا سبيلا
لرفعة محلهم عن ان يناله عدو الله بمكروه وقد سالت جدته ربها ان يعيذ امه
وذريتها منه اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم نبيها ده قوله في صحيح
البخاري وغيره ما من مولود يولد الا ويمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا
الا مريم وابنها فقد عصما ببركة هذه الاستعاذة وقال صلى الله عليه وسلم فيما
رواه الشيخان عن عائشة حين لد في مرضه اي سقي دوا من احد شقي فمه بغير
اذنه فلما افاق قال لا يبقى في البيت احد الا لد قال ذلك عقوبة لهم ولم يرد
الغضب جانباه وقيل له اي قال الحاضرون له خشينا ان يكون بك ذات الجنب
علم لدنك كبير يسمى الدبيلة يظهر في باطن الجنب وينفجر الى داخل قلما يسلم صاحبه
وذو الجنب من يشتكي جنبه بسبب الدبيلة فذو والمذكور ذات للموت الا ان ذات
صار علما له مع كونه صفة مضافة وفي الحديث المجبوب شهيد ذات الجنب فقال
انها اي لدهم له واتيه باعتبار صدوره منهم وما ضره من الشيطان من نسبة المسبب
الى سببه بوسوسته لهم بذلك حتى فعلوه ولم يكن الله ليسلطه علي اي انا تعطينا
لقدره فان قيل فما معنى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ينزغنك بمعنى
نزغ فاستعذ بالله اي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قيل انه راجع الى
قوله خذ العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك اي سهل من افعال الناس واخلاقهم
وما اتى وتسهل منهم بلا كلفة ولا تطلب الجهد وما يشق عليهم حذرا من ان ينفروا عنك
وامر بالعرف اي المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء
بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوء لك منهم فهذه الاية اجمع
لمكارم الاخلاق يشهد له قول جبريل له وقد سال له عنها فقال لا ادري حتى اسال ربي ثم
رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب بوسوسته بان يحملك على خلاف
ما امرت به من الاعراض عنهم اي عن الجاهلين فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ
العزو ومنه ينزغ فوقع الاستعاذة في المصدر اصله ثم صرف منه الى الفعل بطريق
التبع وفي الحديث صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان وقيل النزغ هنا
الفساد كما قال تعالى حكاية عن يوسف صلى الله عليه وسلم وجا بكم من البدو من

بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض
دابته اذا نخسها حاملا لها على سرعة المشي وقيل ينزغنك معناه يغرينك اي
يحثك ويحملك بوسوسته والنزغ ادنى الوسوسة اي حديث النفس والتفكر
والصوت الخفي ووسوس اذا تكلم بكلام لم يبينه وعن عثمان لما قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسوس ناس وكنت ممن وسوس اي اختلط كلامه ودهش
بموته وفي الحديث الحمد لله الذي رد كيده اي الشيطان الى الوسوسة فامره الله
تعالى بقوله فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم متى تحرك عليه صلى الله عليه وسلم
غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرابه اي حضه وحمله على فتكه بعدوه ان
يستعيذ بربه تعالى منه اي من الشيطان الرجيم فيكفى اي النبي المفعول حذف
فاعله اختصارا او صونا منه للسان للعلم به اذ ليس فوقه احد سواه تعالى يكفيه
امره ويكون اي استعاذته منه او كفاية الله له صلى الله عليه وسلم سبب تمام
عصمته صلى الله عليه وسلم منه اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له صلى الله
عليه وسلم ويرجع خاسيا داحرا ولم يجعل له قدرة عليه بالبنا للمفعول حذف
فاعله على ما مر انفا وكذلك اي وكعصمته صلى الله عليه وسلم من عدوه اللعين
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك تبعيدا له عن ان يخيل اليه ما
ليس بحق حقا ويلبس عليه لا في اول الرسالة لدعوة الخلق الى الحق ولا بعدها
لعصمته من ذلك والاعتماد اتفقا له من العهد في ذلك اي في عدم صحة تصوره
له في صورة الملك دليل المعجزة فانما هي للتثبيت بالعصمة والتاييد لها بحكم
بل لا يشك النبي من الانبيا في ان ما ياتيه من الله هو الملك ورسوله اي الذي
هو رسوله اليه بالوحي فهو عطف تفسيري اذ نبا به لا ياتيه من الله رسول
وان كان قد ياتيه من الملائكة غيره للزيارة او غيرها حقيقة بعدم شكه في ذلك
اما بعلم ضروري يخلقه الله له فيه او ببرهان اي دليل قاطع يظهر لديه يؤذنه
بحقيقة اتيانه اليه من الله لتتم كلمة ربك اي تبلغ الغاية في اخبارها واحكامها
ومواعيدها صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما
اما على التمييز او المفعولية او الحال لا مبدل لكلماته اي ما تكلم تبارك وتعالى به او
القران اي لا احد يبدل منها شيا بما هو اصدق واعدل منه او لا قدرة له على تحريفها كما حرفت
التوراة او انه اي الله بعد القران حفظا من اسله او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل
احكامها فان قيل فما معنى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فرق بينهما
بان الرسول من جمع الى المعجزة كتابا انزل عليه كموسى والنبي من امر ان يدعو الى شريعة
من قبله ولم ينزل عليه كتاب كيوشع او الرسول من بعث بشرع جديد والنبي يعمه ومن
بعث لتقرير شرع سابق كمن كان بين موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم من انبيائهم

بني اسرائيل الا اذا تمنى اي زور في نفسه ما يشتهيه راغبا في حصوله القى الشيطان
في امنيته ما يشغله به عن استغراقه فيما افيض عليه من سوابغ المعارف
تشهد له حديث انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ
الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويذهبه ويعصمه من الركون اليه بارشاده
الى ما يزيحه ثم يحكم الله اياته اي يثبتها باعثة له الى استغراقه في امور لاجل
ان علم يامن تاتي توجيه الخطاب اليه ان لنا سبحا قيل معناه اي قيل جلدا ان
واسمها وخبرها سدت مفعولي علم منهم اي من الاقاويل السهل والوغث هو
الاصل الرمل تشتد فيه المشي ويشق يقال رمل اوعث ورملة وعثا وفي الحديث
اللهم انا نعوذ بك من وعثا السفر اي شدته ومشقته وفيه مثل الرزق
كمثل حائط له باب فما حول الباب سهولة وما حول الحائط وعث ووعر والسمين
والغث اي الهزيل وفي حديث ام زرع زوجي لحم جمل غث اي مهزول وفيه ولا
تغث طعامنا تغثيثا اي لا تفسده يقال غث يغث وغث في قوله واغث اذا
افسد واولى الاقاويل ما يقال فيها اي في الاية ما عليه الجمهور اي الاكثر من المفسرين
وجمعه جماهير ومنه قول ابن الزبير لمعاوية انا لا ندع مروان يرمي جماهير قريش
بمشاقصه جمع مشقص وهو نصل السهم اذا كان طويلا بلا عرض ان التمني
هنا اي في الاية التلاوة وامنيته اذا قراءته وفي مرثية عثمان رضي الله عنه

تمنى كتاب الله اول ليلة ۝ واخرها لاقى حمام المقادر

ومن كتاب عبد الملك بن مروان للحجاج اذ شكى منه انس بن مالك يا ابن المتمنيه
اراد امه الفريعه بنت همام القايله

هل من سبيل الى خمر فاشربها ۝ ام من سبيل الى نصر بن حجاج

هو رجل جميل من بني سليم افتتن به النسا في خدورهن فحلق عمر راسه ونفاه
الى البصرة فهذا كان تمنيها الذي شتمها به عبد الملك لما عزم ابن الزبير
ان شيت اخبرتك من لا ام له يا ابن المتمنيه وانشد رجل النبي صلى الله عليه
وسلم

لا تامنن وان امسيت في حرم ۝ حتى تلاقي ما يمنى لك الماني
فالخير والشر مقرونان في قرن ۝ بكل ذلك ياتيك الجديد ان

اي حتى تلاقي ما قدر لك المقدر وهو الله تعالى والقى الشيطان فيها اي
في تلاوته شغله مصدر مضاف الى فاعله اي شغل الشيطان اياه بخواطر
وردت من حديث النفس واذكار من امور الدنيا التالي منا سبحه لا ريبة
فيها ولا توصيم حتى يدخل عليه غلط لشغله بما ذكر فيدخل الادم فاعله الوهم
والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك اي غير الوهم والنسيان على افهام
السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه اي يحوله من باطل

هم

العوارف ونوابغ

التوهم الى حق انفسهم ويكشف لبسه ويحكم اياته اي يثبتها على ما مر هذا
ودع ما قيل في هذه الاية من كلام بعضهم وسنرد عليك قصة سليمان صلى الله
عليه وسلم فلا داعي الى ايراد ما ذكرها وقال مكي في قصة ايوب عليه السلام م
وقوله اني مسني الشيطان بنصب بضم النون وقرا يعقوب بفتحها كرشد ورشد شد
اي تعب وعذاب حكاية لما نادى ربه به ولولا هي لقال بانه مسه لغيبته
لا يجوز لاحد ان يتاول لاية برايه ان الشيطان الذي امرضه والقى في بدنه
لعدم قدرته على ذلك مع انه لا سلطة له على انبيا الله ليقضي من تضييعهم
وعذابهم وطرحهم اذ لو قدر عليه لم يدع صالحا الا نكبه ولا يكون ذلك الذي
اصابه من المرض والضر الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم بالعصمة
ويوبخهم بالحكمة واسناد المس الى الشيطان مجاز مراعاة للادب مع ربه
وفي نسخة ويثيبهم اي على بلايهم ثوابا جزيلا وثنا جميلا قال مكي وقيل
ان الذي اصابه من الشيطان ما وسوس به الى اهله رحمه الله فقرا ثم
بن يوسف من اغرائه لها على تركه وكراهته والتبرم منه لما نزل به من
عظيم البلا فان قلت فما معنى قوله تعالى حكاية عن يوشع بن نون وما انسانيه نيه
الا الشيطان ان اذكره بدل من مفعول انسانيه اي ما انساني ذكره لك
الا عدو الله وما معنى قوله تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه
تذكيره له لا على سبيل الوسوسة بخواطر مما يورثه ان يكل امره الى غير ربه
مستعينا به في خلاصه من السجن يشهد له حديث رحم الله اخي يوسف لو
لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث سبعا بعد الخمس هذا والاستعانة في
كشف الشدايد وان جوزت في الجملة فغير لايقة بالانبيا وقد عصمهم
الله منها وما معنى قول نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن الصلاة اي
صلاة الفجر في الوادي الذي مر بلال ان يكلاه فيه الفجر فغلبه النوم حتى
مسهم حر الشمس ان هذا واد به شيطان ارتحلوا ثم صلاة الصبح بعد قضى م
انتقالهم منه وهو موذن بجواز تاخير الفايتة بعذر مخصص لعموم حديث
البخاري من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وما معنى
قول موسى في وكزه القبطي هذا من عمل الشيطان قيل الصدور منه قبل
ان يوذن له في قتله وغيره من الكفار ولانه كان مامونا فيهم فلم يكن له
اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته صلى الله عليه وسلم وجعله من عمل
الشيطان وتسميته ظلما واستغفاره منه جار على عادتهم استعظام
ما تركه اولى من فعله فاعلم ان هذا الكلام منهم المحكي عنهم صلوات الله وسلامه
عليهم قد يرد في جميع هذا ان ما حكي عنهم على مورد مستمر كلام العرب

وذا المقصود به انهم في وصفهم كل قبيح من شخص او من فعل الشيطان وفعله
كقبيح منظره وفعله في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا خير فيه كما قال تعالى
طلعها اي ثمرها الذي يجيء منها مستعار من طلع النخل لمشاركته له في شكله كانه رؤوس
الشياطين تشبيه لها في قبحه وهول منظره وهو تشبيه تخييل كتشبيه الفائق في الحسن
بملك كريم في قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان
فيمن يريد ان يجتاز بين يدي المصلي فليقاتله فانما هو شيطان شبهه به تقبيحا
لمروره بين يديه لمشابهته فعله في القبح لشغله خاطره واذهابه خشوعه به وايضا
من آض اذا رجع اي نرجع ونقول فان قول يوشع وما انسانيه الا الشيطان لا
يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة اي وقت كونه في خدمة موسى اي لم
تظهر له فيه نبوة مع موسى حال من ضمير له افادت بيان كونه في خدمته تشهد له بما قال
تعالى اذ قال موسى لفتاه بل يلزمه الجواب عنه اذ هو ممن قال بعصمة الانبيا قبل
النبوة وبعدها فلا سبيل للشيطان عليهم مطلقا وان كان المروزي انه اي يوشع انما
نبي بعد موت موسى وقيل قبله صرح بلوغه نقله زمن نبوته حيا في حياة موسى وجوابه
يوخذ مما ياتي عنه وعن موسى ويجاب عنه ايضا بانه لما شاهد حياة الحوت المملوح المأكول
شقه او بعضه وانفتاح الماء مستشبكا كالطاق بنفوذه فيه استغرق باعجاب
خاطره الى الجناب قدسه تعالى مستبصرا بما عراه من مشاهدة آثار القدرة الباهرة
فاشتغل بذلك عن ذكر تلك الحالة العجيبة لموسى صلى الله عليه وسلم وان كان من شانها
لا ينسى ونسبه للشيطان هضما لنفسه وتادبا مع ربه وقول موسى في وكز القبطي
هذا من عمل الشيطان كان قبل نبوته فعلى ما قاله في يوشع لا يلزمه عن ذلك جواب
وقد اداك هناك ما اغنى عن ذكره هنا بدليل القرآن فانه قاض بان قتله اياه
كان قبل هجرته الى مدين وسببا لها وارساله كان بعد رجوعه من مدين الى فرعون
وقصة يوسف اذ كان في السجن وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك
قد ذكر انها كانت قبل نبوته صلى الله عليه وسلم فلا يلزمه كما قال انفا جوابا عنها وقد
تلي عليك جواب ما ماثلها فيما مر قد ذكر انها كانت قبل نبوته صلى الله عليه وسلم
الى وقد قال المفسرون في قوله فانساه الشيطان ذكر ربه اذ قال له يوسف
اذكرني عند ربك قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه اي انساه ان
يذكر يوسف لربه هو الشرابي احد صاحبي السجن اللذين دخلاه معه واضافة
المصدر هنا الى ربه وان لم يكن له فاعل ولا مفعول فهي لملابسته له تقديره
ذكره لربها او عند ربها واذكرا اخبار ربه بحذف مضاف اعني اخبار مصدر
اخبر وربه هو سيده الملك اي انساه اي انسى الشيطان الشرابي ان يذكر
للملك شان يوسف لينجيه من ورطة السجن وايضا ان مثل هذا النسيان

على
من قبل الشيطان حال من اسم الاشارة افادت كونه منه ليس تسلط منه على
يوسف ولا على وله ولا على يوشع بوساوس ونزغ لرفعة منصبهما عن ان يكون
له عليهما سلطان وانما هو بشغل خواطرهما لا على سبيل الوسوسة بل بامور
اخر تردد على خواطرهما وتذكرهما من امورهما ما ينسيهما بشغلهما عن ما
نسيا اي نسي يوسف بشغل خاطره على ثاني القولين ذكر الله لاستعانته بغيره
في خلاصه بقوله اذكرني عند ربك ونسي يوشع به ذكر شان الحوت لموسى ونسبه
للشيطان بقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ولم يجعل له عليهما لغيرهما من
الانبيا سبيلا واما قوله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم عن ابي هريرة حين نام
عن الصلاة في الوادي ان هذا واد به شيطان فليس فيه ما يفهم منه ذكر تسلطه
عليه ولا وسوسته له لنزاهة ساحة شرفه عن ان يضرب عدو الله بسواد وسوسة
بافنية شرف ولي الله صلى الله عليه وسلم بل ان كان اي ذكر تسلطه عليه بمقتضى
ظاهره فقد بين صلى الله عليه وسلم فيه امر ذلك الشيطان بقوله في رواية ما لك
عن زيد بن اسلم والبيهقي ان الشيطان اتى بلالا اذ قال صلى الله عليه وسلم له
اكلأ لنا الفجر فلم يزل يهدئه اي يسكنه عن الحركة ويغريه بسوام النوم كما يهدي
الصبي في مهده حتى نام فلم يستيقظ حتى ضرهم حر الشمس فقال ما هذا يا بلال
فقال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك يا رسول الله فعلم ان تسلط الشيطان
في ذلك الوادي الذي عرس به هو واصحابه حين قفلوا من غزوهم انما كان على
بلال الموكل بكلاءة الفجر اي حراسته ليخبرهم بطلوعه بها اي ما ذكر من ان
تسلط الشيطان بالوادي انما كان على بلال ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم
ان هذا الوادي به شيطان تنبيها على انه ذو سبب النوم عن الصلاة واما
ان جعلناه اي جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا الوادي به شيطان تنبيها
على سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو اي جعله تنبيها
وعلة لتركها به دليل مساق حديث مالك والبيهقي عن زيد بن اسلم فلا
اعتراض في هذا الباب اي باب كون الشيطان هل له على الانبيا سبيل ام لا
ببيانه اي بيان حديثها عن زيد وصراحته بان الشيطان انما اتى بلالا دونه صلى
الله عليه وسلم وارتفاع اشكاله الناشي من احتمال تسلطه عليه صلى الله عليه
وسلم فصل واما اقواله صلى الله عليه وسلم فقامت الدلائل الواضحة
من الآيات البينات فالبراهين القاطعة بصحة المعجزة كانشقاق القمر اذ سألوه
آية فاشار اليه فانفلق فلقتين قال ابن عباس ذهب فلقة وبقيت اخرى
وقال ابن مسعود رايت حرا بين فلقتي القمر ومجي الشجر اليه وحنين الجذع مما دل
على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما جاء به عن ربه تبارك وتعالى مكلفا بتبليغه امرا

ولهما وغيرهما واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ الى من بعث اليهم انه معصوم
فيه من الاخبار عن شيء منها اي مما طريقه البلاغ فلا يخبر عن شيء بخلاف ما هو به
وعليه لا قصدا وعمدا ولا سهوا او غلطا بل يخبر عنه على ما هو به اما تعمد الخلف
بفتح المعجمة وسكون اللام بمعنى المخالفة في ذلك اي في الاخبار عما طريقه البلاغ فـ
منتف بعدم لعصمته صلى الله عليه وسلم فيما قاله فهي برهان قاطع بصدقه انتفاء
باطباق اهل الملة الاسلامية اعلا الله كلمتها اجماعا واما وقوعه اي وقوع ما طريقه
البلاغ منه على جهة الغلط في ذلك اي في الاخبار عنه تبليغا ومنتف ايضا
لوروده فبرهان المعجزة اي بدليل المعجزة التي تقوم مقام قول الله صدق رسولي فيما
قال عنه واجماع الشافعين لاحتمال الغلط والاستاذ ابي حامد الاسفرائيني
ومن تابعه وفاقا لقوله ومنتف ايضا لصدوره من جهة الاجماع فقط لانه حجة
قاطعة ومنتف من جهة ورود الشرع بانتفاء ذلك الغلط بشهادة وانك
لتهدي الى صراط مستقيم لانه بان من يهدي الى دين الاسلام لا يقع تغليط
ومنتف من جهة عصمة النبي صلى الله عليه وسلم فاتفاق من جهة ما ذكر لا من
مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني بتشديد اللام المالكي
ومن وافقه من الائمة لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة وهو اني
مقتضاها الصدق قطعا تنزيلا لها منزلة قول الله صدق رسولي ام لا فلا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب الى ما يورث السآمة من الاطناب فلنعتمد على
ما وقع عليه اجماع المسلمين انه اي النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه خلف
في القول اي خلاف فيه بظهور وغيره في ابلاغ الشريعة من امر بتبليغها
اياهم ولا يجوز عليهم في الاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه
على لسان جبريل لا على وجه العمد اعاد حرف النفي سابقا ولاحقا تاكيدا لعدم
جواز خلفه فيما ذكر ولا على غير عمد لعصمته ولا في حال الرضى ولا في حال
السخط اي كراهة الشيء وعدم الرضى به وعكسه الرضى اي محبته والطمانينة
عليه وفي الحديث اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك
واعوذ بك منك انت كما اثنيت على نفسك وقدم صلى الله عليه وسلم الاستعاذة
بالرضى من السخط تلويحا بان المعافاة تحصل بالرضى ضمنا ولما لم يكن بينهما
تلازم لكون الراضي قد يعاقب عليه لمصلحة كاستيفاء حق الغير ذكرها
للدلالة عليها مطابقة وفي رواية قدمها على الاستعاذة بالرضى من السخط
ترقيا الى الاعلا عن صفات الذات كالرضى والسخط فلما ازداد يقينا
ترقيه قصر نظره على الذات فقال لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور
فقال انت كما اثنيت على نفسك ولا على حالة الصحة والمرض هوما يعرض

للبدن فيرهقه حر وجا عن خاص الاعتدال ويورثه خللا في الافعال وفي بعثته
باستقامة ثبه ذلك وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي
الذي رواه احمد وابو داود والحاكم وصححه قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك
قال نعم جواب قائم مقام اكتب عني كلما سمعت مني قلت في الرضى والغضب قال نعم
فاني لا اقول في ذلك اي في الذي اقوله الا حقا لعصمته من الزلل في القول والعمل واتى
باسم الاشارة للبعد ايذانا برفعة محله في الصدق ولنزد ما اشرنا فيما مضى
وبيانا انه من دليل المعجزة عليه متعلق بنزد اي على ما اشرنا اليه بيانا فنقول اذا
قامت المعجزة على صدقه اي النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا يقول الا حقا لنزاهته
عن الي لسانه في القول لئلا يظن صدقه فيه ولا يبلغ عن الله الا الصدق لحيازته شرف
الامانة وحيازة الصيانة وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدق فيما تذكر عني مما
اوحيته اليك لتبلغه عني لمن ارسلتك اليه وهو النبي يقول اني رسول الله ارسلني
على لسان جبريل اليكم لابلغكم ما ارسلت به من عند الله تعالى اليكم وابين لكم ما نزل
اليكم لتعملوا به فتفوزوا بكرم السعادة وشرف السيادة وما ينطق عن الهوى
اي ما يصدر منه ما اتاكم به من القران عن هواه ورايه ان اي ما هو الا وحي من عند
الله يوحى اليه صلى الله عليه وسلم على لسان الملك جبريل وقد جاءكم الرسول بالحق
من ربكم شهادة له صلى الله عليه وسلم من ربه بمجيئه بالحق من عنده واكرم بها من
شهادة ما اعظمها هذا وابلغها لتشرف وما اتاكم الرسول فخذوه وتمسكوا به لوجوب
طاعته وما نهاكم عنه فانتهوا عن قربانه فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب
اي باب البلاغ من ربه خبر بخلاف مخبره بضم الميم وفتح الباء اي مخالف لما اخبر به صلى
الله عليه وسلم على اي وجه كان الخبر من مخبره فلو جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم
مرض غيره لاحتمال احدهما فيه ولاختلط الحق بالباطل ولم يتميز احدهما من الاخر
فالمعجزة لهذا الاعتبار مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص بعض
من برهان وغيره فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم فيما ترى لطريق البلاغ عن ذلك
كله اي عن الاخبار بشيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا وعمدا ولا سهوا وغلطا واجب
برهانا واجماعا اي بهما فنصبهما بنزع الخافض كما قاله الاستاذ ابو حامد الاسفرائيني
من ان وقوع ما طريقه البلاغ على جهة الغلط منتف بدليل المعجزة لقيامها مقام قوله
تعالى صدق رسولي فيما قال له فصل قد توجهت هنا لبعض الطاعنين في النبوة
بالعصمة المؤيد بالحكمة صلى الله عليه وسلم سؤالات جمع سؤال وهو الطلب ثم
قد يكون على التعلم والتبيين مما تمس الحاجة اليه مما امر به وجوبا وندبا او مباحا او
على طريق التكلف والتعنت منهيا عنه تحريما وتكريها كما هنا وقد ورد في كتاب الله
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وقع عن جوابه سكوت فهو ردع وزجر

لسائله كسكوته صلى الله عليه وسلم عن جوابه لعاصم اذ سأله عمن وجد مع اهله رجلا واعراضه
عنه عقوبة له وسترا للعورة وما وقع عنه جواب فهو عقوبة وتغليظ كقوله لا تسألوا
عن اشياء ولهيبته صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال وفي رواية عن كثرة المسائل منها
ما رواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم بسند منقطع عن سعيد بن جبير انه صلى الله عليه
وسلم قرأ والنجم وقرأ افرأيتم اللات صنم كان لثقيف بالطائف او بنخلة لقريش وبني
مومنة من لوي لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون لعبادتها او يلتوون عليها اي يطوفون
والعزى تأنيث الاعز سمرة كانت لغطفان تعبدها بعث اليها كما امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها ومناة صخرة كانت هذيل وخزاعة تعبدها
الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد والاخرى من التأخر في الرتبة ذما لها
اي المتأخرة الوضيعة المقدار قال تلك الغرانيق العلا جمع غرنوق بضم المعجمة
والنون وبكسرها وفتح النون ويقال الغرنيق بضمها مع فتح النون وهي في الاصل
الذكر من طير الماء العظيم الجسم الطويل العنق سمي به لبياضه ويقال ايضا
للشاب الناعم الابيض غرنوق اريد بها هنا الاصنام اذ كانوا يزعمون انها تقربهم
الى الله تعالى اذ انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى فشبهوها بالطيور التي تعلو
وترتفع الى السماء مستعير لها اسمها استعارة تحقيقية مجردة مما يلائم المشبه
به مقرونة بما يلائم المشبه من صفاتها اعني العلا جعلا لها ادعاء من افراد
المشبه به وصفا للنفس عن توهم التشبيه قضاء لحق البلاغة وان شفاعتهن
لترتجى من رجاه يرجوه رجوا ورجا ورجاة ورجاوة وهمزته منقلبة عن واو
لشبهها ذة ظهورها في المصدر اي سؤالها تتوقع ويؤمل في التجاوز عن الذنوب
والجرائم ويروى ان شفاعتهن ترتضى فتقبل وفي الحديث اذا بلغ الحد السلطان
فلعن الله الشافع والمشفع اي من تقبلها ومن تقبل منه هذا وباقي الروايات
معناها عنى عن البيان فلما ختم السورة اي سورة النجم سجد وسجد معه جميع من
كان حاضرا المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم بقوله تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ومنها ما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على
لسانه فسبق لسانه صلى الله عليه وسلم سهوا او غلطا فقال تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه او نبهه جبريل كما سيأتي
وكان ذلك ابتلاء ومحنة لمن حضر ليظهر الثابت منهم على ايمانه والمتزلزل فيه فازداد
الثابتون عليه نورا وايمانا والمتزلزلون فيه ظلمة وكفرانا وانه صلى الله عليه وسلم
كان لحرصه على اسلام قومه تمنى ان لو نزل عليه شيء مما يوحى اليه يقارب بينه
وبين قومه ويتخذه وسيلة الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم
وفي رواية كان يتمنى ان لا ينزل عليه ما ينفرهم عنه ولم يزل تمنيه به حتى نزلت

سورة النجم وهو بينا ذلهم وذكر اي صاحب هذه الرواية هذه القصة اي قصة
قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم وقوله ذلك وسجوده وسجود من حضره مثل
وكما اورد ايضا ان جبريل عليه السلام جاءه فعرض عليه السورة اي سورة
النجم وقوله ذلك وسجوده وسجود من حضره فلما بلغ الكلمتين تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى قال اي جبريل صلى الله عليه وسلم ما جئتك بهاتين
فحزن لذلك فانزل الله تعالى عليه تسلية مفعول لاجله انزل وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الاية قد ذكرناها فيما مر ما اغنى عن اعادته
هنا وروى ابن جرير وسعيد بن منصور عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا
جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد لقريش كثير اهله فتمنى ان لا يأتيه
من الله ما ينفرهم عنه فنزل والنجم فقرأها فلما بلغ افرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه صلى الله عليه وسلم تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى فقرأ حتى ختمها فسجد
وسجد القوم معه جميعا ورضوا بما تكلم به فلما امسى اتاه جبريل فعرضها عليه
فلما بلغ تلك الغرانيق العلى قال ما جئتك بهذا افتريت على الله وقلت ما
لم يقل فما زال مغموما حتى نزل وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي فطابت نفسه وانزل عليه ايضا وان كادوا ليفتنونك ان هي
المخففة من الثقيلة بشهادة اللام في خبرها الفارقة بينها وبين النافية
اي ان الشأن قاربوا ان يخدعوك فاتنيك عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا
ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اي لتقول علينا ما
لم نقل يعني ما لم نفعل يعني ما ارادته منه صلى الله عليه وسلم قريش
من تبديلهم الوعد وعيدا والوعيد وعدا بقولهم له اجعل لنا اية رحمة
اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن بك وما اقترحته ثقيف عليه من
ان يضيف الى الله ما لم ينزل عليه لقولهم له لا ندخل في امرك حتى تعطينا
ما نفتخر به على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في صلاتنا وكل ربا لنا
فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا
نكسرها بايدينا عند راس الحول بل ترسل انت لها من يكسرها وان تمنع من
قصد وادينا وج بعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل امرني
الله به ثم جاؤا بالكتاب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد
رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون وهو ينظر الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر فسل سيفه فقال لا شعر ثم قلت نجينا يا معشر ثقيف
اسعر الله قلوبكم بنارها فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت وتعليل الكيد وده
مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب مضاعفا في الدارين مؤذن بان فعل ما لا
يليق بفاعله قبحه بمقدار رشاده وارتفاع منزلته فاعلم اكرمك الله بانواع المبرات
ان لنا في الكلام على هذا الحديث ماخذين نمنع بهما من يتشبث بهذه الروايات
او نثق بها من اخذت على يد فلان اذا منعته عما يريد فعله كانك امسكت بيده
احدهما في توهين اصله اي تضعيفه والماخذ الثاني على تقدير تسليمه تنزلا
وارخا للعنان اما الماخذ الاول فيكفيك في توهينه ورده ان هذا حديث من
وضع اسم الاشارة موضع الضمير تلويحا بمسمى اكمل تمييز لتجنب ذلك لم يخرجه
احد من اهل الصحة ممن يعتمد في رواية الحديث ولا رواه ثقة بسند سليم من
التوهين والعلة والاضطراب ولا رواه ثقة بسنده متصل الى قايله وانما
اولع من اولعه بكذا فهو مولع بفتح اللام اي اغري به المفسرون لكلام الله تعالى
والمورخون المولعون بكل غريب ترغيبا للنفس واستمالة لما ترتاح اليه لغرابته
الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم لا وثاقة به ولقد صدق القاضي بكر
بن العلا المالكي لقد بلي الناس اي امتحنوا واختبروا ببعض اهل الاهواء
والتفسير ما يولعهم بغرايب منمقه واكاذيب ملفقه تروجا لمزجي بضاعتهم
وتوهين بضاعتهم وتعلق بذلك لحديث سورة النجم الملحدون المايلون عن الحق
الى اهوية انفسهم مع ضعف نقلته واضطراب رواياته لعدم عزوها الى ماثور
وانقطاع اسناده عن وصله الى قايله واختلاف كلماته المؤذن بتخالل وضعه
فقايل يقول انه صلى الله عليه وسلم قراها في الصلاة واخر يقول تمادى به ما تمناه
حتى نزلت السورة قالها اي المقالة لما قراها في نادي قومه حين نزلت عليه
في ناديهم واخر يقول قالها وقد اصابته سنة من النوم واخر يقول بل حدث
نفسه السورة صلى الله عليه وسلم بها لا المقالة فسهى فقالها حين قرا السورة
واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه صلى الله عليه وسلم حين قراها فخيل لمن
حضرها انه هو الذي قالها وانه صلى الله عليه وسلم لما عرضها اي السورة على
جبريل قالها قال اي جبريل له ما هكذا اقراتك نحن صلى الله عليه وسلم لذلك كما مر
واخر يقول بل اعلمهم الشيطان انه صلى الله عليه وسلم اي المقالة مع السورة فلما
بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اي اعلام الشيطان لهم انه صلى الله عليه وسلم قراها
قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من الاقوال المؤذنة بان للشيطان عليه
سبيلا انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ومن حكيت هذه
الحكاية عنه من المفسرين كابني جرير والمنذر وابي حاتم ومن التابعين كالزهري

وابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسعيد بن جبير لم يسندها احد
منهم ولا رفعها الى صاحب لها تدرك لها واكثر طرقها عنهم اي عمن ذكرنا
من الايمة الاعلام ضعيفة غير مرضية لا يعود على شي منها اذ هي من فرط
ضعفها واهية اي مسترخية كما تمسك بها ولا وثوق والمرفوع فيه اي فيما
ذكر من قصة سورة النجم حديث شعبة بن الحجاج عن ابي بشر عن سعيد
بن جبير عن ابن عباس فيما احسب اي اظن بدون تيقن منى اذ وقع الشك
في الحديث اي حديث شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر
القصة اي قصة نزول سورة النجم وهو في نادي قومه بعد تمنيه ان لا ينزل
عليه ما ينفر قومه عنه او ينزل عليه ما يطيب به نفوسهم عسى ان يومنوا
فنزلت عليه سورة النجم فقراها فلما بلغ افرايتم اللات والعزى ومناة قال
تلك الغرانيق العلا ففرح المشركون ثم ختمها وسجد من حضر مسلمون وكفار
قال البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عنه صلى الله عليه وسلم باسناد
متصل يجوز ذكره ويعتمد عليه الا هذا الاسناد الى ابن عباس ولم يسنده
عن شعبة الا امية بن خالد واما غيره اي غير امية ممن رواه فانه يرسله عن
سعيد بن جبير عن النبي صلى الله عليه وسلم مسقطا لمن رواه عنه من اصحابه
كابن عباس وانما يعرف عن الكلبي لقبه او اسمه باذان او باذام مولى ام هانى
بنت ابي طالب عن ابن عباس يوقفونه عليه فقد بين لك ابو بكر يعني البزار انه لا يعرف
من طريق يجوز ذكره سوى هذا اي سوى طريق شعبة لقوة اسناده اذ رجاله
ثقات وفيه اي في حديث شعبة من الضعف ما نبه عليه البزار وغيره من
انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره واختلاف كلماته واضطراب رواياته من
وانقطاع اسناده او ارساله واختلاف مواطن قراتها اكانت كما مر في الصلاة
ام في نادي قومه ام في سنة من النوم ام حدث به نفسه فسهى ام قالها الشيطان
على لسانه وانكرها جبريل اذ عرضها عليه ام اعلمهم الشيطان انه صلى الله عليه
وسلم قراها هذا مع ما وقع فيه كما مر من الشك الذي لا يوثق به ولا حقيقة
بصحة الحديث معه واما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه اي عن الكلبي
مطلقا ولا ذكره اي ذكر حديثه هذا لقوة ضعفه وكذبه كما قال الجوزجاني
وقال ابن معين ليس بثقة وقال البخاري تركه القطان وابن مهدي وقال ابن
حبان مذهبه في وضع الكذب اظهر من ان نحتاج الى الاغراق في وصفه
يروي عن ابي صالح عن ابن عباس التفسير وابو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع
الكلبي من ابي صالح فكيف يحتج به وقال ابن عدي وقد حدث عن الكلبي الثوري
وشعبة وغيرهما ورضوه في التفسير واما الحديث ففيه مناكير سيما اذا

روي عن ابي صالح عن ابن عباس التفسير وابو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من ابي
صالح فكيف يحتج به والذي في الصحيح من حديث سورة النجم من رواية الشيخين
وغيرهما عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم اي السورة المسماة
به لذكرها فيها وهو بمكة جملة حالية من ضمير قرأ اي وقت قراءته فسجد معه المسلمون
والمشركون ممن حضر والانس والجن تفسير لما قبلها هذا توهينه من طريق
النقل عن الائمة الاعلام من اوهنته اذا اضعفته وفي حديث عمران بن حصين دخل
عليه فلان وفي عضده حلقة وفي يده خاتم من صفر فقال له ما هذا قال هذا من
الواهنة قال اما انها لا تزيدك الا وهنا هي عرق يأخذ من المنكب او في اليد كلها
فيرقى منها او هي مرض يأخذ في العضد وربما علق عليه نوع من الخرز يقال له خرز
الواهنة وانما نهاه عن ذلك لحذرا من ان يعتقد انها العاصمة من الالم مع انها من
التمائم المنهي عنها فاما توهينه من جهة المعنى فقد قامت الحجة القاطعة مما
يؤذن بضعفه كيف واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم مما لا يليق
بكريم جنابه صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة من ان يتقول
على الله ما لم ينزله عليه المتقول اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا مما لا يتعوذ
عنه او ان يتسور اي يتسلق ويرتفع عليه الشيطان ويشبه عليه القران
حتى يجعل فيه ما ليس منه مع عصمته صلى الله عليه وسلم ان يكون عدو الله له عليه
سبيل ويعتقد ان من القران ما ليس منه حتى ينبهه جبريل صلى الله عليه وسلم
ونبينا صلى الله عليه وسلم وحاشاه صلى الله عليه وسلم ان يشتبه بشيء من ذلك بل ذلك
كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم لنزاهة رفيع منزلته وبعد كريم درجته
عنه او يقول صلى الله عليه وسلم ذلك من قبل نفسه عمدا اذ ما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وذلك اي ما يقوله من قبل نفسه عمدا كفر او سهوا عطف على
عمدا وقد سماه الله تعالى واعاذه من ذلك اذ هو معصوم من هذا كله كما تدراسته
ودعانيته له وقد قررنا عنه من قبل فيما تقدم بالبرهان المبين والدليل المتين والاجماع المستبين ح
المتين عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه ولسانه فضلا عن
استقراره لا عمدا ولا سهوا تأكيد لما افاده ما قبله من نفي جريان الكفر عليه صلى
الله عليه وسلم وعصمته من ان يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقيه عدو الله
الشيطان لما في قلبه صلى الله عليه وسلم من الايقان وخاطر اليقظان او يكون
للشيطان عليه سبيل اذ لم يجعل الله له على عباده سلطانا وان يتقول اي يتكلف
القول ادعاء على الله لا عمدا ولا سهوا تأكيد لما افاده ما قبله من نفي التقول على
الله ما لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم وقد قال الله ولو تقول اي افتعل من القول
علينا بعض الاقاويل جمع مصغر تحقيرا لها كانها جمع اقوولة اي ولو ادعى علينا

ما لم نقل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي ثم لقتلناه صبرا معاجلة
سخطا وانتقاما كما يفعل الملوك من يكذب عليهم فصور قتل الصبر بصورته وهي
اخذ يمينه لضرب عنقه ليكون اهون وخص اليمين بالاخذ ليسهل على القاتل
قتله وكلاهما ولام الوتين عوض عن الضمير اي لاخذنا بيمينه ولقطعنا وتينه وهو
حبل الوريد ويسمى نياط القلب متى قطع مات صاحبه وقال تعالى لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي مضاعفين عذابا في الممات وهو عذاب القبر
وفي حياة الاخرة وهو عذاب النار يوصف بالضعف كما في فآتهم عذابا ضعفا من
النار بمعنى مضاعفا فكان اصله عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات
فحذف الموصوف واقيمت صفته مقامه فورثت منه اضافته فقيل ضعف
الحياة وضعف الممات ووجه ثان لتوهين ما زعم انه صلى الله عليه وسلم
قرأ سورة النجم فلما انتهى الى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وهو اي الوجه
الثاني استحالة هذه القصة نظرا مرشدا الى بيان امتناع وقوعها منه
صلى الله عليه وسلم لعصمته من ان يمدح الهة بمقعد عن الهدى قصي
مقعد ذي قاذورة متعلق من القلا وهو الهجر واستحالتها عرفا من مجاري
شريف عوائد الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من الهجر لا يصدر عنهم
الا ما يليق برفيع مقامهم وذلك ان هذا الكلام اي تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى وغيره مما مر من الروايات السابقة لو كان كما روي
لكان بعيد الالتئام بينه وبين كلامه تعالى الذي بذت فصاحته كل منطيق
واخرست فصاحته كل شقشيق متناقض الاقسام لمنافرته لكلامه
تعالى من حيث انه يصير ممتزج المدح بالذم على وجه برهاني ذلك لزم من
وصفهن بكونهن علا مرجوة الشفاعة مدحهن ومن وصفهن بكونهن الهة اندادا لله
تعالى شركا له ذمهن ويصير متخاذل التاليف والنظم لعدم وروده
متناكف الكلمات مترتبة المعاني متناسقة الدلالات من خذله اذا ترك
نصرته اي متناكرا كانصرة بعضه بعضا لانتفاء التوافق بين فقرات الاقسام
وامتزاج المدح بالذم ولما يفتح لامه وتخفيف ميمه كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين من قريش وغيرهم ممن يخفى
عليه ذلك القول وانه صدر بعد قوله افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
منه صلى الله عليه وسلم او من غيره وهذا اي قوله تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن
لترتجى لبعدا لتنافر وتناقض اقسامه وامتزاج مدحه بذمه ونحا ذلك

تأليفه ونظمه لا يخفى على ادنى متأمل في توهينه وتزييفه فكيف بمن هو
حقيق خليق بمعرفته بمجرد سماعه له بلا تأمل وتدبر وممن رجح حلمه اي تأنيه
وتثبته في الامور وهو من شعار العقلاء اي لبه وعقله وفي حديث صلاة
الجماعة ليلني منكم اولوا الاحلام والنهى اي ذوو الالباب والعقول واتسع في
باب البيان اي في المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير وفي معرفة فصيح
الكلام علمه بنوع فهم وذكاء قلب وفطرة وقادة وفطنة نقادة وجه
ثالث لتوهينه ايضا هو انه الضمير للشأن يفسره قد علم من عادة المنافقين
ممن باطن النفاق في قلبه وفرخ الخيبة في سعيه وعلم من عادة معاندي
المشركين ممن اتمر لهم عنادهم البعد عن رحمة الله لشركهم وضعفة القلوب
والجهلة من المسلمين ممن استولى عليهم الجهل فضعف قلوبهم واعمى
بصائرهم فهم في جهلهم يعمهون نفورهم مفعول علم مبنيا له اي بما مقام
فاعله لاول وهلة اي في اول ساعة ومجرده بلا تأمل وتفكر من سماع متباين
نظمها متناقض تركيبا متخاذل تأليفا متعاند ترتيبا وقد علم تخليط العدو على
النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة انتهازا للفرصة واغتناما لابراز العداوة
في معرض الحسد والعناد وتعييرهم المسلمين باتباعهم الهدى والشماتة بهم
جمع شامت من الشماتة اعني فرح العدو بما يرى من عاداه من ريب الزمان
ونوائبه وفي حديث لا تشمت بي عدوا وشامتا الفينة بعد الفينة اي آنا فآنا
وحينا فحينا اي يشمتون بهم الحين بعد الحين بما يمتحنهم الله به تعظيما لاجورهم ورفعا
لدرجاتهم وفي الحديث المؤمن خلق مفتنا اي ممتحنا يمتحنه الله اختبارا بالفتنة ف
وارتداد اي رجوع من في قلبه مرض عن الاسلام الى الكفر ممن اظهر الاسلام ولم
تخالط قلبه بشاشته فرجع عنه لادنى شبهة عرته لضعف يقينه مع ما ذكر من آسامهم
بما يؤذن بعداوتهم له صلى الله عليه وسلم ولم يأت من معه لم يحك احد ممن عاداه صلى الله عليه
وسلم في هذه القصة الضعيفة الاصل الركيكة القول المتناقضة التأليف الكثير
لسانه صلى الله عليه وسلم عن ان يفوه به ولو كان ذلك قد وقع لوجدت قريش بها على
المسلمين الصولة اي السطوة والقهر لسترة سكينتهم ولكونه عندهم مدحا لآلهتهم
يتسلقون به الى ترويج هواهم وترجيح مناهم ولاقامت اليهود عليهم اي على المسلمين
الحجة بانه قرآن بنكيره مدح به آلهتهم ولو لم يكن حقا لما مدحها به كما فعلوا مكابرة في قصة
الاسرى فانهم انكروا حين حدثهم به وكانوا بين مصفق وواضع يده على رأسه
تعجبا منكرا حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة الى الكفر بعد ايمانه لتزلزله وكذلك
اي ومثل قصة الاسراء به ما روي في قصة القضية بالحديبية من وهن ايمان بعضهم
اذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه اليها كأنه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين

محلقين ومقصرين فقص صلى الله عليه وسلم رؤياه عليهم ففرحوا واستبشروا
ظنا منهم انهم داخلوها في عامهم ذلك فانها رؤيا حق فلما صدوا قال منجم
النفاق ورأسه ابي بن سلول وابن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما
حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام ولم يدروا انهم يدخلونها في العام
القابل فاعتراهم الشك جهلا ولا فتنة اعظم من هذه البلية اي ما في
اختلق عليه صلى الله عليه وسلم انه قرأه في تلاوة سورة النجم لو وجدت لقو
صولة قريش واستندت سكينتهم ولقامت لليهود الحجة لكن لم توجد فلم
يكن لم ذلك فاستثنى نقيض المقدم انتج نقيض التالي ولا تشغيب اي تهييج
للشر والفتنة للمعادي حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت وقوعا
ليتسلقوا بها الى مناهم واثبتوا بها متمناهم فما روي عن معاند فيها كلمة
ولا عن مسلم بسببها بنت شفة مما يخرج من بين الشفتين من الكلام فدل
عدم رواية شيء من ذلك على بطلها اي على بطلان ما نسب اليه صلى الله عليه
وسلم من قراءة تلك الغرانيق واجتثاث اصلها اي قلعه من بيخه ولا شك في
ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث اي حديث تلاوته صلى الله
عليه وسلم سورة النجم وادخال ذلك فيه على بعض مغفلي المحدثين ليلبس على
بعض ضعفاء المسلمين ووجه رابع لتضعيف ذلك ذكر الرواة لهذه ف
القصة اي رووا فيما ذكروا ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين المقدم
بيانهما وهما يردان الخبر الذي رووه من انه صلى الله عليه وسلم مدح آلهتهم لانصاحه
بانهم كادوا ان يفتنوه حتى يفتري ويتقول لخلقا لهم ما لم ينزل عليه حيث قالوا له
اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك وانه تبارك وتعالى
لولا ان ثبته لكاد يركن اي لقارب ان يميل اليهم مضمون هذا الكلام ومفهومه
ان الله عصمه من ان يفتري حين ارادوا منه ان يبدل الوعد وعيدا والوعيد
وعدا وثبته حتى لم يركن اليهم شيئا قليلا فكيف يتأتى ركونه اليهم على اي حال
يرد شيئا كبيرا فهو انكار لركونه بانكار حاله التي يرد عليه بطريق الكناية على وجه
برهاني اذ بانتفاء حاله يلزم انتفاؤه وهم يروون اي الرواة والمحدثون
في اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافترا بمدح آلهتهم وحاشاه صلى
الله عليه وسلم من ذلك وانه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال اذ قال له
جبريل ما جئتك بهذا افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا الذي رووه في
اخبارهم الواهية عنه صلى الله عليه وسلم ضد مفهوم الآية يعني عدم ركونه
اليهم قليلا مع عدم قوله ذلك مدحا لآلهتهم وهي تضعف مفهومها بضعف
الحديث لو صح فكيف ولا صحة له لاضطراب رواياته فهو لغاية الوهن من بيت العنكبوت

وهذا اي مفهوم الاية مثل قوله في الاية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته
لعصمته اياك وصرفه عنك ما يرغبك ويحملك على ما ارادوه منك لهمت طايفة
منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضا بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان
صاحبهم بو الخاين لشهادة ان فريقا منهم كانوا يعلمون انه الفضية وما يضلون
الا انفسهم لاحاطته وباله وما يضرونك من شي لانك انما حكمت بظاهر
الحال ولم يخطر ببالك ان باطن الامر خلافه وقد روي عند ابن ابي حاتم وغيره
عن ابن عباس كلما كان في القران كاد اي وما تصرف منه فهو ما لا يكون لافادته
القرب من الشي ولم يقع قال تعالى يكاد سنا برقه مقصور اي ضوء يذهب
بالابصار ولم يذهب بها لانه شرا تفا على الذهاب به ولم يذهبها ان الساعة
اتية اكاد اخفيها اي فلا اقول هي اتية لفرط ارادتي اخفاها ولم يفعل اي ولم
يخفها فكني به عنه قال القشيري ولقد طالبته قريش من القرش وهو الجمع
يقال فلان يتقرش المال اي يجمعه فسموا قريشا اما بجمع قصي لهم في حرم مكة بعدهم
في القبايل فسموا مجمعا او باسم دابة في البحر تاكل دابة ولا توكل وتعلو ولا تعلى وهذا
شانهم ودينهم وطالبته ايضا ثقيف اذ مر بالهتهم التي كانوا يعبدونها من
الانصاب ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل اي ان اقبل اليها
فما فعل ولا كان ليفعل امتثالا لقوله والرجز فاهجر اي اترك عبادة الاوثان
غير مكترث بما وعدوك من الايمان فمن شا فليومن ومن شا فليكفر وقال ابن
الانباري ما قارب الرسول صلى الله عليه وسلم الركون الى الكفر ولا ركن
اليهم فيما راموه منه وقد ذكر في معنى الاية يعني وان كادوا ليفتنونك
عن الذي اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا
تفاسير اخر رفضناها لما فيها من سفساف امور وما ذكرناه من نص الله على
عصمته سفسافها اي حقيرها ورديها وهو ضد المكارم والمعالي واصله ما
تطير من غبار الدقيق متى نخل والتراب اذا اثير وفي الحديث ان الله يحب
معالي الامور ويبغض سفسافها وفيه ان الله رضي لكم مكارم الاخلاق وكره لكم
سفسافها فلم يبق في الاية اي وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك الا
ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار وراموه اي
ارادوا به فتنته ليفتري لهم على ربه تعالى غيره ومرادنا من ذلك الذي ذكرناه
تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم مما لا يليق بكريم ذاته صلى الله عليه وسلم
اي ما ذكرناه مراده مفهوم الاية لا ما ذكروه من سفساف واما الماخذ الثاني
في الكلام على مشكل ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه صلى الله عليه وسلم لما قرا
سورة النجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق

العلا وان شفاعتهن لترتجى على لسانه بحكم النوم وغلبته عليه فهو مبني على تسليم
الحديث لو صح من طريق من طرقه مع كثرتها واختلاف الفاظها وقد اعاذنا
الله من صحته فلم يترتب في بيان الحق واظهار تنزيهه له صلى الله عليه وسلم مما
عزي اليه من وصفه مدح الاوثان وقد اجاب عن ذلك اي عما نسب اليه من
مدحها ايمة المسلمين باجوبة الغث بمعجمة فمثلثة اي الهزيل مما لا يجدي نفعا
والسمين مما ينزه تشريف مقامه عن وصمة اللاعنة لعصمته فمنها اي من الاجوبة
ما روي قتادة ومقاتل انه صلى الله عليه وسلم اصابته سنة مما تبتدر النوم
من قول رئيس بني ساق الناس للرقاع •
• وسنان اقصده النعاس فرنقت • في عينه سنة وليس بنايم •
عند قراءته السورة اي سورة النجم فجرى هذا الكلام يعني تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهن لترتجى على لسانه بحكم النوم وغلبته عليه وهذا لا يصح اذ
قلبه صلى الله عليه وسلم لا ينام وان نامت عيناه ولا يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم مثله اي مثل ما نسب اليه حال السنة من النوم والمراد نفيه عن نفسه بطريق
الكناية لانه اذا نفى ما هو مثله من غير قصد الى مماثل له لزم نفيه عنه واثبات
براته منه في حالة من احواله لتشريفه انامه التي يقظ فيها ولا يخلقه الله على لسانه صلى
الله عليه وسلم ولا يستولي الشيطان عليه في النوم واليقظة لعصمته صلى الله عليه
وسلم في هذا الباب لتعلقه دونه بمنع ولوجه فيه من جميع انواع العمد والسهو
ولعصمته في قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدثت نفسه فقال ذلك يعني ان
شفاعتهن لترتجي لانه لما الغرانيق العلى الشيطان على لسانه وهو باطل اذ لم يجعل
الله له عليه سلطانا من الانبيا سبيلا وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال كانت
بن هشام قال اي ابن شهاب وابو بكر وسهى اي النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبر بذلك
انه قال قال انما هو الشيطان وكل هذا اي ما قيل انفا لا يصح ان يقوله النبي
صلى الله عليه وسلم لا سهوا ولا قصدا لعصمته من ذلك ولا يصح ان يتقوله
الشيطان على لسانه لكفه ان يجري عليه بنا يريده والباطل عنه وقيل لعله
صلى الله عليه وسلم قاله اي قال ما عزي اليه من تلك الاباطيل اثنا اي خلال تلاوة
سورة النجم على تقدير التقرير والتوبيخ للكفار اي حملهم على الاقرار بان المدح
بهذه الكلمات انما يليق ممن يضر وينفع توبيخا وتبكيتا وتنبيها لهم على خطايهم
ايذانا بانها لا تصلح ان تكون الهة كقول ابراهيم صلى الله عليه وسلم هذا ربي
تقريعا وتوبيخا وتنبيها لهم على خطايهم ايذانا بانها لا تصلح ان تكون الهة
لقومه وارشادا لهم كما مر الى ان النظر يوذن بان شيا مما يعبدونه لا يصلح
ان يكون الها وقوله اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم بل فعله كبيرهم هذا

عزم

من معاريض الكلام تورية بشيء عن شيء اذ قد روي صلى الله عليه وسلم باسناده
فعله الى كبيرهم عن تعريض لنفسه واثباتها لها على اسلوب تعريضي يبلغ به غرضه
من تبكيتهم والزامهم الحجة ليذعنوا بأن ما ينحتون لا يصلح لان يعبد وهذا
اي ما عزي لنبينا صلى الله عليه وسلم من مدح آلهتهم بعد السكت بينه
وبين ما تلاه قبله من السورة وبيان الفصل بين الكلامين ومع قرينة تؤذن
بان كل عقل سليم يقضي بانها حجارة لا تجدي نفعا فضلا عن رجاء شفاعتها وتدل
على المراد من انه انما قاله توبيخا وتبكيتا وتعجيبا لعبادتهم اياها وتقريعا وتسفيها
لاحلامهم ليرجعوا الى عقولهم فتاخذهم الى انها لا ادراك لها فلا شفاعة لها
ترتجى ولا تقرب لها الى الله زلفى فيذروها مذعنين للايمان فيفوزوا برفيع
الدرجات في غرفات الجنات وهو اي ما قيل انه اثنا تلاوته تقريرا وتوبيخا
للكفار احد ما ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني وابن العربي المالكيان ولا
يعترض على هذا اي على قول القاضي بما روي انه صلى الله عليه وسلم كان حين قال
ذلك في الصلاة فكيف يقوله على تقدير التقرير والتوبيخ فيها فقد اجيب
بانه كان الكلام قبل من الظروف الغائية مبني على الضم لقطعه عما اضيف
اليه اي قبل النهي عنه فيها غير ممنوع منه والذي يظهر ويترجح في تاويله
اي تاويل ما عزي اليه صلى الله عليه وسلم من مدح آلهتهم عنده اي عند
القاضي ابي بكر وغيره من المحققين على تسليمه وقوعا منه صلى الله عليه
وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا اي
يقرؤه مترسلا بتؤدة مبينا حروفه واشباع حركاته حتى كان ما يتلوه كثغر
مرتل اي مفلج مشبه بنور الاقحوان قال تعالى ورتل القرآن ترتيلا في ايجاب الامر
به وانه لابد للقاري منه وكان يفصل الآي تفصيلا في قراءته كما حكت عائشة
وقد سئلت عن قراءته صلى الله عليه وسلم لو اراد سامعها ان يعد حروفها لعدها
لتانيه فيها من غير هذرمة يؤذن بان المتلو في تتابع كلماته وحروفه يشبه
الثغر الالص اي المتراص فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات
خلال تلاوته سورة النجم ودسه فيها اي ادخاله في السكتات خفاء ولطف
من دسه يدسه دسا اي ادخله فيه قهرا او قوة وفي الحديث سجدها
الحالف فالعرق دساس اي دخال ما اختلقه من الاختلاق افتعال من
الخلق والابداع اي كذبه كان الكاذب خلق قوله من تلك الكلمات باثنا
لما اختلقه محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث اي بمكان هو فيه بمرأى
ومسمع يسمعه من دنا اليه اي قرب منه صلى الله عليه وسلم من الكفار وظنوها
اي الكلمات التي اختلقها الشيطان من قوله صلى الله عليه وسلم واشاعوها

اي افشوها واذاعوها بينهم ولم يقدح ذلك اي ما دسه الشيطان واشاعه الكفار عند
المسلمين بحفظ السورة مصدر مضاف لفاعله ومفعوله اي لم يقدح بسبب حفظهم سورة
النجم قبل ذلك اي قبل اختلاقه لها ودسها وحفظها على ما انزل الله القرآن منجما وبالطرف
متواتر التركيب متناسق الدلالات فصاحة وبلاغة وصحة معنى وبراعة وصدق خبر
ونصاعة بحيث اذا دس فيه شيء علم انه ليس منه وتحققهم اي المسلمين من حاله صلى
الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها اي عيبه اياها ما عرف منه صلى الله عليه
وسلم واشتهر كان على علم هذا قول غير مرضي لايذانه بان الشيطان كان له عليه صلى
الله عليه وسلم سبيل بتمكنه من دسه خلال تلاوته كلام ربه ما مدح الرجس من الاوثان
تلبيسا عليه وان كان قد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحوه اي نحو ما ذكر عن
المحققين ولم يرض وقال اي موسى بن عقبه ان المسلمين لم يسمعوها اي مقالة
الشيطان وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين دعوى بلا دليل
ولا بينة لاستحالته عادة اذ لا قدرة له خرقا الله على القاء ذلك في اسماعهم دون
المسلمين مع اجتماعهم كلهم في ناد واحد واختلاطهم بهم فيه ويكون ما روي فيما
من حزنه صلى الله عليه وسلم انما رهقه لجهة هذه الاشاعة والشبهة اي من
اجلها ومن اجل سبب هذه الفتنة الناشئة من نسبة تلك المقالة اليه واشاعتها
عنه صلى الله عليه وسلم مع براءته منها ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
اي في تلاوته فمعنى تمنى تلا قال تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا تلاوة
ومنه قوله في مرثية عثمان بن عفان رضي الله عنه
تمنى كتاب الله اول ليلة • واخرها لاقى حمام المقادر
او الا ما هم عليه من امانيهم ان الله لا يواخذهم بخطاياهم وان الانبياء من ابائهم
يشفعون فيعفوا الله عنهم ويرحمهم او ما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم
الا اياما معدودة او الاكاذيب مختلقة قبلوها من علمائهم وقلدوهم فيها وقوله
فينسخ الله من نسخ الشيء اذا تغير من حال الى حال ما يلقي الشيطان اي يذهبه
ويزيل اللبس به اي بالنسخ المفاد من فعله ويحكم آياته اي يتقنها واضحة
لا يتطرق اليها اختلاف ولا اشتباه وقيل معنى الآية اي انه فينسخ الله ما يلقي الشيطان
هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اي تركه الشيء مع علمه به اذا قرأ فينتبه
لذلك اي لما تركه بادنى تنبيه ويرجع عنه الى ما تركه وهذا السهو الواقع له في القراءة
انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني بمعان اخر وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها
ولا ط زيادة ما ليس من القرآن في القرآن بل السهو الذي هو عن اسقاط
آية او كلمة منه لكنه لا يقر عليه ويذكر به للحين اي الوقت فلا يبقى كما في فطلقوهن لعدتهن
اي وقتها وقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقوهن في قبل عدتهن ومما يظهر في

تأويله أي تأويل ما عزي إليه في تلاوته سورة النجم لا بعد أنه كان قرآنا ثم نسخ تلاوته
والمراد بالغرانيق العلى والذين أن شفاعتهن لترتجى هم الملائكة على هذه الرواية
أي رواية مجاهد الغرانقة العلى وهذا تفسير الكلبي الغرانقة الملائكة وذلك
أن الباعث له على تفسيرها بهم أن الكفار من قريش وغيرهم من عبدة الأوثان كانوا
يعتقدون أن الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى عنهم بقوله تعالى أفأصفاكم
ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما وقوله تعالى أصطفى البنات
على البنين فرد عليهم بذلك كما رد عليهم في هذه السورة أي سورة النجم بقوله ألكم
الذكر وله الأنثى فأنكر سبحانه هذا الذي قالوه من جملة قوله إنكارا بطريق الاستفهام
الإنكاري التكذيبي أي لم يكن ما زعمتم لقد تقولتم قولا إدا تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح وهذا التأويل
وإن كان صحيحا في نفسه فهو مباين للمقام ناب عن سياق الكلام فلما تأوله المشركون على
حسب غرضهم أن المراد بهذا الذكر أي ذكر الغرانقة العلى هي آلهتهم ولبس
الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم فتبعوه وودعوه نسخ الله
ما ألقاه الشيطان أي أزاله وأبطله وأحكم آياته أي أتقنها وأثبتها ورفع تلاوة تلك
اللفظتين أي تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى للنبي وجد الشيطان
بهما سبيلا للتلبيس على من حضر تلاوة السورة كما نسخ كثيرا من القرآن ورفع
تلاوته مع حكمها أو دونه وكان في إنزال الله له أي لما نسخه وفي نسخه حكمة من خير
أو شر ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين الخارجين
عن أوامر الله بارتكاب المعاصي وليجعل أي الله تعالى ما يلقي الشيطان مما يلتبس به
فتنة للذين في قلوبهم مرض من المنافقين والشاكين لعدم ثبوت إيمانه
وتزلزله والقاسية قلوبهم من المشركين المكذبين وإن الظالمين لفي
شقاق بعيد أي وإنهم فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء وتسجيلا عليهم بالظلم
وليعلم الذين أوتوا العلم أنه أي ما أنزله ثم نسخه أو يمكن الشيطان من إلقائه ثم أذهبه
وأزاله أنه الحق من ربك فلا تشتبه عليهم فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم أي
تنيب منقادة مطيعة من الخبت وهو ما اطمأن من الأرض وإن الله لهادي
الذين آمنوا في تأويل ما تشابه عليهم في الدين وطلب ما أشكل منه إلى صراط مستقيم
فيدركون المحمل الحسن بالأصول المحكمة والقوانين الممهدة بحيث لا ترهق أفهامهم
حيرة ولا تزلزل أقدامهم شبهة وقيل لما بلغ صلى الله عليه وسلم في تلاوته اللات والعزى
ومناة خاف الكفار أن يأتي بشيء مما يشينها سبا وعيبا شتما من ذمها توبيخا
وتقبيحا لها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين أي أن شفاعتهن لترتجى وإنها لمع
الغرانقة العلا ليخلطوا في تلاوته صلى الله عليه وسلم سورة النجم ويشنعوا عليه

فيها ويشغبوا عليه على عادتهم أي يثيروا الشر ويهيجوه مغافلة له وشغلا لخاطر
تبليغه عن ذلك بشيء وكفى بهذا القول لا غير صحة وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القرآن إذا قرئ والغوا فيه أي تشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات تخليطا
عليه صلى الله عليه وسلم بما يشوشه ويشغل خاطره لعلكم تغلبون عليه في قراءته
كما تواصوا بعضهم بعضا به ونسب على هذا القول الفعل يعني الإلقاء إلى الشيطان
مجازا مرسلا بعلاقة السببية لحمله لهم عليه إذ هو السبب الداعي إليه والباعث
عليه وأشاعوا ذلك أي ما سبقوا به إلى مدحها وأذاعوه بينهم معلنين به وأنه
صلى الله عليه وسلم هو الذي قاله افتراء منهم عليه حذرا من ذمها لهتهم فحزن صلى
الله عليه وسلم من كذبهم وافترائهم عليه فقد ضلوا وما كانوا مهتدين فسلاه الله
عن حزنه وهمه ما اختلقوه تنويها لشأن آلهتهم وتركا منهم للإقبال عليها
وترغيبا للسفهاء مثلهم في عبادتها بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته أي إنا بأنك لست وحدك الذي
ألقى الشيطان في تلاوته بل كل رسول ونبي ألقى في تلاوته فلا تحزن إنا معك
وبين سبحانه وتعالى للناس الحق من ذلك الذي أنزله إليهم على لسانه صلى الله عليه
وسلم من الباطل الذي ألقي في تلاوته من نصوص وحفظ سبحانه وتعالى القرآن
وأحكم آياته أي أتقنها فلا يعتريها باطل من بين يديها ولا من خلفها تنزيل من حكيم
حميد ودفع ما لبس به العدو من أكاذيب لفقها وأباطيل نمقها كما ضمنه أي
ضمن حفظ القرآن مما فهم من قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر ردا لإنكارهم واستهزائهم
بقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر الآية مؤكدا بإن واسمية الجملة أنه تعالى هو الذي
أنزله إليه صلى الله عليه وسلم وإنا له لحافظون من زيادة ونقص وتحريف وتبديل
ولم يكل حفظه إلى غيره تعالى بل تولاه بنفسه بخلاف كتب الأنبياء قبله فإنه لم يتول
حفظها بل استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيها بغيا فكان التحريف
والتبديل ومن ذلك أي من سوء تأويل بعض الطاعنين في الأنبياء ما روي من
قصة يونس صلى الله عليه وسلم افتراء عليه أنه وعد قومه العذاب مخبرا لهم به
عن ربه فلما تابوا كشفه عنهم يوم عاشوراء يوم جمعة فقال لا أرجع إليهم
كذابا أبدا فذهب مغاضبا على غير هذا الوجه إذ كان مغاضبا لقومه تبرما
وضجرا منهم فقد طال تذكيره إياهم فلم يتذكروا مقيمين على كفرهم فراغمهم مراغما
لهم ظنا منه أن ذلك سائغ حيث لم يفعله إلا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر وأهله
وكان عليه أن يصابرهم منتظرا من ربه الإذن له في الهجرة عنهم فأغضبهم بمفارقته
لهم لتحذيرهم حلول العذاب بهم فلما فقدوه حذروا نزوله بهم فآمنوا فكشفه
عنهم وليس في خبر من الأخبار الواردة كذبا وسنة في هذا الباب من قصة يونس

صلى الله عليه وسلم ان يونس قال لهم ان الله مهلككم ليأتي له ان يقول لا ارجع اليهم
كذابا ابدا وانما الوارد فيه من الاخبار انه دعى عليهم بالهلاك والدعا انما هو كشفا
طلب لينتجز يحتمل الصدق والكذب حتى يطلب صدقه فيمن كذبه لكنه اي يونس
قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا فكان مجيئه لهم في وقته كما قال فغامت السما
غيما شديدا اسود بدخان سود سطوح بيوتهم فلبسوا المسوح وعجوا مظهرين التوبة
والايمان فرفع الله عنهم العذاب وتداركهم برحمته فانابوا وامنوا فمتعهم الى حين قال تعالى
فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس استثنا منقطع من القرى اذ المراد
اهلها اي لكن قومه او متصل من ضمير آمنت والجملة في معنى النفي اي ما امنت قرية من القرى
الهالكة الا قومه فانتصابه على اصل الاستثنا ومثله في الوجهين انا ارسلنا الى قوم مجرمين
الا آل لوط ان استثنى من قوم فمنقطع لاختلافهما وصفا بالاجرام او من ضمير مجرمين فمتصل
كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وصح لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة
الدنيا ومتعناهم الى حين وروي في الاخبار انه قال لهم ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا
ان رأينا علامته امنا فلما مضت خمسة وثلاثون او ست انهم راوا دلائل العذاب
ومخايله جمع مخيلة وهي في الاصل موضع التخيل اعني الظن ثم استعير لما يظن علامة
وفي الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا راى مخيلة اقبل وادبر وفي رواية اذا راى في السما
اخيلا لا تغير لونه خشية ان يكون عذابا ارسل كما وقع لقوم هود فاذا امطرت سري
عنه قاله ابن مسعود ورواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن ابي حاتم موقوفا فان قلت
لكل من يتأتى توجيهه اليه او جرد من نفسه اخر خاطبه بقوله فما معنى ما روي عند ابن
جرير عن عكرمة مولى ابن عباس من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بما اكرمه الله به من الوحي ثم ارتد مشركا احتراس من ان يكون
ارتد يهوديا او نصرانيا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا اي اكلفه
واحمله على ان يوافقني على ما اختار من كتابة ما يلقي الي من الوحي حيث شئت كان
يملي علي عزيز اي منيع غالب لا يعجزه شيء حكيم لا يفعل الا حقا فاقول او عليم حكيم
فيقول نعم كل صواب اي في نفس الامر على تقدير صحة صدور هذا القول عنه
صلى الله عليه وسلم لاتي وضع كل مكان الاخر لنزاهته صلى الله عليه وسلم ان يضع
منهما واحدا في غير محله مع علمه بنظم القرآن ووضع كلمه في مقاماتها وقد روي ان
اعرابيا سمع قاريا يقرأ فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم
بدل عزيز حكيم ولم يكن قاريا فانكر وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران
عند الزلل لانه اغرا عليه وفي حديث اخر رواه ابو جرير عن السدي فيقول اكتب
كذا كتابة عما يأمره بكتابته فيقول اي ابن ابي سرح انما اكتب كذا فيقول اي النبي صلى
الله عليه وسلم اكتب كيف شئت ويقول صلى الله عليه وسلم له اكتب عليما حكيما

فيقول اي ابن ابي سرح اكتب سميعا بصيرا فيقول اي النبي صلى الله عليه وسلم له اكتب
كيف شئت وفي الصحيح من رواية البخاري عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي
صلى الله عليه وسلم ما اوحي اليه بعدما اسلم ثم ارتد عن الاسلام الى الكفر وكان
يقول افترا عليه صلى الله عليه وسلم ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ما ألقي عليك بما
يوضح لك الحق ويزيح اللبس ثبتنا الله واياك على الحق المبين ولا جعل للشيطان
وتلبيسه اي تخليطه الحق بالباطل علينا سبيلا تقبيحا له وتخسيسا به وتبعيدا
له عن ساحتنا ان مثل هذه الحكاية اي ما حكي عن ابن ابي سرح والنصراني اولا
لا توقع في قلب مؤمن ريبا اي شكا يتزلزل به في حقيقة ما اوحي اليه صلى الله عليه
وسلم اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله من بعد ايمانه ونحن لا نقبل خبر المسلم
المتهم في عدالته فكيف بكافر ارتد على عقبيه افترى من الفرية اي كذب هو ومثله
من الكفرة الفجرة على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا اي المذكور عنهما والعجب
لسليم العقل من شوائب الشك واللبس يشتغل بمثل هذه الحكاية المفتراة وقاحة
سرح والكافر الا خفا قد صارت من عدو كافر مبغض للدين متبع للباطل مفتر على
الله ورسوله لتعظيم فريته وتشديد فتنته ولم يرد ما افترياه عليه صلى الله عليه
وسلم عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله كل منهما
وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات
الله اقتباس من القرآن الكريم لايراده هنا بلا اشعار بانه منه انزل ردا لقولهم انما
انت مفتر اي لا يليق افترا الكذب الا بمن لا يؤمن لرفضه الايمان بايات ربه
غير مبال بما يترتب عليه من عقاب نفسه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر بل هم الذين ديدنهم الكذب لا يبالون به ولا يصدهم
عنه مروة ولو كان صحيحة لما كان فيه اي في الحكاية المفتراة قدح ولا توهين
للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه من عند ربه وما هو من عنده تبارك وتعالى
لا يعتريه واحد منهما ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف تفعيل من
الحرف وهو الزيغ والميل ومنه حديث ابي هريرة امنت بمحرف القلوب اي مميل
ومزيغها وهو الله تعالى فيما بلغه عن ربه الى من ارسل اليه ولا طعن في نظم القرآن
تنزيل من حكيم حميد وانه من عند الله لا يغشى نظمه اختلاف ولا تبديل اذ ليس
فيه اي فيما قاله الكاتب لو صح قوله اكثر من ان الكاتب قال له للنبي صلى الله عليه
وسلم عليم حكيم او كتبه قبل ان يتم النبي صلى الله عليه وسلم ما يمليه عليه ليكتبه فقد
لفهمه ذلك من فاتحة ما املاه عليه لدلالة ما قبله عليه على طريقة الارصاد والتبديع
وهو ان يورد كلام نثرا او نظما تفهم خاتمته من فاتحته قبل تمامه
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو اي مثل ما قلته اي فهما من

العزيز

ايده

فاتحته فيستفيد لسانا ذا وقلبا كلمة او كلمتين فقال له ذلك ولفهمه اياه من
الفاتحة مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اي للكلمة التي هي الخاتمة اذ
كان ما تقدم من الفاتحة فيما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم يدل عليها اي
على الكلمة التي هي الخاتمة وتقتضي وقوعها بقوة قدرة الكاتب على الكلام لانه
من صميم من نشا في حجر البلاغة ورضع ثديها ومعرفته به نظما ونثرا وترتيبا
وجودة حسه وفطنته فهما وسرعة انتقاله منه الى معناه كما يتفق ذلك
للعارف باساليب الكلام اذا سمع البيت من الشعر ان يسبق الى الشعر ادراك
قافيته قبل تمام البيت واذا سمع مبتدا الكلام الحسن نظما المتناسب
ترتيبا المتناسق دلالة ان يسبق فهمه الى ما يتم به قبل تمامه كما في وما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولا يتفق ذلك في جملة الكلام مما
لا تدل فاتحته على خاتمته اذ كل كلام لا يكون كذلك كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة
من الايات والسور وكذلك يقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن ابي سرح كل
صواب ان صح فقد يكون فيما فيه من مقاطع الاي وجهان وقراتان مما تواتر
وقرائه القراء وقد انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احدهما
على كاتبه عبد الله بن ابي سرح او غيره وتوصل الكاتب بفطنته اي بقوة
ذكائه ومعرفته بمقتضى الكلام وانساليبه نسقا ودلالة الى القراءة الاخرى
فذكرها اي الكاتب للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكره لها كما قدمناه انفا
لمناسبته المقام ذلك فصوبها اي القراءة الاخرى له النبي صلى الله عليه وسلم
لانزالها كذلك ثم احكم الله من ذلك اي الذي انزله على نبيه اي اتقنه فهو تعالى
حكيم فعيل بمعنى محكم اي متقن ما احكم ونسخ ما نسخ لفظا لا حكما او حكما لا لفظا
ولفظا وحكما كقوله تعالى والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا متاعا الى الحول غير اخراج وبلغوا عنا انا لقينا ربنا فرضي
عنا نزل فيمن قتل ببير معونة من القراء ثم نسخ كما وجد ذلك في بعض مقاطع
الاي اي فواصلها اذ كل فاصلة من اية وفقرة من نثر كما فية البيت من الشعر
مثل ان تعذبهم فانهم عبادك ممن عصاك وجحد اياتك وكذب انبياءك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على ثوابهم وعقابهم الحكيم الذي
اثابته وتعذيبه صواب فهذه قراءة الجمهور من القراء العشرة وثبتت في المصحف
مثل وانظر الى العظام اي عظام الحمار او عظام الموتى التي تعجب من احيائها كيف
ننشرها بالراء في قراءة ابي عمرو وغيره اي نحييها وننشزها بالزاي في قراءة نافع وغيره
اي نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفي مثل يقضي بالمعجمة في قراءة ابي عمرو
وغيره اي يقضي القضاء الحق في كل ما تقتضيه من تاخير وتعجيل ويقص بالمهملة في

فهمه لقوته

قراءة نافع وغيره اي يتبع الحق فيما يحكم به ويقدره وكل هذا اي ما ذكر من ابن ابي سرح
وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ان صح فانه لما ذكرناه توجيها لتصويبه
صلى الله عليه وسلم لا يوجب ريبا ولا يسبب له صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما
من وهم بالفتح الى الشيء اي ذهب وهمه اليه وقد قيل ان هذا اي قول ابن ابي سرح
لقريش بعد ردته كنت اصرف محمدا كيف اريد يحتمل ان يكون مما يكتبه عن النبي
صلى الله عليه وسلم الى الناس ملوكا وغيرهم غير القران فيصف الله اي ابن ابي
سرح بصفات يليق به كان يقول سميعا بصيرا بعد قوله صلى الله عليه وسلم الكتب
عليما حكيما ويسميه في ذلك الذي يكتبه عنه صلى الله عليه وسلم كيف شاء على نحو
ما مر فصل هذا القول المتلو عليك مع شرحه في الفصل قبل هذا انما ورد فيما
طريقه البلاغ والبيان من الاخبار التي لا مستند الى الاحكام المتعبد بها
ولا تعلق لها بها ولا مستند لها الى اخبار المعاد اي ما يعاد اليه يوم القيامة وقد
صلى الله عليه وسلم في دعائه واصلح لي اخرتي التي اليها معادي اي ما نعود اليه
يوم القيامة ولا يضاف الى وحي مصدر بمعنى مفعول اي الى موحى اليه
صلى الله عليه وسلم بل انتقال الى بيان ما لم يكن طريقه البلاغ من القول
في امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم فالذي يجب هو تنزيهه
صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك اي الذي طريقه البلاغ
بخلاف مخبره بفتح الباء اسم مفعول متعلق بيقع في موضع الحال من خبره
اي هو منزه من ان يصدر منه في شيء مما ذكر خبر بخلاف ما اخبر به لا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا لرفيع درجات مقامه صلى الله عليه وسلم عن ذلك
وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وسخطه بفتح المهملة والمعجمة
وبضم الاول وسكون الثاني اي كراهته وعدم رضاه وجده بكسر الجيم
من واد في لرزانته والتماسك ضد الهزل واللعب ومزحه وكان صلى الله
عليه يمزح ولا يقول الا حقا كقوله لامراة لا تدخل الجنة عجوز وصحته ومرضه
ودليل ذلك اي كون خبره لا يقع في شيء مما ذكر بخلاف مخبره اتفاق السلف
واجماعهم عليه اي على انه صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه شيء
بخلاف مخبره وذلك انا نعلم من دين الصحابة الذي دانهم به اي
امرهم به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم فاطاعوه واذعنوا له
خاضعين وقد وردانه صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وليس
المراد به ما كانوا عليه من الشرك بل كان على ما بقي من دين ابراهيم
صلى الله عليه وسلم من حج وارث ونكاح وغير ذلك من الاحكام او على دينهم
بمعنى عاداتهم من اخلاقهم الحميدة كالكرم والشجاعة والمروءة ومنه قوله

الاعشى يخاطبه صلى الله عليه وسلم يا سيد الناس وديان العرب اي قاهرهم
على انظاهر وغادرهم الدائمة على الجزء مبادرين حال من ضمير ما قبله اي مسارعين
الى تصديق جميع احواله صلى الله عليه وسلم والثقة مصدر وثق شيء اعلي بالا
فعله تحذف واو بجميع اخباره في اي باب كانت من ابوابها وعن اي شيء وقعت
لاجله وسببه ولم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها بل بمجرد سماعهم
ما يخبرهم به يجزمون به لا يثنيهم عن جزمهم به شيء ولا استثبات منهم
عن حالة من احواله في اخباره عند ذلك هل وقع فيها سهو ام لا لعلمهم بعصمته
صلى الله عليه وسلم في الاخبار وما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي فيما رواه
البخاري في حديث اجلاء يهود خيبر على عمر حين اجلاهم من خيبر باقرار متعلق
باحتج اي جعل اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حجة على عمر ليبقيهم
فيها واحتج عمر عليه بقوله صلى الله عليه وسلم له اي لابن ابي الحقيق كيف
بك اذا اخرجت يعني من خيبر فقال اليهودي يعني ابن ابي الحقيق كانت
اي مقالته صلى الله عليه وسلم له كيف بك اذا اخرجت هزيلة من ابي القاسم
تصغير هزله وهي المرة من الهزل ضد الجد بكسر الجيم فقال له عمر كذبت
يا عدو الله انما كذبه لنسبته صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به من الهزل
الذي هو اللعب من وادي الخفة والاضطراب فان اخباره واثاره صلى
الله عليه وسلم من بعده من اثاثه دين وتبليغ احكام وارشاد وغير ذلك
من اثاره الحسنة المستمرة الى ان يرث الله الارض ومن عليها وسيره الجميلة
الحميدة وشمائله اي صفاته الحسنة الذاتية معتنى اي مهتم ومشتغل بها في
مستقصى اي مستوفى فاتما تفاصيلها ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم في شيء
منها اي من اخباره واثاره وسيره وشمائله استدراكه صلى الله عليه وسلم
لغلط في قول قاله فيما ذكر من اخباره ونحوها او اعترافه في شيء اخبر به
ولو كان قد وقع منه شيء من ذلك لنقل كما نقل الينا ما رواه مسلم عن طلحة وانس
ورافع بن خديج من قصة رجوعه صلى الله عليه وسلم عما اشار به على الانصار
في تلقيح النخل اذ مر بهم وهم يلقحونها فسالهم عن ذلك فاخبروه فقال
لهم لا تفعلوا فتركوا فلم تثمر على العادة فقال لهم انتم اعرف بدنياكم ولا يقدح
ذلك في عصمته ولا توصيم عليه في شيء من ذلك اذ كان من امور الدنيا التي
لا تشترط في حق الانبياء العصمة من اعتقادهم بعضها على خلاف ما هي عليه ولا
من عدم معرفتهم ذلك البعض لتعلق هممهم بالاخرة واخبارها واوامر
الشرائع وقوانينها وغيرهم انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة
هم غافلون وكان ذلك اي قوله صلى الله عليه وسلم لهم لو لم تفعلوا منه

رايا لا خبرا ومن ثم قال انتم اعلم بدنياكم وغير ذلك من الامور التي ليست من
هذا الباب اي باب تنزيهه صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره بخلاف مخبره
مطلقا كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي موسى الاشعري
قال ارسلني اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اساله الحملان لغزوة
تبوك فقال والله لا احملكم وما عندي ما احملكم عليه ثم اتي صلى الله عليه وسلم
بذود غر الذرى فاعطاه اياها فقال تغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمينه
فرجع اليه فقال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم والله لا احلف على يمين الحلف هو
اليمين واصله العقد بالعزم والنية فغاير بين لفظيها تاكيدا لها وتلويحا بان
لغوها لا ينعقد فارى غيرها اي فعل غير المحلوف عليه اعني تركه صلى الله
عليه وسلم حملا لهم لانه سببها خيرا منها الا فعلت الذي حلفت عليه كتركه
حملا لهم وكفرت عن يميني وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ام سلمة
انكم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن اقتطعت له من حق
اخيه شيئا فكانما اقتطع له قطعة من النار وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الائمة الستة عن الزبير حين امره صلى الله عليه وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا
يستوعب ثم يرسل الماء الى جاره من الانصار فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك
فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر فاستوعب له حقه
بعد ان امره ان يسقي بدون استيعاب مما سنبين كل ما في هذا الذي
ذكرناه هنا في هذا الباب الذي نحن مع اشباهها اي امثالها في الباب
والتانيث باعتبار المعنى وايضا فان الكذب اي الافتراء عن عمد اخبارا
بخلاف الواقع متى عرف صدوره من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو
متعلق بعرف حال من ضمير على اي وجه كان استريب اي اتهم وادرهم
الشك فيه بخبره واتهم في حديثه قال ابو بكر نعم وعليك بالراء بين
الاحد روايات دالرايب منها اي بالصادق الخالص منها ودع المشتبه منها
فالاول من راب اللبن روب والثاني من رابه يريبه اي اوقعه في الشك ولم
يقع قوله في النفوس موقعا يقبله ويطمئن به ولهذا اي ولكون الكذب
يورث الريبة والتهمة في الخبر ما ترك المحدثون اي حفاظ حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم والعلماء من عطف العام على بعض افراده وما مزيدة لتاكيد
معنى الترك الحديث عمن عرف بالوهم من اوهم الشيء اذا تركه واسقط منه او
من وهم اليه بالفتح يهم وهما اذا ذهب وهمه اليه ووهم يوهم وهما
بالتحريك اذا غلط لكن الاول قول ابن عباس وهمت في تزويج ميمونة اي
ذهب وهمي اليه ومن الثاني حديث انه صلى الله عليه وسلم سجد للوهم جالسا

اي للسهو والغفلة اي الذهول عن الشيء وسوء الحفظ اذ قل ما يسلم صاحبه
من تغيير او زيادة او نقص وكثرة الغلط مع تقدمه اي مع كون من عرف بشيء
من ذلك ثقة فرفضوا التحديث عند حذرا من صدور شيء من ذلك عنه في
الحديث وايضا فان تعمد الكذب في امور الدنيا معصية توجب لذم عاجلا
والعقاب اجلا ان شا الله اذ هي الخروج عن طاعته تعالى والاخبار عمدا اي من
الكذب كبيرة باجماع من الايمة الاعلام كالشافعي ومالك من مجتهدي امة محمد
صلى الله عليه وسلم مسقط للمروة مع اخلاله بالعدالة بخروجه عن منهاج الصدق
وكل هذا مما لا يليق بكريم ذاته وتشريف جنابه ينزه عنه منصب النبوة لعظمه
واناقة محلها والمرة الواحدة مبتدا وصفة مولدة له منه اي من الكذب فيما
يستبشع ويشاع اي يرفع ذكر صاحبه بما يستقبح ويستكره مما يخل بصاحبه
ويزري بقايله اي يعيبه وينقصه ويحقره اي يجعله متصفا بها وفي الحديث
فهو احدر ان لا تزدروا نعمة الله من زريت عليه زراية اذا عتبه وازدريت
به ازدرا اذا قصرت به ولهذا وثب واصل تزدروا تزتروا وهو افتعلوا منه
قلبت تاوه دالا للمجاورة الزاي لاحقة خبر المبتدا بذلك اي بما ينزه عنه منصبه
واما فيما لا يقع هذا الموقع مما يستشنع ويستبشع فان عددناها اي ما لا
يقع ذلك الموقع واشدها عتبارا فراده معنى من الصغاير مما لا يترتب على فعله
حد فهل يجري على حكمها اي على حكم المرة الواحدة من الكذب في خلافه
قبل البعثة هل تصدر منه صغيرة ام لا كغيره من الانبيا مختلف فيه وقد ذكرته
في شرحي كتابي مقاصد المقاصد ومنظومتي درر القلايد والصواب تنزيه
النبوة عن قليله وكثيره مما يخل بمنصبه ويزري بعظيم قدره اذ عمدة النبوة
البلاغ الى المرسل اليهم والتبيين لما نزل اليهم وتصديق ما جاء به
مصدر مضاف الى مفعوله الثاني اي تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما جا
به وتجويز شيء من هذا اي الذي يخل بمنصب النبوة قادح في ذلك اي في العمدة
للنبوة التي هي الابلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به صلى الله عليه وسلم
وكان الاولى ان يقول وتجويز شيء من ذلك قادح في هذا لقربه ذكرا منه ولعله
اراد تحقير الاول في القرب بقرنه باسم الاشارة للقريب وتعظيم الثاني
ورفعته في البعد بقرنه باسم الاشارة للبعيد ويجوز ايضا مشكك فيه اي فيما
جاء به صلى الله عليه وسلم فتجويز ذلك او شيء منه منا قض للمعجزة من حيث انها
امر خارق للعادة لا تجري على يد مبطل فلنقطع عن يقين بانه اي الضمير للشان
بفسره خلف لا يجوز على الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم خلف في القول
بوجه من الوجوه لا بقصد ولا بغيره اي تعمد في ذلك وكرر حرف النفي لتاكيد

عند من يجوز الخلف عليهم مطلقا ولا تسامح مع من تسامح وتساهل في تجويز
ذلك الخلف عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ لعصمتهم من ذلك
ولنقطع عن يقين بانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة اي قبل اظهارها
ولا يجوز الاتسام اي الاتصاف به في امورهم واحوال دنياهم مما يتعلق
بخاصتهم وغيرهم من اممهم لان ذلك الكذب لو صدر عنهم كان يزري (بخاصتهم)
ويريب بهم اي يحقرهم ويوقع في الشك في نبوتهم والتهمة فيما جاوا به عن
الله وينفر القلوب عن تصديقهم بعد اي بعد ارسالهم بما امروا
بتبليغه وانظروا احوال عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم من
العرب والامم وسوالهم عن حاله اي عن حال نبينا صلى الله عليه وسلم في صدق
لسانه اي قوله الصدق وما عرفوا بتشديد الرا مبنيا للمفعول اي عرفت
قريش به من ذلك اي من صدق لسانه واعترفوا اي قريش وغيرهم من الامم
به حين سيلوا عنه مما عرف من كرم شيمه صلى الله عليه وسلم وباتفاق النقل
على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه اي مما لا يليق به من الكذب وغيره
اي قبل البعثة وبعدها فصل فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم
في حديث السهو من سهى في الشيء اي تركه عن غير علم واما السهو عنه فتركه
مع العلم به كما في الذين هم عن صلاتهم ساهون اي لاهون عنها تركا لعدم التعظيم
لها وبها لا تعتبر لها الذي رواه الشيخان واسنده هنا من طريق الترمذي ان
ابا هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين
اي بعد فراغه منهما ومن تشهدهما فقام ذو اليدين فقال يا رسول (تشهدهما)
الله اقصرت الصلاة روي بالبنا للمفعول وللفاعل فالاسناد على الثاني
مجازي اي انقصت ام نسيت فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا
لذي اليدين كل ذلك لم يكن اي لم يقع شيء مما اضيف اليه كل لعدم دخولها
في حيز النفي لتقدمها عليه وعدم وقوعها معمولة للفعل المنفي فالنفي على
شموله للقصر والنسيان معا وعمومه لهما نعو بالا على ما في ظنه صلى الله
عليه وسلم من ان شيا منهما لم يكن فجوابا هنا اريد به نفيهما معا لا نفي
الجمع بينهما وبنصه ما في الرواية الاخرى ما قصرت وما نسيت وفي الاخرى
لم انس ولم تقصر فاخبر اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين بنفي
الحالتين اي نفي القصر والنسيان معا لا نفي الجمع بينهما والحال انه قد كان
احد ذلك من الحالتين كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول
الله فلفهمه السلب الكلي من قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن ذكر في مقابلته
الايجاب الجزي المنافي للنفي عن الجميع لا للنفي عن المجموع فاعلم ان للعلما في ذلك

اي فيما وقع له صلى الله عليه وسلم من السهو اجوبة بعضها بصدد الانصاف لجريه
على موجب ما يليق بشرف جنابه صلى الله عليه وسلم ومنها اي من الاجوبة ما هو
بنية العسف والاعتساف غاير بينهما لفظا وماخذهما واحد للمبالغة بالتاكيد
والعسف في الاصل الاخذ على غير طريق ثم استعير لركوب الامر بدون روية
وتدبر ثم نقل الى الظلم والجور وفي الحديث لا تبلغ شفاعتي اماما عسوفا اي
جايرا ظلوما وها انا اقول مستبدا وجوزنا بتنبيه اما على القول بتجويز الوهم
والغلط من وهم اليه بالفتح يهم وهما اذا ذهب وهمه اليه او من وهم يوهم وهما
بالتحريك اذا غلط ومنه حديث انه سجد للوهم وهو جالس اي للغلط او من اوهمته
اذا اسقطته وتركته فيما ليس طريقه البلاغ مما لا يتعلق به حكم ولا اخبار بالمعاد
ولا وحي وهو الذي زيفناه من القولين اعتراض بين اما وجوابها للتنبيه على ما مر
من بيان ضعفه اي جعلناه زايفا فلا نعتد به لرداته فلا اعتراض على من يجوز
على الانبيا الوهم والغلط فيما ليس طريقه البلاغ بهذا الحديث اي حديث السهو
في صلاة العصر وشبهه مما ليس طريقه البلاغ لتجويزه ذلك فيه عليهم واما على
مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله لغيره من الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم جملة لا يعتريهما واحد منهما ويرى انه صلى الله عليه وسلم عامدا
لصورة النسيان لياتي به على وجه العمد ذاكرا لما تركه ليسن اي ليبين لنا
ما نحتاج الى فعله اذا عرض لنا سهو فهو صلى الله عليه وسلم صادق في خبره اي
في قوله لم انس ولم تقصر لانه صلى الله عليه وسلم لم ينس من تلك الصلاة شيئا
ولا قصرت ولكنه على هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه اي
غشيه واتاه به مثله وهو اي القول بتعمده صلى الله عليه وسلم والسهو ليسن
قول مرغوب عنه لضعفه وبعده عن ساحة الرضية واما على القول
لعصمته واحالة السهو عليه في الاقوال وتجويزه عليه فيما ليس طريقه القول
من الاعمال كسهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ففيه اجوبة منها انه صلى الله
عليه وسلم اخبر ذا اليدين عن اعتقاده وضميره بقوله كل ذلك لم يكن فلو تعمد
السهو لم يقل اما انكار القصر فحق وصدق لا شبهة فيه ولا مرية ظاهرا
وباطنا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم بما ثبت في نفسه من ظنه
اتمام الصلاة عن اعتقاده ظنا وكانه لم ينس في ظنه فكانه في اخباره بعدم
نسيانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به اي وان لم يقل لم انس
فيما اظن وهذا صدق وايضا لا تردد فيه ولا ريبة وجه ثان لم نذكره
لبعد مساقه عن المقام وما بعده ابعد منه فاعرضنا عنه وحاصل ما بعده
انكاره صلى الله عليه وسلم ان يقال نسيت ونفيه عن نفسه وعن غيره بقوله

وانه

لست انا الذي انسى ولكني انسى وقوله في حديث الشيخين عن ابن مسعود بئسما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي ولابن عبيد بئسما لاحدكم ان
يقول نسيت انه كيت وكيت ليس هو نسي وهو ابين من الاول والمختار انه بمعنى
ترك فلما قال ذو اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان هو
عليه في نفس الامر وانكر نسيانه هو صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه وانه لم
يكن منه وان جرى شيء منه فقد نسي من قبل الله تعالى اي حتى سال غيره بقوله احق
ما يقول ذو اليدين قالوا نعم فتحقق انه نسي اي انساه الله واجرى عليه ذلك
اي النسيان ليسن به اي ليبين لنا ما نفعله اذا نسينا شيا من عباداتنا ونقتدي
به فقوله صلى الله عليه وسلم هذا القول لم انس ولم تقصر وقوله كل ذلك صدق وحق
لان الصلاة لم تقصر كما في نفس الامر ولم ينس من قبل نفسه حقيقة ولكنه نسي
اي انساه الله تعالى نكرا هنه صلى الله عليه وسلم نسبة النسيان الى النفس انما هي
لاسناد الحوادث كلها الى الله اذ هو المقدر لها ولان اصل النسيان الترك فكره ان
يقال بالفرق بين السهو والنسيان وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يسهو ويتنبه
لما نسيه بادنى تنبيه ولا ينسى لاحتياجه الى تحصيل ما نسيه ولذلك نفى صلى الله
عليه وسلم عن نفسه النسيان لانه غفلة وافة تستولي على القلب حتى تصل غافلا
والسهو انما هو شغل يتنبه منه بادنى تنبيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو
في صلاته ولا يغفل عنها لنزاهته عن ان يستولي على قلبه ما يصير به غافلا عن
عبادته وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة اسم كان وخبرها ما قبله
ووضع الظاهر موضع المضمر اعتنا بشانه اي كان ما يغشاه من خشوع وتدبر
قراءة وقرة عينه فيها تشغله عن حركاتها شغلا بها وبما ادى اليه السهو عن عدد اركانها
لا غفلة عنها اذ لا تنسب اليه صلى الله عليه وسلم غفلة فهذا اي ما ذكر ان يحقق على
هذا المعنى الذي بيناه لم يكن في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت ولا نسيت خلف
في قول لعصمته من الخلف في اخباره الموجب عدم الوثوق به واما قصة ابراهيم
صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة لم يكذب ابراهيم
الا ثلاث كذبات في القران منها اثنتان في سورة الصافات فنظر نظرة في
النجوم فقال اني سقيم وفي سورة الانبيا قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون وقوله للملك عن زوجته سارة
حين اخذها وساله عنها انها اختي خشية ان يقتله لو قال زوجتي ولقد نجاها الله منه
بما عراه من الخزي فردها اليه واخدمها هاجر ام اسمعيل ابي العرب اشرف الكثرة.
فاعلم رحمك الله ان هذه اي كلمات ابراهيم صلى الله عليه وسلم كلها خارجة عن
الكذب لعصمته صلى الله عليه وسلم من الاتصاف به لا في القصد ولا في

غيره تأكيداً لما أفاده ما قبله من نفي الكذب عنه أي كلماته الثلاث داخلة في باب
المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب من تندحت الشيء إذا وسعته
وإنك لفي مندوحة ومنتدح أي سعة وفسحة عنه فالتام سلمة لعائشة قد
جمع ذلك فلا تندحيه أي توسعيه وتنشريه أرادت قوله تعالى وقرن
في بيوتكن ولا تبرجن وهذا من حديث أبي عبيد وغيره عن عمران بن حصين
يرفعه إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب جمع معراض ومعرض من التعريض
ضد التصريح من القول بما لعرفت ذلك في معراض كلامه ومعرضه أي أن
في التعريض بالقول من الاتساع ما يغني عن تعمد الكذب فهي في الحقيقة صدق
وعرض بها ليتوصل إلى غرضه من مكايدة قومه تبكيتاً لهم وإلزامهم الحجة
بما هو في ذات الله وقد مر لهذا مزيد بيان أما قوله فيما حكاه الله عنه
فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم فقال الحسن بن أبي الحسن البصري وغيره
معناه سأسقم أي إن كل مخلوق فهو سقيم من حيث إنه معرض له أي للسقم
فاعتذر لقومه تفادياً من الخروج معهم إذ أرسلوا إليه ملكهم إن غداً عيدنا
فاخرج معنا وقد أراد التخلف عنهم فنظر إلى نجم فقال إن هذا النجم ما طلع
قط إلا أسقم وإني مشارف للسقم وهو الطاعون لأنه كان أغلب أسقامهم
وكانوا يرهبون العدوى فتفرقوا عنه إلى عيدهم وقيل بل عرض لهم وورى
أن من كان هدفاً للمنايا فهو سقيم بما قدر عليه من الموت كما روي أن رجلاً
مات فجأة فقيل مات وهو صحيح فقال الأعرابي أصحيح من في عنقه الموت وقيل
سقيم القلب مما أشاهد من كفركم وعنادكم حيرة وميلاً عن القصد وبطر
الحق وقيل سقيم إذ كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم
له أو لم فلما رآه اعتذر لهم عن الخروج معهم لعيدهم لعادته التي تعتريه
عند طلوعه وكل هذا أي ما ذكر من الأجوبة ليس فيه كذب بل هو خبر
صحيح هو صدق وقيل بل عرض في قوله مما يكون قائله صادقاً من جهته وكاذباً
من جهة ظن السامع فتعريضه بقوله إنما كان أسقم حجته عليهم وضعف
ما أراد بيانه لهم من جهة النجوم إذ عمدة الناظرين فيها التخمين وهو في البيان
لا يجدي نفعاً التي كانوا يشتغلون بها تعظيماً لها وأنه أي إبراهيم صلى الله
عليه وسلم كان أثناء نظره وقيل استقامة حجته عليهم في حال سقم
ومرض فجعل سقم حجته وضعفها لعدم اعتنائه بها شيئاً سقماً له مجازاً مع
أنه صلى الله عليه وسلم لم يشك ولا ضعف إيمانه لقوة يقينه ولكنه ضعف
باستدلاله عليهم تبكيتاً لهم وزجراً عن عبادة الأوثان والنجوم وسقم
نظره فلم يظهر له ما تقيم به الحجة عليهم حتى ألهمه الله أي التي في نفسه ن

باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله مما مر
آنفاً من كلامه لتقديم مما حج به قومه من دلائل الربوبية والتوحيد ونفي
الشركاء بعد أن حاجوه فيها منكرين لها وخوفوه أن تصيبه معبوداتهم بسوء
فنصره الله فألزمهم الحجة وألقمهم الحجر وما نصه الله معمول له ووضع الظاهر
موضع المضمر اعتناء لكمال العناية باسمه تعالى وقد منا بيانه مع مزيد إيضاح
وأما قوله بل فعله كبيرهم هذا فلو جرى بشرط نطقه أي جعل قوله فعله كبيرهم
هذا مشروطاً بنطقه معلقاً له به كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله مع علمه
بأنه لا ينطق فهو على طريقة التبكيت أي التوبيخ والتقريع لقومه استهزاء بهم
وتجهيلاً لهم باعتقادهم في كواكب وحجارة لا تضر ولا تنفع وتعظيمهم لها
وعبادتهم إياها أو هذا أي قوله كبيرهم صدق لأنه من معاريض الكلام الذي فيه
مندوحة عن الكذب ولا خلف فيه إذ كان قصده بنسبة فعله الصادر منه
من الكسر إلى كبيرهم استهزاءهم وتجهيلاً له إثباته لنفسه على وجه تعريضي أي
ورى بإثباته لكبيرهم عن إثباته لنفسه ليبلغ فيه غرضه من إلزامهم الحجة ليرجعوا
حاق الحجة فيعلموا أن ما ينحتون لا يقدر على كسر شيء فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم
أنتم الظالمون حقيقة لا إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ جعلتموه ظالماً بقولكم من فعل
هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ثم نكسوا عن تلك الحالة الصالحة برجوعهم إلى
أنفسهم أي انقلبوا عنها وطفقوا يجادلونه بالباطل والمكابرة بمضارته له
وقلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلاً وانكساراً وأخزاهم إلا أنما نطقتهم
به فما أحاروا جواباً وأما قوله أي إبراهيم صلى الله عليه وسلم للجبار الذي أخذ زوجته
هذه أختي معرضاً بأنها أخته في الإسلام حذراً من أن يوقع به سوءاً فقد جاء في
الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة لم يكذب إبراهيم فذكر وفيه
إنك أختي في الإسلام فذكره وهو صدق والله تعالى يقول إنما المؤمنون
إخوة أي ليسوا إلا إخوة خلصاً متمحضين لها قد زالت عنهم أصار الأجنبية وأولى
لطف حالهم تمازجاً واتحاداً أن يقدموا على ما يرهقهم من تباغض وتقاطع
وتدابر ورضي شرف شأنهم بما يزيح ذلك من تقوى الله مما يقود إلى الائتلاف
والتواصل والتساعد إلى إزالة ما يفرط فتغشيهم رحمة الله وعمتهم رأفته فإن قلت
أيها السائل عما لا يباح شرعاً قد سماها صلى الله عليه وسلم كذبات قال لم يكذب
إبراهيم صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث كذبات وقال في حديث الشيخين عن أبي
هريرة في الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه أي معنى وصفها بكونها كذبات أنه لم
يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان في نفس الأمر حقاً في الباطن
إلا هذه الكلمات الثلاث إني سقيم وفعله كبيرهم هذا وهذه أختي ولما كان مفهوم

ظاهرها اي كلماتها الثلاث كذبا خلاف باطنها صدقا أشفق ابراهيم صلى الله عليه وسلم
من مواخذته بها من الاشفاق يقال اشفق اشفاقا وهي اللغة الغالبة وحكى ابن
دريد شفقت اشفق شفقا اي خاف ان يحبس في جائزيها ويعاقب عليها وعن عتيبة بن
بفتح اوله اتينا الحسن فازدحمنا على مدرجة ربة فقال احسنوا املاكم ايها المرؤون وما
على البنا شفقا ولكن عليكم انتصب شفقا بفعل مضمر اي وما شفقت على البنا شفقا
ولكن عليكم واما الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اراد غزوة ورى بغيرها عنها مريدا لها واصله من الورا اي البيان ورا ظهره كقول
ابراهيم في حديث الشفاعة اني كنت خليلا من ورا ورا مبنيا على الفتح اي من خلف حجاب فليس
فيه خلف في القول انما هو تورية تلك قد ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره منه
واهبته للنصرة عليه وقد كتم وجه ذاته اي جهة مقصده بذكر السوال منه صلى الله عليه
وسلم عن موضع اخر غير مقصده وبذكر البحث عن اخباره اي اخبار الموضع الاخر وما تعلق
به والتعريض منه صلى الله عليه وسلم بذلك ايما الى انه يريد ما يريد اذ قد ورد استعينوا
على قضا حوائجكم بالكتمان لا انه يقول لاصحابه تجهزوا الى غزوة كذا ويقول لهم وجهتنا
الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا اي قوله لا انه الى اخره لم يكن في له لم فالاول اي سواله
صلى الله عليه وسلم عن الموضع هو غير مقصده ليس فيه خبر يدخله الخلف لانه تعريض
وايما له لمقصده عن غرضه وتورية بشيء عن شيء فان قلت ايها السائل عما ينبغي ان يرد
فيه العلم الى الله فما معنى قول موسى صلى الله عليه وسلم وقد سئل الواو للحال من موسى اي الناس
اعلم فقال انا اعلم ولم يقل الله اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ قال انا اعلم ولم يرد العلم اليه
تبارك وتعالى الحديث رواه الشيخان عن ابي بن كعب مطولا وفيه قال اي الله تعالى بل وفي رواية
بلى عبد لنا بمجمع البحرين هو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق اعلم منك ظاهره انه
اعلم من موسى مطلقا وليس مرادا لقوله في الحديث يا موسى اني على علم علمنيه الله لا تعلمه
وانت على علم علمكه الله لا اعلمه وهذا اي قول موسى صلى الله عليه وسلم انا اعلم اخبر قد انبا الله
انه ليس كذلك فاعلم ما القي عليك جوابا لما زعمته من ان قوله صلى الله عليه وسلم انا اعلم الناس
ليس كما قال انه قد وقع في بعض طرق هذا الحديث الصحيح المروي عن ابن عباس هل تعلم
احدا اي من الناس شبهة رده قوله اي الناس اعلم منك فاذا كان جوابه لسائله عن اي الناس
اعلم قوله انا اعلم على ما غلب عنده من علمه انه لا يعلم احدا اعلم منه فهو اي قوله انا اعلم خبر حق
صدق لا خلف فيه ولا شبهة مولدات لكونه خبرا صدقا وعلى الطريق الاخر المروي
عن ابي بن كعب انما رانا فمحمله على غلبة ظنه بحيث لا يخطر معه نقيض وعلى معتقده
انه اعلم كما لو صرح به اي بظنه ومعتقده كان تقول انا اعلم فيما اظن واعتقد لان
حاله صلى الله عليه وسلم في النبوة يقتضي ذلك اي كونه اعلم الناس فيكون اخباره
بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه بضم اوله اي ظنه صدقا لا يرهق من بعد شك

فيه اذ لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم ما تقتضيه وظائف النبوة من نبا
لمفعوله انا اعلم علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة اي شريعة
امته وسياستها ويكون الخضر اعلم منه اي موسى بامور اخر مما لا يعلمه احد الا
باعلام الله تعالى له اياها من علوم غيبية كالقصص المذكورة في كثير من السور
سورة الكهف من قصة السفينة والغلام والجدار الواردة في خبرهما
فكان موسى صلى الله عليه وسلم اعلم الناس مطلقا على الجملة عموما بما تقدم من
علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة وهذا اي الخضر على الخصوص
بما اعلم من علوم الغيب التي استاثر الله بعلمها لا يطلع عليها الا من ارتضى
ويدل عليه اي على ان ما اعلمه خاص قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما مما اختص به
من لا نعلم بطريق الا الالهام وعتب الله عليه ذلك اي قوله اذ سئل اي الناس اعلم
انا اعلم انكارا هذا القول عليه لانه كما في حديثه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة
لربها اذ امرها ان تنباه باسما المسميات لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه تبارك وتعالى
لم يرض قوله اي قول موسى صلى الله عليه وسلم انا اعلم شرعا وذلك اي عدم رضاه تعالى
لقوله انا اعلم شرعا والله اعلم من رد العلم اليه تعالى فيما ارتضاه جوابا لئلا يقتدي به
فيه من لا يبلغ كماله اي كمال موسى صلى الله عليه وسلم في تزكية نفسه وعلو درجته من
امته متعلق بيقتدي حال من ضمير يبلغ فيهلك من يقتدي به من امته في قوله انا
اعلم لما تضمنه اي انا اعلم من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك القول اي انا اعلم
من الكبر والعجب والتعاطي من عطاه يعطوه اذا اجترأ عليه فاخذه والدعوى الباطلة
اي فلا يورثه اقتداوه به في قوله انا اعلم ما ذكر من الرذايل وان نزه عن هذه الرذايل
الكبر والعجب والتعاطي والدعوى الانبيا لشرف مقاماتهم ورفيع درجاتهم وان
تفاوتت فغيرهم بمدرجة سبيلها واحد المدارج اعني الطرق وهي المواضع
التي يدرج اي يمشي فيها ويسيل فيها الما اي هو بموضع تلك الرذايل المشبهة
بالسيل المضاف هنا اليها على طريقة التشبيه المؤكد اي لاهلاكها من اتصف بها
كالسيل المغرق المحتاج لمسامرته وبمدرجة درك الثلها تسكونا لها اي ادراكه المشبهة
به كذلك الا من عصمه الله من الاوصاف بها فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى
به في التحفظ منها للسلامة من التردي في وهدة دونها كبها ولهذا اي ولكون التحفظ اولى
له ولاجل ان يقتدى به قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا انا
سيد ولد ادم ثم نبه على انه لم يقل ذلك عجبا وافتخارا بقوله ولا فخر اي اصبح به عظما
وكبرا وشرفا بل قلته شكرا لله وتحدثا بنعمه علي وهذا الحديث سئل موسى اي الناس
اعلم احد حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه انا اعلم من النبي ولا يلزم من قوله انا
اعلم من موسى ان يكون اعلم منه مطلقا بل يكون خاص من علم الغيب بطريق الالهام

موسى دون علمه انت على علم
علمكه الله لا اعلمه وانا على علم
من علم علمنيه الله لا تعلمه ولا يكون الكل
اعلم صح

فلا اعلمه له عنده بشهادة قوله وانا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه واما نبوته
فالله اعلم حيث يجعل نبوته واما الانبيا فيتفاضلون في المعارف مما عرفهم الله
وفي الدرجات ايضا بشهادة ورفع بعضهم فوق بعض درجات ولقوله اي
الخضر كما حكاه الله عنه وما فعلته من الامور البلاية عن امري اي عن رايي واجتهاد
بل بامر الله فدل كونه لم يفعلها عن راي واجتهاد انه فعلها بوحي بواسطة ملك او الهام
ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان فعله للامور البلاية بامر نبي اخر كان في زمانه
وهذا القول يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى صلى الله عليه وسلم نبي غيره
الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيا انه كان في زمن موسى
من نبي غير اخيه هارون يعول ويعتمد عليه من ان فعله لها بامر نبي كان في زمنه غير
موسى واخيه واذا جعلنا قول السايل لموسى هل تعلم احدا اعلم منك ليس على العموم وانما
هو على الخصوص وفي قضايا مخصوصة كالتي في سورة الكهف لم نحتج الى اثبات
نبوة خضر ولهذا اي ولاجل ان علم الخضر كان خاصا بقضايا معينة قال بعض الشيوخ
كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ اي موسى من العلوم عن الله والخضر اعلم من موسى
فيما دفع اليه من جهة موسى اذ كان سببا في ايصاله اليه لا للتعلم من الخضر لانه اي موسى
صلى الله عليه وسلم كان اكمل اهل زمانه علما وعملا فصل واما ما تعلق بالجوارح من الاعمال
لصدورها عنها من حيث انها مواردها ولا يخرج من جملتها اي من جملة الاعمال القول
باللسان فيما عدا الخبر بقسميه الذي سبيله البلاغ الذي ليس سبيله البلاغ الذي
وقع الكلام فيه فيما تلي عليك ولا يخرج من جملتها ايضا الاعتقاد بالقلب لانه من عمله
فيما عدا التوحيد والايمان والوحي مما عقدت عليه قلوب الانبيا وما قدمناه من
معارفها المختصة به اي بالقلب فانها لا تخرج من جملتها لانها من اعماله فاجمع المسلمون
على عصمة الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من الفواحش جمع فاحشة
وهي كلما اشتد قبحه من المعاصي والذنوب وكثيرا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا
وكل خصلة قبيحة من الاقوال والافعال فاحشة وفي الحديث ان الله يبغض الفاحش
المتفحش هو من يتكلف الفحش في كلامه وافعاله والكباير الموبقات اي المهلكات
واحدتها كبيرة وهي افعال القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا لعظيم
العظيم خطرها من الصفات الغالبة ومستند الجمهور في ذلك اي في قولهم
بعصمتهم الاجماع الذي ذكرناه من المسلمين وهو مذهب القاضي ابي بكر
بن الطيب الباقلاني المالكي ومنعها اي منع عصمتهم غيره اي غير القاضي بدليل
العقل على منع عصمتهم لعدم احالته ما هو ممكن في نفسه مع قيام الاجماع
عليها كما مر وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني الشافعي
لتسوف جانبهم عن ان يصدر عنهم شي مما ذكر وكذلك اي وكما انهم معصومون

من ذلك الخصم معصومون من كتمان الرسالة عمن ارسلوا اليهم ومعصومون من
التقصير في التبليغ لما ارسلوا به الى من ارسلوا اليهم لان ذلك اي الكتمان
والتقصير تقتضي العصمة منه المعجزة فاعل تقتضي والعصمة مفعوله اي تدل
المعجزة مع قيام الاجماع على ذلك اي على عصمتهم من قبل الله باختيارهم ونسبهم
بمعنى انه تعالى لم يخلق فيهم ذنبا على ذلك من كافة من العلما لم يحك الخلاف فيه الا النجار
من المعتزلة فانه قال لا قدرة لهم على المعاصي واما الصغاير جمع صغيرة وهي هناة
لم يتفرد لها حد يجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم كامام الحرمين منا وابي هاشم من المعتزلة فقد جوزوا عليهم الصغاير غير
المنفرة وهو اي تجويز ذلك عليهم مذهب ابي جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره من
الفقها والمحدثين والمتكلمين اي بعض من كل وذهبت طايفة اخرى من العلما
الى الوقف عن القول بجواز او عدم وقالوا العقل لا يحيل وقوعها اي وقوع الصغاير
منهم ولم يات في الشرع لنا من الشارع قاطع باحد الوجهين من جواز او عدم وقالوا
العقل لا يحيل وقوعها اي وقوع الصغاير منهم ولم يات في الشرع لنا من الشارع قا طع
باحد الوجهين من جواز او عدم وذهبت طايفة من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغاير اذ منهم من قال هي كل ما لم وهو الاليق بكريم جنابهم وشريف صفاتهم
كعصمتهم من الكباير قالوا لاختلاف الناس في تعريف الصغاير اذ منهم من قال هي
كل ما لم يتوعد الله عليه بحد ومنهم من قال هي امر نسبي الى ما فوق وتحت ومنهم
من توقف في تعيينها وتمييزها عن الكباير وقول ابن عباس كما رواه ابن جرير عنه كل ما عصي
فهو كبيرة لخروجه به عن طاعة الله في الجملة وانما سمي الصغير منها بالاضافة والنسبة
الى ما هو اكبر فهو باعتبار ما فوقه صغير وما تحته كبير ومخالفة الباري تعالى من برى
الخلق اي اوجدهم لا على مثال ويميز بعضا عن بعض شكلا مخالفة في اي امر كان
من انواع المعاصي يجب كونه كبيرة لفرط مخالفته تعالى في العظمة بعدم اجتناب
منهياته وما قدروا الله حق قدره قال القاضي محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي ابوم
لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة فهي عنده باعتبار ترك اجتنابها بالنهي عنها
كلها كباير ولا تسمى صغيرة الا على معنى انها تغفر باجتناب الكباير مما فوقها او اكبر
منها ولا يكون لها في المواخذة بها حكم مع ذلك اي مع مغفرة الله لها بمجرد اجتناب
ما هو فوقها واكبر منها بخلاف الكباير اذا لم يتب منها فعليها فلا يحبطها شي
لعدم ما تغفر هي باجتنابه والحق ان الصغيرة لا تغفر بمجرد اجتناب الكباير
لشمول ادلة الوعيد النوعين كباير وصغاير كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
وكل صغير وكبير مستطر اي مكتتب في اللوح المحفوظ والكتابة والاحصا انما

يكونان للسؤال والمجازاة وما ورد ظاهره مقتضيا غفرانها بمجرد الاجتناب فلا
يفيد الجزم بوقوعه بل يفيد جوازه ومجرد جوازه لا يمنع ظن العقاب اذا لعمومات
الواردة في الوعيد تهديدا مؤذنة بترجح جانب وقوع عقاب كل ات بكبيرة او
صغيرة ويستثنى من زعم انها تغفر بمجرد الاجتناب بقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم بيرده وعد تعالى المغفرة لما دون الشرك
مقرونة بمشيئته تعالى وقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات مؤذنة بانها
تذهبها كبائر كانت او صغائر لان لفظ السيئات يشملها **والمشيئة في الغفران**
عنها كبائر وصغائر وفي العقاب عليها **الى الله تعالى** ان شاء عفى وان شاء عاقب **وهو**
ما ذهبوا اليه من عصمة الانبياء من النوعين **قول القاضي ابي بكر** بن الطيب الباقلاني
وجماعة ائمة الاشعرية من عطف العام على بعض افراده اذ هو من اكابرهم
وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا يعني المالكية **ولا يجب على القولين**
اي قولي العصمة وعدمها عقلا **ان يختلف في انهم معصومون من تكرار**
الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك اي تكرارها وكثرتها **بالكبائر** المختلف في عصمتهم
منها **ولا يجب** ايضا ان يختلف **في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة** اي الاستحيا والانقباض
وعن علي في السارق اني لاحتشم ان لا اترك له يدا اي استحيي وانقبض ويقال هو
يحتشم المحارم تفاديا من ان ينالها منه مكروه **واسقطت المروة واوجبت الازدرا**
من زريت عليه اذا عبته وازدريت به ازرا وازدرا اذا قصرت به وتهاونت اي ازالة
الاستحيا اي الانقباض والعيب **والخساسه** اي الدناءة والحالة التي يكون عليها
الخسيس يقال رفعت من خساسته وخسيسته اذا فعلت به فعلا يكون به قدره رفعته
وقالت فتاة لعايشة ان ابي زوجني من ابن اخيه ليرفع بي خسيسته **فهذا** اي النوع
من الصغاير **ايضا مما يعصم منه الانبيا اجماعا** لتراهتهم عما لا يليق بهم وتكريما
لذواتهم **لان مثله يحط منصب المتسم** اي الموصوف **به ويزري بصاحبه**
اي يحقره وينقصه **وينفر القلوب عنه والانبيا** صلوات الله وسلامه عليهم **منزهون**
عن ذلك اي مبعدون عما لا يليق برفيع منصبهم من النقايص **بل يلحق بهذا** اي بما
ينزهون عنه **ما كان من قبيل المباح** الذي لا تبعة على فاعله **فادى الى مثله** اي
الى مثل ما ينزهون عنه **لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر** اي الحرام لمنعه من
قربان المحظور وفي الحديث قالت امراة يا نبي الله ادع الله لي فلقد دفنت ثلاثة فقال
لقد احتظرت بحظار شديد من النار احتميت بحمى عظيم منها يقيك حرها **وذهب**
بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه اي فعله **قصدا** وان كان جائزا حذرا
من ان يؤدي الى مواقعة ما حظره كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه وفي
رواية يوشك ان يرتع فيه **واستدل بعضهم على عصمتهم من الصغاير بالمصير**

مواقعة ما حظره

الى امتثال طاعتهم والانقياد الى الاقتداء بهم في **افعالهم واتباع اثارهم** الحسنة
المخلفة عنهم مما يهدي للتي هي اقوم **وسيرهم** الجميلة مما يوثر عنهم من مناقبهم
الكريمة **مطلقا** اي سوا كان اتباعهم في افعالهم وسيرهم مما هو من الامور الدينية
ام من غيرها علم انها مقصد بها القربة ام لا **وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب**
ابي عبد الله **مالك** هو الامام وناصر السنة محمد بن ادريس **الشافعي وابي حنيفة من**
غير التزام قرينة تؤذن باتباعهم من وجوب او ندب **وحكى ابن خويز منداذ** بمعجمة
مضمومة فواو مفتوحة فيا ساكنة فمعجمة فميم مفتوحة فنون ساكنة فمعجمتين
بينهما الف **وابو الفرج عن مالك التزام ذلك** اي التزام اتباعهم **وجوبا وهو قول**
الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا من المالكية **وقول اهل العراق** وابي العباس احمد
ابن سريج وشيخه **الاصطخري** وابي علي **بن خيران من الشافعية واكثرهم**
اي الشافعية **على ذلك** اي التزام اتباعهم **ندب وذهبت طايفة** الى ان اتباعهم في
ذلك من **الاباحة وقيد بعضهم الاتباع** لهم صلوات الله وسلامه عليهم **فيما**
ذكر بما اذا **كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة** الى الله زلفى
ومن قال بالاباحة في افعاله اي النبي صلى الله عليه وسلم **لم يقيد اتباعهم** في
ذلك بوجوب ولا ندب ولا اباحة **قال فلو جوزنا عليهم الصغاير لم يكن**
الاقتدا بهم صلوات الله وسلامه عليهم **في افعالهم** لعدم علمنا بمقاصدهم بها
اذ ليس كل فعل من افعاله كغيره منهم **يتميز به مقصده** الذي قصده اهو
من القربة واجبا او مندوبا **او من الاباحة** مما لا يترتب بفعله مدح ولا ذم ولا
ثواب ولا عقاب **او من الحظر** حراما او مكروها وخلاف الاولى **ولا يصح** على تقدير
جواز الصغاير عليهم **ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما** اداة
استثنا مركبة من سي وما ثم ان جعلت موصولة رفع ما بعدها خبر مبتدا اضمر
بعدها يقال اكرمني القوم سيما اخوك اي سي الذي هو اخوك او نابتة جرما بعدها
على انها بمعنى مثل يقال اكرمتهم سيما اخيك اي ولا مثل اخيك وقد روي بوجهين
قول امرء القيس ولا سيما يوم بدارة جلجل مرفوعا ومجرورا **عند من يرى من**
الاصوليين تقديم الفعل على القول اذا تعارضا وجهل المتاخر منهما لدلالته
على الجواز المستمر مع كونه اقوى في البيان من حيث انه يبين به هذا ودعوى
عدم امكان الاقتدا بهم لعدم تمييز مقصدهم من القربة بكل فعل من افعالهم من
تجويز الصغاير عليهم ممنوع بل هو ممكن مع تجويزها عليهم لعصمتهم من ان
يامروا بما لا يجوز او يكره او يقروا عليه او يتركوا بيان ما امروا به فيجوز بل يجب
الاقتدا بهم في جميع افعالهم وان لم يتميز بها قصدت القربة **ونزيد هذا حجة**
تزيل شبهة من عدم عدم امكان الاقتدا بهم لعدم ما ذكر مع تجويزها **بان نقول**

من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا بل عن جميع الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل لعصمتهم من ذلك وانه متى
راى منكرا شيئا من ذلك يفعله احد فسكت عنه ولم ينكره على فاعله دلت
سكوته عنه على جوازه ابدا اذا بسكوته عنه انه راض به فكيف يكون هذا اي
عدم اقراره وسكوته على منكر قولا وفعلا لا يكون حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه
في نفسه هذا خلف انكر وجوده بانكار حاله التي ترد عليها بطريق الكناية كما مر في
نظاير على وجه برهاني للزوم انكار وجوده لانكار حاله وعلى هذا المأخذ الذي
يصار الى امتثال اقواله وافعاله واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا بواسطة
اجماع من جوز الصغاير ومن نفاها عن نبينا على انه لا يقر على منكر وعلى انه متى راى
شيا فسكت عنه دل على جوازه تجب عصمتهم من مواقعة المكروه تفاديا من ان
تقتدي بهم في شي يمكن ان يكون مكروها على تقدير وقوعه منه كما قيل اذ الحظر او الندب
على الاقتدا بفعله اي نبينا صلى الله عليه وسلم ينافي الزجر والنهي عن فعل
المكروه لعدم الاذن فيه بخلاف الندب وايضا يقال العود على بدا لما تكان
لعصمة نبينا صلى الله عليه وسلم فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتدا بافعاله
اي نبينا صلى الله عليه وسلم كيف توجهت اي كل فعل من افعاله صلى الله عليه وسلم
واعلم من دينهم الاقتدا به في كل فن من فنون اي انواع ما امر بايلاف
من ارسل اليه عليه كالاقتدا باقواله فقد كان صلى الله عليه وسلم كما رواه
الشيخان عن ابن عمر اتخذ له خاتما من ذهب ثم نبذه اي طرحه فاتخذوا وابه
ونبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه صلى الله عليه وسلم من يومهم كما كان له
وخلعوا نعالهم كما رواه احمد وابو داود حين خلع نعليه ولفظ الحاكم عن ابي سعيد
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم واحتجاجهم
لجواز محاذاة الكعبة حال قضا الحاجة استقبالا واستدبارا برؤية ابن عمر اياه
اي حديث الشيخين عنه قال رقيت يوما على بيت حفصة فرايت النبي صلى الله عليه
وسلم لقضا حاجته مستقبلا بيت المقدس مع نهيه صلى الله عليه وسلم عنه
في حديث الشيخين عن ابي ايوب اذا اتيتم الغايط فلا تستقبلوا القبلة ولا
تستدبروها ببول ولا غايط ولكن شرقوا او غربوا فجمع بينهما امامنا ابو عبد
الله محمد بن ادريس الشافعي بحمل رواية ابن عمر المفيدة لجواز المحاذاة على قضا الحاجة في
البنيان اذ قد يشق فيه اجتنابها ورواية ابي ايوب المفيدة لتحريمها على قضا الحاجة
في الفضا لعدم المشقة فيه واحتج لجواز الاقتدا بفعله صلى الله عليه وسلم غير واحد
بل كثيرون منهم اي من الصحابة في غير شي واحد في اشيا كثيرة مما بابه العبادة
او العادة بقوله اي تبوا لغيره او احد من الصحابة كالشي فيما رواه الشيخان انه قدم

320

من سفر فري على الحمار يصلي لغير القبلة يومي فقيل له فقال رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفعله وابن عمر سئل عن اشيا فعلها فقال رايته صلى الله عليه وسلم
فعله اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الموطا عن عطا بن يسار ان رجلا قبل
امراته وهو صايم فوجد من ذلك وجدا شديدا فارسل امراته تسال عن ذلك فدخلت
على ام سلمة فذكرت لها ذلك فاخبرتها ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل
وهو صايم فاخبرت زوجها فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل الله لرسو ل
الله ما يشا فرجعت امراته الى ام سلمة فوجدت عندها النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما بال هذه المراة فاخبرته ام سلمة فقال هلا اخبرتيها اني افعل وانا صايم فقالت
قد اخبرتها فذهبت الى زوجها فاخبرته فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يحل الله لرسول الله ما يشا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اني لاتقاكم لله واعلمكم بحدوده وقالت عايشة محتجة لجواز تقبيله وهو صايم
كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا اعلم من رواه وغضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث الموطا على من اخبر عنه اي النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل هذا اي تقبيله وهو صايم فقال يحل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
ما يشا فقال كما مر عنه في حديث الموطا اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده اي
بحارمه ما منع منه فلا تقربوا كالفواحش المحرمة المؤذنة بها تلك حدود الله فلا
تقربوها وما منع منه فلا تتعدى كسهام المواريث المعينة وتزوج الاربع المؤذنة بها
تلك حدود الله فلا تقربوها تعتدوها وعن ابي العالية اللهم ما بين حد الدنيا وحد
الاخرة اي ما بين ما يجب به الحد في الدنيا كشرب الخمر والزنا والسرقة والقذف
وبين ما اوعد الله عليه العقاب في الاخرة والاثار في هذا اي فيما ذكر من اقتدا
الصحابة بافعاله صلى الله عليه وسلم اعظم من ان نحيط عليها وبضبطها
علم لكن يعلم قطعا من مجموعها اي مجموع الاثار اتباعهم افعاله واقتداؤهم
بها اي بافعاله صلى الله عليه وسلم ولو جوزوا عليه المخالفة في شي منها اي من
افعاله بجوز احتمال معه ان تخللها صغاير لما اتسق هذا اي لم يكن على وتيرة وا حرح
واحد متواليا بلا تخلل صغيرة فيه ولنقل عنهم البنا لو بحثوا عنه ظهر بحث لما
انكر صلى الله عليه وسلم على الاخر قوله يحل الله لرسوله ما يشا واما المباحات
فجايز وقوعها منهم صلى الله عليه وسلم عليهم اذ ليس فيها قدح عليهم بما لا يليق
بهم بل هي ماذون فيها مستوية فعلا وتركا وايديهم كايدي غيرهم من الناس
مسلطة عليها بالاقدام على فعلها الا انهم بكرمهم عند الله بما خصوا به من رفيع
المنزلة وشرف المكرمة وبما شرحت له صدورهم من انواع المعرفة الكاملة
والخصوصية بما اصطفوا به من تعلق همهم جمع همة منهم بالامر غير مهم عليه بالله والدا ر

الاخرة لا ياخذون اي لانبيا ولون من المباحات الا الضرورات التي لا منه وحة لهم عن تنا ولها مما يتقوون استعانة به على سلوك طريقهم من تبليغ الاحكام وبيان ما ينفع معاشا و معادا وصلاح دينهم وضرورة دنياهم مما لابد منه ولا محيص عنه وما آخذ على هذه السبيل من الضرورات لتقويهم على ما ذكرا لتحق طاعة ه نصبه بنزع خافضه من الحق المتعدي فصار لازما بدخول التانيه وصار الماخوذ على ذلك السبيل قربة مما يتقرب به الى الله طلبا للتقرب منه كما بينا فبان لك وظهر مما ذكرنا عظم فضل الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبان فضل الله تعالى ايضا على سائر انبيائه عليهم الصلاة والسلام بان جعل افعالهم قربات يتقربون بها اليه زلفى وجعلها طاعات بعيدة عن وجه المخالفة اي جهتها التي تواجه او لا تشبيها لها بذي وجه على طريقة الاستعارة المكنية باثباتنا لوجه لها تخييلا وبعيدة عن رسم المعصية اي علامتها اذ الرسم العلامة تشبيها لها بذي علامة كذلك قال ابو تمام
زعمت هواك عفا الغداة كما عفا منها طلال باللوا ودر
فصل اختلف في عصمتهم اي الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من المعاصي قبل النبوة بارسالهم فمنعها قوم وجوزها اخرون من العلما والصحيح ان شا الله تبارك وتعالى قدم المشية امتثالا لامره تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على امر ان يقدمها وهي هنا اعتراض بين المبتدا وخبره تنزيههم من كل عيب فعصمتهم لبعد ساحة شرفهم عنه وعصمتهم من كل ما يوجب الريب اي الشك في افعالهم واقوالهم فكيف تجب والحال ان اثبات الخلاف في عصمتهم باي حالة اي ثبت والمنشا له اي والحال انها مع ثبوته تصورها كالممتنع حصوله في الذهن فان المعاصي والنواهي الزاجرة عنها انما تكون المواخذ بها لكنه غيرها ممن ارسل بعد تقرر الشرع الذي ارسل به لا قبل تقرره فلا عبرة بثابت الخلاف قبله هذا والذي ادين الله به الجزم بعصمتهم مطلقا وقد اختلف في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل العلم بانه رسول الله وقبل ان يوحى اليه هل كان متبعا في عبادته ربه لشرع من شرايع الانبيا قبله ام لا فقالت جماعة لم يكن متبعا للنبي من شرايعهم فالمعاصي على هذا القول غير موجودة لا تنفا الاعمال التي يعصى بها الله ورسوله قبله مع كونها في انفسها قبيحة في مجاري العقول فهو كغيره صلوات الله وسلامه عليهم محفوظون منها قبل ورود الشرع ولا هي في المواخذ بها معتبرة في حقهم اي قبل تقرر شرعه صلى الله عليه وسلم اذ الاحكام الشرعية واجبا ومندوبا ه ومباحا وحراما ومكروها وخلاف الاولى انما تتعلق بالاوامر والنواهي من حيث وصفها بالوجوب والندب والاباحة والحرمة والكراهية

وتقرر الشريعة لها من الشارع ثم اختلفت حجج القايلين بهذه المقالة المؤذنة بكونه لم يكن متبعا في عبادته ربه لشرع قبله فذهب القاضي ابو بكر بن الطيب الباقلاني المالكي الى ان طريق العلم بذلك اي بكونه صلى الله عليه وسلم كان متبعا في عبادته ربه قبل ان يوحى اليه بشرع قبله النقل وموارد الخبر من طريق السمع بمعنى المسموع الوارد على السنة النقلة الينا وحجته اي القاضي ابو بكر انه الضمير للشان يفسره اسم الاشارة الذي هو اسم ان اي لو كان ذلك فقد وقع النقل الينا ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان اي نقله وعدم كتمانه من مهم امره واولى ما اهتبل به من الهبالة وهي الغنيمة واتبها ذا العزيمة وفي الحديث من اهتبل جوعة مومن كان له كذا اي تخير واغتنم لكونه اي تعبده لشرع قبله من سيرته فلما لم ينقل علم انه لم يكن ولتفخر به اي بتبجح وتعاظم شرف باتباعه شريعة قبله من سيرته اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به اي باتباعه شريعة قبله فلم يوثر اي لم يروا لنا شي من ذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك اي امتناع كونه صلى الله عليه وسلم متبعا في عبادته ربه قبل ان يوحى اليه شرعا قبله عقلا قالوا من جهة العقل معولين عليه لانه اي الشان يبعد مع حكم العقل بكون الانبيا تابعين لنبينا مامورين بالايمان به والنصرة له في واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه ان يكون متبوعا من عرف من الانبيا كونه تابعا له صلى الله عليه وسلم وبنوا ذلك اي بنوا قولهم بامتناع اتباعه صلى الله عليه وسلم شرعا قبل ان يوحى اليه على طريقة التحسين والتقبيح العقليين وهي طريقة غير سديدة لبعد مسافتها عن ماخذ الشرع ورفع قواعده على شفا جرف هار واستنادنا ذلك الذي ذهبت اليه تلك الطايفة من امتناع ما ذكر الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر لقرب مسافته من القبول وقالت طايفة اخرى بالوقف في امره وتسا تدوحا له صلى الله عليه وسلم قبل بعثته هل كان متبعا لشرع قبله ام لا واحجموا عن القول بواحد منها وجنحوا الى ترك قطع الحكم فلم يحكموا عليه بشي منها اذ لم يحل الوجهين العقل لتساويهما عنده في الامكان فلم يكن احدهما اولى بترجيح على الاخر وهو مذهب عبد الملك امام الحرمين ابي المعالي بن ابي محمد الجويني وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله عليه وسلم كان عاملا قبل ان يوحى اليه ن ومتعبدا بشرع من قبله لبعد ان يكون متعبدا بغير شرع قبل بعثته ثم اختلفوا اي الفرقة الثالثة هل يتعين ذلك الشرع الذي زعموا انه صلى الله عليه وسلم قبل ان بعثنا اليه كان عاملا به ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم اي نكص فهمه وهاب الجزم بتعيينه لفقد ما يجسر عليه وجسر اي اجترا واقدم بعضهم على التعيين

وصمم عليه اي عزم وجزم بالقول به ثم اختلفت هذه الفرقة المعينة فمن كان صلى الله
عليه وسلم يتبع دينه من الانبيا وتعبد به قبل ان يبعث فقيل نوح هو الذي كان
نبينا صلى الله عليه وسلم يتعبد بدينه وقيل ابراهيم هو الذي كان يتعبد بدينه
وقيل موسى وقيل عيسى لاشتهار دينهما وادراكه من دانهما من اليهود والنصارى
فهذه جملة المذاهب ثلاثة في هذه المسالة اي مسالة تعبده قبل ان يبعث مانع
ومتوقف ومجوز والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني من ان العلم
بذلك طريقه النقل ولم يرد الخبر من طريق السمع وابعدها مذهب المعينين
اذ لو كان شي من ذلك اي مما عين لنقل الينا واحطنا به خبرا كما قدمناه انفا
عن القاضي ولم يخف عن احد ولا حجة لهم فيما تمسكوا به من ان عيسى صلى الله عليه وسلم
اخر الانبيا فلزمت شريعته من جا بعده ومنهم نبينا صلى الله عليه وسلم فيكون
قد تعبد به لهذه الحجة بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى صلى الله عليه وسلم
فلا يلزم شريعته من جا بعدها لعدم امرهم باتباعها بل الصحيح انه لم يكن لنبي
من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم دعوة عامة لكافة الا اخر الانبيا
صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا للاخر القايل بان نبينا كان متعبدا بشرع
ابراهيم قبل ان يوحى اليه ان يتبع ملته في قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة
ابراهيم لان امره باتباعها انما كان بعد الوحي اليه ولا حجة ايضا للاخر القايل
بانه كان متعبدا بشرع نوح في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك اي دين نوح ومحمد وما بينهما من اديان الانبيا فمحمل
هذه الاية انما هو على اتباعهم في التوحيد بشهادة تفسير المشروع الذي
اشترك فيه هولا الاعلام من الرسل بقوله تعالى واقيموا الدين اي دين
الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان به وبرسله وكتبه ويوم
الجزا وساير ما يكون المكلف به مسلما لا المشروع الذي هو مصالح
الامم لاختلاف احوالهم وتفاوتهم المؤذن به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنهاجا وكقوله اولئك الذين ذكروا من الرسل وغيرهم هدى الله فبهداهم
اي بطريقتهم لا بطريقة غيرهم بشهادة الاضافة في الايمان بالله
وتوحيده واصول الدين اقتده دون الشرايع لاختلافها وهي هدى ما لم
ينسخ فاذا نسخت لم يبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا وقد
سمى الله تعالى في اية الانعام المشار الى من ذكرها من الانبيا بقوله اولئك
الذين هدى الله فيهم اي في الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين المذكورين
فيها من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف عند من قال انه ليس
برسول فدل الامر بالاقتدا بهداهم ان المراد اصول الشرايع دون الشرايع

نفسها وسمى جماعة منهم اي من الانبيا فيها شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدلت
اختلافها ان المراد بهداهم ما اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله وبعد هذا
اي بعد ما اجمعوا عليه من ذلك فهل يلتزم من قال بمنع الاتباع اي اتباعه صلى
الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه بشرع قبله غير نبينا صلى الله عليه وسلم او كان لعون
بينهم فيه قبل ان يوحى اليهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد اصله الذي هو
المنع عقلا في كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل كالقاضي ابي بكر على ما مر
فايما تصور له وتقرر اتبعه وعمل بمقتضاه ومن ذهب الى الوقف فعلى اصله من الاحجام
عن تعيين وعدمه ومن ذهب الى وجوب الاتباع قبل الوحي ولمن قبله من الانبيا يلتزمه
اي القول بالوجوب بمساق حجته ولحاقها في كل نبي فصل هذا اي ما تقدم في فصل
العصمة قبله حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال الصدور من غير الانبيا عن قصد
وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف ويؤاخذ به فاعله واما ما تكون المخالفة
فيه من الاعمال بغير قصد وتعمد كالسهو وهو ذهول عن المدرك لا ينتهي الى
زواله من القوة الحافظة فقط ينتبه له بادنى تنبيه والنسيان وهو ذهول
ينتهي الى زوال المدرك من القوة المدركة والحافظة يحتاج في حصوله الى سبب
جديد في الوظايف الشرعية ورد الشرع بتعلق الخطاب به كالصلاة والصوم
والحج بخلاف السهو والنسيان فيما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به لشه دة
رفع عن امتي الخطا والنسيان وترك المؤاخذة عليه في حال الانبيا جوابا ما في
ترك المؤاخذة به مع اممهم سوا لا يؤاخذ به منهم مكلف دون مكلف ثم ذلك
اي ما لا يؤاخذ فيه بسهو ونسيان على نوعين احدهما ما طريقه البلاغ الى من ارسلوا
اليه وتقرير الشرع له ليعمل به وتعلق الاحكام امرا ونهيا وتعليم الامة مصدر
مضاف الى مفعوله اي تعليم كل رسول امته بالفعل واخذهم باتباعه فيه اي
في ذلك الفعل والثاني وهو خارج عن هذا الذي طريقه البلاغ مما يختص بنفسه
من واجبات ومندوبات ومباحات ومحرمات ومكروهات كما كان نبينا صلى الله
عليه وسلم اما النوع الاول وهو ما طريقه البلاغ مما يختص بنفسه من الاحكام
علما وقولا فحكمه في الالمام السهو به عند جماعة من العلما حكم السهو في القول في هذا
الباب اي باب ما طريقه البلاغ وقد ذكرنا فيما تلي عليك انفا الاتفاق من العلما على
امتناع ذلك اي امتناع المخالفة في القول في حق النبي من الانبيا وعصمته من جواز
عليه قصدا او سهوا وكذلك اي ومثل ما قالوا في باب القول بعصمة النبي من جواز ذلك
قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طروه بالهمز من طرا يطرا طروا وقد يترك
تخفيفا وفي الحديث طرا علي حزبي من القران اي وردي واقبل مفاجاة كان فوته
لجاه في وقته الذي يورده فيه منه اي لا يجوز ورود المخالفة واتيانها فجاة على

النبي فيها لا عمدا ولا سهوا لانها اي الافعال بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء
فيمتنع طرو المخالفة على النبي فيها فطرو هذه العوارض عليها اي على افعال النبي يوجب
التشكيك في افعاله ويوجب تسبب المطاعن من طعن فيه وعليه يقول يطعن
فتحا وضما اذا عابه بوقيعة فيه واعتذروا عن احاديث السهو في بعض صلواته صلى
الله عليه وسلم بتوجيهات نذكرها بعد هذا في الكلام على احاديث السهو والى هذا اي
الى منع طرو المخالفة في افعال النبي عمدا او سهوا مال ابو اسحق الاسفرايني وذهب
الاكثر من الفقهاء والمتكلمين على اختلافهم الى ان المخالفة في الافعال البلاغية الى من
ارسل اليهم من الامم والاحكام الشرعية علميه وعمليه سهوا تمييزا وحالا من
المخالفة وعن غير قصد منه اي من النبي نسيانا او سهوا وغلطا فهو عام عطفه على
بعض افراده جائز عليه اي على النبي كما تقرر من احاديث السهو في الصلاة الكائن في
الصحيحين وغيرهما وفرقوا اي المجوزون له بين ذلك اي الافعال وبين الاقوال البلاغية
لقيام المعجزة على انبائهم بما طلبت منهم لمعارضتها على الصدق في القول ومخالفة
ذلك تناقضها اي مخالفة الصدق في القول سهوا ومن غير قصد يناقض المعجزة
واما السهو في الافعال فغير مناقض لها اي للمعجزة لانها من جنسها ولا قادح في النبوة
لشبهها مع دلالة وقوعها لعدم منافاته لها بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات
البشر جمع سمة من وسمه يسمه وسما اذا اثر فيه بكي ونحوه فكانه وسم بها اي هي من علامات
من لم يكن معصوما واما من كان معصوما لنبينا صلى الله عليه وسلم فهو وان كان كما في صحيح
الشيخين عن ابن مسعود قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني فنسيانه ليس كنسيان غيره بل حالة النسيان والسهو
لامها عوض عن الضمير اي حالة نسيانه وسهوه هنا في حقه اي فعله الصادر وكل من
افعاله حميد انما يصدر عنه لانه بسبب افادة علم بفعله امته وتقرير شرع كما
في حديث الموطا بلاغا مما لم يعرف وصله قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
لانسى او انسى بضم الهمزة وفتح النون وتشديد المهملة مبنيا للمفعول للعلم
بفعله اي ينسيني الله لاسن اي لابين لكم ما يفعله من نسي شيئا في عبادته وافعله
لنا تسولني بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن اي اني لا ادع الى ك
النسيان لا زجركم بالهداية الى صراط مستقيم وابين لكم ما تحتاجون ان تفعلوه
اذا عرض لكم نسيان وهذه الحالة اي حالة نسيانه صلى الله عليه وسلم ليس
زيادة في التبليغ لما ارسل به لامته اذ يتوصل الى معرفة ما يصنع من نابه سهو
في عبادته وتمام عليه في النعمة عطف على زيادة وفيه تلميح الى قوله تعالى ويتم نعمته عليك
بعيدة عن سمات النقص اي علاماته واعراض الطعن جمع عرض وهو ما تنزع
النفس نحوه وتميل اليه والطعن الوقيعة في اعراض الناس بذم وغيبة ونحوهما

وفي الحديث المؤمن لا يكون طعانا من طعن فيه وعليه يطعن بالضم والفتح اي لا يكون وقاعا في
الاعراض ولا عيابا لها فان القائلين بتجويز ذلك اي السهو على الانبياء في الافعال
يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل اذا عرض لهم فيها ينبهون
عليه ويعرفون حكمه بالفور اي بسرعة اجابتهم وهو ام ممتنع على قول بعضهم وهو
قول ابي اسحق وهو الصحيح وينبهون عليه قبل انقراضهم على قول الاخرين المجوزين
له من الفقهاء والمتكلمين فاما ما ليس طريقه البلاغ الى من ارسلوا اليهم ولا بيان — اليهم ه
الاحكام الشرعية لهم من افعاله صلى الله عليه وسلم اي مما ليس طريقه البلاغ وما
يختص به من امور دينه واذكار قلبه من تهليل وتحميد وتمجيد وتسبيح
وثنا عليه بما يليق بكريم ذاته مما لم يفعله ليتبع عليه فالاكثر من علماء الامة — فيه م
على جواز السهو اي الذهول عن الشيء بكماله والغلط عليه صلى الله عليه وسلم فيها
اي في الافعال اذ لا يلحقه صلى الله عليه وسلم بذلك نقيصة ولا نقص ولحوق
الفترات والغفلات بقلبه ولحوق ذلك بما كلفه اي بسبب ما طوقه من
مقاساة الخلق وسياسة الامة اذ باشتغاله بهم يلحقه ذلك ومثله معاناة
الاهل من الاهتمام والاشتغال بما له من اولاد وزوجات واقارب ورفقا لهم
وعونا لهم وملاحظة الاعداء اي مراقبتهم واخذ حذره منهم وهذا كله
من حيث هو مما يشغل القلب ويوري به فتورا ويلوي الخاطر عن قصده
ويعري به نفورا ولكن ليس صدور ذلك منه صلى الله عليه وسلم على سبيل
التكرار ولا على سبيل الاتصال اي التوالي والتتابع بل على سبيل الندور
والقلة لان قلبه كان ابدا مشتغلا بالله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم انه
ليغان على قلبي اي ليغشاه من السهو الذي لا يسلم منه بشر فاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة مما كان يعرض له من امور امته واهله ومصالحهم فيشغله
عن ربه فيعده ذنبا وتقصيرا حاشاه من ذلك وقد سبق لهذا مزيد بيان وليس
في هذا اي فيما ذكر من تجويز السهو والغلط فيها اي في افعاله صلى الله عليه وسلم
شيء يحط من رتبته من رتب اذا انتصب قائما وجمعها مراتب اي ينزل من
منزلته العلية وفي الحديث من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها اياده
الحج والغزو ونحوها من العبادات الشاقة وليس فيه شيء يناقض معجزته مفاعلة
من نقض البناء اي يبطلها وذهبت طائفة من الذهاب ضد الرجوع وفي
الحديث كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد الغائط ابعد المذهب هو مكان
الذهاب واستعير للراي الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات
في حقه صلى الله عليه وسلم لنزاهة رفيع درجات منزلته عن ذلك جملة لا يستثنى
منها شيء يجوز عليه وهو مذهب جماعة المتصوفة اي متكلمي طريقة التصوف

ومنتحلي علمه واصحاب علم القلوب اي المعارف الالهية والعوارف الربانية والمقامات
السنية وفي عموم الاحاديث اي احاديث السهو الواردة فيه مما هي نذكره
بعد فيما يرد عليك ان شاء الله تعالى فصل في الكلام على احاديث السهو
الواردة في فعله منه قد قدمنا في الفصول السابقة قبل هذا الفصل ما يجوز
فيه عليه صلى الله عليه وسلم السهو من الافعال البلاغية والاحكام الشرعية
مما ذهب اليه الفقهاء والمتكلمون وما يمتنع فيه عليه السهو من الاقوال البلاغية
على ما مر واحلناه اي جعلنا وقوع السهو في الاخبار محالا جملة من غير تفصيل
وتفرقة بين كونها دينية او دنيوية حذرا من ان يورث تجويزه عليه صلى الله عليه
وسلم فيها التشكيك والطعن في التبليغ واحلنا ايضا في الاقوال الدينية
فقط قطعا بالاختلاف تفاديا من ذلك واجزنا وقوعه اي وقوع السهو في
الافعال الدينية لعدم منافاته ومناقضته للمعجزة فيها وعدم قدحه في النبوة
على الوجه الذي رتبناه من كونه مع قلته مما يقع سببا لافادة علم وتقرير حكم
يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم لست انسى ولكني انسى لاسن وانسى لاسن
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة ثلاثة
احاديث احدها حديث ذي اليدين رواه الشيخان في السهو عن ابي هريرة
في السلام منه صلى الله عليه وسلم من ركعتين اثنتين في احدى صلاتي العشي
الظهر او العصر فقال ذو اليدين يا رسول الله انسيت ام قصرت الصلاة
قال لم انس ولم تقصر الصلاة فقال اكما يقول ذو اليدين قالوا نعم فاتم ثم سلم
ثم كبر وسجد ثم رفع وقال ابن سيرين نبئت ان عمران بن حصين قال ثم سلم الثاني
حديث الشيخين عن ابن مسعود وانه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا
سهوا اطلع عليه ليبين ما يترتب عليه اذا عرض وهذه الاحاديث الثلاثة
المروية عن ذي اليدين وابن بحينة وابن مسعود مبنية على السهو منه صلى الله عليه
وسلم في الفعل الذي قررناه فيما مر انفا دون السهو في القول وحكمة الله فيه
ليا به صلى الله عليه وسلم ليستن به اي بسببه لامته اذ البلاغ بالفعل اجلى منه
اي من البلاغ بالقول وارفع للاحتمال وابين للمراد لانه من علم عين اليقين مشاهدة من
الفعل وشرطه اي شرط السهو بالفعل ان لا يقر على هذا السهو بل يشعر
وينبه له باذنى تنبيه ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة من بيان ما يحتاج
اليه منها بما نسي منه في صلاته كما قدمناه انفا واذا النسيان والسهو في
الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة لعدم المباينة بينهما ولا
قادح في التصديق له صلى الله عليه وسلم مما اذعن وانقاد له فيما جاء به ودعى
اليه تبليغا وبيانا للناس ما نزل اليهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان

موذنا بنفي مباينة السهو للمعجزة انما انا بشر انسى كما تنسون بجامع البشرية بينهما
فاذا نسيت فذكروني كرره تاكيدا للحكم على نفسه صلى الله عليه وسلم فيما
رواه الشيخان عن عائشة رحم الله فلانا كناية عن رجل لا اعرفه لقد ذكرني كذا
وكذا اية كنت اسقطتهن نسيانا لا تركا عمدا ويروى انسيتهن وقال صلى
الله عليه وسلم كما مر عن الموطا بلاغا لا انسى او انسى لاسن اي لابين ما يترتب
على السهو من الحكم قيل هذا شك من الراوي بشهادة او المؤذنة بالترديد وفي
رواية لا أُنسي بزيادة همزة بين حرف النفي والنون على الرواية قبلها
ولكن انسى لاسن وذهب ابن نافع او ابن نافع وعيسى بن دينار انه اي حرف
لا نفي او النفي ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى انا او ينسيني الله
لورود نسبته صلى الله عليه وسلم النسيان الى نفسه تارة والى ربه اخرى
قال الباجي يحتمل ما قاله ان يريد اي النبي صلى الله عليه وسلم انسى في اليقظة
اي اتى بالسهو فيها اختيارا او انسى في النوم بتشديد المهملة لعدم ما ياتيه
فيه اختيارا وقد يمنع هذا بانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام قلبه فحاله نومه
ويقظته سواء او يحتمل ان يريد انسى على سبيل عادة البشر من الذهول
عن الشيء والسهو عما هم بصدده بما يشغل البال او انسى بالتشديد
اي ينسيني الله مع اقبالي عليه وتفرغي له مشتغلا بجناب قدس ربي ان
متلبسا بطاعته فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض
اختيار بمباشرته في تحصيله والنسبة فيه ونفى الاخر عن نفسه اذ هو فيه
بمباديه البعيدة كالمضطر والمحال لانه لانه قد دعليه في الازل بصدوره منه في
ابانه فيما لا يزال لا محالة لامتناع تخلفه وبمباديه القريبة كالمختار بمباشرته
له ونسبته في حصوله تخلق الداعية والقدرة فهو مضطر في صورة مختار وفي
الحكمة قال الجدار للوتد ما لك تشقني قال سل من يدقني وقال بعض من
تكلم على الحديث اي حديث سهوه صلى الله عليه وسلم في الصلاة الى انه صلى
الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة فيترك منها ما لم يكن عن علم وتدبر له
من بيان ولا ينسى لان النسيان كما مر قريبا ذهول وغفلة بمعنى زوال
المدرك من القوة المدركة والحافظة بما يستولي على القلب ويغشاه فيحتاج في
حصوله الى سبب جديد وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنها اي مبعد عن الغفلة
مما يؤدي الى نقص والسهو شغل بذهول لا ينتهي الى زواله من الحافظة وكان
صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ويشغله الواو للحال اي يسهو فيها حال
كونه يشغله عن حركاتها بركوع وسجود وغيرها ما فيها في على يشغله من خشوع
وانابة واستكانة وما يغشاه من تجلياتها مما يورثه قرة عين فيها فيسهو شغلا

لاغفلة عنها مما ينقص جنابه الكريم من منع النسيان في حقه صلى الله عليه
وسلم بقوله في الرواية الاخرى المتقدمة انفا اني لا انسى بزيادة الهمزة كما مر
وذهبت طائفة الى منع هذا كله سهوا ونسيانا عنه صلى الله عليه وسلم تبعيدا
لهما عن ساحة مقامه وقالوا ان سهوه كان عمدا وقصدا ليسن كما امر
ببيانه ليقتدى به فيه وهذا قول مرغوب عنه لانه متناقض لمناقضة
السهو للعمد واستحالة كونه عمدا كيف يكون متعمدا ساهيا في حالة واحدة
اي على اي حالة ترد مع عدم امكان اجتماعهما لعنادهما اوجب نفي الملزوم اعني
امكان اجتماعهما نفي لازمه اعني الحالة التي ترد عليها بطريق الكناية على وجه
برهاني ولا حجة لهم في قولهم انه اي نبي الله صلى الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان
ليسن لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا انسى او انسى وقد الواو للحال اي قالوا ابعده
ليسن وكالانه قد اثبت احد الوصفين النسيان من قبل نفسه او من قبل ربه
ونفى مناقضه بالاضافة الى الضمير التعمد والقصد مفعوله نفي بالاشارة اليهما
وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقد مال
الى هذا اي القول بانه صلى الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان عظيم من ائمتنا
يعني المالكية وهو ابو المظفر الاسفرايني وصفه بالعظيم للتعجب وتعجيبا
من ميله الى هذا القول المرغوب عنه لتناقضه بمنافاة السهو والعمد
وقد ظهر انه لم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه لبروزه في معرض الانكار
لتناقضه ولا حجة لهاتين الطائفتين القائلة بانه صلى الله عليه وسلم كان
لا يسهو في صلاته ولا ينسى والقائلة بان سهوه كان عمدا وقصدا في قوله اني لا
انسى بزيادة همزة بين حرفي النفي والنون ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم
النسيان في الجملة اي النسيان الذي هو حكم معنى مدلول لفظه فالاضافة
بيانية وانما فيه اي في لا انسى نفي لفظه وكراهة لفظه كقوله صلى الله عليه
وسلم بئس بالهمز فعل جامع لانواع الذم ضد لاخيه نعم الجامع لانواع المدح ما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي مشددا اي انساه الله كراهة لنسبة النسيان
الى النفس اما لانه تعالى هو الذي انساه لاسناد الحوادث كلها الى الله
تعالى لان النسيان ترك فكره له ان يقول تركت القرآن او قصدت الى نسيانه
او لانه لم يكن باختياره يقال انساه الله ونساه ورواه ابو عبيد بئس ما لاحدكم
ان يقول نسيت اية كيت وكيت ليس هو نسي وهو ابين من الاول واختاره عني
ترك او انما فيه نفي الغفلة وقلة الاهتمام بالجر عطف على الغفلة بامر الصلاة
عن قلبه لكن شغل عنها اي بالغفلة عن الصلاة ونسي بعضها ببعضها اي بعض
الصلاة ببعض الغفلة عنها ليبين للسامع فيها ما يجب بتركه شيئا منها

كما ترك الصلاة يوم الخندق في رواية الشيخين حتى خرج وقتها وشغل اي والحال
انه قد شغل التحرز من العدو عنها اي عن صلاة يوم الخندق فشغل بطاعة عن
حراسة المدينة وحفظها بتحصينها من المشركين عن طاعة هي امتثاله لامره باداء
الصلاة وقيل كما رواه الترمذي والنسائي عن ابن مسعود ترك صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق اربع صلوات متواليات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه اي
بتركه صلى الله عليه وسلم هذه الصلوات يوم الخندق احتج من ذهب الى جواز تأخير
الصلاة الى ان تخرج وقتها في وقت الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن من
الخوف وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد نزول
ايته بعد هذا اي بعد تركه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وما ذكر من الصلاة
فهو اي حكم صلاة الخوف على ما هو مقرر في بابه ناسخ له اي لتركه وقت الخوف
كيوم الخندق فان قلت فما تقول في نومه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة في
الوادي كما رواه البخاري وغيره وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
اعتراض بين السوال وجوابه ورد حالا افادت ان قلبه لا يعتريه نوم فكيف نام
حتى خرج وقتها فاعلم ان للعلماء عن ذلك اي عن نومه فيه مع ان عينيه تنامان ولا ينام
قلبه اجوبة اسمان وجرا ما قبله منها ان المراد بان هذا اي يقظة قلبه مستيقظا
حكم قلبه عند نومه صلى الله عليه وسلم وعند نوم عينيه دونه انما كان في غالب الاوقات
لا يغشاه فيها نوم وقد يندر اي يقل منه صلى الله عليه وسلم ذلك فيغشاه النوم
لعينيه كما يندر من غيره خلاف عادته بان يكون مدنيا علا فترك قليلا ويصحح هذا
التاويل الذي افاد ان قلبه لا ينام غالبا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه
اي حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي واكره بنفسه حذرا من توهم كون الامر للتجيز
فيذهب الذهن الى غيره ان الله قبض ارواحنا اي انامها فلم يبق لنا شعور ولا تمييز
وتصحيح ايضا قول بلال فيه اي في حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي جوابا لقوله صلى
الله عليه وسلم وقد امره ان يكلأ لهم الفجر فقال له نعم اين ما قلت يا بلال فقال له يا رسول
الله ما القى علي نومة مثلها لشدة ما ارهقه من فرط تعب السير وقوة تكيبه السهر
فما ايقظهم الا حر الشمس فقال صلى الله عليه وسلم هذا واد به شيطان اقتادوا
فاقتادوا رواحلهم حتى خرجوا منه وقضوا صلاة الصبح في غيره ومن ثم كره الشافعي
الصلاة فيه ولم يوجب قضاء الفائتة بعذر فورا بل لمن فاتته صلاة بعذر بان يتوسع
ومثل هذا اي نومه صلى الله عليه وسلم فيه حتى ايقظه حر الشمس انما يكون منه صلى
الله عليه وسلم فيه لامر يريده من اثبات حكم وسنة لمن بعده وذلك بعذر لا يقتضي
متوسعا ام فورا ظاهر هذا عدم وجوب القضاء فورا وما ورد مقتضيا
وجوبه فورا فمحمول على الغالب بلا عذر جمعا بين الادلة وتحذيرا من العمل ببعضها

دون بعض فنا سبيس اي نقرر بسنة مرضية يقتدى به فيها واظهار تشرع
مما شرعه الله لعباده فرضا او سنة وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
الاخر لو شاء الله لايقظنا من منامنا ولكن اراد بعدم ايقاظنا ان تكون سنة
لمن بعدكم يقتدون بها الثاني من الاجوبة ان قلبه صلى الله عليه وسلم كان
لا يستغرق النوم اي لا يستوعبه ولا يستقصيه حتى يكون منه الحدث
فيه اي في النوم لما في حديث البخاري وغيره انه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع
غطيطه اي ترديد صوته الخارج مع نفسه ثم يصلي ولا يتوضأ لعدم نقض
وضوئه مع يقظة قلبه واما حديث البخاري ومسلم عن ابن عباس المذكور
فيه وضوءه اي النبي صلى الله عليه وسلم عند قيامه بليل من النوم مع اهله
ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس فلا يمكن الاحتجاج به على كون وضوئه
كان لمجرد النوم مع اهله اذ لعل ذلك اي وضوءه صلى الله عليه وسلم كان لملامسة
الاهل ولحدث اخر صدر منه فكيف لا يكون وضوءه بواحد مما ذكر وقال ان في
اخر الحديث نفسه المروي عن ابن عباس ثم بعد ان قام صلى الله عليه وسلم من
نومه توضأ وصلى ما كتب له نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى
ولم يتوضأ لعدم نقض وضوئه بالنوم وقلبه يقظان لا يعتريه مظنة نقض
وقيل انما هو لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم كغيره من الانبياء فلهم نوم
البشر فيه قال تعالى اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت
افعل ما تؤمر وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وهذا الى
نومهما عن رؤيتها من فعل القلب بل من فعل الرب تبارك وتعالى وقد قال صلى
الله عليه وسلم في حديث الوادي كما مر ان الله قبض ارواحنا اي انامها وهذا ه
شاهد صدق بان قلبه صلى الله عليه وسلم كان تعدى ثم ليلة الوادي ومن ثم قال
ولو شاء لردها الينا في غير هذا اي في وقت غير الوقت الذي ردها عليهم فيه
فان قيل فلولا عادته استغراق النوم قلبه لما قال لبلال اكلا لنا الصبح اي
احفظه مراقبا حذرا من ان ننام فتفوتنا صلاته فقيل في الجواب انه اي النبي صلى الله
عليه وسلم كان من شانه التغليس بالصبح ... كان يصلي الصبح
بغلس اي بظلمة اختلاطها ضياء الفجر بعد الغبس بمعجمة ومهملة ... من الغبسة
وهو لون الرماد وهو بعد ذي المعجمة كما قال الازهري عند او لطلوع الفجر
فذي المهملة في الغلس ومراعاة اول الفجر لا تصح ولا تتيسر ممن نامت عيناه اذ
هو اي الفجر ظاهر مما لا يدرك الا بالجوارح كالبصر فوكل بلالا بمراعاة اوله اي
اول الفجر كما لو شغل بغير النوم عن مراعاته اي مراعاة الفجر فان قيل فما معنى نهيه
صلى الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لا يقولن احدكم نسيت اية كيت وكيت

بل هو نُسّي بضم النون وتشديد المهملة ورواه ابو عبيد القاسم بن سلام ه
مخففا بلفظ بئسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كيت وكيت ليس هو نسي وقد
قال اي النبي صلى الله عليه وسلم والواو للحال اي نهى عن ذلك والحال انه اسند
النسيان الى نفسه فقال اني انسى كما تنسون بجامع البشرية فاذا نسيت
فذكروني فقال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتها فعلم اي نهيه صلى الله
الله عليه وسلم اما لان الله هو الذي انساه اذ هو المقدر للاشياء كلها فلم يكن
ذلك باختيار او لان اصل النسيان هو الترك فنهى ان يقال تركت اية كذا من القران
او قصدت الى نسيانها فعلم انه لا تعارض في هذه الالفاظ الواردة عنه صلى الله
عليه وسلم نهيا وغيره اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا فمحمول على ما نسخ
نقله اي تلاوته من القران اي ان الغفلة في هذا اي فيما نسخ لم يكن منه صلى الله
الله عليه وسلم اختيارا ولكن الله اضطره اليها اي الى الغفلة ليمحو ما يشاء
اي ينسخ ما يصوب نسخه ويثبت بدله حكما منه او مثله وما كان مما صدر منه
من سهو وغفلة من قبله وتذكره صلح ان يقال فيه انسي بضم الهمزة وقد قيل
ان هذا اي ما كان من قبله صلى الله عليه وسلم وصلح ان يقال له بضم الهمزة منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب تأدبا من ان يضيف الفعل الى
نفسه بل الاولى ان يضيفه الى خالقه وهو الله تعالى اذ لا خالق سواه والاخر
وهو ما لا يكون من قبل نفسه لا كتساب العبد اياه ونسبته فيه واسقاطه صلى
الله عليه وسلم على سبيل السهو لما اسقطه من هذه الايات المكنى عنها بكيت
وكيت ولذا وكذا جائز عليه صلى الله عليه وسلم لكن بعد بلاغ ما امر بتبليغه وتوصيله
اي ايصاله الى عباده المرسل هو صلى الله عليه وسلم اليهم ثم يستذكرها من
امته اي يطلب ان يذكروها له او يتذكرها من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه
اي رفعه لفظا وحكما كاية من قتل من القرابين معونة بلغوا عنا انا لقينا ربنا فرضي
عنا وفي رواية للبخاري ورضينا عنه او لفظا لا حكما كاية والشيخ والشيخة اذا
زنيا فارجموهما او حكما لا لفظا كاية العدة حولا بانها اربعة اشهر وعشرا ونحوه
وازالة اثره من القلوب وترك استذكاره من امته او من قبل نفسه ويجوز ان ينسى
النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا اي النسخ والمحو سبيله من القران اصلا وراسا ه
ويجوز ان ينسيه الله تبارك وتعالى منه اي من القران قبل البلاغ الى من ارسل
اليهم ما لا يغير نظما من نظم كلمات القران اعني تاليفها مرتبة معانيها
متناسقة دلالاتها على حسب ما يقتضيه العقل ولا يخلط حكما اي لا يلتبسه دلالاتها ن
بحكم اخر مما لا يدخل خللا في الخبر بحيث لا يدري ما المراد منه ثم يذكره اياه اي
يذكر الله نبيه مما انساه مما لا يغير نظما ولا يخلط حكما باخر ويستحيل دوام نسيانه

على

لحفظ الله كتابه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتكليفه بالجر عطفا
مدخول لام العلة اي تكليفه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بلاغ كتابه الى
من ارسل اليهم فصل في الرد على من اجاز عليهم صلوات الله وسلامه عليهم
الصغاير من الذنوب كالسرقة والغمزة والخطرة مما يترتب عليه تعزير دون
الحد وهي في العفو عنها كالكباير بمشية الله تعالى لشهادة ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وما ورد كتابا وسنة مما ظاهره العفو
عنها بمجرد اجتناب الكباير لاينافي كون العفو عنها انما هو بالجواز تقييده بالشهادة
كون دلالتها ظنية لا تفيد الاجواز وقوعه مع جواز ظن العقاب وفي الكلام على ما
احتجوا به في ذلك اي في تجويزها عليهم اعلم ان المجوزين للصغاير على الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم من الفقها والمحدثين ائمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن شايعهم اي تابعهم وطاوعهم والشيعة في الاصل الفرقة من الناس ولو واحدا
ثم غلب على من تولى عليا واهل بيته فصار لهم علما خاصا وفي الحديث القدرية
شيعة الدجال اي اوليا وه وانصاره على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك اي تجويزها
عليهم بظواهر كثيرة من الوحيين القران والحديث ان التزموا ظواهرها افضت
بهم اي اوصلتهم الى تجويز الكباير عليهم وخرق الاجماع اي مجاوزة ما اجمعوا
عليه من عدم تجويزها عليهم وافضت لهم الى ما لا يقول به مسلم فكيف
يجوزونها عليهم الحال ان كلما احتجوا به مما اختلف المفسرون في
معناه وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه اي مقتضى ما احتجوا به من تجويزها
وعدم فخرج بذلك عن صلاحيته للاحتجاج به على تجويزها عليهم اجماعا لوجود
من خالفهم من الائمة وكان الخلاف فيما احتجوا به لتجويزها عليهم قد بما
وقام الدلالة على خطا قولهم بجوازها عليهم وجب تركه اي ترك قولهم
الخطا ووجب المصير الى ما صح من عدم تجويزها عليهم وها تنبيه للمخاطبه على ما
يلقى اليه من قوله نحن ناخذ اي نشرع في النظر فيها اي في ادلتهم التي احتجوا
بظاهرها على تجويزها عليهم فمنها قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مما صدر منه جايزا وتركه اولى فهو بالنسبة
الى شرف جنابه ورفيع مقامه بعد ذنبا هنا وما ذكرهنا تقدم الكثير في محاله مع
بيانه فلا حاجة الى اعادته وباقيه اجوبة ردا على من جوز على الانبيا الصغاير بعينه
نفسها غنية عن البيان فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم اي الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم الذنوب والمعاصي من عطف المسبب على مسببه اذ الذنب الاثم
المرتب على المعصية اعني الخروج عن طاعة الله بما ذكرته في الفصل قبل هنا من اختلاف
المفسرين في اجوبتهم عما صدر عن الانبيا مما هو من باب حسنات الابرار سيات

المقربين وتاويل المحققين له على وجه يزيل شبه الطاعنين فما معنى قوله تعالى
وعصى ادم ربه فغوى بسبب عصيانه كما في قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه
وما تكرر في القران وصحيح الحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم كقولنا ادم وحوى
ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهم واستغفارهم كقول موسى صلى الله عليه وسلم
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وبكايهم على ما سلف منهم كما وداود قد ورد انه
بكى حتى بلت دموعه الارض وهل يشفق ويتاب من التوبة مبنيا للمفعول
هو وما قبله وبعده ويستغفر استفهام اذن بنفي ما دخل من الافعال اي لا يتهم
بشي من ذلك من لا شي اي من شي وجد منهم مما يلم بذنب في نفسه لنزاهتهم
من الذنوب كما في هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون اي لا يستوون
فاعلم وفقنا الله واياك اعتراض بين اعلم وبين ما سد مسد مفعوليه افادة الدعا
بالتوفيق له ولكل من يتاتى توجيه الخطاب اليه ان درجة الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم الدرجة واحدة المدرج التي هي في الاصل مصدر مع بلوغ ما
المقام اريد بها هنا درجات ثوابهم التي ينزلهم الله اياها في الجنة او سنا محلهم
في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده رضى وسخطا وعظم
سلطانه سنا وعلو رتبته وقوة بطشه اي اخذه القوي الاليم الشديد جبار
عنيد مما يحملهم اي يبعثهم ويلجاوهم على الخوف منه جل جلاله اي عظمت عظمته
ومن اسمايه تعالى الجليل وهو الموصوف بنعوت الجلال بجمعها فهو الجليل المطلق
الراجع الى كمال الصفات كما ان الكبير الراجع الى كمال الذات والصفات والا شفاق
من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم مما فعله جايز مع كونه مغفورا لا اشفاقهم
على انفسهم من مواخذتهم بفعله وان كان جايزا انما هو لعلو قدرهم وشرفهم
وكرم ماتبهم وانهم في تصرفهم بامور ما عرضوا بها لقومهم تبكيتا لهم وتنبيها
على خطايهم في عبادتهم من لا يدرك له ولا نفع لو عوا عن غيرهم فعله كبيرهم
هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون وقوله للجبار عن زوجته هي اختي فدا لنفسه منه
لم ينهوا عنها لجريها على موجب الاباحة ولا امروا بها لتنزاهة شرف كمالهم عنها
وان كانت جايزة ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها كقوله تعالى معاتبا لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين في التخلف عن غزوة تبوك عفى الله عنك بسببها ن
لم اذنت لهم ومعاتبا له باذنه لاصحابه في اخذ الفدا من اسرى بدر بقوله ما كان
لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فقد مر هذا مزيد بيان او حذروا اي
خوفوا من المواخذة بها لعدم جريها وان كانت جايزة على موجب مقامات هم العلية
وسماتهم المرضية واتوها اي فعلوها على وجه التاويل الى معنى يعتمد عليه في باب التاويل
اذ هو صرف اللفظ الى ما لولاه لترك على ظاهره او اتوها على وجه السهو ولا مواخذة

به من حيث كونه سهوا فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانوا معصومين منه
انما صدر منهم لبيان ما يترتب عليهم من الاحكام بشهادة قول نبينا صلى الله عليه
وسلم اني لا انسى ولكن انسى لاسن او اتوا على وجه تزيد من امور الدنيا المباحة
كطلب سليمان صلى الله عليه وسلم من ربه ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وازدياده
ووالدته من النساء بالتزوج اذ قد ورد انه كان له سبعون او تسعون امراة ولو الى
ما اخبر به التنزيل تسع وتسعون ثم كلهن ما به بامراة او ربا ولقد صدر منهم
صلوات الله وسلامه عليهم المكروه وهو في حقهم غير مكروه تشريعا وبيانا
للجواز بشهادة حديث البخاري اتى النبي صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما
خائفون وجلون خبران وما بينهما اعتراض فاذا نقص فيهم فيما لم ينهوا عنه ولم
يؤمروا به قد اخذوا به وعوتبوا عليه وانهم ابدا حذروا من المواخذ به آيسين
له او ساهين في فعله عمدا ومتزيدين من مباحات الدنيا مواخذتهم لعلمهم
وعتابهم عليه مع جوازه فعلا او تحذيرهم من مواخذتهم به مع كونه مباحه
اذ هي اي الامور التي لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها بالاضافة والنسبة الى علو منصبهم
لا تقصر خلاصة صفوة مخلوقاته ومعاصيها بالنسبة الى كمال طاعتهم لانهم
لا يليق بهم غير نهي الا الفاكذنوب غيرهم ومعاصيهم مما نهى الله عنه
وتوعد على فعله فان الذنب ماخوذ من الشي الدني اي الحقير الخسيس
الرذل اي الردي المذموم وذنب كل شي اخره من ذنب الشي لكلي اي جعله
ذنابه وتابعا له واذناب الناس اراذلهم الخساس الحقيرون وكانت هذه
اي الاحوال التي تنقص في افعالهم ادنى افعالهم واسوا ما يجري من احوالهم لجلالة
قدرهم وشرف محلهم وحاشاهم ان يوصف شي من افعالهم بالسوء
لتطهيرهم وتنزيههم عما لا يليق بهم وعمارة بواطنهم وظواهرهم
بالعمل الصالح مما امروا به واجبا او مندوبا والكلم الطيب من تهليل
وتسبيح وتكبير وذكر ودعا واستغفار مما ورد به الحديث انه سبحان
الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك فحيا
وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذكر الظاهر والخفي ورغبته
ورهبته وذلك كله من الخشية لله لانهم اعلم الناس به ومن هو كذلك فهو
اشد بهم خوفا منه بشهادة انى لاعلمكم بالله واشدكم منه خشية ولعظامه
حق عظمته وقدرهم حق قدرهم في السر والعلانية وغيرهم صلوات الله وسلامه
عليهم تلوث من الكباير جمع كبيرة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب العظيمة كالكفر
والقتل والزنا شبه تخامر غيرهم لما ذكر من الذنوب بالتلوث بقاذورات
ثم اشتق منه تلوث فوقعت الاستعارة في المصدر اصلية وفي الفعل تبعا

الهنات . في حقه كا

او شبه ما ذكر منها على سبيل الاستعارة المكنية بقذر ثم اثبت لها تلوث
تخييلا والقبائح من عطف العام على بعض افراده اذ منه كباير وصغاير
وقد صلى الله عليه وسلم لمن ذكر عايشة اسكت مقبوحا مسفوحا
منبوحا اي مبعدا والفواحش اي ما فحش منها وتزايد فحشه واشد
من الذنوب والمعاصي وكثيرا ما يراد بالفاحشة الزنا ما مفعول تلوث
وكان عليه ان يعديه بالبا اذ بزيادة التا عليه صار لازما اي تسلط بشي
عظيم منها تكون هذه الهنات الصادرة منهم صلوات الله وسلامه
عليهم بالاضافة اليه في حقه كالحسنات بل حسنات اذ ليست في الحقيقة
ذنوبا كما قيل حسنات الابرار اي الاتقيا سيات المقربين لانهم زلتهم لعلهم اي
يرونها بالاضافة الى علي احوالهم وكرم شوبهم كالسيات فيعدونها ذنوبا
وكذلك اي ومثل كون الذنب ماخوذا مما ذكر العصيان فانه الترك والمخالفة
للامتثال فعلا وكفا فان كان عن عمد فذنب ولا عن عمد فزلة فعلى مقتضى اللفظة
اي لفظة عصى ادم ربه كيف ما كانت واردة عليه من سهو او تاويل فهي مخالفة
وترك غير مذموم بوروده على اي ما كان وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة
هي التي نهي عنها فاكل منها وقد نهي عنه وفي العدول عن زل الى غوى زجر بليغ
وموعظة كافة لكل مكلف خرج عن طاعة الله وارشاد الى الاعتبار نعى اسهل
صغيرة ادم صلى الله عليه وسلم زلته بهذا التغليظ فلا تتهاونوا بما يفرط منكم
من الصغاير فضلا عن الكباير وهذا يوسف نبي الله بن نبي الله بن خليل الله صلوات
الله وسلامه عليهم قد اوخذ بقوله لصاحب السجن هو احد صاحبيه فيه
الذي ظن انه الناجي منهما فاضافته له لعلاقة الظرفية كما في يا سارق الليلة
فكما ان الفا مسروق فيها غير مسروق فكذلك السجن مصحوب معه فيه غير مصحوب
ويجوز ان يريد ساكن السجن اذكرني عند ربك اي صفني عنده بصفتي واجمع
نفعني لعله تخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان ذكر ربه مصدر مضاف
الى مفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف لسيده فلبث ي مكث في السجن بضع
سنين من ثلاث الى تسع واكثر الاقوال انه صلى الله عليه وسلم لبث فيه سبع
سنين وقيل لبثها بعد قوله اذكرني عند ربك وقيل انسى يوسف ذكر الله
حيث وكل امره الى غيره وقيل انسى صاحبه الذي قال له اذكرني عند ربك ان
يذكره لسيده الريان بن الوليد الملك بمصر قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما
رواه ابن جرير والطبراني من حديث ابن عباس وابن مردويه من حديث ابي هريرة
وابو الشيخ من مراسيل الحسن وعكرمة لولا كلمة يوسف اذكرني عند ربك ما
لبث ما لبث المدة التي مكثها قال ابن دينار كما رواه ابن ابي حاتم عن النبي موقوفا

اتخاذ الوكلاء

لما قال له ذلك يوسف اي اذكرني عند ربك قيل له اتخذت من دوني وكيلا
وكلت امرك اليه لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى التي اورثت
بحوائجي حرقة واورثت قلبي قلقا من حزن الغيبة في الجب حتى اخرجت من السجن وقد ك
بعضهم يواخذ اي من خواص عباده بمثقال الذر مما تركه اولى من فعله مع كونه جائزا
لكاملهم عندهم رفعة ومكانة وتجاوز اي الله تعالى عن سائر الخلق اي باقيهم فلا يواخذهم
بما الاولى تركه لقلة مبالاته بهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب هوانا بهم
وبصنيعهم لانزاعهم عن الحق والرشد وقد قال المحتج للفرقة الاولى القائلين بان الانبيا
لا تواخذ بالسهو والنسيان على سياق ما قلناه من كونهم يواخذون بمثقال الذر اذا كان
الانبيا يواخذون بهذا اي بمثقال الذر مما لا يواخذ به غيرهم اي غير الانبيا من السهو
والنسيان وما ذكرتموه من جاههم انهم يواخذون بمثقال الذر مما لا يواخذ به غيرهم
فحالهم اذن اي اذ يواخذون بذلك في هذا اسوا حالا من حال غيرهم لمواخذتهم بما لا
يواخذ به غيرهم وهذا من رتانة الفهم وكزازة الذهن وعكسه اذ لم تهتد الى ان الارفع
درجة والاقرب منزلة من ربه لا يسامح بفعل ما الاولى تركه كما حكي عن الجنيد انه كان
في جماعة فراي سائلا يسال فخطر بباله لو اكتسب هذا لكان خيرا له من ان يسال
فراه في منامه بين يديه ميتا يقال له كل منه فقال كيف اكل منه وهو ادمي فقيل له انك
اغتبته فقال معاذ الله وانما خطر ببالي ذلك فقيل له انا لا نرضى من مثلك بهذا فاذا
لم يرض من مثله به فاكرم خلقه عليه اولى وايضا فاعلم انا لا نثبت لنا المواخذة في هذا
الذي يواخذ به الانبيا من مثاقيل الذر على حد ما يواخذ به غيرهم من ذنوبهم
بحا ذنبه ان خيرا فخير وان شرا فشر بل نقول انتقالا من نفي ايراد مواخذة تحبط بغير
مواخذة غيرهم لتكون ذلك اي ما ذكر من مواخذتهم زيادة في درجاتهم العلية ومراتبهم
السنية وجعله نفس الزيادة لكونه سببا لها ويبتلون بذلك اي بالمواخذ به على قدر
فضل بعضهم على بعض ليكون استشعارهم له اي لما ابتلوا به سببا لمنماة اي لزيادة
رتبهم كما قال عز من قائل ثم اجتباه ربه من جبى يجبى اذا جمع وضم بعضا الى بعض اي
اصطفاه للخارج وقربه اليه زلفى فتاب عليه وهدى اي قبل توبته وارشده
الى الاعتذار مما صدر منه والاستغفار حتى قال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقال سبحانه وتعالى لداود صلى الله عليه وسلم
فغفرنا له ذلك اي ما فرط منه من خطيئته على خطيئته وزنا امراة حتى تزوجها فاتم
بها زوجاته مايه وان له عندنا لزلفى اي قربى وحسن ماب اي مرجع وهو الجنة
وقال بعد قول موسى صلى الله عليه وسلم سبحانك تبت اليك من سوالي رويتك في
الدنيا وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك يا موسى اني اصطفيتك على الناس اي
اخترتك واصطفيتك على اهل زمانك برسالاتي هي الواح التوراة وبكلامي لك بلا

واسطه

واسطه وكيفيه فكان يسمعه من كل جهة هذا وفي تاويلات الماتريدي انه سمع صو
لا على كلام الله تولى تخليقه لم يكن مكتسبا لاحد من خلقه وغيره يسمع صوتا مكتسبا
لاحد منهم فيفهم منه وقال بعد ذكر فتنة سليمان صلى الله عليه وسلم وانابته اي
بعد القا الجسد على كرسيه ورجوعه الى ربه وفي البخاري قال سليمان صلى الله
عليه وسلم لاطوفن الليلة على مائة او تسعين امراة كلهن ياتين بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة جات بشق
رجل قال نبينا صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا
في سبيل الله فالشق هو الجسد الذي القي على كرسيه فتنة وابتلا وما في بدع
التفاسير من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيته فمن مفتريات
اليهود واباطيلهم فسخرنا له اي لسليمان الريح تجري حال من الريح اي جارية
بامره رخا اي لينة طيبة لا تزعزع لبساطه مع قوته ونصب رخا على الحال من
تجري حيث اصاب اي قصد واراد والشياطين كل بنا بدل من الشياطين اي
سخرنا له كل بنا منهم يبني له ما يشا من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات وغواص يستخرج له اللولو وغيره من البحر وهو اول من استخرجه
واخرين من مردتهم عطف على كل داخل في حكم البدل مقرنين بعضهم مع بعض
تاديبا وكفا لهم عن الفساد في الاصفاد جمع صفد وهو القيد سمي به العطا
لانه ارتباط للمنعم عليه وفرق بين فعليهما فقالوا صفده اي قيده واصفده اي
اعطاه هذا الذي انعمنا به عليك من الملك وغيره عطاونا مفوضا اليك التصرف
فيه فامنن من المنة اي اعطه اي فاعط منه من شئت بغير حساب متعلق بعطاونا
او حال منه اي جما كثيرا لا يقدر على حصره او هذا التسخير عطاونا فامنن على من
شئت من مردة الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم بالوثاق وان
له اي لسليمان عندنا لزلفى اي قربى وحسن ماب عطف على اسم ان اي
مرجع وهو الجنة فهذا كله زيادة في درجاتهم وسبب لمنماة رتبهم وقال
بعض المتكلمين زلات الانبيا اي مما صدر منهم مما يوهم انه في الظاهر زلات
وفي الحقيقة كرامات وزلف اي قرب اكرمهم الله بها فانه جواد كريم مطلق
لا تنفد عطاياه ومنه الحديث ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف
بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم لحيازته لشرف النبوة والعلم والجمال والعفة
وكرم الاخلاق ورياسة الدنيا والدين ورابع اربعة في النبوة وانبيا مع كونهم
في الظاهر فانما ابتلوا بها لينبه غيرهم ممن لم يبتل بشي من ذلك منهم او ممن
ليس في درجتهم بمواخذتهم بذلك الذي امتحنوا به فصدر منهم وليس
بذنب فيستشعروا من قولك ليت شعري ما فعل اي علمي محيط بما صنع فحذف

الخبر اي فيعلموا الحذر ويتفقدوا المحاسبة على ما يصدر منهم مما لا يليق
بهم وان كان مباحا فيكفوا عنه وليلتزموا الشكر على النعم التي اولاهم اياها
ولم يمتحنهم بشيء من ذلك وليعدوا اي ليهيئوا الصبر ليستعينوا به على المحن
جمع محنة وهي البلية التي يثاب بالصبر عليها يوفى اجره بغير حساب بشهادة انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وفي الحديث فذلك لتشهيد الممتحن اي المصفى
من محن الفضة اذا اصفاها وخلصها بالنار وعن الشعبي المحنة بدعة وذلك ان
يمتحن الظالم الرجل فيقول فعلت كذا فعلت كذا فلا يزال به حتى يقول لما لم
يفعله فعلته او ما لا يجوز يعني ان فعله ذلك به بدعة بملاحظة ما وقع وحل
باهل هذا النصاب ممن امتحن من الانبيا مما تركه اولى الرفيع اي العلي رتبة
المعصوم اي المحفوظ من مقارفة الذنب فكيف بمن سواهم ممن ليس بمعصوم
ولهذا اي ولاجل ابتلا الانبيا كان لينبه غيرهم فيحذروا ويهيئوا الصبر على
المحن بما جرى لهم قال صالح المري ذكر اي الله داود صلى الله عليه وسلم بقصة
بسطة للتوابين اي سعة ليتنبهوا للتوبة ويتنبهوا عليها قال ابن عطا لم
يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت يونس صلى الله عليه وسلم على ما مر
نقصا له ولكن كان نقصا استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم استزادها
من ربه اعلاما منه تعالى له صلى الله عليه وسلم بها زيادة على ما اعلمه
من قصص الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وايضا فيقال لهم الزاما
لمن سال عن معنى وعصى ادم ربه فغوى وعن معنى ما ورد في الوحيين
من اعتراف الانبيا بذنوبهم واستغفارهم لها فانكم ومن وافقكم
تقولون بغفران الصغاير كما قال الفقها باجتناب الكباير تمسكا في
ذلك بظواهر ادلة وردت اخبارا بذلك وبظاهر اية ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم مع قيام الظن بتقييد غفرانها
بالاجتناب بالمشية كالكباير لتسوية الاية ولغيرها دون ذلك لمن يشا
للنوعين ولا خلاف بين اعلام الايمة في القول بعصمة الانبيا من الكباير
فما جوزتم من وقوع الصغاير عليهم وصدورها منهم فهي مغفورة على
هذا اي على قولكم ومن وافقكم انها مغفورة باجتنابها فما معنى المواخذة
للانبيا صلوات الله وسلامه عليهم بها عندكم اذن مع اجتنابهم الكباير
وما معنى خوف الانبيا وتوبتهم منها اي من الصغاير وهي مغفورة لو
قدر انها كانت ووجدت فما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة اي
مواخذتهم صلوات الله وسلامه عليهم بافعال السهو والتاويل فيما لم
ينهوا عنه ولا امروا به واتوه مولين له على ما مر وقد قيل ان كثرة استغفار

النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته يجوز عطفه على استغفار وعلى كثرة
واستغفار غيره من الانبيا وتوبته انما كان على وجه ملازمة الخضوع
اي الانقياد والمطاوعة له تعالى شكرا له تعالى على ما ذكر اي فعلوا ذلك
لشكرهم لربهم على نعمه الفايضة عليهم كما قال صلى الله عليه وسلم والحال
انه قد امن من المواخذة بما تقدم من فعله جائزا والاليق به تركه ومن
ثم عُدّ ذنبا بشهادة ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وحذف
فاعل الامن للعلم به اذ لا يومنه فيها غيره تبارك وتعالى افلا اكون عبدا شكورا منها
اي كثير الشكر لربي اذ هو من ابنية المبالغة والشكر الحمد لان الحمد اعم
منه متعلقا واخص موردا اذ يقال في مقابلة النعمة وغيرها باللسان فقط
وعلى صباحة الوجه ورشاقة القد ويسمى هذا مدحا والشكر عكس الحمد
اذ يقال في مقابلة النعمة فقط قولا وفعلا ونية ثنا على المنعم باللسان
واذابة للنفس في طاعته واعتقادا انه موليها وقال اي النبي صلى الله
عليه وسلم اني اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي اي احذر فاتركه ورواه البخاري
بلفظ اني لاتقاكم لله واخشاكم له وفي رواية ان اخشاكم لله واتقاكم انا قال
الحارث بن اسد المحاسبي خوف الملايكة والانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم خوف اعظام وتعبد لله توقية منهم له تعالى حق عظمته وقدر
حسب الطاقة الملكية والبشرية والا فهو تعالى قد جاوز عظما وقدرا
حدا لا تمكن الاحاطة بكنه جلاله وقدره لانهم لعصمة الله لهم مستيقنا
بدية لهم امنون من ان يعتريهم سوء ويرهقهم رهق وقيل انهم انما فعلوا
ذلك اي كثرة الاستغفار والتوبة والخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير ليقتدي بهم ولتستن بهم اممهم في تلك الخلال الشريفة والخصال
المنيفة كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم من الاهوال والشدايد
وحذرتم ما يوذيكم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا خشية اصابة ذلك اياكم
وايضا فانهم انما فعلوا ذلك لان في التوبة والاستغفار معنى اخر لطيفا
غير استدعا الرضى والمغفرة لهم اشار اليه بعض العلما هو استدعا
محبة الله اي طلبها منه تعالى واستجلابا لرضاه عنهم وتعظيمه لهم وثنايه
عليهم واثنا ثنايه قال تعالى ان الله يحب التوابين مما يصدر منهم مما
لم يفوا عنه ويحب المتطهرين اي المتنزهين عما لهوا عنه او المطهرين
انفسهم بطهارة التوبة من كل ذنب والمتطهرين الاقذار ففي احداث الرسل
والانبيا الاستغفار والتوبة اي طلبهم المغفرة والرجوع اليه والانابة
والاوبة الفاظ متقاربة المعنى للتاكيد في كل حين من غالب اوقاتهم

استتر عن الحجة اسه تعالى منه لم والاستغفار فيه معنى التوبة من حيث انه
طلب للبراءة من الذنوب وطريق الرجوع عنها وقد قال الله لنبيه صلى الله
عليه وسلم بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر على تقدير صدور
ذنب منه لقد تاب الله على النبي نوع بيان فضل التوبة وقدرها عند الله
وحث المؤمنين عليها وايذان باحتياج كل احد اليها والى الاستغفار كالنبي والمهاجرين
والانصار وارشاد الى ان صفة التوابين صفة الانبيا كما وصفهم بالصالحين
اظهارا لفضيلة الصلاح وقال اي ربنا تبارك وتعالى فسبح بحمد ربك اي متلبسا
بحمد امره صلى الله عليه وسلم ان يسبح حامدا له تعجبا لتيسيره لك ما لم يخطر
ببالك وبال احد من ان يغلب اهل مكة احد واحمد على فتحها لك واستغفره
امره تعالى به مع التسبيح مع عصمته لطفا لامته وتحليلا للامر بما هو قوام
امر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وقد روت عائشة
كان صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب
اليك انه كان توابا على عباده المكلفين منذ خلقهم مع افاضة نعمه عليهم
ظاهرة وباطنة فصل قد استبان لك اي ظهر وسينه للاطالة وفي حديث
عمار قيل له اذا خطبت لقد اوجزت فلو كنت تنفست اي اطلت واصله ان المتكلم
اذا تنفس استانف القول فتسهل عليه الاطالة بما قررناه فيما ان تأملته
بان لك ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم من الجهل بالله وصفاته
لانه كالانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قد ولدوا على معرفة الله والاقرار
بوحدانيته متهيئين لقبول الدين عن غيرهم ناشين عنه او بان لك من عصمته من
كونه كان على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة لا يخرج عن علمه بذاته
تعالى وصفاته شيء منها بعد النبوة عقلا واجماعا لقضائهما بجانبه شرف
الكمال وكرم النوال وقبلها سمعا لحديث البخاري ومسلم ما مولود يولد
الا على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة
جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وحديث كل عبادي خلقت
حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فمروهم ان يشركوا بي غيري اي
وعصم منهم الانبيا اذ لم يجعل لهم عليهم سبيلا واجتالتهم روي
بالجيم من جال واجتاله اذا ذهب به وجاء واجتاله اذا ذهب به معه اي
استخفتهم فجالوا معهم في الضلال يهيمون ويروى بالحاء اي نقلتهم من حال
الى حال والمشهور رواية الجيم ونقلا عطف على سمعا عن ائمة الدين انهم كلهم
صلوات الله وسلامه عليهم معصومون قبلها ولا كونه صلى الله عليه وسلم على

حالة تنافي العلم بشيء مما قررناه من امور الشرع الذي ارسل به صلى الله
الله عليه وسلم واداه عن ربه من الوحي تبليغا منه صلى الله عليه وسلم
الينا قطعا عقلا وشرعا لجزمهما بانه صلى الله عليه وسلم لم يكن على حالة
تنافي علمه بشيء من ذلك وقد استبان لك بما قررناه ما هو الحق من
عصمته من الكذب وخلف القول كم تفاديا من ان يتهموا في التبليغ
منذ نبأه الله اي اظهر نبوته وارسله هو معصوم من ذلك لم يصدر منه
شيء قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا لحكمهما
بامتناع صدور شيء من ذلك لم يصدر منه شيء واستحالة ذلك عليه
نظرا وبرهانا كافادتهما امتناع صدورهما عنه صلى الله عليه وسلم وتنزيهه
عنه قبل النبوة قطعا اذ هو اللائق بجنابه صلى الله عليه وسلم وتنزيهه
من الكبائر اجماعا لرفعة محله الكريم عنها وعن الصغائر تحقيقا لا ريب
فيه وعن استدامة السهو والغفلة لبعد ساحة مقامه صلى الله
عليه وسلم في تبليغ الاحكام عنهما وقد قيل

يا سائلي عن رسول الله كيف سها ... والسهو عن كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره فسها ... عما سوى الله في التعظيم لله

وعن استمرار الغلط والنسيان حفظا لعقله التيقظان من اداء
شيء منهما عليه فيما شرعه للامة من الاحكام واجبا ومندوبا
ومباحا وحراما ومكروها وخلاف الاولى واستبان لك ما هو الحق من عصمته
في كل شيء من حالاته مما يعتري بني ادم من رضى وغضب فلا يكون منه الا
ما هو محمود في خطاب الحق والدين وجد بكسر اوله ضد الهزل ومزح
في مخاطباته ولا يكون الا حقا فيجب عليك ان تتلقاه اي ما صدر منه صلى
الله عليه وسلم في اي حالة كانت وتأخذه باليمين اذ من شانها ان
تتلقى ما شرف لانها من اليمن وهو البركة وتشد عليه يد الضنين
اي البخيل الذي يضن بكسر ثانيه اي يبخل بما يختصه لمكانته ونفعه صلى
الله عليه وسلم عنده وكرم نفعه وفي الحديث ان لله ضنائن من خلقه يحييهم
في عافية ويميتهم في عافية جمع ضنينة فعيلة بمعنى مفعولة اي مضنونة من
الضن بالكسر اي خصائص منهم اختصهم لمكانتهم منه ونفاستهم عنده
وفي حديث الانصار لم يقل الانصار برسول الله صلى الله عليه وسلم اي مخلا به
وشحا ان يشاركنا فيه احد وتجب عليك ان تعتد بهذه الفصول التي تلوناها
عليك مما بان لك من شرف قدره وكرم خطره حق قدرها اي تعظمها حق تعظيمها
وتعلم عظيم فايدتها وخطرها اي شرفها وسن تبعها بما لهجت به وابانته

موقعهم عنده

من بعض كرايم مناقبه ومكارم مآثره فان من جهل ما يجب له صلى الله عليه وسلم من تعظيم وتوقير او جهل ما يجوز له او يستحيل عليه عقلا وشرعا او عادة ولا يعرف صور احكامها اي اعيان ما يجب له ويجوز ويمتنع مما خص به واجبا ومندوبا ومباحا وحراما ومكروها لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه فيؤذي وهو لا يشعر ولا ينزهه عما لا يجب اي لا يجوز ان يضاف اليه فيهلك في ابدية الحق واودية الضلال من حيث لا يدري اي لا يعلم ويسقط في هوة الدرك محركا وقد يسكن الاسفل من ادراك اي منازل النار فالدرك الى اسفل والدرج الى فوق ومنه قولهم بالمنصل التوذي ونزولهم وطلوعهم فالى درك وعلى درج اذ ظن الباطل به صلى الله عليه وسلم واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل اي ينزل بصاحبه فيدخله دار البوار ومن هذا اي ومن اجل ان اعتقاد ما لا يجوز عليه يورد صاحبه دار الهلاك احتاط اي تحرى صلى الله عليه وسلم طلبا للنجاة خشية على الرجلين من الانصار كما في البخاري وغيره اللذين راياه ليلا مع زوجته صفية وقد جاءته تزوره وهو معتكف في المسجد فتحدثت معه ثم قام معها ليقلبها الى بيتها فمر ابه فابصراه فاسرعا فقال لهما على رسلكما اي اثبتا على مشيكما او لا تسرعا انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله ذلك لهما اذ لا يظنان به صلى الله عليه وسلم ما لا يليق به ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم نفوذه في المنافذ الضيقة واني خشيت ان يقذف اي يلقي ويوقع في قلوبكما شيئا وفي رواية شرا فتهلكا بما يلقي في قلوبكما مما لا يجوز نسبته اليه صلى الله عليه وسلم كان يوسوس لهما ان معه امراة اجنبية تمطنا. هذا مبتدا اي ما ذكر من احتياطه صلى الله عليه وسلم للرجلين اكرمك الله اي جعل الله منزلتك ومقامك عنده كريما حسنا مرضيا احدى فوايد ما تكلمنا عليه خبر المبتدا وما بينهما اعتراض افاد دعاءه لمخاطبه بالاكرام من الله وايماء الى الاشارة نظرا الى ما بعده في هذه الفصول السالفة من تعظيم الانبيا تحذيرا من ان يعتقد بهم ما لا يليق بكريم مناقبهم من جهل عصمتهم في جميع احوالهم رضى وغضبا وجدا ومزحا وجهل ما يجب لهم ويجوز ويمتنع ولعله يجب بهلا لا يعلم بجهله اي بجهل كونه جاهلا ونسمي جهلا مركبا اذا سمع شيا منها اي من تنزيهات الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم عما لا يليق بهم ومناقبهم مما بيناه يرى ان الكلام فيها جملة بالنصب اما بنزع الخافض وعلى الحال اي بجملتها او مجملة من فضول العلم خبر ان او بالرفع خبرا لها وما بعده صلة له وان السكوت وعدم التعرض لذكره اولى وهذا من مثل من لا يعلم بجهله راي فاسد وبيان مناقبهم وتنزيههم عما لا يليق بهم واجب اظهارا لشرفهم وعظم قدرهم عند ربهم وكرم مآبهم وكمال نصابهم وجلالة

رتبهم وزجرا لمن لا يقدرهم حق قدرهم وقد كان لك انه يتعين بل واجب ذكرهم للفائدة التي ذكرناها المفادة بقوله صلى الله عليه وسلم انها صفية الزاجر لهما عن قبول وسوسته لهما ومتعين ذكره من اجل فايدة ثانية يضطر اي يحتاج اليها في اصول الفقه ويبني عليها مسايل لا تنعد لغة رديئة لكثرتها جدا لا تكاد تعد ويتخلص بها من تشغيب اي تهييج مختلفي الفقهاء الشر والفتنة والخصام في عدة منها وهي اي الفائدة المضطر اليها في اصول الفقه الحكم في اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله بعصمته فيها مطلقا عمدا وسهوا وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه كاينا احكام الشريعة عليها وتفرعها عنها ولا بد من بنايه اي الاصل الكبير على صدقه صلى الله عليه وسلم لتوقف ثبوت الاحكام الشرعية عليه في اخباره وبلاغه ما ارسل به الى من بعث اليهم ولا بد من بيان انه لا يجوز عليه السهو فيه اي في ابلاغ ما امر بتبليغه ولا بد من بيان عصمته صلى الله عليه وسلم من المخالفة في افعاله عمدا زجرا لتوهم تجويز ذلك عليه فضلا عن اعتقاده وبحسب اختلافهم في وقوع الصغاير وصدورها منه كالانبيا وقع اختلاف في امتثال الفعل بمجرد صدوره منهم والحق كما مر الصبر على امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا بلا قرينة على ما ذهب اليه اكثر اصحاب الشافعي ومالك وابي حنيفه وبسط بيانه اي بيان امتثال الفعل في كتب ذلك العلم المذكور فيه اختلافهم في وقوع الصغاير منهم فلا نطول به اكتفا بذكره هناك وفايدة ثالثة يحتاج الحاكم في او غيره والمفتي اي مجيبا السايل عن مسالته من افتاه بقيه اذا اجابه عنها فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيا من هذه الامور مما يجب له او يجوز او يمتنع ووصفه بها كلا او بعضا فمن لم يعرف ما يجوز له او يمتنع عليه ولا ما وقع الخلاف فيه كيف يصمم اي على اي حال يردع به في الفتيا ابالوجوب ام بالجواز ام بالمنع في ذلك الذي يجب له صلى الله عليه وسلم او يجوز او يمتنع عليه اذا وقع اليه ومن اين يدري هل ما قاله فيه ذلك الحاكم او المفتي نقص او مدح حتى يقدم عليه فيعمل به واذا لم يعلم واقدم فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام تحمله نارا وقودها الناس والحجارة او يسقط حقا ويضيع حرمة له صلى الله عليه وسلم فيهلك من حيث لا يدري وبسبيل هذا اي ما ذكر من عصمة الانبيا وقد اختلف ارباب اي اصحاب الاصول وايمة العلما والمحققين اي عظما وهم الاعلام في عصمة الملايكة نعم كلهم في جريان الخلاف فيها والصحيح كما مر بل الصواب

ونحوه من التشعيبات كقوله تعالى عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون **وذهبت طايفة** من العلما **الى ان هذا** اي ما ذكر انما قضى لعصمة
جميعهم **خصوص للمرسلين والمقربين منهم** اي من الملايكة **واحتجوا باشيا**
ذكرها اهل الاخبار والتفاسير جمع تفسير تفعيل من الفسر وهو الكشف
فهو تكشيف عما يدل عليه الكلام فوضع موضع معناه فقيل تفسير الكلام اي معناه
كذا **ونحن نذكرها ان شا الله بعد** من الغايات المنقطعة عما تضاف اليه منوتا
بعدها **ونبين الوجه** الحسن المرضي **فيها ان شا الله** بالهمز اي ان اراد وفي الحديث
اتى يهودي النبي صلى الله عليه وسلم فقال تنذرون وتشركون تقولون ما شا الله
وشئت فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقولوا ما شا الله ثم لافادة الواو
الجمع وثم الجمع مرتبة لو اورثت الجمع بين الله وبينه في المشيئة ثم تؤذن
بتقدم مشية الله على مشيته بل لا تحصل الا بمشية الله تعالى ومن ثم قال
الامام ناصر السنة محمد بن ادريس الشافعي

ما شئت كان وان لم اشا * وما شئت ان لم تشا لم يكن
خلقت العباد لما قد علمت * ففي العلم يجري الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا اعنت وذا لم تعن

هذا وقافية هذه الابيات موجهة عراها سناد التوجيه وهو اختلاف حركة
ما قبل الروي المقيد اي الساكن سميت موجهة لان حركة ما قبل الساكن الحركة
عليه وكان حركة الروي المقيد توجيها كالثوب الذي له وجهان فكانه صار
ذا وجهين ساكن ومتحرك فاجتماع الفتح كما هنا مع غيره اقبح من اجتماع الضم
مع الكسر **والصواب عصمة جميعهم** اي الملايكة من المعاصي لعقدهم ما
يبعثهم عليها من شهوة وغيرها **وتنزيه نصابهم** اي منصبهم بمعنى
قدرهم **الرفيع** عند ربهم **ورات بعض شيوخنا ما اليان** هي المخففة من
الثقيلة اي انه **لا حاجة بالفقيه** اي له **الى الكلام في عصمتهم** اكتفا بما ورد
من مدح الله لهم بانهم عباد مكرمون مما افاد عصمتهم وانهم عنده بمقام كريم
وانا اقول تقدم المسند اليه للتقوي بتكرير الاسناد اذ هو اقوى من اقول
انا لا لاختصاصه لهذا القول اذ لا مقتضى له **ان للكلام في ذلك** اي في بيان
عصمتهم **ما للكلام في** بيان **عصمة الانبيا من الفوايد التي ذكرناها** فيما
تقدم من الفصول **سوى فايدة الكلام في الاقوال والافعال** لعدم اطلاعنا
على ما يصدر منهم من قول وفعل مع انا لسنا مكلفين باتباعهم فيها فلا داعي
الى اثبات عصمتهم فيها من طرو ما لا يليق بهم فيها عمدا وسهوا **فهي** فايدة

تنزيه الانبيا من كل ما لا يليق بهم وهذا **فصل في** تحرير بيان **القول في عصمة الملايكة**
جمع ملك اصله ملاك حذفت همزته لكثرة الاستعمال وقيل اصله مالك بتقديم
اللام من الالوكة وهي الرسالة فاخرت ثم جمع وقد تحذف الها فيقال ملايك
وفي الحديث لا تدخل الملايكة بيتا فيه كلب ولا صورة اراد بهم السياحين غير
الحفظة وحاضري الموت **اجمع المسلمون على ان الملايكة مومنون** بالله
ورسله **فضلا** قدرهم عند ربهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون
واتفق ايمة المسلمين علما الامة وعظما الملة **على ان حكم المرسلين منهم**
اي من الملايكة صلوات الله وسلامه عليهم **حكم النبيين سوا في العصمة**
وغيرها من تعظيم وتوقير فيما يحل لهم ويجوز ويمتنع من عيب ينقصهم وريب
يغمصهم **مما ذكرنا في عصمتهم** اي عصمة النبيين **منه** اي من السهو في
القول والتبليغ **والغير** اي رسل الملايكة **في حقوق الانبيا** من حيث السفارة
بين الله وبينهم **والتبليغ اليهم** مما امرهم الله ان يبلغوه للانبيا **كالانبيا مع
الامم** في تبليغ الاحكام اليهم وارشادهم وبيان المصالح لهم **واختلفوا
في غير المرسلين منهم** امعصومون هم كمرسليهم ام لا **فقوله تعالى
لا يعصون الله** اي لا يخرجون عن طاعته **في ما امرهم** ويجوز ان يكون
محله نصبا على البدل من الاسم الكريم اي لا يعصون ما امر الله اي امره
مذعنين منقادين له غير آبين ولا منكرين **ويفعلون ما يومرون**
اي يودونه ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه **ويقولون وما منا الا
له مقام معلوم** حذف الموصوف واقيمت صفته مقامه اي ما منا
معشر الملايكة احد الا له مقام لعبادته لا يتجاوزه الى غيره **وانا لنحن
الصافون** اقدامنا في الصلاة وحول العرش داعين للمومنين **وانا لنحن
المسبحون** تنزيها له تعالى عن ان يكون كما افكته قريش بنات الله ولم النبين
والظهر لكاذبون ويقوله **ومن عنده** منزلة ومكانة لا منزلا ومكانا وهو
مبتدا خبره **لا يستكبرون** تعاظما **عن عبادته ولا يستحسرون** اي ولا
يعيون من كثرة العبادة **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** حال من ضمير
يسبحون اي مديمين لتسبيحهم مستغرقين جميع اوقاتهم اي لا تتخلله فترة بمهلة
عنه لجريانه منهم مجرى التنفس منا **وقوله** تبارك وتعالى **كرام** اي على الله او عن
معاصيه **بررة** جمع بار اي اتقيا **لا يمسه الا المطهرون** من ادناس الذنوب
وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح المصون عن غير
مقربي الملايكة لا يطلع عليه سواهم وان جعلت صفة للقران فالمعنى لا يمس
المكنون منه احد من الناس الا من هو على طهارة ومن الناس من حمله على القراءة ايضا

الكلام في اقوالهم وافعالهم ساقطة هنا اي في بيان عصمتهم فما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم اي جميع الملائكة رفعًا لعموم السلب واثباتها وضعا للسلب العموم
قصة هاروت وماروت ملكين ببابل بلد بالعراق سميا بالعجميات تشبيهًا ومنعهما
صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت لصرفا محلهما الجر بدلا
من الملكين وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقله المفسرون من ان الملائكة عيرت بني
ادم بعصيانهم الله تعالى فقالوا كما رواه البيهقي في شعب الايمان عن ابن عمر يا رب
هؤلاء ما اقل معرفتهم بعظمتك فقال لو انتم في مسلاخهم لعصيتموني قالوا كيف يكون
هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فاختاروا منكم ملكين فاختاروهما فاهبطا
الى الارض وركبت فيهما شهوات بني ادم ومثلت لهما امراة فما عصما حتى واقعا
المعصية فقال الله لهما اختارا عذاب الدنيا او عذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا
وما روي عن اسحق بن راهويه وعبد بن حميد وغيرهما عن علي ان هذه الزهرة
تسميها العجم اناهيذ وكان الملكان يحكمان بين الناس فاتتهما فارادها كل منهما
مخفيا من الاخر فقال احدهما يا اخي اريد ان اذكر لك ما في نفسي فقال اذكره لعله
ما في نفسي فاتفقا فقالت لا امكنكما او تخبراني بما تصعدان به الى السما وتهبطان
به فقالا باسم الله الاعظم قالت علماني فعلماها اياه فتكلمت به فطارت
الى السما فمسخها الله كوكبا وما روي في حديث ابن ابي حاتم عن ابن عباس ان ملائكة
سما الدنيا قالوا يا ربنا اهل الارض يعصونك فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة
يحكمون في الارض وجعل فيهم شهوة بني ادم وامروا ان لا يقربوا ذنبا
فاستقال منهم واحد فاقيل فهبط اثنان فاتتهما امراة من احسن النسا
يقال لها مناهيد فاتيا منزلها واراداها فابت حتى يشربا خمرا ويقتلا ابن جارها ويسجدا
لوثنها فابيا الا ان يشربا فشربا ثم قتلا ثم سجدا وقالت اخبراني بالكلمة التي
اذا قلتماها طرتما الى السما فاخبراها فطارت فمسخت جمرة وهي الزهرة فارسل
اليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا
عذاب الدنيا فهما مناطان بين السما والارض وما روي من ابتلائهما بما
ذكر وبالسحر فتنة للناس اي اختبارا وامتحانا فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله
كفر ومن تجنبه او تعلمه ليتوقاه كما قيل

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لم يعرف الشر من الخير يقع فيه

فاعلم امر كل من تاني بوجهه له اكرمك الله اعتراض بين فعل الامر
ومعموليه الساد مسدهما لم يرو منها شي مرفوع لنيابته عن الفاعل شيء لا
سقيم ولا صحيح كرر حرف النفي تاكيدا وتقريرا وتقوية لنفي رواية شيء من

صلى
الاخبار في شانهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما نفي من روايته عنه
الله عليه وسلم من سقيم وصحيح شيء بوخذ بقياس من اصل وفرع هذا وما ذكر
من نفي رواية شيء من اخبار قصتيهما عنه صلى الله عليه وسلم لا سقيم ولا صحيح
قد عورض بالاثبات لا بنقضها مع ورود ما يشهد بها مطولا مرفوعا من رواية عمر
في مسند احمد وصحيح ابن حبان وتفسير ابن جرير وشعب الايمان للبيهقي ومسند
عبد بن حميد والعقوبات لابن ابي الدنيا وغيرهم ومختصرا من رواية ابي الدردا
في ذم الدنيا لابن ابي الدنيا وموقوفا عن علي وابن عباس كما مر عن ابن عمر وابن مسعود
باسانيد صحيحة قيل وهذه القصة في القول النسيد طرق تفيد العلم بصحتها والذي
في القران منه اي من خبر قصتهما في سورة البقرة اختلف المفسرون في معناه فكل
ذهب الى ما اطلع عليه نقلا وانكر ما قال بعضهم فيه اي في معناه كثير من السلف
كما سنذكره فلا نطول بذكره هنا وهذه الاخبار التي اوردها المفسرون فيه من
كتب اليهود وافترايهم على انبيا الله وملايكته كما نص الله اول الايات من اقترائهم
اي كذبهم على سليمان وتكفيرهم اياه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى واتبعوا اي
اليهود ما تتلوا الشياطين اي اتبع اليهود كتب السحر والشعوذة التي كانت
تقروها على ملك سليمان في زمن ملكه وعهده وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون
السمع ثم يخلطون بما سمعوه اكاذيب كثيرة يلقونها الى الكهنة وقد دونوها في
الكتب يقروها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمنه حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب
وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا به وما سخر له الانس والجن والريح
التي تجري بامره رخا الا به تكذيبا للشياطين ودفعا لما
بهتت به سليمان من اعتقاده السحر والعمل به ولكن الشياطين هم الذين كفروا
باستعمالهم السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواهم واضلالهم
وقد انطوت القصة اي اشتملت قصة هاروت وماروت على شنع بضم
المعجمة وفتح النون اي قبايح عظيمة وها كلمة تنبيه للمخاطب ينتبه بها على ما
يلقى عليه من الكلام نحن نخبر بمهله وبما مستنده اي نرشد ونكشف في ذلك ما
يكشف غطا هذه الاشكالات ان شا الله تعالى تيمنا وتبركا بذلك مشبهها
للاشكالات باشيا محجبة تحت اغطية استعارة مكنية مثبتا لها الغطا
تخييلا للنفس بان المشبه من جنس المشبه به وصرفها عن توهم التشبيه وذكر
الكشف ترشيح للمجاز فاختلف اولا في هاروت وماروت اي في ماهيتهما من اي نوع
هما قبل الاختلاف في سبب ما عرض لهما هل هما ملكان من الملائكة ماهيتهما
نور او انسيان نسبة الى الانس وهم بنو ادم فما هيتهما الحيوانية والناطقية وهل
هما المراد بالملكين في اية وما انزل على الملكين ام لا وهذا القراه بفتح لام هما

توهم

ذلك ان ما في وما انزل على الملكين نافية وهو قول ابن عباس وقد يلي عليك انه خلاف
ظاهر الاية بشهادة انها في ما انزل اما معطوفة على السحر في يعلمون الناس السحر او
على ما تتلوا اي ويعلمونهم ما انزل عليهما او واتبعوا ما انزل عليهما فهي على ما ذكرنا ليست
نافية قال مكي وتقدير الكلام على قول خالد تبعا لابن عباس انها نافية عطفا على
وما كفر سليمان اي بانه سحر افتعلته اي افترته وانكته الشياطين عليه وتبعتهم
في ذلك اي فيما افترته عليه اليهود اذ من شانهم وديدنهم البهت والافترا والاسنا ك
وما انزل على الملكين من علم السحر شيء على القول بان ما نافية وقد اوتيت في ضعفه
الى كرشديد قال مكي هما اي الملكان جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما
المجي به اي بعلم السحر ابتلاء واختبارا للناس كما ادعوا على سليمان اعتقاده وعمله
به فكذبهم الله في ذلك بقوله تعالى ولكن الشياطين كفروا باستعمالهم السحر
وتدوينه يعلمون الناس السحر قصدا لاغوايهم واضلالهم ببابل من بلاد العراق هاروت
وماروت وقيل هما رجلان تعلماه ما ابعد هذا القول عن ساحة القبول ولـ
الحسن بن ابي الحسن البصري هاروت وماروت علجان تثنية علج وهو
القوي لشدته العليظ الجافي من اهل بابل من قرى العراق وقرا اي الحسن
الملكين بكسر اللام بنا على انهما كانا منها ونزل عليهما السحر وتكون الجار ما
موصولة صلته انزل لا نافية على هذا اي على ما ذكر من قراة الحسن ولذلك اي
وقراة الحسن قراة عبد الرحمن بن ابزي بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا
اي في ايته وما انزل على الملكين داود وسليمان صلى الله عليهما وسلم وتكون
على قراته ما نافية على ما تقدم من قول خالد وجعلهما نفسهما ايجابا ونفيا
مجاز مرسل علاقته العلمية عليهما وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فمسخهما
الله حكاه السمرقندي والقراة بكسر اللام شاذة
اي احاد وليست متواترة فيحمل الاية اي ايته وما انزل على الملكين على تقدير مكي
بجعله ما نافية عطفا على ما كفر سليمان حسن لو قيل انهما لم يؤمرا بتعليمه
للناس ابتلاء وامتحانا لهم اما على القول بانهما مامومان بتعليمهما اياه لهم فلا
حاجة الى ارتكاب القول بجعلها نافية لمخالفته كما مر ظاهر الاية لان تعليمهما ذلك
طاعة وامتثال لامرهما به بنزه الملايكة عن الخروج عن طاعة الله ويذهب
عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا اقتباس حسن استعير فيه الرجس
للذنوب والتطهير للعصمة منها استعارة تحقيقية مرشحة بالتطهير تنفير
لاولى النهى عما كرهه الله تعالى لهم ونهاهم عنه وترغيبا لهم فيما يرضيه مما امرهم
بجامع ان عرض المقترف للقبايح يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالاحجار
ويكتسب الحسنات هو منها نقي مصون لا يدنسه منها شيء وقد وصفهم الله

ملكين او بكسرها ملكين كانا ببابل انزل عليهما السحر وهل ما في ايته وما انزل
وما يعلمان نافية او موجبة اسما موصولا فاكثر المفسرين ذهبوا الى ان الله
امتحن اي اختبر وابتلا الناس بالملكين لتعليم السحر لهم وتبيينه وان عمله
وفي ننحة عمله كفر جعل كلا منهما نفسه كفرا لانهما كان في رعينا الغيث سببه مجازا مرسلا
فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر لاعتقاده حل حرام اجماعا ومن تركه معتقدا حرمته
امن اي دام على ايمانه ان كان مومنا والا فالكافر لا يصير بمجرد تركه مومنا قال
الله تعالى انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر اي فلا تتعلمه معتقدا حله
فتكفر وتعليمهما مبتدا مصدر مضاف لفاعله الناس مفعوله تعليم انذار جزم اي
يقولان لمن جا يطلب تعلمه منهما لا تفعل اي لا تتعلمه فانه يفرق بين المرء وزوجه
اي هو سبب للفراق بينهما بايجاد الله عنده البغض والنشوز والخلاف ابتلاء من الله
ليتميز به الثابت على الحق عن غيره بحصوله بنفسه اثر يخلقه الله عند تعاطيه لسببه
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وقد لا يحدثه ولا تتخلوا كذا من تمويه ونفث
في العقد فانه سحر فلا تكفروا بتعلمه معتقدين حله فعلى هذا القول بان تعليمهما الناس
تعليم انذار وتحذير فعلهما تعليما لم يبعد نهيهما لهم عنه وبعد نصحهما لهم بقولهما
انما نحن فتنة فلا تكفروا طاعة لربهم وتصرفهما فيما امرا به من تعليمهم السحر لمن ابتغاه
منهما ليس بمعصية وهي الغفلة منهما تعليما لغيرهما فتنة كما حكى الله عنهما
بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وروى ابن وهب عن خالد
ابن ابي عمران انهما اي هاروت وماروت ذكرا عنده وانهما يعلمان السحر لمن طلب
تعليمه منهما فقال نحن ننزههما عن هذا اي عن تعليمهما السحر فقرا بعضهم
ردا لقوله البعيد لمخالفته القول الصحيح الموافق لظاهر الاية وما انزل على
الملكين بفتح اللام فقال خالد منكرا لنزوله عليهما لم ينزل عليهما وهذا اعجب
واشد انكارا لظاهر مراد الله بالاية بشهادة كونهما عطف بيان للملكين
ورجوع الضماير في وما يعلمان ويقولا ومنهما اليهما مع ان تعليمهما كما مر لمن طلبه
منهما امتثال لامر ربهما وطاعة له فلا نقص يعرا بهما به فهذا خالد على جلالته
وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي لا حاجة الى تنزيههما عما امرهما
به مما فعله طاعة وقد ذكر غيره اي غير خالد انهما ماذون لهما في تعليمه
بشرط ان يبينا فكانا لا يعلمان احدا حتى يقولا له انذارا اي تعليمهما كفر وامتحان
وابتلاء من الله فكيف لا ننزههما نحن وننزههما نحن عن كباير المعاصي كشرب
الخمر وقتل النفس والسجود للصنم والزنا والكفر المذكورة في ما مر من تلك
الاخبار الواردة بذلك اولى من تنزيه خالد لهما من السحر الماذون لهما في تعليمه
وقول خالد لم ينزل عليهما اي ما اتاه وما انزل على الملكين من علم السحر وبقوله

اي الملائكة بأنهم مطهرون من الادناس ذنوبا وغيرها ولعله اراد قوله تعالى لا يمسه
الا المطهرون لكن وصفهم به انما ياتي على جعله صفة لكتاب مكنون اي مصون
في اللوح المحفوظ عن غير المقربين منهم لا يطلع عليه غيرهم وهو لا يفيد الا
وصف المقربين به منهم دون جميعهم الذي اراده هنا هذا وان جعل وصفا
للقران افاد انه لا يمس المكتوب منه الا من كان على طهارة من الناس ومنهم
من ادل المس بالقراة وقد روي عن ابن عمر احبان لا يقرا الا وهو طاهر وبانهم
كرام بررة اي اتقيا وبانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ومما
يذكرونه محتجا به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة ابليس قالوا انه كان من الملائكة
وانه اي الله استثناه من الملائكة استثنا متصلا بقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس فلو لم يكن منهم لما استثنا فرد من جمع وهذا القول
بانه منهم لم يتفق عليه بين العلما بل الاكثر منهم ينفون ذلك القول بانه منهم
وانه ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وهو اي القول بانه ابو الجن قول الحسن
وقتاده وابن زيد وانما استثني منهم لانه كان مغمورا بين الوف منهم فغلب
عليه تغليبا كثيرا جدا على فرد في فسجدوا ثم استثني استثنا واحدا منهم وقال
شهر بن حوشب كان من الجن بشهادة الا ابليس كان من الجن الذين طردتهم
الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثنا بقوله الا ابليس منقطع لانه
من غير الجنس المستثنى هو منه وهو اي الاستثنا من غير الجنس في كلام
العرب شايع ذايع جار على السنتهم وقد ذكرنا هذا بكونه استثنا من غير
الجنس ما في قوله تعالى تكذيبا لمن زعم قتل عيسى ما لهم به من علم الا اتباع
الظن لان اتباعه ليس من جنس العلم فهو استثنا منقطع اي ولكنهم اتبعوا
فيه ظنهم ومما رووه كابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن يحيى بن كثير في
الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله ولم يمتثلوا ما امرهم وامروا ان
يسجدوا لادم فابوا فحرقوا بالنار لاباءهم السجود له ثم اخرون كذلك اي امروا
بالسجود لادم فابوا فحرقوا حتى سجد له من ذكر الله في كتابه العزيز الا ابليس في
اخبار مفتريات لا اصل لها يعتمد يردها صحاح الاخبار الواردة بعصمتهم
بشهادة القرآن بانهم عباد مكرمون كرام بررة الباب الثاني من القسم
الثالث فيما يخصهم اي الانبيا من صفات شريفة وسمات منيفة شتّى
تعلقها بابها مورده فيه تتعلق المظروف بظرفه فيستعار له في تنوعها بكبر
مقامهم وشريف جنابهم من الامور الدنيويه من واجبات ومندوبات
ومباحات وكراهات ومحرمات ومكروهات وفيما يطرا عليهم من العوارض
البشريه وهذا كله اي ما تقدم من ان جسد نبينا كغيره من الانبيا صلوات

الله وسلامه عليهم وظاهرها خالص للبشرية يجوز عليه كما من الافات
والتغييرات بالانتقال من حال الصحة الى حال المرض والالام والاسقام
وتجرع كاس الحمام بكسر الحا الموت وقيل هو قدره وقضاوه والكاس مهموز وقد
يخفف الانا فيه الشراب ولا يسمى كاسا الا وهو مملو وقيل هو اسم لهما اجتماعا الشراب
وانفرادا والتجرع الشرب بعجله وقيل قليلا شبه الحمام بشراب في كاس على
طريقة الاستعارة المكنية ثم اثبت له الكاس تخييلا وذكر التجرع ترشيح او
اضاف المشبه به اعني الكاس الى المشبه اعني الحمام كما في لجين الما فيكون تشبيها
موكدا اي تجرع حمام كالكاس ما يجوز على البشر من الاوجاع والافات وهذا كله
ليس بنقيصة فيه صلى الله عليه وسلم ولا في غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم لان الشي انما يسمى ناقصا بالاضافة والنسبة الى ما هو اتم منه واكمل
من نوعه كافراد الانسان وان تفاوتت الفضايل وافضلهم الانبيا فمن سواهم
الخصم سوا فيما يعتريهم مما ذكر وقد كتب تبارك وتعالى على اهل هذه الدار اي دار
النكد والنوايب فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون الى البرزخ اول منازل
الاخرة تفنون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير واحدة المدارج وهي في
الاصل الثنايا الغلاظ التي يدرج اي يمشى فيها قال ذو البجادين يخاطب ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم

تعرضي مدارجا وسومي ❁ تعرض الجوزا في النجوم

هذا رسول الله فاستقيمي ❁ والغير بفتح اوله وكسرها بنيه بمعنى

التغيرات من غيرته فتغير وانتقل من حاله صالحة الى حاله فاسد شبه تغيرا ت
البشر المسماة بالغير التي تعتريهم اعتيا لانفوسهم ثبوتا وغيرها واضافها
اليها تشبيها موكدا اي تغيرا كالمدارج الغليظة الوعرة فكانها لكثرة اعتوارها
عليهم واتصالها بهم ظرف لهم ماكثين فيها لا يسلم منها احد فقد مرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم تكرمة لمثواه وتكثيرا لاجره بشدة بلواه
بشهادة حديث اشد الناس بلا الانبيا ثم الامثل فالامثل وحديث انك
توعك وعكا شديدا قال اجل كما يوعك رجلان منكم واشتكى اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرقاه جبريل بسم الله ارقيك من كل شي يوذيك من شر
كل نفس او عين حاسد الله يشفيك واصابه الحر والقر بضم اوله اي البرد اذ لم
يخص بهما احد دون احد قال عمر لابي مسعود بلغني انك تفتي
ول حارها من تولى قارها كنى بالحر عن الشدة والشر وبالبرد عن الهين والخير
ول شديدها من تولى هينها وول شرها من تولى خيرها واداركه الجوع والعطش
كغيره من البشر ولحقه الغضب لله تعالى اذا راى ادلغه ما يكره والضجر اي الملل

١

والشام وناله الاعيا والتعب كما يناله غيره من البشر هذا وسيل الزهري عن رجل
معه ما مع المراة كيف يورث فقال من حيث يخرج الما الدافق وفيه قيل

ومهمه اعيا القضاة عناوها ⁂ تبذا لفقيه يشك شك الجاهل
عجلت قبل حنيذها بشوايها ⁂ وقطعت مجردها بحكم فاصل

شبهه لاستعجاله بالفتوي بلا تاني في جوابه برجل نزل به ضيف فعجل قراه بما قطع
له من كبد الذبيحة ولحمها ولم يحبسه حتى يحنذها اي يشويها له لان تعجيل القرى
عندهم محمود وصاحبه ممدوح ومسه الضعف والكبر اي ان الشيخوخة فانه يورث
الوهن والهرم وسقط كما رواه الشيخان فجحش شقه اي خدش جلد جانبه الايمن كما جا في
الرواية الاخرى وشجه الكفار في وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب الراس فيشق
ثم استعمل في غيره من الاعضا اي جرح وجهه ابن قميئة قمأه الله وكسروا رباعيته اي
احدي ثنايا اسنانه وسقي السم وسحر هذه الاحاديث تقدمت كلها بمعانيها
مبينه وتداوي لبعض وجاعه تشريعا لامته واذنا لهم فيه وروي الشيخان
وغيرهما من طرق انه احتجم وتنشر اي ارتقي اذا لنشرة الرقيه من سحر وغيره
وقد ورد كما مر انه صلى الله عليه وسلم اشتكي فرقاه جبريل بسم الله ارقيك الى اخره
وقالت له عايشة الا تنشرت فقال اما الله فقد شفاني وتعوذ كما رواه
الترمذي والنسا ي عن ابي سعيد بلفظ كان يتعوذ من اعين الجان واعين الانس
فلما نزل المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما وروي الشيخان عن عايشة انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا اشتكي يقرا على نفسه بالمعوذات ثم قضي نحبه كني به عن
الموت اذ هو في الاصل النذر لان كل حي لابد له ان يموت وكانه نذر لازم له
فاذا مات فقد قضاه فتوفي صلى الله عليه وسلم اي توفاه الله ولحق بالرفيق
الاعلى الذي سال عند موته كما رواه البخاري وغيره عن عايشة اللهم الرفيق
الاعلى من النبيين والملايكة وتخلص من دار الامتحان اي تفعال من محنه اذا
اختبر بالمحن والشدايد والبلوي ما يورث القلب حرقا ويزيد ارتماضا وقلقا
وهذه اي ما عراه من ذلك سمات البشر جمع سمه اي علامات كون البشر مبتلي
لها فيتسمها والسومه والسمة والسيما العلامه وليتداوي يا لتشو
ما قبلها بمد ونقص التي لا محيص اي لا مخلص ولا مفر عنها واصاب غيره
من الانبيا ما هو اعظم منه اي مما اعتراه من نوايب الايام فقتلوا قتلا بغير
حق كيحيي بن زكريا بحز عنقه ووالده بالمنشار دخر لتين ورموا في النار كابرهيم
صلى الله عليه وسلم فكانت عليه بردا وسلاما وجرجيس احرق وطبخ ثم قام
سالما ووشروا بالمياشير جمع ميشار بغير همز لغة فيه كزكريا كما مر وشق
فلقتين ومنهم اي من الانبيا من وقاه الله ذلك اي من الانبيا من صانه وستره

عما اصيب غيرهم منهم وفي الحديث فوقي احدكم وجهه النار ولو بشق تمرة اي
الامر اي ليتق احدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة في بعض الاوقات ومنهم
من عصمه من القتل كعيسي اذ تمالات اليهود على قتله فاخبره الله انه يرفعه اليه
ويطهره من صحبتهم فقال لبعض اصحابه ايكم يرضي ان يلقي عليه شبهي
فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقي عليه شبهه فقتل
وصلب وعصم عيسي كما عصم بعد من الظروف الغاية قطع عن مضاف
اليه كما منع نبينا صلى الله عليه وسلم اي بعد عيسي وبعد ان تالبت عليه
قريش فنزل والله يعصمك من الناس فلين لم يكف عن نبينا ربه او صل الفعل
مفعوله والحق بفاعله متاخرا ضميره فليس من الاضمار قبل الذكر لورود
الضمير فعلا وعوده الى صاحبه متقدما لفظا لا رتبه اي انه كان ربه لم يصبه
ويمنعه يد ابن قميئه بكسر اوله وتانيه مشدد ابعد منمزه يوم احد حتى شج
وجهه وكسر رباعيته صلى الله عليه وسلم ولا حجبه عن اعين عداه عند دعوته
اهل الطايف واذ عرض نفسه على ابن عبد يا ليل ودعاه الى الاسلام ٥
واستنصره فابي ورموا رجليه بالحجارة فدميتا وطفق نعيلهما بتيابه فلقد
اخذ ربه تبارك وتعالى على عيون قريش باخفايه عنها ليلة ارادوا قتله في سر
عليا ان ينام على فراشه ثم خرج عليهم ونثر على راس كل واحد منهم ترابا
وكذا اخذ على عيونهم عند خروجه الى غار جبل ثور عن يمين مكة وامسك عنه
على ما تقدم سيف غورث ابن الحارث والذي في البخاري انه صلى الله عليه
وسلم نزل تحت شجرة من كثير العضاه فعلق سيفه بشجره ونام في ظلها فجا غورث
فاخترطه وقال له اي للرسول صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني فقال الله
فسقط السيف من يده فجعله سيفه مجازا لاستيلايه عليه تلك الساعة
وامسك عنه صلى الله عليه وسلم حجر ابي جهل عمرو بن هشام حين اراد ان يرضخه
به وامسك عنه فرس سراقة بن مالك بن جعشم بساخة رجليها بالارض فوقاه
الله شره كما افاده حديث الهجرة ولين لم يقه سحر لبيد بن الاعصم اليهودي
في مشط ومشاطه وجف طلعة ذكر في رواية البخاري فلقد وقاه ما هو اعظم
خطرا من سحره مثل سم اليهوديه لشاة مجنوذة بخيبر فاخبره كتفها به فاكل
منها وبعض اصحابه فلم يضره ومات به بشر بن البرا فقتلها به لذا روي وهكذا
سابر انبيايه صلوات الله وسلامه عليهم منهم مبتلي كايوب بتسها ذه اشد
الناس بلا الانبيا ثم الامثل فالامثل متعا ومن قتيه ومنهم معافي منه بجليل
ما هم وذلك اي ابتلاوهم من تمام حكمته ليظهر بامتحانه اياهم بالبلا شرفهم
بصبرهم عليه في هذه المقامات المتفاوته فيه ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم

بصبرهم عليه اي بمضيها عليهم بما صبروا على اذى اقوامهم ثم كانت لهم العاقبة
الحسنى لنبيهم دنيا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون ولتحقق امتحانهم بانواع البليات لتشتد تنبيههم ويرتفع
بعد معرفة الجفا من عوارض اجسام البشر الالتباس عن اهل الضعف اذا كان
لما يتوهموه فيهم من انهم لا يصيبهم بلا ولا تعتريهم شدة استعظاما لامرهم
واستبعادا له ومن ثم قصر نبينا صلى الله عليه وسلم على وصفه بالرسالة قصر قلب
اضافيا وبيانا لكونهم ممن يرهقهم ذلك لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب الخوارق
للعادات كبرد النار لابرهيم وقلب العصا حية لموسى وخلق الطير من الطين
كعيسى وانشقاق القمر لنبينا على ايديهم ضلال النصارى بعيسى بن مريم اذ بالغوا
في تعظيمه حتى اعتقدوا انه ابن الله تبارك وتعالى من مريم وقالوا ان فيه لاهوتية
وناسوتيه اي هو من الاله ومن الناس افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
ومنهم من قال انه تعالى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اي اصول اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم روح القدس وارادوا باقنوم الاب الذات وباقنوم
الابن العلم واقنوم روح القدس الحياة وكفى شاهد صدق بكذبهم ان الالهه
ثلاثه الله والمسيح ومريم وقوله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم اانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله وليكون في محنتهم مصدر ميمي فليل مفعوله معقوله
اي محل ابتلائهم تسلية لاممهم من اللواء وهو الكثرة وفي الحديث الحمد لله
الذي لا يفره المنع اي لا يكثره من اللواء الكثير يقال وفره يفره لو عده يعده
نته واعلا الا عند ربهم تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن اليهم به من
الطاعة في التبليغ وفي كل ما امروا به فامنوا بهم وعاينوا ما عراهم صلوات
الله وسلامه عليهم من المحن فانتفى بهم من انهم من اصابه شيء من ذلك
وقال بعض المحققين وهذه الطوارى بالهمز جمع طارئ من طرا يطرا اذا
ورد واقبل مفاجاة وقد لا يهمز فيقال طرا وطروا والتغيرات من حالة املاح
الى غيرها مما كان ينزل بهم فجئة من البلايا المذكورة انما تختص باجسامهم
البشرية المقصود اي التي قصد بها اي باجسامهم مقاومة البشر معالجة
من القيام معهم ليبلغوهم ما ارسلوا به اليهم ويدعوهم اليه ومعاناة بني ادم
بمخالطتهم مباشرة ودفعا ما عليهم لاصلاحهم لمشاكلة الجنس ومشابهته
له ومن ثم لم يكن الرسل من غير بني ادم واما بواطنهم صلوات الله وسلامه
عليهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه اي مبراة ومبعدة عما لا يجوز
عليهم كالجنون ولو متقطعا وفيه الغالبية مؤذن بجواز عليهم ما لا
يشين كالاغماء الخفيف او الخطيتين كما في الخصائص من الروضة لتسهد ثم حديث البخاري

انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه هريقوا علي من سبع قرب
لم تحلل اوكيتهن فوضع صلى الله عليه وسلم في مخضب وصب عليه ثم ذهب لينوء
فغمي عليه متعلقة اي بواطنهم بالرفيق الاعلى اسم جاء على فعيل بمعنى فاعل
يستوي فيه الواحد والجمع يجوز ان يريد به الله تعالى لانه يقال الله لطيف رفيق
بعباده من الرفق والرافة وان يريد به الانبيا الساكنين اعلا عليين وفي حديث
عائشة اذ خير صلى الله عليه وسلم بين الدنيا وبين ما عند الله فقال بل الرفيق
الاعلى وفي حديث البخاري ثم الحقني بالرفيق الاعلى والملائكة لاخذها اخبار
السما وغيرها عنهم وتلقيها الوحي اي ما ارسلوا به منهم قال اي بعض المحققين
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان بما عراهما من النوم بحيث لا احساس
ولا شعور ولا ينام قلبي اي غالبا اذ يغشى قلبه النوم كما وقع له في الوادي المؤذن
به ظاهر حديث البخاري عن بلال وهذا الحديث وحديث اني لست كهيئتكم
وحديث اني لست انسى تقدم بيانها وعزوها الى رواتها فاخبر صلى الله عليه وسلم
ان سره وباطنه وروحه وهي هنا ما يقوم به البدن وبه الحياة اذ قد اطلق على
القران والوحي والرحمة وجبريل بخلاف جسمه وظاهره فانها تعتورهما
الالام والاسقام كغيره من البشر وان الافات جمع افة وهي ما تخالط هذه
صلى الله عليه وسلم فقط من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل منها اي
من هذه المذكورات شي باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن فانها
تحله ظاهرا وباطنا لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه اي عمهما
وغطاهما وهو صلى الله عليه وسلم في نومه وان استغرق النوم جميع اعضائه
الا قلبه فهو حاضر القلب كما هو في يقظته حاضر المشاعر والاحساس حتى جا
في بعض الاثار انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا رواه سعيد بن منصور في
سننه عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في حديث مبيته عند خالته
ميمونة زوجه صلى الله عليه وسلم وصلاته بالليل معه صلى الله عليه وسلم قال
ثم وضع راسه حتى اغفى وسمعت نخته واصله في البخاري ثم جاء بلال فاستيقظ
فقام فصلى باصحابه زاد البخاري ولم يتوضا اي بعد انتباهه من اغفائه
اي نومه قال سعيد بن جبير فقلت لابن عباس ما احسن هذه فقال انها
ليست لك ولا لاصحابك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحفظ من الحدث
في نومه لكون قلبه يقظان يشهد له حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
وكذلك غيره اذا حله شي مما ذكر وجاع ضعف لذلك اي من اجل الجوع جثته
وخارت قوته اي ذهبت بضعفه فبطلت بالكلية جملته اي جميع اعضائه
وهو صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لا يعتريه ذلك اي لا يغشاه ولا ينتابه

شي منه بخلافهم فانه يعتريهم ويرهقهم لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
البخاري في الوصال اني لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني بخلقه
في قوة الاكل والشرب كذلك اي ومثل ما قال بعض المحققين ان الطوارئ والتغيرات
تختص باجسام الانبياء قوله انه صلى الله عليه وسلم في هذه الاحوال كلها من وصب
بيان للاحوال وسماها احوالا مجازا مرسلا لانها سبب لها ينقل بها من حال الى حال والوصب
دوام الالم ولزومه وقد يطلق على التعب وفي حديث عائشة انا وصبت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي مرضته في وصبه اي دبرته فيه ومرض وغضب لله تعالى
اذا انتهكت حرماته ولا يغضب لنفسه لم يجر على باطنه ما يخل به اي بباطنه
مما يخل بظاهره ولا فاض من فاض الاناء اذا امتلا حتى سال من جوانبه منه اي مما
كان يخل بظاهره على لسانه وجوارحه ما لا يليق به من هذيانات المرضى وجزافاتهم
كما يعتري غيره من البشر مما نزل به شي منها من شدة الالم فصل في الرد على
من في الشريعة لحده ومن بعده عن الحق الى الارض اخلد فان قلت فقد جاءت الاخبار
الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم سحر كما في حديث البخاري عن عائشة قالت
سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم في مشط ومشاطة
هي الشعر الذي يسقط من تسريح اللحية والراس بالمشط حتى انه ليخيل اليه انه
فعل الشي وما فعله لما اعتراه من الالم الوارد عليه به وفي رواية حتى
كان يخيل اليه انه ياتي النساء ولا ياتيهن اي يظن انه واقعهن والحال انه لم يكن
يجامعهن واذا كان هذا من التباس الامر اي اشتباهه واختلاطه على المسحور
فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الالتباس عليه وعلى اي كيفية يرد
وكيف جاز اي السحر عليه وقد مر معنى الاستفهام فكيف وهو معصوم جملة
حالية من المحذور وتقييده اي ذلك التعجب من جواز السحر عليه مع عصمته صلى الله عليه
وسلم من كل امر يشينه فاعلم ان كل من يتاتى في توجيهه اليه لم يرد به معنا
وفقنا الله واياك اعتراض دعائي بين اعلم ما ... وهو ان هذا الحديث
الذي اسند هنا الى عائشة صحيح متفق عليه رواية الشيخان وقد طعنت فيه
الملحدة اي عامة الطائفة الزائغة عن الحق وتذرعت به بذا السحر اي جعلت
حديث عائشة لسخفها اي رقة وضعف عقولها وتلبيسها على امثالها ذريعة
اي وسيلة الى التشكيك في الشرع والنبي عليه السلام في امره اي دينه صلى الله
عليه وسلم تغيرا يصير به ملتبسا بغيره مما لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض
جعله مرضا لكونه سببا عنه مبالغة فيه وعارض من العلل يجوز عليه صلى الله عليه
وسلم ويعرض ذلك كانواع الامراض مما لا ينكر عروضه له صلى الله عليه وسلم ولا
يقدح في نبوته صلى الله عليه وسلم واما ما ورد انه كان يخيل اليه اي تقع في مخيلته

لعل بكيفيه

انه فعل الشي ولا يفعله فليس في هذا اي التخيل منه ما يدخل عليه داخلة من
عيب وفساد وغش في شي من تبليغه او في شي من شريعته او يقدح
في صدقه تبليغا وتشريعا لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا اي
مما يدخل عليه داخلة فيما ذكر وانما هذا اي الذي يدخل عليه مما ذكر فيما ذكر
من تبليغه او تشريعه او قدح في صدقه فيما يجوز ان يطرو عليه في امر دنياه
التي لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها اي من اجل دنياه بل يطرو ذلك
عظم اجره ولكثر مضاعفا اضعافا كثيرة وهو صلى الله عليه وسلم فيها اي
دنياه عرضة للآفات كسائر البشر فانهم معرضون لها ومعدون لها
فغير بعيد الفا مفصحة عن مقدر هو اذا كانوا عرضة لها فلا يبعد ان
يخيل اليه صلى الله عليه وسلم من امورها ما لا حقيقة له مما يخيل اليه انه
فعله ثم ينجلي عنه وينكشف كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل
الحديث الاخر وهو احد معاد الرواية الثانية من السؤال في اوله من
قوله بيان للمفسر اعني حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن لان اتيانهن مما
يلايمه تخيله لانه من امر دنياه وقد قال سفيان الظاهر انه ابن عيينة اذ
هو المراد بالاطلاق عند ائمة الحديث وهذا اشد ما يكون من السحر
والالم يعرض له هذا التخيل ولم يات عن احد من رواة الحديث في خبر منه
اي من احاديث سحره صلى الله عليه وسلم انه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما
اخبر انه فعله اي لم ينقل عنه انه قال حالة سحره فعلت كذا وكذا والحال ان ما
لم يفعله لعصمته من الخلف في الاخبار وانما كانت هذه السوانح خواطر
وتخيلات منزهة عنها اقواله وافعاله وقد قيل ان المراد بالحديث اي حديث
حتى يخيل اليه انه كان يتخيل الشي انه فعله والحال انه لم يفعله لكنه تخيل لا
تعتقد صحته لتيقظ قلبه وثباته على دينه بشهادة حديث دعائه في سجوده
اللهم ثبت قلبي على دينك فتكون اعتقاداته كلها على السداد والاستقامة
في الامور كلها والعدل فيه واقواله على الصحة اذ لا خلف في اخباره وبهذا القول
مرضي فصل وما هو بالهزل هذا ما وقفت عليه لائمتنا الاشعرية والمالكية
او تتمة من الاجوبة عن هذا الحديث اي حديث سحره صلى الله عليه وسلم مع ما
اوضحناه من معنى كلامهم جوابا عن الحديث وزدناه بيانا من تلويحاتهم
مما اشار اليه غيرهم صحيح وكل وجه منها مقنع من قنع بالكسر يقنع قنوعا
وقناعة اذا رضي لا من قنع بالفتح يقنع قنوعا اذا سال وفي الحديث عز
من قنع وذل من طمع وفيه كان المقانع من اصحاب محمد جمع مقنع وزنه
جعفر من قولهم فلان مقنع في العلم وغيره اي رضي فيه فمن بنى وجمع نظرا الى

من تبليغه

انه مصدر ولكنه قد ظهر لي في الحديث اي حديث السحر تأويل اجلى مما ذكر من التأويلات
السابقة وابعد عن مطاعن ذوي الاضاليل جمع ضليل من المعاني مبالغة في الضلال
اي المنهمكين فيما يضلهم وعن علي وقد سئل عن اشعر الشعراء فقال الملك الضليل
يعني امرأ القيس كان يلقب به يستفاد ذلك التأويل الاجلى من نفس الحديث اي
حديث السحر وهو ان عبد الرزاق الصنعاني رواه في مصنفه عن معمر عن الزهري
عن سعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير رضي الله عنهما اي عن سعيد وعروة
سحر يهودي بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاطة
وفي رواية ومشاقة وجف طلع فجعلوه في بئر اي بئر ذروان فاستخرج اي النبي
صلى الله عليه وسلم بنفسه او بمأموره من السحر وذكر عن عطاء الخراساني عن
يحيى بن يعمر كما رواه عبد الرزاق عن معمر عن عطاء حبس رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن عائشة اي منع من اتيانها سنة فبينا ظرف زمان للمفاجاة كبينما
وتضاف كاسمها الى جملة اسمية وفعلية وتحتاجان الى جواب يتم به المعنى والافصح
عكسه فيه اذ واذا هو نائم اتاه ملكان فقعد احدهما عند راسه والآخر
عند رجليه فقال احدهما ما له فقال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن
الاعصم في جف طلعة نخل ذكر في بئر ذروان وقال عبد الرزاق حبس رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعله عن عائشة دون غيرها من نسائه سنة حتى
انكر بصره بالنسبة الى ما كان عليه قبل ان يسحر من صحة بصره وقوته لا فقدانه كليا
تنبيها ده حديث ابن المسيب وعن الماضي كاد ينكر بصره اي قرب ان يفقده ولم
يفقده وروى البيهقي بسند ضعيف ومحمد بن سعد كاتب الواقدي فيما اظن عن
ابن عباس مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس اي منع عن النساء وحيل
بينه وبينهن وبين الطعام والشراب فهبط اي نزل عليه ملكان فقعد احدهما
عند راسه والآخر عند رجليه كما مر فقد استبان اي ظهر وانكشف لك من
مضمون هذه الروايات ان السحر الذي سحره به لبيد انما تسلط على ظاهره
وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله الذي به يعقل الامور ويجريها مجاريها
تبينه ودوامه لم يرد عنه شيء على خلاف اعتقاده وانما اثر اي السحر في بصره
حتى كاد ينكره كما مر وحبسه عن وطء نسائه ويكون معنى قوله يخيل اليه اي
يقع في مخيلته انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه اي من قوته
ومتقدم عادته القدرة على اتيان النساء فاذا دنا منهن اصابته اخذة
السحر بضم الهمزة يقال لفلان اخذة ضربها الرجال عن النساء اي يمنعه ويحبسه
عن قربانهن فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري اي يغشى من اخذ بضم الهمزة والتشديد
المعجمة من التأخيذ [illegible] واعترض اي حيل بينه وبين مراده

البيهقي

390

ولعله الضمير للشأن يفسره لمثل هذا اشار سفين اي لسفيان واضمر
قبل الذكر لتقدم رتبته اي ولعل سفيان اشار بمثل هذا بقوله وهذا
اشد ما يكون اي شيء عظيم يكون من السحر ويكون قول عائشة انه يخيل اليه
بما وقع في مخيلته انه اتى الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره اذا كان
يتكون كما ذكر في الحديث من انه كان يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله
فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او يظن انه شاهد فعلا اي له
ظنا منه انه صدر من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه من وهن
في بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه في تمييزه وتفرقته بين الاشياء واذا
كان هذا اي ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم لم يكن فيما ذكر من اصابة
السحر له وتاثيره فيه ظاهرا ما يدخل عليه صلى الله عليه وسلم لبسا يخالط
عقله فلا يميز به شيئا ولا يجد به الملحد الزائغ عن الحق المعترض بطعنه
في حجة الشريعة انسا اي تبصرا واستعلام ما يحتاج اليه يقال انست
منه كذا اي علمت واستانست استعلمت وفي حديث ام اسمعيل صلى الله
عليه وسلم كانه انس شيئا اي ابصره ورأى شيئا لم يعهده فصل هذه اي
المذكورات في الفصل قبله حاله اي النبي صلى الله عليه وسلم في جسمه
الشريف ظاهرا وباطنا واما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على
اسلوبها اي نوردها على طريقتها المتقدم بالعقد بمعنى الاعتقاد والقول
والعقد اما العقد منها اي من احواله في امور الدنيا فقد يعتقد الشيء
من امور الدنيا على وجه يظهر له في بادي الرأي ثم يظهر خلافه او يكون منه
على شك لا يترجح عنده من طرفيه شيء لاستوائهما عنده او يكون منه على ظن
يترجح احد طرفيه عنده هذا بخلاف امور الشرع فانه يعتقدها على ما هي
عليه في نفس الامر اذ ما هي الا وحي يوحى وقد ورد هنا شاهدا على انه
صلى الله عليه وسلم قد يعتقد الشيء من امور الدنيا على وجه ويظهر له خلافه
هو حديث مسلم قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون
النخل تضم ثالثه اي يلقحونها سطلع ذكورها فقال ما تصنعون استفهام
تقريري اي حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه والجائه اليه قالوا نصنعه
اي نابره ليثمر قال لعلكم لو لم تفعلوا اي لو تركتم تابيرها كان خيرا من تابيرها
فتركوه فنفضت النخل طلعها او ثمرها بعد انعقاده فذكروا ذلك له
صلى الله عليه وسلم فقال انما انا بشر لا ادري مرد بيان فهم اذا امرتكم
بشيء من دينكم فخذوا واستمسكوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما
انا بشر اولا لشيء من دنيا لم يرد الامر بخلافه وفي رواية مسلم عن

أنتم أعلم بأمر دنياكم اي بجميع احوالها بشهادة الاضافة فانها لافادتها العموم
ونفي رعيته صلى الله عليه وسلم في الدنيا وفي حديث آخر رواه مسلم عن طلحة انما
ظننت ظنا اي راجحا لازما تاكيدا لاثبات الظن ونفي ما سواه او محل الظن على
موضوعه وخصوصيتها بالضعف اي ظنا ضعيفا فلا تؤاخذوني بالظن ولا تجدوا على
انفسكم مما ظننته حيلكم من ترككم التابير فظهر خلافه وفي حديث رواه
البزار بسند حسن عن ابن عباس قصة الخرص اي حزر ما على النخل من الرطب
او من العنب زبيبا اي تقديره ظنا فقال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اي انما
مقصور على الوصف بالبشرية فقد اصيب في امور الدنيا فما حدثتكم عن الله فهو
حق وصواب دائما وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل نفسي فانما انا بشر اخطئ
واصيب وهذا وارد على ما قررناه انفا من انه صلى الله عليه وسلم قد يعتقد الشيء
من امور الدنيا على وجه فيظهر خلافه فيما قاله من قبل نفسه من امور الدنيا وفي
ظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه اي اظهره
وبينه وسنة سنها اي طريقة مما امر به وندب اليها ونهى عنه قولا وفعلا
مما لم يرد به القران الكريم لشبهها ذلك حديث ابي داود عن المقدام بن معدي كرب
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت القران ومثله معه الا يوشك رجل
شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه
وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله
الا لا يحل الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان
يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه
وحديثه عن العرباض بن سارية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله لم يحرم الا ما في هذا القران الا
واني قد امرت ووعظت ونهيت عن اشياء انها لمثل القران او اكثر وان الله
لم يحل لكم ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب الا باذن ولا ضرب نسائهم ولا اكل ثمارهم
اذا اعطوكم الذي عليهم وكما حكى ابن اسحق فيما فعله صلى الله عليه وسلم من قبل
نفسه من امور الدنيا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر الى ما
ظن فيه اي في ابعدها عنه قال له الحباب بن المنذر كما تقدم وقد رواه السهيلي
عن عروة والزهري اهذا منزل انزلكه الله استفهام تقريري حملا للمخاطب على الاقرار
بما استفهم عنه بعد الهمزة ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي
والحرب والمكيدة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لا اي لم ينزلنيه الله بل هو
الراي والحرب والمكيدة من كاد يكيد اذا اراد به سوءا والكيد الاحتيال
والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا وعن ابن عمر غزى رسول الله صلى الله عليه

وسلم غزوة فلم يلق كيدا اي حربا قال اي الحباب بن المنذر فان هذا ليس بمنزل لما
قد اردت انهض اي قم وانتقل بنا حتى ناتي ادنى ماء من القوم يعني قريشا
ثم نغور بمهملة فواو مشددة اي نطمر ونسد ما وراءه من القلب بضم اوله وثانيه
جمع قليب وهو البئر التي لم تطو فنشرب ولا يشربون فقال اي رسول الله صلى
الله عليه وسلم للحباب اشرت بالراي وفعل ما قاله اي الحباب وقد قال الله
الله تعالى وشاورهم في الامر اي الذي لم ينزل عليك فيه وحي استظهارا برايهم
وتطييبا لقلوبهم ورفعا لمقاديرهم مع علم الله تعالى انه صلى الله عليه وسلم
لم يكن محتاجا اليهم في شيء من ذلك بل اراد ان يستن به من بعده وعنه صلى الله عليه
وسلم ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم واراد اي النبي صلى الله عليه وسلم مصالحة
بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار الانصار كما رواه البزار عن ابي
هريرة بلفظ جاء الحارث الغطفاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد ناصفنا تمر المدينة والا ملاناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى استامر
السعود يعني سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فشاورهما فقالا لا والله ما اعطينا
الدنية من انفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فلما اخبروه برايهم
من المنع من اعطائهم الدنية في الاسلام الاولى من منعهم اعطاءها في الجاهلية
رجع عنه لعلمه بان ما راياه هو الراي الجزل والقول الفصل فمثل هذا اي ما ذكر عن
الحباب وسعد والانصار وغيرهم واشباهه من امور الدنيا مما لم يكن له به
اعتناء ولا التفات وهي التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا
تعليمها مما لم يؤمر به تبليغا وتعليما يجوز عليه فيها ما ذكرنا من انه صلى الله عليه
وسلم قد يعتقد شيئا على وجه يظهر خلافه اذ ليس في هذا كله نقيصة تغض
عليه ولا محطة لدنو رتبة منزلته من حط الشيء حطه اذا انزله والقاه وانما هي
امور اعتيادية دنيوية اعتادها الناس والقوم يعرفها من جربها مرة بعد اخرى وجعلها
همه ودابه وديدنه وشغل نفسه بها اي بامور الدنيا وعاناها والنبي صلى الله عليه
وسلم لا التفات له اليها لانه مشحون القلب اي مملوء بمعرفة الربوبية على ما يليق
بذات ربه تعالى من اجلال وتشريف وتكريم وتنزيه ملآن الجوانح جمع جانحة وهي
الضلوع مما يلي الصدر كنى بها عن نفسه اطلاقا لاسم البعض على الكل مجازا مرسلا
بعلوم الشريعة التي ارسله الله بها الينا مقيد البال اي القلب بمصالح الامة
الدينية نسبة الى دينه الذي دان به امته اي قهرهم على طاعته والعمل بها طاعة
وعبادة ومنه قول الاعشى يخاطبه صلى الله عليه وسلم يا سيد الناس وديان العرب
الدنيوية ولكن هذا اي ما يعتقده على وجه ويظهر خلافه كما وقع له مع الانصار

في تأبير النخل انما يكون في بعض الامور الدنيوية وجوز في النادر من امورها وفيما سبيله التدقيق والتحرير في حراسة الدنيا اي ما يحترس ويجتهد في معرفته من امورها واستثمارها اي تحصيل ثمرتها ونتيجتها المترتبة عليها لا في الكثير من امورها الموذن بالبله والغفلة عن امور الدين بانهماك في تحصيل اولذة مما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد تواتر بالنقل من جمع يؤمن تواطئهم على الكذب عنه صلى الله عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا مفصلة لا يعزب عنه شيء منها ومعرفته دقائق مصالحها مما به صلاح العالم وسياسة فرق اهلها عربا وعجما على اختلاف اخلاقهم وعقولهم وطبايعهم ولغاتهم سهولة وحزونة ما هو على تواتر معجز في البشر اي بني ادم سموا بشرا لبدو بشارهم بخلاف اكثر غيرها من الحيوانات فانها مستورة باوبار واصواف واشعار بسببه تمكن العجز لهم لاستيلائه عليهم تمكن المظروف بظرفه ثم استعاره في تجوزنا لاستعارة في المصدر اصلية وفي الحرف تبعا كما في ولاصلبنكم في جذوع النخل فصل واما ما يعتقده اي النبي صلى الله عليه وسلم في امور احكام افعال البشر الصادرة منهم الجارية على يديه لتشريعها من ربه وقضاياهم المرفوعة منهم اليه ومعرفة المحق منهم من المبطل وعلم المصلح من المفسد اي من يدخل باصلاح وافساد فبهذا السبيل اي ما ذكرها من معتقده ومعرفته لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما واسنده هنا من طريق ابي داود عن ام سلمة انما انا بشر وانكم تختصمون فيما بينكم ثم تردونه الي ولعل بعضكم الحن بحجته من اللحن وهو في الاصل الميل عن الاستقامة يقال لحن في كلامه اذا مال عن صحيح النطق واراد انه يكون اعرف واقطن لها من بعض فاقضي له على نحو بالتنوين مما اسمع من كلامه فمن قضيت له من حق اخيه شيء فيما ظهر لي على وجه قد يكون الامر بخلافه فلا ياخذ منه شيئا فانما اقطع له قطعة من النار لبنا احكام شريعته على الظاهر وغلبة الظن هذه رواية هشام بن عروة عن ابيه وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من المبالغة في التبليغ يقال بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد في الامر اي اجهد نفسه في ايصال كلامه الى ذهن سامعه من بعض فاحسب انه صادق اي اظن صدقه فيما قاله وقد سد ما اشتمل عليه ان واسمها وخبرها من مسند ومسند اليه مسد مفعولي احسب فاقضي له بما اظنه انه يستحقه وهو صلى الله عليه وسلم يجري احكامه على الظاهر من الامور والاحوال العارضة وعلى موجب غلبات الظن بشهادة الشاهد الباء سببية واللام للعموم

الشاهدين ويمين الحالف ومراعاة الاشبه مما يظنه حقا ومعرفة العفاص هو وعاء يجعل فيه الشيء والوكا ما يربط به ثم كني بهما عما يظهر له من فحوى كلام الخصمين مما به يظن حقيقة ما ادعى به فهذه الاربعة موذنة بغلبة ظنه لما بيده وله من فحوى خطابهما مع مقتضى حكمة الله في ذلك من اقتداء من بعده في حكمه جريا على الظاهر وغلبة الظن فانه صلى الله عليه وسلم لا اطلاع له على الغيب وان الله تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده التي لا يعلمها سواه ومخبآت ضمائر امته جمع مخبئة مما هو مستور وفي الحديث ابتغوا الرزق في خبايا الارض كنى بها عن الزرع لان البذر اذا القي فيها فقد خبئ وكان لعروة تمثل بهذا البيت حثا على الزرع والتوكل على الله ورغبة في دعائه

تتبع خبايا الارض وادع مليكها • لعلك يوما ان تجاب وترزق

فتولى الحكم بينهم على تقدير مشيئته تعالى لاطلاعه صلى الله عليه وسلم على سرائر ومخبآت ضمائرهم بمجرد يقينه وعلمه لكنه تعالى لو شاء اطلاعه على ذلك في ممتنع توليه صلى الله عليه وسلم بمجرد ذلك فيرتفع المقدم في الشرطية ارتفع تاليه مع ما يترتب عليه لان لو للشرط مع القطع بانتفايه فانتفى بانتفايه ذلك وهذا معنى قولهم هي لانتفاء الثاني لانتفاء الاول دون حاجة له وافتقار الى اعتراف بالحق من احد المتخاصمين اليه صلى الله عليه وسلم او بينة يقيمها من طلبت منه ليقضي له بحقه بها او يمين يحلفها من توجهت عليه ليفوز بحقه او شبهة ترجح المحق على المبطل كل ذلك على تقدير مشيئة الله اطلاعه صلى الله عليه وسلم ولكن لما امر الله امته اي النبي صلى الله عليه وسلم باتباعه والاقتداء به في افعاله الصادرة عنه وكل منها حجة ولو في ساعة غضبه للعصمة واقواله بان شاعاته وقضاياه المرفوعة اليه من احاد امته ليحكم بها بما اراه الله وسيره الماثورة اي المروية عنه وكان هذا اي ما امر الله امته باتباعه فيه ولو كان مما يختص اي النبي صلى الله عليه وسلم بعلمه ويوثره اي الله به لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به في شيء من ذلك لنبو علومهم عن الاطلاع على ما اوثر به ولا قامت حجة بعده على مخالف امرا من امور امته دينه بقضية من قضاياه لاحد من حكام امته بعده في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه مما اوثر به هو في تلك القضية المرفوعة اليه ليحكم بما اراه الله حكمه بها دون غيره وقد نبه وتردد عليه بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه عليه من سرائرهم الغائبة عن كل واحد من امته سوى الاخر وهذا المكنون الذي اطلعه الله عليه من سرائرهم مما لا تعلمه الامة اذ لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجرى الله احكامه الشرعية على ظواهرهم التي يستوي فيها هو اي النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من البشر في زمنه وبعده

ليتم اقتدا امته به في تعيين قضاياه التي له في كل قضية منها حكم وتنزيل احكامه على قواعد شريعته ويأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوا من ذلك اي من قضاياه وتنزيل احكامه على علم ويقين من سنته وطريقته التي بينها لامته اذ البيان بالفعل اوقع في النفس طمانينة منه اي من البيان بالقول وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول اي البيان بالفعل اوقع وارفع لاحتمالات الالفاظ وتأويلات المتأولين لتجرده عما اي عنه الاضافة وال التعريف فيهما من العموم فاسم التفضيل فيهما مختص للبيان بالفعل بالاوقعية والارفعية دون القول وان اشتركا فيه وكان حكمه اي النبي صلى الله عليه وسلم على الظاهر اجلى في البيان لكل احد واوضح في وجوه الاحكام تبيينها من توسمها شبه الاحكام لاختلافها بالوجوه واضافها اليها تاكيدا للتشبيه على طريقة لجين الماء اي في الاحكام المختلفة التي هي كالوجوه او شبهها بذي وجوه استعارة مكنية واثبات لها الوجوه تخييلا بان المشبه من جنس المشبه به تناسيا للتشبيه حتى كانه صار شيئا منسيا قضاء لحق البلاغة واكثر فائدة لموجبات التشاجر بفتح الجيم الاولى والخصام التي عنها الدعاوي المترتب عليها فصل الخصام الرادع عن الاختلاف في التنازع ايا كان وما تجرى بين اصحابي اي ما جرى بينهم من الاختلاف والكل مأجورون لصدوره عن اجتهاد منهم لوضع الحق في محله فللمصيب اجران وللمخطي اجر وليقتدي بذلك اي باحكامه صلى الله عليه وسلم التي صدرت عنه على الظاهر حكام امته بعده ويستوثق بما يؤثر عنه اي تستمسك بما يروى عنه صلى الله عليه وسلم وينضبط قانون شريعته اي امرها الكلي المنطبق على جزئيات موضوعه تتعرف منها احكامها من وجوب وندب واباحة وحرمة وكراهة وخلاف الاولى وطي ذلك عنه ولم يطلعه عليه هو ايضا من علم الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول بيان للمرتضى فيعلمه منه بما شاء فيكون معجزة له او بالفراسة والمراد بالرسول الملك واما الولي اذا اخبر بشيء ظهر على يديه من الغيب فهو غير جازم به ولجازم به تبا منه واعتمادا على رؤيته له واقعا وليستأثر اي عالم الغيب ويختص بما شاء ولا يقدح هذا اي عدم اطلاعه احيانا على ما استأثر به في نبوته اي المرتضى للنبوة والرسالة ولا يفصم عروة من عصمته شبه عصمته بذي عرى لصغار التهم استعارة مكنية ثم اثبت لها العروة تخييلا فصل واما اقواله اي النبي صلى الله عليه وسلم الدنيوية الصادرة منه في امور الدنيا من اخباره عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله مستقبلا وماضيا فقدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه لا يصدر فيه شيء منه لعصمته في اخباره في كل حال يكون عليها وعلى اي وجه من وجوه احواله عمدا او سهو وصحة ومرض ورضا وغضب فانه اي النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الوجوه كلها

معصوم منه اي من الخلف في اخباره هذا اي ما ذكر فيما طريقه الخبر المحض الذي لم يرد تعريضا به لشيء خلاف ظاهره من معاريض الكلام تورية فاما المعاريض جمع معراض من التعريض ضد التصريح من القول تقول عرفت ذلك في معراض كلامه ومعرضه بحذف الالف وفي الحديث ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية لا سيما كلمة استثناء منزلة من شيء وما تامة ان جعلت ما موصولة ترفع الاسم بعدها خبر مبتدا اضمر بعدها تقول اكرمني القوم سيما اخوك وان جعلت زائدة جر ما بعدها بسي لانها بمعنى مثل تقول قام القوم سيما اخيك اي ولا مثل اخيك وروي قول امرئ القيس ولا سيما يوم بدارة جلجل مرفوعا ومجرورا لقصد المصلحة لنفع يتوقع كتوريته صلى الله عليه وسلم عن وجه مغازيه بلفظ له معنيان قريب وبعيد ويراد البعيد فكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها اي سترها واوهم انه يريد غيرها واصله من الوري اي الخفي البيان وذلك لئلا ياخذ العدو حذره وكما اي ومثل توريته ما روي من ممازحته ودعابته غاير بينهما ومعناهما واحد لاختلاف لفظيهما تلويحا بانه مدلولهما لشهادة حديث انه صلى الله عليه وسلم كان فيه دعابة ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وقول عمر وقد ذكر عنده على للخلافة لولا دعابة فيه لبسطه لمته والقوا صدورهم تانيسا لهم وتقريبا بهشاشة وبشاشة وطلاقة وجه وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته من بيانية لا تبعيضية وتاكيدا في محبتهم ومسرة نفوسهم لقوله لبعض اصحابه كما رواه ابو داود والترمذي وصححه عن انس لاحملنك على ابن الناقة اراد البعير تكميلا للفضل وان احتمله اللفظ وتمليحا وتزيينا للكلام وقوله فيما رواه ابن ابي حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهري للمراة التي سالته عن زوجها اهو الذي بعينيه بياض استفهام تقرير حملا لها على الاقرار به مريدا به البياض المعهود في العين لا المفسد لها وان احتمله اللفظ بعيدا وهذا اي ما قاله صلى الله عليه وسلم مداعبة كله صدق لان كل احد اي ذاته وكل انسان بعينيه بياض اذ لا يكون انسان بدون ذلك غالبا وقد قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اني لا امزح ولا اقول الا حقا لعصمته من المجون وغير استرواحا بالكذب هذا اي ما جرى على وجه الحقيقة كله فيما بابه الخبر بمعنى الاخبار بما لنسبته خارج لا هو الذي بعينيه بياض اولا كالوعد بلا لاحملنك على ابن الناقة ونحوه فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر

الدنيوية

بالأمر وبالصيغة والنهي كذلك في الأمور الدنيوية فلا يصح القول بصدوره منه لعصمته ولا يجوز أن يأمر أحدا بشيء أو ينهاه عنه وهو صلى الله عليه وسلم يبطن خلافه جملة حالية أفادت باعتبار ما وليته من النفي براءته صلى الله عليه وسلم ونزاهتها من ذلك وقد قال أي النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والنسائي عن سعد بن أبي وقاص ما كان لنبي أي ما صح وما استقام أن تكون له خائنة الأعين بأن يومئ بالعين سمي خائنة لتظهر ما يضمر في النفس به ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الأعين أي ما تخون به خائنة مصدر بمعنى خيانة مما ورد بلفظ اسم الفاعل كالعافية بمعنى المعافاة ومن ثم لم يحسن أن يكون إضافتها إلى الأعين بمعنى من فكيف تكون له خائنة قلب أنكار تولده منه نفيها فإن قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأى زينب بنت جحش بنت عمته بعد أن زوجها لزيد فوقعت في نفسه صلى الله عليه وسلم فقال سبحان الله مقلب القلوب فخفا نفسه لها بذلك فسمعت تسبيحه فذكرته لزيد ففطن له ثم كره صحبتها ورغب عنها له صلى الله عليه وسلم فقال له أريد أن أفارقها فقال له أرابك منها شيء قال لا والله ولكنها تتعاظم علي لشرفها وتؤذيني فتزوجها ثم طلقها فلما انقضت عدتها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال فانطلقت إليها فإذا هي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في نفسي فلم أستطع أن أنظر إليها لرغبة النبي صلى الله عليه وسلم في نكاحها فوليتها ظهري وقلت يا زينب أبشري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام الذي هو أجل النعم وأنعمت عليه بالعتق أمسك عليك زوجك يعني زينب واتق الله ولا تطلقها على إرادة نهيه له تنزيها لا تحريما لأن الأولى إمساكها وتخفي في نفسك ما أعلمك الله مما الله مبديه من أنه تعالى سيزوجها لك وتخشى الناس مقالتهم بإطلاق تستهوقك والله أحق أن تخشاه فيما قلته لزيد والواو في وتخفي وتخشى والله أحق للحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا أن يطلقها خاشيا قالة الناس فيك حقيقا في ذلك أن تخشى الله أو للعطف أي وإذ تجمع بين قولك أمسك وإخفاء طلاقه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا يفعل مثل ذلك فكأنه تعالى أراد منه صلى الله عليه وسلم من استحسانه في مفارقتها أن يسكت ويقول له أنت أعلم بشأنك كي لا يخالف سره صلى الله عليه وسلم في ذلك علانيته لإرادته تعالى من أنبيائه تساوي ظواهرهم وبواطنهم والتصلب في الأمور والأحوال والاستمرار على طريقة مستتبة

لتقدم

بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم لعمر إذ أراد قتل عبد الله بن أبي سرح واعتراض عثمان بن عفان في شفاعته له وقول عمر كنت تعينني إلى عنقه هل تشير إلي فاقتله إن الأنبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فلما قضى زيد منها أي من زينب وطرا ولم يبق له فيها أرب وتأنف عنها همته وطابت عنها نفسه رغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانقضت عدتها زوجناكها فأمنت الأيمة والضيعة وفازت بالشرف بجعلها من أمهات المؤمنين لما أراد الله من المصلحة العامة المفادة بقوله لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم تبنيا باتخاذهم أبناء إذا قضوا منهن وطرا أي فعل ذلك نفيا للحرج عنهم وبيانا للجواز أن ينكح الرجل حليلة دعيه وقد كان صلى الله عليه وسلم تبنى زيدا فكان يقال زيد بن محمد فقال الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله فاعلم خطاب لكل من يتأتى توجيه الأمر إليه أكرمك الله اعتراض أفاد الدعاء له بالإكرام ولا تسترب أي ولا تخش ريبة في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم بل نزهه عن هذا الظاهر المفاد من آية وتخفي في نفسك أي حبها وتعلق قلبه بها ووداده مفارقة زيد لها وأن يأمر زيدا بإمساكها وهو أي والحال أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب تطليقه إياها كما ذكر جماعة من المفسرين غافلين عما لو أنه أخفاه غير ما أخفاه وأصح ما قيل في هذا الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم ما حكاه أهل التفسير كابن أبي حاتم عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أن الله تعالى كان أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ابنة جحش بن رئاب ستكون من أزواجه أمهات المؤمنين ولم يخفه استهجانا للتصريح به لاحتمال أن يرى قالة الناس فيه بل لما جبل عليه جبلة به الكريم من الحياء والتحفظ مما يستحيى من الاطلاع من الناس عليه مع كونه مباحا متسعا تأخير بيانه لا مقالة فيه ولا عيب عند الله فيه وربما كان فعله سبيلا إلى الحصول واجبات يعظم أثرها في الدين ولو لم يتحفظ منه لسلقه الناس بألسنتهم إلا من عصمه الله كما وقع أن نفرا من أصحابه مكثوا في بيته بعد انقضاء الناس من وليمتها مستأنسين بالحديث فآذى صلى الله عليه وسلم منه وكان الحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار رتبتها دة ولا مستأنسين لحديث فآذى صلى الله عليه وسلم منه إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو أمرهم أن ينتشروا لشق عليهم فلما شكا إليه زيد تعاظمها بشرف نسبها وفخرها عليه لأنها من أسد من ولد إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قال له أمسك عليك زوجك واتق الله ولا تعضها بتكبرها عليك وأخفى منه

في نفسه استحيا منه مع كونه مباحا ما اعلمك الله به من انه سيتزوجها له صلى
الله عليه وسلم مما الله مبديه ومظهره مصلحة عامة لعباده بي ما افاده
كما مر لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا
بتمام التزوج وطلاق زيد لها وذكرها هنا ما روى عمرو بن فايد الاهوازي وكان
كما قال الدارقطني وغيره قدريا متروك الحديث ولوارد من رواه غيره عن
الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه اي يعلم النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه وصحح
هذا الذي روي عن الزهري قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا ختاما
للاية وكان امر الله مفعولا اعتراض فاداد ان ما اراد الله تكوينه واقع مكونا
ومتمثل لما اراد كونه واقعا من تزوجها له ومن نفي الحرج عن المومنين في جعل
ازواج المتبنين كازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد فراقهن اي لا بد لك
ان تتزوجها لامتناع تخلف الارادة ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره معها
اي لم يظهر من شانه صلى الله عليه وسلم مع زينب غير زواجها فدل ما ابداه
تعالى انه الذي اخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان اعلم به لا غير وقوله تعالى في
القصة المذكورة في شانه صلى الله عليه وسلم وشان زيد وزينب ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله اي ليس عليه ضيق وباس واثم في فعله ما قسم الله واوجب
له ووسع عليه في باب النكاح وغيره سنة الله اسم مفعول في موضع مصدر
موكد لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج اي سن ذلك سنه في الذين خلوا من قبل
من الانبيا الماضين نفيا للحرج عنهم فيما احل لهم من نكاح وغيره وقد كانت تحتهم
المهاير والسواري وكان لداود مايه امراه وثلاثمايه سرية ولسليمان ثلاثمايه امراة
وسبعمايه سرية وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضا مقتضيا وامرا مبتوتا فقد
قوله ما كان على النبي من حرج على انه اي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عليه حرج في الامر
المعفو وضله مما لا اثم بتركه قال الامام محمد بن جرير الطبري ما كان الله ليوثم نبيه
فيما احل له مثال فعله اي مثل فعل الله لمن قبله من الرسل قال تعالى سنة الله في
الذين خلوا اي مضوا من قبل من النبيين فيما احل لهم من نكاح وغيره ولو كان بما
اخفاه على ما روي في حديث عبد بن حميد عن قتادة من وقوعها اي زينب من
قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما اعجبته ومن محبته طلاق زيد لها لكان
فيه اعظم الحرج وحاشاه منه ولكان فيه ما لا يليق به من مد عينيه اي تطويل
نظره لما جنى لا يكاد يرده استحسانا لما نهي عنه وتمنيا ان يكون له من زهرة الحياة
الدنيا اي زينتها وبهجتها وكان هذا اي وقوعها من قلبه ومحبته زيد لها لو وجد
لكان نقص الحسد المذموم المنزه صلى الله عليه وسلم عنه الذي لا يرضى ولا يستم

اعجبته

بذا الاتقيا فكيف سيد الانبيا تعجب وانكار لتجويز تسامه صلى الله عليه وسلم
بما لا يرضى به الاتقيا قال القشيري وهذا اي القول بوقوعها من قلبه ومحبته
طلاق زيد لها اقدام عظيم من قايله وقلة بل عدم معرفة بحق النبي صلى الله عليه
وسلم وبفضله الوريف وجاهه المنيف وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته
اميمة بنت عبد المطلب ولم يزل يراها منذ ولدت الى ان بلغت مبلغ النسا
ولا كان النسا يحتجبن منه لانه اولى بالمومنين من انفسهم ولعصمته وهو الذي
زوجها لزيد مولاه بن حارثة الكلبي وانما جعل الله طلاق زيد لها اي لزينب
وتزويج النبي لها لازالة حرمة التبني مفعول لاجله طلاقها وتزويجه صلى الله
عليه وسلم بزوجة من تبناه اي اتخذه ابنا دفعا لاعتقاد احد من المومنين ان
يثبت بينه وبين من تبناه ما يثبت بين الاب وابنه من حرمة حليلة كل على الاخر
وابطال سنته اي التبني فلا يكون المتبنى ابنا على الحقيقة كما قال الله تعالى
ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينهما
ما يثبت بين الابا والابنا من الاحكام المحرمة دون ما يجب له صلى الله عليه وسلم
عليهم من توقير وتعظيم ودون ما يجب لهم عليه صلى الله عليه وسلم من شفقة
ونصيحة وزيد مولاه واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده صلى الله عليه
وسلم حقيقة تحكمه حكم رجالكم والادعا للتبني انما هو من باب التقريب
والاختصاص لا غير وقال لكيلا علة لقوله زوجناكها اي شرعنا ذلك
وفعلناه حذرا من ان يكون على المومنين حرج في نكاح ازواج ادعيائهم
اذا قضوا منهن وطرا ونحوه اي نحو ما قاله القشيري لابي بكر محمد بن الحسن
بن فورك بضم الفا ولا ينصرف للعلمية والعجمة وقال ابو الليث السمرقندي
نفع الميمر وسلون لنا فان قيل ما فايدة امر النبي صلى الله عليه وسلم
زيدا بامساكها اي امساك زينب فهي اي فايدة امره بالامساك ان الله
اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته فنهاه اي نهى النبي صلى الله
عليه وسلم زيدا عن طلاقها اذ لم يكن بينهما اي بين زيد وزينب الفة
واستيناس واتفاق فكانت لشرفها تفخر عليه وتتعاظم وتوذيه فكرهها لذلك
واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يريد طلاقها فامره بامساكها واخفى في
نفسه ما اعلمه الله به من انها تصير زوجته فلما طلقها زيد خشي اي النبي صلى
الله عليه وسلم قول الناس تزوج امراة ابنه تبنيا فزوجها الله بها ليباح
مثل ذلك لامته فيتزوج منهم من تبنى زوجة من تبناه كما قال تعالى لكيلا
يكون على المومنين حرج في نكاح ازواج ادعيائهم اي متخذيهم ابنا وقد قيل
كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة اي منعا وزجرا لها وردا للنفس عن هواها،

الى نفوسها وهكذا الفعل انما يعتبر اذا جوزنا عليه اي النبي صلى الله عليه وسلم انه
رآها فجأة من فجأه الامر فجأة بالضم والمد وفاجأه مفاجأة اذا جاءه بغتة
وقيد بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم وبالقصر على المرة اي بغتة من غير تقدم
قصد واستحسنها ومثل هذا اي ما ذكر من رؤيته صلى الله عليه وسلم اياها
واستحسانه لها لا نكرة فيه بالتحريك اسم من الانكار كالنفقة من الانفاق
لما طبع عليه ابن آدم اي خلق عليه وجعل فيه من الاخلاق التي لا تكاد تزول وهاهنا خبر
وشر وفي الحديث كل الخلال يطبع عليها المومن الا الخيانة والكذب اي
تخلق عليها الا هما من استحسانه للحسن وميل طبعه اليه ونظرة الفجاة معفو
عنها لوقوعها بغتة بغير قصد ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وبتقوى
الله فيها ولا يبينها وانما تنكر تلك الزيادات التي ذكرها بعض المفسرين
في القصة من انه صلى الله عليه وسلم اخفى عنه تعلق قلبه بها او ارادته مفارقته
لها مما لا يليق بعظيم قدره صلى الله عليه وسلم والتعويل والاعتماد على ما ذكرناه
مما يليق به صلى الله عليه وسلم عن زين العابدين علي بن حسين هو ابن علي بن ابي طالب
ان الله كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه وحكاه السمرقندي كما تقدم
انفا وهو قول ابن عطا واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول وعمد
القاضي ابو بكر بن فورك كما تقدم وقال انه اي ما عول عليه ابن فورك معنى
ذلك اي الذي ذكر مما يليق به صلى الله عليه وسلم عند المحققين من اهل التفسير
قال اي ابن فورك والنبي صلى الله عليه وسلم منزه اي مبرا ومبعد عن استعمال
النفاق في ذلك باخفائه خلاف ما يعلن واظهار خلاف ما في نفسه وقد
نزهه الله عن ذلك اي استعمال النفاق بذلك بقوله تعالى ما كان على النبي
من حرج اي باس وضيق بل سعة فيما فرض الله له وخصه به من نكاح وغيره قال
اي ابن فورك ومن ظن ذلك اي انه اخفى عنه تعلق قلبه بها او ارادته مفارقتها
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطا خطا بينا وليس اي كما قيل انه الخفي مما
لا يليق به معنى الخشية هنا اي في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
وانما معناه الاستحيا اي يستحيي منهم تاديا وتحاشيا من ان يقولوا تزوج
زوجة ابنه زيد اذ كان قد تبناه وان خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس
انما كانت حذرا من ارجاف المنافقين باخبار سوء تنزل له غير ثابتة
وتشغيبهم من الشغب بسكون ثانيه كما مر اي الشر والفتنة بالاكاذيب
على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابنا
جهلا منهم انهم ابنا الاصلاب بشهادة وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم اي دون
من تبنيتم فعتبه الله على هذا اي على استحيائه منهم ان يقولوا ذلك ونزهه

عن الالتفات اليهم فيما احله له من نكاح حلائل من تبنوه دون حلائل ابنائه
اصلابهم كما عتبه على مرضاة ازواجه في سورة التحريم اذ قد ورد انه
صلى الله عليه وسلم شرب عسلا عند زينب فتواطات عائشة وحفصة فقالتا
له انا نشم منك رائحة مغافير فقال انما شربت عند زينب عسلا فقالتا جرست
نحله العرفط فحرم شربه فلاطفه ربه تعالى بقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل
الله لك من عسل وغيره تبتغي حال او علة لتحرم او مستعقبا او لا تبتغا مرضات
ازواجك تحرمه وليس لاحد ان يحرم ما احل الله والله غفور رحيم قد غفر لك ه
ورحمك فلم يواخذك كذلك قوله هنا ملاطفة له على مراعاته للناس استحيا منهم
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه وقد روي كما في جامع
الترمذي وصححه عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
مما اوحي اليه لكتم هذه الاية اي اية زيد وزينب لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه
من اعلام الله له ان زينب ستصير من ازواجه فصل فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم
في مرض موته فدته نفسي فان قلت لم يرد به مخاطبا معينا قد تقررت عصمته
صلى الله عليه وسلم مما لا يليق برفيع مقامه في اقواله في جميع احواله اي امور وشؤونه — لحواله م
وشؤونه وانه لا يصح منه وقوعا فيها اي في اقواله خلف للقول منها ولا اضطرا
فلا يرد منها شيء على اوجه مختلفة متساوية في عمد بعزم وتصميم ولا في سهو
اي ذهول ولا في صحة من العاهات ولا في مرض ها ولا في جد بكسر الجيم من جد
يجد جدا ضد الهزل ولا في مزح ولا في رضى ضد السخط كما مر ولا في غضب كرر لا — وقوع م
تاكيدا لنفي الخلف والاضطراب في شيء مما ذكر في احواله لعصمته منها في ذلك
فما معنى الحديث الوارد عنه صلى الله عليه وسلم في وصيته الذي اسند هنا من
طريق البخاري ورواه مسلم ايضا عن ابن عباس قال لما احتضر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي دنى موته نفسي له الفدا وفي البيت رجال من قرابته واصحابه فقال
هلموا اي تعالوا لعلها على لغة الراوي كتميم فانهم يثنون ويجمعون ويونثون
واهل الحجاز يقولون هلم مبنيا على الفتح للواحد مذكرا ومونثا وللاثنين والجمع
بشهادة قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا اما البيان لمهمات
الدين او لبيان محل الخلافة دفعا للنزاع وحثا على الاتفاق على ما كان يكتبه فكانه
صلى الله عليه وسلم ظهر له او اوحي اليه ان الخير في كتابته لهم بها ثم ظهر له او اوحي
اليه ان الخير في تركها لن تضلوا وتخرجوا الى ما لا تهتدون له بعده اي بعد الكتاب
اذ عرفتم ما فيه وعملتم به فقال بعضهم هو عمر كما سياتي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا كتاب الله وفي
رواية لن تضلوا بعدي ابدا فتنازعوا اي وقع منهم التنازع والاختلاف

فقالوا كما في البخاري أهجر بصيغة الماضي استفهاما انكاريا للهجر بضم الهاء على
من توقف في امتثال امره صلى الله عليه وسلم بالكتابة اي لم يختلف كلامه
ولم يتغير من الوجع كما يقع للمرضى ممن لا ينتظم كلامهم لاستحالته منه
لعصمته صحة ومرضا رضى وسخطا لقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اقول في
الغضب والرضى الا حقا فكيف يتوقف فيما طلب ايظن انه صلى الله عليه وسلم
كغيره يقول في مرضه الهذيان فانكار صدور الهجر منه بانكار حالته التي يوهم
عليها انكار لوجوده على وجه برهاني من حيث ان حالة الشيء تابعة لذاته فانكارها
انكار لذاته بطريق الكناية الابلغ لانكار الهجر استفهموه اي استخبروه عما اراده
افعله اولى ام تركه وليس قولهم اهجر اخبارا عنه به لنزاهته صلى الله عليه
وسلم عما لا يليق به من تخليط وهذيان فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
دعوني مما انتم فيه من التنازع واللغط فالذي انا فيه من مراقبة ربي وانتظار
رسله الي والتأهب للقائه والحاقي بالرفيق الاعلى وتحمل غير ذلك كما سيأتي
خير وافضل مما انتم فيه من التنازع والاختلاف وفي بعض طرقه كما في مستخرج
الاسمعيلي من طريق ابن خلاد عن سفيان ان النبي صلى الله عليه وسلم ان
يهجر انكار على من اختلف عنده من هجر اذا ترك اي اترك كتابته ويعرض عنها
لا اتركها ويروى كما في البخاري اهجر ماضيا حذفت همزته بمعنى رواية الهجر
فيما مر ويروى اهجرا بضم الهاء مصدرا اي اهجر غشيته همزة الاستفهام
اي في الحديث فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع
وعندنا كتاب الله حسبنا من احسبه الشيء اذا كفاه اي هو محسبنا اي كافينا
فهو بمعنى اسم الفاعل فاضافته غير حقيقية لا تفيد تعريفا فيرد
تعريف التنوين فيه ووصف النكرة به في مثل هذا رجل حسبنا اي يحسبك
لنا وهذا من عمر يؤذن بحسن نظره وصحة فهمه اذ خشي ان يكتب لهم ما يعجزوا
عنه او يحذر انسداد باب الاجتهاد وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار عليه
تلويح بتصويب قوله عندنا كتاب الله حسبنا اشارة منه الى قوله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء وكثر اللغط هو صوت مع ضجة لا يفهم معناه فقال اي النبي صلى
الله عليه وسلم قوموا عني وفي رواية في الصحيح واختلف اهل البيت ممن كان فيه
من الصحابة واختصموا اي تجادلوا وتجاذبوا الكلام فمنهم من يقول قربوا
يكتب لكم كتابا تمسكوا به فتهتدوا ومنهم من يقول ما قال عمر عندنا كتاب
الله حسبنا شفقة عليه منه عليه صلى الله عليه وسلم مما به من شدة الوجع وكربه
ولما قام عنده من ان ما اراد كتابته مما لا ضرورة اليه وقد علمت ان في تركه
صلى الله عليه وسلم الانكار عليه تلويحا بتصويبه ولا يعارضه قول ابن عباس

ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب
لانه كان افقه من ابن عباس لعلمه ان الله قد اكمل دينه فامن الضلال على الامة
لجزمه بالامتناع من الكتابة لما ظهر له من مقارنة امره صلى الله عليه وسلم به
ما صرفه من القرائن عن الوجوب اذ كان على اختيارهم ومن ثم اختلفوا قال
ائمتنا اي المالكية والاشعرية في هذا اي حديث ابن عباس النبي صلى الله عليه
وسلم غير معصوم من الامراض الظاهرة على جسمه دون ما ظنه لغيره من
الانبياء وما يكون من عوارضها من شدة وغشي اي اغماء مما يطرأ على جسده
الشريف وجسمه الكريم معصوم ان يكون منه اثناء ذلك اي خلال تلك
الاعراض التي تعرض له ما اسم يكون موصولا او موصوفا يطعن في معجزته
فيها ويؤدي الى فساد وذم وعيب في شريعته صلى الله عليه وسلم فيما
شرعه الله تعالى من الدين يقال شرع تشريعا شرعا فهو شارع وقد شرع
اذا اظهره وبينه والشريعة في الاصل مورد الماشية على الماء من هذيان
اي كثرة كلام وتوسع فيه مع قلة جدواه او اختلال بوهن وفساد في كلام
وعلى هذا القول بانه صلى الله عليه وسلم معصوم مما ذكر لا يصح ظاهر رواية
من روى هجر اذ معناه هذى اي كثر كلامه بلا جدوى هذا ولعل قائله ممن
قرب عهده بالاسلام ويرى ان شدة الوجع قد تدهش ونحو فيما يراه تجوز
وقوعه منه ومن ثم قال بعضهم انه قد غلبه الوجع يقال هجر يهجر هجرا بفتح
اوله وسكون ثانيه اذا هذى واهجر يهجر هجرا بضم اوله وسكون ثانيه
اذا افحش اي اتى بكلام يقبح ذكره والهجر بضم الهمزة وسكون الهاء تعدية هجر
وانما الاصح والاولى اللائق برفيع درجات منصبه الكريم اهجر ماضيا
بالفتح على طريق الانكار على من قال لا نكتب وردا لقوله مع وجود ما يدعو
الى الكتابة من كونه صلى الله عليه وسلم ماضي العزم ثابت العقل حسن
التصرف معصوما في اقواله وافعاله وهكذا رويناه اي اهجر ماضيا بفتحات
مع همزة انكار في صحيح البخاري من رواية جمع من الرواة اي رواة صحيح البخاري
في حديث الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام بتخفيف اللام شيخ
البخاري عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بفتحات مع همزة انكار بخطه
في كتابه من صحيح البخاري وكذا ضبطه غيره من هذه الطرق كلها عن الزهري
وغيره وكذا رويناه بفتحات وهمزة انكار عن مسلم في حديث سفيان بن عيينة
ورويناه ايضا عن غيره اي غير مسلم اهجر على الانكار وهو اصح من رواية هجر ويهجر
لتنزيهه صلى الله عليه وسلم من الهجر بالضم بمعنى الهذيان وانما ورد ما يرى
انكار على من قال لا نكتب اي كيف نترك امره ونجعله كمن هجر في كلامه مع عصمته

من ان الهجر وان صحت الروايات فصدورها من قايلها انما هو بغير تثبت وتحقق بل قالها جزعا ودهشا لشدة ما راه منه صلى الله عليه وسلم في هذه الحالة المؤذنة بوفاته فدته نفسي من تفاقم المصيبة به وتعاظم الغفلة والضلالة بعده وكني بالهجر عن شدة الوجع وقول عمر عندنا كتاب الله حسبنا انما كان ردا على من نازعه لا ردا لامره صلى الله عليه وسلم وقد حمل عليه اي على الهجر انكارا ورواية من رواه هجر على حذف الف الاستفهام اي همزته الاستفهام الانكاري وحمل هجر بضم الهاء واهجر مبنيا للمفعول على انه قاله حيرة ودهشة لا يدري كيف يهتدي لعظم ما شاهد من حاله صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه ولما راي من هول المقام الذي اختلف فيه عليه وهول الامر الذي امر بالكتاب فيه لاتفاق الكلمة والتعاضد والتناصر والسمع للخليفة بعده ووصيته خصوصا بقرباه وعموما بالمهاجرين والانصار اي بقبول محسنهم والتجاوز عن مسيئهم ولساير المسلمين وغير ذلك حتى لم يضبط هذا اي القائل لفظه واجرى الهجر بالضم كما مر مجرى شدة الوجع وتراه بدلا لا لمراد كانه يوعك كما يوعك الرجلان اشفاقا عليه صلى الله عليه وسلم لا انه اعتقد انه تجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته حذرا عليه من ان يرهقه مكروه والله يقول اي اشفقوا عليه مع قوله والله يعصمك من الناس ان ينالوك بما يضرك واما على رواية اهجر بفتح الهمزة وضم الها وهي رواية المستملي احد رواة البخاري في الصحيح في حديث ابي محمد سعيد بن جبير عن ابن عباس فقد يكون هذا اي لفظ اهجر بضم الها راجعا الى المختلفين عنده اي النبي صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم منكرا ذلك البعض عليهم بقوله جئتم باختلافكم على رسول الله وبالاختلاف بين يديه هجرا ومنكرا مما قبح الشرع لا عدا فيه عن الحق والهجر بضم الها الفحش في النطق فلا يليق ايراده بين يديه صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلماء في هذا الحديث اي في حديث هلموا اكتب لكم وقد اختلفوا بعد امره بالكتاب لكتب لن يضلوا بعده فقال بعضهم اي بعض العلماء الذين اختلفوا اوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم حين صدورها عنه ايجابها من ندبها من اباحتها بقراين تلوح على صفحات مراداته تعين كلا وتميزه عن الاخر فلعله قد ظهر من قراين قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم هلموا اكتب لكم كتابا ما فهموا فاعل ظهر انه اي قوله هلموا لم يكن عزمة وحتما لازما بل هو امر رده الى اختيارهم بشهادة اختلاف قضيتي كتابته ومراجعتهم له فيه اذ كانوا يراجعونه فيما لم يجزم فيه تخييرهم كمراجعتهم له صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية في الحلاق وكتاب الصلح بينه وبين قريش لا فيما امر به عزمة وبعضهم اي بعض اصحابه لم يفهم ذلك اي كونه امر يفهم ايجابه من ندبها

وكيف

فقال

من اباحتها بقراين فلما استفهموه اي استخبروه عما اراد بقوله هلموا اكتب لكم فلما اختلفوا كف عنه اي عن طلب الاستفهام اذ لم تكن اي لم توجد منه عزمة توجب امتثال الامر بالكتاب ولما راي هذا الذي كف من صواب راي عمر هولاء اي القايلون او امر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها من اباحتها قالوا ويكون امتناع عمر كامرا ما اشفاق عليه من تكليفه ما يشق عليه والزامه في تلك الحالة الشديدة الالم املاء الكتاب وان لم يدخل عليه مشقة من ذلك تؤذن بتكليفه الاملا كما قال اي عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع فلا ينبغي ان يكلف املاء كتاب كتاب الله حسبنا وقيل خشي عمر ان يكتب امورا يعجزون عنها ولا يقومون بها فيحصلون في الحرج اي الاثم فكانهم لشدة ملابسته ولزومه لهم بالمخالفة له صلى الله عليه وسلم مستقرون فيه ظرفا لهم وراى عمر ان الارفق بالامة والاوفق في تلك الامور سعة الاجتهاد وحكم النظر الصحيح المقرون بشرايطه بحسب مادته وصورته تحصيلا وترتيبا للمقدمات مع ملاحظة المطلوب والتوجه اليه وازالة مانيا في الادراك من الموانع كالغفلة وطلب الصواب به فانه اذا لم يعقبه ما ينافيه من الموانع افاده بطريق جري العادة عند الاشعري بنا على ان جميع الممكنات عنده مستندة الى الله تعالى ابتدا اي بلا واسطة لانه القادر المختار فيكون المجتهد المصيب للحكم الشرعي والمخطي له كل منهما ماجورا باجتهاده لذلك اجران ولهذا اجر واحد وقد علم عمر تقرر الشرع وتاسيس الملة اي دين الاسلام برسوخ قواعده واحكام دعايمه راسخة الاساس شامخة البنا كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما وعلم ايضا ان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم اي امور مما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعلم الحلال والحرام والتوقيف على الشرايع واصول الاجتهاد وقوانين القياس وعلم ايضا اي تمسكوا ابدا وتعلموا باوامره ونواهيه وما ورد به من مكارم الاخلاق وما حاسنها وادابه وعترتي ممتناه توقيفه يعني اهل بيته الذين حرمت عليهم الزكاه وعوضوا عنها خمس الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد وردت مفسرة في الحديث وعترتي اهل بيتي وقول عمر حسبنا كتاب الله اي كافينا في الهداية للتي هي اقوم رد على من نازعه في امر الكتاب واكتفا بكتاب الله لا رد منه على امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان ياتوا بما يكتب لهم فيه كتابا وقد قيل خشي عمر تطرق المنافقين اي توصلهم ومن في قلبه مرض اي حقد بغضا وحسدا لما كتب في ذلك مما اراده وان يتقولوا اي يتكلفوا في ذلك الاقاويل الباطلة افتراء من عند انفسهم سمي ما تقولوه اقاويل تحقيرا لشانه وتصغيرا لامره كادعا الرافضة الوصية بالخلافة لعلي بمفتريات يقدحا في اكابر الصحابة جهلا وعنادا

[illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] لعلي [illegible]

بل بقي علي اذ لم يفهم بالامر الموصى له به ولم يحتج بالوصية له لها عليهم عنا
منقادا لمن وليها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بقي ورسوله
لثنا بهما عليهم بانهم خير امة اخرجت للناس وبانهم رحما بينهم تراهم ركعا
سجدا واتخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابا واحبابا واعوانا وانصارا
مع علمه بحالهم ابتدا وانتها ومن رام من بدا على هذا تعليه نكابنا مقاصد المقاصد
وقيل انه اي قوله صلى الله عليه وسلم هلموا كان من النبي صلى الله عليه وسلم على
طريق المشورة بامر به له ان نشأ ورسم ما لم ينزل عليه فيه وحي استظهارا
برايهم وتطييبا لقلوبهم ورفعا لقدرهم وارادة لان يستن به من بعده وكان
منه ايضا على طريقة الاختبار والامتحان لهم هل يتفقون على ذلك الذي
اراده من كتابة الكتاب ام يختلفون فلما اختلفوا وتنازعوا امرهم بينهم تركه
وقال لنطابقه اخرى معنى الحديث اي حديث وصيته صلى الله عليه وسلم عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه ان
يكتب لهم لا انه ابتدا بالامر به بل اقتضاه اي طلبه منه بعض اصحابه فاجاب
رغبتهم في كتابته لهم وكره ذلك غيرهم اي غير من طلب ذلك منه صلى الله عليه وسلم
للعلل التي ذكرناها انفا عن عمر وغيره واستدل مبنيا للمفعول في هذه القصة
اي قصة كتابة الكتاب لم يرده منه صلى الله عليه وسلم ولكراهته بقول العباس لعلي في
حديث البخاري عن ابن عباس انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر
اي امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا علمناه ولا ينازعنا فيه احد وكراهة علي هذا القول
من عمه العباس وقوله لعمه والله لا افعل واستدل اي على الكراهة ذلك بقوله اي النبي صلى
الله عليه وسلم دعوني فان الذي انا فيه خير اي الذي على حد ما مر من حذف ان اذ لا داعي
للتاكيد ههنا انا فيه اي كما مر من اشتغالي بتهيؤ لي لنزال اخرى ومن اشارتي عليكم بكتابة
كتاب خير مما تدعوني اليه من ارسال الامر بلا كتابة كتاب يتضمن الوصية مما اراده
وخير من تركي لكم وكتاب الله اي معه اذ ربما اختلفتم فيه كما اختلف
الذين من قبلكم الى الشقاق والتنازع فتفشلوا وتذهب ريحكم فلعله صلى الله عليه وسلم
اراد كتابته لهم حذرا من ذلك وشفقة واتقا عليهم وان تدعوني عطف على دعوني
اي وان تركتكم لي مما طلبتم مني من كتابتي لكم كما اخبرتكم وذكر ان الذي طلب اي النبي
صلى الله عليه وسلم كتابة امر الخلافة بعده وتعيين ذلك اي تعيين امرها من يكون
خليفته فضاقوا فلتعلقوا حديثه صلى الله عليه وسلم الذي اسنده هنا من
طريق مسلم اللهم اي يا الله انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر عدل عن التكلم
الى الغيبة مبالغة في الاستكانة والخضوع لربه تعالى استدلالا لرحمته ن
واهتماما بنجاح قصده وقبول دعائه واني اتخذت افتعل من تخذ يتخذ

كسمع يسمع ادغمت احدي تايه في الاخري لا من اخذ يتخذ اذ الافتعال منه
فاوه همزة لا تدغم في التا وقول الجوهري الاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه
ادغم بعد ابدال الهمزة تا وتسكينها وتوهموا لكثرة استعماله بلفظ الافتعال
ان التا اصلية فبنوا منه فعل يفعل قالوا تخذ يتخذ فاهل العربية على خلافه
وعدل الى التكلم استلذاذا بمناجاة ربه ومن ثم بسط له الكلام مع الاحبة عندك
عهدا لن تخلفنيه فايما مسلم اذيته او سببته او جلدته فاجعلها اي جوابه
ما تضمنه اي من الشرط وانث باعتبار المذكورات او قوله كفارة فعالة للمبالغة
كقتالة وضرابة من الصفات الغالبة في باب الاسمية وهي الخصلة التي من
شانها ان تكفر الذنوب وتمحوها وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة اي قربة ذكر
جميل وعمل صالح لا قرب ذات ومكان لانه من صفات الاجسام والله منزه عن
ذلك وقربه تعالى من عبده انما هو منه قرب طاعة ونعمة وبر اليه وترادف منته
له به وفيض مواهبه عليه وفي رواية فايما احد دعوت عليه دعوة وفي
رواية ليس اي المدعو عليه لها باهل وفي رواية ايما رجل من المسلمين سببته
اي شتمته او لعنته اللعن من الخلق الدعا والسب ومن الله الطرد والابعاد
عن ساحة رحمته او جلدته فاجعلها له زكاة اي طهرة من ذنوبه وبركة في معاشه
وصلاة ورحمة وضع الصلاة وهي في الاصل التعطف والحنو موضع الرافة وجمع
بينها وبين الرحمة كقوله رافة ورحمة رؤف رحيم اي اجعلها له رافة بعد رافة
ورحمة اي رحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم استفهام عن
حال صحة لعنه التي ترد عليها اي على اي حال ترد صحة ان يلعن من لا يستحق
اللعن و على اي حال ترد صحة ان يسب من لا يستحق السب و على اي حال ترد
صحة ان يجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك اللعن والسب والجلد
عند الغضب وهو معصوم جملة حالية لازمة افادت استمرار اتصافه صلى الله
عليه وسلم بالعصمة اي يتاتى منه فعلها معصوما منها فاعلم لم يرد به معينا بل
كل من يتاتى توجيهه اليه شرح الله صدرك اعتراض دعائي بين اعلم وبين ما سد
مسد مفعوليه اعني ان قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم اولا ليس لها باهل اي
عندك يارب في باطن امره مما لم يطلعه الله عليه فان حكمه صلى الله عليه وسلم
انما كان على الظاهر من الامر كما قال فيما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه انما كان ن
يحكم به والحكمة التي ذكرناها فيما مضى من ان احكامه كانت جارية عليه وعلى موجب
غلبات الظن ليقتدي به في ذلك امته فحكم صلى الله عليه وسلم فيما ظهر له بجلده
او ادبه بسبه او لعنه بما اقتضاه من جواز ذلك عنده حال ظاهره ثم دعا صلى
الله عليه وسلم تفاديا بدعايه لما صدر منه من لعن وغيره على مقتضى حاله

ظاهر شفقته على امته ورافته ورحمته جمع بينهما لما تقدم في المؤمنين اللتي وصفه
الله بها بقوله بالمؤمنين رءوف رحيم وحذره اي خوفه ان يتقبل اي الله تعالى فيمن
دعى عليه دعوته ان يجعل اي الله دعاءه عليه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله اي
النبي صلى الله عليه وسلم ليس اي المدعو عليه لها باهل كثيرا ما تزاد الباء في خبر ليس
أليس الله بكاف عبده أليس الله بعزيز ذي انتقام أليس الله باحكم الحاكمين لا انه
صلى الله عليه وسلم يحمله اي يسعه ويغريه الغضب ويستفزه الضجر اي يستخفه
الملل والسامة لان يفعل مثل ذلك اللعن والسب والجلد بمن لا يستحقه وهذا
معنى صحيح مقبول لا يفهم غيره ولا يفهم من قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم
اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله واغراه نعم ما لاجل ان يفعله
وحاشاه صلى الله عليه وسلم ان يفعله بل يجوز ان يكون المراد بهذا اي بغضب
كما يغضب البشر ان الغضب لله هو الذي حمله واغراه على معاقبته بلعنه في سبه
اذ قد ورد كما مر ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط الا ان
تنتهك حرمة الله فينتقم لله وانه كان يحتمل ويجوز عفوه صلى الله عليه وسلم
عنه اي عن من عاقبه بلعن او غيره او كان مما خير بين المعاقبة والعفو وقد يحتمل
اي دعاؤه صلى الله عليه وسلم لمن عاقبه انه خرج مخرج الاشفاق على من عاقبه
بلعن او غيره وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله شفقة منه
عليهم ان يعاقب احدا منهم وقد يحتمل ما ورد من دعواته على غير واحد في غير
موطن بل على كثيرين في مواطن كثيرة على غير العقد والقصد فلم تجر دعوته بها لو قصد
بها الدعاء بل كانت صادرة منه على ما جرت به عادة العرب ولا يريدون وقوع الامر
بمن خاطبوه

اذ قد يطلقون اللفظ وكله ود ويشعرونه وما من يفعله به
يقولون للشي اذا مدحوه قاتله الله ولا اب له ولا ام له لا يريدون به الذم وويل
امه وفي الحديث ويل امه مسعر حرب وذلك ان تنظر الى القول وقائله
فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن ولعل المراد
بها اي بدعواته صلى الله عليه وسلم على غير واحد الاجابة لقوله كما تسمعه فيما
رواه الشيخان عنها وغيرها تربت يمينك وقوله لمعاوية فيما رواه مسلم عن ابن عباس
رضي الله عنهما لا اشبع الله بطنه زاد البيهقي في الدلائل فما شبع بطنه ابدا
وقوله لصفية فيما رواه الشيخان عن عائشة عقرى حلقى اي عقرها الله وحلقها
اي اصابها بوجع في حلقها كذا رواه المحدثون غير منون لجريانه على مؤنث كغضبى
والمعروف في اللغة التنوين لانه من مصادر حذف فعلهما لفظا اي عقرها
الله عقرا وحلقها حلقا ويقال للامر يعجب منه عقرا حلقا وللمراة المؤذية المشومة

وغيرها من دعواته مما لا يريد بها وغيره به ذما بل مدحا كقوله لجزيمة نعم صبا حابرت
يداك فانه دعا له لذكره بعدا نعم صبا حاحا له على استعماله ما وصاه به وقد ورد
في صفته اي النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث مما رواه البخاري وغيره انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن فاحشا من الفحش وهو قذع الكلام ورديه مما تقبح ذكره مبالغة
فيه لا استشداد قبحه كالذنوب والمعاصي قولا وفعلا والمراد نفي اصله عن ساحة
رفيع مقامه وان اذنت المبالغة بثبوت اصله قال انس فيما رواه البخاري عنه لم يكن
اي النبي صلى الله عليه وسلم سبابا مبالغة من السب اي الشتم ولا فاحشا
ولا لعانا اي مبالغا في اللعن اي البعد عن رحمة الله والمراد نفيه وكان
اي النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحدنا عند المعتبة من العتب بفتح
اوله وكسره اسم لمخاطبتنا مخاطبة الادلال ومنه ام المؤمنين وعتبني
اذا عاد الى مسرتي واستعتب اي طلب ان يرضى عنه ما له ترب جبينه
قيل اراد به دعاء له بكثرة السجود واما قوله لبعض اصحابه ترب نحرك فقتل
شهيدا فمحمول على ظاهر فيكون حمل الحديث اي حديث ترب جبينه على
هذا المعنى من ان يقتل ثم اشفق صلى الله عليه وسلم على من دعى
عليه حذرا من موافقة امثالها اي الدعوة التي قبل صاحبها لها شهيدا
اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث السابق الوارد في ذلك ان يجعل
ذلك للمقول له ما مر من اذى وغيره زكاة وصلاة ورحمة وقربة تقربه
بها اليك زلفى وقد يكون ذلك اي دعاؤه صلى الله عليه وسلم له اشفاقا
على المدعو عليه وتانيسا وتاليفا وطمانينة له لئلا يلحقه من استشعار
الخوف اي ادراكه ومن الحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم ومن تقبل
دعائه ما يحمله فعلا يحمله على الياس والقنوط جمع بينهما لمغايرة بينهما اذ القنوط
اشد باسا من الاول وقد يكون ذلك سؤالا منه اي من النبي صلى الله عليه
وسلم لربه لمن جلده او سبه على حق بوجه صحيح ان يجعل له كفارة لما اصابه ان
واقترفه من الذنوب وتحية لما اجترمه اي اكتسبه منها وان تكون عقوبته
في الدنيا سبب العفو عنه والغفران له توبه كما جاء في الحديث الاخر فيما رواه
البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا
تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف
فمن وفى منكم بذلك فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب في
الدنيا فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو الى الله ان شا
عاقبه وان شا عفى عنه فان قلت فما معنى حديث الزبير الذي رواه البخاري

اسنوا اي الزبير ه

وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين خاصمه اي تنازعه واختلافه مع الانصاري
في شراج الحرة جمع شرجة وهو مسيل الماء من الحرة الى السهل اسق مقول قوله صلى
الله عليه وسلم يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال الانصاري للنبي صلى الله عليه وسلم
ان كان ابن عمتك علة لقوله اسق يا زبير ذلك من اجل انه ابن عمتك هي صفية بنت عبد
المطلب فتلون وجه النبي صلى الله عليه وسلم اي تغير من لون الى لون اخر ثم قال اي النبي
صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم احبس اي الماء حتى يبلغ الجدر اريد به هنا ما رفع
حول المزرعة من البناء او اريد به اصل الجدار وروي بالضم جمع جدار وبها لـ
معجمة من جد الحساب بالفتح والكسر اراد به مبلغ تمام الشرب استيفاء لحق الزبير
فالجواب انه صلى الله عليه وسلم منزه اي مبرا مبعد عن ان يقع بنفس مسلم
منه امر يريب اي فلا يظن به صلى الله عليه وسلم انه يصدر منه ما يسوء احدا
ويزعجه ويولمه من رابني هذا الامر وارابني اذا رايت منه ما تكره ولكنه صلى
الله عليه وسلم ندب الزبير اي بعثه ودعاه اولا الى الاقتصار على بعض
حقه على طريق التوسط بين الافراط والتفريط وعلى وجه الصلح فلما لم
يرض بذلك اي الذي ندب الزبير اليه الاخر اي الانصاري تعصبا اي اخذ
النبي صلى الله عليه وسلم للزبير وجد في نفسه لما لا يجب بل ولا يجوز ان يقال في
حقه صلى الله عليه وسلم استوفى في جواب لما مع الانصاري فاستوعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا الحديث اي
حديث الزبير مع الانصاري اصلا في قضيته اي الزبير في باب الصلح على
التساهل فيما بينهم بترك المحكوم له بعض حقه فان سخط المحكوم عليه واتهم
الحاكم في حكمه بالحق استوفى الحاكم للمحكوم له حقه بحكمه صلى الله عليه وسلم للزبير
اذ قد استوفى له حقه اذ اغضبه الانصاري وفيه ويوخذ منه الاقتداء به
صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وان كان صلى الله عليه وسلم
قد نهى فيما رواه الشيخان عن ابي بكرة ان يقضي القاضي وهو غضبان جملة
حالية اي فذلك النهي انما هو للقاضي غير معصوم فلا يقضي حال غضبه بخلافه صلى الله عليه وسلم
فانه في حكمه في حالة الغضب والرضا سواء لكونه فيهما اي الغضب والرضى معصوما
لا يصدر عنه حيف ولا جور مما لا يليق بجنابه الكريم وغضبه في هذا اي في امر
الزبير مع الانصاري انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح المتقدم
انه كان لا يغضب الا لله وكذلك ورد في الحلية لابي نعيم عن ابن عباس الحديث الذي
افادته مصدر مضاف الى فاعله اي امر عكاشة ان يقتص لنفسه من نفسه
صلى الله عليه وسلم لم يكن لتحمل الغضب عليه اي على تحمله بل وقع في الحديث نفسه
اي حديث قود عكاشة منه صلى الله عليه وسلم ان عكاشة قال له اي للنبي

صلى الله عليه وسلم وضربتني بالقضيب فلا ادري اعمدا كان ضربك لي ام اردت
ضرب الناقة فقضيتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك اي اجعلك في حفظ
الله وكنفه يا عكاشه ان تتعمد رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت من
الخطاب الى الغيبة استدعاء بذكر اسمه صريحا موضع ضمير لانه اولا ترتيب
عكاشه وجزم بتا بينهما وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي ولا ادري من
رواه حين طلب اي النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصاص من نفسه الشريفة للاعرابي
فقال الاعرابي له صلى الله عليه وسلم قد عفوت اي تجاوزت عنك او اخذك
بضربك لي وفي حديث ابي بكر سلوا الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة فالعفو
محو الذنب بترك المواخذة والعافية الصحة من الاسقام والبلايا والمعافاة ان
يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك اي يغنيك عنهم ويصرفهم عنك ان
يعتدوا عليك ويصرف ذاك عنهم وقيل هي مفاعلة من العفو وهو ان يعفو
عن الناس ويعفوا عنه وفي حديث ابن الزبير امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ
العفو من اخلاق الناس وهو السهل المتيسر اي امره ان يحتمل اخلاقهم ويقبل منها
ما سهل وتيسر ولا يستقصي عليهم وكان صلى الله عليه وسلم قد ضربه اي ضرب
الاعرابي بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد مرة علة لضربه والنبي صلى
الله عليه وسلم ينهاه كل مرة عن تعلقه بزمامها او رديفها مضارعا كانه يرى
سابعه حالة تعلقه به تعجيبا له منه واستدعاء لانكاره عليه وتعجيبه فعله
ومثله قوله له تدرك حاجتك وهو يابى قبول قوله ذلك فضربه ثلاث مرات
بعد ظرف دعاء اي قطع عما اضيفا اليه منويا اي بعد نهيه له وقوله تدرك
حاجتك ولا يتوهم ان ضربه له كان انتقاما لنفسه بل كان تاديبا له وتشريعا
وارشادا له ولغيره احترازا من مثل ذلك لقبحه وهذا اي ضربه الذي وقع عليه منه
صلى الله عليه وسلم ينزجر ويرتدع ويقف عند نهيه ويرى انه صواب وموضع
ادب يقتبس منه ويستضاء به لكنه صلى الله عليه وسلم استقاد ذكا نحو
نفسه علة لاستقادته واعتراض بين استقاد ومتعلقه اعني من الامر اي الشان
والحال اقاد اي اقتص منه لما انما كان من اجل كونه حق نفسه هذا وحاشاه ان يكون
ضربه من اجل ذلك بل لما ذكرناه انفا حتى عفى اي الاعرابي عنه صلى الله عليه وسلم
غاية للاستقادة من امره به للاعرابي وان كان تاديبا وزجرا له عن تعلقه
بناقته مع نهيه له عنه واما حديث سواد بن عمرو بن عطية الانصاري الذي
رواه ابو القاسم في معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق في جامعه عن
الحسن اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق الواو للحال وقدم
المسند اليه للتاكيد اي اتيته حال تخلقي بالخلوق وهو طيب مركب

من زعفران وغيره وقد ورد الخبر باباحته وبالنهي عنه وهو اكثر والظاهر انه
ناسخ للاباحة لانه من طيب النساء وهذا اكثر استنبغا لا لبسه فقال ورس ورس
انكارا لتخلقه به وهو نبت اصفر يصبغ به حط حط وغشيني بقضيب في
يده اي ضربني به في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله اي اشتكيه
فكشف لي عن بطنه لاقتص منه وهذا منه صلى الله عليه وسلم غاية الانصاف
مع كونه اولى بالمومنين من انفسهم وانما ضربه لمنكر رآه عليه تاديبا وزجرا
له عنه ولعله صلى الله عليه وسلم لم يرد بضربه الا تنبيهه على ما رآه عليه
مما لا يليق فلما كان اي وجد انجاع لم تقصده بضربه اياه طلب اي النبي صلى
الله عليه وسلم التحلل منه بالقود منه فضل واما افعاله الدنيوية فحكمه
مستدا فيها اي في افعاله الدنيوية الصادرة عنه من توقي المعاصي بيان لحكمه او
حال من ضميره اي متقيا ومجتنبا لها من وقى الشيء يقيه اذا اجتنبه او صانه وستره
عن الاذى وفي حديث معاذ واتق كرائم اموالهم اي تجنبها ولا تاخذ منها في الزكاة
تسببا لكرامتها على اصحابها وعزتها عندهم واصل اتقى اوتقى قلبت الواو يا لكسر ما قبلها
ثم ابدلت تاء ثم ادغمت والمكروهات جمع مكروه تنزيها لتشبهه ذو العطف وهو ما ورد
فيه نهي مخصوص فان استفيد من عموم النهي عن ترك المندوب فخلاف الاولى ما
قدمناه خبر المبتدا من عصمته منها وان كان قد صدر منه فعل بعض المكروهات
كشربه وبوله قائما بعد نهيه عنهما فانه بيان للجواز وحكمه فيها من جواز السهو والغلط
في بعضها اي افعاله كتسليمه من ركعتي احدى صلاتي العشي سهوا في حديث ذي اليدين
ما ذكرناه فيما مر او كله اي اجاز صدوره منه مما مر غير قادح في النبوة بل هو في
حقه فاضل غير مكروه بل ان هذا اي صدور ذلك عنه على الندور اذ عامة افعاله
اي غالبها بل كلها على السداد اي القصد في الامر والعدل فيه والاستقامة على
جادة الحق والصواب بل اكثرها اي اكثر افعاله او كلها جارية مجرى العبادات
والقرب جمع قربة يتقرب بها الى الله من ذكر وعمل صالح وفي حديث صفة هذه الامة
في التوراة قربانهم دماؤهم يتقربون الى الله باراقة الدماء في الجهاد وكان قربان
غيرهم من الامم ذبح بهيمة الانعام وقربان فعلان مصدر قرب يقرب على
ما بيناه فيما مر من جريانها مجرى العبادات والقرب اذ كان صلى الله عليه وسلم
لا ياخذ منها اي من افعاله الدنيوية لنفسه الا ضرورته وما يحتاج اليه مما
يقيم رمق جسمه وبقية قوته وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم
شريعته ببيان احكامها وتنفيذها والدعوة الى الايمان والعمل بها ويسوس
امته بتوليه امورهم وقيامه عليهم بما يصلحهم وما كان فيما بينه وبين الناس
من ذلك اي من افعاله الدنيوية فبين معروف بين الناس مما لا ينكرونه من

احسان منه اليهم وحسن صحبة مع اهله واصحابه او بر يوسعه على محتاج
اليه او كلام حسن يقوله لمن يصغي اليه او يأباه فيلين قلبه الى ذكر الله او يسمعه
من غيره فيسر به او تالف شارد نافر عن طاعة الله وطاعة رسوله فيداريه
ويستجلبه ليثبت ويثبت قلبه على الاسلام كما وقع له مع صفوان بن امية اعطاه
صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فاسلم وحسن اسلامه وقال لقومه ان محمدا
يعطي عطاء من لا يخشى الفقر والله ما كان على وجه الارض شيء ابغض الي منه فلم يزل
يعطيني حتى صار احب الناس الي واعطى الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن كلا منهما
مائة من الابل وقال اني اعطي رجالا لاحداثة عهدهم بكفر اتالفهم او قهر معاند
لعله صلى الله عليه وسلم لم يبعد عن قصد الاستقامة ورده الى الحق
باطلا كبرا وعتوا كبرا ومداراة حاسد بملاينته وحسن صحبته واحتمال
اذاه وفي الحديث راس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس وكل هذا اي ما كان
بينه وبين الناس لاحق بصالح اعماله صلى الله عليه وسلم مع كونه مزايا نفعها
متعد منه الى غيره منتظم منه في ذاكي وظائف عباداته صلى الله عليه وسلم لتسببها
لتناسقها وتناسبها في النفع بكونها وجوه خير تنتظم في سلك تاني صالح اعماله
وقد كان صلى الله عليه وسلم يخالف في ما يخصه من افعاله الدنيوية بحسب
اختلاف الاحوال العارضة له ويعد من اعداه ويهيئ للامور اشباهها
فيركب في تصرفه وتوجهه لما قرب الحمار اذ لا كلفة في ركوبه مع انه ينفي التكبر
عنه صلى الله عليه وسلم وفي اسفاره الراحلة لصبرها على مشقة الاسفار ويركب
البغلة في معارك الحرب لشجاعته وقوة قلبه وشدة باسه فكان ركوبه دليلا على
الثبات فيها مع كونها لا تصلح للكر والفر وقال علي كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول
الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه لنا وقاية من العدو وقيل لجابر افررتم يوم حنين
فقال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ويركب الخيل ويعدها اي يهيئها
ليوم الفزع هو في الاصل الخوف فاستعير للاغاثة والنصرة من شان الاغاثة والدفع
عن الحريم ويركبها لسرعة الاغاثة بها واجابة الصارخ اي المصوت للاعلام بحادث
للاعانة عليه وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة مفعول له ما فعله
من امور الدنيا معاونة لامته سياسة ولكراهة خلافها اي لمخالفته امته ايناسا
لهم وجبرا لقلوبهم فيفعله وان كان قد يرى غيره خيرا منه اي من تركه ويفعل
هذا اي ما يرى تركه خيرا من فعله في الامور الدنيوية مما له الخيرة في احد وجهيه
دون الاخر فعلا او تركا كخروجه باصحابه من المدينة لاحد لمحاربة ابي سفيان بن
حرب وقريش به وكان مذهبه والحزم التحصين بها ولا يخرج منها وتركه قتل
المنافقين جمع منافق وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب باسمه الخاص وهو من

تخفي كفره ويظهر اسلامه وان كان اصله في اللغة معروفا وهو من يضمر خلاف ما يظهر وهو ما نوى بيان في منافقة ونفاقا من النافقاء احد بابي حجرة اليربوع اذا اراد الحارش ان يصيده من بابه الاصلي اوهمه انه قد اقبل عليه ثم نكص هاربا الى نافقائه فيخرج منه **وهو على يقين من امرهم** في النفاق وقد باض وفرخ في ضمائرهم **موالفة لغيرهم** ممن يرجى مخالطة بشاشة الايمان في قلوبهم تفاديا من نفرتهم عنه بقتلهم **ودعا** عطف على موالفة وكلاهما مفعول من اجله ترك قتلهم ملاحظة **للمومنين من قرابتهم** وحفظا لخواطرهم **وكراهة لان يقول الناس** اخبارا عنه صلى الله عليه وسلم **ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث** فيما رواه البخاري وغيره في قصة راس النفاق وعلمه عبد الله بن ابي وقوله في غزوة بني المصطلق بالمريسيع لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل اراد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه زيد بن ارقم وهو حدث فقال له انت والله الاذل المبغض في قومه ومحمد هو الاعز بربه وقومه ثم اخبر رسول الله بقوله فقال له عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فمر انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه **وتركه** اي النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان عن عائشة **بناء الكعبة على قواعد ابراهيم** التي بناها هو وابنه اسمعيل عليها **مراعاة لقلوب قريش** مفعول لاجله ترك بنائها عليها **وتعظيمهم** عن هنائها التي بنوها عليها **وحذرا من نفار قلوبهم** اي تولها عن قبول الخير **وحذرا من تحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة لولا حدثان** بكسر اوله مصدر حدث يحدث حدوثا وحدثانا اي قرب عهد **قومك بالكفر** والخروج والدخول في الاسلام ولم يثبت في قلوبهم **لامرت بالبيت** فادخل الحجر بكسر الحاء فيه **على قواعد ابراهيم** التي بناه عليها وقد كانت قريش اخرجت الحجر منه حين قصرت بهم النفقة فلما بناه ابن الزبير ادخله فيه ثم اخرجه الحجاج باذن عبد الملك بن مروان فلما بلغ عبد الملك حديث عائشة هذا قال ليتنا تركنا ابا خبيب وما صنع **وكان صلى الله عليه وسلم يفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كما نقاله** تمام ان الحباب بن المنذر هو الذي اشار عليه به **من ادنى مياه بدر الى اقربها من العدو من قريش** وتعويضه صلى الله عليه وسلم ما استغنى عنه من العيون تضييقا عليهم لجرأتهم على الله ورسوله وعتوهم **وكقوله** صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان **لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي** معي ولا قلدته ولا اشعرته اذ بفعله ذلك لزمه ان لا يحل حتى ينحر ولا ينحر الا يوم النحر فلا يصح له فسخ الحج بعمرة ومن لم يكن معه هدي لا يلزمه ذلك فله فسخه وانما قال ذلك تطييبا لقلوب اصحابه وحذرا من ان يشق عليهم ان يحلوا وهو

كان

محرم وليعلموا ان قبول ما دعاهم اليه من فسخها افضل وانه لولا الهدي لفعله **و**كان صلى الله عليه وسلم **يبسط وجهه** كانه غاية بشره طلقا متهللا **للكافر والعدو رجاء استيلافه** ليسلم ويأتي هذا ولا ينفر **ويصبر للجاهل** على افراطه عتوا وتكبرا **ويقول** كما رواه عن عائشة **ان من شرار الناس من اتقاه الناس** اصله او

نقاه

قلبت واو ياء لكسر ما قبلها ثم ابدلت تاء وادغمت اي من تحفظوا منه وسالموه موادعة له **لشره** اي من اجله **ويبذل له** بذال معجمة اي يعطي من ذكر **الرغائب** جمع رغيبة وهو في الاصل الواسع يقال واد رغيب وجوف رغيب اي يبذل له عطاء كثيرا وفي الحديث افضل العمل منح الرغائب لا يعلم حسبان اجرها الا الله تعالى اي الابل الواسعة الدر الكثيرة النفع **ليحبب اليه شريعته** اي ما شرعه لعبا

ده

من الدين اي ظاهره وبينه وسنه لهم وافترضه عليهم **و**يحبب اليه **دينه** الدين ذا لقمه به اي قهرهم فاطاعوه **ويتولى في منزله ما يتولى** اي يقوم فيه تواضعا منه صلى الله عليه وسلم بما يقوم به **الخادم من مهنة** اي مهنة منزله فتحا وهاهنا الرواية وكا الزمخشري وكسرها عند الاثبات خطأ وقال الزمخشري هي بفتح الميم الخدمة ولا يكسر وكان العباس ان يرد مثل جلسه وخدمه الا ابطأ وركبت على بغله واحد **ويتسمت** من السمت وهو الهيئة الحسنة اي يتلحف **في ملاءته** دفع اوله والمداري ازاره **حتى لا يبدو** اي يظهر **منه** صلى الله عليه وسلم **شيء من اطرافه** لفرط حيائه اذ كان اشد حياء من العذراء في خدرها **وحتى كان على رؤس جلسائه الطير** تأدبا معه وتوقيرا وسكونا ورزانة منهم اذ لم يكن عندهم طيش ولا خفة لان الطير لا تقع الا على ساكن **ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم** اي يتذاكر معهم ايام واياهم الماضين

بينهم ٢

وما جرى عليهم كيوم بعاث كان قبل الاسلام فيه حرب بين الاوس والخزرج او بحديث اول متكلم منهم **ويتعجب مما يتعجبون منه** مما يطرأ لهم ويعظم موقعه عندهم ويخفى عليهم سببه تانيسا لهم واستجلابا لخواطرهم **ويضحك مما يضحكون منه** مما يكون منشأ للضحك مباحا **قد وسع الناس بشره** بطلاقة وجه وبشاشة خاطر **و**وسعهم **عدله** لا يميل به حيف على احد ولا ميل **لا يستفزه الغضب** اي لا يستخفه ولا يحمله على انتقام من احد الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله **يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين** بان يضمر في نفسه خلاف ما يظهره فاذا اراد بعينه كأمر قد خان فظهر تلك الحالة من جهة العين سمي خائنة العين بمعنى الخيانة **فان قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة في الداخل عليه** هو عيينة بن حصن الفزاري كما رواه البخاري ومسلم عنه **بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول** اي سهله بلطفه

وخشوع ووقار وضحك معه فلما ذهب من عنده سألته عائشة عن ذلك
الذي صنعه معه من الانة القول معه وضحكه معه قال ان من شرار الناس
جواب لما من اتقاه الناس لشره اي من اجل شره وكيف جاز ان يظهر له خلاف
ما يبطن اي ما يضمر ويقول في ظهره بعد ذهابه ما قال بئس ابن العشيرة
فالجواب ان فعله صلى الله عليه وسلم من الانة القول وضحكه معه كان استئلافا
اي تألفا ومداراة له ولمثله من اجل انه لعب وعبث بهم وتطييبا لنفسه
اذا له ولمثله لما ينفعه من الانقياد والاذعان للاسلام ليتمكن ايمانه ويخالط
بشاشته قلبه ويدخل في الاسلام بسببه اتباعه واشباهه ومطاوعوه
ويراه مثله في الجلالة والعتو فينجذب وينقاد مذعنا الى الاسلام ومثل
هذا الذي قاله في ظهره بعد ذهابه على هذا الوجه اي وجه الاستئلاف
قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة الدينية منوليه صلى الله
عليه وسلم امور الناس وقيامه عليهم بما يصلحهم وقد كان صلى الله عليه وسلم
يستألفهم باموال الله العريضة اي الكثيرة جدا فكيف لا يتألفهم بالكلمة
اللينة بل كان يتألفهم فانكار تألفهم افاد اثبات تألفهم والف
اثبات عن شرط مقدر اي اذا كان يتألفهم بما ذكر فمن باب اولى ان يتألفهم
قال صفوان بن امية بن خلف الجمحي لقد اعطاني يعني النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابغض الخلق الي واعطيتهم مني مودة حتى صار احب الخلق الي غاية
لورود محبته عليه وتمكنها من قلبه لا لعطايه صلى الله عليه وسلم له اذ كان جزيل
مواهبه فيضا في كل اوان لكل زمان له ولغيره عفوا بلا سؤال يشهد
قوله لام سلمة وقد قالت له ارى سائم الوجه امن علة قال لا ولكن
السبعة دنانير التي اتينا بها امس نسيتها في خصم الفراش فبت ولم اقسمها
فهو الاحق بما قيل في غيره

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه • عني وعاوده ظني فلم يخب •
كالغيث ان جئته وافاك ريقه • وان ترحلت عنه جد في الطلب •

وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم فيه اي في عيينة بن حصن لما دخل عليه بئس
ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه من لؤمه الطباع
وخسة النفس لمن لم يعلم بحاله ليحذر حاله ويحترز منه ولا يثق بجانبه
كل الثقة لا سيما وشأنه وحاله انه كان احمق مطاعا متبوعا لقومه
لا يألون جهدا في طاعته ومثل هذا اي قوله صلى الله عليه وسلم بئس ابن
العشيرة اذا كان يقال لضرورة ووقع موضعه واذا لهما لم يكن ذلك القول
نعيبة بل انتقال كان جائزا بل كان واجبا في بعض الاحيان جمع حين وهو

الوقت وفي حديث لاذان كانوا يتحينون الصلاة اي وقتها كعادة المحدثين اي رواة
حديثه صلى الله عليه وسلم في تخريج الرواة بكذبا وتدليسا وسوء حفظ او
غيره وعادة المزكين في تخريج الشهود بالطعن في الفريقين ورد قولهم وعن
بعض التابعين كثرت هذه الاحاديث واستخرجتها اي فسدت وتلك صحاحها
حتى احوجت اهل العلم بها الى جرح بعض رواتها ورد روايته وعن عبد الملك بن مروان
وعظتكم فلم تزدادوا على الموعظة الا استخراجا الا ما ادنكم الجرح والطعن عليكم
فان قيل فما معنى المعضل اي المعيي شدة الضيق حيلة في الخروج عن عهدته من
اعضلني الشي اذا اعياني الوارد في حديث بريرة الذي رواه الشيخان من قوله صلى
الله عليه وسلم لعائشة والحال انها قد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا
ان يكون لهم الولاء اي ولاء عتقها فانهم كاتبوها فعجزت فاتت عائشة تستعين
بها فقالت ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك ويكون ولاؤك لي فابوا فقال
اي النبي صلى الله عليه وسلم لها اشتريها واشترطي لهم الولاء اي ولاء عتقها
هذا هو المعضل ففعلت اي اشترتها وشرطت لهم الولاء واعتقتها ثم قام
اي النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال ما بال اقوام اي ما حالهم وشأنهم
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله مما لم يرد شرعيتها احكاما لبعض
كل شرط ليس في كتاب الله اي ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو باطل غير معتد به والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بشرائها بالشرط
اي شرط الولاء لهم وعليه باعوها معتمدين ولولاه اي لولا شرط ولائها والله
اعلم اعتراض بين لا وجوابها اي فوض تفويض علم ذلك الله تعالى ما باعوها من عائشة
كما لم يبيعوها قبل ظرف غاية قطع عن مضاف اليه منويا اي قبل بيعها بدون
شرط الولاء الا ان يكون لهم حتى شرطوا ذلك عليها غاية لعدم بيعها منها بدونه
ثم ابطله صلى الله عليه وسلم وهو اي والحال انه صلى الله عليه وسلم قد حرم
الغش والخديعة قلنا امره لها ان تشترط لهم الولاء ليس غشا ولا خديعة بل
تسجيلا عليهم والزاما لهم الحجة باقامتها عليهم تبكيتا لهم واظهارا لقبح
صنيعهم وبيانا لحرمته تشريعا منه ليزجرهم عنه وايضا فاعلم اكرمك الله
اعتراض دعائي افاد الدعاء لكل من يأتي توجيه الامر اليه باكرام الله له ان
النبي صلى الله عليه وسلم منزه في محل نصب لسدها مسد مفعولي علم انه مبرأ
مبعد عما يقع في بال الجاهل وخاطره من هذا اي من كون امره لها بشرطه لهم
غشا وخديعة بل لما ذكرناه على القول بثبوت زيادة امره لها بشرطه لهم
ولتنزهه صلى الله عليه وسلم عن ذلك على القول بعدم ثبوتها ما قد انكر فاعل
ينزهه قوم هم الزيادة التي هي قوله لعائشة اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر

ليشترطوا لهم شروطا

طرف الحديث اي حدث به ومع ثباتها بلا اعتراض بها اذ قد تقع لهم بمعنى
عليهم وكقاله تشاهدا بضد ذلك ما قال الله اولئك لهم اللعنة وقال وان
اسأتم فلها اي عليهم وعليها وعلى هذا القول بان لهم بمعنى عليهم تشبها ده
الاثنين فالمراد اشترطي عليهم الولاء لك فانما هو لمن اعتق ويكون قيام النبي
صلى الله عليه وسلم ووعظه زجرا وردعا لما سلف لهم من شرط الولاء
لانفسهم قبل ذلك اي قبل وعظه تاديبا لهم وارشادا لهم ولغيرهم انه لمن
اعتق ولا ينتقل الا بالارث ومن ثم نهى صلى الله عليه وسلم عن بيعه ووجه
ثان اورده جوابا عن قوله صلى الله عليه وسلم اشترطي لهم الولاء ان قوله اشترطي
لهم الولاء ليس واردا على معنى الامر وان كان صيغة امر اذ كثيرا ما يرد ولا يراد
بها الامر بشبهها ده كن فيكون فانه ورد تمثيلا لسرعة التكوين بمجرد الارادة بدون
قول كن خلافا للماتريدي وشيعته اذ التكوين عند الاشعري وانصاره امر
اعتباري يعقل عند تعلق القدرة بالمقدور لكن انما ورد قوله اشترطي
لهم الولاء على معنى التسوية بين ان تشترط او لا تشترط ده ما ورد في بعض
طرقه اشترطي او لا تشترطي انما الولاء لمن اعتق انما ورد ايضا على معنى الاعلام
بان شرطه لهم لا ينفع لعدم ورود ما يجيزه بعد بيانه صلى الله عليه وسلم
لهم قبل اي قبل قوله لها اشترطيه لهم انما الولاء لمن اعتق فكانه صلى الله عليه
وسلم قال اشترطي او لا تشترطي ان تشترطي فانه شرط غير نافع لعدم اتصاله
به اليهم والى هذا ذهب ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن داود الداودي
وغيره من العلماء وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم اي تحشيمه وتقبيحه لهم وتقريعه لهم
على ذلك اي على امتناعهم من بيعها الا ان يكون لهم الولاء يدل على علمهم به اي
بان شرطه لهم غير نافع قبل هذا اي توبيخه وتقريعه لهم الوجه الثالث
معنى قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اشترطي لهم الولاء اي اظهري
لهم حكمه انه لمن اعتق لا يتخطاه الى غيره وان شرط له ويبني عندهم سنته اي
طريقته وحالته التي يرد عليها انما الولاء لمن اعتق وان شرطه لغيره كما تقدم مرارا
اورثنا السلامة والنجح ثم بعد هذا اي بعد شرط الولاء لهم قام اي النبي صلى الله
عليه وسلم مقاما مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه من ان شرطه
لهم لا يجدي نفعا فان قيل فما معنى فعل نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن نبي الله
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن خليل الله ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم
باخيه بنيامين اذ جعل السقاية التي كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا
يكال به بتواطئ منه على دسها في رحله ليتاتى له اخذه في دينهم بجعله سارقا
اذ كان حكم السارق فيها ان يسترق سنة فلما استفتوا في جزائه قالوا فجزاؤه

تقرير الحكم اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه ولما اخرجت من رحله اخذه باسم
سرقتها ظاهرا لاخراجها من وعائه وما جرى على اخوته في ذلك من الاستحياء
وفرط الخجل ولو عند الوجل بوسمهم بالسرقة والكذب المنافيان لحالهم الكريمة وسماتهم
الجميلة مما اذن بالتنسهم في رد بحبثهم كردهم بضاعتهم التي وجدوا في رحالهم خلفهم
وتحولهم وافواه رواحلهم مكعومة حذرا من ان تاكل لاحد زرعا او طعاما ومما قرروا اذ قالوا لهم انكم لسارقين
الملك وقد علموا منهم ذلك ومن ثم استشهدوا بعلمهم
ولو لم يسرقوا بقولهم تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين
فاعلم اكرمك الله ان الاية المؤذنة بجعله السقاية في رحل اخيه تدل على ان فعل
يوسف كان ناشئا عن امر الله له به لقوله تعالى كذلك كدنا اي مثل ذلك الكيد
كدنا ليوسف كيدا او حيناه اليه لياخذ اخاه في دين به حيث ما كان له صلى
الله عليه وسلم لياخذ اخاه في دين الملك اذ كان من دينه ضرب السارق وتغريمه
مثلي ما سرقه دون الاسترقاق الا ان يشاء الله جعل ذلك الحكم حكم ملك مصر
فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله وعلمه
فاذا كان ذلك باذن الله وتعليمه فلا اعتراض فيه على وجه الارض كان فيه
مما وقع ما فيه وايضا فان يوسف صلى الله عليه وسلم كان اعلم اخاه بنيامين
باني انا اخوك فلا تبتئس اي لا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله قد
احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وروي انه قال ليوسف فانا
لا افارقك فقال لقد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل
الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل فقال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس
صاعي في رحلك ثم اقول انك سرقته ليتأتى لي ردك بعد تسريحك معهم
قال افعل فكان ما جرى عليه بعد هذا من فقد ورغبته في اقامته عند اخيه
شقيقه يوسف وكان على يقين من عقبى الخير التي كانت بعد فراقهما بين
ابيهما من اجتماعهما به وما ترتب عليها من جود الله به اي لبنيامين من شقيقه يوسف
وازاحة السوء والمضرة عنه بذلك اي بموافقته ليوسف ورغبته في ذلك منه
عنه واما قوله تعالى حكاية ايتها العير اي اصحاب الابل فانه لا يقال الا
للعير اي تذهب وتجيء انكم لسارقون فليس من قول يوسف صلى الله عليه وسلم
فيلزم في معنى النفي لترتبه على منفي اي فلا يلزم عليه جواب لحل شبهة بل
لو كان من قوله لزمه ان يصفهم بما هم برآء منه من كونهم سارقين موكدا بان
واسمية الجملة فيحتاج الى جواب لكنه لم يحتج اليه فلم يكن منه وتعلق به ان
حسنه اذا لنا ولكنا ما كان ظن على صورة الحال ذلك اي ظن عليهم
انهم سارقون نظرا للفعلم قبل اي قبل الان بيوسف وبيعهم له وفيه ما

لانهم لم يسوفوا بالذهاب به باذن ابيهم ولم يبيعوه بل القوه في غيابة الجب ثم رجعوا
ولا يلزم احدا من العلما الاعتذار عن زلات غيرهم اي غير الانبيا لعدم عصمته
ولا يا من ان يقع منه ما يجوز فصل في بيان الحكمة في اجرا الامراض على ظواهر ابدان
ما لا يجوز
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وابتلايهم بشجون البلا وشيون الامتحان فان
قيل فما الحكمة في اجرا الامراض مما يولم من الاسقام ويبرح من الالام وشدتها
عليه اي نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبيا على جميعهم اكمل الصلاة
وعليهم السلام وما الوجه في ابتلايهم الله اي ابتلاه اياهم به من البلايا ان
لضميره به وامتحانهم بما امتحنوا اي اختبروا وجربوا به فصبروا على ما ابتلوا به •
كايوب صلى الله عليه وسلم ابتلاه بضر فصبر حتى عافاه منه اذ ناداه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين ويعقوب صلى الله عليه وسلم ابتلاه بفقد يوسف صلى الله عليه
وسلم صغيرا فلزمه الحزن ثم ابتلاه بعده بفقد اخيه شقيقه وضعف بصره من بكايه
عليهما حتى رده الله عليه ويحيى صلى الله عليه وسلم ابتلاه بقتله وزكريا والده صلى
الله عليه وسلم ابتلاه بنشره نصفين وعيسى صلى الله عليه وسلم ابتلاه بارادة
اليهود قتله وصلبه فرفعه وخيبهم وابراهيم صلى الله عليه وسلم ابتلاه بالقا
بالمنجنيق عريانا في النار فكانت عليه بردا وسلاما ويوسف صلى الله عليه وسلم
ابتلاه بفراق ابيه والقا اخوته له في الجب وبيعه ثم بالسجن بضع سنين وغيرهم
من الانبيا صلى الله عليه وسلم عليهم كنوح وهود وصالح وموسى وداود وابتلايهم
بما نصه في كتابه العزيز من قصصهم وهم اي فعل بهم ذلك والحال انهم خيرته من
خلقه واحباوه واصفياوه احبابهم من بينهم لشرف ما بهم وكرم نوالهم
في علم امر لكل من يتاتى توجيهه اليه وفقنا الله واياك اعتراض دعائي له ولمخاطبه
وهو من شعب البلاغة تنزيها ودعا وغيرهما ان افعاله اي الله تعالى كلها عدله
وكلماته امرا ونهيا ووعدا ووعيدا وغير ذلك صدق لا مبدل لكلماته اي
لا احد يبدل منها شيئا هو بما صدق يبتلي عباده كما قال لهم ثم جعلناكم
خلايف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي لنرى الكاين من عملكم
حسنه وقبيحه شكره وكفره فنجازيكم على حسب عملكم وكما قال لهم الذي خلق
الموت والحياة اي خلق ما يصح معه الاحساس او ما يوجب كون الشي حيا والموت
عدم ذلك فيه بمعنى خلقهما ايجاد ذلك المصحح واعدامه او تقديرهما ليبلوكم
اي ليعاملكم ايها المكلفون معاملة من يختبركم بالتكليف ايكم احسن عملا مبتدا
وخبر اوقع موقع ثاني مفعولي فعل البلوى المتضمن معنى العلم فاخرجه من باب التعليق
لعدم وقوعه موقع مفعوليه سادا مسدهما اي ايكم اصوبه واخلصه وقد ورد
مرفوعا احسن عقلا واسرع الى طاعة الله واورع عن محارمه والمراد اعطاكم

الحياة التي بها تقتدرون على العمل وتتمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو
الداعي الى اختيار حسنهما وما وراه من البعث والجزا الرادع عن اختيار قبيحه
ومن ثم قدمه على الحياة وام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم اي ولم تجاهدوا فنزل نفي علمه بجهادهم منزلة نفيه لانتفا العلم بانتفا معلومه
الذي يتعلق به وهي بمعنى لم مع افادتها زيادة توقع الفعل في المستقبل يقال
وعدني ان يفعل كذا ولم يفعل ولما يفعل وانا اتوقع فعله فدلت هنا على نفي الجهاد
فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل ويعلم الصابرين نصب بان مضمرة على ان الواو
للجمع وقرئ بالرفع على انها للحال ولما تجاهدوا وليست هذه الاية مما ساقه للابتلا
ولنبلونكم بامرنا لكم بالجهاد والتكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
على مشاقها ونبلو اخباركم اي ما يخبر عن اعمالكم من ايمان بالله ورسوله وموالاة
للمومنين صدقا وكذبا فيظهر حسنها وقبيحها اذ الخبر بحسب المخبر عنه ان حسنا
فحسن وان قبيحا فقبيح فامتحانه تبارك وتعالى اياهم اي انبياه ومن ذكر في الايات
قبله بضروب من المحن اجناسا وانواعا زيادة في مكانتهم عنده تعالى وزيادة
في رفع درجاتهم اي مراتبهم العالية حسا ورتبة واسبابا لاستخراج
حالات الصبر قوة وضعفا منهم عليها فيعرف كمالهم وعظيم قدرهم عند
ربهم والرضى منهم بما قضى عليهم من سرا وضرا والشكر عليها والتسليم
له تعالى لما فعل سبحانه والتوكل عليه تعالى والتفويض في جميع الامور اليه •
والدعا والتضرع منهم تفعل من الضراعة وهي التذلل والتملق وتاكيدا
لبصايرهم جمع بصيرة وهي ما تدرك المعاني الباطنة كالباصرة للمحسوسات
الظاهرة ورحمة للممتحنين بالبلا اي في رحمتهم لهم والشفقة على
المبتلين امتحانا واختبارا فيتسلوا بهم اي الممتحنون والمبتلون في المحن بما جرى
عليهم اي على الانبيا ويقتدوا بهم في الصبر هو المهرب المنجي لمن احدقت به
مكاره دهر ليس عنهن مذهب ومحوا لهنات فرطت منهم وخطاياهم وحاشاهم
ان يفرط منهم شر او فساد او غفلات بالسبيل لاشتغال قلب شغلت لهم ليلقوا
الله بابتلايه لهم بذلك طيبين مهذبين اي مصفين بواطن متميزين ظواهر وليكون
اجرهم عند ربهم اكمل وثوابهم اوفر اي اكثر واجزل اي اتم والظاهر ان الاجر
والثواب ما يكون منه تعالى فضلا في مقابلة صدقة لوجهه او صبر على بلا ونحو ذلك
وقد يكون الثواب بما يقابل به الصدقة وقد استند هنا شاهدا لكونهم صلوات
الله عليهم وسلامه اشد الناس بلا من طريق الترمذي ورواه النسائي وابن ماجه
والحاكم عن سعد قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلا قال الانبيا اشد بلا
ثم الامثل فالامثل اي الافضل فالافضل من غيرهم طردا او عكسا تنبيها ذه الغا

ترتيبا لاشبيه للاول ثم للثاني او بالعكس يبتلى الرجل على حسب دينه وقدره
فما يبرح ولا يزال به البلاء حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اي ذنب
يواخذ به وكاين قال تعالى وكاين اي اصله اي عزته الكاف والنون تنوين اثبت
خطا خلاف القياس اي وكم من نبي قتل والحال انه معه ربيون كثير اي ربانيون
علما اتقيا او عابدون لربهم جمع ربي منسوب الى الرب اي الجماعة للمبالغة فما
وهنوا اي فتروا وما انكسر جدهم لما اصابهم في سبيل الله من قتل نبيهم او
بعضهم وما ضعفوا بقتله عن جهاد عدوهم في الدين وما استكانوا اي
وما خضعوا للعدو ليفعل بهم ما يريد وهذا تعريض بما اصاب الصحابة من الوهن
بارجاف من قال يوم احد الا ان محمدا قد قتل حتى استكانوا الى راس النفاق عبد الله
بن ابي في طلب الامان لهم من ابي سفيان بن حرب والله يحب الصابرين وليبرهم
على اعدائهم وما كان قولهم الا ان قالوا اي الا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا في جهاد اعدائنا وانصرنا على القوم الكافرين اي وما
كان قولهم مع ثباتهم وصلابتهم في دينهم وكونهم ربانيين الا هذا القول اعني
اضافتهم الذنوب والاسراف الى انفسهم وما اصابهم الى سوء اعمالهم
هضما واستقصارا لها وقدموا الاستغفار على تثبيت الاقدام في موطن الحرب
والنصر على عدوهم ليكون عن خضوع وزكاة فيكون اقرب الى الاجابة وقدم
خبر كان على اسمها لانه اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فاتاهم
الله باستغفارهم اياه تعالى والتجائهم اليه ثواب الدنيا غزوا ونصرا وغنيمة وطيب
ذكر وحسن ثواب الاخرة خصه بالحسن ايذانا بفضله وبانه المعتد به عنده تعالى
والله يحب المحسنين اي كل محسن وروى الترمذي وصححه عن ابي هريرة ما نزل البلا
بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله غاية لنزوله به فمن ذكره وما عليه
خطيئة لمحوها به كرما منه تعالى وفضلا روى الترمذي ايضا وحسنه عن النبي اذا
اراد الله بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا ليخرج منها وليس عليه ذنب
يوخذ به واذا اراد الله بعبد الشر امسك عنه تعجيل العقوبة فيها بل يتركه
بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة فيجازي به او يعفى عنه وفي حديث اخر رواه
الديلمي عن ابي هريرة اذا احب الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه اي تذلله وخضوعه
وحكى القشيري بسكون الشين والنون ان كل من كان اكرم على الله كان بلاوه اشد
من بلا غيره من اهل البلوى كي يتبين فضله على غيره ويستوجب الثواب
فضلا منه تعالى بوعده اذ لا يخلفه كما روي عن لقمان انه قال لابنه يا بني الذهب
والفضة يختبران بالنار ليعلم طيبهما من خبيثهما والمومن يختبر بالبلاء ايصبر
ام يضجر وقد حكي ان ابتلا يعقوب بيوسف صلى الله عليه وسلم كان سببه التفاته

في صلاته اليه وهو نائم محبة له مفعول لاجله لا للالتفات ولا اقول بان هذا
سببه لنزاهته صلى الله عليه وسلم عن قطعه به كمال اقباله على ربه فيها وقيل
بل اجتمع اي يعقوب يوما هو ويوسف مفعول معه على اكل حمل مشوي بفتح
المهملة والميم وهو الجذع من الضان له سنة او اقل وهما يضحكان الواو للحال
اي ضاحكين وكان لهما جار يتيم شم رائحته واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز
لبكائه شفقة منها عليه وبينهما جدار ولا علم ليعقوب وابنه يوسف به فعوقب يعقوب بالبكا
على يوسف الى ان سالت حدقتاه هذا واما قال تعالى ابيضت عيناه من الحزن
ولم تسل حدقتاه والقول بانهما سالتا اسف واشد انكارا له من القول بالتفاته
في صلاته مع ان الالتفات لا يواخذ بما لم يتعلم سيما اذا لم تجب عليه فلما علم بذلك اليتيم
وجدته كان بقية حياته يامر مناديا ينادي على سطحه الا من كان من
الناس غنيا او فقيرا مفطرا فليتغد عند ال يعقوب اي بنيه واهل بيته
او عنده نفسه والا لم تحتج لشانه وعوقب يوسف بالسجن بضع سنين
بالمحنة التي نص الله عليها في سورته بقوله ولقد همت به وهم بها ولبي
عنه بالمحنة استهجانا للتصريح بما تضمنته وروي عن الليث بن سعد
ان سبب بلا ايوب النبي صلى الله عليه وسلم انه دخل مع اهل قريته على
ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا عليه في القول له الا ايوب فانه رفق به رفق
من يرجو ويطمع ان ينجع رفقه وينجح قصده فهو مجتهد بطوقه عسى ان
يرتدع عن ظلمه لا انه رفق به مداهنة له محافظة على زرعه لنزاهة مقامه
عن ذلك الا ان الله يبتلي من شاء بما شاء فعاقبه ببلايه محبة له واعظاما للاجر
ورفعة لمحله وارادة الخير له لشهادة حديث من يرد الله به خيرا يصب منه
اي يبتليه بمكروه ليثيبه عليه وان سبب محنة سليمان لما ذكرنا فيما سبق
من تمنيه ان يكون الحق في جانب اصهاره لا خصمائهم او للعلم بالمعصية في
داره مما افترته اليهود من اباطيلهم من انه قتل ملك صيدون واصطفى ابنته
جرادة فاسلمت وكانت لا يرقا لها دمع حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا
لها صورة ابيها فكستها كسوته حيا وكانت تسجد له مع ولايدها كما كان في حياته
ولا علم عنده فاخبر اصف بذلك فكسر الصورة وعاقب جرادة وهي اي المحن
التي امتحن الله بها انبياءه ليعظم لهم من الثواب ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر فائدة شدة الوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ كان
كما ورد يوعك كما يوعك الرجلان منا قالت عائشة كما رواه الشيخان عنها
ما رايت الوجع على احد من الناس اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ايضا عن عبد الله لعله ابن مسعود او ابن عمر قال رايت رسول الله صلى

الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا قد الم به الوجع وحما شديدا فقلت انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل بفتح اوله وثانيه من احرف نعم وبمعناه جوابا لقول عبد الله انك لتوعك اي نعم اني اوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك اي وعكه كرجلين ان لك اجرين مرتين تعليل لوعكه شديدا قال اجل اي نعم ذلك كذلك اي اجري مرتين من اجل ان وعكي وعك رجلان وفي حديث ابن ماجة والحاكم عن ابي سعيد ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم ليختبر حماه اشديدة هي ام لا فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة حماك فقال انا معشر الانبيا منصوب على الاختصاص او المدح يضاعف لنا البلا اي يزاد وليس محصورا في الواحد يقال ضعفا الشي يضعفه ذا زاده وضعّفته واضعفته وضاعفته اذا زدته ان هي مخففة من الثقيلة لشهادة اللام في خبرها وضميرا لشان اسمها اي انه كان النبي ليبتلي بالقمل حتى يقتله لرفعة درجاته عند ربه وان كان ليبتلي بالفقر كذلك وان كانوا اي الانبيا ليفرحون بالبلا كما يفرحون بالرخا لقوة يقينهم بربهم وما ادخر لهم عنده مما لا عين رات ولا اذن سمعت رواه الترمذي وحسنه عن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزا مع عظم البلا بكسر المهملة وفتح الظا فيهما ويجوز ضمهما مع سكون الظا فمن كان بلاوه اعظم فجزاوه اعظم وان الله اذا احب عبدا ابتلاه اختبارا له وهو اعلم ايرضى ام لا فمن رضي قضاه بما ابتلاه به فله الرضى من الله تعالى وجزيل الثواب ومن سخط اي كره قضاه به ولم يرضه فله السخط واليم العذاب وقد قال المفسرون في قوله من يعمل سوا يجز به اي عاجلا وذلك ان المسلم يجزي بمصايب الدنيا فتكون له كفارة لشهادة قوله ابي بكر حين نزل اي قوله من يعمل سوا فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال اما تحزن اما تمرض قال اما تصيبك اللاوا قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك هذا لمن اراد له خيرا فانه يعجل له كما مر في حديث انس عقوبته في الدنيا وقد يكون اجلا لمن اراد له شرا فانه كما مر فيه يمسك عنه وروي هذا اي قول المفسرين في من يعمل سوا يجز به كما رواه احمد والحاكم عن عايشة وابي ومجاهد وفي حديث البخاري قال ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه روي مبنيا لفاعله ومفعوله اي ينزل به مكروها ليثاب عليه وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم من رواية عايشة ما من مصيبة ويقال مصوبة ومصابة وجمعها مصايب ومصاوب تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه ذنوبه اذ لا يكفر الا هو حتى الشوكة يشاكها في جسده فانه يكفر بها عنه وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشيخين من رواية ابي سعيد ما يصيب المومن من نصب اي تعب وفي حديث فاطمة بضعة مني ينصبني ما انصبها اي يتعبني ما اتعبها

مرتان م

كوعك رجلين ن م

ولا وصب اي دوام وجع ولزومه وقد يراد به التعب وفتور البدن ومنه قول فاطمة لاخيها اميه هل تجد شيا فقال لا الا توصيبا اي فتورا ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم يمنع نفسه من الخروج ومنه قول عايشة لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه فاذا اغتم كشفها عن وجهه حتى الشوكة يشاكها في عضو من اعضايه الا كفر الله بها من خطاياه التي كان زلفها وفي حديث الشيخين عن ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حاتت بمهملة ومثناة فوق مشددة اي ساقط الله عنه خطاياه كما تحات اي الله ورق الشجر وفي رواية تحاتت عنه ذنوبه اي تساقطت وورد ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضرا بين الشجر الذي تحات ورقه من الضريب اي تساقط من الصقيع وحكمة اخرى في اجرا الامراض وشدتها على اجسام الانبيا او دعها الله في الامراض لاجسامهم وغيرهم ممن ذا دحيم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند قرب موتهم فدى لهم بابي وامي لتضعف علة لفعل محذوف اذن به ما ذكر من الايداع وتعاقب الاوجاع وشدتها اي فعل ذلك من اجل ان تضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم ويخف عليهم مونة النزع اي نزع ارواحهم واخراجها من ابدانهم وشدة السكرات اي الغمرات التي تعتريهم عند النزع بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس ومن ثم كان خلاف موت الفجاه بضم الفا وفتح الجيم والمد وبفتحها وسكون الجيم والقصر واخذه الذي يجري ذا الفجاة كعقبة بدون تقدم سبب له وفي الحديث موت الفجاة راحة للمومن واخذة اسف للفاجر اي غضب وسخط له كما تشاهد من احوال الموتى في الشدة التي تعتريهم عند النزع واللين والصعوبة والسهولة بمعنى الاول وما قبلها بمعنى الشدة وفي الحديث من كذب علي فقد استهل مكانه في جهنم اي سهل عليه سوم واتخاذه وقد روي الشيخان عن كعب بن مالك وجابر قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومن مثل الخامة من الزرع اي الطاقة الغضة اللينة منه والفها منقلبة عن واو لتحركها وانفتاح ما قبلها تفيوها الريح اي تحركها وتميلها هكذا وهكذا اي من جهة اتيتها كما في حديث مسلم من رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح كفاتها فاذا سكنت اي الريح اعتدلت اي قامت مستقيمة على ساقها معتدلة وكذلك المومن يكفا بالبلا من حيث اتاه ومثل الكافر كمثل الارزة بسكون الرا وفتحها شجر الارز وقيل الصنوبر صما معتدلة اي مكتنزة لا تخلخل فيها ولا انجاف حتى يقصمها الله اي يقضي نعمته بلا تقدم بلا غالبا والقصم بالقاف كسر الشي مع ابانته وبالفا الكسر بدونها معناه

أن المؤمن من أُصابَ بفقد أعزته وأغنيائه لأجنته وبالبلاء والأمراض من أمراض
تنقص بقد مصدر رمضا فلمفعوله اي تنقص بقضا الله فيه وله من لقدر الله التي قدرها
عليه منطاع اي منقاد مذعن لذلك الذي اصيب به ليّن لجانب برضاه اي سهل
الجانب بشرة حرارته وقلة تسخطه اي تضجره وتبرمه مما الحقه من البلاء فطّ
خامة الزرع وانقيادها للرياح اي طاعتها لها وتمايلها لهبوبها وترنحها بنوب
بعدها اي تمايلها ودورانها يقال رنح فلان ترنيحا اي دير به مما عراه من الوهن
في عظامه من الم او سكر وغيره وكان الاسود بن يزيد يصوم في اليوم الشديد
الحر الذي يرنح فيه الجمل الاحمر اي يدار به فيه من شدة حره وخص الاحمر لانه اصبر
قال يزيد الرقاشي المريض يرنح والعرق من جبينه يترشح وكان عبد الرحمن بن الحارث
اذا نظر الى مالك بن انس قال اعوذ بالله من شر ما ترنح اليه اي تحرك له وطلبه
من حيث اتتها من مهابها قبولا او دبورا او جنوبا او شمالا او نكباء حارة او باردة عاصفة
او لينة عقيما او لواقح فاذا اراح الله اي ازال دون نا ومعني عن المؤمن رياح البلايا
وهي ما يعرو اذا الحياة من الشدائد امتحانا واختبارا واعتدل صحيحا كما اعتدلت
خامة الزرع عند سكون الرياح رجع اي المؤمن الى شكر ربه ومعرفة
نعمته عليه برفع بلائه عنه وتجاوزه عنه كورق الشجر عنها مستطر الرحمته وثوابه
عليه اي على شكره ربه فاذا كان اي المؤمن لضعيف السنبل من توارد الرزايا بان
تزادف البلايا لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله في اي وقت كان ولا كرب
اذا اشتدت عليه سكراته ونزعه عند خروج روحه لعادته بما تقدمه
من مقاساة الالام ومعاناة الاسقام ومعرفته بما فيها من الاجر المترتب عليها
بالصبر عليها وتوطينه نفسه على المصائب وعلى رقتها وضعفها لما ينال الى الموت
وتمادت به عليه وشدته وان لم يتوال والكافر شانه وحاله بخلاف هذا المؤمن
شانا وحالا فهو اي الكافر معافا في غالب حاله ممتنع بصحة جسمه اي مسقغ به
كالارزة الصماء التي لا جوف لها ولا تاكل فيه ولا يعترى به شي حتى اذا اراد الله
هلاكه قصمها حينئذ على غرة اي على حين غفلة عن عاقبة امره فيكون عاقبته خسرا
وعلى اخذه بغتة اي فجاة من غير لطف ورفق بل بعنف وشدة وتضرب
الملائكة وجهه ودبره فكان موته اشد عليه حسرة تمييز لنسبة اشد وكان
مقاساته من صبر مع قوة نفسه وصحة جسمه اذ لم يرهقهما ما يضعفها من
الاسقام اشد الما وعذابا عند قبض روحه ولعذاب الاخرة اشد اقتباس
من القران الكريم من غير اشعار بانه منه اذ هو شرطه تقتضيه لحسنه على
غيره كانجعاف الارزة واقتلاعها اذ لا تزال قائمة على ساقها معتدلة لا
يصيبها شي حتى يقصمها بغتة وكما قال تعالى في اخذناهم بغتة وهم لا يشعرون

اي غافلون باشتغالهم بامور دنياهم وكذلك عادة الله في اعدائه جارية على اخذهم
بغتة فاذا هم مبلسون كما قال فكلا ممن ذكر قبل من اعدائه اخذنا بذنبه فمنهم
من كقوم لوط ارسلنا عليه حاصبا في ريح عاصفة تحصبهم به ومنهم كثمود
من اخذته الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ومنهم كقارون من خسفنا
به الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين
ومنهم كقوم فرعون كهو اغرقنا فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون فجاءهم اي الله جميعهم اي اخذهم كلهم بالموت على حال عتو اي فرط
تكبر وتجبر وغفلة عما لا يراد لهم وصبحهم به اي بالموت على غير استعداد
ولا متهيئين لمعادهم ولهذا اي ولفجاته جميعهم على غير استعداد كره
السلف من ائمة الهدى موت الفجاة بضم الفاء والمد وبفتحها وسكون الجيم
والقصر ومنه في حديث لسعيد بن منصور في سننه وابن ابي الدنيا في ذكر
الموت عن ابراهيم النخعي او التيمي كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف
بفتح همزتها والسين اي الغضب من اسف اذا اشتد غضبه يريد
اي ابراهيم موت الفجاة المهلكة بغتة وحكمة ثالثة في اعتوار الامراض
وشدتها على الانبيا وغيرهم من خلص عباده هي ان الامراض كلا منها
نذير الممات وتقدر شدتها اي الامراض شدة الخوف من نزول الموت
فيستعد من اصابته تلك الامراض وعلم تعاهدها له استعدادا ما للقاء
ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد القليلة الانتفاع بها ويكون
ويكون من اصابته تلك الامراض قلبه معلقا بالمعاد اي ما يعاد اليه يوم
القيامة فهو اما مصدر او ظرف فيتنصل اي يتخلص ويتجنب من كل ما
يخشى تباعته بكسر التاء بمعنى تبعته ومواخذته به من قبل الله وقبل العباد
بكسر القاف وفتح الباء اي من جهتها ويودي الحقوق المتعلقة به الى اهلها
وينظر فيما يحتاج اليه من وصيته بما تركه الى من يثق به فيمن يخلفه من
ولده وماله او امر بعهده الى من يريد وهذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
المغفور اللام فيه اسم موصول صلته مع مدخولها اي الذي غفر الله له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر اي ما صدر منك وما يصدر مما يعد ذنبا
بالنسبة الى علي مقامك وان لم يكن ذنبا حقيقة قد طلب التنصل اي
التخلص في مرضه ممن كان له عليه مال دينا او قرضا او حق في بدن
يورث قصاصا او ارشا واقاد من نفسه وماله اي اعطى القود منهما
مستحقه وامكن من القصاص من نفسه على ما ورد في الحديث
الفضل ابن عم العباس كما مر اذ فيه انه صلى الله عليه وسلم ضرب اعرابيا

بعوده كان يسره فقال يا رسول الله الفضا صريح غير مريد له فكشف له عن بطنه
فالتزمه تبركا به صلى الله عليه وسلم وفي حديث الوفاة كما مر واوصى بالثقلين
بعدي كتاب الله وعترته ثم ثنى من عنته وثانيه وسما بما ثقلين اعظاما
لقدرهما وتفخيما لشانهما ولان الاخذ والعمل بهما صلاح الدنيا والاخرة وعمادها ولهذا
كما عرفت بالثقلين اعني الانس والجن واوصى ايضا بالانصار رعيته بلفظ
الانصار كرشي وعيبتي اي خاصتي وموضع سري جريا على عادة العرب من
كنايتهم عن القلوب والصدور بالعياب لانها مستودع السرائر كما ان
العياب مستودع الثياب وهي جمع عيبة وعا من جلد يحفظ فيه المتاع ودعا
اصحابه في مرض موته الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده فاختلفوا وتنازعوا
فقال دعوني فانه لا ينبغي عند نبي التنازع وذلك اما في النص على الخلافة
او الله اعلم بمراده الذي اراد ان يكتبه ثم راى كما تقدم ان الامساك عنه
افضل وخيرا من كتابته وهكذا اي ومثل ما مر عنه صلى الله عليه وسلم تمسكا
بسنته من تنصل ووصية وغيرهما من سيرته سيرة عباد الله المومنين
واوليائه المتقين تاسيا به صلى الله عليه وسلم وتمسكا بسنته وهذا انما ذكر
من سيرة عباد الله واوليائه اقتفا بسيرة نبيهم صلى الله عليه وسلم كله
يحرمه غالبا الكافر لانهم في مقام ملا الله لهم اي امهلهم حتى يتصرم
اجالهم ليزدادوا اثما ويستدرجهم استقعا لهم من الدرج بمعنى
الاستصعاد والاستنزال درجة درجة اي سنستدنيهم قليلا
قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد
بتواتر نعمه تعالى عليهم منهمكين في غيهم كلما احدث عليهم نعمة
ازدادوا بطرا وجددوا عصيانا فتدرجا في المعاصي بتراد في
نعم ظانا منهم ان تواترها اثرة وتقريب وانما هو خذلان وتبعيد
قوله تعالى ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهي
النفخة الاولى تاخذهم اي تبغتهم امنين غافلين عنها لا يخطر
امرها لهم ببال وهم يخصمون اي يختصمون في معاملاتهم ومتاجرهم
وغيرها اي يخصم بعضهم بعضا واصله يختصمون سكنت التا فنقل
حركتها الى الخا قبلها في قراءة ابي عمرو وبسلبها ثم ادغمت ثم كسر الخا
في قراءة غيره لالتقا الساكنين فلا يستطيعون توصية في شي من
امورهم ولا الى اهلهم يرجعون بل يموتون حيث فجاتهم الصيحة ولذلك
اي ولكون موت الفجاة مذموما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو يعلى وابن
ابي الدنيا عن انس في رجل مات فجاة سبحان الله كانه على غضب يعجب

وتعجب من موته فجاة المحروم من حرم وصيته تلويح بالحث على الوصية ن
يشهد له حديث ما حق امرئ يبيت ليلتين الا ووصيته عنده اي ما الاحوط
والاحزم له الا هذا او ما المعروف في مجاري العادات الحسنة الا هذا
لانها فرض وقيل ان الله حكم على عباده بوجوبها ثم نسخت للوارث فبقي
حق الموصي في ماله ان يوصي لمن اراد بما قدرها الثلث وقال اي النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث احمد عن عائشة بسند صحيح موت الفجاة راحة للمومن
من مقاساته سكرات الموت واخذة اسف اي غضب للكافر والفاجر مثله
من احد روايته اي المنهمك في المعاصي والمحارم وذلك اي وكون موت الفجاة
لما ذكر ان الموت ياتي المومن وهو غالبا اي في غالب احواله واوقاته مستعد
متهيئ له منتظر لحلوله به فهان امره عليه كيف ما جاه وحل اي وجده
غشيه وافضى الى راحة من نصب الدنيا واذاها اي صابها وبينها
فصار متسع كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن ابي قتادة مستريح
ومستراح منه قيل منها قال اما المستريح فالمومن يموت فيستريح من نصب
الدنيا واما المستراح منه فالظالم يموت فيستريح منه العباد والبلاد والشجر
والدواب وياتي الكافر والفاجر منيته من منى الله عليه يمني منيا اذا قدر
اي موته سمي منية لانه مقدر بوقت مخصوص على غير استعداد وتهيي ولا
اهبة ولا مقدمات اما من عطف اللازم بمعنى يقدم فيكون دالها مكسورة
او المتعدي فيكون مفتوحة منذرة اي موذنة له بما امامه من امور الاخرة
مزعجة اي مقلقة له بل تاتيهم بغتة مقتبس من سورة الانبيا اي فجاة
فتبهتهم اي تغلبهم وتدعهم للمغلوب في المحاجة مبهوتين فلا يستطيعون
ردها ولا هم ينظرون اي لا يمهلون وان كانت الدنيا دار امهال فكان الموت
اشد شي عليه وفراق الدنيا افظع اي اشق واشنع امر صدم به اي اصابه
شي شديد واكره شي له واذهقه وعلى هذا المعنى الذي تقدم تفريعه
ويتعلق اشار صلى الله عليه وسلم بقوله كما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت
من احب لقا الله برؤيته الله له عند موته ما اعده له في الجنة احب الله لقاه اي
اراد مصيره اليه ومنحه ما عنده ومن كره لقا الله برؤيته له عند موته
ما اعده له من سخطه كما ورد في الحديث تفسيره بذلك كره الله لقاه فلم
يفز بمطلوب ولم يات بمرغوب القسم الرابع المتمم لاقسام الكتاب
في تصريف وجوه الاحكام الشرعية الموجبة حلول النكال فيمن تنقصه
صلى الله عليه وسلم بما يوذن بتحقيره وتوبيخه او سبه اي شتمه قد تقدم ما
يجب من الحقوق جمع حق وهو الثابت اللازم من حق الشي اذا ثبت له صلى

الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير اي تبجيل وتعظيم واكرام اعظاما
واحتراما وبحسب هذا بفتح سينه اي وباعتبار ما يجب له ويتعين حرم
الله اذاه في كتابه الكريم وفي قرانه القديم واجمعت الامة على قتل منتقصه
من المسلمين وسابه واما الكافر فلم يجمعوا على قتله اذا تنقصه او سبه بل
قال بعضهم بقتله وقال بعضهم بنقض عهده ثم يبلغ مأمنه قال الله تعالى
ان الذين يؤذون الله ورسوله باقترافهم ما يكرهانه ولا يرضيانه من
كفر ومعاصي ويؤذون رسوله بانواع الكفر لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته
في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا لهم مع ايلامهم به وقال اي الله تعالى
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائهم له وقال وما كان اي ما صح لكم
ان تؤذوا رسول الله بفعلكم ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا اي بعد وفاته او فراقه لها دخل بها ام لا تعظيما لشانه وتعميما
للامر ان ذلكم كان عند الله عظيما اي ذنبا بليغا آذن بوجوب حرمته صلى
الله عليه وسلم حيا وميتا وما به طيب نفسه وسرور قلبه واستقرار
شكر ربه عليه وقال تعالى في تحريم التعريض له بدون تصريح بما لا يليق
بشريف جنابه يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا اي
راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهم ما تقول لنا ونحفظه وان اليهود كان
لهم كلمة يتسابون بها فلما سمعوا قول المؤمنين له راعنا انتهزوا الفرصة
وخاطبوه به كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك اي لقد البنا ولا
تغفل عنا واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة بها اي الحمق
فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وامروا بما يؤدي معناها ولا احتمال
فيه وهو انظرنا بمعنى الينا وانتظرنا وقطعا للذريعة اي الوسيلة بنهي
المؤمنين عنها لئلا يتوصل الكافر والمنافق الى سبه بتلك الكلمة ٥
والاستهزاء به صلى الله عليه وسلم وقيل انما نهاهم لما فيها من قلة بل من
عدم الادب وعدم توقيره صلى الله عليه وسلم وتعظيمه الواجب له لانها
في لغة الانصار ارعنا نرعك فرعايتهم له مشروطة برعايته لهم فنهوا
عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم فكان ذلك موجبا
لنقصهم عنه وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية تأدبا معه وتوقيرا
له بكل حال في كل زمان ومكان وقد نهى عن التكني بكنيته ابي القاسم
فقال تسموا باسمي يعني محمدا لانه اشهر اسمائه ولا تكنوا بكنيتي صيانة
لنفسه وحماية عن اذاه مفعول لاجلهما لنهيه عن التكني بكنيته اذ كان صلى
الله عليه وسلم استجاب كما رواه الشيخان عن انس لرجل نادى يا ابا القاسم

فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى اي النبي صلى الله عليه وسلم عن
التكنية بكنيته اما ان ينادي باجابة دعوة غيره الصادرة ممن لم يدعه
ولئلا يتخذ المنافقون والمستهزؤون يهودا ونصارى ومشركون ذريعة
او وسيلة يقصدون بها الى اذاه والازراء به احتقارا واستنقاصا له من زريت
عليه زراية اذا عبته وازريت به ازراء اذا قصرت به وذلك بان ينادونه
فاذا التفت قالوا انما اردنا نعنيتنا له بنون مكسورة بعد العين ثم مثناة
تحتية مشددة فوقية من العناية بمعنى الانكسار وادخال المشقة عليه فتؤذي
نفسه واستخفافا بحقه صلى الله عليه وسلم على عادة المجان جمع ماجن وهو من
لا يبالي بما صنع واليه الاشارة باحد معنيي اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وعلى
عادة المستهزئين فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه بحسم سبل ما يتطرق
منهم اليه بكل وجه فلم يجعل لهم الى اذاه سبيلا فحمل محققوا العلماء بلا دليل
شرعي مع ترجيح ولا مرجح نهيه عن هذا اي عن التكني بكنيته على مدة حياته
واجازوه اي التكني بها بعد وفاته لارتفاع العلة التي هي ايذاؤه
بعده وللناس اختلاف في تجويزه بعده مع صراحة عموم النهي المطلق
عنه الشامل لما قبلها وبعدها كيف وقد غير عمر في خلافته اسماء كثير من
اولاد الصحابة ممن كان اسمه محمدا لغيره كما غير ابن اخيه عن اسمه لعبد الرحمن
مع اذنه صلى الله عليه وسلم في التسمية به فلان يمنع من التكنية بكنيته
مع النهي عنها اولى وممن منعه مطلقا من اطلع دون غيره على دقائق
الكتاب والسنة اعني ناصرهما الشافعي [illegible] وهو قول محمد بن الحسن صاحب
ابي حنيفة لم يزل اصحاب الحديث [illegible] الشافعي وللناس في
هذا الحديث اي حديث [illegible] مذاهب ليس
هذا موضعها والمحفوظ منها ثلاثة [illegible] والثالث الجواز مطلقا
وحمل النهي على التنزيه وما ذكرناه من جوازه بعد وفاته هو مذهب
الجمهور والصواب بل الصواب المنع مطلقا لما ذكرنا من صراحة عموم النهي
المطلق وتغيير عمر اسماء كثير من اولاد الصحابة ممن تسمى محمدا مع اذنه
صلى الله عليه وسلم في التسمي به ان شاء الله تعالى وذلك اي نهيه عن التكني
بكنيته في حياته انما كان على طريق تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم وعلى
سبيل الندب والاستحباب جمع بينهما لمغايرتهما اذ الندب لعله
اكد من الاستحباب لا على التحريم دعوى مجردة عن البينة لصدورها على خلاف
الاصل من ان نهيه كان للابتداء المؤذن بوجوب الكف عن التكني بها اذ الاصل حمل لفظ
النهي على حقيقته من التحريم حتى يقوم ما يصرفه عنها وقوله ولذلك اي ولكون النهي

الاصل تستحي

عن التكني بها كان على طريق تعظيمه وتوقيره ينهى عن اسمه اي عن التسمي به لانه قد كان
الله بدل من ضمير انه اي لان الله قد كان منع من نداءه به اي باسمه بقوله لا تجعلوا
دعاء الرسول اي نداءه باسمه بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي كنداء كل باسم الاخر
وانما كان المسلمون يدعونه اي ينادونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعونه
بكنيته فيقولون يا ابا القاسم بعضهم بدل من ضمير يدعونه اي يدعوه بعضهم
بها في بعض الاحوال لانهم لم يتبينوا لصحة دعواه ان نهيه صلى الله عليه وسلم عن
التكني بها على طريق تعظيمه وتوقيره كنهي الله عن جعلهم دعاءه بينهم كدعاء
بعضهم بعضا على طريقها لفقد الجامع بينهما الا ان ذاك انما ورد نهيه عنه لما
كان يترتب عليه من ايذائه صلى الله عليه وسلم وهذا لم يرد من اجل ترتب ايذائه
بل لاجل توقيره وتعظيمه فافترقا فكان ذلك موجبا للكف عنه تحريما وهذا تادبا
له تعظيما وتوقيرا على دعواه مع ان الشافعي قد سوى بينهما في الحرمة لان المتبادر
من اللفظ في النهي وغيره الى الفهم هو الحقيقة اعني الحرمة لانها الزم للنهي
وما كان الزم للشيء كان اقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ وقد روى
الحاكم والبزار وابو يعلى بسند حسن قال انس عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل
على كراهة التسمي باسمه اي النبي صلى الله عليه وسلم وتنزيهه اي تبعيد اسمه
وتقديسه عن ذلك اي عن ان يتسمى باسمه غيره اذ تنزيه اسمه صلى الله عليه وسلم
يريد له اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم استفهام انكاري
حذفت همزته وافاد كراهة التسمية به بانكار الاقدام عليها وروي عن عمر انه
كتب الى اهل الكوفة لا يسمى مبنيا للمفعول احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
حكاه ابو جعفر محمد بن جرير الطبري وحكى محمد بن سعد كاتب الواقدي عن عبد
الرحمن بن ابي ليلى انه اي عمر نظر الى رجل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد بن زيد بن
الخطاب اسمه محمد ورجل يسبه يقول له فعل الله بك يا محمد وصنع وتمادى
في سبه فقال عمر عند ذلك لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا هي المنبهة
على تحقق ما بعدها لتركبها من حرفي تاكيد همزة استفهام انكاري وحرف نفي
والانكار اذا غشي نفيا اذهبه وزاد تحقيقا ومن ثم لا تكاد تقع الجملة بعدها
الا مصدرة بما يتلقى به القسم كان ارى محمدا يسب بك والله لا تدعى محمدا
ما دمت حيا تعظيما لاسمه كمسماه صلى الله عليه وسلم وسماه اي سمى عمر ابن اخيه
محمدا عبد الرحمن ثم ارسل الى بني طلحة بن عبيد الله وهم سبعة اكبرهم وسيدهم
اسمه محمد فاراد ان يغير اسمه فقال محمد بن طلحة فوالله يا امير المؤمنين ان من سماني
محمدا لمحمد فقال قوموا فلا سبيل الى تغيير شيء سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم محمدا
وروى ابن سعد ايضا قال دخل عبد الرحمن بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي

على عمر بن الخطاب بن نفيل كان اسمه موسى فسماه عبد الرحمن حين اراد ان يمنع لهذا
ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك اي بتغيير اسمائهم وغير اسمائهم
اي اسماء الانبياء او اسماء من تسمى باسمائهم وروي ان عبد الرحمن بن الحارث بن
هشام كان اسمه ابراهيم فسماه عبد الرحمن وقال لا تسموا باسماء الانبياء ثم
امسك اي عمر عن منعه من ذلك والصواب جواز هذا كله اي التسمي باسمائهم وتمام
بعده وقبله صلى الله عليه وسلم بدليل اطباق الصحابة اي اجماعهم على ذلك اي على
التسمي باسمه بعده بعد رجوع عمر عن منعه منه وقد سمى جماعة منهم اي من الصحابة
ابنه محمدا الحديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي وكناه بابي القاسم من اجل انه
اي النبي صلى الله عليه وسلم اذن لعلي في ذلك اي في تسمية ولده محمدا وتكنيته بابي
القاسم رواه ابو داود والترمذي وغيرهما عن ابن مسعود بلفظ المهدي يواطئ
اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي ولو اراد من زاد الكنية في روايته وقد سمى صلى الله
عليه وسلم اي باسمه محمد بن طلحة بن عبيد الله وكناه بكنيته ومحمد بن عمرو بن حزم
ومحمد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري وغير واحد سماه محمدا محمد بن خليفة قال
الذهبي وكان اسمه عبد مناف ومحمد بن نبيط بن جابر ولد في زمنه صلى الله عليه وسلم
ومحمد بن هلال بن العلاء وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمد وفي نسخة
وثلاثة وقد فصلنا الكلام في هذا القسم اي الرابع وبه ختم الكتاب على
بابين كما قدمنا اوله في التراجم الباب الاول في بيان ما هو في حقه
اي النبي صلى الله عليه وسلم سب ونقص من تعريض بلا تصريح او تصريح
وما حكم من لوح اليه بشيء من ذلك اعلم وفقنا الله واياك اعتراض بين
اعلم وبين ما سد مسد مفعوليها اعني ان جميع من سبه صلى الله عليه وسلم
اي شتمه وفي الحديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر او عابه بما لا يليق به
او الحق به نقصا في نفسه اي عزاه الى ذاته الشريفة او الحق به نقصا في دينه
او في خصلة من خصاله وحالة من حالاته او عرض به اي قال في حقه ما لا
يليق به تعريضا لا تصريحا او شبهه بشيء على طريق السب اي الشتم والازراء
عليه تهاونا به ونقصا وعيبا او التصغير لشانه اي الاحتقار لعظيم قدره
وجاهه او الغض منه اي الخفض من قدره والنقص والعيب له فهو بالجزم مما
ذكر ساب له صلى الله عليه وسلم وحكم الساب انه يقتل كما نبينه فيما نورد
عليك ان شاء الله تعالى ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب بل نذكرها اركانا
على ما قصدناه ولا نمتري اي لا نشك فيه انه من هذا الباب صريحا كان او تلويحا
اي اشارة وكذلك حكم من لعنه القتل مع رجوع لعن من لعنه اليه فان اللعن الطرد
والابعاد عن رحمة الله وفي الحديث اللعانون لا يكونون شفعاء يوم القيامة او دعا

علمًا وتمنى له مضرة راغبا في ادخالها عليه وايصالها اليه او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه الشريف ومقامه المنيف على طريق الذم بما نسبه اليه او عبث اي لعب ومجن في جهته العزيزة اي المنيفة من التطرق اليها بشيء من ذلك وبسخيف من الكلام وهجر بضم الهاء وسكون الجيم اي فحش ومنكر من القول ينكرها الشريعة وزور اي كذب باطل منحرف عن الحق او عيره بمهملة مفتوحة فمثناة تحت مشددة فراء اي عابه بشيء مما جرى عليه من البلاء والمحنة او غمصه بمهملة مفتوحة ومهملة بينهما ميم اي استصغره احتقارا له ببعض العوارض البشرية الكائنة عليه وعلى الانبياء والمعهودة لديه ولديهم لا ينكرونها وهذا كله اجماع من العلماء على قتل من صدر منه شيء مما ذكر في حقه صلى الله عليه وسلم من لدن الصحابة اي من ايامهم وهلم جرا من الجر اعني السحب اي استمر الاجماع واتصل من عصرهم الى الان واستصحب جرا على المصدر او الحال قال ابو بكر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري اجمع عوام اهل العلم اي كلهم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل صونا وتحصينا لشانه وتعظيما لشرف منصبه

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

وممن قال ذلك اي منهم كمن سبه يقتل مالك والليث واحمد واسحق وهو اي القول بقتل من سبه مذهب الشافعي او رده بعدهم بلا عاطف استينافا تقوية لقولهم وتشييدا لازرهم به ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله اي مثل قول من ذكر بعدم قبول توبته قال ابو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا الكوفي مولى تيم الله بن ثعلبة واصحابه كابي يوسف ومحمد وزفر وابو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري واهل الكوفة من بعض العام على بعض افراده وابو عمرو الاوزاعي في المسلم فلا تقبل توبته عندهم دون الكافر لكنهم قالوا هي اي سبه ردة وانثه باعتبارها لان الضمير اذا وقع بين مذكر ومونث جاز تذكيره وتانيثه وحكي مثله اي مثل القول بانه ردة عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه بشيء تنقصه به او بريء منه اي قطع موالاته ومحبته صلى الله عليه وسلم او كذبه في قول من اقواله اذ ما ينطق عن الهوى وقال سحنون فيمن سبه بشيء من ردة كالزندقة من الثنوية القائلين بتناسخ الارواح ودوام الدهر وارواحهم تنتقل ابدا وعلى هذا اي على قول سحنون ان سبه ردة كالزندقة وقع الخلاف في استتابته وتكفيره فقيل يستتاب وقيل لا ووقع الخلاف ايضا هل قتله حد بما اجترحه واجترمه او كفر بما ارتكبه كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى هذا والزنديق قيل من لا يعتقد ملة من الملل المعروفة ثم استعمل في كل من عطل الاديان وانكر الشرائع وقيل من اظهر الاسلام واخفى

غيره وفي اللعان من الروضة هو من لا ينتحل دينا قال في المهمات وما ذكره هنا خالفه في باب صفة الائمة والفرائض وقبيل المرتد فقال هو من يظهر الاسلام ويخفي الكفر ولا نعلم خلافا في استباحة دمه اي دم من سبه صلى الله عليه وسلم من علماء الامصار اي البلدان الكبار وسلف الامة اي متقدمي الصدر الاول من الصحابة وتابعيهم وقد ذكر غير واحد الصادق من اثنين الى جم غفير من العلماء الاجماع على قتله وتكفيره بجراته على كريم شرفه المنيف واشار ابن حزم الظاهري الى الخلاف في تكفير المستخف به اي المستصغر لشانه صلى الله عليه وسلم والمعروف ما قدمناه انفا عن غير واحد ان الاجماع على قتله وتكفيره وقال محمد بن سحنون اجمع العلماء في جميع الامصار على ان شاتمه صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر لايذائه بشتمه وتنقصه بكفره وعلى ان الوعيد بالنكال جعلا به لغيره عبرة جار عليه بعذاب الله له في الدارين وحكمه في الدار الدنيا عند الامة القتل بما يردع غيره عن فعل ما جعل القتل جزاء له ومن شك في كفره وعذابه كفر لتكذيبه القرآن في قوله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم واحتج ابراهيم بن حسين الفقيه في مثل هذا اي مثل تنقصه بقتل خالد بن الوليد بن المغيرة مالك بن نويرة اليربوعي عامل النبي صلى الله عليه وسلم ولاه صدقات قومه اذ كان كبيرهم فمنعوا الزكاة في خلافة ابي بكر فارسل اليه خالدا فقال انا آتي بالصلاة دون الزكاة فقال له خالد اما علمت انهما معا لا تقبل احداهما دون الاخرى فقال مالك قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد وما تراه صاحبك والله لقد هممت ان اضرب عنقك فقال او بذلك امرك صاحبك فقال خالد وهم بعد ذلك ثم امر ضرار بن الازور فضرب عنقه لقوله للنبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم مرة بعد اخرى ولعلهم خالد رضي الله عنه استصغار مالك له صلى الله عليه وسلم واستهزاءه به ثم ردة قوله له وهو بعد تلك منكرا عليه اتيانه مرة بعد اخرى هذا ولا التفات الى ما قيل غير ذلك ورثاه اخوه متمم بابيات منها

وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير في الحياة وقبلنا * اصاب المنايا رهط كسرى وتبعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وقال الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اي قتل شاتمه ومتنقصه صلى الله عليه وسلم اذا كان مسلما لخروجه بذلك عن

ربقة الاسلام المؤذن بوجوب احترامه وعصمة دمه وقال ابن القاسم عن
مالك بن انس بن عامر امام دار الهجرة في كتاب سحنون والمبسوطة والعتبية
وحكاه اي ما قاله ابن القاسم عن مالك مطرف هو ابن عبد الله بن مطرف
ابن اخت مالك عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب بنوع من انواع السب
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل حدا قولا واحدا ولم يستتب
وقال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه قولا او فعلا او تنقصه
استصغارا له او تهاونا به فانه يقتل وحكمه عند الامة اهل ملة الاسلام كا قد
القتل كالزنديق وقد فرض الله علينا خير امة اخرجت للناس توقيره وبره بانواعها
من تفخيم لشانه وتعظيم لقدره وتنويه باسمه وانقياد لامره واذعان لانافة
محله وفي المبسوطة عن عثمان بن كنانة من شتم بواحد من افراد الشتم النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب برفعه على جذع حيا ولم يستتب
والامام اي ولي الامر سلطانا او نائبا مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية
ابي مصعب احمد بن ابي بكر العوفي الزهري واسمعيل بن عبد الله بن ابي اويس هو
ابن اخت مالك انهما سمعا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
باي نوع من انواع السب او شتمه او عابه او تنقصه تنبيه لما ذكر قتل
مسلما كان او كافرا ولا يستتاب لان حده القتل وان تاب وفي كتاب محمد بن
ابرهيم ابن المواز اخبرنا اصحاب مالك انه اي مالكا قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم
من مسلم او كافر قتل ولم يستتب لقصة حديث من لكعب بن الاشرف
فانه قد اذى الله ورسوله فقتله جماعة باذنه صلى الله عليه وسلم فيحتاج
من قال لا يقتل الكافر بسبه صلى الله عليه وسلم الى الجواب عن هذا
الحديث وقال اصبغ بن الفرج الفقيه المصري يقتل اي من سب نبيا او
غيره من الانبياء على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته
لا تعرف صحتها باطنا وقال عبد الله بن الحكم فقيه المالكية بمصر من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب كحد كعب
بن الاشرف السابق وروى الامام ابو محمد عبد الله بن وهب عن مالك
هو ابن انس احد الائمة الاعلام ان من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم
ويروى زره وسخ واراد بقوله وسخ عيبه قتل لازدرائه بعظيم قدره
واجمع علماؤنا على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل اي الهلاك
والحزن ومشقة العذاب او دعا عليه بشيء من المكروه مما تسوؤه وتضرر
منه والكره ضما وفتحا المشقة انه يقتل بلا استتابة اي لا تطلب منه

توبته وافتى القابسي اي اجاب من سأله في من قال في النبي صلى الله عليه وسلم الحمال
بمهملة فميم مشددة يتيم ابي طالب بالقتل لشهرة استهانته بذلك وافتى
ابن ابي زيد القيرواني بقتل رجل سمع قوما مصدر قام وصف به ثم غلب على الرجال
دون النساء لقيامهم عليهم بامور ليس لهن القيام بها يتذاكرون صفة النبي صلى
الله عليه وسلم الشريفة ومناقبه المنيفة اذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية اي
ليس بحسنهما فقال اي الذي افتى ابن ابي زيد بقتله تريدون تعرفون صفته
هي في صفة هذا المار وخلقه ولحيته كذب والله قبحه الله ولا حياه ولا بياه قال ابن ابي
زيد ولا تقبل توبته ان تاب وليس يخرج اي ما قاله هذا القائل من قلب سليم
الايمان بل هو عديمه وقال احمد بن ابي سليمان من قال ان النبي صلى الله عليه
وسلم اسود يقتل لاستنقاصه استهانة به وقال اي ابن ابي سليمان في رجل
قيل له ردا لما قاله لا وحق رسول الله قسم لو تحلم عظيم جرى على موجبه بل خالف
فقال فعل الله برسول الله كذا وكذا كلاما قبيحا تعالى له بليغ وبما له خليق
فقيل له انكارا عليه ما تقول يا عدو الله ابعدك عن شفاعة رحمته وبواك من
جهنم منزلا فقال كلاما هو اشد من كلامه الاول قبحا ثم قال انما اردت
برسول الله العقرب صارفا لما وقع من كلامه صريحا في بابه ووجهنا دالا بموضوعه
فلا يكون كناية في غيره فقال ابن ابي سليمان للذي استشهد عليه بما قاله في حقه
صلى الله عليه وسلم وانا شريكك يريد في قتله وثوابه قال حبيب بن الربيع
بن يحيى بن حبيب اللهوري لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح في بابه واضح انقياده
في موضوعه دعوى بلا بينة لا يقبل لانه امتهان له صلى الله عليه وسلم وهو اي هذا
القائل غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فلا معاضد ولا ناصر
فوجبت اباحة دمه لتقصيره في توقيره وافتى ابن عتاب في عشار اي مكاس
ياخذ من اموال الناس ضرائب للسلطان بغير حق يسمونها عشرا قال لرجل ادّ
اي اعط المكس واشك الى النبي اي اخذت منك وقال اي العشار ايضا
بعد ذلك ان سألت منك العشر او جهلت حرمته فقد سأل ..... النبي
بالقتل اي بقتل العشار لجراءته على جنابه الكريم بكلامه القبيح وافتى فقهاء الاندلس
بفتح الهمزة وفتح الدال وضم اللام بقتل ابن ..... الطليطلي وصلبه
اي بجعله على جذع ومد باقر بما شهد عليه به من استخفافه بحق النبي
صلى الله عليه وسلم بكلام اذن بالاستخفاف مما لا يليق به صلى الله عليه
وسلم وتسميته اياه صلى الله عليه وسلم .... اي خلال مباحثته
في العلم باليتيم .... حيدرة اي ابي فاطمة زوج علي بن ابي طالب [illegible]
وسخافة عقله وسوء خلقه الغالب على كثير من الناس وزعمه اي الطليطلي

كذا بالالف

ان زهده اي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قصدًا واختيارا بل كان عجزا واضطرارا
ولو قدر على الطيبات اكلها مما دنيا فيما استخف به الشرف المنيف الى هذا
الذي قاله قاتله الله ما اجراه على مقالته هذه الشنيعة وكيف تفوه بها مع قول
بعضهم تلويحا بمعنى ما ورد

وراودته الجبال الشم عن ذهب ... عن نفسه فاراها ايما شمم
واكدت زهده فيها ضرورته ... ان الضرورة لا تعدو على العصم
وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخلق الدنيا من العدم

وافتى فقهاء القيروان كابن ابي زيد واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان
شاعرا مجيدا للشعر ماهرا متفننا في كثير من العلوم شرعية وادبية وعقلية
وكان ممن يحضر مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة والمباحثة في
العلوم فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب اي باب الاستخفاف بالجناب
الشريف في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاحضر اي
القاضي ابو العباس له اي لابراهيم الفزاري اي لاجله القاضي يحيى بن عمر وغيره
وامر اي ابو العباس بقتله وصلبه فطعن بالسكين حتى هلك وصلب منكسا
راسه لاسفل ثم انزل من صلبه واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه اي
ابراهيم الفزاري المصلوب بعد قتله لما رفعت خشبته التي صلب عليها وزالت
عنها الايدي استدارت وحولت عن القبلة فكان تحويلها عنها اية للجميع
من الحاضرين وكبر الناس اعتبارا وخشية وحذرا من العثور نعوذ بالله فيما يوجب
ذلك وجاء كلب فولغ في دمه اي شربه بلسانه مندفقا لولغ يلغ ويلغ فتحا وكسرا
واكثر ما يكون الولوغ في السباع وفي الحديث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا الى بني جذيمة لما قتلهم خالد بن الوليد فاعطاهم ميلغة الكلب اي اناءه الذي يلغ فيه اي
اعطاهم قيمة كل شيء ذهب لهم حتى قيمة ميلغته فقال القاضي يحيى بن عمر صدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يلغ الكلب في دم مسلم لم اعلم من رواه
والظاهر انه لا اصل له مع ما فيه من ركاكة التركيب وقال القاضي ابن المرابط
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم خوف من عدو فانه يستتاب اي يطلب
منه ان يرجع عن ذلك فان تاب قبلت توبته والا يتب قتل لانه اي قوله هزم
تنقص يورث استهزاءا به صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته
لبراءة ساحة مقامه الكريم عنه اذ هو على بصيرة من امره وشانه في نفسه وعلى
يقين من عصمته صلى الله عليه وسلم من الناس فكيف ينهزم منهم وقال
حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك هو ابن انس الامام واصحابه ان من
قال فيه صلى الله عليه وسلم ما موصول حرفي او نكرة موصوفة اي الذي او شيا

فيه نقص قتل دون استتابة اي بغير طلب منه رجوعه عن ذلك لاستحقاقه
القتل وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد صلى الله عليه
وسلم باذى او نقص مصرحا او معرضا وان قل اي ذلك الذي يؤذيه
به او ينقصه به فقتله واجب قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب اليم اي في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من اذاني فقد اذى
الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه فهذا كله اي باب ما يؤذيه صلى الله عليه
وسلم بانواعه مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله نكالا بما اذاه به
لم يختلف في ذلك اي في قتله بما قاله مما يؤذيه صلى الله عليه وسلم
متقدمهم ولا متاخرهم بل اجمعوا على قتله وان اختلفوا في حكم قتله
على ما اشرنا اليه فيما ذكرناه مما نلي عليك ونبينه بعد ان شاء الله تعالى
وكذلك اي مثل ما تقدم عن هؤلاء الائمة اقول حكم من غمصه بمعجمة
ومهملة بينهما ميم اي احتقره وعابه بما لا يليق به او عيره برعاية الغنم
استهانة وحطا له به عن رتبة منزلته او السهو او النسيان مما به
الغفلة وصدر به منه نادرا اما كان ليسن لامته ويبين لهم ما نزل اليهم
او السحر اي صرف الشيء عن وجهه من نفس شريرة خبيثة او ما اصابه
من جرح في بعض ايام لقاء العدو كيوم احد كسرت رباعيته وشج وجهه
او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة في زمنه اي امر
شاق ورد عليه فيها او غيره بالميل الى نسائه بحيث تؤدي نسبته اليه الى
عدم المروءة فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه صلى الله عليه وسلم القتل
صونا لكمال منصبه ان ينسب الى نقص فصل في بيان الحجة في ايجاب قتل
من سبه او عابه اي غمصه بعيب فالحجة الموجبة لقتل من سبه واذاه اي
ابعده عن رحمته وطرده عن حضرة قدسه ومنه ايضا قوله تعالى فيه
اذاه صلى الله عليه وسلم باذاه تعالى ولا خلاف في قتل من سب الله و
خلاف ان اللعن انما يستوجبه من هو كافر بخلاف المؤمن فان لعنه كما قال
صلى الله عليه وسلم كقتله وفي رواية لعنه فسوق وحكم الكافر غير معصوم
الدم القتل فقال اي الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله بفعلهم ما يكرهانه
لا من حيث انه من كفر بانكار نبوته ومخالفة شريعته وما اصابوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تكذيب او يؤذون رسول الله فقط وذكر الله تعظيما
وتمهيدا لذكره صلى الله عليه وسلم لعنهم الله في الدنيا والاخرة اي طردهم وابعدهم
عن رحمته بهم وقال اي الله تعالى في قاتل المؤمن مثل ذلك اي مثل قوله في الذين
يؤذون الله ورسوله ممن لعنه مصدر رمضا في فعيله مفعوله اي من طرده وابعده

اي قاتل المومن عن رحمة الله في الدنيا القتل قال الله تعالى ثم لا يجاورونك
فيها الا قليلا ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك في المدينة
الا ملعونين اينما ثقفوا اي وجدوا وظفر بهم اخذوا وقتلوا تقتيلا
وفي الحديث اشد الناس عذابا يوم القيامة من قتله نبي كاقتله صلى الله
عليه وسلم ابي بن خلف لان قتله تطهيرا له من حد كماعز والغامدية رجما
وقال اي الله تعالى في المحاربين له تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا وذكر عقوبتهم ان
يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض
اي فمن جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن
افرد اخذ المال قطعت يده لاخذه ورجله لاخافته السبيل ومن افرد
الاخافة نفي من الارض ذلك اي ما ذكر من قتل وغيره لهم خزي اي ذل
وفضيحة في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال تعالى قتل الخراصون
اي لعن الكذابون المقدرون ما لا يصح من القول المختلف واللام للخراصون
اشارة اليهم كانه قيل قتل هولا الخراصون واصل الدعا بالقتل الهلاك
ثم جرى مجرى اللعن والقبح وقاتلهم الله اي قاتل من قال عزير ابن الله والمسيح
ابن الله وهم احقا بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لمن ركب
شنيعا قاتله الله ما اعجب فعله انى يوفكون اي كيف يصرفون عن الحق اي لعنهم
الله ولا فرق بين اذاهما اي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبين اذى
المومنين لشهادة والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقد يكون في اذى المومنين ما دون
القتل من الضرب والنكال اي العقوبة من نكل به تنكيلا ونكل جعله عبرة
لغيره فكان حكم موذي الله ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك
اي من اذى المومنين وهو اي حكمه الاشد القتل لموذيهما وقال تعالى فلا
وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم من الاختلاف ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا اي ضيقا مما قضيت بينهم ولا تضيق صدورهم من حكمك
او لا يجدون في انفسهم شكا منه لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح
له اليقين ويسلموا اي يذعنوا منقادين لما قضيت به لا يعارضون بشي
يقال سلم لامر الله واستسلم له اي سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة
له تسليما مصدر موكد لفعله بمنزلة تكريره لتحقيق معنى التاكيد كانه قيل
وينقادوا لحكمك انقيادا ظاهرا وباطنا انقيادا لا شبهة فيه فسلب اي الله اسم
الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه لعدم انقياده واذعانه

ولم يسلموا له بابائه ما حكم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا ووجد في نفسه
حرجا من قضائه ولم يسلم له وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي تعظيما لشانه ورفعة لمحله صلى الله عليه وسلم
فانه لم يدع شاوا لمستبق من الدنو ولا مرقى لمستنم
الى ان تحبط اي تبطل اعمالكم من حبطت الدابة حبطا بالتحريك اي هلكت اذا
اصابت المرعى طيبا فافرطت فيه اكلا فانتفخت فماتت وفي الحديث وان مما ينبت
الربيع ما يقتل حبطا او يلم اي يقرب ان يقتل او يدنو من الهلاك لانه
نبت تحار العشب فتكثر منه الماشية وروي بالمعجمة ولا تحبط الاعمال اي
لا يبطلها الا الكفر ردة والموت عليها خلافا لقول مالك وابي حنيفة تحبط
وان رجع مسلما لنا قوله تعالى ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لما يفوتهم مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات
الايمان ومن ثواب الاخرة بالموت عليها والكافر يقتل بما استحق به القتل وقال
تعالى واذا جاوك اي اليهود والمنافقون حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام
عليك يا محمد بدل السلام اي الموت عليهم واللعنة ويقولون في انفسهم لولا اي هلا ان
كان نبيا لا يدعو علينا يعذبنا الله بما نقول له السام عليك ثم قال اي الله عز من قائل
حسبهم جهنم اي تكفيهم عذابا يصلونها تعذيبا لهم من صلاه مشددا او
اصلاه وصليته لغضا بالنار اذا لينته وقومته بها فبئس المصير هي لهم ولامثالهم
وقال تعالى ومنهم اي من المنافقين الذين يوذون النبي وما يوذون الا
انفسهم ويقولون هو اذن يصدق كلما سمعه ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة
يعني الة السماع فكانه جملته اذن سامعة كما سموا الربيئة عينا تسمية للكل
باسم جزئه مجازا مرسلا قل اذن خير لكم جودة وصلاحا كانه قيل نعم هو
اذن ولكن نعم الاذن هو يومن بالله اي يصدق به لما قام عنده من القواطع
ويومن للمومنين اي يقبل من مخلصيهم ويتجاوز عن مسيئهم ويسلم لهم ما يقولون
يصدقهم فعدي فعل الايمان اولا بالبا لقصد التصديق وثانيا باللام لقصد
السماع كما في وما انت بمومن لنا اي بمستمع ورحمة للذين امنوا منكم ظاهرا
اي المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهري ولا يفضحكم ولا
يفشي لكم سرا ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة
في الابقا عليكم فهو كما قلتم اذن الا انه اذن خير لكم لا اذن شر فسلم لهم قولهم
انه اذن لكن فسره بما هو مدح له وثنا عليه وان كانوا قصدوا به مذمته
وتقصيره في الفهم والفطنة وانه من اهل الغرة وسلامة القلوب ثم قال اي الله
تعالى والذين يوذون رسول الله بما طعنوا فيه وتقولوا عليه لهم عذاب اليم

اي مولم فاسند اليه مجازا عقليا وقال تعالى ولئن سألتهم اي المنافقين وهم
سائرون بين يديك في غزوة تبوك عن قولهم انظروا هذا الرجل يريد ان
يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات ليقولن لا والله يا نبي الله ما
كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك انما كنا نخوض ونلعب فيما نخوض فيه الركب
لنقص بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
استفهام تقريري تنزيلا لهم منزلة كونهم معترفين باستهزائهم توبيخا
لهم على استهزائهم بما لا يليق به الاستهزاء الزاما للحجة عليهم بعدم قبول اعتذارهم
لشناعة ذنبهم لا تعتذروا اي لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة قد كفرتم
باستهزائكم مظهرين كفركم بعد ايمانكم ظاهرا قال اهل التفسير هو اي كفركم
بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو اذن هذا واما الآثار
الواردة فمنها ما اسنده هنا من طريق الدارقطني ورواه الطبراني بسند
ضعيف عن علي عنه صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه
لانتهاك حرمته بسبه ومن سب اصحابي فاضربوه تعزيرا له وتوبيخا
وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره امر النبي صلى الله عليه
وسلم بقتل كعب بن الاشرف من يهود خيبر وقوله عطف على امر
النبي من لكعب بن الاشرف فانه كما رواه الشيخان عن جابر يؤذي وفي
رواية لما اذى الله ورسوله فكان دالا لايذائه لما عليه ووجه اي بعث
وارسل اليه من قتله غيلة بكسر المعجمة اي خفية من الاغتيال وهو ان يخدع
الرجل ويقتل بموضع لا يراه فيه احد دون دعوة منه صلى الله عليه وسلم له
الى الاسلام بخلاف غيره اي غير كعب بن الاشرف من المشركين فان قتله
كان بعد دعوته له الى الاسلام وعلل اي النبي صلى الله عليه وسلم قتله اي قتل
كعب باذاه له كما مر فدل اي تعليل قتله به على ان قتله اياه انما كان لغير
الاشراك بل كان قتله له للاذى الذي وصل منه اليه صلى الله عليه وسلم وكذلك
اي ومثل قتل كعب غيلة قتل ابي رافع من يهود المدينة رواه البخاري وقال
البراء بن عازب كان اي ابو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين اعداءه عليه ويؤلبهم على عداوته بغضا وحسدا وكذلك اي ومثل
امره بقتل من ذكر امره يوم الفتح اي فتح مكة بقتل ابن خطل وهو متعلق
باستار الكعبة رواه ابن اسحق والبيهقي عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم
مرسلا ورواه الشيخان عن انس بلفظ امر بقتل ابن خطل ورواه ابو داود
والبيهقي عن سعد بن ابي وقاص لما كان يوم فتح مكة آمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الناس الا اربعة وامرأتين وامر ايضا بقتل جاريتيه اللتين كانتا

تغنيان بسبه صلى الله عليه وسلم وما يسبان الا انفسهما وحاشاه صلى الله عليه
وسلم من السب وفي حديث آخر لا ادري من رواه ان رجلا كان يسبه صلى
الله عليه وسلم فقال من يكفيني عدوي اي من يخلصني عن الاهتمام بشأنه فقال
خالد انا يا رسول الله فبعثه اي النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقتل بضم
اوله وكسر ثانيه من اقال عثرته اي هلكته جماعة ممن كان وحد الضمير اعتبارا
للفظ من يؤذيه من الكفار كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط لما تعهد في
ايذائه صلى الله عليه وسلم وعهد اي وصى بقتل جماعة ممن كان يؤذيه ويؤلب
عليه منهم قبل الفتح اي من قريش قبل فتح مكة وبعده فقتلوا من عهد بقتله الا من
بادر باسلامه قبل القدرة عليه مثل كعب بن زهير بن ابي سلمى بضم السين وقد
روى البزار بسند ضعيف عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط نادى يا علاصوته
يا معاشر جمع معشر اي جماعات قريش هم من ولد النضر بن كنانة او ولد فهر بن مالك
بن النضر سموا قريشا باسم دابة في البحر تأكل حيوانه وقد قيل فيها
وقريش هي التي تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا
وقيل سموا به لجمع قصي بن كلاب لهم بمكة بعد تفرقهم في القبائل اذ التقرش الجمع
من تقرش المال اذا جمعه ما لي اقتل بينكم صبرا هو في الاصل ان يؤخذ ذو روح فيرمى
حتى يموت ثم توسعوا فيه فكل من قتل لا خطا ولا في معركة ولا حرب لمقتول
صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك وكذبك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اهانة له واخفاقا وذكر عبد الرزاق في جامعه عن عكرمة
مولى ابن عباس مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من جفاة الناس
واجلافهم فقال من يكفيني عدوي تعبيره متعاليا في ازالته ما يهمني من شأنه فقال
الزبير انا فبارزه اي الزبير او هو فقتله الزبير وروى ايضا في جامعه عن عروة
عن رجل من القين ان امرأة كانت تسبه اي النبي صلى الله عليه وسلم فقال من
يكفيني عدوتي ويحميني من سبها فخرج خالد بن الوليد فقتلها وروى ابن ابي شيبة
عن الشعبي ان رجلا من المسلمين اعمى كان يأوي الى امرأة يهودية تطعمه وتسقيه
وتحسن اليه ولا تزال تؤذيه في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلها في ليلة
من الليالي خنقا فرفع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر الرجل بانها كانت
تؤذيه فيه صلى الله عليه وسلم وتسبه وتقع فيه فقتلها لذلك فاهدر رسول الله
صلى الله عليه وسلم دمها وروي كما في جامع عبد الرزاق عن سعيد بن جبير ان رجلا
كذب على النبي صلى الله عليه وسلم وتقول عليه بعض الاقاويل فبعث عليا والزبير
اليه ليقتلاه كذا روي مختصرا وروى البيهقي عن سعيد بن جبير ان رجلا جاء الى قرية
من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني وامرني ان تزوجوني فلانة

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه
فاقتلاه ولا أراكما تدركانه فوجداه قد لدغته حية فقتلته ثم رواه من وجه آخر
موصولا عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن الحارث وسمى الرجل الذي كذب جرجر
الجندعي وروى ابن قانع ان رجلا قال يا رسول الله
سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته جزاه الله عن دينه ومروءته خيرا ولا
شك به فلم يشق ذلك اي قتله اباه على النبي صلى الله عليه وسلم ولا كرهه
وبلغ المهاجر بن ابي امية كما رواه ابو سعيد وعسكر وكان اميرا باليمن نيابة
لابي بكر ان امرأة هناك اي باليمن في الردة اي في زمن ردة العرب في خلافته غنت
بسبه صلى الله عليه وسلم فقطع اي المهاجر يدها ونزع ثنيتها فبلغ ذلك ابا بكر
فقال له لولا ما فعلت ذلك من قطع يدها ونزع ثنيتها لامرتك بقتلها فاكتفى
بفعله اذ رتع لان حد من تنقص الانبياء من تنقصهم ليس يشبه الحدود المترتبة
على اسبابها اذ هو القتل وقد مر له مزيد بيان وعن ابن عباس ولم اعلم من رواه
هجت امرأة من خطمة بمعجمة مهملة قبيلة من العرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من لي بها اي من يكفينيها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله اكفيكها
فعدي عليها فقتلها فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم لا تنتطح فيها عنزان اي
لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان لان النطاح ليس من شأن العنوز بل من
شأن التيوس والكباش اي لا يجري فيها خلف ولا نزاع روى ابو داود والحاكم وصححه
والبيهقي في سننه عن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد توطئه اياها وكانت
تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر معنا لها وحثا على تركه سريعا
ولا تكف ولا ترعوي فلما كانت ذات ليلة جعلت اي طفقت واخذت تقع فيه
وتشتمه فقتلها بارك الله فيه ورحم واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي
بانه قتلها فاهدر دمها اي ابطله فلم يدرك بثار وفي حديث ابي برزة الاسلمي
فيما رواه ابو داود وصححه الحاكم ورواه البيهقي في سننه قال كنت عند ابي بكر
فتغضب على رجل من المسلمين اغضب عليه وحكى القاضي اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل
بن حماد بن زيد وغيره فيه اي في حديث ابي برزة انه اي الرجل سب ابا بكر
ورواه النسائي عنه بلفظ اتيت ابا بكر وقد اغلظ الواو للحال من ابي بكر اي
حال اغلاظه لرجل في القول فرد عليه اي الرجل على ابي بكر فقلت يا خليفة رسول
الله دعني امر من ودع حذف حرف المضارعة وسكن آخره ثم الحق به نون
الوقاية ويا المتكلم اي اتركني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك اي قتله
وغيره بغضب عليه الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو من خصائص الانبياء
قال ابن نصر ولم يخالف عليه اي على ما قاله ابو بكر احد فاستدل الائمة بهذا

الحديث اي حديث ابي برزة على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما
اغضبه من قول او فعل مما لا يليق به او اذاه او سبه ومن ذلك اي ومن قول
ابي بكر ليس ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما افاده عمر بن عبد العزيز
بن مروان الحكم بن ابي العاص الى عامله بالكوفة وقد استشاره الواو للحال اي
استرشده في قتل رجل سب عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر بن عبد العزيز انه لا يحل
قتل امرء مسلم بسب احد بلا موجب له الا رجل سب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي او غيره من الانبياء لانهم خيرته من خلقه فمن سبه او غيره منهم
فقد حل دمه وسأل الرشيد هارون بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور بن محمد
بن علي بن عبد الله بن عباس مالكا ما تقول في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر له اي ذاكرا له ومقدرا ان يذكر له ان فقهاء العراق افتوه اذ سألهم عنه
اي اجابوه بجلده اي بضربه حدا للشتم فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين
ما بقاء الامة بعد شتم نبيها ان لم ينتصروا له ويفدوا حقه من شتم الانبياء
قتل حدا وان تاب كما يقتضيه ظاهر اطلاقه ومن سب اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم جلد جلد التعزير كذا وقع في هذه الحكاية انه فقهاء العراق افتوا
الرشيد بجلده رواه غير واحد من اصحاب مناقب مالك ممن اعتنى بجمعها
كابي نعيم ولا ادري من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما
ذكر من انه يجلد ولا يقتل وقد ذكرنا مذهب اهل العراق من قولهم بقتله فيما
تقدم ولعلهم اي من اجابه بجلده دون قتله ممن لم يشتهر بعلم او ممن لا يوثق
بفتواه ممن يتسع بما ليس له او ممن يميل به هواه حذف مفعوله المهوي اليه
لتذهب النفس كل مذهب ممكن او يكون ما قاله اي الرشيد حمل على غير السب
الموجب لقتله مما لا يؤدي الى القتل فيكون الخلاف جاريا فيه هل هو سب
فيقتل او غير سب فيجلد او يكون قد رجع وتاب عن سبه فلم يقتله اي
الرشيد لمالك على اصله اي على الوجه الذي يرد عليه لكن قوله او يكون
قد رجع وتاب مؤذن بقبول توبته ولو ذكر لمالك لم تقل بقتله وقد مر
ما ذكر بانه يقتل مطلقا وان تاب وقبلت توبته لانه حد القتل لها دونه
قوله والاتفاق لاجماع قد انعقد على قتل من سبه في الجملة كما قدمناه
وان كان منهم من قال ان تاب قبلت توبته ولا يقتل ويدل على قتله من
جهة النظر والاعتبار اي الاستدلال لا على شيء ذا تامل ان من سبه او
تنقصه صلى الله عليه وسلم كغيره من الانبياء فقد ظهرت علامة مرض
قلبه وسوء اعتقاده وظهر برهان سوء طويته وكفره ولهذا اي ولكون
قتل من سبه او تنقصه بظهور علامة مرض قلبه وسوء طويته وكفره ما حكم

لم يكفر من العلماء بالردة لعدم قطعهم بكفره وان حكم به ظاهرا وهي اي عدم الحكم
بالردة وانث الضمير نظرا الى ما بعده رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي
وهي ايضا قول الثوري وابي حنيفة والكوفيين من العام عطف على بعض افراده
والقول الاخر انه اي سبه وتنقصه صلى الله عليه وسلم دليل على عدم الكفر فيقتل
حدا على هذا القول لانه جرم القتل وان لم يحكم له بكفر الا ان يكون متماديا ومستمرا
على قوله غير منكر له ولا مقلع اي ولا معرض عنه ولا تارك له فهذا كفر فنقتله
كفرا وقوله الذي تمادى فيه اما صريح كفر كالتكذيب به صلى الله عليه وسلم
وبما جاء به عن ربه تعالى ونحوه كنسبة ابليس ربه تعالى الى الجور اذ امره بالسجود
لادم زاعما انه خير من ادم فامره تعالى له بالسجود له في زعمه جور لكونه امرا
بالسجود لمن هو دونه لشهادة قوله اي ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين او غير صريح كفر بل هو من كلمات الاستهزاء والذم فاعترافه بها اي
بكلمات الاستهزاء وترك توبته وعدم اعراضه عنها دليل استحلاله لذلك
اي الاستهزاء والذم وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال تعالى في مثله
اي مثل هذا المعترف بكلمات الاستهزاء والذم يحلفون اي المنافقون كالجلاس
بن سويد بالله ما قالوا استهزاء لم يكن نقول لمن تخلف منا عن غزوة تبوك منكرا
استهزاء انا حقا انه سيفتح قصور الشام وحصونه فنحن شر من الحمير ولقد قالوا
كلمة الكفر استهزاء به انه سيفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات وكفروا
بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد اظهارهم اسلامهم قال اهل التفسير
هي اي كلمات الكفر قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فقال له عامر
بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف بالله ما قال فنزلت فتاب وحسنت
توبته وقيل هي قول بعضهم يعني المنافقين ورأسهم عبد الله بن ابي بن سلول لما
لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بني المصطلق بالمريسيع ماء لهم فهزمهم وقتل
منهم وازدحم جهجاه بن سعد اجير عمر بن الخطاب وسنان حليف ابن ابي واقتتلا
فصاح جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين
ولطم سنانا فقال ابن ابي لجعال وانت هناك اي انت في تلك المنزلة حتى
تلطم حليفي ثم قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل
سمن كلبك ياكلك مثل يضرب لمن يحسن الى احد فيسيء اليه وليس هذا محله
ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز يعني نفسه منها الاذل يريد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم
اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولا

ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد
بن ارقم فقال له انت والله الذليل المبغض في قومه ومحمد في عز من الرحمن
وقوة من اصحابه فقال له ابن ابي انما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال
اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر انصاريا
فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ثم قال صلى الله عليه وسلم
لابن ابي انت صاحب الكلام الذي بلغني فقال والله الذي انزل عليك الكتاب ما
قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب فقال من حضر شيخنا وكبيرنا لا تصدق
عليه قول غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت تكذيبا لابن ابي لحق رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيدا فعرك اذنه وقال له وفت اذنك يا غلام ان الله قد
صدقك وكذب المنافق ولما اراد ان يدخل المدينة قال له ابنه وكان مؤمنا
مخلصا وراءك يا منافق والله لا تدخلها حتى يقول رسول الله هو الاعز وانا
الاذل فلم يزل به حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل يدخل وقيل قال له
لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك افاعل انت قال نعم
فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وقيل ان قائل
مثل هذا اي مثل قول ابن ابي ان كان مستترا به فحكمه حكم الزنديق يقتل لاخفائه
الكفر واظهاره الايمان فهو تقييد ولانه قد غير تمثيل قوله ذلك دينه فصار
كالمرتد وقد قال صلى الله عليه وسلم من غير دينه اي الاسلامي بانتقاله الى باطل
وكذا من باطل الى مثله فاضربوا عنقه ان لم يعد الى دين الاسلام ولان لحكم
النبي صلى الله عليه وسلم مزية على امته تؤذن لعظم قدره وسيادته ورفعة
محله وساب الحر من امته يحد حدا او تعزيرا فكانت العقوبة لمن سبه صلى
الله عليه وسلم القتل لانه جرم وان تاب منه عند البعض وقبلت توبته
لعظم قدره ومجاوزته حدا لا يدرك شاوه وشفوف اي زيادة منزلته
على غيره من الشف وهو الزيادة وفي حديث الربا ولا تشفوا احدهما على
الاخر اي اذا كانا من جنس واحد وقد يطلق على النقصان فهو من الاضداد يقال
شف الدرهم اذا زاد او نقص واشفه غيره شفه فصل فان قلت خطاب
لكل من يتاتى توجيهه اليه فلم بكسر اللام الاضافة دخلت على ما الاستفهامية
كغيرها من حروف الجر عليها مثل بم وفيم وعم والام وعلام حذفت الفها لكثرة
الاستعمال لم يعاقب النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له داعيا
عليه بالموت السام اي الموت عليكم كما رواه البخاري وغيره ولقد فطنت

عايشة اذ كانت اليهود يمرون به فيقولون له السام عليك يا ابا القاسم فقالت
عليكم السام والذام واللعنة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم
اهل الكتاب فقولوا وعليكم يعني الذي يقولونه لكم ردوه عليهم قال الخطابي
وعامة المحدثين يروون وعليكم بواو العطف وكان ابن عيينة يرويه بغير واو
وهو الصواب لانه اذا نه يرد ما قالوه عليهم خاصة واثباتها يوذن بالاشراك
معهم فيه لانها لمطلق الجمع وكهذا دعا عليه مفصح بانه صلى الله عليه وسلم
فدته نفسي وابي وامي ولا قتل الاخر وهو ذو الخويصرة حرقوص بمهملتين اوله
واخره الذي قال له كما رواه البخاري في قسمة قسمها ان هذه لقسمة ما اريد
وجه الله اعتراضه عليه صلى الله عليه وسلم قد ضل وما كان من المهتدين وقد نادى
صلى الله عليه وسلم من ذلك اي مما قاله ذو الخويصرة له وقال لقد اوذي موسى
صلى الله عليه وسلم باكثر من هذا فصبر على ما اذاه به بنو اسرائيل كما قالوا
المومسة بان تشرق على قذفه بنفسها واتهموه بقتل اخيه هارون اذ ذهب
معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة فمرت به عليهم فعرفوا انه لم
يقتله وبعيب في جسده من برص وادرة فبراه الله مما قالوا وكان عند الله
وجيها ولا قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان ظرف لا بداية
متعلق بيوذونه في علم وفقنا الله واياك اعتراض دعائي بين علم وبين
ما سد معموليه اعني ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام
اي في ابتدايه يتالف الناس ممن كان حديث عهد باسلام اي يتالفهم ويداريهم
بما يصل منه اليهم من مال وغيره ليثبتوا على الاسلام هذا وان كان في
نفسه معقولا لم يكن اول الاسلام بل كان بالمدينة بعد الهجرة فلو قال
كان اول الهجرة لكان اقرب ويميل قلوبهم اي بلطفه ويجذبها اليه بحسن بيانه
وطيب كلامه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم اي يحسنه ويرغبهم
فيه ويداريهم ملاطفة لهم ورفقا بهم ويقول لاصحابه انما بعثتم
ميسرين اي مسهلين مسامحين بلا تعسير وتشديد ولم تبعثوا منفرين
للناس عن الاسلام وغيره بما يحملهم على النفور من غلظة وشدة وفظاظة
ويقول يسروا ولا تعسروا اي سهلوا ولا تشددوا وسكنوا ولا تنفروا
اي اقروا الناس على ما هم عليه من هدي وحسن حال وسمت صالح
ويقول كما مر في قصة علم النفاق لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وكان اي النبي صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين اي يحسن
صحبتهم ويستميلهم حذرا من ان ينفروا عنه وفي الحديث راس العقل
بعد الايمان مداراة الناس ويجمل صحبتهم اي يحسنها قولا وفعلا بخلق جميل

ويغضي عنهم كناية عن ترك مواخذتهم بما يصدر منهم من غض طرفه اذا
ارخاه مطرقا ولم يفتح عينيه وعن ام سلمة حماديات النساء غض الاطراف
ويحتمل من اذاهم من زايدة او تبعيضيه ويصبر على جفاهم من غلظة وسوء
صنيع ما لا يجوز لنا اليوم الصبر منا لهم عليه لانا مامورون بعدم اكرامهم
وزجرهم عن تظاهرهم بفعل ما لا يليق وكان يرفقهم ويوصلهم بالعطا
والاحسان اليهم تفاديا من نفرتهم عنه وبذلك اي ما ذكر من مداراته
لهم وغيرها امره الله تعالى وقال ولا تزال تطلع على خائنة تصدر عنهم
مما هو دابهم ودابهم اقتدا باسلافهم اذ كانوا يخونون الرسل وهولا
يخونونك بنكثهم عهودك وهمهم باغتيالك اي على خيانة منهم او على
فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كرجل راوية
للمبالغة وتدري على خيانة عن يومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم
وقال ادفع السيئة التي وردت عليك منهم عداوة وحسدا بالحسنة
التي هي احسن من اخواتها فاذا اعترضك حسنتان فالحسنة هي ان تعفو
عنه والتي هي احسن هي ان تحسن اليه باساءته اليك كان يذمك فتمدحه
ويقتل ولدك فتنقذ ولده فاذا دفعت سيئته التي بينك وبينه عداوة
بحسنتك التي هي احسن من اخواتها لابلغيتها في الدفع كانه ولي حميم
مصاف نهاية الصفا وذلك ان ما امره الله به وتميل به القلوب اليه لحاجة
الناس للتالف اول الاسلام واوايل الهجرة والى جمع الكلمة عليه واجتماعهم
فيه صلى الله عليه وسلم لانه مورد الهدى ومصدره فلما استغنى به صلى الله عليه
وسلم دين الحق واظهره الله على الدين كله قتل من ناواه وبارزه والب عليه
عداه ممن قدر عليه واشتهر امره عداوة كفعله صلى الله عليه وسلم بابن خطل
اذ قيل له يوم فتح مكة انه متعلق باستار الكعبة فقال اقتلوه وقتل من عهد اي
اوصى بقتله يوم الفتح اي فتح مكة وقتل من امكنه قتله غيلة بكسر المعجمة
اي خفية من الاغتيال وهو ان يخدع ثم يقتل بموضع لا يراه فيه احد وقد وردت
غيره تقتل بصبي قتل غيلة بسبعة من يهود كابن ابي الحقيق وابن الاشرف
وغيرهم اي غير يهود وقتل من امكنه قتله غلبة منه صلى الله عليه وسلم عليه
كابي عزة الجمحي كما مر ممن لم ينظمه قبل اي قبل قتله سلك صحبته صلى الله عليه
وسلم ولم ينظمه قبله الانخراط اي الدخول في جملة مظهري الايمان به
صلى الله عليه وسلم ممن كان يوذيه ويولب عليه كابن الاشرف وابي رافع
والنضر بن الحارث وعقبة ابن ابي معيط هذا وفي ذكر ابن الاشرف هنا
مع من قتله غلبة نظر انما قتل غيلة كما مر وكذلك عقد بمهملة اي اسقط

واهدر دم جماعة سواهم اي غير من ذكر مثل كعب بن زهير وابن الزبعرى
بزاي مكسورة وبا مفتوحة وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم اي
استسلموا من او وصلهم اليه صلى الله عليه وسلم ولقوه مسلمين فعفى عنهم
واولاهم معروفه وبواطن المنافقين كانت عنه مستترة وحكمه صلى الله عليه
وسلم انما كان على الظاهر تشريعا لامته ولحكامهم بعدم اذ لا اطلاع
لهم على البواطن هذا ولقد كان يعرف ما في ضمايرهم وانما لم يتعرض لهم
حذرا من تحدث الناس كما قال صلى الله عليه وسلم ان محمدا يقتل اصحابه اي
في الظاهر والا فليسوا في الحقيقة باصحاب له واكثر تلك الكلمات التي
كانت تصدر عنهم مما كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم انما كان يقولها القائل
خفية وكان يقولها مع امثاله من المنافقين ويحلفون عليها اذا نميت
عنهم بنيابة للمقول من النمي اعني الرفع والتبليغ ثم ان كان على وجه الاصلاح
وطلب الخير خففت او على وجه الافساد والنميمة شددت كذا عن ابي
عبيد وابن قتيبة وغيرهما قال الحلبي اكثر المحدثين يروونه مشددا والمحقق
وينكرونها اذا قيل لهم قلتم كذا او يحلفون بالله ما قالوا كما مر عن ابن ابي
وابن سويد وغيرهما في غزوة بني المصطلق بالمريسيع ولقد قالوا كلمة الكفر
استهزائه في اخباره اصحابه انه سيفتح قصور الشام وحصونها كما مر فكان
اي النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا اي قولهم كلمة الكفر يطمع في فيئتهم
ورجوعهم تفسير لما قبله اذ الفيء في الاصل الرجوع الى الاسلام وكان
صلى الله عليه وسلم يطمع في توبتهم من نفاقهم فيصبر على هناتهم اي
شدائد شرورهم وعظائم فسادهم واحدها هنت ويجمع ايضا على هنوات
ويصبر ايضا على جفوتهم اي غلظة طبعهم وفحش قولهم كما صبر اولوا
العزم من الرسل اي الجد والثبات والصبر ومن ان كانت تبعيضيه
فهم كما مر بعض الانبيا ثم قيل هم نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر
على النار وذبح ولده واسمعيل او اسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده
يوسف ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى على اذى
فرعون وقومه وداود على بكائه على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع
لبنة على لبنة وان كانت بيانية فكلهم اولو عزم حتى فاء اي رجع كثير منهم
باطنا لتجدد نفاقه كما فا اولا حال نفاقه ظاهرا واظهر سرا كما اظهر
جهرا لمواطاة ظاهره باطنه اخلاصا ونفع الله بعد اخلاصهم بكثير منهم واخلص ح
وقام منهم للدين وزيرا كجلاس بن سويد واعوانا وحماة وانصارا
يوازرونه اي يقوونه ويعاضدون اصحابه في حمايته كما جاءت به الاخبار

ولهذا وبما ورد بتركه صلى الله عليه وسلم قتل المنافقين من استتار بواطنهم
وحكمه انما كان على الظاهر كما مر اجاب بعض ائمتنا عن هذا السؤال
اول الفصل وقال لعله صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنده من اقوالهم ما رفع
اليه وانما ورد بطريق الاحاد نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
كزيد بن ارقم ناقل قصة ابن ابي صغيرا في هذا الباب اي باب ما يوجب قتل
من سب نبيا من الانبيا من صبي او عبد وامراة ممن لا تقبل شهادته
في سفك دم والدما لا تستباح الا بعدلين هذا وان تعجب فعجب رضي
المصنف بعموم هذا الجواب ناقلا عن بعض ائمة المالكية مع نزول القران
بتكذيب قول من حلف انه لم يقل وقد تقدم كابن ابي وابن سويد كما مر في
قصتهما لكن ابن سويد تاب بعد ذلك واخلص دينه لله وعلى هذا على جواب
بعض ائمته حمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به اي فتلوا السلام بـ
السنتهم ولم يبينوه فوضعوا اماما اضمروه من الدعا عليه بالسام مما يوهم
موضع ما اظهروه من السلام لانه منهم ووقاحة ونفاق الا ترى كيف
نبهت عليه عايشة اذ فطنت له النبي صلى الله عليه وسلم بقولها لهم عليكم
السام واللعنة وفي رواية اللعنة عشيسا بهم فقال مهلا يا عايشة الم
تسمعي ما اقول لهم وعليكم فاني استجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في
وقال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي ردوا الذي يقولونه لكم
عليهم قال الخطابي عامة المحدثين يروونه وعليكم بواو العطف وكان ابن
عيينة يرويه بغير واو وهو الصواب لان حذفها موذن بان ما قالوه مردود
بعينه عليهم خاصة واثباتها بالتشريك معهم فيما قالوه ولو كان اي اليهو دي
الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم السام عليكم صرح بذلك لم تنفرد اي
عايشة بعلمه دونه صلى الله عليه وسلم ولهذا اي ولكونه لم يصرح بالسام م
مضمرا له خبثا ولأمه نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على تعليم القبح
وقلة بل عدم صدقهم في سلامهم وخيانتهم الشنيعة ووقى حظهم
الفظيعة تركا لكراهته وروغانا عن ابلا الجميل بما اظهروه من ما للسلام
الى ما اظهر من دعا عليه بالسام ليا وطعنا في الدين اعراضا وتكذيبا
به فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام اي الموت عليكم ن
فقولوا عليكم اي بدون واو العطف لكونه باشتراك المعاقو ترك
لرواية ابن عيينة التي صوبها الخطابي فيما مر ورد الدعا هم بعينه عليهم
حذرا مما توذن به واو العطف من التشارك فيه وكذلك اي مثل ما اجيب
به قال البعض قال بعض اصحابنا من المالكية البغداديين كالقاضي

فعتمز

عبد الوهاب بن خويز منداد وابن الجلاب أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنا
بعلمه أي مع علمه نفاقهم باطلاع الله له عليه فيهم ولم يأت أحد من رواة
الأخبار ونقلة الآثار أنه قامت بينة على نفاقهم فلذلك مما ذكر تركهم
ولم يقتلهم وكذلك بينة عليه ما وردت به سورتا المنافقين وبراءة من البحث
عن أسرارهم وإظهار نفاقهم وتنبيه بفضيحتهم وتوبيخهم وتبكيتهم وتنكيلا وخزيا
ودمدمة عليهم وتسجيلا وأيضا كان نفاقهم سرا وباطنا تسنع به
مع حسنه ما حكاه عن بعض أئمته وأصحابه البغداديين جوابا عن تركه
قتلهم ما لا يجدي نفعا لاظهار رسوله براءة والمنافقين له صلى الله عليه
وسلم ما كانوا يسرونه من نفاقهم وظاهرهم الإسلام والإيمان هما
شرعا بمعنى واحد إذ لا يعقل مسلم غير مؤمن ولا مؤمن غير مسلم وإن كان
من أهل الذمة أي الذمام والحفاظ بالعهد والجوار أي الأمان من
أجارهم يجيرهم إذا أمنه والناس قريب عهدهم بالإسلام لم يتميز بعد أي
بعد كونهم قريبي عهدهم به الخبيث منهم من الطيب وقد شاع أي فشا
وذاع وملأ الأسماع عن المذكورين من باض وفرخ في صماخهم النفاق
في العرب كونهم من هو متهم بالنفاق من جملة المؤمنين بإظهارهم الإسلام
ظاهرا تقية ومن جملة أصحاب سيد المرسلين المفاد من عموم حديث
البخاري أن سيد الأولين والآخرين ومن جملة أنصاره الذين يحكم
ظاهرهم أنهم مؤمنون وهذا هو الحامل له صلى الله عليه وسلم على ترك
قتلهم ومن ثم قال لعمر دعني أضرب عنق هذا المنافق لا يتحدث الناس اذ قال م
أن محمدا يقتل أصحابه فلو قتلهم لنفاقهم وما يبدو أي يظهر للناس منهم
وعلمه بما أسروا في أنفسهم من النفاق لوجد المنفر جواب لو ما يقول
مما يتوصل به إلى ترك الدخول في الإسلام ولارتاب الشارد من شرد
البعير يشرد شرودا وشرادا إذا انفرد وذهب في الأرض وفي الحديث
لتدخلن أجمعون إلا من شرد على الله أي الخارج عن طاعته وفارق الجماعة
وأرجف المعاند أي الحائد عن القصد المراد للحق مع العلم به بنفيده
وتقوله الأقاويل الكاذبة المنفر وارتاع أي خاف من صحبة النبي
صلى الله عليه وسلم وارتاع أيضا من الدخول في الإسلام غير واحد
من ضعف يقينه ونجم سقم عهده وجبنه وجهل أن من دخله مخلصا
كان له الأمن وهم مهتدون ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم
أن القتل إنما كان للعداوة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم
وطلب أخذ الثأر كتشبر الشناة فوق أي السعة والنقص وقد مات

ما جرته من أن أمرهم كان سرا وباطنا وأنه صلى الله عليه وسلم إنما
كان يحكم بالظاهر وكان ظاهرهم الإسلام وشاع أنهم من جملة المؤمنين
منسوبا لمالك بن أنس الإمام وبه ورد ناصر السنة الشافعي على من
زعم أن من حلف أنه لا يلبس من غزل فلانة فنسجته وباعته منسوجا ثم
اشترت بثمنه طعاما أنه يحنث لنبوه عن مبنى أحكامه صلى الله عليه وسلم
الذي هو الظاهر دون الباطن تشريعا للأحكام بعده لعدم اطلاعهم على
البواطن ولهذا أي ولظهور كونهم من جملة المؤمنين وصحابة سيد
المرسلين قال صلى الله عليه وسلم كما مر لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحا
وقال صلى الله عليه وسلم في حقهم ولا أدري من رواه أولئك الذين
نهاني الله عن قتلهم وهذا أي عدم إجراء أحكامه عليهم من حيث
بواطنهم بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من بيانية لما بعدها
مثل حدود الزنا جلدا ورجما والقتل قودا وحدا وشبهه كحد السرقة
والقذف وشرب الخمر لظهورها واستواء الناس فيها علما ومعرفة بها
من الأحكام الشرعية الواجبة وقال ابن المواز لو أظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا وكذلك بيان أن الله له إظهار لا إنما لم يقتلهم
لظهور كونهم متسمين بالإيمان متسمين بأصحابه صلى الله عليه وسلم ومن ثم
جعل علة تركه قتلهم تحدث الناس أنه يقتل أصحابه وقال ابن الصفار نقلا عن
قتادة في تفسير قوله لئن لم ينته المنافقون جمع منافق من النفاق وهو
اسم إسلامي لم تعرفه العرب بمعناه الشرعي وهو إخفاء الكفر وإظهار الإيمان
وإن كان أصله لغة معروفا عندهم مأخوذ من نافقاء اليربوع أحد بابي جحره
إذا طلب من أحدهما خرج هاربا من الآخر فيقال نافق اليربوع وقيل مأخوذ
من النفق أي السرب يستتر فيه لستره كفره والذين في قلوبهم مرض
لضعف إيمانهم وقلة ثباتهم عليه والمرجفون في المدينة بأخبار مفتريات
بين أيديهم وأرجلهم عن سراياه صلى الله عليه وسلم يقولون هزموا قتلوا جرى
عليهم كذا يؤذون به المؤمنين من الرجفة وهي الزلزلة يقال أرجف بكذا إذا
أخبر به على غير حقيقته لتزلزله بعدم ثبوته أي لئن لم ينتهوا عن عداوتهم
وكيدهم عما يفترونه من الأخبار لنغرينك أي لنأمرنك بهم أي لنحملنك على
تغييرهم ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك جوابا ثانيا للقسم ومن ثم
لم يعطف عليه بالفاء لعدم تسببه عنه أي بأن نضطرهم إلى الجلاء عن المدينة
وإلى حيث لا يساكنونك فيها إلا زمنا قليلا ريثما يلتقطون أنفسهم وعيالهم
ثم يرتحلون وإنما عطف هنا الجواب على الأول بثم لأن الجلاء عن الأوطان كان

عليهم اعظم وا قطع من جميع ما آعيبوا به فتراخت حاله عن حال لمعطوفة
ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا مبعدين عن رحمة الله
مطرودين فدخل حرف الاستثنا على الظرف والحال معا كما في لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه اي ادراكه او وقته اينما
ثقفوا اي ظفر بهم وتمكن منهم اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في موضع
مصدر مؤكد اي سن الله في الذين خلوا من قبل ممن كان قبلكم بمنافقي الانبيا
ان يقتلوا اينما وجدوا وظفر بهم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تحويلا بل هي جارية
على سنن واحد في جميع الامم قال اي قتادة معناه اذا اظهروا النفاق
وقد ظهر من بعدهم كما مر فيمن تاب وحكى ابن مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم
من فقها التابعين بالمدينة ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم جميعا فيما تجاهدهم به من قتال ومحاجة
وعن الحسن وقتادة ومجاهد المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد
وقيل بافشا اسرارهم نسخها ما كان قبلها مما اذن بمسالمتهم وعدم التعرض
لهم وقال بعض مشايخنا من فقها المالكية او متكلمي الاشعرية لعل ذا الخويصرة
حرقوص القايل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قسم قسمة هذه قسمة
ما اريد بها وجه الله بل هي كانت جارية على قانون العدل في منهاج الشريعة
ولعل قوله له قبل ذلك اعدل لم يفهم منه الطعن عليه في قسمته والتهمة
له فيها وانما فهم منه انه رآه برايه الفاسد انها صدرت منه صلى الله عليه وسلم
من وجها الغلط في الراي وحاشاه من ذلك في امور الدنيا والاجتهاد لعصمته
في جميع حالاته وفي مصالح اهلها اي اهل الدنيا فلذا لم يعاقبه هذا وانما ترك
عقابه حذرا من ان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولقوله في اخر الحديث يخرج
من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين الحديث
وكذلك اي وكما قيل في حرقوص من الاعتذار يقال في اليهود واذ قالوا له صلى الله
عليه وسلم مظهرين السلام عليه السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعا
الا بما لا بد منه لكل مخلوق من الموت وقيل اعتذارا عن اليهود ايضا في قولهم
السام عليكم المراد به تسامون دينكم اي تملونه منه والسام والسامة الملل ويضجرون م
والضجر والتبرم من سيم مهموزا والرواية بلا همز لاختلاف صيغتهما واوا
وهمزا وهذا على زعم هذا القايل ان السام مهموزا بمعنى الضجر والملل دعا
على سامة الدين ليس بصريح سب له صلى الله عليه وسلم ولهذا اي ولكونه
ليس بصريح سب ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي
او غيره ولم يصرح بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اي قول اليهود السام

عليكم ليس تعريض للسب له صلى الله عليه وسلم وانما هو تعريض بالاذى
ولا يعزب عنك ان هذا بخلاف ما قدمنا ان الاذى والسب في حقه سوا
فيقتل من اجترا بواحد منهما عليه صلى الله عليه وسلم وقال ابن نصر مجيبا عن هذا
الحديث اي حديث السام عليكم ببعض ما تقدم مما آذن بعدم التسوية
بين السب والاذى في حقه صلى الله عليه وسلم ثم قال اي ابن نصر ولم يذكر
في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل الذمة فينتقض عهده ويبلغ
مامنه او الحرب فيهدر دمه ولا يترك موجبات الادلة من القتل بسبب
او شتم للامر المحتمل لواحد منهما والاولى في ذلك كله مما ذكر توجيها
لتركه صلى الله عليه وسلم قتلهم والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف
لهم لغيرهم على الدين لعلهم يذعنون له يؤمنون به ولذلك اي ولكون المراد
الاستيلاف والمداراة على الدين ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج
اصحاب ذي الخويصرة باب من ترك قتال الخوارج للتالف والاستيناس
ليثبتوا على الاسلام ولئلا ينفر الناس عنه صلى الله عليه وسلم ولما
ذكرنا بمعناه عن مالك فيما مر وقررناه قبل اي قبل ما ذكره بمعناه عن
مالك وقد صبر صلى الله عليه وسلم على سحر من لبيد بن الاعصم اليهودي
وعلى سم من المراة بشاة خيبر وهو اعظم من سبه اذ قد صار به الى
حيث انه كان يخيل له انه فعل الشي وما فعله الى ان نصره الله عليهم غاية
لصبره على ما اوذي به من سحر وغيره واذن له في قتل من حينه ثم مهملة
وبالتحتية مشددة اي عين قتله في حين معلوم وانزلهم من صياصيهم
اي حصونهم وكل ما يمتنع به فهو صيصة وقذف اي القى فثبت وركز في قلوبهم
الرعب اي الخوف وغرس صدورهم وملاها وكتب على من شا منهم الجلا
من ارضه الى حيث شا تطهيرا لارض المدينة منهم واراحة للمسلمين
من جوارهم وكتب عليهم اخراجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي
المومنين بالنقض والهدم لما اراد الله من استيصالهم فتتهدم وان لا يبقى المدينة م
في المدينة دورهم دار ولا منهم ديار وكاشفهم اي برز لهم ما قهر القوم
جهلوه من مواجهتهم به بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير
قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير فهم اخوتهم من حيث وقوع المسخ
في طوايفهم وحكم فيهم سيوف المسلمين فاجتاحهم قتلا وصبرا
واجلاهم اي اخرجهم من جوارهم باراحة لهم منهم فان قلت جا في الحديث
الصحيح من رواية البخاري وغيره عن عايشة ما انتقم اي النبي صلى الله
عليه وسلم لنفسه في شي يؤتى اليه دبواجه به ولم يعاقب صاحبه على

مكروه قط الا ان تنتهك حرمة الله مبالغة في حفظ حرمة الشرع ومخالفته
فينتقم حين تتعدى حدوده فاعلم ان هذا اي ما افاده الحديث من تركه صلى الله عليه
وسلم الانتقام لنفسه لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه
فان هذه المذكورات من حرمات الله التي انتقم لها ممن صدرت منه في
حقه صلى الله عليه وسلم كابي عزة الجمحي وابي رافع وكعب بن الاشرف وانما يكون
ما لم ينتقم له فيما تعلق بسوء ادب من اعرابي جاف ومعاملة من احد منهم
من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد واعليه به اذاه لكن صدر
على وجه الغلظ والجفاء والجلافة مما جبلت عليه الاعراب من الجفا والجهل
او مما جبل البشر عليه من الغفلة كجبذه بجيم فباء موحدة فذال معجمة الاعرابي
رداءه حتى اثر في عنقه وقال كما رواه البخاري مر لي من مال الله الذي عندك
وكرفع صوت الاعرابي الآخر عنده وقال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وكجحد
الاعرابي كما رواه البخاري شراءه اي شرا النبي صلى الله عليه وسلم منه فرسه
التي شهد فيها خزيمة انه اشتراه منه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم شهادته
بشهادة رجلين وكما كان من تظاهر زوجتيه عائشة وحفصة او غيرهما كما مر
بيانه واشباه هذا الذي ذكر مما يحسن الصفح عنه او يكون هذا مما اذاه
به كافر رجا صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اي بعد اذاته بما ذكر اسلامه
كعفوه عن ابن سعنة فاسلم كما مر وعن اليهودي الذي سحره يعني لبيد بن
الاعصم وعن الاعرابي الذي اراد قتله يعني غورث بن الحارث وعن اليهودية
التي سمته في شاة بخيبر وقيل قتلها ببشر بن البراء وقيل هذا مما يبلغه من
اذى اهل الكتاب من اليهود والنصارى والمنافقين ممن جاوره بالمدينة
وغيرهم فصفح عنهم لانه صلى الله عليه وسلم كان اهل التقوى واهل المغفرة
رجاء استئلافهم واستئلاف غيرهم بهم من العرب فصل تقدم الكلام
مرارا كثيرة مما تسئم النفس تكراره في قصد القائل لسبه والازدراء به
وغمصه بمعجمة ومهملة بينهما مهملة واصله ازتري قلبت تاؤه دالا لمجاورتها
الزاي اي احتقره وعابه باي وجه كان من ممكن وجوده او محال ممتنع وجوده
فهذا وجه لا اشكال فيه ولا توقف في قتل متعاطيه الوجه الثاني لاحق به في كونه
مثله او قريبا منه في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته صلى الله
عليه وسلم غير قاصد للسب والازدراء استنقاصا واستخفافا به ولا
معتقدا له ولكنه تكلم في جهته اي النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر من
لعنه او سبه او تكذيبه صلى الله عليه وسلم في شيء مما جاء به من الدين او اضافة
ما لا يجوز اليه او نفي ما يجب له عنده مما هو في حقه نقيصة مثل ان ينسب اليه

عليه

اتيان كبيرة وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك كله او مداهنة ومحاباة تساهلا
في تبليغ الرسالة او حكم بين الناس او بغض من مرتبته او من شرف نسبه
او من وفور علمه وغزارته ولتزهده او من زهده وتقلله وتجافيه عن مضاجع
الغرور او تكذيبه بما اشتهر به من امور اخبر بها وتواتر اي تواصل الخبر بها عن
جمع يؤمن تواطئهم على الكذب عنه عن فصله وخبره او يأتي بسفه من
القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته اي النبي صلى الله عليه وسلم
وان ظهر بدليل حاله اي حال الاتي بسفه او غيره مما ذكر انه لم يتعمد ذمه ولم
يقصد سبه صلى الله عليه وسلم اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر وسآمة
بهما او سكر ولو طافحا لتعديه به او قلة مراقبة وقلة ضبط للسانه
وعجرفة اي مجازفة في كلامه بلا تامل وتروٍ وتهور في كلامه لا يجدي نفعا فحكم
هذا الوجه اي الثاني حكم الوجه الاول وهو القتل دون تلعثم اي بلا توقف
اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان اي خطابه ولا بشيء
مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته اي في ابتدا جبلته وطبعه سليما من آفات
الكفر والمعاصي مستمرا على لزوم مقتضاها من الطاعات الا من اكره على
الكفر وقلبه مطمئن بالايمان لم يؤاخذ بما اكره عليه وبهذا اي بما افاده
الوجه الثاني من ان من تكلم في حقه صلى الله عليه وسلم بما ذكر يحتم القتل
افتى الاندلسيون اي علما الاندلس من اصحاب مالك على ابن حاتم في نفيه
الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان اغناه عما اوردنا العمل في
الدنيا والخزي في الاخرة وقال ابن سحنون في المأسور بايدي الكفار يسب
النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل تجرؤه على شرف جنابه الكريم
الا ان يعلم تنصله او اكراهه فلا يقتل اذ لا مؤاخذة لمكره بما اكره عليه
لشبهة دافعة حديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وعن
ابن ابي زيد لا يعذر من تكلم بما لا يليق بشريف جنابه بدعوى زلل في مثل
هذا وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره
اي تعديا يقتل لانه يظن به انه يعتقده ويظن به انه كان يفعله في صحوه
وايضا فانه اي قتله لشتمه صلى الله عليه وسلم حد لا يسقطه السكر كالقذف
والقتل وسائر الحدود الفارقة بين الحلال والحرام المانعة من قربان الحرام
كالزنا والمترتب عليها كالرجم لانه ادخله على نفسه باجترائه عليه صلى الله عليه
وسلم بما لا يليق به لان من شرب الخمر على علم الظرفية مجازية استعارها
على تشبيهها لتمكنه من العلم تمكن راكب بمركوبه حال من ضمير شرب اي عالما
زوال عقله بها واتيان ما ينكر من حيث هو منكر صادرا منه فهو كالعامد لما

يكون بسببه القتل وناسياً عنده وعلى هذا اي القول لزمناه الطلاق والعتق
والقصاص اذا طلق واعتق وقتل حال سكره ولزمناه الحدود اي واخذناه بها
اذا صدرت منه مع ما يترتب عليها كالجلد بالقذف والقطع بالسرقة
والرجم بالزنا ولا يعترض على هذا اي ما ذكر من ان من سكر يواخذ حال سكره
متعديا بحديث حمزة بن عبد المطلب الذي رواه البخاري ومسلم عن علي ان حمزة
قبل ان تحرم الخمر كان في شرب وفناء الدار شارفان لعلي اراد ان ياتي عليهما باذخر
يبيعه ليستعين بثمنه على تزوج فاطمة وعندهم جارية تغنيهم فقالت الا يا حمز
للشرف النواء فخرج اليهما فبقر خواصرهما وجب اسنمتهما فاخبر علي النبي صلى الله عليه
وسلم فجاء فلما راه حمزة صعد النظر اليه وخاطبه ثملا بما لا يليق مثل قوله له صلى
الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي فعرف صلى الله عليه وسلم انه ثمل اي سكران
فانصرف ولم يواخذه بما صدر منه لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة بل كان
هذا سببا لتحريمها فلم يكن في جناياته اثم وكان حكم ما يحدث عنها من سكر من
شربها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المامون العاقبة واما ضمان
الشارفين فمن خطاب الوضع فلا فرق بينه وبين النائم في ضمان ما اتلفه ولعله
اذ ذاك لم يكن شرع تعلق الضمان باتلافهما او سومح او عزم بعد ذلك فصل
الوجه الثالث ان يقصد احد من الناس الى تكذيبه صلى الله عليه وسلم فيما
قاله اذ كان ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى والى تكذيبه فيما اتى به مما
اوحي اليه وامر بتبليغه او ينفي نبوته او رسالته او وجوده بانه لم يوجد في
زمن من الازمنة او يكفر به سواء انتقل بقوله ذلك الذي يصير كافرا به صلى
الله عليه وسلم الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا كافر بالاجماع يجب قتله ثم
ينظر بعد الحكم بكفره فان كان مصرحا بذلك الذي كفر به كان حكمه اشبه
بحكم المرتد وقوي الخلاف في استتابته هل يستتاب ام لا على ما مر وعلى
القول الاخر باستتابته لا تسقط القتل عنه توبته لان حرمة سب نبي من
الانبياء عند بعضهم كابي بكر الفارسي من القتل وان تاب وقيل قضاء لحق النبي
ان كان ذكرهم بحكم حكم الزنديق لا يسقط قتله التوبة عندنا معشر المالكية
كما سنبينه ان شاء الله تعالى وقال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد فلم
يستقر على ايمانه ولم يمتثل امره ونهيه فقد كذب فهو مرتد برجوعه عن
دينه الحق حلال الدم الا ان يرجع عن برائته منه وتكذيبه به وقال ابن القاسم
في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل الى الناس كافة او لم ينزل
عليه قران كريم وفرقان قديم وانما هو شيء تقوله تلفيقا وعزاه الى ربه وحاشاه
من ذلك فلقد بلغ ما جاء به بيضاء نقية لم يشبها شك فادى الرسالة ونصح الامة

وجاهد في الله حق جهاده فمن قال ذلك يقتل لانكاره ما اذن الله بتبليغه له
صلى الله عليه وسلم قال اي ابن القاسم ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم
بان جحد رسالته ونبوته وما جاء به وانكره اي انكر كونه من المسلمين فهو بمنزلة
المرتد يقتل ان لم يتب وكذلك من اعلن بتكذيبه اي اظهر جهرا انه كالمرتد
يستتاب فان تاب والا قتل وكذلك قال اي ابن القاسم فيمن تنبأ اي زعم انه
نبي او يوحى اليه انه كالمرتد في استتابته وقال سحنون بفتح اوله وقد يكسر فعلون
فعله من السحنة وهي بشرة الوجه وهيئته وحاله قال ابن القاسم سواء دعي الى
ذلك اي الى انه نبي يوحى اليه سرا او جهرا فانه يكون كالمرتد قال اصبغ بن الفرج وهو
اي من زعم انه نبي يوحى اليه كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله لاخباره بانه صلى الله
عليه وسلم بانه خاتم النبيين مع الفرية اي الكذب على الله اذ ما يفتري
الكذب الا الذي لا يؤمن بايات الله وقال اشهب في يهودي تنبأ اي زعم انه
نبي او زعم انه ارسل الى الناس فقد والله خاب وخسر او قال بعد نبيكم نبي
انه يستتاب ان كان معلنا بذلك اي متظاهرا له فان تاب قبلت توبته والا
يتب قتل وذلك اي وقتله انما يعتبر لانه مكذب بما افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم
في قوله فيما رواه الشيخان لا نبي بعدي اي لا ينبأ بعده احد فلا يرد عيسى ابن مريم
صلى الله عليه وسلم لاخباره صلى الله عليه وسلم بنزوله في اخر الزمان ان العمل بسنة
حكم شريعتنا ومفتر بما زعمه على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة مع
قوله تعالى في حق نبينا ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقال ابن سحنون من شك
في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى فهو كافر جاحد
لما جاء به عن ربه تعالى وقال اي ابن سحنون من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم
كان حكمه عند الامة اي امة نبينا او علمائهم القتل وقال ابن ابي سليمان
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لاشتماله بتنقيصه واستهانته
ولم يكن باسود وقال نحوه اي نحو ما قال ابن ابي سليمان ابو عثمان الحداد قال
اي ابن ابي سليمان وابو عثمان او قالا انه مات قبل ان يلتحي اي قبل ان ينبت شعر
لحيته الكريمة او انه اي النبي صلى الله عليه وسلم كان بتاهرت ولم يكن بتهامة
اي مكة وما حولها قتل لان هذا اي ما ذكر من انه مات قبل ان يلتحي وكان بتاهرت
لا بتهامة نفي مشعر بذم قال ابن ربيع تبديل صفته بصفة غيرها سواء كانت
صفة مدح او ذم لتبديل ذاته منصبه وفيه الاستتابة فان تاب والا قتل والمسر
له اي المضمر له زنديق يقتل دون ان يستتاب لانه اسر باطنا خلاف ما يظهر من
انه على ما الناس عليه من الانقياد والاذعان وقبول ما جاء به صلى الله عليه وسلم
واعتقاد اتصافه بصفات الكمال من غير تبديل لها مع اضماره خلافه فصل

الوجه الرابع ان ياتي من الكلام المحتمل لان يوصف صلى الله عليه وسلم بمجمل ما لا
يليق بكريم ذاته او يلفظ من القول بمشكل بوقوع شائبة في الشك يمكن
حمله اي حمل ذلك الشك على النبي صلى الله عليه وسلم ووصفه به او على
غيره ممن يمكن حمله عليه او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره
سلامته من شره لا يليق بكريم ذاته صلى الله عليه وسلم فها هنا متردد النظر
اي مقام تردده في المراد وحيرة العبر جمع عبرة مما يعتبر ويستدل به على غيره
ومتردد ومظنة اختلاف المجتهدين في المجمل والمشكل ما يحتاج الى التخصيص
والتامل نظرا واستدلالا ليميزوا بين ما يليق بكريم ذاته صلى الله عليه وسلم
وصفا وما لا يليق به فيوردون مورده قتلا او غيره بحسب اجتهادهم ووقفة
استبراء المقلدين لهم فيما يحكمون به اجتهادا من قتل وغيره ليهلك من هلك
عن بينة واضحة لا شبهة في بطلانها لما عضدها من الدلائل والشواهد لمؤذيه
بكفر من وصفه صلى الله عليه وسلم بما لا يقدره من ذلك حق قدره ويحيى من حي وصفه
له بما يليق بتشريف ذاته وتكريم محله عن بينة حقة فمنهم من نهج منهج تعظيمه
وقدره حق قدره وغلب حرمته صلى الله عليه وسلم وحمى حمى اي منع بدفعه عن
عرضه اي عن موضع المدح منه صلى الله عليه وسلم وصانه عن نقصه وثلبه فجسر
اي اقدم مجترئا على القتل والحكم به ومنهم من عظم حرمة سفك الدم ودرء
الحد اي دفعه بالشبهة لاحتمال القول فيه لما في الحكم قال صلى الله
عليه وسلم ادرؤوا الحدود بالشبهات وقد اختلف ائمتنا من المالكية في رجل اغضبه
غريمه فقال له غريمه بعد ان اغضبه صل الله على محمد فقال له الطالب لا صلى
الله على من صلى عليه بل صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ما تعاقب الجديدان وتتابع
الملوان فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم منتقصا له
او شتم الملائكة الذين يصلون عليه صلى الله عليه وسلم قال اي سحنون لا اذا
كان على ما وصفت من الغضب الذي اغضبه به غريمه لانه لم يكن حال غضبه
له مضمرا الشتم لاحد منهم ولا من غيرهم وقال البرقي واصبغ لا يقتل
لانه انما شتم الناس بمنعي الصلاة عليهم وهذا نحو قول سحنون لانه
لم يعذره ولا عفي فيما تقدم بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم
ولكنه اي اللسان اي ولكن لما احتمل الكلام عنده ولم تكن اي لم توجد
قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم برفع شرف مقامه عمن ان يصاب
بمكروه او شتم الملائكة ولا مقدمة اما من قدم اللازم بمعنى تقدم او المتعدى
بمعنى قدمت تصرفه عن ان يؤاخذ به ويحمل عليها كلامه بل القرينة الحالية
المعادة من قوله لا صلى الله على من صلى عليه وسبه لمن يصلي عليه اي على

النبي صلى الله عليه وسلم الان لاجل امر الاخر له بهذا اي بقوله صل على النبي عند
غضبه هذا معنى قول سحنون وهو اي قول سحنون مطابق لعلة صاحبيه البرقي
واصبغ النبي هي لانه انما شتم الناس وذهب الحارث بن مسكين وغيره في مثل هذا
اي قوله لا صلى الله على من صلى عليه الى القتل لشموله ظاهرا شتم كل من صلى عليه
في اي مكان وزمان من ملائكة وغيرهم وتوقف القابسي في قتل رجل قال كل
صاحب فندق اي خان قرنان لعله من تعود الناس الزناة الى الموسسات ولو
كان نبيا مرسلا قال لعنه الله ما اجرأ لسانه على الخنا فامر اي القابسي بشده
بالقيود والتضييق عليه حتى يستفهم البينة غاية لامر بشده اي يختبر
بما تكلم عن جملة الفاظه ليفهم منها مراده وما يدل منها على مقصده هل
اراد اصحاب الفنادق الان اي الموجودة في زمنه فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل
فيكون امره اخف مما قاله مجترئا من انه يريد عموم كل صاحب فندق قال اي
القابسي ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق تنزل المارة به
والغرباء من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء
والرسل صلوات الله وسلامه عليهم من اكتسب المال فلعل احدا منهم
بنى فندقا لله تعالى تنزله المارة قال اي القابسي ودم المسلم لا يقدم عليه
بحكم باراقته الا بامر بين يؤذن بالاقدام على اراقته كقذف الرافضة
فيهم الله عائشة رضي الله عنها فانه قد ض بتكذيب ما نزل ببراءتها من القرآن
في سورة النور وما ترد اليه التاويلات مما يمكن تاويله لا بد من امعان النظر
اي اطالته والتفكر فيه هذا معنى كلامه اي كلام القابسي لا لفظه وحكي عن
ابن ابي زيد ابي محمد القيرواني فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل
ولعن الله بني ادم نعوذ بالله من اللعن فضلا عن كثرته قال صلى الله عليه وسلم
اللعانون لا يكونون شفعاء يوم القيامة وذكر اي هذا اللعان انه لم يرد
بلعنه ذلك الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وانما اردت الظالمين منهم
ان عليه الادب هذا ما حكي عن ابن ابي زيد وقال بقدر اجتهاد السلطان
ظاهره وان ادى الى التلف وكذلك افتى اي ابن ابي زيد فيمن قال لعن الله
من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه ان عليه الادب بقدر اجتهاد
السلطان وافتى ابن ابي زيد ايضا فيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد
ولعن ما جاء به من النهي عن بيعه له فقال ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفة
السنن الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم فعليه الادب الوجيع اي
الموجع فالاسناد اليه عقلي لانه لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى
ولا سب رسوله عليه الصلاة والسلام وانما لعن من حرمه من الناس

هذا والذي حرمه ونهى عنه منهم هو من لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى عن ربه تبارك وتعالى وما افتى به فهو على نحو فتوى سحنون واصحابه في
المسألة المتقدمة فيمن قيل له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا صلى الله على من صلى
عليه ومثل هذا كثيرا اي احيانا كثيرة ما زيدت للتاكيد يجري في كلام سفهاء
الناس ومحاوراتهم من قول بعضهم لبعض جهلا وتحمقا يا ابن الف خنزير
وابن مائة كلب ويرتقون الى اعظم من ذلك مما يؤدي الى القذف كقول بعضهم
لبعض الاطفال يا ولد الزنا يا ابن الزنا لك وشبهه من هجر القول اي فاحشه
وقبيحه ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة من
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولعل هذا العدد المنصوص عليه هنا من
الالف والمائة منقطع الى آدم صلى الله عليه وسلم اي متصل به من انقطع
اليه ولم يركن الى غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ لو كان
بمعناه لعداه بعن فينبغي الزجر عنه اي عما ذكر من سفهاء الناس من قبيح قول
بعضهم لبعض وتبيين ما جهل قائله منه اي من كونه هجرا وفحشا وسوء
الادب فيه ولو علم بالبناء للمفعول انه اي الساب قصد سب من في ابائه احد من
الانبياء علما ومن الله للظالمين ... ... صلى الله عليه
وسلم لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم فيؤدب كما قال ابن ابي
زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن بني اسرائيل وقال اردت الظالمين منهم دون
الانبياء او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم اي من نسله وعقبه قولا
قبيحا في ابائه او قال قولا قبيحا في من نسله او ولده من نسل الولد بنسله صنفا
وكثيرا وقد يتسه د سينه وتلام ولده على علم منه حال من ضمير قال انه من ذرية
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن اي لم يوجد ثم قرينة في المسألتين اي مسألتي
قوله القبيح في ابائه او فيمن نسله او ولده تقتضي تخصيص بعض ابائه دون بعض
واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وحيث انتفت القرينة المؤذنة
باخراجه صلى الله عليه وسلم ممن سب منهم كان جزاؤه القتل ما لم يتب وقد اختلف
مشايخنا اي المالكية فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له اي قال للشاهد
للمشهود عليه تتهمني استفهام تعجبي او انكاري حذفت همزته فقال الآخر اي
المشهود عليه الانبياء يتهمون هذا هو مقول القول فكيف انت اي انت اولى بان
تتهم وكان شيخنا ابو اسحاق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ اي لقبحه
وشناعته وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل البشع اي
الخشن الكريه الطعم لانه لم يكن يذم طعاما قط وكان ابن منصور
يتوقف عن القتل ولا يقدم عليه لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا

صلى على محمد

عمن اتهمهم من الكفار فقد كذبوهم بما قالوا وافتى ابو الحاج هو غير ابن الحاج
صاحب المدخل بنحو هذا اي توقف ابن منصور وشدد القاضي ابو محمد منصور
اي بعقيدته وتوثقه من صفده اي قيده وفي الحديث اذا دخل شهر رمضان
صفدت الشياطين اي شدت واوثقت بالاغلال والصفد والصفاد
القيد واطال سجنه ثم استحلفه بعد من الغايات المنقطعة عما تضاف
اليه منويا اي بعد ان نقل به ذلك حلفه على تكذيب ما شهد به اذا اي
حين دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن اي ضعف يسقطها
عن الاعتبار ثم اطلقه وشاهدت شيخنا ابا عبد الله بن عيسى ايام قضائه اتي
برجل هاتر رجلا اسمه محمد اي قاوله وقابحه في القول من الهزل وهو الباطل
والسقط في الكلام وفي الحديث المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان
اي يتقاولان ويتقابحان في تقاولهما ثم قصد كلبا فضربه برجله وقال له قم
يا محمد فانكر ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف اي جماعة من الناس
فامر ان يمضي به الى السجن وتقصي تعرف وصار مهملة اي بالغ في التتبع
والبحث عن حاله وهل يصحب من يستراب اي يظن به الريبة وسوء العقيدة
فلما لم يجد اي شيخه ابن عيسى ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط
تعزيرا له بجراءته على فعل ما لا ينبغي واطلقه من السجن فصل الوجه الخامس
ان لا يقصد فيما يأتي به من مجمل كلامه نقصا ولا يذكر عيبا اي قبحا بمعيبه
صلى الله عليه وسلم افتراء عليه ولا سبا مهملة وبالموحدة اي شتما لكنه اي كلامه
الاتي به ينزع اي ينجذب ويميل بذكر بعض اوصافه صلى الله عليه وسلم الى ما
يصرفه عن ان يفهم منه نقص وسب او يستشهد في كلامه ذلك ببعض
احواله صلى الله عليه وسلم الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل اعتبارا
لشيء بغيره وتمثيله به لما فيه من بيان المعنى ورفع الحجاب عن العرض المطلوب
ونفي ما يوهم خلافه وعلى طريق الحجة لنفسه او لغيره ابهاما للتأسي به صلى الله
عليه وسلم او على طريق التشبه به صلى الله عليه وسلم بذكره ذلك الجائز عليه صلى
الله عليه وسلم في الدنيا او يذكره عند هضيمة اي نقيصة نالته اي حصلت
له صلى الله عليه وسلم او عند غضاضة لحقته وغشيته صلى الله عليه وسلم
وذلك كله ليس على طريق التأسي اي الاقتداء من هذا القائل شيئا من ذلك به صلى
الله عليه وسلم ولا على طريق التحقيق لوقوعه لا محالة بل على مقصد الترفيع
والتعظيم لنفسه او لغيره او على سبيل التمثيل لنفسه او لغيره صلى الله عليه
وسلم وعدم التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم او على قصد الهزل اي اللعب
والتنذير بقوله اي الاعلام كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي

صلى الله عليه وسلم هذا من قايله سوء ادب اذ الانبيا لا يذكرون الا بما
يليق بكريم مقامهم او ان كذبت بالبنا للمفعول وتا المتكلم فقد كذبت
الانبيا او ان اذنبت فقد اذنبوا وتا لله لم يذنبوا ولم يكذبوا لعصمتهم
وما صدر منهم مما ظاهره ذنب فانما هو كالمعاريض كقوله
خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فعله كبيرهم هذا اذ لم يرد به اسناد
الفعل الصادر عنه الى كبيرهم بل اراد به تقريره واثباته لنفسه على اسلوب
تعريضي تبكيتا لهم والزامهم الحجة وتنبيها على ان ما نحت من حجر وغيره
لا يقدر على كسر شي من كانت هذه حاله كيف يعبد فلما بكتهم والزمهم
الحجة رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون لا من ظلمتموه بقولكم
من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين او انا اسلم من السنة الناس اذ نسبوا
الى ما لم افعله ولم تسلم منهم انبيا الله ورسله فكيف اسلم انا منهم
او صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل على مناواة اقوامهم لهم او كصبر
ايوب صلى الله عليه وسلم على بلايه او قد صبر نبي الله صلى الله عليه وسلم
من عداه بكسر المهملة جمع عدو وحلم بكسر ثانيه من الحلم اي الاناة والتثبت
في الامور وهو من شعار العقلا اي تانى وصبر الى ان ظفره الله بهم فقتل
وعفى كيوم فتح مكة على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي اذ قام بحلة من
قرى بعلبك حذرا من العرب بين حمص وحماه وطلب من قصيدة لشدتها
ونظمها بحلة من بحر الخفيف من عروضه المخبونة وضربها الصحيح
ومن قافية المتواتر

• ما مقامي بارض نخلة الا • كمقام المسيح بين اليهود •
• انا في امة تداركها الله • غريب كصالح في ثمود •

اذ قد شبه نفسه في الاول المؤذن به مقامه بينهم بالمسيح بن مريم وهم
باليهود وبالثاني بصالح وثمود وهذا من زخرف القول وعجرفته
مبالغة في تشبيه نفسه بهما غرورا منه ولم يقصد به سبا ولا نقصا
لهما ولا استهزا ومثله اي مثل قول المتنبي من بحره وعروضه وضربها
وقافيته من اشعار المجرفين في القول المتجاوزين فيه الحد مبالغة وتغاليا
المتساهلين في الكلام كقول ابي العلا احمد بن سليمان المعري

• كنت موسى وافته بنت شعيب • غير ان ليس فيكما من فقير •

فانه شبه فيه ممدوحه بموسى صلى الله عليه وسلم معرضا بالاساة
على كليم الله جهلا منه برفيع شانه وشريف مكانه على ان اخر البيت
شديد بجرائه في الاساة عليه صلى الله عليه وسلم وداخل في باب

الازرا اي الاحتقار والانتقاص من زريت عليه زرايه اذا عبته والتعرض
بالنبي موسى صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره وهو ممدوحه معه
زوجته عليه اي على حال موسى صلى الله عليه وسلم وكذلك قوله اي قول ابي
العلا المعري من بحر الكامل من عروضه الصحيحة وضربها المقطوع في
المجنون البيت الاول وقافيته متواتر

• لولا انقطاع الوحي بعد محمد • قلنا محمد من ابيه بديل •
• هو مثله في الفضل الا انه • لم ياته برسالة جبريل •

هذا افراط في الجهل بفضل الانبيا على غيرهم صلوات الله وسلامه عليهم
لا سيما نبينا صلى الله عليه وسلم فانه افضل الخلق على الاطلاق ما كان
اغناه عن هذه الوصمة القبيحة والورطة الشنيعة فصدر البيت الثاني
لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم وهو ممدوحه في فضله بالنبي
صلى الله عليه وسلم جهلا منه وعدم مبالاة به والعجز محتمل لوجهين
احدهما ان هذه الفضيلة وهي كون جبريل لم ياتِ ممدوحه برسالة
نقصت تفاف مشدده الممدوح والوجه الاخر استغنا ومنها اي عدم
احتياج الممدوح الى رسالة مع جبريل وهذه اشد تنقصا له اذ ليس اهلا
لها ونحوه اي نحو قول ابي العلا قول الاخر من بحر الرمل من عروضه المحذوفة
وضربها الصحيح وقافيته متواتر

• واذا ما رفعت راياته • صفقت بين جناحي جبرين •

اي اضطربت برياح النصر بينهما وهذا اجرا على هذا الملك العظيم
وقول الاخر من اهل العصر اي زمن المصنف من بحر المنسوح من
عروضه المطوية وضربها المقطوع وقافيته متواتر

• فر من الخلد واستجار بنا • صبر الله قلب رضوان •

اي على فراقه اذ لم يجاوره فيها وهذه عجرفة كاذبة وكقول حسان
المصيصي بتخفيف من شعرا الاندلس بفتح الهمزة وسكون النون
وفتح الدال وضم اللام في محمد بن عباد المعروف المعتمد على الله ووزيره
ابي بكر بن زيدون من بحر الطويل من عروضه المقبوضة وضربها المماثل لها
وقافيته متداركه

• كان ابا بكر ابو بكر الرضي • وحسان حسان وانت محمد •

اي كان وزيرك ايها الممدوح ابا بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وشاعرك
حسان المصيصي حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وكانك
انت ايها الممدوح محمد النبي صلى الله عليه وسلم ونعوذ بالله من هذا التشبيه

المؤذن بتسويته المشبه به والمشبه لهم في الفضل كبيت ابي العلا المعري
هو مثله في الفضل فهو افراط في الجهل بفضل نبينا وابي بكر وحسان بن ثابت
الى امثال هذا الذي ذكرنا من المتجرئين وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا
حكايتها لتعريف امثالها علة لتكثير شاهدها ولتساهل كثير من الناس شعرا
وغيرهم في ولوج هذا الباب الضنك اي الضيق المظلم واستخفافهم هذا العبئ
بكسر المهملة واسكان البا نعد همزة اي ثقيل هذا الامر وقلة علمهم اي عدم
بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم الكثير منه مما ذكروه في اشعارهم بما ليس
لهم به علم ويحسبونه هينا اي صغيرا وجزع بعضهم عند موته فقيل له لم
جزعت فقال اخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم اي كبيرا
لاسيما اي لاسي الذين هم الشعرا المجازفون في اشعارهم واشدهم فيه تصريحا
اي اطلاقا وللسان فيه تسريحا اي اطلاقا ابن هاني الاندلسي وابو العلا احمد
بن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما اي ابن هاني والمعري الى حد
الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا فيما مضى عنه وغرضنا
الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فيه نظما ونثرا فان هذه اي الامثلة
كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبيا نقصا توذن بنقل قايلها
او تعزيره ولست اعني عجزي بيتي المعري فقط بل جميع ما ذكرناه من الامثلة ولا
قصد قايلها ازرا اي احتقارا وانتقاصا وغضا فهو وان لم يقصد شيا من ذلك
فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر اي ولا قوى ولا شد حرمة الاصطفا
ولا عزز حظوة الكرامة بضم المهملة وكسرها اي عزتها وعظمها حتى شبه من
الممدوحين من شبه ممن ذكر من الانبيا والملائكة وغيرهم في كرامة بجانب نالها
من ممدوح او معرة من عرة اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه اي مكروه ومشقة
قصد الانتفا والتبري منها او ضرب مثل لكشف المراد ورفع الحجاب وجعله
المتوهم كالمشاهد لتطييب مجلسه اي القايل ترغيبا في مجلسه او اغلاء اي
مغالاة ومبالغة في وصف لتحسين كلامه وترويجه عند الناس بمن عظم الله
خطره وشرف قدره من انبيايه واوليايه والزم كل احد توقيره وبر بطاعته
له انقيادا واذعانا وامتثالا لا واجبا ونهي عن جهر القول له بقوله تعالى ولا
تجهروا له بالقول ونهي عن رفع الصوت عنده بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي نبينا صلى الله عليه وسلم فحق هذا القايل
الذي لم يقصد بقوله نقصا ولم يذكر عيبا ولا سبا لكن كلامه بذل لبعض
اوصافه نزوع الى ما يصفه عن ان يفهم منه سبا او نقصا ان درى اي دفع عنه
القتل الادب والسجن بعد ضرب وجيع وتوبيخ فظيع وقوة تعزيره بحسب شنعة
مقاله بضم المعجمة اي قبح ومقتضى قبح ما نطق به وما لوف عادته لمثله اي لمثل
ما نطق به او ندوره ومقتضى قرينة كلامه حالية او مقالية او بحسب ندمه على
ما فرط وسبق منه ولم تزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وبقوله
وقد انكر امير المومنين هارون الرشيد على ابن نواس من ناس ينوس نوسا اي
تحرك وكان للعباس رضي الله عنه ظفيرتان على راسه ينوسان اي يتحركان وكل
ما تحرك حال كونه متدليا فقد ناس وفي حديث ام زرع واناس من حلي
اذني اي حلاهما اقرطه وشنوفا تنوس فيهما قوله المنكر من بحر الطويل من
عروضه المقبوضة وضربها المحذوف وقافيته متواتره
فان يك باقي سحر فرعون فيكم ۞ فان عصى موسى بكف خصيب
اي ان يكن في مملكتكم ارض مصر بقية من سحره فلا تعجبوا فمعه
وجود عصى موسى بكفه ميرها خصيب تلقف ما يافكون فوبخه بذلك وقال
له يا ابن اللخنا انت المستهزئ بعصى موسى صلى الله عليه وسلم حيث جعلتها بكف
خصيب واخرجه من عسكره من ليلته التي سمع منه ذلك فيها وذكر البلقيني
ان مما اخذ عليه اي على ابي نواس وكفر به او قارب ان يكفر به قوله من بحر البسيط
من عروضه المخبونه وضربها المقطوع وقافيته متواتر في محمد الامين بن هارون
الرشيد وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ۞ خلقا وخلقا كما قد الشراكان
قاتله الله ما اجراه على الكذب وتقوله الباطل وقد انكر عليه ايضا قوله من بحر
المديد المحذوف عروضه وضربه المخبونان وقافيته من المتراكب
كيف لا يدنيك من امل ۞ من رسول الله من نفره
اي من رهطه وعشيرته اسم جمع من الرجال خاصة ما بين الثلاثة الى العشرة
لا واحد له من لفظه لان من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وموجب
تعظيمه بكسر الجيم وجمعه موجبات ومنه اللهم اني اسالك موجبات
رحمتك كلا اله الا الله والمشي في الظلم الى المساجد وفي المطر والبرد اليها
اي ما يوجب ترغيبا في تعظيمه وانافة منزلته اي رفعتها ان تضاف وتنسب اليه
صلى الله عليه وسلم ولا يضاف هو صلى الله عليه وسلم وينسب الى احد فالحكم
في امثال هذا الذي اوردناه من كلام هولا المتجرئين وغيرهم ما بسطناه في
طريق الفتيا فيما تقرر من انه لا يقتضي عليه بحسب ما صدر منه على هذا المنهج
الذي سلكناه نجات فتيا امام مذهبنا مالك بن انس امام دار الهجرة النبوية
واصحابه حقيقة ومجازا ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه اي عن مالك في رجل
عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر استفهام انكاري حذفت همزته وقد رعى النبي صلى الله

عليه وسلم اي العتبي على قرابته لقريش فقال اي مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه مما لا يليق ذكره صلى الله عليه وسلم فيه ارى ان يؤدب لترعوي امثاله وترتدع عن مثل ذلك قال اي مالك ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عيروا او وبخوا او عوتبوا ان يقولوا قد اخطأ الانبيا قبلنا فيجتنبوا ذلك تكريما لهم وتعظيما وقال عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا لما اتسموا به من البراعة والبلاغة بخلاف من ابوه اعجمي لما اتصفوا به من اللكنة والفهاهة فقال كاتب من كتابه له اي لعمر بن عبد العزيز قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا هذا جفاء تجاهه اذ لا مناسبة بين عربية ابي الكاتب وكفر ابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي عمر بن عبد العزيز له جعلت هذا مثلا يعني قوله كان ابو النبي كافرا مثلا تكشف به وتبين عدم اشتراط كون ابي الكاتب عربيا فعزله لسوء ادبه في مقاله ولا يليق ان يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم بان اباه كان كافرا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب كقول من تعجب من شيء صلى الله على سيدنا محمد او اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الا على طريق الثواب والاحتساب بدون شائبة ريا وسمعة توقيرا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما مفعول لاجلها الصلاة والسلام عليه على تلك الطريق كما امرنا الله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح وجهه كانه وجه نكير احد فتاني القبر وقال لرجل عبوس او كالح قبيح المنظر جهم المحيا كانه وجه مالك الغضبان خازن النار فقال اي القابسي اي شيء اراد بهذا اي بقوله وجه نكير ووجه مالك ونكير ملكان فما الذي اراد أروع اي اخوف وفزع دخل عليه والريبة حين رآه من وجهه اي وجه المقول له ام عاف النظر اليه اي كرهه لدمامة خلقه قبح وجهه لا وكان بأسامة دمامة فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد احسن الله بنا اذ لم يكن جاريه فان كان هذا اي عدم النظر اليه فهو شديد في الاساءة والاستهانة لانه جرى مجرى التحقير والتهوين اي الاهانة او التهاون فهو خليق بان نناله اشد عقوبة تنكيلا وزجرا له ولغيره وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما السب واقع اولا بالقصد على المخاطب لا على الملك وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفها جمع سفيه من السفه وهو الخفة اي للممتهنين انفسهم لخفة عقولهم وسخافتها قال اي القابسي واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا من جفا القدر اذا رمت ما اجتمع في فمها من الزبد والوسخ اي رمى الذي ذكره وتفوه به من قوله كانه وجه مالك الغضبان عندما انكر من عبوس الاخر اي المقول له الا ان يكون المعبس عن له يد وسلطان ويرهب بعبوسه ويكلح وجهه فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا الذي له يد في فعله ولزومه

صفة مالك الملك خازن النار المطيع لربه في فعله اذ هو ممن قال فيهم عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فيقول كانه الله يغضب غضب مالك خازن النار فيكون قوله ذلك اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا التشبيه بقوله كانه وجه مالك الغضبان في هذا المقام ولو كان هذا القائل قد اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك خازن النار كان قوله ذلك اشد من ذلك الاخف ويعاقب عليه العقاب الشديد وليس في هذا اي فيما اثنى به على العبوس محتجا بصفة الملك خازن النار ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل حدا لا كفرا وقال ابو الحسن القابسي في شاب معروف بالخير والصلاح قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت زجرا له عما قال فانك امي اي على اصل ولادة امك وفي الحديث انا امة امية لا نكتب ولا نحسب اي على اصل ولادة امهم لم يتعلموا كتابة ولا حسابا على جبلتهم الاولى وعند الفقها هو من لا يحسن الفاتحة فقال الشاب اليس استفهام تقريري حمل على المخاطب على الاقرار بان كان النبي صلى الله عليه وسلم اميا فشنع بالبنا للمفعول مقاله اي قبح عليه وذم به وكفره الناس لاجل منهم باطلاقهم بكفره بما قال واشفق الشاب اي خاف على نفسه مما قال واظهر الندم عليه اي على ما صدر منه من سوء مقاله فقال ابو الحسن القابسي اما اطلاق القول بالكفر عليه فخطأ كانه لم يقصد به شيئا ولا نقصا له صلى الله عليه وسلم لكنه مخطئ في استشهاده مستظهرا او محتجا لكونه اميا بصفة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بين اميتهما اذ كون النبي صلى الله عليه وسلم اميا انما هو اية له وفضيلة فيه وكون هذا اي الشاب اميا انما هو نقيصة فيه وجهالة له برفيع محله صلى الله عليه وسلم ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم قياسا لوصفه بامية على وصفه بامية صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر الله تبارك وتعالى وتاب واعترف بانه مخطئ ولجأ اي اعتضد واستند الى الله فيترك لان قوله اليس كان النبي اميا لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه وموجبه الادب من اقوال المتجرئين في اقوالهم فطوع قلبه بالندم عليه يوجب الكف عنه بعدم التعرض له بسوء ونزلت ايضا مسالة استفتي فيها اي طلب الجواب عنها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور في رجل تنقصه رجل اخر بشيء من القول اخرجه فقال له انما تريد نقصي بقولك ذلك لي وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص فيرهقهم غضبا حتى النبي صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من جهل الجاهلين فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه ضربا شديدا اذ لم يقصد السب له صلى الله عليه وسلم بقوله ذلك وكان بعض فقها

الا انه ليس افتى بقتله اخذا له بظاهر قوله فصل الوجه السادس ان يقول ذلك
حاكيا عنه وآثرا بمثله ومعه اي راويا وناقلا له عن سواه فهذا اي الاثر
الناقل له ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته المؤذنة بغرضه
الباعث له على نقله ويختلف الحكم المقضي عليه به باختلاف ذلك من
صورة حكايته وقرينة مقالته على اربعة وجوه واحكام الوجوب والندب
والكراهة والتحريم بدل بعض من كل وهذا حديث اجمالي يرد عليك مفصلا
فان كان اي الاثر له وناقله اخبر به على وجه الشهادة اثباتا او نفيا والتعريف
بقائله حالا او صفة والانكار والاعلام بقوله ليعرف ما يترتب عليه
من قتل وتعزير وتوبيخ وتبكيت وتقبيح وعلى وجه التنفير منه والتجريح له
بما يطعن به فيه ويرد به قوله ليجتنب فهذا اولى الاخبار على وجه ما ذكر مما
ينبغي امتثاله اي الانقياد لديه والاقدام عليه ليعمل به ويحمد فاعله اي اثره
على وجه ما ذكر وكذلك ينبغي امتثاله ويحمد فاعله ان حكاه في كتاب او
في مجلس على طريق الرد والنقض لقوله اي الرفع والابطال على قائله والفتيا
بما يلزمه من قتل وتعزير وحبس وهذا اي ما حكي ردا ونقضا وفتيا وبحسب
حالات المحكي عنه فان كان القائل الحاكي لذلك الذي حكاه ممن تصدى لان
يؤخذ عنه العلم او يؤخذ عنه رواية الحديث النبوي او يقطع ويؤخذ بحكمه
او شهادته لعدالته او تعتمد فتياه في الحقوق لعلمه بما يليق وحقيقته عنده
وجب على سامعه اي سامع قوله حكما او فتيا الاشادة من اشاد ذا لبنا واشاد
به فهو مشاد وتشييدته اذا رفعته وطولته ثم استعير لرفع الصوت بما اريد
رفعه به اي الاشاعة بما سمع منه ورفع ذكره والتنفير للناس عنه تحذيرا منه
والشهادة عليه بما قاله ليجتنب ووجب على من بلغه ذلك الذي صدر عنه
انكاره وبيان كفره ان كفر بما صدر منه وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين
وقياما بحق سيد المرسلين من ردع منتقصه وزجر سابه بارهاق ذاته وانه ق
روحه قتلا او ضربا وجيعا وحبسا فظيعا وكذلك ان كان هذا القائل ممن يعظ
العامة اي يذكرهم بايام الله وينهاهم عن قربان ما منع الله منه وحرمه او يؤدب
الصبيان ويعلمهم القران وجب على سامعه منه اشادته وعلى من بلغه انكاره
وبيان كفره وفساد قوله فان من هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم
فيتاكد في هؤلاء الايجاب لانكاره وبيان كفر قائله باشادته واذاعته
في الناس لحق النبي صلى الله عليه وسلم ولحق شريعته بالذب عنها ما امكن فان
لم يكن القائل بهذه السبيل بان لم يكن ممن يؤخذ عنه العلم وروايته الحديث
فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب ذبا عن رفيع منزلته وكريم مقامه

وحماية عرضه متعين لا تفاوت فيه بحال ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق
على كل مؤمن اذ لا تفاوت في ان يقدر حق قدره قبل موته وبعده لكنه اي القيام
بحقه صلى الله عليه وسلم فرض كفاية اذا قام به من ظهر به الحق وفصلت بضم
الفاء وكسر المهملة مخففة القضية وبان الامر فلم يخف على احد شانه سقط
عن الباقين الفرض وبقي الاستحباب وهو احد الاقوال فيما اذا نسخ الوجوب
والحق انه يبقى الجواز اي عدم الحرج وقيل الاباحة وقيل الندب في تكثير الشهادة
على من صدر منه في حقه صلى الله عليه وسلم قول غير لائق وعضد مصدر عضد
اي نصر التحذير منه وقد اجمع السلف من ائمتنا حفاظ الحديث وغيرهم على
بيان المتهم في الحديث ليحذر من الاخذ عنه حتى ان يحيى بن معين ذا اي طالبا يقا
بالبيت يقول فلان كذاب فلان وضاع للحديث فلان لا تاخذوا عنه قيل فيه
ولابن معين في الرجال مقالة سيسال عنها والمليك شهيد
فكيف بمثل هذا من القيام في حقه صلى الله عليه وسلم فهو اولى بوجوب تكثير
الشهادة على من وقع في حقه صلى الله عليه وسلم وقد سئل ابو محمد بن ابي
زيد عن شاهد يسمع مثل هذا مما حكاه عن غيره ايسعه ان لا يؤدي شهادته
عند حاكم لا يعامل قائله بما يليق به مما تقتضيه قوله قال اي ابو زيد ان رجا اي السامع
وترجح عنده ان نفاذ الحكم يقع بشهادته وسمع فليشهد بما سمعه وعلى اي وجه
حكي وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به هذا السامع
عنده ويرى الاستتابة والادب فليشهد ويلزمه ذلك ذبا عنه
صلى الله عليه وسلم واقامة لحقه ونصرة له واما الاباحة لحكاية قوله الذي
اورد على سبيل السب والازراء لغير هذين المقصدين من الاخبار به على
وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار عليه والاعلام بقوله والتنفير
منه والتجريح له وعلى طريق الرد والنقض على قائله والفتيا بما يلزمه فلا
ارى لهذا اي لما يحكى من قوله على سبيل الاباحة مدخلا في الباب بل ترك
حكايته على وجه الاباحة فليس لاحد التفكه بعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بجانبه الكريم الذي يصونه من نفسه وحسبه وتحامى عنه ان ينتقص
ويثلب والتمضمض بسوء ذكره لاحد صونا لشريف عرضه عما لا يليق
به شبه تكرر ذكر عرضه بتفكه اكل فاكهة ثم تمضمض متمضمض مرة بعد
اخرى بما استعان تحقيقه ثم قرنه بما يلائم المشبه اعني قوله لبسوء
ذكره لاحد لا ذاكرا له لفظا ولا اثرا له رواية عن احد لغرض شرعي بمباح
خبر ليس وكثيرا ما تدخل الباء فيه زائدة لتاكيد النفي واما ذكره به للاغراض
المتقدمة كالشهادة والانكار على قائله والرد عليه والنقض لقوله

ثم تردد كما قد علمت بين الإيجاب والاستحباب وقد حكى الله مقالات
المفترين منا لا فترا أعني الكذب والاختلاق عليه تبارك وتعالى وعلى رسله
صلوات الله وسلامه عليهم في كتابه القرآن الكريم في مواطن كثيرة على وجه
الإنكار لقولهم المفترى المختلق وعلى وجه التحذير من ضلالهم وعلى وجه الوعيد
عليه لهم وعلى وجه الرد عليهم بما تلاه سبحانه علينا في محكم كتابه الكريم المحكم نظمًا
رصينا لا يعتريه تبديل وتحريف ولا اختلال كالنبأ المحكم وكذلك وقع من أمثاله أي
أمثال ما تلى علينا في محكم كتابه العزيز في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة
بنقل الثقة الضابط عن مثله عنه صلى الله عليه وسلم ثم انتهى إلينا على الوجوه
المتقدمة من الإنكار والتحذير والوعيد وغيرها أو من الوجوب والندب
والكراهة والتحريم وأجمع السلف من أئمة الأعلام من الصحابة ومن بعدهم والخلف
لهم المتأخرون عنهم من أئمة الهدى على ذكر حكايات مقالات الكفرة والملحدين
الزائغين عن منهج الحق في كتبهم أي كتب أئمة الهدى وفي مجالسهم ليبينوها للناس
وينقضوا شبهها أي يرفعوا ويزيلوا ما اشتبه عليهم ويريهم أنه حق لزعمهم فيما
ركبوا فيها ما لا يجوز مما ينكر عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض
هذا الذي حكاه أئمة الهدى من مقالات الكفرة وغيرهم على الحارث بن أسد ه
المحاسبي بما حكاه في الرعاية فقد صنع أحمد بن محمد بن حنبل مثله أي مثل الحارث
في دعايته في رده على الجهمية أصحاب جهم بن صفوان من المبتدعة وفي رده على
القائلين بأن القرآن مخلوق من المعتزلة هذه الوجوه من رده على من ذكر من أهل
البدع السابقة بمهملة وسين أي الجائز الحكاية لمقالات الكفرة فأما ذكرها على
غير هذا من حكاية سبه والإزراء بمنصبه أي الرفيع ورتبته العلية منزلة على وجه
الحكايات والأسمار من السمر بفتح ميم وهو التحدث ليلا وأصله لون القمر لأنهم
كانوا يتحدثون فيه والطرف أي ذرب اللسان وطلاقته بذلك صلى الله عليه وسلم
وطرف الإنسان لسانه وذلك وعن قبيصة بن جابر ما رأيت أقطع طرفا من عمرو بن العاص
أي أمضى لسانا منه وأحاديث الناس ومقالاتهم في الغث بمعجمة مفتوحة ومثلثة
أي الهزيل من غث في حديثه إذا أفسد قال ابن عباس لابنه علي إلحق بابن عمك يعني عبد
الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك والسمين ومضاحك المجان بتشديد
الجيم جمع ماجن في اللهو والسخرية ونوادر السخفاء جمع سخيف من السخف بضم المهملة
فسكون المعجمة أي رقة العقل وضعفه والخوض في قيل وقال مما يتحدث به المتجالسون
من قولهم قيل كذا وكذا مبنيا على كونهما فعلين ماضيين متضمنا الضمير وإعرابا على إجرائهما مجرى
الأسماء خاليين منه وإدخال اللام عليهما وما لا يعني الخائض فيه شيئا ولا يجديه نفعا
فكل هذا المحكي من سبه صلى الله عليه وسلم والإزراء بمنصبه الشريف لا يسوغ الخوض

في شيء منه وبعضه أشد في المنع والعقوبة للصادر منه ذلك قولا أو
ضربا وجيعا أو حبسا أو بهما من بعض فما كان من قائله الحاكي به على غير
قصد به شيئا أو على غير معرفة منه بمقدار ما حكاه شدة وأسديته
أو لم يكن ما كان من قائله الحاكي له عادته ودأبه وديدنه أو لم يكن الكلام
المحكي من البشاعة حيث هو بشيع أي كريه فظيع ولم يظهر على حاكيه
استحسانه بجعله حسنا عنده واستصوابه بجعله صوابا عنده فلم
يظهر منه اعتقاد كونه حسنا ولا صوابا زجر عن ذلك أي عما كان منه مما ذكر
وهذا جواب ما تضمنه ما من الشرط ونهي عن العود إليه صونا لمنصبه
الشريف عن حكاية ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم وإن قوم ناقله على
سبيل الحكاية ببعض الأدب فهو مستوجب له خليق به وإن كان لفظه
أي لفظ الحاكي أو المحكي حيث هو أي بلغ غايته كان الأدب له أشد ممن
لم يكن محكيه حيث هو وقد حكي أن رجلا سأل مالكا إمام دار الهجرة عن
من يقول القرآن مخلوق فقال أي مالك قائله كافر فاقتلوه فقال أي سائله
إنما حكيته عن غيري لا أني أنا الذي أقوله فقال له مالك إنما سمعناه منك
وهذا أي أمر مالك بقتل السائل بمجرد دعواه أنه القائل بمخلوقيته بدون
ثبوت اعتقاده مخلوقيته عجيب لأنه ممن يقول لا نكفر أحدا من أهل القبلة
قال المصنف وهذا من مالك على طريق الزجر أي الردع للكف عن السؤال
عنه وهو أيضا عجيب بل أعجب لأن القتل زجرا عن السؤال عنه لم يقل به أحد
والتغليظ للزجر بدليل أنه أي مالكا لم ينفذ قتله ولم يبالغ في الأمر
بقتله وهذا العذر عنه بعيد يرده تكفير مالك له وأمره إنما كان بتكفيره أي
وإن اتهم هذا فيما حكاه سبا وإزراء بمنصبه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك أنه
اختلقه أي افتراه معتقدا له ونسبه إلى غيره أو كان ذلك لحكايته على
تلك الوجوه أو كان مولعا أي مكثرا بمثله والاستخفاف إلى سرعة التوجه
له أو التحفظ لمثله في المبادرة لتحصيله وطلبه حرصا عليه وكذا إن اتهم
هذا الحاكي فيما حكاه من رواية أشعار هجوه صلى الله عليه وسلم فحكم
هذا الحاكي فيما حكاه على ما مر حكم الساب نفسه لا حكم كونه حاكيا
فإذن يؤاخذ بقوله ذلك وإن أورد على طريق الحكاية لتهمته فيما ذكر
ولا ينفعه نسبته إلى ما اتهم فيه إلى غيره فبادر بقتله ويعجل به
سريعا إلى الهاوية أمه من قولهم إذا دعوا على أحد بهلكة هوت أمه
فإذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا وقد قال
أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت من الشعر صدرا

أي سؤاله ذلك عن غيره
عادة له يحدثها دينا
أو ظهر منه لأحد
استحسانه لذلك

اوعجزا مما يحكى به النبي صلى الله عليه وسلم فهو اي حفظه المفاد من الفعل
كفر يستتاب حافظه فان تاب والا قتل وقد ذكر بعض من الف في الاجماع
اي اجماع مجتهدي امته صلى الله عليه وسلم اجماع المسلمين على تحريم رواية
ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم من شعر وغيره وعن غيره وكتابته وقراءته
وتركه متى وجد دون محو ورحم الله اسلافنا المتقين حفظ شيء منه
اورواته المتحرزين عن ذلك صونا لدينهم عن حكاية شيء منه الا اشيا يسيرة
ذكروها غير مستبشعه ولا مستنقيم على نحو الوجوه الاول من وجوب وندب
وكراهة وتحريم ليروا من يفعل يعتبر نقمة الله من قائليه كيف تحل بساحته
وليروا اخذه تبارك وتعالى المفتري عليه صلى الله عليه وسلم بذنبه الذي
افتراه واجترابه عليه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى اي اجتهد
وبذل وسعه فيما اضطر الى الاستشهاد به في اثبات المسائل من اهاجي اشعار والجامع
العرب في كتبه فكنى من كنيت وكنيت عنه اذا وريت عنه بغيره عن اسم المهجو
ولم يصرح به تفاديا عن ذكره به واستبرا لدينه وتحفظا وصيانة وحماية
لنفسه من المشاركة في ذم احد ممن هجي منهم بروايته او نشره واذا عنه
فكيف بما يتطرق اي يتوصل به الحاكي له الى عرض سيد البشر صلى الله عليه
وسلم فهو احق واحرى ان لا يذكر بشيء هنا سبيله صونا لكريم ساحته الشريف

فصل الوجه السابع ان يذكر ما يجوز عليه مما لا يشينه صلى الله عليه وسلم
ذكره ولا يعيبه ايراده ويختلف في جوازه عليه كاعمال الخطئه او الخطنين وان
يذكر ما يطرا عليه صلى الله عليه وسلم من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه
على وجه يليق برفيع منزلته عند ربه او يذكر ما امتحن اي اختبر صلى الله
عليه وسلم به تعظيما لاجره ورفعه في درجاته وصبر في ذات الله اي في
طاعته وانقياده لما يريده به على شدة من مقاساة اعدائه وعلى ما
حملوه من اذايتهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته الحسنة المرضية وما لقيه
من بؤس زمنه من شدائد موحشة والاضافة الى الزمن لكونه ظرفه وما
مر عليه من معاناة عيشته وضيقه وصبره على اللاوابه كل ذلك اي ما يجوز
عليه او اختلف في جوازه عليه او ما يطرا عليه من الامور البشرية وغير ذلك
ان يذكر على طريقة الرواية ومذاكرة العلم ليوتسى بهم في اقوالهم وافعالهم
ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبيا لانهم يخبرون عن الله وبما ارسلوا
به وبما اطلعوا عليه من الغيب فشرطت فيهم حذرا من آفاتهم فيما اخبروا به
تكذيبهم فيه وهم مبرؤون من ذلك وذكر ما يجوز عليهم مما لا يزري بهم
ذكره فهذا اي ما ذكر هنا فن جمعه فنون جمعه افانين اي نوع خارج عن

هذه الفنون الستة المذكورة في الفصول الستة السابقة اذ ليس فيه اي في
هذا الفن غمص بمعجمة ومهملة بينهما ميم ساكنة اي عيب واحتقار ولا
نقص ولا ازرا ولا استخفاف اي استهانة واستهانه لا في ظاهر اللفظ
ولا في مقصد اللافظ لفقد احتمال غير ما يقصده اللفظ من معناه
لكن يجب ان يكون الكلام فيه اي فيما ذكرناه في هذا الفصل مع اولي العلم
وفهماء طلبة الدين جمع فهيم اسم فاعل مبالغة من الفهم ممن يفهم مقاصده صح
ويحقق فوائده ليكون على بصيرة في تعظيمهم وتعدد كلا منهم حق قدره
ويجنب بنايه للمفعول اي يباعد ويصان ذلك اي ما ذكر هنا عن من
عساه لا يفقه اي لا يفهم او يخشى بالبنا للمفعول به اي بما اورده هنا اذا
ذكر له فتنته فيقع فيما لا يرضى فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة
يوسف عليه وعلى ابائه وجميع الانبيا الصلاة والسلام فيما انطوت عليه
من تلك القصص مما يهيجهن تذكرها وعشقا من شغفا للتي كان في
بيتها به ومراودتها له ودهشتها للنسوة عند رؤيته وغفلتهن عما
بايديهن من المتكا حتى قطعتها لسكاكين كانت معهن لوفور حسنه
ونور وجهه ورشاقة قده وبا هذه شانه لضعف معرفتهن ونقص
عقولهن وادراكهن اي نقص وصول افهامهن الى المدركات فلا
يكدن يفهمن ما ينفعهن لشهادة حديث ما رايت من ناقصات
عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقد قال صلى الله
عليه وسلم مخبرا عن نفسه بما يجوز عليه وعلى الانبيا باستيجاره لر
عاية الغنم في ابتدا حاله فذكر صلى الله عليه وسلم لمستند اللفظ كنت ارعى الغنم على
قراريط لاهل مكة كما رواه الشيخان عن جابر ورواه البخاري عن ابي هريرة
ما من نبي الا وقد رعى الغنم رياضة من الله لهم على السكينة والتواضع
وخفض الجناح وتدريبا للسياسة في ابتدا احوالهم ليعرفوا كيف يسوسون
اممهم واخبرنا الله بذلك اي بالاستيجار لرعي الغنم عن موسى صلى الله عليه
وسلم بقوله تبارك وتعالى حكاية عن شعيب اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين
على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك
قال نبينا صلى الله عليه وسلم فقضى موسى اقصى الاجلين اي العشر وهذا
اي ذكر الاستيجار لرعي الغنم لا غضاضة من غض طرفه اي كسره واطرق
ولم يرفع عينه اي لا خفض ولا نقص ولا غمص فيه جملة واحدة لمن ذكره على
وجهه بدون غضاضة بخلاف من قصد به اي بالاخبار عنهم انهم رعوها
الغضاضة والتحقير فانه يقضي عليه بما يستحقه بل كانت اي رعاية الغنم

عادة جميع العرب وهنا سؤال على طريق الاستئناف البياني ومن ثمّ فصله عن الجواب كأنه قيل أنرعى الانبيا فأجاب فقال نعم للانبيا في ذلك حكمة بالغة لغاية الصواب ومن الله اليهم تكريما لهم ولطفا بهم وتدريج من الله تعالى لهم إلى بلوغ كرامته اليهم وتدريب أي تدريج وتعويد برعيها لسياسة امتهم بما أي مع ما سبق لهم من الكرامة بالنبوة والرسالة في الازل ومتقدم العلم وكذلك أي ومثل اخبار صلى الله عليه وسلم عن نفسه باستيجار لرعي الغنم في مبتدا خبره قد ذكر الله يتمه لموت ابيه جنينا فقد اتت عليه ستة اشهر وموت امه ابن ثمان سنين فكفله جده عبد المطلب ثم عمه ابو طالب اذ كان شقيق ابيه فأحسن تربيته قال تعالى الم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى على طريق المنة بتعداد النعم احسانا وانعاما وفضلا عليه وعلى طريق التعريف بكرامته له بها ابواه وهدايته واغناه فذكر الذاكر لها أي بكرامته بما ذكر من وجدانه يتيما فآواه وضالا فاهتداه وعائلا فاغناه على وجه تعريف حاله التي كان عليها اولا امره وعلى وجه الخبر عن مبتداه وعلى وجه التعجب من منح الله جمع منحة او مصدر مضاف الى فاعله أي اعطايه او عطيته قبله بكاف مكسورة فباء موحدة مفتوحة أي غلبه وعنده وعظيم منته من اضافة الصفة الى موصوفها تجرد قطيعة لكنها لما قدمت عليه انخلعت من النعتية وصارت كالشيء جامد غير صفة ثم اضيفت اليه للبيان اضافة الشيء الى جنسه الذي تخصص هو به ليس فيه أي في ذكر ما ذكر على تلك الوجوه غضاضة بغض منها اهانة له واحتقارا بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته الرسالة الى من ارسل اليهم اذ قد اظهره الله صناديد على قريش جمع صنديد أي كل عظيم غالب من عظمايهم اشرافا ورؤسا وارومة وعلى من ناواه من اشرافهم سنا فتيا أي اظهاره بعد اظهار حتى ملكه تماما لتلطف بهم تعني يوم فتح مكة عنهم ومن عليهم ووصل رحمه منهم وآمنهم خصوصا وعموما وجعل لابي سفيان ما ميزه به عنهم فقال من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل داره واغلق بابه فهو آمن وقال لهم ما كنتم تقولون في اني فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقا ونمى امره أي نافذ وذايع وارتفع وشاع حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم كناية عن حيازة مما لكهم وملك امرها وحفظها وتدبيرها فهو مالك مقاليدها واستباحة ممالك

كثير من الامم غيرهم أي غير صناديد قريش وغيرهم ممن ناواه باظهاره الله له عليهم وتاييده بنصره وتقويته وتعزيزه له وبالمؤمنين والف بين قلوبهم باتحاد التوافق والتحابب بينهم والتوادد واماطة التباغض والتحاسد وتكليفهم الحب فيه والبغض فيه مما لا يقدر عليه الا الله للقلوب ومقلبها كيف شا بعدما كانوا له ما ليسوا عليه من الحمية والانطوا على العصبية والعصبة لا يكاد يتألف منهم قلبان فصاروا انصارا لله ولرسوله اعوانا صبارا وامداده يوم بدر بالملائكة المسومين بكسر الواو ابن كثير وابو عمرو وعاصم أي معلمين انفسهم او خيلهم قيل بصوف ابيض في نواصيها واذنابها وفتحها غيرهم أي معلمين قيل بعمايم صفر قد ارخوها على اكتافهم وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلوا فيه كذلك ولو كان أي النبي صلى الله عليه وسلم ابن ملك او ذا اشياع جمع شيعة وهي في الاصل فرقة من الناس تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث بلفظ واحد ثم غلب على كل من شايع عليا واهل بيته وتولاهم حتى صار اسما خاصا بهم أي ذا اولياء وانصار يتولونه وينا صرونه منقذ مبين عليه في الزمان لحسب جواب لو أي لظن كثير من الجهال ان ذلك أي كونه ذا اشياع تقديرا موجب ظهوره ودعوى الناس الى اتباعه ومقتضى علوه شانا وحالا وهذا أي ولحسبانه كثير من الجهال على تقدير كونه ابن ملك او ذا اشياع موجب ظهوره ومقتضى علوه قال هرقل بكسر اوله وفتح ثانيه واسكان ثالثه ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه عظيم الروم حين سال ابا سفين بن حرب عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري هل كان في ابايه من ملك فقال ابو سفين لا ثم قال أي هرقل ولو كان في ابايه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه انه اليتيم بضم اوله واصله الانفراد ثم استعمل في فقد الاب قبل بلوغ فلا يقال يتم الصبي بالكسر ييتم فهو يتيم والانثى يتيمة وجمعها ايتام ويتامى فاذا بلغ زال عنه اسم اليتيم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل ولغيار الامم السالفة أي الماضية ولذا وقع ذكره صلى الله عليه وسلم بصفة اليتيم في كتاب ارميا كانه من انبيا بني اسرايل صلى الله عليه وسلم وبهذا أي باليتيم ذكره سيف بن ذي يزن ملك اليمن لعبد المطلب جده بقوله يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وكذا ذكره بحيرى بفتح اوله وسكون ثانيه وبرابعه الف تانيثا الراهب لابي طالب عمه كما مر له مزيد بيان ولذلك اذا وصف بانه امي فان دلالته على نبوته وصحة دعوته انه مرسل الى الناس كافة كما وصفه الله به أي بانه امي بقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي أي

با بليام

بانه علي اصل ولادته لم يتعلم كتابة بل من خصائصه انه كان يحرم عليه التوصل الى معرفتها والى معرفة الشعر فهي اي صفته بانه صلى الله عليه وسلم امي معجزة له صلى الله عليه وسلم وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزة اذ كان لا يقرا ولا يكتب ومعجزته من القران انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم التي لا يتوصل اليهما فاتيانه صلى الله عليه وسلم مع ما فتح وفضل به من ذلك اي من المعارف والعلوم بدون معرفة طريقها من ابهر المعجزات ووجود ذلك من رجل لم يقرا الخط ولم يكتب الخط ولم يدارس اي يقارئ احدا ممن يقرأ ولا لقن اي لم يلق اليه شيء من ذلك هو مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر عن التحلي بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وليس في ذلك اي في كونه صلى الله عليه وسلم اميا لا يقرا ولا يكتب نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة اولا بالذات دون الكتابة وانما هي آلة لها اي للمعرفة وواسطة موصلة اليها بطريق العرض فهي غير مرادة في نفسها ذاتا بل عرضا فاذا حصلت الثمرة التي هي المعارف والعلوم وحصل المطلوب اولا وبالذات استغني عن الواسطة التي هي القراءة والكتابة في غيره اي النبي صلى الله عليه وسلم نقيصة مزرية به لانها سبيل الجهالة وعنوان الغباوة نظرا اوله ويجوز كسر اي علامة قلة الفطنة وفي الحديث قلة الفقه خير من كثير العبادة فسبحان من باين امره اي النبي صلى الله عليه وسلم من امر غيره اي جعله مباينا له وجعل شرفه فيما فيه محطة من سواه عن رفيع درجاته شرفا ورتبة وجعل حياته فيما فيه هلاك من عداه من عداه وغيره بهذا وكذلك شاهد صدق بان حياته فيما فيه هلاك غيره ممن عداه شق قلبه واخراج حشوته التي كانت فيه اعني العلقة السوداء كما رواه البخاري في اخراجها كان تمام حياته وكان غاية قوة نفسه وغاية ثبات روعه بضم اوله اي نفسه وجلده وهو اي شق قلبه واخراج حشوته فيمن سواه منتهى اسباب هلاكه وحتم موته وفنائه او بمجرد سعة ازالة في روحه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره المؤذنة بان حاله مباين لحال غيره ومما يتعلق بذلك تقلله من الدنيا في جميع احواله يقظة ونوما سرورا وغيره عبادة وتبليغا ومن الملبس من عطف ما تناوله ما قبله عليه والمطعم والمركب وتواضعه بوقار ولين جانب وخفض جناح ومهنة نفسه بفتح الميم من مهنت القوم امهنهم وامتهنتهم اذا ابتذلتهم في الخدمة وقد تكسر قال الزمخشري وهو الاثبات خطا قال الاصمعي هي بفتح الميم الخدمة ولا تكسر وكان العباس

لو قيل بجلسه وخدمه الا انه جاء على نفله واحد اي بذله نفسه في اموره وخدمته زهدا في الدنيا اي تركا لها الا ما لا بد منه وسيل الزهري عن الزهد فيها فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره اي لا يقصر شكره على ما رزقه الله من الحلال ولا صبره على ترك الحرام ورغبة منه صلى الله عليه وسلم عن الدنيا لانها لعدم جدواها مع ان الحرص عليها والرغبة فيها شوم وتسوية بين حقيرها وخطيرها اي عظيمها مما له قدر ومرتبة بسرعة فنا امورها مما لا بقا له في نمو وزيادة وتقلب احوالها فلا يدوم على حال يكون به كما تلون في اتوابها الغول كل هذا المتلو عليك من فضايله التي لا تحصى لكثرة من المزايا الغير الاختيارية ومن ما ثره جمع ماثرة بالضم من شريف مفاخره وجموم مكارمه ما يروى عنه ويوثر ومن ماثره شرفه مما يعد من مفاخره وعنه صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فمن اورد منها شيئا مورده سفعل من ورود الماء برده وورودا اذا احضره ومنه قوله تعالى وان منكم الا واردها اي ثمن اتى بشي منه في موضعه وقصد به مقصده مما يليق بعظيم قدره ورفيع منزلته صلى الله عليه وسلم كان حسنا يمدح به ويحمد عليه ومن اورده على غير وجهه له او تنقص به وعلم به اي مما اورده على غير وجهه سوء قصده لحق مما تعامل به تنكيلا له زجرا مما اوردناه بالفصول السنة التي قدمناها وكذلك اي ومثل ما ورد على غير وجهه ما ورد من اخباره اي النبي صلى الله عليه وسلم واخبار سائر الانبيا اي باقيهم عليهم الصلاة والسلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال كحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وليست كذبات حقيقة بل هي كما قدمناه مرارا معاريض يكيت بها قومه ونحوهم تقتضي اي الاشكال امورا لا تليق بهم بحال من الاحوال وتحتاج الى تاويل يصرفها عن المفهوم من ظاهرها وتردد احتمال الى اللطف بما يليق بكريم قدرهم العظيم فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح استثنا مفرغ من اعم الاشيا اي فظاهره وجوب التحدث به مع ان لا وجه لتركه ما لم تدع ضرورة اليه بل اطلاق الجواز اي عدم الحرج فضلا عن ان يكون مندوبا او واجبا ولا يروى منها الا المعلوم الثابت المكرر بيانه مما لا اشكال فيه ورحم الله مالكا الامام فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم الموهمة للتشبيه المشكلة المعنى كحديث البخاري وغيره ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول هل من داع فيستجيب له هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفر له

المعنى

مما لا يصح ... اي الاحتمال

له وقد سئلت عنه فاجبت بانه وارد على منهج التمثيل لعادته تعالى في عباده
معتنيا بهم مراعيا احوالهم من اجابة داع واعطا سايل وغفران لمستغفر
بعادة ملك كلما نزل بمحاذي ضعفا فقرا عطف عليهم قلبي داعيهم ۰
واعطى سايلهم وعفى عن مسيئهم تمثيلا ينزهه تعالى عن الحركة والنزول
بشهادة ما اعترض بين الفعل وظرفه من جملتي تبارك وتعالى تنزها ۰
له عن الانتقال من علو الى سفل بل هو انتقال من مقتضى الجلال اي
العظمة من القهر والغلبة وعدم المبالات الى مقتضى الجمال اي الرحمة ۰
من القبول والاحسان والغفران وهذا من التمثيل الذي يرفع المجاز ۰
الى ذروة البلاغة بان تساق كلمة مساق المجاز ثم تتغنى باخوات لها اذا ۰
تلاحقن لم تر احسن ديباجة وابهج رونقا منه وهو المجاز المرشح فانه
لما شبه عادته تعالى في تفضلاته على عباده بعادة الملك في عطفه على
رعيته استعير له الوصف بالنزول ثم تغنى بذكر التحريض على الدعاء ۰
والسوال والاستغفار وما يتحقق ما يترتب عليه من الفضل اجابة
وعطا وغفرانا وقد اي مالك ما اي اي شي يدعوا الناس الى التحدث
بمثل هذا الموهم للتشبيه المشكل المعنى فقيل له اي لمالك ان ابن عجلان
يحدث بها اي ما ورد منها عنه صلى الله عليه وسلم كحديث خلق الله ادم
على صورته وحديث ينزل ربنا تبارك وتعالى الى سما الدنيا كل ليلة وحديث
اذا كان احدكم يصلي فلا يبصقن قبل وجهه فان الله بينه وبين القبلة ۰
امتثالا لحديث نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها فرب
سامع اوعى لها من سامع فقال اي مالك لم يكن اي ابن عجلان من الفقها ۰
مع انه كان شيخا ومن اعلام التابعين بالمدينة روى عن ابيه وانس بن مالك ۰
وغيرهما وروى عنه امير المومنين في الحديث شعبة ابن الجراح ويحيى
بن سعيد القطان وغيرهما وليت الناس من علما الامصار وافقوه اي
وافقوا مالكا على ترك التحدث بها وليتهم ساعدوه على طيها ذكرا وروايه
فكثيرا ليس تحته عمل دعوى بلا بينة ومن ثم لم يوافقه احد على كراهة ۰
التحدث بها اذ لم يقلها صلى الله عليه وسلم لاصحابه عبثا ولا اخبر بها عن ربه ۰
لتترك سدا ولا اوردها من قبل نفسه صلى الله عليه وسلم وما هي الا وحي
يوحى كمتشابه القران لتوثر عنه لمن هو اوعى لها من سامعها منه مع انه ۰
لا فرق بين متشابه الوحيين في الروي والتبليغ اذ كل منهما وحي من الله فيلزم
من كراهة التحدث بها كراهة تعليم الناس متشابه القران وترك تلاوته
مع امره صلى الله عليه وسلم بالتبليغ عنه بشهادة حديث بلغوا عني ولو اية ۰

كذلك ابتلا للراسخين في العلم ليفوزوا باتعاب نظرهم وقدح فكرهم بالحق الذي
يجب ان يحمل عليه من بيان معانيه وردها الى المحكم لينالوا ثواب توقيفهم مع جزيل
المثوبات ورفيع الدرجات ولو وردت محكمين لتعلقوا به لسهولة ماخذه واعرضوا
عما يحتاج اليه من الاستنباط من النظر والاستدلال فنسد باب التاويل (في الاستنباط و)
ولم تظهر مطابقة المتشابه للمحكم به فلم يجريا على سنن واحد مع انهما متوافقان
جاريان به عليه وقد حكي عن جماعة من السلف بل عن بعضهم اي عن السلف على الجملة
من حيث مجموعهم لا عن جميعهم انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل
يوخذ منه حكم شرعي ليس هذا من ذلك وقد تلى عليك ما ان تاملته اودرك
نتيجة الفصل بينهما والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم هو في الاصل
مصدر قام فوصف به ثم غلب على الرجال دون النسا ومن ثم قوبل به
في حديث ان انساني الشيطان شيا في صلاتي فليسبح القوم ولتصفق النسا
سموا به لانهم قوامون عليهن بما لم يقمن به عرب يفهمون كلام العرب على
وجهه بدون صرفه عن ظاهره الا لموجب يدعوا اليه وتصرفاتهم في حقيقته
باستعمال لفظها فيه ومجازه باستعماله في غيره عقليا ولغويا ومرسلا ۰ ۰
واستعارته بحقيقته ان ذكر المشبه به مرشحة ومجردة ومطلقة مكنية ان
سكت عنه وكني عنه بشي من لوازمه ليثبت للمشبه به من جنسه اصلية (ليخيل و)
ان وقعت في مصدر وتبعها اخرى تسمى تبعية اما باستعارة حرف كما في
ولاصلبنكم في جذوع النخل او فعل كما في ولما سكت عن موسى الغضب او اسم
فاعل كما في الحال ناطقة بكذا او اسم تفضيل كانطق في ۰ ۰ ۰ ۰ ۰ ۰
ولئن نطقت بشكر برك مفصحا ۰ فلسان حالي بالشكاية انطق ۰ ۰
وبلغه عما يطابق مقتضى الحال مع فصاحة كلمات وتركيبا وايجازه الجامع لقلة
لفظه ولثرة معانيه ولم تكن في عصرهم اي لم توجد وتنسب اليهم مشكلة
لمعرفتهم باساليب كلامهم وافانينه ثم جا وطرا عليهم من غلبت عليه العجمة
وداخلته الامية فهو على جبلته الاولى من ولادة امه له لم يتعلم اساليب كلامهم
فلا يكاد يفهم من مقاصدها اي مقاصد العرب التي اودعها في كلامها
باحسن اسلوب واوجز تركيب الا نصها وصريحها دون دقايقها ورموزها
ولا يحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ايثارا له على الاطناب بحسب مقامات
الكلام ولا الى غرض وحيها وحي الملاحم خيفة الرقبا ولا الى غرض تبليغها وتلويحها
بكلمات خطابية او بهم ايرادها اختلاف معانيها مع تقاربها بل تماثلها فوقعوا (فوا)
اي من غلبت عليه العجمة في تاويلها اي تاويل الاحاديث الموهم للتشبيه المشكلة
المعنى شذر مذر نعتج اوهما ولتسرع فيمنحجبن اسمان جعلا اسما واحدا اي

ذهبوا في كل وجهة وعن عائشة ان عمر شرد الشرك تشريدا اي فرق اهله وبددهم في كل وجه تشريدا بدل من الما لانه من التشديد وهو اتباع وهذا كله مجرد دعوى ونصرة لمذهبه اذ لا عاضد له من الكتاب والسنة بل قد وردت السنة بتبليغ حديثه عموما لتشهد به لغواعي فرب مبلغ اوعى من سامع وكانت العرب العتبة واجرته في محاوراتها تصوصا دين له الى معنى لايق ومن ثم صاغ صلى الله عليه وسلم لهم من ابريز ما لغوه من كلامهم مما لا يفهموا الا بارادة بعبارة منه وعاتحتاج الى معناه وفخامته تعرجا بعدهم من تتبع تراكيبهم وخواص معانيها فكشفا القناع عن وجوه لطائفها ونبه على دون عوارفها واستخرج كنوز دقائقها من خفي مكانها واوضح غوامض حقائقها من وفي شانها فانكاد نهجهم مقاصدها ومعرفتهم اشاراتها بجحد لما شاع من تاويلها وذاع وابعد الافهام وقرع الاسماع **فمنهم** اي ممن تعرض لتاويله تشريدا **من آمن به** اي بالموهم للتشبيه المشكل المعنى منزها لله تعالى عند سماعه عما يفهم ظاهره ثم منهم من فوض معناه اليه تعالى بمن تعف على الا الله وهم اكثر سلفنا وهو اسلم ومنهم من اوله وهو خلفنا وهو اعلم اي احوج الى زيادة علم لتاويله فقول حديث ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخر بما ذكرنا مر وحديث مسلم ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب رجل واحد يصرفه كيف يشاء ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل فان الاول ورود تمثيلاته وتصويرا لكنه جلاله شانه وتوقف على عظمة قدرته من غير ذهاب الى تصور يدين ولا اصابع ولا تصرف بهما بل الدلالة على كنه قدرته الباهرة وان قلوبهم مع كثرتها التي تحيى في حصرها الافهام ولا تكتنه مقدارها الاوهام هين عليه سرعة تصرفه فيها كيف شاء موانا لا يوصل سامعه الى الوقوف عليه الا ايراده بهذه العبارة وخص الاصابع بالذكر كناية عن اجراء القدرة مجرى الاصابع واليد لكونه بهما وبالثاني ورد كناية عن الجود بدون اعتقاد بسط ولا يد ولا فرق عند تاويله بينه وبين ما كني به عنه فالمكنى به اعني ان الله يبسط يده والمكنى عنه اعني الجود عبارتان متفقتان على معنى واحد هو انه تعالى جواد بتوبته على عبده المسيء هذا وكثيرا ما يستعملون حيث لا يد ولا بسط في مثل جواد لا يعطي الا بالاشارة حتى لو اعطي جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال **ومنهم من كفر** باتباعه له ابتغاء الفتنة بحمله له على ما لا يطابق المحكم معتقدا له ليفتتن به الناس ويضلهم عن دينهم **فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث** الموهمة للتشبيه **فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله وحق انبيائه** صلوات الله

وسلامه عليهم لانها ان كانت في نفس الامر كذبا فالتحدث بها حرام لحديث من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار **وان لم تكن** في نفسها كذلك فينبغي ان **تحدث بها** لاحتمال كونها كذبا **وان لا يتكلف الكلام على بيان معانيها والصواب طرحها** ورفض ايراد لمحات رموزها **وترك التشاغل بها** لعدم جدواها في فضائل الاعمال **الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعاد** اي ما يعتقد به لينتفع بها من قولنا لدابة اقودها قودا ومقادا فيكونها لا تستكا لها كالدابة الجموح لا تكاد تنقاد عن تنفع بها لضعف مقادها **واهية الاسناد** لكون رواته بعضهم ذوي وهي اي سقوط لعلة قادحة في عدالته او لتشذذ من وهي الثوب يهي وهيا اذا بلي وتخرق وفي الحديث المؤمن واه راقع بالقاف اي مذنب تائب وفي رواية موه راقع تشبيهه بمن كهي ثوبه فيرقعه فكانه بوهي دينه ثم يرقعه بتوبته **وقد انكر الاشياخ على القاضي ابي بكر محمد بن فورك** بضم الفاء غير منصرف للعلمية والعجمة **تكلفه في مشكل الكلام على احاديث ضعيفة** اسنادا او متنا **موضوعة لا اصل لها** تستند فيها اليه اذ الموضوع هو المختلق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شر الاحاديث الضعيفة لا يجوز ذكره وروايته وعزو الانبياء بكونه موضوعا ان علم وضعه كان يقول هو كذب او باطل او مختلق لشهادة حديث من حدث عني بحديث يرى انه كذب فهو احد الكاذبين يرى روي مبنيا للمفعول اي يظن والكاذبين روي مثنى ومجموعا وكفى به وعيدا شديدا لمن روى حديثا يظن انه كذب ولم يبينه وقد بالغ ابو محمد الجويني فكفر واضعه ويعرف الوضع بالاقرار وركاكة اللفظ **او منقولة عن اهل الكتاب** يهود ونصارى لا سيما اليهود فقد افتروا على الانبياء افتراء استكبروا كداود في تزوجه وسليمان في قصة الجسد والخاتم اذ هم **الذين يلبسون** يلبسوا لبسا مخففا من لبس بفتحها الامر لبسا اذا خلط بعضه ببعض وربما شدد للتكثير اي يخلطون **الحق بالباطل** لا يميز بينهما الا ذو قدم صدق في الدين **وكان يكفيه** يعني ابن فورك **طرحها** ونبذها وراءه ظهريا **و** كان **يغنيه** اي يكفيه **الكلام عنها التنبيه على ضعفها** ليجتنب ولا يتجشم ابراز احتمالاتها في معرض التاويل **اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها** الذي كان **واجتثاثها** مبتدا اي اقتلاعها **من اصلها وطرحها** اي نبذها **اكشف** خبر المبتدا اي ابين **للبس واشفى للنفس** من ازالة علة الاشكال بتجشم التاويل من الشفاء وهو البرء من المرض نقل من شفاء الاجسام الى شفاء النفوس فشفوا له بكل شيء اي عالجه نوضعوا شفوا موضع عالجوا

فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما يعزى اليه ويوصف به **وما لا يجوز** عليه صلى الله عليه وسلم

ومما يجب على الذاكر من جلاله صلى الله عليه وسلم في اوقاته وقصر فانه
ما قدمناه في الفصل المتقدم انفا قبل هذا الفصل نماطرا وامكنت اضافته
اليه وما امتحن به صلى الله عليه وسلم في ذات الله وصبر على شدته وغير
ذلك مما يوثر على طريق المذاكرة فيما وقع له من اوليائه من قرة عين وما
جرى له مع اعدائه من شدة شين و على طريق التعليم للغير انتفاعا واعتبارا
ان يلتزم فاعل تجب في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك
الاحوال البشرية العارضة له صلى الله عليه وسلم من توقيره وتعظيمه
حق توقيره وتعظيمه وان يراقب هذا المتكلم والذاكر حال لسانه ولا
يهمله اي يلغي بما لا يجل فيه ولا توقير وان يراقب تظهر عليه علامات
الادب عند ذكره صلى الله عليه وسلم توقيرا وتشريعا وتكريما فاذا ذكر
ما قاساه صلى الله عليه وسلم من الشدائد كعيره منصرفه من الطائف
من عند ابن عبد ياليل كان استنصر على قومه فابى فجعلوا يرمون عظام ساقيه
قدميه بالحجارة فدته نفسي وابي وامي ظهر عليه الاشفاق عليه صلى الله
عليه وسلم وظهر عليه الارتماض اي شدة الاحتراق والغيظ على عدوه
الكاذب وظهر عليه مودة الفداء له صلى الله عليه وسلم بالانفس
والاباء والامهات مما غشيته من المكاره وقد ورد فاغفر فداء لك ما اقتفينا
في الفداء اذا كسر مد وقصر واذا فتح قصر فقط تقول هذا لك فدا الجوهري
ومن العرب من يكسر منونا اذا جاورته لام الجر خاصة فيقال فدًا لك لانه
نكرة يريدون به معنى الدعا والفدية والفدا بمعنى وروي في النظم مرفوعا
على الابتدا ومنصوبا على المصدر وتفديته الله به تجاوز عن تعظيمه وتجليله
والكاره اذ لا يفدى من المكاره الا من يلحقه والله منزه عن ان يلحقه مكروه
لو قدر عليه اي على الفدا بذاته صلى الله عليه وسلم وظهر عليه مودة النصرة
له لو امكنه واذا اخذ اي شرع في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله
صلى الله عليه وسلم الجارية على منهج الحق والسداد واقواله الصادرة منه صلى
الله عليه وسلم على لسان الصدق والصواب تحرى واجتهد في تاديبها
وتوخى احسن اللفظ وادب العبارة متوجهة بتاج الصيانة عن رديء
الكلام واجتنب بشيع ذلك مما يمجه السمع ويأباه الطبع وهجر من
العبارة اي ترك ما يقبح ان يتكلم به في حقه صلى الله عليه وسلم كلفظ الجهل
والكذب والمعصية فلا يقول في خلال عباراته جهلا او كذبا او عصى
صونا لمنصبه الشريف ومقامه المنيف فاذا تكلم في الاقوال لزم من
الادب والوقار وقال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار مصدر اخبر

ولا يقول اتجوز عليه الكذب في قول او خبر لا يقول ذلك بخلاف ما وقع سهوا او
غلطا ونحوه من العبارة فلا لوم عليه ان صدر منه على وجه من ذلك
ولا يؤاخذ لعدم تعمده وتجنب الكذب جملة واحدة فلا يفوه به ولا
بما اشتق منه ولا بما يرادفه كالمين واذا تكلم على العلم من حيث يجوز اتصافه
صلى الله عليه وسلم به قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم من قبل ربه تبارك
وتعالى وهل يمكن ان لا يكون عنده علم بعض الاشياء تأدبا معه صلى الله
عليه وسلم وتكريما له ولا يقول هل يمكن ان يكون جاهلا لبعض الاشيا او يقول
جهل بعضها لا يقوله لقبح اللفظ وبشاعته واستهجانه واذا تكلم في الافعال
التي صدرت منه صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز منه المخالفة في بعض
الاوامر والنواهي ولا يجوز منه في شيء من ذلك وهل يجوز منه صلى الله
عليه وسلم مواقعة الصغائر فهو اي قوله مواقعة الصغائر اولى لترك
اولى وادب لما له من الادب من قوله هل يجوز ان يعصي ويذنب او يفعل
كذا وكذا مما لا يجوز ان يقال في حقه صلى الله عليه وسلم من انواع المعاصي
فهذا اي هجر ما يقبح من العبارة تجانبا له عنه ومعاديا له به منه من
حق توقيره صلى الله عليه وسلم وما يجب له من تعزير اي قدرا اي توقيره وتعظيم
تكريم ذاته وعظيم صفاته وقد رايت بعض العلما لم يتحفظ من هذا ولم
يتركها تادبا معه صلى الله عليه وسلم فقبح منه ما لم يتحفظ منه من
تلك العبارات لتشنيعه ولم استصوب عبارته فيه اي فيما لم يتحفظ منه
ووجدت بعض الجائرين المائلين عن القصد قوله تقوله بدال الواو من التقول
تفعل من القول لان فيه تكلفا ممن تقوله اي زعم لاجل ترك تحفظه في العبارة
انه قال ما لم يقله وشنع اي ذلك البعض عليه اي على من لم يتحفظ في العبارة
ما يأباه ويكفر قائله اي قائل ما اباه به واذا كان مثل هذا اي الاستعمال
بالتحفظ في العبارة والادب بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم
بعضهم بعضا فاستعماله اي التحفظ في العبارة والادب في حقه صلى الله عليه وسلم
اوجب وجوب فرض لا وجوب تاكيد من وجب يجب وجوبا اذا ثبت ولزم
وهما عند امامنا ناصر السنة الشافعي مترادفان منقولان من معناهما اللغة
اي التقدير والثبوت الى معنى واحد هو شرعا ما يمدح فاعله ويذم تاركه
سواء ثبت بدليل قطعي او ظني ولا نزاع له في تفاوت مفهوميهما لغة بان الفرض
التقدير والوجوب الثبوت ولا في تفاوت ما ثبت بقطعي كمحكم الكتاب
وما ثبت بظني كمحكم خبر الاحاد فان جاحد الاول كافر وتارك العمل به فاسق ولا
فاسق دون الثاني اي لا كافر ولا فاسق وفرق ابو حنيفة وشيعته بينهما فقالوا

ماثبت بقطعي ففرض وما ثبت بظني فواجب لان التفاوت بين الكتاب وخبر الاحاد
يوجب التفاوت بين مدلولهما او لان الفرض ما علم قطعا انه مقدر علينا والواجب
ما سقط علينا بطريق الظن فلا يكون المظنون مقدرا علينا ولا المعلوم
قطعا ساقطا علينا قلنا بعد تسليم ملاحظة المفهوم لغة لا نسلم امتناع
ثبوت كون الشيء مقدرا علينا ظني وكونه ساقطا علينا قطعي بشهادة استعمال
استعمال الفرض فيما ثبت بظني والواجب فيما ثبت بقطعي واشاعته ومن
ثم خالفوا عادتهم من اطلاقهم الفرض على ما ثبت بظني كقولهم الوتر
فرض وتعديل الاركان فرض ويسمى فرضا عمليا وكقولهم الصلاة والزكاة واجبة
فاطلقوا الواجب على ما هو فرض علما وعملا وعلى ظني هو في قوة الفرض في العمل
كالوتر وعلى ظني هو دون الفرض في العمل وفوق السنة كتعيين الفاتحة لا تفسد
الصلاة بتركها لكن تجب سجود السهو هذا والحق ما ذكرنا من ان الوجوب
لغة هو الثبوت واما مقصد بالواجب بمعنى الساقط فانما هو الوجبة بمعنى
المضطرب هو الوجيب قال الشاعر

للفؤاد وجيب تحت ابهره ... لدم الغلام وراء الغيب بالحجر

والتزامه اكد بالمدمن اوكدته ووكدته واكدته ايكادا وتوكيدا وتاكيدا
اذا شددته واوثقته بجودة العبارة اما انها تقبح الشيء او تحسنه اي
تجعله ذا قبح او حسن او قبيحا او حسنا وتجويزها وتهذيبها يعظم الامر
وتصيره عظيما او تهونه اي تجعله هينا حقيرا ولهذا اي ولكون تحرير
العبارة وتهذيبها يعظم الامر او يهونه قال صلى الله عليه وسلم
ان من البيان لسحرا لاظهاره المعنى المراد بابلغ عبارة واوجزها تحسينا
او تقبيحا كقلب احد خصمين هو الحق بحجته من خصمه الباطل حقا او الحق
باطلا بجودة بيانه كما ان بالسحر قلب الشيء في عين الانسان دون قلب
حقيقته كحبال سحرة فرعون اذ خيل لموسى صلى الله عليه وسلم انها حيات
تسعى وهذا هو البليغ لا يزال يمدح حتى يصرف قلوب سامعيه الى حب
ما يمدحه ويذم حتى يصرفها عنه فاما ما اورده اي المتكلم مما يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز عليه على جهة النفي كشيء مما تلي عليك عنه
والتنزيه له صلى الله عليه وسلم منه فلا حرج ولا جناح عليه على جهة النفي
لشيء مما تلي عليك عنه والتنزيه له صلى الله عليه وسلم منه او في تسريح
العبارة بدون احتراز عن شيء في اي اسلوب كان اذ المقصود نفي ما لا يليق به
صلى الله عليه وسلم عنه وتنزيهه منه وتصحيحها فيه في معرض اي تركيب
كقوله لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم الكذب جملة ولا يجوز عليه اتيان

الكبائر بوجه من الوجوه الموصلة اليها ولا يجوز عليه الجور في الحكم بين الناس
على حال من الاحوال التي لا يجوز وروده عليها ولكن مع هذا يجب ظهور
توقيره وتعظيمه وتعزيره خلال ما يورده على جهة النفي والتنزيه له صلى
الله عليه وسلم عنه عند ذكره واردا على جهة النفي والتنزيه مجردا الا
من التوقير والتعظيم والتعزير فكيف عند ذكر مثل هذا مما لا يجوز عليه
صلى الله عليه وسلم على جهة الحكاية فوجوب توقيره وتعظيمه اولى واوجب
فقد كان السلف من ائمة الدين كزين العابدين بن الحسين وجعفر الصادق
ومحمد بن المنكدر تظهر عليهم حالات شديدة من تغير لون وبكاء ودمع وغيرها
عند مجرد ذكره بدون ذكر شيء من ذلك وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك من
ظهور تعظيم وتوقير وتعزير في اي القرآن حكى الله فيها مقال عداه تبارك وتعالى
ومقال من كفر باياته جاحدا لها وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
في تلاوته تلك الاي المحكي فيها مقال عداه تعالى اعظاما لربه واجلالا له تعالى
واشفاقا على نفسه حذرا من التشبه بمن كفر انكارا كمن لا يعرف الله تعالى ولا
يعترف به او جحودا مثل كفر من يعرفه بقلبه ولا يقر بلسانه او عنادا ككفر
ابي جهل يعرفه ويعترف به ولا يدين به او نفاقا ككفر راس النفاق ابن ابي
يقر به بلسانه ولا يعتقده بقلبه الباب الثاني من القسم الرابع في تصريف
وجوه الاحكام في حكم سابه وشانئه اي شاتمه ومعيبه بغضا وحسدا ومنتقصه
ومؤذيه وفي عقوبته بشيء مما ذكر وفي ذكر استتابته وفي حكم وراثته
مما تركه من مال وغيره بعد موته قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه صلى
الله عليه وسلم وذكرنا فيما قدمنا اجماع العلماء على قتل فاعل شيء من ذلك
وقائله وذكرنا تخيير الامام في قتله وصلبه وبعدا اي بعد ما ذكرناه فاعلم
ايها المتوجه اليه الخطاب ان مشهور مذهب مالك واصحابه ومشهور
قول السلف صحابة وتابعين وغيرهم وجمهور العلماء قتله خبر ان وقد سدت
هي وهو مع اسمها مسد مفعولي اعلم وانما يقتل حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه
اي مما قاله فادى الى كفره قتله ولهذا اي ولكونه يقتل حدا لا تقبل عندهم
توبته مما صدر منه ولا تنفعه استقالته ولا فيئته اي رجوعه عنه كما قدمنا
وحكمه حكم الزنديق يبطن عقائد كفر بستر الكفر ويظهر الايمان في هذا القول
اي مشهور مذهب مالك واصحابه وغيرهم ممن ذكر وقال غيرهم تقبل
توبته ولا يقتل وسواء كانت توبته على هذا القول المشهور بقتله بعد
القدرة عليه والشهادة على قوله المؤدي الى قتله عندهم او جاء تائبا
من قبل نفسه بدون استتابة لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود

فانه لا يسقط منها شي لها قال القابسي اذا اقر بالسب له صلى الله عليه وسلم
او لغيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم وتاب منه واظهر التوبة
قبلت توبته منه وقتل بالسب لانه اي القتل حده وقال ابن ابي زيد مثله
اي يقتل لانه حده واما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه عنده تعالى وقال
ابن سحنون من شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم غيره من الانبيا صلى
الله وسلم عليهم من الموحدين ثم تاب لم تزل من ازال اليزيل ازاله توبته عنه
القتل وهو معنى قول القابسي وابن ابي زيد وكذلك اختلف في الزنديق اذا
جا تائبا من قبل نفسه بدون استتابة والجا اليها فحكى ابن القصار في
ذلك اي في مجيه تائبا قولين قال اي ابن القصار من شيوخنا من قال
اقتله باقراره بانه كان زنديقا او بانه شتمه صلى الله عليه وسلم ثم جا تائبا
لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي اي خاف الظهور
واطلاع الناس عليه فيجدوه زنديقا فبادر لذلك بالتوبة فجا تائبا ومنهم
من قال اقبل توبته لانه استدل على صحتها اي صحة توبته بمجيئه من قبل
نفسه تائبا فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة في وقت
قبول شهادة شهود عليه وهذا القول بقبول توبته قول اصبغ بن الفرج فقيه
مصر من شيوخ البخاري ومسألة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى
من هذه المسألة اي مسألة الزنديق اذا جا تائبا فانه حق لله تعالى وهو مبني
على المسامحة فيجري فيها الخلاف ومسألة سابه صلى الله عليه وسلم ٥
لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم من انها حق ادمي مبني على
المشاحة فلا يجري فيه خلاف لانه اي سبه صلى الله عليه وسلم حق متعلق
للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه صلى الله عليه وسلم لا تسقطه
التوبة كسائر حقوق الادميين لابتنائها على المشاحة والزنديق اذا تاب
بعد القدرة عليه والعلم بانه زنديق فعند مالك والليث بن سعد واسحق
بن راهويه واحمد بن محمد بن حنبل لا تقبل توبته ظاهرا فلا تسقط عنه
القتل وعند الشافعي تقبل توبته وتسقط عنه قتله واختلف فيه
عند ابي حنيفة وصاحبه ابي يوسف فقيل تقبل وقيل لا وحكى الامام
محمد بن المنذر عن علي بن ابي طالب انه اي الزنديق يستتاب بعد القدرة
عليه قال ابن سحنون ولم يزل بفتح اوله وضم ثانيه مبنيا للفاعل القتل
عن المسلم بالتوبة من سبه صلى الله عليه وسلم لانه لم ينتقل من
دين هو حق الى غيره هو دين باطل وانما فعل شيا لحده عندنا القتل
ونفعته توبته ولا عفو فيه لاحد كالزنديق فانه حده لا عفو فيه لانه لم

ينتقل من دين هو حق الى غيره هو دين باطل وانما فعل شيا حده عندنا القتل
وان تاب ونفعته توبته ولا عفو فيه لاحد كالزنديق فان حده لا عفو
فيه لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر بل في الخفية في الباطلية وقال القاضي
ابو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي محتجا لسقوط اعتبار توبته
اي توبة من سبه صلى الله عليه وسلم والفرق بينه اي بين سبه صلى الله
عليه وسلم وبين من سب الله تبارك وتعالى على مشهور القول باستتابته
اي استتابة من سبه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ان النبي بشر والبشر
جنس تلحقه المعرة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه وهو
في الاصل الجرب ومن ثم سميت السما جربا لكثرة النجوم فيها تشبيها
لها على طريقة الاستعارة المكنية ببدن انسان اجرب ثم اثبت لها الجرب
تخييلا اي الاذى المكروه الا من اكرمه الله بنبوته فلا تلحقه معرة لكرامته
على الله وشرفه عنده والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا لا خلاف
فيه اجماعا وليس من جنس تلحقه المعرة قيد لا مفهوم له لتنزهه عن ان
عن ان يكون من جنس تلحقه معرة او لا تلحقه وليس سبه صلى الله عليه وسلم
كالارتداد الذي هو المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد
ويختص بمعرته لا حق فيه اي في الارتداد لغيره من الادميين فقبلت
توبته ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه اي بسببه ايا حق لادمي
فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف يوجب له حد فان توبته
وان قبلت من حيث ارتداده لا تسقط عنه القتل لانه حد ولا تسقط عنه
حد القذف ايضا رجما او جلدا وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت فانما
تسقط عنه ردته ويثبت اسلامه ولا تسقط ذنوبه التي اقترفها زمن
ردته من زنا وسرقة وغيرهما كشرب مسكر ولم يقتل ساب النبي بكفر
لانه لم يسبق له اسلام لكن انما يقتل لمعنى هو انافة قدره وشرف منصبه
وكرم جنابه مما يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة الى ما عراه ودهاه مما
يكره ويشق عليه من الاذى به اي بقتله وذلك اي مما يرجع الى تعظيم
حرمته اذا انتهكت لا تسقطها التوبة لان سبه اي النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بكلمة ترجع الى انتهاك حرمته صلى الله عليه
وسلم بمعنى الازدرا والاستخفاف الموجب للمعرة والاذى المنكي اولا له
بتوبته واظهاره الانابة اي رجوعه الى دين الحق ارتفع اسم الكفر ظاهرا
والله اعلم بسريرته لا غيره اذ لا اشتراك في اصل العلم بالسرائر احد
سواه وبقي حكم السب للنبي صلى الله عليه وسلم فيقتل حدا لا كفرا وقال

أبو عمران الفاسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد بخروجه عن الإسلام قتل
ولم يستتب لأن السب من حيث هو حق الآدمي تلحقه به المعرة لا يسقط
عن المرتد فلا يستتاب لردته كذا قاله والأولى القول بأنه يقتل باستتابته
لتنفعه توبته عند الله وإن كان يقتل حدا إن تاب وكلام شيوخنا هؤلاء
المالكية المذكورين آنفا وغيرهم مبني على القول بقتله أي سابه صلى الله عليه
وسلم حدا لا كفرا وهو أي القول بأنه يقتل حدا لا كفرا يحتاج إلى تفصيل فإن
سبه لا يقتضي كفرا قتل حدا وكذا إن سبه بما يقتضيه وتاب وإلا قتل
كفرا وأما رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه أي وافق مالكا أو من
الوليد عنه على ذلك ممن ذكرناه فيما مر وقال به كثيرون من أهل العلم فقد
صرحوا أنه سبه له صلى الله عليه وسلم ردة قالوا ويستتاب منها فإن تاب
نكل به مبني لمفعوله أي عوقب ليجعل عبرة لغيره إذ النكال العقوبة التي
تنكل أن ترى أي تمنعهم عن فعل ما جعلت له جزاء وإن أبى التوبة قتل فحكمه
أي حكم من سبه صلى الله عليه وسلم حكم الزنديق مطلقا بوجوب
استتابته وقبولها مطلقا وهذا الوجه الذي رواه الوليد عن مالك ووافقه
على غيره والوجه الأشهر من رواية الوليد في مذهب مالك وهو قول جمهور
العلماء وأظهر لما قدمناه من أنه يقتل حدا لا كفرا وإن تاب ونحن نبسط
الكلام فيه أي به حدا لا كفرا وإنما نقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره
ما شهد به عليه من السب له صلى الله عليه وسلم ومع إظهاره الإقلاع
أي التحول والارتحال عنه وإظهاره التوبة منه فنقتله حدا لإثبات كلمة
الكفر بالشهادة عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لانتهاك حرمته واستهانة
منصبه الشريف وتحقيره أي تحقير سابه صلى الله عليه وسلم المنكر لما شهد به
عليه مع إظهاره التوبة والإقلاع محقرا ما عظم الله من حقه صلى الله عليه وسلم
وأجرينا حكمه أي الساب المنكر في ميراثه وغيره مما له من الحقوق حكم الزنديق
إذا ظهر بالبناء للمفعول أي اطلع عليه أنه زنديق وأنكر زندقته أو تاب عنها
فيورث ما لا وحقا وإن قتل حدا على المشهور من مذهب مالك كالزنديق
والمسر كفره يطلع عليهما فينكران ويتوبان والمعتمد من مذهب ناصر
السنة الشافعي إذا اطلع على أحد منهم فأنكر وتاب قبل توبته ولم يقتل فإن
قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بالبناء للمفعول له بكلمة الكفر ولا
نحكم عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها سؤال وارد بحثا وتحيا وإنكارا
بكيف لما ذكر بإنكار حاله التي هو عليها بطريق الكناية الأبلغ من طريق الصراحة
قلنا جوابا له نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل اعتراض بين السؤال وجوابه

فإذا أثبتنا حكم الكافر له أعني القتل ظاهرا وإذا أثبت له القتل ظاهرا مؤاخذة
له بما شهد عليه به فلا نقطع ونجزم عليه بذلك أي بالكفر لإقراره بالتوحيد
والنبوة وإنكاره ما شهد به عليه من سب وتنقص واستهانة وغير ذلك أو زعمه
بالجر أي أو لدعواه أن ذلك كان منه وهلا بفتح الهاء من وهل إلى الشيء يهل بالكسر
إذا ذهب وهمه إليه ويجوز أن يكون بمعنى سهو وغلط يقال منه وهل
بالكسر في الشيء وعنه يوهل ومنه حديث ابن عمر وهل يسن أن كان
منه غلطا ومعصية وأنه مقلع أي مبادر بالإعراض وعن ذلك الصادر
منه نادم عليه أي على ما شهد عليه به جدا لما يورث من إيقاع الحجة
ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر كالقتل في بعض الأشخاص
وإن لم تثبت له خصائصه أي خصائص الكفر الموجبة للحكم عليه به كقتل
تارك الصلاة كسلا أو تهاونا حدا لا كفرا أو جحدا لها كفرا لا حدا وأما من علم
أنه سبه معتقدا استحلاله فلا شك في كفره بذلك أي باعتقاده
استحلاله مع حرمته إجماعا وكذلك إن كان سبه في نفسه كفرا أي مكفرا
له بتصريح منه كتكذيبه أو تكفيره ونحوه كقذفه ووصفه بالجور
فهذا مما لا إشكال فيه بالحكم عليه بالكفر ويقتل حدا وإن تاب منه أي
مما أوقعه وصيّره الكفر وطوقه ضلالة لأنا لا نقبل توبته لدفع القتل عنه
ونقتله بعد التوبة حدا لا كفرا لقوله المتقدم له ذكره ولكنه الكفر ومتقدم
كفره الصادر منه

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

هذا وقال لنا الشافعي تقبل توبته ولا حد عنه ولا يقتل وأمره أي شأنه
وحاله بعد قتله تائبا إلى الله المطلع على صحة إقلاعه بتوبته مما يرديه لو لم يتب
العالم بسره بتوبته لا يعزب عنه شيء وكذلك بل أولى أنه يقتل من قذفه
أو احتقره ولم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه مما صدر منه
وصمم أي عزم جازما عليه لا يرعوي عنه ولا يلوي إلى غيره فهذا كافر
بلا خلاف في كفره فعلى هذه التفصيلات التي تليت عليك خذ كلام العلماء
القائلين بقتل من صدر منه شيء من ذلك وإن تاب كمالك وأصحابه وبعض
أصحاب الشافعي كأبي بكر الفارسي فإنه قال من قذف نبيا قتلناه وإن
تاب وبه أقول ولا تختلف عبارات العلماء التي ما لها واحد في الاحتجاج
على قتله عليها أي على التفصيلات المذكورة المؤذنة بقتله تاب أم لم يتب
لكن من تاب قتل عندهم حدا لا كفرا ومن لم يتب قتل كفرا لا حدا وأجري
اختلافهم في الموارثة عليها كإجراء أحكام الإسلام على من تاب أن حكم بقتله

من الصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين وارثه لورثته دون من لم يتب فنتنزل
ذلك على ترتيبها تتضح لك مقاصده ثم مما يلي على سمع فكرك ان شاء الله عز وجل
حالان من الاسم الكريم لانه مما زل له فضل اذا قلنا بالاستتابة
لساب النبي من الانبيا حيث تتضح منه على رواية الوليد بن مسلم عن مالك فيفيها
كما مر انه كالزنديق يستتاب فان تاب نكل به والا قتل فلا خلاف فيه
اي في الاستتابة على الخلاف في توبة المرتد اذ لا فرق بينهما عند مالك ومن
وافقه على رواية الوليد عنه خلاف مذكور في مذهبه وقد اختلف السلف
اي متقدموا الامة من الصدر الاول في وجوبها اي الاستتابة وفي صورتها
ومدتها فذهب جمهور اهل العلم ان المرتد عن دينه الى باطل يستتاب اي متقدموا
الامة من الصدر الاول في وجوبها الاستتابة في من ردته وجوبا وحكى
ابن القصار انه اي ما ذهب اليه الجمهور من استتابة المرتد اجماع من
الصحابة على تصويب قول عمر بن الخطاب في الاستتابة له ان يرجع عن ردته
ولم ينكره اي قول ابن عمر واحد منهم بل اجمعوا على عدم انكاره وهو قول عثمان
بن عفان وعلي هو ابن ابي طالب وعبد الله ابن مسعود وبه اي قول من تقدم
من الصحابة قال عطا ابن ابي رباح غير الاسلوب تبعا لامام الصحابة الى
التابعين وابراهيم النخعي وسفيان بن سعيد الثوري وابو عبد الله مالك بن
انس واصحابه اي مقلدوه عاصرهم الا وابو عمرو الاوزاعي وناصر السنة
ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي المطلبي وابو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل
واسحق بن ابراهيم بن راهويه الحنظلي واصحاب الراي ابو حنيفة ومتابعوه من
عشي صودناريهم لحفاظ الحديث يسمون اصحاب القياس به لاخذهم
بآرائهم فيما اشكل من الحديث وفيما لم يرد فيه حديث ولا اثر وذهب
طاوس هو ابن كيسان اليمني وعبيد بن عمير بن قتادة الليثي والحسن
بن ابي الحسن البصري في احدى الروايتين عنه انه اي ساب النبي صلى الله
عليه وسلم وشانيه ومنتقصه لا يستتاب وقاله اي ما ذهب اليه من
ذكرانه لا يستتاب عبد العزيز بن ابي سلمة الماجشون وذكره عن معاذ
هو ابن جبل الانصاري وانكره سحنون عن معاذ وحكاه ابو جعفر احمد بن محمد
الطحاوي عن ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصاري وهو اي القول
بعدم الاستتابة قول اهل الظاهر داود بن محمد الظاهري واتباعه هم
هؤلاء القايلون بعدمها قالوا وتنفعه ان تاب توبته عند الله ولكن لا ندرا
اي لا تدفع عنه القتل لا نجمع لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري عن
ابن عباس من بدل دينه فاقتلوه وحكى عن ابي محمد عطا بن ابي رباح انكان

نقدا اي الساب من ولد في الاسلام اي ولد مسلما لم يستتب ويستتاب
الاسلامي اي من ولد في الكفر ثم اسلم وجمهور العلما على ان المرتد والمرتدة
في ذلك اي في وجوب استتابتهما كما مر سوا وروي كما في مصنف ابن ابي
شيبة عن علي هو توقف عليه لا تقتل المرتدة قيل لحديث النهي عن قتل النسا هو عام
خص بالجهاد بشهادة حديث وجد النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته
امراة مقتولة فنهى عن قتلهن وتسترق اي المرتدة وقاله اي دل على عدم قتلها
واسترقاقها عطا وقتادة بن دعامة وروي عن ابن عباس لا تقتل النسا في الرد ة
لعله اراد زمن ردة العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبه اي بما روي
عن ابن عباس قال ابو حنيفة لا تقتل المرتدة وانما اخذ بعموم نهيه صلى الله عليه وسلم
عن قتل النسا لا بما قاله ابن عباس وقد يقال عليك عموم النهي عن قتلهن بالجهاد ويقتلن
بالردة بشهادة عموم النهي عن قتلهن بالجهاد ويقتلن بالردة ن
امره صلى الله عليه وسلم في حديث من بدل دينه فاقتلوه لهن نصا
واشارة الى ان علة قتل من ارتد تبديل الدين من ذكر وانثى تخصيص ابي
حنيفة من لا نكاية له كالصبي والمجنون والاعمى والاعرج من عموم حديث
النهي عن قتلهن الشامل له عموم حديث من بدل دينه فاقتلوه ومنهم
قال مالك الحر والعبد والذكر والانثى في ذلك اي في قتل كل منهم
بالردة سوا واما مدتها اي مدة الاستتابة فمذهب الجمهور من
العلما وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيهن فان تاب والا
قتل وقد اختلف فيه اي في مذهب الجمهور المروي عن عمر انه يستتاب
ثلاثة ايام وهو احد قولي الشافعي والصحيح من مذهبه انه يستتاب في
الحال فان تاب والا قتل وهو ايضا اي ما روي عن عمر قول احمد بن حنبل
واسحق بن راهويه واستحسنه مالك بن انس وقال لا ياتي الاستظهار
الاحتياط والتثبت الا بخير وليس عليه اي على الاستظهار والتثبت
والتاني في الامور جماعة الناس لشخصهم واستنجحا لهم فيها قال ابن ابي
زيد يريد يعني مالكا بقوله وليس عليه جماعة الناس في الاستتابة اي
التربص والتاني ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في استتابة
المرتد قول عمر يحبس ثلاثا ويعرض عليه التوبة كل يوم فان تاب قبلت
توبته والا قتل وقال ابن القصار في تاخيره اي المرتد ثلاثا روايتان
عن مالك هل ذلك اي التاخير ثلاثا واجب واستحب فظاهر مذهبه
كما في شرح المختصر لبهرام الوجوب وروي الاستحباب واستحسن
الاستتابة والاستتابة اصحاب الراي اي العباس كابي حنيفة لاخذهم

ه وروي عن ابي بكر الصديق مبالغة في صدقه وتصديقه بلا توقف
انه استتاب امراة ارتدت اي طلب منها الرجوع الى الاسلام فلم
تتب فقتلها ظاهره انه استتابها مرة وقال الشافعي يستتاب المرتد
مرة فان لم يتب مكانه قتل واستحسنه اي قول الشافعي صاحبه المزني
وقال ابو بكر محمد بن شهاب الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات يحتمل في
ثلاثة ايام او يوما او ساعة فان ابى قتل وروي عن علي يستتاب شهرين
قال ابن قتل وهذا ابعد وابعد منه ما قاله ابراهيم النخعي ويستتاب
ابدا وبه اخذ سفين بن سعيد الثوري وزاد ما رجيت توبته اي مدة رجائها
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او
في ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة يحتمل ان يكون ذلك تخييرا من ابي حنيفة او شكا
من ابن القصار او من المصنف وفي كتاب محمد هو ابن المواز عن عبد الرحمن بن القاسم
بن خالد يدعى المرتد اي يطلب منه الرجوع الى الاسلام ثلاث مرات في ثلاثة
ايام كما هو مذهب مالك فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا القول
باستتابته ايام ما ثلاثة هل يهدد بقتل او جوع او عطش او يشدد عليه
الاستتابة ليتوب ام لا يهدد ولا يشدد عليه ايامها فقال مالك ما علمت
في الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى له من الطعام ما لا يضره فلا
يستتاب بما يؤثر رهقا وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل
والتنكيل الوبيل وفي كتاب ابي سليمان الطابثي يوعظ تلك الايام اي ايام استتابته
ويذكر بالجنة ونعيمها بما هو عقبى الذين اتقوا ويخوف بالنار والسعير
عقابها بما هو عقبى الذين شقوا وقال اصبغ اي موضع حبس فيه مع الناس
او وحده اذا اوثق سواء لان المقصود حفظه كي يرجع الى الاسلام ويوقف
ماله اذا خيف تلفه على المسلمين لو اراد ربما يحترز بالتصرف المؤدي بانه
اذا لم يخف تلفه لم يوقف بل هو موقوف بسبب ردته مطلقا فان لم يتب
تبين زوال ملكه عنه وكان زنا ويطعم منه ويسقى لبقاء مهجته كي يتوب
وكذلك يستتاب ثلاثا في ثلاثة ايام عند مالك وعند الشافعي في الحال
الزنديق اذا ارتد وقد استتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصلابه
من الصحابة كل منهم كان اسمه نبهان لا اعلم الذي ارتد منهم اربع مرات او خمسا
ورواه البيهقي بسند مرسل وقال استتاب رجلا ارتد اربع مرات اسمه
نبهان قال ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع اي ارتد وهو
قول الشافعي واحمد وقال اسحق بن راهويه يقتل في الرابعة اي بدون
استتابة وقال اصحاب الرأي ان لم يتب اي من قبل نفسه في الرابعة

ح قتل دون استتابة تعرض عليه وان تاب في الرابعة ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج
حتى يظهر عليه خشوع التوبة وهو عجيب لمخالفته قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف قال ابو بكر محمد بن المنذر لا نعلم احدا من العلماء اوجب على
المرتد في المرة الاولى من ردته ادبا اذا رجع عنها الى الاسلام بالتوبة وهو اي عدم
وجوب الادب على المرتد اذا رجع مذهب مالك والشافعي وابي حنيفة النعمان
بن ثابت الكوفي فصل هذا حكم من ثبت عليه شيء من ذلك بما يجب ثبوته
من بينة تثبته ما مثل اقرار ممن صدر منه شيء من ذلك مما اوجب تكراره
سامة وضحوا وعدول لم يتهموا في صدد التهمة ولم يدفع فيهم فاما من
لم تتم الشهادة عليه لنقص عدد او صفة بما شهد عليه الواحد او
اللفيف اي الطائفة والجماعة من الناس او ثبت قوله باقرار او شهادة مقبولة
لكن احتمل ولم يكن صريحا في كونه كفرا وكذلك اي وحكم ما لم تتم الشهادة
عليه ان تاب على القول بقبول توبته وهو قول الشافعي وغيره فهذا يدرأ
عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام تعزيرا وتنكيلا وضربا وجيعا وكثرة
شهرة حاله وقوة الشهادة عليه لتعقل اولين في الشهود وضعفها
لانهم اعداؤه فيتقابل بقدر شدة وضعفا وكثرة السماع عنه لما عزي اليه
وصورة حاله من التهمة في الدين انه قد صدق فيه ام لا والنبز من نبزه
ونزبه ومن ثم يقال بنو ورب وبنو فلان يتنابزون وبنبا ذبون اي
يتداعون بلقب سوء يورث من يدعى به كرهه تحقيرا له وذما بالسفه
والمجون اي الخلاعة وعدم المبالاة بما يصدر منه دون اي نوما من تميز
استهزوا ببلال وخباب وصهيب فنزل ولا تنابزوا بالالقاب فمن قوي
امره بما فاه به من سب او استهزاء او استهزاء تداوره ذاقه اي الامام
او نائبه شديد النكال اي العقوبة المانعة من فعل ما جعلت له جزاء بسببه
ما يدرك من الم النكال وضربه بما يدرك باذاقة المر والبشع من تغير
الطبع ونفرته ثم اشتق منه اذاق تجوزت الاستعارة في المصدر اصلية
ثم سرت منه الى الفعل تبعا من التضييق والشد في القيود الى الغا ية
التي هي منتهى طاقته بما لا يمنعه شرعا في القيود والتضييق عليه
القيام لضرورته مما لا بد منه ولا يقطع عن صلاته ومقدماتها كاحضار
الماء واستعماله في اعضائه وهو اي اذاقة من شهد بهذا النكال حكم كل من
وجب عليه القتل من تمام الشهادة بما شهد به عليه او كان قوله الموجب
لقتله صريحا في اجابة لكن هنا لما لم تتم الشهادة بما شهد به عليه ولم
يكن قوله صريحا في وجوب قتله وقف عن قتله لمعنى اوجبه اي اوجب الوقف

عنه هو عدم تمام الشهادة عليه وتربص به اي استنظر واستوضح امره
لاشكاله اوقع في الذهن ترددا في قتله وعاق في اقتضاء امره وشانه وحاله
الشرع في نكاله مباشرة يختلف بحسب حاله من قوة وضعفا وقد روى الوليد
عن مالك والاوزاعي انها اي مقالته الغير الصحيحة ردة فاذا تاب نكل نكالا
شديدا ولمالك في العتبية وكتاب محمد هو ابن المواز من رواية اشهب اذا
تاب المرتد فلا عقوبة عليه بشهادة قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد
سلف وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق بكريم
منزلته عند ربه وشريف منصبه فشهد عليه شاهدان عدل احدهما
دون الاخر بالادب الوجيع متعلق بافتى اي اجاب بانه يستحق ذلك والتنكيل
المردع والسجن الطويل زمانا الضيق مكانا حتى تظهر توبته انتصح
فيها ام لا وقال القابسي في مثل هذا اي من شهد عليه اثنان عدل احدهما
دون الاخر ومن كان اقصى امره القتل فعاق عن قتله عائق اشكل في القتل
لم ينبغ ان يطلق من السجن بل يستبقى فيه مدة ولا يستطال حبسه ولو كان فيه
اي في السجن من المدة ما عسى ان يقيم فلا بد له من النكال او القتل فيجعل
في قيد ويحمل عليه من القيد ما لا يطيق ولا يكلف ما لا يطيق وقال
اي القابسي في مسئلة اخرى منها ولا يهراق اي يصب دم مثله ممن
اشكل امره ولم يتضح يشد في القيود شدا وثيقا ويضيق عليه في
السجن حتى يظهر امره والا ينظر فيما يجب عليه من تنكيل او قتل وقال
اي القابسي في مسئلة اخرى مثلها ولا يهراق اي يصب الدم
الا بالامر الواضح الذي لم يلتبس باشكاله وفي الادب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء وردع لهم عن الاقدام على ما يوبقهم الوبال ويعاقب
عقوبة شديدة لم يرتدع عما يورده المهلكات فاما ان لم يشهد عليه
سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحهما ما اسقطهما
اي اسقط شهادتهما عنه ولم يسمع ذلك اي ما شهدا به من الامر
الواضح من غيرهما فامره اخف لسقوط الحكم من قتل ونكال وغيرهما
عنه وكانه لم يشهد عليه بذلك الامر الواضح الا ان يكون ممن يليق به
ذلك ويظن صدوره منه من سب واستخفاف لنبي ويكون الشاهدان
من اهل التبريز من البروز اي الظهور اي من اهل العدالة فاسقطهما
بعداوة برزت منهما ولهما منه قبل فهو وان لم ينفذ الحكم المرتب على
ما صدر منه من سب او غيره عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن اي لا يكون
ظن الحاكم بما اقامه مسقطا لشهادتهما دافعا صدقهما بانه صدر منهما

لبروز عدالتهما وللحاكم في تنكيله موضع اجتهاد بحسب تنكيله بمكان رحب سعار
له في النظر فيه او سببه ملابسة المعنى اعني العقوبة للفظة بملابسة في الظرف
ثم انتزع منه موضعا مع كونه هو جعله وجعله بعدا لعقوبته فيه فصل
هذا اي ما تلي عليك مما ان تاملته اوردك مشارع انه حكم المسلم فاما الذمي
اذا صرح بسبه اي النبي صلى الله عليه وسلم او عرض بسب واستهزا اي
قال في حقه ما ليس بصحيح وفي حديث سمرة من عرض لنا بقذف عرضنا له
بتاديب لا يبلغ الحد ومن صرح به حددناه ولو قتلا او استخف بقدره العلي
صلى الله عليه وسلم او وصفه بغير الوجه الذي كفر به كمن يدعي تقوى دجال
او رضي فلا خلاف في قتله عندنا اي ائمة المالكية ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة
ثم لا في عقد حقنا لدمه ببذله الجزية عن يد وهو صاغر او العهد صلحا على امر
يعود نفعه على المسلمين وكذا لم نعطه الامان على هذا اي على ان يسبه او
يعترض به او يستخف بغير ما كفر به وهو اي قتله بذلك ان لم يسلم قول عامة
العلماء اي جميعهم الا ان ابا حنيفة والثوري واتباعهما قالوا لا يقتل
فان ما هو عليه من الشرك اعظم مما صدر منه مما يقتل به قالوا ولكن
يؤدب ويعزر تاديبا دون الحد وتعزيرا يمنعه من معاودة ما صدر منه
واستدل بعض شيوخنا المالكية على قتله اي الذمي بقوله تعالى وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم اي نقضوا ما عاهدوا عليه من الايمان والوفا بالعهد
الموكد بها وطعنوا في دينكم اي عابوه فقاتلوا ايمة الكفر اي زعماء الرياسة
والتقدم فيه بحيث لا يشق كار عن غبارهم وقد وضعهم موضع ضميرهم
تلويحا بانهم اذا نكثوا مع كونهم كفارا تمردا وطغيانا ورفضا لعادة الكرام
الاوفياء وطعنا في دين الاسلام قتلوا لان العهد انما يعقد على ان لا طعن فيه
فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج عن الذمة انهم لا ايمان لهم بفتح الهمزة في
قراءة ابي عمرو جمع يمين اريد بها التي بايعوا عليها اثبتها اولا لهم ثم نفاها عنهم
ثانيا لانها في الحقيقة كلا ايمان ثم لا يوفون بشهادة وصفهم بالنكث لعلهم
ينتهون متعلق بقاتلوا ايمة الكفر اي ليكن قتالكم لهم بعد علمكم منهم ارتكاب
تلك العظائم الموثقة لاجل انتهائهم عما ارتكبوه وهذا من غاية كرمه وعوده بجنته
على من اساء كلما عاد ويستدل ايضا على قتل الذي يسبه له صلى الله عليه وسلم بقتل
النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف بل ابن الاشرف راس الكفر واشباهه
من رؤسه كابي رافع من اليهود وابي وامية ابني خلف من قريش ولانا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا على ان يسب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا
ان نفعل ذلك معهم على ما لا يليق به صلى الله عليه وسلم مما به ينقض عهدهم ويورثهم

منهم

القتل فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد والذمة وفعلوه فقد نقضوا ذ
اي عهدهم الذي عقد لهم وصاروا كفارا اهل حرب فيقتلون لجرمهم على الترت
الى فيع بما يرد تهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم
لعدا وتقصير في الدين ومن ثم قيل
كل العداوة قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك في الدين
فكذلك اي ومثل اتيانه ما لم يعط الذمة والعهد عليه في قتله به سبهم
النبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به لاقدامهم على ما اوردهم دار البوار
وقد وقعت لاصحابنا من ائمة المالكية ظواهر تقتضي الخلاف في قتل الذمي
وعدمه اذا ذكره اي النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به كتكذيبه
له صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من الدين ستقف عليها اي على ما ورده
لاصحابه من الظواهر الخلاف عن اصحابه اقرانا وغيرهم المدنيين واختلفوا
اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام
يجب ما قبله اقتباس لقوله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله لايراده
له في كلامه من غير اشعار بانه حديث وهو لشرطه اي يقطع ويمحو ما كان
قبله من كفر ومعاصي وذنوب بخلاف المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم
تاب فانا نقتله على ما مر بخلاف الكافر اذا سبه ثم اسلم فان اسلامه حماه
قيل يسقط قتله لانا لا نعلم باطن الكافر في بغضه له صلى الله عليه وسلم
وتنقصه بقلبه له صلى الله عليه وسلم لكنا منعناه اذ كان في قبضتنا من اظهار
اي اظهار ما يكن قلبه فلم يزدنا ما اظهره من سب وغيره الا مخالفة للامر بترك
المانع منه ولم يزدنا الا نقضا للعهد الذي عوهد عليه من الكف عن ذلك فعنه
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله اي ما قبل رجوعه
مما اخرجه من السيئات تنبيها لقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه ان حكمه بحكمه حكم ظاهره وكان
ظننا ايضا بباطنه خلاف ما بدا منه الان فلم نقبل رجوعه عن سبه صلى الله
عليه وسلم وتوبته ولا استنمنا اي ولا ارتفعنا الى ذروة سنام باطنه
ولا اطلعنا عليه اذ قد بدت سرائره بخلاف ظننا به وما ثبت عليه اي على
المسلم من الاحكام الواجبة فهي باقية عليه لا يسقطها شيء لتعديه
بانتهاك حرمته صلى الله عليه وسلم وقيل يسقط اسلام الذمي الساب
له صلى الله عليه وسلم قتله لان حق النبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لو جله
كالمرتد من سبه وان تاب لانتهاك حرمته وقصده الحاق النقيصة
والمعرة به من العر وهو الجرب يقال عر بمعنى عراه اي غشيه ودهاه مما يكرهه

ويشق عليه فلم يكن رجوعه الى الاسلام الذي يسقطه عنه لجراته واقدامه على من
شرف بتوالي التكريم وتوالي التعظيم كما وجب عليه اي على الذمي من حقوق
المسلمين قبل اسلامه من قتل وحد قذف لزمانه بما اوجبه بصدوره عنه واذا
كنا لا نقبل توبة المسلم اذا تاب من سبه له صلى الله عليه وسلم فلان لا حرى بالاطلاق
ان لا نقبل توبة الكافر من باب اولى قال مالك امام دار الهجرة في كتاب عبد الملك
بن حبيب وفي المبسوط وفي كتاب ابن القاسم وابن الماجشون وفي كتاب عبد
الله بن عبد الحكم اوانه محمد وفي كتاب اصبغ بن الفرج فيمن شتم نبينا صلى الله عليه
وسلم من اهل الذمة او شتم نبيا من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم قتل لجراته
على خواص عباده وخيرته من خلقه الا ان يسلم فلا يقتل وقاله اي قول مالك هذا ابن
القاسم في العتبية وعند محمد هو ابن المواز ومحمد بن سحنون وقاله اصبغ بن الفرج
وسحنون لا يقتل ولا يقال له اسلم ولا يقال له لا تسلم ولكن ان اسلم من قبل
نفسه فذلك اي اسلامه له توبة تدرا عنه القتل وفي كتاب محمد هو ابن المواز
اخبرنا اصحاب مالك الاخذون برايه انه قال من سب رسول الله صلى
الله عليه وسلم او غيره من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم من مسلم او
كافر قتل لانتهاك له حرمة اصفيايه وروى لنا عن مالك كما في كتاب ابن حبيب
وعن زيادة بعد قوله فيقتلوه الا ان يسلم الكافر فلا يقتل وروى عبد الله بن
وهب عن عبد الله بن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق
لشرف ذاته لتشريفه فقال ابن عمر هلا حرف تندم افادها تولد منه مركبا
من هل ولا من التمني واستعمل له في الماضي في مقام تمنع فيه التصديق بوجود القتل
اي هلا قتلتموه وروى عيسى بن معن عن ابن القاسم في ذمي من اهل
الكتابين قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل اليكم كذب والله ان رسالته
كانت عامة لقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس وانما نبينا موسى او عيسى
قال لا شيء عليه لان الله اقرهم بالجزية على مثله فهي ذمة قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق
من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون واما ان سبه الذمي
فقال ليس بنبي ولم يرسل الى احد من الناس او لم ينزل عليه قران وانما هو اي
القران شي يقوله من عنده على الله او نحو هذا مما لا يليق به فيقتل تنكيلا لامثاله
وقمعا عن الاقدام على ذلك هذا ولقد شهدت على كلب من النصارى في زماننا انه قال
ان داود نعم النبي صلى الله عليه وسلم نطفة خبيثة فاوقد له بالنار فغرقته فاحرقته
قال ابن القاسم واذا قال لنا نصراني ديننا خير من دينكم انما دينكم دين الحمير
ونحو هذا من القبيح كما وقع لبعضهم الخنازير انه قال استهزاء اي تهكما دينكم

واي شيء بيكم فنشهد على اثنين منهما فحرقا عند مدرسته الصالحية بالنار
او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك اعطاكم الله ففي هذا
اي فيما قاله ابن القاسم ان قاله منهم احد الادب الموجع والسجن الطويل
نكالا له وردعا لامثاله قال اي ابن القاسم واما ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم
شتما يعرف صريحا غير مبهم فانه يقتل الا ان يسلم فيعصم دمه وماله الا
ما يجب عليه في الاسلام قاله مالك الامام ومن تابعه غير مرة مصدق ويتلبس
فاكثر ولم يقل يستتاب فان تاب والا قتل قال ابن القاسم ومحمل قوله اي قول
مالك الا ان يسلم عندي ان اسلم طائعا مختارا بامره وتعيين وهو يخالف لما قاله
اصبغ وسحنون في احتماله كونه مامورا وقال ابن سحنون وسؤالات سليمان بن سالم
التي اشياء فيما تتعلق بذلك في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت انه يعاقب
العقوبة الموجعة مع السجن الطويل ستحلاله يمنعه هو وغيره من ذلك
وامثاله وفي النوادر لابن ابي زيد من رواية سحنون عنه اي عن مالك من شتم
الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي كفر به ضربت عنقه
كما مر انفا عنه الا ان يسلم فلا تضرب عنقه لان الاسلام يجب ما قبله قال
ابن سحنون فان قيل لم قتلته اي الذمي بسبه النبي صلى الله عليه وسلم ومن
دينه اي دين الذمي الكتابي سبه صلى الله عليه وسلم وتكذيبه قيل جوابا عن
السؤال لانا لم نعطهم العهد على شيء من ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا
بل على الكف عن ذلك وبذل الجزية لنا عن يد وهم صاغرون فاذا قتل واحدا منا
قتلناه وان كان من دينه استحلاله اي قتلنا واخذ اموالنا فكذلك اظهاره
سب نبينا صلى الله عليه وسلم نقتله به وان اعتقد حله لا اقدامه على ما لم
يبح يوجب مع بطلان اعتقاده قال ابن سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية
على اقرارهم منا على سبه اي النبي صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا ذلك اي اخذها
على اقرارهم على سبه صلى الله عليه وسلم في قول قائل كذلك ينتقض العهد ممن
سب منهم لهتكه حرمة الجناب المنيع والجناب الرفيع وحل لنا دمه وقال ابن سحنون
وكما لم يحصن الاسلام من سبه ويعصمه من القتل كذلك لا يحصنه الذمة بل اولى هذا
وما ذكر ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه انه يقتل بالوجه الذي كفر به يخالف قول
ابن القاسم فيما خفف بدرئه عنهم عقوبتهم فيما به كفروا فتامل نعم هو
يخالف له لكنها صحيحا الى انه لا داعي الى ترك قتله ولا ضرورة مع ما يوديه اقدامهم
على سبه من وهن الاسلام وذل اهله وان كان في الضرب الوجيع والحبس الطويل
رادع لهم في الجملة ارد رادع ومن ثم قال المتنبي
لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ۝ حتى يراق على جوانبه الدم

ويدل على انه اي ما قاله ابن سحنون عنه وعن ابيه خلاف ما روي عن المدنيين
من اصحاب مالك في ذلك المختلف فيه قتلا وعدما فحكى ابو مصعب اتيت
بضم الهمزة وبنا المتكلم بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد
لاعتقادهم فيه باطلا انه ابن الله لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فاختلف علي فيه ولم تترجح
لي في امره شيء ثم عن لي فضربته ضربا وجيعا حتى قتلته او عاش بعد ضربه
يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة مكانا للزبل اي
السرجين يلقى فيه فاكلته الكلاب لانه لا حرمة له وسئل ابو مصعب عن
نصراني قال عيسى خلق محمدا لاعتقادهم الهيته افتراء على الله قد ضلوا وما
كانوا مهتدين فقال اي ابو مصعب يقتل لاختلاقه الكذب ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون وقال ابن القاسم سالنا مالكا عن نصراني بمصر
شهد عليه انه قال مسكين محمد انه لعله اراد به الاستهزاء وترحما يخبركم انه
في الجنة امنت بذلك فاذا الصادق البار ما له لم ينفع نفسه اذ الكلاب تاكل
ساقيه هذا مجرد افترائه خزاه الله واشقاه لو قتلوه يعني النبي صلى الله
عليه وسلم استراح منه الناس فديته نفسي قال مالك ارى ان تضرب عنقه
وتغري على جيفته الكلاب قال اي مالك ولقد كدت اي قاربت ان لا اتكلم
فيها اي في مسالة ابن القاسم عن هذا الكلب ثم رايت انه لا يسعني ولا يجوز
لي الصمت عن التكلم بالحكم فيها بما يستحقه هذا الخبيث من القتل فشبه
الصمت بظرف رحب وهو مع سعته لا يسعه لما وجب عليه من ابيض
الحق على وجهه فسكت عن المسبه ودل عليه بما هو من لوازمه تخييلا
قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم اي سبه من
اليهود والنصارى فارى للامام اي السلطان ان يحرقه بالنار نكالا لامثاله
كسب وردعا لغيره وما احسنه لولا حديث لا يعذب بالنار الا الله وان
شاء اي الامام قتله ثم حرقه وان شاء اي الامام احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا
في سبه من التهافت وهو التساقط قطعة قطعة اي اذا اكثروا منهم نسبه
كثر نسبه منهم بالتهافت بمعنى التساقط شيئا بعد شيء ثم اشتق منه
تهافت فجرت الاستعارة في المصدر باصليه وفي الفعل تبعيه قال
ابن كنانة ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر اي ابن كنانة مسالة ابن
القاسم التي سال عنها في نصراني شهد عليه بمصر انه قال مسكين
محمد كما مر انفا عنه في المبسوطة قال اي ابن القاسم فامرني مالك اذا كتب
فكتبت ان يقتل وان تضرب عنقه اي يقتل بضرب عنقه ثم كتبت له اي

ملك

لمالك واكتب ثم حرق فقال اي مالك انه يخنق بذلك وما اولاه به اي
بحرقه بعد ضرب عنقه فكتبته بيدي اخبار عن سحنون بيده وقع به ما يتوهم
من المجاز بين يديه فما انكر ولا عاتبه لبرونه عن امره ولو حكما ونفذت
الصحيفة بذلك فصلب بذلك اي بما امره مالك به فقتل وحرق بالنار وافتى
عبيد الله بضم اوله مصغرا في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بمذهبنا
لا زمننا اي افتى معهم فنسبه ملابسة المعية للفظ بملابسة للظرف
فاستعارها لها بقتل نصرانية استهلت اي رفعت صوتها بنفي الربوبية
وبنوة عيسى لله تعالى اي رفعت صوتها بانه ابن الله حاشا شيئا ادا
وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وافتى فيها ايضا بقبول اسلامها
بعد ذلك ودرء القتل عنها به اي باسلامها لنشئها في حديث الاسلام
يجب ما قبله وانه قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وبه قال
غير واحد من ائمة المالكية المتأخرين منهم ابو الحسن القابسي وابن
الكاتب تمسكا بالاية والحديث وقال ابن الجلاب من سب الله ورسوله
من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب لانتهاكه لحرمة الله وحرمة
رسوله بما يجب علينا الكف عنه وحكى القاضي ابو محمد عبد الوهاب
المالكي في الذمي يسب اي الله او رسوله او هما روايتين عن مالك
في درء القتل عنه وعدمه وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه
كان ينسب اليه ما لا يليق به افتراء عليه كالزنا والسرقة وشرب
الخمر من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمي اسلامه لابتناء حقوقهم
على المشاحة وانما يسقط عنه اي عن الذمي باسلامه حد الله
لابتنائها على المسامحة فاما حد القذف لحق العباد لا يسقط الا
باق منه سواء كان لنبي او غيره من العباد المحترمين فاوجب الله ورسوله
له على الذمي اذا قذف النبي من الانبياء ثم اسلم حد القذف ولكن انظر
امر بكل مرتبا في توجيهه اليه ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق
النبي من الانبياء هو القتل وبه قال القابسي من السادة وان قبلت
توبته لزيادة حرمته على غيره ممن ليس نبيا ام يسقط اي قتله باسلامه
ويحد ثمانين جلدة فقيل لا وقيل نعم فصل في ميراث من قتل
بسب النبي من الانبيا ايورث عنه ام لا وفي غسله ايجاب لا وفي
الصلاة عليه ذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين كالفيء من قبل
بكسر اوله وفتح ثانيه اي من جهة ان شتم النبي كفر يشبه كفر الزنديق
باظهار عقايد مكفرة وقال اصبغ بن الفرج ميراثه لورثته من المسلمين

ان كان مستترا اي مسرا لذلك اي لشتمه صلى الله عليه وسلم ولم يظهره
لاحد وان كان مظهرا له مستهلا به اي معلنا لشتمه رافعا صوته به فميراثه
للمسلمين فيا على ما مر آنفا ويقتل على كل حال ولا يستتاب وعند الشافعي
يستتاب وجوبا فان تاب والا قتل قال القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة
عليه بانه شتمه صلى الله عليه وسلم فالحكم في ميراثه على ما اظهر من اقراره يعني
القابسي ان ميراثه لورثته والقتل ثبت عليه بالشهادة عليه لشتمه له صلى
الله عليه وسلم ليس اي القتل من الميراث اي ما يورث عنه في شيء حال من
ضمير الميراث والظرفية مجازية تشبيها للملابسة المعنى للفظة بملابسة
في الظرف وكذلك اي ومثل ما قاله القابسي لو اقر بالسب واظهر التوبة
قتل جواب لو اذ هو اي قتله حد بسبه له صلى الله عليه وسلم وحكمه اي هذا
المقتول بسببه في ميراثه وفي سائر احكامه ما فيها حكم الاسلام من صلاة عليه
وعليه ميتا وغسله وتكفينه ودفنه في قبورنا ومعاملته ومناكحته ولو اقر
بالسب له صلى الله عليه وسلم وتمادى عليه اي استمر على سبه له صلى الله عليه
وسلم وابى التوبة منه اي ابى الرجوع عن سبه فقتل اي ابعده الله على ذلك حال
من ضمير قتل اي متماديا وليكن من التمادي واستمراره عليه وتمسكه به
تشبهت حاله بحال من اعلن شيئا فزلته تمثيلا اخرجه عن حكم الاسلام وكان
كافرا لتماديه على ارادة من سبه له صلى الله عليه وسلم من غير رجوع عنه وميراثه
للمسلمين فيا لا لوارثه وقول ابي الحسن القابسي في المجاهر لسبه المتمادي
فيه بين لا اشكال فيه ولا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد بسبه ولعنه
له صلى الله عليه وسلم غير تائب بتماديه ولا مقلع عما هو متماد عليه وهو
اي قول القابسي مثل قول اصبغ بن الفرج وان كان مظهرا له مستهلا به
فميراثه للمسلمين وكذلك اي مثل قول اصبغ في كتاب سحنون في الزنديق
يتمادى على قوله السب بدون توبة ولا اقلاع مثل قول اصبغ على ما مر
ومثله قول ابن القاسم في العتبية وجماعة من اصحاب مالك في كتاب
عبد الملك بن حبيب فيمن اعلن اي اظهر كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه
اي حكم الساب حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين تنزيلا له منزلته
في الكفر ولا يرثه ورثته من اهل الدين الذي ارتد من دينه اليه لان ماله صار
بردته فيا للمسلمين ولا تجوز وصاياه ولا عتقه لخروج ماله بردته عن ملكه
وقاله اصبغ بن الفرج اي قال مثل ما قاله ابن القاسم ان حكمه حكم المرتد لا يورث سواء
قتل على ذلك اي على اعلانه كفره او مات عليه معلنا له وقال ابن ابي زيد وانما
يختلف في ميراث الزنديق الذي يضمر عقائد باطلة ويستهل بالتوبة معلنا لها مدعيا

للحق ولا تقبل منه توبته ظاهرا وان نفعته عند الله تعالى وقال ناصر السنة
الشافعي تقبل وتدفع عنه قتله ويورث وتنصح وصيته وعتقه لحديث هلا
شققت عن قلبه فاما المتمادي المستمر على باطله من زندقة قد وعرضنا تؤذن
بقتله فلا خلاف في انه لا يورث لعناده وتماديه في ذلك وقال اي ابن ابي زيد
فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة اي لم تقم عليه او اقيمت عليه
ولم تقبل انه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابرنا وروى اصبغ عن ابن
القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ايمانه بقرينة سياق الكلام او اعلن اي اظهر دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه
للمسلمين فيا وقال يقول مالك ان ميراث المرتد فيا ولا ترثه ورثته من الائمة الاعلام
ربيعة الراي شيخه والشافعي ناصر السنة وصاحبه ابو ثور وعبد الرحمن بن ابي ليلى
العراقيان واختلف فيه اي فيما قال به مالك وتوبع عليه عن احمد بن محمد بن حنبل فقيل
قال به وقيل لا وقال علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب
والحسن بن ابي الحسن البصري وعامر بن شراحيل الشعبي وعمر بن عبد العزيز بن
مروان بن الحكم الاموي والحكم بن عتيبة وابو عبد الرحمن الاوزاعي والليث بن سعد
واسحق بن راهويه وابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ترثه ورثته من المسلمين وقيل
ذلك اي ما ترثه ورثته من المسلمين منه فيما كسبه قبل ارتداده واما ما كسبه في
ارتداده فللمسلمين فيا وتفصيل ابي الحسن القابسي في باقي جوابه على ما مر انفا
حسن بين وهو على راي اصبغ ان ميراثه لورثته المسلمين ان كان مستترا بذلك وان
كان مظهرا له مستهلا به فميراثه فيا للمسلمين وخلاف قول سحنون ان ميراثه لجماعة
المسلمين لان شتمه النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق واختلافهما اي اصبغ
وسحنون على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه ورثته من المسلمين سوا
قامت عليه بذلك بينة فانكرها او اعترف به واظهر التوبة وقاله اصبغ بن الفرج
فقيه مصر ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه اي اصحاب مالك لانه مظهر
للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين يظهرون الاسلام ويبطنون
الكفر كما ورد عن من كان في عهده صلى الله عليه وسلم منهم وروى ابن نافع عنه اي
عن مالك في العتبية وكتاب محمد هو ابن المواز ان ميراثه لجماعة المسلمين فيا لان
ماله تبع له مرة وقال به ايضا جماعة من اصحابه اي اصحاب مالك وقال اشهب
والمغيرة وعبد الملك بن الماجشون او ابن حبيب ومحمد هو ابن المواز وسحنون وذهب
ابن القاسم في العتبية انه اي المرتد ان اعترف بما شهد به عليه وتاب بقتل فلا يورث
وهذا عجيب كيف لا يورث وقد تاب وان لم يقر حتى قتل او مات فيورث لان الاصل
تعارض على الايمان قال اي ابن القاسم وكذلك اي ومثل من لم يقر بما شهد عليه به حتى

قتلا ومات ورث كل من استتر بكفره ولم يظهر حتى قتل او مات فانهم يتوارثون بو رائة
الاسلام الوارد بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسئل ابو القاسم
بن الكاتب عن نصراني سب النبي صلى الله عليه وسلم فقتل هل ترثه ورثته
من اهل دينه ام المسلمون فقال انه اي ماله للمسلمين فيا ليس على جهة الميراث
لانه لا توارث بين اهل ملتين كما ورد به الحديث ولكن ماله لهم لانه فيؤهم
لنقضه العهد هذا الذي ذكر معنى قوله اي قول ابن الكاتب واختصاره اي
ايراده مختصرا الباب الثالث في حكم من سب الله اي ذكره بما لا يرضيه كنسبة
الكذب والعجز اليه تعالى وفي حكم من سب ملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبي
وازواجه امهات المومنين بما لا ينبغي ذكرهم به واصحابه عطف العام على بعض
افراده تفخيما لشانه وتنويها لفضله لان فيهم من هو افضل كابي بكر لا خلاف
لاحد ممن دان الله بالاسلام ان ساب الله من المومنين كافر بسبه له بما لا
يليق بكريم جلاله لمبارزته له ومحادته قال تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله
كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اي اخزوا واختلف في الذمي يتجاوز الى ما لا يجوز نسبته
اليه وخرج بكونه مسلما الذمي ونحوه اذا سبه بما يعتقده ويتدين به كجعله له
شريكا او ولدا فانه لا يقتل لكن يلزمهم الامتناع من اظهاره كما يمنعون من
اظهار الخمر والخنزير والناقوس واعيادهم وقراءة التوراة والانجيل واحداثهم
الكنايس في بلاد الاسلام فان اظهروا شيا من ذلك منعوا وعزروا ولا ينتقض
عهدهم اما اذا سبه تعالى بما لا يعتقدونه كلعنه وتجهيله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
فانه يقتل بافترائه عليه تعالى واختلف في استتابته هل يستتاب ام لا فقال ابن
القاسم في المبسوط وفي كتاب محمد بن عبد السلام سحنون ومحمد هو ابن المواز ورواه
ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن يحيى من سب الله تبارك وتعالى من المسلمين
بما لا يليق بجلاله قتل ولم يستتب تعظيما لشانه تعالى وتنزيها لساحته عن ان
يترك من اجترا عليه بسبب بلا اذا قد تكلم الا ان يكون سبه له تعالى افتراء على
الله مصرحا بارتداده الى دين غير دين الاسلام دان به اي اتخذه دينا واظهره
فيستتاب اي يومر بالرجوع الى الاسلام فان تاب قبلت توبته وان ارتد الى
دين ولم يظهره لم يستتب وقتل اذ لعله لو استتيب اظهر التوبة واخفى الكفر
كالزنديق وقال مطرف هو ابن اخت مالك وعبد الملك لعله ابن حبيب او
الماجشون في المبسوطة مثله اي مثل ما مر من التفصيل وقال المخزومي ومحمد
بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم الذي كفر بالسب حتى يستتاب
كما قال الشافعي فان تاب لا يقتل وكذلك اليهودي والنصراني اي كل يهودي
او نصراني لا يقتل بسبه حتى يستتاب فان تابوا قبل منهم توبتهم وان لم يتوبوا

قلوا ولا بد من الاستتابة وذلك اي ما تقدم من سبه المكفر له كله كالا قرار
بالردة الى دين دان به واظهره فيستتاب وهو اي هذا التفصيل الذي حكاه
القاضي ابن نصر عن المذهب اي مذهب مالك وافتى ابن ابي زيد فيما حكى عنه
في رجل لعن رجلا ولعن الله تبارك وتعالى فقال اي اللاعن انما اردت ان العن الشيطان
فزل لساني فقال اي ابن ابي زيد يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره لاحتمال
كذبه مع ظهور كفره واما فيما بينه وبين الله فمعذور اسقطها بالايمان مع جزمه
به واختلف فقهاء قرطبة بضم القاف والطاء بينهما راء ساكنة مدينة معروفة بالمغرب
وهي الآن في ايدي الكفار دار حرب بعد ان كانت دار اسلام وعلم في مسالة
هارون بن حبيب نفتح الحاء المهملة اخي عبد الملك بن حبيب الفقيه وكان اي هارون
ضيق الصدر كثير التبرم مصدر تبرم به وبرم به اذا سئمه وابرمه اذا ان
امله واضجره وكان قد شهد عليه بشهادات تقتضي تكفيره منها انه قال عند
استقلاله من مرض قد عراه لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم
استوجب هذا قاله لما غشيه من شدة مرضه فافتى ابراهيم بن حسين بقتله
لان مضمن اي مضمون قوله تجوير من الجور ضد العدل لله تعالى وتظلم منه تبارك
وتعالى عن الجور والظلم كالتصريح في وصفه تعالى بهما وتنزهه عن ان يتصف بما لا يليق
بجلاله وافتى اخوه عبد الملك وابراهيم بن حسين وفي نسخة ابن حسين بن عاصم
وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه ولا يهم مثله الا ان القاضي سعيد
بن سليمان راى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب تعزيرا له وتنكيلا
ولا يقتل لاحتمال كلامه الكفر الموجب لقتله وعدمه واحتماله صرفه الى التشكي
هذا وقد حكى النووي في الروضة ما افتوا به ولم يرجح منها شيئا لكن قوله الا قد حكى
القاضي عياض جملة من الالفاظ المكفرة تقتضي ترجيح راي من افتى بقتله فوجه
من قال في سابه تعالى بالاستتابة كالمخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حاتم اي مستندهم
الداعي لهم الى قولهم بانه يستتاب فان تاب قبل والا قتل انه تعالى اي سبه تعالى
كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله من عباده فاشبه قصد الكفر بغير
الله تعالى عن ذلك واشبه ايضا اظهار الانتقال من دين الاسلام كاملا الى دين
اخر من الاديان دان به مخالفا لدين الاسلام سوا اظهره ام لا ووجه من قال لا
يستتاب كابن القاسم وسحنون والمواز اي مستندهم الداعي لهم الى ترك
استتابته هو انه اي سابه تعالى لما ظهر اي سب مولاه تبارك وتعالى بعد
اظهاره الاسلام قبل من الظرف والزمانية الغايبة مبني على الضم لقطعه عن
مضاف المنوي اي لما ظهر منه سب ربه تعالى بعد اظهاره الاسلام وقبل اظهاره
السب اتهمناه جواب لما اي اوقعناه في التهمة بالكفر وظننا ان لسانه لم ينطق

به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل في هذا السب وينطق به دون اعتقاده
فحكمنا له اي لقايله بحكم الزنديق ولم نقبل توبته اذ قد تبادي على اخفا كفره واظهار
الاسلام وهذا يفهم منه ان الزنديق هو من يظهر الاسلام ويخفي كفره وصرح
به النووي في صفة الايمة والردة من الروضة فلا فرق بينه وبين المنافق
اذ هو ايضا كذلك والحق ان الزنديق هو من اخفى عقايد كفر اتفاقا فهو من لا ينتحل
دينا وبهذا فارق المنافق لثبوته على عقيدة كفر اتفاقا فهو من لا ينتحل
واحدا كما قال الشافعي مطلقا اي سوا كان له كفر بمجرد السب او بردة الى
دين دان به واظهره اولا وسوا تكررت ردته واسلامه اولا وسوا كان
ظاهر الكفر او زنديقا واذا انتقل من دين الى اخر واظهر السب بمعنى
الارتداد فهذا المنتقل من دين الى اخر بردته قد علم انه قد خلع ربقة الاسلام
من عنقه فيستتاب فان تاب والا قتل والربقة في الاصل عروة في حبل
تجعل في عنق البهيمة او يدها تحفظها فشبه الاسلام بالحبل الذي فيه الربق
على طريقة الاستعارة المكنية واثبت له الربقة تخييلا او صرفا للنفس عن
توهم تشبيهه به حتى كانه من جنسه فصار لحق التلاعب وهو مقتبس من
حديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والجماعة
هم اهل السنة ومفارقتهم بدعة بخلاف الاول المتمسك به اي بالاسلام
فانه بمجرد سبه لله تعالى لم يعلم انه خلع ربقته من عنقه لتمسكه به ظاهرا
يستتاب على المشهور عند اكثر العلماء كالشافعي وابي حنيفة واحمد وهو
مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل في اول الباب وذكرنا الخلاف
في فصوله الاتية بعد فصل واما من اضاف الى الله تبارك وتعالى
ما اي الذي او شيئا لا يليق به ليس على طريق السب حال من الضمير
قبله اي حال كونه ذلك المنسوب اليه تعالى غير متمكن من استعلا طريق
سبه تعالى ولا على طريق الردة وقصد الكفر لكن ذلك الذي يضاف
اليه ونسب مما ذكر هو مما يكون على طريق التاويل الفاسد والاجتهاد
المؤدي الى الضلال والخطا المفضي الى الهوى والبدعة بسبب تمكنه
من الفساد ولزومه له بحال من الاحوال شيئا دركه والمراد بالبدعة هنا
بدعة الضلال وهي ما يخرج مرتكبها بفعلها عن طاعة الله لدخولها
تحت عموم ما نهى الله ورسوله عنه واما ما دخل تحت عموم ما ندب الله
ورسوله اليه فقد تكون واجبة كنصب الادلة على طريق المتكلمين للرد
على مرتكب البدع الضلال ومندوبة كصلاة التراويح وتصنيف العلوم
الشرعية ومقدماتها وبنا المدارس والربط ومباحثها كما بسط في

انواع الاطعمة محرمة ومكروهة وهذا **من تشبيه** بيان لما لا يليق به تعالى كتشبيه المجسمة له تعالى بما زعموا انه على صورة شاب في جهة العلو مماسا للعرش او محاذيا له **او نعت** اي وصف له تعالى **بجارحة** كالوجه والعين واليد والجنب والاستواء وما ورد في الوحيين من ذلك مثل كل شيء هالك الا وجهه ولتصنع على عيني تجري باعيننا يد الله فوق ايديهم والسماء بنيناها بايد يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله الرحمن على العرش استوى ورد تمثيلا وتصويرا للمعاني العقلية بالصور الحسية وابرازها في معرض ما الفوه من ابراز الحسية في محاوراتهم ليدركوها ليفهموها والى هذا ذهب ائمة الخلف وكثير من ائمة السلف ومن ثم بالغ صاحب الكشاف في الانكار على من فسر الاستواء بالاستيلاء واليمين واليد بالنعمة والايدي بالقدرة وقال في الرحمن على العرش استوى ان الاستواء على العرش الذي هو سرير الملك لما كان مما يردف الملك كني به عنه ولما امتنع المعنى الحقيقي صار استوى كناية عن ملك وكذا والسماء بنيناها بايد تمثيل وتصوير لعظمته وتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالايدي الى حقيقة او مجاز وكذا والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه تصوير لعظمته وتوقيف على كنه جلاله وان هذه الاجرام العظام الثقال هينة عليه هوانا لا يعقل سامعه عليه الا بايراده بعبارة من ذلك من غير ذهاب بالقبضة واليمين الى حقيقة او مجاز **او نفي صفة كمال** كنفي المعتزلة صفاته القديمة لذاته حذرا منهم من تعدد القدماء ولم يعلموا ان المحذور من تعدده هو تعدد قدماء ذوات لا ذات وصفات ولم يحترز بكمال عن شيء لان صفاته كلها كمال **فهذا** الذي اضيف اليه تعالى على التاويل **مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده** والحق عند الاشعري واكثر اصحابه واكثر الفقهاء كابي حنيفة لا يكفر لان خطاءه في تاويله ليس بقادح في اسلامه وصحته لا تتوقف على اعتقاد الحق فيها اذ لو كان قادحا لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده ان يبحثوا عن اعتقاد من اسلم وينبهوه على ما هو الحق واللازم اعني وجوب البحث منتف قطعا لعدم وقوع شيء من ذلك هذا وبعدم تكفيرهم اشعر قول الشافعي لا ارد شهادة اهل الاهواء الا الخطابية لاستحلالهم الكذب **واختلف قول مالك واصحابه في ذلك** هل يكفر معتقده ام لا وسياتي قريبا **ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحزبوا** وانفردوا بمكان منعزلين عن اهل الحق لاستعار ذلك بمحاولتهم ومنابذتهم **وانهم يستتابون فان تابوا** وعادوا الى الاسلام قبلوا **والا قتلوا** حذرا من ان يفشوا منهم متحزبون فساد بين فتتعسر ازالته **وانما اختلفوا** اي اصحاب مالك معه **في المنفرد منهم** اي ممن نسب اليه تعالى تشبيها او وصفا بجارحة او نفيا لصفة **فاكثر قول مالك**

واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم رجاء لرجوعهم عن ذلك **والقول الفصل فيهم المبالغة في عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم** اي اعراضهم عنه ورجوعهم **وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ** بمهملة مفتوحة ومعجمة بينهما باء موحدة مكسورة فيا مثناة تحتية كان يتتبع مشكل القران ويسال عنه فضربه ومنعه من مجالسته **وهذا** اي القول بالمبالغة في عقوبتهم **قول ابن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون** فيبالغ في عقوبة من سلك طريقتهم منهم ويعلم رايهم وفي اطالة سجنه حتى تظهر توبته وتستبين رجوعه **وهذا ايضا قول سحنون في جميع اهل الاهواء** وهم اثنان وسبعون فرقة غير الفرقة الناجية اهل السنة **وبه** اي وبالقول بالمبالغة في عقوبتهم مع اطالة سجنهم **فسر قول مالك في الموطا** من التوطئة وهي التمهيد والتذليل وفراش وطيء لا يؤذي جنب صاحبه وفي الحديث الا اخبركم باحبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطئون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون **وما رواه** بدل من قول مالك اي فسر بعض اصحابه ما حكاه روايته **عن عمر بن عبد العزيز وجده** مروان بن الحكم **وعمه** عبد الملك بن مروان **من قولهم في القدرية يستتابون** اي ويبالغ في عقوبتهم واطالة سجنهم **فان تابوا** وظهر اقلاعهم قبلوا **والا قتلوا وقاله عيسى** بعده ابو موسى الغافقي **عن ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية** بهمزة مكسورة فباء موحدة وضاد معجمة طائفة من الخوارج اصحاب عبد الله بن اباض ظهر في خلافة مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية زعموا ان مخالفهم كافر غير مشرك تجوز مناكحتهم **والقدرية** اتباع واصل بن عطاء الغزال سموا قدرية لانكارهم القدر وان العبد يخلق فعله الشر دون الخير ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة لمشاركتهم المجوس في اثبات خالق للخير وخالق للشر وقيل لانهم خصماء الله في القدر بشهادة حديث ينادي يوم القيامة ليقم خصماء الله فتقوم القدرية لاعتقادهم ان العبد يقدر على ما لا يريده الله مع كراهته له فلزمهم ان يقع في ملكه تعالى ما لا يريده **وشبههم من مخالف الجماعة** اهل السنة الذين هم على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم **من اهل البدع** بيان لمن خالفهم كالنصيرية والاسماعيلية والازارقة **ومن اهل التحريف لكتاب الله** تعالى بتاويل باطل على مقتضى ارائهم الفاسدة **يستتابون** مطلقا سواء **اظهروا ذلك** اي معتقدهم **او استتروا فان تابوا** قبلت توبتهم **والا قتلوا وميراثهم لورثتهم** لان قتلهم انما هو لارتكابهم البدعة **وقال مثله** اي مثل قول عيسى **ايضا ابن القاسم في كتاب محمد** لعله ابن المواز **في القدرية وغيرهم** من المبتدعة مخالفي اهل السنة **قال** اي ابن القاسم واحمد عنه **واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا**

ما انتم عليه من الاعتقاد الباطل فان تابوا فخلوا سبيلهم وان تمادوا في بدعتهم
قتلوا احدا وميراثهم لورثتهم ومثله اي مثل ما قال ابن القاسم في كتاب محمد
له في المبسوط في الاباضية من الخوارج كانوا اتباع عبد الله بن اباض كفروا عليا
واكثر الصحابة والقدرية اصحاب واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة وسائر
اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا حدا كما مر قال اي ابن القاسم
وهم مسلمون وانما قتلوا لرأيهم السوء وبهذا اي وبقول ابن القاسم عمل
الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية
بن عبد شمس بن عبد مناف قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما بن عبد مناف
استتيب فان تاب عن ذلك قبل والا قتل كفرا بانكاره تكليمه مع وروده في
القرآن وابن حبيب وغيره من اصحابنا صحبة مذهب واعتقاد لا صحبة زمان
يرى تكفيرهم اي اهل البدع وتكفير امثالهم ممن اعتقد السوء من الخوارج وهم
تسع فرق منهم المحكمة الذين خرجوا على علي عند التحكيم وكفروه والقدرية
خصماء الله مجوس هذه الامة والمرجئة يعتقدون ارجاء العذاب اي تاخيره عن العاصي
لقولهم لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وقد روي عن سحنون
مثله اي مثل قول ابن حبيب وغيره بتكفير من ذكر فيمن قال ليس لله كلام انه كافر
لكذبه عليه تعالى بانكار كلامه واختلفت الروايات عن مالك فاطلق القول
بتكفير من ذكر من المبتدعة في رواية الشاميين ابي مسهر عبد الله بن مسهر
ومروان بن محمد الطاطري بمهملتين الثانية مفتوحة كان يبيع ثيابا يقال لها
الطاطرية نسب اليها وقد شوور اي مالك شاوره بعض الناس في زواج القدري
ممن يرى القدر وينكره ويقول الامور انف ولا قدر فقال لا تزوجه قال الله
تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ترغيبا وترهيبا وروي عنه ايضا اي عن مالك
انه قال اهل الاهواء كلهم كفار لانكارهم عقايد لا يباين الاسلام وقال اي مالك
من وصف شيئا من ذات الله تعالى واشار الى شيء من اعضاء جسده بيد او
محل سمعا او بصرا وذوق قطع ذلك العضو الذي اشار اليه منه لانه شبه
الله تعالى بنفسه وقال اي مالك فيمن قال القرآن مخلوق هو كافر فاقتلوه
ان اراد كلامه القديم القائم بذاته تعالى وان اراد كلامه الدال عليه كفرناه واستتيب
فان تاب والا قتل وقال اي مالك في رواية ابن نافع يجلد تعزيرا ويوجع ضربا
وقال القاضي ويحبس حتى يتوب ويقتل ان تاب وفي رواية بشر بن بكر يتوب ه
التنيسي عنه اي عن مالك يقتل ولا تقبل توبته وقال القاضي ابو عبد الله
البرنكاني بباء موحدة وراء ساكنة فنون مفتوحة بوزن الزعفراني نسبة الى نوع من
الاكسية والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة المالكية العراقيين جوابه اي

جواب مالك فيمن قال القرآن مخلوق مختلف فقال يقتل المستبصر الداعية
الذي له خبرة بامور الشريعة وعلى هذا الخلاف الذي ذكره القاضيان قوله
في اعادة الصلاة التي صليت خلفهم على ظن اسلام الامام فبان كافرا فقال
مرة تعاد ومرة لا تعاد بهذا ونقل الشيخ ابو حامد الاسفرايني والماوردي
عن نص الشافعي ان من صلى خلف من ظنه مسلما فبان مرتدا او زنديقا وجوب
الاعادة ورجحه عامة اصحابه وحكى الامام الحافظ ابو بكر ابن المنذر عن
الشافعي لا يستتاب القدري لحكمه صلى الله عليه وسلم عليهم بانهم خصماء الله
ومجوس هذه الامة كما ورد واكثر اقوال السلف تكفيرهم لاثباتهم كما مر
خالقين وممن قال به اي بتكفيرهم الليث بن سعد الفهمي مولاهم وابن عيينة
وابن لهيعة بفتح اوله وكسر ثانيه وروي عنهم ذلك اي عن السلف التكفير فيمن
قال بخلق القرآن وجرى فيه تفصيلنا السابق الآن يقال اذا اطلق القرآن
فالمراد به القديم لا النظم الدال عليه وقاله اي قال بتكفير من قال بخلق
القرآن ائمة اعلام عبد الله ابن المبارك والاودي ووكيع هو ابن الجراح وجعفر
بن غياث وهشيم وعلي بن عاصم في اخرين من الائمة الاعلام وهو اي ما قاله
هولاء الائمة من قول اكثر المحدثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والفقهاء
والمتكلمين فيهم اي فيمن ذكر من المبتدعة وفي الخوارج والقدرية واهل
الاهواء المضلة اسم مفعول او فاعل اي اضلهم الله واضلوا غيرهم واصحا ب
البدع المتأولين بتاويل باطل وفق اغراضهم على ما يريدون وهو قول
احمد بن محمد بن حنبل وكذلك قالوا اي من ذكر من الائمة بالتكفير في حق الوا قفه
الذين ليسوا امنا ولبين وفي حق الشاكة في هذه الاصول احقيقة هي ام باطلة
وممن روي عنه بالبناء للمفعول معنى القول الاخر ترك تكفيرهم اي الفرق
المذكورين علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر والحسن البصري وهو اي القول
بترك تكفيرهم راي جماعة من الفقهاء النظار كالشافعي اذ قد حكي عنه في
الروضة لا اكفر احدا من اهل القبلة الا الخطابية لحلهم شهادة الزور
لموافقيهم على مخالفيهم والمتكلمين واحتجوا لعدم تكفيرهم بتوريث الصحا بة
والتابعين ورثة اهل حروراء بحاء مهملة وراءين بينهما واو وفي الاخر همزة
ممدودة قرية على ميلين من الكوفة اجتمع فيها الخوارج على علي وتعاقدوا على
رأيهم الباطل على قتاله فقتلهم ولم يبق منهم الا قليل واحتجوا ايضا بتوريثهم
ورثة من عرف بالقدر ومات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجر ي
احكام المسلمين عليهم في كل زمان الى زماننا هذا قال القاضي اسمعيل
بن اسحق الحافظ وانما قال مالك في القدرية الذين يقولون بالقدر وسائر اهل

البدع اي بافهم يستتابون فان تابوا قبلت توبتهم والا قتلوا لانه اي
معتقدهم الباطل من الفساد في الارض بترويج الباطل واضلال الضعفا
به كما قال اي مالك في المحارب ان راى الامام قتله قتله وان لم يقتل احدا
وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا مما يعود نفعه عليه
وان كان اي فساده قد يدخل في امر الدين من سبيل الحج والجهاد بيان لامر
الدين وفساد اهل البدع معظمه على الدين بما نشا من تاويلهم الباطل
لعقايد القاصرين وقد يدخل في امر الدين بما يلقون بين المسلمين من العداوة
مما يورث البغضا والتنافر والتشاجر بينهم وربما ادى الى القتل فصل
في تحقيق القول في اكفار المتاولين لما اعتقد واعتقاده يصرفه الى ما لا يودي في
زعمهم الى كفر كقول المعتزلة بنفي زيادة الصفات الذاتية وقدمها هربا من تعدد
القدما ولم يعقلوا ان المحذور تعدد ذوات قديمة لا ذات وصفات قد ذكرنا
مذاهب السلف من الصحابة وغيرهم في اكفار اصحاب البدع والاهوا المتاولين
فاكثرهم كفرهم لمروقهم من الدين ببدعهم مروق السهم من الرمية معتمدين تاويلا
باطله ومنهم من لم يكفرهم لعذرهم بالتاويل وان كان باطلا ممن قال قولا
يودي به مساقه الى الكفر كقول من قال ان الله لا يريد القبايح ما ولا بان اراد القبايح
قبيح وهو اذا وقف عليه اي على ما قاله وبين له انه يلزم منه ان اكثر ما يقع من
عباده خلاف مراده فهو عليه تعالى وان القبيح هو فعل القبيح لا خلقه وارادته لا يقول
ما يودي به قوله اليه من الكفر كراهته له ويتفاديا بالاسلام به وعلى اختلافهم اي
اختلاف السلف اختلف الفقها والمتكلمون في ذلك اي في تكفيرهم فمنهم من
صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف لاعتقادهم ما يودي اليه من
بدع قطيعة وارا تشنيعه ومنهم من اباه اي ابا التكفير ولم ير اخراجهم من
سواد المومنين بعد دخولهم في عدادهم بتوحيدهم وشهادتهم بالرسالة
قال صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا وفي رواية حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله وان محمدا وفي رواية واني رسول الله وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها
فقد عصموا مني دماهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله وهو اي القول
بعدم تكفيرهم قول اكثر الفقها والمتكلمين وقالوا هم فساق عصاة بارتكابهم
بدعا واهوا متسعة ضلال بتمسكهم في ذلك بتاويل باطله ويوارثهم من
سوى اقاربهم المسلمين ومن يرث ما لهم ويحكم لهم باحكامهم مما لهم وعليهم
ولهذا قال سحنون لا اعادة على من صلى خلفهم قال اي سحنون وهو اي القول
بعدم اعادة من صلى خلفهم قول جميع اصحاب مالك كابن الماجشون والمغيرة
وابن كنانة واشهب قال اي سحنون لانه اي من صلى خلفه منهم مسلم وذنبه

بارتكابه ما يفسقه لم يخرجه عن الاسلام وان كان كبيرة واضطرب آخرون في
ذلك يكفرون بما قالوه مما يورد مساقه الى كفر ووقفوا محجمين عن القول
بالتكفير بعدمه لانهم وان قالوا بما يودي مساقه الى الكفر فلعلهم اذا وقفوا
عليه يحجموا عنه او وقفوا محجمين عن صرح الى القول بالتكفير لظاهر ما قالوه
مما يسوق اليه واختلاف قول مالك في ذلك اي في التكفير وعدمه وتوقفه عن
القول باعادة الصلاة اذا صليت خلفهم منه اي مما اضطرب فيه اولئك الآخرون
والى نحو من هذا الاختلاف والتوقف من مالك ذهب القاضي ابو بكر الباقلاني
امام اهل التحقيق تحاميا من التصريح باسم الكفر والحق انها اي مسالة القول
بتكفير من الغوامضات التي لا تدرك الا باتعاب فكر وامعان نظر اذ القوم لم
يصرحوا باطلاق اسم الكفر عليهم لما معهم من التاويل لما قالوه مما يودي مساقه
الى كفر وانما قالوا قولا يودي اليه واضطرب قوله اي قول القاضي على نحو اضطراب
قول امامه مالك بن انس حتى قال اي القاضي الباقلاني في بعض كلامهم على اي من
كفر بالتاويل ولا تحل مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم لا حرمة اهل السنة
ولا الصلاة على ميتهم لمونه في اعتقاد من يكفرهم على الكفر ويختلف في
موارثتهم على الاختلاف في ميراث المرتد على ما مر عن ابن القاسم وغيره
وقال ايضا اي القاضي ابو بكر يورث ميتهم ورثتهم من المسلمين واكثر
ميله اي القاضي ابو بكر الى ترك التكفير وكذلك اضطرب فيه اي في القول
بتكفيرهم قول شيخه طريقته ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان
الكفر خصلة واحدة لا تتفاوت باختلاف الاشخاص وهو اي الكفر الجهل بوجود
الباري تعالى وتقدس عن ان يكون مجهولا وقال اي الاشعري مرة من اعتقد ان
الله جسم او انه بعض من لقيه في الطرق فليس بعارف به تبارك وتعالى
وهو كافر ولمثل هذا اي ما قاله الاشعري من عدم التكفير ذهب ابو المعالي
امام الحرمين عبد الملك بن محمد الجويني الشافعي في اجوبته لابي محمد عبد الحق
الاشبيلي وكان الواو للحال قد سأله عن المسالة التي ميل الاشعري فيها الى عدم
التكفير اكثر فاعتذر له بان الغلط فيها بالقول بالتكفير صعب لان ادخال
كافر في الملة اي الاسلامية واخراج مسلم منها عظيم في الدين فوجب الاحجام
عن القول بالتكفير وقال غيرهما اي الاشعري وابي المعالي من المحققين الذي يجب
القول به هو الاحتراز من التكفير في اهل التاويل وان كان تاويلهم خطا في نفس
الامر فان استباحة دما المصلين الموحدين خطر لا يقدم عليه لعظمه والخطا
في ترك الف كافر في نفس الامر مع الحكم باسلامهم اهون من الخطا في سفك
محجمة من دم مسلم واحد في نفس الامر لم يحكم بكفره وقد قال صلى الله عليه وسلم

امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا قالوها يعني الشهادة بوحدانيته
تعالى وبرسالة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلوا وزكوا عصموا اي منعوا
وحفظوا مني دماءهم جمع دم واصله دمو واموالهم الا بحقها استثناء
مفرغ من عام والعصمة متضمنة لنفيه ليصح تفريغ الاستثناء اذ هو شرطه
الا بهدر دمائهم ولا تستباح اموالهم بسبب من الاسباب الا بحق الاسلام
كما ورد كفعل الواجبات وترك المنهيات فانها واجبة محققه وبدا لبرهان ن
المؤمنون بما لهم فان فعلوا وتركوا بنية صالحة فهم مؤمنون حقا وتقية وخوفا
عصموها مني وحسابهم على الله اي اليه تعالى لانه الذي يتولى سرائرهم من ايمان
وكفر ونفاق واما رسوله صلى الله عليه وسلم فامر ان يحكم بمقتضى وعد اذ لا
خلف وعد وان زعم المعتزلة وجوبه عليه تعالى عقلا وعموم الحديث موذن
بقبول توبة المرتد والزنديق وجاحد مجمع عليه وجوبا كالصلاة هذا واشتراط
التلفظ بالشهادة انما هو لاجراء الاحكام الشرعية عليه في الدنيا وكف القتل
عنه والا فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بها فهو مؤمن عند الله وبه قال شيخا السنة
الاشعري والماتريدي واكثر محققي انصارهما بشهادة كتب في قلوبهم الايمان
ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقلبه مطمئن بالايمان اللهم ثبت قلبي على دينك وقيل
لابد من التلفظ بها وعليه كثيرون وعزي لابي حنيفة فهو عنده هو لا شطر
واولئك شرط وبهذا الخلاف انما هو في قادر ترك التلفظ بها لا على وجه الاباء ه
فالعاجز مؤمن اجماعا والقادر المصر على تركه مع مطالبته به كافر اجماعا عالما عليه من
ملابس الانكار فالعصمة للدماء والاموال مقطوع بها مع الشهادة بان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله ولا ترتفع اي العصمة وتستباح خلافها من دم او
مال الا بقاطع من الادلة ولا قاطع من شرع ولا قياس عليه اي على ما تستباح
موذن باحته والفاظ الاحاديث الواردة في الباب في اكفار المتأولين
معرضة للتاويل لعدم صراحتها باكفارهم فما جاء منها في التصريح بكفر القدرية
وفي قوله اي النبي صلى الله عليه وسلم لا سهم لهم اي للقدرية في الاسلام بشهادة
حديث ينادي يوم القيامة ليقم اعداء الله فيقوم القدرية وحديث القدرية
مجوس هذه الامة اي لقولهم بان العبد يخلق افعاله فهم كهم في قولهم بخالقين وفي
تسميته اي النبي صلى الله عليه وسلم ولو اراد ... الرافضة بالشرك لغلوهم
غلاتهم القائلون بالهية علي وسموا شركا لتمكنهم منه ولزومهم له وفي اطلاق
اللعنة عليهم اي على الرافضة كالمجوس وكذا للخوارج الذين خرجوا على علي بالنهروان
وغيرهم من اهل الاهواء كالشيعة والزيدية سليمانية وبترية وجارودية

فقد يحتج بها من يقول بالتكفير فضلا عما هنا وقد يجاب للاخر اي القائل بعدم التكفير
بانه الضمير للشأن بنفسه قد ورد مثل هذه الالفاظ اي الفاظ الاحاديث
المعرضة للتاويل في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ زجرا وتنفيرا وزجر عنه
كحديث من اتى عرافا فصدقه فهو كافر فقد كفر وكفر دون كفر واشراك دون اشراك ل
للتفاوت بين كفر من قضى بكفره ظاهرا وكفر من قضى بكفره بتكذيبه نبيه او
باقواله وقد ورد مثله اي مثل الحديث الوارد في غير الكفرة في الزنا وعقوق الوالدين
والزوج كحديث لا يزني حين يزني وهو مؤمن وبعد من ادرك ابويه او احدهما
فلم يدخلاه الجنة ومن باتت وزوجها ساخطا عليها لم ترح رائحة الجنة وورد مثله في
غير معصية واذا كان الحديث الوارد الامرين محتملا للامرين من كفر وغيره فلا
يقطع باحدهما الا بدليل لامتناع الترجيح بدون مرجح قاطع او غير
قاطع وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج فيما رواه مسلم عن ابي ذر هم
شر البرية من برأ الله الانام اي خلقهم لا على مثال وهذه اللفظة من بند
اختصاص بخلق الحيوان وقلما تستعمل في غيره من المخلوقات تقال برأ الله النسمة
وخلق السموات والارض وهذه اي كلمة هم شر البرية صفة الكفار لوصفهم
بالاشرية وقوله اي النبي صلى الله عليه وسلم ورواه النسائي هم شر قتيل تحت اديم
السماء الادم في الاصل الجلد استعير لظاهرها وطوبى فعلى من الطيب
ضمت الطاء فقلبت الياء واوا اي الجنة او شجرة لمن قتلهم قد قتلهم علي بنهر
ده النهروان شر قتلة ولم يبق منهم الا من هرب وطوبى لمن قتلوه لفوزه بالشهادة
وخسرهم بالشقاوة وقوله فيما رواه الشيخان عن ابي سعيد الخدري فاذا
وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد مبالغة في الامر بقتلهم اي كقتل عاد في الشمول
والا فهم قتلوا بالريح العقيم ولا يقدر عليها الا الله وظاهر هذا القول منه صلى
الله عليه وسلم هو الكفر لا سيما وقد ذكرهم مع تشبيههم بعاد قوم هود
صلى الله عليه وسلم المؤذن بكفرهم كالمشبه به فيحتج بها اي بتشبيههم لهم
من يرى تكفيرهم لتشبيههم بكفار هلكوا بالدبور فنقول نحن ممن لا يرى
تكفيرهم له اي لمن يراه انما ذلك من قتلهم اي لم يشبهوا بعاد من حيث
تكفيرهم من حيث الامر بقتلهم لهم لخروجهم على الاسلام وبغيهم عليهم
بدليله اي دليل خروجهم وبغيهم عليهم من الحديث نفسه يعني قوله
صلى الله عليه وسلم يقتلون اهل الاسلام فقتلهم هنا حد واجب دفعا
لشرهم لا لكفر وذكر عاد للتشبيه لقتلهم بالقتل لعاد وطريق التشبيه
للمقتول من الخوارج بالمقتول من عاد حتى يلزم الكفر وليس كل من حكم بقتله حكم
بكفره كمن ترك الصلاة كسلا فانه حكم بقتله لا بكفره ويعارضه اي يعارض من

لا يرى تكفيرهم من براءه بقول خالد في الحديث فيما رواه الشيخان عن ابي سعيد
وغيره اضرب عنقه يا رسول الله فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله
يصلي فيدل ذلك على انه ممن دخل في كلام الله وكلام رسوله للتحقيق فان
احتجوا اي من يرى تكفيرهم بقوله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن لا يجاوز
حناجرهم جمع حنجرة وهي راس الغلصمة الذي يرى ناتئا خارج الحلق وكذا قوله
يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فعيلة بمعنى مفعولة اي مرميه
مما يرى فيمرق به منه السهم من صيد او غيره سبق اي السهم بمروقه سريعا
الفرث والدم يدل على انه اي الذي يقرأ القرآن فلا يجاوز قراءته حنجرته لم
يتعلق من الاسلام بشيء كما ان السهم بمروقه سريعا لم يعلق بشيء منهما وعن
ام كلثوم بنت علي قالت لاهل الكوفة اي كبد فريتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الفرث تفتيت الكبد بالغم والاذى اجابهم الاخرون الذين لا يكفرونهم عما
احتجوا به لترك تكفيرهم ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه او لا
يعملون باوامره ولا يجتنبون نواهيه وهذا احسن جوابا وما رضوهم عطف
على جواب الشرط اعني اجابهم الاخرون بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى
في الفوق اي يتردد في موضعه من الوتر ولا يثبت وهذا يقتضي التشكك في
خالد لحكم بكفرهم ام لا وان احتجوا اي من يرى تكفيرهم بقول ابي سعيد في هذا
الحديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة قوم
يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ولم يقل من هذه الامة وتحري ابي سعيد
واتقانه اللفظ اذ قال في دون من مؤذن بانهم كفار ليسوا من الامة اجاب
الاخرون ممن لا تكفيرهم بان العبارة بفي لا تقتضي تصحيحا لكونهم من غير الامة
وان كان ظاهرها تقتضيه بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض ولا تقتضي تصحيح
كونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر الغفاري وعلي وابي امامة سهل
بن حنيف في هذا الحديث اي حديث الخوارج يخرج من امتي وسيكون من امتي
مما هو صريح في كونهم منهم وحروف المعاني دون حروف المباني مشتركة
في الدلالة على معانيها ينوب فيها بعضها عن بعض اما بلا تضمين ما لا يتعدى به من
الافعال معنى ما يتعدى به منها كما في حديث كف عليك هذا اي عنك لسانك فاستعير
على لعن او بتضمين كف معنى امسك تعدى بعلى فلا تعويل الفاء هنا مفصحة عن مقدر
اي واذا كانت مشتركة فلا اعتماد على اخراجهم اي الخوارج من الامة بفي في
الرواية الاولى ولا تعويل ايضا على ادخالهم فيها بمن في الرواية الثانية لاحتمال ورود
كل من في ومن فيهما بمعنى الاخرى كما في هذا ذراع في ارض اي منها وفي اذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة اي فيه لكن ابا سعيد اجاد ما شاء في التنبيه عليه اي على اخراجهم من

الامة بظاهر في دون من انهم ليسوا منهم وهذا اي تعبير ابي سعيد بفي دون
من مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني بايراد الالفاظ الدالة
بدون احتمال على غيرها واستنباطها اي اخراجها من القوة الى الفعل من الالفاظ
الموضوعة لها الدالة عليها وتحريرهم لها حفظا لها عما يوهم احتمالها غير ما وضعت
له من المعاني وتوقيهم في الرواية ما لم يرد باحتياطهم له هذه المذاهب
التي ذكرت فيما مر هي المعروفة لاهل السنة واما ما لغيرهم من الفرق
فيها كالمعتزلة والشيعة فقد ورد لهم فيها مقالات كثيرة مضطربة سخيفة
اي رقيقة ضعيفة عقول اصحابها اقربها قول جهم هو ابن صفوان من المعتزلة
وقول محمد بن شبيب منهم ايضا ان الكفر بالله هو الجهل به وجودا لا يكفر احد
بغير ذلك اي بغير الجهل به وجودا وقال ابو الهذيل منهم ايضا ان كل متأول
كان تأويله تشبيها لله تعالى اي مؤذن بتشبيهه بخلقه وتجويرا له من الجور وهو
الميل عن الاستقامة تعالى عن ذلك في فعله وتكذيبا لخبره فهو كافر وقال
ايضا كل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر لانه تعالى واحد لا شريك له
وهذا مؤذن بكفر من قال بقدم صفاته الثبوتية كالعلم والقدرة والارادة مع انه
لا محذور في القول بقدم ذات واحدة مع صفات وذلك منه غلو ومبالغة قضيا
رجوع كفره لم عليه لشبهه ذه حديث من دعا رجلا بالكفر وليس كذلك كان ابي رجع
عليه ما نسبه اليه وقال بعض المتكلمين ان كان اي المتأول ممن عرف الاصل
وبنى عليه تأويله وكان اي تأويله فيما هو من اوصاف الله بما لا يليق به فهو كافر
وان لم يكن من هذا الباب اي باب ما يؤدي الى كفره ففاسق خارج عن طاعة
الله الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل وبنى تأويله رجما بالغيب على ما لم يعرفه من
صفاته تعالى فهو مخطئ في تأويله لعدم اصابته الحق آثم فاسق غير كافر لقيام
عذره بجهله وذهب العنبري من المعتزلة الى تصويب اقوال المجتهدين في اصول
الدين فيما كان من مسائله عرضة للتأويل كما قيل المعتزلة انه تعالى متكلم بكلام يخلقه
الكلام في جسم وفارق اي العنبري على ان الحق في اصول الدين واحد لقطعية
براهينه والمخطئ فيها آثم عاص فاسق لمخالفته الحق وانما الخلاف في تكفيره ولا
يكفر ما دام تأويل لان خطأه ليس قادحا في اسلامه وحكى الباقلاني بن الطيب المالكي
مثل قول العنبري عن داود الاصبهاني امام الظاهرية قال اي الباقلاني وحكى
عنهما اي عن داود والعنبري انهما قالا ذلك اي تصويب المجتهدين في اصول الدين
في كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع في طلب الحق وان اخطأه في نفس الامر
من اهل ملتنا او من غيرهم وقال بنحو هذا القول الذي قالا ابو عمرو الجاحظ وثمامة
بن اشرس من المعتزلة ان كثيرا من العامة والنساء والبله بضم الباء جمع ابله وهو الغافل

عن الشر المطبوع على الخير ومن غلبت عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس لا غفل لهم امر دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها واقبلوا على آخرتهم فشغلوا انفسهم بها فاهلوا الان يكونوا اكثر اهل الجنة البله اما الابله الذي لا عقل له فغير مراد بالحديث وعن الزبرقان خير اولادنا الابله العقول اراد انه لشدة حيائه كالابله وهو عقول

ومقلدة النصارى واليهود ونحوهم لا تجب الله عليهم اذ لم يوقفهم على قولهما مالوظهم ويبعثهم على النظر فيما نصبه من الادلة الموصلة الى المعرفة المودية بالحجة له عليهم فلم يكن لهم طباع اسم مونث على فعال وكمهاد ومثال لا جمع طبع لانه مصدر يمكن معها الاستدلال المودي الى المطلوب فلم يكن له تعالى عندهم هنا عليهم حجة وهو قول مرفوض لاقتدارهم في الجملة على معرفة اوائل الادلة التي تتسارع الى الافهام ولا يكلفون تفاصيلها ولا تحيص العبارة عنها وايضا فمن نشا في دار الاسلام وتواتر عنده حال النبي صلى الله عليه وسلم وما ظهر على يده من المعجزات او تفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار فمن اهل النظر والاستدلال ومن ثم قال وقائل هذا كله كالجاحظ وثمامة كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود والمجوس كما يلوح به والله اعلم قوله

وان نارا بالتنزيل محراب مسجد ۞ فما نار بالانجيل هيكل بيعتي

وقوله

وان عبد النار المجوس وما انطفت ۞ كما جاء في الاخبار عن الف حجة

فما عبدوا غيري وما كان قصدهم ۞ سواي وان لم يظهروا عقد نية

والله اعلم بما اراد بذلك وبالاجماع على كفر كل من فارق دين المسلمين بردة قولا او فعلا او وقف اي توقف في تكفيرهم او شك اي تردد فيه قال القاضي ابو بكر الباقلاني لان التوقيف من الله ورسوله والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف اي توقف وتردد في ذلك فقد كذب النص الوارد من الله ورسوله بكفرهم والتوقيف به عليه او شك فيه فقد رفضهما ولم يعتبرهما فيه والتكذيب والشك فيه اي في كفر من كفرهم لا يقع كل منهما الا من كافر لعدم اعتباره لهما فصل في بيان ما هو من المقالات كفر جمع مقالة من القول والميم زائدة وما يتوقف او يختلف فيه اكثر الهاء وما ليس بكفر اجماعا اعلم امر لكل من يتاتى توجيهه اليه وما بعده سد مسد مفعوليه ان هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع اي ما شرعه الله تعالى لعباده اي بينه لهم وامرهم بالعمل به وقد شرع اذا ظهر بمورد الشارب تشبيها بليغا او موكدا اي الشرع الذي هو كالمورد لرجوع الناس في وقت نهمهم اليه ولا مجال اي سعة للعقل فيه والفصل البين اي الظاهر الذي لا مجال

لرده الفاصل بين من يحكم بكفره وغيره ان كل مقالة صدرت من احد وصرحت والعياذ بالله بنفي الربوبية او صرحت بنفي الوحدانية او صرحت بثبوت عبادة احد غير الله او صرحت بثبوت عبادة احد مع الله فهي اي المقالة كفر جعلها نفسها كفرا مجازا مرسلا لانها منشاوه كمقالة الدهرية القائلين بان الدهر هو الزمان الطويل مدة الحياة الدنيا هو المؤثر في هلاك الانفس منكرين ملك الموت وقبضه الارواح بامر الله وكان من شان العرب ذمه وسبه عند النوازل والحوادث ويقولون ابادهم الدهر واصابتهم قوارعه وحوادثه واشعارهم ناطقة بشكواه وذكر الله عنهم في تنزيله وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذمه وسبه بقوله لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفي رواية فان الله هو الدهر اي لا تسبوا فاعل هذه الاشياء فانه هو الله لا غير فتقدير الرواية الاولى فان جالب هذه الحوادث ومنزلها هو الله لا الدهر وتقدير الرواية الثانية فان الله هو الجالب لها فوضع فيها موضع الجالب لها لاشتهاره عندهم بانه الجالب ردا لاعتقادهم ذلك وسائر فرق الاثنين القائلين انا نجد في العالم خيرا كثيرا وشرا كثيرا فلا بد لكل منهما من فاعل ضرورة امتناع كون الواحد خيرا شريرا ثم بينهم بقوله من الديصانية مهملين الاولى يكسونه عنهما با والمانوية وفي نسخة والمانية نسبة الى ماني الذي نبغ في زمان سابور بن اردشير وادعى النبوة وقال ان للعالم اصلين قديمين نور هو مبدأ الخير وظلمة هو مبدأ الشر فصدقه فلما تولى بهرام سلخه وحشاه تبنا وقتل اصحابه الا من هرب الى الصين ودعا الى دينه فاجيب وقد ذكره المتنبي في شعره فقال

وكم لظلام الليل عندي من يد ۞ تخبر ان المانوية تكذب

واشباههم ممن عبد غير الله من الصابئين من صبا اذا خرج من دين الى آخر وهم فرقة عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة لاعتقادهم بانهم في عالم العناصر مدبرة للامور قديمة بالزمان شفعاء للعباد عند الله مقربة لهم اليه زلفى والنصارى قالوا الاله هو تعالى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب اي الذات واقنوم الابن اي العلم واقنوم روح القدس اي الحياة فان صح عنهم ذلك فمعناه الله ثلاثة والا فمعناه آلهة ثلاثة والذي افاده القرآن نص حكم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم ۞ يشهد له قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقوله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقد اشتهر عنهم انهم لما قالوا لا هو فيه لا هو منه

جهة الاب وناسوتيه من جهة الام بشهادة قوله انما المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله وكلمته القاها الى مريم مثبتا انه ولدها اتصل به اتصال الاولاد
بامهاتهم واما اتصاله به تعالى فانما هو من حيث انه رسوله وايجاده
بابداعه جسدا حيا بلا اب فنفى اتصاله به تعالى اتصال الابناء بالاباء نحو بما
افاده قوله في الاية رسول الله **والمجوس** القائلين بخالقين يزدان وهو مبدأ الخير
واهرمن وهو الشيطان مبدأ الشر واختلفوا في قدمه وحدوثه من يزدان
وفي الحديث القدرية مجوس هذه الامة قيل لمضاهاتهم المجوس في قولهم باصلين
نور وظلمة فالخير كائن من فعل النور والشر من فعل الظلمة وكذا القدرية يضيفون
الخير الى الله والشر الى الانسان والشيطان مع ان الله هو الخالق لهما اذ لا يكون
شيء منهما الا بمشيته تعالى فهما مضافان اليه خلقا وايجادا والى فاعليهما عملا
واكتسابا **والذين اشركوا بعبادة الاوثان** اي الاصنام **او** بعبادة **الملائكة او**
بعبادة **الشياطين او** بعبادة **الشمس او النجوم او** بعبادة **النار او** بعبادة **احد غير**
الله من اهل الهند والصين لاعتقادهم جميعا انه تعالى ولله المثل الاعلى جسم
في احسن صورة وكذا الملائكة فنحتوا صورا وبالغوا في تحسينها وتزيينها وعبدوها
او لكونهم كانوا اذا مات نبيهم بمنزلة عند الله منزلة كاملة اتخذوا تمثالا على
صورته وعظموه تشفعا وتوسلا اليه تعالى به او لاعتقادهم كونها موثرة
في عالم العناصر مدبرة لامور قديمة بالزمان شفعاء للعباد عنده تعالى مقربة
اياهم اليه زلفى **وكذلك** اي ومثل من ان منا لانهم كفر **القرامطة** هم الاسماعيلية
لاثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق واصل دعوتهم الى ابطال الشرائع
لان طائفة من المجوس عند استيلاء الاسلام وغلبته على الممالك وضعفهم عن دفعه
راموا تاويلها على وجوه تعود الى قواعد اسلافهم بسبب رجوعهم ضعفاء المسلمين استدراجا
بورثهم الخلاف واضطرابا في شريعتهم ورأسهم حمدان قرمط من قرى واسط فلقبوا
بالقرامطة سابع سبعة الالقاب وتنبوا في الدعوة الى ذلك مراتب باطلة ابتدعوها
وخرافات عاطلة اخترعوها لا فائدة في ذكرها منها اباحة المحرمات والترغيب في اللذات
وتاويل الاحكام كقولهم الوضوء موالاة الامام الذي هو الحجة والتيمم الاخذ عما
دونه في غيبته والصلاة الرسول والاحتلام افشاء شيء من اسرارهم الى من ليس من
اهله بلا قصد والغسل تجديد العهد والزكاة تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من
الدين والكعبة والصفا النبي والباب والمروة علي والميقات الاساس والتلبية اجابة
المدعو والطواف موالاة الائمة السبعة لكون يقتدى بامام يودي عن الله وحجة يودي
عنه وذو مصة يمص العلم من الحجة وابواب هم دعاة اكبرهم يرفع درجات المومنين
ودونه ياخذ العهود ومكلب يحتج ويرغب ككلب الصيد ومومن يتبع الداعي والجنة

راحة الابدان من التكاليف والنار مشقتها بمزاولة التكاليف الى غير
ذلك مما هو مثل حديث خرافة **واصحاب الحلول** من النصارى والباطنية
وبعض المتصوفة كالسيابي **واصحاب التناسخ** القائلين بانتقال الارواح
من ابدانها الى ابدان اخر في الدنيا **من الباطنية** هم الاسمعيلية وهذا من
القابهم المشتهرة كما مر ولقبوا به لقولهم بباطن القران دون ظاهره المفهوم
منه لغة اذ هو المراد منه ونسبته كنسبة اللب الى القشر فظاهره عذاب
بمشقة التكاليف وباطنه مود الى تركها وتمسكوا فيه بقوله تعالى فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
وهو ايضا مذهب المنصورية ايضا **والطيارية** ويسمون الجناحية **من**
الروافض اصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين
قالوا الارواح تتناسخ وروح كانت في ادم ثم في شيث ثم في الانبياء
والائمة حتى انتهت الى علي واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله بن معاوية
المذكور وهو في جبل باصبهان وسيخرج وانكروا القيامة واحلوا
المحرمات **وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته واعتقد انه**
غير حي او غير قديم كالهشامية اصحاب هشام بن الحكم وهشام سالم
فانهم اتفقوا على انه تعالى عما يقولون علوا كبيرا جسم ثم اختلفوا فقال ابن
الحكم هو طويل عريض عميق متساو طولا وعرضا وعمقا وهو كسبيكة
بيضاء صافية يتلألأ من جانب وله لون وطعم ورائحة وليست هذه
الصفات غيره ويقوم ويقعد وله مشابهة بالاجسام ويعلم ما تحت
الثرى بشعاع ينفصل عنه اليه وهو سبعة اشبار باشبار نفسه
مماسته للعرش بلا تفاوت بينهما وارادته حركة لا عينه ولا غيره ولا
تدل عليه الاعراض بل الاجسام لمشابهته لها والائمة معصومون
دون الانبياء لانهم يوحى اليهم ويتقربون اليه بخلافهم لا يوحى اليهم
فوجب ان يكون الامام معصوما وقال ابن سالم هو على صورة انسان له يد
ورجل وحواس خمس وانف واذن وعين وفم ووفرة سوداء نصفه الاعلى على
مجوف والاسفل مصمت ليس بلحم ولا دم فوصفهم له بذلك يدل على انه
محدث ومصور سبحانه وتعالى عن ذلك **او ادعى له تعالى ولدا او صاحبة**
اي زوجة كالنصارى كما مر **او والدا او انه تعالى متولد من شيء او انه**
تعالى **كائن عنه** اي عن شيء **او ادعى ان معه** تعالى **في الازل شيئا قديما غيره**
وغير صفاته فانها قديمة بالزمان بمعنى عدم المسبوقية بما ثبت من ان
ما سواه وصفاته حادث ومن زعم انها قديمة بالذات اراد انها قديمة بذات

الواجب بالذات اعني الله تعالى بمعنى انها لا تفتقر الى غيره او ادعى ان ثم
اي في الوجود صانعا للعالم سواه كالمشركين عربا ومجوس ودهرية وصابئيه
وما نوية كما مر او ادعى ان لله معبرا غيره بذلك اي المدعي المعاد بالفعل
كله كفر مؤذن بان معتقده كافر باجماع المسلمين كالالهيين من الفلاسفة
القايلين بالوجود المطلق الباحثين في العلم الالهي عن ذات الواجب وما يتعلق
به وعن الاجسام واحوالها والمنجمين الباحثين عن النجوم واحوالها قيل
للاسكندر الرومي كان عند منجم في بستانه فاراه النجوم واحدا واحدا فوقع
في بير فيه وهو لا يدري فقال لمن تعاطي علم ما فوقه جهل علم ما تحته والطبائعيين
القايلين بتاثير الطبيعة في الايجاد والتدبير وكذلك من ادعى مجالسته كذا
والعروج اي الصعود من صعد الى فوق صعودا اذا طلع لا من اصعد
في الارض اذا سار اليه تعالى عن ذلك وادعى مكالمته او حلوله في احد
الاشخاص كقول بعض المتصوفة كابن سبعين والعفيف التلمساني والتمر السالك
التبريزي ومن عشي ضو نارهم كلهم قالوا ه وزعموا ان السالك اذا
في سلوكه وخاض لجة الوصول فربما حل الله سبحانه وتعالى فيه كالنار في الجمر
واتحد به فيرتفع الامر والنهي ويظهر من العجايب والغرايب ما لا يتصور
من البشر وعن بعض متصوفة اهل مصر كان يقول لاصحابه طوبوا لبيت
الرب يعني قلبه فيه وردوا حوله والنصارى فانهم قالوا ان اقنوم العلم اتحد
بعيسى صلى الله عليه وسلم وتدرع بناسوت جسده بطريق الامتزاج كالخمر
بالما عند الملكانية وبطريق الاشراق كالشمس في كوة بلور عند النسطورية
وبطريق الانقلاب لحما ودما بحيث صار الاله هو المسيح عند اليعقوبية
وهذه الاراء شنيعة ولاحقة كلها هذيانات فسادها غني عن بيانه هذا وللاولياء
تعالى مقام يسمونه الفنا في التوحيد وتحقيقه شرح كتابنا مقاصد المقاصد
وكذلك نقطع بكفر من قال بقدم العالم اي بالزمان بمعنى عدم مسبوقيته
به او بقائه اي من قال انه قابلا لا يفنى او شك في ذلك اي في كونه قديما
او باقيا لا يفنى على مذهب بعض الفلاسفة ولو يعتقد حدوثه والدهرية القائلين
باستناد الحوادث الى الدهر ومن قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد
الاباد في الدنيا كما مر في الاشخاص من بدن الى بدن اخر وتعذيبها او تنعيمها
فيها اي في الاشخاص بحسب زكاتها اي طيبها وخبثها بحسب اعمالها وكذلك من
اعترف بالالهية والوحدانية لله تعالى ولم يشرك به شيئا ولكنه جحد النبوة من
اصلها عموما كان يقول ما بعث الله احدا من خلقه او جحد نبوة نبينا خصوصا او جحد
نبوة احد من الانبيا ممن نص الله عليهم بعد علمه بانه نبي فهو كافر بلا ريب لجحوده ذلك

كالبراهمة ومعظم اليهود ومنكري نبوة عيسى صلى الله عليه وسلم مطلقا وعموم
رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم والاروسية من النصارى قيل فرقة من رهط
هرقل وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس كان في الزمن الاول قتلوا نبيا بعث اليهم والغرابية
من الروافض لقبوا رافضة لانهم بايعوا زيد بن علي وقالوا له تبرأ من الشيخين نقاتل
معك فابى وقال كانا وزيري جدي فلا اتبرأ منهما فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه
والغرابية منهم الزاعمين ان عليا كان هو المبعوث اليه جبريل بالرسالة فغلط
وبلغها محمدا صلى الله عليه وسلم لتشبهه بعلي كالغراب بالغراب وكالمعطلة جمع معطل
اسم فاعل من العطل وهو فقد الشيء سمي به لتعطيله الوجود بنفي الصانع والقرامطة
والاسمعيلية هم هم واختلفوا القابا كما مر والعنبرية من المعتزلة وفي نسخة
والعبيدية من بني عبيد من بنات القداح اليهودي اسلمت امه فتزوجها شريف فزعم
عبيد انه ابنه ودعا الناس الى انه يبايع بالخلافة فطلب فلحق بالمغرب وبويع له
بها وتولى من بنيه بمصر اربعة عشر خليفة اخذها منهم نور الدين الشهيد وان
بعض هولا الطوايف المذكورين قد اشركوا في كفر اخر مع من قبلهم ككفر
بعض الرافضة بتكفيرهم الصحابة وقذف عايشة مع مشاركتهم من قال
بالالهيين في كفرهم باعتقادهم الالهية في علي او اولاده او حلول الله فيهم وكذلك من
دان اي اقر وخضع واقر بالوحدانية وصحة النبوة واقر بصحة نبوة نبينا صلى
الله عليه وسلم ولكن لما لم يلتزم ما هو من لوازم النبوة من عصمة الانبيا وغيرها
وجوز على الانبيا الكذب فيما اتوا به عن الله من الدين سوا ادعى في ذلك اي في
زعم جوازه عليهم من الكذب المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر بنحو من ذلك
عليهم باجماع من العلما وان ادعى فيه المصلحة كالمتفلسفين وبعض الباطنية
والروافض وغلاة المتصوفة والاباحية ممن نكب عن منهج الحق وقال بما ان
تاملته مما مر من مقالاتنا ودليلنا الفرق والزايغة فادك انهم لهم فيما كفروا به فان
هولا الفرق كلهم يزعمون ان ظواهر الشرع مما ورد بالمعاد وغيره واكثر ما جات
به الرسل الى قومهم من الاخبار عما كان فيما مضى من الزمان وعما يكون فيما ياتي
منه من امور الاخرة والحشر اي الجمع من القبور والجنة والنار ليس منها اي
من الاخبار التي جات بها الرسل بها الخلق على جهة المصلحة لهم ليكفوا عما لا يليق
بكمال الانفس مما يرد بها وتقصر به عن غاية الشرف والكمال اذ لم يمكنهم اي الرسل
مخاطبة الخلق بها الا للتصريح تلك المصلحة لقصور افهامهم اي الخلق عن ادراكها وهو
دعوى كاذبة تبعوا لهم في الرسل بما لا يليق بكريم مقامهم فمضمن بضم الميم
وتشديد الثانية مفتوحة مبنيا للمفعول اي مضمون مقالاتهم ابطال الشرائع
وتعطيل الاوامر والنواهي جمع امر ونهي اي ترك فعل المامور به وترك اجتناب

المنهي عنه وتكذيب الرسل وايقاع الارتياب اي الشك والتهمة فيما اتوا صلوات الله
وسلامه عليهم به منهم وكذلك من اضاف في نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد
الكذب من اضافة النوع الى جنسه اي نسب اليه العمد من الكذب فيما بلغه عن
ربه واخبر به خرافة اخرجت للناس او شك وارتاب تهمة منه في صدقه
او سبه صلى الله عليه وسلم اي شتمه كما مر كثيرا او قال انه لم يبلغ ما انزل
اليه وحذف للعلم به اختصارا كما واسند عوا الى دار السلام اي كل احد
الى الجنة ولا يدخلها الا من هداه واضافها الى اسمه الكريم تشريفا وتنويها
لشانها او هي دار السلامة لسلامة اهلها من كل سوء او سلام الملائكة عليهم او
افشائه بينهم او استخف به او باحد من الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم او ازرى عليهم احتقارا لهم او اذاهم كما تقدم كثيرا او قتل نبيا منهم
او حاربه فهو لشبهة ذنبهما وكفيا لصدقانه كافر باجماع من العلما وكذلك
نكفر من ذهب مذهب القدما فيما قالوا معتقدين ان في كل جنس نذيرا
اليهم مرسلا او ان فيهم نبيا غير مرسل من القردة والخنازير والدواب
والدود ونحو ذلك ويحتج له عواه ان في كل جنس نذيرا او نبيا بقوله تعالى وان من امة الا
خلا فيها نذير اذ ذلك الذي زعمه يؤذن بالكذب على الله تعالى ويؤدي
الى ان يوصف انبيا هذه الاجناس فيما ذكر من الحيوانات بصفاتهم المذمومة
من صور قبيحة وشيم لئيمة وفيه اي فيما زعمه هذا القايل من الازرا والعيب
على هذا المنصب اي منصب النبوة بفتح اوله وكسر ثانيه المنيف من ناف
ينوف اذا طال ومنه قول عايشة تصف اباها ذا الطول منيف اي جبل
عال مشرف ما نكرة من الجوامع بجمعها مع قلتها معانيا كثيرة فيه تؤذن باجحافهم
وانتقاصهم ونسبة العيب اليهم مما لا يليق بشرف محل النبوة وعظم شانه
مع اجماع المسلمين على خلافه اي خلاف مذهب القدما واجماع المسلمين على
تكذيب قايله ومعتقد مذهبها وكذلك نكفر من عرف الاصول الصحيحة
مما تقدم من الالهية والوحدانية والنبوة واعترف بنبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم ولكن قال كان اسود من ان الوارد من صفاته الحسنى انه كان ازهر اللون
وان وجهه صلى الله عليه وسلم كورقة مصحف او مات قبل ان يلتحي لما فيه من
الاستخفاف به والاستهزا او قال ليس هو الذي كان بمكة اي قبل هجرته منها
الى المدينة لما فيه من جحده وكفاك شاهدا بهذا قوله تعالى مدحا للانصار يحبون
من هاجر اليهم القاطع بوقوعها له من مكة اليها او قال ليس هو الذي كان في
الحجاز الصقع المعروف سمي حجازا لحجزه او ليس بقرشي لا بد انه بتكذيبه صلى الله
عليه وسلم في قوله انا افصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش هم ولد النضر بن كنانة

وهو اشهر من قول من قال هو من ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وذلك
كله مما يقضي بكفره لان وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة نفي
له اي لوصفه لها او لوجود ذاته صلى الله عليه وسلم وتكذيب به صلى الله
عليه وسلم وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا كاصحاب مسيلمة والاسود
العنسي او ادعى نبوة احد بعده اي بعد نبينا كالعيسوية من اليهود اصحاب
عيسى بن اسحق بن يعقوب الاصبهاني القايلين بتخصيص رسالته اي نبينا
صلى الله عليه وسلم الى العرب والخرمية بمعجمة مضمومة فرا مشددة من
التناسخية والاباحية وفي نسخة بخا مفتوحة فرا ساكنة القايلين بتواتر
الرسل لا ينقطعون ما دامت الدنيا وكبعض الرافضة القايلين بمشاركة
علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده اي بعد النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي وكذلك يكفر من قال كل امام عند هؤلا يقوم مقامه اي مقام نبينا صلى
الله عليه وسلم في النبوة والحجة كالبزيعية بموحدة مفتوحة فزاي مكسورة
فيا ساكنة فمهملة والبيانية بموحدة مفتوحة فيا ونون بينهما الف قيل
والصواب البنانية بموحدة مضمومة ونونين بينهما الف منهم اي من
البزيعية اصحاب بنان بن اسمعيل النهدي من غلاة الرافضة القايلين بنبوة
بزيع وبنان وان الله حل في علي واولاده او ادعى النبوة لنفسه كالمختار بن ابي
عبيد الثقفي او جوز اكتسابها اي النبوة والبلوغ بصفا القلب بالرياضة
الى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة قالوا اذا امعن السالك وذاق
خلاق العرفان والوصول ادركها وكذلك من ادعى منهم اي من الفلاسفة
وغلاة الصوفية انه يوحى اليه يكفر وان لم يدع النبوة كعبد الله بن ابي سرح
من قريش كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا
عليما كتب عليما حكيما واملى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما كذا قيل والله يقول
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين الى فتبارك الله احسن الخالقين فقال صلى الله عليه وسلم اكتبها كذلك نزلت
فشك وقال ان كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه او كاذبا لقد قلت كما قال
والتحق بمكة مرتدا فاهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فاخذ له عثمان
عام الفتح امانا فاسلم وحسن اسلامه وكان اخاه لامه وولاه زمن خلافته مصر او ادعى
انه يصعد الى السما بفتح عينه وفي ماضيه بكسرها عكس عهد يعهد يقال صعد الى فوق
اذا طلع واصعد في الارض اذا سار ويدخل الجنة وياكل من ثمارها ويعانق الحور العين
مجانا لكني مصاحبا للكذب فهؤلا الطوائف المذكورون كلهم كفار مكذبون
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن نفسه باعلام الله في تنزيله انه خاتم النبيين

المتصوفه

ولا نبي بعده بيننا فلا يرد عيسى لانه نبي قبله وينزل بعده ويحكم بعده بشريعته
ويصلي الى قبلته واخبر عن الله انه خاتم النبيين واخبر ايضا انه ارسل كافة
للناس بشيرا ونذيرا وما ارسلناك الا كافة للناس اي ارسالة عامة لهم محيطة بهم
اذ شمولها لم يكفيهم عن ان يخرج عنها احد منهم وعن الزجاج وما ارسلناك
الا جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وتاؤه للمبالغة
كتاء راوية وعلامة وجعله حالا من المجرور متقدما عليه خطا لان تقدم حال المجرور
عليه كتقدمه على الجار ولا يستوي لمرتكبه في مثل هذا المقام الا بارتكاب
خطا ثانيا بجعله اللام بمعنى الى فلا بد له من ارتكابهما واجمعت الامة التي هي
خير امة اخرجت للناس على حمل هذا الكلام اي اخباره عن نفسه وعن ربه انه
خاتم النبيين ولا نبي بعده وانه ارسل للناس كافة على ظاهره وانه المفيد ان
مفهومه هو المراد به ظاهرا دون تاويل يصرفه عن وصفه الاصلي الى مآل
لترك على ظاهره ولا تخصيص يخصه بمعنى غير مفهوم فلا شك في كفر هؤلاء
الطوائف كلها لتكذيبهم الله ورسوله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة قطعا اجماعا وسمعا عن الله ورسوله كتابا وسنة وكذلك وقع الاجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب القديم وحمله على خلاف ما ورد به من
المعنى المحكم كحمل بعض المتصوفة قوله تعالى في قوم نوح مما خطيئاتهم اغرقوا
فادخلوا نارا على ما حاصله اغرقوا في المحبة فادخلوا نارا مع هذيانات لتمييز
صارفة عن ذمهم لعصيانهم الى مدحهم جهلا منه نزهنا كتابا جامعا لشرح مناقب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او خص حديثا مجمعا على نقله ومجمعا على حمله على ظاهره
ليس الا بتاويل على خلاف معناه بسبيل كتكفير الازارقة من الخوارج بابطالهم الرجم
للمحصن الحر المكلف بالايلاج في فرج حرام لا دبر وخنثى وفرج بهيمة للاجماع
على كفرهم ولم يشترط الشافعي الاسلام في الرجم لحديث الموطا وغيره ان اليهود الاسلام
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وامراة من يهود قد زنيا فرجمهما وشرطه
ابو حنيفة ومالك مع شهادة الحديث برده برجمهما كافرين واحتج ابو حنيفة بحديث
من اشرك بالله فليس بمحصن مع ان المراد انه مهدر الدم لم تعصمهم بذمة او امان
او عهد لانه ليس بمحصن اذا زنى كافرا ولهذا اي ولقولنا بتكفير الخوارج بما ذكر
نكفر من دان بغير ملة المسلمين من الملل جمع ملة وهو الدين اي اتبع منها
دينا غير دينهم يتعبد به او وقف فيهم اي توقف في تكفير من ذكر او شك
او صحح مذهبهم وان اظهر مع ذلك التوقف او الشك او التصحيح الاسلام
واعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه اي سوى الاسلام فهو كافر
باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك وضعه موضع ضمير الاسلام تفخيما لشانه

ولكمال العناية به وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به الى تضليل
هذه الامة وايقاعهم في الضلال عنه بعد نبيهم والى تكفير جميع الصحابة كقول
الكميلية من الرافضة قيل والصواب كما قال الامام الذهبي ومن غلاة الروافض
الكاملية اتباع ابي كامل القائلين بتكفير جميع الصحابة بعد النبي صلى الله عليه
وسلم اذ لم يرضوا الخلافة بعده الا بكر ولم يقدموا عليا عليه وكفروا عليا اذ لم
يتقدم ويطلب حقه ولو بمحاربتهم في التقدم على ابي بكر فهؤلاء اي الكميلية
كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة باسرها اذ قد كفروا الصحابة جميعا
وبتكفيرهم لهم انقطع نقلها ونقل القرآن اذ ناقلوه هم الصحابة الى الامة في زعمهم
كفرة فلم يصح نقلهم ذلك اليهم فبطل الشرع والى هذا اي تكفيرهم الصحابة
والله اعلم اعتراض بين الاشارة وما بعدها اي رد علم ما لم يتحققه الى من
لا يخفى عليه شيء اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة بناء على كفر من
قال لمسلم يا كافر كافرا بناء على ظاهر حديث مسلم من قال لاخيه يا كافر
فقد باء به احدهما اي ان كان كما قال والا حادت عليه وقوله الاخر لا يقتل لانه
كبيرة لم يخرج عن اصل الايمان ثم كفروا من وجه اخر بسبهم النبي صلى الله عليه
وسلم وكذبهم عليه على مقتضى قولهم انه عهد الى علي بالخلافة بعده فهو
اي النبي صلى الله عليه وسلم يعلم انه اي علي يكفر بعده اي بعد النبي صلى الله عليه
وسلم وهذه جملة حالية افادت انه صلى الله عليه وسلم عهد اليه حال علمه
بانه يكفر على قولهم الباطل بتركه التقدم على ابي بكر ومحاربته له فكذلك
يكفر على فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر كالقاء مصحف
والعياذ بالله بقاذورة وان كان صاحبه الذي فعل ذلك المجمع على انه
لا يصدر الا من كافر مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل الحاكم
بان من يصدر عنه مثله كافر كالسجود للصنم مما اتخذ الها من دون
الله تعالى وقيل ما كان له جسم او صورة فان لم يكن له جسم او صورة
فهو وثن او للشمس او القمر او الصليب او النار او السعي الى الكنايس
جمع كنيسة وهي معبد اليهود والسعي الى البيع جمع بيعة بكسر اوله وهي
وهي معبد النصارى مع اهلها متعلق بالسعي اي يسعى معهم حال تحليه بزي
اي تلبسه به من شد الزنانير جمع زنار وهو ما يشد به النصارى اوساطهم
وفحص الرؤوس ثنا فمهملات من فحص الارض اذا كشفها او حلق اوساطها وتركها
كمفاحص القطا اي اماكنها التي تجثم فيها وتبيض كانها تفحص عنه التراب
اي تكشفه وفي الحديث من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة
وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال لامراء جيش مؤتة ستجدون اخرين للشيطان

في رؤسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف اذا استوطن رؤسهم كما تستوطن
القطا مفاحصها فقد اجمع المسلمون ان هذا اي فعل ما ذكر كلا او بعضا
لا يوجد ولا يصدر الا من كافر واجمعوا ايضا على ان هذه الافعال علامة
على الكفر وثبوته لمن صدرت منه وان صرح صاحبها بالاسلام لانه بذلك
كالماجن المتلاعب بالدين وكذلك اجمع المسلمون على تكفير كل من استحل
القتل لمسلم ظلما او شرب الخمر او الزنا بالزاي والنون مما حرم الله ولا
بد ان يكون استحلاله له بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة كما مر من القرامطة
اصحاب حمدان قرمط وبعض غلاة المتصوفة الزاعمين انهم وصلوا الى الله
فرفع عنهم التكليف فلم يؤاخذ بفعل محرم هنا وقد وضحنا كما بنا شرح
المقدمة بما نقل عن ادهم كما منهم انه قال اسقط عني التكليف فاستباح
فطر رمضان والخلوة بالاجنبيات من النساء وكذلك نقطع بتكفير من كذب
بايات الله واحاديث رسول الله بعد عرفانه صحتها وانكر قاعدة من قواعد
الشرع مما بني هو عليه المؤذن به حديث بني الاسلام على خمس شهادة ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج
وانكر ايضا ما عرف يقينا بالنقل المتواتر عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب
من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم او كان مشهورا كحل البيع ووقع الاجماع
المتصل الذي لم يتخلله عدم اجماع عليه مما لم يخف على احد من العام والخاص حتى التحق
بالضروريات كمن انكر وجوب الصلوات الخمس وانكر ايضا عدد ركعاتها
وسجداتها فانه يكفر بانكاره وجوب ذلك للاجماع عليه ويقول انما اوجب الله
علينا الصلاة على الجملة جملة حالية من ضمير انكر لخلوها من ضمير صاحبها
وربطها بالواو اي اوجبها من بيان كونها خمسا ومن غير بيان عدد ركعاتها
وسجداتها واورد الفعل مضارعا لتحكي الحالة التي وقع فيها انكاره لذلك
تبصيرا للسامع بتلك الصورة مع شناعتها دالة على تلفظه بسوء اعتقاده
كما هو دابهم في كل مقام فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تبهر
السامع او غير ذلك كما قال تابط شرا

باني قد لقيت الغول تهوي ۞ بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت ۞ صريعا لليدين وللجران

فانه قصد ان يصور لقومه حالته التي تزعم انه تشجع فيها نفسه على ضرب الغول
كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنه مشاهدتها تعجبا لهم من جراته على الاهوال
وثباته عند الشدائد بشهادة قوله فاضربها بلا دهش احتراسا دفعا لما عسى
يتوهم انه ضربها دهشا ويقول هذا المنكر ايضا وكونها خمسا وعلى هذه الصفة

المعتبرة فيها والشروط المعتبرة لصحتها طهارة من وضوء وغسل وتيمم
ومن بدن وستره ومكان ومن دخول وقت واستقبال لا علم اذ لم يرد
فيه في القران نص جلي وان اشتملت عليها اجمالا اية اقم الصلاة لدلوك الشمس
على القول بان الدلوك وان قلنا هو الغروب لم تشمل الظهر والعصر واجلى منها
في الدلالة على وجوبها انه واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
جمع زلفة من ازلفه اذا قربه وازدلفت فيها اي قربها غدوة وعشية وساعات
قريبة من اخر النهار واول الليل فالغدوة هي الفجر والعشية الظهر والعصر
اذ ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء ونصب طرفي النهار
على الظرفية لاضافتها الى الوقت فاعطيا حكم ما اضيفا اليه وقيل وزلفا عطف
وقرئ بضم اوله وفتح ثانيه تخفيفا ان تعطف على الصلاة اي اقمها طرفيه واقم
زلفا من الليل بمعنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله في بعض الليل قال هذا المنكر
لوجوبها والخبر الوارد به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد لا يفيد القطع
قلنا نعم ولكن يجب العمل به اجماعا بشهادة اية وما اتاكم الرسول فخذوه وقد
حذر الله من خالفه فقال فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم
فتنة او يصيبهم عذاب اليم وكذلك اجمع على تكفير من قال من الخوارج
ان الصلاة طرفي النهار اي غدوة وهي صلاة الفجر وعشية وهي صلاة
الظهر والعصر وهي دون الظهر لانها في طرف النهار ويذرون باقيها ويسمون
الاطرافية اذ عذروا اهل الاطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة اذا اتوا بما
يعرفونه من وجه عقلا وعلى تكفير الباطنية وهم كما مر في قولهم ان الفرائض
صلوات وغيرها اسماء رجال امروا بولايتهم كقوله كما مر الوضوء عبارة عن
موالاة الامام الذي هو الحجة والتيمم هو الاخذ من الماذون في غيبة الامام
والصلاة هو الناطق الذي هو الرسول الى اخر ما تقدم منهم من الخرافات
والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم الى غير ذلك من الهذيانات
الخرافية وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت نفوسهم
اي نفوس اصحابها افضت بهم اي وصلت العبادة بنفوسهم الى اسقاطها اي
الفرائض عنهم واباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع اي تكاليفها عنهم
بارتفاع الامر والنهي بحيث لا يؤاخذ احد منهم بترك ما امر به وفعل ما نهي
عنه وهذه منهم هذيانات فاسدة غني عن فساده بيانه وفي هذا المقام
مزيد بيان لاحوال اولياء الله تعالى اوردناه في شرح كتابنا صد المقاصد
وكذلك اجمع على التكفير ان انكر منكر مكة او البيت او المسجد الحرام او انكر
صفة الحج اركانا وواجبات ومحظورات وغير ذلك وقال الحج واجب في القرآن

ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واستقبال القبلة كذلك لقوله تعالى
في القرآن فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره ولكن كونه اي الحج على هذه الهيئة المتعارفة عند الناس من احرام مجردا
ووقوف وطواف وسعي وحلق او تقصير وغير ذلك وان تلك البقعة هي
مكة والبيت والمسجد الحرام الوارد بها ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه
والباد لا ادري هل هي اي مكة والمسجد الحرام تلك الامكنة المتعارفة
ام غيرها ولعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير
غلطوا ووهموا في انها هي تلك الامكنة وتلك الهيئة منهم فيما هذا
عليهم بانه يلزمهم من قولهم به احتمال الغلط في نقل اخباره واقواله وافعاله
وتغييراته الينا وذلك مما يؤدي الى ابطال الشريعة التي لا عوج فيها ولا
امتى فهذا اي المنكر لما ذكر ومثله لا مرية في تكفيره ان كان ممن يظن
به علم ذلك اسما وامكنه وكان ممن خالط المسلمين وامتدت صحبته
بكثرة مخالطته لهم الا ان يكون حديث عهد باسلام فيقال له بعد كشف اللبس
له سبيلك الذي يورد لك معرفتها ان تسال عن هذا الذي لم تعلمه بعده
بالضم ظرف ى اي لقطعه عن محذوف يضاف هو اليه اي بعد انك الذي
انت فيه كافة معمول تسال اي جميع المسلمين فلا تجد فيهم ولا بينهم خلافا
كافة عن كافة اي جميع كل قرن منا الى معاصري النبي صلى الله عليه وسلم
ان هذه الامور المذكورة انما هي هي كما قيل لك من ان تلك البقعة تسمى
كعبة لعلوها وارتفاعها قال ٥

٥ ان الذي سمك السما بنا لنا ٥ بيتا دعائمه اعز واطول ٥

اي بيت العز والشرف هو الكعبة والقبلة التي صلى اليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون من سائر النواحي وحجوا اليها من كل فج عميق
وطافوا وان تلك الافعال من احرام وطواف وسعي ووقوف وحلق
ورمي جمار ونحو ذلك هي صفات عبادة الحج وهي ايضا المراد به في قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت وقوله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس حجوا وقوله الحج
عرفة وهي اي هذه الافعال المذكورة انفا التي فعلها النبي صلى الله عليه
وسلم والمسلمون معه وبعده قرنا فقرنا الينا وان صفات الصلوات المذكورة
انفا من تحريم وقراءة وركوع وغير ذلك هي فعل النبي صلى الله عليه وسلم
وشرح مراد الله بذلك المؤذن به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي لاجل عبادتي لتشبهه ذلك الحصر المؤذن به الاثبات بعد النفي وابان حدوده

المضروبة الموقتة للمكلفين لا يتجاوزونها فيقع لك بسؤالك عما لم تعلمه العلم بان
المذكورات هي على ما ذكرنا وقع لهم العلم بها كذلك ولا ترتاب نفي او نهي
لتشبهها دة الالف بذلك بعد تقول من انكر ما ذكرنا بالكون الحج وغيره مما ذكر على
هذه الهيئة المتعارفة فهل في تلك الامام غيرها بعدان عرفتها بسؤالك عنها والمرتاب
في ذلك والمنكر بعد البحث عنها وبعد معرفتها وبعد صحبة المسلمين الدالين
على ذلك كله والهادين اليه كافر باتفاق الامة والائمة لا يعذر بقوله لا ادري
ولا يصدق فيه بل ظاهره اي قوله لا ادري التستر عن التكذيب له فيما ذا لا
يمكن انه لا يدري بعد البحث عنها وصحبة المسلمين وايضا فانه اذا جوز هذا
المنكر على جميع الامة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك بيان لما المكني بها عما
انكره بلا ادري تسترا عن تكذيبه واجمعوا على انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم
وفعله واجمعوا ايضا على انه تفسير مراد الله به اي بما دل على ما اجمعوا عليه
انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي فسر به مراد الله من صفة الصلاة والحج
ووجوبهما ومن مكة والبيت والمسجد الحرام وغير ذلك فقد ادخل الاسترابة
جوابا للشرط اتعال من الريبة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقرآن
الينا وادخال الريبة في جميعها يلزم منه ان قد انحلت عرى الدين مع وثاقتها
وامن انفصامها جمع عروة وهي في الاصل الحبل استعير مثالا للمعنى المفهوم بالمشاهد
المعلوم تصويرا للسامع حتى كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده فيه ويتيقنه
بكرة اي جملة ولم يبق منها عروة ومن قال هذا اي انكر ما اجمعوا عليه مما مر من
انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله وتفسير مراد الله فهو كافر بانكاره
ما اجمعوا عليه وكذلك اي ومثل من كفر بما انكر مما ذكر يكفر من انكر القرآن او
كلمة او حرفا منه او غير شيئا منه ببدله ونقص او زاد فيه شيئا كقول الباطنية
والاسماعيلية ممامر فرقة واحد لهم القاب سبعة منها ما ذكر قالوا للقرآن
ظاهر وباطن والمراد منه باطنه لا ظاهره المعلوم ونسبة الباطن الى الظاهر
كنسبة اللب الى القشر فظاهره معذب بالمشقة في الاكتساب وباطنه
مؤد الى ترك العمل بظاهره وتمسكوا في هذه المهملات بقوله تعالى فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب او زعم
انه اي القرآن ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او زعم انه ليس فيه حجة تعالى
لثبوت حكم او نفيه ولا هو في نفسه معجز كقول المزدار به اتباع عيسى
بن صبيح المزدار الناس قادرون على مثل القرآن واحسن منه بلاغة
ونظما مع ما ورد قطعا من التحدي من طولب من العرب العرباء بمعارضته
فلم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من فصحائهم لتشبهها دة وان

كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وهو صادق بإنا
أعطيناك الكوثر فهو بزعمه ذلك كافر وكقول هشام بن عمرو الفوطي ومعمر
الصيمري من المعتزلة أنه أي القرآن لا يدل على الله ولا حجة لرسوله صلى الله
عليه وسلم ولا يدل على حلال وحرام ولا على ثواب وعقاب ولا على حكم
وآداب مع وروده بذلك كله تعجيزا لهم وتبكيتا وتوبيخا وتبكيتا ولا محالة
في كفرهما قبحهما الله بذلك القول الكذب الذي تقولاه على الله وعلى رسوله
وكذلك نكفر من أنكر أن يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم
حجة له وقطعه تدل على صدق دعواه الرسالة وعلى أنه إلى الناس كافة لأن في
إنكار كونها حجة له صلى الله عليه وسلم نفيا لثبوت رسالته وتكذيبا لدعواه
أيا ما مع نزاهته صلى الله عليه وسلم وبراءة شرف ذاته من ذلك مقتهما الله
بما تقولاه على الجناب الشريف والمقام المنيف بما خسرا به الدنيا والآخرة
ذلك هو الخسران المبين أو بإنكاره بما أن يكون في خلق السموات والأرض
دليل على الله وجودا وإلهية وتوحيدا لمخالفتهم في ذلك الكذب بإنكارهم
الإجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم الشاهدين باحتجاجه
صلى الله عليه وسلم على منكر كون القرآن حجة له في صدق دعواه الرسالة أو
أنه فيه حجة ومعجزة أو أن في سائر معجزاته حجة له أو أن في السموات والأرض دليلا
على الله لهذا كله أنه حجة له قاطع بصدقه صلى الله عليه وسلم وبنص القرآن
به أي بكونه حجة ومعجزة له وفي خلق السموات والأرض دليل على الله تعالى كقوله
تعالى فأتوا بسورة من مثله اقتربت الساعة وانشق القمر محمد رسول الله ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لا إله إلا هو إنما الله إله
واحد وكذلك نكفر من أنكر شيئا مما نص فيه القرآن كإنكار القيامة بعد علمه
أنه أي النص من القرآن الذي في أيدي الناس ومصاحف المسلمين يتروته
في كل أوان ولم يكن جاهلا به أي بأنه منه ولا قريب عهد بالإسلام ولا نج
الو وإنما قلت للحالات أي من أنكر ذلك المنصوص عليه في القرآن جاهلا غير
قريب عهد بالإسلام محتجا لإنكاره إما بأنه لم يصح النقل للقرآن الذي عنده
ولا بلغه العلم به أو لتجويز الوهم على ناقله فيكفر بالسبيل المعقول وتسديد
الكفا مفتوحة أي هذا الذي ذكر بالطريقين أي الإجماع والنقل عنه صلى الله للقرانه م
عليه وسلم السابقين لأنه مكذب بالقرآن ومكذب للنبي صلى الله عليه
وسلم لكنه تستر بدعواه التي لا تنهض عذرا له وكذلك نكفر من أنكر الجنة
والنار أو أحدهما أو جحد يوم القيامة لإنكاره وإن لعنت الجنة للمتقين وبرزت
الجحيم للغاوين فما ذلك لأنه عليه طبيعة وإن كان قطعيا أو أنكر البعث من القبور

للأموات وأنكر الحساب والقيامة فهو كافر بالإجماع للنص عليه كتابا
وسنة ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون يوم نحشر
المتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ونضع الموازين
الموازين القسط ليوم القيامة يوم يقوم الحساب وحديث الشفاعة
العظمى شاهد بذلك كله وإجماع الأمة أي أمة الإجابة لا أمة الدعوة
على صحة نقله أي النص متواترا وكذلك نكفر من اعترف بذلك أي بالجنة
والنار وما بعدهما ولكنه قال إن المراد بالجنة والنار والحشر في الموقف
والنشر أي الخروج من القبور والثواب والعقاب على الأعمال معنى غير
ظاهرهم كقول بعض المتصوفة المتسمين بالإسلام في قوله تعالى مما خطاياهم
أغرقوا فأدخلوا نارا أي نار المحبة فصرفا للفظ عما وضع له مدحا لقوم نوح
بلا دليل يوجب تأويله مع كون اللفظ صريحا في بابه ووجد تفادا في موضوعه
وأنها لذات وآلام ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية
وبعض المتصوفة بذلك كما مر عنهم فأغنى عن ذكره هنا وزعم من قال
المراد بها معنى غير ظاهرها أن معنى القيامة هو الموت الذي هو عدم الحياة
الذي وجودها الإحساس وما به الشيء حيا أو هو فناؤها أي عدم محض وانتقاص
هيئة الأفلاك أي تغيرها وانتقالها عن أوضاعها وتحليل العالم أي خروجه
عن نظامه وإبانة أوصاله بعضها عن بعض كقول بعض الفلاسفة بذلك
ممن ينكر البعث وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة كالنصيرية والإسماعيلية
في قولهم لا يبعد أن يظهر الله في صورة بعض الخلق وأولى الناس بذلك علي وأولاده
الذين هم خير البرية وأكملهم علما وعملا إذ قد صدر عنهم في العلوم والأعمال
ما هو فوق طاقة البشر ولمن يزعموا أن الأئمة منهم أفضل من الأنبياء نعوذ بالله
أن نجهل فوق جهل الجاهلين فأما من أنكر ما عرف بالتواتر من الأخبار والسير
جمع خبر كقتل عمار بصفين وأنكر البلاد التابعة للعراق وخراسان التي لا ترجع
إلى إبطال الشريعة التي شرع الله وسنه لعباده وكلفهم به ولا يفضي إلى
القاعدة أي أمر كلي جامع منطبق بالقوة على جزئيات موضوعه من قواعد
الدين كإنكار غزوة تبوك أو غزوة مؤتة بالهمز وعدمه مخففا من البلقاء من
حوران الشام كانت في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة أو إنكار وجود أبي بكر
الصديق وعمر الفاروق أو إنكار قتل عثمان ذي النورين مع إشاعته وإذاعته
وإنكار خلافة علي المرتضى مما علم ذلك كله بالنقل ضرورة وليس في إنكاره ل
جحد شريعة ولا ما يرجع إلى إنكارها عن من الدين لا إنكار وجود أبي بكر فإنه
يفضي إلى تكذيب القرآن لتشبيه قوله تعالى ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول

بجحوده

لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فلا سبيل الى القول بترك تكفير بجحد ابي بكر خاصة
واما ما عداه مما ذكر معه فلا سبيل الى تكفير بجحده شيئا من ذلك وانكاره ووقوع العلم
جاذ لبس في ذلك اكثر من اهانة من البهتة اذا اتقاه بامر قبيح هو منه
بري فانه يبهت ويتحير كانكار هشام بن عمرو الفوطي المبالغ في انكار الجد لا اكثر
من مبالغة سائر المعتزلة وعباد الصيمري منهم وقعة الجمل مع تواتر نقلها اذ
خرج جماعة من الصحابة مع عائشة في هودج على جمل اخذ خطامه كعب بن المسور
بن مخرمة الى البصرة للصلح بين علي ومعاوية وتسكين الفتنة فنشب الحرب فلتة
من غير قصد هذا وقد غلط مغلطاي في نسبة انكارها الى ابن حزم وانكاره محاربة
علي من خالفه من الخوارج اذ نزعوا ايديهم من طاعته بعد ما بايعوه وقاتلوا معه من
ناواه زعما وكذبا منهم انه كفر اعاذه الله من ذلك برضاه بالتحكيم حيث اتفق هو ومعاوية
لطول الحرب بينهما على تحكيم ابي موسى الاشعري من قبل علي وعمرو بن العاصي
من قبل معاوية والرضى بما يريا انه من امر الخلافة فاجتمع الخوارج على عبد الله بن وهب
الراسبي وساروا الى النهروان فسار اليهم وقتل منهم كثيرا وكان مصيبا في ذلك
كله لما ثبت من امامته ببيعة اهل الحل والعقد له بالاجماع ولما تكاثر من الاخبار
في كون الحق معه ووقع من الاتفاق على انه افضل زمانه واحق بالامامة ومحاربته لقوم
بغاة لا فسقة لخروجهم على الامام الحق بشبهة هي تركه القصاص من قتلة عثمان
وانخداعه لهم خواص وبطانة له مع مطالبتهم له ان يسلمهم لهم ولم يقدر لشوكتهم
وشدة شكيمتهم ووفور كثرتهم وجزمهم بالخروج على من طالبهم بذلك فادى نظره
الصائب الى تاخير الامر حذرا من الفتنة والاخلال ووضع الامامة موضعه فاما ان ضعف
يتشبه يدعيه اي ضعف المنكر نقل ما عرف بالتواتر من اجل تهمة الناقلين ووهم
بتشديد الهاء وعطف على ضعف المسلمين اجمع اي جميعهم فنكفره بذلك لسريانه
وافضائه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع الظني المجرد عن قرائن كونه
قطعيا الذي ليس طريقه النقل المتواتر بل طريقة الاحاد المفيد كونه ظنيا عن
الشارع فاكثر الفقهاء والنظار في هذا الباب اي باب التكفير او الاجماع القطعي
قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق
عليه عموما لانه جحد اجماعا وان كان طريقه احادا واحتجوا اي من قال بالتكفير
من الفقهاء والنظار من الكتاب بقوله تعالى ومن يشاقق الرسول اي يعاديه ويخالفه
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين الذي هم عليه من الدين القيم
لايذانه بانه حجة لا يجوز مخالفته كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لتسويته جمعه
تعالى بين مشاقته واتباع غير سبيل المؤمنين في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد
المفاد بقوله نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه ويدعه وما اختاره مما لا يرضى الله

ولا رسوله ونصله جهنم من صليته بالنار اذا سويته فاذا احرقته قلت
صليته بتشديد لامه وساءت مصيرا اي مرجعا من صرت اليه اصير
مصيرا وهو شاذ والقياس مصارا كمعاش واحتجوا من السنة بقوله صلى الله
عليه وسلم من خالف الجماعة اي جماعة المسلمين اهل الحق وفي رواية من فارق
الجماعة بترك السنة واداء الحقوق واتباع البدعة والبغاة والمحاربين قيد
شبر بقاف مكسورة فيا ساكنة ونصبه على المصدر اي من خالفهم مخالفة
قدره فقد خلع ثوبه اذا نزعه والقاه اي نزع ربقة الاسلام من عنقه
هي في الاصل عروة تجعل في يد البهيمة او عنقها لتمسكها فشبه الاسلام
لمنعه المكلف من المجاوزة الى ما لا ينبغي بها واضافها اليه على طريقة التشبيه المؤكد
اي خلع الاسلام المانع له كالعروة المانعة له من الضياع او شبه ما يلزمه
من احكامه وحدوده واوامره ونواهيه المانعة له بالربقة المانعة لها على
طريقة الاستعارة التخييلية واثبت لها الخلع ترشيحا للمجاز وحكوا اي الفقهاء
والنظار في ذلك الاجماع على تكفير من خالف الاجماع لتوعده تعالى بالاية
السابقة باتباع غير سبيل المؤمنين وذهب قوم اخرون الى الوقف عن
القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء فلم يقطعوا
ع بتكفيره ولا بعدمه وذهب قوم اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع
الكائن من ابراهيم بن سيار النظام بانكاره الاجماع والقياس وانهما ليسا حجة
لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع فقبحه الله
قال القاضي ابو بكر الباقلاني القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده
تعالى والايمان به تعالى هو العلم بوجوده وانه اي الشان لا يكفر احد بقول ولا
راي مما يكفر به الا ان يكون هو الجهل بالله تعالى فيقضى عليه بالكفر به فان
عصى الله بقول او فعل نص الله ورسوله عليه واجمع المسلمون على انه اي
ما عصى الله به من قول او فعل نص الله او رسوله لا يوجد ويصدر الا من كافر
كانكارهما لانه صلى الله عليه وسلم لكافة الناس مما نص الله عليه ورسوله
او يقوم دليل على ذلك اي على انه لا يوجد الا من كافر فقد كفر لكن ليس الحكم
بكفره لاجل قوله او فعله الذي لا يوجد الا من كافر بل لما قارنه اي قارن
دا قوله او فعله من الكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله وجود
والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله به او يجمع المسلمون على
ان ذلك اي الذي ياتيه او يقوله واخبر الله ورسوله به او اجمع على انه لا يكون الا
من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس معبد اليهود وقد يطلق
على معبد النصارى ايضا بالتزام الزنار مشدودا به وسطه مبيحا له مع

اصحابها في اعتقادهم حالان متداخلتان او يكون ذلك القول او الفعل كانكار
وجوب فرض من فرايض الله علينا والقاء مصحف في القاذورات لا يمكن معه العلم
بالله فهذان الضربان اي الجهل بالله والاتيان بفعل او قول يخبر الله ورسوله او يجمع
على انه لا يكون الا من كافر وان لم يكونا جهلا بالله فيهما علما دالان على ان فاعلهما
كافر منسلخ من الايمان ليس في قلبه حبة خردل منه فاما من نفى صفة
من صفات الله الذاتية القديمة الثبوتية او جحدها مستبصرا ومتيقنا غير
شاك في جحدها كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا متكلم وشبه ذلك كلغير
سميعا ولا بصيرا مما هو من صفات الكمال الواجبة له تعالى وليست بجارحة
فقد نص ائمتنا اي المالكية على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها
واعراه عنها اي خلاه تعالى منها بلا وصف بها تعالى عن ذلك علوا كبيرا قال ه
المصنف وعلى هذا اي القول بنفي وصفه تعالى بها احمل قول سحنون من قال
ليس لله كلام فهو كافر وهو اي سحنون لا يكفر المتاولين الذين قدموها زيادة
على ذاته تعالى وقالوا انه تعالى خلق الكلام في الشجرة وكلم موسى ويخلق القران وحدوثه
وانه مركب من حروف واصوات تعالى [illegible] من تعدد القدما فاما من جهل صفة من هذه
الصفات الذاتية كالعلم والقدرة والارادة ونفاها غير مستبصر فاختلف العلماء
في تكفيره فكفره بعضهم وحكي اي تكفيره عن ابي جعفر محمد بن جرير الطبري الشافعي
وغيره وقال به ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري مرة وهو احد قوليه وذهبت
طايفة الى ان هذا اي جهله صفة من صفاته تعالى لا يخرجه عن اسم الايمان فهو
مومن ان شا الله واليه اي الى القول بان جهله لها لا يخرجه عنه رجع شيخ السنة
ابو الحسن الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اي نفيها مع جهله بها اعتقادا
يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا بل اعتقادا لم يقطع بصوابه ظنه
دينا وشرعا ولا عبرة بظن بان خطاوه وانما يكفر من اعتقد ان مقالته اي
قوله حق واحتج هولاء اي الذاهبون الى انه لا يكفر من نفى صفة من صفاته
تعالى جاهلا بها بحديث الشيخين عن ابي هريرة من قول القايل لبنيه عند
موته احرقوني ثم انظروا وابوما راحا اي ذا ريح شديدة فذروني فيه فوالله لين
قدر الله علي وفي رواية في تفسير ابن ابي حاتم عن الشعبي لعلي اضل الله نفخ
او لعلي اوله وكسرتاه من ضلني فلان فلم اقدر عليه بذهابه عني اي لعلي
تعالى اخفى عليه بذهابي عنه فانما مودّان بنفي قدرته عليه مع انه قال في الحديث
فغفر الله له لعذره بجهله بها مع وروده قدر بمعنى ضيق كما في فظن ان لن نقدر
عليه اي نضيق ومعنى الرواية الثانية لعلي اغيب عن عذاب الله قالوا ولو بوجب
اكثر الناس عن معرفتهم الصفات وكوشفوا عنها اي طلب منهم الكشف عن

بانها لما وجد من يعلمها الا القليل من خواصهم وغيرهم عن معرفتها عماة
وفي حالة الجهل بها عناة لا يمن عليهم بخلاص بل علقوا فيها ولات حين مناص
وقد اجاب البعض الاول الاخر الذاهب الى تكفير من نفى صفة من
صفاته جاهلا بها عن هذا الحديث اي حديث لين قدر الله علي بوجوه منها
ان قدر بمعنى قدّر من القدر اي الحكم والقضا فلا يكون شكه في القدرة
على احيايه ومجازاته بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر بل يكون شكه في نفس
البعث الذي لا يعلم الا ممن ارسل بشرع امر بتبليغه اليهم ولعله اي
البعث لم يكن ورد عندهم بشرع يقطع عليه به فلا يكفر من شك فيه نعم
ان ورد عندهم به شرع عليه به فيكون الشك فيه اي في البعث حينيذ
كفرا فاما ما لم يرد به اي البعث شرع فهو من مجوزات العقول فقد يتمال
لا كفر بالشك فيه لعدم العلم به او يكون قدر مخففا كما مر بمعنى ضيق لوروده د ه
في القران الكريم ويكون ما فعله بنفسه من وصيته بنيه باحراقه ازراء عليها
اي اهانة وتنقيصا لها وغضبا عليها لعصيانها بخروجها عن طاعة الله وقيل
ما قاله حين وصى باحراقه لين قدر الله علي غير عاقل لكلامه ولا حافظ له ولا
ضابط للفظه بل صدر منه بلا روية وتامل مما استولى عليه من الجزع ه
والهلع والتبرم والخشية على نفسه وشدة الخوف الذي ذهل له وحيرت
عقله فلم يواخذ بقوله اي بقوله لين قدر الله علي وقيل كان هذا الذي قاله
في زمن الفترة اي انقطاع الرسالة ما بين رسولين من الرسل فلا ما الفترة
جنسه اي بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم عليهما فهي عهديه ومدتها
البخاري في فترة الوحي اي انقطع سنتين ونصف وكان ابصا حيث ينفع مجرد
التوحيد مثل ارسال الرسل او نشا بعيدا ولم تبلغه دعوة رسول وينظر في خلق
السموات والارض فوحد واصلح حيث تمكان ن وقد يسع [illegible] الزمان وقيل بل اي
قوله لين قدر الله علي من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك وابها ما لاستعماله في
غيرها وضع له ومعناه التحقيق ولا شك ويسمى تجاهل العارف وهو ان يسال
عارف عما يعلمه سوال من لا يعلمه لمبالغة في المعنى وابهام ان شدة الشبه بين
المتناسبين احدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به كقولك اوجهك هذا ام بدر مع
علمك بان الوجه غير البدر الا انك لما اردت المبالغة في وصفه بالحسن قلت
مستفهما اوجه هو ام بدر فيهم شدة الشبه لم يكن تجاهلا كما في وما تلك بيمينك
يا موسى اذ لم يكن لمبالغة في التشبيه بل التنبيه على عظيم ما يخرجه تبارك وتعالى من عصاه
اليابسة حية نضناضة اي متحركة وفي حديث ابي بكر انه دخل عليه وهو ينضنض
لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد ولم يرد في نفسه [illegible] المغلوب عنه ه

والمقلوب اليه من المباينة البعيدة تنبيها على قدرته الباهرة وعجيب صنعه وانيق
ابتداعه ومنهم من لم ير فيه بينهما شبها كقول الخارجية

ايا شجر الخابور ما لك مورقا ٭ كأنك لم تجزع على ابن طريف

وله امثلة في كلامهم اي كلام العرب **كقوله**

تالله يا ظبيات القاع قلن لنا ٭ ليلاي منكن ام ليلى من البشر

تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا **لعله** للترجي لهما اي اذهبا على
رجائكما وطمعكما وباشرا الامر مباشرة راج طامع ان يثمر عمله وينجح سعيه ورجا انه
يتذكر اي يتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق **او يخشى** مما تصفان له
ما يجره الى الهلكة وهذا المثال جار على مذهب من لا يرى فيه بينهما شبها اذ لا تشابه
بين تذكره وخشيته لكن لما اتفقا تشابههما وارسالهما اليه مع علمه تعالى
بانه لا يؤمن انما هو لالزام الحجة وقطع معذرته تنبيها ده ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك **وقوله** قل من
يرزقكم من السما والارض قل الله امره اولا ان يقررهم بمن يرزقهم ثم امره ان يتولى
بالاجابة والاقرار عنهم تلويحا بانهم مقرون بقلوبهم بانه الله الا انهم ابين ان
يتفوهوا به لمنع ما تمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك من النطق به حذرا
من ان ينطقوا به فيلزمهم ان يوبخوا بتركهم عبادة من يرزقهم وايثارهم عبادة
من لا يقدر على شيء ثم امره ثانيا ان يقول لهم **وانا او اياكم** اي احد فريقنا من
الموحد الرازق ومن المشرك به غيره **لعلى** احد امرين اما على **هدى او في ضلال**
مبين مع استغنائه بمن هو منهما على هدى ومن هو في الضلال وخولف بين حرفي
الجر تلويحا بان صاحب الهدى كأنه مستعل على جواد يسرع به متوجها حيث شا
والضال كأنه مرتبك في ظلام منغمس فيه لا يدري اين يتوجه وهذا المثال وارد
على من يرى فيه شبها بينهما لتشابه الفريقين في العبادة صورة فبينهما شبه ما سبب
ومنه قول حسان بن ثابت الانصاري لابي سفيان بن حرب يوم احد قبل اسلامه

اتهجوه ولست له بكفو ٭ فشركما لخيركما فدا

يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وفي تمثيله بما اورده من القران العظيم
الكريم مع تسميته له تجاهل العارف نوع تهاون بالادب مع الله تعالى ولو قال
كما في المفتاح وتسمى مساق الشيء مساق غيره لنكتة لكان صوابا **فاما من اثبت**
الوصف ونفى الصفة حذرا مما يلزم من اثباتها انها ان كانت حادثة لزم قيام
الحوادث بذاته تعالى وخلوه عنها في الازل وصدورها عنه قصدا واختيارا وذلك
كله باطل اتفاقا وان كانت قديمة لزم تعدد القدما وهو كفر ولم يدر ان الكفر انما
هو تعدد ذوات قدما لا ذات واحدة مع صفات **فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة**

حذرا مما يلزم من اثباتها انها ان كانت حادثة لزم قيام الحوادث بذاته تعالى
وخلوه عنها في الازل وصدورها عنه قصدا واختيارا وذلك كله باطل اتفاقا
وان كانت قديمة لزم تعدد القدما وهو كفر ولم يدر ان الكفر انما هو تعدد
ذوات قدما لا ذات واحدة مع صفات **فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم**
ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا كقادر ولا قدرة له ومريد ولا ارادة له **على**
مذهب المعتزلة في نفيهم الصفات الثبوتية عندنا اهل الحق الحاكم بثبوتها
واتصافه تعالى بها اذ لا يعقل مثلا من العالم الا من له العلم وله معلوم يتعلق به
علمه **فمن ذلك باخذهم بالمآل** اي بالمرجع **لما يؤدي به قوله** اي قولنا انه عالم ولا علم له
ويسوقه اليه مذهبه من انه يلزم من نفي العلم نفي الوصف بعالم على وجه برا في
كفره لانه اذا انتفى العلم انتفى وصف عالم عن موصوفه ضرورة انتفاء الوصف
المشتق بانتفاء المشتق منه **اذ لا يوصف بعالم المشتق الا من له علم** هو
المشتق منه المشروط في صدق عالم عليه ووصفه به قيامه به **فكانهم** اي الذين
للصفة المؤدية بنفي الوصف بعالم **صرحوا عنده** اي عند القايل بالمآل **بما يؤدي**
اليه قولهم من لزوم نفي الوصف بالمشتق لنفي المشتق منه **وهكذا عند هذا**
القايل بالمآل **من المشبهة وغيرها** كمن نفى علمه تعالى بالاشيا قبل وجودها يجري
فيها ما ذكر فيمن اثبت الوصف ونفى الصفة **ممن شبهه** كابن سالم بما يؤدي اليه
تشبيهه ويؤول اليه من كونه تعالى وله المثل الاعلى كانسان له اعضا وحواس
خمس ووفرة سودا وبعضه الاعلى مجوف دون الاسفل كفر **ومن لم ياخذهم**
اي يؤاخذهم **بمآل قولهم ولا الزمهم بموجب مذهبهم** اي ما فهم من فحوى
كلامهم مما ذهبوا اليه مما لا يليق بجلال ذاته تعالى **لم ير تكفيرهم لانهم اذا**
وقفوا بتاء فوقية مشددة مكسورة اي اطلعوا **على هذا** اي على ما آل اليه قولهم
عالم ولكن لا علم له من نفي علمه تعالى **قالوا لا نقول** على اصلنا **ليس بعالم** سلبا
معطلا له تعالى عن العلم بل هو كما قال ابو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة عالم بعلم
هو ذاته حي بحياة هي ذاته مريد بارادة هي ذاته متكلم بكلام لا في محل وهو كن
لان تكون الاشيا فلا يتصور لها محل وبعضه في محل الامر والنهي والخبر والاستخبار
لا عالم له بعلم ومتكلم بكلام وحي بحياة زايدات على ذاته وهلم **ونحن وانتم ننتفي**
من القول بالمآل الذي الزمتموه لنا من قولنا عالم ولكن لا علم له من انتفاء علمه
تعالى **ونعتقد نحن** ايها المعتزلة **وانتم** اهل السنة **بانه** اي ما آل اليه قولنا
كفر بل نقول ان قولنا عالم ولكن لا علم له **لا يؤول اليه** اي انتفا علمه تعالى **على ما**
اصلنا اخذا مما اعتقده من الفلاسفة انه تبارك وتعالى مريد بارادة حادثة
لا في محل واحد من جميع جهاته لا تعدد فيه اصلا بل جميع صفاته راجعة الى السلوب

والاضافات فعلى هذين الماخذين ممن اخذهم بالمآل ومن لم يواخذهم به لاختلف
الناس في اكفار اهل التاويل فمنهم من اكفرهم ومنهم من لم يكفرهم واذا ث
بهم منهم اي التاويل على تستقيما مر انضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك اي في
اكفارهم وعدمه والصواب ترك اكفارهم والى نحو الائمة وانتضاه قول ناصر السنة
الشافعي اقبل شهادة اهل الاهوا الا الخطابيه لانهم يرون الشهادة لبعضهم لبعض واجرا
الاسلام عليهم في قصاصهم ومنهم من حرمة ابدا وعصمة دم ومال الا بحق الاسلام
لهم ومنهم وحدهم شربا وسرقة وجلدا ورجما او رجما وتعزيرا لهم ومنهم
ووراثتهم ومناكحاتهم ودياتهم والصلاة عليهم اذا ماتوا ودفنهم
في مقابر المسلمين والصلاة ورآهم وان كانت وراء غيرهم افضل وساير معاملاتهم
لكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب ضربا وحبسا مما يتعلق بالدين وغيره تعزيرا لهم
وشديد الزجر والهجر حتى تلين شكيمتهم وتنقاد عريكتهم فيذعنوا للحق
ويرجعوا عن بدعتهم وهذه الكالات هيهات هيهات لرجوعهم عنها
كانت سيرة الصدر الاول من صالحي الامة فيهم اهانة لهم وتقبيحا
فقد كان فشا على زمن الصحابة والتابعين من قال بهذه الاهوا التي
القدر كمعبد الجهني او من قال كما في صحيح مسلم به وواصل بن عطا وعمرو بن
عبيد ورأي الخوارج من خروجهم على علي وتكفيرهم له وافترائهم عليه
تقولهم انزل الله فيه ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله
على ما في قلبه وهو الد الخصام وفي ابن ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغا
مرضات الله حتى قال فيه كلبهم عمران بن حطان اذ قتل عليا

يا ضربة من تقي ما اراد بها ۝ الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فاحسبه ۝ اوفى البرية عند الله ميزانا

كذب عدو الله عمران والقول ما قيل فيه قبحه الله

يا ضربة من شقي لم يرد الا [illegible] ۝ عليه الاله الحق غضبانا
اني لاعلم ان الله [illegible] ۝ اوفى البرية عند الله خسرانا

وراي اصحاب الاعتزال وقد مر ما فيه غنى عن اعادته هنا فما ازاحوا بالراي
من الازاحة اي فما ازال لهم الصدر الاول مع تجريمهم لهم قبرا عن مقابر المسلمين
ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا من مورثه مسلما كان او غيره لكنهم عجزوهم
وادبوهم بالضرب والنفي باخراجهم من ديارهم والقتل لمن استحقه منهم
على قدر احوالهم الموجبة لذلك لانهم باعتقادهم ما خالف الحق مما لا يكفرون
به فساق خرجوا بذلك عن طاعة الله ضلال عن الحق بعدم قبولهم عصاة
لا يستجيبون اذا دعوا الى ما يحييهم اصحاب كبائر موبقة لهم بما اجترحوه وبما

كسبوه عند المحققين واهل السنة عطف تفسيري ممن لم يقل بكفرهم اي
كفر ارباب الاراء الباطلة لما تمسكوا به من التاويل خلافا لمن راى غير ذلك من تجريمهم
وضرب بعضهم وقتلهم على قدر احوالهم او لمن راى اكفارهم ممن قال بالمآل قال القاضي
ابو بكر الباقلاني واما مسائل الوعد والوعيد مما اذن قول المعتزلة بخلفه اخذا
للاول من قولهم يجب على الله تعذيب العاصي مع قوله تعالى تكذيبا لهم يغفر لمن يشا
ويعذب من يشا وغيره مما اذن بوعده تعالى المغفرة لمن يشا من عصاة المومنين
وهو تعالى لا يخلف الميعاد وللثاني من صح قولهم بجواز خلف الوعيد لانه محض كرم
مع قوله تعالى لا تختصموا لدي وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي والروية
روية المومنين ربهم في الاخرة انكرها المعتزله والمخلوق انكر مخلوقيته له تعالى
المفوضة اذ قالوا ان الله خلق محمدا وفوض اليه خلق الدنيا فهو الخالق لها بما فيها ومنهم
من انكر مخلوقية الشر له تعالى الجبائي وابنه واثبتوها للعباد وبقا الاعراض
بانواعها والحق عند امامنا الاشعري ومتابعيه انه لا يبقى اكثر من زمن واحد
لانها على التقضي والتجدد كالحركات والازمنة والاصوات وبقاها عبارة عن
تجدد امثالها كلما انقضى واحد تجدد مثله بمجرد الارادة انه تعالى بوقتها الذي خلقه
فيه ولهذا مزيد بيان اوردناه في شرح مقاصدنا في مقصد الاعراض والتوليد الذي
قالته المعتزلة ان حركة النظر مثلا في الدليل تولد العلم عقبها كحركة اليد تولد
حركة المفتاح للفتح وتشبهها بالدقايق كالقول بقيام العرض بالعرض فالمنع
جواب اما من اكفار المتاولين فيها او وضح من القول باكفارهم اذ ليس في الجهل
بشي منها او بعض منها عن تعاليه الحمد الى ما اولوها به من اعتقاداتهم الباطلة
جهل بالله تعالى عما يقولون علوا كبيرا كنفي المعتزلة له قدم صفاته تعالى الذاتية
هربا من تعدد القدما مبالغة في التوحيد جهلا منهم ان المحذور من تعددها هو تعدد
ذوات لا تعدد صفات مع ذات واحدة ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا
منها اي مما نقله عن القاضي ابي بكر فصل بهذا اي بما ذكر سابقا حكم المسلم
الساب لله تعالى عما يقولون علوا كبيرا واما الذمي فروي عن ابن عمر ولا ادري
من رواه انه قيل له في ذمي اي عنده انه تناول مجازا عن تكلم بما لا يجوز اقدامه عليه
من حرمة الله مما لا يحل الوقوع فيه كالمحرم يدخل في حرمة الحج او الحرم ومنه قول الراعي
قتلوا ابن عفان الخليفة محرما اي لم يحل من نفسه مما يوذي به فهو معصوم ممتنع
لحرمته على من اراده بسوء غيرما به كفر بما هو عليه من دينه وحاج اي وجادل
فيه دحضا للحق وترديدا لباطله فخرج ابن عمر بالسيف فهرب وقال عليه ولم يقل
له لانه لم نعهد ينقض به كان مستعليا عليه وقال مالك في كتاب عبد الملك بن
حبيب في المبسوطة وقال ابن القاسم في المبسوط للقاضي اسمعيل بن اسحق

وزاد الشيخ [illegible] وخلق الافعال
مخلوقة [illegible] تعالى

بن اسمعيل بن حماد بن زيد وكتاب محمد سحنون من شتم الله تبارك وتعالى من
اليهود والنصارى جمع نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة
كني للمبالغة في احراي من سبه تبارك وتعالى منهم بغير الوجه الذي كفروا به ولم
يعاهدوا عليه قتل ولم يستتب قال ابن القاسم الا ان يسلم فلا يقتل قاله
في المبسوطة ان كان اسلامه طوعا في الاصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم
وعليه عوهدوا وامن ببيانه لما ضرب عقد الذمة لهم عليه اي الذي عليه هو
دعوى الصاحبة والشريك له تبارك وتعالى وغيره كشرب الخمر وبيعه
وضرب الناقوس واما غير هذا الذي عوهدوا عليه من الفرية اي الكذب
المختلق والشتم اي السب فلم يعاهدوا عليه فهو لصدوره عنهم نقض للعهد
الذي عقد لهم عليه مما به كفروا قال ابن القاسم في كتاب محمد لعله ابن سحنون ومن
شتم من اهل الاديان بغير الوجه الذي ذكر في كتابه مما لا يليق بجلاله تبارك وتعالى
قتل الا ان يسلم فلا يقتل لدخوله في السلم طوعا وقال المخزومي في المبسوطة
ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم من اصحاب مالك ورواة مذهبه لا يقتل حتى يستتاب
مسلما كان او كافرا هذا هو المناسب لكرمه تعالى وعادته في عباده من قبول
توبتهم اذا اقلعوا عن ذنوبهم وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيات
فان تاب بعد ان استتيب لم يقتل والا قتل وقال مطرف هو ابن عبد الله وعبد
الله بن الماجشون مثل قول مالك قتل ولم يستتب وقال ابن ابي زيد القيرواني
من سب الله بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم كما قال ابن القاسم وقد
ذكرنا في الفصل الثالث من الباب الثاني في حكم سابه صلى الله عليه وسلم قول
ابن اعلاب البغدادي الضرير وقول عبد الله بن يحيى وقول ابن لبابة وقول
الاندلسيين بفتح الهمزة وضم اللام في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها
بالوجه الذي كفرت به لله ولرسوله متعلق بسبها واجماعهم على ذلك اي على
قتلها تصيا نم به وهو اي اجماعهم على قتلها بسبها لهما نحو القول الاخر في
سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم اي من الكفار بالوجه الذي كفروا به فانه
يقتل الا ان يسلم طوعا ولا فرق في ذلك اي في قتله بالوجه الذي كفروا به بين
سب الله تبارك وتعالى به وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم
على ان لا يظهروا لنا شيا من كفرهم الذي عاهدناهم عليه ولا غيره ولا يسمعونا
شيا منه فمتى فعلوا شيا منه فهو لصدوره منهم نقض لعهدهم فيجري عليهم
حكم نقضه من علمهم بما اظهروه واسمعونا من سب الله تبارك وتعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم واختلف العلماء في الذمي من ذمي الكتابيين اذا تزندق باظهار
دينه مبطنا عقايد باطله هي كفر اتفاق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم

والولدم

واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه خرج من دين كفر الى دين كفر وقال ابن الماجشون
يقتل لانه اي ما اضمره هو كفر اتفاق دين لا يقر عليه احد ولا تؤخذ عليه جزية
ممن انتقل من دين باطل الى مثله قال الشافعي فلا يقر عليه فان لم يسلم بلغ المامن
وصار حربيا وقال ابن حبيب لا اعلم من قاله غيره من العلماء ان الذمي اذا تزندق
يقتل فصل هذا اي ما ذكر في الفصل قبل حكم من صرح بسبه تبارك وتعالى
واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته تبارك وتعالى اليه فاما مفتري الكذب
ومختلقه عليه سبحانه بادعا الالهية او الرسالة منه تعالى له اي للكاذب من البشر
او انكار ان يكون الله خالقه او يكون الله ربه بل رب غيره او قال ليس لي رب او ليس
لغيري او المتكلم بما لا يعقل من ذلك اي مما ذكر من ادعا الالهية او الرسالة او نفي
كون الله خالقه او ربه او انه لا رب له في سكره او غمرة جنونه فلا خلاف في كفر قايل
من ذلك ومدعيه مع سلامة عقله لافترايه على الله الكذب انما يفتري الكذب
الذين لا يومنون بايات الله ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
وسيرد عليك حكم من زال عقله بسكر او جنون كما قدمنا القول بكفره مع سلامة
عقله لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته اي رجوعه عما افتراه على
ربه وتنجيه من القتل فيئته اي رجوعه وذكرها مع الانابة تفننا في العبارة
لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه اي لا يخفف ولا ينعم وينفس له عن
شديد العقاب والالم ليكون ذلك زجرا وردعا لمثله عن قوله مثل ذلك المفترى
على الله او جهله عليه تعالى الا من يتكرر ذلك الافترا منه وعرف استهانته بعدم
مبالاته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته لما اضمره فيها من قبيح الاعتقاد
ودليل على كذب توبته وصار بما دل على ذلك كالزنديق الذي يبطن عقايد
كفريه لا من معها باطنه من ان يضمر شيا من ذلك ولا يقبل رجوعه حذرا من
تماديه على قبح طويته وحكم السكران حكم الصاحي في مواخذته بقصد وبشيء من
ذلك منه تغليظا عليه تعديه بسكره واما المجنون والمعتوه اي المصاب
بعقله كالمجنون فما علم انه قاله في حال غمرته بمعجمة مفتوحة فميم ساكنة من غمره
الما اذا غطاه فكانه المخامر الجنون ومخالطته له مغمور فيه بزوال العقله
وذهاب ميزه اي تمييزه بين الاشيا بالكلية فلا نظر فيه بحكم لا غير عليه بعذر
جنونه الا ان يكون متسببا في مخامرته له بمزيل العقل وتمييزه فيصير
كالسكران متعمدا وما فعله من ذلك في حال ميزه وان لم يكن معه عقله
وسقط تكليفه ادب على ذلك الذي فعله حال ميزه لينزجر وامثاله حتى
يودب على قبايح الافعال منه او من غيره ويوالي ادبه اي يتابع مرارا على
ذلك حتى يكف وينزجر عنه كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق حتى تراض

ويستقيم طبعها وقد حرق علي بن ابي طالب من ادعى له الالهية هو عبد الله بن
سبا واتباعه اذ قالوا له انت الاله حقا فنفاه الى المداين وزعم ان ابن ملجم
لم يقتله وانما قتل شيطانا تصور بصورته وهو في السحاب سوطه البرق
وصوته الرعد واذا سمعوه قالوا السلام عليك يا امير المومنين قالوا انه
سينزل ويملا الارض عدلا وقتل عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاصي
بن امية الحارث بن سعيد المتنبي كذابا وصلبه وفعل ذلك اي قتل عبد الملك بن
مروان غير واحد من الخلفا والملوك نوابا وغير نواب باشباههم ممن تنبى واجمع
علما وقتهم على تصويب فعلهم بمن تنبى لاستحقاقهم ذلك باقترائهم الكذب
على الله في ادعا نبوتهم وتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باخباره بانه لا نبي بعده ٥
والمخالف في ذلك اي في تكفيرهم من كفرهم مفعول المخالف اي من خالفهم في
قوله بكفرهم فهو كافر بجحود كفرهم المسبب عن الكذب على الله وعن تكذيب رسول
الله صلى الله عليه وسلم واجمع فقها بغداد ايام خلافة ابي الفضل جعفر المقتدر
بالله بن ابي العباس احمد المعتضد العباسي من المالكية بيان لمن اجمع من فقهايها
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحسين بن منصور الحلاج لدعواه الالهية
والقول بالحلول كغيره من المتصوفة المتسمين الى الاسلام قالوا ان السالك اذا
وصل فيما حل الله فيه كالما في العود الاخضر بحيث لا تمايز ولا تغاير ولا تبعيض
وصح ان يقول هو انا وانا هو مع امتناعه حقيقة لصيرورة احد شيين بعينه
الاخر والاخر بعينه هو بحكم العقل بشهادة الضرورة بدون احتياج الى الاستدلال
ولا يمتنع مجازا بان يكون بطريق وصل اما اتصاله لجمع ما بين شيين واحدا واجتماعهما
كامتزاج ما وتراب حتى صار طينا واما بطريق كون وفساد كصيرورة ما هوا
بالغليان هوا واحدا او استحالة اي تغير كصيرورة جسم بعد كونه سوادا بياضا
وعكسه وقوله انا الحق وما في الجبة الا الله فقتل بذلك مع تمسكه في الظاهر
من حاله بالشريعة ولم يقبلوا توبته لبعد تحول المبتدع عن بدعته استقرا
وكذلك حكموا اي فقها بغداد من المالكية في ابن ابي العزاقر بمهملة فزاي وبعد
الالف قاف فرا وكان على نحو مذهب الحلاج بادعايه الالهية بعد هذا اي بعد
قتل الحلاج وصلبه ايام ابي العباس احمد الراضي بالله بن المقتدر بالله وقاضي
القضاة ببغداد ابي الحسين بن محمد المالكي فاقتلوا باحد ثم احرق
بالنار وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم في المبسوط من تنبا قتل لكذبه
على الله وتكذيبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد
ان الله خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد فيستتاب
فان تاب والا قتل وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب وفي كتاب محمد اما ابن

سحنون او ابن المواز وفي العتبية فيمن تنبا يستتاب اسر او اعلن ما زعمه وهو
كالمرتد فان تاب والا قتل وقال اشهب في يهودي تنبا وادعى انه رسول
الينا ان كان معلنا استتيب فان تاب قبل منه والا قتل نكالا له وقال
ابن ابي زيد فيمن لعن بارية من برا الله الخلق اوجدهم لا على مثال وزعم انه ند
لم (؟) وانما لعن الشيطان يقتل بكفره علا نيطانه قوله ولا يقبل عذره لخبث
طويته اليهود وبهتهم اي كذبهم وافترايهم المحير لمن بهت به وهذا الذي قاله
ابن ابي زيد على القول بعدم قبول توبته واما على القول بقبولها فلا يقتل
لاستغفاره رده غوايه زلل لسانه بتوبته وقال ابو الحسن القاضي في سكران
قال انا الله ان تاب ادب على ما مر وهو مخالف لما افتى به فقها بغداد
المالكية في الحلاج وابن العزاقر من عدم قبول توبتهما بدعواهما الالهية الا ان يقول
بما زعماه صاحبين والحاقه بالصاحي انما هو للتغليظ عليه لتعديه بسكره
فان عاد الى مثل قوله انا الله انا الله طولب مطالبة الزنديق فلا نا من باطنه
لظهور خبث طويته وكذبه في طبنه ولا يقبل رجوعه حذرا من تماديه على قبح
اعتقاده لان هذا اي عود السكران الى قوله انا الله موذن بانه مسبب
عنه كفر المتلاعبين لجنونا فهواه او استخفاف كما سياتي فصل واما من تكلم
بشي من سقط القول اي رديه ودنيه وسخف اللفظ بمهملة مضمومه
فمعجمة ساكنه هو في الاصل خفة العقل ورقته استعير للفظ قايله به وصفا
للفظه بصفة آلة مميزه لصدوره ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه
لخفة عقله بما يقتضي الاستخفاف بعظمة الله وجلالة مولاه اي
عظمته كرر معنى ايقاظا لمن لا يقدره تعالى حق قدره الاتكبر بما يوذن بكمال
ذاته او تمثل في بعض الاشيا ببعض ما عظم الله من ملكوته كقوله ٥
٥ ببيت فلان كعبة الجود نضا ٥ يطوف به العافون يبغون نايله ٥
او نزع بنا اي معجمة فمهملة اي اخذ من الكلام لمخلوق وخاطبه بما لا يليق الا في
حق خالقه تبارك وتعالى كقوله لعظيم يا ذا الجلال والاكرام غير قاصد للكفر
والاستخفاف ولا عامد للالحاد اي العدول والميل عن الحق فان تكرر
هذا منه وعرف به بادمانه عليه دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة
ربه فلم يقدره حق قدره بجراته مع جهله عظيم عزته وكبريايه من الكبر
بكسر اوله وسكون ثانيه اي عظمته وتعاليه عن صفات مخلوقاته
حيثيا لا ذات انسا كبرا اي الكبير وضع افعل موضع فعيل كما في قول الفرزدق
٥ ان الذي سمك السما بنى لنا ٥ بيتا دعايمه اعز واطول ٥
اي عزيزة طويلة وهذا اي ما دل على تلاعبه كفر لا مرية فيه ولا سيما ان تمادى بها

دل على تلاعبه وتجونه على عظيم عزته وعظيم كبريائه وكذلك اي ومثل ما دل
على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه أنه لا مرية في كفره به ان كان ما أورده
يوجب الاستخفاف والتنقص لربه تبارك وتعالى وقد أفتى ابن حبيب
وأصبغ بن خليل بقتل المعروف بابن أخي عجب وفي نسخة بابن أخت عجب عجب
مصغر في العلمية والتأنيث معنى زوجة أمير قرطبة عبد الرحمن بن الحكم الأموي
وكان اي ابن أخيها أو أختها خرج يوما فأخذه المطر مجازا عن نزل عليه فكأنه تناوله
بيده تشبيها له بذي يد أستعارة مكنية تخييلها باليد فقال اي ابن أخيها
بدا الخراز يرش جلوده بيا مثناة تحت وفي نسخة يرش بباء موحدة خيل لها بالبلغ
وكان بعض الفقهاء بها اي بقرطبة ابو زيد صاحب الثمانية بمثلثة مضمومة وبا
مشددة وعبد الأعلى بن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا في إراقة دمه فلم
يقدموا على شيء من قتله وعدمه وأشاروا إلى أنه اي قوله هذا عبث وتجون
من القول يكفي فيه الأدب الأليم والتوبيخ المليم وأفتى بمثله اي بمثل ما أشار
به من أنه عبث من القول اي حين قوله هذا القاضي موسى بن زياد فقال
ابن حبيب دمه في عنقي اي قتله متعلق بي أطالب به يوم القيامة
أيشتم رب عبدناه ثم لا ننتصر له بيانا لما يجب لله تعالى على سابه من
الحكم إذ ليس محتاجا إلى من ينتصر له إنا إذا إن لم ننتصر لعبيد سوء ما نحن له
بعابدين حق عبادته وإن تعجب فعجب من ابن حبيب إذ أفتى حين شهد على أخيه
أذى ليكذا من لقد لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر لم استوجب هذا
كله بعدم قتله مع ما تضمنه قوله من نسبة الجور والظلم إليه تعالى فكأنه قال
غاية امري اني لو قتلتهما قتلت بهما ولم استوجب ما عاقبني الله به في مرضي هذا
كما تضمن قول ابن أخي عجب استهزاءه بربه واستخفافه بقوله بدا الخراز يرش جلوده
ورفع المجلس إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم الأموي وكانت عجب عمة أو خالة
هذا المطلوب القائل ذلك القول من حظاياه اي ممن قرب حلائله منه
وأسعد من به من حظت المرأة عند زوجها بالضم والكسر اي سعدت ودنت
من قلبه محبة لها وعن عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه
وسلم في شوال وبنى بي في شوال فأي نسائه كان أحظى مني اي أقرب إليه مني
وأسعد به وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الاذن ما لاخذ بقول ابن حبيب
وصاحبه أصبغ بن خليل وأمر بقتله فقتل وصلبت بحضرة الفقيهين ابن
حبيب وخليل وعزل القاضي ابن موسى بن زياد لتهمته بالمداهنة ومصاحبته
ولينه في هذه القصة اي قصة ابن أخي عجب ووبخ اي أنب عبد الرحمن
وعنف بقية الفقهاء وسبهم وقبح توقفهم عن سفك دمه وأما من

والعلة

صدرت عنه من ذلك الهنة اي الخصلة الواحدة مما لا يليق بجلاله
الشاردة اي النادرة الصادرة بغتة بلا ترو ولما يلهي عن الاستقامة مما لم يكن
ذلك القصد رذيلة تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها
وشنعة معناها وصورة حال قائلها بحسب ما يليق به من مراتب الناس وشرح
سببها الباعث عليها صدورها عنه ومقدارها بما يؤذن بتوبيخ أو ضرب
وصفع أو حبس أو غير ذلك وسئل ابن القاسم عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه
بقوله لبيك اللهم لبيك من لب وألب بالمكان إذا أقام به وألب على كذا إذا لم
يفارقه ولم تستعمل إلا بلفظ التثنية في معنى التكرار اجابة بعد اجابة ونصبه على
المصدر بعامل لا يظهر كأنه قال لبا لبا بعد لبا فقال اي ابن القاسم إن كان
جاهلا أو قاله على وجه سفه اي خفة وطيش واضطراب استقامة فلا شيء عليه
ويردع ليكف عن ذلك إذ الجاهل يزجر تنبيها له وحثا على تركها لا يجوز إلا لله تعالى
ويعلم ما جهله ليجري على موجب علمه والسفيه من خف عقله في طيش وعدم استقامة
ويؤدب بما يليق به من صفع وحبس وغيرهما ولو قالها اي المجيب لبيك اللهم
لبيك على اعتقاد انزاله اي المجاب منزلة ربه لكفر اي المجيب به لا يبقائه مرتقى
لارتقاء رتبة لا تنال مطلقا هذا مقتضى قوله اي ابن القاسم وقد اسرف
كثير من سخفاء الشعراء اي خفاف الأحلام منهم ومتهميهم جمع متهم مفعول
من التهمة فعلة من الوهم ابدلت واوها تاء وقد تفتح الهاء اي من يظن به منهم
ما نسب إليه في هذا الباب اي باب الخفة والتهاون في الامور واستخف
عظيم هذه الحرمة اي حرمة الله تبارك وتعالى فأتوا اي سخفاء الشعراء من ذلك
بما ننزه وتجنب كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره لشناعته وقبح معناه ولولا انا
قصدنا نص مسائل حكيناها لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا لما فيه من
انتهاك حرمته وامتهان قدره ما حكيناه في هذه الفصول المتقدمة واما ما ورد
في هذا الذي يثقل علينا ذكره من أهل الجهالة اي الحالة التي كان عليها العرب
العاربة قبل الاسلام من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين والمفاخر بالانساب
والتجبر والكبر واغاليط اللسان جمع اغلوطة افعولة من الغلط كاحدوثة
واعجوبة ما يغالط به العلماء ليزلوا فيهيج به شر وفتنة وقد نهى عنها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعدم نفعها في الدين ولا تكون إلا فيما لا يقع كقول بعض الأعراب
من بحر الرجز مما لا يجوز نسبته إليه سبحانه وتعالى رب العباد بحذف حرف
النداء تخفيفا لكثرة الاستعمال ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا اي
ما ظهر لك في بادي رأيك اي أوله فلم تسقنا أنزل علينا الغيث لا أبا لكا نعته
عليه فلاكا في ذلك غيرك وسمعه سليمان بن عبد الملك يقولها في سنة مجدبة فحمله على محمل

حسن فقال اشهد انه لا اباله ولا صاحبة ولا ولد في اشباه لهذا اي المزح
السخيف من كلام الجهال بالله ورسوله واحكام شريعته الرادعة لامثاله
عن ارتكاب مثل ذلك ومن كان من لم يقومه عن اوده ثقاف آداب الشريعة
والعلم الثقاف في الاصل ما يقوم به اعوجاج الرماح استعير لما يقيم الانسان
من محاسن الشريعة وفي حديث عائشة تصف اباها واقام اوده بثقافه
اي سوى اود المسلمين في هذا الباب اي باب السخافة والتهاون في
الكلام قل ما يصدر من ثقف لقف اي ذكي فطين خبير بالامور الا من
جاهل في محل رفع بدلا من ضمير يصدر غير موجب وقد اكد نفي كثرته بما
المزيدة اي لا يصدر كثيرا الا جاهل يجب تعليمه ما يقومه من ثقاف الشريعة
والعلم ويجب زجره عن سخيف الكلام وسقطه والاغلاظ له عن العود الى
مثله قال الخطابي وهذا اي ما يصدر من سخيف القول هو من القول اي
مبالغة في التجاوز عن الاستقامة وفي الحديث من اطاع ربه فلا هوان عليه
اي لا هلاك وفيه من اتقى الله وقي الهورات جمع هورة اي المهالك وخطب
انس بالبصرة فقال من يتقي الله لا هوارة عليه فلم يدروا ما قال فقال يحيى بن
يعمر اي لا ضيعة عليه والله تبارك وتعالى منزه ومبرا ومتعال عن هذه الامور
لانه تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم يحب معالي الامور ويبغض سفسافها
هو في الاصل ما يرتفع من غبار الدقيق اذا نخل والتراب اذا اثير ثم استعير لرديء
وحقيره من كل شيء ومنه حديث ان الله رضي لكم مكارم الاخلاق وكره لكم
سفسافها وقد روينا عن عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي الكوفي الزاهد
انه قال ليعظم احدكم ربه منزها له عن ان يذكر اسمه في كل شيء حتى لا يقرنه
مع خبيث كان يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكان شيخنا برهان الدين
الناجي ينهى عن ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل شيء لا يليق قرنه
به كان يقول اللهم صل على محمد يا عنب او يا خيار او يا بطيخ وكان بعض من ادركنا
من مشايخنا المالكية المغاربة قل ما يذكر اسم الله الا فيما يتصل بطاعته
استثنا مفرغ من عام غير موجب وما مزيدة لتاكيد نفي الكثرة اي لا يذكر اسمه
تعالى كثيرا في شيء الا اذا كان بطاعته تعالى فيذكره وكان اي ذلك البعض
من مشايخنا يقول للانسان جزيت خيرا صونا لاسمه تعالى عن الابتذال وتعظيما
له وقل ما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى حذرا من امتهانه في غير
قربة يتقرب بها اليه تعالى من الطاعات كالصلاة وحدثنا الثقة لا اعرفه
والنون يجوز ان يكون للتعظيم نفسه وان يكون له ولمن معه ان الامام ابا بكر محمد بن
اسمعيل القفال الكبير مصنف محاسن الشريعة الشاشي الشافعي كذا لغبادي فيه

افصح الاصحاب قلما واثبتهم في دقائق العلوم قدما واشهرهم بيانا
واقواهم جنانا واعلاهم اسنادا وارفعهم عمادا كان يعيب على اهل
الكلام اي علماء اصول الدين سمي كلاما لما ذكرنا في شرح كتابنا مقاصد
المقاصد كثرة خوضهم فيه اي في اسمه تعالى عن ان يسمى به غيره وذكر
صفاته سبحانه اجراءهم له معها على السنتهم بما عذب سبحانه في [illegible]
وابتذاله بالخوض تجليلا اجلالا لاسمه تعالى واعظاما وتنزيها له علة
لعيبه عليهم كثرة خوضهم فيه ويقول اي الامام ابو بكر القفال الشاشي
هؤلاء يعني اهل الكلام يتمندلون بالله اي يتداولونه ويقلبونه بينهم
كالمنديل بكثرة تداول السنتهم له جل وعز حالا لا انه لا زمنا انه يتداخلنا ان
افادنا تعظيمه وتنزيهه عن كثرة تداوله المؤذنة بامتهانه كالمنديل
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وينزل اي ابو بكر الشاشي الكلام في هذا الباب
اي باب كثرة الكلام فيه تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم
فيكون حكمهم حكم سابه صلى الله عليه وسلم قتلا او تخيير الامام فيه وفي
صلبهم على الوجوه التي فصلناها فيما اغنى عن ذكرها هنا وهذا
مشكل مع تعظيمهم له تعالى في كل مقام غاية التعظيم ويصفونه
بصفات الكمال وينزهونه عن سمات النقص والزوال فصل
وحكم من سب سائر انبياء الله وملائكته جمع ملاك في الاصل بلام ساكنة
بعدها همزة نقلت حركتها الى اللام قبلها ثم حذفت لكثرة الاستعمال
فبقي ملك وقد تحذف الهاء في جمعه فيقال ملائك وقيل اصله مالك بتقديم
همزة من الالوك اعني الرسالة ثم قدمت اللام وجمع وحكم من استخف
بهم وكذبهم فيما اتوا به عن الله تبارك وتعالى من الاحكام الشرعية
او انكرهم وجحدهم ان الله لم ينبي احدا ولم يرسل رسولا كقول مالك بن
الصيف ما انزل الله على بشر من شيء اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم
الذي في التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وانت الحبر السمين
ممن صدر منه شيء من ذلك فحكمه حكم نبينا صلى الله عليه وسلم في وجوب
قتله حدا لا كفرا اجماعا وتخيير الامام في قتله وصلبه وان تاب لان حد
القتل وينفعه توبته عند الله على مساق ما قدمناه عن ائمة الدين المعول
عليهم فيه قال الله تعالى استدلالا على ان حكم سائر الانبياء والملائكة حكم
نبينا صلوات الله وسلامه عليهم فيما مر ان الذين يكفرون بالله ورسله [illegible]
وملائكته ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ايمانا وكفرا الشهادة قوله
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد وبالكل

والقران والنصارى بكفرهم بمحمد والقران ويريدون ان يتخذوا بين ذلك اي بين
الايمان والكفر سبيلا اي دينا وسطا وقد اخطاوا اخطاء فاحشا حيث لا واسطة
بينهما اولئك هم الكافرون حقا تاكيد لمضمون الجملة اي حق كونهم كاملين فيه
حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا يقينا ثابتا لا ريب فيه وقال
تعالى حال لازمة من ضمير قال اي متعاليا عما لا يليق بجلاله وجمال صفاته وكمال
افعاله قولوا خطاب للمومنين او للكافرين امنا بالله لتكونوا على الحق والا فانتم على
الباطل وما انزل الينا وهو القران وغيره من الاحكام وما انزل من الصحف
وغيرها الى اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط حفدة يعقوب ذريته
ابنائه الاثني عشر جمع سبط وهو الحافد وكان الحسنان سبطي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما اوتي موسى وعيسى التوراة والانجيل وما اوتي
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم يستوي فيه الواحد والجمع مذكرا ومونثا
ومن ثم دخله بين اي لا نومن ببعضهم ونكفر ببعض كاليهود والنصارى
وقال اي الله تبارك وتعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل ضمير
الذي ناب عنه التنوين ان عطف ما قبله على الرسول عائدا اليهما اي كلهم امن
بالله وملائكته وكتبه ورسله وان جعل ما قبله مبتدا فهو مبتدا ثان وضمير
للمومنين وخبره امن وهما خبر الاول اي كل واحد منهم امن يقولون لا نفرق بين
احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا اي نومن بكلهم فاحد يدل على الكثرة من
واحد بسببه دخل بين لا يدخل الا على متعدد وقال مالك هو ابن انس وفي كتاب محمد لعله
ابن سحنون وفي كتاب محمد عبد الرحمن بن القاسم وقال ابن الماجشون ومحمد
بن عبد الله بن عبد الحكم واصبغ بن الفرج وسحنون من شتم الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم او شتم احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب وان تاب لا
تنفعه توبته لان حد القتل ومن شتمهم من اهل الذمة كاليهود والنصارى
قتل الا ان يسلم فلا يقتل تالفا له ليحسن اسلامه وروى سحنون عن ابن القاسم
انه قال من سب الانبيا او احدا منهم من اليهود والنصارى بغير الوجه
الذي به كفر فاضرب عنقه ولا يستتاب كما مر عنه لانه لم يعاهد عليه الا
ان يسلم اي يذعن وينقاد الى الحق تبعه في المبسوطة مطرف وقد تقدم الخلاف
في هذا الاصل اي فيمن سب الله بغير هذا الوجه فقال ابن القاسم في كتاب محمد
الا ان يسلم كما هنا وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا
يقتل حتى يستتاب مسلما او كافرا فان تاب والا قتل وقال القاضي سعيد بن
سليمان في بعض اجوبته من سب الله تبارك وتعالى وملائكته قتل لجراته
واقدامه على الجناب الرفيع وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل

لانهم كما قال الله عباد مكرمون وكرام بررة وفي النوادر لابن ابي زيد عن
مالك هو ابن انس فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي ترددا بينه الى محمد صلى الله عليه وسلم
وانما النبي علي بن ابي طالب استتيب فان تاب لم يقتل والا يتب قتل لكذبه — استتيب
على جبريل صلى الله عليه وسلم ونحوه اي القول بتخطية جبريل قول الغرابية من
الروافض سموا بذلك اي بالغرابية لقولهم كان النبي صلى الله عليه وسلم اشبه بعلي
من الغراب بالغراب والذباب بالذباب فغلط جبريل في تبليغ الرسالة من علي الى
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابو حنيفة واصحابه من كذب باحد من الانبيا او تنقص
احدا منهم بما يوذن باستهانة حرمته او برئ منه موالاة ومحبة وايمانا به فهو
مرتد استتاب فان تاب والا قتل وقال القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه
مالك الغضبان خازن النار شبه وجهه بوجهه لما يلوح عليه من مخايل الغضب
الطلاق لاسرا البعض على الكل مبالغة في وصفه مع انتفا علمه بغضبه الا ما توهمه
ملازمته للنار من اتصافه به وليس بلازم اذ هو ممن لا يعصي الله ما امره فهو
منشرح صدره بطاعة ربه وان لازم النار ولو عرف انه قصد بقوله كانه وجه
مالك الغضبان ذم الملك يعني مالكا قتل لظهور تنقيصه له واستهانته حرمته بذلك
وهذا كله فيمن تكلم فيهم اي في الانبيا والملائكة بما قلناه على جملة الملائكة
والنبيين ومجموعهم لا على جميعهم او تكلم بما قلناه على معين ممن حققنا
واثبتنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه الذي تعبدنا
بتلاوته وبين لنا فيها المنافع الدينية والدنيوية والاحكام الشرعية او حققنا علمه
انه منهم بالخبر المتواتر الذي رواه عدد يومن تواطيهم على الكذب او بالخبر المشهور — ر
مما رواته ثلاثة فاكثر المتفق عليه بالاجماع القاطع بانه منهم كجبريل وميكائيل
ومالك خازن النار وخزنة الجنة وخزنة جهنم والزبانية واحدها زبنية
بكسر اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه مخففا من الزبن وهو الدفع اذ بيديهم ملائكة
العذاب اذ يدفعون من امروا به الى النار وحملة العرش المذكورين في ايات كثيرة
من القران من الملائكة ومن سمي فيه اي في القران من الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم وعزرائيل واسرافيل ورضوان بواب الجنان والحفظة ومنكر ونكير
فتح ثانيهما لغلظ عنهما وشدد نكارتهما من الملائكة المتفق على قبول الخبر بهم
مما ورد في السنة الشريفة فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع — ع
على كونه من الملائكة او الانبيا كهاروت وماروت انهما من الملائكة ام لا
والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم ابنة عمران واسيه ابنة مزاحم وخالد
بن سنان المذكور انه نبي اهل الرس اي البير المطوي قيل كذبوه ورسوه
اي دسوه فيها حتى مات وقيل نبيهم حنظلة بن صفوان كانوا قتلوه لعنهم

اعظم طير كان سميت عنقا لطول عنقها وكانت تسكن جبلا يقال له فتخ تخطف صبيانهم اذا اعوزها الصيد فدعى عليها حنظلة فاخذتها صاعقة فتلك فاهلكوا وزرادشت بزاي معجمة مفتوحة او مضمومة فرا ودال مهملتين بينهما الف فشين معجمة فتا مثناة فوق الذي تدعي المجوس والمورخون نبوته وصاحب كتاب المجوس فلندع الحكم في سائرهم ومنتقصهم بما يشينهم والكافرين بهم كالحكم فيمن قدمناه من الانبيا والملايكة اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة الذي ثبتت لاوليك الكرام البررة ولكن نزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بما يليق به من ضرب وحبس واهانة ونحو ذلك بقدر حال المقول فيه لا سيما من عرفت صديقيته من ابنية المبالغة كصديق وشريب اي عرف فرط صدقه وكثرة تصديقه بغيوب الله واياته المثبتة في الافاق ومن عرف فضله منهم وان لم تثبت نبوته لكرامته ومكانته عند ربه واما انكار نبوته اي نبوة من لم يجمع على كونه من الانبيا او انكار كون الاخر من الملايكة فان كان المتكلم في ذلك القول فيه منهم من اهل العلم فلا حرج اي لا باس ولا اثم عليه لاختلاف العلما المجتهدين في ذلك اي في كونهم من الانبيا او الملايكة وان كان المتكلم في ذلك من عوام الناس زجر عن الخوض هو في الاصل المشي في الماء ثم استعير للتلبس بالامر والتصرف فيه اي نهي ومنع عن التكلم ومثل هذا المقام اذ ليس اهلا للتكلم فيه وقد شبه التكلم فيه بالماء استعارة مكنية واثبت له الخوض تخييلا كانه من جنس الماء ونوعا من انواعه قضاء لحق البلاغة وتناسبا للتشبيه ووصفا للنفس عن توهمه او شبه تمكن المتكلم من التكلم فيه بتمكن الخائض في الماء ثم اثبت له في وقت الاستعارة في المصدر الاصلية وفي الحرف تبعا له فان عاد الى التكلم فيه ادب بقدر حال المقول فيه اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا لعدم اهليتهم له وقد انكر السلف ممن مضى من الايمة الاعلام الكلام في مثل هذا المقام خطرا لكلام فيه مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف بالعامة اي يكون لهم التكلم فيه فانهم عماة وفي ايدي الجهل عناة فصل اعلم ان من استخف بالقران او بالمصحف او بشي منه اي من القران او منهما بما لا يليق بكريم ذاتهما او جحده اي القران الكريم او جحد حرفا منه او بشي مما صرح به فيه من حكم كاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واتموا الحج والعمرة لله او خبر كاباء ابليس السجود لادم وخبر نوح وغيره من الانبيا او اثبت ما نفاه القران كاثبات ايمان اكثر الناس المنفي بقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين او نفى ما اثبته اي القران لنفي الميمونية من الجاردية من الخوارج سورة يوسف منه بزعمهم الباطل الكاذب انه قصة

فسق لا يجوز كونها قرانا على علم منه اي ممن زاعم شي من ذلك اي عالما بان ما افكه مما هو من القران ليس له وعلمه او شك في شي من ذلك اي مما ذكر فهو كافر عند اهل العلم باجماع منهم قال الله تعالى ان الذين كفروا بالذكر اي القران لما جاءهم وانه لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله محفوظ لشبهه دة انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل ضرب لنفي تعلقه به اي لا يتوصل اليه ولا يجد اليه سبيلا فلا يتري طعن طاعن فيه الا محقق ولا تاويل مبطل الا مستحق تنزيل من حكيم حميد اي لا ينزل الا محكما ولا تعتريه باطل وقد استند هنا ما افاده ان المرا في القران كفر من طريق ابي داود عن احمد بن محمد بن حنبل الى ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المرا في القران كفر وفي رواية لا تماروا في القران فان مرا فيه كفر هو اما من التماري والتجاحد فقد قيل بمعنى الشك والريبة لشبهه دة قول ابي عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التاويل وانما هو على الاختلاف في اللفظ كان يقرا الرجل على حرف فيقول الاخر ليس هو كا قرات وكلاهما مقروء بهما فاذا جحد كل واحد منهما قراءة الاخر لم يومن ان يخرجه ذلك الى الكفر لنفيه حرفا انزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم او من المماراة بمعنى المجادلة ولهذا قال وقيل بمعنى الجدال في الايات التي فيها ذكر القدر ونحوه على مذهب اهل البدع واصحاب الاهوا والارا دون ما تضمنته من الاحكام كالحلال والحرام لوقوعه بين الصحابة فمن بعدهم اظهارا للحق فيتبع لا للغلبة والتعجيز وروى ابن ماجة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه لتكذيبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك اي وجحده انه من كتاب الله ان جحد اي جحد التوراة والانجيل وباقي الكتب المنزلة على الاجمال او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها لا انه لها فهو كافر لانها كلام الله النفسي المنافي للسكوت والافة وان اختلفت عباراتها الدالة عليه بحسب اللغات وقد اجمع المسلمون على ان القران المتلو بالسنتنا في جميع اقطار الارض جمع قطر اي نواحيها وجوانبها وعن عايشة نصف اباها فقد جمع حاشيته وضم قطريه اي جانبيه عن الانتشار والتبدد المسموع باذاننا المكتوب في المصاحف برقومه واشكاله بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان اي جانبا وقايته من جلد او غيره من اول الحمد الى اخر قل اعوذ برب الناس لم يذكر البسملة تنبيها على انها ليست من القران في اوايل السور عند مالك تبعا لقرا المدينة والشام والكوفة وفقهايها والحق انها من الفاتحة وكررت في اوايل السور للفصل وعليه قرا مكة وفقهاوها والشافعي واصحاب الحديث

ابن خزيمة والحاكم عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وعدّ
البسملة آية منها وحديث الدارقطني وغيره عن ابي هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القرآن وام
الكتاب وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وحديث البخاري عن انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزل علي الليلة سورة ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر وفي رواية له في جزئه وجوب القراءة خلف الامام انه صلى الله عليه وسلم قال
للمسيء صلاته اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها وهذه الاحاديث
وان كانت آحادا تفيد الظن فالعمل بها واجب اجماعا اذ ما احد من ائمة الهدى الا وجميع
مسائل مذهبه باخبار الآحاد او بآيات قطعية دلالتها عليها ظنية ونحن نعتقد لقرينة
ما افادته الاحاديث انها منها انها تفيد العلم كالمتواتر لقرائن حفت بها منها كتابتها في
الامام العثماني بقلمه ومداده الذي اجمع عليه الصحابة مع مبالغتهم في تجريده عما
ليس قرآنا حتى جردوه عن آمين واسماء السور مما لا يخفى على من علم سبب كتابته
بعدهم وقد بينه البخاري ومن خفائه على بعض المجتهدين نشأ خلاف فيها بينهم
ومنها ما افاده قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق انها من هذه السورة بشهادة
قوله في الكشاف محل باسم ربك النصب اي اقرأ مفتتحا باسم ربك اي قل
بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ وقد اجاب ناصر السنة الشافعي عن حديث كانوا
يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين بانه من اسماء الفاتحة اي كانوا يفتتحون
بالسورة المسماة بالحمد لله فلا يكون حجة انها ليست منها فلا ريب انه كلام الله ووحيه
المنزل به جبريل من عند الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان
جميع ما فيه اي في مجموعه من سور وآيات وما اشتملت عليه من امر ونهي واخبار
ومواعظ وغير ذلك حق اي ثابت لا ريب فيه وان من نقص منه حرفا واحدا قاصدا
لذلك اي لنقصه منه كنقص بعض طغاة الاعاجم الفجرة غيرا اذ قرأ ومن تبع غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما
لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الاجماع انه اي الحرف الذي زيد او نقص
من القرآن او ليس من القرآن عامدا لعلمه زيادة او نقصا لكل هذا كافر فاجر
اذ لا يجترئ على ذلك من في قلبه ادنى من حبة خردل من ايمان ولهذا اي ومن اجل
ان جميع ما في القرآن حق وان من زاد فيه او نقص منه كافر رأى مالك الامام
قتل من سب عائشة بالفرية التي افكت عليها والافك ابلغ الكذب والافتراء
لانه بسبه لها خالف القرآن المنزل ببراءتها مما افك عليها كل آية موذنة بتعظيم شان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنزيهها مما افتري عليها وتطهيرا لاهله صلى الله
عليه وسلم وتهويل عظيم لمن تكلم به او سمعه ولم ينكره وباحكام وفوائد دينية

وآداب لا تخفى ومن خالف القرآن قتل اي لانه كذب بما فيه مما نزل ببراءتها
وتنزيهها شأنها وتكذيب من خاض فيه تبجحا لعظم ذنب من تولى كبره كرأس
النفاق عبد الله بن ابي بن سلول وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة
وحمنة بنت جحش ومن غشي ضوء نارهم وقال ابن القاسم من قال ان الله
تبارك وتعالى لم يكلم موسى صلى الله عليه وسلم تكليما يقتل لتكذيبه لقوله تعالى
فيه وكلم الله موسى تكليما وقاله اي قول ابن القاسم انه يقتل عبد الرحمن بن مهدي
من اصحاب الشافعي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان [illegible]
وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ليستا من القرآن تضرب عنقه
لنفيه لهما منه مع ثبوتهما في المصاحف العثمانية هذا وما نقل عن ابن
مسعود انهما ليستا منه لم يثبت للاجماع على انهما منه وما في مسند احمد
ان ابن مسعود كان يحكهما من المصحف ففي اسناده عاصم بن بهدلة كان يحيى
بن سعيد رديء الحفظ وقال الدارقطني سيء الحفظ وهو وان قرنه البخاري
في المتابعات بغيره دون التثبت في الحديث ثقة في القراءات الا ان يتوب
فلا تضرب عنقه وكذلك كل من كذب بحرف منه اي من القرآن تضرب
عنقه الا ان يتوب قال اي ابن سحنون وكذلك ان شهد شاهد على من
قال ان الله لم يكلم موسى صلى الله عليه وسلم تكليما وشهد آخر عليه
اي على من قال ذلك انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا تضرب عنقه لانهما
اجتمعا بما شهدا عليه به على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء
به من ورود تكليمه تبارك وتعالى موسى تكليما واتخاذه ابراهيم
خليلا في القرآن وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد وينسب
نفسه اليه متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل الكريم والفرقان
القديم كفر يوجب قتل جاحده وكان ابو العالية اذا قرئ عنده غير ما
يقرأ هو مما نزل به القرآن لم يقل ليس كما قرأت ويقول تفاديا من ان
ينكر شيئا منه اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك اي قول ابي العالية ابراهيم النخعي
او الشعبي فقال اراه بضم الهمزة اي اظنه سمع انه من بدل من الضمير
اي ان من كفر بحرف منه فقد كفر به كله لان الكفر ببعضه يؤذن بالكفر
بكله وقال ابن مسعود في مصنف عبد الرزاق من كذب بآية من القرآن
فقد كفر به كله لان تكذيبها تكذيب لقائلها تبارك وتعالى وقال اصبغ بن
الفرج المصري من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد
كفر به كله ومن كفر به كله فقد كفر بالله بعد ايمانه ومن كفر بالله بعد ايمانه
فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم وسئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف

اي اليهودي له بالتوراة ليتخلص مما ادعي به عليه فقال الاخر لعن الله التوراة
فشهد عليه شاهد بذلك ثم شهد اخر انه سمعه لعن لعنه الواقعة
بينهما فقال اي اللاعن انما لعنت توراة اليهود اي التي بيدا رسوطها
بينهم فقال ابو الحسن اي القابسي الشاهد الواحد لا يكفي في انه يوجب
القتل اذ لا يثبت به في باب الشهادة حكم والثاني علق الامر بصفة بل علق
لعنه بموصوف مضاف اليهم هو ما بايديهم منها مما عمل ايديهم وبدل بلاخرها
لانها من حيث هي اذ لعله اي اللاعن لا يرى اليهود متمسكين بشي من عند الله
مما انزل على موسى نبي صلى الله عليه وسلم لتبديلهم وتحريفهم وصرف كلمها عن مدلولها
الى الغير كما قال بعض محاربي موسى صلى الله عليه وسلم اذ كلمه بالطور مما امر به
ونهي عنه سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس
ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة لعنا مجردا عن تعليقه بموصوف وصفه
واضافته اليهم لضاق الثاني وبل وص فلعنه الباطن ظاهرا ونكال به وقد
اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ معجمة فنون مشددة فباء موحدة
وذال معجمة بينهما واو المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين ببغداد مع
ابي بكر احمد بن موسى ابن مجاهد لقراءته واقرائه الناس بشواذ جمع شاذ لم
تتواتر قراءتها عن النبي صلى الله عليه وسلم من الحروف اي اللغات التي نزل
بها القرآن الكريم كلغة قريش وتميم وهذيل وفي الحديث نزل القرآن على
سبعة احرف كلها كاف شاف وقد تنازع العقلاء في الشواذ مما ليس في
المصحف الامام العثماني وقد عقد عليه بالرجوع عنه اي عما كان يصدر
عنه من قراءته للشاذ واقرائه للناس بها وعن التوبة منه سجلا اي كتابا عظيما
اشهد عليه فيه من حضر بذلك اي برجوعه عنه وتوبته على نفسه في مجلس
الوزير ابي علي بن مقلة بعد ضربه بمزيد به باذنه وممن افتى فيه بذلك ابو
بكر الابهري المالكي مع فقهاء بغداد وافتى ابو محمد بن ابي زيد القيرواني بالادب
فيمن قال لصبي يتعلم القرآن لجراته على القرآن الكريم والفرقان الفهم مع ما اذن
به من رجوعها عليه حديث من لعن مسلما ليس مستحقا لها رجعت عليه بها
فصل سب آل بيته صلى الله عليه وسلم علي وفاطمة وولديهما والعباس وجعفر
وعقيل واولادهم عند كثيرين وليت شعري ثم يجيبون عن حديث لا تحل الصدقة
لمحمد ولا لآل محمد لدلالته كما قاله الشافعي على انهم صلبية بنو هاشم وبنو المطلب
بن عبد مناف وعوضهم عنها خمس خمس الغنائم لشهادته قسمته صلى الله عليه
وسلم له بينهم تاركا بني عمهم عبد شمس ونوفل ابني عبد مناف لما قال انهم
لم كانوا صلى الله عليه وسلم نحن وبنو المطلب شي واحد وشبك بين اصابعه

لم تفتن في جاهلية ولا اسلاما وسب ازواجه واصحابه صلى الله عليه
وسلم وتنقصهم حرام لكونهم من اهل عند الله نصرهم ورفعه كلهم مع ثنائه
عليهم في كتابه العزيز في مواضع كثيرة منها محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى
على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ملعون اي مطرود مبعد عن
رحمة الله فاعله وقد اسند هنا ما اذن بالتحذير من الوقيعة فيهم
من رواية حديث الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي كرره مع وضع الظاهر
موضع المضمر مبالغة في تاكيدها لتحذير عن اتخاذهم غرضا بعده صلى
الله عليه وسلم وتحذيرها لشانهم وقد تقدم عليه وعلى ما بعده ما اغنى
عن اعادته هنا لا يقبل الله منه اي ممن سبهم او واحدا منهم صرفا
اي توبة او نافلة ولا عدلا اي فدية او فريضة وحديث وحديث لا
تسبوا اصحابي فانه يجي قوم الضمير للشان يفسره ما بعده اي فان
قوما يجيئون في اخر الزمان يسبون اصحابي لا ادري من رواه فلا تصلوا
عليهم اي اذا ماتوا ولا معهم نهي تنزيه لتجويز اكثر الائمة امامة المبتدع
ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم مبالغة
في اهانتهم لان حكم المبتدع الاهانة والترك وحديث من سب
اصحابي فاضربوه تعزيرا له واهانة وتنكيلا به لردع امثاله وقد
اعلم صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه صلى الله عليه وسلم
واذاه حرام يوشك ان يحل بمنتسبه وقال لا تؤذوني في اصحابي اي
لا تؤذوهم فيمسني بسبب اذاهم الاذى ولتسببه عنهم جعلهم ظرفا له ومن
اذاهم فقد اذاني علة للنهي عن اذاهم وقال لا تؤذوني في عائشة تقدم
معناه ويجري فيه ما تلناه في لا تؤذوني في اصحابي وقال في فاطمة
اي حقها هي بضعة مني يؤذيني ما اذاها تقدم معناه وقد اختلف العلماء
في هذا اي فيما يستحقه مؤذيهم من النكال فمشهور مذهب مالك
في الاجتهاد في ايقاع النكال به والادب الموجع قال مالك من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم قتل لجراته على الشرف الرفيع والجناب المنيع ومن شتم
اصحابه ادب تنكيلا له وتبكيتا وقال ايضا اي مالك من شتم احدا منهم
ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن العاصي بن وائل السهمي مبرة

الترمذي

بابيه عن عمر ولم يذكر عليا لان محبيه كثيرون فان قال كانوا على ضلال وكفر
قتل لتكذيبه القرآن فيما اثنى عليهم مع حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وحديث لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه
لغة في النصف اي نصفا لمد بضم الميم وهو ربع الصاع وانما قدر به لانه
اقل ما كانوا يتصدقون به عادة ونفى بلوغه وهو الغاية يقال لا يبلغ مدى اي
لا يلحق شاوه اي غايته وان شتم بغير هذا مما ذكر من مشاتمة الناس بعضهم
بعضا مما يجري بينهم نكل به نكالا شديدا لتلين شكيمته وتنقاد للاذ
قرونته فيصير سلسا مطواعا عديم الوقيعة في اولياء الله وقال ابن حبيب من
غلا اي تغالى من الشيعة اي الذين شايعوا عليا وقالوا انه الخليفة بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تخرج عنه الخلافة ولا عن بنيه الا بظلم الى بغض
عثمان والبراءة منه اي بلغ وتجاوز في حقه بما لا يرضى وتبرا منه ادب ادبا
شديدا زجرا له عن العود اليه ولامثاله عن ان يصدر عنهم شيء منه ومن
زاد على ما غلا به منهم وتجاوز الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة عليه
اشد لما زاده في حقهم مما لا يرضى ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت
توبيخا له نكالا وهوانا به ولا يبلغ به اي بما عوقب به القتل الا في سب
النبي صلى الله عليه وسلم لهتكه حرمة شرفه المنيف وقال ابن سحنون
ومن كفر احدا من الصحابة عثمان او عليا او غيرهما يوجع ضربا وهو مخالف
لما مر عن مالك انه اذا قال كانوا اي الصحابة على ضلال وكفر قتل وحكى ابو
زيد عن سحنون من قال في ابي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي
النورين وعلي المرتضى انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل كما مر عن مالك نكالا
بما افتراه عليهم ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا كان قال لم يكونوا على
هدى بل على كفر نكل به النكال الشديد لا فكه عليهم ذلك وروي عن مالك
من سب ابا بكر جلد نكالا لا بما اجترأه عليه ومن سب عائشة قتل قيل
له اي لمالك لم تقتل بسبها وقد قلت في ابيها يجلد من سبه قال اي مالك من
رماها اي بما افترى عليها فقد خالف القرآن الذي نزل ببراءتها وقال ابن شعبان
عنه اي عن مالك لان الله يقول يعظكم الله حذرا من ان تعودوا لمثله ابدا ان
كنتم مؤمنين تذكيرا لما تحلوا به من الايمان الذي لم عن العود لمثله الصادر
عن كل قبيح وتهييجا لقلوبهم الى الاتعاظ فمن عاد لمثله فقد كفر ثم
ويغفر تبارك وتعالى كراهة عودهم لمثل ما اتيفك عليها وخوضهم فيه مع
تضمنه ايضا النهي عنه وحكى ابو الحسن الصقلي بفتح المهملة والقاف
ان القاضي ابا بكر بن الطيب الباقلاني امام المتكلمين قال ان الله تبارك

وتعالى اذا ذكر ما نسب اليه المشركون سبح نفسه تنزيها لنفسه عما نسبوه
اليه تعالى كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون نزلت في
خزاعة اذ قالوا الملائكة بنات الله في آي كثير سبح ذاته تنزيها له في مثل
وجعلوا لله شركاء الجن وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وذكر ما نسب
المنافقون لما الصديقة بنت الصديق عائشة مما افكوا عليها فقال ولولا
اذ سمعتموه قلتم قدم الظرف على فعله تنزيلا للظرف من الاشياء لتوسعهم
فيها منزلة انفسها لوقوعها فيها ولزومها لها ولوجوب كفهم عن تكلمهم
بالافك فوجب تقديمه لانه هنا اهم ما يكون اي ما ينبغي وما يصح لنا
ان نتكلم بهذا اي الماقول عليها سبحانك تعجب من عظم ما انكر لتضمنه
تسبيحه من حيث ان الاصل فيه ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنعه تعالى
ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى عن ان تتصف زوجة نبيه
بقبيح او سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح في تبرئته من السوء وضعه
موضع المضمر تقبيحا لشأنه وتلويحا بوجوب التبري منه وهذا اي قول
القاضي ابي بكر ان الله سبح نفسه في براءة عائشة من السوء كما سبح نفسه في
براءته منه يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى هذا ان قول
مالك يقتل من سبها والله اعلم اعتراض بين المبتدا وخبره افاد انه تعالى
هو الذي يعلم حقائق الامور على وجهها قطعا وغيره ظنا ان الله لما عظم
سبها في ايات براءتها من افكهم كقوله سبحانك هذا بهتان عظيم كما عظم
سبه تعالى وتبارك بمثل الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم
لكاذبون وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب
نبيه واذاه باذاه في قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذي نبيه صلى الله عليه وسلم
كذلك القتل كما قدمناه غير مرة وشتم رجل عائشة بالكوفة احدى
المصرين هي والبصرة ويقال لها كوفة الجند اي مجتمعهم لان سعدا لما اراد ان
يبنيها قال لهم تكوفوا في هذا الموضع اي اجتمعوا فيه فسميت كوفة وقيل
كان اسمها قديما كوفان فقدم ذلك الشاتم لعائشة الى موسى بن عيسى العباسي
فقال من حضر اي شتمها من الناس فقال ابن ابي ليلى انا [illegible]
قدره اذ كان من الائمة الاعلام فجلده جلد القاذف ثمانين جلدة وحلق راسه
وسلمه للحجامين يعذبونه باخراج دمه وروي كما في تاريخ الخطيب وابن عساكر
عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان عبيد الله اذ شتم المقداد بن
الاسود بتنبيا فان اباه غيره تكلم بضم الكاف مبنيا للمفعول اي عمر في ذلك

مضاف

ليتركه فقطعه فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احدا بعد ظرف غاي مقطوع
عن مضاف اليه منوي ومن ثم بني على الضم اي بعد قطع لسانه اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم تكريما لشانهم وتشريفا لمقامهم وروى ابو ذر الهروي
ان عمر اتي باعرابي يهجو الانصار ويفري اعراضهم بلسانه فقال لولا ان
له صحبة لكفيتكموه ورواه ايضا محمد بن قدامة المروزي في كتاب الخوارج عن
ابي سعيد الخدري بسند رجاله ثقات وقال مالك من انتقص احدا من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم استخفافا بهم واستهانة لهم فليس
له في هذا الفيء الماخوذ من الكفار بلا ايجاف خيل ولا ركاب نصيب قد قسم
الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الى المدينة الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله
اولئك هم الصادقون اي في هجرتهم والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
عطف على الفقراء اي سكنوها واتخذوها منزلا وهم الانصار والذين جاءوا
من بعدهم اي هاجروا بعدهم او هم التابعون يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان وهذا مبني على ان للفقراء بدل من لذي القربى وما بعده
وان المبدل منه في حكم الطرح والاولى جعله متعلقا بمحذوف اي اعجبوا لهم في
تركهم اهلهم واموالهم وديارهم مبتغين فضل الله ورسوله مريدين نصرة دينه
وفي مدح لهم بالصدق في ذلك وللذين تبوءوا الدار واخلصوا الايمان في
محبتهم من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم مس حاجة ويؤثرون على
انفسهم بالفيء ولو كان بهم مس حاجة خصاصة وللذين جاءوا من بعدهم في
طلبهم المغفرة من الله ولاخوانهم السابقين لهم بالايمان ومبني على مذهبه
ان الفيء لا يخمس كما تخمس الغنيمة وهو مخالف لصدر الاية والحق انه يخمس كما
يشهد به ان الله بين لرسوله فيها ما يصنع بما افاء الله عليه من اهل القرى
وامره ان يضع خمسه حيث يضع خمس الغنائم مقسوما على ذويه من رسوله
وذي قرباه واليتامى والمساكين وابن السبيل وكان له صلى الله عليه وسلم مدة
حياته خاصة ينفق منه على عياله نفقة سنتهم وما بقي منه فللمصالح وانما قسمه
صلى الله عليه وسلم في المهاجرين خاصة لفقرهم وخلتهم في ذلك الوقت لاخراجهم من
ديارهم واموالهم حبا لله ولرسوله وطلبا لرضاه ونصرة رسوله ولم يعط الانصار
منه شيئا الا ثلاثة ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة
لفقرهم وقال للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وان شئتم
كانت لكم دياركم واموالكم ولا تاخذوا منه شيئا فقالوا بل نقسم لهم من اموالنا
وديارنا ونؤثرهم به فنزل فيهم ويؤثرون على انفسهم هذا ودعوى ان اهل الحرب

يملكون اموال المسلمين بتغلبهم عليهم لتسمية الله تعالى للمهاجرين فقراء ممنوع اذ
لا يلزم من تسميته تعالى لهم فقراء زوال ملكهم عن اموالهم لانه تعالى انما سماهم فقراء
باعتبار الحالة التي كانوا عليها من عدم وضيق عيش تنزيلا لها لعدم قدرتهم
عليها في تلك الحال منزلة المعدوم لحيلولة الكفار بينهم وبينها فهو كالمالك مع
الغاصب ما غصبه لا يملكه حتى لو اسلم اخذ منه قهرا انتهى ويرده قوله تعالى ولن
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وحديث الشافعي في الام ان ام الدرداء
اسرها في ركب من الصحابة فيه ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيف قبل
اسلامهم فغفلتهم ام الدرداء فركبتها فلما بلغت المدينة اخذها رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها فلو ملكوها كانت غنيمة لها ووجب تخميسها وقد يستدل
بحديث العرنيين في البخاري وغيره اذ قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذوا ابل الصدقة ثم نزعت منهم قهرا فلو ملكوها وجب عليه صلى الله عليه وسلم
تخميسها فمن تنقصهم استهانة بهم فلا حق له في فيء المسلمين لخروجه من الاصناف
الثلاثة وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم اي من الصحابة انه ابن
زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه لعله اراد
بالاول التعزير تنكيلا له وزجرا له عن ان يعود ولا اجعله كقاذف جماعة
في كلمة لفضله على غيره فتشموله فضيلة صحبته له صلى الله عليه وسلم ولقوله صلى الله
عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه وفي رواية تقدمت فاضربوه قال
اي ابن شعبان ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية اي الكذب
لانه اي قذف ام احدهم اي كافرة سب له يستحق به التاديب الاليم فان كان
احد من ولد هذا الصحابي حيا وابوه ميتا قام مقامه في استيفاء الحد والا اي
وان لم يكن له احد من ولده حيا فمن قام به استيفاء له من المسلمين كان على الامام او
نائبه قبول قيامه ونصرته معاونة على البر والتقوى قال اي ابن شعبان وليس
هذا اي ما ذكر في حق من قذف امه من الصحابة من وجوب الحد على من قذفها
كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء اي الصحابة بنبيهم صلى الله عليه وسلم
ولو سمعه الامام اي السلطان او نائبه واشهد عليه كان اي الصحابة الامام
ولي القيام به اي بالحد استيفاء له قال اي ابن شعبان ومن سب غير عائشة
من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان يقتل لانه سب النبي صلى الله
عليه وسلم بسب حليلته التي استحلها بكلمة الله وصارت زوجة له والقول
الاخر يجلد حد المفتري لشمول حرمته لهن بدخولهن تحت كنفه قال اي
ابن شعبان وبالاول اي القول بالقتل اقول وروى ابو مصعب عن مالك من
سب من انتسب الى النبي صلى الله عليه وسلم قرابة او صحبة او مولى لعله

يضرب ضربا وجيعا ويشهر بين الناس ليعلموا حاله ويحبس حبسا طويلا حتى تظهر
توبته لانه اي سبه له استخفاف بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب
تنكيله بذلك ردعا لامثاله وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة من مدن
الغرب وهي الان والله اعلم بايدي الفرنج في رجل انكر تحليف امراة توجه عليها يمين
واريد تحليفها بالليل لكونها مخدرة وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت
الا بالنهار وصوب قوله اي قول الرجل الذي انكر تحليفها بالليل بعض المتسمين
بالفقه اي المتصفين به فقال ابو المطرف ذكر اي قوله لو كانت لابنة ابي بكر
في مثل هذا اي الان يجب عليه به الضرب الشديد والسجن الطويل لجراته على
حرمته صلى الله عليه وسلم وحرمة ابنها الصديق رضي الله عنه والفقيه الذي صوب
قوله اخص باسم الفسق ولا تقبل فتواه ولا شهادته وهي اي فتواه بتصويبه
قوله جرحة ثانية فيه اسقطت عدالته فجعلها نفسها جرحة لنسبتها عنها مبالغة
في تفسيقه ويبغض في الله اهانة له ورفضا لجانبه وقال ابو عمران في رجل قال
لو شهد علي ابو بكر حذف سببه وجوابه لظهوره بما عنه انه ان كان اراد شهادته
في مثل هذا الجوز ولا يكفي فيه الشاهد الواحد فلا شي عليه ويردع كما اشار
عن ذكر الابهام مناسب وان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به الضرب
الموت اي يبلغ هو بالضرب الموت لتنقيصه اكرم الخلق بعد الانبيا لتنبيهاته صلى
الله ما طلعت شمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين افضل من ابي بكر
المخصص لعموم حديث ما اقلت الغبرا ولا اظلت الخضرا افضل من ابي بكر وذكره
اي قول ابي عمران وانث الضمير باعتبار معنى لانه اذا كنفه مذكر ومونث جاز
تذكيره وتانيثه رواية عن مالك او غيره من اصحابه قال المولف هنا انتهى القول
فيما حررناه من الباعث لنا على تاليف هذا الكتاب وانتجز اي تم وانقضى الغرض
الذي اردنا ابرازه في معرض احسن تاليف انتحيناه اي قصدناه واعتمدناه
واستوفي اي القول الشرط الذي شرطناه مما اوردناه في الاقسام الاربعة
ارجوا ان يكون في كل قسم منه للمريد حمز يريد مقنع يقنع به ويرضاه وهو
مصدر ميمي لا يثنى ولا يجمع ومن ثنى وجمع نظرا الى اسميته وفي كل باب
منهج الى بغيته ومنزع اي مخرج من النزع وهو الجذب قد سفرت فيه
عن نكت تستغرب وتستبدع لعله استعمل لها وجرها على اللسان بحيث
تعد بديعة وردت لا على مثال وتقدم على صدر هذه الفقرة في اخر الخطبة
ما لا مزيد عليه وكرعت من الكرع وهو شرب الما بفيه كالدابة لادخاله
اكارعها فيه وذكره الكرع في النهر لدلالته في مشارب من التحقيق اي التحرير تنبيها
تما تشرع فيه واخرجها من باب الاستعارة بمن انبيا نيه لم يورد لها قبلي

اكثر التصانيف مشروع هو في الاصل مورد الشاربة من ابل وغيرها ثم استعير
لكل ما فيه نفع لتشبيهه كذبه واودعته اي ضمنته غير ما فصل زيد تفيه
ما لتاكيد معنى كثرة ما اودعه فيه وددته من الود اي المحبة وفك الادغام
لتعذره مع النا المدغم فيها النا به المنقلبة عن الدال لتانيثه وعن عزانه
بالغ في الاحسان الى اعرابي فقيل له ان الاعراب يرضون بالقليل فما ذا انا
هذا كان ودا لعمر انضم واو تجد رمضان اي ذا ودله وان كسرت فلا
اذ الود بالكسر الصديق اي احببت لو وجدت من بسط الكلام فيما وجدت
مقتدى به فيه يفيد فيما اي يفيد فيما اودعته عن كتابها وعن فيما مثلا
مشا فيه لا كتفي بما ازويه عندا وعن كتابه عما ازويه لغيري في تشفع به
وتشفع عنه والى الله جزيل الضراعة اي كثرة الخضوع والتذلل لا الى غيره جهده
تقدم الجار والمجرور في المنة منه تعالى بقبول ما منه تفضل به مما اودعته
عنها فضلا خالصا لوجهه الكريم اي لذاته والعفو عما تخلله اي تارك به
وخلال اساليبه من تزين وتصنع لغيره اي غير وجهه الكريم وان
يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه اي لاجل ما اودعنا
فيه من شرف مصطفاه وامين وحيه ولاجل ما اسهرنا به اي
نسبه الباعث لنا عليه جفوننا لاظهار شرفه صلى الله عليه وسلم ولاجل
ما اعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه بيضه التي خصه الله تعالى بها دون غيره
مما وجب له وندب وابيح وحرم عليه وكره ووسائله التي يتوسل بها الى الله
وان يحمي اعراضنا عن نار يحابينا كريم عرضه صلى الله عليه وسلم عما دونه
من شرفه المنيف وكرمه الوريف وان يجعلنا ممن لا يذاد يمنع ويطرد عنه
القا اي لا يصد اذا ذيد المبدل دينه بردته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم
عن حوضه وان يجعله ذخيرة محفوظة له به تعالى نجدها يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا ينفعها ذلك اليوم نحوز بها رضاه اي نحويه ونستبد به
ونحوز بها جزيل ثوابه وان يخصنا بخصيصى بالف مقصور مصدر بمعنى
الخصوصية يقال خصه يخصه خصوصا وخصوصية اي بمن هو خواص زمر نبينا
صلى الله عليه وسلم وجماعته وان يحشرنا مع الرعيل اي الجمع الاول من اهل
السعادة واهل الباب الايمن من اجل شفاعته ويجمع اي يحشر عليه بجماع ثنا
ئيوا في نعمه وبكا في مزيده على ما هدى اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة هي
ما لادراك المعاني كالبصر لادراك المحسوسات لدرك حقائقه كما اودعناه ونفهمه
ونستعيذه اي نلوذ به ونلجا اليه جل اسمه من دعا لا يسمع وعلم لا ينفع وعمل
لا يرفع انه الجواد بتخفيف الواو ولا غيره بتشديدها لتعريف الجزيين وحدت اني حولدما

478

الذي لا يخيب من امّله وانجح حوزه التي لا تحصى كثرة ولا تستقصي **ولا ينتصر** على عدوه **من خذله** اي منعه وحرمه نصره **ولا يرد دعوة القاصدين اليه** الراغبين فيما عنده بشهادة حديث ان الله يستحيي ان يرد يد عبده صفرا اذا رفعها اليه **ولا يصلح عمل المفسدين** بل يمحقه تلفا ويتمّمه تدميرا **وهو حسبي** مبتدا وخبر وحسب مصدر في موضع اسم الفاعل اي محسبي وكلّي في يقال احسبني الشي اي كفاني **ونعم الوكيل** عطف اما على جملة هو حسبي والمخصوص محذوف اي ونعم الموكول اليه هو او على حسبي اي وهو نعم الوكيل فالمخصوص هو الضمير المتقدم وهو من عطف الجملة على المفرد لتضمنه معنى الفعل كما في فالق الاصباح وجعل الليل سكنا وعلى كل فهو من عطف الانشا على الاخبار وهو جايز في الجمل التي لها محل من الاعراب كما في تفسير سورة نوح من الكشاف سوا حكيت بعد القول او لم تحك اذ لا شك من به مسكة في حسن قولك زيد ابوه عالم وما افسقه وخالد ابوه بخيل وما اجوده وكذلك هكذا الجواز شاهد قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل هذا وقد تم كتاب الاصطفا لبيان معاني الشفا بيانا بديعا موشحا من العلوم بما يناسب كل مقام تهيا نامر بعا بشرايف تركيب كريم لا يحمو غل ولطايف ترتيب تمييز لا تقلقا انصاحه ولا تمد فوعا واسلوب انيق تسابق الفاظه الى الافهام معانيه واعجوب رشيق تبادر الى الاذهان حكمة سبانيه فدونك شرحا عناية الله مشرعه ومصدره وتوليه تعالى ابانى بكرامته منجحه ومظهره قد سفرت فيه عن وجوه رغايب نفيسه تشرق نورا للتوفيق متممه وعرايب انيسه تزهر لهدايه التدقيق منتمه ساطعا في عنوانه لامعا برهانه ناطقا بعان توقظ الوسنان ومثان تنعم الاذهان فالحمد لله على ما منح من ابداعه حقا يقه مسفره وفتح من احازه دقا يقه ضاحكه مستبشره اللهم تقبله مني واجر على السنة الافهام فضل خطابه واعل على الوتد الاذهان بديع صوابه فاطر السموات والارض انت ولي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين انت حسبي ونعم الوكيل نجز مولفه تبييضا يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشر شهر شوال من شهور سنة خمس وثلاثين وتسعماية واحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا

محمد واله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا

ابدا دايما

مقطوعا فضله